هذا كتاب مصباح السالكين وهو شرح نهج البلاغة
من كلام مولانا وامامنا امير المؤمنين ويعسوب المسلمين ووارث
علوم الانبياء والمرسلين خليفة رسول رب العالمين حجة الله
على الخلق اجمعين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب عليه
افضل الصلوات واكمل التحيات تصنيف الشيخ الامام
العالم الراسخ الفرد المحقق حجة الاسلام علامة الانام
قدوة المحققين زبدة المتبحرين قطب الموحدين
افضل المتقدمين والمتاخرين كمال الحق
والملة والدين ميثم بن علي بن ميثم
البحراني قدس الله روحه العزيز
وهو جامع المجلدات الخمسة
بتمامها وبالله التوفيق

من جملة ما اشتريته لنفسي في دار العلم شيراز
في ايام سلطنة السلطان لطفعلي خان

هذا كتاب مصباح السالكين وهو شرح نهج البلاغة
من كلام مولانا وامامنا امير المؤمنين ويعسوب المسلمين ووارث
علوم الانبياء والمرسلين خليفة رسول رب العالمين حجة الله
على الخلق اجمعين اسد الله الغالب علي بن ابي طالب عليه
افضل الصلوات واكمل التحيات تصنيف الشيخ الامام
العالم الرباني الفرد المحقق حجة الاسلام علامة الانام
قدوة المحققين زبدة المتبحرين قطب الموحدين
افضل المتقدمين والمتاخرين كمال الملة والدين ميثم بن علي بن ميثم
البحراني قدس الله روحه العزيز
وهو جامع المجلدات الخمسة
بكلها والله الموفق

من جملة ما اشتريته لنفسي في دار العلم شيراز
في ايام سلطنة السلطان لطفعلي خان

المجلد الاول من كتاب مصباح السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

سبحانك اللهم وبحمدك توحدت في ذاتك فحسر عن ادراكها انسان كل عارف وتفردت في صفاتك
فقصر عن مدحتك لسان كل واصف ظهرت في بدايع جودك فشهدت بوجوب وجودك حاجة كل
ما ذرأ وبهرت بعز جلالك فالكل في نور جمالك مضمحل باطل احاط علمك فلم يعزب عنه مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء وتعددت آلاؤك فتعددت انواعها حد التحديد والاحصاء خلقت الدنيا
مضمارا ليستعد فيه خلقك للسباق الى حضرة قدسك وايدتهم بالرسل ليسلكوا بهم افضل
السبل الى بساط انسك ويسرت كلا لما خلق له فبعض لنعمائك منكرون وعن عبادتك مستكبرون
وبعض بضروب احسانك معترفون وعلى كعبة جودك معتكفون سبحانك انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون سبحانك عما يقول الظالمون وتعاليت عما يصفون سبحك بلسان الحال
والمقال بالعشي والابكار واحمدك على كل حال آناء الليل واطراف النهار واشهد ان لا اله الا انت
حاذفا كل ما سواك عن درجة الاعتبار مخلصا لجلال وجهك في طوري الاعلان والاسرار
واشهد ان محمدا عبدك المختار وصفوة انبيائك الاطهار الذي بعثته بالانوار الساطعة وايدته
بالبراهين والحجج القاطعة وجعلته للعالمين بشيرا ونذيرا وداعيا اليك باذنك وسراجا منيرا
اللهم فصل عليه صلوة دائمة نامية وافية كافية ما تعاقبت الاوقات ودامت الارض والسموات
وعلى آله الطاهرين المنتجبين ينابيع الحكمة واساطين الدين وعلى اصحابه الاكرمين وسلم عليهم اجمعين
اما بعد فلما كان المقصود الاول من بعثة الانبياء والرسل بالكتب الالهية والنواميس الشرعية
انما هو جذب الخلق الى الواحد الحق ومعالجة نفوسهم من داء الجهل وعشق هذه الدار والفانها
الى حظاير القدس ومنازل الابرار وحمايتها ان ترد موارد الهلاك اذ كانت من ذلك على خطر وتشويقها الى
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتنبيهها من رقدة الطبيعة ونوم الغافلين بتذكيرها ما اخذ
عليها من العهد القديم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا
صراط مستقيم ثم ما يلزم ذلك المقصود من تدبير احوال المعاش البدني وساير اسباب بقاء النوع الانساني
وكان امامنا سيد الوصيين وامير المومنين ذو الايات الباهرة والانوار الظاهرة علي بن ابي طالب ع في جميع ما ورد
عنه من الكلام وصدر عنه من الافعال والاحكام قاصدا لجميع ما تضمنه الشرع الكريم من الاغراض والمقاصد
باسطا لما اشتمل عليه القران الحكيم من القوانين والقواعد حتى لن يوجد له كلمة في غير هذا السبيل كما سنبين

ذلك عن قليل ونوضحه بالتفصيل فلا جرم كان كلامه الكلام الذي عليه مسحة من الكلام الالهي وفيه عبقة
من الكلام النبوي ولم يزل كلامه عرضة للصدور في صدور الرماة منتشرا في ايدي المهتدين والغواة تحاول
اعداؤه ان يخفوا شهوده ويابى الله الا ان يتم نوره الى ان عضد الله الاسلام بوجود السيد الامام
الشريف الرضي محمد بن الحسين الموسوي قدس الله سره ونور ضريحه فاجتبى من كلامه جواهر الرفات وجمع
منه ما كان في حيز الشتات وبالغ في تدوين محاسنه بقدر الاستطاعة وسمى مجموعه بنهج البلاغة
فجاء الاسم وفق المسمى واللفظ طبق المعنى فجزاه الله عن العلماء خير الجزاء وحباه من وظايف الفضل
الجزيل الحباء ثم اني لما كنت عبدا لله ما اتاني رحمة من عنده وملكني قوة اسلك بها سبيل قصده وكنت
قد جعلت هذا الكتاب بعد كتاب الله وكلام رسوله مصباحا استضيء به في الظلمات وسلما
اعرج به الى طباق السموات كنت في اثناء وقوفي على شيء من اسراره واكتحالي بسواطع انواره اتاسف
على من يعرض عنه جهلا واتلهف لو اجد له اهلا الى ان قضت صروف الزمن بمفارقة الاهل والوطن
واوجبت تقلبات الايام حلول دار السلام فوجدتها نزهة للناظر وآية للحكيم القادر باينها احوال تدبيرها
والقاء مقاليد امورها الى من خصه الله تعالى باشرف الكمالات الانسانية وملكه ملكات الفضايل
النفسانية فهو امرء سلكت طبيعته من طينة الفضل حين يخيب فالعلم والجود والشجاعة والعفة
والعدل منه يكتسب نعم هو من رحمة الله لاستكفاء امور عباده وبلاده وجعلها مطاوعة لازمة
قيادة فاوامره الغالبة تسري فيها مسرى الارواح في الاجسام واراؤه الصايبة تجري فيها مجرى
الصحة بعد السقم الذي حاز اعلى المناقب ففاز باسنى المطالب وسما بهمته الثواقب فامن
غوايل العواقب الذي بدرت انوار العلوم بدولته السعيدة بعد الافول في غيابة الجهالة و
سطع صبح الحق بطلعته الحميدة من افق الضلالة ورفع ذيول ظلام الظلم فجر
عدله وازهرت روض الرغايب بفيض سحايب فضله المشيد لاركان الاسلام بعد التداعي الممهد
المجدد من آثار الايمان ما محاه طوفان الطغيان صاحب ديوان الممالك السالك الى الله افضل المسالك علاء
الحق والدين عطاملك بن الصاحب المعظم والمولى المكرم الفايز بلقاء رب العالمين ومجاورة الملائكة
المقربين بهاء الدنيا والدين محمد الجويني ضاعف الله جلاله وخلد اقباله وحرس عزه وكماله وابد فضله
واحسانه له وفسح في مدة عمره وامده بتوفيقه وشد ازره بدوام عز صنوه وشقيقه الذي فاق ملوك
الافاق بعلو القدر وكمال العز والفخر وحصافة العلم والادب ورزانة العقل واللب والحسب
الذي ملا الاسماع بجميل اوصافه وافاض اوعية الاطماع بجزيل الطافه والذي يهاطل وابل بذله لما
قيل من قبله في الكرم واهله هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والجود ساحله تعود بسط
الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله ولو لم يكن في كفه غير نفسه لجاد بها فليتق الله سائله

نعم هو من جمع الله له بين الحكمة والسلطان وزاده بسطة في المرتبة وعلو الشان ذو النفس القدسية والخلافة الانسية والاعراق الزكية والاخلاق الرضية والهمم الابية والمقاصد السنية مولى ملوك العرب والعجم صاحب ديوان ممالك العالم شمس الحق والدين غياث الاسلام والمسلمين محمد بلغه الله اقصى مراتب الكمال ورزقه بلوغ الآمال في الحال والمآل فانهما لهذه الامة بدران مشرقان يستضاء بانوارهما وبحران زاخران يغترف من تيارهما وطودان شامخان يستعاد باقطارهما وعمادان تقوم بهما في الوجود اركان الايمان وصارمان يصول بهما الدين القيم على ساير الاديان جزاهما الله عن الاسلام واهله افضل جزاء المحسنين وخصهما من وظايف فضله باكرم ما اعد لعباده الصالحين وقرن سعادتهما بالدوام والاستمرار وعضد اراهما بطاوعة الاقضية والاقدار وصان دولتهما عن حوادث الايام وآفاتها وجعل نتايج افعال اعدائهما ابتلاء آخر بمقدماتها هذا ولما انتهى اتصالي بخدمته وانتهيت الى شريف حضرته المتلقى من الانس مجلسه الى النفس من اشهى مآربها وامطرني من سحاب جوده نعما اشبه الصور القضية من مواهبها فاجريتها في بعض محاوراته الكريمة من مدح هذا الكتاب وتعظيمه وتفضيله وتفخيمه ما علم معه انه اهله الذي كنت اطلب والعالم بقدره ومحله من بين الكتب وتوسمت في تضاعيف ذلك تشوق خاطره المحروس الى كشف حقايقه والوقوف على اسراره ودقايقه فاحببت ان اجعل شكري لبعض نعمه السابقة ومننه المتوالية المتلاحقة ان اخدم سامي مجلسه بتهذيب شرح مرتب على القواعد الحقيقية مشحون بالمباحث اليقينية ابتدي فيه على ما لاح لي من رموزه واكشف ما ظهر لي من دفاينه وكنوزه وقد سبق الى شرح هذا الكتاب جماعة من اولي الالباب والناقد المسدد للصواب يميز القشر من اللباب والشراب من السراب وشرعت في ذلك بعد ان عاهدت الله سبحانه اني لا انصر فيه مذهبا غير الحق ولا اركب هوى لمراعاة احد من الخلق فان وافق الراي الاعلى فذلك هو المقصد الاقصى والا فالعذر ملتمس مسئول والعفو مرجو مامول والرغبة الى اهل الفضل في سد ما يجدونه من خلل وستر ما يقفون عليه من زلل فاني مع ضعف جناحي عن سلوك هذا المطار الذي هو مسرح نفوس الاولياء الابرار ومجال انظار الحكماء الكبار مقتحم الافكار راكب المطايا الاسفار وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل وقبل الخوض في المطلوب لا بد من تقديم مقدمة يستعان بها فيما عسى ان اذكره من المباحث في هذا الشرح ان شاء الله تعالى **اما المقدمة** فاعلم ان كلامه يشتمل على مباحث عظيمة يتشعب عن علوم جليلة يحتاج المتصدي للخوض فيه وفهم ما يشرح منه بعد جودة ذهنه وصفاء قريحته الى تقديم ابحاث تعينه على الوصول الى تلك المقاصد ولما برز عن مقاصده في الفاظ خطابية اما منطوق بها او مكتوبة تعين ان اذكر من مباحث الالفاظ قدر ما تمس الحاجة اليه ثم اشير الى بيان معنى الخطابة وما يتعلق بها ليكون ذلك معينا للناظر في كلامه على ملاحظة دقايقه ومطالعة اسراره وحقايقه

ثم الحق ذلك بالاشارة الى ما يتعلق به عليه السلام من الفضايل فلا جرم رتبت هذه المقدمة على ثلث قواعد **القاعدة الاولى** في مباحث الالفاظ وهي مرتبة على قسمين **القسم الاول** في دلالة الالفاظ واقسامها واحكامها وفيه فصول **الفصل الاول** في دلالة اللفظ على المعنى وفيه ابحاث **البحث الاول** دلالة اللفظ الموضوع اما على تمام مسماه او على جزء مسماه من حيث هو جزؤه او على الامر الخارج عن مسماه اللازم له في الذهن من حيث هو لازم له فالدلالة الاولى هي دلالة المطابقة كدلالة لفظ الانسان على الحيوان الناطق والثانية دلالة التضمن كدلالته على الحيوان وحده او على الناطق وحده والثالثة دلالة الالتزام كدلالته على الضاحك واحترزنا في الدلالتين الاخيرتين بقولنا من حيث هو جزؤه ومن حيث هو لازمه عن دلالة اللفظ بالمطابقة على جزء المسمى او على لازمه بحسب الاشتراك اللفظي فانه اذا جاز ان يوضع اللفظ الواحد للمعنى ولجزؤه كلفظ الممكن مثلا للكلي الخاص والعام وللمعنى ولازمه كلفظ الشمس على جرم الشمس والنور اللازم عنه فلو اقتصرنا في التعريف دلالتي التضمن والالتزام على التعريفين المذكورين دون هذين القيدين لشمل ذلك دلالة المطابقة على تقدير وضع اللفظ لجزء المعنى او لازمه كما هو موضوع له اذ كانت اذن دلالة اللفظ على جزء مسماه وعلى لازم مسماه **البحث الثاني** الدلالة الاولى هي التي بحسب الوضع الصرف واما الباقيتان فزعم الامام فخر الدين وجماعة من الفضلاء انهما عقليتان وفيه نظر لانهم ان ارادوا انهما حاصلتان عن صرف العقل من دون مشاركة الوضع فهو باطل لانه لولا ارتسام المعنى في الذهن عن اللفظ لما حصلتا هما لان الدلالتين وايضا فانهم صرحوا بانهما من دلالات الالفاظ فلا يمكن مع ذلك دعوى حصولهما عن مجرد العقل وان ارادوا بذلك ان الذهن عند تصور المعنى من لفظه ينتقل منه الى جزؤه او الى لازمه فهو حق وحينئذ تكون هاتان الدلالتان بشركة من الوضع والعقل ثم انهما مستلزمتان للدلالة الوضعية من غير عكس لجواز خلو الماهية عن التركيب وعن اللازم البين ولا يلزم بحسب انتفاء لزوم احديهما الاخرى وهو ظاهر **البحث الثالث** ظهر مما ذكرنا انه يعتبر في الدلالة التضمنية كون المعنى المدلول عليه بالمطابقة مركبا واما في الالتزامية فالمعتبر فيه كونه ملزوما في الذهن لامر ما لثبوت له اذ لولا اللزوم الذهني لم يحصل اطلاق اللفظ فهم المعنى الخارج عن الماهية لعدم الوضع بازائه وعدم انتقال الذهن عن موضوعه اليه فلم يكن دالا عليه اذ المراد بدلالة اللفظ على المعنى فهمه عند اطلاقه بالنسبة الى من يعلم الوضع ولا يعتبر اللزوم الخارجي لجواز دلالة اللفظ على ما لا يلزم مسماه في الخارج اذا لزم من تصوره تصور مسماه كدلالة لفظ عدم الملكة عليها كلفظ العمى على البصر ثم اللزوم الذهني ليس موجبا لانتقال الذهن من الملزوم الى اللازم اذ ليس هو تمام ما يتوقف عليه الدلالة الالتزامية بل لا بد من تصور الملزوم اولا وذلك متوقف على وضع اللفظ بازائه والعلم بالوضع وسماع اللفظ او خطوره بالبال فهو اذن احد الشروط المعتبرة لتصور اللازم **البحث الرابع**

دلالة الحقيقة هي الدلالة الوضعية الصرفة واما الباقيتان فليستا حقيقتين وهو ظاهر ولا
مجازيتين ايضا لان من شرط المجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له استعمالا مقصودا بالذات
وههنا ان الدلالتان قد يحصلان من استعمال اللفظ في مسماه حصولا عرضيا لان الذهن قد ينتقل
عند اطلاق اللفظ لاراده مسماه الى جزوه او الى لازمه انتقالا عرضيا وكذلك الى جزء جزئه والى لازم
لازمه في مراتب كثيرة ومعلوم ان اللفظ اطلق لارادة مسماه وما استعمل فيه بالذات لا فيما انتقل الذهن
اليه من الاجزاء واللوازم وان كانت له سببية في ذلك الانتقال فلم يكن الدلالة بواسطة اللفظ محصورة
في الحقيقية والمجازية نعم استعمال اللفظ الموضوع واطلاقه بالذات لارادة المعنى لا يخلو اما ان يكون
حقيقيا او مجازيا **الفصل الثاني** في تقسيم الالفاظ وفيه ابحاث **البحث الاول** اللفظ اما
ان لا يراد بالجزء منه دلالة اصلا على شيء وهو المفرد او يراد بالجزء منه دلالة على شيء وهو المركب لا
يقال هذا منقوض بعبد الله وما يجري مجراه فانه مفرد مع ان كل واحد من اجزاءه دال لانا نقول قد
يراد بالجزء من عبد الله ونحوه الدلالة ولا نسلم انه بذلك الاعتبار يكون مفردا بل مركب وقد لا يراد به الدلالة
فيكون مفردا لا مركبا وقد لا يراد به الدلالة فيكون حينئذ مفردا فاذا قلنا في رسمه الذي لا يراد بالجزء منه
دلالة اصلا كان ذلك معيارا لكل لفظ بالنسبة الى مراد اللافظ به فكل لفظ لا يقصد بجزوه دلالة
كان مفردا وهذا هو الرسم القديم للمفرد والمركب وقد تبين انه لا حاجة فيه الى القيد الذي زاده
المتاخرون وهو قولهم من حيث هو جزوه فان الرسمين متساويان **البحث الثاني** اللفظ المفرد اما ان يكون
نفس تصور معناه مانعا من وقوع الشركة فيه وهو الجزئي او غير مانع وهو الكلي اما الجزئي فيقال بمعنيين
احدهما ما ذكرناه ويخص باسم الجزئي الحقيقي والثاني انه كل اخص تحت اعم والفرق بينهما ان الاول غير مضاف
ولا كلي والثاني مضاف الى ما فوقه وقد يكون كليا فاما الكلي فاما ان يعني به نفس الحقيقة التي لا تمنع
تصورها وقوع الشركة فيها ويسمى كليا طبيعيا او النسبة التي تعرض لها بالقياس الى جزئياتها المعقولة
ويسمى تلك النسبة كليا منطقيا او المجموع المعقول من الحقيقة والنسبة العارضة لها ويسمى كليا عقليا
ثم للكلي اعتبارات ستة وذلك لانه اما ان يكون ممتنع الوجود او ممكنه والاول كشريك الاله والثاني
اما لا يعرف وجوده او يعرف والاول كجبل من ياقوت وبحر من زيبق والثاني اما ان يمتنع ان يكون في الوجود
منه اكثر من واحد او يمكن والاول كالاله تعالى والثاني اما ان يكون في الوجود منه واحد فقط وان جاز وجود
مثله او اكثر من واحد والاول كالشمس عند من يجوز وجود مثلها والثاني اما ان يكون الموجود منه اشخاصا
كثيرة متناهية او غير متناهية والاول كالكواكب والثاني كاشخاص الانسان **البحث الثالث**
الكلي اما ان يدل على ماهية شيء او على ما يكون داخلا فيها او على ما يكون خارجا عنها اما الدال على
الماهية فاما على ماهية شيء واحد او على ماهية اشياء كثيرة والاول اما ان يكون كليا او جزئيا والثاني

اما ان يكون تلك الاشياء مختلفة الحقائق او متفقة الحقائق فهذه اقسام اربعة والاول هو
المقول في جواب ما هو بحسب الخصوصية المطلقة كالجواب بالحد والثالث هو المقول في جواب ما هو
بحسب الشركة المطلقة والثاني والرابع هو المقول في جواب ما هو بحسب الشركة والخصوصية معا
مثال الاول قولنا في جواب من يسال فيقول ما الانسان انه حيوان ناطق فخصوصية هذا الجواب ليست
لغير الانسان اذ لا يشاركه في حده غيره والثالث كقولنا في جواب من يسال في جواب من يسال عن جماعة
هم انسان وفرس وثور ما هم انها حيوانات اذ كان هذا الجواب هو كمال الجزء المشترك بينها فهو اذن مقول
بالشركة المطلقة والثاني والرابع كقولنا في جواب من يسال عن زيد وحده ما هو انه انسان او عن جماعة هم زيد
وعمرو وخالد ما هم انهم اناس فيكون الجواب في الموضعين واحدا وهو بحسب الخصوصية والشركة
معا اذ كل ما لكل واحد منهما من الاجزاء حاصل للاخر ولان خصوصية هذا الجواب ليست لغير المسئول
عنه واما الدال على جزء الماهية فاما ان يدل على كمال الجزء المشترك بينها وبين غيرها وهو الجنس القريب
او على كمال الجزء المميز لها وهو الفصل القريب او على ما تركب منهما وهو النوع او لا على واحد من هذه فيكون
ذلك جزء الجزء وهو اما جنس الجنس او جنس الفصل او فصل الجنس او فصل الفصل كما هو مذكور في مظانه
واما الدال على الخارج عن الماهية فيخص باسم العرضي واعتباره من وجهين احدهما انه اما ان يكون
لازما او لا يكون والثاني هو العارض والاول اما ان يكون لازما للماهية او للوجود والاول اما ان يكون
بينا للماهية كالفردية للثلاثة او غير بين كالتناهي للجسم والثاني كالسواد للغراب واما العارض فاما سريع
الزوال كالقيام والقعود او بطيئه كالشباب الوجه الثاني العرضي اما ان يختص بنوع واحد لا يوجد لغيره
سواء عم افراده او لا بعضها ويسمى خاصة كالضاحك للانسان بالقوة والفعل او لا يختص به بل يعمه وغيره
ويسمى عرضا عاما كالماشي للانسان **البحث الرابع** اللفظ والمعنى اما ان يتحدا او يتكثرا او يتكثر اللفظ و
يتحد المعنى او بالعكس اما الاول فمعناه اما ان يكون كليا او جزئيا فان كان الاول فاما ان يكون نسبته الى
افراده المعقولة بالسوية وهو المتواطي كالانسان بالنسبة الى اشخاصه او لا بالسوية بل في بعضها اولى
واشد واضعف وهو المشكك كلفظ الوجود والثاني هو العلم كزيد والثاني الاسماء المتباينة سواء
تفاصلت مفهوماتها كالانسان والفرس او تواصلت على ان بعضها اسم للذات والاخر اسم للصفة
كالسيف والصارم او على ان بعضها اسم للصفة والاخر اسم لصفة الصفة كالناطق والفصيح والثالث
الاسماء المترادفة سواء كانت من لغة واحدة كالليث والاسد او من لغتين كالماء وآب واما الرابع فلما
ان يكون قد وضع اللفظ اولا لاحد المعنيين ثم نقل منه الى الآخر او وضع لهما معا اما الاول فان
النقل ان كان لا لمناسبة بين المعنيين فهو مرتجل وان كان لمناسبة فاما ان يكون دلالة اللفظ على
المنقول عنه اولا يكون فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة الى المنقول اليه منقولا فان كان الناقل هو الشارع

اليه بعد النقل اقوى من دلالته
على المنقول عنه صح صح

سمي لفظا شرعيا كالصلوة والزكوة او اهل العرف ويسمى عرفيا سواء كان العرف العام كالدابة للفرس بعد
وضعها لكل ما يدب وكالغاية للفضلة الخارجة من الانسان عن وضعها للمكان المطمئن او الخاص
كالاصطلاحات المختصة بطائفة طائفة من اهل العلم مثلا كالرفع والنصب والجر عند النحاة وكالنقض
والقلب والفرق عند الفقهاء وكالموضوع والمحمول والجنس والفصل عند المنطقيين وامثاله واما ان
لم يكن دلالته على الثاني اقوى فاما ان يتساوى بالنسبة اليهما عند الفهم او يكون في الاول اقوى فان كان
الاول كان ذلك لفظا مشتركا وان كان الثاني كان اللفظ بالنسبة الى الاول حقيقة والى الثاني مجازا
اما اذا كان اللفظ موضوعا لهما معا فاما ان يتساوى دلالته عليهما عند الفهم او ترجح في احدهما
فان كان الاول سمي اللفظ بالنسبة اليهما معا مشتركا وبالنسبة الى كل واحد منهما مجملا لان كون اللفظ
موضوعا لكل واحد منهما هو الاشتراك وكونهما بحيث لا يدري عين المراد منهما هو الاجمال **تذنيب**
ظهر من هذا التقسيم ان الاقسام الثلثة الاولى مشتركة في انها ليست بمشتركة فكانت نصوصا واما الرابع
فله اعتبارات ثلثة احدها اعتبار كونه فادة ارجح في بعض مفهوماته وبذلك يسمى ظاهرا والثاني
اعتبار كونها مرجوحة في المفهوم المقابل للراجح وبذلك يسمى ماولا والثالث كونها متساوية النسبة الى المفهومين
بحيث لا يدري المراد منهما وبذلك يسمى مجملا فالرجحان اذن قدر مشترك بين الظاهر والنص وعدم الرجحان
قدر مشترك بين المجمل والماول ويسمى المشترك محكما والثاني متشابها **البحث الخامس** اللفظ المفرد اما ان لا
يستقل بمعناه بالمفهومية او يستقل والاول هو الحرف والثاني فاما ان يستلزم معناه الوقوع
في احد الازمنة الثلثة المعينة وهو الفعل اولا يستلزم وهو الاسم وهو اما ان يدل على معنى هو نفس الزمان
كالزمان او على جزء الزمان كاليوم والغد او على معنى جزءه الزمان كالصبوح والغبوق اولا على احد منها
وهو اما ان يكون اسما للجزئي شخصي فان كان مضمرا فهو المضمرات او مظهرا فهو العلم كعمرو وان كان
اسما للكلي فاما ان يكون اسما للنفس الماهية كلفظ السواد وهو المسمى باسم الجنس في اصطلاح النحاة او لا كذلك
وما الصفة كذا وهو الاسم المشتق كلفظ الضارب فان مفهومه انه شيء ما له صفة الضرب
البحث السادس اللفظ المركب اما ان يكون قابلا للتصديق والتكذيب لذاته وهو الخبر اولا لذاته وهو اما ان
يكون مفيدا لطلب شيء افادة اولية اوليس والاول ان كان على طريقة الاستعلاء فهو الامر وان كان على
طريق التساوي فهو الالتماس وان كان على طريق الخشوع والتضرع فهو السوال والثاني هو التنبيه ويدخل فيه
التمني والترجي والقسم والنداء **البحث السابع** اللفظ قد يكون مدلوله لفظا فاما لفظا مفردا او مركبا وعلى التقديرين
فاما ان يدل على معنى اولا يدل فهذه اقسام اربعة الاول لفظ مفرد دال على لفظ مفرد دال على معنى مفرد كلفظ
الكلمة والاسم والفعل والحرف الثاني لفظ مفرد دال على لفظ مركب دال على معنى مركب كلفظ الخبر والكلام و
القول الدال على قولنا زيد كاتب الدال على معانيه الثالث لفظ مفرد دال على لفظ مفرد غير دال على معنى

كقولنا آب وساير الحروف المعجم الرابع لفظ مركب دال على لفظ مركب غير دال كلفظ الهذيان والهذر **البحث الثامن**
اللفظ المفرد اذا دل بالالتزام على معنى فذلك المعنى اما ان يكون شرطا للمدلول عليه بالمطابقة او
تابعا له والاولى تسمى دلالة الاقتضاء وتلك الشرطية اما عقلية كشرطية نصب السلم لصعود السطح عند
الامر به او شرعية كشرطية الوضوء للصلوة عند الامر بها واما التابع فكنفي الحكم المذكور لشي حال تخصيصه
بذكره عن غيره عند من يقول به فان معنى التخصيص مستلزم للنفي المذكور وكذا اللفظ المركب اذا استلزم
تركيبه معنى فاما ان يكون من متممات المعاني المذكورة بالمطابقة او من توابعها والاول كدلالة تحريم التافيف
على تحريم الضرب واما الثاني فكاستلزام قوله تعالى فالان باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود لعدم فساد من اصبح جنبا والا لحرم الوطي في اخر جزء من الليل مع الغسل والله الموفق
الفصل الثالث في الاشتقاق وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقة الاشتقاق الاشتقاق اخذ احد
اللفظين من الآخر لمشاركة بينهما في الاشتمال على المعنى والحروف الاصلية واركان الاشتقاق اربعة
الاول اسم موضوع لمعنى الثاني مسمى آخر له نسبة الى ذلك المعنى الثالث مشاركة بين الاسمين في الحروف
الاصلية الرابع تغير يلحق الاسم الثاني اما في حرف فقط او في حركة فقط او فيهما معا وكل واحد من هذه
الاقسام فاما بالزيادة وحدها او بالنقصان وحده او بهما وظن الامام ان الحاصل من هذه القسمة
تسعة اقسام فقط وهو سهو بحقه عند الاعتبار بل الحاصل منها خمسة عشر قسما **ا** زيادة الحرف
ب زيادة الحركة **ج** زيادتهما معا **د** نقصان الحرف **ه** نقصان الحركة **و** نقصانهما معا **ز** زيادة الحرف
مع نقصانه **ح** زيادة الحرف مع نقصان الحركة **ط** زيادة الحرف مع نقصانهما **ي** زيادة الحركة
مع نقصانها **يا** زيادة الحركة مع نقصان الحرف **يب** زيادة الحركة مع نقصانهما **يج** زيادتهما
معا مع نقصان الحرف **يد** زيادتهما معا مع نقصان الحركة **يه** زيادتهما معا مع نقصانهما
معا فهذه هي الاقسام الممكنة وعلى اللغوي طلب الامثلة **البحث الثاني** اختلف الناس في انه
هل يجوز صدق المشتق منفكا عن صدق المشتق منه ام لا والحق انه يجوز لنا ان الاشتقاق يكفي فيه
ادنى ملابسة بين المشتق والمشتق منه فلا يشترط صدقه على ما يصدق عليه المشتق فان المهلك
والمميت والضار والمعز انما يصدق على ذات الله تعالى مع ان الامور المشتق منها وهي الهلاك والموت
والضرر والذل غير صادقة ولا جارية عليه لا يقال المشتق مركب من المشتق منه من شي آخر ومتى صدق المركب
صدق كل واحد من اجزائه وهي الحروف الاصلية وبعض الحركات فانا نمنعا ان المشتق لا بد ان يلحقه تغيير
باحد الوجوه المذكورة والقدر المتغير منه لا شك انه كان معتبرا في حقيقة المشتق منه فبعد التغيير
لم يبق تلك الحقيقة فلم يلزم صدقها حال صدق المشتق **البحث الثالث** اختلفوا ايضا في انه هل يشترط في صدق
المشتق بقاء صدق المعنى المشتق من لفظه ام لا والحق انه لا يشترط الوجوه احدها انا نعلم بالضرورة اطلاق

لانا نقول لا نسلم ان المشتق منه من حيث هو
شي منه جزء لكن المشتق وحاصل فيه
بل الحاصل فيه شي من اجزائه ح

اطلاق اهل اللغة لفظ المشتق على الشيء حال ما لا يكون وجه اشتقاق كاطلاقهم لفظ القاتل في الحال
على من فعل القتل فيما قبل الثاني ان الضارب مثلا هو من حصل منه الضرب ولابسه فعليه ملابسه
وهو اعم من حصوله له في الحال او في الماضي لامكان تقسيمه اليهما ولا يلزم من نفي الخاص نفي العلم
فلا يلزم من نفي الضرب في الحال نفي مطلق الضرب فلا يلزم من صدق المشتق بقاء وجه الاشتقاق
الثالث المشتقات من المصادر السيالة كالمتكلم والمخبر لا يمكن بقاء وجه الاشتقاق فيها فان الآن
حال ما يتكلم بالحرف الثاني فات الحرف الاول فلا يمكن تحقق ماهية الكلام في الخارج فضلا ان يقال
انها تبقى مع انها صادقة بالاتفاق لا يقال الضارب مثلا بعد انقضاء الضرب يصدق عليه انه ليس
بضارب في الحال وقولنا ليس بضارب جزء من قولنا ليس بضارب في الحال ومتى صدق المركب صدق
كل واحد من اجزائه فاذن صدق عليه انه ليس بضارب فوجب ان لا يصدق عليه انه ضارب لتناقضهما
في العرف لانا نقول ان كانتا القضيتان موقتتين منعنا التناقض لا العرف والحقيقة لان المكذب
لقولنا انه ليس بضارب في الحال قولنا انه ضارب في الحال ونحن ما ادعينا صدقه وقولنا انه ضارب في الحال
بل انه في الحال يصدق عليه انه ضارب ولا تناقض لعدم اتحاد الوقت وان كانتا مطلقتين فدعوى
التناقض اما حقيقة وهو ظاهر الفساد لان المطلقتين لا تتناقضان او عرفا وهو ايضا ممنوع وبعد
تسليمه نمنع صدق قولنا بعد انقضاء الضرب انه ليس بضارب لصدق قولنا في تلك الحال انه ضارب
وتناقضهما عرفا وبالله التوفيق **البحث الرابع** اختلفوا ايضا في ان المعنى القائم بالمحل هل يجب ان
يشتق له منه اسم ام لا والحق ان يقال المعاني ان لم يكن لها اسما كانواع الروائح لم يجب ذلك فيها وان
كان لها اسما لم يجب ايضا ان يشتق لمحالها منها اسماء وهل يجوز ان يشتق لغير محالها منها اسماء ام لا
والحق جوازه في الموضعين خلافا للقوم من الاشعرية فانهم قالوا يجب الاشتقاق منها لمحالها ولا يجوز
لغيرها لنا ان الجواز متفق عليه واما الوجوب وتخصيصه بالمحل فلم يذكر الخصم فيه دليلا واما جواز
الثاني فلان الاشتقاق يكفي فيه ادنى ملابسة فان المشتق هو شيء ما ذو المشتق منه ولفظه
ذو لا يقتضي الحلول ومن الامثلة المشهورة اللابن والتامر فانهما مشتقان من اللبن والتمر
وهما غير قائمين بذات المشتق له **البحث الخامس** مفهوم المشتق كالماشي مثلا انه شيء ما ذو مشي فاما
ما ذلك الشيء فغير داخل في مفهومه وان علم فانما يعلم بطريق الالتزام برهانه انك تقول الماشي حيوان
فلو كان مفهوم الماشي انه حيوان لكان ذلك بمنزلة قولك الحيوان ذو المشي حيوان وهو هذر بل انما يعلم ذو شيء
كونه حيوانا بدليل من خارج وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في الترادف والتوكيد وفيه ابحاث **البحث الاول**
في ماهيتهما اما الترادف فهو كون لفظين مفردين او ما زاد عليهما بالوضع على معنى واحد وبالافراد احترزنا وباعتبار واحد
عن الاسم والحد وباعتبار واحد عن اللفظين الدالين على شيء واحد باعتبارين كالصارم والسيف او

او باعتبار الصفة وصفة الصفة كالناطق والفصيح فان تلك متباينة واما التاكيد فهو تقوية
ما يفهم من اللفظ بلفظ آخر وللامام فخر الدين رحمة الله عليه تساهل في هذا المقام اذ حد التوكيد
بانه اللفظ الموضوع لتقوية ما يفهم من لفظ آخر ولم يفرق بين التوكيد وبين نفس المؤكد وهو ظاهر
البحث الثاني في اسباب الترادف انه يجوز وقوع الالفاظ المترادفة من واضع واحد ويجوز وقوعها
من واضعين واشبه ان يكون الاول اقل وجودا وله سببان الاول التسهيل والاقتدار على الفصاحة لانه
ربما يمتنع وزن البيت وقافيته مع بعض اسماء الشيء دون اسمه الآخر ولما حصلت رعاية السجع والمقلوب
والمجنس وساير اصناف البديع مع بعض اسماء الشيء ولا يحصل مع الآخر الثاني التمكن من تادية المقصود
باحد العبارتين عند الغفلة عن الاخرى واما الثاني وهو السبب الاكثر فيجوز ان يصطلح احدى
قبيلتين على اسم للشيء غير الاسم الذي اصطلحت عليه القبيلة الاخرى له ثم يشتهر الوضعان بعد ذلك
البحث الثالث انه هل يصح اقامة كل واحد من المترادفين مقام الآخر ام لا الظاهر في بادي الراي ذلك لان المترادفين
هما اللذان يفيد كل واحد منهما عين فائدة الآخر فلما صح ان يضم المعنى المدلول عليه باحد اللفظين
الى معنى آخر فلابد وان يبقى الصحة حال ما يدل عليه باللفظ الثاني لان صحة الاقتران من عوارض المعاني
وفيه نظر لان صحة الاقتران كما يكون من عوارض المعاني كذلك يكون من عوارض الالفاظ فانك لو
بدلت لفظ من بمرادفه من الفارسية لم يصح فكان هذا الامتناع من قبل الالفاظ اتفاقا قال الامام فخر الدين
ولما عقلنا ذلك في لغتين فلم لا يجوز مثله في لغة واحدة والحق انه يصح اقامة احد المترادفين مقام الآخر
بشرطين احدهما ان يكونا من لغة واحدة والثاني ان يتساويا في فهم المعنى منهما حال التخاطب بهما او تقربا
من التساوي **تذنيب** اذا كان احد المترادفين اظهر في الاستعمال عند قوم كان الجلي بالنسبة الى الخفي شرحا له وربما
انعكس الامر بالنسبة الى قوم آخرين **البحث الرابع** في اقسام التوكيد المؤكد اما ان يكون متقدما على المؤكد
او موخرا عنه والاول كصيغة ان وما في حكمها مما يدخل على الجمل واما الثاني فاما ان يؤكد الشيء بنفسه
او بغيره والاول كقوله عليه السلام والله لاغزون قريشا ثلثا والثاني اما ان يختص بالمفرد كلفظ النفس
والعين او المثنى ككلا وكلتا او الجمع كاجمعون واكتعون ابتعون ابصعون وكل هي ام الباب **البحث الخامس**
في حسن استعماله والخلاف فيه مع الملحدة الطاغين في الوحي والنزاع اما في الجواز وهو معلوم بالضرورة
لان شدة اهتمام القائل بالكلام يدعوه الى تاكيده واما في الوقوع وهو ايضا معلوم من اللغات بعد
تصفحها وهو وان كان حسنا الا انه اذا تعارض حمل الكلام على التاكيد او على فائدة زائدة وجب صرفه
الى الفائدة الزائدة **الفصل الخامس** في المشترك وفيه ابحاث **البحث الاول** في حقيقته ولمية وجوده
اما حقيقته فهو اللفظ الواحد الموضوع لحقيقتين مختلفتين او اكثر وضعا اولا من حيث هو كذلك وقولنا
موضوع لحقيقتين مختلفتين احتراز عن الاسماء المفردة وقولنا وضعا اولا احتراز عما يدل على الشيء بالحقيقة

على غيره بالمجاز بقولنا من حيث هما كذلك احترز عن اللفظ المتواطئ فانه يتناول الماهيات المختلفة لكن لا من
حيث هي مختلفة بل من حيث انها مشتركة في معنى واحد واما امكانه فمن وجوه احدها ان الواضع تابع لغرض المتكلم
وقد يكون للانسان غرض في تعريف غيره شيئا على التفصيل وقد يكون غرضه تعريفه على سبيل الاجمال بحيث
يكون ذكره بالتفصيل سببا للمفسدة الثاني انه ربما لا يكون المتكلم واثقا بصحة الشيء على التعيين الا انه يكون واثقا
بصحة احد المعنيين لا محالة فحينئذ يطلق اللفظ المشترك كيلا يعد بتصريحه باحد المعنيين كاذبا او بسكوته
جاهلا الثالث يجوز ان يضع احد قبيلتين ذلك اللفظ لمعنى ثم تضعه قبيلة اخرى لمعنى آخر ثم يسمع الكل
ويخفى كونه موضوعا منهما واما وجوده فهو معلوم بالضرورة اذ من خواص اللفظ المشترك انه اذا اطلق لم يتبادر
الذهن الى احد مفهوميه دون الآخر بل يبقى الذهن عند سماعه مترددا في تعيين المراد منه الى ظهور القرينة
المعينة له فان الظاهر لو جو كلفظ القرء للحيض والطهر وان كان ذلك ايضا قد يختلف بحسب كثرة الاستعمال في
احد المعنيين وقلته الا انه يكفينا في ذلك تردد في بعض الاذهان فيه البحث الثاني في اقسامه مفهوما
اللفظ المشترك اما ان يكونا متباينين او متواصلين والاول كالطهر والحيض والثاني اما ان يكون احدهما
جزءا من الآخر او لا يكون والاول كالممكن لغير الممتنع ولغير الضروري والثاني اما ان يكون احدهما علة للآخر
او صفة له والاول كلفظ الواجب للواجب بالذات والواجب بالغير والثاني كلفظ الاسود لذي السواد
المسمى بشيئين احدهما اذا انبعث ذا السواد المسمى اسود الى ما يشاركه في لونه كالقار كان اطلاق لفظ الاسود
عليهما من تلك الجهة بالتشكيك وان اعتبر من جهة اسمه كان مقولا عليهما بالاشتراك الثاني قال فخر الدين
رحمه الله النقيضان لا يجوز ان يوضع لهما لفظ واحد لان المشترك لا يفيد الا التردد وهو بين النفي والاثبات
امر حاصل معلوم لكل احد وفيه نظر لان الاسباب التي ذكرنا انه يجوز ان يكون اسبابا لوضع اللفظ المشترك
عامة لا تختص ببعض المعاني دون البعض ولانا اذا جاز وضع اللفظ الواحد للمعنى وضده الذي هو في
قوة نقيضه كالقرء للحيض والطهر لكان الحمل لا يخلو عن احدهما والترديد بينهما معلوم لكل احد فلم لا يجوز
مثله في النقيضين والله اعلم البحث الثالث في اسبابه اما اسباب وجوده فيشبه ان يكون السبب الاكثر
فيه هو ان تضعه كل واحدة من قبيلتين لمعنى ثم تشيع الوضعان ولا يتميزان واما السبب الاقل فان يضعه
واضع لمعنيين لغرض التكلم بالمجمل وقد مر ان التكلم باللفظ المجمل من مقاصد العقلاء واما السبب الذي يعرف
به وجوده فاما تصريح اهل اللغة بذلك او تساوي المفهومين بالنسبة الى السامع عند اطلاق اللفظ
وتردد ذهنه في ايهما المراد لعدم العلم بالوضع لهما البحث الرابع في انه هل يجوز استعمال اللفظ المشترك في معا
على الجمع ام لا جوز ذلك الشافعي وابو بكر الباقلاني وابو علي الجبائي والقاضي عبد الجبار ومنع منه ابو هاشم
وابو الحسين البصري والكرخي ثم منهم من منع منه لامر يرجع الى القصد ومنهم من منع منه لامر يرجع الى
الوضع وهو اختيار الامام فخر الدين حجة المجوزين من وجهين احدهما ان الصلاة من الله رحمة ومن الملائكة

استغفار ثم ان الله تعالى اراد بهذه اللفظة كلي معنييها في قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الثاني
قوله تعالى ولله يسجد من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم الاية والسجود ههنا مشترك
بين الخشوع لانه هو المتصور من الملائكة وبين وضع الجبهة على الارض في حق الناس وبين شهادة
الحال بالحاجة الى الصانع لانه هو المتصور من الجمادات ثم ان الله تعالى اراد بكل معانيه في هذه الاية
حجة المانعين ان المجموع غير كل واحد واحد فالواضع اذا وضع لفظا لمعنيين على الانفراد فاما ان يضعه
مع ذلك للمجموع ايضا او لا يضعه فان لم يضعه له كان استعماله فيه استعمال اللفظ في غير ما وضع له وانه غير جائز
وان وضعه له فاذا استعمله فيه فاما ان يستعمله فيه لافادته بانفراده فيكون ذلك استعمال اللفظ في احد
مفهوماته لا في كلها وان استعمله لافادته مع افادة الافراد فهو محال لان استعماله لافادة المجموع يستلزم
عدم الاكتفاء بكل واحد من الافراد واستعماله لافادة الافراد يستلزم الاكتفاء بكل واحد منها والاكتفاء
بكل واحد من الافراد مع عدم الاكتفاء بكل واحد منها مما لا يجتمعان واقول ان محل النزاع في هذا البحث
غير ملخص فانه ان اريد انه يجوز استعماله في مدلولاته على الجمع مطابقة فليس بحق لما يلزم المستعمل له كذلك من
التناقض في القصد الى المجموع والى الافراد وان اريد انه يجوز استعماله فيها على الجمع لافادتها كيف اتفق
فذلك جائز اذ يصح استعماله في المجموع مطابقة مع دلالتها على الافراد تضمنا وقول المانع انه لو لم يكن
الواضع وضع اللفظ للمجموع كما وضعه للافراد امتنع استعماله فيه ان اراد به حقيقة فهو حق وان اراد
انه يمتنع استعماله فيه مجازا فهذا مما لا يقتضيه حجته واما حجج المجوزين فضعيفة اما الاولى فلان
ضمير الجمع في قوله تعالى يصلون بمنزلة الضمائر المتعددة المقتضية للافعال المتعددة التي يراد بكل واحد منها
معنى غير ما يراد بالآخر والتقدير ان الله يصلي وملائكته تصلي واما الثانية فلان العطوف المتعددة
يستدعي تعدد الافعال فتقدير قوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض اي ويسجد من في
الارض وكذا الباقي والمراد بكل منها المعنى بمقتضى القرينة ثم لو سلمنا انها استعملت في كل مفهوماتها
لكنه يكون مجازا والا لزم التناقض كما هو مذكور في حجة المانعين وبالله التوفيق البحث الخامس
فيما يتعين به مرادا للافظ باللفظ المشترك اللفظ المشترك ان لم يقترن به قرينة مخصصة احد معنييه
بالمراد بقي مجملا وان وجدت قرينة كذلك فاما ان يقتضي الاعتبار او الالغاء وعلى التقديرين
فاما الكل المسميات او لبعضها فهذه اقسام اربعة فالاول ان يفيد اعتبار كل واحد من تلك المسميات
اما ان يكون متنافية بحيث لا يمكن ان يجمع بينها فيبقى اللفظ مجملا الى ظهور المرجح وان لم يكن متنافية حمل اللفظ
على مجموعها مجازا الثاني ان يفيد الغاء كل واحد فحينئذ يجب حمل اللفظ على مجازات تلك الحقائق الملغاة
ثم اما ان يكون بعض تلك الحقائق ارجح من بعض ولم يقم الدليل على عدم ارادتها او لا يكون فان كان الاول فمجازاتها
اما ان يتساوى في القرب الى الراجحة من الحقائق فيتعين حمل اللفظ على مجاز الحقيقة الراجحة او يتفاوت المجازات

فان كان الراجح منها هو مجاز الحقيقة الراجحة تعين الحمل عليه او مجاز الحقيقة المرجوحة فيقع التعارض بينه
وبين مجاز الحقيقة الراجحة لاختصاص كل منهما بنوع ترجيح الى ان يظهر مرجح آخر واما ان تساوت الحقيقة
فان اختلفت مجازاتها بالقرب والبعد منها حمل اللفظ على المجاز الاقرب وان لم تختلف يقع التعارض بين
مجازات تلك الحقايق لتساويها وتساوي حقايقها الى ان يظهر الترجيح الثالث ان يفيد الغاء البعض
فان كانت اللفظة مشتركة بين معنيين فقط تعين الحمل على الثاني وان كانت لاكثر من معنيين فعند
الغاء بعضها ان كان الباقي واحدا تعين الحمل عليه او اكثر من واحد بقي اللفظ مجملا فيها الرابع ان يفيد
اعتبار البعض فيتعين الحمل عليه سواء كانت اللفظة لمعنيين او اكثر **القسم الثاني** في كيفيات تلحق الالفاظ
بالنسبة الى معانيها فتوجب لها الحسن والزينة وبعدها اتم الاعداد لاداء المعاني وتهيئ الذهن للقبول
وهو مرتب على مقدمة وجملتين **اما المقدمة** ففيها بحثان **البحث الاول** في حد البلاغة والفصاحة اما
البلاغة فهي مصدر قولك بلغ الرجل بالضم اذا صار بليغا وهو ان يبلغ بعبارته اقصى مراده باللفظ من
غير ايجاز مخل ولا تطويل ممل واما الفصاحة فهي خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح وهو اللبن
اذا اخذت رغوته وذهب اللباء وقد فصح وافصح اذا صار كذلك وافصحت الشاة فصح لبنها ثم قالوا افصح العجمي
فصاحة فهو فصيح اذا خلصت لغته عن اللكنة واللحن ثم ان الفصاحة عند اربابها ليست باستعمال الشوارد
التي لا تفهم وانما هي باستعمال ما يقرب فهمه ويعذب باستماعه ويحسن استماعه ويدل مطالعه على معانيه
ويتم مساوقه على تواليه واكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال
اللفظين المترادفين على معنى واحد ومنهم من يجعل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ والاقرب
ان الفصاحة سبب للبلاغة والبلاغة اعم منها لغة اذ قد يبلغ غير الفصيح بعبارته اقصى مراده ومساويته
لها في عرف العلماء والمخلص من مفهوميهما ان الفصاحة هي خلوص الكلام في دلالته على معناه من التعقيد الكون
لقرب فهمه ولذاذة استماعه والبلاغة هي كون الكلام الفصيح موصلا للمتكلم الى اقصى مراده وبالله التوفيق **البحث الثاني**
في موضوع علم الفصاحة والبلاغة لما كان المقصود من الكلام هو افادة المعنى وكانت هذه الافادة كما علمت
قد تكون وضعية صرفة وقد تكون بمشاركة من الوضع والعقل معول موضوع علم الفصاحة هو الكلام الدال على معناه
احدى الدلالات الثلث من حيث هو على حالة موجبة لقرب فهمه ولذاذة استماعه وموضوع البلاغة هو الكلام الفصيح
وقال الامام ان الفصاحة والبلاغة انما يكون موضوعها الكلام من جهة دلالته بالالتزام وذلك لان الافادة
الوضعية يستحيل تطرق الزيادة والنقصان اليها فان السامع للفظ الموضوع ان كان عالما بكونه موضوعا لمعناه
علم مفهومه بتمامه وان لم يكن عالما بالوضع لم يتصور منه شيئا اصلا الا ترى انك اذا اردت تشبيه زيد بالاسد في الشجاعة
وقصدت التعبير عن هذا المعنى بالدلالة الوضعية فقلت زيد يشبه الاسد في شجاعته فالزيادة والنقصان في هذه
الافادة بما يعود الى مفردات هذه الالفاظ غير متصورين ولو اقمت مقام هذه الالفاظ ما يرادفها فلمحال الكذ

للدليل المذكور وتبين من هذا ان الايجاز والاختصار والحذف والاضمار يستحيل تطرقها الى الالتزامية
الوضعية ولهذا كان اكثر ما يستعمل في العلوم العقلية الدلالات الوضعية لعدم احتمالها الزيادة
والنقصان الموجبين للغلط والشبهة واما الافادة الاخرى فلاجل ان حاصلها يعود الى انتقال الذهن
من مفهوم اللفظ الى ما يلازمه ثم ان اللوازم كثيرة وهي تارة تكون قريبة وتارة تكون بعيدة فلاجرم صح
تادية المعنى الواحد بطرق كثيرة وصح في تلك الطرق ان يكون بعضها اكمل في افادة ذلك المعنى وبعضها
انقص فهذا ما يتعلق الفصاحة من جهة المفردات واقول ان التحقيق يقتضي ان الزيادة والنقصان مما
يتطرقان الى الافادة الوضعية ايضا فان الامام سلم ان البعض الحروف افصح جرسا والذ سماعا كالعين
وبعضها اسهل على اللسان كحروف الذلاقة وبعضها اثقل ولا شك ان الكلام المركب عن اسهل الحروف
والذها سماعا افصح والذ سماعا عند النفس مما لا يكون كذلك وسلم ايضا ان الاوضح ادل على المعنى واسرع
الى قبول النفس مما لا يكون كذلك وليس سبق العلم بالوضع قادحا فيما ذكرناه لان الانسان قد يسبق علمه بوضع اللفظ
ثم يذهل عنه فعند سماعه يجد سامعه نفسه مسارعة الى قبول المعنى من الاوضح دون غيره ويلتذ بسماعه بسبب
فصاحته ولا معنى لزيادة الافادة ورجحانها الا ما يحصل للنفس من اللذة بالمعنى والمسارعة الى قبوله بتمامه
من اللفظ الاسهل والله اعلم واما البلاغة العائدة الى النظم والتركيب فتحقيق القول فيها ان الكلام المنظوم لا محالة
مركب من المفردات والمفردات يمكن تركيبها على وجه لا يفيد المقصود وقد يمكن تركيبها على وجه يفيده ثم
للتركيب المفيد مراتب كثيرة ولها طرفان ووسط فالطرف الاعلى هو ان يقع ذلك التركيب على وجه يمتنع
ان يوجد ما هو اشد تناسبا واعظم الاثر في افادة ذلك المعنى والطرف الادنى هو ان يقع على وجه
لو صار اقل تناسبا منه لخرج عن كونه مفيدا لذلك المعنى وبين هذين الطرفين مراتب واختيار
احسنها يقتضي الفصاحة في النظم وهذا معنى قول عبد القاهر الجرجاني رحمه الله النظم عبارة عن
توخي معاني النحو فيما بين الكلم اذا ثبت هذا فنقول اما الطرف الادنى فليس من البلاغة في شيء واما ساير
المراتب فان كل واحد منها اذا اعتبرت النسبة الى ما تحته يكون مستلزما للبلاغة والفصاحة واما
الطرف الاعلى وما يليه فهو المعجز فهذا هو التحقيق في البلاغة والفصاحة في المفردات والمركبات **الجملة الاولى**
في المفردات وفيها مقدمة وابواب **اما المقدمة** فاعلم ان للاشياء في الوجود اربع مراتب الاول وجودها
وتحققها في الاعيان الثاني وجودها في الذهن الثالث وجودها في اللفظ الدال على ما في الذهن الرابع وجودها
في الكتابة الدالة على ما في اللفظ ومن الكلام في الحسن تارة يكون بسبب الكتابة وتارة بسبب اللفظ من حيث هو
لفظ وتارة بسبب اللفظ من حيث له الدلالة الوضعية وتارة بسببه من حيث له الدلالة الالتزامية ولما كان
المحاسن العايدة الى الكتابة لا تخلو عن تكلف ما وكان الكلام الذي نحن بصدد شرحه بريا عن التكلف خاليا
عن جهات التعسف لا جرم كان ذكرنا لها قليل الجدوى فلذلك تركناه **الباب الاول**

في المحاسن العايدة الى اللفظ من حيث هو لفظ واعلم ان المحاسن العايدة الى اللفظ اما ان يعود الى احاد الحروف
او الى حال تركيبها او الى الكلمة الواحدة او الى الكلمات الكثيرة فلا جرم اشتمل هذا الباب على فصلين
الفصل الاول فيما يتعلق بآحاد الحروف وتركيبها وحال الكلمة وفيه ابحاث البحث الاول
في مخارج الحروف وهي ستة عشر ا اقصى الحلق ومخرج منه حروف الهمزة والالف والهاء
ب وسط الحلق وهو مخرج الحرفين العين والحاء فاما اثقل فهي موجودة في جانب السلاسة حتى ان الكلمة
يكون في غاية السلاسة البحث الثاني فيما يتعلق بالكلمة الواحدة وهو من مخرج ج ادناه الى الفم وهو
مخرج للغين والخاء د اللسان ما فوقه من الحنك وهو مخرج القاف ه اسفل من موضع القاف
من اللسان قليلا وما يليه من الحنك وهو مخرج الكاف و من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك وهو
مخرج الجيم والشين والياء ز اول حافة اللسان وما يليها من الاضراس وهو مخرج الضاد ح حافة اللسان
من ادناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الاعلى مما فوق الضاحك والناب
والرباعية والثنية وهو مخرج اللام ط من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون ي
مخرج النون غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام وهو مخرج الراء يا فيما بين طرف اللسان وفويق
الثنايا مخرج الطاء والتاء والدال يب فيما بين طرف اللسان واطراف الثنايا مخرج الزاي والسين والصاد
يج فيما بين طرف اللسان والطرف الادنى من الثنايا مخرج الظاء والثاء والذال يد من باطن الشفة السفلى
واطراف الثنايا العليا مخرج الفاء يه ما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو يو من الخياشيم مخرج النون
الخفيفة قال الخليل الذلاقة في المنطق انما هي بطرف اللسان وذلق اللسان تحديد طرفه كذلق السنان قال و
لا ينطق طرف شباة اللسان الا بثلثة احرف وهي الراء واللام والنون فلذلك تسمى هذه حروف الذلاقة بطونه
ويلحق بها الحروف الشفهية وهي ثلثة الفاء والباء والميم قال ولما ذلقت هذه الحروف وسهلت على اللسان
في المنطق كثرت في ابنية الكلام فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى عنها فان وردت عليك كلمة خماسية
او رباعية معراة عن حروف الذلق او عن الحروف الشفهية فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست
من كلام العرب وقال ايضا العين والقاف لا يدخلان في بناء الا حسناه لانهما اطلق الحروف اما العين
فانصع الحروف جرسا والذها سماعا واما القاف فامتن الحروف واصحها جرسا فاذا كانا او احدهما في
بناء حسن البناء وكذلك السين والدال في البناء اذا كان اسما لان الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها
وارتفعت عن خفوت التاء فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك الثقال والخفاء يحملان في البناء
لالينها وهشاشتها ولا بد من رعاية هذه الاعتبارات ليكون الكلام سلسا على اللسان وهي كالشروط
للفصاحة والبلاغة البحث الثاني في المحاسن بسبب آحاد الحروف وشروط تركيبها اما الاول فمنها الحذف
وهو ان يحترز عن حرف او حرفين في الكلام اظهارا للمهارة في تلك اللغة كان واصل النغ وكان يحترز

عن الراء الحرب في انه كيف يعبر عن معنى كيف يعبر عن معنى قولنا اركب فرسك واطرح رمحك فقال في
الحال الق قناتك واعل جوادك والحريري بلغ الغاية حيث ذكر اشعارا حذفت عنها الحروف المنقوطة
واشعارا حذفت عنها غير المنقوطة ومنها الاعنات وهو التزام حرف قبل حرف الروي او الردف
من غير ان يجب ذلك في السجع كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر وقول علي عليه السلام
في مدح النبي صلعم بلغ عن ربه معذرا ونصح لامته منذرا واما الثاني فالشرط ان يكون التركيب
معتدلا خاليا عن التركيب وان كان دون الاول كقول ابي تمام كريم متى امدحه امدحه والورى جميعا ومهما   ما يكون متنافرا كقوله وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر وان يكون خفيفا فان منها ما يكون ثقيلا ع
لمته لمته وحدي ومنها ما يكون بعض الكلفة الا انه لا يبلغ ان يعاب والسبب في هذا التنافر اما تقارب
في مخارج الحروف فيحتاج فيها الى حبس الصوت في زمانين متلاصقين فلا يظهر الحرف الاول واما
وجوب العود الى ما منه الابتداء كقولهم الهعخع وهذه الدرجات كما ترتب في جانب الثقل فهي موجودة
في جانب السلاسة حتى ان الكلمة يكون في غاية السلاسة البحث الثالث فيما يتعلق بالكلمة الواحدة
وهو من وجهين الاول ان يكون متوسطا في قلة الحروف وكثرتها فاما الحرف الواحد فلا يفيد واما
المركبة عن الحرفين فليس في غاية العذوبة بل البالغ في ذلك الثلاثيات لاشتمالها على المبدأ والوسط
والنهاية وعلته ان الصوت من عوارض الحركة والحركة لا بد لها من هذه الثلثة ففي طبعت هذه الثلثة
فيها كان الكلام اسهل جريانا على اللسان واما الرباعيات والخماسيات فلا يخفى ثقلها لزيادتها على الثلث
التي يتعلق بها كمال الصوت الثاني الاعتدال في حركات الكلمة فاذا توالت خمس حركات كان ذلك
في غاية الخروج عن الوزن ولذلك لا يحتملها الشعر واما اربع حركات فهي في غاية الثقل الصابل المعتدل توالي
حركتين يعقبهما سكون وان كان ولا يبلغ الى ثلث حركات الفصل الثاني فيما يتعلق بالكلمات المركبة
وفيه نوعان الاول ما يكفي في تحققه اعتبار حال كلمتين وفيه اربعة ابحاث البحث الاول في التجنيس
المتجانسان ان كانا مفردين فان تساويا في نوع الحروف والحركات وعددها وهيأتها فهو التجنيس التام
كقولهم حدث حديث وكقول الحريري ولا ملا الراحة من استوطا الراحة وان اختلفا فاما ان في ماهية الحركة
كقولهم جبة البرد جنة البرد في الحركة والسكون كقولهم البدعة شرك الشرك او في التخفيف كقولهم الجاهل اما مفرط
واما مفرط ويسمى ذلك التجنيس الناقص او في اعداد الحروف بان يتساوى الكلمتان في نفس الحروف وهيئتها ثم
يزيد في احدهما حرف ليس في الاخرى ويسمى المذيل فاما في اول الكلمة كقوله تعم والتفت الساق بالساق
الى ربك يومئذ المساق او في وسطها كقولهم كبد كبيد او في آخرها كقول بعضهم فلان سال من احزانه
سالم من زمانه وقول ابي تمام يمدون من ايد عواص عواصم تصول باسياف قواض قواضب واما ان يختلفا
في انواع الحروف وقد يكون بحرفين ويسمى المضارع والمطرف وما به الاختلاف قد يكون في اول الكلمة كقولهم بيني وبينه   بحرف واحد وقد يكون ع
ليل دامس وطريق طامس او في وسطها من حرفين متقاربين كقولهم ما خصصتني ولكن خسستني او في آخرها

كقول النبي عم الخير معقود بنواصي الخيل وقد يكون الاختلاف بحرفين غير متقاربين وهو اما في آخر الكلم كقوله
تعالى واذا جاءهم امر من الامن او في وسطها كقوله تعا وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد او
في اولها كقول الحريري لا اعطي زمامي من يخفر ذمامي ثم المتجانسات اما ان يكون بعضها في مقابلة
البعض حال التسجيع وهو ظاهر او يضم بعضها الى بعض في اواخر الاسجاع ويسمى مردوجا ومكررا كقولهم
النبيذ بغير نغم غم وبغير دسم سم وكقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج ومن التجنيس ما يكون
بالاشارة دون التصريح كقولهم حلقت لحيه موسى باسمه وبهرون اذا ما قلبا وقد يكون التجنيس بحيث يحاذيه
اصلاحن ويسمى المشوش كقولهم فلان مليح البلاغة كان من البراعة فلو احدث عين الكلمتين كان مصحفا ولو نقطت
لاماهما كان مضارعا واما ان كان المتجانسان مركبين فاما ان يكونا متشابهين خطا فقط دون اللفظ ويسمى
المصحف كقول علي عم تصر شيابك فانه ابقى واتقى وانقى وكقولهم غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك فاخش
فاحش فعلك فعلك تهدى بهذا او لفظا فقط ويسمى المفروق كقوله كلكم قد اخذ الجام ولا جام لنا ما الذي
ضر مدير الجام لو جاملنا او خطا ولفظا ويسمى المقرون كقوله اذا ملك لم يكن ذا هبة فدعه فدولته ذاهبه **البحث الثاني** في الاشتقاق واما الاشتقاق فهو ان ياتي بالفاظ تجمعها اصل
واحد في اللغة كقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقول النبي عم الظلم ظلمات يوم القيمة وقول علي
جاهل خباط جهالات عاش ركاب عشوات واما ما يشبه المشتق كقوله تعو وجنا الجنتين دان
قال اني لعملكم من القالين **البحث الثالث** في رد العجز على الصدر ورسمه انه كل كلام وجد في نصفه الاخير
لفظ يشبه لفظا موجودا في نصفه الاول وله عدة اقسام **الاول** ان يتفق لفظا الصدر والعجز صورة
ومعنى ويكونان طرفين الاول في اول الكلام **والثاني** في اخره كقولهم الحيلة ترك الحيلة وقولهم القتل
انفى للقتل وكقول القائل سكران سكر هوى وسكر مدامة انى يفيق فتى به سكران **الثاني** ان يتفقا صورة
لا معنى وهما طرفان كقوله يسار من سجيتها المنايا ويمنى من عطيتها اليسار **الثالث** بالعكس ويكونان طرفين
ايضا كقول عمر بن ابي ربيعة واستبدت مرة واحدة انما العاجز من لا يستبد **الرابع** ان يلتقيا في الاشتقاق
لا في الصورة وهما طرفان ايضا كقول الشريف ضرائب ابدعتها في السماح فلسنا نرى لك فيها ضريبا **الخامس**
ان يتفقا صورة ومعنى ويكون احدهما حشوا في صدر البيت والاخر طرفا في عجزه كقول ابي تمام ولم يحفظ مضاع
المجد شي من الاشياء كالمال المضاع **السابع** ان يقعا كذلك ويتفقا معنى لا صورة كقول امرئ القيس اذا المرء
لم يخزن عليه لسانه فليس على شي سواه بخزان **الثامن** ان يقعا طرفين في اخر الصدر والعجز ويتفقا صورة
ومعنى كقول ابي تمام من كان بالبيض الكواعب مغرما فما زلت بالبيض القواضب مغرما **التاسع** ان يقعا
كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول الحريري فمشغوف بايات المثاني ومفتون برنات المثاني **العاشر** ان يقعا
كذلك ويتفقا في الاشتقاق ويختلفا في الصورة كقول البحتري فضلت ان سيلت لنا مطيع وقولك ان سالت

الثاني ان يقعا كذلك ويتفقا صورة لا معنى كقول القاضي الارجاني شع ... فاصطاد ... اذا ... ثم ...

لنا مطاع **الحادي عشر** ان يتفقا في شبه الاشتقاق ويختلفا صورة ومعنى كقول الحريري ومصطلع
بتلخيص المعاني ومطلع الى تخلص عاني **الثاني عشر** ان يقع احدهما في اول العجز والثاني في اخره كقول الحماسي
وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا فاني نافع لي قليلها **الثالث عشر** ان يقعا ويلتقيا في الاشتقاق دون
الصورة كقول ابي تمام ثوى بالثرى من كان يحيى به الورى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر وورا
هذه الاقسام اقسام آخر لهذا النوع وفيما ذكرناه كفاية **البحث الرابع** في القلب وهو اما في كلمة او كلمات
والاول فاما ان يتقدم كل واحد من حروفها على ما كان متاخرا عنه ويسمى مقلوب الكل كالفتح والحتف
في قوله حسامك فيه للاحباب فتح ورمحك فيه للاعداء حتف ثم ان وقع مثل هاتين الكلمتين
على طرفي البيت سمي مقلوبا مجنحا كقوله ساق هذا الشاعر الحين الى من قلبه قاسي سار حمي القوم
والهم علينا حبك راسي او يكون بعض حروفها كذلك فيسمى مقلوب البعض كقوله عم اللهم استر
عوراتنا وآمن روعاتنا واما في الكلمات بحيث يكون قراءتها من اولها كقراءتها من آخرها فكقول
الحريري اس ارملا اذا عرا وارع اذا المرء اسا **النوع الثاني** ما يحتاج الى ترديد من كلمتين وفيه ابحاث
البحث الاول في التسجيع وهو ثلثة اقسام **احدها** يسمى المتوازي وهو ان يتساوى الكلمتان في عدد الحروف
ونوع الحرف الاخير كقول علي عليه السلم كثرة الوفاق نفاق وكثرة الخلاف شقاق وكقوله عم في اهل البصرة
عهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق **الثاني** المطرف وهو ان يختلفا في العدد ويتفقا في الحرف الاخير
كقوله الام صدوع انزاجها ولام منها وبين ازواجها **الثالث** المتوازن وهو ان يتفقا في عدد الحروف
ولا يتفقا في الحرف الاخير كقول علي عليه السلم الحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافؤ الافضال والتعرف
المتكلف من التسجيع بان يكون احدهما ان يكون الحرف الاخير انما يحتاج اليه للتقفيه لا للمعنى الثاني ان يترك معنا
الاول لاجل التقفيه **البحث الثاني** في تضمين المزدوج وهو ان يجمع المتكلم بعد رعاية السجع في اثناء القرائن بين لفظين
متشابهتي الوزن والروي كقوله تعا وجئتك من سبا بنبا يقين وقوله صلى الله عليه المؤمنون هينون لينون
وكقول علي عليه السلم كثرة الوفاق نفاق **البحث الثالث** في الترصيع وهو ان يتساوى اوزان الالفاظ ويتفق اعجازها
كقوله تعا ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وقول علي عليه السلم علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل
وكاشف كل عظيمة وازل وقوله في صفة الدنيا اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب
وقد يجي مع التجنيس كقوله عم في كتاب الله حتى لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **الباب الثاني**
فيما يتعلق بالدلالة الوضعية والمعنوية واعلم ان البحث عن حسن الدلالة اللفظية يرجع الى اشتراط اربعة امور
الاول ان يكون الكلمة عربية غير مولدة ولا صادرة عن خطاء العامة الثاني ان يكون اجرى على مقاييس العرب وقوانينها
الثالث المحافظة على قوانين النحو الرابع الاحتراز عن الالفاظ الغريبة الوحشية ولذلك كانت في الكتاب العزيز
نادرة والكلام في الدلالة المعنوية فاعلم انه لما كانت الالفاظ المفردة لا يستعمل لافادة مدلولاتها الا لتراكيبه

الاعتبار التركيب وكان الاصل في اصناف التراكيب هو الخبر وهو الذي يتصور بالصور الكثيرة ويظهر فيه
الاسرار العجيبة من علم المعاني والبيان ولهذا ان يشير الى قدر من مباحثه قبل الخوض في سائر الاقسام
وقد رتبنا هذا الباب على فصول **الفصل الاول** في احكام الخبر وفيه ابحاث **البحث الاول** في رسم الخبر
بانه القول الذي يقال لقائله انه صادق فيما قاله او كاذب واورد الامام فخر الدين عليه شكا فقال الصدق والكذب
لا يمكن تعريفهما الا بالخبر اذ يقال في الصدق انه الخبر المطابق وفي الكذب بانه الخبر الغير المطابق فتعريف
الخبر بهما دور واجاب افضل المتاخرين نصير الدين الطوسي ابقاه الله عنه فقال الحق ان الصدق
والكذب من الاعراض الذاتية للخبر فتعريفه بهما رسمي اورد تفسيرا للاسم وتعيينا لمعناه من بين ساير المركبات
ولا يكون ذلك دورا لان الشي الواضح بحسب ماهيته ربما يكون ملتبسا في بعض المواضع بغيره ويكون ما
يشتمل عليه من اعراضه الذاتية المعينة عن التعريفا وغيرها مما يجري مجراها عاريا عن الالتباس فايراده
في الاشارة الى تعيين ذلك الشي اما لمحضه وتجريده عن الالتباس وانما يكون دورا لو كانت تلك الاعراض
ايضا مفتقرة الى البيان بذلك الشي وههنا انما يحتاج الى تعيين صنف واحد من اصناف المركبات
فيه اشتباه لا الى تعيين بعد وليس في الصدق والكذب اشتباه فيمكننا ان نقول انا نعني بالخبر التركيب
الذي يشتمل احد الصدق والكذب عليه كما لو وقع اشتباه في معنى الحيوان فيمكننا ان نقول انا نعني به ما يقع
في تعريف الانسان موقع الجنس ولا يكون دورا وقيل في تعريفه ايضا انه القول المقتضي بصريحه اسناد امر الى امر
بالنفي او الاثبات ولما تسمية النحاة احد جزئي الخبر خبرا فمجاز **البحث الثاني** انه ليس الغرض الاول من وضع
الالفاظ المفردة افادتها لمسمياتها المفردة بيان ذلك ان افادتها لها موقوفة على العلم بكونها موضوعة لها
وهو مستلزم للعلم بها قبل الوضع فلو توقفت افادتها لها على الوضع لزم الدور وانه محال بل الغرض الاول منها
تمكن الانسان من تفهيم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الالفاظ المفردة لا يقال
ما ذكرتموه وارد بعينه في المركبات لان اللفظ المركب لا يفيد مدلوله الا عند العلم بكون تلك الالفاظ
موضوعة لتلك المعاني فلو استفدنا العلم بتلك المعاني من تلك الالفاظ لزم الدور لانا نقول لا نسلم
ان الالفاظ المركبة لا يفيد مدلولها الا عند العلم بكون تلك الالفاظ المركبة موضوعة له بيان ذلك
انا متى علمنا وضع كل واحد من تلك الالفاظ المفردة لكل واحد من تلك المعاني المفردة فاذا توالت الالفاظ
المفردة بحركاتها المخصوصة على السمع ارتسمت المعاني المفردة في الذهن مستلزمة للعلم بنسبة بعضها الى
بعض استلزاما عقليا وذلك هو التركيب فظهر ان استفادة العلم بالمعاني المركبة لا يتوقف على كون
الالفاظ المركبة موضوعة لها وبالله التوفيق **البحث الثالث** في الفرق بين الاخبار بالاسم والاخبار
بالفعل قد عرفت ان الفعل مشعر بالزمان المعين دون الاسم فلذلك ظهر الفرق بين الاخبار به والاخبار
بالاسم فانك اذا قصدت الاخبار الاثبات المطلق غير المشعر بالزمان وجب ان تخبر بالاسم كقوله تعالى

وكلبهم باسط ذراعيه اذ ليس الغرض الا اثبات البسط لذراعي الكلب واما تعريف زمان ذلك فغير مقصود
فاما ان قصدت الاشعار بزمان ذلك الثبوت فالصالح له هو الفعل كقوله تعالى هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض فان تمام المقصود انما يحصل بكونه معطيا في كل حين واوان لا بمجرد كونه
معطيا **البحث الرابع** في حكم المبتدا والخبر متى اجتمعت الذات والصفة فالذات اولى بالمبتدائية
والصفة اولى بالخبرية ثم اما ان يكون الامر في اللفظ كذلك او بالعكس والاول اما ان لا يدخل لام التعريف
في الخبر كقولك زيد منطلق وذلك يفيد ثبوت مطلق الانطلاق لزيد من غير ان يفيد دوام ذلك
الثبوت وانقطاعه او يدخله لام التعريف كقولك زيد المنطلق او زيد هو المنطلق فاللام في الخبر
يفيد انحصار المخبر به في المخبر عنه ثم اما ان يكون لام العهد كما اذا اعتقدت وجود انطلاق معين ولكن لا يعلم
ان المنطلق زيد او عمرو فاذا قلت زيد المنطلق عينت ان صاحب ذلك الانطلاق هو زيد فقد انحصر ذلك
الانطلاق في زيد واما التعريف الطبيعة فيفهم من وضعه الحصر ثم هو للحصر ان امكن ترك الكلام على
حقيقته كقولك زيد هو الوفي اذا لم تظن باحد خيرا غيره والا حمل الكلام على المبالغة كقولك زيد هو العالم
وهو الشجاع لامتناع حصر الحقيقة فيه واما اذا عكس واخرت الذات عن الصفة كقولك المنطلق زيد
فذلك ما يقال اذا اعتقد معتقد ان انسانا انطلق ولكن لا يعلم شخصه فيقال له المنطلق زيد اي
الذي يعتقد انطلاقه هو زيد ثم الضابط ان الاخبار يجب ان يكون عما يعرف بما لا يعرف **الفصل الثاني**
في الحقيقة والمجاز وفيه ابحاث **البحث الاول** في معنى الحقيقة والمجاز وحدهما الحقيقة فعيلة بمعنى
مفعولة من الحق وهو الثابت وسمي ما خالف المجاز حقيقة لانه ثبت معلوم الذي لا الت والمجاز مفعل
من جازه يجوزه اذا تعداه واذا عدل باللفظ عن وضعه اللغوي وصف بانه مجاز بمعنى ان الذهن انتقل
من لفظه الى معنى غير معناه فصار موضع الانتقال والمجاوزة واما حد الحقيقة فاما في المفردات فهي
كل كلمة افيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به ويدخل في ذلك الحقيقة
اللغوية والعرفية والشرعية واما في الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المفاد بها على ما هو عليه في العقل
وواقع موقعه فهي حقيقة كقولنا خلق الله العالم واما حد المجاز فاما في المفرد ايضا وهو ما افيد به معنى
غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي وقع التخاطب بها لعلاقة بينه وبين الاول ويدخل في
ذلك المجاز اللغوي والشرعي والعرفي واما في الجمل فكل جملة اخرج الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل بضرب
من التاويل فهو مجاز كقولهم واخرجت الارض اثقالها **البحث الثاني** فيما به يتحقق المجاز لا بد فيه من امرين
احدهما ان يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بازائه والا لبقي حقيقة الثاني ان يكون ذلك النقل لمناسبة
بين المعنيين والا لكان في الثاني مرتجلا وبهذا يظهر الفرق بين المجاز والكذب والدعوى الباطلة وذلك
لان المبطل اذا اخرج الحكم عن موضعه واعطاه غير المستحق لم يعرف انه انما اعطاه لكونه فرعا لاصل لا يحرم

بان ثبوت الحكم في ذلك الوضع ثبوت اصلي بكذلك الكاذب يدعي ان الامر على ما وضعه وليس هو من
التاويل في شي والمجاز لم يكن مجازا الا لان اثبات الحكم لما لا يستحقه للمناسبة بينه وبين المستحق البحث
الثالث في اقسام المجاز المجاز اما ان يقع في اللفظ المفرد فقط او في المركب فقط او فيهما معا مثال الاول
اطلاق لفظ الاسد على الرجل الشجاع والحمار على البليد واما الثاني فهو ان يستعمل كل واحد من الالفاظ
المفردة في موضوعه الاصلي لكن التركيب لا يكون مطابقا لما في الوجود مثاله قوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها وقول الشاعر اشاب الصغير وافنى الكبير كر الغداة ومر العشي وهذا المجاز عقلي
لان نسبة الاخراج الى الارض والاشابة الى كر الغداة والعشي حكم عقلي عدل به عن الفاعل الحقيقي وهو الله سبحانه
الى غير من هو له وهو الارض والغداة والعشي مثال الثالث قولك لمن يحبه احياني اكتحالي بطلعتك فان لفظي
الاحياء والاكتحال مفردان استعملا في غير موضعهما الاصلي ثم نسبا الاحياء الى الاكتحال مع عدم المطابقة
لما في نفس الامر وهذا التلخيص لعبد القاهر النحوي رحمه الله البحث الرابع في اصناف المجاز والذي
ذكره الامام فخر الدين منها اثنا عشر صنفا آ اطلاق اسم السبب على المسبب والاسباب اربعة
احدها الفاعلي كاطلاق اسم النظر الذي هو تقلب الحدقة نحو المرئي على الرؤية كقولك نظرته اي رايته الثاني
الغائي كتسميتهم العنب بالخمر الثالث الصوري كتسميتهم القدرة يدا الرابع القابلي كقولهم سال الوادي ب
اطلاق اسم المسبب على السبب كتسميتهم المرض الشديد بالموت والاول اولى لاستلزام السبب المعين
المسبب المعين من غير عكس واولى الاسباب بذلك هو السبب الغائي لحصول علاقتي العلية والمعلولية
اللتين كل واحد منهما علة لحسن المجاز فيه دون باقي الاسباب ج اطلاق اسم الشي على ما يشابهه
كاطلاق لفظ الحمار على الرجل البليد وهو الاستعارة كما سيجي بيانها د تسمية الشي باسم ضده
كتسمية العقاب بسبب الجريمة بالجزاء المختص بمقابلة الاحسان بمثله ه تسمية الجزء باسم الكل كاطلاق لفظ
العام على الخاص و العكس كاطلاق لفظ الاسود على الزنجي لسواد جلده والاول اولى لاستلزام الكل
للجزء من غير عكس ز اطلاق ما بالفعل على ما بالقوة كتسمية الخمر في الدن مسكرا وهو قريب من اطلاق
السبب الغائي على مسببه ح اطلاق المشتق بعد زوال المشتق منه كاطلاق لفظ ضارب على من
فرغ من الضرب وقد عرفت ان ذلك هل هو مجاز او حقيقة ط اطلاق اسم المجاور على مجاوره كاطلاق
لفظ الراوية وهو الجمل الذي يحمل عليه الماء على المزادة ي اطلاق اسم الحقيقة العرفية كالدابة للفرس
على الحمار وغيره مجازا عرفيا يا المجاز بسبب النقصان والزيادة قال الامام وتحقيقه ان الكلمة كما انها
توصف بالمجاز لنقلها عن معناها فقد توصف بالمجاز لنقلها عن حكم كان لها الى حكم ليس هي
حقيقة فيه كقوله تعالى وسل القرية والقدير وسل اهل القرية والذي يستحقه في الاصل الجر
والنصب فيها مجاز وفيه نظر لان الاعراب لا يراعى في صدق النسبة وكذبها والمطابقة وعدمها

ذلك لو قلت لست السماء كان السماء مفعولا به للفعل المتقدم ويستحق النصب حقيقة فكذلك القرية
ههنا يستحق النصب حقيقة بالمفعولية اما ان النسبة في نفسها صادقة ام لا فذلك بحث
آخر بل الحق انه مجاز في التركيب والنسبة فان نسبة السوال الى اهل القرية حقيقة فيكون اليها مجازا
وان قطعنا النظر عن مباحث النحاة امكن ان يكون الحق ما قاله الامام واما المجاز بسبب الزيادة
فالحق ان الزيادة ان غيرت معنى الكلام الذي تم بدونها ولا يحتاج فيه اليها كقوله تعالى ليس كمثله
شي فالمجاز حاصل في النسبة اذ كانت نسبة النفي الى من ليس له وان لم يغير كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله
لم يتصور المجاز ههنا يب اطلاق اسم المتعلق على المتعلق كتسمية المقدور قدرة البحث الخامس
المجاز بالذات لا يدخل الا على اسماء الاجناس وبيانه اما الحرف فلان معناه في غيره فان ضم الى حقيقة
فهو حقيقة او الى مجاز كان مجازا في التركيب فلم يدخله بالذات واما الفعل فلان معناه مركب من المصدر
وغيره فما لم يكن المصدر متجوزا به لم يكن الفعل كذلك فكان داخلا فيه بالعرض واما الاسم فاما علم
ولا يدخله المجاز لانه مشروط بالعلاقة بين الاصل والفرع وليست موجودة في الاعلام او مشتق ومعلوم
انه لولا تطرق المجاز الى المشتق منه لم يتطرق الى المشتق فلم يبق الا اسماء الاجناس البحث السادس في الداعي
الى التكلم بالمجاز العدول الى المجاز اما لاجل اللفظ او المعنى او لهما اما الاول فلما لاجل جوهر اللفظ
او لاحوال عارضة له اما الاول فان يكون اللفظ الدال على الحقيقة ثقيلا على اللسان اما لثقل اجزائه
او لتنافر تركيبه او لثقل وزنه ويكون المجاز عذبا واما الثاني فان يكون المجاز صالحا للشعر او للسجع واصناف
البديع دون الحقيقة واما الذي لاجل المعنى فقد يقصد المجاز للتعظيم ليس في الحقيقة كما يقال سلام
على المجلس السامي او للتحقير كما يعبر بالغائط عن قضاء الحاجة او لزيادة بيان اما لتقوية حال المذكور
كقولك رايت اسدا للانسان الشجاع فانه اتم من قولك رايت انسانا يشبه الاسد في شجاعته
او لتقوية حال الذكر وهو المجاز الذي يذكر للتاكيد او لتلطيف الكلام قال الامام وتقريره ان النفس
اذا وقفت على كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها اليه شوق اصلا لان تحصيل الحاصل محال
وان لم تقف على شي منه اصلا لم يحصل لها ايضا اليه شوق اما اذا وقفت عليه من بعض الوجوه
دون البعض فان القدر المعلوم يشوقها الى غير المعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر المعلوم لذة
وبسبب حرمانها عن الباقي الم فيحصل هناك تعاقب الالم واللذات واللذة اذا حصلت عقيب الالم
كانت اقوى وشعور النفس بها اتم اذا عرفت ذلك فنقول اذا عبر عن الشي باللفظ الدال عليه على سبيل
الحقيقة حصل تمام العلم به فلا يحصل اللذة القوية اما اذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرفت لا على
سبيل الكمال فحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية مثال هذا انك اذا قلت رايت
انسانا يشبه الاسد في شجاعته فقد حصلت المعاني بتمامها من الفاظها الموضوعة لها فلم يحصل

من اللذة ما يحصل من قولك رايت اسدا في يده سيف فان الذهن ههنا يتصور من لفظ الاسد
معناه ولوازمه المعروفة كالشجاعة ثم ينتقل بسبب القرينة الى ملاحظة وجه الشبه في الانسان الذي
هو الشجاعة فذلك الانتقال هو محل اللذة والدغدغة النفسانية **البحث السابع** فيما يفصل الحقيقة
عن المجاز انه اما ان يقع بالتنصيص او الاستدلال اما التنصيص فمن وجوه احدها ان يقول الواضع
هذا حقيقة وذاك مجاز وثانيها ان يذكر واحدا منهما وثالثها ان يذكر خواصهما واما الاستدلال
فالحقيقة تعرف من وجهين احدهما ان يسبق المعنى من ذلك اللفظ الى فهم بعض السامعين
من اهل تلك اللغة فيحكم بانه حقيقة فيه اذ لولا اضطراره الى فهم ذلك المعنى من قصد
الواضعين لما فهمه دون غيره وثانيها ان اهل اللغة اذا ارادوا افهام غيرهم معنى اقتصروا
على عبارات مخصوصة واذا قصدوا التعبير الحسن بعد الفهم عبروا بعبارات اخرى وقرنوا بها
قراين فيعلم ان الاول حقيقة اذ لولا انه استقر في قلوبهم استحقاق ذلك اللفظ لذلك المعنى لما اقتصروا
عليه واما المجاز فيعرف اما اولا فبعكس ما ذكرنا في تعريف الحقيقة واما ثانيا فلان الكلمة اذا علقت بما
يستحيل تعليقها به علم انها في اصل اللغة غير موضوعة له فيعلم انها مجاز فيه كقوله تعالى واسئل القرية واما
ثالثا فان نعلم ان الواضع وضع لفظا لمعنى ثم استعمل في بعض موارده ثم استعمله بعد ذلك في غير ذلك
الشي كلفظ الدابة الذي وضع لكل ما يدب ثم خص بالفرس فصار حقيقة عرفية ثم استعمل بعد ذلك في
الحمار فيعلم انه مجاز فيه الى ان يغلب الاستعمال عليه فيصير حقيقة عرفية ايضا **الفصل الثالث**
في التشبيه وفيه اربعة اركان **الركن الاول** في المتشابهين انهما اما محسوسان او معقولان او المشبه به
محسوس والمشبه معقول او بالعكس اما الاول فكقول علي عليه السلم لاهل البصرة كاني
بمسجدكم هذا كجؤجؤ سفينة وقوله عم في وصف الاتراك كاني اراهم قوما كان وجوههم المجان المطرقة واما
الثاني فكقوله عم كم اداريكم كما يدارى البكار العمدة والثياب المتداعية فان المتشابه ههنا هو مداراته ومداراة
اهل البكار لها والمداراة معنى اضافي معقول وما به المشابهة هو الصعوبة ههنا كالصعوبة هناك واما
الثالث فكقوله عم في حق مروان اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه فان الامرة حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب
انفه في السرعة وهي امر محسوس وقوله عم اما بعد فان الامر حالة معقولة اشبهت لعقة الكلب انفه في السرعة
وهي امر محسوس وقوله عم اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر وكقوله كاني بك يا كوفة
تمدين مد الاديم العكاظي واما الرابع فكقول الشاعر كان ابيضاض البدر من تحت غيمه نجاة من البأساء بعد وقوع
وكقول الصاحب بن عباد وقد اهدى عطرا الى القاضي ابي الحسن اهديت عطرا كان مثل ثنائه فكانما
اهدى له اخلاقه وقد منع الامام فخر الدين من جواز هذا القسم من التشبيه اعتمادا منه على ان العلوم
العقلية مستفادة من الحواس فكان المحسوس اصلا للمعقول فتشبيهه به يقتضي جعل الاصل فرعا والفرع

اصلا وهو محال وهذا سهو فان الحواس وان كانت طرقا للعلم الا انها ليست كل الطرق له سلمنا
لكن الممنوع انما هو جعل الفرع اصلا من جهة ما هو فرع فرع لذلك الاصل لا مطلقا وههنا ليس
كذلك فان المعقول فرع المحسوس من جهة ما هو مستفاد عنه فيمتنع ان يعود اصلا من تلك الجهة
اما انه لا يمتنع ان يكون فرعا له من تلك الجهة فحاله لا يمتنع ان يكون فرعا له من تلك الجهة ومع ذلك
يكون فرعا له من تلك الجهة ومع ذلك يكون اصلا له في التشبيه والملاحظات الذهنية **الركن الثاني**
فيما به التشبيه وفيه ابحاث **البحث الاول** في اقسامه انه اما ان يكون صفة حقيقية او اضافية
والاول اما كيفية محسوسة احساسا اولا او ثانيا والاول اما بحس البصر كتشبيه الخد بالورد في الحمرة
وتشبيه الوجه بالنهار والشعر بالليل او بحس السمع كتشبيه اطيط الرجل باصوات الفراريج وكتشبيه
الصوت المنكر بصوت الحمار او بحس الذوق كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل والسكر او بحس الشم كتشبيه
بعض الرياحين بالمسك والكافور او بحس اللمس كتشبيه الجسم اللين الناعم بالخز والخشن بالمسح واما المحسوسة
ثانيا فهي الاشكال والمقادير والحركات والاشكال اما مستقيمة او مستديرة مثال التشبيه في الاستقامة
تشبيه الرجل المعتدل القامة بالرمح ومثال التشبيه في الاستدارة تشبيه المستدير بالكرة تارة وبالحلقة
اخرى ومثال التشبيه في المقادير تشبيه عظم الجثة بالجبل والفيل ومثاله بالحركة تشبيه السريع بالسهم
واما الاشتراك في كيفية جسمانية غير محسوسة فكما يقال فلان كالحمار اي في البلادة او كالسبع اي
في غضبه واما في الكيفية النفسانية فكالاشتراك في الغرائز والاخلاق كالكرم والحلم والشجاعة والذكاء
والفطنة والعلم والزهد كقولك هو كحاتم اي في جوده وكعمرو بن معديكرب اي في شجاعته واما الاشتراك
في الحالة الاضافية فكقولهم هذه الحجة كالشمس فالاشتراك ههنا في الجلاء وبالنسبة الى البصر والفهم
وهي حالة اضافية وكون حليه كما ذكرنا وكقولهم الفاظ فلان كالماء اي في السلاسة وكالنسيم اي في الرقة
وذلك انه اذا لم يكن فيها حروف تثقل على اللسان ولم يكن غريبا وحشيا ارتاح له القلب لسرعة وصوله
الى النفس فصار كالماء الذي يسرع نفوذه الى الحلق والنسيم الذي يسري في البدن وقد يكون خفيه
كقول من ذكر بني المهلب هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها الا ترى انه لا يفهم المقصود من ذلك
الا من كان له ذهن يرتفع عن درجة العامة **البحث الثاني** في تقسيمه بوجه آخر انه قد يكون قريبا
وقد يكون بعيدا اما الاول كما اذا خطرت ببالك استدارة الشمس واستنارتها فانه يخطر ببالك المرآة
المجلوة وتلاحظ الشبه بينهما وكذلك اذا نظرت الى الوشي المنشور لاح لك في شبهها الروض الممطور
المفتر عن ازهاره واما الغريب البعيد فهو الذي يحتاج في ادراكه الى دقة نظر كتشبيه الشمس بالمرآة في كف
الاشل وتشبيه البرق باصبع السارق كقول كشاجم ارقت ام نمت لضوء بارق مؤتلقا مثل الفؤاد الخافق كانه
اصبع كف السارق ثم السبب في القرب والبعد امران احدهما ان الحس لا يعطي التمييز بين جهتي الاشتراك

والاول اما كيفية جسمانية او نفسانية والرابع

وهو

والامتياز وانما يدرك المركب من حيث هو شي واحد واما التفصيل والتمييز فذلك حظ العقل وايضا
فشعور الحس بالاجمال اقدم من شعوره بالتفصيل فان المرئي في اول النظر اليه لا يدرك البصر تفاصيله
حتى يتكرر وكذلك المسموع فانك تقف في اعادة الصوت على ما لم تقف عليه بالسماع الاول
وبادراك التفاصيل يقع التفاضل بين سامع وسامع واذا كان ادراك الجملة قبل ادراك التفصيل
محتاجا الى الكد والطلب كان ادراك الجملة اسهل واقرب من ادراك التفصيل البحث الثالث وكان ادراك التفصيل بعد
في بيان ان التشبيه بالوجه العقلي اعم من التشبيه بالوجه الحسي لما تشبيه المحسوس بالمحسوس فيمكن ان يكون
لاجل الاشتراك في وصف محسوس ويمكن ان يكون لاجل الاشتراك في وجه معقول ويمكن ان
يكون لاجلهما جميعا مثال الاول تشبيه الخد بالورد مثال الثاني قوله ايّاكم وخضراء الدمن فالتشبيه
ماخوذ للمراة من النبات وهما محسوسان ولكن وجه المشابهة هو مقارنة الحسن الظاهر للقبح الباطن
وهو امر عقلي مثال الثالث تشبيه الشخص الرفيع القدر الحسن الوجه بالشمس لاشتراكهما في النباهة
التي هي امر عقلي وفي الضياء الذي هو امر حسي واما تشبيه المعقول بالمعقول والمعقول بالمحسوس
والمحسوس بالمعقول فيمتنع ان يكون وجه المشابهة غير عقلي لان وجه المشابهة مشترك بين الجانبين
فلو كان محسوسا لم يصح وصف المعقول به واما العقلي فيصح لصحة ان يصدر عن ما لا يكون محسوسا
امر محسوس فثبت ان التشبيه بالوجه المعقول اعم البحث الرابع التشبيه بالوصف المحسوس اتم من
التشبيه بالوصف المعقول بيانه من وجهين احدهما ان اكثر الغرض في التشبيه التخييل الذي يقوم مقام
التصديق في الترغيب والترهيب والخيال اقوى على ضبط الكيفيات المحسوسة منه على الامور الاضافية
الثاني ان الاشتراك في نفس الصفة اسبق من الاشتراك في مقتضاها لما ان الصفة في نفسها متقدمة
في التصور على مقتضيها فكانت الصفة المحسوسة اتم في التشبيه من الامر المعقول البحث الخامس
في تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب المشابهة اما ان يكون في امر واحد او في امور كثيرة والاول اما
ان لا يكون مقيدا بالنسبة الى شي او يكون فالاول كتشبيه الكلام بالعسل في ان كل واحد منهما موجب
للنفس لذة وحالة محمودة واما الثاني فما اليه الانتساب اربعة امور اما المفعول به كقولهم اخذ القوس
باريها لان المقصود وقوع الاخذ في موقعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الاخذ المطلق و
لكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من باري القوس عليه واما الى ما يجري مجرى المفعول به وهو الجار
والمجرور كقولهم لمن يفعل ما لا يفيد هو كالراقم على الماء فالتشبيه ليس مسترعا من الرقم المطلق بل منه
على الماء واما الى الحال كقولهم كالحادي ليس له بعير اي الحادي حال ما لا يكون له بعير واما الى المفعول به
والجار والمجرور معا كقولهم هو كمن يجمع السيفين في غمد وهو كمن ينثر الجوز على القبة فالجمع المعدى الى
السيفين لا يكفي في التشبيه ما لم يشترط كونه جامعا لهما في الغمد ومنه قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا

فانه تضمن التشبيه من اليهود لا لا مرجع الى حقيقة الحمل المطلق بل لامرين آخرين احدهما تعديته الى الاسفار
والاخر اقتران الجهل بما فيها لان الغرض توجيه الذم الى من اتعب نفسه بحمل ما يتضمن المنافع العظيمة ثم
لم ينتفع به لجهله وهذا المقصود لا يحصل من الحمل المطلق بل منه مشروطا بالشرطين الاخيرين ثم اذا كان ما به
المشابهة وصفا مقيدا فقد يمكن افراد احد جزئيه بالذكر وقد لا يمكن اما الاول فكقوله كان اجرام النجوم لوامعا
درر نثرن على بساط ازرق فانك لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا ولكن غير
المعنى المراد للقائل اذ مقصوده من التشبيه ههنا ذكر الامور العجيبة من طلوع مؤتلفة مفترقة في اديم
السماء وهي زرقاء زرقتها الصافية والنجوم تتلالا في تلك الزرقة ومعلوم ان هذا المقصود لا يتاتى اذا
فرق التشبيه واما الثاني فكقوله كانما المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعة منصرف بالليل عن دعوة
قد اسرجت قدامه الشمعة فلو قلت كان المريخ منصرف عن دعوة وتركت حديث المشتري والشمعة كان خلفا
من القول اذ التشبيه للمريخ حيث الحالة الحاصلة له من تقدم المشتري له واذن لا يمكن افراده بالذكر البحث
السادس في التشبيهات المتعددة المجتمعة انما يكون الامر كذلك اذا كان التشبيه من امور كثيرة لا يتقيد
بعضها بالبعض وحينئذ تكون تشبيهات مضموما بعضها الى البعض لاغراض كثيرة كل واحد منها قائم بنفسه
ولهذا النوع خاصيتان الاولى انه لا يجب فيها الترتيب فانك لو قلت زيد كالاسد باسا والبحر جودا والسيف
مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك ان تحفظ في هذه التشبيهات نظاما مخصوصا الثاني اذا سقط البعض
فانه لا يغير حال الباقي كقولهم هو يصفو ويكدر ويحلو ويمر ولو تركت ذكر الكدورة والمرارة كان المعنى في تشبيهه بالماء
الصافي والعسل في الحلاوة باقيا البحث السابع يجب مراعاة جهة التشبيه ولا يجوز تعديها والا وقع الخطا
مثاله ما قيل النحو في الكلام كالملح في الطعام فان جهة التشبيه ههنا هي الاصلاح والمقصود ان الطعام
كما لا يصلح الا بالملح كذلك الكلام لا يصلح الا بالنحو فاما ظنه بعضهم ان المقصود هو ان القليل من النحو مغن
والكثير مفسد كما ان القليل من الملح مغن والكثير مفسد فهو ظن فاسد لان النحو علم بمجموع قوانين مضبوطة
يمتنع تطرق الزيادة والنقصان اليه جريانها في الكلام كقولك كان زيد قائما فانه لا بد فيه من رفع
الاسم ونصب الخبر فان وجدا وجد النحو من غير زيادة ولا نقصان وان لم يحصلا عدم النحو فلا زيادة
ولا نقصان اصلا الركن الثاني في كشاب وجه المشابهة الطريق اليه تدبر ما به المشابهة عما به الامتياز البحث
مثلا من اراد تشبيه شي بشي في هيئة الحركة وجب ان يطلب الوفاق بين الهيئة والهيئة مجردة عن
الجسم وسلبها ما فيه من الاعراض كما فعل ابن المعتز في قوله وكان البرق مصحف قار فانطباقا ومرة انفتاحا
فلم ينظر في جميع اوصاف البرق ومعانيه الا الى الهيئة التي تجدها العين من انبساط تعقبه انقباض
ثم لم يبحث عن اصناف الحركات لينظر ايها اشبه بها اصاب ذلك فيما يفعله القاري باوراق المصحف من
فتحها مرة وطبقها اخرى ولم يكن حسن التشبيه لكونه جامعا بين مختلفين بل لحصول الاتفاق بينهما من ذلك

الوجه لاجل اجتماع الامرين اعني الاتفاق التام والاختلاف التام كان حسنا ومما يناسب ذلك في كونه جامعا بين المختلفين محاولة الشاعر جعل الشي سببا لضده كقوله يا عقتي سو ما صنع من الرزق
فاتره واعلى كبدي فصرت عبدا للسو فيك وما احسن سو قبلي الحاسد **الركن الثالث** في غرض
التشبيه انه اما ان يكون عايدا الى المشبه او الى المشبه به اما الاول فقد يكون غرضه بيان الحكم المجهول
وقد لا يكون اما الاول فاما ان يقصد بيان امكانه عندما لا يكون بينا فيحتاج الى التشبيه لبيانه كقوله
فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال فان مقصوده ان يقول ان الممدوح فاق
الانام حتى لم يبق بينهم وبينه مشابهة بل صار اصلا بنفسه ولما كان هذا في الظاهر كالممتنع اذ
يبعد ان يتناهى انسان في الفضائل الى ان يخرج من نوعه احتج لدعواه بان المسك وان كان بعض دم الغزال
في اصله فقد خرج عن صفة الدم وحقيقته حتى صار لا يعد دما واما ان يقصد بيان مقداره
كقولك للشي الاسود انه كحلك الغراب فان المقصود من هذا التشبيه بيان مقدار السواد في الحلوكة
لا امكان وجوده واما الثاني وهو ان لا يكون غرضه بيان حكم مجهول فقد يكون غرضه احد امرين
احدهما نقل النفس من الغريب الى القريب لان الف النفس مع الحسيات اتم من الفها مع العقليات لتاخر
كثير من العلوم العقلية عن الحسية فاذا ذكرت المعنى العقلي الجلي ثم عقبته بالمثل الحسي فقد نقلت النفس
من الغريب الى القريب الثاني ان يقصد التباعد بين المتشابهين لان التشابه حينئذ يكون اغرب فيكون
اعجاب النفس بذلك التشبيه اكثر لان شعف النفس بالغريب الذي لم يعهد اكثر من المالوف المعتاد واما
الاغراض العايدة الى المشبه به فقد يقصد المادح على طريق التخيل ان يوهم ان الشي الناقص من نظيره انه زايد
عليه ويشبه الزايد بذلك الناقص ويقصد به اعلاء شان ذلك الناقص اي هو بالغ الى حيث صار اصلا
للشي الكامل في ذلك الامر كقوله وبدا الصباح كان غرته وجه الخليفة حين يمتدح الا ترى انه جعل وجه
الخليفة اعرف واتم واشهر في النور والضيا من الصباح حتى شبه الصباح به وقد يقصد الذام عكس ذلك
الركن الرابع في التشبيه نفسه وفيه ابحاث **البحث الاول** التشبيه ليس من المجاز لانه معنى من المعاني
وله حروف والفاظ مخصوصة كالكاف وكان ونحو مثل يدل عليه وضعا فاذا صرح بالالفاظ الدالة
عليه كان حقيقة فاذا قلت زيد كالاسد لم يكن نقلا للفظ عن موضوعه الاصلية فلا يكون مجازا **البحث الثاني**
في التشبيه الذي يصح عكسه والذي لا يصح فقد يكون الغرض من التشبيه الحاق الناقص بالزايد مبالغة في
اثبات الحكم للناقص كما اذا شبهت شيا اسود بحلك الغراب او وجها حسن البياض والصورة بالبدر
والشمس ومثل هذا يمتنع العكس فيه لان تنزيل الزايد منزلة الناقص يضاد المبالغة الاولى وقد يكون المقصود
الجمع بين الشيين في مطلق الصورة او الشكل او اللون كتشبيه الصبح بغرة الفرس لا لاجل المبالغة في الضياء
لاجل ظهور بياض في سواد مع كون البياض قليلا بالاضافة الى السواد والعكس حينئذ جايز كما لو شبهت

غرة الفرس بالصبح **البحث الثالث** في التشبيه الواقع في الهيات انه قد يقع في الهيات التي يقع عليها
الحركات وقد يقع في الهيات التي يقع عليها السكنات اما الاول فعلى وجهين احدهما ان تقرن
الحركة بغيرها من الاوصاف والشكل واللون كقول ابن المعتز والشمس كالمراة في كف الاشل اراد ان
لها مع الاستدارة والاشراق الحركة التي تراها اذا امعنت التامل وذلك ان للشمس حركة دايمة متصلة
ولنورها بسبب ذلك تموج ولا يحصل هذا التشبيه الا ان يكون المراة في كف الاشل لدوام حركته
فيتموج بسببه نور المراة وتلك حال الشمس وثانيهما ان يكون التشبيه في هيئة الحركة مجردة من كل
وصف يقارنها مثاله قول الاعشى يصف السفينة وتلعب الامواج بها تقص السفين بجانبيه كما نزوا
الرباح خلاله الكرع والرباح القرد في لغة اهل اليمن واصله تشديد البا فخففه وقيل اراد الربع وهو الفصيل
فاشبع فتحة البا فحدثت الالف والكرع ماء السماء وكرع فيه شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركة
القرد اذا نزا في الماء فانه يكون لحركات مختلفة في جهات مختلفة ويكون هناك تنقل وتصعد على غير ترتيب
وهو اشبه شي بحركات السفينة حين يتدافعها الموج واما التشبيه الواقع في الهيات التي يقع عليها السكنات فكقول
الاخطل في صفة المصلوب كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل او قايم من نعاس فيه لوثته
مواصل لتمطيه من الكسل فلطفه بسبب ما فيه من التفصيل ولو قال كانه متمط من نعاس واقتصر عليه لكان قريب
التناول لان هذا القدر من التشبيه يحصل في نفس الراي المصلوب لكونه من باب الجملة واما على التفصيل
الذي قيد به استدامة تلك الهيئة فلا يحصل الا مع التامل لحاجته الى ان ينظر الى احوال المتمطي من نعاس
وانه يريد على ذلك النظر الى استدامته لذلك والى علته وهي قيام اللوثة والكسل في القايم من النعاس وهذا
اصل فيما يراد به التفصيل وهو ان يثبت في الوصف امر زايد على المعلوم المتعارف ثم يطلب عليه **البحث الرابع**
في مراتب التشبيه في الخفا والظهور التشبيه في الخفا والظهور التشبيه قد يكون بالمتخيل الذي لا وجود له في
الاعيان كتشبيه الشقايق باعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد وقد يكون بماله وجود في الاعيان
وحينيذ فالهيئة المعتبرة في ذلك اما ان توجد قليلا او كثيرا بيانه انك اذا قايست بين قوله وكان اجرام النجوم
لوامعا درر نثرن على بساط ازرق وبين قول ذي الرمة كانها فضة قد مسها ذهب عرفت ان الاول اغرب من الثاني
لان الهيئة الاولى وهي وجود در منثور على بساط ازرق اقل وقوعا من فضة اجري عليها الذهب وكلما
كان الشي عن الوقوع ابعد كان اغرب فكان التشبيه به ابدع واعجب **البحث الخامس** في التمثيل والمثل قد خص التشبيه
المنتزع من اجتماع امور يقيد بعضها بالبعض باسم التمثيل وقد يكون ذلك على وجه الاستعارة كقولك للمتردد
في الامر اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى يريد انك في تردد كمن يقدم رجلا ويوخر اخرى وقد لا يكون كما اذا
ابرزت الفاظ التشبيه كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية واما المثل فهو تشبيه سار اي كثر استعماله على معنى
ان الثاني بمنزلة الاول والامثال حكايات لا تغير لان ذكرها على تقدير ان يقال في الواقعة المعينة انها

بمنزلة ما يقال فيه هذا القول كقولك ليس لربيع رايك لا يطلع لقصير امر الا ترى انك تقول ذلك بالالفاظ
التي قالها متمثل هذا المثل ولو غيرت هذه الالفاظ ~~لو غيرت هذه الالفاظ~~ لم يسم مثلا **الفصل الرابع**
في الاستعارة وفيه ثلثة اركان **الركن الاول** في حقيقتها واحكامها وفيه ابحاث **البحث الاول** اجود ما
قيل في حد الاستعارة انها استعمال اللفظ في غير ما اصطلح عليه في اصل المواضعة التي بها التخاطب
لاجل المبالغة في التشبيه فالقيد الاول احترزنا عن الحقايق الثلث اللغوية والعرفية والشرعية وبقولنا
لاجل المبالغة في التشبيه عن ساير وجوه المجاز واعلم ان المستعار وان كان صفة اللفظ الا انه صفة للمعنى اولا
فان المعنى ~~ولانه المعنى اولا~~ يعار ثم بواسطته يعار اللفظ بيانه من وجهين احدهما انه حيث لا يكون
نقل الاسم تابعا لنقل المعنى تقديرا لم يكن ذلك استعارة كالاعلام المنقولة فانك اذا سميت انسانا
يزيدا ويشكر فانه لا يقال لهذه المعاني مستعارة اذ لم يكن نقلها تبعا لنقل معانيها تقديرا الثاني
ان العقلاء يحكمون بان الاستعارة ابلغ من الحقيقة فان لم يكن نقل الاسم تبعا لنقل المعنى لم يكن فيه
مبالغة اذ لا مبالغة في اطلاق الاسم المجرد عاريا عن معناه **البحث الثاني** الفرق بين الاستعارة والتشبيه
ان التشبيه حكم اضافي يستدعي مضافين وليس الاستعارة كذلك فانك اذا قلت رايت اسدا لم تذكر شيئا
اخر حتى تشبهه بالاسد فلم يكن ذلك تشبيها بل اعطاء المعنى لفظا ليس له لاجل المشابهة بينه وبين معناه
الاصلي وما هو لاجل شيء اخر لا يكون نفس ذلك الشيء واعلم انه متى قويت المشابهة بين الشيئين كان التصريح
بالتشبيه قبيحا وذلك لقرب التشبيه من حقيقة المشبه به مثاله اطلاق لفظ النور على العلم والايمان
والظلمة على الكفر والجهل فلا يحسن ههنا لقوة المشابهة ان تقول العلم كالنور والجهل كالظلمة فالاستعارة انما
يحسن حيث يكون التشبيه متقررا بين الناس ظاهرا فاما اذا خفي واحتاج الى كلفة فلا بد من التصريح فانك
لو قلت في قوله مثل المومن كمثل النخلة رايت نخلة واردت المومن كنت كما قال سيبويه ملغزا تاركا للكلام
العرب **البحث الثالث** في ترشيح الاستعارة وتجريدها اما ترشيح الاستعارة فان يراعي جانب المستعار
وتوليه ما يستدعيه وتضم اليه ما يقتضيه كقول كثير رمتني بسهم ريشه الكحل لم يضر فاستعار الرمي للنظر
وراعى ما يستدعيه فاردفه بلفظ السهم وقول امرئ القيس فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا وناء
بكلكل لما جعل لليل صلبا قد تمطى به اردفه بما يقتضيه من الاعجاز والكلكل واما تجريدها فان يراعي جانب المستعار له
كقوله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وكقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف لو نظر الى المستعار
هنا لقيل فكساها لباس الجوع ولقال زهير لدى اسد وافي المخالب او البراثن **البحث الرابع** في
الاستعارة بالكناية وتنزيلها منزلة الحقيقة واما الاستعارة بالكناية فهو ان يذكر بعض لوازم المستعار للتنبيه
عليه دون التصريح كقول ابي ذويب واذا المنية انشبت اظفارها فكانه حاول استعارة السبع للمنية لكنه لم
يصرح بها بل ذكر بعض لوازمها تنبيها بها على المقصود واما تنزيلها منزلة الحقيقة فاعلم انهم قد يستعيرون

الوصف للشيء المعقول ويجعلون ذلك كالثابت لذلك الشيء في الحقيقة وكان الحقيقة لم يوجد وذلك
كاستعارة العلو لزيادة الرجل على غيره في الفضل ثم وضعهم الكلام وضع من يذكر علوا مكانيا كقوله
ابي تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء فلقصدهم ههنا ان ينسى التشبيه ويرفع راسا ويجعل
الممدوح صاعدا في السماء صعودا مكانيا وهكذا اذا استعاروا اسم الشيء لغيره من نحو بدر او اسد فانهم
يبلغون الى حيث يعتقد ان ليس هناك استعارة كقوله قامت تظللني ومن عجب شمس تظللني من الشمس
فلولا انه انسى نفسه ان ههنا استعارة لما كان لهذا التعجب معنى ومدار اكثر هذا النوع على التعجب
وقد يجيء على عكس مذهب التعجب كقوله لا تعجبوا من بلى غلالته قد زر ازراره على قمر فقد تنكر كما ترى شيئا هو
من خاصة القمر فهو ينهاهم عن التعجب من بلى الكتان بسرعة ويقول انه قد زر على القمر ومن شان القمر ان يبليه
وهذا انما يتم بجزم يكون قرا لانه لو اعترف بانه ليس بقمر وانما اشبه القمر لبطل كلامه **البحث الخامس**
في شرط حسن الاستعارة واعلم ان الاستعارة انما تحسن بالمبالغة في التشبيه مع الايجاز كقوله ايا من رمى
قلبي بسهم فانفذا لا كقول ابي تمام لا تسقني ماء الملام فانني صب قد استعذبت ماء بكائي فان قوله ماء الملام
ليس فيه لذة ولو اتى بالحقيقة فقال لا تلمني لكان اوجز وقد تكون الاستعارة عامية كقولك رايت اسدا
وقد تكون خاصية كقوله وسالت باعناق المطي الاباطح شبه سيرها الحثيث وغاية سرعته
في لين وسلاسة بسيل وقع في الاباطح فجرت به **الركن الثاني** في اقسام الاستعارة وفيه ابحاث
البحث الاول الاستعارة قد يعتمد نفس التشبيه كان اشترك شيئان في وصف وهو في احدهما
ازيد فيعطى الناقص اسم الزائد كقولك رايت اسدا وتريد رجلا شجاعا وعنت لنا ظبية وتريد امراة وقد يعتمد
لوازم التشبيه وهو اذا كانت جهة الاشتراك انما تثبت كمالها في المستعار منه بواسطة امر اخر فيثبت ذلك
الامر للمستعار له مبالغة في اثبات المشترك كقوله اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فان الشمال في تصريف
الغداة على حكم طبيعتها كالحيوان المتصرف الا ان تصرف الحيوان لما كان في اكثر الاحوال باليد كانت اليد
كالالة التي يكمل بها التصريف ولما كان الغرض ههنا اثبات التصرف وهو لا يكمل الا بثبوت اليد لاجرم
اثبت للريح يدا تحقيقا للغرض وكذلك قوله اذا هزه في عظم قرن تهللت نواجد افواه المنايا الضواحك
لما شبه المنايا عند هزه السيف بالسرور وكان الفرح انما يظهر بالضحك الذي يتهلل فيه النواجد اثبت
الضحك مع تهلل النواجد تحقيقا للوصف المقصود **البحث الثاني** واعلم ان القسم الاول على اربعة
اقسام احدها ان يستعار لفظ المحسوس للمحسوس وحينئذ فالاشتراك بينهما اما في الذوات دون الصفات
او بالعكس فالاول كالحقيقة تفاوتت احادها في الفضيلة والنقص والقوة والضعف فيستعار لفظ الاكمل
في ذلك النوع للانقص كاستعارة الطيران للعدو بسرعة فيقال للعدو والسريع طيران او الطيران
والعدو يشتركان في الحقيقة وهي الحركة المكانية ويختلفان في القوة والضعف واما الثاني فكقولهم رايت شمسا

وربما انسانا يتهلل وجهه فههنا الانسان يخالف الشمس في الحقيقة مشارك لها في الوصف وكقول علي
في ذكر النبي صـ اختاره من شجرة الانبيا فان الشجرة واصل النبي يختلفان بالحقيقة لكنهما يشتركان في ان كل واحد
منهما اصل يتفرع عليه فروع وثانيها استعارة لفظ المعقول للمعقول وهو ايضا انما يكون في امرين يشتركان
في وصف احدهما اولى وهو فيه اكمل فينزل الناقص منزلة الكامل ثم ان المشتركين قد يكونان متعاندين
اما تعاند النقيضين وهو كاستعارة المعدوم للموجود عند ما لا يكون في ذلك الموجود فايدة فيشارك العدم
في عدم الفايدة فيستعار لفظه له او كاستعارة الموجود للمعدوم عند ما يكون للمعدوم اثار باقية يشارك
بها الموجود الا ان الموجود بمثلها اولى فيستعار لفظه له واما تعاند الضدين حقيقة كان او ظاهرا وهو
كتشبيه الجاهل بالميت لان الموت والحيوة للجاهل اشتركا في عدم الفايدة المطلوبة منه وهي الادراك
والعقل الا ان الموت بها اولى فيستعار لفظه لها ومنه قول علي عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وقد لا يكونان متعاندين وهو كاشتراك موجودان في وصف معقول الا ان احدهما اولى به فينزل الناقص
منزلة الزايد كقولهم فلان لقي الموت اذا لقي شيئا من الشدايد لاشتراك الموت والشدايد في المكروهية
لكن الموت اولى بها فنزل الشدايد منزلة الموت فيستعار لفظ الموت لها وثالثها استعارة لفظ المحسوس
للمعقول وهو كاستعارة لفظ النور المحسوس للحجة الواضحة واستعارة لفظ القسطاس المحسوس للعدل
ومنه قوله عليه السلام في مدح القرآن وانه حبل الله المتين وفيه ربيع القلب وينابيع العلم فاستعار
لفظ الحبل والربيع والينابيع لمعاني القرآن ورابعها استعارة لفظ المعقول للمحسوس وهو ان يجعل المعقول اصلا
في التشبيه ويبالغ في تشبيه المحسوس به كقوله فبطرها شفاء من سقام ومجها حياة من حمام فان الموضع
المنظور اليه منها لما شارك الشفاء في الالتذاذ الحاصل عنهما وكان الشفاء اولى به بالغ في تشبيه
المنظور به فاعاره اسمه وكذلك المجر وهو محل الاجتماع هو اما اقوالها او افعالها المحسوسة او شيء اخر لما
شارك الحياة في الالتذاذ الحاصل عنهما وكانت الحيوة اولى به من المجر بالغ في تشبيه المجر بها فاستعار له
لفظها **الفصل الخامس** في الكناية وفيه بحثان **البحث الاول** في حقيقتها اما حقيقتها فاعلم ان اللفظ
اذا اطلقت واريد بها غير معناها فاما ان يراد بها مع ذلك معناها او لا يراد والاول هو الكناية كقولك فلان
طويل النجاد كثير رماد القدر فقولنا طويل النجاد العرض الاصلي معناه بل ما يلزمه من طول القامة وكذلك الثاني
الاخرفان المقصود منه ما يلزمه من اطعام الخلق والتكرم عليهم فهذا هي الكناية في المفرد واما في المركب
فهي ان يحاول اثبات معنى من المعاني لشيء فيترك التصريح باثباته له ويثبته لمتعلقه كقوله ان المروة والسماح
والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج لما اراد اثبات هذه المعاني للممدوح لم يصرح بها بل عدل الى ما ترى من
الكناية فجعلها في قبة ضربت عليه ومنه قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ومثاله في جانب النفي
قول من يصف امراة بالعفة يبيت بنجاة من اللوم بيتها اذا ما بيوت بالملامة حلت فتوصل الى نفي اللوم عنها

بان

بان نفاه عن بيتها **البحث الثاني** في الفرق بينها وبين المجاز الفرق بينهما ان الكناية عبارة ان تذكر
لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود واذا افدت المقصود بمعنى اللفظ وجب ان يكون معناها معتبرا
فلم يكن قد نقلت اللفظة عن موضعها فليست مجازا مثاله انك اذا قلت فلان كثير الرماد فانت تريد
ان تجعل كثرة الرماد دليلا على جوده فقد استعملت هذه الالفاظ في معانيها الاصلية وقصدت بكونه
كثير الرماد معنى ثانيا يلزم الاول وهو الجود بخلاف المجاز فانك نقلت اللفظة عن معناها الاصلي وبالله
التوفيق **الجملة الثانية** في النظم وفيها فصول **الفصل الاول** في حقيقته اعلم ان وضع الكلام على المنهج الذي يقتضيه
علم النحو والعمل فيه بقوانينه واصوله بانك تنظر في وجوه كل باب وفروقه فتنظر في الخبر مثلا الى الفرق
بين ما اذا كان المبتدا اسما مشتقا او صريحا او فعلا ماضيا او مستقبلا وبين ادخال الالف واللام
عليه او عدمها او الفصل بالضمير وعدمه وفي الشرط والجزاء الى الوجوه التي تختلف بحسب اختلاف
كون الجملتين فعليتين او احداهما فعلية والاخرى اسمية وان كانا فعليين فينظر الفرق بين ما اذا كان الفعلان
ماضيين او مستقبلين او احدهما ماضيا والاخر مستقبلا وفي الحال اذا كان اسما او فعلا وفي
الحروف المشتركة في معنى ان يكون وضعها اليق نحو ان يجيء بما في نفي الحال او الماضي وبلا في نفي
الاستقبال وبان فيما يتردد بينهما وباذا فيما علم انه كائن وان تعرف مواضع الفصل والوصل ومواضع التعريف
والتنكير والتقديم والتاخير والحذف والتكرار والاضمار والاظهار فيضع كل شيء مكانه واعلم انه ليس اذا
حسن التنكير مثلا او التعريف او احد هذه الامور في موضع حسن في كل موضع بل انما يحسن بحسب المعنى
الذي يقصد وحاصل هذا التقرير ان النظم انما يحصل في كلمات ضم بعضها الى البعض وذلك
النظم يعتبر فيه احوال المفردات ~~واحوال انضمام بعضها اما احوال المفردات~~ واحوال انضمام بعضها الى البعض
فاما احوال المفردات فاما ان يعتبر حال دلالة الالفاظ او حال دلالة احوالها وحركاتها وسكناتها
فهذه هي اقسام الاعتبار والنظم الكامل انما يحصل اذا تخير من هذه الامور الثلثة في كل موضع ما هو
الاليق به **الفصل الثاني** في اقسام النظم ان الجمل الكثيرة اذا نظمت نظما واحدا فاما ان يتعلق بعضها
بالبعض او ليس فان كان الثاني لم يحتج ذلك النظم الى فكر في استخراجه مثاله قول علي عـ لا مال اعود
من العقل ولا وحدة اوحش من الجهل ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى وان كان الثاني فكلما كانت اجزاء الكلام
اشد ارتباطا كان ادخل في الفصاحة وليس له قانون يحفظ الحسن على وجه شتى فلنذكر بعض ما يعتبر منها
وهو عشرون وجها **الوجه الاول** المطابقة وهو الجمع بين المتضادين في الكلام مع مراعاة التقابل حتى لا يضم الاسم
الى الفعل كقوله تعـ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وقوله سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف
بالليل وسارب بالنهار وقوله تعـ تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
الوجه الثاني المقابلة وهي ان يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما ثم اذا شرطتهما بشرط وجب ان

بشرط ضد ما بهما بضده ذلك الشرط كقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فلما جعل التيسير مشتركا بين الاعطاء والاتقاء
والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين اضداد تلك الامور وهي المنع والاستغناء والتكذيب الثالث
المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحتري اذا ما نهى الناهي فلج بي الهوى اصاخت الى الواشي
فلج بها الهجر الرابع الاعتراض وهو ان يدرج في الكلام ما يتم الغرض دونه كقوله فلا اقسم بمواقع النجوم وانه
لقسم لو تعلمون عظيم وقول علي عليه السلم اما بعد فان الله تع خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم
الخامس الالتفات وهو العدول عن سياق الكلام الى سياق آخر غير مناف للاول في المعنى لم
متمم له على جهة الميل او غيره كالعدول عن الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى مالك يوم الدين اياك نعبد و
اياك نستعين او العكس كقوله تع حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقول علي ع وبنا انفجرتم عن
السرار وقر سمع لم يفقه الواعية السادس الاقتباس وهو ان تدرج كلما من القرآن او ما منه في الكلام تضمنا
كقول ابن شمعون في وعظه اصبروا عن المحرمات وصابروا على المفترضات ورابطوا بالمراقبات واتقوا الله
في الخلوات يرفع لكم الدرجات السابع التمليح وهو ان يشار في فحوى الكلام الى مثل سائر وشعر نادر كقول علي
عليه السلم في خطبة الشقشقية شتان ما يومي على كورها ويوم حيان اخي جابر الثامن ارسال المثلين وهو الجمع
بين المثلين كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل التاسع اللف والنشر وهو ان تلف شيئين
ثم تورد تفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد ما لكل منهما كقوله تع وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله ويقرب منه ان يذكر لفظا توهم انه يحتاج الى البيان فيصدع مع تفسيره كقوله تعالى يوم يأتي
لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار الاية واما الذين سعدوا ففي الجنة الاية العاشر
التعديد وهو ايقاع الاعداد من الاسماء المفردة في النظم والنثر على سياق واحد فان روعي فيه ازدواج
او تجنيس او مطابقة او مقابلة حسن جدا مثاله من النثر قولهم فلان اليه الحل والعقد والقبول والرد والامر والنهي
والاثبات والنفي ومن النظم قول المتنبي الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم
الحادي عشر تنسيق الصفات كقوله تع هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام الاية وقوله تع
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية ولا تطع كل حلاف مهين الاية والنسق في الجمل
الخطب كثير الثاني عشر الابهام وهو ان يكون اللفظ ظاهر وتاويل فيسبق الى فهم السامع الظاهر مع ان المراد
التاويل كقوله تع والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه الثالث عشر مراعاة النظير
وهو جمع الامور المتناسبة المتوازنة كقول علي عليه السلم الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته
ولا مايوس من مغفرته الرابع عشر المدح الموجه وهو ان يمدح بشيء يقتضي المدح بشيء آخر كقول المتنبي نهبت
من الاعمار ما لو حويته لهنئت الدنيا بانك خالد فاوله مدح بالشجاعة واخره مدح بعلو الدرجة الخامس عشر

المحتمل للضدين وهو ان يكون الكلام محتملا للمدح والذم على السواء كمن قال لرجل اعور ليت عينيه سواء السادس
عشر تجاهل العارف كقوله تع وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول المتنبي اريقك ام ماء الغمامة
ام خمر السابع عشر السؤال والجواب كقوله تع قال فرعون وما رب العالمين قال ربكم ورب آبائكم الاولين
الثامن عشر الحذف وهو ان يتكلف حذف حرف من حروف المعجم كما حذف علي ع الالف في خطبته
المسماة بالموقصة التاسع عشر التعجب كقوله فيا عجل المقصرين من التوبيخ في محفل القيمة ويا حسرة الظالمين
اذ عاينوا اهل السلامة العشرون الاغراق في الصفة كقول امرئ القيس من القاصرات الطرف
لو دب محول من الذر فوق الاتب منها لاثرا وقول المتنبي كفى بجسمي نحولا انني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني
الحادي والعشرون حسن التعليل وهو ان يذكر وصفان احدهما علة للاخر والغرض ذكرهما جميعا كقول علي ع
في ذم الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها بحرامها وخيرها بشرها وكقوله فان غادر العذران في صحن
وجنتي فلا عرو منه لم يزل كان غادرا واعلم ان وجوه النظم كثيرة ولما كان كثير منها لم يوجد في كلام البلغاء
من المتقدمين وانما هي صناعات تكلفها المحدثون لا جرم ذكرنا ما كان غالبا في القرآن الكريم والكلمات
النبوية وكلام علي عليه السلام والمطبوعين على الكلام من سائر الفصحاء وما احدثه المتاخرون وان كان
لا ينخرط في سلك الاولين الا انه يدل على ذكاء مبدعه وفطنة مخترعه وبالله التوفيق الفصل الثالث
في التقديم والتاخير وفيه ابحاث البحث الاول في فائدتهما اذا قدم اللفظ على غيره فاما ان يكون في النية مؤخرا
كخبر المبتدا اذا قدم عليه او المفعول اذا قدم على الفاعل واما ان لا يكون على نية التاخير ولكن على ان ينقل الشيء
من حكم الى حكم آخر مثاله ان تذكر اسمين كل واحد منهما يصلح ان يكون مبتدا والاخر خبرا فتقدم هذا تارة
وذاك اخرى كقولك زيد المنطلق والمنطلق زيد وعكسه قال سيبويه عند ما ذكر الفاعل والمفعول كانهم يقدمون
الذي بيانه اهم وهم ببيانه اعنى وان كان معا يهمانهم مثاله اذا ارادوا الاخبار عن قتل شخص خارجي لا من حيث
هو شخص معين قالوا قتل الخارجي زيد واذا صدر عن بعض الفضلاء قبيحة وارادوا الاخبار عن ذلك
قدموا اسمه على فعله لان ذكره اولا ثم نسبة الفعل اليه اوقع في النفوس من العكس فكان عند المخبر اهم والذكر
ما يهمه تقديمه ومما يهم في الاستفهام والخبر والنفي البحث الثاني في التقديم والتاخير في الاستفهام الذي يكون
عقيب حرف الاستفهام اما الفعل او الاسم فان كان الاول كان هو المشكوك في وجوده والمسئول عن
معرفته مثاله قولك ابني زيد داره فان السؤال واقع عن وجود البناء والشك في وجوده وان كان الثاني
فالسؤال واقع عن تعيين الفاعل كقولك اانت بنيت هذه الدار ثم الاستفهام قد يجيء للانكار تارة وللتقرير اخرى
والحال فيهما ما ذكرناه اما الانكار فكقوله تع افاصفاكم ربكم بالبنين اصطفى البنات على البنين والانكار هنا
للفعل فاذا قدم الاسم كان الانكار للفاعل كقولك لمن انتحل شعرا انت قلت هذا الشعر واما التقرير فكقوله
تع اخرقتها لتغرق اهلها اقتلت نفسا زكية بغير نفس فان المقصود تقرير الخرق والقتل عليه لا التوبيخ

الموم اليه فاما تقديم الاسم فكقولك انت الذي قلت زيدا فانه سوال على سبيل التقرير لتعيين القايل واعلم ان حال المفعول
فيما ذكرنا كحال الفاعل فاذا قدمت المفعول توجه الانكار الى كونه بمثابة ان يوقع به مثل هذا الفعل ولذلك قدم في
قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا وقوله اغير الله تدعون وقوله ابشرا منا واحدا نتبعه البحث الثالث في التقديم
والتاخير في حرف النفي اذا ادخلته على الفعل كقولك ما ضربت زيدا كنت قد نفيت فعلا لم يثبت انه مفعول لانك
نفيت الضرب عن نفسك لا يقتضي وقوع الضرب به ولا نفيه عنه لان نفي الخاص لا يدل على نفي العام
ولا على ثبوته واذا ادخلته على الاسم كقولك ما انا ضربت زيدا فهم من ذلك انه وقع به الضرب وكان القصد في
كونك انت الضارب والشاهد بهذه الفروق هو الذوق السليم البحث الرابع في التقديم والتاخير في الخبر المثبت
والمنفي هو كالتقديم والتاخير في الاستفهام فانك اذا قدمت الاسم فقلت زيد قد فعل اقتضى ان يكون القصد
الى الفاعل اما لتخصيص الفعل به كقولك انا كتبت في معنى هذا الامر تريد انك اختصصت بذلك دون غيرك
واما لاجل ان تقديم ذكر المحدث عنه اكد للاثبات فلذا الفعل له كقولهم فلان يعطي الجزيل فلا يقصد الحصر بل
ان يحقق عند السامع ان اعطاء الجزيل دابه وبيان ذلك انك لما ذكرت الاسم المحدث عنه والاسم لا يعرى عن العوامل
الا لحديث قد نوى اسناده اليه فاذا قلت عبد الله فقد اشعرت بانك تريد الحديث عنه فيحصل شوق الى معرفة الحديث
فاذا اوردته ذلك علمه الذهن قبول العاشق لمعشوقه فيكون ذلك ابلغ في التحقيق ونفي الشبهة وان قدمت الفعل
اقتضى ان يكون القصد الى ذكر الفعل كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه فان القصد ههنا الى ذكر القضاء
ونسبته الى الله تعالى ويعرف من ذلك حكم المنفي كقولك انت لا تحسن هذا الفعل او لا تحسن انت هذا الفعل البحث
الخامس في تقديم حرف السلب على العموم وتاخره عنه اما الاول فاذا قدمت حرف السلب على صيغة العموم
فقلت ما افعل كل كذا كان سلبا للعموم وذلك لا ينافيه الاثبات الخاص حتى لو قلت وافعل بعضه لم يكن تناقضا
اما اذا قدمت صيغة العموم على السلب صحت كل كذا ما افعله فهم منه عموم السلب وحينئذ ينافيه
قولك وافعل بعضه في العرف وعلى هذا يظهر الفرق بين الرفع والنصب في قول ابي النجم قد اصبحت ام الخيار تدعي
علي ذنبا كله لم اصنع فان نصب كل يقتضي سلب العموم ورفعه يعني عموم السلب البحث السادس في استيفاء
اقسام التقديم والتاخير واعلم انه قد يختلف حال الكلام في التقديم والتاخير اختلافا كثيرا وتحقيق الفرق بين
تقديم الكلم وتاخيرها كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فتقديم شركاء يفهم انه ما كان ينبغي ان يكون لله شريك لا من
الجن ولا من غيرهم والذم انما توجه اليهم لاثباتهم شركاء اما لو قدم الجن لم يفهم الا انهم عبدوا الجن واما انكار المعبود
الثاني غير مفهوم منه ويكون الذم انما توجه عليهم لعبادة الجن دون غيرهم فينبغي ان تلمح الفروق في تقديم بعض الكلام
على بعض وتاخيره ولنذكر مواضع حسن التقديم والتاخير اما التقديم ففي مواضع عشرة الاول ان يكون الحاجة
الى ذكره اتم والعناية به اهم كقوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن فان تقديم الشركاء اولى لاجل ان المقصود التوبيخ على جعل
مطلق الشريك لجلاله فيما او اخر الثاني ان يكون التاخير اليق باتصال الكلام كقوله تعالى وتغشى وجوههم النار

هذا

هذا
التي ما بين وما قبله من تاخير المفعول الثالث ان يكون الاول اعرف من الثاني كتقديم المبتدا على الخبر
والموصوف على الصفة فينبغي ان يبدى في قولك زيد قايم بزيد ليتوصل النفس بذكره ما يعرف الى الاخبار
عنه بما لا يعرف فيقع الفايدة حينئذ على حدها وفي مرتبتها قال الامام ولا ينقض هذا بتقديم الفعل لان
الفعل لفظ دال على ثبوت معنى لموضوع غير معين في زمان معين من الثلثة والاسناد كالجزء الذاتي
لمفهوم الفعل والاسناد امر اضافي والعقل اذا حصل له الشعور بالاضافة فلو توقف هناك ولم ينتقل
الى ما اليه الاسناد كان الاضافة مستقلا بالمعلومية وهو محال وان انتقل الى ما استند اليه الفعل وذلك الشي
هو الفاعل فاذن من ضرورة الاسناد فهم المسند اليه واذا وجب هذا الترتيب في الذهن وجب ايضا في
الالفاظ المطابقة ما في الذهن لما في الخارج واقول قد سبق ان الفعل انما قدم في الاخبار كان لاجل ان ذكره
اهم لان المقصود من ذكر الجملة الفعلية لا ذات الفاعل بل ذكر الحدث المخصوص في الزمان المعين ونسبته الى الفاعل
واذا كان كذلك جاز ان يقال ان تقديم الاعرف يكون واجبا اذا كان الكلمتان متساويتين في الاهتمام
بذكرهما واما اذا كان ذكر احدهما اهم كان تقديمه اولى الرابع تقديم الحروف التي لها صدر الكلام كحروف
الاستفهام والنفي والنهي قال الامام تحقيقه ان الاستفهام طلب فهم الشي وهو حالة اضافية
اذا ادركها العقل انتقل منها الى معروضها واذا وجب ان ينتقل منها الى معروضها وجب ان يكون في اللفظ
كذلك فيقدم ما يدل على الاضافة ويلحق بما يدل على معروضها واقول يمكن ايضا ان يكون تقديم هذه الحروف
من باب ما كان اهم وذلك ان الاستفهام والنهي والنفي معان معقولة وهي المطلوب من الجمل الداخلة عليها
الذات فكانت اهم وكانت اولى بتقديم الذكر وكذلك الادوات الدالة على احوال النسب بين اجزاء الكلام كان
ولعل وانها وكاد واخواتها وعسى وحبذا ونعم وبئس فانها تقدم لان معانيها هي المقصودة بالقصد الاول من الجمل
الداخلة عليها الخامس تقديم الكلي على جزئياته لان الكلي اعرف عند العقل وتقديم الاعرف اولى السادس
تقديم الدليل على المدلول السابع تقديم الناقص على التام كتقديم الموصول على الصلة والمضاف على المضاف اليه
لان تمام الشي لا يتقدم عليه الثامن تقديم الاسماء المتبوعة على توابعها لان التابع لا يتقدم متبوعه التاسع
تقديم المظهر على ضميره لان الحاجة الى الضمير انما هو لاجل الحاق امر من الامور بذي الضمير وذلك متاخر عن تحقق
ذي الضمير في العقل فيجب كذلك في الوضع كقولك ضرب زيد غلامه وقضى زيد حاجته العاشر تقديم الفاعل
على المفعول والمتعلقات في حكمها لانها امور تلحق الفاعل بالنسبة الى فعله فكانت متاخرة عنه واذا علمت مواضع
التقديم علمت من ذلك ما يجب تاخيره الفصل الرابع في الفصل والوصل حاصل معرفة الفصل والوصل
يعود الى معرفة مواضع العطف والاستيناف والتهدي الى كيفية ايقاع حروف العطف مواقعها وهو
باب عظيم عند البلغاء ولذلك حد بعضهم علم البلاغة فقال اذ سئل عن معناها انها معرفة الفصل
والوصل وما ذلك الا لغموضه وكون معرفته موديه للمعاني كما هي وذلك هو المقصود من علم البلاغة وتحقيق

الكلام فيه بحثين **البحث الاول** فائدة العطف التشريك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه فمن ادواته ما لا
يفيد الا هذا القدر كالواو ومنها ما يدل على زيادة عليه كالفاء وثم فانهما يدلان على التعقيب وان كانت
ثم تختص بالتراخي ومثل او فانها تدل على الترديد ولنبحث عن مطلق الاشتراك فنقول العطف اما ان يكون في
المفردات وهو يقتضي التشريك في الاعراب واما في الجمل وحينئذ فالجملة ان كانت في قوة المفرد كقولك مررت
برجل خلقه حسن وخلقه قبيح كانت الشركة في الاعراب ايضا حاصلة لكون الجملتين وصفين للنكرة وان لم
يكن فاما ان يكون احدى الجملتين متعلقة لذاتها بالاخرى او لا يكون فان لم يكن فاما ان يكون بينهما مناسبة او لا
يكون فهذه اقسام ثلثة **اما الاول** فان يكون احدى الجملتين تاكيدا للاخرى كقوله تع الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه فقوله لا ريب تاكيد للاول ولا يجوز ادخال العاطف عليه لان التاكيد يتعلق بالموكد لذاته فيستغني عن لفظ يدل
على التعلق **الثاني** ان لا يكون بينهما مناسبة اصلا وههنا ايضا يجب ترك العاطف لان العطف يستلزم
المناسبة فيلزم من عدمها عدمه **الثالث** ان يصدق المناسبة بينهما مع عدم التعلق الذاتي فههنا
يجب ذكر العاطف ثم اما ان يكون المخبر عنه في الجملتين شيئين او شيئا واحدا اما الاول فالمناسبة اما بين
الخبرين فقط او بين المخبر عنهما فقط او بينهما معا والاول والثاني لا يحصل معهما النظم لانك اذا قلت زيد طويل
والخليفة قصير مع عدم تعلق حديث زيد بحديث الخليفة اختل وكذلك لو قلت زيد طويل وعمرو شاعر اختل ايضا
لعدم المناسبة بين طول القامة والشعر فتعين ان الواجب حصول المناسبتين فاما ان كان المخبر عنه فيهما
واحدا كقولك فلان يضر وينفع ويامر وينهى ونحوه تعين دخول العاطف لانك اذا قلت هو يضر وينفع افاد
العاطف انه هو الجامع لهما بخلاف ما لو حذفته **البحث الثاني** في عطف الجمل على الجمل انه كما يجوز ان يعطف
جملة على جملة كذلك يجوز ان يعطف مجموع جمل على مجموع جمل اخر وبيان ذلك ظاهر في صورة الشرط والجزاء فانه
قد يجعل مجموع جملتين شرطا ومجموع اخريين جزاء كقوله تع ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم واذا ظهر ذلك في الشرط والجزاء ظهر مثله في العطف كقوله
تع وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر
وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فقوله وما كنت ثاويا عطف على قوله وما كنت من الشاهدين مع ما يتعلق بها
اذ لو عطفتها على ما يليها لدخلت في حكم لكن فصار التقدير لكنك ما كنت ثاويا وهو باطل ولو عطفتها على
وما كنت من الشاهدين دون ولكنا انشانا لكان في ذلك ازالة لكن عن موضعها وهو غير جايز **الفصل الثاني**
في الحذف والاضمار وفيه بحثان **البحث الاول** في حذف المفعول والمبتدا والخبر اما الاول فلان الفعل المتعدي
قد يكون المقصود من ذكره مجرد نسبته الى الفاعل وحينئذ يكون حاله كحال غير المتعدي في عدم الحاجة الى المفعول
والتعرض له كقولك فلان يحل ويعقد ويامر وينهى ويضر وينفع وقوله تع هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وقد لا يحصل مع ذلك في ذكره النسبة الى المفعول الا ان الفعل يحذف لاحد غرضين احدهما ان يكون المقصود

ذكره لكن يحذف لابهام التعظيم والتفخيم كقول البحتري شجو حساده وغيظ عداه ان يرى مبصر ويسمع
واع فان المرئي والمسموع ههنا لا بد وان يكون شيئا معينا فحذفه واوهم بذلك ان كل ما يرى منه ويسمع
عظيم وانه قصد شجو حساده وغيظ عداه ومن ههنا يحصل البلاغة ولو ابرز ذلك المفعول المعين
لما حصل ذلك التعظيم الوهمي لتخصيص الذهن التعظيم بالمفعول المذكور دون ما عداه وقد يكون ذكره
المفعول اولى وابلغ وذلك اذا كان امرا عظيما بديعا كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته لما كان بكاء
الدم امرا عجيبا كان ذكره اولى الثاني ان يحذف للعلم به كقول علي عليه السلم ان اشتق لها حزم اي لفهها وان اسلس
لها اي مادها تقحم اي لها لك الثالث ان يجيء على شريطة التفسير كقوله اكرمني واكرمت عبد الله واما
المبتدا والخبر فقد ورد حذف كل واحد منهما نادرة اما المبتدا فكقوله تع سورة انزلناها واما الخبر فقوله تعالى
طاعة وقول معروف وامثاله كثير وقد حكم بحسن ذلك البلغاء قال عبد القاهر رحمه الله ما من اسم حذف
في الحال التي ينبغي ان يحذف فيها الا وجدته احسن من ذكره حسنها في المواضع التي يفهم عنها البلاغة
البحث الثاني في الايجاز وحده التعبير عن الغرض باقل ما يمكن من الحروف من غير اخلال مثاله قوله تعالى
ولكم في القصاص حيوة وذلك كان المثل يضرب بقولهم القتل انفى للقتل الى ان وردت هذه الاية والترجيح
للاية ظاهر من وجهين احدهما انها اوجز فان حروفها عشرة وحروف المثل اربعة عشر الثاني ان القتل
قصاص لا ينفي القتل ظلما من حيث انه قتل بل من حيث انه قصاص وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم
ولها ترجيحات اخر لا نطول بذكرها ومن ذلك قول علي عم قيمة كل امرئ ما يحسنه وقوله المرء عدو ما جهله وقوله
الجزع اتعب من الصبر وقوله تحصنوا بالحجزا **الفصل الثالث** في احكام ان وانما وما في حكمها وفيه ابحاث
البحث الاول في فوايد ان وهي اربع الاولى انها تربط احدى الجملتين بالاخرى فيحصل النظم كقوله تعم
يا ايها الناس ان وعد الله حق وقوله تع اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقال علي عم ايها الناس
انه لا يستغني الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته وقوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه
الله على نفسه فلو اسقطت ان في هذه المواضع لذالت المناسبة التي كانت بين الجملتين معها واعلم
انك متى اسقطت ان من الجملة الثانية فان كانت انما ذكرت لتعليل الحكم في الشان العقب بالجملة الاولى
وغيرها من الحسن والمزية ما لا تجده عند عدمها كقوله تع انه من يتق ويصبر وقول علي عم ايها الناس انه
لا يستغني الرجل كما ذكرناه الفايدة الثانية انها تهيء النكرة لان يحدث عنها كقوله عم ان من احب عباد الله
الى الله عبدا كما مر ولو اسقطتها لسقطت الحسن والبلاغة وقد يسقط المعنى اصلا كما لو اسقطتها من قول
الشاعر ان شواء ونشوة وخبب البازل الامون الفائدة الرابعة اذا دخلت على الجملة فقد تغني عن الخبر
كقولك ان مالا وان ولدا على تقدير ان لهم مالا وكقول الاعشى ان محلا وان مرتحلا وان في السفر اذ مضوا
مهلا والحق انها للتاكيد النسبة واذا كان الخبر اما ليس للمخاطب ظن او وهم في خلافه فلا حاجة

الاول ان ... البعض ... الفاء كقوله ... تلك ... الثانية ... الثالثة ... ٣

الى ان هنالك ولذلك يزداد حسنا اذا كان الخبر امرا يبعد مثله وقد يجمع مع اللام للتاكيد في خبرها اذا كان
في جواب المنكر لشدة الحاجة هناك الى التاكيد **البحث الثاني** في فائدة انما اتفق جمهور النحاة على انها للحصر
وهو المفهوم منها مثاله قول علي ع وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق وكقوله عليه السلام
انا لم نحكم الرجال وانما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان
وانما ينطق عنه الرجال ومراده بالحصر في هذه الصور ظاهر وقال بعضهم انها ليست للحصر محتجا بقوله
تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبقوله انما المؤمنون اخوة مع ان الاجماع على ان من لم يوجل
من ذكر الله قد يكون مؤمنا وان الاخوة غير منحصرة في المؤمنين والجواب ان منشا الشك هو الغفلة عن
ضابط الحصر وضابطه ان الجزء الاخير من الكلام الوارد عقيب انما هو المخصوص بحصر الحكم فيه سواء كان هو
الموضوع كقولك انما قام زيد فان المقصود حصر القيام في زيد او كان هو المحمول كقوله تع انما انا بشر مثلكم
فان المقصود حصر النبي في البشرية ونفي كونه غير بشر واذا تبين ذلك ظهر انها في الصورتين المذكورتين
تفيد الحصر اما في الاولى فلانه يجوز ان يكون المقصود من الايمان هنالك اقوى مراتبه وهو الاخلاص
وحينئذ تبين ان المؤمنين منحصرون في الوجلين من ذكر الله واما في الثانية فلان المؤمنين منحصرون
في صفة الاخوة في الدين كما هو المقصود من الاخوة ههنا واعلم انه قد يستعمل في مفهومها عبارتان
آخرتان احداهما قولك جاءني زيد لا عمرو وهو اضعف منها لانه انما يفيد حصر المجيء في زيد بالنسبة الى من
اخرجه حرف النفي الثاني ما جاءني الا زيد ومفهومها مفهوم انما في الحصر والتخصيص لقوله تع ما قلت لهم الا ما
امرتني به وفرق الامام بينهما فقال ان دلالة انما على نفي غير المذكور بالالتزام ودلالة ما والا على نفي الغير بالمطابقة
فكانت اقوى في ذلك من دلالة انما ولذلك يصح ان يقال انما زيد قائم لا قاعد ولا يصح ان يقال ما زيد الا قائم لا قاعد
واقول ان صح ما ادعاه من عدم الصحة في الصورة الثانية كان للمانع ان يمنع تعليل ذلك المنع بكون ما والا دالة
على نفي الغير بالمطابقة ويصرف ذلك القبح الى قرب لا المقتضية لنفي الغير الى الا المقتضية للحصر وبعدها عن
انما فكان التاكيد عقيب انما حسنا لطول الزمان بينهما على انا لا نسلم عدم الصحة ههنا بل لو ورد التاكيد
وان كان عقيب انما احسن وقد يستعمل في مقام الا لمفيد الحصر وقد لا يكون كذلك كقولك ما جاءني غير زيد
تريد نفي مجيء الغير فقط دون اثبات زيد **البحث الثالث** ان ما والا اذا دخلت على الجملة كان المقصود بالحصر فيه هو ما يلي
الا بعدها سواء كان مرفوعا كقولك ما ضرب زيدا الا عمرو او منصوبا كقولك ما ضرب زيد الا عمرا وهكذا
ان كان المنصوب حالا او ظرفا فان تأخر مثلا الفاعل والمفعول معا عن الا فالمقصود هو ما يليها ايضا
كقولك ما ضرب الا زيد عمرا وكذا لو قدمت المفعول على الفاعل فهو المقصود وهكذا حكم المفعولين كقولك
لم اكس الا زيدا جبة فالذي يلي الا هو المقصود بالتخصيص وهكذا المبتدا والخبر اذا اخرا عن الا فهو المراد بالتخصيص
كقولك ما زيد الا قائم فالمراد تخصيص هيئة القيام دون سائر الاحوال وما القائم الا زيد فهو تخصيص لزيد

دون عمرو واما تحقيق ذلك في انما فاما في الفاعل والمفعول فايهما اخرته عن صاحبه فهو المقصود ايضا
كقولك انما ضرب عمروا زيد فالمقصود تخصيص زيد ومنه قوله تع انما يخشى الله من عباده العلماء
ولو قدم العلماء لكان المقصود تخصيص خشية الله وكذا الحال في المبتدا ان تركته على حاله فالاختصاص
للخبر كقوله تع انما السبيل على الذين يستاذنونك وان اخرته عن الخبر صار التخصيص له كقوله تعالى فانما
عليك البلاغ وعلينا الحساب فان التخصيص في الاول للخبر وفي الثاني للمبتدا. هذا بحسب المتبادر
الى المفهوم من ذوق العربية والله الموفق **القاعدة الثانية** في الخطابة وفيه ابحاث وخاتمة **البحث**
الاول في حقيقة الخطابة وفائدتها الخطابة صناعة يتكلف فيها الاقناع الممكن للجمهور فيما يراد ان يصدقوا
به وقولنا يتكلف فيها الاقناع اردنا انه يتعاطى فيها هذا الفعل المخصوص بالغ قصد لهم والاقناع الممكن هو
الفعل الذي يتكلف واردنا به ما يمكن من الاقناع والخطابة في الاقناع انجح من غيرها وفائدتها في تقدير
المصالح الجزئية وقد يعد اصلاحها القوانين الكلية لتلك المصالح كالعقائد الالهية والقوانين العملية
وهي عظيمة النفع جدا لان الاحكام الصادقة مما هو عدل وحسن اتم نفعا واعود على الناس فائدة واعم
جدوى من اضدادها لان نوع الانسان انما هو مستبقى بالتشارك والتشارك محوج الى التعامل والتحاور
وهما محوجان الى احكام صادقة في الامور العملية ليثق كل بصاحبه وينتظم شمل المصلحة منهم وباضداد الاحكام
الصادقة تتشعب فيحتاج ان يكون هذه الاحكام مقررة في النفوس متمكنة من العقائد والخطابة هي الكفيلة
بحمل الجمهور على التصديق بها فان البرهان والجدل وان افاد بهما التصديق الا ان الجمهور قاصرون عن درجة
البرهان والجدل وان كان صناعة ضعيفة بالقياس الى البرهان فهو ايضا يسير الفائدة للعامة لصعب
القياس الى فطنهم وهم عاجزون عن قبوله والمخاطبة التي يحسن ان يلقاها العامي بعامة ينبغي ان يكون
من الجنس الذي لا يرتفع عن مقامه ارتفاعا بعيدا ولا يكون بالفاظ غير ركيكة عامية ولا متينة
[illegible] عن فهمه كما سنذكره ان شاء الله وقد اشار التنزيل الالهي الى هذه الصناعة في قوله ادع الى
سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن فسبيل ربك هو الدراية الحقيقية والحكمة
هي البرهان وذلك لمن يحمله والموعظة الحسنة هي الخطابة وهي لمن قصر عن درجة البرهان وجادلهم
بالتي هي احسن اي بالمشهورات المحمودة واخر الجدل عن الصناعتين لانهما مصروفتان الى الفائدة
والمجادلة مصروفة الى المقاومة والغرض الاول من المخاطبة انما هو الافادة والغرض الثاني هو مجاهدة
من ينتصب للمعاندة فاذن الخطابة صناعة وافرة النفع في مصالح المدن وبها تدبير العامة وينتظم احوالهم
البحث الثاني في موضوع الخطابة واجزائها ليس للخطابة نظر في موضوع معين وذلك لان العامة لا
يهتدون الى تمييز بعض الموضوعات عن بعض اذ كان تخصيص الكلام في موضوع معين مبني على مبادي
لموضوع ذلك الموضوع وحده لا يعرفها العامي ونظر الخطابة بالذات في الجزئيات من اي مقولة اتفقت

ولا يحصر حدا دون الاخر يقصد بها الاقناع من اي جزئي اتفق على ان لها ان تنظر في الامور الكلية
من الالهيات والطبيعيات والخلقيات والسياسات والخطابة لها اصول ومتممات تتممها وتعين عليها
اما الاصول فهو القول الذي نطق به لذاته بعد اما عاوا اما المتممات فحلها يرجع الى حرف واحد وهو انه لما كان
الغرض من الخطابة ليس الا الاقناع كان لكل مقنع مناسب الغرض منها فهو من متمماتها والامور المقنعة اما
قول يراد بها صحة قول آخر كالقول الذي يقصد به الخطيب تقرير فضيلة عند السامعين او القول الذي
يروم به اثبات ان الشهادة مقنعة او كون المعجز حجة واما شهادة واما حيلة اما الشهادة فاما قولية واما
حالية اما القولية فكالاستشهاد بقول نبي او امام او حكيم او شاعر وتسمى شهادة ماثورة او الاستشهاد
باقوال قوم يحضرون فيصدقون قول القائل ان الامر كان او الاستشهاد وبشهادة الحاكم والسامعين بان
القول مقنع وتسمى شهادة محضورة واما الحالية فاما ان يدرك بالعقل او بالحس والاولى مثل فضيلة القائل
واشتهاره بالصدق والتميز واما الحال التي يدرك بالحس فاما بواسطة القول او بدونه اما الاول فكا
لاستشهاد بالمعجز عقيب التحدي على صدق قول المدعي وكشهادة حال الحالف عقيب يمينه على قبول الحلف
وكشهادة حال المعاهدين على قبول اقوالهما بعد وضع العهود التي هي اقوال مدونة مكتوبة واما الحال المذكور
بالحس عن غير القول فاما احوال تتبع انفعالا نفسانيا كشهادة تحنن وجه المخبر ببشارة على قبول قوله او شهادة
تخنق المدعو الحالف المخبر عن نزول عذاب او حلول آفة على قبول قوله او يكون طاريه من خارج كشهادة
جراح القائل او غيره على تقدم العدو للحرب واما الحيلة فعدا الانداد والاعداد اما القائل بحيث يكون مقبول
القول او القول بحيث يصير انجح وانفع او السامع بحيث يكون اقبل فاما القائل فان يتكلف الاستشهاد على
فضيلة نفسه والدلالة عليها او يتهيأ بهيئة وربما بصورة تجعل مثله مقبول القول واما القول فان يحسن فيه
نصر مقداره برفع بصوته وتارة بخفضه وتارة بثقله وتارة بلينه وبحدته ويلحظ في ذلك حال من يقصد اتمامه
كما سيأتي في الترجيحات واما السامعون فاما مخاطب بالقصد الاول واما حاكم يحكم بين المخاطبين واما نظارة
اما المخاطب فيحتاج ان يستعطف ويستمال ويحرج الى تصديق القائل وكذلك الحاكم واما الناظر فيكفي فيه ان يهيا
بالحيلة بهيئة منعه عن مصدق وان لم يقع له التصديق والمؤثر الحاصل المستتبع اما انفعال كالرقة والرحمة في
الاستعطاف والقساوة والغضب في الاغراء واما ايهام خلق كايهام الشجاعة او السخاوة او غيرهما تمثلا لامر الى ان
الاقوال الخطابية التي يقصد بها التصديق ثلثة اصناف اصل ويسمى عمودا وهو القول الذي يراد به التصديق نفسه
والثاني النصرة وهي القول الذي ينصر به ما له التصديق كالشهادة والثالث الحيلة وهي قول يعاد به انفعال
او ايهام خلق وهما متممان للاصل فهذه اجزاؤها **البحث الثالث** في مبادي الخطابة واعلم ان مبادي الاقوال
الخطابية ثلثة احدها المشهورات المحمودة وهي اما حقيقية اتفق عليها الجمهور وطابقت عليها الشرايع والسنن
وهي التي اذا تعقبت بالنظر لم يزل حمدها وان اطلع على كذبها كحسن الصدق وقبح الكذب والظلم وغيرها واما

محمودة ظاهرة في بادي الراي وهي التي تعارض الذهن فيحكم بصدقها قبل التفطن لها فاذا تعقبت زال
حمدها لظهور كذبها وشنعتها كقوله انصر اخاك ظالما او مظلوما وهذه اعم من التي قبلها اذ كل محمود حقيقي
محمود في الظاهر ولا ينعكس واستعمال الخطابي للاولى لا من جهة كونها حقيقية بل لكونها ظاهرة واما
محمودة بحسب قوم او شخص شخص وينتفع بها في مخاطبتهم ومثل هذه وان نفعت في الخطابة الا انها لا
تكون عمدة في صناعة الخطابة لكونها غير متناهية او غير مضبوطة فان كل شخص يرى ما يهوى ويختلف
الارا بحسب الاهوا وثانيها المقبولات اما عن جماعة او عن نفر او عن نبي او عن امام كالشرايع والسنن
او عن حكيم كالطب المقبول عن جالينوس وبقراط او عن شاعر كابيات تورد شواهدا او يكون مقبولة فقط
من غير ان تسند الى مقبول منه كالامثال المضروبة وثالثها المظنونات وهي الاحكام التي تتبع الانسان
فيها غالب الظن من دون جزم العقل بها كقولك زيد يدار العدو جهارا فهو عدو وربما يكون مقابله
مظنونا كقولك زيد يدار العدو جهارا لخدعة فهو صديق واما تاليفات هذه فهي بالنظر منتجة او
مقنعة بحسب المواد والصور معا ويستعمل القياس والتمثيل والاستقراء وما يشبه الحلف فيها اما القياس
فيسمى ضميرا لحذف كبراه وتفكيرا لاشتماله على اوسط يستخرج بالفكر وهو اما على هيئة الشكل الاول كقول
علي عليه السلام مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة فان تقدير
الكبرى وكل من كان كذلك ظفر بالعقبى الدائمة ويسمى هذا دليلا واما على هيئة الشكل الثاني كقولك فلان
لا ايمان في صغر فليس من العشاق فان تقدير الكبرى ولا واحد من العشاق كذلك او على هيئة الشكل الثالث
كقولك العارف شجاع جواد فالشجاع جواد لان تقدير الكبرى العارف جواد ويسمى ما كان على هيئة هذين
الشكلين علامة والقياس الظني قد لا يكون منتجا في نفس الامر اذ ليس من شرط الخطابة ان يكون على هيئة منتجة
كو حسن في الشكل الثاني كقولك هذه منتفخة البطن فهي اذن حبلى وتقدير الصغرى والحبلى منتفخة البطن
ويسمى هذه رواسم لرسمها في الذهن ظنا ما واما التمثيل فيسمى اعتبارا لعبور الذهن من المشبه به الى المشبه
ويسمى المنتج منه بسرعة برهانا واستعمال التمثيل والقياس يسمى تثبيتا والتمثيل اما ان يكون باصول متفق
على القياس عليها سواء كانت امورا موجودة او حوادث ماضية او امثالا مضروبة سايرة واما ان لا
يكون كذلك بل امور يخترعها الخطيب كمثل وحكاية اما ممكنة او غير ممكنة والاول كالاستشهاد علي عليه السلام
في تحذير اصحابه من الدنيا بالقرون الماضية واحوالهم واما الثاني فالممكن كما يقول المشير على صديقه
لا تعاشر الجهال فاني عاشرتهم فندمت وقد لا يكون عاشرهم واما غير الممكن فكالاستشهاد على
باقوال الحيوانات الموضوعة في كتاب كليلة ودمنة وامثاله واما الاستقراء فيقع فيه تجوزات كثيرة كقولك
لم يشر عليه حصل السيادة وحصل الفضيلة لان فلانا وفلانا فضلوا فسادوا وقد يعرف في كلام علي عليه السلام
كثيرا واما ما يشبه الحلف فكمثله عليه السلام من ذم عثمن بقوله لو امرت به لكنت قاتله فانه اراد تقرير عدم

الامر بابطال لازم الامر وهو كونه قاتلا المستلزم لابطال الامر المستلزم لاثبات المطلوب وهو عدم الامر
وكذلك النوع كقوله عليه السلم في مدح العلماء في اختلاف العلماء اقارهم الله سبحانه بالاختلاف
قاطع فانه اراد بيان عدم صحة اختلافهم بابطال امر الله اياهم المستلزم لابطال نقيض المطلوب وهو
صحة الاختلاف والمقدمة التي من شانها ان تصير جزء حجة تسمى موضعا وحقها ان لا تكون دقيقة علمية
ولا واضحة تستغني عن ذكرها كالضروريات والقوانين التي يستنبط منها المواضع تسمى انواعا والبحث في
الخطابة عن الضروريات اولى بل انما يبحث فيها في الاكثر عن الاكثريات والراي قضية كلية ينتفع بها في امور
علمية تختار او تجتنب وساير الاراء اراء مثلها الا انها غير مقنعة ما لم يقرن اليها العلة كقولك لصديقك
مثلا لا تحرص في جمع المال فانه لا يقبل ما لم تقل مع ذلك لانك تشقى بجمعه في الاخرة خصوصا اذا كان والراي
شنيعا كقولك لا تحصل الفضايل فانه ما لم يقرن بالعلة كقولك لا تحصل ذلك فالراي ما ان لا يحتاج الى كلام
يقرن بها لظهوره في نفسه او عند اهل العقل او عند المخاطب او يحتاج الى ما يقرن به ليؤدي الى المطلوب
وحينئذ فالقرينة اما تتمة الراي او ما يحجه فان كانت متممة الراي كقولنا الاصدقاء ناصحون فصديقك
زيد ناصح فالضمير المقنع ههنا ليس الراي وحده بل مع متممه وهو جزء من الضمير وان كان ما ضم اليه لم يستنتج
كقولك لا تكتسب الفضايل فمحكان الراي هو الضمير القريب فانه المقنع لذاته وبالله التوفيق البحث الرابع
في اقسام الخطابة بحسب اقسام اغراضها واعلم ان جميع المفاوضات الخطابية ثلثة مشاورة ومنافرة ومشاجرة
ولكل واحد من هذه الاقسام غرض خاص اما المشورة فهي مخاطبة يراد بها الاقناع في ان الامر الفلاني
ينبغي ان يفعل لنفعه وان الامر الفلاني لا ينبغي ان يفعل لضرره واما المنافرة فمخاطبة يراد بها الاقناع
في مدح شيء بفضيلته او ذمه بنقيصته واما المشاجرة فمخاطبة يراد بها الاقناع في شكاية ظلم او اعتذار
بانه لا ظلم وربما لم يقع الاعتذار في وقوع الامر نفسه ولكن في كونه نافعا او ضارا او ظلما او غير ظلم كاعتذار الظالم
او من يتصور بان الذي عمله ليس بظلم او اعتذار المذموم بان الذي فعله ليس بنقيصة او انه فضيلة لما المشورة
فلان المشورة انما هي مشورة بسبب اقناعها في امر هو نافع بالحقيقة فانه قد لا يكون نافعا بالحقيقة ولا
عند المشير لكنه ان يبين انه نافع لزم الاقناع به فيكون المخاطبة مع ذلك مشورة وقد لا يكون المشورة
بالنافع والذم بالضار بل انما كان المدح بالضار كاقتحام الاذى والضرر وركوب الاهوال للذكر الجميل
فانه يشار به ويمدح فاعله ويعظم كالذين يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكثيرا ما يمدح العاقل
بايثار الموت على الحيوة والامور المشورية عظيمة يبتنى عليها الشرائع والسنن والسياسات واقسام الامور
المشورية العظيمة القائمة النفع دون الجزئيات النافعة بحسب احوال الاشخاص خمسة العدة والحرب والسلم
وحماية المدينة ومراعاة امر الدخل والخرج وتفريع الشرائع ووضع المصالح فالخطيب المشير في امر العدة
ينبغي ان يكون بصيرا بمحل ارتفاع المدينة وكيفية وكمية النفقات اذا جرت على القسط ليوازي الدخل

بل الجميل الذي ربما كان في العاجل
ضارا وله نفع من جهة اخرى وكذلك
المدح والذم لا يلاحظ فيهما ايضا النافع
صح

بحد مع

والخرج

الخرج والسعي في البطالة عن حرفه تعود بسعة المدينة وبالحجر على السرف وتوقيفه على القدر العادل
وبحفظ تجربيات الاخبار وبالعوايد التجربية لانها تذاكير وامثال وعلى المشير في امر الحرب بعد ان يكون
البصيرة بانواع الحروب وسماع اخبار المتقدمين من حرب مدينته وما يليها ورسومهم ومذاهبهم
ان يحيط علما بخبر مدينته ومحارسها وعدتهم وعددهم ودربتهم بالحرب وعاداتهم ونقاء دخيلة قومه
وصفاء نيتهم او ضد ذلك وتوقع نظيره عليهم في كل وقت وبقياسهم الى مقاتليهم وان يعتبر
الجزئيات السالفة فان الامور في اشباهها ويحذو اخذوا اشكالها فانه يستنبط من هذه الاحوال
مقدمات ينتفع بها في المشورة واما المشير في حفظ المدينة فينبغي ان يعلم انواع الحفظ لانواع
البلاد المختلفة سهليتها وجبليتها وبريها وبحريها وما يحيط بها ومواقع المسالح قربا وبعدا
والمدارج المخوفة والتي يرتادها المغتالون فيسيرون فيها بالارصاد فان ذلك قد يقف عليه من لم
يشاهد المدينة وان يعرف عدد الحفظة والرصدة وشانهم ليميز ثقاتهم ويبدل خائنيهم بالناصح
وان يعرف الحاصل من القوت وما يحتاج الى جلبه واعداده من خارج المدينة فان القوت وما يجري
مجراه اذا انحسمت مادته لم يمكن حفظ المدينة وتدبيرها فينبغي ان يكون المشير عارفا بمقدار حاجة كل الى كل
وباحوال اهل الفضايل والثروة منهم فيشير بما ينبغي ان يستعان به فيه من اهل الفضايل وما ينبغي ان يستعان
به فيه باهل الثروة فيما يتعلق بامر المصلحة واما الخامس فهو المشورة في امر السنن وهو من اعظم الابواب
خطبا واحوجها الى فضل قوة الخطابة وعلى الانسان ان يحقق عدد انواع الاشتراكات المدنية وما يتولد
من تركيبها وان يعلم ما يناسب كل امة من الاشتراك بحسب عاداتها والاسباب الحافظة لذلك الاشتراك
والقاسمة له وفساد المدينة التي لم يحكم تدبيرها انه من احد امرين اما عنف المدبرين لهم في الحمل على الواجبات
او من اهمالهم ومسامحتهم فينبغي ان يكون المشير بصيرا باصناف السياسات وما يعرض لكل واحد منها من العوارض
وما يؤول اليه كل واحد منها فيضع كل واحد منها في موضعه فلا يستعمل القهر والغلبة في موضع الرفق ومراعاة
مصلحة المرؤسين لاكرامهم وتعظيمهم ولا بالعكس فلا يحصل هناك قانون ناظم فقد عرفت بما ذكرنا
المواضع التي منها تنتزع المقدمات المشورية في الامور العظام ومداميين على وضع السنن وتفريعها تأمل
فقصص المحسنين واحوالهم واما الامور المشورية النافعة بحسب احوال شخص شخص فهي وان كان غير مضبوط
الا ان جميعها يشترك في انها يقصد بها اصلاح الحال كان بالحقيقة او بالظن ونعني بصلاح الحال
هو الفعل الممكن عن فضيلة النفس ولسداد العمر مشفوعا بمحبة القلوب وتوفر الكرامة من الناس وفي
رفاهية وطيب عيش ووقاية وسعة ذات اليد في المال والعقد ومكن من استدامة هذه الاحوال والاستزادة
منها واما اجزاؤه فمنها ما ينسب الى الخير ومنها ما ينسب الى الشر اما الخيرية فاما بدنية كزكاء الاصل وكثرة
الاخوان والاولاد وصلاحهم واليسار والانعام والقوة والصحة والجمال والفصاحة وجميل الاحدوثة والجاه

المقاتلة

والبحث واما نفسانية كالعلم والذكاء والزهد والشجاعة والعفة وحسن السيرة والاخلاق المرضية وحصول
التجارات والصناعات فعلى الخطيب ان يشير باعداد هذه الانواع وكذلك ما ينسب الى النافع وهو
كل ما يوصل الى شيء من الخيرات كالجد والطلب وتحصيل الاسباب والوسايل وانتهاز الفرص ومواتاة الحظ
واما الامور الشرية فهي ما يقابل هذه وعلى المشير ان يشير باجتناب عللها وما يعوق عن الخيرات كايثار اللذة
والكسل واللهو والبطالة وفوات الاسباب وضياع الفرص وسوء التوفيق وكذلك قد يحتاج الخطيب الى اعداد
مقدمات في ان هذا الخير افضل وان هذا النافع انفع كالحكم بان افضل الخيرات اعمها وادومها واكثرها
نفعا واولاها بالقصد لنفسه واعزها واعظمها واشهرها واكثرها استتباعا للخيرات واكثرها استلزاما للحاجة
اليه واكثرها استلزاما للرغبة الجمهور والاكابر فيه وكذلك يحتاج الى مقدمات بعدها في ان هذا الشر اضر
كالحكم بان اشر الشرور اعمها وادومها واولاها بالهرب منه واكثرها استتباعا للشرور ويحسن ان يستكثر من
ضرب الامثال وايراد النوادر واقتصاص احوال الماضين واما المنافرات وهو باب المدح والذم فعلى الخطيب
تحصيل الانواع النافعة في المدح والذم المتعلقة بالفضيلة والرذيلة واجزاء الفضيلة هي البر والشجاعة والعفة والمروة
وكبر الهمة والسخاوة والحلم والثبات واللب والحكمة وقد يلزم بعض هذه خيرات متعدية الى غير الفاضل كالخير
المتعدي من البر والشجاع والسخي الى غيرهم واجزاء الرذيلة اضداد ما ذكرنا كالجور المقابل للبر والجبن للشجاعة والفجور
للعفة والدناءة للسخاء والسفالة لكبر الهمة والنذالة للمروة والطيش للثبات والبلاهة للب فهذه هي الفضائل
والرذائل وما عداها فاسباب لها وعلامات عليها مثلا كايجاب العفة والخشية من الله فهو العلم
وطلب الذكر الجميل للعدل وايجاب الاحتياج والوثوق بان لا مقاوم له وعدم المبالاة بالعاقبة وامثالها
للجور وكذلك في ساير الاسباب وكالانفعالات اللازمة للعادل عن لزوم العدل حتى يحل شدة العذاب
مثلا في انتزاع ما في يده من الامانة ولا يسلمها الى غير ربها ومن المدائح ايضا مقاومة الاعداء والانتقام
منهم والجزاء على الحسنة والسيئة ومن مدائح الشجاع الغلبة والكرامة وان يفعل افعالا لا تذكر وحشو نسبها تخليد
لتعظيمها فيرثها الاعقاب ومن المدائح ايضا علامات تخص الاشراف بها كارسال الشعر العلوي
وطرح العالم فان ذلك من علامات شرفهم ومن الممدوحات ايضا الاستغناء عن الناس في اي باب كان
وقد يذكر المدح على سبيل الترويج والمغالطة فيعبر عن الرذيلة بعبارة ينظمها في سلك الفضيلة اذا كانت
قريبة من الفضيلة او كانا تحت حكم يعمهما وهذا كما يحتاج الخطيب الى مدح الناقصين فيجعل القدر
المشترك بين الفضيلة والرذيلة مكان الفضيلة فيمدح المتجبر بانه حسن المشورة والفاسق بانه لطيف العشرة
والغبي بانه حليم والغضوب بانه مستول الاجل الغافل عن اللذات بانه عفيف والمشهور بانه شجاع والماجن
بانه ظريف والمبذر في الشهوات بانه سخي وفي عكس ذلك اذا قصد ذم الفاضلين فيذكر الفضيلة في معرض الرذ
فيذم لطيف العشرة بالفسق والحليم بالغباوة والمستول والعفيف بالابله والشجاع بالمتهور والظريف بالماجن

وكذلك في سايرها واما الامور المساحرية فعلى الخطيب اعداد انواع اسباب الجور والجور هو الاضرار
الواقع بالقصد والمشية ولم ترخص الشريعة فيه بوجه واما الاسباب المحركة اليه فكالكسل عن الكسب
فانه عند ما يحصل الدعة التي يهواها يكون سببا للجور لان يسد به وكالجبن الذي يكون سببا لاضاعة
الحريم وهلاكهم وكايثار الراحة من التعب وحب البطالة واللهو المودي الى ترك اكتساب الفضائل
وكالغضب المودي الى العسف وعدم الظفر بالمطلوب عند الغلبة والاقحام وكاستباحة التصرف في
مال الغير وعرضه وديده والاستهزاء بالخلوة والحرص والوقاحة واسباب العدل هو ما يقابل هذه
الاسباب فهذه امور اذا علمها الخطيب اخذ منها مقدمات في انه لما كان الجائر كذا اقدم على الجور
وللجور اسباب كثيرة مذكورة في الكتب المبسوطة **البحث الخامس** في انواع مشتركة للامور الخطابية الثلثة
وههنا انواع مشتركة لاصناف الخطابة يجب على الخطيب اعدادها لينتفع بها فمنها ما يعد
للاستدراجات من مبادي الانفعالات والاخلاق مثلا ما يعد للغضب كالاستهانة به
والعنت والشتيمة وقطع العادة في الاحسان ومقابلة النعمة بالسيئة او بالكفران والعقوق عن جزاء
الجميل بمثله او بعيد لصده وهو فتور الغضب كالاعتذار بعدم معرفة من قصده بالاستهانة او بعدم
قصد الاستهانة وكالاعتراف بالذنب والاستغفار بالتوبة والتذلل والتلقي بالبشاشة وكذلك الهيبة
المهيب والاستحياء من المستحيي منه فان الغضب لا يجامعهما او بعيد الحزن كالانواع التي توجب تصور
فوت المرغوب فيه او حصول المحذور منه او عدم الانتفاع بالحيلة والتدبير او لصده وهو التسلية كالتنبيه
على ان هذا الامر ممكن ان يدفع او يرجى التلافي في التدارك او باعتبار حال الغير فان المصيبة اذا عمت
هانت او بالارشاد الى الحيل لتحصيل الامر الذي لاجله الحزن او بعيد للخجل والاستحياء كالفرار من الزحف
وخيانة الامانة وارتكاب المظالم ومعاشرة الفساق ومداخلتهم في مواضع الريبة والحرص على المحقرات
ومفارقة الدنايا كطلب المسكين ونبش الكفن والتقتير مع اليسار ومعارضة اللئام بالاستماحة كاشعار
الشماتة من الاعداء او بعيد للابطال الخجل وهو اضداد هذه الاسباب او للاهتمام بالغير والشفقة عليه او
الاسباب الباعثة على الاهتمام كالعذاب المهلك والاوجاع والجهد والكبر والسقم والحصا وسوء البخت
وعدم الانصار وعلامات الاهتمام كايثار المهتم له على النفس والاحسان اليه بغير منة ومسرعته في نصرته
في محنته والوفاء له او لصده وهو الحسد كوصول خير الى غير من يرى الحاسد انه اولى به منه او الى من لا يحبه
او للغيرة كتخيل استشاركه من لا حق له في الحق من غيران يدخله صاحبه فيه او لشكر النعمة وهو ان يقول الخطيب
انما اعطى فلان لنفس النفع لا لجزاء سوقه او يقول انه نفع في وقت الحاجة او في وقت تعسر المعونة من الناس
او انه انعم بما لم يسمح نفس غيره به او انه اولى من انعم فحرك غيره للانعام او انه لم يرد بالصنيعة ذكرا او انه اسر الصنيع
سترا او للكفران وتحقير النعمة كان يقول لم يرد بعطائك الا غرضا او انك لم تتم النعمة وانك قصرت

عن الواجب عليك بمثله وانك لم تصطنع بقصد بل الضرورة او اتفاق او لرغبة في مجاراه فان ذلك كله
مما يبطل المنة او الشجاعة كان يقول المكروه عنك بعيدا ولا وجود له عندك ولا محل عندك للجبان
والمبارزين وكقوله انت كثير الانصار حوبهم وانك برى عن الظلم قليل الاحتمال له او لضعفها وهو
الجبن كقوله ان في المقاومات حصول المكارم وان خصمك في الحقوه فلا حط لك به او ان انصار ك
فلملوك او ضعفا وامثال ذلك وكذلك يجب على الخطبا ان يحصل انواعا تعين على كل خلق خلق يختص
بصنف صنف من الناس اما باعتبار الاسنان كان يقول للشاب الذي يغلب عليه طلب اللذة ان
هذا وقت السرور والزمان المساعد والشباب بعد فنائه غير عايد وهذا الربيع قد اشرقت انواره و تصفقت
ازهاره وكمدح الماكل والمشارب والملابس والمراكب ويقول للشيخ الذي يغلب على طباعه طلب النفع
والحرص على الدنيا ينبغي ان تقتصر على تحصيل منافعك واللهو غير لايق بك وينبغي ان تسلا البدل الملا
يستضعها لك وينبغي ان لا تخدع لفلان ولا تغلط معه لانك حرس الخداع او باعتبار احلاقهم
في البلدان كان يقول للعربي الذي طبعه الفصاحة انك لذو فضيله عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة
الا انك لذو فضيله عظيمة ولو لم يكن من فضل الفصاحة الا انها وجا اعجاز القران لكفي وامثاله وكان يقول
للعرب من جهة ما هم غلاظ الطباع كثيرا الاطماع اربي قلدى اعداوكم ولا ناصر لهم او هم قليلون وانتم
كثيره او ان الفضل العادي في كثير النعم ولا حادس لـ فيغريهم بذلك كما يحرك طباع العرب الى حسن التدبر
الذي هو عادتهم بما يناسبه او باعتبار الهمم كا يحرك ما في طباع الملوك من الكبر وعدم الالتفات الى الغير
بما يناسبه وما في طباع الساقطين من الدناءة بما يليق به ومن جملة الامور المشتركة ما يتعلق بالممكن من
الامور وغير الممكن كان يقول الخطيب اذا اراد ان تصح بان الامر الفلاني ممكن فيقول هذا الامر مما يستطاع
فهو ممكن او نقيضه ممكن فهو ممكن او شبيهه ممكن فهو ممكن او الاصعب منه ممكن فهو ممكن او اراد ان تشيع ما
يتوقع كونه فيقول الامر الفلاني مقدور عليه ومراد فلابد وان يكون والنادر يكون فالاكثري يكون ومكنك
ان تعلم انواع ما لا يكون وانواع ما لا يمكن من انواع ما يكون وانواع ما يمكن فهذه جملة من الامثلة يهتدي
الخطيب الى امثالها وليس يجب عليه ان يضبط ما لا ينتاهي من الامور بحسب تخصص في كل واحد
من اموره الجزئيه فان ذلك غير ممكن بل يضبط القوانين الكلية المتعلقة بالاجناس الثلثه للخطابة ويجتهد
في ان يخصصها بحسبها ما امكن فانه كلما كان الحكم بالجزئي المتكلم فيه اخص كان او نفع واقنع مثاله اذا اردت
ان تمدح زيدا فقلت هو شجاع لانه مستكمل الفضايل باسرها فهذا وان كان مقنعا الا انك لو خصصت فقلت
لانه هزم جيش العدو وقت كذا او قتل البطل الفلاني في يوم كذا لكان ذلك امدح والبق بالممدوح وقد يقع في
الخطابة القضايا المتقابلة والمغالطة بها للايقاع فيستعمل الضدان في ايجاب كل واحد من النقيضين
كقولك اسكت في المحافل لانك ان صدقت ابغضك الناس وان كذبت ابغضك الله ثم يقول الكلام في المحافل

اوالى الملال الذي هو
طباعهم بما يناسبه هو

لانك ان صدقت احبك الله وان كذبت احبك الناس والمغالطة ههنا ان افادت اقناعا كانت من
صناعة الخطابة ومثالها اما من باب اشتراك الاسم كقولك الذهب يبصر الانسان لانه عين او من تركيب
المفصل كقولك فلان شاعر جيد فيوهم ذلك التركيب مدح الشعر بالجودة والمقدير وفلان جيد او من باب
وضع ما ليس بعلة علة كما يقال فلان مبارك القدم لانه مع قدومه تيسر كذا او من باب المصادرة على
المطلوب كما يقال لزيد يشرب الخمر فيقال لان اخاه يشرب الخمر واما ان لم يوقع اقناعا كما يقال فلان لم يرتب
باختياره لانه نام وهو سكران لم يكن من صناعة الخطابة وبالله التوفيق **البحث السادس** في تحسينات
الخطابة الامور المحسنه للخطابة اما ان يتعلق بالالفاظ واما ان يتعلق بالترتيب واما ان يتعلق بهيئة الخطيب
اما الاول فاعلم ان تحسين الالفاظ في الخطابة عظيم النفع فان جزالة اللفظ توهم جزالة المعنى وركاكة اللفظ
تذهب برونق المعنى ومحسنات اللفظ امور الاول ان يكون اللفظ فصيحا عذبا غير ركيك صرف العامية
ولا متين مرتفع عن ان يصلح لمخاطبة الجمهور لان الطباع العاميه تنفر عن العبارة العلية ولا ملحون
لان اللحن يهجن الكلام ويرذله وهذه الاعتبارات موجودة في كلام علي عليه السلام كثيرا الثاني ان يراعى
اتمام الرابطات وهي الحروف التي تقتضي ذكرها كقوله عليه السلام في صفة الملائكة منهم سجود لا يركعون
ومنهم ركوع لا يسجدون وكذلك باقي الاقسام فلو لم يحصل التكرار ههنا لنقص الكلام وكذلك
قوله عليه السلام المرء المسلم البري من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعي الله فما عند الله خير له واما رزق
الله فاذا هو ذو اهل ومال الا ان يكون تكراره معلوما كقوله عليه السلام في كثير من خطبه اما بعد فان هذا
الجزء مسبوق بما اما قبل وان لم يذكر لوضوحه الثالث ان لا يباعد ما بين الرابطين بحشو يخل بنسبة الصلة
بينهما الرابع ان يراعي حقه من التقديم والتاخير فان تاخر الشرط عن المشروط وتقديم اللام على الدعوى
قبيح سمج وبعض هذه الاحكام قد يختص ببعض اللغات الخامس ان يزين بالتشبيه والاستعارة ويكون
تلك الالفاظ المستعارة خاصة غير مشتركة ولا مغلطة فقد يورد اللفظ موهما للشيء وضده كقول
المنجم اذا دخلت سنة كذا يحدث للاسلام امر عظيم فذلك يحتمل الخير والشر موهم لهما وفايدة التشبيه والاستعارة
ههنا الاستعانة بالتخيل الحاصل منه على رونق المعنى فانه يحصل له رونقا لا يحصل بدونه
والالفاظ المستعارة والمخيلة وان كانت اصلا في الشعر فقد يستعملها الخطيب بالعرض فيكون في
الخطابة كالابازير السادس ان يراعى لفظ الواحد والتثنيه والجمع وما يخصها من التصاريف وكذلك
التذكير والتانيث ذي العلامة وغيره رفعا للغلط السابع تقدير اللفظ بالايجاز اذا اعتمد على فهم السامع
من عقيب الاتباع فيرد الحدود والرسوم هناك الى اللفظ المفرد وتقدير بالبسط فيعكس ذلك وقد يبدل اللفظ
المفرد العلم الشاعنة كما يقال عورة المراه ووطيها ومسها عوض اسمائها الصريحة واكثر ما يستعمل امثال
هذه في الافراطات في المدايح فيكره التصريح بالاسماء الصريحة احتشاما او تنزيها للمجالس عن ذكرها وكذلك

ان تكرره

اللام

يستعمل في الاعتذار كثيرا وحيث يراد التهويل والتخويف في المشوريات الثامن ان يرين المفاصل اي يكون
لها مصاريع وتسجيع ووزن ما لا الوزن الحقيقي وذلك كقول علي عليه السلم اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت
بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع وقد عرفت المتوازن فان ذلك اقرب الى ثبات اللفظ في الخيال
ثم تلك المفاصل ينبغي ان لا تطول لئلا ينسى الاول ولا تقصر جدا فلا يحصل للنفس فيحصل انقطاع عن
استثبات النفس له ثم المفاصل قد يكون اقساما ويسمى المقسم كما في المثال في صفة الملائكة وقد يكون تلك
الاقسام متقابلة كقوله عليه السلم اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي فيتمتع
ولكل واحدة من الخطابة المسموعة والمكتوبة اسلوب خاص وكذلك اصنافهما واما الثاني وهو الترتيب
واعلم ان الاقاويل الخطابية صدرا واوسطا وخاتمة فالصدر كالرسم الذي يعرف عليه ويعرف السامع منه الغرض
اجمالا واما الوسط فقد يكون اقتصاصا لامر واقع فيحكم بانه حسن او قبيح كما في المنافرة وعد الاجود كما في المشاجرة
وقد تقدم على الصدر اقتصاص لامور يستلزم الشكر والمدح من القائل ويهيئ السامع لذلك كما جرت العادة
بتقديم اقتصاص صفات الله وحمده وصفات رسله عليهم السلم وقد يكون الوسط غير اقتصاص بل دلالة على صحة
وحث عليها كما في المشورة اذ ليس فيها ما يحكى ويشكى ويحمد ويذم وليس فيها منازعة ومواثبة والصدر فيها
حسن ليكون المشار عليه قد وعى الغرض واستعد للقبول وهو في المشاجرة قبيح واما الخاتمة فهي حسنة في
المشورة ايضا والذي ينبغي فيها ان يكون اجزاؤها منفصلة غير مخلوطة بما قبلها وخصوصا في المشوريات وهو
ان يقول المشير قد قلت ما عندي من النصيحة والراي ما رايت وكما يقول الخطباء اقول قولي هذا واستغفر الله
العظيم لي ولكم انه هو الغفور الرحيم ونحو ذلك واما الثالث وهي الامور التي تتعلق بهيئة الخطيب بحال معاني
او تحل الحكم فالاستعدادات للانفعال والانفعالات ويسمى ذلك نفاقا والاخذ بالوجوه فهي اما ان تتعلق بصوته
كرفعه في موضع الرفع وخفضه في موضع الخفض او تركيبه نفسه او بكونه على زي وهيئة ونحو حسن تصوير الفكر
وهذا القسم انما كثر الانتفاع باستعماله ضعفاء العقول اذ كانوا للاحساس راجحات بالامور المحسوسة اطوع ولذلك مع م
كثر في عينهم من كان بزي النساك والمتنسكين من العبادة والخشوع الظاهر وان كان جاهلا مرائيا ولما لم يكن
غرضنا من التعرض بذكر الخطابة ههنا الا الاشارة الى اقسامها الكلية لتعرف معنى الخطابة وما عسى ان يكون
من ان الخطابة التي نحن شارعون في شرحها من اي اقسام الخطابة هي ليتفطن المطلع على ما ذكرناه ههنا
لما لم نبينه من ذلك لا جرم اقتصرنا على هذا القدر من الايراد والبسط يغني الكتب المطولة واعلم ان الغالب على كلام
علي عليه السلم هو المشوريات واما المنافرات والمشاجرات فمنها اقل كما ستعرف ذلك عند تصفح اقواله ان شاء
الله تعالى وبالله التوفيق خاتمة لهذه القاعدة واما الخاتمة ففي بيان غاية علي عليه السلم من الخطابة واعلم
انه لما كان الغرض من وضع الشرايع والسنن انما هو نظام الخلق وجذبهم الى الجناب المقدس عن دار الغرور
وتذكيرهم لمعبودهم الحق وتعليمهم كيفية السلوك للصراط المستقيم كما اومأنا اليه وعلم من ذلك ان عليا عليه السلم

كان مقررا للشريعة ومثبتا لها وموضحا المقاصد سنن الرسول عليه السلم ومقررا الاحكام ها اذ
كان هو الممنوح بجوامع العلم والمطلع على الاسرار الالهية لزمن مقصوده من جميع الاقوال المنقولة عنه الغرض
الاول من وضع الشرايع والسنن وبيان ذلك انك قد علمت ان الاقوال الخطابية تنقسم بحسب اغراضها
ثلاثة اقسام مشاورة ومنافرة ومشاجرة فاما المشورة فانها الجزء الاكبر في كلامه عليه السلم وانت تعلم من
تصفح كلامه ان كل ما يشير به بالقصد الاول فانما هو الاقبال على الله تعالى بترك الدنيا والاعراض عنها
والاستكمال في الفضائل وترك الرذائل والمنقصات الجاذبة الى الجنبة السافلة المانعة عن الوصول الى الله سبحانه
فان عرض في كلامه امر بحرب او نهي عن امر جزئي لا يلوح للغافلين منه هذا السر كمصالح الحرب والعدة
والمدنية وغير ذلك فانه عند الاعتبار يرجع اليه لان كل ذلك يرجع الى نصرة الدين وتقويته ونظام امر العالم
وترتيب مصالحه واما المنافرة فقد عرفت ان جميع ما ورد في كلامه عليه السلم من الذم انما هو للدنيا واتباع الهوى
وارتكاب الرذائل الموبقة ومن ارتكبها واشباه ذلك مما يبعد عن الله تعالى وما ورد فيه من المدح فانما هو
لله سبحانه وملائكته ورسله والصالحين من عباده وما هم عليه من الفضائل وترك الهوى والاعراض عن
الدنيا وما ينبغي ان يكون الخلق عليه من ذلك ولا شك ان الاول جذب للخلق بتحقير ما يميل طباعهم اليه
من الامور الفانية وتصغيره وذمه والتنفير عنه وذمهم على ارتكابه ليتقهقروا عنه الى ما وراءهم من النعيم
الابدي والخير السرمدي وليذكروا معبودهم الحق سبحانه ولا يكونوا من المعرضين الهالكين والثاني ايضا جذب
لهم بتعظيم ما ينبغي ان يلتفتوا اليه وتكبيره ومدحه والترغيب فيه وفيما يكون وسيلة اليه من الفضائل والاعراض
عن الدنيا وغير ذلك واما الامور المشاجرية فما كان في كلامه عليه السلم منها فاما بيان للظلم والجور واسبابهما
وما يؤول اليه من سوء العاقبة وقبح الخاتمة عند الله تعالى او بيان للعدل واسبابه وما يؤول اليه من حسن
العاقبة وحسن المنقلب الى الله كما يشتمل عليه كثير من كتبه الى عماله ومحاربيه ولا شك ان كل ذلك جذب
الى الله تعالى بالتصريح والاشارة واما تظلم من ظالم خرج عن ربقة الدين واتبع هواه وشكاية من افعاله الخارجة
عن نظام الشريعة المؤدية الى ضد مقاصد الشارع ولا يخفى ان مقصوده من ذلك التظلم والشكاية اقناع
الخلق بان فلانا ظالم اخذ ما لا يستحقه ليثبتوا على الحق ويفيئوا اليه وينكروا من عساه يتوهم ان خصمه
على الحق وربما كان نصا فذلك الوهم سبب للحوق به وذلك بالحقيقة تثبيت على الحق وجذب عن الباطل وهو في نفس الامر
مقصود الشارع وغايته واما اعتذاره عما يتخيله الجاهلون في حقه ظلما وجورا كاعتذاره عليه السلم عما تخيله
جماعة في حقه ظلما من القعود عن نصرة عثمان حتى نسبوه الى انه قاتله وتنصله من ذلك وكذلك اعتذاره
فيما تخيله الخوارج من تحكيم الحكمين وغير ذلك فان الاعتذار في هذه المواضع واشباهها جذب الى الحق وصرف
عن الباطل اذ كان الاعتذار منه طلبا للاجماع من يحل فيه ظلما بانه ليس كما خيل اليهم وان ما نسب اليه ليس بظلم ولا
جور ليفيئوا الى طاعته والاقتداء به مما هو عليه من اتباع الحق والنصرة للدين والذب عنه ومعلوم ان ذلك كله

يجب الى الله سبحانه والى اسباب ما يوصل اليه فقد علمت من هذا البيان ان عليه السلام من جميع اقواله انما
هو توجيه الخلق الى جناب الله والعامهم الى حضرته القدسية وهذه هي الغاية التي بعث عليها الانبياء
والرسل ووطأت عليها الشرايع والسنن ومن تامل ما نقلناه وترك متابعة هواه وطبق ما اوردناه من القانون
الكلي على كلامه علم صحة ما ادعيناه وبالله التوفيق **القاعدة الثالثة** في بيان ان عليا عليه السلام كان
مستجمعا للفضايل الانسانية وفيها فصول **الفصل الاول** في فضايله اللاحقة له من خارج ولنذكر منها وجوها
الاول نسبه من رسول الله صلى الله عليه وهو ابو الحسن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم
بن عبد مناف بن قصي وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا
وكان علي اصغر اولادها وعقيل اسن منه بعشر سنين وطالب اسن من عقيل بعشر سنين وهي اول امراة وجعفر اسن منه بعشر سنين
بايعت رسول الله صلى الله عليه من النساء وكان صلى الله عليه يكرمها ويدعوها امه واوصت اليه حين حضرتها
الوفاة فقبل وصيتها وصلى عليها وروى انه نزل لحدها واضطجع معها بعد ان البسها قميصه فقال له اصحابه في
تخصيصها بذلك فقال انه لم يكن احد بعد ابي طالب ابر بي منها وانما البستها قميصي لتكسى من حلل الجنة وانما اضطجعت
معها لتأمن ضغطة القبر **الثاني** سبقه الى الاسلام وفضيلته في ذلك ظاهرة **الثالث** مجاهدته اعداء الله
ونصرته للدين وذبه عنه ومقاماته في ذلك مشهورة ماثورة تكاد لا تحصى كثرة **الرابع** تخصيص الرسول صلعم
له بتزويجه فاطمة دون من خطبها من اكابر المهاجرين والانصار **الخامس** كون الحسن والحسين عليهما السلام
اللذين هما سيدا شباب اهل الجنة ولديه وذلك فضل عظيم **السادس** قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه
يصدون قيل انها نزلت في علي وجعل عيسى عليه السلام مثالا له وفي ذلك فضل عظيم ويؤيده قول النبي صلى الله عليه واله وسلم
له لولا ان تقول فيك طوايف من امتي ما قالت النصارى في عيسى لقلت اليوم فيك مقالا لا تمر بملأ من الناس
الا اخذوا التراب من تحت قدميك وهذا الكلام يقتضي انه تم له من الاوصاف ما وصف به اوصاف عيسى عليه السلام
التي لاجلها قالت النصارى فيه ما قالوا **السابع** قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما
نطعمكم لوجه الله الاية اتفق المفسرون على انها نزلت في علي واهل بيته وسبب نزوله مشهور في كتب التفسير وغيرها
وكفى بذلك شرفا **الثامن** روي انه لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه واله اللهم اجعلها اذن
علي ولا شك ان الرسول عم كان مجاب الدعوة ولذلك قال علي فما نسيت شيئا سمعته بعد ذلك وذلك من اعظم الفضايل
التاسع من طرق الكل قول النبي صلى الله عليه في حقه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعايه
ومن كان الحق مع اقواله وافعاله فلا مزيد على فضيلته **العاشر** من طرق الكل قوله عليه السلام انت مني بمنزلة هرون من
موسى الا انه لا نبي بعدي والاستثناء ههنا يشهد باثبات جميع المنازل التي كانت لهرون من موسى الا النبوة
وما علم فيه من الاخوة فيبقى كونه وزيرا وناصرا وقايما بناموس الشريعة ومفرعا لاحكامها الكلية وخليفته
لما كان هرون كذلك ومن ههنا تمسكت الشيعة بهذا الخبر في استحقاقه للخلافة وكفى بهذا فضيلة **الحادي عشر**

من طرق الكل قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه وسواء كان المراد ههنا بالمولى الاولى بالتصرف او الناصر
فان الفضل حاصل **الثاني عشر** قوله عليه السلام في حقه اقضاكم علي ولا شك ان القضا محتاج الى انواع العلوم وكفى
بشهادة الرسول عليه السلام له بذلك فضلا **الثالث عشر** قوله عليه السلام اعطيت جوامع الكلم واعطي علي جوامع العلم وكفى
بهذه الشهادة فضلا **الرابع عشر** من طرق الشيعة انه خوطب بامرة المؤمنين في حياة الرسول صلعم واكثر المحدثين
من غيرهم وروى احمد في مسنده وفي كتابه في فضايل الصحابة وكذلك ابو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء
ان رسول الله صلى الله عليه خاطبه بيعسوب المؤمنين واليعسوب امير النحل وكان ذلك اشارة الى فضله
الخامس عشر تربية رسول الله صلى الله عليه له من اول عمره الى ان عدا لاعلى مراتب الكمالات النفسانية
قال عليه السلام في تربية النبي صلعم له واتباعه اثره في خطبته المسماة بالقاصعة وقد علمتم موضعي من رسول الله
صلى الله عليه بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه
ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله
به صلى الله عليه من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم
ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به ولقد كان
يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه واله
وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلعم
فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست
بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير الى اخر الكلام حتى صار بهذه التربية استاد العالمين بعده صلى الله عليه في جميع العلوم
وبيان ذلك اما جملة فلقول النبي صلى الله عليه انا مدينة العلم وعلي بابها ولا شك ان المقصود انه عليه السلام
هو المنبع الذي يفيض عنه العلوم الاسلامية والاسرار الحكمية التي اشتمل عليها القران الحكيم والشرع الكريم وهو مصدرها
والمحيط بها لان شان المدينة ما يحوي عليه كذلك وان عليا هو المفزع لتلك الاسرار والمهتدي لتفاصيل
جملها واحكامها الكلية بحسب ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد بحيث تصير تلك الاسرار سهلة التناول
قريبة الماخذ لساير الخلق لان الباب هو الجهة التي منها يسع الخلق من المدينة ويمكنهم تناول ما ارادوه منها واما
تفصيلا فلانا بحثنا العلوم باسرها فوجدنا اعظمها واهمها هو العلم الالهي وقد ورد في خطبه عليه السلام من
اسرار التوحيد والنبوات والقضاء والقدر واسرار المعاد كما سنبينه ما لم يات في كلام احد من اكابر العلماء واساطين
الحكماء ثم وجدنا جميع فرق الاسلام ينتهي في علومهم اليه **اما المتكلمون** فاما معتزلة وانتسابهم اليه ظاهر فان اكثر
اصولهم ماخوذة من ظواهر كلامه في التوحيد والعدل وايضا فانهم ينتسبون الى مشايخهم كالحسن البصري وواصل بن
عطاء وكانوا منتسبين الى علي عليه السلام ومتلقفين عنه العلوم واما اشعرية فمعلوم ان استاذهم ابو الحسن الاشعري
وقد كان تلميذا لابي علي الجبائي وهو من مشايخ المعتزلة الا انه سما لما ورد ازهار المعتزلة فخالف استاده في مواضع تعلمها

من مذهبه **واما الشيعة** فانتسابهم اليه ظاهر فانهم يتلقون العلوم عن ائمتهم وائمتهم يأخذ بعضهم عن بعض الى ان ينتهي اليه وهو اسلافهم الاول **واما الخوارج** فهم وان كانوا في غاية من البعد عنه الا انهم ينتسبون الى مشايخهم وقد كانوا تلامذة على **واما المفسرون** فرئيسهم ابن عباس رضي الله عنه وقد كان تلميذ العلي **واما الفقهاء** فمذاهبهم المشهورة اربعة **احدها** مذهب ابي حنيفة ومن المشهور ان ابا حنيفة قرا على الصادق عليه السلام واخذ عنه الاحكام وانتهاء الصادق الى علي ظاهر **الثاني** مذهب مالك وقد كان مالك تلميذ الربيعة الراي وربيعة تلميذ عكرمة وعكرمة تلميذ عبد الله بن عباس وكان تلميذ العلي **الثالث** مذهب الشافعي وقد كان الشافعي تلميذا لمالك **الرابع** مذهب احمد بن حنبل وقد كان احمد تلميذ الشافعي مرجع انتساب فقه الجميع الى علي عليه السلام ومما يدل على كماله في الفقه قول الرسول صلى الله عليه وسلم اقضاكم علي والاقضى لا بد وان يكون افقه واعلم بقواعد الفقه واصوله **واما الفصحاء** فمعلوم ان جميع من ينسب الى الفصاحة بعده يلاحظون اوعية اذهانهم من الفاظه ويضمنونها كلامهم وخطبهم فيكون منها بمنزلة العقود كابن نباتة وغيره والامر في ذلك ظاهر **واما النحويون** فاول واضع للنحو هو ابو الاسود الدئلي وكان ذلك بارشاده له عليه السلام الى ذلك وبداية الامر ان ابا الاسود سمع رجلا يقرا ان الله بريء من المشركين ورسوله بالكسر فانكر ذلك وقال نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من نقصان الايمان بعد زيادته وراجع عليا عليه السلام في ذلك فقال قد نويت ان اضع للناس ميزانا يقومون به السنتهم فقال له عليه السلام انح نحوه وارشده الى كيفية ذلك الوضع وعلمه اياه **واما علماء الصوفية** وارباب العرفان فنسبتهم اليه في تصفية القلب وكيفية السلوك الى الله تعالى ظاهرة لا اشتباه **واما علماء الشجاعة** والممارسون للاسلحة والحروب فهم ينتسبون اليه في علم ذلك فثبت بذلك انه كان استاذ الخلق وهاديهم الى طريق الحق بعد رسول الله صلى الله عليه ومناقبه وفضايله اكثر من ان تحصر وبالله التوفيق

الفصل الثاني في بيان فضايله النفسانية وهي اما ان يعتبر بالنسبة الى القوة النظرية او الى القوة العملية فاذن ههنا بحثان **البحث الاول** في انه عليه السلام كان مستجمعا لكمال قوته النظرية قد علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية وهي استكمال النفس الانسانية بتصور المعارف الحقيقية والتصديق بالحقائق النظرية بقدر الطاقة البشرية ولا شك ان هذه الدرجة كانت ثابتة له عليه السلام وبيان ذلك ببيان انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلعم وانه كان متسنما لدرجة الوصول وتحقيق ذلك انه قد تبين في علم كيفية السلوك ان وصول العارف انما يجب اذا غاب عن نفسه فلحظ جناب الحق من حيث انه هو فقط وان لحظ نفسه فمن حيث هي لاحظة لا من حيث هي متزينة بزينة الحق ثم انه قد وجد في كلامه واشاراته ما يستلزم حصول هذه المرتبة ولنذكرها مواضع ثلثة **الاول** قوله عليه السلام لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد عرفت ان ذلك اشارة الى تمام الكمالات النفسانية المتعلقة بالقوة النظرية قد حصلت له بالفعل وذلك يستلزم تحقق الوصول التام الذي

ليس في قوة الاولياء نيله **الثاني** قوله عليه السلام حكاية عن رسول الله صلى الله عليه في حقه انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولا اشكال ان النبي صلى الله عليه وآله كان له الاتصال التام بالحق وكان هذا الاتصال والوصول حاصلا لعلي بمقتضى شهادة الرسول وان كان التفاوت بين المرتبتين قائما لان للاتصال بالجناب الاقدس درجات لا تتناهى ولذلك قال الا انك لست بنبي وسيعلم من تفاصيل كلامه عند الانتهاء اليه تحقق هذه المرتبة له **الثالث** قوله عليه السلام الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا رغبة في ثوابك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وجه الاستدلال انه حذف كل قيد دنياوي واخروي عن جهة الاعتبار سوى الحق تعالى وذلك انما يحصل له الوصول ومما يؤكد ذلك ما سنبين ان شاء الله تعالى بكونه عليه السلام من الكرامات وصحة دعاءه وذلك من خواص الواصلين

البحث الثاني في بيان كماله في قوته العملية وكما علمت ان كمال القوة النظرية انما هو باستكمال الحكمة النظرية فكذلك كمال القوة العملية انما هو باستكمال الحكمة العملية وهي استكمال النفس بكمال الملكة التامة على الافعال الفاضلة حتى يكون الانسان ثابتا على الصراط المستقيم مجتنبا لطرفي الافراط والتفريط في جميع افعاله ثم قد ثبت في علم الاخلاق ان اصول الفضائل الخلقية ثلثة **احدها** الحكمة الخلقية وهي الملكة التي يصدر عنها الافعال المتوسطة بين الجربزة والغباوة اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وانت تعلم من تصفح افعاله واقواله وتدابيره في امور الحروب ونظام امور العالم ما تضطر معه الى الحكم بانه كان مستكملا لهذه الفضيلة غير واقف دونها في حد الغباوة ولا متجاوزا لها الى طرف الجربزة لان خبث الجربزة يمنعه عن الترقي الى درجة الكمال ويأبى طبعه الا الشر **وثانيها** العفة وهي الملكة الصادرة عن اعتدال حركة القوة الشهوية بحسب تصريف العقل العملي لها على قانون العدل وبها تصدر الافعال المتوسطة بين الجمود والفجور اللذين هما طرفا الافراط والتفريط وتبين ان هذه الملكة كانت ثابتة له عليه السلام من وجهين الاول انه كان ازهد الخلق في الدنيا بعد الرسول صلى الله عليه وآله وفيا عن اللذة الحقيقية واقدر على حذف الشواغل الملفتة عن لقاء الله وكل من كان كذلك كان مالكا لهواه مصرفا لشهوته بحسب عقله اما المقدمة الاولى فمعلومة بالتواتر واما الثانية فضرورية ايضا الثاني قول النبي صلى الله عليه اللهم ادر الحق مع علي حيث دار ولا شك في استجابة دعائه عليه السلام ومن كان الحق لازما لحركاته وتصرفاته استحال ان يرتكب باطلا لان الامر الواحد لا يلزمه باطل لا يزال يختلفان فاستحال ان يكون متبعا للهوى البتة وهو معنى العفة ومما يؤكد حصول هذه الملكة له ما روي انه عليه السلام ما شبع من طعام قط وانه كان من اخشن الناس ملبسا ومأكلا فصح بقرص الشعير ولا يأكل اللحم الا نادرا وكان يقول لا تجعلوا بطونكم مقبرة الحيوان وتقصر بذلك المصر عنه وكذلك زهادة في الدنيا ولذاتها **وثالثها** الشجاعة وهي الملكة الحاصلة للنفس عن اعتدال القوة الغضبية بحسب تصريف العقل فيما يضبطه لها وبها تصدر الافعال المتوسطة بين افعال الجبن والتهور وثبوت هذه الفضيلة له عليه السلام معلوم بالتواتر حتى صارت شجاعته يضرب بها المثل مبالغة في حق الرجل الشجاع واذا عرفت ان هذه الملكات الثلث ثابتة له كان مالكا

وثبت انها مستلزمة لفضيلة العدالة ثم ان فضيلة العدالة ثابتة له واما باقي قسام الحكمة العملية
كالحكمة السياسية والمنزلية فقد علمت ان فايدتهما ان يعلم الانسان وجه المشاركة التي ينبغي ان يكون بين
اشخاص الناس ليتعاونوا على مصالح الابدان ونظام مصالح المنزل والمدينة وقد كان عليه السلم في هذا الباب
غايات وصاحب ايات وبكيفيك في معرفة ذلك منه اما على سبيل الجملة فلان الشريعة المصطفوية سلام الله على شارعها
واردة بمقاصد هاتين الحكمتين على اتم الوجوه واكملها بحيث يرجع اكابر الحكماء اليها في تعلمها ومعلوم ان عليا عليه السلم
كان مستمسكا بها ومقررا لها وباسطا لاحكامها الكلية ومفصلا لاشاراتها الجملية لم يغير منها حرفا
ولم يقف فيها دون غاية وذلك يستلزم ثبوتهما له على اكمل وجه واتمه واما على السبيل التفصيل
فعليك في معرفة انه كان اكمل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا العلم بمطالعة كتبه وعهوده الى
عماله وولاة امره وخصوصا العهد الذي كتبه للاشتر النخعي فان فيه من لطائف تدبير امر المدينة
ونظام احوال الخلق ما لا يساوى لحسنه ولا يوجد عليه مزيد في هذا الباب هذا مع ما تواتر من رجوع اكابر
الصحابة المعترفين بحسن تدبيرهم واياليهم الى استشارته في مهماتهم وطرق كيفية تدبير العساكر والحروب
والمصالح الكلية والجزئية منه في مواضع كثيرة تعلمها في هذا الكتاب وفي غيره كرجوع عمر الى رايه في الخروج
المسلمين الى غزو الروم وغيره كما هو مشهور ماثور وما اشار عليهم به من الاراء الكافلة بحسن التدبير والايالة
الوافية بنظام الحركات المدنية كما ستعلمه ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في صدور الكرامات عنه
وفيه بحثان **البحث الاول** في اخباره عن الامور الغيبية والنظر اما في امكان ذلك او في سببه او في وقوعه منه
فهنا اذن ثلث مقامات **المقام الاول** في امكانه يجب عليك ايها الاخ السالك لنفحات الله اذا ذكر ان خليفة
من خلفاء الله او ولي من اوليائه اخبر عن امر سيكون مبشرا به او منذرا مما لا تفي بدركه قوتك وانت ثابت
فاصبا ان لا تبادر الى التكذيب بامثال ذلك وتنكره فانك عند مراجعة عقلك وتصفحك لاحوال نفسك
تجد كل ذلك ممكنا والى سبيله بيان ذلك ان معرفة الامور الغيبية في النوم ممكنة فوجب ان يكون في اليقظة
كذلك اما الاول فلان الانسان كثيرا ما يرى في نومه شيئا ويقع بعينه اما صريح تلك الرؤيا او تعبيرها ولولا
وضوح ما قلناه لما في حق الراي بظاهر واما من لم يرزق ذلك في حال النوم فانه يعلمه بالتواتر من اكثر الخلق
واما الثاني فلان ذلك لما صح في حال النوم لم يمكن الجزم بامتناعه حال اليقظة فان الناس لو لم يجربوا ذلك
في حال النوم لكان استبعادهم له في تلك الحال اشد من استبعادهم لوقوعه في حال اليقظة فانه عند عدم التجربة
لو قيل لانسان ان جماعة من الاولياء اجتمعوا في موضع مشكوا انهم الصافية حال ما هم ايقاظ في تحصيل حكم غيبي
فعجزوا ثم ان واحدا من الكفار نام وصار كالميت حصل له ذلك الحكم فانه يكذب بذلك ويشكوه لعدم حصوله
مع كمال الحركة وسلامة الحواس عن العطلة وكمال العبادة وحصوله مع اضداد ذلك فقد بان بذلك انه كما كان
في حال النوم ممكنا كان في حال اليقظة كذلك **واما المقام الثاني** وهو بيان السبب في الاطلاع على الامور الغيبية

فاما في حال النوم فهو انه قد ثبت في العلم الالهي ان جميع الامور التي يصدق عليها انها كانت او ستكون
معلومة لله تعالى وثبت ان النفس الانسانية من شانها الاتصال بجناب الله تعالى وانما يعوقها عن ذلك استغراقها
في تدبير البدن فاذا حصل لها ادنى فراغ من ذلك كما في حال النوم وانغلاق عنها ابواب الحواس الظاهرة رجعت
بطباعها الى الاتصال بالجناب المقدس فينطبع فيها من الصور الحاصلة هناك ما هو الليق بها من احوالها
واحوال ما يقرب منها من الاهل والولد وما يهتم به ثم ان المتخيلة التي من طباعها المحاكاة تحاكي تلك المعاني
الكلية الحاصلة للنفس وتمثلها بصور جزئية وتحطها الى لوح الخيال الحافظ للصور فيبقى تلك الصور مشاهدة
الحس المشترك ثم ان كانت تلك الصور شديدة المناسبة لتلك المعاني بحيث لا افتراق بينها الا في الكلية
والجزئية كانت الرؤيا غنية عن التعبير وان كانت المناسبة حاصلة بوجه ما كما اذا تصور المعنى بصورة ضده
او لازم من لوازمه احتيج حينئذ الى التعبير وفايدة التعبير التحليل برجوع الفكر بالعكس من الصورة الخيالية
الى المعنى النفساني وان لم يكن هناك مناسبة اصلا كانت الرؤيا اضغاث احلام واما في حال اليقظة فالسبب
في ذلك هو النفس الناطقة متى قويت وكانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة ولم يكن اشتغالها بتدبير البدن
مانعا لها عن ملاحظة مباديها والاتصال بالحضرة الالهية وكانت المتخيلة بحيث تقوى على استخلاص الحس المشترك
وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت الى الجناب المقدس لاستعلام ما كان او ما
سيكون افيض عليها الصور الكلية لتلك الامور ثم ان النفس تستعين في ضبط تلك الامور الكلية بالقوة
المتخيلة فتحاكي تلك المعاني بما يشبهها من الامور المحسوسة ثم تحطها الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا للحس فربما
الانسان كلاما منظوما او شاهد منظرا بهيا يخاطبه بكلام فيما يحبه من احواله فان كان لا تفاوت بين تلك المعاني
والصور الا في الكلية والجزئية كان ذلك وحيا صريحا والهاما والا احتاج الى التاويل **واما المقام الثالث**
وهو في ورود الاخبار بالامور الغيبية عنه فستعلمها في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى
لا يقال لا نسلم ان ذلك علم الهمه الله اياه وافاضه عليه بل الرسول عليه السلم اخبره بوقايع جزئية من ذلك وحينئذ لا
يبقى بينه وبين غيره فرق في هذا المعنى فان الواحد منا لو اخبره الرسول عليه السلم بشي من ذلك لكان
له ان يحكي ما قال الرسول وان وقع المخبر به على وفق قوله ويدل على ذلك قوله بعد وصف الاتراك وقد قال له بعض اصحابه
في ذلك المقام لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك وقال للرجل وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هذا
بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه من قوله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام من ذكر وانثى وقبيح وجميل وشقي وسعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان
للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه
وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري ويضطم عليه جوانحي وهذا اصرح بانه تعلم من رسول الله صلعم
لا انا نقول لا نزاع انه عليه السلم كان يعلم الغيب بل المدعى انه كان لنفسه القدسية استعداد ان ينتقش بالامور

الغيبيه عن افاضة جود الله تعالى وفرق بين علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وبين ما ادعيناه فان المراد
بعلم الغيب هو العلم الذي لا يكون مستفادا عن سبب بعد ووده لنا انما يصدق في حق الله تعالى اذ كل علم
لذي علم عداه فهو مستفاد من جوده اما بواسطة او بغير واسطة فلا يكون علم غيب وان كان اطلاعا على امر غيبي
لا يسا هل لا طلاع عليه كل الناس بل يختص بنفوس خص بعنايته الحسنه كما قال تعالى عالم الغيب فلا يظهر على
غيبه احدا الا من ارتضى من رسول واذا عرفت ذلك ظهر ان كلامه عليه السلم صادق مطابق لما اوردناه
فانه نفى ان يكون ما قاله علم غيب لانه مستفاد من جود الله تعالى وقوله وانما هو تعلم من ذي علم اشارة الى
وساطة تعليم الرسول له وهو اعداد نفسه على طول الصحبة بتعلمه وارشاده له الى كيفية السلوك واسباب
التطويع والرياضه حتى استعد للانتقاش بالامور الغيبية والاخبار عنها وليس التعليم هو ايجاد العلم
وان كان امرا قد يلزمه ايجاد العلم فتبين اذن ان تعليم رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن بمجرد توقيفه على
الصور الجزئيه بل اعداد نفسه بالقوانين الكلية ولو كانت الامور التي تلقاها عن الرسول عليه السلم صورا
جزئيه لم يصح الارشاد عاده في فهمه لها لان فهم الصور الجزئيه امر ممكن سهل في حق من له ادنى فهم وانما
يحتاج الى الدعاء واعداد الاذهان له بانواع الاعدادات هو الامور الكليه العامه للجزئيات وكيفية انشعابها
عنها وتفريعها وتفصيلها واسباب تلك الامور المعدة لادراكها ومايؤيد ذلك قوله عليه السلم علمني رسول الله
صلى الله عليه وآله الف باب من العلم ما نفتح من كل باب الف باب وقول الرسول صلى الله عليه وآله اعطيت
جوامع الكلم واعطى علي جوامع العلم والمراد بالانفتاح ليس الا التفريع وانشعاب القوانين الكليه عما هو
اعم منها وبجوامع العلم الاضوابطه وقواعده وفي قوله واعطى البناء للمفعول دليل ظاهر على ان المعطي
لعلي جوامع العلم ليس هو النبي بل الذي اعطاه ذلك هو الذي اعطاه النبي جوامع الكلم وهو الحق سبحانه
وتعالى واما الامور التي عددها الله سبحانه فهي من الامور الغيبيه وقوله لا يعلمها احد الا الله كقوله
تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فهو محتمل التخصيص كما في قوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول وهذا الامر واضح لا يحتاج العاقل في استكشافه الى كلفه وسيجيء في اثناء الشرح
ما يزيد ذلك وضوحا ان شاء الله تعالى البحث الثاني في بيان صدور الافعال الخارقة للعادة عنه والنظر
ايضا اما في امكان ذلك وفي سببه او في نفس وقوعه منه المقام الاول في امكانه واسبابه واجب
على من اهله الله سبحانه لاستشراق انواره اذا سمع ان وليا من الاولياء اتى بفعل ليس في وسع غيره من ابناء نوعه
الاتيان بمثله كالامساك عن الطعام المدة المديدة التي ليست في وسع ابناء نوعه وكالتحريك او الحركة الخارجة عن
وسع مثله كما يشاهد من قلع باب خيبر ونحوها او كاستنزال الامطار والزلازل واستنزال العقوبات وخسف بقوم حق عليهم القول
واستشفاء المرضى واستسقاء العطشى وخضوع عجم الحيوانات وغيرها ان لا يبادر الى التكذيب فانه عند الاعتبار
يجد تلك الامور ممكنة في الطبيعة اما الامساك عن القوت مدة فامكانه فينا موجود عند عروض غريبه

ليس م

وايض
نخ

لنا اما بدنيه كالامراض الحادة واما نفسانيه كالخوف والغم وسبب الامساك في حال المرض اما في الامراض
البدنيه فان القوى الطبيعيه تشتغل بهضم المواد الرديئة عن تحريك المواد المحموده حتى محفوظه
قليلة التحلل غنيه عن طلب البدل لما يتحلل منها فاذا انقطع الغذاء عن صاحبها مدة لو انقطع مثله عنه في غير
حالته تلك عشر تلك المدة هلك وهو مع ذلك محفوظ الحياة واما النفسانيه فانه قد يعرض لعروض الخوف
الخائف سقوط الشهوة وفساد الهضم والعجز عن الافعال الطبيعية التي كان متمكنا منها قبل الخوف لوقوف
القوى الطبيعيه عن افعالها بسبب اشتغال النفس بما اهمها من الالتفات الى تدبير البدن فاذا عرفت امكان
ذلك بسبب العوارض الغريبه فاعلم ان سبب تحققه في حق العارف هو توجه نفسه بالكليه الى عالم القدس
المستلزم لتشييع القوى البدنيه لها وذلك ان النفس المطمئنة اذا ارتاضت القوى البدنيه انجذبت القوى
خلفها في مهماتها التي ترجع اليها واشتد ذلك الانجذاب بشدة الجذب فاذا اشتد الاشتغال عن
تدبيرها لها عنها وقفت الافعال الطبيعية المتعلقة بالقوة النباتية فلم يكن من التحليل الا دون ما يكون في
حال المرض لاختصاص المرض في بعض ما يقتضي الاحتياج الى الغذاء كتحلل رطوبات البدن بسبب عروض
الحرارة الغريبه المسماة بسوء المزاج الحار لان الغذاء انما يكون بدل ما يتحلل من تلك الرطوبات وشدة الحاجة
الى الغذاء انما يكون بحسب كثرة التحليل وكقصور القوى البدنيه بسبب المرض المضاد له دائما الحاجة الى حفظ
تلك الرطوبات بحفظ تلك القوى اذ كانت مادة الحرارة الغريزية المقتضيه لتعادل الاركان الذي لا يقوم تلك
القوى الا معه ومثله الحاجة الى ما يحفظ تلك القوى انما هي بحسب شدة فتورها واما العرفان فانه يختص بامر يوجب
الاستغناء عن الغذاء وهو سكون البدن عند اعراض القوى البدنيه عن افعالها حال متابعتها للنفس وانجذابها خلفها
حال توجهها الى الجناب المقدس وتطعمها بلذة معارفه الحق واليه الاشارة بقوله عليه السلم لست كاحدكم ابيت
عند ربي يطعمني ويسقيني واذا عرفت ذلك ظهر ان المرض وان اقتضى الامساك الخارق للعادة الا ان العرفان
بذلك الاقتضاء اولى واما القدرة على الحركة التي تخرج عن وسع مثله فهي ايضا ممكنة وبيانها انك علمت ان
مبدا القوى البدنيه هو الروح الحيواني فالعوارض الغريبة التي تعرض للانسان تارة تقتضي انقباض الروح وتحركه
الى داخل كالخوف والحزن وذلك يقتضي انحطاط القوة وسقوطها وتارة تقتضي حركته الى خارج كالغضب وانبساطا
معتدلا كالفرح المطرب والانتشاء المعتدل وذلك يقتضي ازدياد القوة ونشاطها واذا عرفت ذلك فاعلم انها
كان فرح العارف ببهجة الحق اتم واعظم من فرح من عداه بما عداها وكانت الغواشي التي تغشاه وتحركه اعراضا
بالحق وحميه ربانيه اعظم مما يعرض لغيره لاجرم كان اقتداره على حركة غير مقدورة لغيره امكن واما السبب
في الامور الباقيه فهو انه قد ثبت في غير هذا الموضع ان تعلق النفس بالبدن ليس تعلق انطباع فيه انما هو على وجه
انها مدبرة له مع تجردها ثم ان الهيات النفسانيه قد تكون مبادي لحدوث الحوادث ويشهد بذلك اولا
فلانك تشاهد انسانا يمشي على جذع ممدود على الارض ويتصرف عليه كيف شاء ولو عرض ذلك الجذع

فحدا المواد المحمودة م

بعينه على جدار عال لوجبة عند المشي عليه راجفا متزلزلا لواضع وهمه بالسقوط مرة بعد اخرى لتصوره
وانفعال بدنه عن وهمه حتى ربما سقط واما ثانيا فلان الامزجة تتغير عن العوارض النفسانية كثيرا كالغضب
والخوف والحزن والفرح وغير ذلك وهو ضروري واما ثالثا فلان توهم المرض والصحة قد يوجب ذلك
وهو ايضا ضروري اذا عرفت ذلك فنقول انما كانت الامزجة قابلة لهذه الانفعالات عن هذه الاحوال
النفسانية فلا مانع ان يكون لبعض النفوس خاصية لاجلها يتمكن من التصرف في عنصر هذا العالم
بحيث يكون نسبتها الى كلية العناصر كنسبة انفسنا الى ابداننا فيكون لها حينئذ تاثير في اعداد المواد
العنصرية لان تفاض عليها صور الامور الغريبة التي تخرج عن وسع مثلها فاذا انضمت الى ذلك الرياضات
فانكسرت سورة الشهوة والغضب وصارتا اسيرتين في يد القوة العاقلة فلا شك انها حينئذ تكون اقوى
على تلك الافعال وتلك الخاصية اما بحسب المزاج الاصلي او بحسب مزاج طار غير مكتسب او بحسب الكسب
والاجتهاد في الرياضة وتصفية النفس والذي يكون بحسب المزاج الاصلي فذو المعجزات من الانبياء
او الكرامات من الاولياء فان انضم اليها الاجتهاد في الرياضة بلغت الغاية القصوى في ذلك الكمال ومن غلب
على مزاج من له هذه الخاصية ان يستعملها في طرف الشر وفي الامور الخبيثة ولا يزكي نفسه كالساحر فمنعه خبثه
عن الترقي الى درجة الكمال واعلم ان الشرط الاول في النبوة ان يكون الشخص مامورا من السماء باصلاح النوع ثم من
لواحق رتبته ان يستغنوا في اكثر علومهم عن معلم بشري بل يحصل لهم بحسب قواهم الحدسية القدسية الشريفة
البالغة وشدة اتصال نفوسهم بالحق سبحانه الثاني ان يكون هيولى العالم طوعا لما ارادوا من الامور العجيبة الخارقة
للعادة كالخسف والتحريكات والتسكينات الثالث ان يتمكنوا من الاخبار عن الغيبيات والامور الجزئية الواقعة
اما في الماضي او في المستقبل والشرط الاول هو العمدة في تميز درجة الانبياء عن غيرهم ولا شك ان اختصاصهم
به انما هو لشدة اتصالهم فاذن هم اشد اتصالا بالمبدا الاول واكمل قوة من غيرهم وكذلك اختلاف مراتبهم عائد ايضا
الى تفاوت نفوسهم في قربها من المبدا واتصالها به واما باقي الخصال فقد يشاركهم فيها الاولياء ويجمع فيهم والى
هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله علماء امتي كانبياء بني اسرائيل وكان التفاوت بين المعجزة والكرامة
انما يرجع الى ان الخصال المذكورة ان صدرت عمن له الشرط الاول سماها معجزا وان صدرت عن غيرهم
كانت في حكم الكرامة وتحقق هذه المباحث على مقدمات واصول ليس هذا موضع ذكرها فليطلب ذلك
من مظانها وبالله التوفيق **المقام الثاني** في وقوع الفعل الخارق عنه عليه السلم واعلم ان الطريق الى ذلك
هو النقل وقد نقل عنه ذلك في صور كثيرة بعضها بحسب التواتر وبعضها بخبر الاحاد فمن الامور الخارقة
المنقولة عنه بحسب التواتر قلعه لباب خيبر لما انتهى اليه وكان من حجرة واحدة عجز الجماعة عن تحريكه
وروي في كيفية حاله في ذلك انه لما اقلعه دحا به اذرعا واجتمع عليه سبعون رجلا وكان جهدهم ان اعادوه
الى مكانه وروي انه قال لما عالجت باب خيبر جعلته مجنا لي وقاتلت القوم فلما اخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم

طريقا ثم رميت به في خندقهم فقال له رجل لقد حملت يا امير المؤمنين منه ثقلا فقال ما كان الا مثل
جنتي التي في يدي في غير ذلك المقام ومعلوم ان ذلك لم يصدر عن قوة بدنية والا لقدر على ذلك من
هو اقوى صورة منه ولذلك قال عليه السلم والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولكن قلعته بقوة ربانية
وللشعراء في هذه الآية اشعار كثيرة والقصة مشهورة فهذا القدر يكفينا في بيان فضائله عليه
السلم وعليك في باقي الامور المنقولة عنه في ذلك بالكتب المصنفة في بيان معجزات الانبياء وكرامات
الاولياء واعلم انه قد اجتهد بنو امية في اخفاء فضائله واطفاء نوره بالتحريف ووضع المعايب والمثالب حتى سبوه
على جميع المنابر ومنعوا ان يروى حديث يتضمن له فضيلة وان يسمى باسمه احد فلم يزده ذلك الا اخفاء
الا ظهورا ولم يثمر ذلك الاطفاء الا نورا ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وكان مولده عليه السلم
قبل ظهور دعوة النبي صلى الله عليه وآله بثلث عشرة سنة وقيل باثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين
وقتل ليلة الجمعة لثلث عشرة ليلة بقين من شهر رمضان من سنة اربعين من هجرة الرسول بجامع
الكوفة وهو ابن ثلث وستين سنة فهذا ما اردنا من هذه المقدمة ولنشرع بعدها في تقرير المطالب
وقبله نذكر نسب السيد الرضي رضي الله عنه ونشرح ما عساه ان يشكل من لفظه في خطبة الكتاب
اما نسبه فهو السيد الشريف رضي الدين ابو الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب ابي احمد الحسين بن
موسى بن محمد بن موسى بن ابرهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب
عليهم السلم ووصف بذي الحسبين لاجتماع اصله الفاخر الذي هو منبع الحسب مع فضيلة نفسه وكمالها
بالعلم والادب وكان مولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلثمائة وتوفي في المحرم سنة ست واربعمائة بالكرخ
من بغداد ودفن مع اخيه المرتضى في جوار جده الحسين عليه السلم **خطبة الكتاب** قال رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمنا لنعمائه ومعاذا من بلائه ووسيلا الى جنانه وسببا لزيادة احسانه
والصلوة على رسوله نبي الرحمة وامام الائمة وسراج الامة المنتجب من طينة الكرم وسلالة المجد
الاقدم ومغرس الفخار المعرق وفرع العلاء المثمر المورق وعلى اهل بيته مصابيح الظلم وعصم الامم
ومنار الدين الواضحة ومثاقيل الفضل الراجحة صلى الله عليهم اجمعين صلوة تكون ازاء
لفضلهم ومكافاة لعملهم وكفاء لطيب فرعهم واصلهم ما انار فجر ساطع وخوى نجم طالع فاني كنت
في عنفوان السن وغضاضة الغصن ابتدات بتاليف كتاب في خصائص الائمة عليهم السلم يشتمل
على محاسن اخبارهم وجواهر كلامهم حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام وعاقت
عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام ومماطلات الزمان وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته
فصولا فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلم من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال

والاداب دون الخطب الطويله والكتب المبسوطه فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل
المقدم ذكره معجبين ببدايعه ومتعجبين من نواصعه وسالوني عند ذلك ان ابتدى بتاليف كتاب يحتوي
على مختار كلام امير المومنين عليه السلم في جميع فنونه ومتشعبات غصونه من خطب ومواعظ وادب علما ان ذلك
يتضمن من عجايب البلاغة وغرايب الفصاحة وجواهر العربيه وثواقب الكلم الدينيه والدنياويه ما لا
يوجد مجتمعا في كلام ولا مجموع الاطراف في كتاب اذ كان امير المومنين عليه السلم مشرع الفصاحة وموردها
ومنشا البلاغة ومولدها ومنه عليه السلم ظهر مكنونها وعنه اخذت قوانينها وعلى امثلته حذا كل قايل
خطيب وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ومع ذلك فقد سبق وقصروا وتقدم وتاخروا لان كلامه عليه السلم
الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي وفيه عبقة من الكلام النبوي فاجبتهم الى الابتداء بذلك عالما بما فيه
من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر واعتمدت به ان ابين عن عظيم قدر امير المومنين عليه السلم
في هذه الفضيله مضافة الى المحاسن الدثره والفضايل الجمه وانه عليه السلم انفرد ببلوغ غايتها من جميع السلف
الاولين الذين انما يوثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد فاما كلامه عليه السلم فهو البحر الذي لا يساجل
اولئك آبائي فجئني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير المجامع ورايت كلامه عليه السلم يدور على اقطاب ثلثه
اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسايل وثالثها الحكم والمواعظ فاجمعت بتوفيق الله تعالى
على الابتداء باختيار محاسن الخطب ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب مفردا لكل صنف من ذلك بابا
ومفصلا فيه اوراقا ليكون لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع الي آجلا واذا جاء شي من كلامه الخارج
في اثناء حوار او جواب كتاب او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته
الى اليق الابواب به واشدها ملاحظة لغرضه وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ومحاسن كلم غير
منتظمه لاني اورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق ومن عجايبه عليه السلم التي انفرد بها وامن المشاركه
فيها ان كلامه الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر اذا تامله المتامل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره
ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في انه من كلام من لا حظ له في غير الزهادة ولا شغل له بغير
العبادة قد قبع في كسر بيت او انقطع الى سفح جبل لا يسمع الا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس
في الحرب مصلتا سيفه فيقط الرقاب ويجدل الابطال ويعود به ينطف دما ويقطر مهجا وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد
وبدل الابدال وهذا من فضايله العجيبه وخصايصه اللطيفه التي جمع بها بين الاضداد والف بين الاشتات
وكثيرا ما اذاكر الاخوان بها واستخرج عجبهم منها وهي موضع للعبرة بها والفكرة فيها وربما جاء في اثناء هذا الاختيار
اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلم تختلف اختلافا شديدا فربما اتفق الكلام
المختار في رواية فنقل على وجهه ثم وجد بعد ذلك في رواية اخرى موضوعا غير موضعه الاول اما بزيادة مختاره
او لفظ احسن عبارة فتقتضي الحال ان يعاد استظهارا للاختيار وغيرة على عقايل الكلام وربما بعد العهد

ايضا بما اختير اولا فاعيد بعضه سهوا ونسيانا لا قصدا واعتمادا ولا ادعي مع ذلك اني احيط باقطار
جميع كلامه عليه السلام حتى لا يشذ عني منه شاذ ولا يند ناد بل لا ابعد ان يكون القاصر عني فوق الواقع الي
والحاصل في ربقتي دون الخارج من يدي وما علي الا بذل الجهد وبلاغ الوسع وعلى الله سبحانه نهج السبيل
وارشاد الدليل ان شاء الله ورايت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه ابوابها
ويقرب عليه طلابها وفيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ويمضي في اثنائه من عجيب الكلام
في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة ومن الله سبحانه
استمد التوفيق والعصمة واتنجز التسديد والمعونة واستعيذه من خطاء الجنان قبل خطاء اللسان ومن زلة
الكلم قبل زلة القدم وهو حسبي ونعم الوكيل اقول اما حرف تنبيه ابتدا الكلام المقسم الى قسمين او اكثر وتصدر
به الجمل فيختص معه كل واحدة بحكم ليس للاخرى فقوله اما بعد حمد الله هو الجزء الثاني من الكلام وتقدير الكلام
مع الجزء الاول اما قبل الشروع في المطلوب فالحمد لله واما بعد حمد الله فاني كنت في عنفوان السن واثناء هذا الجزء
الاول اختصار الكلام وايجازا له ثم استمر ذلك الحذف وحسن استعماله في الكلمات الخطابيه وغيرها حتى
صار اظهار المحذوف هيهنا مستهجنا بعده مما يستحسن الحذف وقال سيبويه انه مع الجملة التي يدخل عليها
في قوة شرطي متصل كانه قال اذا قلت اما زيد فمنطلق وكانك قلت مهما يكن من شي فزيد منطلق فكانك عوضت
ومنه على ذلك لزوم الفاء بجوابها اذ جعل انها الكلام مشتملا على جملتين شرط وجزاء والمذكور هيهنا ليس الا الجمله
الجزائيه واما الشرط فمحذوف للاختصار وهذا الحرف ينوب عنه كما تنوب ياء النداء مناب ادعو وانما مناب
الجواب وانما زحلقت الفاء عن موضعها والمبتدا الى الخبر لئلا يقع في صدر الكلام مع ان حقها التوسط
اما بين مفردين او جملتين وقوله بعد ظرف يستدعي متعلقا وتقديره واما قولي بعد حمد الله فهو كذا وكذا والحمد
لفظ مشترك يصدق على معنى الشكر الذي هو الاعتراف بالنعمة المتقدمة والثناء والتعظيم لزمها من الشكر
وعلى الثناء المطلق ابتداء والتعظيم لغير المحسن الى الحامد اذا راى منه فعلا جميلا دون ان يكون في حقه
فهو اذا اعم من الشكر وهو اخص من المدح لاختصاص اطلاقه في حق العقلاء دون غيرهم اذ يقال مدحت الفرس
ولا يقال حمدته والمعالي الجلال والوسايل جمع وسيلة وهي كل ما تقرب به الى الله تعالى او الى غيره والصلوة
لفظ مشترك بين معاني وهو من الله تعالى رحمة والنبي ماخوذ من النبوة والنباوة وهي الارتفاع لكونه مرتفعا على
الخلق بشيا لهم فيكون اصله غير الهمز واما من النبا وهو الخبر لانه يخبر عن الله تعالى والامة الجماعة والنجيب
المستخلص المصطفى وسلالة الشي ما استل منه واستخرج والنطفة سلالة الانسان ومنه السليل للولد
والمجد في الاصل الكرم والمجيد الكريم وكذلك الماجد فاعرق الرجل اذا صار عريقا وهو الذي له عرق في الكرم
والاصول والعصم جمع عصمة وهي المنع وفلان عصمة الخلق اذ امنع الاذى عنهم وحماهم منه والمنار علم الطريق
وهو لفظ مفرد واصل الفها الواو وقد يستعمل جمعا لمنارة كما اراده الرضي هيهنا ولذلك انث صفته وهذا الجمع

خطب

اخرت ر

الملجاء

ايتام

على غير قياس فان وزن منارة مفعلة وقياس مفعلة في الجمع مفاعل ولذلك كان الجمع الاصلي لمنارة مناور
قال الجوهري ومن قال منائر وهمز فقد شبه الاصلي بالزائد وارادة في حذفه في الجمع والمثاقيل جمع مثقال
وهو ما يوزن به الذهب والفضة ويكون مقدارها ثم كثر استعماله حتى عدي الى الموزون ثم يقال مثقال مسك
ونحوه ثم عدي الى الامور المعقولة والمقادير منها فقيل مثقال الفضل وهذا الشيء ازاء لذلك حذاله ويقابله
وكذلك المكافاة والكفاء يقال كافات فلانا بالشيء اذا قابلته به وجزيته عليه وكفا الشيء الند والحمر مثله
ونظيره من جزاء ونحوه ومنه كفات الاناء اذا املته ونوي النجم المخفف سقط وبالتشديد اذا مال للمغيب
وعنفوان الشباب والسن اوله والغض الطري وغضاضة الغصن طراوته ولينه وحداني على كذا اي بعثني
وحثني عليه وهو ماخوذ من حدو الابل وهو زجرها والغناء لها الباعث لها على السير والحامل لها على السرعة
فيه والخصائص جمع خصيصة فعيلة بمعنى فاعلة وهي ما يختص بالانسان من كمال وغيره والمحاجزات
جمع محاجزة وهي الممانعة من الطرفين كان الايام مانعة عن العمل وهو مانعها منعها له والمماطلات جمع مماطلة
مفاعلة ايضا من الطرفين كان الزمان لاغراض يطوله ويعده بانجاز العمل فيخلف وكانه هو يطول امله بعد
الزمان بوقوع المواعيد فيخلف واعجب فلان بكذا على البناء للمفعول فهو معجب اذا احبه ومال اليه وحسن
عنده في نحوه ان يعجب منه ومنه قولهم اعجب فلان برايه وعقله والبدايع جمع بديعة فعيلة بمعنى مفعولة
وهي الفعل على غير مثال ثم صار يستعمل في الفعل الحسن وان سبق اليه مبالغة في حسنه فكانه لكمال حسنه
لم يسبق اليه والتعجب قولك ما احسن كذا ونحوه من الالفاظ والمواضع جمع ناصعة والناصع من كل شيء خالصه
ونصع الامر وضح وبان ومعجبين ومتعجبين منصوبان على الحال والعجب بالشيء سبب التعجب منه وفنون الكلام
انواعه واساليبه المختلفة وعلما منصوب على المفعول له او على انه مصدر من غير لفظه او الحال اي عالمين
والعامل فيه قوله ما الوني والقوانين جمع قانون وهو كل صورة كلية يتعرف منها احكام جزئياتها المطابقة
لها واللفظة معرب وقيل انه عربي ماخوذ لكونه ثابتا باقيا اماما من القن وهو العبد الذي ملك هو وابواه فهو
ثابت في الملك من جهتين او من القنقن وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني وكذلك القانون بضم
القاف لكون القانون هاديا في تعرف جزئياته ويقال على فلان مسحة من جمال اي اثر وعلامة وهو خاص
بالمدح قال صلى الله عليه وآله في جرير بن عبد الله البجلي عليه مسحة من ملك اي اثره لك وقال ذو الرمة
على وجه مي مسحة من ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وعبق الطيب اي لزق به وانتشرت عنه
رائحته والعبقة واحدة العبوق واعتمدت اي قصدت والدثرة الكثيرة وكذلك الجمع والاثر ما بقي من رسم الشيء
وسنن رسول الله صلى الله عليه وآله آثاره ويؤثر عنهم ينقل عنهم من الآثار والشاذ المنفرد الذي لا يصيب شاذ
وشرد البعير نفر عن الابل وخرج عن نظامها والمساجلة المغالبة والمفاخرة في سقي او جري واصله من السجل وهو
الدلو العظيمة اذا كان فيها ماء قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكرب

سرياني م

لو كان

وحفل القوم واحتفلوا اي اجتمعوا والمحافل مفاعلة من الطرفين وقوله لا يحافل اي لا يبين في كلامهم غيره
جمع للفضائل بمعالي الكلام وقطب الرحى المسمار الذي عليه يدور ثم استعمل في كل اصل ينتهي اليه ويرجع فقيل قطب القوم
سيدهم لكونه عليه مدار امورهم وقطبا الفلك نهايتا محوره وهو الخط الذي يتوهم مارا بمركز الفلك منتهيا
في الجهتين الى طرفيه وعليه يدور والاقسام الكلام التي يدخل الجزاء تحتها ويدور عليه والخطبة اعم من
الوعظ والوعظ التخويف ويختص في العرف بالتذكير بايام الله ودار الآخرة وعذاب النار ونحوه والرسائل
من الكتاب نحو ان يكون بالقول دون كونها مكتوبة والصنف في اللغة والنوع واحد وان كان بينهما في
عرف آخر فرق والاجماع تصميم العزم على الامر وخلوصه من التردد واثناء الشيء تضاعيفه وهو جمع ثني بكسر
الثاء وسكون النون تقول انفذت كذا في ثني كتابي اي في طيه والحوار الخطاب والجواب والمحاورة المجاوبة
والترسيف الكلام بمعالي كلمه فلم يحر جوابا ولا انحاء جمع نحو وهو القصد وقواعد البيت الاحجار التي يؤسس عليها
بناؤه قال تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقواعد الهودج اخشابه الاربع المعترضات في اسفله
ثم عدي الى كل اصل بني عليه من كلام او غيره والملامحة المشابهة من قولهم في فلان ملامح من ابيه اي مشابه
واصله من لمح البصر وهو النظر الخفيف السريع الزوال وذلك ان اللمح مفعل وهو موضع اللمح والمشابهة محال اللمح
فلذلك اشتقت منها الملامحة وروي ملامحه وهي الملامحة وروي ملامحه ايضا والمتسق المنتظم سلوا
بعضه بعضا واصله المتسق فادغمت التاء في التاء والنكت جمع نكتة وهي الاثر في الشيء يتميز به بعض اجزائه
عن بعض ويوجب له الامتياز والتفات الذهن اليه كالنقطة في الجسم والاثر فيه الموجب للاختصاص
بالخطر ومنه رطبة منكتة اذا اثر الارطاب فيها ثم عدي الى الكلام والامور المعقولة التي يختص بعضها بالدقة الموجبة
لمزيد العناية والفكر فيها فيسمى ذلك البعض نكتة واللمع جمع لمعة وهي البقعة من الكلام وكذلك الجماعة من الناس
واصله من اللمعان وهو الاضاءة والبريق لان البقعة من الارض ذات الكلأ كانها تضيء بخضرتها ونضارتها
دون ساير البقاع وعدي ذلك الى محاسن الكلام وبليغه لاستنارة الاذهان به وتميزه عن ساير الكلام
فكانه في نفسه ذو ضياء ونور واعتراض الشك خطوره بالبال المانع للجزم باحد طرفي المشكوك فيه وقبع القنفذ
قبعا وقبوعا اذا ادخل راسه في جلده وكذلك الرجل اذا ادخل راسه في قميصه واصله من قبوع القنفذ وكسر الدال
اسفل نقمة البئر التي تلي الارض من حيث تكسر جانباه من عن يمينك وشمالك حكاه ابن السكيت وفي الجلد
سطوحه وجوانبه التي يسيل عليها الماء من اعلاه وقد يقال بالصاد ايضا ويوقن بعلم اليقين وانما صارت
الياء التي هي الاصل واوا للضمة قبلها والغوص في الامر دخل فيه بكليته واصله من الدخول في الماء ونحوه من
المايعات واصلت سيفه جردته من غمده وقط الشيء قطعه عرضا وقده وشقه قطعه طولا والبطل الشجاع
وجدلته اي القاه على الجدالة وهي الارض ونطق ينطق بضم الطاء في المستقبل نطقا اي سال والمهج
جمع مهجة وهي الدم ويقال هي دم القلب خاصة والمهجة الروح ايضا ودما ومهجا منصوبان على التمييز

والابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم اذا مات واحد بدل الله مكانه بآخر قال ابن دريد الواحد بديل وقيل
بدل ايضا والعبرة الاسم من الاعتبار وهو انتقال الذهن من امر الى امر والظهير المعين والاستظهار بالشيء الاستعانة
به والحفظ والشي الاستعانة به وعلى الشي الاستعانة بغيره الانعم والغيرة بفتح الغين مصدر قولك غار الرجل
على اهله يغار غيرة وغارا ورجل غيور وامراة غيور ايضا اذا كانا كثيري الغيرة والغيرة الرسانية عرض الذي يحمل
لمن يحب ان يشاركه غير المستحق لذلك الحق له فيه والعقايل جمع عقيلة وعقيلة كل شيء اكرمه واحسنه والاقطار
جمع قطر وهي الناحية والجانب وندا البعير يند ندا وندودا نفر وشرد والربق بكسر الراء وسكون الباء حبل فيه
عرى كثيرة تشد به البهم الواحدة من العرى ربقه وفي الحديث من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة
الاسلام من عنقه والجد الحرص والاجتهاد والبلاغ الاسم من التبليغ والبلوغ اقيم مقام المصدر والنهج
الطريق الواضح والبغيه بكسر الباء وضمها ما يراد ويبتغى من الشي والبلال بكسر الباء القدر الذي يبل به
الحلق من ماء اولبن والغلة والغليل العطش الشديد وجلاء السيف وغيره صقاله وازالة ما يعرض له من
الكدر وجلاء القلب والنفس ازالة ما يعرض لهما من كدر الشبهة والجهل وتنجزت الامر سالت انجازه وقضاءه
والاستعاذة طلب العوذ وهو الالتجاء كقوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم وزلة اللسان
الخطا في القول وزلة القدم خطاء الطريق والانحراف عنه وعدم الثبت على الصراط المستقيم
ذلك فيرجع الى المعنى **قوله** اما بعد حمد الله الى قوله وزيادة احسانه **اقول** الحمد لله تعالى
سواء كان عبارة عن الثناء والتعظيم المطلق او عن الشكر المستلزم لتقدم النعمة والاعتراف بها فان
المستحق له في الحقيقة ليس الا الله سبحانه ومع ذلك فهو من اجل العبادات له واكملها اما الاول فلان كل محسن
من الخلق انما يحسن طلبا لجلب منفعة او دفع مضرة وهذا الاحسان في الحقيقة معاملة وان عد في العرف
احسانا اما الحق سبحانه فلما كان منزها عن طلب المنفعة ودفع المضرة لم يكن احسانه استفادة لاحد فكان
المحسن الحق ليس الا هو فكان المستحق لكل اقسام الحمد ليس الا هو واما الثاني فبيانه اما في الثناء المطلق لله تعالى
وتعظيمه فلاستلزامه ملاحظة جلال الله وكبريائه وتصور الجهة التي باعتبارها كان مستحقا للثناء والتعظيم
دون غيره وهو كونه الها وربا وخالقا لكل ما سواه ومنزها عن كل نقص مبرا عن كل عيب وهذه الملاحظة لا غير
هو المطلوب لله سبحانه من جميع العبادات وهو جار منها مجرى الروح للجسد وكذلك الشكر لله سبحانه فانه مستلزم
لمعرفته ومحبته والالتفات اليه وملاحظة الجهة التي بها كان مستحقا للشكر وهي افاضة النعم التي لا تحصى
على العبد ولا يقدر غيره على مثلها وهذه الملاحظات هي الاسرار المطلوبة من العبادات وبها يكون تامة واذا
علمت ان الحمد من اكمل العبادات واتمها لله ثم علمت ان عبادته سبحانه هي المطلوبة له من خلقه دون غيرها كما قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون علمت ان الحمد من اكمل المطالب لله فالاتيان به يكون مستلزما لرضوان الله
وما يستلزمه الرضوان من الخيرات الدائمة والنعم الباقية واذا عرفت ذلك فاعلم ان السيد رضي الله عنه اشار

وتعظيم بهما

بهذه الفصول الاربعة الى اربعة انواع من تلك الخيرات الاول قبول الحمد ورضاه من العبد مع كونه ايسر شيء
مؤنة واخفه على اللسان كلفة ثناء مقابلا وكافيا لنعماء الله في حقه وذلك في الحقيقة نعمة اخرى وموهبة كبرى
يستدعي حمدا آخر وهلم جرا فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه وقوله ثمنا استعارة لطيفة ووجه
المشابهة ان الثمن لما كان مستلزما لرضاء البايع به عوضا من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضا البايع به عوضا
من مبيعه وكان الحمد مستلزما لرضاء الحق سبحانه في مقابلة نعمه لاجرم اشبه الثمن فاستعير لفظه له وفي الخبر
ان الله تعالى اوحى الى ايوب عليه السلم اني رضيت الشكر مكافاة من اوليائي في كلام طويل الثاني جعله الحمد
معاذا من بلائه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فانه تعالى لما توعد بالعذاب من كفر
نعمته مع ارادة الحمد والشكر وامره بهما في غير موضع علمنا ان الشكر والحمد من اسباب الخلاص من العذاب
الاليم والبلاء العظيم لاستلزامهما عدم سببه وهو الكفران واما ثانيا فلانك علمت ان الاتي بالحمد مستحق
لرضوان الله من جهة ما هو حامد والمستحق لرضوان الله ناج من عذاب الله وكان الحمد محلاة للعوذ
به من اليم سخطه الثالث جعله الحمد وسيلة الى جنانه وبيانه اما اولا فلكونه من اتم العبادات وكون
العبادة وسيلة الى الجنة ظاهر واما ثانيا فلما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي يوم القيمة ليقم
الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله على كل حال الخبر بان الحامدين
يدخلون الجنة بسبب حمدهم الرابع جعله الحمد سببا لزيادة احسانه وبيانه اما اولا فلقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم
فعلق زيادة النعمة بمجرد الشكر واما ثانيا فلان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع وانما النقصان من جهة العبد
لعدم الاستحقاق واذا استعد لقبول النعم بالحمد افاض الله تعالى عليه نعمة ثم لا يزال يستعد بالحمد والشكر على النعم
السابقة لمزيد النعم اللاحقة الى ان يخرج كل كمال له بالقوة الى الفعل فيلحق بدرجة الكروبين ومجاورة الملائكة
المقربين المعتكفين في حظيرة الجبروت وقد عرفت من هذا البيان ان كون هذه الامور لازمة للحمد انما هو بجعل الله
تعالى وملاحظة لعباده بعين عنايته وشمولهم بسعة رحمته **قوله** والصلوة على رسوله نبي الرحمة الى قوله
وخوى نجم طالع **اقول** اردف حمد الله تعالى بالصلوة على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وذلك من الاداب
الدينية التي استمرت عليها العادة في الخطب وذكر له صلى الله عليه اوصافا سبعة **الاول** كونه نبي الرحمة
ملاحظة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وتفصيل هذه الرحمة من وجوه **احدها** انه الهادي
الى سبيل الرشاد والقائد الى رضوان الله سبحانه وبسبب هدايته يكون وصول الخلق الى المقاصد العالية
ودخول جنات النعيم التي هي غاية الرحمة **الثاني** ان التكاليف الواردة على يديه صلى الله عليه اسهل التكاليف
واخفها على الخلق بالنسبة الى ساير التكاليف الواردة على ايدي الانبياء السابقين لامهم قال عليه السلم
بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وذلك عناية من الله ورحمة اختص بها امته على يديه **الثالث** انه ثبت انه
يعفو عن عصاة امته ويرحمهم بسبب شفاعته **الرابع** انه عليه السلم رحم كثيرا من اعدائه كاليهود والنصارى

والمجوس ببذل الامان لهم وقبول الجزية منهم وقال صلى الله عليه وآله من آذى ذميا فقد آذاني
ولم يقبل احد من الانبياء الجزية قبله **الخامس** انه سال الله تعالى ان يرفع عن امته بعده عذاب الاستيصال
ورفع العذاب رحمة **السادس** ان الله تعالى وضع في شرعه عليه السلام الرخص تخفيفا ورحمة لامته
الثاني كونه امام الائمة اما صدق كونه اماما فلوجهين احدهما ان الامام هو الرئيس المقتدى به في اقواله
والافعال والانبياء عليهم السلام احق الخلق بهذه الصفة اعم الاصل في ذلك الثاني ولقوله لابرهيم عليه السلام
اني جاعلك للناس اماما واما كونه امام الائمة فلقوله عليه السلام آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة **الثالث**
كونه سراج الامة وبيانه قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وهذه
استعارة لطيفة له عليه السلام فان السراج لما كان من خاصيته اضاءة ما حوله واهتداء الخلق به في الظلمة
وكان النبي عليه السلام قد اضاء قلوب العالم بانوار الوحي والرسالة حتى اهتدى الخلق به من ظلمة الجهالة لا جرم حسنت
استعارة لفظ السراج له وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول على سبيل الكناية عن كونه هاديا للخلق ومرشدا لهم
الى الطريق الحق **الرابع** كونه منتجبا ومختارا من طينة الكرم وطينة الكرم كناية عن اصله والكرم حقيقة في السخاء
ومجاز في مطلق الشرف والمراد ان الله سبحانه اصطفاه من اصل هو محل الكرم والشرف **الخامس** كونه سلالة
المجد الاقدم واضافة سلالة الى المجد اما على تقدير حذف المضاف الاصلي حتى يكون التقدير سلالة اهل
المجد الاقدم واما ان يكون قد استعار لفظ المجد لاصله عليه السلام فكانه تخيل ان الاصل كله مجد فاعطاه لفظة
المجد واضاف اليه بعد الاستعارة ثم وصف المجد بكونه اقدم لزيادة في الفضل على المحدث بل على القديم **السادس**
كونه مغرس الفخار والمعرق وقد استعار لفظ المغرس الذي هو حقيقة في الارض لطبيعته وجبلته استعارة على
وجه الكناية عن شرفه وكماله ووجه المشابهة ان طبيعته عليه السلام محل لظهور الفخار عنها كما ان الارض الحرة
محل لظهور النبات الطيب الحسن عنها ووصفه بكونه معرقا لزيادته على ما ليس كذلك وهذا من قبيل ترشيح
الاستعارة فانه لما جعل للفخار مغرسا جعل له عرقا **السابع** كونه فرع العلاء المثمر المورق لما استعار لفظ الفرع
الذي هو حقيقة في اغصان الشجرة المتفرعة عن اصلها له من جهة ما هو فرع في الوجود عن آبائهم اهل العلو
والشرف اي ما هو من كمال الفرع وهو كونه مثمرا مورقا وهو ترشيح للاستعارة اضاف الى الغصن الخالي عن الثمر والورق
او عن احدهما ناقص الكمال والحسن وهي استعارة على سبيل الكناية عن شرفه بالنظر الى شرف اصله واضافة
الفرع ههنا الى العلاء كاضافة لفظ السلالة الى المجد فالكلام فيهما واحد واما بيان صدق الاوصاف الاربعة
الاخيرة فمن وجوه الاول ما روي عنه عليه السلام انه قال لم يزل الله تعالى ينقلني من اصلاب الطاهرين الى ارحام المطهرات
لم يدنسني بدنس الجاهلية وكفى بذلك شرفا وكرما الثاني انه صلى الله عليه وآله من ولد اسمعيل وابرهيم عليهما السلام
وكرمهما مشهور قال وهب وكان ابرهيم عليه السلام اول من اضاف الضيف واول من ثرد الثريد واطعم المساكين
الثالث نسبه عليه السلام من قريش وشرف قريش في العرب ظاهر فمنهم قصي الذي جمع قبائل قريش وانزلها مكة

وبنا دار الندوة واخذ مفتاح الكعبة من خزاعة ومنهم هشام بن عبد مناف الذي هشم الثريد لقومه
في عام المحل ومنه سمي هاشما واصل اسمه عمرو قال الشاعر عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون
عجاف ومنهم عبد المطلب بن هاشم وكان من حكماء العرب وهو سيد الوادي وشيبة الحمد جد النبي عليه السلام
الاعظم وببركة النور الذي كان في صلبه دفع الله عن بيته كيد اصحاب الفيل وارسل عليهم طيرا ابابيل
ترميهم بحجارة من سجيل وببركة ذلك النور رأى الرؤيا في تعريف موضع زمزم وهو الذي الهم النذر
ان يذبح العاشر من اولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان
لشرفه وفضل عقله تدرسم اليه النظر في حكومات العرب وفصل الخصومات بينهم فكان يوضع
له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة ويحكم بينهم وجزئيات فضله وشواهد عقله كثيرة وله اشعار
كثيرة واخبار تدل على انه كان مقرا بالصانع الحكيم موحدا له معترفا بامر المعاد من رامها طالع كتب التاريخ
قوله وعلى اهل بيته الى قوله ومثاقيل الفضل الراجحة **اقول** اختلف الناس في المراد باهل البيت
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فقال الجمهور ان نساء النبي عليه السلام مرادون
بهذه الاية ومن الناس من خصصها بهن مستدلين بسياق الكلام قبلها وبعدها واتفقت الشيعة
على انها خاصة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهو قول ابي سعيد الخدري وهو مراد الرضي
ههنا مع من بعدهم من الائمة الاثني عشر وقد وصفهم باربعة اوصاف احدها كونهم مصابيح الدجى
استعارة لهم كنى بها عن كونهم يهتدى بهم من ظلمات الجهل كما يهتدي بالمصباح في الظلمة وثانيها
كونهم عصما للاحم اي مانعين لهم بسبب هدايتهم لهم الى سلوك الصراط المستقيم عن التورط في احد
طرفي الافراط والتفريط وثالثها كونهم منار الدين الواضحة وقد عرفت ان المنار هي محال الانوار وهي ايضا
استعارة حسنة كما مر ورابعها كونهم مثاقيل الفضل الراجحة وهذه الاضافة اما بمعنى اللام اي مثاقيل
للفضل اي اذا اعتبر فضل غيرهم ونسب بعضه الى بعض كانوا مثاقيل راجحة لذلك الفضل يعتبر رجحان بعضه
على بعض بالنسبة اليها او بمعنى من اي مثاقيل من الفضل مطبوعة ترجح على غيرها ولفظ المثاقيل ههنا مستعار
لهم ايضا ووجه المشابهة كونهم معيار الخلق وموازين لهم كما ان المثاقيل كذلك **قوله** صلى الله عليهم اجمعين
الى قوله نجم طالع **اقول** لما دعا الله سبحانه لهم بالصلوة نبه على استحقاقهم لها باعتبار ثلثة امور احدها
اعتبار فضائلهم النفسانية كالعلوم والملكات الخلقية الفاضلة وثانيها اعتبار اعمالهم الظاهرة كالعبادات
البدنية وثالثها اعتبار طيب اصولهم الزاكية المطهرة وتفرعهم عنها بان هذه الامور هي جهات استحقاق
الرحمة **قوله** فاني كنت في عنفوان شبابي الى آخر الكلام **اقول** لما صدر الخطبة بذكر الله تعالى والثناء عليه
والصلوة على رسول الله واهل بيته صلى الله عليهم شرع في اقتصاص حاله في جمع هذا الكتاب وذكر الاسباب الحاملة
له على التصنيف في مدح كلام علي عليه السلام ثم ذكر في ذلك الاقتصاص امورا يحتاج الى التنبيه الاول ان هذا المجموع من الكلام

ويحتمل ...

الماندرهم

وكيفية الغذاء الحي الفخر رسول الله صلى الله عليه والمجد الى وقال انا ابن الذبيحين وكان بامر اولاده ...

جزء من كل من كلامه عليه السلم وذلك في قوله ان ابتدي بتاليف كتاب يحتوي على مختار كلام امير المؤمنين ودرّ
امر طاهر قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول اني وجدت بمصر مجموعا من كلام
علي عليه السلم في نيف وعشرين مجلدا **الثاني** ان قوله جواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية استعارتان
لطيفتان لهذين اللفظين من الحجرين المخصوصين المعينين اللذين هما خاص الالفاظ العربية والحكم الفاضلة
التي يشتمل عليهما كلامه عليه السلم ووجه المشابهة هو ما اشتركا فيه من العزة والنفاسة
كل النسبة الى جنسه فعزة الحجرين النسبة الى مطلق الاحجار وعزة الالفاظ الفصيحة والحكمة البالغة
بالنسبة الى ساير الالفاظ والمعاني المعقولة **الثالث** كونه عليه السلم شرعا للفصاحة وموردها وهي ايضا
استعارة لهذين اللفظين اللذين هما حقيقه في النهر والعين ونحوها له عليه السلم ووجه المشابهة
ان الشريعة من الماء كما يردها العطشى للتروى والاستقاء كذلك هو عليه السلم مرجع الخلائق في استفادة الفصاحة
ولو قال مصدرها ومواردها لكان ابلغ اذ كان المشرع والمورد مترادفين او قريبين من الترادف وكذا
قوله منشأ البلاغة ومولدها استعارة ايضا تشبيها لذهنه عليه السلم بالام وتشبيها للفصاحة
بالولد في الصدور عنه **الرابع** قوله لان كلامه عليه السلم الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي
وفيه عبقة من الكلام النبوي قدر العلم الالهي كله حسنا وجمالا حتى جعل في كلامه عليه السلم
اثر منه وقدر الكلام النبوي طيبا كالمسك الاذفر حتى جعل في كلامه عليه السلم عبقة منه
واستلزم ذلك تخيل حاستي البصر والشم للعقل ليدرك بالاولى المسحة من العلم الالهي وبالثانية
العبقة من الكلام النبوي وهي استعارة على طريق الكناية فكنى بالمسحة عما ادركه العقل في كلامه
من الحكمة المشار اليها في القرآن الكريم والفصاحة وكنى عما ادركه من الاسلوب والطريقة الموجودة فيه مع
الفصاحة والحكم في الكلام النبوي فكان العقل يبصر ويشم بقوته اثر العلم الالهي فيه ويشم رايحة الكلام
النبوي منه قال ابو الحسن الكيذري رحمه الله انما خص الكلام الالهي بالمسحة والكلام النبوي بالعبقة لان
كلامه عليه السلم شديد الشبه بكلام الرسول صلى الله عليه وآله فهو كالجزء منه لانهما غصنا دوحة وفرعا
ارومة ولما كان معنى عبوق الشيء بالشيء لزومه له والتصاقه به صار لشدة اتصاله به كالجزء منه فلذلك
قال عبقة من الكلام النبوي ولما كان معنى المسحة الاثر من الجمال ولم يكن بمجرد الاثر من الشيء في الشيء وجب لزومه
له وشدة المشابهة به وكان كلام الله سبحانه بعيد الشبه بكلام الخلق لا جرم خصه بالمسحة دون العبقة
وهذا الفرق مع تلخيص اله فيه تكلف ويمكن ان تقدر على وجه آخر ويقال ان العبقة ادل على وجود العابق
من المسحة على وجود ما هي منه فان العبقة تدل على وجود العابق للمحل في الظاهر وفي نفس الامر واما المسحة
من الشيء وهي الاثر منه فانما يدل على وجوده للمحل في الظاهر فقط الا ترى الى قوله على وجهه مسحة من
ملاحة وتحت الثياب الشين لو كان باديا وايضا فان اثر الجمال او الثروة او الملك قد يدل عند بعض الاذهان

ولا يدل عند بعض آخر واذا عرفت ذلك فنقول لما كان كلام علي عليه السلام شديد المناسبة بكلام النبوة
في الاسلوب الظاهر وفي الحكم الباطنة كان كالجزء منه وكانت استعارة لفظة العبقة لكلام النبوة اولى
لدلالتها على شدة اتصال وجود ما هي منه وهو كلام النبوة في كلام علي حتى كانه جزء منه ولما كان الكلام الالهي بعيد
المناسبة لكلام الخلق وكانت نسبة كلام علي عليه السلم اليه في بعض الجهات اما في اشتماله على بعض الحكم
او على الفصاحة دون الاسلوب وكانت المسحة من الشيء انما يدل على وجوده من بعض الجهات وهي الظاهر
فقط كانت استعارة لفظ المسحة للكلام الالهي اولى والله اعلم **الخامس** قوله فهو البحر الذي لا يساجل استعار
لفظ البحر لكلامه عليه السلم واشار الى وجه المشابهة بقوله لا يساجل فان المساجلة لما كانت هي المغالبة
في السقي والجري وكان كلامه عليه السلم اكثر جريانا في كلام البلغاء من غيره وكانت اوعية اذهانهم قد امتلأت
من فيضه لا جرم اشبه البحر الذي لا يغلبه بحر آخر في سقي ولا جري اي لا يقاوم في فصاحته ولا حكمه وكذلك
قوله لا يحافل استعارة للفظ المحافلة التي هي وصف من اوصاف الانسان لكلامه تشبيها له بالرجل ذي
المحفل الجم والجماعة الكثيرة التي لا يمكن ان يكاثر مثلها **السادس** قوله يسوغ الى التمثل مجاز في الاسناد فان
السوغ حقيقة في الشراب فاسناده الى التمثل مجاز ووجه العلاقة ان التمثل بما يريد اذا حسن بين الناس
وسار كان ذلك لذيذا عندهم فاشبه في لذاذته وجريانه بين الناس الماء الزلال في لذاذته وسهولة جريانه
في الحلق فحسن اسناد لفظ السوغ اليه **السابع** قوله ويخلع من قلبه انه كلام مثله الى قوله لم يعترضه الشك
الضمير في مثله راجع الى علي عليه السلم ومن في قوله من لبيان الجنس ومعنى الكلام ان المفكر في كلامه
اذا فرضنا انه لم يعرف انه من كلامه عليه السلم او كلام شخص آخر مثله في كونه عظيم القدر نافذ الامر خايضا في
غمرات الحروب مشافهتها بنفسه مدبرا امور الخلق ونظام احوالهم قد ملك الارض بل بفرض انه وجد
هذا الكلام غير منسوب الى شخص معروف الحال فانه والحال هذه لا يعترضه شك في انه كلام شخص
معرض عن غير الله بقلبه غير مشغول بغيره مصروف همته الشك الذي عساه يعترض لبعض الاذهان الضعيفة
في انه ليس بكلامه انما نشأ من معرفته بانه كلام شخص خايض في تدبير الدنيا واحوالها فيكون تلك المعرفة
منشأ العروض الشك في ان هذا الكلام ليس بكلام رجل بهذه الحال وانما قال قد قبع في كسر بيت وانقطع الى سفح
جبل لان ذلك من شعار الزهاد المعرضين عن الدنيا والضمير في قوله يبع وحده عايدا الى من اي لا يبيع
هو الاحوال نفسه **الثامن** قوله ينغمس في الحرب مصلتا استعارة حسنة في النسبة اي في نسبة الانغماس
الى الحرب فان الانغماس حقيقة في الدخول في الماء وما في معناه الا ان الحرب لما كانت في غمارها واختلاط
المحاربين فيها اشبه الماء المتراكم الجم صحت نسبة الانغماس اليها كما صح اليه فقال انغمس في الحرب
وخاض فيها ونحوه وقوله يقطر مهجا ان فسرنا المهجة بالدم كانت نسبة القطر اليها حقيقة وان فسرناها
بالروح كانت مجازا تشبيها الروح بالمايعات الخارجة من الانسان كالدم ونحوه **التاسع** قوله وهو مع ذلك

زاهد الزهاد وبدل الابدال الواو للحال وثبوت هذين الوصفين له عليه السلام معلوم من اتفاق الصوفية
واهل التجريد اليه وقد بينا في مقدمة الكتاب انه عليه السلام كان سيد العارفين بعد سيد المرسلين
صلى الله عليه وآله وبينا ايضا ان نفسه القدسية كانت وافية بضبط الجوانب المتجاذبة قوية عليها فلذلك
لم يكن اشتغاله بتدبير امور الدنيا ومعالجات الحروب ونظم شمل المصلحة مانعا له من الاشتغال بالعبادة الباكية
والاقبال بوجه نفسه القدسية على الانتعاش بانوار الله والاخلاص له والاعراض عن متاع الدنيا
وطيباتها وهذه من فضايل نفوس الانبيا وكمالات نفوس الاولياء اما الزهد فهو الاعراض عن غير الله وقد
يكون ظاهرا وقد يكون باطنا الا ان المنتفع به هو الباطن قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم
ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وان كان لابد من الزهد الظاهري اولا اذ الزهد الحقيقي في مبدا السلوك
لا يتحقق والسبب فيه ان اللذات البدنية حاضرة والغاية العقلية التي يطلبها الزهد الحقيقي غير متصورة له في مبدا
الامر واما الظاهري فهو ممكن متيسر لمن قصده لغير غايته وهي الريا والسمعة ولذلك قال صلى الله عليه وآله
الريا قنطرة الاخلاص ولما بينا ان عليا عليه السلام كان سيد العارفين بعد رسول الله صلى الله عليه
وآله فلابد وان يكون زهده حقيقيا وستعرف في اثناء كلامه بلوغه في درجة الزهد الغاية واما كونه مع ذلك
بالشجاعة المشهورة عنه فهو انك علمت ان نفس العارف يجب ان يكون مستلزمة للملكات الخلقية وقد
عرفت ان الشجاعة اصل منها ولان المانع من الاقدام على الاهوال والمكاره انما هو خوف الموت وحب البقاء
والعارف بمعزل عن تقيد الموت اذ كانت محبة الله تعالى شاغلة له عن الالتفات الى كل شيء بل ربما يكون الموت
مشتهى له لكونه وسيلة الى لقاء المحبوب الاعظم وغايته القصوى وقد بينا ذلك في تفصيل احوال العارفين
من كتاب مصباح العرفان واما الابدال فقد نقل انهم سبعون رجلا منهم اربعون رجلا بالشام وثلثون في سائر
البلاد وفي الحديث عن علي عليه السلام الابدال بالشام والنجباء بمصر والعصائب بالعراق يجتمعون فيهم حرب فيكون
العاشر قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا واستخرج عجيجهم
اي محجوجهم منها من القوة الى الفعل ومن روى عُجبهم بضم العين فالمراد اني اذكرهم بهذه الفضيلة
ليظهر محبتهم لها وميلهم اليها قال ابو الحسن الكندري واستخرج عجبهم اي اعرفهم انهم عاجزون عن
امثالها فلو سعى لهم حمد عجب بانفسهم منها اي من اجل معرفتها وظاهر ان هذا اللفظ لا يعطي هذا
المعنى الحادي عشر قوله والعذر في ذلك ان روايات كلامه عليه السلام تختلف اختلافا شديدا
اقول سببا لاختلاف يحتمل وجهين احدهما انه عليه السلام ربما تكلم بالمعنى الواحد مرتين
او اكثر بالفاظ مختلفة كما هو شان البلغاء واهل الفصاحة فينقله السامعون باللفظ الاول والثاني
فيختلف الرواية الثاني ان الناس في الصدر الاول كانوا يتلقون الكلام من افواه الخطباء ويحفظونها
على الولاء فربما لا يمكن السامع من حفظ كل اللفظ ومراعاة ترتيبه فيقع بسبب ذلك الاختلاف في الترتيب او نقصان

في الرواية وربما راعى بعضهم حفظ المعنى من دون ضبط الالفاظ فاورد في اللفظ زيادة ونقصانا الثاني عشر
قوله نهج البلاغة استعارة لطيفة لهذا الكتاب لان النهج حقيقة في الطريق الواضحة المحسوسة ووجه
المشابهة ان الطريق لما كانت محل الانتقال بالمشي وقطع الامصار المحسوسة من واحد الى آخر كذلك الذهن متنقل
في هذا الكتاب من بعض لطايف البلاغة وشعب الفصاحة الى البعض لتلقا الاسهل فلذلك صح نقل لفظ
النهج اليه واستعارته له وبالله التوفيق فهذا بيان ما عساه يشكل في هذه الخطبة ويأتي في كلامه ظاهرا
ولنشرع في شرح كلام علي عليه السلام باب المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام
واوامره وكلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات المحضورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة
ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتدا خلق السماء والارض وخلق آدم عليه السلام قوله
الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ولا يحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه
بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود
ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اول الدين معرفته وكمال
معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الاخلاص له وكمال الاخلاص له نفي الصفات
عنه لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه
فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه ومن جزاه فقد جهله ومن جهله فقد اشار اليه ومن اشار اليه
فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه كائن لا عن حدث موجود
لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه
من خلقه متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده اقول اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على
مباحث عظيمة ونكت مهمة على ترتيب طبيعي فلنعقد فيها خمسة فصول الفصل الاول في صدرها
بذكر الله جل جلاله وتمجيده والثناء عليه بما هو اهله وهو قوله الحمد لله الى قوله ولا يستوحش لفقده اقول
المدح والمديح الثناء الحسن والمدحة فعلة من المدح وهي الهيئة والحالة التي ينبغي ان يكون للمادح عليها
والاحصاء انهاء العد والاحاطة بالمعدود ويقال احصيت الشيء اي انهيت عده وهو من لواحق العدد
ولذلك نسبه الى العادين والنعماء النعمة وهو اسم يقام مقام المصدر وادى حق فلان اذا قابل احسانه
باحسان مثله والادراك اللحوق والنيل والاصابة والوصول والوجدان والهمة هي العزم الجازم والارادة يقال فلان
بعيد الهمة اذا كانت ارادته يتعلق بعليات الامور دون محقراتها والغوص الحركة في عمق الشيء من قولهم غاص في الماء
اذا ذهب في عمقه والفطن جمع فطنة وهي في اللغة الفهم وهو عند العلماء عبارة عن جودة استعداد الذهن لتصور
ما يرد عليه والحد المنع ومنه سمى العلماء تعريف الشيء باجزائه حدا لانه يمنع ان يدخل في المحدود
ما ليس منه او يخرج منه ما هو منه والنعت الصفة والاجل المدة المضروبة للشيء والفطر الشق والابداع مثل

ابن عباس ما كنت ادري ما معنى قوله فاطر السموات والارض حتى جاء في اعرابيان يختصمان على بير فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدعتها والخلايق جمع خليقه وهي اما بمعنى المخلوق يقال هم خليقة الله وخلق
الله اي مخلوقه او بمعنى الطبيعة لان الخليقة هو الطبيعة ايضا والنشر البسط ووتد بالفتح اي ضرب
الوتد في حايط او في غيره والصخور الحجارة العظام والميدان الحركه بتمايل وهو الاسم من ماد يميد ميدا ومادت الاغصان تمايلت
تمايلا والدين في اصل اللغة يطلق على معان منها العادة ومنها الاذلال يقال دانه اي اذله وملكه ومنه
قول الحماسي دناهم كما دانوا ومنها المجازاة كقوله تعالى انا لمدينون اي مجزيون والمثل المشهور كما تدين تدان
ومنها الطاعة يقال دان له اي اطاعه كقول عمرو بن كلثوم عصينا الملك فينا ان ندينا ويطلق في العرف
الشرعي على الشرايع الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وقرنه اي جعل له قرينا والمقارنة الاجتماع ومنه
من قرنى الثور وغيره ومنه القرن المثل في السن وكذلك القرن من الناس اهل الزمان الواحد قال اذا ذهب
القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب والمزايلة المفارقة وهي مفاعلة من الطرفين والتوحد
بالامر التفرد به عمن يشاركه فيه والسكن بفتح الكاف كل ما سكنت اليه والاستيناس بالشي ميل الطبع اليه
وسكونه وكذلك التانس ومنه الانس وهو المونس والاستيحاش ضد الاستيناس وهو نفرة الطبع بسبب
فقد المونس واعلم انا نفتقر في بيان نظام كلامه عليه السلام في هذا الفصل الى تقديم مقدمة فنقول الصفة
امر يعتبره العقل لامر آخر ولا يمكن ان يعقل الا باعتباره معه ولا يلزم من تصور العقل شيئا لشي ان يكون
ذلك المتصور موجودا لذلك الشي في نفس الامر بيان ذلك ما قيل في رسم المضاف انه الامر الذي يعقل ماهيته
بالقياس الى غيره وليس له وجود سوى معقوليته بالقياس الى ذلك الغير والصفة تنقسم باعتبار العقل
الى حقيقية واضافية وسلبية وذلك لان نسبة العقل للصفة الى غيرها اما ان يعقل معها نسبة من المنسوب
اليه او لا يعقل فان كان الاول فهو المضاف الحقيقي وحقيقته ان المعقول بالقياس الى غيره يكون بازائه معقول
له اليه نسبة ولا يكون له وجود سوى معقوليته بالقياس اليه ككونه تعالى خالقا ورازقا وربا فان حقيقة هذه
الصفات هي كونها معقوله بالقياس الى مخلوقيه ومرزوقيه ومربوبية موازية وان كان الثاني فالمنسوب
اليه اما ان يكون موجودا للمضاف او ليس بموجود له والاول هو الصفات الحقيقية ككونه تعالى حيا فانه
امر يعقل بالقياس الى صحة العلم والقدرة له وليس بازائه امر يعقل منه نسبة اليه وقد عرفت فهنا اذن ثلث صفات
المقام الاول في انه يجب عليك ايها الاخ المتلقي لنفحات الله ان تذكر ان خليفة اليه والثاني
هو الصفات السلبية ككونه تعالى ليس بجسم ولا بعرض وغيرهما فانها امور تعقل له بالقياس الى امور غير موجودة
له تعالى ثم نقول انه لا يلزم من اتصاف ذاته سبحانه بهذه الانواع الثلثة من الصفات تركيب ولا كثرة في
ذاته لانها اعتبارات عقلية تحدثها عقولنا عند المقايسة الى الغير ولا يلزم من ذلك ان يكون موجودة
في نفس الامر وان لم تعقل ولما كان داب العقلاء ان يصفوا حال العقهم سبحانه بما هو اشرف طرفي النقيض

لما تقرر في عقولهم من عظمته ومناسبة اشرف الطرفين لعظمته كان ما وصف به تعالى من الصفات
الحقيقية والاضافية والسلبية كلها كذلك اذا عرفت ما قلناه فاعلم انه عليه السلام شرع اولا في الاعتبارات
السلبية وقدمها على الثبوتية لدقيقة وهي انه قد ثبت في علم السلوك الى الله ان التوحيد المحقق والاخلاص
المطلق لا يتصوران الا بنفض كل ما عداه عنه وتنزيهه عن كل لاحق له وطرحه عن درجة الاعتبار وهو المسمى
في عرف المجردين واهل العرفان بمقام التخلية والنفض والتفريق وما لا تحقق الشي الا به كان اعتباره مقدما
على اعتباره ولهذا الترتيب كان اجل كلمة نطق بها في التوحيد قولنا لا اله الا الله اذ كان الجزء الاول منها مشتملا
على سلب كل ما عدا الحق سبحانه مستلزما لغسل درن كل شبهة لخاطر سواه وبمقام التنزيه والتخلية حتى اذا
انزاح كل ثان عن محل عرفانه استعد بجوده للتحلية بنور وجوده وهو ما اشتمل عليه الجزء الثاني من هذه الكلمة
هو م
ولما انه عليه السلام كان لسان العارفين والفاتح لاغلاق الطريق الى الواحد الحق تعالى والمعلم المرشد لكيفية السلوك
وكانت الاوهام البشرية حاكمة بمثليته تعالى لمدركاتها والعقول قاصرة عن ادراك الحقيقة والوصول الى ساحل
عزته والتنزيه له عما لا يجوز عليه اذا امكن وجوده نادرا لم يكن للاوهام الواصفة له تعالى بما لا يجوز عليه معارض
في اكثر الخلق بل كانت جارية على حكمها فاين لعقولها الى تلك الاحكام كالتشبيه ونحوهم لا جرم بدا عليه السلام
الباطلة م
بذكر السلب اذ كان تقديمه مستلزما لغسل درن الحكم الوهمي في حقه تعالى عن الواح الخيال والذكر حتى اذا
اورد عقيب ذلك ذكره تعالى بما هو اهله ورد على الواح صافية من كدر الباطل فانتقشت بالحق كما في نفس الامر
فكيا خاليا فتمكنا ثم انه عليه السلام بدا بتقديم حمد الله على الكل هاهنا وفي ساير خطبه جريا على العادة في افتتاح
الخطب وتصديرها وسر ذلك تاديب الخلق بلزوم الثناء على الله تعالى والاعتراف بنعمه عند افتتاح كل
خطاب لاستلزام ذلك ملاحظة حضرة الجلال والالتفات اليها على عامة الاحوال وقد بينا ان الحمد يفيد
معنى الشكر ويفيد ما هو اعم من ذلك وهو التعظيم المطلق وهو بجميع اقسامه مراد هاهنا لكون الكلام في معرض التمجيد
المطلق قوله الذي لا يبلغ مدحته القائلون اقول اراد تنزيهه تعالى عن اطلاع العقول البشرية
على كيفية مدحه سبحانه كما هي وبيان هذا الحكم ان الثناء الحسن على الشي انما يكون كما هو اذا كان ثناء عليه
بما هو كذلك في نفس الامر وذلك غير ممكن في حق الواجب الوجود سبحانه لا تعقل حقيقته وما لها من صفات
الجلال ونعوت الكمال كما هي وعقول البشر قاصرة عن هذا المقام فالقول وان صدر من المادحين بصورة
المدح المتعارف بينهم على ما هو لديهم من وصفه تعالى بما هو اشرف طرفي النقيض فليس بكمال مدحه في نفس الامر
لعدم اطلاعهم على ما به يكون المدح الحق في حقه وان تصور بصورة المدح الحق والى اديب الخلق وتنبيههم
على بطلان ما حكم به اوهامهم في حقه تعالى من الصفات وانه ليس الامر كما حكمت به اشار عليه السلام في غير
آخر وقد سال بعضهم عن التوحيد فقال التوحيد ان لا تتوهمه فجعل التوحيد عبارة عن سلب الحكم الوهمي في
حقه تعالى فاستلزم ذلك ان من اجرى عليه حكما وهميا فليس بموحد له على الحقيقة والى هذا المعنى اشار الباقر محمد بن

على عليهما السلم مخاطبا وهل سمي عالما قادرا الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين فكلما ميزتموه
باوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم والباري تعالى واهب الحيوة ومقدر الموت
ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانيتين كمالها فانها تتصور ان عدمهما نقصان لمن لا يكونان له
فهكذا شان الخلق فيما يصفون به باريهم فان اوهامهم حاكمة له بكل ما يعدونه كمالا في حقهم ما لم تعوقهم
على رده بعض تلك الاحكام الوهمية ولا رادع الشرع كقوله صلى الله عليه تفكروا في الخلق ولا تتفكروا
في الخالق لصرحوا بكثير من تلك الاحكام في حقه سبحانه وتعالى عما يصفون ويحتمل ان يكون المراد بتنزيهه تعالى
عن بلوغ العقول والاوهام تمام الثناء الحسن عليه واحصائه اي ان العبد كلما بلغ مرتبة من مراتب المدح والثناء
كان وراءها اطوار من استحقاق الثناء والتعظيم اعلى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه
بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وفي تخصيصه عليه السلم القائلين دون المادحين
بالذكر نوع لطف فان القائل لما كان اعم من المادح وكان سلب العام مستلزم لسلب الخاص من غير عكس كان
ذكر القائلين ابلغ في التنزيه اذ التقدير لا واحد من القائلين يبالغ مدحة الله سبحانه **قوله** ولا يحصي
نعماءه العادون **اقول** المراد ان جزئيات نعم الله تعالى وافرادها لا يحيط بها حصر الانسان وعده
لكثرتها وبيان هذا الحكم بالنقل والعقل اما النقل فقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه
الاية هي منشا هذا الحكم ومصدره واما العقل فلان نعم الله تعالى على العبد منها ظاهرة ومنها باطنة
كما قال تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ويكفينا في صدق هذا الحكم التنبيه على بعض جزئيات نعم الله
تعالى على العبد فنقول ان من جملة نعمه تعالى على الانسان ان اكرمه بالملائكة وجعلهم مسجودا لهم ومخدوما
وجعلهم في ذلك على مراتب فليذكر اقربهم اليه واخصهم به وهم الملائكة الذين يتولون اصلاح بدنه والقيام
بمهماته وحوائجه وان كانوا في ذلك ايضا على مراتب فجعل سبحانه لهم رئيسا هو لهم كالوزير الناصح المشفق
من شانه تمييز الاصلح والانفع له والامر به وجعل بين يدي ذلك الوزير ملكا آخر هو كالحاجب له والمتصرف
بين يديه من شانه تمييز اصدقاء الاصدقاء للملك من عداوة الاعداء له وجعل لذلك الحاجب ملكا خازنا
يضبط عنه ما يعرض من الامور ليطالعها الوزير عند الحاجة اليها ثم جعل بين يديه ملكين آخرين احدهما
ملك الغضب وهو كصاحب الشرطة موكل بالخصومات والغلبة والبطش والانتقام والثاني ملك اللذة و
المتولي لمشتهيات الانسان بالطلب والامر بالاستحضار وبين يديه ملائكة اخرى تسعى في تحصيل ما امر به
ويطلبه ثم جعل سبحانه وراء هؤلاء سبعة اخرى من الملائكة شانهم اصلاح غذاء الانسان فالاول موكل بجذب
الغذاء الى داخل المعدة اذ الغذاء لا يدخل بنفسه فان الانسان لو وضع اللقمة في فيه ولم يكن لها جاذب لم يدخل
والثاني موكل بحفظه في المعدة الى تمام نضجه وحصول الغرض منه والثالث موكل بطبخه وتنضيجه والرابع
موكل بتفريق صفوته وخلاصته في البدن سدا لبدل ما يتحلل منه والخامس موكل بالزيادة في اقطار الجسم

على التناسب الطبيعي بما يوصله اليه الرابع فيها كالمالي والمتناول والسادس موكل بفصل صورة الدم
من الغذاء والسابع الذي يتولى دفع الفضلة الغير المنتفع بها عن المعدة ثم وكل تعالى خمسة اخرى
في خدمته شانهم ان يوردوا عليه الاخبار من خارج وجعل لكل واحد منهم طريقا خاصا ومعلاجا خاصا
وجعل لهم رئيسا يبعثهم ويرجعون اليه باعلامه وجعل لذلك الرئيس خازنا كاتبا يضبط عنه ما يصل
اليه من تلك الاخبار ثم جعل بين هذا الخازن وبين الخازن الاول ملكا آخر قويا على التصرف والحركة
سريع الانتقال بحيث ينتقل في اللحظة الواحدة من المشرق الى المغرب ومن تخوم الارض الى السماء العليا قادرا
على التصرفات العجيبة وجعله مؤتمرا للوزير تارة وللحاجب اخرى وهو موكل بتفتيش الخزائن ومراجعة الخازنين
باذن الوزير وبواسطة الحاجب اذا اراد استعلام امر من تلك الامور فهذه هي الملائكة التي خص الله تعالى
بها بدنه وجعلها اقرب الملائكة المتصرفين في خدمته اليه ثم ان وراء هؤلاء اطوارا اخرى من الملائكة الارضية
كالملائكة الموكلين بانواع الحيوانات التي ينتفع بها الانسان وبها يكون مسخرة له وانواع النبات والمعادن
والعناصر الاربعة والملائكة السماوية التي لا يعلم عددهم الا الله سبحانه وتعالى كما قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وان كل واحد منها موكل بفعل خاص وله مقام خاص لا يتعداه ولا يتجاوزه كما قال تعالى حكاية عنهم وما منا
الا له مقام معلوم وهم باسرهم متحركون بمصالح الانسان ومنافعه من اول حيوته الى حين وفاته باذن المدبر الحكيم
مع ما سوى الملائكة من ساير الموجودات في هذا العالم المشتملة على منافعه وما افاض عليه من القوة العقلية
التي هي سبب الخيرات الباقية والنعم الدائمة التي لا ينقطع موادها ولا متناهي تعدادها فان كل ذلك في الحقيقة نعم
ومواهب ربانية للعبد بحيث لو اختل شيء منها لاختلت منفعته من تلك الجهة ومعلوم انه لو قطع وفيه اجمع النظر
الى آثار رحمة الله تعالى في نوع من هذه النعم لانتهى دونها فكره وقصر عنها احصاؤه وحصره وهو مع ذلك كله
غافل عن شكر الله جاهل بنعمة الله مصر على معصية الله فحق ان يقول سبحانه وتعالى بعد تنبيهه له على ضروب نعمه
والامتنان بها عليه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار ظلوم لنفسه بمعصية الله كفار
لكفره بالاء الله قتل الانسان ما اكفره ان الانسان لكفور مبين فسبحان الذي لا تحصى نعماؤه ولا تستقصى آلاؤه
وغاية هذا الحكم تنبيه الغافلين من مراقد الطبيعة على لزوم شكر الله سبحانه والاعتراف بنعمه المستلزم لدوام ادرارها
بالبال **قوله** ولا يؤدي حقه المجتهدون **اقول** هذا الحكم ظاهر الصدق من وجهين احدهما انه لما كان اداء
حق النعمة هو مقابلة الاحسان اذ حق النعمة هو مقابلة الاحسان بجزاء مثله وقد ثبت في الكلمة السابقة ان نعم الله سبحانه
لا تحصى لزم من ذلك انه لا يمكن مقابلتها بالمثل الثاني ان كل ما نتعاطاه من افعالنا الاختيارية مستند الى جوارحنا
وقدرنا وارادتنا وساير اسباب حركاتنا وهي باسرها مستندة الى جوده ومستفادة من نعمته وكذلك ما يصدر
عنا من الشكر والحمد وساير العبادات نعمة منه اقتضاها نعمة بنعمته وروي ان هذا الخاطر خطر لداود وكذلك لموسى
عليهما السلم فقال يا رب كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي رواية اخرى

وشكرى لك نعمة اخرى توجب على الشكر لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر
اذا عرفت ان النعم منى رضيت منك بذلك شكرا فاما ما يقال فى العرف من ان فلانا مؤد لحق الله تعالى
فليس المراد منه جزاء النعمة بل الملكات المطلوبات لله تعالى من التكاليف الشرعية والعقلية تسمى حقوقا
له لا جرم سمى المجتهد فى الامتثال مؤديا لحق الله وذلك الاداء فى الحقيقة من اعظم نعمه تعالى على عباده اذ كان
الامتثال وساير اسباب السلوك الموصل الى الله تعالى كلها مستندة الى جوده وعنايته واليه الاشارة بقوله
تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين
ولما كانت فى الحقيقة نعمة لله لا يكون اداء النعمة الله وجزاء لها واطلاق ذلك فى العرف اذ كان من شان الخلق الغير
المتعارف بين الخلق استلزامه وجوب الجزاء والاداء ليسارعوا الى الايمان به رهبة ورغبة فيحصل المقصود
من التكاليف حتى لو لم يعتقد وا انه حق لله بل هو مجرد نفع خالص لهم لم يهتموا به غاية الاهتمام اذ كانت
غايته غير متصورة لهم كما هي وقلما تهتم النفوس بما لا يتصور غايته ومنفعته خصوصا مع المشقة
اللازمة فى تحمله الاباعث قاهر من خارج قوله الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن اقول
اسناد الغوص هيهنا الى الفطن على سبيل الاستعارة اذ الحقيقة اسناده الى الحيوان بالنسبة الى الماء وهو
مستلزم لتشبيه المعقولات بالماء ووجه الاستعارة هيهنا ان صفات الجلال ونعوت الكمال لما كانت
فى عدم تناهيها والوقوف على حقايقها واغوارها تشبه البحر الخضم الذي لا يصل السابح له الى ساحل
ولا ينتهى الغايص فيه الى قرار وكان السابح لذلك البحر والخايض فى تياره هى الفطن الثاقبة لا جرم كانت
الفطنة شبيهة بالغايص فى البحر فاسند الغوص اليها وفى معناه الغوص فى الفكر والغوص فى النوم
ويقرب منه اسناد الادراك الى بعد الهمم اذ كان الادراك الحقيقة لحوق جسم لجسم آخر واضافة الغوص الى
الفطن والبعد الى الهمم اضافة لمعنى الصفة بلفظ المصدر الى الموصوف والتقدير لا تناله الفطن الغايصة
ولا يدركه الهمم البعيدة ووجه الحسن فى هذه الاضافة وتقديم الصفة ان المقصود لما كان هو المبالغة فى عدم
اصابة ذاته تعالى بالفطنة من حيث هي ذات غوص وبالهمة من حيث هي بعيدة كانت تلك الحيثية مقصودة
بالقصد الاول وقد بينا ان البلاغة تقتضي تقديم الاهم والمقصود الاول على ما ليس كذلك وبرهان هذا
المطلوب ظاهر فان حقيقته تعالى لما كانت بريئة عن جهات التركيبات عرية عن اختلاف الجهات منزهة
عن كثرة المتكثرات وكانت الاشياء انما تعلم بما هي من جهة حدودها المؤلفة من اجزائها فاذا صدق
ان واجب الوجود ليس بمركب وما ليس بمركب فليس يدرك الحقيقة صدق ان واجب الوجود ليس يدرك
الحقيقة فلا يدركه همة وان بعدت ولا يناله فطنة وان اسرعت فكل سابح فى بحار جلاله غريق وكل مدع لكمال
انواره كبريائه حريق لا اله الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قوله الذي ليس لصفته حد محدود
ولا نعت فيكون حدا له وليس لمطلق ما يوصف به ايضا وصف موجود يجمعه فيكون نعتا له ومنحصرا

نالهم

غوص الفطن وبعد الهمم

موجود اقول المراد ليس لمطلق ما نعته ... من الصفات السلبية والاضافية نهاية ... هاهم

فيه قال ابو الحسن الكيدرى رحمه الله ويمكن ان يأول قوله حد محدود على ما تأول به كلام العرب لا
يرى الضب بها ينجحر اى ليس بها ضب فينجحر حتى يكون المراد انه ليس لصفته تحديد اذ هو تعالى واحد
من كل وجه منزه عن الكثرة بوجه ما فيمتنع ان يكون له صفة زائدة على ذاته كما فى ساير الممكنات وصفاته
المعلومة ليست من ذلك فى شئ انما هي نسب واضافات لا يوجب وصفه بها كثرة فى ذاته قال وممّا يؤكد
هذا التأويل قوله بعد ذلك فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه وهذا التأويل حسن وهو راجع الى ما ذكرناه
فى المعنى واما وصفه الحد بكونه محدودا فللمبالغة على طريقة قولهم شعر شاعر وعلى هذا التأويل يكون قوله ولا
نعت موجود سلبا للنعت عن ذاته سبحانه اذ التقدير ليس لصفته تحديد ولا نعت وقيل معنى قوله ليس
لصفته حد اي ليس لها غاية بالنسبة الى متعلقاتها كالعلم بالنسبة الى المعلومات والقدرة الى المقدورات
قوله ولا وقت معدود ولا اجل ممدود اقول وصف الوقت بكونه معدودا كقوله تعالى فى ايام معدودات
وكقوله وما نؤخره الا لاجل معدود وهو المعلوم الداخل فى الاحصاء والعد وذلك ان العد لا يتعلق
بالوقت الواحد من حيث هو واحد فانه من تلك الحيثية ليس معدودا بل مبدأ للعدد وانما يتعلق به من حيث
هو داخل فى الاوقات الكثيرة الموجودة فى الزمان اما بالفرض او بالفعل التي يحصل جملتها عند اعتبار العقل
كونها معدودة اذ يقال هذا الفرد معدود فى هذه الجملة اي داخل فى عدها ومراده فى هذين الحكمين نفي
نسبة ذاته وما يلحقها الى الكون فى الزمان وان يكون ذات اجل ينتهى اليه فينقطع وجودها بانتهائه
وبيان ذلك من وجهين احدهما ان الزمان من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فلما كان البارى سبحانه منزها
عن الجسمية استحال ان يكون فى زمان الثاني انه تعالى ان اوجد الزمان وهو فى الزمان لزم كون الزمان متقدما
على نفسه وهو محال وان اوجده بدون ان يكون فيه كان غنيا فى وجوده عنه وهو المطلوب فاذن صدق
هذين السلبين فى حقه سبحانه معلوم وقد حصل فى هذه القراين الاربع السجع المتوازي مع نوع من التجنيس
قوله الذي فطر الخلايق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه اقول لما قدم الصفات
السلبية شرع فى الصفات الثبوتية وهذه الاعتبارات الثلثة موجودة فى القرآن الكريم اما الاول فقوله
تعالى الذي فطركم اول مرة واما الثاني فهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته واما الثالث فقوله تعالى
والقى فى الارض رواسي ان تميد بكم وقوله وجعل الجبال اوتادا اما المراد بقوله فطر الخلايق بقدرته فاعتبار
من حيث اسناد المخلوقات الى قدرته ووجودها عنها ولما كانت حقيقة الفطر الشق فى الاجسام كانت نسبته
هيهنا الى الخلق استعارة وللامام فخر الدين فى بيان وجه الاستعارة فى امثال هذا الموضع بحث لطيف
قال وذلك ان المخلوق قبل دخوله فى الوجود كان معدوما وما حضا والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا شق فاذا اخرج الموجد المبدع من العدم الى الوجود فكانه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره واخرج
ذلك الموجود منه قلنا الا ان ذلك الشق والفطر على هذا التقدير لا يكون للموجود المخرج بل العدم الذي خرج

نعم ...

هذا الموجود منه اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامه المضاف اليه مقامه حتى يكون التقدير
الذي فطر عدم الخلايق وهو استعمال سايغ في العرف والعربيه كثيرا وحسنه بين الناس ظاهر ومثله فالق
الحب والنوى على قول المفسرين كما سنبينه وقال ابن الانباري لما كان اصل الفطر شق الشي عند ابتدائه فقوله
فطر الخلايق اي خلقهم وانشاهم بالتركيب والتاليف الذي سبيله ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم
بعض الاشياء الى بعض ثم ان الفطر كان شق اصلاح كقوله تعالى فاطر السموات والارض كذلك يكون شق
افساد كقوله تعالى اذا السماء انفطرت وهل ترى من فطور واما قوله بنشر الرياح برحمته فبيانه ان نشر الرياح
وبسطها لما كان سببا عظيما من اسباب بقا انواع الحيوان والنبات واستعدادات الامزجة للصحة
والنمو وغيرها حتى قال كثير من الاطباء انها يستحيل روحا حيوانيا وكانت عناية الله سبحانه وعمومه
شاملة لهذا العالم وهي مستتبعة لكل موجود لاجرم كان نشرها برحمته ومن اظهر امارات الرحمة الالهية نشر الرياح
جاليا للسحاب المترع بالماء واثارتها له على وفق الحكمة ليصيب الارض الميتة فينبت به الزرع ويملا الضرع
كما قال سبحانه وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وقال ويرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من
رحمته وقال وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه والمراد تنبيه الغافلين على ضروب
نعم الله بذكر هذه النعمة الجليلة ليستديموها بدوام شكره والمواظبة على طاعته كما قال لهم واذكروا نعم الله
عليكم ولقوله لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال بعض
الفضلاء ان العرب يستعمل الريح في العذاب والرياح في الرحمة وكذلك نزل القران قال تعالى ريح صرصر
وقال الريح العقيم وقال يرسل الرياح مبشرات والرياح لواقح وامثاله **قوله** ووتد بالصخور ميدان ارضه
اقول المراد نسبة نظام الارض الى قدرته سبحانه وههنا بحثان **البحث الاول** ان قول القائل وتدت
كذا بكذا معناه جعلته وتدا له والموتود ههنا في الحقيقة انما هو الارض وقد جعل الموتود هنا هو ميدان
الارض وهو عرض من الاعراض لا يتصور جعل الجبل وتدا له الا انا نقول لما كان الميدان علة حاملة على جعل
الجبال اوتادا للارض بها كان الاهتمام به اشد فلذلك قدمه واضافه اضافة الصفة الى الموصوف وان
كان التقدير ووتد بالصخور ارضه المايدة **البحث الثاني** ان تعليل وجود الجبال لميدان الارض ورد ههنا
وفي القران الكريم في مواضع كقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وكقوله والجبال اوتادا ولا بد من
البحث عن وجه هذا التعليل وفيه خمسة اوجه **الوجه الاول** قال المفسرون في معنى هذه الايات ان السفينة
اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتتحرك فاذا وضعت الاجرام الثقيلة فيها استقرت
على وجه الماء وسكنت قالوا فكذلك لما خلق الله تعالى الارض على وجه الماء اضطربت ومادت فخلق الله تعالى عليها
هذه الجبال ووتدها بها فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال قال الامام فخر الدين ويتوجه على هذا
الكلام ان يقال لا شك ان الارض اثقل من الماء والاثقل من الماء يغوص فيه ولا يبقى طافيا عليه واذا ثبت كذلك
امتنع ان يقال انها تميد وتميل بخلاف السفينه اذ كانت مركبة من الاخشاب وداخلها مجوف مملو من الهوا
فلذلك يبقى طافية على الماء فلا جرم تميل وتضطرب الى ان ترسى بالاجرام الثقيلة فاذن الفرق ظاهر **الوجه الثاني**
ما ذكره قال انه قد ثبت بالدلايل اليقينيه ان الارض كرة وثبت ايضا ان هذه الجبال على سطح الارض جارية مجرى
خشونات وتضريسات حاصلة على وجه الكرة فاذا ثبت هذا فلو فرضنا ان هذه الخشونات ما كانت حاصلة
بل كانت الارض كرة حقيقيه خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة
بادنى سبب لان الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه وان لم يجب ذلك عقلا الا انه يصير بادنى
سبب يتحرك على هذا الوجه اما اذا حصل على سطح كرة الارض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة
على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال انما يتوجه بطبعه الى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز
العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الارض من الاستدارة
فكان تخليق هذه الجبال على الارض كالاوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها من الحركة المستديرة **الوجه الثالث**
ان نقول لما كانت فايدة الوتد ان يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا
وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الاشياء صحة الاستقرار على ذلك الشي والتصرف عليه وكان
من فايدة وجود الجبال والتضريسات الموجودة في وجه الارض ان لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان
الاستقرار والتصرف عليها لا جرم كان بين الاوتاد والجبال الخارجة من الماء في الارض اشتراك في
كونهما مستلزمين لصحة الاستقرار مانعين من عدمه لا جرم حسنت استعارة نسبة الايتاد الى الصخور
والجبال واما استعارة بالميدان فلان الحيوان كما يكون صادقا عليه انه غير مستقر على الارض بسبب انغمارها
في الماء لو لم توجد الجبال كذلك تصدق على الارض انها غير مستقرة تحته ومضطربة بالنسبة اليه
فثبت حينئذ لولا وجود الجبال في سطح الارض لكانت مضطربة ومايدة بالنسبة الى الحيوان لعدم تمكنه
من الاستقرار عليها **الوجه الرابع** قال بعض العلماء انه يحتمل ان يكون الاشارة بالصخور الى الانبياء
والاولياء والعلماء وبالارض الى الدنيا اما وجه التجوز بالصخور عن الانبياء والعلماء فلان الصخور والجبال
لما كانت على غاية من الثبات والاستقرار ومانعة لما يكون تحتها من الحركة والاضطراب عاصمة لما يلتجي اليها
من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه وقلقله اشبهت الاوتاد من بعض هذه الجهات
ثم لما كانت الانبياء والعلماء هم السبب في انتظام امور الدنيا وعدم اضطراب احوال اهلها كانوا كالاوتاد
للارض فلا جرم حسنت استعارة لفظ الصخور لهم ولذلك يحسن في العرف ان يقال فلان جبل منيع ياوي اليه
كل ملهوف اذا كان يرجع اليه في المهمات والحوايج والعلماء اوتاد الله في الارض **الوجه الخامس**
ان المقصود من جعل الجبال كالاوتاد في الارض ان يهتدي بها على طرقها والمقاصد فيها فلا تميد جهاتها
المشتبهة باهلها ولا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم ومقاصدهم وبالله التوفيق **قوله** اول الدين معرفته **اقول**

لما كان الدين في اللغة الطاعة كما سبق وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة الرسل عليهم السلام وكان
اتباع الشريعة طاعة مخصوصة كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باخص مسماه وبكثرة استعماله فيه
صار حقيقة دون سائر المسميات لانه المتبادر الى الفهم حال اطلاق لفظة الدين واعلم ان معرفة الصانع
سبحانه على مراتب فاولاها وادناها ان يعرف العبد ان للعالم صانعا الثانية ان يصدق بوجوده الثالثة
ان يرقى بجذب العناية الالهية الى توحيده وتنزيهه عن الشركاء الرابعة مرتبة الاخلاص له الخامسة
نفي الصفات التي تعتبرها الاذهان له عنه وهي غاية العرفان ومنتهى قوة الانسان وكل مرتبة من المراتب
الاربع الاولى مبدا لما بعدها من المراتب وكل من الاربع الاخيرة كمال لما قبلها ثم ان المرتبتين الاوليين
مركوزتان في الفطر الانسانية بل فيما هو اعم منها وهي الفطر الحيوانية ولذلك فان الانبياء عليهم السلام لم يدعوا
الخلق الى تحصيل هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول هذا القدر من المعرفة وايضا فلو كان حصول
هذا القدر من المعرفة موقوفا على دعوة الانبياء وتصديقهم مع ان صدقهم مبني على معرفة ان ههنا صانعا
للخلق ارسلهم لزم الدور وانما كانت اول مرتبة دعوا اليها من المعرفة هي توحيد الصانع وهي الكلمة عنه
المشتمل عليها اول كلمة نطق بها الداعي الى الله وهي قولنا لا اله الا الله قال صلى الله عليه وآله من قال لا اله
الا الله دخل الجنة ثم لما استعدت اذهان الخلق لما نطقت به من التوحيد الظاهر نبههم على ان عينها قوة اخذ
لتوحيد اعلى واخفى من الاول فقال من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وذلك اشارة الى حذف
كل قيد من درجة الاعتبار مع الوحدة المطلقة اذا عرفت ذلك فاعلم انه يحتمل ان يكون مراده بالمعرفة المرتبة
الاولى من مراتب المعرفة وحينئذ يكون معنى قوله اول الدين معرفته ظاهرا فان ذلك القدر اول ما يحصل في النفس
من الدين الحق ويحتمل ان يكون مراده المعرفة التامة التي هي غاية العارف ونهاية مراتب السلوك وحينئذ يكون المراد
من كونها اول الدين هو اوليتها في العقل وهو اشارة الى كونها علة غائية اذ العلة الغائية متقدمة في العقل
على ما هي علة له وان تاخرت في الوجود وبيان ذلك ان المعرفة التامة التي هي غاية سعي العارف غير حاصلة
له في مبدا الامر بل يحتاج في كل ما يحصل له من مراتب المعرفة وتحصيل المعرفة التامة الى الرياضة بالزهد والعبادة
وتلقي الاوامر الالهية بالقبول التي هي سبب تمام الدين فيستعد اولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوحيده
ثم للاخلاص له ثم لنفي كل ما عداه عنه فيغرق في تيار بحار العظمة وكل مرتبة ادركها فهي كمال لما قبلها الى ان يتم المعرفة
المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي السفر الى الله قوله وكمال معرفته التصديق به الى قوله
نفي الصفات عنه اقول ترتيب هذه المقدمات على هذا الوجه يسمى قياسا مفصولا وهو القياس المركب
الذي يطوى فيه النتائج وعند ذكرها يتبين ان المقصود منها بيان ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وهذا
القياس ينحل الى قياسات تشبه قياس المساواة لعدم الشركة بين مقدمتي كل منها في تمام الاوسط فيحتاج
في انتاج كل منها الى قياس آخر والمطلوب من التركيب الاول وهو قوله وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده

ان كمال معرفته توحيده وانما يلزم عنه هذا المطلوب بقياس آخر صورته ان معرفته كمال كمالها توحيده وكلما كان كمال
كماله توحيده كان كماله توحيده فينتج ان كمال معرفته توحيده اما المقدمة الاولى فلان التوحيد كمال التصديق
وهو كمال المعرفة واما الثانية فلان كمال الكمال للشيء كمال للشيء وهكذا في باقي التراكيب والمطلوب من تركيب هذه
النتيجة مع المقدمة الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ان كمال معرفته الاخلاص له ومن تركيب
هذه النتيجة مع المقدمة الرابعة وهي قوله وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه يحصل المطلوب واعلم ان في
اطلاق الكمال ههنا تنبيها على ان معرفة الله تعالى مقولة بحسب التشكيك اذ كانت قابلة للزيادة والنقصان
وبيان ذلك ان ذات الله تعالى لما كانت بريئة عن انحاء التركيب لم يكن معرفته بكنهه الا بحسب رسوم ناقصة
تتركب من سلوب واضافات تلزم ذاته المقدسة لزوما عقليا فتلك السلوب والاضافات لما لم يكن متناهية
لم يمكن ان تقف المعرفة بحسبها عند حد واحد بل تكون متفاوتة بحسب زيادتها ونقصانها وجلائها وخفائها ح
وكذا الكمال التصديق به والتوحيد والاخلاص واذا تقرر ذلك فلنشرع في تقرير المقدمات اما المقدمة
الاولى وهي ان كمال معرفته التصديق به وبيان ذلك ان المتصور لمعنى ان للعالم صانعا عارف به من تلك الجهة معرفة
ناقصة تمامها الحكم بوجوده ووجوبه اذ من ضرورة كونه موجبا للعالم كونه موجودا فان ما لم يكن موجودا استحال
بالضرورة ان يصدر عنه اثر موجود فهذا الحكم اللاحق هو كمال معرفته واما الثانية وهي قوله وكمال التصديق
به توحيده فبيانها ان من صدق بوجود الواجب ثم جهل مع ذلك كونه واحدا كان تصديقه به تصديقا
ناقصا تمامه توحيده اذ كانت الوحدة المطلقة لازمة لوجود الواجب فان طبيعة واجب الوجود بتقدير ان يكون
مشتركة بين اثنين فله بل لكل واحد منهما من مميز وراء ما به الاشتراك فيلزم التركيب في ذاتيهما وكل مركب ممكن فيلزمه
الجهل بكونه واجب الوجود وان تصور معناه وحكم بوجوده واما الثالثة وهي قوله وكمال توحيده الاخلاص له ففيها
اشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما يتم بالاخلاص له وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق
الاول عن سنن الايثار وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام ملتفتا مع ملاحظة جلال الله
وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول جاعل مع الله غيرا حتى ان اهل الاخلاص ليعدون
ذلك شركا خفيا كما قال بعضهم من كان في قلبه مثقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مريض وانهم ليعتبرون
في تحقق الاخلاص ان يغيب العارف عن نفسه حال ملاحظته لجلال الله وان لحظها فمن حيث هي لاحظة لا
من حيث هي مزينة بزينة الحق فان التوحيد المطلق ان لا يعتبر معه غيره مطلقا وذلك هو المراد بقوله وكمال توحيده
الاخلاص له واما المقدمة الرابعة وهي ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه فقد بين عليه السلام صدقها
بقياس برهاني مطوي النتائج ايضا استنتج منه ان كل من وصف الله سبحانه فقد جهله وذلك قوله عليه السلام
لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة الى قوله ومن جزاه فقد جهله وبيان صحة
هذه المقدمات اما قوله لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وبالعكس فهو توطئة الاستدلال ببيان المغايرة

بين الصفة والموصوف والمراد بالشهادة ههنا شهادة الحال فان حال الصفة يشهد بحاجتها الى الموصوف وعدم قيامها بدونه وحال الموصوف يشهد بالاستغناء عن الصفة والقيام بالذات بدونها فلا يكون الصفة نفس الموصوف واما قوله فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه فهو ظاهر لانه لما قرر كون الصفة مغايرة للموصوف لزم ان يكون زائدة على الذات غير منفكة عنها فلزم من وصفه بها ان يكون مقارنة لها وان كانت تلك المقارنة على وجه لا يستدعي زمانا ولا مكانا واما قوله ومن قرنه فقد ثناه فلان من قرنه بشي من الصفات فقد اعتبر في مفهومه امرين احدهما الذات والاخر الصفة فكان واجب الوجود عبارة عن شيين او اشياء فكانت فيه كثرة فحينئذ ينتج هذا التركيب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه واما قوله ومن ثناه فقد جزاه فظاهر انه اذا كانت الذات عبارة عن مجموع امور كانت تلك الامور اجزاء لتلك الكثرة من حيث انها تلك الكثرة وهي مبادي لها وضم هذه المقدمة الى نتيجة التركيب الاول ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جزاه واما قوله ومن جزاه فقد جهله فلان كل ذي جزء فهو مفتقر الى جزئه وجزؤه غيره فكل ذي جزء فهو مفتقر الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن فالمتصور له جزوا متصور في الحقيقة لامر هو ممكن الوجود لا لواجب الوجود بذاته فيكون اذن جاهلا به وضم هذه المقدمة الى نتيجة ما قبلها ينتج ان من وصف الله سبحانه فقد جهله وحينئذ يتبين المطلوب وهو ان كمال الاخلاص له نفي الصفات عنه اذ الاخلاص له والجهل به لا يجتمعان واذا كان الاخلاص منافيا للجهل الذي هو لازم لاثبات الصفة لكان اذن منافيا لاثبات الصفة له لان معاندة اللازم تستلزم معاندة الملزوم واذا بطل ان يكون الاخلاص في اثبات الصفة له ثبت انه في نفي الصفة عنه وعند هذا يظهر المطلوب الاول وهو ان كمال معرفته نفي الصفات عنه وذلك هو التوحيد المطلق والاخلاص المحقق الذي هو نهاية العرفان وغاية سعي العارفين من كل حركة حسية وعقلية وما يكون في نفس الامر من غير تعقل نقص كل ما عداه عنه معه فهو الوحدة المطلقة المبراة عن كل لاحق وهذا مقام حارت عنه نواظر الابصار وكلت في تحقيقه صوارم الافكار واكثر الناس فيه الاقوال فانتهت بهم الحال الى اثبات المعاني وارتكاب الاحوال فلزمهم في ذلك الضلال ما الزمهم من المحال فان قلت هذا مشكل من وجهين احدهما ان الكتب الالهية والسنن النبوية مشحونة بوصفه تعالى بالاوصاف المشهورة كالعلم والقدرة والحيوة والسمع والبصر وغيرها وعلى ما ذكرتم لزم ان لا يوصف سبحانه بشي منها الثاني انه عليه السلم صرح باثبات الصفة له في قوله ليس لصفته حد محدود ولو كان مقصوده نفي الصفات ما ذكرتم لزم التناقض في كلامه قلنا الاولى اذن ان يحمل قوله نفي الصفات عنه بنفي المعاني كما ذهب اليه الاشعري ونفي الاحوال كما ذهب اليه المتاخرون من المعتزلة وبعض الاشعرية لنفي الصفات المشهورة الجارية عليه تعالى والابانة عليه السلم الصفة في موضع اخر يحمل او يحمل نفي صفات المخلوقين كما اشار عليه السلم في اخر الخطبة لا يحدون عليه صفات المصنوعين وكما ذكره الشيخ المفيد من الشيعة في كتاب الارشاد عنه جل

ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حلته الصفات مصنوع قلت قد سبق منا بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه الى غيرها ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة فيكون وصفه تعالى بها امرا معلوما عند من لدين لهم التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخص الذي ذكره عليه السلم اقصى ما ينتهي اليه القوى البشرية عند عروجها في انوار كبرياء الله وهو ان يعتبره فقط من غير ملاحظة شي اخر وكان اثباته عليه السلم للصفة في موضع اخر ووصفه في الكتاب العزيز والسنن النبوية اشارة الى الاعتبارات التي ذكرناها اذ كان من هو دون درجة الاخلاص لا يمكن ان يعرف الله سبحانه الا بها وبالله التوفيق قوله ومن اشار اليه فقد حده ومن حده فقد عده اقول يشير الى البرهان على احد امرين احدهما انه يحتمل ان يكون مراده امتناع الاشارة العقلية اليه وتعلقها به فعلى هذا تكون تقرير المقدمة الاولى من هذا البرهان ان من وجه ذهنه طالبا الكنه ذاته المقدسة وزعم انه وجدها واحاط بها واشار اليها من جهة ما هي فقد اوجب له حدا يقف ذهنه عنده اذ الحقيقة انما تعلم من جهة ما هي ويشير العقل الى كنهها اذا كانت مركبة وقد علمت ان كل مركب محدود في المعنى ولان الاشارة العقلية ملوثة بالاشارة الوهمية والخيالية مشوبة بها وهما مستلزمان لاثبات الحد كما سياتي واما تقرير المقدمة الثانية فظاهر اذ كان حد الشي انما يتالف من كثرة معتبرة فيه وكل ذي كثرة معدود في نفسه ونتيجة هذا البرهان ان من اشار اليه فقد عده واما استحالة ان يكون معدودا فلما علمت فيما سبق ان الكثرة مستلزمة للامكان الثاني انه يحتمل ان يكون مراده ايضا نفي الاشارة الحسية الظاهرة والباطنة اليه وبيان تنزيهه عن الوحدة العددية ويكون تقرير المقدمة الاولى ان من اشار اليه باحد الحواس فقد جعل له حدا او جهة وذا نهايات تحيط به وذلك ان كل ما يشار اليه بالحس الظاهر او الباطن فلا بد وان يشار اليه في حيز مخصوص وعلى جهة ووضع مخصوص وما كان كذلك فلا بد وان يكون له حد او حدود فاذا كان مشارا اليها باحدها كان محدودا واما تقرير المقدمة الثانية فالمراد بالعدد ههنا جعله مبدا الكثرة يصلح ان يكون عادا لها لان كل ما ادرك على وضع مخصوص وفي جهة فالعقل حاكم بامكان وجود مثل له فمن حده بالاشارة الحسية فقد جعله مبدا كثرة يصلح ان يعد بها ويكون معدودا وذلك كونه مركبا بالنسبة اليها واما كونه في نفسه معدودا وذلك كونه مركبا من امور لان الواحد بهذا المعنى ليس بمجرد الوحدة فقط والا لما تعلقت الاشارة الحسية به بل لا بد معها من الوضع كما علمت وعلى الوجهين يكون مجتمعا من امرين او امور فيكون مركبا وكل مركب ممكن على ما مر واذا استحال ان يكون واحدا بهذا المعنى كانت الاشارة اليه مطلقا مستلزمة الجهل به من حيث هو واحد واجب الوجود واعلم انه ليس اذا بطل ان يكون واحدا فان للواحد مفهومات اخر يقال لها واحد فانه يقال واحد لما لا [illegible] في حقيقته الخاصة بغيره ويقال واحد لما لا تركيب حقيقة والتف من معان متعددة لا اجزاء قوام ولا اجزاء حد ويقال

واحد لما نفسه من كماله شي بل كل كمال ينبغي ان يكون له فهو حاصل له بالفعل والباري سبحانه واحد بهذه الاعتبارات
الثلثه قوله ومن قال فيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد اخلى منه اقول اصل فيم وعلام فيما وعلى ما حرفان
دخلا على ما الاستفهاميه فحذف الفها لاتصالها بهما تخفيفا في الاستفهام خاصة وهاتان القضيتان
في تقدير شرطيتين متصلتين يراد منهما تاديب الخلق ان يستفهموا عنه سبحانه على هذين الوجهين و
بيان المراد منهما باستثناء نقيضي تاليتيهما وحذف الاستثناء هيهنا الذي هو كبرى القياس على ما هو المعتاد
في قياس الضمير واعلم ان تقدير المتصلة الاولى لو صح السؤال عنه بفيم لكان له محل يتضمنه ويصدق عليه انه فيه
صدق العرض في المحل لكنه يمتنع كونه في محل فيمتنع السوال عنه بفيم بيان الملازمة ان مفهوم في لما كان موجبا
في ماكان الاستفهام بفيم استفهاما عن مطلق المحل والظرف ولا يصح الاستفهام عن المحل للشي الا اذا صح
كونه فيه بيان بطلان التالي انه لو صح كونه في محل لكان اما ان يجب كونه فيه فيلزم ان يكون محتاجا الى ذلك المحل والمحتاج
الى الغير ممكن الذات وان لم يجب حلوله فيه جاز ان يستغني عنه والغني في وجوده عن المحل يستحيل ان يعرض
له اذا استحال ان يكون في محل كان السوال عنه بفيم جهلا واما تقدير المتصلة الثانية فهو انه لو جاز السوال عنه
بعلام لجاز خلو بعض الجهات والاماكن عنه لكنه لا يجوز خلو مكان عنه فامتنع الاستفهام عنه بعلام بيان الملازمة
ان مفهوم على وهو العلو والفوقية لما كان موجودا في ما كانت ما استفهاما عن شي هو فوقه وعال عليه
وذلك يستلزم امرين احدهما بواسطة الاخر ولازم له فالذي هو بواسطة ولازم لها هو اخلاء سائر الجهات عنه
وهو ما ذكره عليه السلام واما الواسطة الملزومة فهي اثبات الجهة المعينة وهي جهة فوق اذ كان اختصاصه
بجهة معينة يستلزم نفي كونه في سائر الجهات وانما جعل عليه السلم اللازم هذه المتصلة كونه قد اخلى منه ليستلزم
من ابطال اللازم وهو الخلو عنه بطلان اختصاصه بالجهة المعينة ليلزم منه بطلان المقدم وهو صحة السوال
عنه بعلام فاما بطلان التالي فلقوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقوله وهو معكم اينما
كنتم فان قلت ان مثبت الجهة لا يحجه هذه الايات بل له ان يقول انه لا تنافي بين اثبات الجهة المعينة وبين مقتضى
هذه الايات لان المقصود من كونه في السماء والارض اي بعلمه وكذلك من معيته للخلق وكونه في جهة فوق
انما هو بذاته المخصوصه فلا تكون هذه الايات منافية لغرضه قلنا انما جعل عليه السلم قوله فقد اخلى منه لازما في هذه
القضيه لان نفي هذا اللازم بهذه الايات ظاهر وذلك ان مثبت الجهة انما يعتمد في اثباتها على ظواهر الايات
الدالة على ذلك كقوله تعالى الرحمن على العرش استوى فكانت معارضته مقتضاها بظواهر هذه الايات
انفع في الخطابة بقواعد في تكذيب العامة من الدلائل العقلية على نفي الجهة ودلالة هذه الايات على عدم خلو مكان
من الامكنة منه تعالى يستلزم دلالتها على عدم اختصاصه بجهة فوق والمعارضة كما تكون بما يقتضي
ابطال مقتضى الدليل كذلك تكون بما يقتضي ابطال لازم مقتضاه فكانت مستلزمة لعدم جواز الاستفهام
عنه بعلام ولو قال ومن قال علام فقد اثبت له جهة لم يمكن ابطال هذا اللازم الا بالدليل العقلي لكون الظواهر

النقلية مشعرة باثبات الجهة فلذلك عدل عليه السلم الى هذا اللازم كما بيناه لوجود ما يبطله في القران الكريم
وهي الايات المذكورة حتى اذا عدل المثبت للجهة عن ظواهر هذه الايات الى التاويل باحاطة العلم مثلا
الزمناه مثله في نحو قوله الرحمن على العرش استوى حملنا المراد من الاستواء الاستيلاء بالقدرة او العلم كما هو
مقرر في الكتب الكلامية وانما خص عليه السلم جهة العلو بانكار اعتقادها والتحذير منه لكون كل معتقد لله
جهة يخصصه بها لما توهم من كونها اشرف الجهات ولانها التي نطق بها القران الكريم فكانت الشبهة
في اثباتها اقوى فلذلك خصها بالذكر قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم اقول الكائن اسم الفاعل
من كان وهو يستعمل في اللغة على ثلثة اوجه احدها ان يكون بصيغتها دالة على الحدث والزمان ويسمى في عرف النحاة
كان التامه كقوله اذا كان الشتاء فادفئوني اي اذا حدث ووجه الثاني ان يدل على الزمان وحده ويحتاج
في الدلالة على الحدث الى خبره وهي الناقصة واستعمالها هو الاكثر كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتا لله
الثالث ان يكون زايدة خالية عن الدلالة على حدث او زمان كقوله على كان المسومة العراب اي على المسومة
اذا عرفت ذلك فاعلم ان مفهوم كائن انه شي ما له كون ولما كان ذلك الشي هو ذات الله تعالى وكانت ذاته
مقدسة عن الزمان استحال ان يقصد وصفه بالكون الدال على الزمان ولما احترز بقوله لا عن حدث
استحال ان يدل كونه على الحدث وهو المسبوقية بالعدم ايضا واذا بطل ان يكون كونه مستلزما للزمان
ومسبوقية العدم لم يكن له دلالة الا على الوجود المجرد عن هذين القيدين ومن هذا القبيل قوله تعالى
وكان الله غفورا رحيما وامثاله وقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شي معه واما قوله موجود لا عن عدم
فالمراد ايضا ان وجوده ليس بحادث وبيانه ان الموجود من حيث هو موجود اما ان يكون وجوده مسبوقا
بالعدم وحاصلا عنه وهو المحدث او لا يكون وهو القديم فلما ثبت هذا الحكم فلانه لو كان محدثا
لكان ممكنا لما كان واجب الوجود فيلزم انه لو كان محدثا لما كان واجب الوجود لكنه واجب الوجود فيلزم انه ليس بمحدث
اما المقدمتان فجليتان واما بطلان التالي فبمقتضى البراهين الالهية واعلم ان هذه القضية مؤكدة
لمقتضى القضية الاولى وليس مقتضاها عين ما افادته الاولى اذ كان في الكلمة الاولى مقصود اخر
وهو تعليم الخلق كيفية اطلاق لفظة الكون على الله تعالى واشعارهم ان المراد منها ليس ما يتبادر اليه الذهن
من مفهومها حال اطلاقها وهو الحدوث ويحتمل ان يكون مراده في الاولى نفي الحدوث الذاتي وما هو اعم
منه ومن الزماني وفي الثانية نفي الحدوث الزماني والله اعلم قوله مع كل شي لا بمقارنة وغير كل شي لا بمزايلة
اقول كونه تعالى مع غيره وغير غيره اضافتان عارضتان له بالنسبة الى جميع الموجودات اذ كل ما هو
يصدق عليه ان يقال انه معها وانه متقدم عليها ولكن باعتبارين مختلفين فان المعية نفس اضافة
تحدثها العقول بنسبته الى ما هو ومساوقة وجوده لوجوداتها واحاطة علمه بكليها وجزئيها كما قال وهو معكم
اينما كنتم والله بما تعملون بصير والتقدم نسبة تحدثها له باعتبار كونه علة لها ثم لما كانت المعية اعم من المقارنة

ولو كان ممكنا مو

لاعتبار الزمان والمكان في مفهومها المتعارف لم يكن معيته للاشياء على سبيل المقارنة لها براءة
ذاته المقدس عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمقارنة واما انه غيرها لا بمزايلة فيحتمل وجهين احدهما
وهو الاظهر ان المغايرة لما كانت اعم من المزايلة لدخول الزمان والمكان في مفهومها ايضا كانت مغايرته
للاشياء غير معتبر فيها المزايلة لتقدس ذاته عن الزمان والمكان فلذلك احترز بقوله لا بمزايلة الثاني
ان يقال كونه تعالى غير كل شيء معناه انه متميز بذاته عن كل شيء اذ لا يشارك شيئا من الاشياء في معنى
جنسي ولا نوعي فلا يحتاج ان يتخصص عنها بفصل ذاتي او عرضي بل هو مباين لها بذاته لا بمزايلة وكون
معنى المزايلة المفارقة باحد الامور المذكورة بعد الاشتراك في احد الامور المذكورة واعلم ان هذين القيدين
كاسران للاحكام الوهمية باعتبار الزمان والمكان والاوصاف الخلوقة المتعارفة بين الخلق المعتبرة
بينهم في مفهوم المعية والغيرية مبنهان للعقول على ما وراء حكم الوهم من عظمة الله سبحانه وتقدس
ذاته عن صفات الممكنات وكذلك قوله كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم فانه رد للوهم الحاكم بما لمثله
تعالى المحدثات قوله فاعل لا بمعنى الحركات والالة اقول الحركة عبارة عن حصول الجسم في حيز بعد ان
كان في حيز آخر ان قلنا بثبوت الجوهر الفرد والا فهي عبارة عن انتقال المتحيز من حيز الى حيز آخر او غيره من التعريفات
والآلة هي ما يؤثر الفاعل في منفعله القريب منه بواسطته والمراد بيان انه فاعل الا ان ما صدر عنه
تعالى من الآثار ليس بسبب حركة ولا بتوسط آلة كما يفتقر غيره في نسبة صدور الفعل عنه اليه اما انه
لا يفتقر الى الحركة فلان معنى الحركة انما يعرض للجسم والباري تعالى منزه عن الجسمية فيستحيل صدق مسمى الحركة
في حقه واما ان فعله ليس بتوسط آلة فلما من وجهين احدهما لو كان كذلك لكانت تلك الآلة ان كانت
من فعله فاما بتوسط آلة اخرى او بدونها فان كانت بدونها فقد صدق انه فاعل لا بمعنى الآلة وان كان
فعله لها بتوسط آلة اخرى فالكلام فيها كالكلام في الاولى ولزم التسلسل واما ان لم يكن تلك الآلة من فعله
ولم يمكنه الفعل بدونها كان الباري تعالى مفتقرا في تحقق فعله الى الغير والمفتقر الى الغير ممكن بالذات فالواجب
بالذات ممكن الذات هذا خلف الثاني انه تعالى لو فعل بالآلة لكان بدونها غير مستقل بايجاد الفعل
فكان ناقصا بذاته مستكملا بالآلة والنقص على الله تعالى محال فتوقف فعله على الآلة محال فاذن هو
الفاعل المطلق بالابداع ومحض الاختراع البرئ عن نقصان الذات المنزه عن الحاجة الى الحركات والالات
قوله بصير اذ لا منظور اليه من خلقه اقول البصير فعيل بمعنى الفاعل من البصر والبصر حقيقة في حاسة العين
مجاز في القوة التي بها العلم والمنظور اليه هو المشاهد تعقيبا الحقيقة والمراد وصفه تعالى بكونه بصيرا حال ما لا
تحقق المبصرات واذ ليس كونه بصيرا بمعنى ان له آلة البصر لتنزهه عن الحواس وجب العدول الى المجاز وهو ان يكون
بصيرا بمعنى انه عالم وقرينة ذلك قوله اذ لا منظور اليه من خلقه لان البصر اذا ما في الحق ذاته بالنسبة الى
وهو امر لحق ذاته ازلا وابدا ولا شيء من المبصرات بالحس موجود ازلا لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم

حتى يمكن ان يلحقه النسبة بالقياس اليه فوجب ان لا يكون من حيث هو هو بصيرا بهذا المعنى ويحتمل ان
الاشارة باذ في قوله اذ لا منظور اليه الى اعتبار كونه متقدما على آثاره من جهة ما هو متقدم فانه بالنظر
الى تلك الجهة لا منظور اليه من خلقه معه وهو عالم لذاته وبذاته مطلقا واذ ليس بصيرا بالمعنى المذكور
فهو اذن بصير بالصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وبها تظهر الاسرار والخفيات فهو الذي
يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى وهذه الالة وان
عدت كمالا فانما هي كمال خاص بالحيوان وكماله بها وان كان ظاهرا الا انه ضعيف قاصر اذ لا يمتد الى ما بعد
ولا يتغلغل في باطن وان قرب بل يتناول الظواهر ويقصر عن البواطن وقد قيل ان الحظ الديني للعبد من البصر
امران احدهما ان يعلم انه خلق له البصر لينظر الى الآيات وعجايب ملكوت السموات فلا يكون نظره الا اعتبارا
حكي انه قيل لعيسى عليه السلام هل احد من الخلق مثلك فقال من كان نظره عبرة وصمته فكرة وكلامه ذكرا فهو مثلي
الثاني ان يعلم انه من الله براى ومسمع فلا يستهين بنظره اليه واطلاعه عليه ومن اخفى من غير الله ما لا
يخفيه من الله فقد استهان بنظر الله تعالى اليه والمراقبة احدى ثمرات الايمان بهذه الصفة فمن قارف
معصية وهو يعلم ان الله يراه فما اجسره وما اخسره ومن ظن ان الله تعالى لا يراه فما اكفره قوله متوحد اذ
لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده اقول المراد وصفه تعالى بالتفرد بالوحدانية واشار بقوله اذ لا سكن
الى اعتبار انفراده بالوحدانية لذاته فهو من تلك الحيثية متفرد بالوحدانية لا على وجه الانفراد عن مثل له
كما هو المفهوم المتعارف من انفراد بعض الناس عن بعض ممن عادته مشاركة في مشاورة ومحاورة والانفراد احد
المتالفين من الحيوانات عن الاخر وهو الاليف الذي يستانس بوجوده معه ويستوحش لفقده وغيبته عنه
انكان الاستيحاش متعلقين بالطبع الى الشيء ونفرة عن عدمها من توابع المزاج ولما كان الباري سبحانه منزها
عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن الجسمية والمزاج وجب ان يكون منزها عن الاستيناس والوحش
فهو المتفرد بالوحدانية المطلقة لا بالقياس الى شيء يعقل ذلك التفرد بالنسبة اليه واعلم ان القيود الثلثة

الاستيناس م

الرابع على قوله فاعل وبصير ومتوحد في الفصول الثلثة مستلزمة للتنبيه على عظمة الله تعالى كما بيناه
في قوله لا بمقارنة ولا بمزايلة وذلك لان الاوهام البشرية حاكمة بحاجة الفاعل الى الالة والبصير الى وجود
المبصر والمتوحد الى ان يكون في مقابلة انيس مثله انفرد عنه ولما كانت ذات الله سبحانه منزهة عن جميع
ذلك اراد عليه السلام كسر الوهم ومعارضة احكامه بتنبيه العقول عليها فذكر هذه القيود الثلثة وبالله
التوفيق **الفصل الثاني** في نسبة ايجاد العالم الى قدرة الله تعالى جملة وتفصيلا وفي كيفية ذلك وهو
اقتصاص في معرض المدح قوله انشا الخلق انشاء وابتداه ابتداء بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها
ولا حركة احدثها ولا همامة نفس اضطرب فيها احال الاشياء لاوقاتها ولائم بين مختلفاتها وغرز غرائزها
والزمها اشباحها عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها ثم انشا

سبحانه فتق الاجواء وشق الارجاء وسكايك الهوا فاجاز فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حمله على
متن الريح العاصفة والزعزع القاصفة فامرها برده وسلطها على شده وقرنها الى حده الهوا من تحتها
فتيق والماء من فوقها دفيق ثم انشا سبحانه ريحا اعتقم مهبها وادام مربها واعصف مجراها وابعد منشاها
فامرها بتصفيق الماء الزخار واثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالفضاء ترد
اوله على آخره وساجيه على مايره حتى عبّ عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هواء منفتق وجو منفهق فسوى منه
سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوفا وعلياهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها
ولا دسار ينظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب واجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا في فلك دائر
وسقف سائر ورقيم مائر ثم فتق ما بين السموات العلى فملاهن اطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون وركوع
لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسامون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الابدان
ولا غفلة النسيان ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله ومختلفون بقضائه وامره ومنهم الحفظة لعباده
والسدنة لابواب جنانه ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم والمارقة من السماء العليا اعناقهم
والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته
باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون
عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالاماكن ولا يشيرون اليه بالنظائر **اقول** لما وجد لاهل اللغة فرقا
بين الانشاء والابداع وهو الايجاد الذي لم يسبق بمثله الا انه يمكن ان يكون يفرق هنا بينهما صونا
لكلامه عليه السلام عن التكرار بان يقال المفهوم من الانشاء هو الايجاد الذي لم يسبق غير الموجد
الموجد اليه والمفهوم من الابتداء هو الايجاد الذي لم يقع من الموجد قبله والروية الفكر وهمامة النفس
اهتمامها بالامور ومن روى همامة نفس فالمراد ترديد العزم ماخوذ من الهمهمة وهي ترديد الصوت
الخفي وروي ايضا همة نفس والاحالة التحويل والنقل والتغير والانقلاب من حال الى اخر وروي الى آجالها
وروي ايضا اجلها اي وقت والملائمة الجمع والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعة التي طبع عليها الانسان كانها
غرزت فيه والسنخ الاصل وروي اشباحها جمع شبح وهو الشخص والقرائن جمع قرينة وهي ما يقترن بالشيء
والاحناء جمع حنو وهي الناحية والاجواء جمع جو وهو الفضاء الواسع وفتقها شقها والارجاء جمع رجا
مقصور وهو الناحية والسكائك جمع سكاكة كذوابة وذوائب وهي الفضاء ما بين السماء والارض وكل
مكان خال فهو هواء واجاز اي اجرى ومن روى احار اي اداره ورجع وتلاطم الماء تراد امواجه وضرب بعضها
بعضا والزخار مبالغة في الزاخر وهو الممتلي وشق كل شيء ما صلب منه واشتد وعصف الريح شدة جريانها
وريح زعزع تحرك الاشياء بقوة وزعزعها والريح القاصفة الشديدة كانها لشدتها تكسر الاشياء
وتقصفها وسلطها اي جعل لها سلطنة وهي القهر والفتيق المنفتق والدفيق المندفق والاعتقام الشد

والعقد واعقم ايضا مهبها اي جعله خاليا لا نبت به من قولهم عقمت الرحم اذا لم تقبل الولد وروي
بغير ياء اي جعلها عقيمة لا تلقح شجرا ولا سحابا والمرب المجمع والعصف الجري بقوة وشدة والصفق والتصفيق
الضرب المراد المصوت واثارة الموج رفعه وهيجه واصل البحر الماء الملح الغزير وربما خص في العرف
بالمالح وتموج البحر اضطرابه وموجه ما ارتفع منه حال هيجانه وحركته والمخض التحريك والسقا
وعاء اللبن والماء ايضا والمائر المتحرك والعباب بالضم معظم الماء وعبا اي علا وتدفق والركام الماء المتراكم
والمنفهق الواسع والتسوية التعديل والمكفوف الممنوع من السقوط الجوهري السقف اسم للسماء
وسمك البيت سقفه والسموك الارتفاع والعمد جمع كثرة لعمود البيت ودعامة البيت عموده وما
يمنعه من السقوط والدسار كل شيء ادخلته في شيء لشده كمسمار وحبل ونحوهما والمستطير المنتشر
والفلك من اسماء السماء قيل ماخوذ من فلكة المغزل في الاستدارة والرقيم اسم للفلك ايضا واشتقاقه
من الرقم وهو الكتابة والنقش لان الكواكب به تشبه الرقوم والاطوار الحالات المختلفة والانواع المتباينة
قال الكسائي اصل الملك مالك بتقديم الهمزة من الالوك وهي الرسالة ثم قلبت وقدمت اللام فقيل
ملاك ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك فلما جمعوه ردوها اليه فقالوا ملائكة وملائك
والسام الملال والسدنة جمع سادن وهو الخازن ومرق السهم من الرمية اذا خرج من الجانب الاخر والقطر
الناحية والركن الجانب والتلفع بثوب التحف والنظائر الامثال ولنرجع الى المعنى فقوله انشا الخلق انشاء
وابتداه ابتداء اشارة الى كيفية ايجاد الخلق على الجملة عن قدرة الله بعد ان نبه على اصل الايجاد بقوله فطر
الخلائق بقدرته واتى بالمصدرين بعد الفعلين تاكيدا لنسبة الفعلين الى الله تعالى وصدقها بين
القضيتين ظاهر فان البارى تعالى لما لم يكن مسبوقا بغيره لاجرم صدق الانشاء منه ولما لم يكن العالم موجودا
قبل وجوده لاجرم صدق ابتداؤه له **قوله** بلا روية اجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة احدثها
ولا همامة نفس اضطرب فيها **اقول** لما كانت هذه الكيفيات الاربع من شرائط علوم الناس وافعالهم
التي لا يمكن حصولها الا بها اراد تنزيه الله سبحانه عن ان يكون ايجاده للعالم موقوفا على شيء منها اما
الروية والفكر فلما كانت عبارة عن حركة القوة المفكرة في تحصيل مبادي المطالب والانتقال منها اليها
او عن تلك القوة ايضا نفسها كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان القوة المفكرة من خواص
نوع الانسان الثاني ان فائدتها تحصيل المطالب المجهولة والجهل على الله تعالى محال واما التجربة فلما كانت عبارة
عن حكم العقل على امر بواسطة مشاهدات متكررة معدة لليقين بسبب انضمام قياس خفي اليها وهو انه لو كان هذا
الامر اتفاقيا لما كان دائما ولا اكثريا كان توقف فعل الله تعالى على استفادة الاحكام منها محالا لوجهين
احدهما انها مركبة من مقتضى الحس والعقل وذلك ان الحس بعد مشاهدة وقوع الاسهال مثلا عقيب شرب
الدواء مرة ومرة ينتزع العقل منها حكما كليا بان ذلك الدواء مسهل ومعلوم ان اجتماع الحس والعقل من [illegible]

نوع الانسان الثاني ان التجربة انما يفيد علما لمركب فالمحتاج الى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل
بها والمستكمل بالغير محتاج اليه فيكون ممكنا على ان وذلك على الله محال واما الحركة فقد عرفت انها من خواص
الاجسام والباري سبحانه منزه عن الجسمية فيمتنع صدقا المتحرك عليه وان صدق انه محرك الكل لان المتحرك ما
قامت به الحركة والمحرك اعم من ذلك واما الهمامة او الهمة فلما كانت ماخوذة من الاهتمام وحقيقته الميل النفساني
الجازم الى فعل الشيء مع التألم والغم بسبب فقده كان ذلك في حق الله تعالى محالا لوجهين احدهما ان الميل
النفساني من خواص الانسان طلبا لجلب المنفعة والباري سبحانه منزه عن الميول النفسانية وجلب المنافع الثاني
انه مستلزم للتألم بفقد المطلوب والتألم على الله تعالى محال واذ ليس ايجاده تعالى للعالم على احد الانحاء المذكورة
فهو اذن بمحض الاختراع والابداع البرئ من الحاجة الى امر من خارج ذاته المقدسة بديع السموات والارض
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واعلم انه عليه السلام ارادكله من هذه الامور عما هي كيفية في وجوده فلان
الرؤية بالاجالة والتجربة بالاستفادة والحركة بالاحداث والهمامة بالاضطراب لينفي الكيفية بانتفاء ما هي لها
دعن ذاته المقدسة وبالله التوفيق قوله احال الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها وغرز غرائزها والزمها
اسناخها اقول لما نبه على نسبة ايجاد العالم الى الله تعالى جملة اشار بعده الى ان ترتيبه وما هو عليه من بديع
الصنع والحكمة كان منفصلا في علمه وعلى وفق حكمته البالغة قبل ايجاده والمراد بقوله احال الاشياء لاوقاتها
الاشارة الى ربط كل ذي وقت بوقته بحسب ما كتب في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي بحيث لا يتاخر متقدم منها
ومعنى الاجالة نقل كل منها الى وقته وتحويله من العدم والامكان الصرف الى الصورة المضروبة لوجوده واللام
فلاوقاتها لام التعليل اي لاجل اوقاتها اذ كل وقت يستحق بحسب قدرة الله وعلمه ان يكون فيه ما لا
يكون في غيره وعلى النسخة الاخرى فمعنى تاجيلها جعل اوقاتها آجالا لها لا يتقدم عليها ولا يتاخر عنها
كما قال فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقوله ولأم مختلفاتها على كمال القدرة الله
تعالى وبيان ذلك في صورتين احداهما ان العناصر الاربعة متضادة الكيفيات ثم انها اذا اجتمعت بقدرة
الله تعالى وعلى وفق حكمته حتى انكسرت سورة كل واحد منها بالاخر وهو المسمى بالتفاعل حصلت كيفية متوسطة
بين الاضداد متشابهة وهي المزاج فامتزاج اللطيف بالكثيف على ما بينهما من تضاد الكيفيات وغاية التعبد
بقدرته التامة من اعظم الدلايل الدالة على كمالها الثانية ان الملائمة بين الارواح اللطيفة والنفوس المجردة التي
لا حاجة بها في قوامها في الوجود الى مادة اصلا وبين هذه الابدان المظلمة الكثيفة واختصاص كل نفس ببدن
منها وتدبيره واستعماله فيما يعود اليهما من المصالح على النظام الاقصد والطريق الارشد مما يشهد بكمال
قدرته ولطيف حكمته وقوله وغرز غرائزها اشارة الى ركز القوى الجسمانية والنفسانية فيما هي قوى له وخلق كل
ذي طبيعة على خلقة ومقتضى قواه التي غرزت فيه من لوازمه وخواصه مثله كقوة التعجب والضحك
للانسان وكقوة الشجاعة للاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وغير ذلك وعبر عن ايجادها فيها بالغرز

كلا يتقدم متاخر

بين نهم

دعو

وهو الركز استعارة لما يعقل من المشابهة بينها وبين العود الذي يركز في الارض من جهة المبدا ومن
جهة الغاية وذلك ان الله سبحانه لما غرز هذه الغرائز في محالها واصولها وكانت الغاية من ذلك ما يحصل منها
من الاثار الموافقة لمصلحة العالم اشبه ذلك غرز الانسان العود في الارض لغاية ان يثمر ويستمتع بها وقوله
والزمها اسناخها اشارة الى انها لا تفارق اصولها ولا يمكن زوالها عنها لان اللازم هذا شانه
ومن روى اشباحها بالشين المعجمة فالمراد ان ما غرز في الاشخاص من اللوازم والغرائز لا تفارقها سواء كانت
تلك الغرائز من لوازم الشخص كالذكاء والفطنة بالنسبة الى بعض الناس والبلادة والغفلة لاخر او من لوازم
الماهيات وطباعها لوجود الماهيات في اشخاصها هذا ان قلنا ان الضمير في قوله والزمها عايد الى الغرائز اما
ان قلنا انه عايد الى الاشياء كان المراد ان الله سبحانه لما اجال الاشياء لاوقاتها ولأم بين مختلفاتها
وغرز غرائزها في علمه وقضائه الزمها بعد كونها كلية اشخاصها الجزئية التي وجدت فيها لا يقال ان لوازم
الماهيات مقتضى الماهيات فكيف يمكن نسبة الزامها لاصولها الى قدرة الله تعالى لانا نقول المستلزم
للماهية الملزوم ليس الا ماهية لازمة واما وجوده فبقدرة الله تعالى فيكون معنى الزامها لاصولها
ايجادها في اصولها تبعا لايجادات اصولها على تقدير وجودها قوله عالما بها قبل ابتدائها محيطا بحدودها
وانتهائها عارفا بقرائنها واحنائها اقول المنصوبات الثلثة وهي قوله عالما ومحيطا وعارفا منصوبة
على الحال والعامل فيها قوله والزمها اعمالا للاقرب والاحوال الثلثة مفسرة لمثلها عقيب الافعال
الثلثة الاول اذ كانت صالحة لان يكون احوالا عنها والمراد في القضية الاولى اثبات الافعال الاربعة
له حال كونه عالما بالاشياء قبل ايجادها حاضرة في علمه بالفعل كليها وجزئيها وفي القضية الثانية
نسبة تلك الافعال اليه حال احاطة علمه بحدودها وحقايقها المميزة لبعضها عن بعض وان كلا منها
بحد واقف عنده وهو نهايته وغايته ويحتمل ان يريد بانتهائها انتهاء كل ممكن الى سببه وانتهاء الكل
في سلسلة الحاجة الى الله وفي القضية الثالثة نسبة الافعال الى قدرته حال علمه بما يقترن بالاشياء
من لوازمها وعوارضها وعلمه بكل شيء يقترن بشيء اخر على وجه التركيب والمجاورة كاقتران بعض العناصر
ببعض في احيانها الطبيعية على الترتيب الطبيعي وعلمه بجانبها وجوانبها التي بها ينتهي ويقارن غيرها
وبيان هذه الاحكام له تعالى ببيان انه عالم بكل المعلومات من الكليات والجزئيات وذلك مما علم في العلم الالهي
فان قلت لطلاق اسم العارف على الله تعالى لا يجوز لقول النبي صلى الله عليه وآله ان لله تسعة وتسعين
اسما من احصاها دخل الجنة واجماع علماء النقل على ان هذا الاسم ليس منها قلت الاشبه ان اسماء الله
تعالى تزيد على التسعة والتسعين لوجهين احدهما قول النبي صلى الله عليه وآله اسئلك بكل اسم سميت به
نفسك او انزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك فان هذا
صريح في انه استاثر ببعض الاسماء الثاني انه صلى الله عليه وآله قال في رمضان انه اسم من اسماء الله تعالى

وكذلك كان الصحابة يقولون فلان يعني الاسم الاعظم وكان ينسب ذلك الى بعض الانبيا والاوليا وذلك يدل
على انه خارج من التسعة والتسعين فاذا كان كذلك كان كل الكلام في قوله عليه السلم ان لله تسعة وتسعين اسما
من احصاها دخل الجنة قضيه واحدة معناها الاخبار بان من اسماء الله تعالى تسعة وتسعين من احصاها
يدخل الجنة ويكون تخصيصها بالذكر لاختصاصها بمزيد شرف لا يكون لباقي الاسماء وهي كونها شاملة مجامعه
لانواع من المعاني المنبئة عن الكمال بحيث لا يكون لغيرها الا انه يلزم ان يكون لله تعالى اسم غيرها واذا كان كذلك
جاز ان يكون العارف من تلك الاسما لا يقال ان الاسم الاعظم غيرها خارج منها لاشتهارها واختصاص معرفته
بالانبيا والاوليا واذا كان كذلك فكيف يصدق عليها انها اشرف الاسماء لانا نقول يحتمل ان يكون خارجا
منها ويكون شرفها حاصلا بالنسبة الى باقي الاسماء التي هي غيره ويحتمل ان يكون داخلا فيها الا انا لا نعرفه
بعينه ويكون ما يختص به النبي او الولي انما هو تعيينه منها **قوله** ثم انشا سبحانه فتق الاجواء الى قوله
فسوى منه سبع سموات **اقول** لما اشار عليه السلم في الفصل المتقدم الى نسبة خلق العالم الى قدرة الله تعالى
على سبيل الاجمال شرع بعده في تفصيل الخلق وكيفية ايجاده والاشارة الى مباديه ولذلك حسن ايراده ثم ههنا
وفي هذا الفصل ابحاث **البحث الاول** اعلم ان خلاصة ما يفهم من هذا الفصل ان الله سبحانه قدر احيازا
وامكنة اجرى فيها الماء الموصوف وخلق ريحا قويا على ضبطه وحفظه حاملة عليها وامرها بضبطه ويفهم
من قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق ان تلك الاحياز والامكنة تحتها وانها امرت بحفظه وضبطه
لتوصله الى تلك الاحياز وربما فهم منه ان تلك الاحياز للماء هي سطح الريح الحاوي له وان تحت تلك الريح فضاء
اخر واسعا وهي محفوظة بقدرة الله تعالى كما ورد في الخبر ثم خلق سبحانه ريحا اخرى لاجل تموج ذلك الماء فارسلها
وعقد مهبها اي ارسلها بمقدار مخصوص على وفق الحكمة والمصلحة التي ارادها باحداثها ولم يرسلها مطلقا
ومن روى بالسين فالمراد انه اخلى مهبها عن العوايق او انه ارسلها بحيث لا يعرف مهبها وادام حركتها وسلطها
لتحريك الماء واعصف جريها فيها وابعد مبداها ثم سلطها على تموج ذلك الماء فلما عب عبابه وقذف بالزبد
رفع تعالى ذلك الزبد في الفضا وكون منه السموات العلى **البحث الثاني** الاشارة في كون السموات من القران نعم كما
ان هذه الاشارة وردت في القران الكريم فانه اشير فيه الى ان السموات كونت من الدخان كقوله تعالى ثم
استوى الى السماء وهي دخان والمراد بخار الماء وكذلك وردت في اقوال كثيرة **الاول** ما روي عن الباقر
محمد بن علي عليهما السلم قال لما اراد الله سبحانه وتعالى ان يخلق السماء امر الرياح فضربن البحر حتى ازبد فخرج
من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق الله منه السماء **الثاني** ما نقل انه جاء في السفر
الاول من التورية ان مبدا الخلق جوهر خلقه الله تعالى ثم نظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه فصارت
ماء فثار من الماء بخار كالدخان فخلق منه السموات وظهر على وجه الماء زبد مثل زبد البحر فخلق منه الارض ثم ارساها
بالجبال وفي رواية اخرى فخلق منه ارض مكة ثم بسط الارض من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة ام القرى **الثالث**

ما نقل عن كعب ما يقرب من ذلك قال ان الله تعالى خلق ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد
ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى وكان عرشه على الماء **الرابع** ما نقل عن ثاليس
الملطي وكان من مشاهير الحكماء القدماء انه نقل عنه بعد ان وحد الصانع الاول للعالم ونزهه انه قال
لكنه ابدع العنصر الذي فيه صور الموجودات والمعلومات كلها وسماه المبدع الاول ثم نقل عنه ان ذلك
العنصر هو الماء ومنه انواع الجواهر كلها من السماء والارض وما بينهما وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب
من العنصر الجسماني فذكر ان من جمود الماء تكونت الارض ومن انحلاله تكون الهواء ومن صفوته تكونت النار
ومن الدخان والابخرة تكونت السماء وقيل انه اخذ ذلك من التورية **الخامس** ما وجدته في كتاب بليناس
الحكيم الذي سماه الجامع لعلل الاشياء قريبا من هذه الاشارة وذلك انه قال ان الخالق تبارك وتعالى قبل
الخلق واراد ان يخلق الخلق فقال ليكن كذا وكذا فكان ما اراد بكلمته فاول الحدث كلمة الله المطاعة التي كانت
بها الحركة ثم قال بعد ان اول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة ودل بالحركة على الحرارة
ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فنائها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك ان طبايع العناصر الاربعة
انما كانت من هاتين القوتين اعني الحر والبرد وقال ذلك ان الحرارة حدث منها اللين ومن البرودة اليبس فكانت
اربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبايع الاربع وكانت هذه الكيفيات قائمة
بانفسها غير مركبة فمن امتزاج الحرارة واليبس حصلت النار ومن الرطوبة والبرد حدث الماء ومن الحرارة والرطوبة حدث
الهواء ومن امتزاج البرد واليبس حصلت الارض ثم قال ان الحرارة لما حركت طبيعة الماء والارض تحرك الماء للطفه عن
ثقل الارض وانقلبت ما اصابه من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيا رقيقا روحانيا وهو اول دخان طلع من اسفل
الماء وامتزج بالهواء فسما الى العلو لخفته ولطافته وبلغ الغاية في صعوده على قدر قوته ونصيبه من الحرارة فكان منه
الفلك الاعلى وهو فلك زحل ثم حركت النار الماء ايضا فطلع منه دخان هو اقل لطفا مما صعد اولا واضعف فلما
صار بخارا سما الى العلو بجوهره ولطافته ولم يبلغ فلك زحل لقلة لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني وهو فلك
المشتري وهكذى في طلوع الدخان مرة ومرة وتكون الافلاك الخمسة الباقية عنه فهذه الاشارات كلها
متطابقة على ان الماء هو الاصل الذي تكونت عنه السموات والارض وذلك مطابق لكلامه عليه السلم **البحث
الثالث** قوله وادام مربها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله اي ادام جمع الريح للماء وتسويتها فلقد تقرر ذلك
ان الماء لما كان مقر الريح الذي اسمها اليه وعملت في تحريكه كان ذلك هو مربها الى الموضع الذي لزمته واقامت به
فقوله وادام مربها اي ادام حركة الماء واضطرابه بتحريكه وهو محل اربابها ويحتمل ان يكون قد استعمل اسم الموضع في
المصدر والقصد وادام اربابها اي ملازمتها لتحريك الماء وايضا يحتمل ان يكون قد شبهها في كونها سببا للامواج
الجزئية في كثرتها وقوتها بالديمة فكان محلها ومقرها الذي حصل السه ويقيم به قد ادامه الله اي سقاه ديمة
وقوله وابعد منشاها قال اي ابعد ارتفاعها فان المنشا محل النشو وهو الموضع الذي انشاها منه فلم تفهم منه

الارتفاع اللهم الاعلى تقدير استعماله لموضع الانشاء استعمال المصدر اي بلغ بانشائها غاية بعيدة والامر
انه يشير الى انها نشات من مبدا بعيد ولا يمكن الوقوف على اوله وهو قدرة الحق سبحانه وجوده وقوله
وامرها قال رحمه الله اي امر الموكلين بها من الملائكة بضرب الماء بعضه ببعض وتحريكه كمخض اللبن ليزبد ويطلق
الامر عليها مجازا لان الحكيم لا يامر الجماد قلت بل حمله على امر الريح اولى لان في التقدير الذي ذكره يكون التجوز
في لفظ الامر لعدم القول المخصوص هناك مجازا على قهر ملائكتها وفي نسبته الى الريح ايضا اذا اريد بلا
اما اذا حملناه على ظاهره كان التجوز في لفظ الامر فقط دون النسبة فكان اولى وقوله كمخض السقاء وعصفها بها
اي ومثل مخض السقاء ومثل عصفها فحذف المضاف الذي هو صفة المصدر واقام المضاف اليه مقامه
فلذلك نصبه نصب المصادر واعلم ان اللام في قوله بتصفيق الماء للعهد السابق في قوله ماء متلاطما
لان المائين واحد ومثل هذا التكرار جار في الكلام الفصيح كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول فان قلت ان الاجواء والارجاء وسكائك الهواء امور عدمية فكيف صح نسبتها
الى الانشاء عن القدرة قلت ان هذه الاشياء عبارة عن الخلاء والاحياز والخلاف في ان الخلاء والحيز
والمكان هل هي امور وجودية او عدمية مشهور فان كانت وجودية كانت نسبتها الى القدرة ظاهرة
ويكون معنى فتقها وشقها اشق العدم عنها كما في قوله فطر الخلائق بقدرته وان كانت عدمية كان
معنى فتقها وشقها ونسبتها الى القدرة تقديرها وجعلها احيازا للماء ومقارا له لانه لما كان عدمها
عن مطلق الهواء والخلاء بايجاد الله فيها الماء صار تعينها له بسبب قدرته تعالى فصح نسبتها اليه
فكانه سبحانه شقها وفتقها بحصول الجسم فيها وروى ان زرارة وهشاما اختلفا في الهواء اهو مخلوق
ام لا فرفع بعض موالي الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم اليه ذلك وقال له اني متحير وارى اصحابنا
يختلفون فيه فقال عليه السلم ليس هذا بخلاف يؤدي الى الكفر والضلال واعلم انه اعرض عن بيان
ذلك لان اولياء الله الموكلين بايضاح سبيله وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون الا
الى احد امرين احدهما ما يؤدي الى الهدى اداء ظاهرا واضحا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد
الى سواء السبيل وبيان ان الهواء مخلوق او غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في امر المعاد فلا يكون الجهل بما يتضح في
ذلك هلاكا وترك ما سواه والاشتغال بما هو اهم منه اولى **البحث الرابع** ان القرآن الكريم نطق بان السماء تكونت
من الدخان وكلامه عليه السلم ناطق بانها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر ان ذلك الزبد هو الذي تكون
منه الارض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الاشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه عليه السلم
وهو بين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر عليه السلم وهو قوله فخرج من ذلك الموج والزبد دخان ساطع
من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك ان القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لان ذلك
انما يكون عن النار واتفق المفسرون على ان هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتحرجه بسبب توجه

افاده

فهو اذن استعارة البخار الصاعد من الماء واذا كان كذلك فنقول ان كلامه عليه السلم مطابق للفظ القرآن
الكريم وذلك ان الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته الا انه ما دامت الكثافة غالبة عليه
وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فانه يخص باسم الزبد وما لطف وغلبت عليه الاجزاء الهوائية فانفصل خص
باسم البخار واذا كان الزبد بخارا والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن
واحدا فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه السموات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه الارض
وهو الزبد واما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحت لاجله استعارة لفظه له فهو امران
احدهما حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني
معنوي وهو كون البخار اجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما ان الدخان
كذلك ولكن عن حرارة النار فان الدخان ايضا اجزاء مائية انفصلت من جرم المحترق بسبب لطافتها
عن حر النار فكان لا اختلاف بينهما ليس الا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم احدهما للآخر وبالله
التوفيق **البحث الخامس** قال المتكلمون ان هذه الظواهر من القرآن وكلام علي عليه السلم لما دلت على ما
دلت عليه من كون الماء اصلا تكونت عنه السموات والارض وغير ذلك وثبت ان الترتيب المذكور في
المخلوقات امر ممكن في نفسه وثبت ان الباري تعالى فاعل مختار قادر على جميع الممكنات ثم لم يقم عندنا دليل
عقلي يمنع من اجراء هذه الظواهر على ما دلت عليه بظاهرها وجب علينا القول بمقتضى تلك الظواهر ولا
حاجة بنا الى التاويل لا يقال ان جمهور المتكلمين متفقون على اثبات الجوهر الفرد وان الاجسام مركبة عنه
فبعضهم يقول ان الجواهر كانت ثابتة في عدمها والفاعل المختار كساها صفة التاليف والوجود وبعضهم وان
منع ثبوتها في العدم الا انه يقول ان الله تعالى يوجدها اولا تلك الجواهر ثم يولف بينها فيوجد منها الاجسام فكيف يقال
ان السموات والارض تكونت من الماء لانا نقول هذا ظاهر لانه يجوز ان يخلق الله تعالى اولا الاجسام من تلك
الجواهر ثم يكون باقي الاجسام عن الاجسام الاولى واما الحكماء فلما لم يكن الترتيب الذي يقتضيه هذه الظواهر في كون
الاجسام موافقا لمقتضى ادلتهم لتاخر وجود العناصر عندهم عن وجود السموات لاجرم عدل بعضهم الى تاويلها
توفيقا بينها وبين مقتضى ادلتهم وذكروا من التاويل وجهين **الوجه الاول** قالوا العالم عالمان عالم يسمى
عالم الامر وهو عالم الملائكة الروحانية والمجردات وعالم يسمى عالم الخلق وهو عالم الجسمانيات وعلى ذلك حملوا
قوله تعالى الا له الخلق والامر ثم قالوا ما من موجود في عالم الجسمانيات الا وله نسبة الى عالم الروحانيات وهو مثال
له بوجه ما ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى العالم الروحاني وتعذر السفر الى الحضرة الالهية ثم كان من
بحثهم ان معنى ان قدرة الله سبحانه يرجع الى كون ذاته عالمة بالكل علما هو مبدا الكل مبداية بالذات غير
ملحوظة عن شيء ولا متوقفة على وجود شيء ثم لما دل دليلهم على ان رتبة صدور عالم الامر اعلى في الوجود و
اسبق نسبة الى القدرة المبدع الاول من عالم الخلق اذ كان صدور عالم الخلق انما هو بواسطة عالم الامر كان عبارة

ايجاد عالم الامر عن القدرة امرا اولا باعتبار ايجاد عالم الخلق عنها امرا ثانيا متاخرا عنه فعند ذلك قالوا ان الذي
اشار اليه عليه السلام ههنا موافق لما اصلناه ومناسب له وذلك انه اشار بالاجواء والارجاء والسكائك
الهواء الى سلسلة وجود الملائكة المسماة بالعقول الفعالة على مراتبها متنازلة وبانشائها الى ايجادها وبفتقها
وشقها الى وجودها وبالماء المتلاطم المتراكم الى الكمالات التي وجبت عنه سبحانه وباجرائه فيها الى افاضته
على كل واحد منها ما استحقه بواسطة ما قبله وبالريح العاصف الى الامر الاول الذي اشرنا اليه عن القدرة
فاما وجه المناسبة بين هذه الامور وبين ما ذكره فاما في التعبير عن العقول بالارجاء والاجواء والسكائك
فمن جهة انها قابلة للفيض والكمالات عن مبدأها الاول كما ان الارجاء والاجواء وسكائك الهواء قابلة للماء
عن ما يخرج عنه من سحاب او ينبوع واما في تشبيه الفيض بالماء فلانه لما لم يكن بحيث يتوقف الا على تمام القابل
بحيث وجد سال بطبعه اليه كذلك الفيض الالهي لا يتوقف صدوره عن واهبه الا على تمام القابل لكون الفاعل
تام الفاعلية في ذاته ولان الماء لما كان به قوام كل حي جسماني في عالم الكون كذلك الفيض الالهي هو مبدأ قوام كل موجود
قالوا ومثل هذا التشبيه جاء في القرآن الكريم قال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس رضي الله عنه في قوله
تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها ان المراد بالماء هو العلم وبالاودية قلوب العباد وانزله الله
على القلوب وبقوله فسالت بقدرها ان كل قلب منها يصل اليه مقدار ما يستحقه ويقبله قالوا وذلك ان الله
سبحانه انزل من سماء الكبرياء والجلالة والاحسان ماء وبيان القرآن وعلومه على قلوب العباد لان القلوب
يستقر فيها انوار علوم القرآن كما ان الاودية يستقر فيها المياه النازلة من السماء وكما ان كل وادي فانما يحصل
فيه من مياه الامطار ما يليق من سعته وضيقه كذلك ههنا كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن
ما يليق بذلك القلب من طهارته وخبثه وقوة فهمه وقصر فهمه وتمام التشبيه في الاية مذكور في التفاسير
واما في تشبيه الامر الاول بالريح العاصفة فلان وقوعه لما كان دفعة غير منسوب الى زمان يتوقف عليه
كان انسب ما يشبه به من الاجسام في السرعة والنفوذ هو الريح العاصف لكونها اسرع الاجسام حركة ولذلك
اكدها بوصف العصف تقريرا للسرعة التامة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر ووصفها بالزعزعة والقصف
تحقيقا للقوة الغالبة والشدة الشديدة واما امره لها وتسليطها على شده فلانه لما صورها بصورة الريح صلح
ان يقال انه امرها وهو عبارة عن نسبة ذلك الامر الى ذاته تعالى النسبة التي يحدثها عقولنا الضعيفة وفائدة
الرد والشد ههنا هو ضبط امره سبحانه على وفق حكمته الكمالات الفائضة عنه على كل موجود بحسب نوعه المستلزم
ردعه عمن ليس له ذلك الكمال المعين واما قرنها الى حده فاشارة الى احاطة امره سبحانه بما لتلك القوابل من الكمالات
الفائضة واشتماله عليها وقوله الهواء من تحتها فتيق اشارة الى قبول القوابل المذكورة والماء من فوقها دفيق اشارة
الى ما يحمله امر الله من الفيض المذكور وتلقيه على تلك القوابل وكل ذلك بترتيب عقلي لا زماني ليحقق فيعقل فيه ذلك
التراخي واما الريح الثانية فاشار بها عليه السلام الى الامر الثاني ووصفها باعتقام مهبها اشارة الى عقد

الامر وابقائه على وفق الحكمة الالهية والى عدم المانع لجريان ذلك الامر وبادامة مربها الى افاضة متواردة
الامر فكانه شبه الفيض الصادر بهذا الامر على هيولات الاجسام الفلكية بالرياح الحاملة على الاماكن التي تجمع
بها وتعصم او اراد ان المحال القابلة لذلك الامر المستلزمة لدامته باقية واشار بعصف مجراها الى سرعة ذلك
الامر كما وصف به الريح الاولى وبعد منشاها الى عدم اولية مبدائيته وامره لهذه الريح الى نسبة ذلك الامر
الى ذاته كامر وتصفيق الماء الزخار واثارة امواج البحار الى نسبة فيضان صور الافلاك وكمالاتها الى ذاته
سبحانه بواسطة تلك الكمالات الفعلية للملائكة وانها غير مستقلة بايجاد شيء بل هي شرايط بعضها لبعض
ولغيرها والبحار الى تلك الملائكة ومخضها له مخض السقاء وعصفها به كعصفها بالفضاء وترديد بعضه
على بعض والى قوة امر الله عليها وتصريفها على حسب علمه بنظام الكل وتقدير ما لكل فلك من الكمالات
في ذات كل مبدأ من تلك المبادي وقوله حتى عب عبابه اشارة الى بلوغ كمالات تلك الملائكة الحاصلة
لها بالفعل عن امر الله الى رتبة ان تعطى بواسطتها الفيض لغيرها وكذلك قوله ورمى بالزبد ركامه اشارة
الى اعطاء صور الافلاك وكمالاتها بواسطتها ولما كانت صور الافلاك محتاجة في قيامها في الوجود
الى الهيولى كانت نسبتها الى الملائكة المجردة نسبة اخس الى اشرف فبالحري ان اطلق عليها اسم الزبد
ولان هذه الصور حاصلة عن تلك الكمالات العقلية وفائضة عنها كما ان الزبد منفصل عن الماء
ومتكون عنه فتشابها واما رفعه في هواء منفتق وجو منفهق فاشارة الى الحاق صور الافلاك بموادها
المستعدة او الى تخصيص وجودات الافلاك باحيازها ورفعها اليها وقوله فسوى منه سبع سموات
مواد هم — اشارة الى كمال الافلاك بما هي عليه من الوضع والتعديل او الترتيب واما تخصيصه بالسبع فلان الفلكين الباقيين
في الشريعة معروفان باسمين آخرين وهما العرش والكرسي ثم قالوا والى هذا اشار الحكماء السابقون ايضا فانك
تاليس الملطي العنصر الاول هو المبدع الاول وكونه هو الماء لان المبدع الاول واسطة في ابقاء الموجودات
وفيضان صورها وعنه تفاض كمالاتها كما ان بالماء قوام كل حي عنصري وبواسطته يكون وكذلك سر ما جاء في التورية
ان المراد بالجوهر المخلوق لله اولا هو المبدع الاول وكونه تعالى نظر اليه نظر الهيبة وذوبان اجزائه اشارة الى صدور
الفيض عنه بامر الله سبحانه وتقديره والزبد الذي تكونت منه الارض والدخان الذي تكونت منه
السموات اشارة الى كمالات السموات والارض وصورها الصادرة عن كمالات عللها وصدور البخار والزبد
عن الماء وكل هذا تجوزات واستعارات يلاحظ في تفاوت حسنها وقبحها التناسب وبعدها الوجه الثاني
قالوا يحتمل ان يكون مراده بالريح الاولى هو العقل الاول فانه الحامل للفيض الالهي الى ما بعده وهو المحيط
بصور الموجودات ويؤيد ذلك قوله الهواء من تحتها فتيق والماء من فوقها دفيق فان الهواء اشارة الى الهيولى
المحيط بواسطته والماء اشارة الى الفيض الصادر عن الاول سبحانه فان الدفق لما كان مستلزما لسرعة
حركة الماء وجريانه عبر به عن الفيض الذي لا توقف فيه وبالريح الثانية عن العقل الثاني فانه هو الواسطة

في افاضة انوار الله سبحانه على ما بعده من العقول التي بواسطتها تصدر السموات السبع ووصف الريحين
بالعصف والقصف اشارة الى ما يخص هاذين المبدأين من القدرة وامره للريح الثانية بتصفيق الماء الزخار
واثارة موج البحار اشارة الى تحريك العقل الثاني للعقول التي بعده الى افاضة كالات الافلاك باذن الله تعالى
وباقي التاويل كما في التاويل الاول قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا الى قوله وسقف سائر ورقيم مائر اقول
ههنا ابحاث البحث الاول هذا الكلام يجري مجرى الشرح والتفسير لقوله فسوى لان التسوية عبارة عن التعديل
والوضع والهيئة التي عليها السموات بما فيهن والغرض بهذا التفصيل تنبيه الاذهان الغافلة عن كمال الصانع
سبحانه في ملكوت السموات وبدايع صنعه وضروب نعمه ليتذكروا نعمة ربهم فيواظبوا على عبادته وحمده على تمام
ذلك الاحسان كما قال تعالى لتذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
فان كل هذه نعم على العباد وهي وان كان فيها ما يبعد عن الاذهان الضعيفة كونه نعمة على العباد كحركات السموات
مثلا فاني احسب ان كثيرا من الغافلين يقولون وما فائدة حركة السماء في حقنا لكنه اذا نبهت اذهانهم لذلك علمت
انه لولا تلك الحركة لم يحصل شيء من المركبات في هذا العالم اصلا ولم يكن العبد في نفسه فضلا عما يجري عليه من
النعم الخارجة عنه الآن تلك الحركة قد يستلزم نعمة هي اقرب الى العبد من غيرها كالاستضاءة بنور الكواكب
والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر واعدادها الابدان للصحة ونحو ذلك وقد يستلزم نعما يستلزم نعما اخرى
الى ان يصل بالعبد كاعدادها الارض مثلا لحصول المركبات التي منها قوام حياة العبد واعلم ان الله سبحانه
ذكر امر السموات في كتابه في مواضع كثيرة ولا شك ان كثرة من ذكرها دليل عظم شأنها وعلى ان له سبحانه فيها
اسرارا لا يصل اليها عقول البشر اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلم وعلياهن سقفا محفوظا وقوله
وحفظناها من كل شيطان رجيم وقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقوله سمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها ولا
دسار ينظمها كقوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها وقوله ويمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه
وقوله ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله فاجرى
فيها سراجا مستطيرا وقمرا منيرا كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا البحث الثاني
في هذا الفصل استعارات الاولى قوله جعل سفلاهن موجا مكفوفا استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما
من المشابهة في العلو والارتفاع وما يتوهم من اللون وقال بعض الشارحين اراد انها كانت في الاول موجا
ثم عقدها وكفها اي منعها من السقوط الثانية قوله سقفا محفوظا استعار لفظ السقف من
البيت للسماء في الاصل لما بينهما من المشابهة في الارتفاع والاحاطة ثم كثر ذلك الاستعمال حتى صار
اسما من اسماء السماء ويحتمل ان لا يكون منقولا واراد بقوله محفوظا اي من الشياطين قال ابن عباس رض
كانت الشياطين لا يحجب عن السموات وكانوا يدخلونها ويخبرون اخبارها فلما ولد عيسى عليه السلم
منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وآله منعوا من السموات كلها فما منهم احد استرق السمع

الاري بشهاب فذلك معنى قوله تعالى وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه
شهاب مبين وسنشير الى سر ذلك ان شاء الله تعالى قوله بغير عمد تدعمها ولا دسار ينظمها اقول
لما كان مقتضى قدرة العبد وعادتها اذا تمكن من بناء بيت وانشاء سقف انه لابد له من اساطين وعمد
يقوم عليها ذلك السقف وروابط تشد بعضه الى بعض وكانت قدرة الحق سبحانه اجل واعلى
من الحاجة الى امثال ذلك اراد ان يشير الى عظمته سبحانه وقوة قهره بسلب صفات المخلوقين عنه
وشرائط آثارهم عن قدرته والمعنى ان هذه الاجرام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي ويستحيل
ان يكون وقوفها هناك لذواتها لان الاجسام متساوية في الجسمية فلو وجب حصول جسم في حيز لوجب
حصول كل جسم في ذلك الحيز ولان الاحياز والخلاء متشابهة فلا اختصاص فيه لموضع دون آخر ولا يجوز
ان يقال انها معلقة بجسم آخر والا لكان الكلام في وقوف ذلك الجسم في الجو كالكلام في الاول ولزم التسلسل فلم
يبق الا ان يقال ان وقوفها بقدرة الصانع الحكيم القادر المختار وان قلت قوله تعالى ترونها يفهم منه ان
هناك عمد ولكنها غير مرئية لنا وفي ذلك منافاة لسلبه عليه السلم العمد مطلقا قلت الجواب عنه من وجوه احدها
انه يحتمل ان يكون قوله ترونها كلاما مستانفا والتقدير بغير عمد وانتم ترونها كذلك الثاني يحتمل ان يكون في الكلام
تقديم وتاخير كما نقل عن الحسن البصري انه قال التقدير ترونها بغير عمد الثالث وهو الالطف ما ذكره الامام
فخر الدين رحمه الله فقال ان العماد هو ما يعتمد عليه والسموات معتمدة وقائمة على قدرة الله تعالى فكانت هي العمد
التي لا ترى وذلك لا ينافي كلامه عليه السلم الرابع وهو الاحق ما ذكرته وهو انه قد ثبت في اصول الفقه ان تخصيص
الشيء بحكم لا يدل على ان حكم غيره بخلاف ذلك الحكم فتخصيص العمد المرئية للسموات بالسلب لا يستلزم ثبوت
العمد غير المرئية لها الثالثة الثواقب استعارة في الاصل للشهب من الاجسام التي تثقب جسما آخر وتسعو فيه
ووجه المشابهة التي لاجلها سمي الشهاب ثاقبا انه يثقب بنوره الهواء كما يثقب جسم جسما لكنه لكثرة الاستعمال
فيه صار اطلاقه عليه حقيقة او قريبا منها الرابعة قوله سراجا مستطيرا استعارة للشمس ووجه المشابهة
ان السراج الضوئي المستطير لما كان من شانه ان يضيء ما حوله وينتشر في جميع نواحي البيت ويهتدي به للتصرف
فيه الخامسة قوله رقيم استعارة اصلية للفلك تشبيها له باللوح المرقوم فيه ثم كثر استعمال هذا اللفظ في
الفلك حتى صار اسما من اسمائه البحث الثالث اعلم ان هذه الاستعارات تستلزم ملاحظة اخرى وهو تشبيه هذا
العالم باسره ببيت واحد فالسماء كقبة خضراء نصبت على الارض وجعلت سقفا محفوظا محجوبا عن تصل اليه
مردة الشياطين كما تحمي غرف البيت بالسهام والحراب عن مردة اللصوص ثم هو مع غاية علوه وارتفاعه غير محمول بعمد
ولا منتظم بدسار ثم ان ذلك القبة مزينة بالكواكب وضيائها الذي هو احسن
الزينة واكملها فلم يحصل ضوء الكواكب في الفلك لبقي سطحه مظلما فلما خلق الله تعالى هذه الكواكب المشرقة في سطح
الاجرام استنار وازداد بذلك النور والضوء كما قال ابن عباس في قوله بزينة الكواكب اي بضوئها وانا اذا تاملت

يعني ان الطلاعة كشف لعدا الشمس عن هذا العالم ويهتدي به

عم

حكم

هذه الكواكب المشرقة المضيئة في سطح الفلك وجدتها عند النظر اليها كجواهر مرصوعة في سطح من زمرد
على اوضاع اقتضتها الحكمة او كما قيل وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق ثم جعل من جملتها
كوكبين هما اعظم الكواكب جرما واشدها اشراقا واتمها ضياء ومع اشتمالهما على تمام الحسن والزينة جعل
احدهما ضياء للنهار والآخر ضياء لليل ثم لم يجعل ذلك السقف ساكنا بل جعله متحركا ليكون اثر صنعه وتنظيم
ووضع حكمته فيه ابدع ثم لم يجعل ذلك السقف طبقا واحدا بل اطباقا اسكن في كل طبق ملأ من جنوده وخواص ملائكته
الذين ضربت بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة فلا يستطيع احد ان ينظر اليهم فضلا عن ان
يتشبه باشكالهم وخالقهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا هذا هو الحكمة الظاهرة التي تنبه لها
من له ادنى فطنة فيحصل منها عبرة شاملة لاصناف الخلق بحيث اذا لاحظ واحد جزئي من جزئيات آثار
هذه القدرة اي اثر كان استعظم واستحسن من اي ملك فرض من ملوك الدنيا لم يكن بينهما من المناسبة
الا خيال ضعيف فان اي ملك فرض اذا هم بوضع بنيان وبالغ في تحسينه وتزويق سقوفه وترصيعها بانواع الجواهر
وتزيينه بالاوضاع المعجبة للابصار وبذل فيه جهده واستفرغ فيه فكره لم يكن غايته الا ان يحيط مما عمله نسبة
خيالية بعيدة الى ظاهر هذا الصنع العجيب والترتيب اللطيف هذا مع ما اشتمل عليه من الحكم الخفية والاسرار
الالهية التي تعجز القوى البشرية عن ادراكها ويختلج فيما لاح منها الى الطف قريحة واوقد ذهن فسبحان الذي
بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون فانظر ايها المستبصر بعين بصيرتك المناسبة بين بيتك الذي تبنيه وهذا
البيت العظيم وقس سراجك الى سراجه وزينتك الى زينته ثم لاحظ مع ذلك انه انما خلقه لك ولابناء نوعك لتكونوا
فيه ومنه قوام حياتكم ووجودكم ولتستدلوا بملكوت ما خلق على كمال قدرته وحكمته لترجعوا بذلك الى حضرته
طاهرين من الرجس متشبهين بسكان سقف هذا البيت وغيره لا ان له حاجة اليه فانه الغني المطلق
الذي لا حاجة به الى شيء والعجب من الانسان انه يتبارى خطا حسنا او نقشا على حائط فلا يزال يتعجب من حسنه
وحذق صانعه ثم يرى هذا الصنع العجيب والابداع اللطيف فلا يدهشه عظمة صانعه وقدرته ولا يحيره جلاله
مبدعه وحكمته **البحث الرابع** الشرع والبرهان متطابقان على ان هيهنا تسع افلاك بعضها فوق بعض فيها
سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة الناموس الالهي ثم اكثرها يشتمل على الكواكب وهي اجرام نورانية مستديرة
مصمتة مركوزة في اجرام الافلاك فاول الافلاك مما يلينا ليس فيه من الكواكب الا القمر وليس في الثاني الا
عطارد وليس في الثالث الا الزهرة وليس في الرابع الا الشمس وليس في الخامس الا المريخ وليس في السادس
الا المشتري وفي السابع الا زحل وهذه هي المسماة بالكواكب السبعة السيارة وما سواها من الكواكب فيشتمل عليها
الفلك الثامن واما التاسع فخال عن الكواكب وان كان فليس بمدرك لنا ثم قد دل البرهان على ان الافلاك
هي المتحركة بما فيها من الكواكب وان تلك الحركة دورية وكأنه عليه السلم مطابقا لذلك حيث قال في فلك دائر
وسقف سائر ورقيم مائر اذا عرفت ذلك فاعلم ان الله سبحانه خلق الموجودات كلها على اتم انحاء الكمال

والكمل بجميع الموجودات من الافلاك ومقاديرها واعدادها وحركاتها المختلفة وهيأتها وهيئة الارض
وما عليها من حيوان ونبات ومعدن ونحوه انما وجد على الوجه الذي وجد عليه لحصول النظام الكلي
العالم ولو كان بخلاف ما عليه لكان شرا وناقصا فخلق الافلاك والكواكب وما هي عليه من الحركات
والاوضاع وجعلها اسبابا لحدوث الحوادث في عالم الكون والفساد بواسطة كيفيات يحدثها فيها
من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة يوجب ذلك امتزاج بعضها ببعض امتزاجات مختلفة مستعدة
لقبول صور مختلفة من حيوان ونبات ومعدن واظهر الكواكب تاثيرا هو الشمس والقمر فان بحركة الشمس اليومية
يحصل النهار والليل فالنهار وهو زمان طلوعها يكون زمان الكسب والطلب للمعاش الذي به يحصل قوام
الحيات ويكون سببا الى السعادة الاخروية ثم انها في مدة حركتها اليومية لا تزال تدور فتغشى جهة بعد
جهة حتى تنتهي الى المغرب وقد اخذت كل جهة من الجهات حظا من الاشراق والاستعداد به واما الليل
وهو زمان غروبها فان فيه هدو الخلق وقرارهم الذي به يحصل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ
الغذاء الى الاعضاء كما قال تعالى هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا وجعلنا الليل
لباسا وجعلنا النهار معاشا ثم كانت الشمس من جهة ضوءها كسراج يرفع لاهل كل بيت بمقدار حاجتهم
ثم يرفع عنهم فصار النور والظلمة على تضادهما متظاهرين على ما فيه مصلحة هذا العالم واما بحسب حركاتها الجنوبية
والشمالية فقد جعل سبحانه ذلك سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء تغور الحرارة والنبات فيتولد منها
مواد البخار وكثرة السحاب والامطار وتقوى ابدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع
تتحرك الطبايع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم
الهواء فينضج الثمار وتحل فضول الابدان ويجف وجه الارض فيتهيأ للبناء والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس
والبرد فيعتدل فيه الابدان على التدريج الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة لهلك وفسدت واما القمر
فان بحركته يحصل الشهور والاعوام كما قال سبحانه ولتعلموا عدد السنين والحساب فيمكن العبد الحساب
من ترتيب معاشه بالزراعة والحراثة واعداد مهمات الشتاء والصيف واختلاف حاله في زيادته ونقصانه
يختلف احوال الرطوبات في هذا العالم فلو انه سبحانه خلق الافلاك دون الكواكب لكان ان خلقها مظلمة
لم يحصل ما ذكرنا من اختلاف الفصول والحر والبرد فلم يتم في هذا العالم ما كان سببا فيه من الاستعدادات ولم يكن
لنا قصد عن قصد كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون وقوله هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في
ظلمات البر والبحر وان خلقها مضيئة تشابه اثارها في الامكنة والازمنة بل خلق فيها الكواكب ولم يخلقها
الا لافرط اثرها في موضع بعينه فيفسد استعداده ويخلو موضع آخر عن التاثير ولما تميزت فصول السنة
ولما حصل البرد المحتاج اليه والحر المحتاج اليه فلم يتم نشو النبات والحيوان وعلى الجملة فالنظام الكلي لا يحصل الا بهذا
الوجه فهو كمال غاية الوجود وكل ذلك يدل على كمال رحمة الله سبحانه وشمول عنايته لهم اذ كان جميع ما ذكرناه من المنافع الحاصلة

في هذا العالم مستندا الى علو تدبيره وكمال حكمته كما قال تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار
واتاكم من كل ما سالتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار لا يقال السوال على ما ذكرتم
من وجهين احدهما ان الترتيب الذي ذكرتموه في تخصيص كل فلك ببعض الكواكب يشكل بقوله تعالى انا زينا
السماء الدنيا بمصابيح الثاني ان الشهب الثواقب التي جعلت رجوما للشياطين على ما نطق به القران الكريم
اما ان تكون من الكواكب التي زينت بها السماء او لا تكون والاول باطل لان هذه الشهب تبطل بالانقضاض
وتضمحل فكان يلزم من ذلك على مرور الزمان فناء الكواكب ونقصان اعدادها ومعلوم انه لم يوجد ذلك النقصان
البتة والثاني يشكل بقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فهي تلك المصابيح
والكواكب التي زينت بها السماء لانا نجيب عن الاول بانه لا تنافي بين ظاهر الاية وبين ما ذكرناه وذلك ان السماء الدنيا
لما كانت لا تحجب ضوء الكواكب وكانت اوهام الخلق حاكمة عند النظر الى السماء ومشاهدة الكواكب بكونها
مزينة بها لا جرم صح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب لان التزيين بها انما هي بالنسبة الى اوهام الخلق
للسماء الدنيا وعن الثاني انا نقول ان هذه الشهب غير تلك الثوابت الباقية فاما قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح
وجعلناها رجوما للشياطين فنقول كل مضيء حصل في الجو العالي او في السماء فهو مصباح لاهل الارض
الا ان تلك المصابيح منها باقية على طول الزمان وهي الثوابت ومنها متغيرة وهي هذه الشهب التي يحدثها
الله تعالى ويجعلها رجوما للشياطين ويصدق عليها انها زينة السماء ايضا بالنسبة الى اوهامنا والله اعلم

قوله ثم فوق ما بين السموات العلى الى قوله ولا يشيرون اليه النظار فيه ابحاث **البحث الاول** هذا الفصل
ايضا من تمام التفسير لقوله فسوىهن سبع سموات اذ كان ما اشار اليه ههنا من فتق السموات الى طبقاتها
واسكان كل طبقة منها ملائكة معينا من ملائكته هو من تمام التسوية والتعديل للعالم السموات فان قلت لم اخر
ذكر فتق السموات واسكان الملائكة فيها عن ذكر اجراء الشمس والقمر فيها وتزيينها بالكواكب ومعلوم ان فتقها متقدم
على اختصاص بعضها ببعض الكواكب قلت انا اشارة عليه السلام الى تسوية السموات اشارة جلية وكانه قدر اولا ان
الله خلق السموات كرة واحدة كما عليه بعض المفسرين لقوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ثم ذكر علياءهن
وسفلاهن بجريانهما مجرى السطحين الداخل والخارج لتلك الكرة ثم اشار الى بعض كمالاتها وهي الكواكب والشمس
والقمر جملة ثم بعد ذلك التفصيل فاشار الى تفصيلها وتمييز بعضها عن بعض بالفتق واسكان كل واحدة منهن
ملأ معينا من الملائكة ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة ولا شك ان تقديم الاجمال في الذكر وتعقيبه بالتفصيل
اولى في الفصاحة والبلاغة في الخطابة من العكس اذا عرفت ذلك فنقول قوله عليه السلام ثم فتق ما بين السموات
العلى كقوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وقوله فملأهن اطوارا من ملائكته
منهم سجود لا يركعون كقوله تعالى ولله يسجد من في السموات وقوله ويسجدون ونحوه وقوله صافون لا يتزايلون كقوله تعالى
وانا لنحن الصافون والصافات صفا وقوله ومسبحون لا يسامون كقوله تعالى يسبحون الليل والنهار وقوله لا يفترون

الايمان كقوله تعالى لا يفترون وقوله ومنهم امناء على وحيه كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقوله
والسنة الى رسله كقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا وقوله مختلفون بقضائه وامره كقوله تنزل الملائكة والروح
فيها باذن ربهم من كل امر وقوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده وقوله ومنهم الحفظة
لعباده كقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله وان عليكم لحافظين وقوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من امر الله وقوله والسدنة لابواب جنانه كقوله تعالى وقال لهم خزنتها وقوله والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم
كقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وقوله باجنحتهم كقوله تعالى اولي اجنحة **البحث الثاني**
اعلم ان الناس في تفسير قوله تعالى اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما اقوال احدها
قال ابن عباس والضحاك وعطا وقتادة ان السماء والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء
الثاني قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحها بها الثالث
قال مجاهد والسدي كانت السموات طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض الرابع قال
عكرمة وابن عباس برواية اخرى عنه ان معنى كون السماء رتقا انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا
انها كانت لا تمطر وكانت الارض رتقا اي لا تنبت نباتا ففتق الله السماء بالمطر والارض بالنبات ويؤيده
قوله تعالى بعد ذلك وجعلنا من الماء كل شيء حي ونظيره قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله و
الارض ذات الصدع وقوله تعالى والارض ذات الصدع وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض
شقا فانبتنا فيها حبا الاية الخامس قال بعض الفضلاء ان معنى قوله كانتا رتقا اي كانتا امورا كلية
في علم الله تعالى وفي اللوح المحفوظ وقوله ففتقناهما اشارة الى تشخصاتها في الوجود الخارجي وتميز بعضها
عن بعض وهذا القول مناسب للاقوال الثلثة الاول ويصلح تحقيقا لها وحمل الريح التي ذكرها كعب على
امر الله تعالى استعارة لما بينهما من المشابهة في السرعة السادس قال بعضهم ان معنى الرتق في هذه الاية
هو انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج ثم ان الفتق بعد ذلك عبارة عن ظهور الميل لواو مما
يناسب ذلك قول ابن عباس وعكرمة فانهم لما قالوا ان معنى كون السماء رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض
رتقا انها لا تمطر ومعنى كون الارض رتقا انها لا تنبت كان الفتق والرتق بالمعنى الذي ذكرناه اشارة
الى اسباب ما ذكروه لان انطباق الدائرتين وهو الرتق يوجب خراب العالم السفلي وعدم المطر والنبات وظهور
الميل الذي هو الفتق يوجب الفصول وظهور المطر والنبات وساير انواع المركبات اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله
عليه السلام ثم فتق ما بين السموات العلى موافق للاقوال الثلثة الاولى مع القول الثالث والخامس والمحقق اليق
واما القول السادس فهو بعيد المناسبة لقوله عليه السلام وبيان ذلك ان قوله ثم فتق ما بين السموات العلى انما
هو في معرض بيان كيفية تخليق العالم الاعلى ولذلك اردفه وعقبه بالفاء في قوله فملأهن اطوارا من ملائكته
والرتق والفتق في هذا القول متاخر عن كمال الاجرام العلوية بما فيها وما يتعلق بها ولا يعقل تقدم ظهور الميل

توجه ساعلى وجود الملائكة السماوية واسكانها اطباق السموات وبالله التوفيق البحث الثالث الملائكة على انواع
كثيرة ومراتب متفاوتة فالمرتبة الاولى الملائكة المقربون كما قال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملائكة المقربون الثانية الملائكة الحاملون للعرش كقوله تعالى الذين يحملون العرش وقوله ويحمل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية الثالثة الحافون حول العرش كما قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول
العرش وقوله ومن حوله الرابعة ملائكة السموات والكرسي الخامسة ملائكة العناصر السادسة الملائكة الموكلة
بالمركبات من المعدن والنبات والحيوان السابعة الملائكة الحفظة الكرام الكاتبون كما قال تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين ويدخل فيهم المعقبات المشار اليه بقوله تعالى له معقبات من
بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله الثامنة ملائكة الجنة وخزنتها كما قال تعالى ملائكة غلاظ شداد
وقال عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة اذا عرفت ذلك فنقول اتفق الكل على ان الملائكة
ليس عبارة عن اشخاص جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس والبهائم بل القول المحصل فيها قولان الاول هو
قول المتكلمين انها اجسام نورانية الهية خيرة سعيدة قادرة على التصرفات السريعة والافعال الشاقة ذوات
عقول وافهام وبعضها عند الله اقرب من البعض واكمل درجة كما قال تعالى وما منا الا له مقام معلوم
والقول الثاني قول غيرهم وهي انها ليست باجسام لكن منها ما هو مجرد عن الجسمية وعن تدبير الاجسام ومنها
من له الامر الاول دون الثاني ومنها من ليس بمجرد بل جسماني حال في الاجسام وقائم بها ولهم في ترتيل المراتب المذكورة
على قولهم تفصيل اما المقربون فاشارة الى الذوات المقدسة عن الجسمية والجهة وعن حاجتها الى القيام
بها وعن تدبيرها واما حملة العرش فالارواح الموكلة بتدبير العرش وقيل هم الثمانية المذكورة في القران الكريم
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وهم رؤساء الملائكة المدبرين فالكرسي والسموات السبع وذلك ان
هذه الاجرام لها كالابدان فهي لابدانها اشخاص حاملون للعرش فوقهم واما الحافون حول العرش
فقيل هم صفوف واقربهم الى العرش هي الارواح الحاصلة للكرسي الموكلة به والمتصرفة فيه واما ملائكة
السموات فالارواح الموكلة بها والمتصرفة فيها بالتحريك والادارة باذن الله عز وجل وكذلك ملائكة العناصر
والجبال والبحار والبراري والقفار وساير المركبات من المعدن والنبات والحيوان المحركة لها النفوس المخصوصة
على اختلاف مراتبها واما الملائكة الحافظون الكرام الكاتبون فلهم فيها اقوال احدها قال بعضهم ان الله سبحانه
خلط الطبايع المتضادة ومزج بين العناصر المتنافرة حتى استعد ذلك الممزوج بسبب ذلك الامتزاج لقبول
النفس المدبرة والقوى الحسية والمحركة فالمراد بتلك الحفظة التي ارسلها الله تعالى هي تلك النفوس والقوى التي
تحفظ تلك الطبايع المقهورة على امتزاجاتها وهي الضابطة على انفسها اعمالها والمكتوب في الواحها صور
ما تفعله لتشهد به على انفسها يوم القيمة كما قال تعالى قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا
على انفسهم انهم كانوا كافرين وهي المعقبات من بين يدي الانسان ومن خلفه الحافظون له من امر الله وعمل الحفظة

وقال لهم خزنتها سلام عليكم
الى تسعة عشر ملائكة النار
كما قال تعالى عليها م

سكاية قوم

العباد غير الحفظة على العباد والكاتبين لاعمالهم وتفسير ذلك الثاني قال بعض القدماء ان هذه النفوس
البشرية والارواح الانسانية مختلفة بجواهرها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في البلادة والذكاء
والفجور والعفة والحرية والنذالة والشرف والدناءة وغيرها من الهيات ولكل طائفة من هذه الارواح النفسية
روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم يعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها تارة على
سبيل الرؤيا واخرى على سبيل الالهامات وهو مبدأ لما يحدث فيها من خير وشر ويعرف تلك المبادي
في مصطلحهم بالطباع التام يعني ان تلك الارواح الفلكية في تلك الطبايع والاخلاق تامة كاملة بالنسبة
الى هذه الارواح السفلية وهي الحافظة لها وعليها كما قال تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي
سفرة كرام بررة الثالث قول بعضهم ان للنفوس المتعلقة بهذه الاجساد مشاكلة ومشابهة مع النفوس المفارقة
عن الاجساد فيكون لتلك المفارقة ميل الى النفوس التي لم تفارق فيكون لها تعلق ايضا بوجه ما بهذه
الابدان بسبب ما بينها وبين نفوسها من المشابهة والموافقة فتصير معاونة لهذه النفوس على مقتضى
طباعها وشاهدة عليها كما قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد واما ملائكة الجنة فاعلم ان الجنان المذكورة في القرآن ثمان وهي جنة النعيم وجنة الفردوس
وجنة الخلد وجنة المأوى وجنة عدن ودار السلام ودار القرار وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين ومن وراء الكل عرش الرحمن ذي الجلال والاكرام اذا عرفت ذلك فاعلم ان لهذه الجنان سكانا وخزانا
من الملائكة اما السكان فهم الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم الذين يتلقون عباد الله الصالحين المخلصين بالشفقة والبشارة بالجنة وذلك ان الانسان
الطابع اذا كملت طاعته وبلغ النهاية في الصورة الانسانية واستحق باعماله الصالحة وما اكتسب من الافعال
الزكية صورة ملكية ورتبة سماوية تلقته الملائكة الطيبون بالرأفة والرحمة والشفقة ويلقونه بالروح
والريحان كما يقبل القوابل والدايات اولاد الملوك بفاخر امور الدنيا وطيبات روايحها من مناديل السندس
والاستبرق وبالفرح والسرور ومردابه الى الجنة فيعاين من البهجة والسرور ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ويبقى معهم على المداوم كما ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ويتصل باخوانه المؤمنين في
الدنيا الخيار واحوالهم ويتراءى لهم في منامهم بالبشارة والسعادة وحسن المنقلب واذا كان يوم القيمة الكبرى
عرجت به ملائكة الرحمة الى الجنان النعيم والسرور المقيم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى في غرف
من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال بعض حكماء
الاسلام ان تلك الملائكة المتلقية بالروح والريحان هي روحانيات الزهرة والمشتري وكان القائل يقول
ان النفوس الانسانية السعيدة اذا فارقت ابدانها وحملت القوة المتوهمة معها والهيات المتخيلة التي
حصلت من الوعد الكريم في دار الدنيا من الجنات والحدائق والانهار والثمار والحور العين والكأس المعين

وشفوه م

وقلوه م

واللؤلؤ والمرجان والولدان والعين ان فانه تفاض عليها بحسب استعدادها وطهارتها ورجاء ثواب
الاخرة صور عقلية في غاية البهاء والزينة مناسبة لما كانت تتخيله من الامور المذكورة مناسبة لطيفة ولما كان
لهذين الكوكبين اثر تام في اعداد النفوس للتخيلات البهية الحسنة والفرح والسرور كما ينسب في المشهور
الى روحانيتهما من الافعال الحسنة نسب تلقي الانسان بعد المفارقة بالرافة والرحمة والشفقة الى روحانيتهما
والله اعلم واما الخزنة للجنان فيشبه ان يكون هما السكان لها ايضا باعتبار آخر وذلك انه لما كان الخازن
هو المتولي لاحوال ابواب الخزنة بفتحها وتفريق ما فيها على مستحقيها باذن رب الخزانة ومالكها وغلقها
ومنعها عن غير مستحقها وكانت الملائكة هم المتولين لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم
على مستحقيها باذن رب الخزانة ومالكها وغلقها ومنعها من غير مستحقها وكانت الملائكة هم المتولين
لافاضة الكمالات وتفريق ضروب الاحسان والنعم على مستحقيها وحفظها ومنعها عن غير مستحقها
والمستعد بالطاعة لها باذن الله وحكمه لاجرم صدق انهم خزان الجنان بهذا الاعتبار وهم الذين يدخلون
على المومنين من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعض الفضلاء ان العبد اذا راض نفسه
حتى استكمل مراتب القوة النظرية ومراتب القوة العملية فانه يستعد بكل مرتبة من تلك المراتب لكمال خاص يفاض
عليه من الله تعالى وتاتيه به الملائكة فيدخلون عليه من كل باب من تلك الابواب بالسلام والتحية والاكرام
ثم ان الرضا بقضاء الله من خير وشر باب عظيم من تلك الابواب فالملك الذي يدخل الانسان منه
برضاء الله كما قال تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه هو رضوان خازن الجنان والله اعلم واما ملائكة
النار فقال بعض الفضلاء هي تسعة عشر نوعا من الزبانية لا يعصون الله ما امرهم وهم الخزنة الذين ذكرنا
انهم يوردون عليه الاخبار من خارج ورئيسهم والخازن والحاجب والملك والمتصرف بين يديه باذن
ربه وملكا الغضب والشهوة والسبعة الموكلون بامر الغذاء وذلك انه اذا كان يوم الطامة الكبرى وكان الانسان
ممن طغى وآثر الحيوة الدنيا حتى كانت الجحيم هي الماوى كانت اولئك التسعة عشر من الزبانية هم الناقلين له الى
الهاوية بسبب ما استكثر من المشتهيات واقترف من السيئات واعرض عن قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وان الى ربك المنتهى واعلم انك وفقك الله ان هؤلاء
الذين ذكرهم هذا القائل انهم ملائكة النار ربما كانوا ايضا مع انسان آخر من ملائكة الجنة وذلك انما استخدمهم
ذلك الانسان في دار الدنيا على حق اوامر الله واوقفهم على طاعة الله بعد ان يطلب منهم فوق ما خلقوا لاجله
وامروا به من طاعته وعبرهم الى معصية الله وارتكاب نواهيه ومحارمه وبالله التوفيق **البحث الرابع**
انه عليه السلم ذكر من الملائكة انواعا واشار بالسجود والركوع والصف والتسبيح الى تفاوت مراتبهم في العبادة
والخضوع وذلك ان الله سبحانه قد خص كلا منهم بمرتبة معينة من الكمال في العلم والقدرة لا يصل اليها
من دونه وكل من كانت نعمة الله عليه اكمل واتم كانت عبادته اعلى وطاعته اوفى ثم ان السجود والركوع والصف

والتسبيح عبارات متعارفة بين الخلق ومتفاوتة في استلزام كمال الخضوع والخشوع ولا يمكن حملها على
ظواهرها المفهومة منها لان وضع الجبهة على الارض وانحناء الظهر والوقوف في حظ واحد وحركة
اللسان بالتسبيح امور مبنية على وجود هذه الالات التي هي خاصة ببعض الحيوانات فبالحري ان يحمل
تفاوت المراتب المذكورة لهم على تفاوت كمالاتهم في الخضوع والخشوع لكبرياء الله وعظمته لطلاق اللفظ الملزوم
على لازمه على ان السجود في اللغة هو الانقياد والخضوع كما مر اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قوله عليه السلم
منهم سجود اشارة الى مرتبة الملائكة المقربين لان درجتهم اكمل درجات الملائكة وكانت نسبة عبادتهم
وخضوعهم الى خضوع من دونهم كنسبة خضوع السجود الى خضوع الركوع فان قلت انه قد تقدم ان الملائكة
المقربين مبرؤن عن تدبير الاجسام والعلق بها فكيف يستقيم ان يكونوا من سكان السموات ومن الاطوار التي
مليت بهم قلت ان علاقة الشيء بالشيء واضافته اليه يكفي فيها ادنى مناسبة بينهما والمناسبة ههنا حاصلة
بين الاجرام السماوية وبين هذا الطور من الملائكة وهي مناسبة العلة للمعلول والشرط للمشروط وكما
جاز ان ينسب الباري جل جلاله الى الاختصاص بالعرش والاستواء عليه في لفظ القران الكريم مع تنزهه
تعالى وتقدسه عن هذا الظاهر ولم يجز في الحكمة ان يكشف للخلق من عظمة الحق سبحانه اكثر من هذا القدر
فكذلك جاز ان تنسب الملائكة المقربون الى الكون في السموات بطريق الاولى وان تنزهوا عن الاجسام و
تدبيرها لان عليا عليه السلم قاصد مقصد الرسول صلى الله عليه وآله وقصد القران الكريم وناطق به
فليس له ان يفصح بما خفي عنه الافهام وبالله التوفيق قوله وركوع لا ينتصبون يشبه ان يكون اشارة الى حملة العرش
اذ كانوا اكمل من دونهم فكانت نسبة عبادتهم الى عبادة من دونهم كنسبة خضوع الركوع الى خضوع الصف
قوله وصافون يحتمل ان يكون اشارة الى الملائكة الحافين من حول العرش قيل انهم يقفون صفوفا لاداء
العبادة كما اخبر تعالى عنهم وانا لنحن الصافون ويحقق ذلك ان لكل واحد منهم رتبة معينة ودرجة معينة
من الكمال يخصه وتلك الدرجات باقية غير متغيرة وذلك يشبه الصفوف ومما يؤيد القول بانهم الحافون
حول العرش ما جاء في الخبر ان حول العرش سبعين الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين
اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا
وهو يسبح قوله ومسبحون يحتمل ان يكون المراد بهم الصافون وغيرهم من الملائكة والواو العاطفة وان اقتضت
المغايرة الا ان المغايرة حاصلة اذ هم من حيث هم صافون غيرهم من حيث هم مسبحون وتعدد هذه الاعتبارات
يسوغ تعديد الاقسام بحسبها وعطف بعضها على البعض ويؤيد ذلك الجمع بين كونهم صافين وبين كونهم
مسبحين في قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ويحتمل ان يريد نوعا او انواعا اخر من ملائكة السموات
فاما سلب الركوع عن الساجدين وسلب الانتصاب عن الراكعين وسلب المزايلة عن الصافين وسلب
السام عن المسبحين فاشارة الى كمال مراتبهم المعينة كل بالنسبة الى من هو دونه وتاكيد لها بعدم النقصانات

اللاحقة فان الركوع وان كان عبادة الا انه نقصان بالنسبة الى السجود والانتصاب نقصان في درجة الراكع بالنسبة الى ركوعه وكذلك التراخي انفصال عن مرتبة الصف ونقص فيها وكذلك السام في التسبيح نقصان فيه واعراض عن الجهة المقصودة وايضا فالسام والملال عبارة عن اعراض النفس عن الشيء بسبب كلال بعض القوى الطبيعية عن افعالها وذلك غير متصور في حق الملائكة السماوية واما سلب غشيان النوم عنهم في قوله لا يغشاهم نوم العيون فهو ظاهر الصدق وبيانه ان غشيان النوم لهم مستلزم لصحة النوم عليهم واللازم باطل في حقهم فالملزوم مثله اما الملازمة فظاهرة واما بطلان اللازم فلان النوم عبارة عن تعطيل الحواس الظاهرة عن افعالها لعدم انصباب الروح النفساني اليها او رجوعها بعد الكلال والضعف والملائكة السماوية منزهون عن هذه الاسباب والالات فوجب ان يكون النوم غير صحيح في حقهم فوجب ان لا يغشاهم واما سلب سهو العقول وغفلة النسيان فاعلم ان الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل وهي اعم من السهو والنسيان وكالجنس لهما بيان ذلك ان السهو هو الفقد عن الشيء مع بقاء صورته او معناه في الخيال او الذكر بسبب اشتغال النفس والتفاتها الى بعض مهماتها واما النسيان فهو الغفلة عنه مع انمحاء صورته ومعناه عن احدى الخزانتين بالكلية ولذلك يحتاج الناسي للشيء الى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانيا ولهذا يظهر الفرق بين الغفلة والسهو والنسيان واذا عرفت ذلك ظهر ان هذه الامور الثلاثة من لواحق القوى الانسانية فوجب ان تكون مسلوبة عن الملائكة لسلب معروضاتها عنهم ولما ذكر سهو العقول ونفاه عنهم اردفه بسلب ما هو اعم منه وهو الغفلة لاستلزام سلبها سلب النسيان وقد كان ذلك كافيا في سلب النسيان الا انه اضاف الغفلة اليه ليتاكد سلبه بسلبها واما قوله ولا فترة الابدان فلان الفترة هي وقوف الاعضاء البدنية عن العمل وقصورها بسبب تحلل الارواح البدنية وضعفها ورجوعها للاستراحة وكل ذلك من توابع المزاج الحيواني فلا جرم صدق سلبها عنهم **قوله** ومنهم امناء على وحيه والسنة الى رسله مختلفون بقضائه وامره يشبه ان يكون هذا القسم داخلا في الاقسام السابقة من الملائكة وانما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانة على الوحي والرسالة والاختلاف بالامر الى الانبياء عليهم السلام وغيرهم لان من جملة الملائكة المرسلين جبرئيل عليه السلام وهو من الملائكة المقربين واعلم انما تنزيل الوحي وساير الافاضات من الله تعالى على عباده انما هو بواسطة الملائكة كما علمت كيف ذلك لا جرم صدق ان منهم امناء على وحيه والسنة الى رسله اذ كان الامين هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليؤديه الى مستحقه وافاضة الوحي النازل بواسطة الملائكة محفوظة نازلة كما هي مبراة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم معروضات السهو هناك او عن عمد لعدم الداعي اليه ولقوله تعالى يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون واما كونهم السنة الى رسله فهي استعارة حسنة اذ يقال فلان لسان قومه اي المفصح عن احوالهم والمخاطب عنهم فيطلق عليه اسم اللسان لكونه مفصحا عما في النفس ولما كانت الملائكة وسايط بين الحق

سبحانه وبين رسله في تادية خطابه الكريم اليهم لا جرم حسن استعارة هذا اللفظ لهم لمكان المشابهة والمراد ههنا بالاختلاف التردد بامر الله وما قضى به مرة بعد اخرى وبالقضاء الامور المقضية اذ يقال هذا قضاء الله اي مقضي الله ولا يراد به المصدر فان معنى ذلك هو سطور ما كان وما يكون في اللوح المحفوظ بالقلم الالهي وذلك امر قد فرغ منه كما قال صلى الله عليه وآله جف القلم بما هو كاين فان قلت كيف يصح ان يكون هذا القسم داخلا في السجود لان من كان ابدا ساجدا كيف يتصور ان يكون مع ذلك مترددا في الرسالة والنزول والصعود ومختلفا بالاوامر والنواهي الى الرسل عليهم السلام قلت انا بينا انه ليس المراد بسجود الملائكة هو وضع الجبهة على الارض بالكيفية التي نحن عليها وانما هو عبارة عن كمال عبوديتهم لله تعالى وخضوعهم تحت قهر قدرته وذلتهم برق الامكان والحاجة تحت ملك وجوب وجوده ومعلوم انه ليس بين السجود بهذا المعنى وبين ترددهم باوامر الله تعالى واختلافهم بقضائه على وفق مشيته وامره منافاة بل كل ذلك من كمال عبوديتهم وخضوعهم لعزته واعترافهم بكمال عظمته **قوله** ومنهم الحفظة لعباده فاعلم ان في هذا القسم مطلوبين احدهما ما الحفظة والثاني ما المراد عنهم ثم الحفظة منهم حفظة للعباد كما قال تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ومنهم حفظة على العباد كما قال تعالى ويرسل عليكم حفظة والمراد من الاولين حفظ العباد بامر الله تعالى من الآفات التي تعرض لهم ومن الآخرين ضبط الاعمال والاقوال من الطاعات والمعاصي كما قال كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وكقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما على يمينه والآخر على يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على يمينه واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله يتوب منها فان لم يتب كتبت عليه قال المفسرون فايدة ذلك ان المكلف اذا علم ان الملائكة موكلون به يحصون عليه اعماله ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك ازجر له عن القبايح واعلم انه يحتمل ان يكون التعدد المذكور في الحفظة تعددا بحسب الذوات ويحتمل ان يكون بحسب الاعتبار وقال بعض من زعم ان الحفظة للعباد هي القوى التي ارسلها الله تعالى من سماء جوده على الابدان البشرية ويحتمل ان تكون الحفظة على العباد هي مبادي تلك القوى ويكون معنى كتبه السيئات والحسنات وضبطها على العباد اما اعتبارات ما يصدر ويتجدد عن العبد من السيئات والحسنات في علم تلك المبادي او يكون معناها كتبة صور الافعال الخيرية والشرية المنسوبة الى العبد بقلم الافاضة في لوح نفسه بحسب استعدادها لذلك قال ويشبه ان يكون اشارة ابن عباس رضي الله عنه بانتظار ملك اليسار كاتب السيئات توبة العبد الى انما دامت السيئة حالا غير متمكنة من جوهر نفس العبد فان رحمه الله تعالى تسعه فاذا تاب من تلك السيئة لم تكتب في لوح نفسه وان لم يتب حتى صارت ملكة راسخة في نفسه كتبت وعذب بها يوم تقوم الساعة قال ويحتمل ان تكون الحفظة على العباد هم باعيانهم من الحفظة لهم فان النفس تحفظ في جوهرها

ما فعله من خير وشر ويحصيه يوم البعث على نفسها اذا زالت عنها الغواشي البدنية ويجده مصورا مفصلا لا يغيب عنها منه شيء كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وكما قال تعالى ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وكما قال فاذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور قال واما معنى كونهم من ملائكة السماء ثم ارسلوا الى الارض والله اعلم واما التسمية لابواب جنانه فقد عرفت ما قيل فيهم **قوله** ومنهم الثابتة في الارضين السفلى اقدامهم المارقة من السماء العليا اعناقهم والخارجة من الاقطار اركانهم والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم فاعلم ان هذه الاوصاف وردت في صفة الملائكة الحاملين للعرش في كثير من الاخبار فيشبه ان يكونوا هم المقصودون بها ههنا روي عن ميسرة انه قال ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من اهل السماء السادسة وهكذا الى السماء الدنيا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا منهم يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كانه الوصع والوصع طاير صغير وعن ابن عباس ايضا قال لما خلق الله تعالى حملة العرش ~~وقدماه في الارض السفلى وقد مرق راسه من سبع سموات~~ قال لهم احملوا عرشي فلم يطيقوا فقال لهم قولوا لا حول ولا قوة الا بالله فلما قالوا استقل عرش ربنا فنفذت اقدامهم في الارض السابعة على متن الثرى فلم تستقر فكتب في قدم كل ملك منهم اسما من اسمائه فاستقرت اقدامهم ووجه هذا الخبران وجود الملائكة وبقاءهم وحولهم وقوتهم التي بها هم ما هم انما هو من حول وقوة وهيبة فلو انه سبحانه خلقهم وقال لهم احملوا عرشي ولم يكن لهم استعانة ولا مدد بحول الله وقوته ومعونته لم ينتهضوا الحاذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فضلا عن تدبير العرش الذي هو اعظم الاجرام الموجودة في العالم اذا عرفت ذلك فنقول اما من قال ان الملائكة اجسام كان تحمل صفاتهم المذكورة في هذه الاخبار وفي كلامه عليه السلم على ظاهرها امرا ممكنا والله تعالى قادر على جميع الممكنات واما من نزههم عن الجسمية فقال ان الله سبحانه لما خلق الملائكة السماوية محركين لاجرام السموات مدبرين لعالم عالم الكون والفساد واسبابا للحوادث فيه كانوا محيطين باذن الله علما بما في السموات والارض فلا جرم كان منهم من ثبت في تخوم الارض السفلى اقدام ادراكاتهم التي ثبتت واستقرت باسم الله الاعظم وعلمه الاعز الاكرم ونفذت في بواطن الموجودات خبرا ومرقت من السماء العليا اعناق عقولهم وخرجت من اقطارها اركان قواهم العقلية **قوله** المناسبة لقوائم العرش اكتافهم يريد انهم مشبهون ومناسبون لقوائم العرش في بقائهم وثباتهم عن التزلزل تحته ابدا الى ما شاء الله فان قلت فهل هناك قوائم غير الحاملين للعرش الذي اشار اليهم وكون هذه الطائفة من الملائكة منا

ملائكة اسلام حملة العرش السادسة

لهن القوائم ام لا قلت قد جاء في الخبر ان للعرش له قوائم روي عن جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلم انه قال ان بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الاخرى خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام قال بعض المحققين ان هناك قوائم ثماني قد فوض الله تعالى الى كل ملك من الملائكة الثمانية الحاملين للعرش تدبير قائمة منها وحملها ووكله بها اذا عرفت ذلك فنقول يحتمل ان يكون قد اشار عليه السلم بقوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم الى اثبات قوائم للعرش واثبات مناسبة لاكتاف هؤلاء الملائكة مع تلك القوائم ووجه المناسبة ان الكتف لما كان محل القوة والشدة استعار عليه السلم ههنا للقدرة والقوة التي يختص كل ملك من تلك الملائكة ويها يدبر تلك القوائم من العرش ولا شك ان بين كل قائمة من تلك القوائم وبين كل قدرة من تلك القدر مناسبة ما لاجلها خص الله سبحانه ذلك الملك بحمل تلك القائمة وذلك معنى قوله المناسبة لقوائم العرش اكتافهم ويحتمل ان يكون كما استعار لهم لفظ الاقدام استعار ايضا لهم لفظ الاكتاف ثم شبه قيامهم بامر الله في حملهم للعرش بقيام الاساطين التي يبنى عليها الواحد منا عرشه فهم مناسبون ومشابهون لقوائم العرش التي هي عليها من غيران يكون هناك تعرض لاثبات قوائم لها يشبه القوائم **قوله** ناكسة دونه ابصارهم متلفعون تحته باجنحتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة روي عن وهب بن منبه قال ان لكل ملك من حملة العرش ومن حوله اربعة اجنحة اما جناحان فعلى وجهه مخافة ان ينظر الى العرش فيصعق واما جناحان فيهفوا بهما ليس لهم كلام الا التسبيح والتحميد وكنى عليه السلم بنكس ابصارهم عن كمال خشيتهم لله تعالى واعترافهم بقصور ابصارهم وعقولهم عن ادراك ما وراء كالاتهم المقدرة لهم فضعفها عن تحمل ما لا يحتمله من انوار الله وعظمته المشاهدة في خلق عرشه وما فوقهم من ملكوته فان شعاع ابصارهم منه واقف دون حجب عزة الله وعن ربطة بنت علي ان لله ملائكة حول العرش تجري اعينهم مثل الانهار الى يوم القيمة يميدون كما يميد الريح من خشية الله تعالى فيقول لهم الرب جل جلاله يا ملائكتي ما الذي يخيفكم فيقولون ربنا لو ان اهل الارض اطلعوا من عزتك وعظمتك على ما اطلعنا عليه ما ساغوا طعاما ولا شرابا ولا انبسطوا في فرشهم ولخرجوا الى الصحراء يخورون كما يخور الثور واعلم انه لما كان الجناح من الطائر والانسان عبارة عن محل القوة والقدرة والبطش صح ان يستعار للملائكة على سبيل الكناية عن كمالهم في قدرهم وقوتهم التي بها يطيرون في بيداء جلال الله وعظمته ويصيرون بواسطتهم كالات ما دونهم من مخلوقات الله وصح ان يوصف تلك الاجنحة بالقلة والكثرة في آحادهم ويكون ذلك كناية عن تفاوت مراتبهم وزيادة كمال بعضهم على بعض ولما استعار لفظ الاجنحة استلزم ذلك ان يكون قد شبههم بالطائر ذي الجناح ثم لما كان الطائر عند قبض جناحه يشبه الملتفع بثوبه والمحتجب به وكانت اجنحة الملائكة التي هي عبارة عن كمالهم في قدرهم وعلومهم مقبوضة قاصرة عن التعلق بما فوق مقدورها واقفة دون جلال الله وعظمته في صنعه لا جرم اشبه ذلك قبض الاجنحة المشبه للملتفع

بالنوب فاستعار عليه الكلام اللفظ المستلفع ايضا وكنى به عن كمال الخضوع عمهم وانهارهم تحت سلطان الله في
المشاهد في صورة عرشه فان قلت انك بينت ان المراد بالركوع هم حملة العرش فكيف يستقيم مع ذلك
ان يقال ان هذا القسم هم حملة العرش ايضا فان من كان اقدامهم في تخوم الارضين واعناقهم خارجة
من السموات السبع ومن الكرسي والعرش كيف يكون مع ذلك راكعا قلت الجواب عنه قد سبق في قوله منهم
آمنا على وجه فان الركوع ايضا المقصود منه الخشوع لعز الله وعظمته وذلك غير مناف للاوصاف
المذكورة ههنا وبالله التوفيق **قوله** مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة واستار القدرة
اشارة الى ان الالات البشرية قاصرة عن ادراكهم والوصول اليهم وذلك لتنزههم عن الجسمية والجهة و
قربهم من عزة مبدعهم الاول جل جلاله وبعد القوى الانسانية عن الوقوف على اطوارهم المختلفة
ومراتبهم المتفاوتة واذا كان الحال في الملك العظيم من ملوك الدنيا اذا بلغ في التعزز والتعظم الى حيث لا يراه
الا اجلة خواصه وكان الحال ايضا في بعض خواصه كذلك كالوزير والحاجب والنديم فانهم لا يصل اليهم
كل الناس بل لا يصل اليهم الا من كانت له اليهم وسيلة تامة وعلاقة قوية وكان منشأ ذلك انما هو
عظمة الملك وهيبته وقربهم منه وكان الحايل بينهم وبين غيرهم انما هو حجب عز الملك واستار قدرة
وقهره فكيف الحال في جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة وحال ملائكته المقربين ومن يليهم من حملة
العرش الروحانيين فبالحري ان ينسب عدم وصول قوانا الضعيفة اليهم وادراكها لمراتبهم الى حجب
عز الله وعظمته لهم وكمال ملكه وتمام قدرته وما اهلهم له من قربه ومطالعة انوار كبريائه عز سلطانه
ولا اله الا هو **قوله** ولا يتوهمون ربهم بالتصوير اشارة الى تنزيههم عن الادراكات الوهمية والخيالية
في حق مبدعهم عز سلطانه اذ كان الوهم انما يتعلق بالامور المحسوسة ذات الصور والاحياز والمحال الجسمانية
فالوهم وان ارسل طرفه الى قبلة وجوب الوجود وبالغ في تقليب حدقته فلن يرجع الا بمعنى جزئي يتعلق بمحسوس
حتى انه لا يعتقد بنفسه ولا يدركها الا ذات مقدار وحجم ولما كان الوهم من خواص المزاج الحيواني لا جرم سلب
التوهم عن هذا الطور من الملائكة لعدم قوة الوهم هناك فان هذه القوة لما كانت موجودة للانسان لا جرم
كان يرى ربه في جهة ويشير اليه متحيزا ذا مقدار وصورة ولذلك وردت الكتب الالهية والنواميس الشرعية
مشحونة بصفات التجسيم كالعين واليد والاصبع والاستواء على العرش ونحو ذلك خطابا للخلق بما يدركه اوهامهم
وتطمينا وايناسا حتى ان الشارع لو اخذ في مبداء الامر يبين لهم ان الصانع الحكيم ليس داخل العالم ولا خارجه
ولا في جهة وليس بجسم ولا عرض لاشتد نفارهم عن قبول ذلك وعظم انكارهم فان الوهم في طبيعته
لا يثبت موجودا بهذه الصفة ولا يتصوره ومن شانه ان ينكر ما لا يتصوره فكان منكرا لهذا القسم من
الموجودات والخطابات الشرعية وان وردت بصفات التجسيم الا ان الالفاظ الموهمة لذلك كانت قابلة
للتاويل محتملة لكانت وافية بالمقاصد اذ العامي المغمور في ظلمات الجهل يحمله على ظاهره ويحصل بذلك

مع عن تثبت اعتقاده وذو البصيرة المترقي عن تلك الدرجة يحمله على ما يحمله عقله من التاويل وكذلك
حال من هو اعلى منه والناس في ذلك على مراتب فكان ايرادها احسنا وحكمة **قوله** ولا يجرون عليه صفات
المصنوعين **اقول** اجراء صفات المصنوعين عليه انما يكون لمناسبته ومماثلته مع مصنوعاته ومكوناته
وكان ذلك بقياس من الوهم ومحاكات من المتخيلة له بصورة المصنوع فكان الوهم يحكم اولا بكون البارئ عز
سلطانه مثلا لمصنوعاته التي يتعلق ادراكه بها من المتحيزات وما يقوم بها ويخيله بصورة منها ثم يساعده
العقل في مقدمة اخرى وهي ان حكم الشيء حكم مثله فيجري حينئذ عليه صفات مصنوعاته التي حكم بمثليته
لها ولما كانت الملائكة السماوية منزهين عن الوهم والخيال لا جرم وجب تنزيههم عن ان يجروا عليه صفات
صفات مصنوعاته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكذلك قوله ولا يحدونه بالاماكن ولا
يشيرون اليه بالنظاير فان الحاكم بحصوله في مكان وبحيزه فيه والمشير اليه بالمثل المتصور له بالقياس الى نظير
يشاكله ويشابهه انما هو الوهم والخيال ولما عرفت انهما يختصان بالحيوان العنصري لا جرم كانت هذه
الاحكام مسلوبة عن الملائكة السماوية مطلقا وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في كيفية خلق آدم عليه السلم
قوله منها في خلق آدم عليه السلم ثم جمع سبحانه من حزن الى قوله وتناسل الذرية **اقول** الحزن من الارض
ما غلظ منها واشتد كالجبل والسهل ما لان وعذبها ما طاب منها واستعد للنبات والزرع والسبخ
ما ملح منها والمسنون الطين الرطب في قول ابن عباس وعن ابي السكيت عن ابي عمرو انه المتغير وقول ابن
عباس اقرب الى الكلام علي عليه السلم لان قوله وسنها بالماء حتى لزبت اي انه خلطها بالماء حتى صارت
طينا رطبا يلتصق وصلصلت قال بعضهم الصلصال هو المنتن من قولهم صل اللحم واصل اذا انتن وقيل
هو الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار وقيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل
واذا توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة لاطها بالبلة اي خلطها بالرطوبة ومزجها بها والبلة بالكسر الندا
والفتح واحدة البل واللازب اللاصق واصل الباء الميم وجبل اي خلق والاحناء جمع حنو وهي الجوانب والحنو
جمع كثرة للوصل وهي المفاصل وجمع القلة اوصال والاعضاء جمع عضو بالكسر والضم كاليد والرجل والجوارح
واصلدها اي جعلها صلدا وهي الصلبة الملساء والذهن في اللغة الفطنة والحفظ وفي الاصطلاح العلمي
عبارة عن القوى المدركة من العقل والحس الباطن والفكر جمع فكرة وهي قوة للنفس بها تحصل الادراكات
العقلية ويشبه ان يكون اصل الانسان انس وهو الانس والالف والنون في اصل الحروف لها لمد التثنية
وذلك لان الانس امر نسبي لا يتحقق الا بين شيئين فصاعدا ولما كان كل واحد من الناس ياينس بصاحبه قيل
انسان ثم كثر استعمال المثنى واجريت على النون وجوه الاعراب والساة الغر والجوارح الاعضاء والاخدام
والاستخدام بمعنى والادوات جمع اداة واصلها الواو ولذلك ردت في الجمع والاستاداء طلب الاداء
والخنوع الخضوع واشتقاق ابليس من الابلاس وهو اليأس والبعد لبعده من رحمة الله ولحمه الاغفه

واغويتهم اي غشيتهم والوهن الضعف والنظرة بفتح النون وكسر الظاء الامهال والسخط الغضب واغتره اي استغفله ونفست عليه بالامر نفاسة اذا لم تره مستحقا له والعزيمة الاهتمام بالشيء والجذل السرور والاهباط الانزال اذا عرفت ذلك فمعول الناس في هذه القصة طريقان **الطريق الاول** ان جمهور المسلمين من المفسرين والمتكلمين حملوا هذه القصة على ظاهرها ثم ذكروا فيها ابحاثا **البحث الاول** ان هذه قد ذكرها الله سبحانه في كتابه الكريم في سبع سور وهي سورة البقرة والاعراف والحجر وسورة بني اسرائيل والكهف وطه وسورة ص وذلك لما اشتملت عليه من تذكير الخلق وتنبيههم من رواقد الطبيعة التي جذبهم اليها ابليس والتحذير من فتنته وفتنة جنوده والجذب الى جناب الله ومطالعة انوار كبريائه كما قال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية فقوله عليه السلام تربة كقوله تعالى خلقه من تراب وقوله سنها بالماء كقوله تعالى من حما مسنون وقوله لاطها بالبلة حتى لزبت كقوله تعالى من طين لازب وقوله حتى صلصلت كقوله تعالى من صلصال وقوله ثم نفخ فيه من روحه كقوله فاذا نفخت فيه من روحي وقوله ذا اذهان يجيلها وفكر يتصرف فيها وجوارح يختدمها كقوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة وقوله واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم كقوله تعالى فقعوا له ساجدين وقوله اسجدوا وقوله الا ابليس كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس وقوله اعترتهم الحمية الى قوله وتعززا بخلقة النار واستوهنوا خلق الصلصال كقوله تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله اسجد لبشر خلقته من صلصال وقوله واعطاه الله النظرة [illegible] فسال النظرة وذلك قوله انظرني فاعطاه الله النظرة الى يوم الوقت المعلوم كقوله تعالى قال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وقوله ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشه كقوله تعالى قلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقوله وحذره ابليس وعداوته كقوله تعالى قلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وقوله فاغتره ابليس نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار كقوله فوسوس اليه الشيطان الاية فدلاهما بغرور وقوله فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه كقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما واستبدل بالجذل وبالاغترار ندما كقوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقوله ثم بسط الله له في توبته ولقاه كلمة رحمته كقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الاية وقوله ووعده المرد الى جنته ذلك الوعد في قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله فاهبطه الى دار البلية كقوله تعالى اهبطا منها جميعا **البحث الثاني** ان الله تعالى اشار في موضع من كتابه الكريم الى خلق آدم من تراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقال في موضع آخر اني خالق بشرا من طين وقال في موضع آخر ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون ثم من صلصال قال المتكلمون وانما خلقه تعالى على هذا الوجه اما لمحض المشيئة او لما فيه

من دلالة الملائكة على كمال قدرته وعجيب صنعته لان خلق الانسان في هذه المراتب اعجب عندهم من خلقه من جنسهم اذا عرفت ذلك فاعلم ان كلامه عليه السلام هاهنا يجري مجرى الترتيب والتفسير لهذه الآيات فانه اشار اولا الى كونه من تراب بقوله ثم جمع سبحانه من سهل الارض وحزنها وعذبها وسبخها تربة ونحو ذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ان الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض فجاء منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب واعلم ان جمهور المفسرين على ان الانسان في قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو ابونا آدم عليه السلام ونقل محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم او اكثر قال بعض العلماء وهذا لا ينافي حدوث العالم فانه كيف كان لا بد من الانتهاء الى انسان هو اول الناس فاما ان ذلك الانسان هو ابونا آدم فلا طريق الى اثباته الا من جهة السمع **البحث الثالث** اجمع المسلمون على ان سجود الملائكة لآدم لم يكن سجود عبادة لان العبادة لغير الله كفر ثم اختلفوا على ثلاثة اقوال احدها ان ذلك السجود كان لله وكان آدم كالقبلة وكان يحسن ان يقال سجد لآدم كذلك يحسن ان يقال سجد للقبلة بدليل قول حسان بن ثابت:

ما كنت احسب ان الامر منصرف ... عن هاشم ثم منها عن ابي حسن

اليس اول من صلى لقبلتكم ... واعرف الناس بالآثار والسنن

فقوله صلى لقبلتكم نص على المقصود الثاني ان السجود كان لآدم تعظيما له وتحية كالسلام منهم عليه وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما يحيي المسلمون بعضهم بعضا وعن صهيب ان معاذا رضي الله عنه لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له يا معاذ ما هذا فقال رايت اليهود يسجدون لعظمائها وعلمائها ورايت النصارى تسجد لقسيسيها وبطارقتها فقلت ما هذا فقالوا تحية الانبياء فقال صلى الله عليه وآله كذبوا على انبيائهم الثالث ان السجود في اصل اللغة عبارة عن الانقياد والخضوع كما قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر اي ان تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والقول الثاني هو مقتضى كلامه عليه السلام اذ فسر السجود بقوله والخنوع لتكرمته والله الموفق **البحث الرابع** اختلفوا في الملائكة الذين امروا بالسجود لآدم فاستعظم بعضهم جهلا منه ذلك وقالوا المامورون به الملائكة الذين اهبطوا مع ابليس الى الارض قالوا وذلك ان الله تعالى لما خلق السموات والارض وخلق الملائكة اهبط منهم ملائكة الى الارض يسمون بالجن رئيسهم ابليس واسكنهم اياها وكانوا اخف الملائكة عبادة فاعجب ابليس نفسه وداخله الكبر فاطلع الله عز وجل على ما انطوى عليه فقال له ولجنده اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وقال بعضهم ان المامورين بالسجود لآدم هم كل الملائكة بدليل قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون فاكد جمعهم بأكد وجوه التاكيد **البحث الخامس** اكثر المتكلمين لا سيما المعتزلة على ان ابليس لم يكن من الملائكة وقال جمهور المفسرين ومنهم ابن عباس انه كان من ملائكة الارض الذين اهبطوا قبل آدم حجة الاولين قوله تعالى الا ابليس كان من الجن والجن لم يكونوا من الملائكة بدليل قوله تعالى للملائكة اهؤلاء

اياكم كانوا يعبدون وقول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واحتج من قال انه منهم باستثناء ابليس من الملائكة في غير موضع من القرآن الكريم والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل وذلك يدل على ان ابليس من الملائكة واجابوا عن حجة الاولين من وجهين احدهما المعارضة بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك الجعل هو قول قريش بنات الله بدليل قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فهذه الآية تدل على ان الملائكة من الجن الثاني ان كون ابليس من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لان الملائكة يصدق عليهم اسم الجن لان الجن ماخوذ من الاجتنان وهو الاستتار ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن امه ومنه الجنون لاستتار العقل فيه والملائكة مستترون عن الاعين فوجب جواز اطلاق لفظ الجن عليهم واعلم ان الخلاف لفظي فانه اذا ثبت ان الملائكة الذين اهبطوا الى الارض قبل آدم هم المسمون بالجن وابليس من الجن ثبت ان ابليس من الملائكة وليس النزاع في انه من ملائكة الارض او من ملائكة السماء بل في كونه من الملائكة مطلقا فاذن ليس بينهم خلاف في المعنى البحث السادس اختلفوا في سبب عداوة ابليس لآدم فقال بعضهم انه الحسد وذلك ان ابليس لما راى ما اكرم الله به آدم من اسجاد الملائكة له وتعليمه ما لم يطلع عليه الملائكة حسده وعاداه وقال آخرون ان السبب هو تباين اصليهما ولمنافرة الاصلين اثر قوي في منافرة الفرعين قالوا وتباين اصليهما هو منشأ القياس الفاسد من ابليس حين امر بالسجود وذلك قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وكانه في خطابه يقول ان آدم جسماني كثيف وانا روحاني لطيف والجسماني ادون حالا من الروحاني والادون كيف يليق ان يكون مسجودا للاعلى وايضا فان اصل آدم من صلصال من حمإ مسنون والصلصال في غاية الدناءة واصلي من اشرف العناصر واذا كان اصلي خيرا من اصله وجب ان اكون خيرا منه والاشرف يقبح ان يؤمر بالسجود للادون فقالوا فكان ذلك اول قياس فاول من قاس هو ابليس فاجابه الله تعالى جوابا على سبيل التنبيه دون التصريح بقوله اخرج منها مذءوما مدحورا قال بعض الفضلاء وتقريره ان الذي قاله تعالى نص بحكم الحكمة الالهية والقدرة الربانية والذي قاله ابليس قياس ومن عارض النص بالقياس كان مرجوما ملعونا البحث السابع احتجت الاشعرية على انه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر من هذه القصة بوجهين احدهما انه تعالى انظر ابليس مع علمه بانه انما قصد اغواء بني آدم ولو اهلكه لاستراحوا وعدم الشر الحاصل منه ومن ذريته الثاني انه قال اغويتني فنسب الاغواء الى الله تعالى مع انه تعالى لم ينكر عليه هذا الكلام وهذا صريح في انه تعالى يفعل الاغواء اجابت المعتزلة عن الاول بان الله تعالى خلق آدم وذريته قادرين على دفع ابليس عن انفسهم فهم الذين اختاروا الكفر والفساد اقصى ما في الباب ان يقال ان الاحتراز عن القبيح حال عدم ابليس اسهل منه حال وجوده الا ان على هذا التقدير تصير وسوسته سببا لزيادة المشقة في اداء الطاعات فيزداد المكلف بتكليفها ثوابا كما قال عليه السلم افضل الاعمال احمزها اي اشقها وذلك لا يمنع الحكيم من فعله كما ان انزال الآيات

والشاقة وانزال المتشابهات صار سببا لزيادة الشبهات ومع ذلك لم يمتنع فعلها من الله تعالى وهذا الوجه قريب من قوله عليه السلم استمتاعا بالبلية وعن الثاني ان المراد من قوله بما اغويتني اي بما خيبتني من رحمتك وقيل معنى اضافة غوايته الى الله تعالى ان الله تعالى لما امره بالسجود لآدم عصى وغوى فكان الامر هو الاصل في حصول الاغواء له فلذلك نسبه اليه واحتج ايضا من جوز الخطاء على الانبياء عليهم السلم من هذه القصة بقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى واجاب من اوجب عصمتهم من حين الولادة بانه لما دل الدليل على وجوب عصمتهم وجب صرف هذا اللفظ ونحوه على ترك الاولى وهو في حقهم سيئة ومعصية وان كان في حق غيرهم حسنة كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين ومن اوجب عصمتهم من حين الرسالة فلما ان يحمل هذه المعصية على ما قبل الرسالة والمسئلة مستقصاة في الكلام البحث الثامن قال القفال اصل التلقي في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقوله عليه السلم ولقاه كلمة رحمته هو التعرض للقادم وضع في موضع الاستقبال للمسيء والجاني ثم وضع موضع القبول والاخذ قال تعالى وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم اي تلقنه ويقال تلقينا الحاج اي استقبلناهم وتلقيت هذه الكلمة من فلان اي اخذتها منه واذا كان هذا اصل الكلمة وكان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد منهما صاحبه واضيف الاجتماع اليهما معا فصلح ان يشتركا في الوصف بذلك فكلما تلقيته فقد تلقاك فجاز ان يقال تلقى آدم من ربه كلمات اي اخذها ووعاها واستقبلها بالقبول ولقاه الله اياها اي ارسلها اليه ووجهه بها ثم ذكر المفسرون في تلك الكلمات اقوالا الاول روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آدم عليه السلم قال يا رب الم تخلقني بيدك بلا واسطة قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ان تبت واصلحت اتردني الى الجنة قال نعم وهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات الثاني قال النخعي اتيت ابن عباس فقلت ما الكلمات التي تلقاها آدم من ربه قال علم الله تعالى آدم وحواء امر الحج والكلمات التي يقال فيه فحجا فلما فرغا اوحى الله تعالى اليهما اني قد قبلت توبتكما الثالث قال مجاهد وقتادة في احدى الروايتين عنهما هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين الرابع قال سعيد بن جبير انها قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك خير الغافرين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي انك انت التواب الرحيم الخامس قول عائشة لما اراد الله تعالى ان يتوب على آدم طاف بالبيت سبعا والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسالك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى اعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي وارضني بما قسمت لي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم قد غفرت لك ذنبك ولن ياتيني احد من

من يريك تيه عوني بشأ امادعوتني به الا غفرت ذنوبه وكشفت همومه ونزعت الفقر من بين عينيه وجاءته
الدنيا وهو لا يريدها **البحث التاسع** في حقيقة التوبة قال الامام الغزالي رحمه الله التوبة عبارة عن معنى
مركب من ثلثة امور مترتبة علم ثم حال ثم ترك اما العلم فان يعلم العبد ضرر الذنوب وكونها حجابا
بينه وبين الله تعالى وقيدا يمنعه من دخول الجنة فاذا علم ذلك يقينا غالبا على قلبه فان ذلك
يوجب له تألما نفسانيا بسبب فوات المحبوب العظيم المطلوب لكل عاقل فيسمى تألمه بسبب فعله المفوت لمحبوبه
ومطلوبه ندما فاذا غلب هذا الالم على القلب اوجب له القصد الى امرين احدهما ترك الذنوب
التي كان ملابسا لها اولا والثاني العزم على ترك الذنب المفوت لمطلوبه في المستقبل الى آخر العمر فهذه
حقيقتها وينشأ من ذلك تلافي ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر والعلم هو الاصل في اول
هذه الخيرات فان القلب اذا ايقن بان الذنوب كالسموم المهلكة والحجب الحائلة بينه وبين محبوبه فلا بد
ان يتم نور ذلك اليقين فيشتعل فيه نيران الندم فيتألم به القلب وحينئذ ينبعث من تلك النار طلب
الانتهاض للتدارك فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي في الماضي
لثلثة معا مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها وربما اطلق اسم التوبة على الندم وحده وجعل العلم
كالباعث والترك كالثمرة المتاخرة ولهذا الاعتبار قال صلى الله عليه وآله الندم توبة اذ الندم مستلزم لعلم
اوجبه ولعزم يتبعه واما وجوبها فمن وجهين احدهما ان التوبة مرضاة للرحمن مسخطة للشيطان مفتحة لابواب
الجنان معدة لاشراق شموس المعارف الالهية على الواح النفوس مستنزلة للمواهب الربانية من الملك
القدوس الثاني الاوامر الواردة بها في القرآن الكريم يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا والوعد
الصادق على فعلها عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار والوعيد
الحتم على تركها ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون ونحوه مما دل على وجوبها واما قبولها فمن وجهين احدهما
قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات وقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب
الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله افرح بتوبة من العبد المذنب والفرح وراء القبول فهو دليل على
القبول وقال صلى الله عليه وآله لو عملتم الخطايا الى السماء ثم ندمتم عليها لتاب الله عليكم **البحث العاشر**
فيما عساه يعن من المقاصد المشكلة في هذه القصة **الاول** الوديعة والوصية استادها الله سبحانه
من الملائكة في قوله عليه السلام واستادي الله سبحانه من الملائكة وديعته لديهم اشارة الى قوله تعالى
لهم فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فكان تعالى قد عهد اليهم بهذا القول
واوصاهم بمقتضاه ثم استاداه منهم ما ذكره عليه السلام من قوله تعالى فقال اسجدوا لآدم **الثاني** قوله فاغتر
ابليس فالاغترار طلب الغرة من آدم والتماس نهاية بالوسوسة التي القاها اليه كما ستبين معنى الوسوسة
انشاء الله **الثالث** قوله دار المقام هي جنة الخلد ومرافقة الابرار اشارة الى مصاحبة الملائكة في مقعد صدق

عند مليك مقتدر **الرابع** قوله فباع اليقين بشكه للشارحين فيه اقوال **اولها** ان معيشة آدم كانت
في الجنة على حال يعلمها يقينا وما يعلم كيف معاشه في الدنيا اذا انتقل اليها ولا ما يلقى بعد مفارقة الجنة
ثم ان ابليس شككه في صدق مقاله اني لكما لمن الناصحين يعني ما كان عنده يقينا مما هو فيه من الخير الدائم
بشك في نصح ابليس فكانه باع اليقين بالشك وتابعه وهي استعارة حسنة على سبيل الكناية عن استبدال
آدم الشك عن اليقين **الثاني** قالوا لما اخبره الله تعالى عن عداوة ابليس له تيقن ذلك فلما وسوس له ابليس شك
في صحته فكانه باع تيقن عداوته بالشك فيها **الثالث** قول من نزه آدم عليه السلام ان ذلك مثل قديم للعرب
لمن عمل عملا لا يفيده وترك ما ينبغي له ان يفعله مثله امير المؤمنين عليه السلام ههنا ولم يرد ان آدم عليه السلام
شك في امر الله تعالى **الرابع** قوله والعزيمة بوهنه قال ابن عباس في قوله تعالى ولم نجد له عزما اي لم نجد له حفظا
لما امر الله به وقال قتادة صبرا وقال الضحاك صريمة امر وحاصل هذه الاقوال يعود الى انه لم يكن له قوة على حفظ
ما امر الله فكانه باع العزم الذي كان ينبغي له والقوة التي كان ينبغي ان يتحفظ بها عن متابعة ابليس بالضعف
والوهن عن تحمل ما امر الله به **الخامس** قوله دار البلية هي دار الدنيا اذ كانت دار المحنة والابتلاء بمقاساة
ابليس ومجاهدته وسجن الصالحين كما قال عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر واعلم ان في ذكر هذه القصة
تحذيرا عظيما عن المعاصي وذلك من وجوه **احدها** ان من تصور ما جرى على آدم بسبب اقدامه على هذه الزلة
كان على وجل شديد من المعاصي قال الشاعر يا ناظرا نورا بعيني راقد ومشاهدا للامر غير مشاهد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي درك الجنان ونيل فوز العابد انسيت ان الله اخرج آدما منها الى الدنيا بذنب
واحد وعن فتح الموصلي قال كنا من اهل الجنة فسبانا ابليس الى الدنيا فليس لنا الا الهم والحزن حتى نرد الى الدار
التي اخرجنا منها **وثانيها** التحذير عن الاستكبار والحسد والحرص عن قتادة في قوله تعالى واستكبر قال حسد
عدو الله ابليس آدم على ما اعطاه الله تعالى من الكرامة فقال انا ناري وهذا طيني ثم القى الحرص والحسد
في قلب ابن آدم حتى حمله على ارتكاب المنهي عنه **وثالثها** انه تعالى بين العداوة الشديدة بين ذرية آدم وابليس
وهذا تنبيه عظيم على وجوب الحذر وبالله التوفيق **الطريق الثاني** واعلم ان من الناس من سلط التاويل
على هذه القصة وعلى ابيات تاويلها ذكرنا مقدمات **المقدمة الاولى** في الاشارة الى الاجزاء التركيب الخارجي
للانسان وكيفية تركيبها قالوا ان العناصر الاربعة اجسام بسيطة وهي اجزاء اولية لبدن الانسان منها
اثنان خفيفان وهو النار والهواء واثنان ثقيلان وهما الارض والماء قالوا والموضع الطبيعي للارض
هو وسط الكل وهي باردة يابسة في طبعها ووجودها في الكائنات مفيد للاستمساك والثبات وحفظ الشكل
والهيئة والموضع الطبيعي للماء هو ان يكون شاملا للارض وثقله اضافي وطبعه بارد رطب ووجوده
في الكائنات ليسهل الهيئات التي يراد تكوينها من التشكيل والتخطيط والتعديل فان الرطب كما انه سهل الترك
لهيئات الشكل فانه سهل القبول لها كما ان اليابس عسر القبول للهيئات الشكلية عسر الترك لها اوسهما

نحو اليابس بالرطب استفاد اليابس منه قبول التمديد والتشكيل بسهولة واستفاد الرطب من اليابس حفظا
لما حدث فيه من التعديل بقوة فاجتمع اليابس بالرطب عن قشته واستمسك الرطب باليابس عن سيلانه
والموضع الطبيعي للهواء فوق الماء وتحت النار وخفته اضافية وطبعه حار رطب ووجوده في الكائنات
ليتخلخل ويتلطف ويستقل والموضع الطبيعي للنار فوق الاجرام العنصرية كلها ومكانها الطبيعي هو
مقعر فلك القمر وخفتها مطلقة وطبعها حار يابس ووجودها في الكائنات ليصلح المركبات ويجري
فيها الجوهر الهوائي ويكسر من برد العنصرين الثقيلين برد هما عن العنصرية الى المزاجية والثقيلان
انفع في تكوين الاعضاء وفي سكونها والخفيفان انفع في كون الارواح وتحريكها وتحريك الاعضاء ثم قالوا
والمزاج كيفية تحدث من تفاعل الكيفيات المتضادة في هذه العناصر اذا تفاعلت بقواها بعضها في
بعض فانكسرت سورة كل واحد منها بالآخر حتى حدث عنها كيفية متشابهة في جميعها هي المزاج والقوى
الاولية في تلك الاركان اربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وهي التي تكون عنها المزاجات في
الاجسام الكائنة الفاسدة ثم ان واهب الوجود اعطى كل حيوان وكل عضو من المزاج ما هو اليق به واصلح
لافعاله واحواله بحسب احتمال الامكان له واعطى الانسان اعدل الامزجة الممكنة في هذا العالم مع مناسبة
لقواه التي بها يفعل وينفعل واعطى كل عضو ما يليق به من امزجة فجعل بعض الاعضاء احر وبعضها ابرد
وبعضها ارطب وبعضها ايبس وامدها بالاخلاط وهي اجسام رطبة سيالة يستحيل اليها الغذاء اولا
وهي منحصرة في اربعة اجناس احدها الدم وهو افضلها والثاني البلغم والثالث الصفراء والرابع السوداء ثم قسم
الاعضاء الى عظام وغضاريف واعصاب واوتار وجعل اول الاعضاء المتشابهة الاجزاء العظم وخلق صلبا
لانه اساس البدن ودعامة الحركات ثم الغضروف وهو الين من العظم وفايدته ان يحسن به اتصال العظام
بالاعضاء اللينة فلا يتاذى اللين بالصلب عند الضغطة والضربة بل يتوسط بينهما ما يناسب كلا منهما
وليحسن به تجاور المفاصل المحاكة فلا تتراضض لصلابتها ثم العصب وهي اجسام تنبت من الدماغ والنخاع
بيضاء لدنة في الانعطاف صلبة في الانفصال وفايدتها ان يتم به الاعضاء للاحساس والحركة ثم الاوتار
وهي اجسام تنبت من اطراف العضل شبيهة بالعصب تلاقي الاعضاء المحركة فتجذبها تارة وتبسطها اخرى
بحسب انبساط العضلة وانقباضها ثم الرباطات وهي ايضا اجسام شبيهة بالعصب والحكمة فيها ظاهرة
وهو ارتباط بعض الاعضاء الى بعض واستمساكها وليس لشيء منها حس لئلا يتاذى بكثرة ما يلزمه من الحركة
والحك ثم الشرايين وهي اجسام نابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية رباطية الجوهر لها حركات منبسطة
ومنقبضة خلقت لترويح القلب ونفض البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح الى اعضاء البدن ثم الاوردة
وهي تشبه الشريانات ومنبتها من الكبد وفايدتها توزيع الدم على اعضاء البدن ثم الاغشية وهي اجسام منتسجة
من ليف عصباني غير محسوس رقيقة مستعرضة تغشي سطوح اجسام اخرى ولها فوائد منها ان تحفظ جملتها

على شكلها وهيئتها ومنها ان تعلقها على اعضاء اخرى وتربطها بها بواسطة العصب ومنها ان تكون
للاعضاء العديمة الحس في جواهرها سطح حساس بالذات لما يلاقيه وبالعرض لما يحدث في الجسم الملفوف
فيه كالرية والطحال والكبد والكليتين فانها لا تحس بجواهرها وانما تحس بالامور المصادمة لها الاغشية
التي عليها بالذات وتحس ايضا بالعرض ما يحدث فيها مثل الريح المتمددة الذي يحدث فيها ثم اللحم وهو حشو
خلل وضع الاعضاء في البدن فصار البدن مشتملا على ثلثة ضروب من الاعضاء احدها آلات الغذاء
وهي المعدة والكبد وجداولها كالعروق والطرق اليها كالفم والمري وعنها كالمعاء والثاني آلات الحرارة الغريزية
وحفظها وهي القلب والراس والرية والصدر وساير آلات النفس والثالث آلات الحس والحركة والافعال
العقلية وهي الدماغ والنخاع والعصب والعضل والاوتار ونحوها مما يحتاج اليه في المعونة على تمام فعل العضل
ثم لما كان من ضرورة البدن ان يقع فيه افعال مختلفة وجب في الحكمة ان يكون هناك استعداد لقوى متعددة
هي مبادي تلك الافعال احدها النفس الطبيعية ويخصها قوى منها مخدومة ومنها خادمة اما المخدومة
فجنسان احدهما يتصرف في الغذاء وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالغاذية وغايتها ان تغذو الشخص
مدة بقائه باحالة الغذاء الى مشابهة المغتذي ليخلف بدل ما يتحلل والثاني القوة المسماة بالنامية وغايتها
ان تزيد في اقطار البدن على التناسب الطبيعي الى تمام نشوه والجنس الثاني يتصرف في الغذاء لبقاء النوع
وتحته نوعان احدهما القوة المسماة بالمولدة وهي المتصرفة في ايراد التناسل تفصل من امشاج البدن جوهر
المني والثاني القوة المسماة بالمصورة وهي التي تضع المني بعد استحالته في الرحم الصور والقوى والاعراض
الحاصلة للنوع الذي انفصل عنه المني واما الخادمة الصرفة في القوى الطبيعية فهي خوادم القوة
الغاذية وهي اربع احدها الجاذبة وخلقت لجذب النافع الى محلها وهي موجودة في المعدة والمري والكبد
والرحم وساير الاعضاء والثاني الماسكة وخلقت لتمسك النافع ريثما يتصرف فيه القوى المغيرة والمحيلة والثالث
الهاضمة وهي التي تحيل ما امسكته الماسكة الى قوام مهيا لفعل القوة المغيرة فيه والى مزاج صالح للاستحالة
الى الغذائية بالفعل والرابع الدافعة وهي التي تدفع الفاضل من الغذاء الذي لا يصلح للاغتذاء او يفضل على
الكافي او يستغني عنه بعد الفراغ من استعماله كالبول ولهذه الاربع ايضا خوادم اربع اعني الكيفيات الاربع
وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة على تفصيل يعلم في مظانه الثاني النفس الحيوانية ويختص بها قوتان
محركة ومدركة والمحركة اما باعثة او فاعلة والباعثة هي القوة النزوعية التي عنه لمدركات كالوهم والخيال
او النفس تحمل الادراك لها على البعث الى طلب وهرب بحسب السوانح ولها شعبتان شهوانية وهي الباعثة
على التحريك الى جانب اشياء ضرورية او نافعة نفعا ما طلبا للذة وغضبية وهي الحاملة على دفع وقهر
عما لا يلايم طلبا للغلبة ويخدمها القوة المسماة بالقديرة وهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضل من شانها
ان تشنج العضلات بجذب الاوتار والرباطات وارخائها والقوى المدركة قسمان ظاهرة وباطنة اما الظاهرة

فالحواس الخمس احدها اللمس وهو قوة منبثة في جلد البدن كله تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة كالكيفيات
الاربع وغيرها وثانيها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على سطح اللسان بها يدرك الطعوم
من الاجرام المماسة المخالطة للرطوبة العذبية التي في الفم وثالثها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي
مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي بها تدرك الروائح بتوسط الهواء المنفصل عن ذي الرائحة
ورابعها السمع وهي قوة في العصب المفروش في باطن الصماخ وهي تدرك الاصوات والحروف بواسطة
الهواء وخامسها البصر وهي قوة مرتبة في العصبتين المجوفتين تدرك ما ينطبع في الرطوبة الجليدية
من الصور بتوسط جرم شفاف واما الباطنة من القوى فهي ايضا خمس وهي اما مدركة فقط اما للصور
الجزئية وهي القوة المسماة حسا مشتركا المرتبة في التجويف الاول من الدماغ عندها يجتمع صور المحسوسات
ثم القوة المسماة خيالا وهي خزانة الحس المشترك مودعة في آخر التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها
مثل المحسوسات ويبقى فيها بعد الغيبة عن الحواس واما مدركة للمعاني الجزئية وهي اما الوهم وهي قوة رتبت في التجويف
الاوسط من الدماغ يدرك المعاني الجزئية الغير المحسوسة الموجودة في المحسوسات كادراك الشاة معنى في
الذئب يوجب لها الهرب واما الحافظة وهي قوة مرتبة في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئية
المدركة للوهم وهي خزانة له واما مدركة ومتصرفة وهي القوة المسماة متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها ومفكرة
باعتبار استعمال العقل لها ومحلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب والتفصيل لبعض الصور
ببعض وعن بعض وكذا المعاني والمعاني بالصور وهي المحاكية للمدركات والحيات المزاجية والحكمة الالهية
اقتضت ان يكون متوسطين مقتضى الصور الجسمانية والمعاني الروحانية متصرفة في جزئيها بالحكم والاسترجاع
للوسائل المهمة من الجانبين ثم ان لكل واحد من هذه الالات روح يختص به وهو جرم حار لطيف متكون عن
لطافة الاخلاط على نسبة محدودة وهو حامل للقوى المدركة وغيرها الثالث النفس الناطقة ونسبتها الملك الى الله
والبدن وجميع اجزائه وقواه المذكورة الات لها ورسمها انها جوهر مجرد يتعلق بالابدان تعلق التدبير وهي المشار
اليها بقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وبقوله عليه السلام الارواح جنود مجندة ما تعارف
منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ولهذا الجوهر قوتان يختص بهما نظرية وعملية وقد سبقت الاشارة اليها
في مقدمة الكتاب وتحقيق الكلام في هذا الجوهر والبرهان على وجوده وتجرده وكمالاته من العلوم والاخلاق يستقصي
في مظانه وبالله التوفيق المقدمة الثانية قد علمت ان الملك عندهم اسم مشترك يقع على حقائق مختلفة
فاما لفظ الجن فهو وان صدق في اصل اللغة على كل الملائكة لكونه ماخوذا من الاجتنان وهو الاستتار وكون
الملائكة مستترين عن الاعين فانهم مخصوص في عرفهم هذا اللفظ بالارواح التي تختص عالم العناصر فتارة يطلقون
عليها انها ملائكة باعتبار كونهم مرسلين من عند الله فاعلين لما امر الله جارين على نظام العقل وتارة يطلقون عليها
انها جن باعتبار الاجتنان وهم جن مسلمون باعتبار موافقة العقل والتصرف على نحو مصلحة العالم ونظامه

لا هذا البدن فيتبرم

وكفار وشياطين باعتبار مخالفتها لذلك فلما صدق اسم الجن على النفوس الناطقة الانسانية فقد يعتبرون
جهة اخرى وهي كونها عالمة ترى بنور العلم من حيث لا ترى فهي مخفية محجوبة عن ابصار الجاهلين ثم هي اما ان تكون
عالمة او جاهلة وعلى التقديرين فاما ان تكون موافقة لظواهر الشريعة متقادة لها متمسكة بها او ليس كذلك
فهذه اقسام اربعة اولها النفوس العالمة العاملة مقتضى الشريعة وهذه الطائفة هم الجن المسلمون المؤمنون
قالوا وهم الذين امر الله تعالى نبيه بالاخبار عنهم في قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا
عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به الى آخر الآيات قالوا وحاصل ذلك ان السماء التي اخبر الجن عنها انهم لمسوها هي سماء
الحكمة وهي الشريعة التي سترت فيها قالوا ولمسهم لها عبارة عن اعتبارهم امر الشريعة في مبدا ظهورها اهل
فمنعهم من اظهار الحكمة ومكنهم اخذها واعطاؤها بالتعلم والتعليم كما كان يفعل قبل ذلك السلام الا وقولهم فوجدناها
ملئت حرسا شديدا وشهبا اشارة الى حفظة الشريعة والملوك لها الذين يحرسون الناموس الشرعي ومن
وقولهم وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع اشارة الى انهم كانوا قبل ظهور الشرائع يتدارسون الحكمة ويتعلمونها
ولا ينكر عليهم انكار وقولهم فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اشارة الى ان المظهر للحكمة بعد وجود الشريعة
التارك لظواهر ما جاءت به الانبياء يجد من حرسة الدين وحفظته شهابا بالمحرقة ويؤذيه وثانيها النفوس العالمة
المخالفة للشريعة والنواميس الالهية المتابعة لقواها في مقتضى طباعها وهؤلاء هم من شياطين الجن ومردتها
وثالثها النفوس الجاهلة الا انها متمسكة بظاهر الشريعة منقادة لها وهؤلاء هم المسلمون من الانس ورابعها
النفوس الجاهلة التاركة للشريعة والعاملة التابعة لمقتضى الطبيعة وهؤلاء هم شياطين الانس قالوا وبهذا
البيان لا يبقى بين قول الله سبحانه الا ابليس كان من الجن وبين استثنائه من الملائكة المقتضي لدخوله فيهم
كونه منهم فرق اذ هو من الملائكة باعتبار ومن الجن باعتبار ومن الشياطين باعتبار والشيطان قد يكون
ملكا في اصله ثم ينتقل الى الشيطانية باعتبار فسوقه عن امر ربه وكذلك الجني والله اعلم المقدمة الثالثة
قالوا كما ان تولد الدودة يستحيل في اصله ان يكون متولدا من ضربها الذي هو مثله فقالوا ان العقرب يتولد من الباذروج
وطباب الخبز والنحل من العجل المحرق للكبش عظامه والفار من المدر والطين ونحو ذلك ثم يتولد عن هذا
المتولد اشخاص اخرى ويبقى نوعه متوالدا فلا مانع اذا ان يكون الانسان في اول خلقه كذلك فحدث شخص من
نوعه ويكون من التراب ثم يحصل ما بعده من نوعه بالتوالد اذا عرفت ذلك فاعلم ان لفظ آدم اذا اطلق
في عباراتهم فتارة يراد به امر جزئي وتارة يراد به امر كلي اما الجزئي فيراد به اول شخص تكون من هذا النوع وعلى ذلك
يحملون قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم يحملون قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة
وما في معناه على ما تولد منه وقد يراد به اول شخص استخلف في الارض وامر بنشر الحكمة في ناموس الشريعة
واما الكلي فتارة يراد به مطلق نوع الانسان وعلى ذلك قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي وقد يراد به
صنف الانبياء والدعاة الى الله كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله كل نبي فهو آدم وقوله صلى الله عليه وآله

وهم على الزنديق

انا وانت يا علي ابوا هذه الامة ويمكن ان يكون قول الباقر محمد بن علي عليهما السلم قد انقضا قبل آدم الذي هو
ابونا الف الف آدم واكثر على هذا المعنى اذا ثبت هذا فنقول ان لكل آدم بالمعاني المذكورة ملائكة مخصوصة هي
مامورة بالسجود له وابليس في مقابلته ومعارضته اما آدم بالمعنى الاول والثاني فملائكته المامورون بالسجود
له هي قواه البدنية ونفوس اهل زمانه المامورين باتباعه المستمعين لقوله وساير القوى في اقطار هذا العالم
فانها باسرها ملائكة مامورة بالخضوع له والسعي في مهماته وحوائجه بين يديه والمعونة له على مراده
واما ابليس المعارض لقوة الوهمية منها المعارضة لمقتضى عقله العلى الساعية في الارض فسادا والنفوس
المتمردة عن قبول الحق والاستماع لقوله الخارجة عن طاعته وهم شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم
الى بعض زخرف القول غرورا وكذلك ملائكة آدم وابليس ام النبي هو صفيا الانبياء والدعاة الى الله
تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة واما آدم الذي هو نوع الانسان فكل الملائكة الذين ذكرناهم في هذا العالم هم المامورون
بالسجود له وابليس كل شخص من هذا النوع هو وهمه المعارض لعقله وجنوده ما تحته من القوى الشهوية
والغضبية وغيرها اذا عرفت هذه المقدمات فلنرجع الى المتن فنقول الاولى ان آدم عليه السلم فيما ذكره عليه السلم ههنا
من هذه القصة على مطلق النوع الانساني فقوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها
تربة سنها بالما حتى خلصت ولاطها بالبلة حتى لزبت اشارة الى اصل امتزاج العناصر وانما خص هذين العنصرين
وهما الارض والما دون الباقيين لانهما الاصل في تكون الاعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان
المحسوسة وقوله حتى خلصت وحتى لزبت الى بلوغها في الاستعداد الغاية التي معها يفاض صورة ما يكون
منها وقوله فجبل منها صورة ذات احناء ووصول واعضاء وفصول اشارة الى خلق الصورة الانسانية
وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما يقوم به صورة ذات احنا ووصول واعضاء وفصول اشارة
الى خلق الصورة الانسانية وافاضتها بكمال اعضائها ومفاصلها وما يقوم به صورة وقوله منها الضمير
راجع الى التربة ويفهم من ظاهر اللفظ ان الصورة الانسانية هي الفائضة على كمال استعداد التربة من غير واسطة
انتقالات اخر في اطوار الخلقة وانما يتم ذلك اذا حملنا آدم على اول شخص يكون من هذا النوع فاما اذا حملناه على
مطلق النوع كان المراد انه جبل منها الصورة الانسانية بوسايط من صور ترددت في اطوار الخلقة كما قال تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فالصورة الانسانية جبلت من النطفة
المتولدة من فضل الهضم الرابع المتولد من الاغذية وهي اما حيوانية او نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية
والنباتية انما تتولد من صفو الارض والما وهي التربة المستعدة للنبات ولا يلزم في ذلك مخالفة الظاهر
فان تلك التربة بعد ان واردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة صارت منيا فصدق عليها ان الصورة
الانسانية جبلت منها وقوله اجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت الضمير في الجملتين
راجع الى الصورة وما يتعلق بها من الاعضاء فالاجماد لغاية الاستمساك راجع الى بعضها كاللحم والاعضاء

والعروق واشباهها والاصلاد لغاية الصلصلة راجع الى بعض آخر كالعظام والاسنان واسناد ذلك الى الحكيم
سبحانه لانه العلة الاولى وان كان هناك اسباب قريبة طبيعية كالحار الغريزي فانه المستعد
لجذب المواد وتبعه البرد ليسكنه عند الكمالات من الخلق وكالرطوبة فانها هي التي تخلق وتتشكل وتبعها اليبوسة
لحفظ الاشكال وافادة التماسك وقوله لوقت معدود واجل معلوم يحتمل ان يراد به ان لكل مرتبة من مراتب
تركيب بدن الانسان وانتقاله في ادوار الخلقة وقتا معدودا يقع فيه واجلا معلوما يتم به ويحتمل ان يراد بالوقت
المعدود والاجل المعلوم الوقت الذي يعلم الله سبحانه انحلال هذا التركيب فيه كما قال تعالى وما نؤخره الا لاجل
معدود وقوله ثم نفخ فيها من روحه اقول الضمير المؤنث راجع الى الصورة وقد علمت ان هذه الاشارة
جارية في القرآن الكريم فقال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي والمراد بالتسوية افاضة تمام اعداد البدن
وتهيئته لقبول النفس والمراد بالنفخ ههنا هو افاضة النفس عليه عند كمال الاستعداد واستعمال النفخ
ههنا استعارة حسنة فان النفخ لما كان هو اخراج الهواء من فم النافخ الى المنفوخ فيه لتشتعل فيه النار
ولما كانت حقيقته ممتنعة في حق الله تعالى وجب العدول الى حمل لفظه على ما يشبهه ولما كان اشتعال نور النفس
في فتيلة البدن عن الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه يشبه بحسب حكاية خيالنا الضعيف ما نشاهد
من اشتعال النار في المحل القابل لها من نفخ النافخ لاجرم حسن التعبير والتجوز بلفظ النفخ عن افاضة الجود الالهي
للنفس على البدن لمكان المشابهة المحصلة وان كان لا يجل ما عندنا واعلى واما نسبة الروح الى الله تعالى
فاعلم ان الروح يحتمل ان يراد به احد ثلثة معان الاول جبرئيل عليه السلم وهو روح الله الامين ونسبته اليه
ظاهرة واما نسبة النفخ الى الله حينئذ فلكونه العلة الاولى وجبرئيل واسطة جعله الله تعالى مبدأ هذا
اللفظ النفخ النفس في صورة آدم الثاني جود الله ونعمته وفيضه الصادر عنه على آدم وغيره والمكان
[illegible] فهو الروح الكلية التي بها قوام كل وجود ونسبته اليه ظاهرة ويكون من ههنا التعبير
الثالث ان يراد بالروح النفس الانسانية فيكون من باب واما نسبه اليه دون ساير مصنوعاته اللطيفة
لما علمت ان الروح منزه عن الجهة والمكان وفي قوة العلم بجميع الاشياء والاطلاع عليها وهذه فضيلة
ومناسبة بوجه ما مع العلة ليست حاصلة لما عداها من الجواهر ما هو جسم او جسماني فلذلك شرفها بالنسبة
اليه وقوله فمثلت انسانا اشارة الى الصورة المجبولة وفيه لطيفة وهي انها انما كانت انسانا بنفخ الروح فيها
ولذلك رتب صيرورتها انسانا بالفاء على نفخ الروح فيها وقوله ذا اذهان يجيلها اشارة الى ما للانسان
من القوى الباطنة المدركة والمتصرفة ومعنى اجالتها تحريكها وبعثها في انتزاع الصور الجزئية كالحس
المشترك او المعاني الجزئية كالوهم وقوله وفكر يتصرف بها اشارة الى القوى المفكرة في احاد النوع الانساني
وتصرفها في تفتيش الخزائنين وتركيب بعض مودعاتها ببعض وتحليلها وقوله وجوارح يختدمها
اشارة الى جملة الاعضاء التي بيان انها كلها خدم النفس والادوات التي تعملها من ذلك يشبه ان يختص

بالابدي كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها ويمكن ان يكون اعم من ذلك كالبصر والقلب كقوله عليه السلم
يا مقلب القلوب والابصار فيصدق عليها اسم التقليب **قوله** ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل اشارة
الى استعداد النفس لادراك المعقولات الثانية المسمى عقلا بالملكة بحسب ما لها من المعارف الاولى اعني
البديهيات فان الحق والباطل امور كلية وليس للقوى البدنية في الامور الكلية حظ ويحتمل ان يشير الى المعرفة
الى القوة الاستعدادية الاولى للانسان المسماة عقلا هيولانيا **قوله** والاذواق والمشام والالوان والاجسام
نبه ههنا على ان ثمة امورا احدها ان للانسان آلة بها يدرك المذوقات واخرى بها يدرك المشمومات
واخرى بها يدرك الالوان وقد بينا ذلك الثاني نبه على ان النفس مدركة للجزئيات بواسطة هذه القوى
اذ عدها في نسق ما تصرف فيه النفس ويفرق بينه وبين غيره الثالث اخر قوله والاجناس تنبيها على
ان النفس تنزع الامور الكلية من تصفح الجزئيات فان الاجناس امور كلية والنفس بعد ادراك الجزئيات
وتصفحها تتنبه لمشاركات بينها ومباينات فتنتزع منها تصورات كلية وتصديقات كلية وكانه عني
بالاجناس ههنا الامور الكلية مطلقا لا بعضها كما هو في الاصطلاح العلمي **قوله** معجونا بطينة الالوان المختلفة
النصب على الحال من قوله انسانا والصفة له والمراد الاشارة الى اختلاف ابدان النوع بعضها مع بعض
بالالوان بحسب قوة استعداداتها لذلك كما قال صلى الله عليه وآله وسلم منهم الاحمر والابيض والاسود كما
سبق وطينة الالوان اصلها وعجنه بها مزجه بها وتهيئته واعداده لقبولها على اختلافها وكذلك الحال
في البدن الواحد فانه ليس بجملة اجزائه لون واحد فان امتزاج بعض الاعضاء يقتضي ان يكون ابيض
كالعظام والاسنان وبعضها احمر كالدم وبعضها اسود كالحدقة والشعر وكذلك اختلاف الاشخاص في الصفات
المكنى بها عن الاخلاق الواردة في تمام الخبر من قوله والسهل والحزن والخبيث والطيب يرجع الى ان الارض لما كانت
اكثر العناصر شركة في هذه الابدان كان لاختلاف بقاعها اثر ما في تفاوت الامتزاج لقبول الاخلاق
بالسهولة والحزونة والخبث والطيب **قوله** والاشباه المؤتلفة والاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة
من الحر والبرد والبلة والجمود والمساءة والسرور اما الاشباه المؤتلفة فكالعظام والاسنان واشباهها فانها
اجسام متشابهة ايتلف بعضها مع بعض ومنها قامت الصورة البدنية وامتزجت بطينتها واما الاضداد
المتعادية فكالكيفيات الاربع التي ذكرها عليه السلم وهي الحرارة والبرودة والرطوبة التي هي البلة واليبس الذي هو
الجمود وعبر عنه بلازمه وهو الجمود على ان الجمود في اللغة هو اليبس ايضا واما الاخلاط المتباينة فهي الاخلاط
الاربعة كما عرفت من الدم والبلغم والصفراء والسوداء واما المساءة والسرور فهما من الكيفيات النفسانية
وماهية كل منهما ظاهرة اما اسبابهما فاعلم ان السرور سببا جسمانيا معدا وهو كون حامله الذي هو الروح
النفساني على كل احواله في الكمية لان زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة الجوهر في الكم يوجب زيادة القوة وفي الكيفية
وهو ان يكون معتدلا في اللطافة والغلظ وان يكون شديد الصفا واما السبب الفاعلي فالشعور بتخيل الكمال

كالعلم والقدرة والاحساس بالمحسوسات الملائمة والتمكن من تحصيل المرادات والقهر والاستيلاء على الغير
والخروج عن المولم وتذكر الملذات واما اسباب الغم فمقابلات هذه اما السبب المعد الجسماني فهو اما قلة الروح كما
للناقهين والمنهوكين بالامراض والمشايخ واما غلظه كما للسوداويين واما رقته كما للنساء واما الفاعلي فمقابل اسباب
السرور وقد يشتد كل منهما بعد الاسباب المذكورة بتكرره فيصير السرور والغم ملكة ويسمى صاحبه مفراحا
او محزانا ومقصوده عليه السلم التنبيه على ان طبيعة الانسان فيها قوة قبول واستعداد لهذه الكيفيات
واشار الى تلك القوة هي المراد بطينة المساءة والسرور والفرق بينها وبين الاستعداد ان القوة تكون على الضدين
والاستعداد لا يكون الا لاحدهما **قوله** واستادى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته
اليهم الى قوله الا ابليس **اقول** لما كان الذي يشير اليه كل انسان بقوله انا هو النفس الناطقة كان آدم عندهم
عبارة عن النفس الناطقة ثم قالوا المراد بالملائكة الذين امروا بالسجود لآدم هي القوى البدنية التي امرت بالخضوع
والخشوع للحكومة النفس العاقلة والانقياد تحت حكمها وهو الامر الذي لاجله خلقوا اما عهد الله اليهم
ووصيته اليهم فهو المشار اليه بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين والخطاب ههنا خطاب الحكمة الالهية بالقضاء الازلي قبل
الوجود والاستيداء لذلك العهد وتلك الوصية هو طلب المأمور به اولا من الانقياد والخضوع من تلك القوى
بعد الوجود وعلى السنة الرسل عليهم السلم بالوحي المنزل وهو قوله فاسجدوا لآدم **قوله** فسجدوا والاشارة الى القوى
المطيعة لنفوسها العاقلة في اشخاص عباد الله الصالحين **قوله** الا ابليس وقبيله اشارة الى الوهم وساير
القوى التابعة له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين عن اوامر الله سبحانه وقد عرفت ان
الوهم رئيس القوى البدنية فهي اذن عند معارضته للعقل ومتابعتها له جنود ابليس وقبيله **واما قوله** اعترتهم
الحمية وغلبت عليهم الشقوة وتعززوا بخلق النار واستوهنوا خلق الصلصال فقالوا ان المراد بكون ابليس وقبيله
خلقوا من نار ان الارواح الحاملة لهذه القوى كما عرفت اجسام لطيفة تتكون عن لطافة الاخلاط وهي حارة
مائلة الى الافراط والنارية والهوائية عليها اغلب وتولدها عنهما اسهل وهي اجزاء البدن وكذلك العقب
الذي منعها فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك نسب ابليس الى النار فقال تعالى حكاية
عنه خلقتني من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم اي قدرنا قبل وجوده ان يكون النارية
والهوائية على وجوده اغلب وقال بعضهم انه لما كانت النار الطف العناصر وكانت هذه القوى وارواحها
الطف الامور الجسمانية وتكونها عن الطف الاخلاط كانت نسبتها الى النار اولى من ساير العناصر لمكان
المشابهة في اللطافة فجاز ان يطلق على اصله انه نار لا يقال اذ كان آدم هو النفس الناطقة فما معنى قول ابليس
وخلقته من طين لانا نقول كما صدق ان ابليس مخلوق من نار بمعنى ان الغالب على الروح الحامل له هو عنصر النار
كذلك يصدق ان آدم من طين بمعنى ان الغالب على بدنه الارضية وايضا فان الوهم لا يدرك الا المعاني الجزئية

المتعلقة بالمحسوسات فلا يصدق حكمه ومساعدة الا فيما كان محسوسا ولما ثبت ان النفس جوهر مجرد لكن
اعتقاد ابليس ان الانسان شيء غير هذا البدن المكون عن الطين اذا ثبت ذلك فمعول اعتزاء الحية فالتعزيا الانتساب
الى عنصر النار نسبة مجازية اذ العادة جارية بان ما عدا الانسان من الاصل الناقص وان يفتخر ويتعزز
بالاصل الشريف والانتساب اليه فكان لسان حال ابليس والقوى المتابعة له يقول على جهة الاستنكار و
الاستكبار ءاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون وانا مخلوق من النار التي هي اشرف العناصر
قالوا ولما علم الله تعالى ذلك من حال ابليس لعنه وطرده واخرجه من الجنة وذلك قوله تعالى فقال اخرج منها
فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قالوا وذلك انك علمت ان الجنة تعود الى معارف الحق سبحانه
والابتهاج بمطالعة انوار كبريائه ودرجات الجنة هي المراتب التي ينتقل العقل فيها في مقامات السلوك
الى حظاير القدس ومجاورة الملاء الاعلى وعلمت ان حال الوهم قاصر عن الانتقال في تلك المراتب فطرده ولعنه و
وتحريم الجنة عليه يعود الى تكونه على الطبيعة التي هو عليها القاصرة عن ادراك العلوم الكلية التي
هي ثمار الجنة وقطوفها والقضاء عليه بذلك وما احمد على ذلك قوله رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اي بما خلقتني على هذه الجبلة لا اهتدي لدخول الجنة
ولا امكن منها لاجذبنهم الى المشتهيات وتزيين الملذات الجاذبة لهم عن عبادتك حتى لا يهتدوا الى الجهة قالوا م
التي لاجلها خلقتهم ولا يلتفتوا اليها الا من عصمته مني وجعلت له سلطانا على قهري وغلبتي وهم عبادك
المخلصون اي النفوس الكاملة المطهرة عن متابعة قواها المتسلطة على قهر شياطينها وكذلك قوله قال
انظرني الى يوم يبعثون فانه لما كان البعث الاول هو مفارقة النفوس لابدانها وانبعاثها الى عالمها وكان
طبيعة الوهم قاضية بمحبة البقاء في دار الدنيا اذ لا حظ له في غيرها حسن من لسان حاله ان يقول رب انظرني
الى يوم يبعثون **وقوله** فاعطاه الله النظرة لما كان الوهم باقيا في البدن وهو وجوده الى يوم البعث حسن من
لسان الحكمة الالهية ان تقول انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك معنى اعطاء النظرة **وقوله**
استحقاقا للسخطة واستتماما للبلية وانجازا للعدة فقد عرفت ان البلية نصب على المفعول له ثم ان
ابقاء الوهم وابتلاء الخلق به والشر الصادر عنه امور داخلة في القضاء الالهي بالعرض فيصدق عليه
انه مراد وان الانظار والامهال له وكذلك استحقاق السخطة وانجاز العدة واطلاق لفظ السخطة
استعارة فان السخط لما كان عبارة عن حالة للانسان يستلزم وجود مغضوب عليه غير مرضي سبحانه
بافعاله وكان حال ابليس في انظار الله اياه وعتوه عن امر ربه مستلزما لاعراض الله عنه وعمن عصاه تبعا له
كان هناك نوع مشابهة تحسن لاجلها اطلاق لفظ السخطة اما العدة فتعود الى قضاء الحكمة الالهية
ببقاء الوهم الى يوم البعث وانجازها يعود الى موافقة القدر لذلك القضاء وقال بعضهم انه لما كان
ههنا صورة مطرود ومبعد وملعون حسن اطلاق السخطة واستحقاقها وانه انما انظر لاجلها وهو مرجح

الا مستعاذة **قوله** ثم اسكن الله سبحانه آدم دار ارغد فيها عيشه وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته
اقول الدار التي اسكن فيها آدم هي الجنة والاشارة ههنا الى ان الانسان من اول زمان افاضة القوة عليه م
العاقلة الى حين استرجاعها مادام مراعيا لاوامر الحق سبحانه غير منحرف عن فطرته الاصلية ولا معرض
عن عبادته ولا ملتفت الى غيره فانه في الجنة وان كانت الجنة على مراتب كما قال تعالى لهم غرف من فوقها غرف
مبنية تجري من تحتها الانهار ولذلك قال صلى الله عليه وآله كل مولود يولد على الفطرة وانما ابواه هما اللذان
يهودانه وينصرانه اذ كانت نفسه قبل الجواذب الخارجية عن القبل الحقيقة غير مدنسة بشيء من الاعتقادات
الفاسدة والهيئات الردية وان كانت الرتبة السامية والغرفة العالية انما تنال بعد المفارقة واستكمال
النفس لا كمل زاد واما ارغاد العيش فيعود الى ابتهاجه بالمعقولات والمعارف الكلية واما امان المحلة فان
مكانه في الجنة ان يعرض لخوف وحزن مادام فيها واما تحذيره من ابليس وعداوته فظاهر من الاوامر الشرعية
ولسان الوحي ناطق كما قال تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك ووجه العداوة ظاهر مما قلنا فان النفس لما كانت
من عالم المجردات وكان الوهم بطبعه منكرا لهذا القسم من الممكنات كان منكرا لما تامر به النفس من الامور
الكلية التي لا حظ له في ادراكها وذلك من مقتضيات العداوة ولان نظام امر النفس ومصلحتها لا يتم الا بقهر
الوهم والقوى البدنية عن مقتضيات طباعها وتمام مطالب القوى لا يحصل الا بانقهار النفس فكانت بينهما
مخالفة طبيعية وعداوة اصلية اذ لا معنى للعداوات الا التجاذب لما يتصور كونه موذيا **قوله** فاغتره ابليس
نفاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار **اقول** يقال ان الله تعالى لما حذره ابليس وعداوته كان قد نهاه عن
اكل شجرة يقال انها شجرة البر واعلمه انه ان اكل منها كان ظالما لنفسه مستحقا لسخط الله عليه وذلك قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قالوا وتلك الشجرة هي الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الارض ما لها
من قرار وهي عايدة الى المشتهيات الدنيوية الفانية واللذات البدنية الخارجة عن الحد وعلت في اوامر الله
ونهاه وانما هو العبور فيها الى طرف الافراط عن وسط القانون العدلي ولما كونها شجرة البر فقالوا ان البر لما كان
هو قوام الابدان وعليه الاعتماد في انواع المطعومات واللذات البدنية حسن ان يعبر به عنها فيقال هو شجرة
البر كناية عن الفرع بالاصل واما اغترار ابليس له فاعلم ان حقيقة الغرور هو سكون النفس الى ما يوافق الهوى
ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من ابليس فاغتراره يعود الى استغفال النفس بالوسوسة التي حكى الله تعالى
عنها بقوله فوسوس لهما الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ولنبحث عن حقيقة الوسوسة
فنقول ان الفعل انما يصدر عن الانسان بواسطة امور مرتبة ترتيبا طبيعيا اولها تصور كون الفعل ملائما
وهو المسمى بالداعي ثم ان ذلك الشعور يترتب عليه ميل النفس الى الفعل المسمى ذلك الميل ارادة فيترتب على
ذلك الميل حركة القوة المودعة المحركة القوة المسماة قدرة المحركة للعضلة الى الفعل اذا عرفت ذلك فنقول صدور
الفعل عن مجموع القدرة والارادة امر واجب فليس للشيطان فيه مدخل ووجود الميل عن تصور كونه نافعا

وخير امر لازم فلا مدخل للشيطان ايضا فيه فلم يبق له مدخل الا في القاء ما يتوهم كونه نافعا او لذيذا
الى النفس فعلم ان الغرور بالله سبحانه فعله ليس الا القاء في الحقيقة هو الوسوسة وهو عين ما حكى الله سبحانه عنه
بقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي اذا عرفت ذلك فاعلم ان متابعة ابليس عبارة عن
الانقياد النفس لجذب الوهم والقوى البدنية التي هي الشياطين عن الوجهة المقصودة والقبلة الحقيقية
وهي عبادة الحق سبحانه ونفسها لها بتزيين ما حرم الله عليها فاما ما يقال ان ابليس لم يكن له تمكن من دخول
الجنة وانما توسل بالحية ودخل في فمها الى الجنة حتى تمكن من الوسوسة لادم عليه السلام واغتراره
فقالوا المراد بالحية هي القوة المتخيلة وذلك ان الوهم انما تمكن من التصرف وبعث القوى المحركة كالشهوة
والغضب التي هي جنوده وشياطينه على طلب الملاذ البدنية والشهوات الحسية الدنية وجذب
النفس اليها بتصوير كونها لذيذة نافعة بواسطة القوة المتخيلة ووجه تشبيهها بالحية ان الحية
لما كانت لطيفة سريعة الحركة تتمكن من الدخول في المنافذ الضيقة وتقدر على التصرف الكثير وهي
مع ذلك سبب من اسباب الهلاك بما تحمله من السم وكانت المتخيلة في سرعة حركاتها وقدرتها على
التصرف السريع والادراك الطف من ساير القوى وهي الواسطة بين النفس والوهم وكانت مما تمكنت
عليه من تحكيم كيد ابليس والقاء الوسوسة بواسطتها الى النفس سببا قويا للهلاك السرمد والعذاب
المؤبد لاجرم كانت اشبه ما تشبه به الحية لما بينهما من المناسبة فحسن اطلاق لفظ الحية عليها قوله
نفاسة عليه ترشيح للاستعارة لانه لما كان جذب الوهم النفس الى الجنة السافلة مانعا لها من الكرامة
بدار المقامة ومستنزلا لها عن درجة مرافقة الملأ الاعلى وكان ذلك اعظم ما تنفس به كما قال تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وعرفت ان ذلك الجذب عن صورة معاداة كما مر سبق وكان من لوازم المعاداة والنفاسة
على العدو بكل ما يعد كمالا له لاجرم حسن اطلاق النفاسة ههنا ترشيحا لاستعارة العداوة والنصب على
المفعول له قوله باع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه اي لما حصلت الوسوسة والاغترار لادم فانقاد
لما كان قد بدل ما تيقنه من ان شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى هو نور الحق والبقاء في جنته ودوام مطالعة
كبريائه بالشك فيه بواسطة وسوسة ابليس وذلك ان الامور الموعودة من متاع الاخرة وما اعد الله
لعباده الصالحين امور خفيت حقايقها على اكثر البصاير البشرية وانما الغاية في تشويقهم اليها
ان تمثل لهم بما هو مشاهد لهم من اللذات البدنية الحاضرة ترى كثيرا منهم لا يخطر بباله ان يكون في الجنة
امر زايد على هذه اللذات فهو يجتهد في تحصيلها اذ لا يتصور وراءها اكثر منها ثم ان صدق بها على
سبيل الجملة تصديقا للوعد الكريم فانه لا يتصور كثير تفاوت بين الموعود به والحاضر بحيث يرجح ذلك
التفاوت عنده ترك الحاضر لما وعد به بل يكون ميل طبعه الى الحاضر وتوهم كونه انفع واولى بما غلب عليه
وان تيقن باصل عقله ان الاولى به والانفع له والابقى هو متاع الاخرة فتارة نظرا على ذلك اليقين غفلة

عنه ونسيان له بسبب الاشتغال باللذات الحاضرة والانهماك فيها وذلك معنى قوله تعالى فنسي وتارة
لا يحصل الغفلة الكلية بل يكون الوهم المذكور قويا فيعارض ذلك اليقين بحيث يوجب في مقابلته شبهة
وشكا وذلك معنى قوله عليه السلام فباع اليقين بشكه ولا منافاة بين قوله تعالى فنسي وبين الشك هنا قوله
والعزيمة بوهنه اي تعوض من العزم والتصميم الذي كان ينبغي له في طاعة الحق سبحانه بالضعف والعاجز
عن تحمله كما قال تعالى ولم نجد له عزما واطلاق لفظ البيع ههنا استعارة حسنة اذ كان مدار البيع على
استعاضة شيء بشيء سواء كان المستعاض اجل او انقص ومثله قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قوله فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما الى قوله
وتناسل الذرية فيه تقديم وتاخير وتقديره والعزيمة بوهنه فاهبطه الله الى دار البلية وتناسل الذرية
فاستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ثم تاب الى الله فبسط في توبته ولقاه كلمة رحمته ووعده المرد الى
جنته وذلك لان الاهباط عقيب الزلة واستبدال الجذل بالوجل بعد الاهباط من الجنة والاخراج منها
وقد ورد القران الكريم بهذا النظم في سورة البقرة وهو قوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا
فيه وقلنا اهبطوا ثم قال عقيبه فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه وورد ايضا على النظم الذي ذكره عليه السلام
في سورة طه وذلك قوله فعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا فقدم الاجتباء
والتوبة على الاهباط وكلاهما حسن او ومعنى الاهباط له هو ازالته عن دار كرامته واستحقاق افاضة نعيم
الجنة وذلك ان النفس الناطقة اذا اعرضت عن جناب الحق سبحانه والتفتت الى متابعة الشياطين وابناء الجن
وموافقة ابليس بعدت عن رحمة الله وتسود لوحها عن قبول الانوار الحقية واما دار البلية وتناسل الذرية
فاشارة الى الدنيا فان الانسان اذا التفت بوجهه اليها واقبل بكليته عليها هبط من اعلى عليين الى
اسفل سافلين ولم يزل ممنوا ببلاء اثر بلاء اذ لا يعدم في كل لحظة ووقت فوت مطلوب او فقد محبوب
وطلب ما لا يدرك ووجد ما لا يطلب وكفى بانقطاعه عن الله تعالى بالتفاته اليها بلاء واعظم شقاء اذ كان
البعد عن رحمته والطرد عن ابواب جنته فان قلت لم ذكر تناسل الذرية في معرض الاهانة لادم مع انه في
الحصة من الاحكام الخيرية المندرجة في سلك العناية الالهية فان فيه بقاء النوع ودوام الافاضة قلت انه وان كان كذلك
الا انه لا نسبة له في الحقيقة الى الخير الذي كان ادم فيه في الجنة فان ما حصل له من الذرية خيرا صار عرضيا بالنسبة الى الكمال
الذي يحصل لابناء النوع وفضيلته ثم النسبة ان حصلت فنسبة اخس الى اشرف فان ازالته واهباطه عن استحقاق
تلك المراتب السامية والافاضات العالية الى هذه المرتبة التي يشاركه فيها البهيمة وساير انواع الحشرات
نقصان عظيم وخسران مبين قوله واستبدل بالجذل وجلا وبالاعتزاز ندما ظاهر فان المقبل بوجهه على
عبادة الحق سبحانه المستشرق لانوار كبريائه المعرض عما سواه ابدا مسرور مبتهج فاذا اعرض عما يوجب السرور
والفرح والتفت الى خسايس الامور بسبب شيطان قاده اليها وزينها لعينه فانكشف عنه ستر الله وبدت

سوء للناظرين بعين العاقبة من عباد الله الصالحين ثم اخذت بضبعه العناية الالهية وتداركه الرحمة
الربانية فاخذه من رقدة الغافلين في مراقد الطبيعة فرای السلامة الا على لقد احاطت به وشاهد
الجحيم مسعرة عن جنبتي الصراط المستقيم وتذكر قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل
ولا يشقى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الايات فلا جرم ان
يصبح وجلا ومتقلبا يقلب كفيه حسرة وندما وجلا مما لحقه من سخط الله نادما على ما فرط في جنب الله
وقوله ثم بسط الله له في توبته والقاه كلمة رحمته فالمراد الاشارة الى ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من
جهته وانما النقصان من جنبة القابل وعدم استعداده فاذا استعدت النفس لتدارك رحمة الله
وحوتها العناية الالهية من ورطات الهلاك الابدي فايدتها بالمعونة على ابليس وجنوده وبصرتها
بمقابح افعاله وما يدعوا اليه فاخذت في مقاومته والترصد لدفع مكايده فذلك هو معنى ابتها
وتوبتها واما كلمة رحمة الله التي لقاها آدم فيعود الى السوانح الالهية التي تسنح للعبد فتكون سببا لجذبه
عن مهاوي الهلاك وتوجيهه عن الجنبة السافلة الى القبلة الحقيقية وامداده بالملائكة حالا فحالا
ورفعه في مدارج الجلال التي هي درجات الجنة **وقوله** ووعده المرد الى جنته فاشارة الى وعد القضاء
الالهي الناطق عنه لسان الوحي الكريم فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله
توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وكذلك ساير مواعيد
وعد التائبين فهذا ما يتعلق بهذه القصة من التأويل وبالله العصمة والتوفيق **الفصل الرابع** قوله
واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة امانتهم لما بدل اكثر خلقه عهد الله
اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم
رسله وواتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسي نعمته ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم
دفائن العقول ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع ومعايش تحييهم وآجال
تفنيهم واوصاب تهرمهم واحداث تتابع عليهم ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل
او حجة لازمة او محجة قائمة رسل لا يقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي له من بعده
او غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون ومضت الدهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله
سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما
ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد في
اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه
وآله لقاءه ورضي له ما عنده واكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه اليه كريما صلى الله
عليه وآله وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قائم كتاب ربكم مبينا

حلاله وحرامه وفضائله وفرائضه وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه وخاصه وعامه وعبره وامثاله
ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسرا جمله ومبينا غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد
في جهله وبين مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وواجب في السنة اخذه مرخص
في الكتاب تركه وبين واجب لوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه من كبير اوعد عليه نيرانه
او صغير ارصد عليه غفرانه وبين مقبول في ادناه موسع في اقصاه **اقول** الاصطفاء الاستخلاص
والانداد الامثال واجتالتهم اي ادارتهم واجتذبتهم وواتر اي ارسل وترا بعد وتر اي واحدا بعد آخر والفطرة
الخلقة والمهاد الفراش والاوصاب الامراض والاحداث المصائب وتخصيصها بذلك عرفي والحجة
ما يحج به الانسان غيره اي يغلبه به والمحجة جادة الطريق والغابر الباقي والماضي ايضا وهو من الاضداد
والقرن الامة ونسلت اي درجت ومضت مأخوذ من نسل ريش الطائر ونسل الوبر اذا وقع والعدة الوعد
وانجازها قضاؤها والسمة العلامة وميلاد الرجل محل ولادته من الزمان او المكان والملحد العادل
عن الاستقامة على الحق والفرض في اللغة الازالة والرخصة التساهل في الامر والعزيمة الجد وهذه الالفاظ
الثلاثة مخصوصة في العرف اخرى كما يذكر وارصدت لكذا اي هيأته له وههنا ابحاث **البحث الاول**
الضمير في ولده راجع الى آدم عليه السلام ثم ان كانت الاشارة بآدم الى النوع الانساني فنسبة الولادة اليه
في العرف ظاهرة صادقة فان كل اشخاص نوع هم ابناء ذلك النوع في اصطلاح اهل التأويل وكذلك ان كان المراد
به اول شخص وجد واعلم ان اصطفاء الله سبحانه للانبياء يعود الى افاضة الكمال النبوي عليهم بحسب
ما وهبت لهم العناية الالهية من القبول والاستعداد واخذه على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة
امانتهم هو حكم الحكمة الالهية عليهم بالقوة على ما كلفوا به من ضبط الوحي في الواح قواهم وحفظ
ساير النفوس الناقصة الى جناب عزته بحسب ما افاضهم من القوة على ذلك والاستعداد له وما منحهم
من الكمال الذي يقتدرون معه على تكميل الناقصين من ابناء نوعهم ولما كانت صورة العهد واخذ الامانة
في العرف ان يعهد الى الانسان بامر ويؤكد عليه القيام بالايمان واشهاد الحق سبحانه وكان الحكم الالهي
جاريا بارسال النفوس الانسانية الى هذا العالم وكان مراد العناية الالهية من ذلك البعث ان يظهر ما في قوة
كل نفس من كمال او تكميل الى الفعل وكان ذلك لا يتم الا بواسطة بعضها لبعض كان الوجه الذي بعث عليه
شبيها للعهد والميثاق المأخوذ والامانة المودعة كل ما في قوته وما اعدله فحسن اطلاق هذه الالفاظ
واستعارتها ههنا **قوله** لما بدل اكثر خلق الله عهده اليهم فجهلوا حقه واتخذوا الانداد معه واجتالتهم
الشياطين عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته الى آخره اشارة الى وجه الحكمة الالهية في وجود الانبياء
عليهم السلام وهي شرطية قدم فيها التالي لتعلق ذكر الانبياء عليهم السلام بذكر آدم والتقدير لما بدل اكثر
خلق الله عهده اليهم اصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم فبعثهم في الخلق وله

العهد وهو المشار اليه بقوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الاية قال ابن عباس
لما خلق الله آدم مسح على ظهره بيده فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى
فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة واعلم ان اخذ الذرية يعود الى احاطة اللوح المحفوظ بما يكون
من وجود النوع الانساني باشخاصه وانتقاشه بذلك عن قلم القضاء الالهي ولما كان بالانسان تمام العالمين
في الوجود الخارجي فكذلك هو في التقدير القضائي المطابق له وبه يكون تمام التقدير وجفاف القلم واما اشهادهم
على انفسهم فيعود الى انطاق امكانهم بلسان الحاجة اليه وانه الاله المطلق الذي لا اله غيره واما بيان ملازمة
الشرطية فلانه لما كان الغالب على الخلق حب الدنيا والاعراض عن مقتضى الفطرة الاصلية التي فطرهم
عليها والالتفات عن القبلة الحقيقية التي امروا بالتوجه اليها وذلك بحسب ما ركب فيهم من القوى البدنية
المتنازعة الى كمالاتها لاجرم كان من شان كونهم على هذا التركيب المخصوص ان يبدل اكثرهم عهد الله سبحانه
اليهم من الدوام على عبادته والاستقامة على صراطه المستقيم وعدم الانقياد لعبادة الشيطان كما قال سبحانه
الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان الاية ان يجهلوا حقه للغفلة بحاضر لذاتهم عما يستحقه من دوام
الشكر وان يتخذوا الانداد معه لنسيانهم العهد القديم وان يحيدهم الشياطين عن معرفته التي هي الغاية من الخلقة
وان يقتطعهم عن عبادته التي هي المرقاة الى اقتطاف تلك الثمرة ولما كان من شانهم ذلك وجب في الحكمة
الالهية ان يختص صنفا منهم بكمال اشرف نفس ويعاينه ذلك الصنف على ضبط الجوانب المتجاذبة
وعلى تكميل الناقصين ممن دونهم وهم صنف الانبياء عليهم السلم والغاية منهم ما اشار اليه عليه السلم بقوله
ليستادوهم ميثاق فطرته اي ليبعثوهم على اداء ما خلقوا لاجله وفطروا عليه من الاقرار بالعبودية لله تعالى
يوم عما التفتوا اليه من اتباع الشهوات الباطلة واقتناء اللذات الوهمية الزائلة وذلك البعث والجذب تارة
يكون بتذكرهم نعم الله الجسيمة وتنبيههم على شكرها ولاهم من منته العظيمة وتارة يكون بالترغيب فيما عنده
سبحانه مما اعده لاوليائه الابرار وتارة بالترهيب مما اعده لاعدائه الظالمين من عقاب النار وتارة
بالتنفير عن خسائس هذه الدار وبيان وجوه الاستهانة بها والاستحقار والى ذلك اشار بقوله ويذكروهم
منسي نعمته ولابد للمجادلة والمخاطبة من احتجاج مقنع ومفحم فيحتجوا عليهم بتبليغ رسالات ربهم وانذارهم
لقاء يومهم الذي يوعدون ويشيروا لهم وجوه الادلة على وحدانية المبدع الاول وتفرده باستحقاق العبادة
وهو المراد بدفائن العقول وكنوزها واستعمال الدفائن هنهنا استعارة لطيفة فانه لما كانت جواهر العقول
ونتائج الافكار موجودة في النفوس بالقوة اشبهت الدفاين فحسن استعارة لفظ الدفينة لها ولما كانت الانبياء هم
الاصل في استخراج تلك الجواهر لاعداد النفوس لاظهارها حسنت اضافة اثارتها اليهم وكذلك ارشدوهم الى
تحصيل مقدمات تلك الادلة والبراهين وموادها وهي ايات القدرة الالهية وآثارها من سقف فوقهم
محفوظ مرفوع مشتمل على بدائع الصنع وغرائب الحكم ومهاد تحتهم موضوع فيه ينتشرون وعليه يتصرفون ومعايش

بها يكون تواجيا بهم الدنيا ولابد غائلة بقائهم للحطو الله واجال مقدرة بها يكون فناؤهم ورجوعهم الى
باريهم واعظم الاجال انه رادعة ونقد برا جاذبا الى الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر
هادم اللذات الى غير ذلك من الامراض التي تضعف قواهم وتهرمهم والمصايب التي تتتابع عليهم فان كل
هذه الاثار مواد لاحتجاج الانبياء على الخلق ليشهدوهم بصدورها عن العزيز الجبار عز سلطانه على انه هو الملك المطلق
الذي له الخلق والامر وليقرروا في اذهانهم صورة ما نسوه من العهد الماخوذ عليهم في الفطرة الاصلية من
انه سبحانه هو الواحد الحق المتفرد باستحقاق العبادة والى ذلك اشار القرآن الكريم وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وهم عن آياتها معرضون وقوله ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها الاية وقوله تعالى و
السماء بنيناها بايد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
تذكرون الى غير ذلك من الايات الدالة على احتجاج الخالق سبحانه على خلقه بالسنة رسله وتراجمة وحيه
وجذبهم بهذه الالتفات الى القرب من ساحل عزته والوصول الى حضرة قدسه سبحانه وتعالى عما يشركون وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار قوله ولم يخل الله سبحانه خلقه الى قوله وخلقت الابنا
المقصود الاشارة الى بيان عناية الله سبحانه بالخلق حيث لم يخلهم من نبي مرسل يجذبهم الى جناب عزته
كما قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير او كتاب منزل يدعوهم الى عبادته ويذكرهم فيه منسي عهده ويتلو عليهم
فيه اخبار الماضين والعبر اللاحقة للاولين ويحتج عليهم فيه بالحجج البالغة والدلائل القاطعة ويوضح لهم فيه امور نظامهم
وينبههم على مبداهم ومعادهم والانفصال هنهنا انفصال مانع من الحكمة كما هو مصرح به قوله رسل لا تقصر
بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم اي هم رسل كذلك والمراد الاشارة الى انهم وان كانوا قليلي العدد بالنسبة الى
كثرة الخلق وكان عدد المكذبين لهم كثيرا كما هو المعلوم من ان كل نبي بعث الى امة فلا بد فيهم فرقة شابذة وتعاند وتكذب
مقالتهم فان ذلك لا يولهم قصورا عن اداء ما كلفوا القيام به من حمل الخلق على ما يكرهون مما هو مصلحة لهم في معاشهم
ومعادهم بل يقوم احدهم وحده ويدعوا الى طاعة باريه ويحمل اعباء المشقة الناشئة في مجاهدة اعداء الدين ونشر
دعوته في اطراف الارض بحسب العناية الازلية والحكمة الالهية ويبقى آثارها محفوظة وسننها قائمة الى ان
تقتضي الحكمة وجود شخص آخر منهم يقوم ذلك المقام رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل قوله من سابق سمي له من بعده تفصيل للانبياء ومن هيهنا للتمييز والتبيين والمراد ان السابق
منهم تعلمه الله تعالى على العلم بوجود اللاحق له فبعضهم كالمقدمة لتصديق البعض كعيسى عليه السلم بعده
حيث قال ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد بين الحق سماه من قبله محمد عليه السلم وعلى ذلك
اي على هذه الوتيرة والاسلوب والنظام الالهي مضت الامم وسلفت الاباء وخلفتهم الابناء قوله الى ان بعث الله
سبحانه محمدا صلى الله عليه وآله الى قوله من الجهالة واعلم انه عليه السلم ساق هذه الخطبة من لدن آدم عليه السلم

الى ان انتهى الى محمد صلى الله عليه وآله كما هو الترتيب الطبيعي اذ هو الغاية من طينة النبوة وخاتم النبيين كما
نطق به القرآن الكريم ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ثم شرع بعد ذلك
في التنبيه على كيفية اهتداء الخلق وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم بوجوده كل ذلك استدراج
لاذهان السامعين وتمهيد لما يريد ان يقرره عليهم من مصالح دينية او دنيوية فاشار الى ان الغاية
من طينة النبوة وتمام لها بقوله الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله لانجاز عدته وتمام نبوته على السنة
رسله السابقين بوجوده واتمام نبوته صلى الله عليه وآله قوله ماخوذا على النبيين ميثاقه النصب
ههنا على الحال من بعث وذو الحال محمد وكذلك الحال في المنصوبين الباقيين والمراد باخذ ميثاقه
عليهم ما ذكره وتقرر في نظرهم من الاعتراف بحقية نبوته عليه السلم وتصديقه فيما سيجي به اذ كان ذلك
من تمام عبادة الحق سبحانه فبعث عليه السلم حال ما كان ذلك الميثاق ماخوذا على الانبيا ومن عداهم
وحال ما كانت امارات ظهوره والبشارة بمقدمه مشهورة بينهم مع زكاء اصله وكرم مادة حملته
وشرف وقت مجيه به ثم اراد عليه السلم بعد ذلك ان يرى بعثه محمد صلى الله عليه وآله تعظيما وسر فضيلة
شرعه وكيفية انتفاع الخلق به فقال واهل الارض يومئذ ملل متفرقة واهوا منتشرة وطرائق متشتتة
والواو في قوله واهل الارض للحال ايضا وموضع الجملة نصب وقوله واهوا خبر مبتدا محذوف تقديره اهوا
وهم اهوا متفرقة وكذلك قوله وطرائق اي وطرائقهم طرائق متشتتة اي بعثه وحال اهل الارض يوم بعثه
ما ذكر من تفرق الاديان وانتشار الآراء واختلاف نهاوتشتت الطرق والمذاهب واعلم ان الخلق عند مقدم محمد
صلى الله عليه وآله اما من عليه اسم الشرايع او غيرهم اما الاولون فاليهود والنصارى والصابية والمجوس
وقد كانت اديانهم اضمحلت من ايديهم وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب عليهم دين التشبيه ومذهب
التجسيم كما حكى القرآن الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والمجوس اثبتوا الهين
اسندوا الى احدهما الخير والى الثاني الشر ثم زعموا انجرت بينهما محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما
على ان يكون العالم السفلي للشر مدة سبعة الاف سنة الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم واما غيرهم
من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة فهم على اصناف شتى فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم
معطلة ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم انكر والخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع
المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القرآن عنهم وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا
الدهر وقصروا الحيوة والموت على تحلل الطبايع المحسوسة وتركيبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما لهم
بذلك من علم ان هم الا يظنون وصنف منهم اقروا بالخالق وابتدا الخلق عنه وانكروا البعث والاعادة وهم المحكي
عنهم في القرآن الكريم وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الآية وصنف منهم

اعترفوا بالخالق ومنعوا من الاعادة لكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها شفعاؤهم عند الله كما قال ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب
اللات بالطايف وقريش وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل الاصنام على صور الملائكة
ويتوجه بها الى الملائكة ومنهم من كان يعبد الملائكة كما قال تعالى بل كانوا يعبدون الجن واما المحصلة فقد كانوا
في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب والتواريخ والاديان والثاني علم تعبير الرؤيا
والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن النبي صلى الله عليه وآله من قال مطرنا بنوء كذا
فقد كفر بما انزل على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار مقالتهم على التحسين والتقبيح
العقليين والرجوع في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتسابهم الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم
اصحاب البددة والبد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا
يموت ومنهم اهل الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات
الذين اثبتوا وسايط روحانية تاتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب فامرهم
ونهاهم ومنهم عبدة الكواكب ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهؤلاء يرجعون بالآخرة
الى عبادة الاصنام اذ لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون اليه في مهماتهم
ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون اصناما على صورها فكان الاصل في وضع الاصنام
ذلك اذ يبعد ان يعمد ذو فطنة ان يعمل خشبا بيده ثم يتخذها الها الا ان الخلف لما عكفوا عليها وربطوا حوايجهم
بها من غير اذن شرعي ولا حجة وبرهان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك وعبادتهم لها اثباتا لالهيتها وورا
ذلك من اصناف الآراء الباطلة والمذاهب الفاسدة اكثر من ان يحصر وهي مذكورة في الكتب المصنفة في
هذا الفن واذا عرفت ذلك ظهر معنى قوله عليه السلم من مشبه لله بخلقه كالبقية من اصحاب الملل التي ذكرناهم
فانهم وان اثبتوا اصانعا الا ان اذهانهم مكيفة له بكيفية بعض مصنوعاته في نفس الامر من الجسمية
وتوابعها ومن ملحد في اسمه كالذين عدلوا عن الحق في اسماء الله تحريفها عما هي عليه الى اسماء اشتقوها
لاوثانهم وزادوا فيها ونقصوا كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا التاويل
مذهب ابن عباس ومنهم من فسر الملحدين في اسماء الله بالكاذبين في اسمائه وعلى هذا كل من سمى الله تعالى باسم
لم يسم به نفسه ولم ينطق به كتاب ولا ورد فيه اذن شرعي فهو ملحد في اسمائه وقوله او مشير الى غيره كالدهرية
وغيرهم من عبدة الاصنام والانفصال ههنا لمنع الخلو ايضا فلما اقتضت العناية الالهية بعثه
صلى الله عليه وآله ليهتدوا سبيل الحق وينفيهم من ضلالهم القديم الى سلوك الصراط المستقيم ولينقذهم ببركة
نوره من ظلمات الجهل الى انوار اليقين فقام بالدعوة الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي احسن
فجلا الله بنوره صدا قلوب الخلق وازهق باطل الشيطان بما جاء به من الحق والصدق وانطلقت الالسن بذكر الله

واستنارت البصاير بمعرفة الله وكمل به دينه في اقصى بلاد العالم واتم به نعمته على كافة عباده كما قال تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا احب الله سبحانه لقاءه كما احب هو
لقاء الله كما قال صلى الله عليه وآله من احب لقاء الله احب الله لقاءه ورضي لما عنده من الكرامة التامة
والنعمة العامة في جواره الامين في مقعد صدق عند مليك مقتدر فاكرمه عن دار الدنيا ورغب
به عن مجاورة البلوى ومقام الاذى فقبضه اليه ثم عند انتهاء اجله كريما عزيزا من ادناس الذنوب طاهرا
في ولادته الجسمانية والروحانية صلى الله عليه وآله ما برق بارق وذر شارق قوله وخلف فيكم ما خلفت
الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير طريق واضح ولا علم قايم اقول لما كان هذا الشخص الذي هو النبي
ليس مما يتكون وجود مثله في كل وقت لما ان المادة التي تقبل كمال مثله انما تقع في قليل من الامزجة
وجب اذن ان يشرع للناس بعده في امورهم سنة باقية باذن الله وامره ووحيه وانزاله الروح القدس
عليه ووجب ان يكون قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه في امور المصالح الانسانية تدبيرا والغاية من
ذلك التدبير هو بقاء الخلق واستمرارهم على معرفة الصانع المعبود ودوام ذكره وذكر المعاد وحسم وقوع
النسيان فيه مع انقراض القرن الذي يلي النبي ومن بعده فواجب اذن ان يأتيهم بكتاب من عند الله ويكون
وافيا بالمطالب الالهية والاذكار الجاذبة الى الله سبحانه والاخطار بالبال في كل حال مشتملا على انواع
من الوعد على طاعة الله ورسوله بجزيل الثواب عند المصير اليه والوعيد على معصيته بعظيم العقاب
عند القدوم عليه ولابد ان يعظم امره ويسن على الخلق تكراره وحفظه او بعضه ودراسته وتعلمه
وتعليمه وتفهم معانيه ومقاصده ليديم به التذكر لله سبحانه والملأ الاعلى من ملائكته ثم يسن عليهم
افعالا واعمالا تتكرر في اوقات مخصوصة متقاربة ويتلو بعضها بعضا مشفوعة بالفاظ تقال ونيات
تنوى في الخيال ليحصل بها دوام تذكر المعبود الاول وينتفع بها في امر المعاد والاولى فايدة فيها وهذه الافعال
كالعبادات الخمس المفروضة على الناس وما يلحقها من الوظايف ولما بدا عليه السلام هاهنا بذكر الكتاب
العزيز لكونه مشتملا على ذكر ساير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله اما مطابقة او التزاما وفي
بسط قوانينه الكلية بحسب السنة النبوية وفيه جميع المطالب الالهية فنحن نبدأ بذكر شرفه ووظايفه
وشرايط تلاوته ونؤخر الكلام في باقي العبادات الى مواضعها البحث الثاني في فضيلة الكتاب اما الفضيلة
فمن وجوه الاول قوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه افانتم له منكرون وقوله وهذا كتاب انزلناه اليك مبارك
ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب وقوله وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي
بين يديه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ
القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظم الله تعالى الثالث قوله صلى الله عليه وآله
ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره ولو ح لا من سر

حق

هذه الاشارة ان ذلك انما هو في حق من تدبره وسلك المنهج المطلوب منه المشتمل عليه ووصل به
الى جناب الله في جوار الملائكة المقربين ولا غاية من الشفاعة الا الوصول الى نيل الرضوان من المشفوع
وعلمت ان رضوان الله بغير سلوك الطريق المشتمل عليها الكتاب العزيز لا يحصل ولا ينفع فيه شفاعة تمام
شافع كما قال تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين الرابع قال صلى الله عليه
وآله لو كان القرآن في اهاب لما مسته النار والمراد اي ظرف وعاه وتدبره وسلك طريقه لما مسته النار اما
نار الاخرة فظاهر واما نار الدنيا فلان الواصلين من اولياء الله الكاملين في قوتيهم النظرية والعملية
سلامين حتى ينفعل العناصر عن نفوسهم فيتصرفون فيها كتصرفها في ابدانها فلا يكون لها في ابدانهم
تاثير وقد عرفت اسباب ذلك في المقدمات الخامس قال صلى الله عليه وآله افضل عبادة امتي
القرآن واهل القرآن هم اهل الله وخاصته والمقصود مع شرايطه التي سنذكرها البحث الثالث
في وظايفه اما مداومة الكتاب بالتلاوة والدرس فيحتاج الى وظايف وآداب ينتفع بها كما قال انس
رب تال للقرآن والقرآن يلعنه والذي ينبغي ان يوظف في ذلك ما لخصه الامام ابو حامد الغزالي في كتاب
الاحياء فانه لا مزيد عليه وهي امور عشرة اولها ان يتصور الانسان حال سماعه للتلاوة عظمة كلام الله
سبحانه وافاضة كماله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام الخلق في ايصال
معاني كلامه الى اذهانهم وكيف تجلت لهم الحقايق الالهية في طي حروف واصوات هي صفات البشر بكسوة
لعجز البشر عن الوصول الى مدارج الجلال ونعوت الكمال الا بوسيلة ولولا استتار كنه جلال كلامه
بالحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره
فالصوت والحرف للحكمة جسد وهي النسبة اليه نفس وروح ولما كان شرف الاجساد وعزتها بشرف
ارواحها فكذلك شرف الحرف والصوت لشرف الحكمة التي فيها الثاني التعظيم للمتكلم وينبغي ان يحضر
في ذهن القاري عظمة المتكلم ويعلم ان ما يقرؤه ليس كلام البشر وان في تلاوة كلام الله غاية الخطر
فانه تعالى قال لا يمسه الا المطهرون وكما ان ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس
الغير المتطهر فكذلك باطن معناه بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب ان يستضيء بنوره الا اذا كان
متطهرا عن كل رجس مستنيرا بنور التعظيم والتوقير عن ظلمة الشرك وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد
فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل انواره كل قلب ولاجل هذا الاجلال كان عكرمة بن ابي جهل اذا
نشر المصحف يغشى عليه ويقول هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم وعلمت ان عظمة المتكلم لا تخطر في القلب
بدون الفكر في صفات جلاله ونعوت كماله وافعاله واذا خطر بالك الكرسي والعرش والسموات والارضون
وما بينهما وعلمت ان الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها هو الله الواحد القهار وان الكل
في قبضته والسموات مطويات بيمينه والكل صاير اليه وانه الذي يقول هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء

في النار ولا ابالي فانك تستحضر من ذلك عظمة المتكلم ثم عظمة الكلام الثالث حضور القلب وترك حديث
النفس قيل في تفسير قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي بجد واجتهاد واخذه بالجد ان يجرد عند قراءته
بحذف جميع المشغلات والهموم عنه وهذه الوظيفة تحصل مما قبلها فان المعظم للكلام الذي يتلوه
يستبشر به ويستانس اليه ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستانس به القلب ان كان التالي له اهلا فكيف
يطلب الانس بالفكر في غيره وفيه متنزه العارفين ورياض الاولياء وميادين اولي الالباب الرابع
التدبر وهو وراء حضور القلب فان الانسان قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن
من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من التلاوة التدبر قال سبحانه افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب
اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقال ورتل القرآن
ترتيلا لان الترتيل تمكن الانسان من تدبر الباطن وقال صلى الله عليه وآله لا خير في عبادة لا فقه
فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها واذا لم يمكن التدبر الا بالترديد فليردد فقال ابو ذر قام رسول الله صلى الله
عليه وآله ليلة يردد قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم الخامس
التفهم وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وافعاله واحوال
انبياءه والمكذبين لهم واحوال
ملائكته وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار والوعد والوعيد فليتامل معاني هذه الاسماء والصفات
لينكشف له اسرارها فتحتها دفائن الاسرار وكنوز الحقائق والى ذلك اشار علي عليه السلام بقوله ما اسر الي
رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا كتمه عن الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه فليكن حريصا على
طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود من اراد علم الاولين والآخرين فعليه بالقرآن واعلم ان اعظم علوم القرآن
تحت اسماء الله تعالى وصفاته ولم يدرك الخلق منها الا اقدار افهامهم واليه الاشارة بقوله انزل
من السماء ماء فسالت اودية بقدرها واحتمل السيل زبدا رابيا فالماء هو العلم انزله من سماء جوده ففاضت
اودية القلوب كل على حسب استعداده وامكانه وان كان وراء ما ادركوه اطوار اخرى لم يقفوا عليها
وكنوز لم يعثروا على اغوارها اما افعاله تعالى وما اشار اليه من خلق السموات والارض وغيرها فالذي ينبغي
ان يفهم التالي منها هو صفات الله وجلاله لاستلزام الفعل الفاعل فيستدل بعظمة فعله على عظمته
ليلاحظ بالآخرة الفاعل دون الفعل فيقرا في المقام الاول هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه
ويقرا في المقام الثاني كل شيء هالك الا وجهه فمن عرف الحق رآه في كل شيء ومن بلغ الى حد هذا العرفان
عرف بحجة الاعتبار لم ير معه غيره فاذا تلا قوله تعالى افرايتم ما تمنون افرايتم الماء الذي تشربون
افرايتم النار التي تورون فلا ينبغي ان يقصر نظره على النطفة والماء والنار بل ينظر المني وهو نطفة ثم في كيفية
انقسامها الى اللحم والعظم والعصب والعروق وغيرها ثم في كيفية اشكال اعضائها المختلفة من المدور
والطويل والعريض والمستقيم والمنحني والرخو والصلب والرقيق والغليظ وما اودع في كل من القوة وهيئ له

من المنافع التي لو اختل شيء منها لاختل امر البدن ومصالح الانسان فيتامل في هذه العجائب وامثالها ليترقى
فيها الى عجيب قدرة الله تعالى او المبدا الذي صدرت عنه هذه الآثار فلا يزال يشاهد الكمال الصانع في كل
صنعه واما احوال الانبياء عليهم السلام فليفهم من سماع كيف كذبوا وقتل بعضهم سعة استغناء الله تعالى عنهم
وان هلكوا باجمعهم لم يضره ذلك ولم يؤثر في ملكه واذا سمع نصرتهم فليفهم ان ذلك بتاييد الحق كما قال تعالى
حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء واما احوال المكذبين لهم كعاد وثمود
وكيفية اهلاكهم فليفهم من سماعه استشعار الخوف من سطوة الله ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار
في نفسه وانه ان غفل واساء الادب فربما ادركته النقمة ونفذت فيه القضية حيث لا ينفع سال الانجو
وكذلك اذا سمع احوال الجنة والنار فليحصل منهما على خوف ورجاء وليتصور انه بقدر ما يبعد عن احداهما
يقرب من الاخرى فليفهم منها ومن سائر القرآن ان استقصاء ما هنالك من الاسرار الالهية غير ممكن لعدم
نهايته قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
وقال علي عليه السلام لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فمن لم يتفهم معاني القرآن
في تلاوته وسماعه ولو في ادنى المراتب دخل في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقوله افلا يتدبرون
القرآن ام على قلوب اقفالها وتلك الاقفال هي الموانع التي سنذكرها السادس التخلي عن موانع الفهم
فان اكثر الناس منعوا من فهم القرآن لاسباب وحجب اسدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن
عجائب اسراره قال صلى الله عليه وآله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى الملكوت
ومعاني القرآن واسراره من جملة الملكوت والحجب المانعة اولها الاشتغال بتحقيق الحروف واخراجها
من مخارجها والتشدق بها عن ملاحظة المعنى وقيل ان المتولي لحفظ ذلك شيطان وكل بالقراء ليصرفهم
عن معاني كلام الله فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فيكون تامله مقصورا
على مخارج الحروف فمتى تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس ثانيها
ان يقلد مذهبا سمعه او تفسير ظاهر انقل اليه عن ابن عباس او مجاهد وغيرهما فيجمد على التعصب له من غير علم
فيصير نظره موقوفا على مسموعه حتى لو لاح له بعض الاسرار حمل عليه شيطان التقليد حملة ولم يسوغ له مخالفة
آبائه وجمد على ما هو عليه من الاعتقاد والى مثل هذا اشارت الصوفية بقولهم العلم حجاب وعنوا بالعلم
العقائد التي استمر عليها اكثر الناس بالتعليم والتقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب والقوها
اليهم لا العلم الحقيقي الذي هو المشاهدة بانوار البصيرة ثم ذلك التقليد وقد يكون باطلا كمن حمل الاستواء
على العرش على ظاهره فان خطر له في القدوس انه المقدس عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من استقرار
ذلك الخاطر في نفسه حتى ينساق الى كشف ثان وثالث ولكن يسارع الى دفع ذلك عن خاطره ويجعله وسوسة
وقد يكون حقا ويكون ايضا مانعا من الفهم لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وظاهر

وباطن فجمود الطبع على ظاهره يمنع من الوصول الى الباطن فان قلت كيف يجوز ان يتجاوز الانسان المسموع
وقد قال صلى الله عليه وآله من فسر القرآن برايه فليتبوأ مقعده من النار وفي النهي عن ذلك آثار كثيرة
قلت الجواب عنه من وجوه الاول انه معارض بقوله صلى الله عليه وآله ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا
وبقول علي عليه السلام الا ان يوتي الله عبدا فهما في القرآن ولو لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما فائدة ذلك ومطلعا
الفهم الثاني انه لو لم يكن غير المنقول لاشترط ان يكون مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك
مما لا يصادف الا في بعض القرآن واما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من انفسهم فينبغي ان
لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأي الثالث ان الصحابة والمفسرين اختلفوا في تفسير بعض الآيات فقالوا
فيها اقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله محال
فكيف يكون الكل مسموعا الرابع انه عليه السلام دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين
وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فلا معنى لتخصيص ابن عباس
بذلك الخامس قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت للعلماء استنباطا ومعلوم انه
وراء السماع فاذن الواجب ان يحمل النهي عن التفسير بالرأي على احد معنيين احدهما ان يكون للانسان
في الشيء رأي وله اليه ميل بطبعه فيتأول القرآن على وفق رأيه حتى لو لم يكن له ذلك الميل لما خطر
ذلك التأويل له وسواء كان ذلك الرأي مقصدا صحيحا او غير صحيح وذلك كمن يدعو الى مجاهدة
القلب القاسي فيستدل على تصحيح غرضه من القرآن بقوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى ويشير
الى ان قلبه هو المراد بفرعون كما يستعمله بعض الوعاظ تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع
الثاني ان يتسرع الى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق
بغرائب القرآن وما فيها من الالفاظ المبهمة وما يتعلق به من الاختصار والحذف والاضمار
والتقديم والتأخير والمجاز فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية
كثر غلطه ودخل في زمرة من يفسر بالرأي مثاله قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها فالناظر
الى ظاهر العربية ربما يظن ان المراد ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء والمعنى آية مبصرة ثم لا يدري
انهم اذا ظلموا غيرهم ومن ذلك المنقول المقلب كقوله تعالى وطور سينين اي وطور سيناء وكذلك باقي
اجزاء الكلام فكل ما يكشف في التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالنقل فهو مفسر برايه فهذا هو
المنهي عنه دون التفهم لاسرار المعاني وظاهر ان النقل لا يكفي فيه وانما ينكشف للراسخين في العلم
من اسراره بقدر صفاء عقولهم وشدة استعدادهم له وللطلب والفحص والتفهم وملاحظة الآثار
والعبر ويكون لكل واحد منهم حد في الترقي الى درجة منه بعد الاشتراك في الظاهر ومثاله ما فهم
بعض العارفين من قوله صلى الله عليه وآله في سجوده اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك

من عقوبتك واعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك انه قيل له اسجد واقترب
فوجد القرب في السجود فنظر الى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان
متضادان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقى الى الذات فقال اعوذ بك منك ثم زاد قربه
بما استحيا به على بساط القرب فالتجأ الى الثناء فاثنى بقوله لا احصي ثناء عليك ثم علم ان ذلك قصور
فقال انت كما اثنيت على نفسك تنفتح للعارفين لا افهم من تفسير الظاهر وليس مناقضا له وانما هو اكمال فهذه خواطره
لما تحته من الاسرار الثالث من الموانع ان يكون مبتليا من الدنيا بهوى مطاع فان ذلك سبب لظلمة
القلب وكالصدأ على المرآة فيمنع جلية الحق ان يتجلى فيه وهو اعظم حجاب للقلب وبه حجب الاكثرون وكلما
كانت الشهوات اكثر تراكما على القلب كان البعد عن اسرار الله اكثر وكذلك قال صلى الله عليه وآله
الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احداهما يبعد من الاخرى السابع ان يخصص نفسه بكل خطاب
في القرآن من امر او نهي او وعد ووعيد ويقدر انه هو المقصود به وكذلك ان سمع قصص الاولين والانبياء
عليهم السلام علم ان السمر غير مقصود وانما المقصود الاعتبار ولا يعتقد ان كل خطاب خاص في القرآن
فالمراد به الخصوص فان القرآن وساير الخطابات الشرعية واردة باياك اعني واسمعي يا جارة وهي كلها نور
وهدى ورحمة للعالمين ولذلك امر الحق تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم
من الكتاب والحكمة يعظكم به واذا قدر انه المقصود لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل قراءة كقراءة العبد كتاب
مولاه الذي كتبه اليه ليتدبره ويعمل بمقتضاه كما قال حكيم هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده
نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات الثامن بلغ
التأثر وهو ان يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد
يتصف به عند ما يوجه نفسه في كل حالة الى الجهة التي فهمها من خوف او حزن او غيره فيستعد بذلك او وجدانه
وينفعل ويحصل له التأثر والخشية ومهما قويت معرفته كانت الخشية اغلب الاحوال على قلبه فان التضييق
غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى فانه قرن المغفرة بهذه الشروط الاربعة
وكذلك قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر السورة ذكر فيها اربعة شروط وحيث اوجز واقتصر
ذكر شرطا واحدا جامعا للشرائط فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ كان الاحسان جامعا
لكل الشرائط وتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد يتضاءل من خشية الله وعند
الوعد يستبشر فرحا بالله وعند ذكر صفات الله واسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله وعند ذكر الكفار
في حق الله ما يمتنع عليه كالصاحبة والولد يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبيح افعالهم وذكر الله
وتقديسه عما يقول الظالمون وعند ذكر الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند ذكر النار يرعد

لم اصبه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا رايت عينيه تذرفان من الدمع فقال لي
حسبك الان وذلك لاستغراق تلك الحالة لقلبه الكلية بالجملة فالقرآن انما يراد لجذب الاحوال واستجلابها الى
القلب والعمل بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله اقرءوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت عليه جلودكم
فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وقال تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
والا فالمؤنة في تحريك اللسان خفيفة قال بعضهم قرأت على شيخ لي ثم رجعت اقرأ عليه ثانيا فانتهرني وقال جعلت القراءة
على عملا اذهب فاقرأ على الله تعالى وانظر ماذا يامرك وماذا ينهاك ومات رسول الله صلى الله عليه وآله
عن عشرين الفا من الصحابة لم يكن يحفظ القرآن منهم غير ستة واختلف منهم في اثنين وكان اكثرهم
يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم كل ذلك لاشتغالهم بفهم معاني القرآن
عن حفظه كما جاء اليه واحد ليعلمه القرآن فانتهى الى قوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فقال يكفيني هذا وانصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله انصرف الرجل وهو فقيه
والعزيز مثل تلك الحالة التي يمن الله تعالى بها على القلب عقيب فهم الآية فاما التالي باللسان المعرض عن العمل
فجدير بان يكون المراد بقوله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاية
وانما حظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر
بالانزجار والايتمار **التاسع** الترقي وهو ان يوجه قلبه وعقله الى القبلة الحقيقية فيسمع الكلام من الله تعالى لا من
نفسه ودرجات القراءة ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر اليه
ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتضرع والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كانه
سبحانه يخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لمن الله والاصغاء اليه
والفهم عنه الثالثة ان يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات ولا ينظر الى قلبه ولا الى قراءته ولا
الى التعلق بالانعام من حيث هو منعم عليه بل يقصر الهم على المتكلم ويوقف فكره عليه ويستغرق في مشاهدته
وهذه درجة المقربين وعنها اخبر الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم فقال لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكنهم
لا يبصرون وقال ايضا وقد سالوه عن حالة لحقته في الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما افاق قيل في ذلك
فقال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه
الدرجة تعظم الحلاوة وبهذا الترقي يكون العبد ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله يشاهد المتكلم دون ما عداه
يكون ممتثلا لقوله تعالى لا تجعلوا مع الله الها آخر فان رؤية غير الله معه شرك خفي لا يخلص منه الا برؤية
وجده **العاشر** التبري والمراد به ان يتبرأ من حوله وقوته ولا يلتفت الى نفسه بعين الرضا والتزكية
فاذا تلا آيات الوعد ومدح الصالحين حذف نفسه عن درجة الاعتبار وشهد فيها الموقنين

والصديقين

والصديقين ويتشوق الى ان يلحقه الله تعالى بهم واذا تلا آيات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه هناك
وقدر انه المخاطب خوفا واشفاقا وقيل ليوسف بن اسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو قال بماذا ادعو استغفر الله
عن تقصيري سبعين مرة ومن راى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه فان من
شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه الى درجة اعلى في القرب ومن شهد القرب في البعد مكر به
الى درجة ادنى في البعد مما هو فيه ومهما شاهد نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات
الى نفسه ولم يشاهد الا الله وحده في قراءته كشف له الملكوت والمكاشفات تابعة لحال المكاشف فحيث يتلو
آيات الرجاء يغلب عليه الاستبشار وينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كانه يراها وان غلب عليه الخوف
كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها وذلك لان كلام الله تعالى وارد باللطف والسهولة والشدة
والعسف والرجاء والخوف وذلك بحسب اوصافه اذ منها الرحمة واللطف والانعام والبطش فبحسب
مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد
لنوع من المكاشفة مناسب لتلك الحالة اذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا اذ فيه
كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر وكلام حنان متعطف فهذه هي وظائف التلاوة
ولنرجع الى المتن فنقول **قوله** عليه السلم وخلف فيكم ما خلفت الانبياء في اممها اذ لم يتركوهم هملا بغير
طريق واضح ولا علم قايم اشارة الى وضع ما يجب وضعه في الحكمة الالهية على السنة الرسل عليهم السلم
من العبادات الشرعية والقوانين الكلية التي بها يبقى ذكر الله سبحانه محفوظا واستعمال لفظ العلم
القائم ههنا استعارة حسنة للآثار الباقية عن الانبياء التي يهتدي بها الاوصياء والاولياء الذين
يرجع اليهم الخلق كتاب ربكم عطف بيان لما في قوله ما خلفت الانبياء ولا ينبغي ان نفهم من ما يخص الكتاب — قوله
حتى يكون ما اتى به محمد عليه السلم من الكتاب هو عين ما اتت به الانبياء السابقون عليهم السلم وشخصه
فان ذلك محال بل المراد ما نوع ما خلفت الانبياء في اممها من الحق وما جاء به محمد عليه السلم شخص من
اشخاص ذلك النوع وبيان ذلك ان القوانين الكلية التي اشتركت في الاتيان بها جميع الانبياء عليهم السلم
من التوحيد والتنزيه لله تعالى واحوال البعث والقيمة وساير القواعد الكلية التي بها يكون النظام الكلي — التي
للعالم كتحريم الكذب والظلم والقتل والزنا وغير ذلك مما لم يخالف فيه نبي نبيا امر له ماهية واحدة كلية
وجدت في اشخاص وكما يعرض لبعض اشخاص الماهية عوارض لا يكون للشخص الاخر وبها يكون الاختلاف
بين الاشخاص بحسب المواد التي نشات منها الصور الشخصية كذلك الكتب المنزلة على السنة الانبياء
عليهم السلم بمنزلة اشخاص اشتملت على ماهية واحدة وتختلف بحسب الجزئيات والعوارض على تلك الكليات
بحسب اختلاف الامم والاوقات المشتملة على المصالح المختلفة باختلافها **قوله** مبينا منصوب
على الحال والعامل خلف وذو الحال الفاعل وهو ضمير النبي عليه السلم **قوله** حلاله وحرامه وفضايله وفرايضه

اشارة الى الاحكام الخمسة الشرعية التي يدور عليها علم الفقه وهي الوجوب والندب والحظر والكراهة
والاباحة وعبّر بالحلال عن المباح والمكروه وبالحرام عن المحظور وبالفضايل عن المندوب وبالفرايض عن الواجب
وبالفسخ عن رفع الحكم الثابت بالنص المتقدم بحكم آخر مثله فالناسخ هو الحكم الرافع كقوله اقتلوا المشركين
والمنسوخ هو الحكم المرفوع كقوله لا اكراه في الدين وبالرخص عما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم للضرورة
او غيرها كقوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد الاية وبالعزايم عما كان من الاحكام الشرعية جاريا على وفق
سببه الشرعي كقوله فاعلم انه لا اله الا الله وبالعام ههنا عن اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع
واحد كقوله تعالى والله بكل شيء عليم وكقوله ولله على الناس حج البيت وبالخاص عما لم يتناول الجميع بالنسبة الى
ما يتناوله كقوله من استطاع اليه سبيلا والخاص المطلق هو ما يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه
كما عرفته والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار واشتقاقها من العبور وهو انتقال الجسم من موضع الى آخر ولما كان
الذهن ينتقل من الشيء الى غيره حسن اطلاق العبرة عليه واكثر ما يخص العبرة بانتقال ذهن الانسان
من المصايب الواقعة بالغير او الامور المكروهة له الى نفسه فيقدرها كانها نازلة به فيحصل له بسبب
ذلك انزعاج عن الدنيا وانتقال ذهن الى ما وراه من امر المعاد والرجوع الى باريه فيسمى ذلك عبرة وكذلك
من المصايب اللاحقة له في نفسه المذكرة له بجناب العزة والملفتة له بتكرارها عن دار البلوى والمحن
فينتقل ذهنه بسببها الى ان الدنيا دار البوار وان الاخرة هي دار القرار وذلك كقصة اصحاب الفيل
وكقوله فقال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقوله تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون وان كان قد يستعمل العبرة في كل ما يفيد اعتبارا من طرف الاحسان ايضا كقوله
تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها الاية وكقوله تعالى فئة تقاتل في سبيل الله واخرى
كافرة يرونهم مثليهم راي العين والله يويد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار فجعل
سبحانه نصر المومنين على قلتهم وخذلان المشركين على كثرتهم ومشاهدة المسلمين لكونهم مثليهم محلا
للعبرة اذ يحصل بذلك انتقال الذهن منها الى انه الاله المطلق المستحق للعبادة المنفرد بالقدرة على ما يشاء
اهل الرحمة والجود وافاضة تمام الوجود واما الامثال فظاهرة كقوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا
لا يقدر على شيء الاية وكقوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا ونحوه واراد بالمرسل الالفاظ المطلقة
والمهملة وهي الالفاظ التي لا تمنع نفس مفهومها وقوع الشركة فيها لكنها لم يبين فيها كمية الحكم
ومقداره ولم يقيد بقيد يفيد العموم ولا الخصوص وهي محتملة لهما كاسماء الجموع في النكرات كقوله تعالى
وعلى الاعراف رجال وكالمفرد المعرف بالالف واللام او المنكر كقوله والعصر ان الانسان لفي خسر وكقوله
ان جاءكم فاسق وقوله فتحرير رقبة فان كل هذه الالفاظ يراد بها الطبيعة دون الكل او البعض الا بدليل منفصل
والفرق بينها وبين العام ان لكل شيء ماهية هو بها ما هو وهي مغايرة لكل ما عداها فان مفهوم الانسان مثلا

ليس الا انه انسان فاما انه واحد او كثير فليس احدهما في مفهوم آخر مغاير لماهيته فاذا عرفت ذلك فاللفظ
الدال على الحقيقة من حيث هي من غير دلالة على شيء آخر معها هو اللفظ المطلق والمهمل والدال معها على
قيد العموم بحيث يفهم منه تعدد الماهية وكثرتها في جميع مواردها هو اللفظ العام او في بعض مواردها
وهو الخاص ولما كان العموم والخصوص باعتبار الذات والمعاني وذلك بالمحدود والمقيد كقوله تعالى في الكفارة في موضع
آخر فتحرير رقبة مومنة واما المحكم والمتشابه والمجمل والمبين فقد سبق بيانها في المقدمة مثال المحكم قوله تعالى قل
هو الله احد ومثال المتشابه قوله الرحمن على العرش استوى ومثال المجمل قوله تعالى الا ما يتلى عليكم وقوله واحل لكم ما
وراء ذلكم ومثال المبين قوله بعد ذلك ان تبتغوا باموالكم الاية والتفسير هو التبيين والغوامض دقايق المسايل
وانما اضاف هذه المعاني كلها الى الكتاب لاشتماله عليها وكونه مبدءا لها ولما كانت محتاجة الى البيان كان
الرسول صلى الله عليه وآله هو المبين لها بسنته الكريمة **قوله** بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد
في جهله الى آخره الضماير يعود الى الاحكام المذكورة المشتمل عليها الكتاب العزيز وذكر منها اقساما احدها ما يجب
تعلمه ولم يوسع للخلق في جهله كوحدانية الصانع وامر المعاد والعبادات الخمس وشرايطها وثانيها ما لا يتعين
على كافة الخلق العلم به بل قد عذر بعضهم في الجهل به ووسع لهم في تركه كالايات المتشابهات وكاوايل السور كقوله
تعالى كهيعص وحم عسق ونحوها وثالثها ما هو مثبت في الكتاب فرضه معلوم في السنة نسخه وذلك كقوله
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا وقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما وكانت الثيب اذا زنت في ابتداء الاسلام تمسك في البيت الى الممات والبكر توذى بالكلام ونحوه فمقتضى
هاتين الايتين ثم نسخ ذلك في حق الثيب بالرجم وفي حق البكر بالجلد والتغريب بحكم السنة ورابعها ما هو بعكس
ذلك اي مثبت في السنة اخذه مأذون في الكتاب في تركه وذلك كالتوجه الى بيت المقدس في ابتداء الاسلام
فانه كان ثابتا في السنة ثم نسخ بقوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وكثبوت صلاة الخوف في القرآن حال القتال الرافع بجواز تأخيرها في السنة الى انجلاء
القتال وخامسها ما يجب لوقته ويزول في مستقبله كالحج الواجب في العمر مرة وكالمنذور المقيد بوقت معين
وامثالها فان وجوبها مع وقتها المعين ولا يتكرر بتكرار امثاله **قوله** ومباين بين محارمه عطف على المجرورات
السابقة والياء مفتوحة وفي معنى الكلام وتقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المبين
بالحرمة صار المعنى بين حكم مباين بين محالها هو الحرمة وقوله من كبير اوعد عليه نيرانه او صغير ارصد له غفرانه
بيان لتلك المحال واشارة الى تفاوتها بالشدة والضعف في كونها مبعدة عن رحمة الله على سبيل الجملة فالاول
كالقتل في قوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا الاية وكذلك ساير الكباير من الظلم والزنا وغيرها
والثاني مثل الصغاير كالتطفيف بالحبة والسرقة بما دون نصاب ونحو ذلك وارصاد الغفران بازاء هذه وامثالها

في الكتاب العزيز كقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وساير آيات الوعد بالمغفرة فانها ان كانت
عامة في كل الذنوب فالصغاير داخلة بطريق الاولى والا كانت محمولة على الصغاير وسترا وتلويحا بالمغفرة ان
انها لا تكاد تكسب النفس ملكة الافراط والجور الا عن بعد بعيد وتكرار طويل بخلاف الكباير فان الاقدام
عليها في غالب الاحوال لا يقع الا عن نفس مستعدة للشر بعيدة عن رحمة الله وبالله العصمة والتوفيق **الفصل**
الخامس منها **قوله** وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للانام يردونه ورود الانعام ويألهون اليه
وله الحمام جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته واذعانهم لعزته واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته
وصدقوا كلمته ووقفوا مواقف انبيائه وتشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الارباح في متجر عبادته
ويتبادرون عنده موعد مغفرته جعله سبحانه للاسلام علما وللعائذين حرما فرض حجه واوجب حقه
وكتب عليكم وفادته فقال سبحانه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني
عن العالمين **اقول** يألهون اليه اي يشتد وجدهم وشوقهم اليه واصل الهمزة ههنا الواو من وله يوله اذا تحير
من شدة الوجد والسماع جمع سامع كسامر وسمار والمبادرة المسارعة والوفادة القدوم للاسترفاد والاخذ
واعلم انا قد بينا وجوب العبادات واشرنا الى وجه الحكمة فيها ما يجري ان نشير الى وجه الحكمة في خصوص
الحج من جملتها ونوخر تفصيل باقيها الى مواضعه ان شاء الله فاما الحج فانك قد عرفت ان الغرض الاول من العبادة
هو جذب الخلق الى جناب الحق بالتذكير له ودوام اخطاره بالبال ليستعد لدرك الاسرار على طول التذكار ونهج
في ذلك من احوال العناية به الى مقام المخلصين فجعلها اسرار الله سبحانه المنزلة على لسان رسوله تعيين
موضع من البلاد وانه اصلح المواضع لعبادة الله وانه مختص له ولابد ان نشير هذه الاوضاع الى اشارات
ورموز الى مقاصد حقيقية يتنبه لها من اخذ التوفيق بزمام عقله اليها ولابد من تعيين افعال تفعل في ذلك
المكان وانها انما يفعل في ذات الله سبحانه وانفع المواضع العينة في هذا الباب ما كان ماوى الشارع
ومسكنه فان ذلك مستلزم لذكره وذكره مستلزم لذكر الله سبحانه وذكر ملائكته واليوم الاخر ولما لم يمكن
في الماوى الواحد ان يكون مشاهدا لكل احد من الامة فالواجب اذن ان يفرض اليه مهاجرة وسفر وان كان
فيه نوع مشقة وكلفة من تعب الاسفار وانفاق المال ومفارقة الاهل والولد والوطن والبلد ونحن نذكر
فضيلته من جهة السمع ثم نشير الى ما ينبغي ان يوظف فيه من الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة عند كل حركة
وركن من اركان الحج ما يجري من تلك الاركان مجرى الارواح للابدان فاذن ههنا ابحاث **البحث الاول**
اما الفضيلة فمن وجوه الاول قوله تعالى واذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق قال
قتادة لما امر الله عز وجل خليله ابرهيم عليه السلام ان يؤذن في الناس نادى يا ايها الناس ان الله بنى بيتا فحجوه وقوله تعالى ليشهدوا
منافع لهم قيل التجارة في المواسم والاجر في الاخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة **الثاني** قال عليه
من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وقد عرفت كيفية نفع العبادات في الخلاص من الذنوب **الثالث** قال

ولم يرفث

صلى الله عليه وآله ما راى الشيطان في يوم هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك
الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام اذ يقال من الذنوب ما لا يكفرها الا الوقوف بعرفة
اسنده الصادق عليه السلام الى الرسول صلى الله عليه وآله وكان سر ذلك ما يحصل من رحمة الله ويفاض
على اسرار العباد التي قد صفت بشدة الاستعداد الحاصل من ذلك الموقف العظيم الذي يجتمع فيه العالم اشد
اجتماع فان الاجتماع سبب عظيم في الانفعال والخشية ولله في ذلك اسرار كما سننبه ان شاء الله **الرابع** قال
صلى الله عليه وآله حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها اجر الا الجنة **الخامس** قال صلى
الله عليه وآله الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجاب لهم
وان شفعوا اليه شفعهم **السادس** روي عنه صلى الله عليه وآله من طريق اهل بيته عليهم السلام اعظم الناس ذنبا من وقف
بعرفة وظن ان الله لم يغفر له وفي فضل جزئيات الحج اخبار كثيرة يطلب من مظانها **البحث الثاني** في الاداب وهي
عشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتخلو القلب عن تجارة تشغله سوى الله تعالى وفي الخبر من طريق اهل البيت
اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج على اربعة اصناف سلاطينهم للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة
وقراؤهم للسمعة وفي الخبر اشارة الى جملة اغراض الدنيا التي تتصور ان تتصل بالحج فكل ذلك مانع لفضيلة الحج ومقصود
الشارع منه **الثاني** ان لا يعاون الصادين عن سبيل الله والمسجد الحرام بتسليم المكوس اليهم فان ذلك اعانة
على الظلم وتسهيل الاسباب وجراة على سائر السالكين الى الله وليجتهد في الخلاص فان لم يقدر فالرجوع اولى من اعانة
الظالمين على البدعة وجعلها سنة **الثالث** التوسع في الزاد وطيب النفس في البذل والانفاق بالعدل دون البخل
والتبذير فان بذل الزاد في طريق مكة انفاق في سبيل الله قال صلى الله عليه وآله الحج المبرور ليس له اجر الا الجنة فقيل يا
رسول الله ما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام **الرابع** ترك الرفث والفسوق والجدال كما قال تعالى فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج والرفث كل لغو وفحش من الكلام ويدخل في ذلك محادثة النساء بشان الجماع المحرم فانها تهيج
داعيه وهي مقدمة له فيحرم ومن لطف الشارع اقامة مظنة الشيء مقام الشيء حسما للمادة والفسوق
الخروج عن طاعة الله والجدال هو المماراة والخصومة الموجبة للضغاين والاحقاد وافتراق كلمة الخلق وكل ذلك
ضد مقصود الشارع من الحج وشغل عن ذكر الله **الخامس** ان يحج ماشيا مع القدرة ونشاط النفس فان ذلك
افضل وادخل للنفس في الاذعان لعبودية الله وقال بعض العلماء الركوب افضل لما فيه من مؤنة الانفاق ولانه
ابعد من الملال واقل للاذى واقرب الى السلامة واداء الحج وهذا في التحقيق غير مخالف لما قلناه والحق التفصيل
فيقال من سهل عليه المشي فهو افضل فان اضعف وادى الى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب افضل لان
المقصود توفر القوى على ذكر الله تعالى وعدم المشغلات عنه **السادس** ان يركب الزاملة دون المحمل الا لشماله على
زي المترفين والمتكبرين ولانه اخف على البعير اللهم الا لعذر حج رسول الله صلى الله عليه وآله على راحلة وكان تحته
رحل رث وقطيفة خلقة قيمته اربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هيئته وشمائله وقال خذوا عني

مناسككم **السابع** ان يخرج رث الهيئة اقرب الى الشعث غير مستكثر من الزينة واسباب التفاخر فيخرج بذلك
عن حزب المساكين وشعار الصالحين روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال انما الحاج الشعث التفث يقول
الله تعالى للملائكة انظروا الى زوار بيتي قد جاؤني شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ثم ليقضوا تفثهم والتفث
الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وتقليم الاظفار **الثامن** ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق كان اهل الورع لا
ينامون على الدابة الا غفوة من قعود قال صلى الله عليه وآله لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي ويستحب ان ينزل عنها
غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وسرّه الامر مراعاة الرفق والرحمة والتخلي عن القسوة والظلم ولا يخرج بالعسف
عن قانون العدل ومراعاة عناية الله وشمولها فانها كالحيوان تحت الانسان كالحيوان **التاسع** ان يتقرب
باراقة دم ويجتهد ان يكون سمينا ثمينا روي ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله
صلى الله عليه وآله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان المقصود
ليس تكثير اللحم وانما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن رذيلة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم قال صلى الله عليه وآله ما من عمل آدمي يوم النحر احب الى الله عز وجل
من اهراقة دما وانها لتأتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها
نفسا **العاشر** ان يكون طيب النفس بما انفقه من هدي وغيره وبما اصابه من خسران ونقيصة مال ان اصابه
ذلك فان بذلك يكون مكتفيا الى الله سبحانه عن كل ما انفقه متعوضا عنه ما عند الله وذلك علامة
لقبول حجه **البحث الثالث** في الوظائف القلبية عند كل عمل من اعمال الحج اعلم ان اول الحج فهم موقع الحج في الدين
ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة عنه ثم تهيئة اسباب الوصول اليه من الزاد والراحلة
ثم السير ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الافعال المشهورة وفي كل حالة من
هذه الحالات تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق واشارة للفطن الحاذق الى اسرار يقف عليها
بصفاء قلبه وطهارة باطنه ان ساعده التوفيق اما الفهم فاعلم انه لا وصول الى الله الا بتنحية ما عداه
عن القصد من الشهوات البدنية واللذات الدنيوية والتجريد في جميع الحالات والاقتصار على الضرورات
ولهذا انفرد الرهبان في الاعصار السالفة عن الخلق في قلل الجبال توحشا من الخلق وطلبا للانس بالله
واعرضوا عن جميع ما سواه ولذلك مدحهم بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
فلما اندرس ذلك واقبل الخلق على اتباع الشهوات والاقبال على الدنيا والالتفات عن الله بعث نبيه
محمدا صلى الله عليه وآله لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله اهل الملل
عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل عن السائحين
فقال **هم** الصائمون فجعل سبحانه الحج رهبانية لهذه الامة فشرف البيت العتيق باضافته الى نفسه
ونصبه مقصدا للعباد وجعل ما حوله حرما لبيته تفخيما لامره وتعظيما لشأنه وجعل عرفات كالميدان على فناء

حرمه واكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج
عميق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
بتنزيهه عن ان يحويه مكان ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبوديتهم ولذلك وظف عليهم فيها اعمالا لا تأنس
بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل
التكرار وبمثل هذه الاعمال يظهر كمال الرق والعبودية بخلاف سائر العبادات كالزكوة التي هي ارفاق
في وجه معلوم وللعقل اليه ميل والصوم الذي هو كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل
وكالركوع والسجود في الصلوة الذي هو تواضع لله سبحانه بافعال على هيئة التواضع وللنفوس انس
بتعظيم الله تعالى واما امثال هذه الاعمال فانه لا اهتداء للعقل الى اسرارها فلا يكون في الاقدام عليها باعث
الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس
والطبع عن محل انسه المعين على الفعل فان كل ما ادرك العقل وجه الحكمة في فعله مال الطبع اليه
ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للامر باعثا على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال صلى
الله عليه وآله في الحج على الخصوص لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في الصلوة وغيرها واذا اقتضت
حكمة الله سبحانه ربط نجاة الخلق بكون اعمالهم على خلاف اهوية طباعهم وان يكون ازمتها بيد الشارع
فيترددون في اعمالهم على سنن الانقياد ومقتضى الاستعباد كان ما لا يهتدي الى معانيه ابلغ انواع
التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع الى مقتضى الاسترقاق ولهذا كان منشأ تعجب
النفوس من الافعال العجيبة هو الذهول عن اسرار التعبدات واما الشوق فباعثه الفهم ان البيت
بيت الله وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد لله تعالى ومن قصد حضرة الله تعالى في المال
المحروس لجدير ان يرقى منه بحسب شوقه الى الحضرة العلوية والكعبة الحقيقية التي هي في السماء وقد يحمي هذا
البيت على قصدها فيشاهد جدرانه الاعلى بحكم وعد الكريم واما العزم فليستحضر في ذهنه بعزمه
مفارق للاهل والولد هاجر للشهوات واللذات مهاجرا الى ربه متوجها الى زيارة بيته وليعظم قدر البيت
لقدر رب البيت وليخلص عزمه لله وبعده عن شوائب الرياء والسمعة فان ذلك سر اخفى وليتحقق انه لا
يقبل من عمله وقصده الا الخالص وان من اقبح القبائح ان يقصد بيت الملك وحرمه مع اطلاع ذلك الملك
على خائنة الاعين وما تخفي الصدور ويكون قصده غيره فان ذلك استبدال للذي هو ادنى بالذي
هو خير واما قطع العلائق فبحذف جميع الخواطر عن قلبه غير قصد عبادة الله والتوبة الخالصة لمحو الظلم
وانواع المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة خصم حاضر متعلق به ينادي عليه ويقول اتقصد
بيت الملك على تضييع امره لك في منزلك هذا وتستهين به ولا تلتفت الى نواهيه وزواجره ولا تستحي
ان تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيغلق دونك ابواب رحمته ويحجبك في مهاوي نقمته فان كنت راغبا

قبول زيارتك فابرز اليه من جميع معاصيك واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك ليتوجه اليه
توجه قلبك كما انت متوجه الى جهته بوجه ظاهرك فليذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الاخرة
فان كل هذه امثلة قريبة يترقى منها الى اسرارها واما الزاد فليطلبه من موضع حلال فاذا احس من نفسه الحرص
على استكثاره وطيبه وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير قبل بلوغ المقصد فليذكر ان سفر الاخرة اطول
من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه لا يصلح زادا ولا يبقى معه الا ريثما هو في هذا المنزل وليحذر ان يفسد
اعماله التي هي زاده الى الاخرة بشوائب الريا وكدورات التقصير ويدخل في قوله تعالى هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكذلك فليلاحظ عند ركوب دابته تسخير الحيوان
له وحمله عنه الاذى ويتذكر منته تعالى بشمول عنايته ورافته حيث يقول وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه
الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم فيشكره سبحانه على جزيل هذه النعمة وعظيم هذه المنة وليستحضر نقلته من
مركبه الى منازل الاخرة الذي لا شك فيه ولعله اقرب من ركوبه الحاضر فيحتاط في امره وليعلم ان هذه امثلة محسوسة
يترقى منها الى مراكب النجاة من الشقاء الكبرى وهي عذاب الله سبحانه واما ثوب الاحرام وشراؤه ولبسه فليتذكر معه
الكفن ودرجه فيه ولعله اقرب اليه وليتذكر منها التستر بانوار الله التي لا تخلص من عذابه الا بها فيجتهد في تحصيلها
بقدر امكانه واما الخروج من البلد فليستحضر عنده انه فارق الاهل والولد متوجها الى الله سبحانه في سفر
غير اسفار الدنيا وليستحضر ايضا غايته من ذلك السفر وانه متوجه الى ملك الملوك وجبار الجبابرة في جملة الزائرين
الذين نودوا فاجابوا وشوقوا فاشتاقوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق واقبلوا على بيت الله طلبا لرضاء الله وطمعا
في النظر الى وجهه الكريم وليحضر الرضا في قلبه رجاء الوصول الى الملك والقبول له بسعة فضله وليعتقد انه ان مات
دون الوصول الى البيت لقي الله وافدا عليه لقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت
فقد وقع اجره على الله ثم ليتذكر في اثناء طريقه من مشاهدة عقبات الطريق عقبات طريق الاخرة ومن السباع والحيات
حشرات القبر ومن وحشة البراري وحشة القبر وانفراده عن الانس فان كل هذه الامور جاذبة الى الله سبحانه
ومذكرة له امر معاده واما الاحرام والتلبية من الميقات فليستحضر انه اجابة نداء الله تعالى وليكن في قبول اجابته
بين خوف ورجاء مفوضا امره الى الله متوكلا على فضله قال سفين بن عيينة حج زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلم
فلما احرم واستوت به راحلته اصفر لونه ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع ان يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال اخشى
ان يقول لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبى غشي عليه وسقط عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه فانظر
جلال الله لهذه النفس الطاهرة حيث بلغ بها الاستعداد لافاضة انوار الله لم تزل الغواشي الالهية والنفحات الربانية
تغشيها فيغيب عن كل شيء سوى جلال الله وعظمته وليتذكر عند اجابته نداء الله سبحانه اجابة ندائه بالنفخ في
الصور وحشر الخلق من القبور وازدحامهم في عرصات القيمة مجيبين لندائه منقسمين الى مقربين وممقوتين
ومقبولين ومردودين ومترددين في اول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون ايتيسر لهم

اتمام الحج ام لا واما دخول مكة فليستحضر عنده انه قد انتهى الى حرم الله الامن وليرج عنده ان يامن بدخوله
عقاب الله وليخش ان لا يكون من اهل القرب وليكن رجاؤه اغلب فان الكرم عميم وشرف البيت عظيم وحق الزائر
مرعي وذمام اللائذ المستجير غير مضيع خصوصا عند اكرم الاكرمين وارحم الراحمين وليستحضر ان هذا الحرم
مثال الحرم الحقيقي ليترقى من الشوق الى دخول هذا الحرم والامن بدخوله من العقاب الى الشوق الى دخول
ذلك الحرم والمقام الامين واذا وقع بصره على البيت فليستحضر عظمته في قلبه وليترق بفكره الى مشاهدة
حضرة رب البيت في جوار الملائكة المقربين وليتشوق ان يرزقه النظر الى وجهه الكريم كما رزقه الوصول الى بيته
العظيم وليكثر من الذكر والشكر على تبليغ الله اياه هذه المرتبة وبالجملة فلا يغفل عن تذكر احوال الاخرة
في كل ما يراه فان كل احوال الحج ومنازله دليل يترقى منه الى مشاهدة احوال الاخرة واما الطواف بالبيت
فليستحضر في قلبه التعظيم والخوف والخشية والمحبة وليعلم انه بذلك متشبه بالملائكة المقربين الحافين
حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن ان المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك بذكر رب البيت
حتى لا تبتدئ بالذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ بالبيت وتختم به واعلم ان الطواف المطلوب هو طواف القلب
بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب كما ان الانسان الظاهر
مثال ظاهر في عالم الشهادة للانسان الباطن الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك
والشهادة مرقاة ومدرج الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له باب الرحمة واخذت العناية الالهية
بيده لسلوك الصراط المستقيم والى هذه الموازنة وقعت الاشارة الالهية بان البيت المعمور في السماء بازاء
الكعبة وان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف
امروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بان من تشبه بقوم فهو منهم ثم كثيرا ما يزداد ذلك التشبه
الى ان يصير في قوة المشبه والذي يبلغ تلك الرتبة فهو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رواه بعض
المكاشفين لبعض اولياء الله واما الاستلام فليستحضر عنده انه مبايع لله على طاعته مصمم عزيمته على الوفاء
ببيعته ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ولذلك قال رسول
الله صلى الله عليه واله الحجر الاسود يمين الله في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل اخاه ولما قبله
عمر قال اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه واله يقبلك لما قبلتك فقال
له علي عليه السلم مه يا عمر بل يضر وينفع فان الله سبحانه لما اخذ الميثاق على بني ادم حيث يقول واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الاية القمه هذا الحجر ليكون شاهدا عليهم باداء امانتهم
وذلك معنى قول الانسان عند استلامه امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي عند ربك بالموافاة
واما التعلق باستار الكعبة والالتصاق بالملتزم فليستحضر فيه طلب القرب حبا لله وشوقا الى لقائه تبركا بالمماسة
ورجاء للتحصن من النار في كل جزء من البيت ولتكن النية في التعلق بالستر الالحاح في طلب الرحمة وتوجيه

باذالله

الذهن الى الواحد الحق وسؤال الامان من عذابه كالمذنب المتعلق باذيال من عصاه المتضرع اليه في عفوه عنه
المعترف له بانه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا عفوه وكرمه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الطاعة
في المستقبل واما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فمثال لتردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد
اخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء الملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري
ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول او رد فيكون تردده رجاء ان يرحم في الثانية ان لم يكن رحم في الاولى
وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصة القيمة
وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيئات وليتذكر تردده بين الكفتين ملاحظا للرجحان والنقصان
مترددا بين العذاب والغفران واما الوقوف بعرفة فليتذكر بما يرى من ازدحام الناس وارتفاع الاصوات
واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع
الامم مع الانبياء والائمة واقتفاء كل امة اثر نبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد
والقبول واذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضراعة والابتهال الى الله ان يحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليكن
رجاؤه اغلب فان الموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال الى كافة الخلائق بواسطة النفوس
الكاملة من اوتاد الارض ولا يخلو الموقف عن طائفة من الابدال والاوتاد وطوائف من الصالحين وارباب
القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة نفوسهم وارتفعت الى الله ايديهم وامتدت اليه اعناقهم
ويرمقون بابصارهم جهة الرحمة طالبين لها فلا تظنن انه يخيب سعيهم من رحمة تغمرهم ويلوح لك ان اجتماع
الامم بعرفات والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من اقطار البلاد هو السر الاعظم من الحج
ومقاصده فلا طريق الى استنزال رحمة الله واستدرارها اعظم من اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد
على صعيد واحد واما رمي الجمار فليقصد به الانقياد لامر الله واظهار الرق والعبودية ثم ليقصد به التشبه
بابرهيم عليه السلم حيث عرض له ابليس في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة او يفتنه بمعصية فامره الله تعالى
ان يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لامله فان خطر له ان الشيطان عرض لابرهيم ولم يعرض له فليعلم ان هذا
الخاطر من الشيطان وهو الذي القاه على قلبه ليخيل اليه انه لا فائدة في الرمي وانه يشبه اللعب وليطرده عن
نفسه بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم انف الشيطان فانه وان كان في الظاهر رميا للعقبة بالحصى فهو
في الحقيقة رمي لوجه ابليس وقصم لظهره اذ لا يحصل ارغام انفه الا بامتثال امر الله تعظيما لمجرد الامر
واما ذبح الهدي فليعلم انه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فليكمل الهدي واجزاءه وليرج ان يعتق الله بكل
جزء منه جزء من النار هكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي اكثر واوفر كان الفداء به من النار اتم واعم
وهو شبه التقرب الى الملك بالذبح له واتمام الضيافة والقرى والغاية منه تذكر المعبود الاول سبحانه
عند النية في الذبح واعتقاد انه متقرب به وباجزائه الى الله فهذه هي الاشارة الى اسرار الحج واعماله الباطنة

اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن قوله عليه السلم وفرض عليكم حج بيته الحرام اشارة الى وجوب الحج على الخلق وهو معلوم
بالضرورة من الدين ووصفه بالحرام لانه محرم على الخلق ان يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع وقوله الذي
جعله قبلة للانام مشير الى قوله تعالى فلنولينك قبلة ترضيها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره وقوله يردونه ورود الانعام مبالغة في تشبيه ورود الخلق البيت بورود الانعام
ووجه التشبيه ان الخلق يردون البيت بازدحام عن حرص وشوق اليه كحال الانعام عند ورودها الماء
وقيل ان وجه التشبيه هو ما جاء من عدم اطلاع الخلق على اسرار الحج وعلى ما اشتمل عليه المناسك
من الحكمة الالهية ولما كان العقل الذي به تميز الانسان عن الانعام وساير الحيوان معزولا عن ادراك
هذه الاسرار كان لا يكون بين الانسان وبين مركوبه فرق في الورود الى البيت وساير المناسك فيه
بعد وقوله ويالهون اليه ولوه الحمام اشارة الى شوق الخلق في كل عام الى ورود البيت كما يشتاق اليه
الحمام الذي يسكنه وهو راعي عليه السلم في هذه القراين الاربع السجع وقوله جعله علامة لتواضعهم
لعظمته واذعانهم لعزته اشارة الى ما ذكرنا من ان العقل لما لم يكن يهتدي الى اسرار هذه الاعمال لم يكن الباعث
عليها الا الامر المجرد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط وفيه كمال الرق وخلوص الانقياد
فمن فعل ما امر به من اعمال الحج كذلك فهو المخلص الذي ظهرت عليه علامة المخلصين والمتواضعين لله
رب العالمين ولما كان الحق سبحانه عالم الغيب والشهادة لم يمكن ان يقال ان تلك العلامة مما يستفيد
بها علما باحوال عبيده من طاعتهم ومعصيتهم فاذن يتعين ان يكون معناها راجعا الى ما به تميز النفوس
الكاملة التي انقادت لاوامر الله واخلصت للعبادة عما عداها فان هذه العبادة من اشرف ما استعبدت به النفس
الانسانية وانقادت بها كالا تعتبرت بعض ابناء نوعها فهي اذن علامة بها يتميز من اتسم بها عن غيره وقوله
واختار من خلقه سماعا اجابوا اليه دعوته اشارة الى الحاج في قوله تعالى واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا
وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق وفي الاثار ان ابرهيم عليه السلم لما فرغ من بناء البيت جاءه جبرئيل عليه السلم
فامره ان يؤذن في الناس بالحج فقال ابرهيم يا رب وما يبلغ صوتي قال الله اذن وعلي البلاغ فعلا ابرهيم المقام
واشرف به حتى صار كاطول الجبال واقبل بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ونادى يا ايها الناس كتب عليكم
الحج الى البيت العتيق فاجيبوا ربكم فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النساء لبيك اللهم لبيك
وفي الاثر اشارات لطيفة فانه يحتمل ان يراد بقول ابرهيم وما يبلغ صوتي الاشارة الى حكم الوهم الانساني
باستبعاد عموم هذه الدعوة وانقياد الخلق لها وقصور الطبع عن ذلك وبقول الحق سبحانه وعلي البلاغ
الاشارة الى ان الله سبحانه لما اوحى اليه من العلم بسيط دعوته وابلاغها الى من علم بلوغها اليه ولعلو
ابرهيم المقام حتى صار كاطول الجبال واقباله بوجهه يمينا وشمالا وشرقا وغربا ودعوته اشارة الى اجتهاده
في التبليغ للدعوة وجذب الخلق الى هذه العبادة بحسب امكانه واستعانته في ذلك باولياء الله التابعين

بلغ

ثم اما اجابة من كان فی اصلاب الرجال وارحام النساء له فاشارة الی ما کتبه الله سبحانه بقلم قضائه فی اللوح المحفوظ من طاعة الخلق واجابتهم لهذه الدعوة علی لسان ابرهیم علیه السلم ومن بعده من الانبیاء وهم المراد بالسماع الذین اختارهم الله سبحانه من خلقه حتی اجابوا دعوته الی حجه بحجهم الیه بعد ما اهلهم الله قرنا بعد قرن وامة بعد اخری **وقوله** وصدقوا کلمته اشارة الی مطابقة افعالهم لما جاءت به الانبیاء من کلام الله سبحانه وعدم مخالفتهم وتکذیبهم لهم **وقوله** ووقفوا مواقف انبیائه اشارة الی متابعتهم لهم ایضا فی مواقف الحج وفی ذکر الانبیاء ههنا استدراج حسن للطباع اللطیفة المشوقة الی لقاء الله والتشبه بانبیائه علیهم السلم وملائکته **وقوله** وتشبهوا بملائکته المطیفین بعرشه اشارة من ان البیت المعمور بازاء الکعبة فی السماء وان طواف الخلق بهذا البیت یشبه طواف الملائکة واحداقهم بالبیت المعمور والعرش فهم متشبهون بالملائکة فی الطواف والغایة ان یترقی من لحقت العنایة بیده من هذا الطواف الی ان یصیر من الطائفین بالعرش والبیت المعمور **وقوله** یحرزون الارباح فی متجر عبادته ویبادرون عنده موعد مغفرته شبه علیه السلم العبادة بالبضاعة التی یتجر بها فالتاجر هو النفس ورأس المال هو العقل ووجوه تصرفاته حرکاته وسکناته الحسیة والعقلیة المطلوبة منه بالاوامر الشرعیة والعقلیة والارباح هی ثواب الله وما اعد للمحسنین فی جنات النعیم واشبه مملوک بعد ان یصرفه فی خدمة سیده متجرا یطلب به التکسب والربح واحسن به اذ انظر الی ان اهل العبادة تجرد عن جمیع الاغراض والخواطر فی خدمته عن درجة الاعتبار وجعلها خالصة له لانه هو فاما کلامه علیه السلم بذکر الربح ههنا فاستدراج حسن لطباع الخلق بما یفهمونه ویمیلون الیه من حب الارباح فی الحرکات ایشتاقوا فیعبدوا **وقوله** وجعله کو الاسلام علما ای علما للطریق الی الله وسلوک صراطه المستقیم وهو الاسلام الحقیقی یهتدی به علیها کما یهتدی بالعلم المرفوع للعسکر والمارة علی مقاصدهم **وقوله** فرض علیکم حجه واوجب علیکم وفادته الی اخره تاکید لما سبق وذکر الخطاب الموجب للحج وهو قوله ولله علی الناس حج البیت من استطاع الیه سبیلا وبالله العصمة والتوفیق

ومن خطبة له علیه السلم بعد انصرافه من صفین استتماما واستسلاما لعزته واستعصاما من معصیته واستعینه فاقة الی کفایته انه لا یضل من هداه ولا یئل من عاداه ولا یفتقر من کفاه فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن واشهد ان لا اله الا الله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها نتمسک بها ابدا ما ابقانا وندخرها لاهاویل ما یلقانا فانها عزیمة الایمان وفاتحة الاحسان ومرضاة الرحمن ومدحرة الشیطان واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالدین المشهور والعلم المأثور والکتاب المسطور والنور الساطع والضیاء اللامع والامر الصادع ازاحة للشبهات واحتجاجا بالبینات وتحذیرا بالآیات وتخویفا للمثلات والناس فی فتن انجذم فیها حبل الدین وتزعزعت سواری الیقین واختلف النجر وتشتت الامر وضاق المخرج وعمی المصدر فالهدی خامل والعمی شامل عصی الرحمن ونصر الشیطان وخذل الایمان

فانهارت دعائمه وتنکرت معالمه ودرست سبله وعفت شرکه اطاعوا الشیطان فسلکوا مسالکه ووردوا مناهله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه فی فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت علی سنابکها فهم فیها تائهون حائرون جاهلون مفتونون فی خیر دار وشر جیران نومهم سهود وکحلهم دموع بارض عالمها ملجم وجاهلها مکرم **اقول** صفین اسم موضع بالشام والاستسلام الانقیاد ووائل فلان یئل اذا وئل ای نجا والموئل الملجأ والفاقة الفقر ولا فعل لها ومصاص کل شیء خالصه والذخیرة الخبیئة والاهاویل الامور المخوفة التی یعظم اعتبار النفس لها وعزیمة الایمان عقدا لقلب علیه والمدحرة محل الدحر وهو الطرد والابعاد والمأثور المقدم علی غیره والمأثور ایضا المنقول والمثلة مثله بفتح المیم وضم الثاء وهی العقوبة والفتن جمع فتنة وهی کل امر صرف عن قصد الله واشغل عنه من بلاء ومحنة وهو شیع والجذم القطع والزعزعة الاهتزاز والاضطراب والسواری الاساطین والنجر الطبع والاصل والمعالم الاثار لان بها یعلم الشیء ویستدل علیه والشرک جمع شرکة بفتح الشین والراء وهی معظم الطریق ووسطها والخامل الساقط والمناهل المشارب وانهارت انهدمت والسنابک اطراف مقدم الحوافر الواحد سنبک والسهود مصدر کالجحود مرادف السهاد والارق واعلم ان المراد بالحمد ههنا الشکر واستتماما وما بعدها من المنصوبات منصوبات علی المفعول له وقد جعل علیه السلم الحمد هیهنا غایتین الاولی منهما الاستتمام لنعم الله وذلک لان العبد لیستعد لمزید النعم وهو فی ذلک ناظر الی قوله تعالی ولئن شکرتم لازیدنکم لما یشتمل علیه الایة من البعث علی رجاء المزید والثانیة الاستسلام لعزته فان العبد ایضا یستعد بکمال الشکر لمعرفة المشکور وهو الله سبحانه وهی مستلزمة للانقیاد لعزته والخضوع لعظمته وهو فی ذلک ناظر الی قوله ولئن کفرتم ان عذابی لشدید لما یشتمل علیه الایة من التخویف المانع من مقابلة نعم الله بالکفر ثم لما کان الاستعداد لتمام النعم والتأهل لکمال الخضوع والانقیاد لعزة الله سبحانه انما یکون یتم بعد ان یکون العنایة الالهیة اخذة بضبعی العبد وجاذبة دعون ورطات المعاصی مبعدة له عن اسباب التورط فیها بکفایة الموت والاسباب الداعیة الی ارتکاب احد طرفی الافراط والتفریط جعل علیه السلم للحمد غایة اخری هی الوسیلة الی الغایتین المذکورتین وهی الاستعصام بالله سبحانه من معصیته وعقب ذلک الشکر بطلب المعونة علی تمام الاستعداد لما سال وشکر لاجله وجعل لتلک الاستعانة علة حاملة وهی الفاقة نحو غایة هی کفایة دواعی التفریط والافراط بالجذبات الالهیة ولاشک ان الغایتین المذکورتین لا یتم بدون عصمته والمعونة بکفایته وذلک قوله استعصاما من معصیته واستعینه فاقة الی کفایته **وقوله** انه لا یضل من هداه ولا یئل من عاداه ولا یفتقر من کفاه تعلیل لطلبه المعونة علی تحصیل الکفایة فانه لما کان حصول الکفایة مانعا من دواعی طرفی التفریط والافراط کان العبد مستقیم الحرکات علی سواء الصراط وذلک هدی الله یهدی به من یشاء وکانه قال واستعینه

على ان يرزقني الكفاية المستلزمة للهداية التي هي الغنى الحقيقي والملك الابدي فانه لا يضل من هداه ولا ينجو
من عذابه من عاداه واعرض عن شكره والاستعانة به وقد اطلق عليه السلام ههنا لفظ المعاداة تبعا لاطلاقها
القرآن الكريم على ما هو من لوازمها وهو الاعراض عن عبادته والبغض لها ولمن تلبس بها من عباده مجازا قوله
فانه ارجح ما وزن وافضل ما خزن الضمير يعود الى الله سبحانه ولما كانت ذاته مقدسة عن الوزن والخزن اللذين
هما من صفات الاجسام فبالحري ان يكون المقصود رجحان عرفانه في ميزان العقل اذ لا يوازنه عرفان ما عداه
بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتى يصدق هناك موازنة يقال انها ارجح ويكون المراد بخزن
خزن ذلك العرفان في اسرار النفوس القدسية وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه قوله احمده من الحمد على طريقة
قولهم من كذب كان شرا له قوله واشهد ان لا اله الا الله هذه الكلمة اشرف كلمة وحد بها الخالق
عز اسمه وقد اشرنا في الخطبة الاولى الى ما تضمنه تركيبها من حسن الوضع المؤدي المقصود التام منها وبالجملة
فهي منطبقة على جميع مراتب التوحيد وقد زعم النحويون ان فيها شيئا مقدرا يكون خبرا للا وهو اما موجود
لا اله الا الله او لا اله موجود الا الله واعلم ان كل تقدير يقدر ههنا فهو مخرج لهذه الكلمة عما قصد به
اطلاقها وهو تقييدها بالتخصيص لركن وهو ما يحوج الانسان من نفسه عند الاعتبار فالاولى ان يكون
خبرا هو قولنا الا الله وحينئذ لا حاجة الى التقدير امر زائد وقد وردت لهذه الكلمة فضائل الاولى قوله صلى الله
عليه وآله افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله الثانية عن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وآله
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشر وكأني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون
شعورهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الثالثة روي ان المأمون لما انصرف من مرو يريد
العراق واجتاز نيشابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا عليه السلام فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا
نسألك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا بحديث ينفعنا فروى عن ابيه عن آبائه عن رسول الله صلى
الله عليه وآله عن جبرئيل عن ربه انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن من عذابي الرابعة قال صلى الله
عليه وآله امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله قال بعض العلماء ان الله تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة
والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله عليه السلام من اخرج لسانه من الغلاف
المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد المرئي ومن اخرج لسان قلبه من الغلاف الذي
لا يرى وهو غلاف الشرك فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف عذاب الآخرة في غمد الرحمة واحدة بواحدة
جزاء ولا ظلم اليوم قوله شهادة ممتحنا اخلاصها معتقدا مصاصها وصف الشهادة بوصفين جريا
على عرف هذا والممتحن المختبر اراد انه يختبر نفسه في اخلاص هذه الشهادة واجرائها عريقة
عن شبهات الباطل معرضة عن كل خاطر سوى الحق سبحانه متمثلة فيها حلية التوحيد وخالصة مبرأة عن

شوائب الشرك الخفي كما عرفت من التوحيد المطلق والاخلاص المحقق قوله نتمسك بها ابدا ما ابقانا وندخرها
لاهاويل ما يلقانا فانها عزيمة الايمان الى قوله ومدحرة الشيطان اشارة الى انه يجب التمسك بها مدة البقاء
في دار الدنيا لعظائم الامور والاستعداد بها لاهوال الآخرة وشدائدها ثم عقبها بذكر علة التمسك
بها وادخارها وذكر اربعة اوصاف توجب ذلك اولها انها عزيمة الايمان وعزيمته المطلوبة
لله سبحانه من خلقه وكل ما عداها مما وردت به الشريعة من قواعد الدين وفروعه فهي حقوق لها وتوابع
ومتممات ومعينات على الوقوف على سرها والوصول الى اخلاصها وثانيها انها فاتحة الاحسان فانها
اول كلمة افتتحت بها الشريعة واستعد العبد بالسلوك في طريق اخلاصها لافاضة احسان الله ونعمه
شيئا فشيئا وكما انها اول مطلوب لله من خلقه في فطرهم الاصلية وعلى السنة رسله عليهم السلام فهي ايضا
غايتهم التي يسلكون باخلاصها استصحاب مصاحبتها السعادة الباقية وثالثها انها مرضاة الرحمن وذلك
ظاهر انها علة رضوان الله والسبب المستلزم لتمام رحمته ومزيد نعمته على من تنور بها ورفع السخط عنه كما قال امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله الخبر ورابعها انها مدحرة الشيطان وذلك ايضا ظاهر فان غاية سعي
الشيطان هو الشرك الظاهر او الخفي وهذه الكلمة انما وضعت في مقابلة دعوته فظاهرها دافع لظاهر ما يدعو
اليه ومعناها قامع لباطن ما يدعو اليه وكما ان الشرك على مراتب لا يتناهى فكذلك الاخلاص في هذه الكلمة
فبقدر كل رتبة من السلوك في اخلاصها يسقط في مقابلته رتبة من الشرك ويبطل سعي الشيطان
في بناء تلك الرتبة الى ان يتم الاخلاص بقدر الامكان فحينئذ تنهدم قواعد الشيطان بكليتها ويصير العبد
مطرودا عن قولة ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب قوله واشهد
ان محمدا عبده ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله يجري بها لسانه واطمأن بها قلبه حرمت النار عليه وانما قرنت هذه الكلمة بكلمة التوحيد لانك عرفت ان
غرض الشريعة انما هو اخلاص تلك الكلمة ولن يحصل اخلاصها الا بسلوك مراتبها ولن يحصل ذلك الا بمعرفة
كيفية السلوك وعلمت ان مدار ارسال الرسل ووضع الشرائع لتعريف كيفية السلوك في درجات الاخلاص
فكانت الشهادة والاقرار بصدق المبلغ لهذه الرسالة والمبين لطريق الاخلاص اجل كلمة بعد كلمة الاخلاص
لانها بمنزلة الباب لها فلاجل ذلك قرنت بها قوله ارسله بالدين المشهور الى قوله والامر الصادع اشارة
الى تعظيم الرسول صلى الله عليه وآله بما جاء به واشار بالدين المشهور الى دينه المشتمل على تعريف كيفية السلوك
الى الصراط المستقيم وبالعلم المأثور الى اعتبار كون ذلك الدين هاديا قائدا للخلق يهتدون به الى حضرة القدس التي
هي مقصد جميع الشرائع اذ ذلك هو شأن العلم وكونه مأثورا اشارة اما الى كونه مقدما على سائر الاديان كما تقدم العلم
ويهتدي به قوم بعد قوم او الى نقله من قرن الى قرن وبالكتاب المسطور الى القرآن المسطورة حقائقه في اللوح المحفوظ
وبالنور الساطع والضياء اللامع الى السنة الذي جاء به الرسول عليه السلام بحسب هذه الطريقة وامر بقصده منها

وهو نور تستشرق به مرائي النفوس الصافية عن صدا الشبهات وكدورات الشرك وبخصوصية الامر ووصفه
بكونه صادعا الى اعتبار قهرهم باوامر الله وردعه لمن سلك الطريق المامور بسلوكها عن رغبة واختيار حتى شق
بالامر الالهي وجه باطله وصدع ما كان ملتئما من بناء فساده كما قال تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين
قوله ازاحة للشبهات الى قوله وتخويفا بالمثلات اشارة الى الوجوه القريبة لمقاصد البعثة وذكر ع
منها ثلثة مقاصد اولها ازاحة الشبهات وهو اهمها فان حذف شواغل الدنيا وشبهات الباطل
عن قلوب الخلق اهم مقاصد الشارع الثاني تلك الازاحة وهو الاحتجاج على الخلق بالحجج الواضحة لهم والخطابات
الواصلة الى اقصى اذهانهم كما قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن الثالث التحذير بالايات النازلة بالعصاة والتخويف
بالعقوبات الواقعة باهل الجنايات كما قال تعالى اولم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في
ذلك لايات لاولي النهى وهذا الانذار موبد للحجج والخطابات الشرعية في حق من لم يرزق صفاء ذهن يؤثر فيه
مجرد الخطاب فيحتاج الى التحذير والانذار قوله والناس في فتن انجذم فيها حبل الدين الى قوله يترددون
اقول يحتمل ان يكون الواو في قوله والناس للابتداء ويكون ذلك شروعا منه عليه السلم في ذم احوال زمانه
وما هم فيه من البلاء والمحنة والمخاوف والحروب بسبب تشتت اهوائهم واختلاف آرائهم وغرضه عليه السلم
تنبيه السامعين على ما هم غافلين عنه مما هم فيه من الفتن المشتملة على المذام التي عوقها ليتنبهوا من رقدة الغفلة
ويشمروا في سلوك سبيل الحق عن ساق الجد والاجتهاد وذكر من المذام التي حصل الناس عليها بسبب ما هم فيه
من الفتن امورا يجمع حاصلها وان تعددت الى ترك مراسم الشريعة وعدم سلوك سبيل الحق وارتكاب طريق
الباطل فانقطاع حبل الدين اشارة الى انحراف الخلق عن سواء السبيل وعدم تمسكهم بامر الله سبحانه حال
وقوع تلك الفتن واستعمال لفظ الحبل ههنا وفي التنزيل الالهي تمسكوا بحبل الله جميعا استعارة لقانون
الشريعة المطلوب منها الرفعة والتمسك به وكذلك استعمال لفظ السواري اما لقواعد الدين واركانه
المامور بتشييدها كالجهاد الذي هو اقوى مطالبه عليه السلم في ذلك الوقت من الناس ويكون المراد عن
عدم استقامتها واستقرار الناس عليها مجازا واما لاهل الدين الذي به يقوم ورجاله العاملون به الذين
لم ياخذهم في الله لومة لائم وتزعزعها موت اولئك وخوفهم من الاعداء المارقين وكذلك استعارة لطيفة
ووجه المشابهة فيها ظاهرة واشار باختلاف النجر الى اختلاف الاصل الذي كان يجمع الخلق والفطرة التي
فطر الناس عليها وهو دين الشريعة بلزومها فانها كانت متفقة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله فاختلف
بعده بسلوك كل فرقة مذهبا غير الاخرى على ان النجر هو الحسب ايضا والحسب هو الدين فيحتمل ان يريد اختلاف
الدين واشار بتشتت الامر الى تفرق كلمة المسلمين وبقوله وضاق المخرج وعمي المصدر الى ان الخلق بعد ورطهم
في فتن الشبهات الموجبة لتفرق كلمتهم ضاق مخرجهم منها وعمي عليهم طريق صدورهم منها والعمى ههنا
هو المشار اليه بقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وهو استعارة حسنة

سبب

اهل

ان العمى حقيقة عبارة عن عدم ملكة البصر ووجه المشابهة ان الاعمى كما لا يهتدي لمقاصده المحسوسة
بالبصر لعدمه كذلك اعمى البصيرة لا يهتدي لمقاصده المعقولة لاختلال بصيرته وعدم عقله لوجوه
رشده واشار بخمول الهدى الى عدم ظهوره بينهم حال تمامهم عن مصدره من ضلالتهم اذ كان ضوءه ساقطا
بينهم غير موجود والفاء لعطف الجملة الاسمية على الفعلية واشار بشمول العمى الى اشتراكهم في عدم رؤيتهم
لسبيل الحق الذي به يخرجون من شبهات الباطل وظلماته ثم اشار بعصيانهم للرحمن ونصرهم للشيطان الى ان
ما هم فيه جود عن الحق ونصرة للباطل الذي هو مامور الشيطان فلا جرى ان يكون نصرة للشيطان وعصيانا
للرحمن ومن نصر الشيطان بالذب عن الباطل فقد خذل الايمان بتركه تشييد قواعده والذب عنه وترك الاله
وخذلانه لا يبقى له دعائم يقوم بها ويخلد والاشارة بالدعائم والمعالم الى دعاة الحق وحملة الايمان بانهيارها الى
عدمهم وعدم قبول قولهم وبتنكر المعالم الى عدم معرفتهم في الخلق لجهلهم ويحتمل ان يراد بالدعائم القواعد التي
الدين كالجهاد ونحوه وانهيارها عدم القيام بها وبتنكر المعالم الى المحاية من القلوب التي هي معالم الدين ومحاله
ودروس سبله وعفاء شركه الى انه لم يبق له اثر يعرف به وكل ذلك مبالغة في ضعف الدين ومسالك الشيطان
ومناهله ما يوجههم اليه من مناهي الله سبحانه فيتبعونه فيها واعلام الشيطان والويته اما القادة اليه والدعاة
الى باطله المقتدى بهم او صور الباطل التي تصورت في اذهان الخلق وصارت غايات لهم فانقادوا لها واستعبدوها نحو
كالاعلام والالوية في الحروب وغيرها قوله في فتن داستهم باخفافها ووطئتهم باظلافها وقامت على سنابكها
يحتمل ان يكون في فتن متعلقا بقوله بهم سارت اعلامه وقام لواؤه ويحتمل ان يتعلق بمقدر ويكون خبرا ثانيا
لقوله والناس وهذه الفتن هي التي اشار اليها اولا وانما اوردها ثانيا بزيادة اوصاف فبالغ عليه السلم
في تشبيهها بانواع الحيوان فاستعار لها اخفافا واظلافا وحوافر وجعل لها دوسا ووطيا وقياما على الحوافر
ويحتمل ان يكون هناك اضمار اي داستهم باخفاف ابلها ووطئتهم باظلاف غنمها وقامت على سنابك خيلها
بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وحينئذ يكون التجوز في نسبة الوطي والدوس والقيام
اليها فقط وهو المجاز في الاسناد قوله فهم فيها تائهون الفاء للتعقيب واشار بتيههم الى ضلالهم
عن القصد في ظلمات الفتن وبحيرتهم الى ترددهم في ان الحق في اي جهة وعدم درايتهم اهو مع معوية
وبجهلهم الى عدم علمهم بالحق واعتقاد بعضهم الباطل عن شبهة تحكيم الحكمين واعتقاد آخرين له عن
شبهة دم عثمان وامثال ذلك مما هو جهل مركب وبكونهم مفتونين الى فتنة غيرهم لهم واضلاله عن الحق
وهو الشيطان واتباعه قوله في خير دار وشر جيران هذا الظرف يجوز ان يكون كالذي قبله في كونه
خبرا ثالثا ويجوز ان يتعلق بقوله تائهون او ما بعده من الافعال وقد اختلف الشارحون لكلامه عليه السلم
في مراده بخير دار فقال بعضهم اراد الشام لانها الارض المقدسة واهلها القاسطون وقال معنى نومهم
سهود وكحلهم دموع اي انهم لا ينامون اهتماما باموره واعدادا انفسهم للقتال ويكون قلدهم وقوله بارض

بها

قوله

عالمها ملجم يريد نفسه والناصرون للحق وجاهلها مكرم يريد معوية وقال آخرون اراد بخير دار العراق وشر
جيران يعني اصحابه المستصرخ بهم للجهاد وانما كانوا شر جيران اي شر متجاورين لتخاذلهم عن الحق ونصرة الله
لان خير المتجاورين المتعاضدون في الله وقوله نومهم سهود اي خوفا من الحرب وحيرة في التدبير وكحلهم
دموع اي يبكون فلاحهم ايضا وقيل نفاقا لان من تم نفاقه ملك عينيه وقال اخرون اراد بها دار الدنيا لا
دار العمل واكثر الخلق بها اشرار وجهال وليس المقصود بكونها خير تفضيلها على غيرها لتوهم انها افضل من الاخرة
بل اثبات فضيلتها فقط فان افعل التفضيل كما يرد لاثبات الافضلية كذلك يرد لاثبات الفضيلة والدنيا
دار فاضلة لمن قام فيها باوامر الله وراعي ما خلق لاجله وهي مزرعة الاخرة كما ورد به الحديث وكون اهلها
شر جيران فاما شر متجاورين كما سبق او شر جيران لمن التجا اليهم وجاورهم للاستنصار بهم على اعداء الدين وذلك بعدم
نصرتهم له والقيام معه وقوله نومهم سهود وكحلهم دموع ظاهر عموم لفظ الناس في اصحابه واصحاب معوية
ومن عناه امر الحرب ودخل فيها وقد بالغ عليه السلام في وصفهم بقلة النوم لخوف الحرب وهجوم بعضهم على بعض و
شدة اهتمامهم بامر القتال وحيرتهم في تيه الباطل حتى للحق فلذ نومهم بالسهود لاستلزامه عدم النوم
فاستعار لفظه وصيره هو هو وقوله وكحلهم دموع بالغ في تشبيه دموعهم بالكحل وصيره هو هو ووجه
المشابهة ان الدموع لكثرة منهم وملازمته اجفانهم اشبه في ذلك الامر الكبير المعتاد لعيونهم وهو الكحل
فلذلك استعار لفظ الكحل له وقوله بارض عالمها ملجم وجاهلها مكرم الجار والمجرور حكمه حكم الظرف الذي قبله
فيما يتعلق به ثم ان حملنا خير دار على الدنيا كان قوله بارض تخصيصا لمكان الناس من الدنيا فكانه قال والناس في خير
دار هي الدنيا وهم منها بارض من حالها ان عالمها ملجم لجام الذل من اهلها عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لعدم العلم بينهم وغلبة الجهل عليهم وجاهلها مكرم لمناسبته لهم في الجهل وموافقته لهم على الباطل وكون المراد
بتلك الارض ما الشام والعراق وان حملنا خير دار على الشام والعراق كان قوله بارض من حالها كذا يجري مجرى البيان
لها ويكون الذم اللاحق من هذا الكلام راجعا الى اهل تلك الارض لتعلق لجام العالم واكرام الجاهل بهم ثم
نسب ذلك اليها لكونهم بها اذ لو ورد الذم الى الارض لنافي ذلك وصفه لها بانها خير دار ويحتمل ان يكون
الواو في قوله والناس للحال والعامل ارسله والفتن المشار اليها هي فتن العرب في الجاهلية وحال البعثة
وخير دار يعني مكة وشر جيران يعني قريشا والعالم الملجم هو من كان حينئذ عالما بصدق الرسول وحق بعثته
فهو ملجم لجام التقية والخوف والجاهل المكرم هو من كذبه وهذا الاحتمال حسن واعلم ان الذي حاذر اليه الرضي
ان هذا القدر الذي اورده السيد من هذه الخطبة فصول ملفقة ليست على نظامها التي خرجت عليه
وان كان كذلك فرعا الموح لها والنظمت مقاصد توضح ما اورده الناس واختلفوا فيه منها والله اعلم منها
ويعني ال النبي صلى الله عليه وآله هم موضع سره ولجاء امره وعيبة علمه وموئل حكمه وكهوف كتبه وجبال دينه
بهم اقام انحناء ظهره واذهب ارتعاد فرائصه اقول اللجاء الملجا والموئل المرجع من آل يؤول الى كذا اذا رجع

وانتهى اليه والانحناء الاعوجاج والفرائص جمع فريصة وهي اللحمة التي من الجنب والكتف لا تزال ترعد
من الدابة وقد وردت هذه القراين الاربع بالسجع المتوازي والضماير المفردة ههنا كلها راجعة الى الله تعالى
الا الضمير في ظهره وفرائصه فانهما للرسول صلى الله عليه وآله كما سبق ذكر الله ورسوله في صدر الخطبة
وقيل الكل للرسول صلى الله عليه وآله واشار بكونهم موضع سره الى كمال نفوسهم عليهم السلام لاسرار الله وحكمته
اذ الموضع الحقيقي للشيء هو ما قبله واستعد له وبكونهم ملجا امره الى انهم الناصرون له والقائمون باوامر الله
والذابون عن الدين فاليهم ملتجى وبهم يقوم سلطانه وكونهم عيبة علمه مرادف لكونهم موضع سره اذ يقال في
العرف فلان عيبة العلم اذا كان موضع اسراره ولفظ العيبة استعارة لنفوسهم الشريفة ووجه المشابهة
ظاهر اذ العيبة لما كان من شانها حفظ ما يودع فيها وصيانته عن التلف والادناس وكانت اذهانهم
الطاهرة حافظة للعلم عن عدمه وصاينة له عن تدنسه باذهان غير اهله لا جرم حسنت استعارة لفظ العيبة
لاذهانهم وبكونهم موئل حكمه الى كونهم مرجعا للحكمة اذا ضلت عن اذهان غيرهم فمنهم تطلب وعنهم تكتسب وبكونهم
كهوف كتبه الى انهم اهل حفظها ودراستها وتفسيرها وعندهم علمها وتاويلها والكتب اشارة الى القرآن وما قبله
من كتب الله كما نقل عنه عليه السلام في موضع آخر لو كسرت لي الوسادة ثم جلست عليها لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم
وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الزبور بزبورهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر
او سهل او جبل او سماء او ارض ليل او نهار الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي وقت نزلت واستعارة لفظ الكهف
قريبة من استعارة لفظ العيبة وبكونهم جبال دينه الى ان دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشياطين و
تبديلهم وتحريفهم كما يعتصم الخايف بالجبل الحصين وهي استعارة لطيفة وقوله بهم اقام انحناء ظهره اشارة الى ان
الله سبحانه جعلهم له اعضادا يشدون ازره ويقومون ظهره وفي بدء امره وانحناء الظهر كناية عن ضعفه
في بدو الاسلام فبالحري ان يكون اقامتهم لانحناء ظهره تقويتهم لذلك الضعف بالنصرة للدين والذب عنه
وقوله واذهب ارتعاد فرائصه اي ان الله ازال عنه بمعونتهم خوفه الذي كان يتوقعه من المشركين على حوزة الدين
وهو كناية عن الشيء ببعض لوازمه اذ كان ارتعاد الفرائص من لوازم شدة الخوف وكل هذه الامور ظاهرة لاهل
الادنين من بني هاشم كالعباس وحمزة وجعفر وعلي بن ابي طالب في الذب عن الرسول صلى الله عليه
وآله والهداية اليه والبلاء في الدين والله اعلم منها زرعوا الفجور وسقوه الغرور وحصدوا الثبور
لا يقاس بال محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا
هم اساس الدين وعماد اليقين اليهم يفيء الغالي وبهم يلحق التالي ولهم خصايص حق الولاية وفيهم الوصية
والوراثة الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله اقول الغرور الغفلة والثبور الهلاك والقياس
نسبة الشيء الى الشيء والحاقه به في الحكم وفاء يفيء رجع والغلو تجاوز الحد الذي ينبغي الى ما لا ينبغي والتالي
التابع والولاية الاسم من قولك وليت الامر اليه وليا واصله القرب من الشيء والدنو منه والخصايص

جمع خصيصه وهي فعيلة بمعنى فاعلة اى خاصة المختصة واعلم ان قوله زرعوا الفجور وسقوه الغرور استعارة لطيفة فان الفجور لما كان هو الخروج عن ملكة العفة والزهد وتجاوزها الى طرف الافراط منهم وكان معنى الزرع القاء الحب فى الارض استعار عليه السلم لفظ الزرع لبذر الفجور فى اراضي قلوبهم ولان انتشاره عنهم ونموه فيهم يشبه نمو الزرع وانتشاره فى الارض ولما كان غرورهم وغفلتهم عن الطريق المستقيم عنها وتجاوزهم الى طرف الافراط ومهاوى الهلاك وهو مادة تماديهم فى غيهم وزيادة فجورهم وعمى قلوبهم عن سواء السبيل اشبه الماء الذي هو سبب حيوة الزرع ونموه ومادة زيادته ولاجلها حسنت استعارة لفظ السقى الذى هو خاصة الماء له ونسبته اليهم ثم لما كانت غاية ذلك الفجور هلاكهم فى الدنيا بالسيف وفى الاخرة بعذابها لا جرم اشبهت تلك الغاية الثمرة فاستعير لكونها غاية لهم لفظ الحصاد ونسب اليهم وقد اشتملت هذه الالفاظ مع حسن الاستعارة على الترصيع قال الوبري رحمه الله الاشارة بهذا الكلام الى الخوارج وقيل فى المنافقين كما ورد مصرحا به فى بعض النسخ والقول بجملان يكون متناولا لكل من نابذه عليه السلم وخرج عن طاعته زاعما انه بذلك متعصب للدين وناصر له وذلك لان الفجور كما عرفت عبود وتجاوز للعفة الى طرف الافراط وكل من نابذه عليه السلم وهو مدعى انه طالب للحق فقد خرج فى طلبه للحق عن حاق العدل وتعدا الى طرف الفجور والغلو ويدخل فى ذلك القاسطون وهم اصحاب معوية والمارقون وهم الخوارج ومن فى معناهم اذ زعم الكل انهم بقتاله طالبون للحق ناصرون له قوله لا يقاس بآل محمد عليه السلم من هذه الامة احد الى آخره مدحهم مستلزم لاسقاط غيرهم عن بلوغ درجتهم واستحقاق منزلتهم والكلام وان كان عاما فى تفضيل آل محمد على كل من عداهم من امته الا انه خرج على سبب وهو قاله عليه السلم مع معوية فانه هو مشير الى تفضيله نفسه على معوية وعدم ترشحه للخلافة فقوله لا يقاس بآل محمد من هذه الامة احد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه ابدا اشارة الى عدم مناسبة غيرهم لهم فى الفضل والنعمة ههنا نعمة الدين والارشاد اليه والحكم ظاهر الصدق فان المنعم عليه بمثل هذه النعمة التي لا يمكن احد ان يقابلها بجزاء لا يساوي ابدا ان يصير فى رتبة المنعم وخواصه الذين اختصهم بزيدها على حسب استحقاقهم واستعدادهم التام الوافر على اهل غيرهم لها ولا يبلغ درجتهم حتى يقوم مقامهم مع جودهم فى افاضة هذه النعمة واعداد سائر الامة لها وتعليمهم وارشادهم الى كيفية الوصول بها الى الله سبحانه وقولهم هم اساس الدين اشارة الى ان بهم استقامته وثباته وتفرعه عنهم كما يقوم البناء على اساسه وكذلك قوله وعماد اليقين وقوله اليهم يفئ الغالى اشارة الى ان المتجاوز للفضائل الانسانية التي مدارها على الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة الى طرف الافراط منها يرجع اليهم ويهتدى بهم فى تحصيل هذه الفضائل لكونهم عليها الحد الوسط بينهما واشار بقوله وبهم يلحق التالى الى ان المقصر عن بلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التفريط فى تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها ومعونة الله له بالهداية الى ذلك وقوله ولهم خصائص حق الولاية اشارة الى ان ولاية امور المسلمين وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله لها خصائص هى موجودة فيهم وشروط بها يتاهل الشخص لها ويستحقها وتلك

ما نبهنا عليه من الفضائل الاربع النفسانيه ولا شك فى صدقه عليه السلم فى ذلك فان هذه الفضائل وان وجد بعضها او كلها فى غيرهم فمنهم اخذوا اليهم فيها انتسبوا وهل يقاس بين البحر والوشل قوله وفيهم الوصية والوراثة اشارة الى اختصاصه عليه السلم بوصية رسول الله صلى الله عليه واختصاص اهله بوراثته وقيل اراد بالوراثة ما يراه هو انه اولى به من امر الخلافة وقوله الان اذ رجع الحق الى اهله ونقل الى منتقله فى بعض النسخ فقد رجع وذلك اشارة منه عليه السلم الى ان الامامة كانت فى غير اهلها وانه هو اهلها والان وقت رجوعها اليه بعد انتقالها عنه ولفظ الحق وان كان يحتمل حقا آخر غير الامامة الا انها المتبادرة الى الذهن من اللفظ ههنا والله الموفق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم المعروفة بالشقشقية

وتعرف بالمقمصة اما والله لقد تقمصها فلان وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عنى السيل ولا يرقى الى الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتأى بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرايت ان الصبر على هاتا احجى فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا ارى تراثى نهبا حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده ثم تمثل بقول الاعشى شتان ما يومى على كورها ويوم حيان اخي جابر فيا عجبا بينا هو يستقيلها فى حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها فصيرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمنى الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم انى احدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب فيّ مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا فصغا رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى ان قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعني الا والناس الى كعرف الضبع ينثالون على من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطافي مجتمعين حولى كربيضة الغنم فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون كانهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا فى اعينهم وراقهم زبرجها اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز قال وقام اليه رجل من اهل السواد عند بلوغه الى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا فاقبل ينظر فيه فلما فرغ من قرائته قال له ابن عباس رحمة الله عليه يا امير المؤمنين لو اطردت مقالتك من حيث افضيت فقال هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرت قال ابن عباس فوالله ما اسفت على كلام قط كاسفي على ذلك الكلام الا يكون امير المؤمنين بلغ منه حيث اراد اقول اعلم ان هذه الخطبة وما فى معناها مما

هو عدولهم

ونوله

٨٢

الامام ابن ابي قحافة

الامام اخي عدي

ونهاه

الزهد

على شكايته وتظلمه في امر الامامة هو محل الخلاف بين الشيعة وجماعة من مخالفيهم فان جماعة من الشيعة
ادعوا ان هذه الخطبة وما في حكمها مما اشتمل عليه هذا الكتاب منقول على سبيل التواتر وجماعة من السنة
بالغوا في انكار ذلك حتى قالوا انه لم يصدر عن علي عليه السلم شكاية في هذا الامر ولا تظلم اصلا ومنهم من انكر هذه
الخطبة خاصة ونسبها الى السيد الرضي رضي الله عنه والتصدي للحكم في هذا الموضع هو محل التهمة
الشارحين وانا بحمد الله على اني لا احكم في هذا الكلام الا بما اجزم به او يغلب على ظني انه من كلامه
او هو مقصوده فاقول ان كل واحد من الفريقين المذكورين خارج عن العدل اما المدعون لتواتر هذه الالفاظ من الشيعة
فهم في طرف الافراط واما المنكرون لوقوعها اصلا فهم في طرف التفريط اما ضعف كلام الاولين فلان المحققين
من الشيعة لم يدعوا ذلك ولو كان كل واحد من هذه الالفاظ منقولا بالتواتر لما اختص به بعض الشيعة دون
بعض واما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه السلم فيحتمل انكارهم وجهين احدهما ان يقصدوا بذلك تطيبة
العوام وتسكين خواطرهم عن اثارة الفتن والتعصبات الفاسدة ليستقيم امر الدين ويكون الكل على نهج واحد
فيظهروا لهم انه لم يكن بين الصحابة الذين هم اشراف المسلمين وساداتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي الكل بهم من جميع
ذلك وهذا مقصد حسن ونظر لطيف لو قصدوا والثاني ان يكون ذلك عن اعتقاد انه لم يكن هناك خلاف
بين الصحابة ولا مناقشة في امر الخلافة والانكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقده الا جاهل لم يسمع خبرا ولا
لم يعاشر احدا من العلماء فان امر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عن البيعة امر ظاهر
لا يدفع ومكشوف لا يمنع حتى قال اكثر الشيعة انه لم يبايع اصلا ومنهم من قال انه بايع بعد ستة اشهر كرها
وقال مخالفوهم انه بايع بعد ان تخلف في بيته مدة وطال طويلة وكل ذلك مما يقتضي الضرورة معه بوقوع الخلاف
والمناقشة بينهم والحق ان المناقشة كانت ثابتة بين علي عليه السلم وبين من تولى امر الخلافة في زمانه والشكاية
والتظلم الصادر عنه في ذلك الامر معلوم بالتواتر المعنوي فانا نعلم بالضرورة ان الالفاظ المنقولة عنه المتضمنة
للتظلم والشكاية في امر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون باسرها كذبا لابد وان يصدق واحد
منها وانها صدق يثبت فيه الشكاية اما خصوصيات الشكايات بالفاظها المعينة فغير متواترة وان كان
بعضها اشهر من بعض فهذا ما عندي في هذا الباب بعد التحري والاجتهاد وعلى هذا التقدير لا يبقى لانكار
كون هذه الخطبة صادرة عنه عليه السلم ونسبتها الى الرضي معنى فان مستند ذلك الانكار هو ما يشتمل
عليه من التصريح بالتظلم والشكاية ومستند انكار ذلك منه عليه السلم هو اعتقاد انه لم يكن له منازعة في هذا
الامر وانت تعلم ان ذلك الاعتقاد فاسد وعلى ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضي
روي عن مصدق بن شبيب النحوي قال قرات هذه الخطبة على شيخي ابي محمد بن الخشاب فوصلت الى قول ابن
عباس ما اسفت على شيء كاسفي على هذا الكلام قال لو كنت حاضرا لقلت لابن عباس وهل ترك ابن عمك
في نفسه شيئا لم يقله في هذه الخطبة فانه ما ترك لا الاولين ولا الاخرين قال مصدق وكانت فيه دعابة فقلت

له يا سيدي فلعلها منحولة اليه قال لا والله اني لاعرف انها من كلامه كما اعرف انك مصدق قال فقلت له
ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضي فقال لا والله ومن اين للرضي هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد رأينا
كلامه في نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم في سلكه على اني قد رأيت هذه الخطبة بخطوط
العلماء الموثوق بنقلهم من قبل ان يخلق ابو الرضي فضلا عنه واقول وقد وجدتها في موضعين تاريخهما
قبل مولد الرضي بمدة احدهما انها مضمنة كتاب الانصاف لابي جعفر بن قبة تلميذ ابي القاسم الكعبي احد شيوخ
المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضي الثاني اني وجدتها بنسخة عليها خط الوزير ابي الحسن علي بن محمد بن
الفرات وكان وزير المقتدر بالله وقبل مولد الرضي بنيف وستين سنة والذي يغلب على ظني ان تلك
النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدة اذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول قوله تقمصها اي
لبسها كالقميص وقطب الرحا مسمارها الذي عليه تدور وسدلت الثوب ارخيته والكشح بفتح الكاف الخاصرة
وطفقت اخذت وجعلت وارتأى في الامر اذا فكر وطلب الراي الاصلح وصال حمل نفسه على الامر بقوة ويد جذاء
بالدال المهملة والمعجمة مقطوعة او مكسورة والطخية الظلمة كقولهم ليلة طخياء اي مظلمة وتركيب هذه
الكلمة يدل على ظلمة الامور وانغلاقها ومنه طخياء اي عجمة لا تفهم والهرم شدة كبر السن والكدح السعي
والعمل وهاتا لغة في هاتي وهي لغة في هذي بمعنى هذه واحجى اولى واحرى واخلق وهو العقل والقذى هو ما يقع
في العين من غبار ونحوه والشجي في الحلق من غصة غير الدمع والتراث وهو اسم ما يورث وادلى
فلان بكذا اي تقرب بها والقاء وشتان ما هما اي بعد وشتان ما عمرو وزيد اي بعد ما بينهما
وكور الناقة رحلها والاقالة فك عقد البيع ونحوه والاستقالة طلب ذلك وشد الامر صعب و
عظم وتشطرا اي اخذ كل شطرا وهو البعض والحوزة الطبيعة والحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف الجرح
والعثرة عثر عثورا وعثارا اذا اصابت رجله في المشي حجرا ونحوه والصعبة الناقة لم تذلل بالمحمل ولا بالركوب
وشنق الناقة بالزمام واشنق لها اذا جذبه الى نفسه وهو راكب ليمسكها عن الحركة العنيفة والخرم الشق
واسلس لها اي ارخى وتقحم في الامر اذا القى نفسه فيه بقوة ومني الناس اي ابتلوا والخبط الحركة على غير استقامة
والشماس بكسر الشين كثرة النفار والاضطراب والتلون اختلاف الاحوال والاعتراض ضرب من التلون
واصله المشي في عرض الطريق يقال مشى فلان العرضية اذا مشى في عرض الطريق خابطا عن فرح ونشاط
والشورى مصدر كالبشرى مرادف المشاورة واسف الطاير اذا دنا من الارض في طيرانه والصغو الميل بكسر الصاد
وسكون الغين وفتحها ايضا الحقد والاصهار عن ابن الاعرابي المحرم من جوار او نسب او تزويج وبعض العرب
لا يطلقه الا على اهل بيت الزوجين وعن الخليل انه لا يطلق الا على من كان من اهل المراة وهن على هن اسم
كلمة كناية عن شيء واصله هنو تقول هذا هنك اي شيئك والحضن الجانب ما بين الابط والخاصرة والنجيل
قريب من النفج والنثيل الروث والمعتلف والمعلف موضع الاعتلاف والخضم الاكل بجميع الفم وقيل المضغ

كلمة م

ما يشب م كالميراث م

الضغن بكسر الضاد م

باقصى الاضراس يقول خضم بكسر الضاد يخضم والنبتة بكسر النون النبات واسكت اشقص واجهز على
الجريح قتله واسرع وكبا الفرس سقط لوجهه والبطنة شدة الامتلاء والروع الخلد والذهن وراعني الامر افزعني
واشال الشي اذا وقع سلوا عنه بعضا العطاف الرداي ورمي عطفاي وعطفا الرجل جانباه من لدن
راسه الى وركيه والربض والربيضة الغنم برعاتها المجتمعة في مرابضها ومروق السهم خروجه من الرمية
وراقه الامر اعجبه والزبرج بكسر الزاء والراء الزينة والنسمة الانسان وقد يستعمل فيما عداه من الحيوان والمقاره
اقرار كل واحد صاحبه على الامر وتراضيهما به والكظة البطنة والغارب اعلى كتف الناقة والعفطة من الشاة
كالعطاس من الانسان وقيل هي الحبقة والشقشقة لهاة البعير يقال للخطيب ذو شقشقة اذا كان صاحب
دربة وبضاعة من الكلام واعلم ان المشار اليه بقوله فلان هو ابو بكر كما هو مصرح به في بعض النسخ
ولما بالغ عليه السلم في لبس ابي بكر الخلافة استعار لها وصف القميص وكنى عن تلبسه بها بالتقمص
والضمير المنصوب راجع الى الخلافة ولم يذكرها لظهورها كقوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل
ان يكون ذكرها مما قبل ذلك والواو في قوله وانه ليعلم ان محلي منها للحال ولما كان قطب الرحى هو
الذي به نظام حركاتها وبه يحصل الغرض منها وكان هو عليه السلم الناظم لامور المسلمين على وفق
الحكم الالهية والعالم بكيفية السياسة الشرعية لاجرم شبه محله من الخلافة بمحل القطب من الرحى
وقد جمع هذا التشبيه انواع التشبيه الموجودة في كلام العرب وهي ثلثة احدها تشبيه محله بمحل القطب من الرحى
وهو تشبيه المعقول بالمعقول فان محل القطب هو كونه نظام احوال الرحى وذلك امر معقول وثانيها تشبيه نفسه
بالقطب وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس وثالثها تشبيه الخلافة بالرحى وهو تشبيه المعقول بالمحسوس ولما كانت حاجة
الرحى الى القطب ضرورية ولا يظهر نفعها الا به فهم من تشبيه محله بمحله انه قصد ان غيره لا يقوم مقامه في امر
الامامة ولا يتاهل لها مع وجوده كما لا يقوم غير القطب مقامه في موضعه ثم اكد ذلك بقوله ينحدر عني السيل
ولا يرقى الي الطير فاستعار لنفسه وصفين احدهما كونه ينحدر عنه السيل وهو من اوصاف الجبل والاماكن المرتفعة
وكنى به عن علوه وشرفه مع فيضان العلوم والتدبيرات السياسية عنه واستعار لتلك الكمالات لفظ السيل
والثاني انه لا يرقى اليه الطير وهو كناية عن غاية اخرى من العلو اذ ليس كل مكان عال بحيث ينحدر عنه السيل
وجب ان لا يرقى اليه الطير فكان ذلك علوا ازيد كما قال ابو تمام   مكارم لجت في علو كانما   تحاول ثارا عند بعض
الكواكب قوله فسدلت دونها ثوبا كناية عن احتجابه عن طلبها والمبالغة فيها بحجاب الاعراض عنها واستعار
لذلك الحجاب لفظ الثوب استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك قوله وطويت عنها كشحا تنزيلا لها منزلة الماكول الذي
منع نفسه من اكله فلم يشتمل عليه كشحه وقيل اراد بطي الكشح التفاته عنها كما يفعل المعرض عمن الى جانبه قال طوى
كشحه عني واعرض جانبا قوله وطفقت ارتأي بين ان اصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء يريد اني جعلت
اجيل الفكر في تدبير امر الخلافة واردده بين طرفي نقيض اما ان اصول على من حازها دوني وان اترك ففي كل

من الطعام

الفكر

واحد من هذين القسمين خطر اما القيام فبيد جذاء وهو غير جائز لما فيه من التغرير بالنفس وتشويش نظام المسلمين
من غير فائدة واستعار وصف الجذاء لعدم الناصر ووجه المشابهة ان قطع اليد لما كان مستلزما لعدم
القدرة على التصرف بها والصولة وكان عدم الناصر لها والمؤيد مستلزما لذلك لاجرم حسنت الاستعارة
واما الترك ففيه الصبر على مشاهدة التباس الامور واختلاطها وعدم تمييز الحق وتجريده عن الباطل وذلك في
غاية الشدة والبلاء ايضا واستعار لذلك الالتباس لفظ الطخية وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه
المشابهة ان الظلمة كما لا يهتدى فيها للمطلوب كذلك اختلاط الامور هاهنا لا يهتدى معها لتمييز الحق وكيفية
السلوك الى الله ووصف الطخية بالعمى ايضا على وجه الاستعارة فان الاعمى لما لم يكن يهتدي لمطالبه
كذلك هذه الظلمة لا يهتدى فيها للحق ولزومه ثم كنى عن شدة ذلك الاختلاط ومقاساة الخلق بسبب عدم انتظام
احوالهم بطول مدة ذلك باوصاف احدها انه يهرم فيها الكبير والثاني انه يشيب فيها الصغير والثالث ان المؤمن المجتهد
في لزوم الحق والذب عنه يقاسي من ذلك الاختلاط شدائد ويكدح فيها حتى يلقى ربه وقيل يتعب ويجتهد في الوصول
الى حقه فلا يصل حتى يموت ثم اشار بعد ذلك الى ترجيح رايه في اختيار القسم الثاني وهو الصبر وترك القيام في هذا الا
بقوله فرايت ان الصبر على هاتا احجى والتي بنظام الاسلام ووجه الترجيح ظاهر فانه لما كان مقصوده عليه السلم
من هذه المنافسة انما هو اقامة الدين واجراء قواعده على القانون المستقيم ونظام امور الخلق كما هو المقصود من الانبياء
الشارعين صلوات الله عليهم اجمعين وكانت صولته ومحاربته لمنافسيه في الامامة بغير ناصر يثمر القيام به ومع ذلك ففيه
انشعاب امور المسلمين وتفرق كلمتهم وثوران الفتن بينهم خصوصا والاسلام غض لم ترسخ محبته في قلوب كثير الخلق
ولم يطيعوا احكامه وفيهم المنافقون والاعداء المشركون في غاية القوة من كل الاقطار لاجرم لم يمكنه مع ملاحظة هذه
الاحوال اثارة الحرب والمنازعة لاداء ذلك الى ضد ما هو مقصود بحركته ومحاربته فولاه الصبر وترك المقاومة
وان كان فيه بحسب رايه ما ذكره من اختلال الدين لانه لو كان هو القائم بهذا الامر لكان انتظامه به اتم وقوامه به اكمل
الا انه اقل بالنسبة الى الاختلال الذي كان يحصل لو نازع في هذا الامر وقام في طلبه وبعض الشر اهون من بعض قوله
فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى الواوان للحال وجعل ذلك كنايتين عن شدة ما اضمره من التاذي والغبن
بسبب سلبه ما يرى انه اولى به من غيره وما يعتقده من تخبط الدين بيد غيره قوله ارى تراثي نهبا قيل اراد
بتراثه ملك فدك فانه من رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته فكذلك فانه يصدق عليها انها ميراثه لان مال الزوجة
في حكم مال الرجل والنهب اشارة الى منع الخلفاء الثلثة لها بالخبر الذي رواه ابو بكر نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركناه فهو صدقة وقيل اراد منصب الخلافة ويصدق عليه لفظ الارث كما صدق في قوله تعالى حكاية عن
زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب فانه اراد يرث علمي ومنصبي في النبوة فكان اسم الميراث صادقا على ذلك
قوله حتى مضى الاول لسبيله فادلى بها الى فلان بعده اراد بالاول ابا بكر وبفلان عمر واشار بالادلاء
الى نص ابي بكر على ان يكون عمر هو الخليفة بعده ومضيه لسبيله انتقاله الى الدار الاخرة وسلوكه السبيل الذي

لابد منه لكل انسان ولما البيت فهو للاعشى قيس واسمه ميمون بن جندل من بني قيس من قصيدة اولها
علقم ما انت من عامر الناقض الاوتار والواتر ٭ وحيان وجابر ابنا السمين بن عمرو من بني حنيفه وكان
حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيدا مطاعا يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية
مصونا من وعثاء السفر لانه ما كان يسافر ابدا وكان الاعشى ينادمه والاديم ما ابعد ما بين يومي يومي
على كور المطية اذاب وانصب في الهواجر وبين يومي منادما حيان اخي جابر وادعا قارا في نعمة وخفض ورويـ
ان حيان عاتب الاعشى في تعريفه بنسبته الى اخيه فاعتذر اليه الاعشى بان القافية قادته الى ذلك
فلم يقبل عذره واليوم الاول في موضع رفع باسم الفعل والثاني بالعطف عليه واما غرض التمثل بالبيت فافاد
السيد المرتضى رضي الله عنه انه عليه السلم اراد بذلك ان القوم لما فازوا بما صدهم ورجعوا مطالبهم
وظفروا بها وهو في اثناء ذلك كله محقق في حقه مكذ في نصيبه كما اشار اليه بقوله وفي العين قذى وفي
الحلق شجى كان بين حاله وحالهم بعد بعيد وافتراق شديد فاستشهد عليه السلم بهذا البيت واستعار لفظ
اليومين وكنى بهما عن حاله وحالهم ووجه المشابهة في هذا المثل ان حالهم استلزم المتاعب كيومه على
كور الناقة مسافرا قلت ويحتمل ان يكون قد استعار يوم حيان لعهده مع رسول الله صلى الله عليه وآله
وما كان يحصل له في مدة صحبته من الفوائد الحكمية والكمالات من العلوم والاخلاق ويوم كونه على كور الناقة
لزمانه بعد الرسول صلى الله عليه وآله وما لحقه فيه من مقاساة المحن ومتاعب الصبر على الاذى
ووجه المشابهة ما يشتمل عليه يوم حيان وعهد الرسول من المسار وما يشترك فيه يوم كونه على كور الناقة
واوقاته بعد الرسول من المضار **قوله** فيا عجبا بينا هو يستقيلها في حياته اذ عقدها لاخر بعد وفاته الاشارة
الى ابي بكر وطلبه الاقالة هو قوله اقيلوني فلست بخيركم ووجه التعجب ههنا ان طلب ابي بكر للاقالة من هذا
الامر انما هو لثقله وكثرة شرايطه وشدة مراعاة اجراء احوال الخلق مع اختلاف طباعهم واهوائهم على
قانون واحد وخوف ان تعتريه مطايا الهوى فترميه في موارد الهلاك وعلى هذا التقدير ~~وكلما كانت مدة~~
~~ولاية الانسان~~ فكلما كانت مدة ولاية الانسان لهذا الامر اقصر كان خوفه اقل وكانت متاعبه
ايسر واسهل وسبيل طالب الاقالة من هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه لذلك ان يجري قلة متاعب
هذا الامر وامثاله ومقتضى طلبه لذلك ان يجري قلة متاعب هذا الامر ويجتهد في الخلاص
منه مهما امكنه ذلك فاذا رأيناه متمسكا بهذا الامر مدة حياته وعند وفاته يعقده لاخر بعده فيتخلا
مضار هذا الامر في حال الحياة وبعد الوفاة فلا بد وان يغلب على الظن ان طلبه للاقالة لم يكن عن قصد
صحيح فيصير ذلك الظن مقابلا لما اشتهر عنه من العدالة وذلك محل التعجب وهذا بخلاف من اشتهر
بالفسق والنفاق فانه لا يتعجب من فعله لو خالف قوله **قوله** لشد ما تشطرا ضرعيها اللام للتاكيد وما
مع الفعل بعدها في تقدير المصدر وهو فاعل والجملة من تمام التعجب وقد استعار عليه السلم لفظ الضرع

حصول المطالب الفانية كيوم حيان وحال السلم استلزم ع

شدة

ههنا للخلافة وهي استعارة مستلزمة لتشبيهها بالناقة ووجه المشابهة المشاركة في الانتفاع الحاصل
منهما والمقصود وصف اقتسامهما لهذا الامر المشبه لاقتسام الحالبين احلاف الناقة بالشدة
على من يعتقد انه احق بها منهما او على المسلمين الذين اشتهوك الاولاد لها وقوله فصيرها في حوزة خشنا
كنى بالحوزة عن طباع عمر فانها كانت توصف بالجفاوة والغلظ في الكلام والتسرع الى الغضب وذلك معنى
خشونتها **قوله** يغلظ كلمها ويخشن مسها استعار لتلك الطبيعة وصفين احدهما غلظ الكلم وهو كناية
عن غلظ المواجهة بالكلام والجرح به فان الضرب باللسان اعظم من وخز السنان والثاني جفاوة المس
وهو كناية عن خشونة طباعه المانعة من ميل الطباع اليها المستلزمة للاذى كما يستلزم مس الاجسام الخشنة
قوله ويكثر العثار والاعتذار منها اشارة الى ما كان يتسرع اليه عمر من الاحكام ثم يعاود النظر
فيها فيجدها غير صائبة فيحتاج الى الاعتذار والضمير في منها يعود الى الطبيعة المعبر عنها بالحوزة فمن
ذلك ما روي انه امر برجم امراة زنت وهي حامل فعلم علي عليه السلم بذلك فجاء اليه فقال له ان كان لك
سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها ثم ترضع ولدها فخذها قال عمر لولا علي لهلك عمر وكذا
وكذلك ما روي انه امر ان يؤتى بامراة لحال اقتضت ذلك وكانت حاملا فانزعجت من هيبته فاجهضت
جنينا فجمع جمعا من الصحابة وسالهم ماذا يجب عليه فقالوا انت مجتهد ولا نرى انه يجب عليك شي فراجع عليا
في ذلك واعلمه بما قال بعض الصحابة فانكر ذلك وقال ان كان ذلك عن اجتهاد منهم فقد اخطاوا
وان لم يكن عن اجتهاد فقد غشوك ارى عليك الغرة فعندها قال لا عشت لمعضلة لا يكون لها ابا الحسن
وامثال ذلك واما لها عليه القوة الغضبية وغلظ الطبيعة **قوله** فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها
خرم وان اسلس لها تقحم قيل الضمير في صاحبها يعود الى الحوزة المكنى بها عن طبيعة عمر والخلافة والمراد على هذا الاول
ان المصاحب لتلك الاخلاق في حاجته الى المداراة وفي صعوبة حاله كراكب الصعبة ووجه المشابهة ان
راكب الصعبة كما يحتاج الى الكلفة الشاقة في مداراة امر الصعبة وهو معها بين خطرين ان والى الجذبات في جذبها
بالزمام خرم انفها وان اسلس لها في القياد تقحمت به المهالك كذلك مصاحب اخلاق الرجل والمبتلى بها
ان اكثر عليه انكار ما يتسرع اليه ادى ذلك الى مشاقة وفساد الحال بينهما وان سكت عنه وتركه وما
يصنع ادى ذلك الى الاخلال بالواجب وذلك الى الاخلال بالواجب وذلك من موارد الهلكة وقيل الضمير
في صاحبها للخلافة وصاحبها هو كل من تولى امرها اذا كان عادلا امرا عيا لحق الله ووجه شبهه براكب
الصعبة ان المتولي لامر الخلافة مضطر الى الكلفة الشاقة في مداراة احوال الخلق ونظام امورهم على قانون
الحق وان يسلك بهم طريق العدل المحفوفة بطرفي التفريط والتقصير المشبه لاسلاس قياد الصعبة ورباطه
الافراط في طلب الحق والاستقصاء فيه الذي يشبه شنقها فان المتولي لامر الخلافة ان فرط في المحافظة
على شرايطها واهمل امرها القاه التفريط في موارد الهلكة كما نسبه الصحابة الى عثمان حتى فعلوا به ما فعلوا

دعها تنفع ما في بطنها فاجهضت

فكان في ذلك كراكب صعبة اسلس قيادها وافرط في حمل الخلق على اشد مراتب الحق وبالغ في الاستقصا
عليهم في طلبه اوجب عليهم نفورهم منه ونفار طباعهم وتفرقهم عنه وفساد الامر عليه لميل اكثرهم
الى الباطل وغفلتهم عن فضيلة الحق وان صعب فيكون في ذلك كمن اشنق للصعبة التي هو راكبها
حتى خرم انفها وهو من التشبيهات اللطيفة وقيل اراد بصاحبها نفسه وشبهه براكب الصعبة لانه ايضا
بين خطرين اما ان يبقى ساكتا عن طلب هذا الامر والقيام فيه فيقتحم بذلك في موارد الذل والصغار كما يقتحم راكب
الصعبة المسلس لها قيادها واما ان يقوم فيه ويتشدد في طلبه فينشعب امر المسلمين بذلك ويخشى عصاهم
فيكون في ذلك كمن اشنق لها فخرم انفها والاول اليق بسياق الكلام ونظامه والثاني اظهر والثالث محتمل
قوله فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض اشارة الى ما ابتلوا به من اضطراب الرجل وحركته
التي كان يعمها عليه فكنى بالخبط عنها وبالشماس عن جفاوة طباعه وخشونتها وبالتلون والاعتراض عن انتقاله
من حالة الى اخرى في الخلافة وهي استعارات ووجه المشابهة فيها ان خبط البعير وشماس الفرس واعتراضها
في الطريق حركات غير منظومة فاشبهها ما لم يكن منظوما من حركات الرجل التي ابتلى الناس بها ولا شك انه كان
صعبا عظيم السطوة والهيبة وكان اكابر الصحابة يتحامونه وقيل لابن عباس لما اظهر قوله في مسئلة العول بعد موت
عمر هلا قلت ذلك وعمر حي قال هبته وكان رجلا مهيبا وقيل ان ذلك اشارة الى ما ابتلى به الناس من اضطراب
الامر وتفرق الكلمة وجري امورهم على غير نظام بسبب تفرق كلمتهم ثم اردف ذلك بذكر صبره على ما قسر عليه
مع الثاني كما صبر مع الاول وذكر امرين احدهما طول مدة تخلف الامر عنه والثاني شدة المحنة بسبب فوات
حقه وما يعقده من لوازم ذلك الفوت وهو عدم انتظام احوال الدين واجراءه على قوانينه الصحيحة ولكل واحد
من هذين الامرين حصة في استلزام الاذى الذي يحسن في مقابلته الصبر قوله حتى اذا مضى لسبيله
جعلها في جماعة زعم اني احدهم اقول حتى هنا لانتهاء الغاية والغاية لزوم تالي الشرطية لمقدمها اعني جعله
لها في جماعة لمضيه لسبيله واشار بالجماعة الى اهل الشورى وخلاصة حديث الشورى ان عمر لما طعن دخل
عليه وجوه الصحابة وقالوا له ينبغي ان تعهد عهدك ايها الرجل وتستخلف رجلا ترضاه فقال لا احب
ان اتحملها حيا وميتا فقالوا افلا تشير علينا فقال اما ان اشرت فان احببتم قلت فقالوا نعم فقال الصالحون لهذا الامر
سبعة نفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انهم من اهل الجنة احدهم سعيد بن زيد وانا مخرجه منهم
لانه من اهل بيتي وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وعثمن وعلي فاما سعد فلا يمنعني
منه الا عنفه وفظاظته واما عبد الرحمن فلانه قارون هذه الامة واما طلحة فكبره ونخوته واما الزبير
فشحه ولقد رايته بالبقيع يقاتل على صاع من شعير ولا يصلح لهذا الامر ولا عابة فيه ثم قال ليصلي صهيب بالناس
ثلثة ايام وتخلوا الستة نفر في بيت ثلثة ايام ليتفقوا على رجل منهم فان استقام امر خمسة وابى رجل فاقتلوه
وان استقام امر ثلثة وابى ثلثة فكونوا مع الثلثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وروي فاقتلوا الثلثة الذين ليس فيهم

الا رجل واسع الصدر واما من عثمن لحبه لقومه وحبه لهم واما من علي فحرصه على هذا الامر

عبد الرحمن بن عوف وروي فتحاكموا الى عبد الله بن عمر فاي الفريقين قضى له فاقتلوا الفريق الاخر فلما خرجوا
عنه واجتمعوا لهذا الامر قال عبد الرحمن ان لي ولابن عمي سعد من هذا الامر الثلث فنحن نخرج انفسنا
منه على ان نختار رجلا هو خيركم للامة فقال القوم رضينا غير علي فانه اتهمه في ذلك وقال ارى وانظر
فلما ايس من رضى علي رجع الى سعد فقال له هلم نعين رجلا نبايعه والناس يبايعون من بايعته فقال سعد
ان بايعك عثمان فانا لكم ثالث وان اردت ان تولي عثمان فعلي احب الي فلما ايس من مطاوعة سعد كف
عنهم وجاءهم ابو طلحة في خمسين رجلا من الانصار يحثهم على التعيين فاقبل عبد الرحمن على علي عليه السلم
واخذ بيده وقال ابايعك على ان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين ابي بكر وعمر فقال علي تبايعني
على ان اعمل بكتاب الله وسنة رسوله واجتهد رايي فترك يده ثم اقبل على عثمان فاخذ بيده وقال له مثل مقالته
لعلي فقال نعم وكرر القول على كل منهما ثلثا فاجاب كل بما اجاب به اولا فعندها قال عبد الرحمن هي لك يا عثمان
وبايعه ثم بايعه الناس وفي بعض النسخ زعم اني سادسهم ثم اردف حكاية الحال بالاستعانة بالله فللشورى
واما يا فهو للعطف على محذوف مستغاث له ايضا كانه قال يا لله لعمر وللشورى اولى وللشورى ونحوه
ثم الاستفهام عن وقت عروض الشك لاذهان الخلق اني للاول هل يساويه في الفضل فلا يساويه
استفهاما على سبيل الانكار والتعجب من عروضه لانه انتهى الى غاية تساوي الخمسة المذكورين
وجعلوهم نظراء وامثالا لاولى في المنزلة واستحقاق هذا الامر قوله لكني اسففت اذ اسفوا وطرت اذ طاروا
استعارة لاحوال الطائر من الاسفاف والطيران لاحواله من مقارنته لهم وتصرفه على قدر احوالهم
اولا واخرا قوله فصغا رجل منهم لضغنه اشارة الى سعد بن ابي وقاص فانه كان منحرفا عنه عليه السلم
وهو احد المتخلفين عن بيعته بعد قتل عثمن وقوله ومال الاخر لصهره اشارة الى عبد الرحمن بن عوف فانه
مال الى عثمان لمصاهرة كانت بينهما وهي ان عبد الرحمن كان زوجا لام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي
وهي اخت عثمان لامه اروى بنت كريز قوله مع هن وهن يريد ان ميله اليه لم يكن لمجرد المصاهرة بل
لاشياء اخرى يحتمل ان يكون نفاسته عليه وحسده له بوصول هذا الامر اليه وقوله الى ان قام ثالث القوم
نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه اراد به عثمان وكنى بقيامه عن حركته في ولاية امر الخلافة وانه اثبت
له حالا يستلزم تشبيهه بالبعير واستعار وصفه له وهو نفج الحضنين وكنى بذلك عن استعداده
للتوسع ببيت مال المسلمين وحركته في ذلك كما نسب اليه تشبيها له بالبعير ينتفخ جنباه بكثرة الاكل اذ
المتوسع في الاكل والشرب وربما فسر ذلك بالتكبر المستفخ كبرا وكذلك قوله بين نثيله ومعتلفه وهو متعلق
بقام اي قام بين معلفه وروثه وهما من اوصاف البهائم ووجه الاستعارة ان البعير والفرس كما لا اهتمام
له اكثر من ان يكون بين اكل وروث كذلك نسبه الى انه لم يكن اكثر همه الا التزود والتوفر في المطعم والمشرب على
مصالح نفسه واقاربه دون ملاحظة امور المسلمين ومراعاة مصالحهم كما نقم عليه وقام معه بنو ابيه يخضمون

مال الله تعالى خضم الابل نبتة الربيع يخضمون في موضع الحال وعنى بمال الله بيت المال واراد ببني ابيه بني امية
بن عبد شمس ويحتمل ان يريد اقرباءه مطلقا وخص بني ابيه تغليبا للذكورة وكنى بالخضم عن كثرة توسعهم بمال
المسلمين من بني عثمان وقد نقلت عنه من ذلك صور اشدها انه دفع الى اربعة نفر من قريش زوجهم بناته
اربعمائة الف دينار وثانيها انه لما فتح افريقية اعطى مروان بن الحكم مائة الف دينار ويروى خمس افريقية
وثالثها روي من عدة طرق ان ابا موسى الاشعري بعث اليه بمال عظيم من البصرة فجعل يفرقه في ولده
واهله وكان ذلك بحضرة زياد بن عبيد مولى الحرث بن كلدة الثقفي فبكى زياد لما راى فقال له لا تبك فان
عمر كان يمنع قرابته ابتغاء وجه الله وانا اعطي اهلي وقرابتي ابتغاء وجه الله ورابعها انه ولى الحكم بن ابي العاص
صدقات قضاعة فبلغت ثلثمائة الف فوهبها له حين اتاه بها وخامسها روى ابو مخنف ان عبد الله بن خالد
بن اسيد قدم على عثمان من مكة ومعه ناس فامر لعبد الله بثلثمائة الف ولكل واحد منهم بمائة الف وصك
بذلك على عبد الله بن الارقم وكان حينئذ خازن بيت المال فاستكثره ورد الصك فقال له عثمان
ما حملك على رده وانما انت خازن قال كنت اراني خازن بيت مال المسلمين وانما خازنك غلامك والله لا
الي لك بيت المال ابدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر فدفعها عثمان الى مولاه نايل وروى الواقدي
ان عثمان امر زيد بن ثابت بحمل من بيت المال الى عبد الله بن الارقم عقيب ما فعل ثلثمائة الف درهم
فلما دخل عليه بها قال له يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول انا شغلناك عن التجارة ولك ذو رحم
اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم واستعن به على عيالك فقال عبد الله ما لي اليه حاجة وما عملت لان يثيبني عثمان
فان كان هذا من بيت المال فما بلغ قدر عملي ان اعطى ثلثمائة الف وان كان من ماله فلا حاجة لي به وبالجملة
فمواهبه لاهله ودونه مشهورة وقد شبه عليه السلام خضمهم لمال الله بخضم الابل نبت الربيع ووجه الشبه
ان الابل لما كانت تستلذ نبت الربيع لشهوة صادقة وتملأ منه احناكها وذلك الخضم يعقبه يبس الارض
وطول مدة الشتاء مع ذلك لطيبه ونضارته كان ما اكله اقارب عثمان من بيت المال يشبهها لذلك لشهوة
كثرته وطيبه لهم يعقبه ضرهم وقهرهم وكان ذلك معرض الذم والتوبيخ المستلزم لارتكاب مناهي الله المستلزم
لعدم التاهل لامر الخلافة قوله الى ان انتكث عليه فتله واجهز عليه عمله وكبت به بطنته اشارة الى غاية
مدة بقائه في الحال المذكورة واستعار لفظ الفتل وهو برم الحبل لما كان يبرمه من الراي والتدبير ويستبد به
دون الصحابة وكنى به عنه وكذلك لفظ الانتكاث لانتقاض تلك التدابير ورجوعها عليه بالفساد
والهلاك وقوله واجهز عليه عمله يشتمل على مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان استعمال الاجهاز
انما يكون حقيقة في قتل من قد جرح المقتول اولا اثخان بضرب ونحوه ولما كان قتل عثمان مسبوقا بطعن اسنة
الالسنة والجرح بحداد سيوفها لا جرم اشبه قتله الاجهاز فاطلق عليه لفظه واما في التركيب فلان اسناد
الاجهاز الى العمل ليس حقيقة لصدور القتل عن القاتلين لكن لما كان عمله هو السبب الحامل لهم على قتله

صح اسناد الاجهاز اليه اسناد فعل السبب الفاعلي الى السبب الحامل وهو من وجوه المجاز وكذلك
قوله وكبت به بطنته مجاز افرادي في الاسناد والتركيب فذلك لان الكبو انما هو حقيقة في الاسناد الى الحيوان
ولما كان ارتكابه للامور التي نقمت عليه وتوسعه في بيت المال المكنى عن ذلك بالبطنة واستمراره
على ذلك مدة خلافته سببا يشبه ركوب الفرس واستمرار مشيه سببا من العثار والكبو كانت البطنة
مشبهة بالمركوب من هذه الجهة فلذلك صح اسناد الكبو اليها مجازا قوله فما راعني الا والناس الي
كعرف الضبع ينثالون علي من كل جانب الي متعلق بمحذوف تقديره مقبلون الي وفاعل راعني اما الجملة
الاسمية وهو مقتضى قول الكوفيين انه يجوز كون الجملة فاعلا او ما دلت عليه هذه الجملة وكانت مفسرة
له من المصدر اي فما راعني الا اقبال الناس الي وهو فرع مذهب البصريين اذ منعوا كون الجملة فاعلا
ونظيره قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين وينثالون اما خبر ثان للمبتدا او حال عن
راعني او العامل في الي والاشارة الى وصف ازدحام الناس عليه للبيعة بعد قتل عثمان وقد شبههم في
في اقبالهم اليه وازدحامهم عليه بعرف الضبع ووجه ذلك ان الضبع ذات عرف كثير قايم الشعر
والعرب تسمي الضبع عرفاء لعظم عرفها فكان حال الناس في اقبالهم على متتابعين يتلوا بعضهم بعضا
قياما يشبه عرف الضبع قوله حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي اشارة الى غاية ازدحامهم عليه وهي وطي
ولديه الحسن والحسين عليهما السلام وشق رداه بالجذب عند خطابه والجلوس على حاشيته واما على الرواية
الاخرى فالمراد بالشق اما الاذى لخاصر الصدر والمنكبين او شق قميصه بالجلوس على حاشيته واطلاق لفظ
العطفين على جانبي القميص مجاز اطلاقا لاسم المجاور على مجاوره او المتعلق على متعلقه ومن عادة العرب
ان يكون امراؤهم وكبارهم في غاية التوقير والتعظيم في المخاطبات وغلبهم ذلك لما فرح به عليه السلام الا جلافة
طباع رعاعهم وحكى السيد المرتضى رضي الله عنه ان ابا عمر محمد بن عبد الواحد غلام ثعلب روى في قوله عليه السلام
حتى لقد وطئ الحسنان انهما الابهامان وانشد الشنفرى مهضومة الكشحين خرماء الحسن وروي ان امير المؤمنين انما كان
يومئذ جالسا محتبيا وهي جلسة رسول الله صلى الله عليه وآله المسماة بالقرفصاء وهي جمع الركبتين وجمع الذيل
فلما اجتمعوا ليبايعوه زاحموه حتى وطئوا ابهاميه وشقوا ذيله بالوطي ولم يعن الحسن والحسين وهما رجلان كسائر
الحاضرين وهذا القول في الرواية الاولى واعلم ان ارادة الحسن والحسين اظهر قوله مجتمعين حولي كربيضة الغنم
مجتمعين منصوب على الحال كالذي قبله والعامل واحد او قوله وطئ وشق وقد شبه اجتماعهم حوله بربضة الغنم
ووجه التشبيه ظاهر ويحتمل ان يلاحظ في وجه التشبيه مع الهيئة زيادة وهي انه شبههم بالغنم لغفلتهم
عن وضع الاشياء في مواضعها وغفلتهم وعدم استعمالهم للعيوب معه او مطلقا والعرب تصف
الغنم بالغباوة وقلة الفطنة قوله فلما نهضت بالامر نكثت طائفة ومرقت اخرى وفسق آخرون اراد بالناكثين
طلحة والزبير لانهما بايعاه ونقضا بيعته بخروجهما عليه وكذلك من تبعهما من عايشة ومن بايعه وبالمارقين الخوارج

وبالقاسطين او الفاسقين اصحاب معوية وهذه الاسماء سبقت من الرسول صلى الله عليه وآله اذ حكى
في موضع آخر انه اخبره بانه سيقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين بعده وانما خص الخوارج بالمروق لان المروق
هو مجاوزة السهم للرمية وخروجه منها ولما كانت الخوارج اولا منتظمين في سلك الحق الا انهم بالغوا
بزعمهم في طلبه الى ان تعدوه وتجاوزوه لا جرم حسن ان يستعار لهم لفظ المروق لمكان المشابهة وقد اخبر
الرسول صلى الله عليه وآله عنهم بهذا اللفظ اذ قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية واما تخصيص
اهل الشام بالقاسطين فلان مفهوم الفسق او القسط هو الخروج عن سنن الحق وقد كانوا كذلك لمخالفته
عليه السلم والخروج عن طاعته فكان اطلاق احد اللفظين عليهم لذلك **قوله** كانهم لم يسمعوا الله تعالى يقول تلك
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين تنبيه للاذهان الطوائف
الثلث المذكورة ومن حساده بخلاف الحق في سلوك مسالكهم على ان ما فعلوه من المخالفة عليه والقتال
له انما هو طلب للعلو والمفاخرة في الدنيا المستلزم للسعي في الارض بالفساد واعراض عن الدار الآخرة
وحسم لمادة اعذارهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعولوا عند لقاء ربهم لو سمعنا هذه
الآية ووعيناها لما ارتكبنا هذه الافعال ويزعمون ان الحق في هذه المتصلة هو استثناء نقيض تاليها
لينتج لهم نقيض مقدمها وتقريره عليه السلم لهذا العذر لهم على سبيل التهكم بهم وانه لا عذر لهم في الحقيقة
عما فعلوه ثم اراد عليه السلم تكذيبهم في ذلك العذر على تقدير اعتذارهم به فاشار الى تكذيب النتيجة بوضع
نقيضها موكدا بالقسم البار والى منع لزوم هذه المتصلة بقوله بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنه حليت الدنيا
في اعينهم ونبه على ان وضع المقدم المذكور في المتصلة لا يستلزم تاليها مطلقا بل استلزامه له موقوف على
زوال مانع هو حاصل لهم الآن وذلك المانع هو غرور الدنيا لهم بزينتها واعجابهم بها وعلى تقدير حصول المانع
المذكور جاز ان يجمع هذا المقدم مع نقيض التالي المذكور وهو ارتكاب ما ارتكبوه من الافعال **قوله**
اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلما
الى آخره **اقول** لما ذكر حال القوم وحاله معهم ما ذكره من الشكاية والتظلم في امر الخلافة
وذم الشورى وما انتهى اليه من الحال التي اوجبت نزوله عن مرتبته الى ان قرن بالجماعة المذكورين اردف ذلك
ببيان الاعذار الحاملة له على قبول هذا الامر والقيام به بعد تخلفه عنه الى هذه الغاية وقدم على ذلك
شاهد هذا القسم العظيم بما بين الاضافتين وهما فالق الحبة وبارئ النسمة واعلم ان وصف الاول قد ورد
في القرآن الكريم وهو قوله تعالى فالق الحب والنوى وانما خص الحبة والنسمة بالعظيم بالنسبة الى الله تعالى لما اشتملا
عليه مع لطف الخلقة وصغر الحجم من اسرار الحكمة وبدايع الصنع الدالة على وجود الصانع الحكيم اما فلق الحب
ففيه قولان احدهما قال ابن عباس والضحاك فالق الحب اي خالقه فعلى هذا يكون معنى قوله عليه السلم فلق
الحبة كقوله فطر الخلايق بقدرته الثاني وهو الذي عليه جمهور المفسرين ان فلق الحبة هو الشق الذي

في وسطها وتقرير هذا القول ان الحبة من الحنطة مثلا لما كانت من غايتها ان يكون شجرة مثمرة ينتفع بها الحيوان
جعل الله سبحانه في وسطها ذلك الشق حتى اذا وقعت في الارض الرطبة ثم مرت بها مدة من الزمان جعل
سبحانه الطرف الاعلى من ذلك الشق مبدأ لخروج الشجرة الصاعدة الى الهواء والطرف الاسفل مبدأ
للعروق الهابطة الى الارض الذي منها مادة تلك الشجرة وفي ذلك بدايع من الحكمة شاهدة بوجود المدبر
الحكيم احدها ان طبيعة تلك الحبة ان كانت تقتضي الهوي في عمق الارض فكيف تولدت منها الشجرة
الصاعدة في الهواء وعلى العكس فلما تولد منها امران متضادان علمنا ان ذلك ليس لمجرد الطبيعة بل بمقتضى
الحكمة الالهية وثانيها انا نشاهد اطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الانسان بين
اصبعيه لصارت كالماء ثم انها مع غاية تلك اللطافة تقوى على خرق الارض الصلبة وتنفذ في مسام الاحجار
فحصول هذه القوة الشديدة لهذه الاجرام اللطيفة الضعيفة لا بد وان يكون بتقدير العزيز الحكيم وثالثها
ان مجمع الطبايع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة كالاترج فان قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه
بارد يابس وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المتضادة عن الحبة الواحدة لا بد وان يكون بتدبير الفاعل الحكيم
ورابعها انك اذا نظرت الى ورقة من اوراق الشجرة المبدعة عن الحبة وجدت في وسطها خطا مستقيما كالنخاع
بالنسبة الى بدن الانسان ثم لا يزال ينفصل عنه شعب وعن الشعب شعب اخرى الى ان تستدق ويخرج ذلك
عن ادراك البصر والحكمة الالهية انما اقتضت ذلك لتقوى القوى الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة على جذب الاجزاء
اللطيفة الارضية في تلك المجاري الضيقة واذا وقفت على عناية الله سبحانه في كون تلك الورقة الواحدة علمت
ان عنايته في جملة الشجرة اكمل وان عنايته في جملة النبات اكمل ثم اذا علمت انه انما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوانات علمت
ان عنايته في خلق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من خلق الحيوان انما هو الانسان علمت ان الانسان هو اعز
مخلوقات هذا العالم عند الله واكرمه عليه واشتد اكرامه بانواع الاكرام كما قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم الآية وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما النسمة فعليك في مطالعة عجايب صنع الله في بدن الانسان بكتب التشريح وقد اشرنا
الى طرف من ذلك في الخطبة الاولى اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلم ذكر من تلك الاعذار ثلثة احدها حضور
الحاضرين لبيعته والثاني قيام الحجة عليه بوجود الناصر له في طلب الحق لو ترك القيام الثالث ما اخذ الله على العلماء من العهد
على انكار المنكرات ودفع الظالمين ونفع الظلامات عند التمكن والعذران الاولان هما شرطان في الثالث اذ لا يمكن
ولا يجب انكار المنكر بدونهما وكنى بكظة الظالم عن قوة ظلمه وبسغب المظلوم عن قوة ظلامته **قوله** لالقيت حبلها على
غاربها استعارة ووصف من اوصاف الناقة المخلوعة كنى بها عن تركها واهمالها لا رعيها ثانيا كما اهملها
اولا ولما استعار لها لفظ الغارب جعل لها حبلا يلقى عليه وهو من ترشيح الاستعارة واصله ان الناقة يلقى زمامها
على غاربها وتترك الرعي **قوله** ولسقيت آخرها بكاس اولها استعار لفظ السقي للترك المذكور ايضا ورشح
الاستعارة بذكر الكاس ووجه تلك الاستعارة ان السقي بالكاس لما كان مستلزما لوجود السكر غالبا وكان اعراض

او لاستلزامها لوقوع الناس فی ما ذكر من الظلمة العمياء المستلزمة لحيرة كثير من الخلق وضلالهم الذي ي
يشبه السكر واشد منه لاجرم حسن ان يعبر عن ذلك التركيب بالسقي بالكاس قوله ولالفيتم دنياكم
هذه اهون عندي من عفطة عنز عطف على ما قبله ويفهم منه انه عليهم السلم طالب للدنيا وانها
عند قيمة الان طلبه لها والحرص على الاثرة منها ليس لانها هي بل لما ذكرناه من نظام الخلق واجرائهم
على القانون العدل الماخوذ على العلماء كما اشار اليه ونظم هذا الكلام في صورة متصلة هكذا لولا حضور
الحاضر ولم يقم الناصر ولم يوخذ على العلماء ما اخذ عليهم من انكار المنكر لما تمكن التركيب كما تركت اولا
ولوجدتم دنياكم هذه اهون عندي مما لا نبه له وهو عفطة العنز واما الحكاية المتعلقة بهذه الخطبة فان اهل
السواد سواد العراق قال ابو الحسن الكيدري رحمه الله وجدت في الكتب الصحيحة ان الكتاب الذي دفعه الرجل الى
امير المؤمنين عليه السلم كان فيه عدة مسائل احدها ما الحيوان الذي خرج من بطن حيوان آخر وليس بينهما
نسب فاجاب عليه السلم بانه يونس بن متى عليه السلم خرج من بطن الحوت الثاني ما الشيء الذي قليله حلال
وكثيره حرام فقال عليه السلم هو نهر طالوت لقوله تعالى الا من اغترف غرفة بيده الثالث ما العبادة التي ان
فعلها واحد استحق العقوبة وان لم يفعلها استحق ايضا العقوبة فاجاب بانها صلوة السكارى الرابع
ما الطائر الذي لا فرخ له ولا فرع ولا اصل فقال هو طائر عيسى ع في قوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير باذني فتنفخ فتكون طيرا باذني الخامس رجل عليه من الدين الف درهم وله في كيسه الف درهم فضمنه
ضامن بالف درهم فحال عليهما الحول فالزكوة على اي المالين تجب فقال ان ضمن الضامن باجازة من عليه
الدين فلا تكون عليه وان ضمنه من غير اذنه فالزكوة مفروضة في ماله السادس حج جماعة ونزلوا في دار من دور
مكة واغلق واحد منهم باب الدار وفيها حمام فمتن من العطش قبل عودهم الى الدار فالجزاء على ايهم يجب فقال
عليه السلم على الذي اغلق الباب ولم يخرجهن ولم يضع لهن ماء السابع شهد شهود اربعة على محصن
بالزنا فامرهم الامام برجمه فرجمه واحد منهم دون الثلثة الباقين ووافقه قوم اجانب في الرجم فرجع من
رجمه عن شهادته والمرجوم لم يمت ثم مات فرجع الآخرون عن شهادتهم عليه بعد موته فعلى من يجب ديته
فقال يجب على من رجمه من الشهود ومن وافقه التاسع شهد شاهدان من النصارى على نصراني او
مجوسي او يهودي انه اسلم فقال تقبل شهادتهما لقول الله سبحانه ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا
الذين قالوا انا نصارى الآية ومن لا يستكبر عن عبادة الله لا يشهد الزور العاشر قطع انسان يد آخر
فحضر اربعة شهود عند الامام وشهدوا على قطع يده وانه زنى فاراد الامام ان يرجمه فمات قبل الرجم فقال
على من قطع يده دية يده فحسب ولو شهدوا انه سرق نصابا لم يجب دية يده على قاطعها والله اعلم ومن
خطبة له عليه السلم والتحية بنا اهتديتم في الظلماء وتسنمتم العلياء وبنا انفجرتم عن السرار وقر سمع لم
يفقه الواعية كيف يراعي النبأة من اصمته الصيحة ربط جنان لم يفارقه الخفقان ما زلت انتظر بكم

عفطة

الثامن شهد شاهدان من اليهود على يهودي انه اسلم فهل تقبل شهادتهما ام لا فقال لا تقبل شهادتهما لانهما يجوزان تغيير كلام الله وشهادة الزور صح

وهو مخصوص ح

عواقب الغدر واتوسمكم بحلية المغترين ستر في عنكم جلباب الدين وبصرنيكم صدق النية اقمت لكم على
سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون ولا دليل وتحتفرون ولا تميهون اليوم انطق لكم العجماء ذات البيان عزب
راي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ اريته لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق من غلبة الجهال ودول
الضلال اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل من وثق بماء لم يظما اقول روي ان هذه الخطبة خطب
بها امير المؤمنين عليه السلم بعد قتل طلحة والزبير تسنمتم اي ركبتم سنامها وسنام كل شيء اعلاه والسرار
الليلة او الليلتان يكون في آخر الشهر يستتر فيها القمر ويختفي والوقر الثقل في السمع وفقهت الامر فهمته والواعية
الصارخة والنباة الصوت الخفي والنبهة العلامة وسنن الحق وجهه وطريقه وماهية البرحوح ماؤها وعزب
اي غاب واوجس احس والظما العطش واعلم ان هذه الخطبة من افصح كلامه عليه السلم وهي مع اشتمالها
على كثرة المقاصد الواعظة المحركة للنفس في غاية وجازة اللفظ ثم من عجيب فصاحتها وبلاغتها ان كل كلمة
منها يصلح لان يفيد على سبيل الاستقلال وهي على ما ذكره من حسن النظم وتركيب بعضها مع بعض قوله
بنا اهتديتم في الظلماء الضمير المجرور راجع الى الرسول صلى الله عليه وآله والخطاب لحاضري الوقت من قريش
والحاضرين لمع طلحة والزبير والمراد انا سبب هدايتكم بانوار الدين وما انزل الله من الكتاب
والحكمة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حيث كنتم في ظلمات الجهل وتلك الهداية هي الدعوة الى الله وتعليم الخلق
كيفية السلوك الى حضرة قدسه وقوله تسنمتم العلياء اي بتلك الهداية وشرف الاسلام علي قدركم وشرف ذكركم ولما
استعار وصف السنام للعلياء لاحظة تشبيهها بالناقة رشح تلك الاستعارة بذكر التسنم وهي ركوب السنام وكنى
به عن علوهم قوله وبنا انفجرتم عن السرار استعار لفظ السرار لما كانوا فيه من ليل الجهل في الجاهلية وخمول الذكر
ولفظ الانفجار عنه لخروجهم من ذلك الى نور الاسلام واشتهارهم في الناس وذلك لتشبيههم بالفجر الطالع من
ظلمة السرار في الضياء والاشتهار قوله وقر سمع لم يفقه الواعية النفات الى الدعاء بالوقر على سمع لا يفقه صاحبه
بواسطته مقاصد الآيات من الاسماع من مقاصد الكتب الالهية وكلام الانبياء عليهم السلم والدعاء الى الله
وحق لمثل ذلك السمع ان يكون اصم اذ كانت الفائدة منه المقصودة من الحكمة الالهية اكتساب النفس بجهته
ما يكون سببا لكمالها وقوتها على الوصول الى جناب الله وساحل عزته فاذا كانت النفس معرضة عما يحصل
من جهته لا الجهة الفايدة وربما كانت مع ذلك متلقية منه ما يؤديها من الشرور الجاذبة لها الى الجهة السافلة
فخليق به ان يكون موقورا ومن روي وقر على ما لم يسم فاعله فالمراد او قره الله وهو كلام على سبيل التمثيل اورده في
معرض التوبيخ لهم والتنكيب بالاعراض عن اوامر الله وطاعته وكنى بالواعية عن نفسه اذ صاح فيهم بالموعظة
الحسنة والحث على الالفة وان لا يشقوا عصى الاسلام ولم يصغوا او وجه نظام هذه الكلمة مع ما قبلها انه
لما اشار الى وجه شرفه عليهم وانه من اكتسب عنه الشرف والفضيلة وكان ذلك في مقابلة نفارهم
واستكبارهم عن طاعته اردف ذلك بهذه الكلمة المستلزمة للدعاء عليهم كيف لم يفقهوا بيانه الواضح الموجز

لاتباعه ويقبلوه بعد ان سمعوه وهذا كما يقول احد العلماء لبعض تلامذته المعاند له المدعي لمثل فضيلته انك
بي اهتديت من الجهل وعلا قدرك في الناس وانا سبب لشرفك افتكبر علي وقد سمعك لم لا تتفقه قولي
وتقبله **قوله** كيف يراعي النباة من اصمته الصيحة استعار لفظ النباة لدعائه لهم ونداءه الى سبيل الحق
والصيحة لخطاب الله ورسوله وهي استعارة على سبيل الكناية عن ضعف دعائه بالنسبة الى قوة دعاء الله و
رسوله لهم وتقدير ذلك ان الصوت الخفي لما كان لا يسمع عند الصوت القوي اذ من شان الحواس ان لا تدرك
الاضعف مع وجود الاقوى المماثل في الكيفية لاشتغالها به وكان كلامه عليه السلم اضعف في جذب الخلق
وفي تبليغهم له من كلام الله وكلام رسوله فجرى الصوت القوي في حقهم وكلامه مجرى الصوت الخفي بالنسبة
اليه واسناد الاصمام الى الصيحة من ترشيح الاستعارة وكنى به عن بلوغ كلام الله على اسماعهم الى حد انها مجته (تكراره)
وملت سماعه بحيث لا يسمع بعده ما هو في معناه خصوصا ما هو اضعف كما لا يسمع الصوت الخفي من اصمته
الصيحة وقد وردت مورد الاعتذار لنفسه في عدم فايدة وعظه لهم والاعتذار لهم في ذلك ايضا على (هذا الكلام)
سبيل التهكم والذم ووجه نظامها مع ما قبلها انه لما كان تقدير الكلمة الاولى وقربا سماعكم
كيف لا تقبلون قولي التفت عنه وقال كيف يسمع قولي من لم يسمع كلام الله ورسوله على كثرة تكراره على اسماعهم
وقوة اعتقادهم وجوب قبوله وكيف تواجدون بسماعه وقد اصمتهم نداء الله **قوله** ربط جنان لم يفارقه
الخفقان دعاء للقلوب الخائفة الوجلة التي لا تزال تخفق من خشية الله والاشفاق من عذابه بالثبات والسكينة
والاطمئنان والتقدير ربط جنان نفسه ومن روى بضم الراء على ما لم يسم فاعله فالتقدير ربط الله جنانا
كذلك وهو جذب لهم الى درجة الخائفين وتنبيه على ملاحظة نواهي الله فيفيئوا الى طاعته ووجه اتصاله
بما قبله ان ذكر الشريف وصاحب الفضيلة في معرض التوبيخ لمن يريد منه ان يسلك مسلكه ويكون نصفائه
من اعظم الجواذب له الى التشبه به ومن احسن الاستدراجات لهم كانه قال وكيف يلتفت الى قولي من لا يلتفت
الى كلام الله بل الخائفين من الله الراعين لاوامره الوجلين من وعيده ما ضركم لو تشبهتم بهم فرجعتم
الى الحق معهم بقيام رجل واحد **قوله** ما زلت انتظر بكم عواقب الغدر وانوسمكم بحلية المغترين اشارة الى انه عليه السلم
كان يعلم عاقبة امرهم اما باطلاع الرسول صلى الله عليه وآله على انهم بعد بيعتهم له ينكثون به او لانه
كان يلوح من حركاتهم واحوالهم بحسب فراسته الصائبة فيهم كما اشار اليه بقوله وانوسمكم بحلية المغترين فانك
لا تفهم انهم من اهل الغرة وقبول الباطل عن ادنى شبهة بما لاح له من صفاتهم الدالة على ذلك وكان علمه بذلك
منهم مستلزما للعلم بغدرهم بعهده ونقضهم لبيعته وكان ينتظر ذلك منهم **قوله** سترني عنكم جلباب الدين
وارد مورد الوعيد للقوم في قتالهم له ومخالفتهم لامره والمعنى ان الدين حال بيني وبينكم وسترني عن اعين بصائركم
ان تعرفوني بما انوي عليه من العنف بكم والغلظة عليكم وساير وجوه عقوبتكم وردعكم عن الباطل ووراء ما انطوى
عليه الدين من الرفق والشفقة ويحبب ذيل العفو عن الجرائم فكان الدين غطاء حال بينكم وبين معرفة فاستعار

لفظ الجلباب ويروى سترتكم عني اي عصم الاسلام مني دماءكم واتباع مدبركم وان اجير على جريحكم وغير (اجهز)
ذلك مما يفعل من الاحكام في حق الكفار **قوله** وبصرنيكم صدق النية اراد بصدق نيته اخلاصه لله
تعالى وصفاء مرآة نفسه وانه بحسب ذلك افيض على بصره بصيرته نور معرفة احوالهم وما يؤول اليه عاقبة
امرهم كما قال عليه السلم المؤمن ينظر بنور الله **قوله** اقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة ينبههم
على وجوب اقتفاء اثره والرجوع الى لزوم اشعة انواره في سلوك سبيل الله واعلامهم انه واقف لهم على
سبيل الحق وفي الطرق التي هي مزال الاقدام ليردهم عنها وليتبين ذلك في المثل المشهور عن رسول
الله صلى الله عليه وآله روي انه قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبي الصراط سور
فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور مرخاة وعلى راس الصراط داعي يقول ادخلوا الصراط ولا تعرجوا
قال فالصراط هو الاسلام والستور حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي هو القرآن ثم قول لما كان (الاسلام)
علي عليه السلم هو الواقف على اسرار الكتاب والملي بجوامع علمه وحكمته والمطلع على اصول الدين
وفروعه كان هو الناطق بالكتاب والداعي الواقف على راس سبيل الله والمقيم عليها ولما كان سبيل
الله وصراطه المستقيم في غاية الوضوح والبيان له وكان مستبينا ما لها من الحدود والمقدمات
مستجلبا لمزال الاقدام فيها وما ينشا عليها من الشكوك والشبهات كان بحسب قوته المدبرة لهذا
لهذا العالم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو الواقف على تلك الابواب المفتحة التي هي موارد الهلاك
وابواب جهنم وجواد المضلة والساتر لها بحدود الله وبيان نواهيه والتذكير بعظيم وعيده والقايد لاذهان
السالكين للصراط عنها وذلك حيث يلتفت اذهانهم في ظلماء الجهل فلا تبصر دليلا هناك سواه ويطلق
ما الحق بالبحث والفحص من اودية القلوب فلا يجدون بها ماء الا معه واستعار لفظ الاحتفار البحث عن مظان
العلم ولفظ الماء العلم كما سبق بيان وجه المشابهة **قوله** اليوم انطق لكم العجماء ذات
البيان من الحال الذي يشاهدونها من العبر الواضحة والمثلات التي حلت بقوم فسقوا عن امر ربهم وعن ما هو
واضح من كمال فضله عليه السلم بالنسبة اليهم وما ينبغي لهم ان يعتبروه من حال الدين ومقتضى اوامر الله التي تحثهم
على اتباعها فان كل هذه الاحوال امور لا نطق لها مقالي فشبهها لذلك بالعجماء من الحيوان واستعار لها لفظها
ووصفها بكونها ذات البيان لان لسانها الحالي مخبر بلسان مقاله عليه السلم ناطق بوجوب اتباعه وشاهد لهم
ودليل على ما ينبغي ان يفعلوه في كل باب وذلك هو البيان فكانه عليه السلم انطق العجماء اذ عبر هو بلسان مقاله عنها
ما كانت تقتضيه ويشاهده من نظر اليها بعين بصيرة وهو كقولهم سل الارض من شق انهارك واخرج ثمارك
فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا وكقولهم قال الحائط للوتد لم تشقني قال سل من يدقني وقال بعضهم العجماء
صفة لمحذوف تقديره الكلمات العجماء واراد بها ما ذكره في هذه الخطبة من الرموز وشبهها بالحيوان
اذ لا نطق لها في الحقيقة ومع ذلك يستفيد الناظر فيها اعظم الفوايد فهي ذات بيان عند اعتبارها **قوله**

غريب رايي اي يري تخلف عني اشارة الى ذم من تخلف عنه وحكم عليه بالسفه وعدم اصابة الراي حال تخلفه
عنه وذلك ان المتخلف لما فكر في اي الامور انفع له الكون من متابعته او المتخلفين عنه ثم راى ان التخلف
عنه اوفق له كان ذلك اسوا الاراء واقبحها فهو في الحقيقة كمن اقدم على ذلك بغير راي يحضره او لان الراي الحق
كان عازبا عنه وهو في معرض التوبيخ للقوم على طريقته قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة **قوله** ما شككت
في الحق مذ اريته بيان لبعض اسباب وجوب اتباعه وعدم التخلف عنه واعلم ان التمدح بعدم الشك
عما اراه من الحق والفاضة على نفسه القدسية من الكمال مستلزم للاخبار بكمال القوة استثبات الحق الذي
راه وشدة جلائه له بحيث لا يعرض له شبهة فيه والامامية تستدل بذلك على وجوب عصمته وطهارته
عن الارجاس التي منشاها ضعف اليقين **قوله** لم يوجس موسى خيفة على نفسه اشفق على نفسه اشفق من
غلبة الجهال ودول الضلال اشفق افعل التفضيل منصوب على الصفة لخيفه لان الاسعاف نحوت
والتقدير لم يوجس موسى اشفاقا على نفسه اشد على غلبة الجهال والمقصود التنبيه على ان الخوف الذي
يجاه عليه السلم منهم ليس على مجرد نفسه بل اشد خوفه من غلبة اهل الجهل على الدين وفتنة الخلق بهم وقيام
دول الضلال فتعمى طريق الهدى وتخسر مسالك الحق كما خاف موسى عليه السلم من غلبة جهال السحرة
حيث القوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وقيل ان اشفق فعل ماض والمعنى ان خوف موسى عليه السلم
من السحرة لم يكن على نفسه وانما خاف من غلبة الجهال فكانه قال لكن اشفق وانما اشفق ودول الضلال كدولة
فرعون واتباعه الضالين عن سبيل الله وقوله اليوم تواقفنا على سبيل الحق والباطل المواقفة مفاعلة من الطرفين
والخطاب لمقابليه في القتال والمراد اني واقف على سبيل الحق وانتم واقفون على سبيل الباطل داعون اليه
وهو سفيلهم عما هم عليه الى ما هو عليه **قوله** من وثق بماء لم يظما اشار به على وجوب الثقة بما عنده اي انكم
ان سكنتم الى قولي ووثقتم به كنتم اقرب الى اليقين والهدى وابعد عن الضلال والردى كما ان الواثق
الماء في اداوته آمن من العطش وخوف الهلاك وبعيد عنهما بخلاف من لم يثق بذلك وكنى بالماء عن
ما اشتمل عليه من العلم بكيفية الهداية الى الله فانه الماء الذي لا ظما معه **ومن كلام له عليه السلم**
ايها الناس شقوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة افلح
من نهض بجناح او استسلم فاراح ماء آجن ولقمة يغص بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع
بغير ارضه فان اقل يقولوا حرص على الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا والتي
والله لابن ابي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم
اضطراب الارشية في الطوي البعيدة سبب هذا الكلام ما روي انه لما تم في سقيفة بني ساعدة لابي بكر امر البيعة
اراد ابو سفيان بن حرب ان يوقع الحرب بين المسلمين ليقتل بعضهم بعضا فيكون ذلك دمارا للدين فمضى الى العباس
فقال له يا ابا الفضل ان هؤلاء القوم قد ذهبوا بهذا الامر من بني هاشم وجعلوه في بني تيم وانه ليحكم فينا غدا هذا

الفظ الغليظ من بني عدي فقم بنا حتى ندخل على علي ونبايعه بالخلافة وانت عم رسول الله وانا رجل مقبول القول
في قريش فان دافعونا عن ذلك قاتلناهم وقتلناهم فاتيا امير المؤمنين عليه السلم فقال له ابو سفين يا ابا الحسن
لا تغافل عن هذا الامر متى كنا لتيم الارذال وكان عليه السلم يعلم من حاله انه لا يقول ذلك غضبا للدين
بل للفساد الذي رواه في نفسه فاجابه عليه السلم بهذا الكلام عرجوا اي ميلوا وانحرفوا والفلاح الفوز والنجاة
والآجن المتغير الماء وفساده وغص باللقمة يغص بفتح الغين اذا وقفت في حلقه فلم يسغها وايناع الثمرة ادراكها
واندمجت على كذا اي انطويت عليه وسترته في باطني وباح بالشئ اظهره والطوي البير والرشا حبلها **قوله**
شقوا امواج الفتن بسفن النجاة شبه عليه السلم الفتنة بالبحر المتلاطم فلذلك استعار لها لفظ الامواج وكنى
بها عن حركة الفتنة وقيامها ووجه المشابهة ظاهر لاشتراك البحر والفتنة عند هيجانهما في كونهما
سببا لهلاك الخائضين فيهما واستعار لفظ سفن النجاة لكل ما يكون وسيلة الى الخلاص من الفتنة من مهادنة
او حيلة مخلصة او صبر ووجه المشابهة كون كل منهما وسيلة الى السلامة اذا حاد الطرق المذكورة طرق
الى السلامة من ثوران الفتنة والهلاك فيها كما ان السفينة سبب للخلاص من امواج البحر **قوله** وعرجوا عن طريق
المنافرة امرهم بالعدول عن طريق المنافرة الى السكون والسلامة وما يوجب سكون الفتنة وكذلك قوله وضعوا
تيجان المفاخرة امر بطريق اخرى من طرق النجاة وهي ترك المفاخرة فان المفاخرة مما يهيج الاضغان ويثير الاحقاد
ويوجب قيام الفتنة ولما كان اكبر ما ينتهي اليه ارباب الدنيا من المفاخرة هو لبس التيجان وكانت الاصول الشريفة والانساب
الكريمة والقنيات الحسنة هي اسباب الافتخار الدنيوي ومنشاؤه وكانت المشابهة بينها وبين التيجان حاصلة
فاستعار عليه السلم لفظها لها وامرهم بوضعها **قوله** افلح من نهض بجناح او استسلم فاراح لما نهى عليه السلم
عن الفتنة بين انواع المفاخرة والمنافرة لبيان طريقين محمودين اعقب ذلك بالاشارة الى انه كيف ينبغي ان يكون حال المتصدي
لهذا الامر وكيف يكون طريق فوزه بمطالبه والنجاة فحكم بالفوز لمن نهض بجناح واستعار لفظ الجناح للاعوان
والانصار ووجه المشابهة ظاهر فان الجناح لما كان محل القدرة على الطيران والتصرف وكانت الاعوان والانصار
بهم القوة على النهوض الى الحرب والطيران في ميادينها لا جرم حصلت المشابهة فاستعير لهم لفظ الجناح وحكم
بالنجاة للمستسلم عند عدم الجناح وكلاهما يشملهما اسم الفلاح وفي هذا الكلام تنبيه على قلة ناصره في هذا
الامر وتقدير الكلام انه ليس الطريق ما ذكرتم بل الصواب فيما يفعله ذو الراي في هذا الامر انه اما ان يكون ذا جناح
فينهض به فيفوز بمطلوبه او لا يكون فيستسلم ويقعد فينجو ويريح نفسه من تعب المطالب **قوله** ما آجن ولقمة
يغص بها آكلها تنبيه على ان المطالب الدنيوية وان عظمت فهي مشوبة بالكدر والتغير والتنغص واشار الى
امر الخلافة في ذلك الوقت وتشبيهها بالماء واللقمة ظاهر اذ عليهما مدار الحياة الدنيا وامر الخلافة اعظم اسباب
الدنيا فشابهها فاستعار لفظهما لما يطلب منها وكنى بهما عنه ولما كان اجون الماء والغصص باللقمة
مما ينغصهما ويوجب نفار النفس عن قبولها وكانت المنافسة في امر الخلافة والتجاذب والمنافرة بين المسلمين

منها وكونها في معرض الزوال مما يوجب التنفير عنها وتنغيصها وعدم الالتذاذ بها ونبه عليه السلم
بالاجون والغصص اللقمة على تلك الامور وكنى بهما عنها لم يكن بذلك غيره من استبعضه في
هذا الامر من بني هاشم فكانه قال انها لقمة منغصة وجرعة لا يسيغها شاربها **قوله** ومجتني الثمرة
لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه تنبيه على ان ذلك الوقت ليس وقت الطلب لهذا الامر اما
لعدم الناصر او لغير ذلك وكون مجتني الثمرة عن طالبها فاستلزم ذلك تشبيهها بالثمرة ايضا
لاشتراكهما في كونهما محلا للالتذاذ ونحوه ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقتها بالزارع بغير ارضه ووجه الشبه
عدم الانتفاع في الموضعين اذ كان الزارع بغير ارضه في محل ان يمنع من ذلك التصرف فيبطل سعيه ولا ينتفع بزرعه
فكذلك مجتني الثمرة لغير وقتها لا ينتفع بها فكذلك الخلافة في ذلك الوقت **قوله** فان اقل يقولوا حرص على
الملك وان اسكت يقولوا جزع من الموت شكاية من الالسنة والاوهام الفاسدة في حقه وردت
في معرض الكلام واشارة الى انه سواء طلب هذا الامر او سكت عنه فلا بد من ان يقال في حقه ويُنسب
الى امر ففي القيام والطلب ينسب الى الحرص على الامرة والاهتمام بامر الدنيا وفي السكوت ينسب الى الذلة
والعجز وخوف الموت واوهام الخلق والسنتهم لا تزال مولعة بامثال ذلك بعضهم في حق بعض في المنافسة
قوله هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن ابي طالب انس بالموت من الطفل بثدي امه ورد
مورد التكذيب للاوهام الحاكمة في سكوته بجزعه اي بعد ما يقولون واللتيا والتي كنايتان عن الشدائد
والمصائب العظيمة والحقيرة واصل المثل ان رجلا تزوج امراة قصيرة صغيرة الخلق فقاسى منها شدائد
فطلقها وتزوج طويلة فقاسى منها اضعاف ما قاسى من الصغيرة فطلقها وقال بعد اللتيا والتي
لا اتزوج ابدا فصار ذلك مثلا للداهية الكبيرة والصغيرة وتقرير مراده ابعد ملاقاة كبار الشدائد وصغارها
انسب الى الجزع من الموت بعد ما يقولون ثم اكد تكذيبهم في دعوى جزعه من الموت بالقسم البار انه انس
بالموت من الطفل بثدي امه وذلك امر تبين من حاله عليه السلم اذ كان سيد العارفين بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله ورئيس الاولياء وقد عرفت ان محبة الموت والانس به امر متمكن من نفوس اولياء الله
لكونه وسيلة لهم الى لقاء اعظم محبوب والوصول الى اكمل مطلوب وانما كان آنس به من الطفل بثدي امه
لان محبة الطفل للثدي وانسه به وميله اليه ميل طبيعي حيواني في معرض الزوال وميله الى لقاء ربه
والوسيلة اليه ميل عقلي باق فاين احدهما من الاخر **قوله** بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم
اضطراب الارشية في الطوي البعيدة اشارة الى سبب جلي لتوقفه عن الطلب والقيام غير ما نسبوه
اليه من الجزع والخوف من الموت وهو العلم الذي انطوى عليه فان علي بعواقب الامور وادبارها والحاله
الى نتايج الحركات بعين بصيرته التي هي كمرآة صافية حوذي بها صور الاشياء في المراي العالية فتقارنت
فيها كما هي مما يوجب توقفه عما يعلم ان فيها فسادا وتسرعه الى ما يعلم فيه مصلحة بخلاف الجاهل

طلبه

الذي يقدم على عظايم الامور بفطير الراي لا عن بصيرة فادته الى ذلك ثم نبه على عظم قدر العلم الذي
اندمج عليه بقوله لو بحت به لاضطربتم اضطراب الارشية والجملة الشرطية في موضع الجر صفة
لعلم واشار باضطرابهم على ذلك التقدير الى تشتت ارائهم عند ان يكشف لهم ما يكون من امر الخلافة
والى من ينتهي والى ما ينتهي يؤول اليه حال الناس ان كان ذلك مما وقفه عليه الرسول صلى الله عليه وآله
واعلمه وفهمه فان كثيرا منهم في ذلك الوقت كان نافرا عن عمر وآخرون عن عثمان فضلا عن معاوية ومنهم
من كان يؤهل نفسه للخلافة في ذلك الوقت ويطلبها لنفسه وبعد عقدها لابي بكر كان يرجوا ان تؤول
اليه بعده وان كان الامر كذلك فظاهر انه عليه السلم لو باح لهم بما علمه من عاقبة هذا الامر لم يكن لهم ذلك
النظام الحاصل في ذلك الوقت لياس بعضهم من وصول ذلك الامر اليه وخوف بعضهم من غلظة عمر وقهره
ونفار آخرين من بني امية ومن يكون منهم وشبه اضطراب ارائهم على ذلك التقدير باضطراب
الارشية في الطوي البعيدة مبالغة وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس وذلك ان الطوي كلما كان اعمق
كان اضطراب الحبل فيها اشد فلذلك كذلك حالهم حينئذ اي يكون لكم اضطراب قوي واختلاف شديد
وقيل ان الذي يمنعني من المنافسة في هذا الامر والقتال عليه هو شغلي بما انطويت عليه من العلم
باحوال الاخرة ومشاهدة من نعيمها وبوسها ما لو كشفته لكم لاضطربتم اضطراب الارشية في الطوي
البعيدة خوفا من الله ووجلا من عقابه وشوقا الى ثوابه ولذهلتم عما انتم فيه من المنافسة في امر الدنيا وهذا
الوجه محتمل الارادة من هذا الكلام ولعل في تمام هذا الكلام لو وجد ما يوضح المقصود منه ولم اقف عليه
من كلام له عليه السلم والله لا اكون كالضبع تنام على اللدم حتى يصل اليها طالبها ويختلها راصدها ولكني
اضرب بالمقبل الى الحق وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب حتى ياتي علي يومي فوالله ما زلت
مدفوعا عن حقي مستاثرا علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا **اقول** روي
ابو عبيد قال اقبل امير المؤمنين عليه السلم يريد الطواف وقد عزم على اتباع طلحة والزبير وقتالهما فاشار
عليه ابنه الحسن عليه السلم ان لا يتبعهما ولا يرصد لهما القتال فقال في جوابه هذا الكلام وروي
في سبب نقضهما البيعة انهما دخلا عليه بعد ان بايعاه بايام وقالا قد علمت جفوة عثمان لنا وميله
الى بني امية مدة خلافته وطلبا منه ان يوليهما المصرين الكوفة والبصرة فقال لهما حتى انظر ثم
استشار عبد الله بن عباس فنهاه عن ذلك فعاوداه فمنعهما فسخطا وفعلا ما فعلاه الاصمعي اللدم صوت
الحجر او العصا يضرب به الارض ليس بالقوي ويحكى ان الضبع تستغفل في جحرها بمثل ذلك فتسكن
حتى تصاد ويحكى في كيفية صيدها انهم يضعون في جحرها حجرا او يضربون بايديهم بابه فتحسب الحجر شيئا تصيده
فتخرج لتصاد ويقال انها من احمق الحيوان ويبلغ من حمقها ان يدخل عليها فيقال ليست هذه ام عامر
او يقال خامري ام عامر فتسكن حتى توثق رجلها بحبل فتجذ لصيدها والختل الخديعة واستاثرت بالشي

طوا م

انفردت به واشار اولا الى ما اشير عليه به من تاخر القتال ومفهوم التشبيه انه لو تاخر لكان ذلك
سببا لتمكن الخصم مما قصده فيكون هو في ذلك شبيها بالضبع التي تنام وتسكن على طول حيلة راصدها
فاقسم عليه السلم انه لا يكون كذلك اي لا يسكن على كثرة الظلم والبغي وطول دفاعه عن حقه ثم اردف ذلك
بما هو الصواب عنده وهو المقاومة والقتال بمن اطاعه لمن عصاه فقال لكني اضرب بالمقبل الى الحق
وجه المدبر عنه وبالسامع المطيع وجه العاصي المريب ابدا وراعي المقابلة ههنا فالعاصي في
مقابلة السامع لان المرتاب في الحق مقابل للقابل له فكنى بالابد بغاية عمره لانه الابد الممكن له وذلك قوله
حتى ياتي علي يومي واشار بيومه الى وقت ضرورة الموت كناية ثم اردف ذلك بالتظلم والشكاية
في دفاعه عن هذا الامر والاستيثار عليه بالمحوج له الى هذه المقاومات والشكايات واشار الى
مبدا ذلك الدفاع ومنتهاه واكد ذلك بالقسم البار والاشارة بالحق المدفوع عنه الى امر الخلافة وهي
شكاية موكدة للشكايات السابقة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** اتخذوا الشيطان لامرهم
ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ في صدورهم ودب ودرج في حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم
فركب بهم الزلل وزين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه **اقول**
ملاك الامر ما يقوم به ومنه القلب ملاك الجسد والاشراك يجوز ان يكون جمع شريك كشريف واشراف
ويجوز ان يكون جمع شرك وهو حبائل الصائد كجبل واجبال والدبيب المشي الضعيف والدرج اقوى منه
والخطل الفاسد من القول وشركه بفتح الشين وكسر الراء شاركه وهذا الفصل من باب الشاغرة وهو ذم للمتابعين
له والمخالفين عليه فاشار اولا الى انقياد نفوسهم لشياطينهم الى حد جعلوها مدبرة لامورهم فيها وقوام احوالهم
وعزلوا عقولهم عن تلك الرتبة فهم اولياؤهم في الحيوة الدنيا كما قال تعالى انا جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يومنون ثم اردف ذلك بالاشارة الى بعض لوازم ملك الشيطان لامورهم بقوله واتخذهم له اشراكا وذلك انه
اذا ملك امورهم كان قيامها بتدبيره وصرفهم كيف شاء واستعمال الاشراك ههنا على تقدير كونها جمع شرك
استعارة حسنة فانه لما كانت فايدة الشرك اصطياد ما يراد صيده وكان هؤلاء القوم بحسب ملك
الشيطان لارائهم وتصرفه فيهم على حسب حكمه اسبابا لدعوة الخلق الى مخالفة الحق ومنابذة امام الحق
وخليفة الله في ارضه اشبهوا الاشراك لاصطيادهم الخلق بالسنتهم واموالهم وجذبهم الى الباطل
بالاسباب الباطلة التي القتها اليهم الشياطين ونطق بها على السنتهم فاستعار لهم لفظ الاشراك
واما على التقدير الثاني فظاهر ثم اردف ذلك ببيان ملازمته لهم فشبهه بالطاير الذي بنى عشه
في قلوبهم وصدورهم واستعار لفظ البيض والافراخ ووجه المشابهة ان الطاير لما كان يلازم عشه
فيبيض ويفرخ فيه اشبهه الشيطان في اقامته في صدورهم وملازمته لهم وكذلك قوله ودب ودرج
في حجورهم استعارة كنى بها ايضا عن تربيتهم للباطل وملازمة ابليس وعدم مفارقته لهم ونشوه معهم

مقابلة المطيع للمرتاب

كما يربي الوالد ولده وراعي في هذه القراين الاربع السجع ففي الاولين السجع المسمى مطرفا وفي الاخيرين
المسمى متوازيا **قوله** فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم اشارة الى وجوه تصرفه في اجزاء ابدانهم بعد القايهم
مقاليد امورهم اليه وعزل عقولهم عن التصرف فيصدرون عن مشاركته ومتابعته **قوله** فركب بهم
الزلل وزين لهم الخطل اشارة الى ثمرة متابعته وهي اصابة مقاصده منهم من الخروج عن اوامر الله في
الافعال وهو المراد بارتكابه بهم الزلل وفي الاقوال وهو المشار اليه بتزيينه لهم الخطل **قوله** فعل من قد شركه
الشيطان في سلطانه ونطق بالباطل على لسانه اشارة الى ان الافعال والاقوال الصادرة عنهم على خلاف اوامر
الله انما تصدر عن مشاركة الشيطان ومتابعته والضمير في سلطانه يعود الى من اي قد شارك الشيطان في
سلطانه الذي جعل الله له على الاعمال والاقوال وانتصاب فعل على المصدر اما عن فعل محذوف تقديره
فعلوا ذلك فعلا او عن قوله اتخذوا لانه في معنى فعلوا فهو مصدر له من غير لفظه وراعي في هاتين القرينتين
ايضا السجع المطرف والله اعلم بالصواب **ومن كلام له عليه السلم** يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك يزعم
انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة فليات عليها بامر يعرف والا فليدخل فيما خرج
منه **اقول** الوليجة الدخيلة في الامر وهذا الفصل صورة مناظرة له مع الزبير وهو مشتمل على تقدير حجته
سابقة له عليه السلم لما نكث الزبير بيعته وخرج لقتاله احتج عليه بلزوم البيعة له اولا فكان جواب الزبير
ما حكاه عنه بقوله انه بايع بيده ولم يبايع بقلبه اشارة الى التورية والتعريض في العهود والايمان ونحوها وادعى
من الزبير ان ذلك امر تقبله الشريعة فاجابه عليه السلم بقياس حذف كبراه كما علمت من قياس الضمير وهو ما اشار
اليه بقوله فقد اقر بالبيعة وادعى الوليجة اي اقر بما هو مقبول ومحكوم بلزومه شرعا وادعى انه اضمر في باطنه ما
يفسده من الوليجة فهذه صغرى القياس وتقدير الكبرى وكل من فعل ذلك احتاج في بيان دعواه الى حجة
تعرف صحتها فينتج انه محتاج الى حجة كذلك واشار الى هذه النتيجة بقوله فليات عليها بامر يعرف اي على دعوى
الوليجة وهيهات له ذلك اذ التورية امر باطن لا يمكن الاحتجاج به ولا اقامة البرهان عليه ثم اشار بقوله
والا فليدخل فيما خرج منه الى لزوم الدخول في طاعته وحكم بيعته التي خرج منها على تقدير عدم قدرته على برهان
دعواه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقد ارعدوا وابرقوا ومع هذين الامرين الفشل ولسنا نرعد حتى
نوقع ولا نسيل حتى نمطر الفشل الجبن والضعف والاشارة الى طلحة والزبير واتباعهما والكلام في معرض الذم
واستعار لفظ الارعاد والابراق لوعيدهم وتهديدهم لهم بالحرب يقال ارعد الرجل وابرق اذا تهدد وتوعد قال
الكميت ارعد وابرق يا يزيد فما وعيدك لي بضاير ووجه الاستعارة كون الوعيد من الامور المزعجة
كما ان الرعد والبرق كذلك **قوله** ومع هذين الفشل اشارة الى وجه الرد لهم وذلك ان التهديد والوعيد
قبل ايقاع الحرب والضوضاء والجلبة امارة للجبن والعجز والصمت والسكون امارة الشجاعة كما اشار اليه
عليه السلم في تعليم كيفية الحرب مخاطبا لاصحابه واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل وروي ان اباطاهر الجياني

من

عليه صورة نقض تلك الحجة من الزبير وصورة جوابه له عليه السلم عن ذلك ان الحجة ثلاثة م

اقول

سمع جلبة عسكر المعتصم وهو في الف وخمسمائة فارس والمعتصم في عشرين الفا فقال لبعض اصحابه ما هذا الرجل قال فشل قال اجل وكانت الغلبة له فاستدل عليه السلم بتلك الامارة على الفشل **قوله** فلسنا نرعد حتى نوقع ولا نسيل حتى نمطر اشارة الى نفي تلك الرذيلة عن نفسه واصحابه واثبات الفضيلة لهم وكما ان فضيلة السحاب ان يقترن وقوع المطر منه برعده وبرقه واسالته بامطاره كذلك الاقوال مقرونة بافعاله لا اخلاف فيها واما عدلها مقرونة بامطاره ومفهوم ذلك ان خصمه يهدد بالحرب من غير قوة نفس ولا ايقاع لها فاشبه الرعد من غير ايقاع للمطر والسيل من غير مطر وكانه قال كما لا يجوز سيل الا بمطر فكذلك ما يدعونه به من ايقاع الحرب بلا شجاعة ولا قوة عليها وفي ذلك تتميم التحدي **ومن خطبة له عليه السلم**

الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله وان معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس علي وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه ولا يعودون اليه **اقول** هذا الفصل ملتقط ملفق من خطبة له عليه السلم لما بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته وهو غير منتظم وقد اوردنا السيد منها فصلا آخر وسنذكرها بتمامها اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى الاستجلاب في معنى الجمع والبصيرة العقل وافرطت الحوض افرطه بضم الراء ملاته والماتح بالتاء المستقي وربما يلتبس بالمايح وهو الذي ينزل البير فيملأ الدلو والفرق بينهما ان نقطتي فوق للفوقاني والصدور الرجوع عن الماء وغيره ويقابله الورود وهو العود اليه ومدار هذا الفصل على ثلثة امور اولها الذم لاصحاب الجمل والتنفير عنهم والثاني التنبيه على فضيلة نفسه والثالث الوعيد لهم واشار الى الاول بقوله الا وان الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله واراد ان الباعث لهم والحامل على مخالفة الحق انما هو الشيطان بوسوسته لهم وتزيينه الباطل في قلوبهم وقد عرفت كيفية وسوسته واضلاله فكل من خالف الحق وتابعه فهو من حزب الشيطان وجنده خيله ورجله واما الثاني فاشار اولا الى كمال عقله وتمام استعداده لاستجلاء الحق واستيضاحه بقوله وان بصيرتي لمعي ثم اكد ذلك بالاشارة الى عدم انخداع نفسه القدسية للشيطان فيما لبس به على الحق من الشبه الباطلة على البصائر الضعيفة فعميها بذلك عن ادراكه وتميزه من الباطل سواء كانت مخادعة الشيطان وتلبيسه بغير واسطة وهو المشار اليه بقوله ما لبست على نفسي اي لا البس على نفسي المطمئنة ما القته اليها نفسي الامارة او بواسطة وهو المشار اليه بقوله ولا لبس علي اي من تبع البيعة وتلقف عنه الشبه فصار في قوته ان يلبس الحق صورة الباطل لا يمكنه ان يلبس علي واما الثالث فاشار اليه بقوله وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه الى آخره واستعار افراط الحوض لجمعه الجند وتهيئته اسباب الحرب وكنى بقوله انا ماتحه عن انه هو المتولي لذلك ولما كانت الحرب مما يشبه بالبحر وبالماء فيستعار لها اوصافه فيقال فلان خواض غمرات وفلان منغمس في الحرب جاز ان يستعار ههنا لفظ الحوض وترشيح تلك الاستعارة بالمتح والفرط والاصدار والايراد وفي تخصيص نفسه بالمتح تاكيد وتهديد لعلمهم ببأسه وشجاعته وقد حذف المضاف اليه ماتح في الحقيقة وتقديره انا ماتح مائه اذ الحوض لا يوصف بالمتح ثم اردف ذلك بوصف استعداده لهم بالشدة والصعوبة عليهم فكنى بقوله لا يصدرون عنه عن الواردين منهم اليه لا نجاة منه فهو بمنزلة من يغرق فيه فلا يصدر عنه وبقوله ولا يعودون اليه اي ان من نجا منهم لا يطمع في الحرب مرة اخرى فلا يردون الى ما اعد لهم مرة ثانية واكد ذلك الوعيد بالقسم البار واصل ايم ايمن جمع يمين حذفت النون تخفيفا كما حذفت في لم يك وقيل هو اسم براسه وضع للقسم وتحقيقه في سائر النحو **ومن كلام له لابنه محمد ابن الحنفية** لما اعطاه الراية يوم الجمل تزول الجبال ولا تزل عض على ناجذك اعر الله جمجمتك تد في الارض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغض بصرك واعلم ان النصر من عند الله سبحانه **اقول** الناجذ السن بين الناب والضرس وقال الجوهري هو اقصى الاضراس وقيل الاضراس كلها نواجذ واعلم انه عليه السلم اشار في هذا الفصل الى انواع اداب الحرب وكيفية القتال فنهاه اولا عن الزوال واكد عليه ذلك بقوله تزول الجبال ولا تزل والكلام في صورة شرطية متصلة محذوفة المقدم تقديرها لو زالت الجبال لا تزل وهو نهي عن الزوال مطلقا لان النهي عنه على تقدير زوال الجبال مستلزم للنهي على تقدير آخر بطريق الاولى اذ القصد به المبالغة في النهي ثم اردف ذلك بخمسة اوامر احدها ان يعض على ناجذه وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش عن القلق والخوف والانسان يشاهد ذلك في حال البرد والخوف الموجبين للرعدة فانه اذا عض على اضراسه سكن رعدته وتماسك بدنه الثاني ان الضرب مع ذلك في الراس لا يؤثر كثير ضرر كما قال عليه السلم في موضع آخر وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام وكان ذلك لما فيه من جمع القوة والتصلب الثاني ان يعير الله جمجمته وهي استعارة لطيفة وتشبيه للجمجمة بالآلة التي تستعار للانتفاع بها ثم ترد فانتفاع دين الله وحزبه محمد رضي الله عنه على هذا الوجه يشبه الانتفاع بالعارية وقال بعض الشارحين وفي ذلك تنبيه لمحمد رضي الله عنه على انه لا يقتل في تلك الحرب لانها اعارة لله لا بد من ردها بكمال السلامة وفيه تثبيت لجاشه وربط لقلبه الثالث ان يتد قدمه في الارض ويجعلها كالوتد وذلك لاستلزامه امرين احدهما ربط الجاش واستصحاب العزم على الثبات الثاني ان ذلك مظنة الشجاعة وامارة الصبر على المكاره فيكون من موجبات انفعال العدو وانقهاره الرابع ان يرمي ببصره اقصى القوم وذلك ليعلم على ماذا يقدم وليطلع على احوال المقاتلين ومقاتل المقاتل الخامس ان يغض بصره بعد مده وذلك لكونه علامة التسكين والثبات وعدم الطيش ولان مد النظر الى بريق السيوف مظنة الفزع وانه ليخيف على البصر ايضا والخطر المحمود في الحرب ان يلحظ شزرا فعل الحنق المترصد للفرصة كما قال عليه السلم في غير هذا الموضع والحظوا الشزر ثم لما ثبته بهذه الاوامر لخمسة امره ان يعلم ان النصر من عند الله كما قال وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليستاكد ثباته بيقينه بالله عند ملاحظة قوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم ونحوه **ومن كلام له عليه السلم** لما ظفر باصحاب الجمل وقد قال له بعض اصحابه

وددت ان اخي فلانا كان شاهدنا ليرى ما نصرك الله به على اعدائك فقال عليه السلم اهوى اخيك معنا
فقال نعم فقال فقد شهدنا ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال وارحام النساء سيرعف بهم
الزمان ويقوى بهم الايمان **اقول** قوله اهوى اخيك معنا اي محبته وميله **قوله** فقد شهدنا حكم بالحضور
بالقوة او بحضور نفسه وهمته على تقدير محبته للحضور وكم انسان يحصل بحضور همته وان لم يحضر ببدنه كثير نفع
اما باستجلاب الرجال او بتاثير الهمة في تفريق اعداء الله كما تفعله همم اولياء الله بحيث لا يحصل مثل ذلك النفع
من ابدان كثيرة حاضرة وان قويت وعظمت **قوله** ولقد شهدنا في عسكرنا هذا قوم في اصلاب الرجال
وارحام النساء تاكيد لحضور اخ القايل الاشارة الى من سيوجد من انصار الحق الذابين عنه وعباد الله
الصالحين شاهدون معه عليه السلم ايضا والشهادة شهادة بالقوة اي انهم موجودون في اكمام الموم
بالقوة ومن كان في قوة ان يحضر من انصار الله فهو بمنزلة الحاضر الموجود بالفعل في نصرته لذا وجد **قوله**
سيرعف بهم الزمان استعار لفظ الرعاف وهو الدم الخارج من انف الانسان لوجودهم وفيه تشبيه
للزمان بالانسان وانما نسب وجودهم الى الزمان لانه من الاسباب المعدة لقوابل وجودهم ونحوه قول
الشاعر وما رعف الزمان بمثل عمرو ولا تلد النساء له ضريبا **وقوله** ويقوى بهم الايمان ظاهر وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في ذم اهل البصرة واهلها كنتم جند المراة واتباع البهيمة رغا
فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وعهدكم شقاق ودينكم نفاق وماؤكم زعاق المقيم بين اظهركم
مرتهن بذنبه والشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه كاني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب
من فوقها ومن تحتها وغرق من في ضمنها وفي رواية اخرى وايم الله لتغرقن بلدتكم هذه حتى كاني انظر
الى مسجدها كجؤجؤ سفينة او نعامة جاثمة وفي رواية اخرى كجؤجؤ طير في لجة بحر **اقول** هذا الفصل
مع فصول بعده من خطبة خطبها عليه السلم بالبصرة بعد ما فتحها روي انه لما فرغ من امر الحرب
لاهل الجمل امر مناديا ينادي في اهل البصرة ان الصلوة الجامعة لثلثة ايام من غد ان شاء الله
ولا عذر لمن تخلف الا من حجة او علة فلا تجعلوا على انفسكم سبيلا فلما كان في اليوم الذي اجتمعوا فيه
خرج فصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع فلما قضى صلوته قام فاسند ظهره الى حائط القبلة عن يمين
المصلى فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله وصلى على النبي صلى الله عليه وآله واستغفر للمؤمنين
والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا اهل البصرة يا اهل المؤتفكة ائتفكت باهلها ثلثا وعلى الله
تمام الرابعة يا جند المراة واعوان البهيمة رغا فاجبتم وعقر فانهزمتم اخلاقكم دقاق وماؤكم زعاق
بلادكم انتن بلاد الله تربة وابعدها من السماء بها تسعة اعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج
منها بعفو الله كاني انظر الى قريتكم هذه وقد طبقها الماء حتى ما يرى منها الا شرف المسجد كانه
جؤجؤ طير في لجة بحر فقام اليه الاحنف بن قيس فقال يا امير المؤمنين متى ذلك قال يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغايب عنكم لكي يبلغ اخوانهم اذا هم راوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا واجامها قصورا

واعلم ان بعد هذا الفصل من الخطبة فصول لا تعلق لها بهذا الموضع وربما تعلقت بفصول وردها
السيد بعد هذا الفصل وسنذكرها معها ان شاء الله اصل البصرة الحجارة البيض الرخوة وصارت
على البلدة لوجود تلك الحجارة بها في ابتدائها بالمربد كثيرة وايتفكت البلدة باهلها انقلبت بهم والمؤتفكة
من الاسماء القديمة للبصرة كما سنذكره في تمام هذه الخطبة والرغاء صوت الابل خاصة والعقر الجرح
والدقة كل شيء حقيره وصغيره والشقاق الخلاف والافتراق والنفاق الخروج من الايمان بالقلب واصله
ان اليربوع يرقق موضعا من الارض من داخل جحره فاذا اوتي من قبل بابه وهو القاصعاء ضرب ذلك الموضع
برأسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء اشتق لفظ النفاق منه والزعاق الملح وطبقها الماء اي عمها الى اخره
جميعها وجؤجؤ السفينة صدرها وكذلك الطاير واعلم انه عليه السلم ذكر في معرض ذمهم امورا نبه فيها
على وجوه ارتكابهم للرذائل اولها كونهم اهل المؤتفكة فان ائتفاك البلد باهلها وخسفها بهم
انما يكون لفسادهم واستحقاقهم بذلك لعذاب الله وقوله وعلى الله تمام الرابعة دعاء عليهم بايقاع الخسف بهم
الثاني كونهم جند المراة واراد عائشة فانهم جعلوها عقد نظامهم ولما كانت اقوال النساء وآراؤهن امورا
مذمومة بين العرب وساير العقلاء لضعف آرائهن ونقصان عقولهن كما قال الرسول صلى الله عليه
وآله انهن ناقصات عقول ناقصات دين ناقصات حظ اما نقصان عقولهن فلان شهادة اثنتين
منهن بشهادة رجل واحد لتذكر احداهما الاخرى واما نقصان دينهن فلان احداهن تقعد في بيتها شطر
دهرها اي في ايام حيضها لا تصوم ولا تصلي واما نقصان حظهن فلان ميراثهن على النصف من ميراث
الرجال وكان مع ذلك مستقرهن وتابعهن اضعف راءيا منهن كما هو شان التابع بالنسبة الى متبوعه لا جرم
حسن منه توبيخهم بكونهم جندها واعوانا الثالث كونهم اتباع البهيمة واراد بالبهيمة الجمل الذي كان تحت عائشة فانه لم
شاهد قوما تباعا عجيبين لرغائه وهاربين لعقره وهو اشنع من الاول وادخل في الذم وكنى برغائه عن دعوتهم
الى القتال اذ نعمت عليهم راكبة له الرابع دقة اخلاقهم واشار بهم الى كونهم على رذائل الاخلاق دون حاق الوسط
ولما كانت اصول الفضائل الخلقية كما علمت ثلثة الحكمة والعفة والشجاعة وكانوا على طرف الجهل بوجوه الاداء
المصلحية وهو طرف التفريط من الحكمة العملية وعلى طرف الجبن وهو طرف التفريط من الشجاعة وعلى طرف الجور
وهو طرف الافراط من ملكة العفة والعدالة لا جرم صدق انهم ارذال الاخلاق ورقاقها الرابع الشقاق في العهد
والنكث لها ومصداق ذلك نكثهم لعهده وخلافهم لبيعته وذلك من الغدر الذي هو رذيلة بازاء ملكة الوفا
الخامس النفاق في الدين وذلك كانوا خارجين على الامام العادل محاربين له لا جرم كانوا خارجين عن الدين وربما كان
ذلك خطابا خاصا لبعضهم اذ المنافق العرفي هو الخارج عن الاسلام بقلبه المظهر بلسانه فيكون ذلك خطابا
لمن كان منهم بهذه الصفة السادس ما يتعلق بذم بلدهم وهو كون مائهم مالحا وسبب ملوحته قربه من البحر وامتزاجه
به ودخول ذلك في معرض ذمهم ربما يكون لسوء اختيارهم ذلك المكان والاقامة به مع كون مائهم سبيلا للحال المستلزمة
لامراض كثيرة في استعماله كسوء المزاج والبلادة وفساد الطحال والحكة وغير ذلك مما ذكره الاطباء ولان ذلك من

برأسه فانتفق اي خرج ويسمى ذلك النافقاء اشتق لفظ النفاق منه والزعاق الملح وطبقها الماء اي عمها الى اخره

اسباب التنفير عن المقام معهم وكثرة سوادهم السابع كونها انتن البلاد تربة وذلك لكثرة الماء بها وعفنها به
الثامن كونها ابعد البلاد عن السماء وسيجيء بيانه التاسع كونها بها تسعة اعشار الشر ويحتمل ان يريد به المبالغة
في ذمها دون الحصر وذلك انه لما عدد بها شرورا لا يكاد يجتمع في غيرها حكم بان فيها تسعة اعشار الشر
كني به عن معظم الشر ويحتمل ان يريد بالشر مجموع الرذائل الخلقية المقابلة لاصول الفضائل النفسانية التي هي
العلم والشجاعة والعفة والسخاء والعدل اذ لكل منها مقابل رذيلتين كما علمت فتلك عشر رذائل وما اشبه ما لا يخرج
عنهم منها ما لا يناسب غرضه ههنا ذمهم به كالتبذير ونحوه وهذا الاحتمال وان كان لطيفا الا ان
فيه بعدا العاشر كون المقيم بين اظهرهم مرتهنا بذنبه وذلك ان المقيم بينهم لا بد وان ينخرط في سلكهم
ويستعد لقبول مثل طباعهم وينفعل عن رذائل اخلاقهم وحينئذ يكون موثوقا بذنوبه الحادي عشر كون الشاخص
عنهم متداركا برحمة من ربه وذلك لاغاثة الله له بالخروج ليسلم من الذنوب التي يكتسبها المقيم بينهم
وتلك رحمة من الله واي رحمة وكل ذلك في معرض التنفير عنهم والمفهوم من الرواية الثانية وهي قوله
المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بعفو الله غير ما ذكرناه اذ يفهم من قوله المحتبس فيها بذنبه ان احتباسه
بينهم يجري مجرى العقوبة له بذنب سبق منه والخارج منها قد عفا الله عنه بخروجه وقد راعى في هاتين
القرينتين السجع المتوازي وكذلك في القرائن الاربع قبلهما ثم اشار بعد ذلك الى ان مدينتهم سيغرقها الماء وشبه
نفسه بذلك ومشاهدته بنور بصيرته القدسية لمسجدهم مغمورا بالماء وقد طابق الضهم بشاهده في حينه
في الظهور وقد حكي بوصف الرسول صلى الله عليه وآله على احوالهم في فصل آخر من هذه الخطبة وذلك انه
عقيب ذمه لاهل البصرة وجوابه للاحنف في الفصل الذي ذكرناه قال لما دحا لهم يا اهل البصرة ان الله لم يجعل
لاحد من امصار المسلمين خطة شرف ولا كرم الا وقد جعل فيكم افضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس
لهم انتم اقوم الناس قبلة قبلتكم على المقام حيث يقوم الامام بمكة وقاريكم اقرأ الناس وزاهدكم ازهد الناس
وعابدكم اعبد الناس وتاجركم اتجر الناس واصدقهم في تجارته ومتصدقكم اكرم الناس صدقة وغنيكم
اشد الناس بذلا وتواضعا وشريفكم احسن الناس خلقا وانتم اكرم الناس جوارا واقلهم تكلفا لما لا يعنيه
واحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم اكثر الثمار واموالكم اكثر الاموال وصغاركم اكيس الاولاد ونساؤكم
اقنع النساء واحسنهن تبعلا سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة اموالكم
فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلا ظليلا غير ان حكم الله فيكم ماض وقضاؤه نافذ لا معقب
لحكمه وهو سريع الحساب يقول الله وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة او معذبوها عذابا شديدا
كان ذلك في الكتاب مسطورا واقسم لكم يا اهل البصرة ما الذي ابتدأتكم به من التوبيخ الا تذكيرا وموعظة لما بعد
لكي لا تسرعوا الى الوثوب في مثل الذي وثبتم وقد قال الله تعالى لنبيه صلوات الله عليه وذكر فان الذكرى تنفع
المؤمنين ولا الذي ذكرت فيكم من المدح والتطرية بعد التذكير والموعظة رهبة مني لكم ولا رغبة في شيء

مما قبلكم فاني لا اريد المقام بين اظهركم ان شاء الله لامور تحضرني قد يلزمني القيام فيها بيني وبين الله لا عذر لي
في تركها ولا علم لكم بشيء منها حتى يقع مما اريد ان اخوضها مقبلا ومدبرا فمن اراد ان يأخذ بنصيبه منها
فليفعل فلعمري انه للجهاد الصافي صفاه لنا كتاب الله ولا الذي اردت به من ذكر بلادكم موجدة مني
عليكم لما شاققتموني غير ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوما وليس معه غيري يا علي ان جبرئيل
الروح الامين حملني على منكبه الايمن حتى اراني الارض ومن عليها واعطاني اقاليدها وعلمني ما
فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون الى يوم القيمة ولم يكبر ذلك علي كما لم يكبر على ابي آدم علمه الاسماء كلها ولم تعلمها الملائكة
المقربون واني رايت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فاذا هي ابعد الارض من السماء واقربها من الماء
وانها لاسرع الارض خرابا واخبثها ترابا واشدها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين
عليها زمان وان لكم يا اهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليوما عظيما بلاؤه واني لاعرف موضع
منفجره من قريتكم هذه ثم امور قبل ذلك تدهمكم عظيمة اخفيت عنكم وعلمناها فمن خرج عنها عند دنو
غرقها فبرحمة من الله سبقت له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلام للعبيد واما تشبيه
ما يخرج من الماء من شرفات المسجد بصدر السفينة وفي الرواية الاخرى بالنعامة الجاثمة وفي الرواية
الثالثة بالطائر في لجة البحر فتشبيهات ظاهرة فاما وقوع ذلك الغرق المخبر عنه فالمنقول انها غرقت
مرة في ايام القادر بالله ومرة في ايام القائم بامر الله غرقت باجمعها وغرق من في ضمنها وخربت دورها و
لم يبق منها الا علو مسجدها الجامع حسب ما اخبر به عليه السلام وكان غرقها من قبل بحر فارس ومن ناحية
الجبل المعروف بجبل السنام وكان ذلك مصداق كلامه عليه السلام وفي ذلك نظر لانه اشار الى ان ذلك
الماء ينفجر من ارضهم بقوله واني لاعرف موضع منفجره من قريتكم هذه وظاهر ذلك يقتضي انه لا يكون
من ناحية اخرى والله اعلم **منها** في مثل ذلك ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء خفت عقولكم
وسفهت حلومكم فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائل **اقول** السفه رذيلة مقابل الحلم ويعود الى
الطيش وعدم الثبات والاكلة اسم للماكول وقد علمت ان قوله ارضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء مما حكاه
عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل المتقدم اما قرب ارضهم من الماء فاشارة الى انها
موضع هابط مستفل من الارض وقريب من البحر فهو بصدد ان يعلوها بطلاقات دجلة وذلك مشاهد
في دخول الماء حدائقهم وسقيه بساتينهم في كل يوم مرة او مرتين واما كونها بعيدة من السماء فبحسب استفالها
عن غيرها من الارض وقيل ان ابعد موضع في الارض عن السماء الابلة وان ذلك مما دلت عليه الارصاد
وبرهن عليه اصحاب علم الهيئة وقال بعضهم ان كون ذلك في معرض الذم يصرفه عن ظاهره وانما الاشارة
به الى انهم لما كانوا بالاوصاف المذمومة التي عددها فيهم كانوا بعداء عن نزول الرحمة عليهم من سماء الجود الالهي
مستعدين لنزول العذاب وصدق في العرفان انه بعيد من السماء اذ كان كما ذكرناه **قوله**

خف عقولكم اشارة الى قلة استعدادهم لدرك وجوه المصالح وضعف عقولهم عن تدبير احوالهم وتسرعهم
الى ما لا ينبغي لغفلتهم عما ينبغي وهو وصف لهم برذيلة الغباوة **قوله** وسفهت حلومكم اشارة الى وصفهم
برذيلة السفه والخفة المقابلة للحلم **قوله** فانتم غرض لنابل واكلة لآكل وفريسة لصائد هذه الاوصاف
الثلثة لازمة عن خفة عقولهم وسفه حلومهم ولذلك عقبها بها لان طمع القاصدين لهم بانواع
الاذى انما ينشأ من علمه بقلة عقليتهم لوجوه المصالح وسفههم فيقصدهم بحسن تدبيره والاول
من هذه الاوصاف كناية عن كونهم مقصد المرمى باذاهم والثاني كناية عن كونهم في معرض ان يطمع
في اموالهم ونعمتهم وما كلها من يقصد اكلها والثالث عن كونهم بصدد ان يفترسهم من يقصد قتلهم
واهلاكهم واستعار لفظ الغرض والاكلة والفريسة لهم ووجوه المشابهة فيها ظاهرة وقد راعى في هذه
القراين السجع ففي الاوليين السجع المطرف وفي الاخريين بعدهما والثلث السجع المتوازي **ومن كلام له**
فيما رده من قطايع عثمان والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة ومن ضاق
عليه العدل فالجور عليه اضيق **اقول** هذا الفصل مع فصول بعده من خطبة خطبها بالمدينة لما قتل
عثمان وبويع له وقد ورد هيهنا بزيادة ونقصان واول هذا الفصل من الخطبة الا ان كل قطيعة
قطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج
به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه وستورد الخطبة بتمامها مع جميع
الفصول التي يجيء منها ان شاء الله تعالى واعلم انه اشار اولا الى العزم الجازم المؤكد بالقسم على رد القطايع
التي كان عثمان اقطعها اقاربه ثم نبه المقتطعين بقوله فان في العدل سعة على ان عدل الله يسعهم في رد
ما اقتطعوه وكنى بسعته عن اقتضاء امر العدل رد ذلك وغيره من المظالم فعليهم ان يدخلوا في مقتضى
اوامر الله وعدله فان فيه سعة لهم اذ به نظام العالم باسره وهو محل الرضا للمظلوم بايصال حقه اليه
ولرضا الظالم لمواتاة منعه الانتزاع منه اخذ ما ليس له وتاكد ذلك العلم بالوعيد الصادق فهو وان قام شيطانه
حال انتزاع الظلامة منه وضاق عليه العدل فهو في محل الرضا فان لم يرض لضيق العدل عليه فالجور عليه
اضيق في الدنيا والاخرة لانه ربما انتزعت منه قهرا وكان جوره سببا للتضييق عليه في ذلك ولان الاوامر والنواهي
الالهية محيط به صادة عليه وجوه التصرف الباطل ولانه اذا نزل عليه عدل اعتصم به فقد اخذ منه ما ينبغي اخذه
منه واذا نزل عليه جور اعتصم كانما اخذ منه ما لا ينبغي اخذه ولا شك ان اخذ ما لا ينبغي اخذه اصعب على
النفس واضيق من اخذ ما ينبغي وهو امر وجداني والمعنى في الالفاظ التي اوردناها من الخطبة قريب مما
ذكرناه هيهنا غير ان الضماير في قوله فانه لم يسعه يعود الى المال واعلم انه قد كان عثمان اقطع جماعة من بني امية
وغيرهم من الصحابة كثيرا من ارض بيت المال وكذلك فعل عمر ذلك مع قوم لهم وقايع مشهورة في الجهاد في سبيل الله
ترغيبا في الجهاد لكن لما اختلف عرض الاماميين لم يرد علي عليه السلام الا ما اقطعه عثمان وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام لما بويع بالمدينة ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرحت له العبر عما بين يديه
من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه والذي
بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم
وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد
نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم
في النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة حق وباطل ولكل
اهل فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل قال السيد رضي الله عنه
ان في هذا الكلام الادنى من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان وان حظ العجب منه اكثر
من حظ العجب به وفيه مع الحال التي وصفنا زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان ولا يطلع فجها انسان
ولا يعرف ما اقول الا من ضرب في هذه الصناعة بحق وجرى فيها على عرق وما يعقلها الا العالمون
اقول هذا الفصل فصول من الخطبة التي اشرنا اليها في الكلام الذي قبله وكذلك في الفصل الذي
بعده ونحن نوردها بتمامها ليتضح ذلك وهي الحمد لله احق محمود بالحمد واولاه بالمجد الها واحدا صمدا اقام
اركان العرش فاشرق بضوئه شعاع الشمس خلق فاتقن واقام فذلت لعظمته السماوات والارض واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالنور الساطع والضياء المنير اكرم خلق الله
حسبا واشرفهم نسبا لم يتعلق عليه مسلم ولا معاهد بمظلمة بل كان يظلم ولا يظلم اما بعد فان اول من بغى على الارض
عناق ابنة آدم كان مجلسها من الارض جريبا وكان لها عشرون اصبعا وكان لها ظفران كالمنجلين فسلط
الله عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالحمار وكان ذلك في الخلق الاول فقتلها وقد قتل الله الجبابرة على اسوأ
احوالهم وان الله اهلك فرعون وهامان وقتل قارون بذنوبهم الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله
نبيكم عليه السلام والذي بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة حتى يعود اسفلكم اعلاكم واعلاكم اسفلكم وليسبقن
سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت
بهذا اليوم وهذا المقام الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار
فهم فيها كالحون الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها اهلها فسارت بهم تاودا حتى اذا جاؤا ظلا ظليلا
فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الا وقد سبقني الى هذا الامر
من لم اشركه فيه ومن ليست له منه توبة الا بنبي مبعوث ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله اشفى منه
على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم ايها الناس كتاب الله وسنة نبيه لا يرعى مرعى الا على نفسه
شغل من الجنة والنار امامه ساع نجا وطالب يرجو ومقصر في النار ولكل اهل ولعمري لئن امر الباطل
لقديما فعل ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما ادبر شيء فاقبل ولئن رد امركم عليكم انكم لسعداء وما علينا الا الجهد

قد كانت امور مضت ملتم فيها ميله كنتم عندي فيها غير محمودي الراي ولو اشاء ان اقول لقلت عفا الله
عما سلف سبق الرجلان وقام الثالث كالغراب همه بطنه ويله لو قص جناحاه وقطع راسه كان خيرا له شغل
من الجنة والنار امامه ساع مجتهد وطالب يرجو ومقصر في النار ثلثه واثنان خمسة ليس فيهم سادس
ملك طار بجناحيه ونبي اخذ الله بضبعيه هلك من ادعى وخاب من افترى اليمين والشمال مضلة
ووسط الطريق المنهج عليه باقي الكتاب واثار النبوة الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط و
السيف ليس عند امام فيهما هوادة فاستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم من ابدى صفحته
للحق هلك الا وان كل قطيعة اقطعها عثمان او مال اخذه من بيت مال المسلمين فهو مردود عليهم في
بيت مالهم ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان فانه ان لم يسعه الحق فالباطل اضيق عنه اقول
قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد ذكرنا هذا الفصل بتمامه ولنرجع الى التفسير فنقول الذمة الحرمة والذمة
ايضا العهد والرهينة المرهونة والزعيم الكفيل وفي الحديث الزعيم غارم والمثلات العقوبات والحجز المنع
والتقحم في الامر التهجم ورمي النفس فيه والهيئة الصفة والبلبلة الاختلاط والغربلة نخل الدقيق ونحوه والغربلة القتل
ايضا وساط القدر اذا قلب ما فيها من طعام بالمحراك وادار والوشمة بالشين المعجمة الكلمة وبغير المعجمة العلامة
والانزوا الشمس جمع شموس وهي الدابة تمنع ظهرها والنادو السير الثقيل بالشباب والذلول الساكنة والكلح تكشر
في عبوس وامر الباطل كثر الجم كثر وقادر يرعى على نفسه اذا كان يتفقد احوالها واعلم انه اشار اولا في هذا
الفصل الى وجوب الاعتبار لوجوب التقوى ونبه على انه وسيلة اليه ومستلزم له في صورة شرطية متصلة
وهي قوله من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن تقحم الشبهات وبيان الملازمة ان من
اخذت العناية بزمام عقله فاعترت نور بصيرته مشاهدة ما صرحت به آفات الدنيا وكشفت عبرها من تحول
حالاتها وتغيراتها على من وقف عليها واتخذها دار اقامة فشاهد ان كل ذلك امور باطلة واظلال زايلة
فلابد ان يفيض الله على قلبه صورة خشيته وتقواه فتستلزم تلك الخشية توقفه وامتناعه ان يلقي نفسه
في تلك الامور الزايلة والشبهات الباطلة لاشراق نور الحق الواضح على لوح نفسه بالاعتبار فالتقوى اللازم
عنه هو الحاجز عن ذلك التقحم واشار بالشبهات الى ما يتوهم كونه حقا نافعا من الامور الفانية الزايلة
واللذات الدنيوية الباطلة فالوهم يصورها وشبهها بالحق فلذلك سميت شبهات والعقل الخارج من
اسر الهوى قوي على نقد الحق وتمييزه من الشبهة واكد عليه السلام هذه الملازمة برهن ذمته على صحتها
وكفالته بصدقها وذلك قوله ذمتي بما اقول رهينة وانا به زعيم واستعمال الرهن ههنا استعارة كقوله تعالى
كل نفس بما كسبت رهينة واعلم انه قد يلتبس عليك حقيقة التقوى فنقول التقوى بحسب العرف الشرعي
الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها
وتنحية ما دونه وجهه عن جهة القصد ولما كان الترك والاعراض المذكور هو الزهد الحقيقي كما علمت وكان التقوى

وسيلة اليه علمت انه من اقوى الجواذب الى الله الرادعة عن الالتفات الى ما سواه وقد ورد التقوى بمعنى الخشية
من الله تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا ربكم ومثله في اول الحج وفي الشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب لقومهم وفي العنكبوت وابرهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه
وقوله اتقوا الله حق تقاته وقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى وكذلك في ساير آيات القرآن وان كان قد
حمله بعض المفسرين تارة على الايمان كما في قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى وتارة على التوبة كما في قوله ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا وتارة على ترك المعصية كما في قوله واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اذا عرفت ذلك
فاعلم انه لما نبههم على لزوم التقوى والتخلص من تقحم الشبهات نبههم على انهم في الشبهات مغمورون بقوله
الا وان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيه واشار ببليتهم الى ما هم عليه من اختلاف الاهواء وتشتت
الآراء وعدم الالفة والاجتماع في نصرة الله من شبهات يلقيها الشيطان على الاذهان القابلة لوسوسته
المقهورة في يده وذلك من اعظم الفتن التي بها يبتلي الله عباده ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وهي امور
تشبه ما كان الناس عليه حال بعثه الرسول صلى الله عليه وآله وفي ذلك تنبيه لهم على انهم ليسوا من تقوى الله
في شيء اذ عرفت ان مجانبة الشبهة من لوازم التقوى وكان وقوعهم فيها مستلزما لسلب التقوى عنهم
ثم اقسم ليقع وقوعهم في البلية كما كانت اقسم بالقسم البار لتبلبلن بهم ثمرة ما هم فيه من عدم التناصر واتباع الاهواء
الباطلة وذكر امورا ثلثة احدها البلبلة وكنى بها عما توقع بهم بنو امية وغيرهم من امراء الجور من الهموم المزعجة
وخلط بعضهم ببعض ورفع اراذلهم وحط اكابرهم عن ما يستحق كل من المراتب الثاني الغربلة وكانها كناية عن التقاط
آحادهم وقصدهم بالاذى والقتل كما فعل بكثير من الصحابة والتابعين وفي ذلك تشبيه لفعلهم ذلك بغربلة الدقيق
ونحوه لتميز شيء منه عن شيء ولذلك استعير له لفظها وفي هاتين القرينتين السجع المتوازي الثالث تساطهم
كما تساط القدر الى ان يعود اسفلهم اعلاهم وبالعكس واستعار لفظ السوط ههنا مع غاية المذكور لضرب
انه لجو لهم من بالى بعيد بتاويل اسباب الاهانة وتغير القواعد التي هم عليها في ذلك الوقت وهو قريب من
الاول قوله وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا اشارة الى بعض نتايج تقلب الزمان
بهم قال بعض الشارحين انه اشار بالمقصرين الذين يسبقون الى قوم قصروا عن نصرته في مبدا الامر حين وفاة
الرسول صلى الله عليه وآله ثم نصروه في ... وقاتلوا معه في ساير حروبه وبالسابقين الذين يقصرون
الى من كانت له في الاسلام سابقة ثم يخذله وينحرف عنه ويقاتله والاشبه ان يكون مراده اعم من ذلك
فالمقصرون الذين يسبقون ~~الى قوم قصروا عن نصرته في مبدا الامر~~ كل من اخذت العناية الالهية بيده وقاده
بزمام التوفيق الى الجد في طاعة الله واتباع ساير اوامره والوقوف عند نواهيه وزواجره بعد تقصيره في ذلك
وعكس هؤلاء من كان في مبدا الامر مستمرا في سلوك سبيل الله ثم جذبه هواه الى غير ما كان عليه وسلك
به الشيطان مسالكه فاستبدل سبقه في الدين تقصيرا وانحرافا عنه قوله والله ما كتمت وشمة ولا كذبت

كذبة اقسم انه لم يكتم اثرا سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المعنى او كل ما ينبغي عليه ان يبوح به وانه
لم يكذب قط وهذا القسم شهادة لما قبله من الاخبار بما سيكون انه كما قال وتوطية لما بعده انه كما هو وذلك
قوله ولقد نبئت بهذا المقام اي مقام بيعة الخلق له وهذا اليوم اي يوم اجتماعهم عليه وكل ذلك ليغير لهم من
الباطل الى الحق وتثبيت لهم على اتباعه ثم لما امرهم بالتقوى وانباهم بما سيكون عاقبة امرهم في لزومهم
لبليتهم وتورطهم في الشبهات اردف ذلك بالتنفير عن الخطايا والترغيب في التقوى بالتنبيه على ما
يعود اليه كل منهما قوله الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها اهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار
بهم في النار استعار لفظ الخيل للخطايا ثم وصفها بالوصف المقرر هو الشموس والهيئة المانعة لذي العقل
وهي كونها مع شموسها مخلوعة اللجم ووجه الاستعارة ظاهر فان الفرس الشموس التي خلع لجامها لما
لما كانت من شانها ان يتقحم براكبها المهالك ويجري به على غير نظام فكذلك راكب الخطيئة لما يجري به ركوبها
على غير نظام الشريعة وخلع بذلك لجام الاوامر الشرعية وحدود الدين لا جرم كانت غايته من ركوبها
ان يتقحم اعظم موارد الهلاك وهي نار جهنم وذلك من لطيف الاستعارة قوله الا وان التقوى
مطايا ذلل حمل عليها اهلها واعطوا ازمتها فاوردتهم الجنة استعار ايضا لفظ المطايا بوصف الحسن
الموجب الميل اليها وهو كونها ذللا والهيئة التي يمكن الراكب وهو اخذ الزمام واشار بالازمة الى حدود
الشريعة التي يلزمها صاحب التقوى ولا يتجاوزها ولما كانت المطية الذلول من شانها ان تحرك راكبها
على وفق النظام الذي يبغي ولا يتجاوز الطريق المستقيم لتصرفها بزمامها وتسير على تؤدة فيصل بها
الى مقاصده كذلك التقوى فسهولة طريق السالك الى الله بالتقوى وراحته عن جموح الهوى به في موارد
الهلكة يشبه ذلة المطية وحدود الله التي بها يملك التقوى ويستقر عليه يشبه ازمة المطايا التي بها تملك
وكون التقوى موصلا لصاحبه بلا مشقة الى السعادة الابدية التي هي اسنى المطالب يشبه غاية سير المطي
الذلول براكبها والاستعارة في الموضعين استعارة لفظ المحسوس للمعقول ثم لما بين ان ههنا طريقين مركوبين
مسلوكين طريق الخطايا ~~وطريق الخطايا~~ وطريق التقوى ذكر بعده انهما حق وباطل وكانه قال وهما حق وهو
التقوى وباطل وهو الخطايا ثم قال ولكل اهل اي ولكل من طريقي الباطل والحق قوم اعدهم القدر لسلوكها
بحسب ما جرى في اللوح المحفوظ بقلم القضاء الالهي كما قال الرسول صلى الله عليه كل ميسر لما خلق له قوله
فلئن امر الباطل لقديما فعل ولئن قل الحق فلربما ولعل ارداف لذلك ما يشبه الاعتذار لنفسه ولاهل الحق في
قلته وذم وتوبيخ لاهل الباطل على كثرتهم اي ان كثرة الباطل وقلة الحق في ذلك الوقت ليس بديعا حتى اجهد نفسي
في الانكار على اهله ثم لا يبعثون ولا يتهمون وفي قوله لربما ولعل تنبيه على ان الحق وان قل فربما يعود كثيرا
ثم اردف حرف التقليل وهو لعل حرف التمني وكان في هذه الاحرف الوجيزة اخبار بقلة الحق ووعد بقوته
مع نوع تشكيك في ذلك وتمني لكثرته قوله ولقلما ادبر شي فاقبل استبعاد لرجوع الحق الى الكثرة والقوة بعد قلته

من ركوبها

صفت م

وضعفه على وجه كلي فان زوال الاستعداد للوجود مستلزم لزوال الصورة وصورة الحق انما افيضت على قلوب
واستعدت لقبوله فاذا اخذ ذلك الاستعداد في النقصان بموت اهله او بموت قلوبهم وتسود الواح
نفوسهم بشبه الباطل فلا بد ان ينقص نور الحق ويكثر ظلمة الباطل بسبب قوة الاستعداد لها وظلامهم
عود الحق واضاءة نوره بعد ادباره واقبال ظلمة الباطل امر بعيد وقل ما يعود مثل ذلك الاستعداد
لقبول مثل تلك الصورة للحق ولعله يعود بعود فسح الواح النفوس وارضها مشرقة بانوار الحق
ويكر على الباطل فيمحقه فاذا هو زاهق وما ذلك على الله بعزيز وفي ذلك تنبيه لهم على لزوم الحق والبعث
على القيام به كيلا يضمحل بحيث لم عنه فلا يمكنهم تداركه وبالله التوفيق منها شغل من الجنة والنار
امامه ساع سريع نجا وطالب بطي رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى
هي الجادة عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة واليها مصير العاقبة هلك من ادعى
وخاب من افترى من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره
لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظمأ عليه زرع قوم فاستتروا في بيوتكم واصلحوا ذات بينكم فالتوبة
من ورائكم ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه اقول قد عرفت كون هذا الفصل من الخطبة
التي ذكرناها والجادة معظم الطريق والصفحة الجانب والسنخ الاصل وفلتات البين حقيقه والخيبة عدم
حصول المطلوب واعلم ان تقدير القضية الاولى ان من كانت النار والجنة امامه فقد جعل له بهما شغل
يكفيه من كل ما عداه فيجب عليه ان لا يشتغل الا بهما واشار بذلك الشغل الى ما يكون وسيلة الى الفوز
بالجنة والنجاة من النار مما نطقت به الكتب المنزلة وحثت على لزومه الرسل واشار بكون الجنة والنار امامه
الى احد امرين احدهما ان يكون المراد كون الجنة والنار ملاحظتين له متذكرا لهما مدة فهما امام
ونصب خياله ومن كان كذلك فهو في شغل بهما عن غيرهما الثاني ان يكون كونهما امامه اي انه لما كان
الانسان من مبدأ عمره الى منتهاه مسافرا الى الله تعالى فهو في انقطاع سفره لا بد وان ينتهي اما الى الجنة
او الى النار فكانتا امامه في ذلك السفر وغايتين يؤمهما الانسان وينتهي اليهما ومن كان ابدا في السفر
الى غاية معينة فكيف يليق به ان يشتغل بغير مهمات تلك الغاية والوسيلة اليها وانما قال شغل بالبناء
للمفعول لان المقصود ههنا ليس الا ذكر الشغل اولا ولانه لما كان الشاغل هو الله تعالى بايجاد الجنة والنار
والترغيب في احداهما والترهيب من الاخرى كان ترك ذكره للتعظيم والاجلال او لظهوره ثم انه لما نبه
على وجوب الاشتغال بالجنة والنار عن غيرهما قسم الناس بالنسبة الى ذلك الاشتغال الى ثلاثة اقسام
وذلك قوله ساع سريع نجا وطالب بطي رجا ومقصر في النار هوى ووجه الحصر في هذه القسمة ان الناس
بعد الانبياء عليهم السلام اما طالبون لله او تاركون والطالبون اما في غاية جدهم واجتهادهم وبذل وسعهم
وطاقتهم في الوصول الى رضوانه او بالبطء والتواني فهذه ثلاثة اقسام لا مزيد عليها وان كان في الطالبين

هو م

على مراتب ودرجات متفاوتة والقسم الاول هم الفائزون بقصب السبق والناجون من عذاب النار كما
قال تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم فاكهين بما آتيهم ربهم ووقيهم ربهم
عذاب الجحيم وهذا القسم يشمل الانبياء عليهم السلم ولولا افراد لهم في قسم رابع اذ قسم الخلق في الخطب الى
خمسة اقسام والثالث المقصر الذي يحث به الشيطان حيث اراد اخذا بحجزته عن سلوك سبيل الله فاوقعه
في موارد الهلاك ومنازل الشقاء وظاهر انه في النار واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما القسم الثاني
فذو وصفين متجاذبانه من جهتي السفالة والعلو فطلب الجنة بحركته وسلوكه الى الله وان ضعف
جاذب له الى جهة العلو وبدا الشيطان جاذبة له الى جهة السفالة الا ان رجاءه لعفو الله ونظره
بعين رحمته اذا انضاف الى حركته البطيئة كانت السلامة عليه اغلب وجهة العلو منه اقرب وينبغي ان
نشير الى حقيقة الرجاء ليتضح ما قلناه فنقول الرجاء هو ارتياح النفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة
لها تصدر عن علم ويقتضي عملا بيان ذلك ان ما يتصوره النفس من محبوب او مكروه فاما ان يكون موجودا
في الماضي او في الحال او يوجد في الاستقبال والاول يسمى ذكرا او تذكرا والثاني يسمى وجدا لوجدان النفس له
في الحال والثالث وهو ان يغلب على ظنك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق فيسمى ذلك انتظارا
وتوقعا فان كان مكروها حدث منه في القلب تألم يسمى خوفا وان كان محبوبا حصل من انتظاره وتعلق القلب
به لذة للنفس وارتياح باخطار وجوده بالبال يسمى ذلك الارتياح رجاء ولكن ذلك المتوقع لا بد وان يكون
لسبب فان كان توقعه لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء صادق عليه وان كان انتظاره مع العلم بانتفاء
اسبابه فاسم الغرور والحمق عليه اصدق وان كانت اسبابه غير معلومة الوجود ولا الانتفاء فاسم التمني
اصدق على انتظاره واذا عرفت ذلك فاعلم ان ارباب العرفان قد علموا ان الدنيا مزرعة الآخرة فالنفس هي الارض ظ
وبذرها هي المعارف الالهية وساير انواع الطاعات جارية مجرى اصلاح هذه الارض من تنقيتها واعدادها
للزراعة وسياقة الماء اليها والنفس المستغرقة بحب الدنيا والميل اليها كالارض السبخة التي لا تقبل الزرع
والانبات لمخالطة الاجزاء الملحية ويوم القيمة يوم الحصاد فلا حصاد الا من بذر وكما لا ينفع الزرع في ارض الامن زرع والزرع
سبخة كذلك لا ينفع ايمان مع خبث النفس وسوء الاخلاق فينبغي ان يقاس رجاء العبد لرضوان الله برجاء
صاحب الزرع وكما ان من طلب ارضا طيبة وبذرها في وقت الزراعة بذرا غير متعفن ولا متأكل ثم امدها بالماء
العذب وساير ما يحتاج اليه في اوقاته ثم طهرها عن مخالطة ما يمنع نباته من شوك ونحوه ثم انتظر من فضل الله
دفع الصواعق والآفات المفسدة الى تمام زرعه وبلوغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء اذ
كان في مظنة ان يفوز بمقاصده من ذلك الزرع ومن بذر في ارض كذلك الا انه بذر في اخر اوان الناس ولم يبادر
اليه في اول وقته او قصر في بعض اسبابه ثم اخذ ينتظر ثمرة ذلك الزرع ويرجو الله في سلامته له فهو من

جملة الراجين ايضا ومن لم يحصل على بذر او بذر في ارض سبخة او ذات شاغل عن الانبات ثم اخذ
ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء انما يصدق على انتظار ما حصلت جميع اسبابه
او اكثرها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما لا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بدفع
القواطع والمفسدات كذلك حال العبد ان بذر المعارف الالهية في ارض نفسه في وقته وهو مقتبل
العمر ومبدأ التكليف ودام على سقيه بالطاعات واجتهد في طهارة نفسه عن شوك الاخلاق الرديئة
التي تمنع نماء العلم وزيادة الايمان وانتظر من فضل الله تعالى ان يثبته على ذلك الى زمان وصوله وحصاد
عمله فذلك الانتظار هو الرجاء المحمود وهو درجة السابقين وان القى بذر الايمان في نفسه لكنه قصر
في بعض اسبابه اما ببطوء في البذر او في السقي الى غير ذلك مما يوجب ضعفه ثم اخذ ينتظر وقت الحصاد
وتوقع من فضل الله تعالى ان يبارك له فيه ويعتمد على انه هو الرزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه
ايضا اندراج اذ اكثر اسباب المطلوب التي من جهته حاصلة وهذه درجة القسم الثاني وهو الطالب
الراجي البطيء وان لم يزرع من قواعد الايمان في نفسه شيئا اصلا او زرع ولم يسقه بماء الطاعة او ترك
مشغوله صر نفسه مشحونة بشوك الاخلاق الرديئة وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة والفضل من الله فذلك
الانتظار غرور وليس برجاء في الحقيقة وذلك هو القسم الثالث وهو المقصر في اسباب الزراعة
وتحصيل زاد الآخرة الى ان ياتيه يوم الحسرة والندامة يقول يا ليتني قدمت لحياتي فيومئذ لا يعذب
عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد وفي المعنى ما قيل اذا انت لم تزرع وعاينت حاصدا ندمت على التفريط
في زمن البذر وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال فخلف من
بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وانما خصص عليه السلم القسم
الثاني بالرجاء اذ كان كاملا عمره لضعف عمله وفلتات الاسباب من جهته والى هذه الاقسام الثلثة اشار القرآن
الكريم بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير وان اختلفت
مبادي الرتبتين فصل اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة لما قسم الناس الى سابقين ولاحقين
ومقصرين اشار لهم الى الطريق التي اخذ الله عليهم سلوكها ونصب لهم عليها اعلام الهدى ليصلوا بها الى جنات
عزته سالمين عن تخطف الشياطين وميزها عن طرق الضلال ولما علمت ان طريق السالكين الى الله
اما العلم او العمل فالعلم طريق القوة النظرية والعمل طريق القوة العملية وكل منهما محفوف بذيلتين هما طرفا التفريط
والافراط كما علمت والوسط منهما هو العدل والطريق الوسطى وهي الجادة الواضحة لمن اهتدى وهي التي عليها
ما في الكتاب الالهي من المقاصد الحكمية وعليها آثار النبوة وشهد السنة اي طريقها ومبدأها الذي
منه تخرج واليها مصير عاقبة الخلق في الدنيا والآخرة فان من العمل دلالات السنة وانتشرت في الخلق واليه
مرجع امورهم اما في الدنيا فلحسن نظام امورهم في حركاتهم وسكناتهم مبني عليه في القوانين الشرعية والى تلك القوانين

والقواعد نردعواقب امورهم وعليها يجاوزون واما في الآخرة فبالنسبة اليه حسن خسران الخاسرين وفوز الفائزين
فحكم لمن سلكه وتمسك به اوقات سفره الى الله بجنات النعيم ولمن انحرف عنه وجاوزه بالعذاب الاليم في الجحيم
وكل واحد من طرفي التفريط والافراط بالنسبة اليه هو المراد باليمين والشمال من ذلك الوسط وهما طريقا
المضلة لمن عدل اليهما ومورد الهلاك لمن سلكهما قوله هلك من ادعى وخاب من افترى يحتمل ان يكون القضيتان
دعاء ويحتمل ان يكون اخبارا اي هلك من ادعى ما ليس له اهلا وعنى الهلاك الاخروي وخاب من كذب اي لم
يحصل مطلوبه اذا جعل الكذب وسيلة اليه واعلم ان الدعوى اما ان يكون مطابقة لما في نفس الامر او ليس كذلك
محرمة مطلقا واما الاولى فاما ان يدعو اليها حاجة او ليس والقسم الاول هو المباح فقط دون الثاني وانما حرم هذان
القسمان اما الاول وهي الدعوى غير المطابقة فلانها تصدر عن ملكة الكذب تارة وعن الجهل المركب تارة كا
الجاهل بالامر المدعي لحصوله عن شبهة رسخت في ذهنه وكلاهما من اكبر الرذائل واعظم المهلكات في الآخرة واما
الثانية وهي المطابقة لا عن حاجة فلانها تكاد لا تصدر من الانسان الا عن رذيلة العجب وستعلم انه من المهلكات
قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه واما خيبة المفترين
فلان الفرية اختلاق ما ليس بحق وظاهر ان الكذب لا ثمرة له اما في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فهو وان
ولا كونه ذا كان ففي معرض الزوال ومستلزمه لسخط الله فهي بمنزلة ما لم يكن وصاحبها اشد خيبة من عادم
وطالب الامر بالفرية على كل تقدير خاسر خايب قال بعض الشارحين اراد هلك من ادعى الامامة من غير
استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها لان كلامه في هذه الخطبة كثيرا ما يعرض فيه بامر الامامة قوله
من ابدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره بنبه على ان التجريد لاظهار الحق
في مقابلة كل باطل ورد من الجهال وحملهم على مر الحق وصعبه في كل وقت يكون في معرض الهلاك بايديهم والسنتهم اذ
لا تعدم منهم من يولد المكروه ويبغي في دمه ثم اراد التنبيه على الجهل فذكر ادنى مراتبه ونبه بها على ان اقل الجهل
كاف في الرذيلة فكيف بكثيره وذلك قوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره واراد رتبته في الناس وعدم تصوره
لدرجة نفسه ومنزلتها بالنسبة الى حالهم وكفى بهذا القدر مهلكا فانه منشأ كثير من الرذائل المهلكة كا
الكبر والعجب وقول الباطل وادعاء الكمال الناقصين وتعدي الطور في اكثر الاحوال كما قال عليه السلم في موضع آخر
رحم الله امرا عرف قدره ولم يتعد طوره وفي هذا الكلام تنفير للسامعين عن الجهل بسوء ما يتصور منه من حيث
التجرد للحق ونصرته وربما استفهم منها كيفية استجلاب طباع الجهال وتاخيرهم وهو انه لا ينبغي ان تقابلوا
بالحق دفعة ويجرد في مقابلتهم على كل وجه فان ذلك مما يوجب تفاقم وعدم نظام احوالهم بل ينبغي ان يسوسهم على
التدريج قليلا قليلا وربما لزم تاخيرهم للحق في بعض الامور اما لغموض الحق بالنسبة الى افهامهم او لقوة
اعتقادهم الباطل في مقابلته فيخرج عواض ذلك الحق في صورة الباطل وظاهره وذلك كما ورد في القرآن الكريم
والسنن النبوية من صفات التجسيم وما لا يجوز ان يحمل على ظاهره في حق الصانع الحكيم فان حمله على ظاهره كما

والثانية

تعليم

يتصوره جهال الناس ارتباطا لكنه لما كان سببا لايناسهم وجمع قلوبهم على اعتقاد الصانع وسنظام امورهم
ورد الشرع به قوله لا يهلك على التقوى سنخ اصل ولا يظما عليه زرع قوم نبه على لزومهم التقوى اعتبارا
احدهما ان كل اصل بني على التقوى فمحال ان يهلك تاسيه خسران كما قال تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى
من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه على شفا جرف هار الثاني ان من زرع زرعا اخرويا كالمعارف
الالهية في ارض نفسه مثلا او دنيويا كالاعمال التي بها تقوم مصالح الانسان في الدنيا وسقاها
ما التقوى وجعلها ما التقوى وجعله مادتها فانه لا يلحق ذلك الزرع ظما بل عليه ينشا اقوى ساق
وازكى ثمرة واستعمال الزرع والاصل كناية عما ذكرناه قوله واستتروا ببيوتكم واصلحوا ذات بينكم والتوبة
من ورائكم قد عرفت ان هذا الفصل مقدم في الخطبة على قوله من ابدى صفحته للحق هلك وهو مسبوق
بالتهديد ووارد في معرضه وهو قوله الا وان الله قد جعل ادب هذه الامة السوط والسيف ليس عند
امام فيهما هوادة اي مصالحة وسكون فاستتروا ببيوتكم وهو حسم لمادة الفتنة بينهم بلزوم البيوت
عن الاجتماع المنافرات والمفاخرات والمشاجرات ولذلك اردفه بقوله واصلحوا ذات بينكم فان قطع مادة
الفتنة سبب لاصلاح ذات البين قوله والتوبة من ورائكم تنبيه للعصاة على الرجوع الى التوبة عن الجري
في ميدان المعصية واقتفاء اثر الشيطان وكونها وراء لان الجواذب الالهية اذا اخذت بقلب العبد
فجذبته عن المعصية حتى اعرض عنها والتفت بوجه نفسه الى ما كان معرضا عنه من الندم على المعصية
والتوجه الى القبلة الحقيقية فانه يصدق عليه اذن ان التوبة وراءه اي وراء عقليا وهو اولى من قول
من قال من المفسرين ان وراءكم بمعنى امامكم قوله ولا يحمد حامد الا ربه ولا يلم لائم الا نفسه تاديب
لهم بالتنبيه على قصر الحمد والثناء على الله دون غيره وانه مبدأ كل نعمة يستحق بها الحمد كما سبقت اليه
الاشارة وعلى قصر اللائمة على النفس عند انحرافها عن جهة القبلة الحقيقية الى متابعة
ابليس وقبولها الدعوة بغير سلطان والى اصل هاتين الكلمتين اشار القرآن الكريم ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فكل حسنة اصابت العبد من ربه فهي مبدأ الحمد وشكره
وكل سيئة اصابته من نفسه فهي مبدأ اللائمة لنفسه فاما قول السيد رحمه الله ان في هذا الكلام من
من مواقع الاحسان ما لا يبلغه مواقع الاستحسان الى آخره فالاحسان مصدر قولك احسن الرجل
احسانا اذا فعل فعلا حسنا ومواقع الاحسان محاسن الكلام التي اجاد فيها واحسن ومواقع الاستحسان
اما سائر محاسن كلام العرب اي ان شيئا من محاسن كلام العرب وما يقع عليه الاستحسان منها لا يوازي هذا
الكلام ولا يبلغه او تشير مواقع الاستحسان الى الفكر من الناس فانها محال الاستحسان ايضا اذ الاستحسان
من صفات المستحسن اي ان الفكر لا يصل الى محاسن هذا الكلام وقوله وان حظ العجب منه اكثر من حظ العجب
به يريد ان عجب الفصحاء من حليته وبلاغته اكثر من عجبهم باستخراج محاسنه وذلك لان فيه من المحاسن

او بحوه

وراء ما يمكنهم التعبير عنه امور الكثيرة فهم يجدونها من انفسهم وان لم يمكنهم التعبير عنها فيكون تعجبهم من
محاسنه اكثر من اعجابهم من انفسهم بما يعتبرون على استخراجه منها او يريد باكثر من عجبهم بها اي اكثر من حبهم لها
وميلهم اليها والى كلامه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى من الامة
للحكم وليس لذلك باهل ان ابغض الخلائق الى الله رجلان رجل وكله الله الى نفسه فهو جائر عن قصد
السبيل مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله مضل
لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته ورجل قمش جهلا موضع في جهال الامة
غار في اغباش الفتنة عم بما في عقد الهدنة قد سماه اشباه الناس عالما وليس به بكر فاستكثر من جمع ما قل منه
خير مما كثر حتى اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على
غيره فان نزلت به احدى المبهمات هيأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به فهو من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت
لا يدري اصاب ام اخطأ ان اصاب خاف ان يكون قد اخطأ وان اخطأ رجا ان يكون قد اصاب جاهل خباط
جهالات عاش ركاب عشوات لم يعض على العلم بضرس قاطع يذري الروايات اذراء الريح الهشيم لا ملي
والله باصدار ما ورد عليه لا يحسب العلم في شيء مما انكره ولا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره وان اظلم
عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث الى الله اشكو من
معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ليس فيهم سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا انفق سلعة واغلى ثمنا
من الكتاب اذا حرف عن مواضعه ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر اقول وكله الى نفسه جعل
توكله عليها والجائر العادل عن الطريق وفلان مشغوف بكذا بالغين المعجمة اذا بلغ حبه له الى شغاف قلبه وهو غلافه
وبغير المعجمة اذا بلغ الى شعفة قلبه وهي عند معلق النياط والقمش جمع الشي المتفرق والمجموع قماش والموضع من الضلال
المطرح وبكسرها المسرع والغار الغافل واغباش الليل ظلمته وقال ابو زيد الغبش البقية من الليل وروي غطاش
الفتنة والغطش ايضا الظلمة والهدنة الصلح والمبهمات المشكلات وامر مبهم اذا لم يعرف والرث
الضعيف البالي وعشوة الطريق بضوء النار اذا تبعته على ضعف والهشيم اليابس من نبت الارض
المتكسر والعج رفع الصوت والبائر الفاسد واعلم انه اخذ اولا في التنفير عن الرجلين المشار اليهما بذكر
انهما من ابغض الخلق الى الله تعالى ولما كانت ارادة الله للشي ومحبته له عائدة الى علمه بكونه على وفق
النظام الكلي التام للعالم كانت كراهيته وبغضه له عائدة الى علمه بكونه على ضد مصلحة العالم وخارجا
عن نظامه فبغضه اذن لهذين الرجلين علمه بكون افعالهما واقوالهما خارجة عن المصلحة قوله رجل وكله الله
الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل الى قوله بخطيئته بيان لاحد الرجلين وتمييز له وذكر له اوصافا الاول
انه وكله الله الى نفسه اي جعله متوكلا عليها ومستندا اليها واعلم ان التوكل ماخوذ من الوكالة يقال وكل فلان امره
الى فلان اذا فوضه اليه واعتمد عليه فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده اذا عرفت ذلك

فنقول من اعتقد جزما او ظنا بان نفسه او احدا غير الله تعالى ممن ينسب اليه التأثير هو المتمكن من الفعل
والتام القدرة على تحصيل مراده والوفاء به فان ذلك من اقوى الاسباب المعدة لان يفيض الله على قلبه
صورة الاعتماد على المعتمد فيه والتوكل عليه فيما يريده وذلك معنى قوله وكله الله الى نفسه وكذلك معنى
الوكول الى الدنيا وذلك بحسب اعتقاد الانسان ان المال والقنيات الدنيوية وافية بمطالبه وتحصيلها
معينة له على اداها وبحسب قوة ذلك التوكل وضعفه يكون تفاوت بغض الله تعالى للعبد ومحبته له وقربه
منه وعلى تخليص ان العبد من بغض الله الا بالتوكل عليه حق توكله قال تعالى ان الله يحب المتوكلين
وهو اعظم مقام وسم صاحبه بمحبة الله فمن كان الله حسبه وكافيه ومحبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم
فان المحبوب لا يبغض ولا يعذب ولا يبعد ولا يحجب وقال رسول الله صلى الله عليه وآله من انقطع الى
الله كفاه كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله تعالى اليها وصورة التوكل
عليه ان تثبت في نفسك بكشف واعتقاد جازم ان مستند جميع الاسباب والمسببات اليه سبحانه
وانه الفاعل المطلق تام العلم والقدرة على كفاية العباد تام العطف والرحمة والعناية بخلقه بحيث لا يكون
وراء قدرته وعلمه وعنايته رحمة وعناية ولم يقع في نفسك التفات الى غيره بوجه حتى نفسك وحولك
وقوتك فانك والحال هذه تجد من نفسك تسليم امورها بالكلية اليه والبراءة من التوكل على احد الا
عليه فان لم تجد من نفسك هذه الحال فسبب ذلك ضعف الاسباب المذكورة او بعضها وغلبة
الوهم على النفس في معارضته لذلك اليقين وبحسب ضعف تلك الاسباب وشدتها وزيادتها
ونقصانها يكون تفاوت درجات التوكل على الله تعالى الثاني كونه جائرا عن قصد السبيل اي عن قصد
سبيل الله العادلة وصراطه المستقيم وقد علمت ان الجور هو طرف الافراط من فضيلة العدل الثالث كونه
مشغوفا بكلام بدعة اي محب بما يخطر له ويبتدعه من الكلام الذي لا اصل له في الدين ويدعو به الناس الى
الضلالة له والجور عن القصد وهذا الوصف لازم عما قبله فان جائر عن قصد السبيل بجهله فهو يعتقد انه
على سواء السبيل فكان ما يخيله من ذلك الكمال الذي هو نقصان في الحقيقة مستلزما لمحبته قول الباطل
وابتداع المحال فهو من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا
الرابع كونه فتنة لمن افتتن به وهو ايضا لازم عن الوصف الثالث فان محبته قول الباطل والدعوة الى الضلالة
سبب لكونه فتنة لمن تبعه الخامس كونه ضالا عن هدى من كان قبله وهذا الوصف كالثاني فان الضال
عن الهدى جائر عن قصد السبيل الا ان هيهنا زيادة اذ الجائر عن القصد قد يجور ويضل حيث لا هدى
يتبعه والموصوف هيهنا جائر وضال مع وجود هدى قبله مأمور باتباعه وهو كتاب الله وسنة رسوله
واعلام هداة الحاملين لدينه الناطقين عن مشكوة النبوة وذلك ابلغ في لائمته واكد في وجوب عقوبته
السادس كونه مضلا لمن اهتدى به في حياته وبعد وفاته وهذا الوصف مسبب عما قبله اذ اضلال

الانسان في نفسه سبب لاضلاله وتحو غيره ويفهم منه ما يفهم من الرابع مع زيادة فان كونه فتنة لغيره
هو كونه مضلا لمن اهتدى به واما الزيادة فكون ذلك الاضلال في حيزه وهو ظاهر وبعد موته لبقاء العقائد
الباطلة المكتسبة عنه فهي بسبب ضلال الضالين بعده السابع كونه حمالا لخطايا غيره وهو لازم عن
عن السادس فان حمله لاوزار من يضله انما هو بسبب اضلاله له الثامن كونه رهنا بخطيئته اي موثق
بها عن الصعود الى حضرة جلال الله والى هذين الوصفين اشار القرآن الكريم بقوله ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون وقول الرسول صلى الله عليه وآله
ايما داعي دعى الى الهدى فاتبع كان له مثل اجر من تبعه لا ينقص من اجرهم شيء وايما داعي دعا الى الضلال له
فاتبع كان عليه مثل وزر من تبعه ولا ينقص منه شيء واعلم انه ليس المراد من ذلك انه تعالى يوصل العقاب
الذي يستحقه الاتباع الى القادة والرؤساء لقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى ولا تزر وازرة وزر
اخرى ولما دخل احد من الناس النار ابدا اذ كانت مقصورة على ابليس وحده بل المعنى ان الرئيس المضل اذا
وضع سنة يكون فتنة للناس وضلالا لهم لم تصدر تلك السنة الا عن نفس قد استولى عليها الجهل
المضاد لليقين وصار ملكة من ملكاتها فتسود لوحها به عن قبول الانوار الالهية وصارت حجابا
بينها وبين الرحمة بحيث يكون ذلك الحجاب في القوة والشدة اضعاف حجب التابعين له والمقتدين به
عن فتنته فان تلك الحجب الطارية على قلوب التابعين مستندة الى الحجاب وهو اصلها فلاجرم يكون وزره
وسيئته في قوة اوزار اتباعه وسيئاتهم التي حصلت بسبب اضلاله لا لكل سيئاتهم من كل جهة ولذلك
قال تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم اي بعض اوزارهم وهي الحاصلة بسبب المضلين وقال الواحدي
من في هذه الاية ليست للتبعيض بل لبيان الجنس والا لخف عن الاتباع بعض اوزارهم لكن ساعد
قوله صلى الله عليه وآله من غير ان ينقص من اوزارهم شيء قلت هذا وان كان حسنا الا ان الالزام الذي ذكره غير لازم
على كونها للتبعيض لان القائل بكونها كذلك يقول ان المراد ليحملوا بعض امثال اوزار التابعين لا بعض اعيان اوزارهم
ولا افهم ذلك في جانب السيئات فافهم مثله في جانب الحسنات وهو ان الواضع لحسنة وهدى يهتدي
بها انما يصدر عن نفس ذات صفاء واشراق كل نورها فاشرق على غيرها من النفوس التابعة لها فاستضاءت
به وتلك السنة المأخوذة من جملة انوارها الفايضة عنها على نفس اقتبسها فكان في النفس المبتدعة من الاستكمال
بنور الله الذي هو راس كل هدى ما هو في قوة جميع الانوار المقتبسة عن تلك السنة ومثلها فكان لها من الاجر
والثواب مثل ما للتابعين لها من غير نقصان في اجر التابعين وهذا تم الحاصل لهم والى هذا المعنى اشار
الوالدة في الخبر ان حسنات الظالم تنقل الى ديوان المظلوم وسيئات المظلوم تنقل الى ديوان الظالم فالمراد
ان السيئة والحسنة اعراض لا يمكن نقلها من محل الى محل فليس ذلك نقلا حقيقيا بل على وجه الاستعارة
كما يقال انتقلت الخلافة من فلان الى غيره وانما المقصود من نقل سيئات المظلوم الى الظالم حصول امثالها في قلب

ذلك مع

الظالم ونقل حسنات الظالم الى المظلوم حصول امثالها في قلبه وذلك لان للطاعة تاثيرا في النفس بالتنوير وللمعاصي
تاثيرا بالقسوة والظلمة وبانوار الطاعة يستحكم مناسبة النفس من استعدادها لقبول المعارف الالهية
ومشاهدة حضرة الربوبية وبالقسوة والظلمة يستعد للبعد والحجاب عن مشاهدة الجمال الالهي فالطاعة مولدة
لذة المشاهدة بواسطة الصفا والنور الذي يحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة
التي تحدث في النفس والمعصية مولدة للحجاب بواسطة القسوة والظلمة التي تحدث فيها وبين الحسنات
والسيئات تضاد وتعاقب على النفس كما قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات وقال ولا تبطلوا اعمالكم
صلى الله عليه وآله اتبع السيئة بالحسنة تمحها والالام مخصصات للذنوب ولذلك قال صلى الله عليه
وآله ان الرجل ليثاب حتى بالشوكة التي تصيب رجله وقال الحدود كفارات لاهلها فالظالم يتبع شهوته
بالظلم وفيه ما يقسي القلب وتسود لوح النفس تمحو اثر النور الذي فيه من طاعته فكانه احبط طاعته والمظلوم
يتالم وتنكسر شهوته ويسكن قلبه ويرجع الى الله تعالى فيفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت من اتباع
الشهوات فكان النور انتقل من قلب الظالم الى قلب المظلوم وانتقل السواد والظلمة الى قلب الظالم وذلك
انتقال على سبيل الاستعارة كما علمت وكما يقال انتقل ضوء الشمس من مكان الى مكان وقد تلخص من
هذا التقدير ان الحسنات المنقولة الى المظلوم من ديوان الظالم هي استعداداته لقبول الرحمة والنور الحاصل
له بسبب ظلم الظالم والسيئات المنقولة من ديوان المظلوم الى الظالم هي استعداداته بالحجب والقسوة عن قبول الانوار
والثواب والعقاب الحاصلان لهما هو ما استعدا له من تلك الانوار والظلمات واعلم ان النقل وحمل الظالم
اوزار المظلوم وان كان امرا حاصلا في الدنيا الا انه لم ينكشف للبصائر الا في يوم القيمة لاجرم خصص
بيوم القيمة وانما قال حمالا لانه فعال للمبالغة والتكثير اي كثيرا ما يحمل خطايا غيره واما الرجل الثاني فميزه
بعشرين وصفا ا كونه قمش جهلا وهي استعارة لفظ الجمع المحسوس للجمع المعقول ب كونه موضعا
كونه موضعا في جهال الامة ليس من اشراف الناس ويفهم من هذا الكلام انه خرج في حق شخص معين
وان لم يعين ج كونه عاديا في اغباش الفتنة اي ساعيا في اوايل ظلماتها وروى غارا اي غافل
في ظلمات الخصومات لا يهتدي لوجه تخليصها د كونه اعمى البصيرة بما في عقد الصلح والمسالمة
بين الناس من نظام امورهم ومصالح العالم فهو جاهل بوجوه المصالح مثير للفتن بينهم ه كونه قد سماه
اشباه الناس عالما وليس بعالم والواو للحال واشباه الناس الجهال واهل الضلال وهم الذين يشبهون
الناس الكاملين في الصورة الحسية دون الصورة التامة التي هي كمال العلوم والاخلاق و كونه بكر
فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر وروي من جمع منونا وغير منون اما مع التنوين فالجملة بعده صفة له
واستعمل المصدر وهي جمع في موضع اسم المفعول اي من مجموع ويحتمل ان يكون المقصود هو المصدر نفسه
واما مع الاضافة فقيل ان ما هاهنا يحتاج في تمام الكلام الى تقدير مثلها معها حتى يكون ما الاولى هي

ذلك مع
لما م

المضاف والثانية هي المبتدا والتقدير من جمع ما الذي قلّ منه خير مما كثر لكنه لما كان اظهار ما الثانية يشبه التكرار ويوجب هجنة في الكلام وكانت ما الواحدة تعطي المعنى عن المقدرة كان حذفها اولى وقرئ ان المقدر المحذوف ان على طريقة تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي من جمع ما ان قلّ منه خير مما كثر وعنى بالتكثير الى الاستكثار من ذلك السبق في اول العمر الى جمع الشبهات والآراء التي قليلها خير من كثيرها وباطلها اكثر من حقها ز كونه اذا ارتوى من ماء آجن واكثر من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ولما كان الآجن صفة للماء والكمالات النفسانية التي هي العلوم كثيرا ما يعبر عنها بالماء الصافي والزلال وكان الجهل والآراء التي حصل عليها بجمعها من العلم جامع الاعتقاد فهي في العلم اخلاء من تحت جنس الاعتقاد كان الماء الآجن اشبه ما يستعار لتلك الآراء التي ليست بنصيحة ولا صحيحة فهي تشبه الماء الآجن الذي لا غناء فيه للشارب ورشّح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وجعل غاية المشار اليها من ذلك الاستكثار جلوسه بين الناس قاضيا ح كونه ضامنا لتخليص ما التبس على غيره اي واثق من نفسه بفصل ما يعرض بين الناس من المشكل وضامنا حال ثان في وصفه للاول ط كونه اذا نزلت به احدى القضايا المبهمة الملتبس وجه فصلها هيّأ لها حشوا ضعيفا من رأيه ثم جزم به والحشو الكلام الكثير الذي لا طائل تحته وليس حلا لتلك المبهمة ي كونه من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت مثّل الله سوء الواهية ووجه هذا التمثيل ان الشبهات التي تقع على ذهن مثل هذا الموصوف اذا قصد حل قضية مبهمة يكثر فيلبس على ذهنه وجه الحق منها فلا يهتدي له لضعف ذهنه فتلك الشبهات في الوهاء تشبه نسج العنكبوت وذهنه فيها يشبه الذباب الواقع فيه فكما لا يمكن الذباب من خلاص نفسه من شباك العنكبوت لضعفه كذلك ذهن هذا الرجل اذا وقع في الشبهات ان لا يخلص وجه الحق منها لقلة عقليته وضعفه عن ادراك الوجوه الخلاص يا انه لا يدري اصاب فيما حكم به ام اخطا فان اصاب خاف ان يكون قد اخطا وان اخطا رجا ان يكون قد اصاب وخوف الخطا ورجا الاصابة من لوازم الحكم مع عدم الدراية يب كونه جاهلا خباط جهلات والجهلات جمع جهلة فعلة من الجهل وقد تقدم بيان ان وزن فعال مبني للفاعل من الامور المعتادة التي يكثر فعلها وذكر الجهل ههنا زيادة وهي كثرة الخبط فيه وكنى بذلك عن كثرة الاغلاط التي يقع فيها في القضايا والاحكام فيمشي فيها على غير طريق حق من القوانين الشرعية وذلك معنى خبطه يج كونه عاشيا ركاب عشوات وهي اشارة الى انه لا يستضيء بنور الحق في ظلمات الشبهات الا على ضعف لنقصان ضوء بصيرته فهو يمشي فيها على ما يتخيله دون ما يحققه وكثيرا ما يكون حاله كذلك ولما كان من شان العاشي الى الضوء في الطرق المظلمة تارة يلوح له فيمشي عليه وتارة يخفى عنه فيضل عن القصد ويمشي على الوهم والخيال كذلك حال السالك في طرق الدين من غير ان يستكمل نور بصيرته بقواعد الدين وتعلم كيفية سلوك طرقه فانه تارة يكون نور الحق في المسألة ظاهرا فيدركه وتارة تغلب عليه ظلمات الشبهات فيعمى عليه الموارد والمصادر فيبقى في الظلمة خابطا

وعن القصد جائرا يد كونه لم يعض على العلم بضرس قاطع كناية عن عدم اتقانه للقوانين الشرعية واحاطته بها يقال فلان لم يعض على الامر الفلاني بضرس اذا لم يحكمه واصله ان الانسان يمضغ الشيء ثم لا يجيد مضغه قبل ان يبتلعه يحكم ما يحصل فيه من الامور يه كونه تذري الروايات اذراء الريح الهشيم ووجه التشبيه ان الريح لما كانت تذري الهشيم وهو ما تكسر من نبات الارض ويبس فتخرجه عن حد الانتفاع به كذلك المتصفح للروايات لما لم يهتد الى وجه العمل بها ولم يقف على الفائدة منها فهو يمر على رواية بعد اخرى ويمشي عليها من غير فائدة يو انه غير مليّ باصدار ما يرد عليه اشارة الى انه ليس له قوة على اصدار الاجوبة عن ما يرد عليه من المسائل فهو خير منها يز كونه لا يحسب العلم في شيء مما انكره يقال فلان لا يحسب فلانا في شيء بالفتح من الحساب اي لا يعده شيئا ويعتبره خاليا من الكمال والفضيلة والمراد انه ينكر العلم كما انكره فهو لا يعده شيئا ولا يفرده بالحساب والاعتبار وعنى العلم الحقيقي الذي ينبغي ان يطلب ويجتهد في تحصيله لا ما يعتقده الموصوف علما لما تقدم وجهه فان كثيرا من الجهال ممن يدعي العلم بفن من الفنون قد ينكر غيره من سائر الفنون ويشنع على محصليه كاكثر المتاولين للاحكام الفقهية والمتصدرين للفتوى والقضاء بين الخلق في زماننا وما قبله فانهم يبالغون في انكار العلوم العقلية ويفتون بتحريم الخوض فيها وتكفير من تعلمها وهم غافلون عن انه لا يستحق ان يسمى فقيها الا ان يكون له مادة من العلم العقلي المتكفل ببيان صدق الرسول عليه السلام واثبات النبوة الذي لا يقوم شيء من الاحكام الفقهية التي يدعون انها كل العلم الا بعد ثبوتها ويح يحسب بكسر السين من الحسبان وهو الظن اي لا يظن العلم والفضيلة بحيث يعدها واعتباره بما فهمه مما انكره يح كونه لا يرى ان من وراء ما بلغ منه مذهبا لغيره اي انه اذا غلب على ظنه حكم في القضية جزم به وربما كان لغيره في المسألة قول اظهر من قوله لعصمته دليل فلا يعتبره ويمضي على ما بلغ فهمه اليه يط كونه ان اظلم عليه امر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه وكثيرا ما يرى قضاة السوء وعلماؤه اكتتام ما يشكل عليهم امره من المسائل والتغافل عن سماعها اذا اوردت عليهم لئلا يظهر جهلهم بين اهل الفضل بل مراعاة لحفظ المناصب ك كونه تصرخ من جور قضائه الدماء وتعج منه المواريث نسبة الصراخ الى الدماء والعجيج الى المواريث اما على سبيل حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي اهل الدماء واولياء المواريث فيكون حقيقة او على سبيل استعارة لفظ الصراخ والعج لنطق الدماء والمواريث بلسان حالها المفصح عن مقالها ووجه الاستعارة ان الصراخ والعجيج لما كانا انما يصدران عن تظلم وشكاية وكانت الدماء المهراقة بغير حق والمواريث المستباحة بالاحكام الباطلة ناطقة بلسان حالها مفصحة بالشكاية والتظلم لا جرم حسنت استعارة اللفظين ههنا ثم بعد ان خص الرجلين المذكورين بما ذكره فيهما من الاوصاف المنفرة على سبيل التفصيل ارذف ذلك التنفير عنهما على سبيل الجملة بما يعمهما وغيرهما من الجهال من التشكي والبراءة وذلك قوله الى الله من معشر اي الى الله اشكو كما هو في بعض النسخ او

الى الله ابو. وذكر وصافا سببا لازها البقاء على الجهل والعيش فيه وكنى بالعيش عن الحيوة وقابله بذكر الموت وقوله
يموتون ضلالا وصف لازم عن الوصف الاول فان من عاش جاهلا مات ضالا وقوله ليس فيهم سلعة
ابور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته الى آخره اى اذا فسر الكتاب وحمل على الوجه الذي نزل اعتقدوه فاسدا او طرحوه
بجهلهم عن درجة الاعتبار على ذلك الوجه واذا حرف عن مواضعه ومقاصده وتنزل على حسب اغراضهم
ومقاصدهم شروه على ذلك الوجه باغلى ثمن وكان من انفق السلع عندهم واستعار لفظ السلعة
ووجه المشابهة ظاهر ومنشأ كل ذلك هو الجهل وكذلك ليس عندهم انكر من المعروف وذلك انه لما خالف
اغراضهم ومقاصدهم قسم الناس في موضع آخر الى ثلثة اقسام عالم ومتعلم وهمج رعاع اتباع كل ناعق والرجلان
المشار اليهما بالاوصاف المذكورة ههنا ليسا من القسم الاول لكونهما على طرف الجهل المضاد للعلم ولا
من القسم الثالث لكونهما متبوعين داعيين الى اتباعهما وكون الهمج تابعين كما صرح به فتعين ان يكونا من القسم
الثاني وهم المتعلمون واذا عرفت ذلك فنقول المراد بالمتعلم هو من ترفع عن درجة الهمج من الناس بطلب
العلم واكتسب ذهنه شيئا من الاعتقادات عن مخالطة من اشتهر بسمة العلم ومطالعة الكتب ونحو
ذلك ولم ينته الى درجة العلماء الذين يتصدرون على التصرف والقيام بالحجة فاعتقاداته حينئذ اما
ان تكون مطابقة كلها او بعضها او غير مطابقة اصلا وعلى التقديرات فاما ان لا ينصب نفسه
لشيء من المناصب الدينية كالفتوى والقضاء ونحوهما او يتصدر لذلك فهذه اقسام ستة احدها من
اعتقد اعتقادا مطابقا ولم يعرض نفسه لشيء من المناصب الدينية الثاني من كان اعتقاده
كذلك لكنه نصب نفسه للافادة الثالث من اعتقد جهلا ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا
~~ولم ينصب نفسه لها الرابع من اعتقد جهلا~~ وعرض نفسه لها الخامس من اعتقد جهلا وغير جهل
ولم ينصب نفسه للافادة السادس من كان اعتقاده كذلك ونصب نفسه لها والقسم الاول وحده
هو الخارج عن هذين الرجلين لاوصافهما والثاني والرابع والسادس منهم يكون الرجلان المذكوران
فالاول منهما في ترتيبه عليه السلم هو من نصب نفسه لسائر مناصب الامارة دون منصب القضاء
والثاني هو من نصب نفسه لها وانما بالغ في ذمهما ونسبتهما الى الجهل والضلال وان كان بعض ما عندهما
حقا لكون القدر الذي حصلاه عليه مغمورا في ظلمة الجهل فضلالهما واضلالهما اغلب وانتشار الباطل
عنهما اكثر واما القسم الثالث والخامس فلا يخلوان فمن برا الى الله منهم ونعيهم اخيرا العيش في الجهل
والموت على الضلال وما بعده والله اعلم بالصواب ومن كلام له عليه السلم في ذم اختلاف العلماء
في الفتيا ترد على احدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره
فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا والههم
واحد وكتابهم واحد افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه ام نهاهم عنه فعصوه ام انزل الله دينا ناقصا

بلغ
الرجوه حتى صار عندهم منكرا يستقبحون
فعله ولما اعرف من الرجلين المكر الموافقة
اغراضهم ومحبتهم له لذلك والله اعلم
انه عليه السلام

ونبيهم واحد

بدل
له

فاستعان بهم على اتمامه ام كانوا شركاء لله فلهم ان يقولوا وعليه ان يرضى ام انزل الله دينا تاما فقصر الرسول
صلى الله عليه وآله عن تبليغه وادائه والله سبحانه يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه تبيان كل شيء
وذكر ان الكتاب يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فقال سبحانه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وان القرآن ظاهره انيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه
ولا تكشف الظلمات الا به اقول الانيق الحسن المعجب وفي هذا الكلام تصريح بانه عليه السلم كان يرى
ان الحق في جهة واحدة ليس كل مجتهد مصيبا وهذه المسئلة مما انتشر الخلاف فيها بين علماء اصول
الفقه فمنهم من يرى ان كل مجتهد مصيب اذا راعى شرائط الاجتهاد وان الحق بالنسبة الى كل واحد
من المجتهدين ما ادى اليه اجتهاده وغلب في ظنه فجاز ان يكون في جهتين او جهات وعليه
الامام الغزالي رحمة الله عليه وجماعة من الاصوليين ومنهم من ينكر ذلك ويرى ان الحق في جهة
والمصيب له واحد وعليه اتفاق الشيعة وجماعة من غيرهم وربما فصل بعضهم والمسئلة مستقصاة
في اصول الفقه واعلم ان قوله ترد على احدهم القضية الى قوله فيصوب آراءهم جميعا بيان لصورة حالهم التي
ينكرها وقوله والههم واحد وكتابهم واحد ونبيهم واحد شروع في دليل بطلان ما رووه وهذه هي المقدمة
الصغرى من قياس الضمير وتقديره وكل قوم كانوا كذلك فلا يجوز لهم ان يختلفوا في حكم شرعي وقوله
افامرهم الله سبحانه بالاختلاف فاطاعوه الى اخره حجة في تقرير المقدمة الكبرى اذ الصغرى
مسلمة وتقديرها ان ذلك الاختلاف اما ان يكون بامر من الله اطاعوه فيه او بنهي منه عصوه فيه
او بسكوت منه عن الامرين وعلى التقدير الثالث فجواز اختلافهم في دينه والحاجة الى ذلك
اما ان يكون مع نقصانه او مع تمامه وتقصير الرسول في ادائه وعلى الوجه الاول فذلك الاختلاف
انما يجوز على احد وجهين احدهما ان يكون اتماما لذلك النقصان او على وجه اعم من ذلك وهو كونهم
شركاء في الدين فعليه ان يرضى بما يقولون ولهم ان يقولوا اذ شأن الشريك ذلك فهذه وجوه خمسة وهي
الاقسام الثلثة الاخيرة ثابت بحسب استقراء وجوه الحاجة الى الاختلاف والاقسام كلها باطلة
واشار الى بطلانها بقية الكلام اما بطلان الاول فلان مستند الدين هو كتاب الله تعالى ومعلوم انه
يصدق بعضه بعضا وانه لا اختلاف فيه فلا يتشعب عنه من الاقوال والاحكام الا ما يكون كذلك
ولا شيء من اقوالهم المختلفة كذلك فينتج انه لا شيء مما استند الى كتاب الله تعالى بقول لهم فلا يكون اقوالهم من
الدين واما بطلان القسم الثاني فلان عدم جواز المعصية لله بالاختلاف مستلزم لعدم جواز الاختلاف
وهو غني عن الدليل واما بطلان الثالث وهو نقصان دين الله فلقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء واما الرابع والخامس فظاهرا البطلان فلا يمكنهم دعواهما فلذلك لم يورد في
حجة ثم ردف ذلك بتنبيههم على ان الكتاب واف بجميع المطالب اذا تدبروا معناه ولاحظوا اسراره وتطلعوا

بطلانها

على غوامضه فحرم عليهم ان يتسرعوا الى قول مالم يستندوا اليه وذلك في قوله ظاهره انيق حسن معجب بانواع
البيان واصنافه وباطنه عميق لا ينتهي الى جواهر اسراره الا اولوا الالباب ومن ايده من الله بحكمه
وفصل خطاب ولا تفنى الامور المعجبه منه ولا تنقضي النكت الغريبه فيه على توارد صوارم
الاذهان وخواطف البصاير ولا تكشف ظلمات الشبه الناشية من ظلمة الجهل الا بسواطع
انواره ولوامع اسراره وقد راعى في هذه القراين الاربع السجع المتوازي وبالله التوفيق **ومن كلام**
له عليه السلم خاطب به الاشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب فمضى في كلامه عليه السلم
شيء اعترضه الاشعث فقال يا امير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض اليه بصره ثم قال وما
يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حايك بن حايك منافق ابن كافر والله لقد اسرك الكفر
مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وان امرا دل على قومه السيف وساق
اليهم الحتف لحري ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد قال السيد اراد بقوله دل على قومه السيف ما جرى
له مع خالد بن الوليد باليمامة فانه غر قومه ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد وكان بعد ذلك يسمى عرف النار
وهو اسم للغادر عندهم **اقول** الكلام الذي اعترضه الاشعث انه عليه السلم كان في خطبته يذكر امر
الحكمين فقام اليه رجل من اصحابه وقال له نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري اي الامرين ارشد
فصفق عليه السلم باحدى يديه على الاخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي جزاي حيث وافقتكم
على ما الزمتموني به من التحكيم وتركت الحزم فوجد الاشعث بذلك شبهة في تركه عليه السلم وجه المصلحة
واتباع الاراء الباطلة واراد الشماتة فقال هذه عليك لا لك وجهل او تجاهل ان وجه المصلحة قد يترك
محافظة على امر اعظم منه ومصلحة اهم فانه عليه السلم انما ترك العقدة الا خوفا من اصحابه ان يقتلوه
كما سنذكره في قصتهم وقيل كان مراده عليه السلم هذا جزاكم حيث تركتم الحزم فظن الاشعث انه اراد هذا
جزاي فقال الكلمة والحتف بالتاء الهلاك ويروى بالياء وهو الميل والمقت البغض **قوله** وما يدريك
ما علي مما لي اشارة الى انه جاهل وليس للجاهل ان يعترض عليه وهو استاد العلماء بعد رسول الله صلى الله عليه
وآله واما استحقاقه اللعن فليس بمجرد اعتراضه ولا لكونه ابن كافر بل لكونه مع ذلك من المنافقين بشهادة
عليه السلم والمنافق مستحق للعن والابعاد عن رحمة الله بشهادة قوله تعالى وذلك جزاؤهم جهنم ان
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون **قوله** حايك بن حايك
استعارة اشار بها الى نقصان عقله وقلة استعداده لوضع الاشياء في مواضعها وتاكيدا لعدم
اهليته للاعتراض عليه اذ الحياكة مظنة نقصان العقل وذلك لان ذهن الحايك عامة وقته
متوجه الى جهة صنعته مصبوب الفكر الى اوضاع الخيوط المتفرقة وترتيبها ونظامها يحتاج الى
حركة رجليه ويديه وبالجملة فالمشاهد يعلم من حاله انه مشغول الفكر عما وراء ما هو فيه فهو ابدا فيما عدا

ابن حايك صح

قومه

وقيل لان معاملة الحايك ومخالطته لضعفاء العقول من النساء والصبيان ومن كانت معاملته
امثال اولئك فلا شك في ضعف رايه وقلة عقليته للامور وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم
انه قال عقل اربعين معلما عقل حايك وعقل حايك عقل امراة والمراة لا عقل لها وعن موسى بن جعفر
عليه السلم انه قال لا تستشيروا المعلمين ولا الحوكة فان الله تعالى قد سلبهم عقولهم وذلك محمول على المبالغة
في نقصان عقولهم وقيل انما عيره بهذه الصنعة لانها تستعد دينه فيستلزم صغر الهمة وخستها وتدل
على رذايل الاخلاق فانها مظنة الكذب والخيانة روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله دفع
الى حايك من بني النجار غزلا لينسج له صوفا فكان يمطله ويأتيه عليه السلم متقاضيا ويقف على بابه
فيقول ردوا علينا ثوبنا لنتجمل به في الناس ولم يزل يمطله حتى توفي صلى الله عليه وقد علمت ان الكذب
راس النفاق ومن كانت لوازمه هذه الصنعة اخلاقه فليس له ان يعترض في مثل ذلك المقام وقد اختلف
في ان الاشعث هل كان حايكا او ليس فروى قوم انه كان هو وابوه ينسجان برود اليمن وقال اخرون
ان الاشعث لم يكن حايكا فانه كان من ابناء ملوك كندة واكابرها وانما عيره بذلك لانه كان اذا مشى
يحرك منكبيه ويفحج بين رجليه وهذه المشية تعرف بالحياكة يقال حاك يحيك حيكا وحيكانا وحياكة
فهو حايك اذا مشى تلك المشية وامراة حايكة اذا تبخترت في مشيها والاقرب ان ذلك له على سبيل الاستعارة
كنى بها عن نقصان عقله كما سبق اولا واما قوله والله لقد اسرك الكفر مرة والاسلام اخرى فما فداك من واحدة
منهما مالك ولا حسبك فتاكيد لنقصان عقله واشارة الى انه لو كان له عقل لما حصل فيما حصل فيه من
الاسر مرتين ما فداه اي ما نجاه من الوقوع في واحدة منهما ماله ولا حسبه ولم يرد الفداء بعد الاسر فان
الاشعث فدي في الجاهلية وذلك ان مرادا لما قتلت اباه خرج ثائرا طالبا بدمه فاسر ففدى نفسه بثلثة الاف
بعير ووفد على النبي صلى الله عليه وآله في سبعين رجلا من كندة فاسلم على يديه وذلك الاسر هو مراده
عليه السلم باسر الكفر له واما اسره في الاسلام فانه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ارتد بحضرموت
ومنع اهلها تسليم الصدقة وابى ان يبايع لابي بكر فبعث اليه زياد بن لبيد بعد رجوعه عنهم وقد كان عاملا
قبل ذلك على حضرموت ثم اردفه بعكرمة بن ابي جهل في جمع عظيم من المسلمين فقاتلهم الاشعث بقبايل كندة
قتالا شديدا في وقايع كثيرة وكانت الدايرة عليه فالتجا بقومه الى حصنهم فحصرهم زياد حصرا شديدا
وبلغ بهم جهد العطش فبعث الاشعث الى زياد يطلب منه الامان لاهله ولبعض قومه وكان من غفلته
انه لم يطلب لنفسه بالتعيين فلما نزل اسره وبعث به مقيدا الى ابي بكر بالمدينة فسال ابا بكر ان يستبقيه
لحربه ويزوجه اخته ام فروة ففعل ذلك ابو بكر ومما يدل على عدم مراعاته لقواعد الدين انه بعد خروجه
من مجلس عقده بام فروة اصلت سيفه في ازقة المدينة وعقر كل بعير رآه وذبح كل شاة استقبلها
للناس والتجا الى دار من دور الانصار فصاح به الناس من كل جانب وقالوا قد ارتد الاشعث مرة ثانية

فاشرف عليهم من السطح وقال يا اهل المدينه انى غريب ببلدكم وقد اولمت ما نحرت وذبحت فليأكل
كل انسان منكم ما وجد وليبعث الى من كان له علي حق حتى ارضيه ففعل ذلك فلم يبق دار من دور المدينه
الا واوقد فيها نار بسبب تلك الحيله فضرب اهل المدينه به المثل وقالوا اولم من الاشعث وفيه قال
الشاعر لقد اولم الكندي يوم ملاكه وليمة حمال لثقل العظايم قوله ولان امرا دل على قومه السيف
وقاد اليهم الحتف لحرى ان يمقته الاقرب ولا يامنه الابعد اشارة الى غدره بقومه وذلك انه
لما طلب الامان من زياد بن لبيد طلبه لنفر يسير من وجوه قومه فظن الباقون انه اخذ الامان لجميعهم
فسكنوا ونزلوا من الحصن على ذلك الظن فلما خرج الاشعث ومن طلب الامان له من قومه دخل زياد
الى الحصن فقتل المقاتلة صبرا فذكروه الامان فقال ان الاشعث لم يطلب الامان الا لعشرة
من قومه فقتل من قتل منهم ثم وافاه كتاب ابى بكر بالكف عنهم وحملهم اليه فحملهم وذلك معنى
قوله عليه السلام دل على قومه السيف وقاد اليهم الحتف اذ قادهم الى الحرب واسلمهم للقتل ولا شك
ان من كان كذلك فحقيق ان يمقته قومه ولا يامنه غيرهم فاما ما حكاه السيد رحمه الله من انه اراد به
حديثا كان للاشعث مع خالد بن الوليد باليمامه وانه غرهم ومكر بهم حتى اوقع بهم خالد فلم اقف على شي
من ذلك في وقايع خالد باليمامه وحسن الظن بالسيد يقتضي بصحيح نقله ولعل ذلك في وقت لم اقف على
اصلها واعلم انه عليه السلام ذم في هذا الفصل بجميع الرذايل النفسانيه فنبه على الجهل والغباوة الذي
هو طرف التفريط من الحكمه بالحياكه التي هي مظنة قلة العقل واشار الى الفجور الذي هو طرف الافراط من فضيلة
العفه بكونه منافقا وكونه ابن كافر تاكيد لنسبة النفاق اليه واشار الى الفشل وقلة الثبات التي هي في طرف
التفريط والافراط من فضيلة الشجاعه بكونه قد اسر مرتين وكان فيه اشارة الى ذلك ففيه ايضا اشارة
الى نقصان عقله كما قلناه واشار الى الظلم والغدر الذي هو رذيلة مقابلة لفضيلة الوفاء بقوله وان امرا
دل على قومه السيف وساق اليهم الحتف وباستجماعه لهذه الرذايل كان مستحقا للعن واما استعارة لهم
لدعوة النار فلان العرف عبارة عن كل عال مرتفع والاعراف في القرآن الكريم سور بين الجنة والنار ولما
كان من شان كل مرتفع عال ان يستر ما وراه وكان الغادر يستر بمكره وحيلته امورا ~~ابكر وحيلته امورا~~
كثيرة وكان هو يعد قومه بالباطل ويغرهم صدق عليه بوجه الاستعاره لفظ عرف النار لستره عنهم
ما وراه من نار الحرب او نار الاخرة اذ حملهم على الباطل والله اعلم ومن خطبة له عليه السلام فانكم لو عاينتم
ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتم واطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح
الحجاب ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم وهديتم ان اهتديتم بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما
فيه مزدجر وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء الا البشر اقول الوهل بالتحريك الفزع يقال وهل يوهل وهلا
فزع واعلم ان الانسان ما دام ملتحفا بجلباب البدن فانه محجوب بظلم الهيآت البدنيه والمعارضات الوهمية

والخياليه عن مشاهدة انوار عالم الغيب والملكوت وذلك الحجاب امر قابل للزيادة والنقصان والقوة
والضعف والناس فيه على مراتب فاعظمهم حجابا واكثفهم حجابا الكفار كما اشار اليه القرآن الكريم
مثاله في جحيم او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها
فوق بعض الاية مثل الكافر كرجل وقع في بحر لجي صفته كذلك فاشار بالبحر اللجي الى الدنيا بما فيها من الاخطار
المهلكة والموج الاول موج الشهوات الداعية الى الصفات البهيمية وبالحري ان يكون هذا الموج
مظلما اذ حب الشي يعمي ويصم والموج الثاني موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة
والحقد والحسد والمباهاة فبالحري ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحري ان يكون هو الموج
الاعلى لان الغضب في الاكثر مستولي على الشهوات حتى اذا هاج اذهل عنها والسحاب هو الاعتقادات
الباطله والخيالات الفاسدة التي صارت حجابا لبصيرة الكافر عن ادراك نور الحق اذ خاصية الحجاب ان
يحجب نور الشمس عن الابصار الظاهرة واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحري ان يكون ظلمات بعضها
فوق بعض واما اخفهم حجابا وارقهم حجابا فهم الذين جلوا جهدهم في لزوم اوامر الله ونواهيه وبالغوا
في تصفيه بواطنهم وصقال الواح نفوسهم وازالة حجب الغفلة واستار الهيآت البدنيه فاشرقت عليهم شموس
المعارف الالهيه وسالت اوديتهم بمياه الجود الرباني العظمى لكل قابل ما تقبله فهؤلاء وان كانوا قد بلغوا
الغاية من الجهد في رفع الحجب وغسل درن الباطل عن نفوسهم الا انهم ما داموا في هذه الابدان فهم
في اغطيه من هيآتها وحجب من استارها وان ضعفت تلك الحجب ورقت تلك الاغشيه وما
بين هاتين المرتبتين درجات من الحجب متفاوته ومراتب متصاعدة متنازلة وبحسب تفاوتها يكون
تفاوت النفوس في الاستضاءة بانوار العلوم وقبول الانتقاش بالمعارف الالهيه والوقوف على اسرار
الدين وبحسب تفاوت هذه الحجب يكون تفاوت هذا الحجب يكون تفاوت ورود النار كما قال تعالى
وان منكم الا واردها ولن يخلص الانسان من شوايب هذه الحجب وظلمتها الا بالخلاص عن هذا البدن وطرحه
وحينئذ تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا فيكون مشاهدة
بعين اليقين بما اعد لها من خير وما هيئ لها من شر بحسب استعدادها واكتسابها من قبل فاما قبل المفارقة فان حجاب
البدن مانع لها عن مشاهدة تلك الامور كما هي وان حصلت على اعتقاد جازم برهاني او نوع من المكاشفة الممكنه
كما في حق كثير من اولياء الله الا ان ذلك الوقوف والاطلاع لا يكون كالمشاهدة لانها مشاهدة حقيقية خالصة
اذ لا تنفك عن شايبة الوهم والخيال ولذلك قال صلى الله عليه وآله حاكيا عن ربه اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اي دع ما اطلعتهم عليه فهو اشارة
الى طور المشاهدة الخالصة عن الشوايب التي هي عين اليقين بعد الموت وقد يسمى ما ادركه اهل المكاشفات
بمكاشفاتهم في حياتهم الدنيا عين اليقين بحسب العرف فاما ادراك من دون هولاء لتلك الامور فما كان منها

موكدا بالشعور بعدم امكان النقيض فهو علم اليقين وقد يخص علم اليقين في عرف الصوفية بما يميل النفس
الى التصديق به ويغلب عليها وتستولي حتى يصير هو المتحكم المتصرف فيها بالتحريص والمنع فقال فلان ضعيف
اليقين بالموت اذا لم يهتم بالاستعداد له فكانه غير موقن به مع انه لا يتطرق اليه فيه شك وقوي اليقين
به اذا غلب ذلك على قلبه حتى استغرق همته بالتهيؤ له اذا عرفت ذلك فاعلم ان قوله عليه السلم فانكم لو
عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم شرطية متصلة نبه فيها على ان وراهم من اهوال الاخرة وعذابها
مما شاهده من سبق منهم الى الاخرة ما لا يشاهدونه الان بعين وان علموا وتيقنوا وبين فيها لزوم جزعهم وفزعهم
وسمعهم وطاعتهم لداعي الله على تقدير مشاهدتهم بعين اليقين لتلك الامور وهذه الملازمة مما يشهد
البرهان بصحتها واشار التنزيل الالهي الى حقيقتها وذلك قوله تعالى ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نعمل وذلك مقتضى شهادتهم لاهوال الاخرة وفزعهم وجزعهم من تلك المشاهدة فيجيبهم لسان
العزة او لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير قوله لكن محجوب عنكم ما قد
عاينوا استثناء الملزوم نقيض تالي هذه المتصلة اي حجب تلك الاهوال عن ابصاركم مستلزم لعدم فزعكم وجزعكم وهو
في صورة اعتذار منهم نطق به لسان حالهم قوله وقريب ما يطرح الحجاب ما المصدرية في موضع رفع بالابتدا
وقريب خبره وهو اشارة الى تحقق رفع ذلك العذر في صورة التهديد بقرب ان جعلوا ذلك الحجاب عذرا في التقصير
عن العمل فانه عما قليل يرفع حجب الابدان من احوال القيمة واهوال يوم الطامة وكشط سماء اغطيتها عن بصاير النفوس
فتشاهد الجحيم قد سعرت والجنة قد ازلفت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة ازلفت علمت نفس
ما احضرت وكما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ولقد بصرتم ان ابصرتم واسمعتم ان سمعتم
وهديتم ان اهتديتم اشارة الى ما يشبه جوابا ثانيا عن صورة العذر السابق لحالهم وهو وجود الحجاب المانع من مشاهدة
ما يوجب الجزع والفزع وذلك ان الحجاب وان كان قايما الان وساترا لتلك الامور عنكم فقد بصرتم بها ووضحت
لكم بالعبر والامثال على السنة الرسل عليهم السلم واسمعتم اياها في الكتب الالهية والسنن النبوية وهديتم عليها
بالدلايل الواضحة والحجج القاطعة بحيث صارت كالمشاهدة لكم والمعلومة عيانا لا شك فيها فلا عذر لكم
وتخصيص السمع والبصر بالذكر لانهما الالتان اللتان عليهما مدار الاعتبار بامور الاخرة واشار بالهداية الى حظ العقل
من غير نظر الى الة وبتنبيه بايراد الشرطية في المواضع الثلثه على انه يجد الشك في ابصارهم لما ابصروا به وسماعهم
لما سمعوا واهتدائهم بما هدوا به وكل ذلك تنفير لهم عن القرار على الغفلة وتنبيه على الفرار الى الله في طرق الاعتبار
قوله بحق اقول لقد جاهرتكم العبر وزجرتم بما فيه مزدجر لما قدم انهم بصروا واسمعوا اردف ذلك ببيان ما
بصروا به واسمعوا الى ما بصروا به مجاهرة العبر المصايب الواقعة بهم وبمن خلا قبلهم من القرون والى ما اسمعوا
به بالزجر بما فيه مزدجر وهي النواهي الموكدة المردفة بالوعيدات الهائلة والعقوبات الحاضرة التي في امثالها عبرة
لذوي الالباب كما قال تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر قوله وما يبلغ

عن الله بعد رسل السماء الا البشر اشارة الى انه ليس في الامكان وراء ما جذبتم به الى الله تعالى على السنة رسله طريق
اخرى تدعون بها انما يمكن دعوتكم به من الوعد والوعيد والامثال والتذكير بالعبر اللاحقة لقوم حقت عليهم
كلمة العذاب ونحو ذلك لا يمكن ايضاحه لكم مشافهة الا على السنة الرسل البشرية عليهم السلم فلا يمكن ان يبلغ اليكم
بها الا رسل ربكم بعد رسل السماء التي هي الملائكة الا بهم فينبغي ان يكون ذلك سارا كافيا لكم في الالتفات الى الله
ومن خطبة له عليه السلم فان الغاية امامكم وان وراءكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم اخركم
قال السيد رحمه الله واقول ان هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه وكلام رسوله صلى الله عليه واله
بكل كلام لمال به راجحا وبرز عليه سابقا فاما قوله عليه السلم تخففوا تلحقوا فما سمع كلام اقل منه مسموعا
ولا اكثر محصولا وما ابعد غورها من كلمة وانقع نطفتها من حكمة وقد نبهنا في كتاب الخصايص على عظم قدرها
وشرف جوهرها اقول لا شك ان هذه الكلمات اليسيرة قد جمعت وجازة الالفاظ وجزالة المعنى المشتمل على الموعظة
الحسنة والحكمة البالغة وهي اربع كلمات الاولى ان الغاية امامكم واعلم انه لما كانت الغاية من وجود الخلق ان يكونوا
عبيدا لله كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وكان المقصود من العبادة انما هو الوصول الى
جناب عزته والطيران في حظاير القدس باجنحة الكمال مع الملائكة المقربين هو غاية الانسان المطلوبة منه
والمقصودة له والمامور بالتوجه اليها بوجهه الحقيقي فان سعى لها سعيها ادركها وفاز بحلول جنات النعيم
وان قصر في طلبها وانحرف عن سواء الصراط الموصل اليها وقد علمت ان ابواب جهنم من حمى الصراط مفتحة
كان فيها من الهاوين وكانت غايته قد دخلها مع الداخلين فاذن ظهر ان الغاية كل انسان امامه اليها يسير
وبها يصير الثانية قوله وان وراءكم الساعة تحدوكم والمراد بالساعة القيمة الصغرى وهي ضرورة الموت
فاما كونها وراءهم فلان الانسان لما كان بطبعه ينفر من الموت ويفر منه وكانت العادة في الهارب من الشي
ان يكون وراءه مهروب منه وكانت الموت متاخرا عن وجود الانسان ولاحقا له تاخرا ولحوقا عقليا
اشبه المهروب منه المتاخر اللاحق هربا وتاخرا ولحوقا حسيا فلا جرم استعير له الجهة المحسوسة
وهي الوراء واما كونها تحدوهم فلان الحادي لما كان من شانه سوق الابل بالحدو وكان تذكر الموت وسماع
نوادبه مقلقا مزعجا للنفوس الى الاستعداد لامور الاخرة والاهبة للقاء الله سبحانه فهو يحملها على قطع عقبات
طريق الاخرة كما يحمل الحادي الابل على قطع الطريق البعيدة الوعرة لا جرم اشبه الحادي فاسند الحداء اليه
الثالثة قوله تخففوا تلحقوا ولما نبههم بكون الغاية امامهم وان الساعة تحدوهم في سفر واجب وكان
السابق الى الغاية من ذلك السفر هو الفايز برضوان الله وقد علمت ان التخفيف وقطع العلايق في الاسفار
سبب السبق والفوز بلحوق السابقين لا جرم امرهم بالتخفيف لغاية اللحوق في كلمتين فالاولى منهما قوله
تخففوا وكنى بهذا الامر عن الزهد الحقيقي الذي هو اولى اسباب السلوك الى الله سبحانه وهو عبارة عن حذف
كل شاغل عن التوجه الى القبلة الحقيقية والاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها وتخلية كل ما سوى الحق

والمراد بالحقوا

الاول من سن الايثار فان ذلك تخفيف لاثقال الاوزار المانعة عن الصعود في درجات الابرار والموجبة لحلول دار
البوار وهي كناية باللفظ المستعار وهذا الامر في معنى الشرط والثانية قوله تلحقوا وهو جزاء الشرط اي تلحقوا
بدرجات السابقين الذين هم اولياء الله والواصلون الى ساحل عزته وملازمة هذه الشرطية قد علمت
بيانها فان الجود الالهي لا بخل فيه ولا قصور من جهته والزهد الحقيقي اقوى اسباب السلوك الى الله كما سبق
فاذا استعدت النفس بالاعراض عما سوى الحق سبحانه وتوجهت الى استشراق انواركبريائه فلا بد ان يفيض
عليها ما تقبله من الصورة العالية ملحق بدرجة السابقين و يصل الى ساحل العزة في مقام امين الرابعة قوله
فانما ينتظر باولكم اخركم اي انما ينتظر بالبعث الاكبر والقيمة الكبرى للذين ماتوا اولا وصول الباقين بموتهم
وتحقيق ذلك الانتظار انه لما كان نظر العناية الالهية الى الخلق نظرا واحدا والمطلوب منهم واحد وهو الوصول
الى جناب عزة الله الذي هو غايتهم اشبه طلب العناية الالهية وصول الخلق الى غايتهم انتظار الانسان
القوم يريد حضور جميعهم وترقبه باوايلهم وصول اواخرهم فاطلق عليه لفظ الانتظار على سبيل الاستعارة
والمقصود ههنا صورة انتظار الوصول ثم جعل ذلك علة لحثهم على التخفيف وقطع العلايق ولا شك ان العقول
لاولى الالباب من ذلك الانتظار حاثة لهم ايضا على التوجه بوجوه انفسهم الى الله والاعراض عما سواه
فهذا ما حضرني من اسرار هذه الكلمات وكفى بكلام السيد رحمه الله مدحا لها وتنبيها على عظم قدرها
وقد استعار لفظ النطفة وهي الماء الصافي للحكمة وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلام الا وان الشيطان
قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ورجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني
وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا تركوه ودما هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا
ولوه دوني فما التبعة الا قبلهم وان اعظم حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت
يا خيبة الداعي من دعا والى ما اجيب واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان ابوا اعطيتهم حد السيف
وكفى به شافيا من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثتهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد هبلتهم
الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب واني لعلى يقين من ربي وغير شبهة من ديني
اقول اكثر هذا الفصل من الخطبة التي ذكرنا انه عليه السلام خطبها حين بلغه ان طلحة والزبير خلعا بيعته
وفيه زيادة ونقصان وقد اورد السيد بعضه فيما قبل وان كان قد نبه في خطبته على سبب التكرار والاختلاف
بالزيادة والنقصان ونحن نورد الخطبة بتمامها ليتضح المقصود وهي بعد حمد الله والثناء عليه والصلوة
على رسول الله صلى الله عليه وآله ايها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه وجعله نصرته وناصره والله ما
صلحت دنيا ولا دين الا به وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله ومن اطاعه ليعود له دينه وسننه
وخدعه وقد رايت امورا قد تمخضت والله ما انكروا على منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون
حقا تركوه ودما سفكوه فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا قبلهم

ما لبث

وسكون الصاد

وان اول عدلهم لعلى انفسهم ولا اعتذر مما فعلت ولا ابرأ مما صنعت وان معي لبصيرتي ولا لبس علي وانها
للفئة الباغية فيها الحم والحمة طال جلبها وانكفت جونتها ليعودن الباطل الى نصابه يا خيبة الداعي من
دعا لو قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه وما
الظن لبغيه واضح حيث نعج والله ما تاب من قتلوه قبل موته ولا تنصل من خطيئته وما اعتذر اليهم فعذروه
ولا دعا فنصروه وايم الله لافرطن لهم حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوة ابدا وانها
لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني داعيهم فمعذر اليهم فان تابوا وقبلوا واجابوا وانابوا فالتوبة
مبذولة والحق مقبول وليس على كفيل وان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا لمؤمن
ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها والله ان الزبير وطلحة وعايشة ليعلمون اني على الحق وهم مبطلون ذمر
وشرد اي حث والجلب الجماعة من الناس وغيرهم تجمع وتؤلف وتمخضت تحركت والنصف بكسر النون
النصفة وهي الاسم من الانصاف والتبعة ما يلحق الانسان من درك وللحم بفتح الحاء وتشديد الميم بقية الالية
التي اذيبت واخذ دهنها والحمة السواد وهما استعارتان لارذال الناس وعوامهم والجلبة الاصوات وجمة
القصر سوادها والكف واستكفت اي استدارت واح وازاح تنحى والنصاب الاصل وتنصل من الذنب
تبرأ منه والعب الشرب من غير مص والحسوة بضم الحاء وقد يفتح مرة والجلاد المضاربة بالسيف
والهبول الثكلى والهبل الثكل واعلم انه عليه السلام نبه اولا على فضل الجهاد لان غرضه استنفارهم لقتال
اهل البصرة فاشار اولا الى وجوبه من الله تعالى والكتاب العزيز مشحون بذلك كقوله تعالى جاهدوا في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ونحوه ثم اردفه بذكر تفضيل الله تعالى لمن ذلك كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما ثم يذكر ان الله جعله نصرة له وناصرا وذلك كقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم والمراد نصرة
دين الله وعباده الصالحين اذ هو الغني المطلق الذي لا حاجة به الى معين وظهير ثم بالقسم الصادق انه
ما صلحت دنيا ولا دين الا به اما صلاح الدنيا فلانه لولا الجهاد في سبيل الله ومقاومة اهل الغلبة لخربت
الارض والبلاد وكما قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين
واما صلاح الدين فظاهر انه انما يكون بمجاهدة اعداء دين الله الساعين في هدم قواعده فاما قوله وقد ذمر
الشيطان حزبه واستجلب جلبه ومن اطاعه فقد سبق بيانه وقوله ليعود له دينه وسننه وخدعه وظاهر
غاية سعي الشيطان من وسوسته ومكنه من الخداع وعود المذاهب الباطلة كما كانت قبل الرسول صلى الله عليه
وآله دينه وطريقته وكل ذلك تنفير للسامعين عما عليه من خالفه وجذب لهم الى الحرب قوله وقد رايت امورا
قد تمخضت اشارة الى تهيئ ما يستفزهم اليه وتلك الامور هي ما يحترز من مخالفة القوم واهبتهم لقتاله قوله والله ما

اكروا منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم الى قوله سفكوه اشارة الى انكار ما ادعوه منكرا ونسبوه اليه
من قتل عثمان والسكوت عن النكير على قاتليه فانكر اولا انكارهم عليه تخلفه عن عثمان الذي زعموا انه منكر
ولما لم يكن منكرا كما سيعلم اذ لك كان الانكار عليه هو المنكر واشار بقوله ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا الى انهم
لو وضعوا العدل بينهم وبينه ~~نصفا الى انهم لو وضعوا العدل بينهم وبينه~~ لظهر ان دعواهم باطلة وقوله وانهم
ليطلبون حقا هم تركوه ودما سفكوه اشارة الى طلبهم لدم عثمان مع كونهم شركا فيه روى ابو جعفر الطبري
في تاريخه ان عليا عليه السلم كان في ماله لما اراد الناس حصر عثمان فقدم المدينة والناس مجتمعون على طلحة
في داره فبعث عثمان اليه يشكو امر طلحة فقال عليه السلم انا اكفيكه فانطلق الى دار طلحة وهي مملوة بالناس
فقال له يا طلحة ما هذا الامر الذي صنعت بعثمان فقال طلحة يا ابا الحسن بعد ان مس الحزام الطبيين فانصرف
علي الى بيت المال فامر بفتحه فلم يجدوا المفتاح فكسر الباب وفرق ما فيه على الناس فانصرفوا من عند
طلحة حتى بقي وحده فسر عثمان بذلك وجاء طلحة الى عثمان فقال له يا امير المومنين اني اردت امرا فحال الله
بيني وبينه فقد جئتك تائبا فقال والله ما جئت تائبا ولكن جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحة وروى ابو جعفر
ايضا انه كان لعثمن على طلحة بن عبد الله خمسون الفا فقال له طلحة يوما قد تهيا مالك فاقبضه فقال هو لك معونة على
مروتك فلما حضر عثمان قال علي عليه السلم لطلحة انشدك الله الا كففت عن عثمان فقال لا والله حتى تعطي بنو امية
الحق من انفسها فكان علي يقول بعد ذلك لحا الله ابن الصعبة اعطاه عثمن ما اعطى وفعل به ما فعل وروي ان
الزبير لما برز لعلي يوم الجمل قال له ما جاء بك يا عبد الله على ما صنعت قال اطلب بدم عثمان فقال له انت وطلحة
وليتماه وانما توبتك من ذلك ان تقدم نفسك وتسلمها الى ورثته وبالجملة فدخولهم في قتل عثمان ظاهر
وهذه مقدمة من الحجة عليهم وقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة الا
قبلهم تتمة الحجة وتقريرها انهم دخلوا في دم عثمان وكل من دخل فيه فاما بالشركة او بالاستقلال وعلى التقديرين
فليس لهم ان يطلبوا به سواء اشار الى القسم الاول بقوله فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منهم اي على تقدير
كونهم شركاء لي في ذلك فعليهم ان يبدءوا بتسليم انفسهم الى اوليائه واشار الى الثاني بقوله وان كانوا ولوه دوني فما الطلبة
الا قبلهم وقوله وان اول عدلهم لعلى انفسهم زيادة تقرير للحجة اي ان العدل الذي يزعمون انهم يقيمونه في الدم المطلوب
ينبغي ان يضعوه اولا على انفسهم قوله ولا اعتذرت مما فعلت ولا ابرات مما صنعت اي ان الاعتزال الذي فعله في وقت قتل
عثمان لم يكن على وجه تقصير في الدين يوجب الاعتذار والتبري منه فاعتذر وابرء وكما سنبين وجه ذلك
ان شاء الله وقوله وان معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي تقدم بيانه وقوله وانها للفئة الباغية فيها الحم والحمة وشعا
ها اي اللفظتين لاسقاط الناس واراذلهم الذين جمعوا القتال ووجه الاستعارة مشابهتهم حما الاليه وما دنى
منها في قلة النفع والخير قوله طالت جلبتها اي ارتفعت اصواتها وهي كناية عما ظهر من القوم من تهديدهم وتو
بالقتال قوله وانكفت جونها اي استدار سوادها واجتمع وهو كناية ايضا انجمع جماعتهم لما يقصدون قوله

يتضعون اما قد فطمت استعار لفظ الام لنفسه عليه السلم او للخلافة وبيت المال لبنها والمسلمون اولادها الراضعون
وكنى بارتضاعهم لها وقد فطمت عن التماسهم منه عليه السلم من الصلات والتفضيلات مثل ما كان عثمان يصلهم
ويفضل بعضهم على بعض ومنعه لهم من ذلك قوله وتحيون بدعة قد اميتت اشارة الى ذلك التفضيل فانه كان
بخلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسنة الشيخين والبدعة مقابلة للسنة واماتتها تركه عليه السلم
لذلك في ولايته وقوله لعودن الباطل الى نصابه توعد لهم بعود ما كانوا عليه من الباطل في الجاهلية واستفار
السامعين الى القتال وقوله يا خيبة الداعي من دعا خرج مخرج التعجب من عظم خيبة الدعاة الى قتاله ومن دعا
والى ما اجيب استفهام على سبيل الاستحقار للمدعوين لقتاله والناصرين اذ كانوا عوام الناس ورعاعهم
والمدعو اليه وهو الباطل الذي دعوا لنصرته وقوله لو قيل ما انكر من ذلك وما امامه وفيمن سنته اذا
لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه متصل معناها لو سال سائل مجادلا لهولاء الدعاة الى الباطل
الى الباطل عما انكروه من امري وعن امامهم الذي به يقتدون وفيمن سنتهم التي اليها يرجعون لشهد لسان حالهم
باني انا امامهم وفي سنتهم فانزاح باطلهم الذي لوابه وانقطع لسانه واستعمال لفظ اللسان ههنا حقيقة
على تقدير حذف المضاف اي انقطع لسان صاحبه عن الجواب به وتكون الاستعارة في لفظ الانقطاع للسكوت
او مجازا في العبارة عن الباطل او المتكلم به اي انقطع الجواب الباطل قوله وما اظن الطريق له فيه واضح حيث نهج الجملة
عطف على قوله وانقطع لسانه وواضح مبتدا وفيه خبره والجملة في موضع النصب مفعول ثاني لاظن اي وما اظن
لو سال السائل عن ذلك ان الطريق الذي يركبه المجيب له فيه مجال بين ومسلك واضح حيث سلك بل كيف توجه
في الجواب انقطع وقوله والله ما تاب من قتلوه الى قوله فنصره اشارة الى عثمان وذم لهم من جهة طلبهم بدم من اعتذر
قبل موته فلم يعذروه ودعاهم الى نصرته في حصاره فلم ينصروه مع تمكنهم من ذلك وقوله وايم الله لافرطن لهم
حوضا انا ماتحه لا يصدرون عنه بري قد تقدم تفسيره وقوله ولا يعبون حسوة ابدا كناية عن عدم تمكينه
لهم من هذا الامر او شي منه كما يقول الخصم في شي والله لا يذوق منه ولا يشرب منه جرعة وقوله وانها
لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم نفسي منصوب بدلا من الضمير المتصل بان او باضمار فعل تفسيره الحجة الله اشارة
الى الامر الصادر بقتال الفئة الباغية كقوله تعالى فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي
الى امر الله وكذلك كل امر لله او نهي عصي فيه فهو حجة له وكل حجة للحق فهي حجة لله اي اني راض بقيام حجة
الله عليهم وعلمه بما يصنعون واي رضي للعاقل تام وطيب نفس اعظم من كونه لازما للحق وكون خصمه على الباطل
خارجا عن طاعة الله وهو القائم على كل نفس بما كسبت وقوله واني داعيهم فمعذر الى قوله وناصرا للمومنين واضح
وقوله وليس على كفيل اي لا احتاج فيما صحيفة شاهدها وكاتبها الواو للحال اي انهم ان لم يرجعوا اعطيتهم
حد السيف والملائكة الكرام الكاتبون الذين يعلمون ما تفعلون كتبة اعمال من وكل به في صحيفة وتشهد
بها في محفل القيمة وقوله ومن العجب بعثهم الي ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد وتعجب من تهددهم له بذلك

بجبره

اليهم

نفسه

ابد له لهم من الصفح والامان
على تقدير انابتهم الى ضامن وشافيا
وناصرا منصوبان على التمييز
وقوله ومع كل صحيح

مع علمهم بجلاده في الشجاعة والحرب والصبر على المكاره وهو محل الاستهزاء والتعجب منهم قوله هبلتهم الهبول
اي ثكلتهم الثواكل وهي من الكلمات التي يدعوا بها العرب وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب
بالضرب اي من حيث كنت انا كذلك قوله واني لعلى بينة من ربي وفي غير شبهة من امري تاكيد
لقوته على الحرب واقدامه على الجلاد وتجذب لقلوب السامعين الى الثقة بانهم على بينة من الله وبصيرة
في متابعته على القتال والحرب فان الموقن بانه على الحق ناصره ذاب عن بينة عار عن غبار الشبهة الباطلة
في وجه يقينه يكون اشد صبرا واقوى جلادا واحسن في المكاره ممن لا يكون كذلك ممن مقدم على القتال لشبهة
غطت على عين بصيرته او هوى لزخرف الدنيا وباطلها قادة الى ذلك وبالله التوفيق والعصمة والحول والقوة

هذا آخر المجلد الاول والحمد لله رب العالمين

المجلد الثاني من مصباح السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام اما بعد فان الامر ينزل من السماء الى الارض كقطر المطر الى كل نفس بما قسم لها من
زيادة او نقصان فاذا راى احدكم لاخيه غفيرة فى اهل او مال او نفس فلا يكونن له فتنة فان المرء المسلم ما لم يغش دناءة
تظهر فيخشع لها اذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس كالفالج الياسر الذى ينتظر اول فوزة من قداحه توجب له المغنم ويرفع عنه
بها المغرم كذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ينتظر احدى الحسنيين اما داعى الله فما عند الله خير له واما رزق الله
فاذا هو ذو اهل ومال ومعه دينه وحسبه ان المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعهما الله
لاقوام فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا فى غير رياء ولا سمعة فان من يعمل
لغير الله يكله الله الى من عمل له نسال الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء ايها الناس انه لا يستغنى
الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم وهم اعظم الناس حيطة من ورائه والمهم لشعثه
واعطفهم عليه عند نازلة ان نزلت به ولسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال يورثه غيره **اقول**
العفيرة الكثرة والزيادة وروى عفوة بكسر العين وعفوة كل شيء صفوته وغرى يغرى بالامر اذا ولع به واغريته به اذا حثثته
له الدخول فيه والفالج القامر والياسر اللاعب بالميسر وسنذكر كيفيته والقداح سهام الميسر التى يلعب بها والتعذير
اظهار العذر ممن لا عذر له فى الحقيقة وعشيرة الرجل قبيلته والعاشرون له المحيطة بالكثر للحفظ والرعاية
واللم الجمع والشعث تفرق الامور وانتشاره واعلم ان مدار هذا الفصل على تاديب الفقراء بترك الحسد ونحوه اولا وعلى تاديب
الاغنياء بالشفقة على الفقراء ومواساتهم بالفضل من المال وترغيبهم فيه ثانيا **فقوله** اما بعد فان الامر ينزل
الى قوله او نقصان صدر الخطبة اورده ليبنى عليه غرضه وحاصله الاشارة الى ان كل ما يحدث من زيادة او نقصان
ويجرى فيما يكون به صلاح حال الخلق فى معاشهم ومعادهم من صحة او مال او علم او جاه او اهل فانه صادر عن القسم الربانى
المكتوب بقلم القضاء الالهى فى اللوح المحفوظ الذى هو خزائن كل شيء والمراد بالامر حكم القدرة الالهية على الممكنات
بالوجود وهو المعبر عنه بقوله تعالى كن فى قوله انما امرنا لشيء اذا اردناه والابداع ونزوله نسبة حصوله الى كل نفس بما قسم
لها وهى النسبة المسماة بالقدر فى قوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والمراد بالسماء
سماء الجود الالهى وبالارض عالم الكون والفساد على سبيل استعارة هذين اللفظين للمعنيين المعقولين من المحسوسين
ووجه الاستعارة فى الموضعين مشاركة المعنيين المذكورين للسماء والارض فى معنى العلو والاستفال كل بالنسبة
الى الاخر وانما لم يكن حقيقة مراده لان الامر النازل ليس لجهة هى مبدأ نزوله ولا يكون الامر فى جهة تعالى الله عن
ذلك ويحتمل ان يريد حقيقة السماء والارض على معنى ان الحركات الفلكية لما كانت شرائط معدة يصدر بواسطتها ما يحدث

فى الارض كانت السماء مبادى على بعض الوجوه لنزول الامر فاما تشبيهه بقطر المطر فوجه التشبيه ان حصول الرزق
والاهل ونحوها لكل نفس وقسمتها بينها مختلف بالزيادة والنقصان كما ان قطر المطر بالقياس الى كل واحد من
البقاع كذلك وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس **وقوله** فاذا راى احدكم لاخيه المسلم غفيرة فى اهل او مال او
نفس فلا يكونن له فتنة شروع فى تاديب من حصل فى حقه النقصان فى احد الامور المذكورة بالنهى لهم
عن الافتتان بحال من حصلت له الزيادة او النفاسة فى احدها من المال او الاهل او النفس قال بعض
الشارحين اراد بالنهى عن الفتنة هاهنا النهى عن الحسد والتحقيق ان يقال ان الفتنة هى الضلال
عن الحق بمحبة امر ما من الامور الباطلة والاشتغال به عن ما هو الواجب من سلوك سبيل الله ولما كان
حال الفقراء من احد الامور المذكورة بالنسبة الى من عرضت له الزيادة فى احدها ان منهم من يوهل نفسه
لتلك الزيادة ويرى انه احق بها ممن عرضت له فيعرض له ان يحسده او يرى انه يستحق مثلها فيعرض له
ان يغبطه ومنهم من يقصر نفسه عن ذلك لكنه يميل بطبعه الى خدمة من له تلك الزيادة ويحبه بكليته الى
موالاته ككثير من الفقراء الذين يميلون بطباعهم الى خدمة الاغنياء ويخلصون السعى لهم ليس لامر سوى
ما حصلوا عليه من مال او جاه او نحو ذلك وغاية تلك الغاية يتوهمون الانتفاع بهم مما حصلوا عليه
وكانت هذه الامور ونحوها اعنى الحسد والغبطة والميل اليهم لاجل ما حصلوا عليه من الزيادة فى احد الامور
المذكورة رذائل اخلاق مشغلة عن التوجه الى الله تعالى ومضلة عن سواء السبيل كان المنهى عنه فى الحقيقة هو الضلال
باحد الرذائل المذكورة فهو المراد بلفظ الفتنة هاهنا **وقوله** فان المرء المسلم الى قوله ومعه دينه **اقول** اعراب هذا
الفصل ان ما هاهنا بمعنى المدة وكالفالج خبر ان وتظهر صفة لدناءة وقوله فيخشع ان حملنا الخشوع على المعنى اللغوى
وهو غض الطرف ونحوه والتطامن كان عطفا على تظهر وان حملنا على المعنى العرفى وهو الخضوع لله والخشية منه
فالفاء للجزاء والياسر صفة للفالج واذا للمفاجاة اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام لما نهى عن الفتنة باحد الامور
المذكورة والشغل بها اراد ان ينبه على فضيلة الانتهاء عنها فنبه على كونها دنايا بقوله ما لم يغش دناءة ثم عقب بالتنفير
عن الدناءة والترغيب فى التنزه عنها بما ذكره ومعناه ان المسلم مهما لم يرتكب امرا خسيسا يظهر عنه فيكتسب خلقا
رديا ويلزمه بارتكابه الخجل من ذكره بين الخلق اذا ذكر والحياء من التعيير به ويغرى به لئام الناس وعوامهم فى فعل مثله
وقولهم فى هتك ستره به فانه يشبه الفالج الياسر هذا ان حملنا الخشوع على معناه اللغوى وان حملناه على المعنى
العرفى الشرعى كان المراد انه ما لم يغش دناءة فيخشع لها اى بل يخشع لله ويخضع له عند ذكرها ويتضرع اليه هربا
من الوقوع فى مثلها وخوفا من وعيده على المعاصى كيف كان الياسر الفالج ويكون قوله ويغرى به لئام الناس عطفا
على تظهر [illegible] اما انه شبهه مع هذه صفته بالياسر الفالج فلنشير اولا الى كيفية اللعب المسمى بالميسر [illegible]
فنقول المنقول ان الخشبات المسميات قداحا هى التى كانت لايسار الجزور سبعة اولها الفذ بالذال المعجمة وفيه
فرض واحد وثانيها التوام وفيه فرضان وثالثها الضريب بالضاد المعجمة وفيه ثلثة فروض ورابعها الحلس

ينفعه

الله سر

وحسدهم

نفع

بكسر الحا، ونقل احمد بن فارس في المجمل الحلس بفتح الحا، وكسر اللام وفيه اربعة فروض وخامسها النافس وفيه خمسة
فروض وسادسها المسبل وفيه ستة فروض وسابعها المعلى وله سبعة فروض وليس بعده قدح فيه شي من
الفروض الا انهم يدخلون مع هذه السبعة اربعة اخرى يسمى اوغادا لا فروض فيها وانما تثقل بها القداح واسماؤها
المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح فاذا اجتمع الايسار اخذ كل منهم قدحا وكتب عليه اسمه او علمه بعلامة
ثم اتوا بجزور فنحرها صاحبها وقسمها عشرة اجزاء على الوركين والفخذين والعجز والكاهل والزور والملحا والكتفين
ثم يعمد الى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الاجزاء بالسوية فاذا استوت وبقي منها عظم او بضعة
لحم انتظر به الجازر من اراد ممن يفوز قدحه فان اخذه غيره والا فهو للجازر ثم يوتى برجل معروف انه لم ياكل
لحما قط بثمن الا ان يصيبه عند غيره ويسمى الحرضة فيجعل على يديه ثوب ويعطف راس اصابعه بعصابة
كيلا يحس الفروض ثم يدفع اليه القداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع اليه قدحا قدحا منها
من غير ان ينظر اليها فمن خرج قدحه اخذ من اجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه ومن لم يخرج قدحه
حتى استوفيت اجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كاجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذي
نحرها فان اهوى ان خرج المعلى اولا فاخذ صاحبه سبعة اجزاء من الجزور ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه الا ثلثة
اجزاء اخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلثة اجزاء من جزور اخرى واما القداح الاربعة الاوغاد فليس في خروجها
غنم ولا في عدم خروجها غرم والمنقول عن الايسار انهم كانوا يجعلون ذلك اللحم على انفسهم ويعدونه للضيافة اذا
عرفت ذلك فاعلم ان وجه الشبه هو ما ذكره عليه السلم وذلك ان الفايز الياسر الذي ينتظر قبل فوزه اول فوزه من
قداحه اوجب له فوزه المغنم ونفى عنه المغرم فكذلك المسلم البري من الخيانة الضابط لنفسه عن ارتكاب مناهي
الله كان لابدله في انتظاره لرحمة الله وصبره عن معصيته ان يفوز باحدى الحسنيين وهي اما ان يدعوه اليه ما يقبض
عن الشقا في هذه الدار فما عند الله مما اعده لاوليائه الابرار خير له فيفوز اذن بالنعيم المقيم ولما كان فوزه مستلزما لعدم
خسرانه لهم حسن تشبيهه بالياسر الفالج في فوزه المستلزم لعدم غرمه ويحتمل ان يريد بداعي الله لا الموت بل الجواذب
الالهية والخواطر الربانية التي تسنح له فتجذبه الى طرف الزهد الحقيقي والالتفات عن خسايس هذه الدار الى ما وعد
به المتقون واما ان يفتح الله عليه ابواب رزقه فيصبح وقد جمع الله له بين المال والبنين مع حفظ الحسب والدين
فيفوز الفوز العظيم ويامن العقاب الاليم فالتشبيه ايضا ههنا واقع موقعه وكلا الوجهين افضل عند العاقل
من الفتنة بالغير والالتفات عن الله تعالى وتدنيس لوح النفس برذايل الاخلاق من الحسد ونحوه وكما ان هذا
الفصل مستلزم للنهي عن الحسد ونحوه من الفتن المضلة كذلك هو مستلزم للامر بالصبر على بلاء الله وانتظار
رحمته **وقوله** ان المال والبنين حرث الدنيا الى قوله لا قوم **اقول** لما بين فيما سبق من التشبيه وغيره ان ما ترك الرذايل
المذكورة ونحوها النظر الحسنى من الله فاردف ذلك بالتنبيه على حقارة المقتنيات التي تنافس المتنافس فيها الرذايل
المذكورة فذكر اعظمها واهمها عند الناس وهو المال والبنون فانهما اعظم الاسباب الموجبة لصلاح الحال

في الحيوة الدنيا واشرف القنيات الحاضرة كما قال تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ونبه على تحقيرهما بالنسبة
الى العمل بكونهما من حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة والمقدمة الاولى من هذا الاحتجاج صغرى ضمير
تقديره كبراه وحرث الدنيا حقير عند حرث الاخرة فينتج ان المال والبنين حقيران بالنسبة الى حرث الاخرة وينتج
ثبت في المقدمة الثانية ان حرث الاخرة هو العمل الصالح فاذن المال والبنون حقيران بالنسبة الى العمل الصالح
اما المقدمة الاولى فظاهرة اذ لا حصول للمال والبنين في غير الدنيا واما بيان الثانية فمن وجهين احدهما
قوله تعالى وما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل وظاهر انه لا يريد قلة الكمية بل المراد حقارته بالنسبة الى متاع الاخرة
والثاني ان حرث الدنيا من الامور الفانية وحرث الاخرة من الامور الباقية الموجبة للسعادة الابدية
والفانيات الطالحات ظاهرة الحقارة بالنسبة الى الباقيات الصالحات كما قال تعالى والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا ثم نبه السامعين بقوله وقد يجمعهما الله لاقوام على وجوب الالتفات الى الله تعالى
والتوكل عليه وذلك ان الجمع بين حرث الدنيا والاخرة لما كان في طباع كل عاقل طلب تحصيله وكان حصوله
انما هو من الله يعطيه من يشاء من عباده فذكر عليه السلم ذلك ليفزع الطالبون للسعادة الى جهة تحصيلها
وهو التقرب الى الله تعالى بوجوه الوسايل والاعراض عما لا يجدي طايلا من الحسد ونحوه ثم اكد ذلك
التخويف بالتحذير مما حذره الله من نفسه والامر بالخشية الصادقة البرية من التعذير المستلزمة لترك
محارمه ولزوم حدوده الجاذبة الى الزهد الحقيقي ثم اردف ذلك بالامر بالعمل لله البري من الريا والسمعة
وهو اشارة الى العبادة الخالصة لله المستلزمة لتطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وقد ثبت
في علم السلوك الى الله تعالى ان الزهد والعبادة كيف يوصلان الى السعادة التامة الابدية **وقوله** فانه
من يعمل لغير الله يكله الله الى من عمل له تعليل لوجوب ترك الريا والسمعة في العمل فان العامل للريا والسمعة قاصد
ان يراه الناس او يسمعوا به ليميلوا اليه منهم ما يتوقعه من مال او جاه ونحوه من الاغراض الباطلة والاعراض الزايلة
وقد علمت ان التفات النفس الى شي من ذلك شاغل لها عن تلقي رحمة الله والاستعداد لها محجوبة
بتوقع قبول فضله ولما كان هو مسبب الاسباب ومنتهى سلسلة الممكنات لا جرم اكدت المطالب من غيره
تجري منه التهديد بالوكول الى من سواه من عمل له العاملون لاستلزامه الخيبة والحرمان وخسران المعاد
الا اله وخاب المتوكلون الا عليه وقد سبق منا بيان معنى كون العامل لغير الله موكولا الى نفسه والى من
عمل له في الفصل الذي ذم فيه عليه السلم من يتصدى للحكم بين الامة وليس من اهله **وقوله** نسال الله منازل الشهداء
ومعايشة السعداء ومرافقة الانبياء لما كانت همته عليه السلم مقصورة على طلب السعادة الاخروية طلب هذه
المراتب الثلث وفي ذلك تجذيب للسامعين الى الاقتداء به في طلبها والعمل لها وبدا عليه السلم بطلب اسهل المراتب
الثلث واخفها وختم باعظمها فان من حكم له بالشهادة غايته ان يكون سعيدا والسعيد غايته ان يكون في
زمرة الانبياء مرافقا لهم وهذا هو الترتيب اللايق من المؤدب الحاذق فان المرتبة العالية لا تنال دفعة دون نيل

ماهو دون منها قوله ايها الناس الى قوله يورثه غيره اقول لما اشار الى تاديب الفقراء عن التعرض للاغنياء
بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه اردف ذلك بتاديب الاغنياء واستدراجهم فى حق الفقراء ذوى الارحام
واهل القبيلة ونحوهم من الاصحاب بالامر بالمواساة فى المال والمعونة لهم لينتظم شمل المصلحة من الطرفين واشد
بار بين احدهما بيان انهم لا يستغنون عنهم وان كانوا اصحاب ثروة فان الرجل لا يستغنى عياله عن اعوان له
يذبون عنه بايديهم صول الصائل ويدفعون عنه بالسنتهم مسبة قائل بل من المعلوم ان اشد الناس حاجة
الى الاعوان والاصحاب والمعاضدين هم اكثر الناس ثروة وانظر الى الملوك والمتشبهين بهم من ارباب
الاموال واحق الناس بعدم الاستغناء عنه عشيرة الرجل واصحابه فانهم اعظم الناس شفقة عليه
واشدهم دفاعا عنه وحفظا بجانبه والمهم الشعث اى اشدهم جمعا لمتفرق حاله واعطفهم عليه ان نزلت
به نازلة من فقر ونحوه وذلك ان قربهم منه باعث لدواعى الشفقة عليه الثانى التنبيه بذكر غايتى انفاق المال
وجمعه وتفضيل احدهما على الاخر وذلك قوله ولسان الصدق الى اخره فلسان الصدق هو الذكر الجميل
بين الناس وهو من غايات البذل والانفاق وغاية جمع المال هى توريثه للغير واما افضلية البذل على الجمع فظاهر
من تصورها بين الغايتين وانما رغب عليه السلم فى البذل بما يستلزمه من غاية الذكر الجميل بين الناس وان لم تكن
مقصوده من الحث على البذل الا مصلحة الفقراء وسد خلتهم وتاديب الاغنياء وتعويدهم بالبذل والنزول عن
محبة المال لان توقع الذكر الجميل من الناس ادعى الى البذل واكثر بعثا فى النفوس من الغايات التى يقصدها عليه السلم
وذلك من الاستدراجات الحسنة حتى اذا انفتح باب البذل وتمرنت النفوس عليه وجدت ان اولى المقاصد
التى تصرف فيها المال هى المقاصد التى يقصدها الشارع ويحث عليها من سد خلة الفقراء التى ينتظم بها شمل
المصلحة ويحمد الناس بعضهم بعضا خصوصا العشيرة فانه من الواجب فى السيرة العادلة التى بها صلاح حال
الانسان فى الدارين انه لما كان لا غناء له عن عشيرته واصحابه وكان اكرامهم ومواساتهم بالمال هو الذى يوكد
الانتفاع بهم ويستحقونه فى مقابلة حفظهم لجانبه وحياطتهم له فبالحرى ان يجب مواساتهم واكرامهم بما يصلح
احوالهم من فضل المال وكفى بذكر غاية جمع المال وهى توريث الغير المستلزمة لذكرها هادم اللذات باعثا على بذل
المال والنزول عن محبته وجمعه لمن لحظ بعين بصيرته عاقبة امره وبالله التوفيق منها الا لا يعدلن احدكم عن القرابة
يرى بها الخصاصة ان يسدها بالذى لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما تقبض
منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه ايدى كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة قال السيد ما احسن
هذا المعنى فان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافدتهم
قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عن صوته فمنع ترافد الايدى الكثيرة وتناهض الاقدام الجمة اقول العدول الانحراف والخصاصة
الفقر والحاجة وحاشية الرجل جانبه وحاشيته ايضا اخوانه واتباعه الذين هم حشمه وقوله يرى فى موضع
النصب على الحال وان يسدها فى موضع الجر بدلا من القرابة واعلم ان المقصود بهذا الفصل هو ما ذكرناه قبله

ولو وصلناه الصلحت له وحاصله الى قوله ايدى كثيرة النهى عن العدول عن سد خلة الاقرباء واولى الارحام
ذوى الحاجة بالفضل من المال وصرفه فى غير وجهه من المصارف الغير المرضية لله سبحانه وكنى بالسد الذى
هو حقيقة فى منع جسم لجسم عن المنع المعقول وهو منع الاختلال الواقع فى حال الانسان كناية بالمستعار وقوله
لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه على ظاهره اشكال فانه يحتمل ان يقال كل جزء من المال فان بقاءه
زيادة فيه وعدمه نقصان منه وجوابه من وجهين احدهما ان يقال انه عليه السلم لم يرد ههنا مطلق الزيادة
والنقصان فى المال بالنسبة الى المال فان الضميرين المنصوبين فى يزيده وينقصه عائدان الى الشخص المعبر
عنه باحدكم المامور بالانفاق وانما اراد الزيادة والنقصان فيه اللذين لا يعتبر تاثيرهما فى صلاح حال الانسان
وعدم صلاحه فان الفضل الزائد فى مال الانسان على القدر الذى يدفع ضرورته بحسب الشريعة ليس زيادته
معتبرة فى صلاح حاله ولا نقصانه معتبرا فى فساد حاله فلا جرم انه لا ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه وهذا كما
يقول الانسان لمن يريد ان يسهل عليه امرا حقيرا ليساعده فى طلبه ان هذا الامر لا يضرك ان تركته ولا ينفعك
ان اخذته اى بالنسبة الى صلاح حالك الثانى انه يحتمل ان يريد الزيادة والنقصان فى الثواب والاجر فى الاجل
والثناء والذكر فى العاجل اى لا يزيده صلاح حال عند الله وعند الناس بل يكون لفساد حاله اما عند الله
فلان امساك الفضل من المال عمن له اليه ضرورة من عباد الله سبب للشقاء العظيم والعذاب الاليم فى الاخرة
لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم الاية واما
عند الناس فعليك بمطالعة مقالاتهم فى ذم البخل والبخلاء وكذلك لا ينقصه اى لا ينقص من صلاح
حاله اما عند الله فلما وعد به اهل الانفاق فى سبيله من الاجر الجميل والثواب الجزيل كقوله تعالى الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى الاية ونحوها واما عند الناس فلما انفقوا
عليه من مدح اهل الكرم والسخاء وملاوا به الصحف من النظم والنثر فيهم فاما قوله ومن يقبض يده عن عشيرته
الى اخره فمعناه ما ذكره السيد رضى الله عنه من منع ترافد الايدى الكثيرة الا ان هذا البيان يحتاج
الى تقرير وهو ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدى الكثيرة اتم واولى بصلاح حاله واكثر من النفع الحاصل
له بقبض يده عن النفع بها وجب عليه ان يستجلب بيده بالنفع منها الايدى الكثيرة الى نفعه والا
لكان بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك ايديهم الكثيرة عنه مضيعا
على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيعا لما هو اعظم منه فيكون مناقضا لغرضه
وذلك جهل وسفه وقوله ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة من تمام تاديب الاغنياء بما يعود عليهم
نفعه وينتظم به شمل المصلحة فى العالم من التواضع ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته
اللازمة عنه التى هى مطلوبة لكل عاقل وهى استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزم
لصلاح حال المتواضع فيما يقصده ومثل ذلك ادب الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله حيث قال واخفض

وهو ان الممسك خيره عن عشيرته انما يمسك نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم قعدوا عن نصرته وتثاقلوا عنه

جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقد عرفت ان سر ذلك استجلاب الالفة لهم والمحبة بينهم عند سكونهم اليه
ليجتمعوا على قبول اقواله وظاهر ان شيئا من ذلك لا يحصل عند جفاوة الخلق والكبر كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وان حمل لفظ الحاشية على الاتباع والخدام
كان ذلك تاديبا لهم بالتواضع من جهة اخرى وذلك ان حاشية الرجل وخاصته هم حرسه عرضه وميزان
عقله وعليهم يدور تدبير صلاح حاله فبحسب شدتهم وغلظتهم ولينهم وتواضعهم للناس يكون قرب
الناس وبعدهم منه وبغضهم ومحبتهم له وانسهم ونفارهم عنه وقال بعض الحكماء ان سبيل الخدم والقوام
من الانسان سبيل الجوارح من الجسد فحاجب الرجل وجهه وكاتبه قلمه ورسوله لسانه وخادمه يده
ورجله وعينه لان من كفاه تعاطي كل واحد من الافعال المحتاج اليها فقد قام مقامه فيها وكما يلحقه
الذم من العقلاء بترك اصلاح افعاله الصادرة عن احد جوارحه كذلك يلحقه الذم منهم على ترك اصلاح
من يقوم مقامه في تلك الافعال بتوليته له اياها وكما يستديم مودة اخوانه ويجتلب مودة الناس بتواضعه
بنفسه ولين جانبه لهم كذلك ليستديمها بتاديب حاشيته وخدمه بالاداب المتفق على حسنها بين الناس
واهمها وانفعها في ذلك لين الجانب وترك الكبر المنفر فان اوهام الخلق حاكمة بنسبة كل خير وشر يجري من حاشية
الرجل اليه وان كان صدق هذا الحكم اكثريا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ولعمري ما علي من قتال
من خالف الحق وخابط الغي من ادهان ولا ايهان فاتقوا الله عباد الله وفروا الى الله من الله وامضوا في الذي
نهجه لكم وقوموا بما عصبه بكم فعلي ضامن لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا **اقول** الادهان والمداهنة المصانعة
والايهان مصدر اوهنه اي اضعفه وخابط الغي بلفظ المفاعلة يخبط كل منهما في الاخر وقد مر ان الخبط هو
المشي على غير استقامة والغي الجهل ونهجه اي اوضحه وعصبه بكم اي علقه بكم وربطه والفلج الفوز والمنحة
العطية وفي هذا الفصل رد لقول من قال ان متابعته عليه السلام لمحاربيه ومخالفيه ومداهنتهم اولى من محاربتهم
فرد ذلك بقوله لعمري ما علي الى قوله ولا ايهان اي ليس مصانعتهم بواجبة علي من طريق المصلحة الدينية وليسوا
بضعفين لي ولا علي في قتالهم عجز وفي ذكره عليه السلام لهم بصفة مخالفة الحق ومخابطة الغي والبغي تنبيه للسامعين
واستدراج لهم لقيام عذره في قتالهم اذ كانت مقاتلة من هذه صفته واجبة ولا يمكن انكار وقوعها منه ثم اردف
ذلك باوامر اولها الامر بتقوى الله وقد علمت ان تقوى الله هو خشيته المستلزمة للاعراض عن كل ما هو المبعد عنه
وهو الزهد الحقيقي كما سبقت الاشارة اليه الثاني الامر بالفرار الى الله وهو امر بالاقبال على الله وتوجيه وجه النفس
الى كعبة وجوب وجوده واعلم ان فرار العبد الى الله تعالى على مراتب فاولها الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار
من اثر غضبه الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين في التضرع اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
واعف عنا واغفر لنا وارحمنا الآية فكانهم لم يروا الا الله وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى
العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى في درجات القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهي الصفات فيفر

من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين عليه السلام اللهم اجعلني اسوة من قد انهضته بتجاوزك
من مصارع المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك والعفو والسخط صفتان فاستعاذ
باحديهما من الاخرى الثالثة ان يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر منها اليها كقوله عليه السلام
لا ملجأ من الله الا اليه وكما لوانه في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك واليك اي منك بدء الوجود
وبك قيامه ولك ملكه واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجأ ولا منجى ولا مفر منك الا اليك وقد جمع
الرسول صلى الله عليه وآله هذه المراتب حين امر بالقرب في قوله تعالى واسجد واقترب فقال في سجوده اعوذ بعفوك
من عقابك وهو كلام عن مشاهدة فعل الله فاستعاذ ببعض افعاله من بعض والعفو كما يراد به صفة العافي كذلك
قد يراد به الاثر الحاصل عن صفة العفو في المعفو عنه كالخلق والصنع ثم لما قرب غني عن مشاهدة الافعال
وترقى الى مصادرها وهي الصفات قال واعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم لما راى ذلك نقصانا
في التوحيد اقترب وترقى عن مقام مشاهدة الصفات الى ملاحظة الذات فقال واعوذ بك منك وهذا فرار
اليه منه مع قطع النظر عن الافعال والصفات وهو اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم للسباحة في لجة الوصول
درجات اخر لا تتناهى ولذلك لما ازداد صلى الله عليه وآله قربا قال لا احصي ثناء عليك فكان ذلك حذفا لنفسه
عن درجة الاعتبار في ذلك المقام واعترافا منه بالعجز عن الاحاطة بما له من صفات الجلال ونعوت
الكمال وكان قوله بعد ذلك انت كما اثنيت على نفسك كمالا للاخلاص وتجريدا للكمال المطلق الذي به
هو هو عن ان يلحقه حكم لغيره وهمي او عقلي اذا عرفت ذلك ظهر ان مقصوده عليه السلام بقوله وفروا الى الله
من الله امر بالترقي الى المرتبة الثالثة من المراتب المذكورة الثالث الامر بالمضي فيما نهجه لهم من السبيل الواضح العدل
الذي هو واسطة بين طرفي الافراط والتفريط والصراط المستقيم المدلول عليه بالاوامر الشرعية وقد علمت
ان الغرض من سلوك هذا السبيل وامتثال التكاليف التي الزم الانسان بها وعصبت به انما هو تطويع النفس
الامارة بالسوء للنفس المطمئنة بحيث تصير مؤتمرة لها ومنصرفة تحت حكمها العقلي منقادة لها عن الانهماك
في ميولها الطبيعية ولذاتها الفانية وحينئذ تعلم ان هذه الاوامر الثلثة هي التي عليها مدار الرياضة
والسلوك الى الله تعالى فالامر الاول والثالث امر بما هو معين على حذف الموانع عن الالتفات الى الله وعلى تطويع
النفس الامارة والامر الثاني امر بتوجيه السر الى الله وقد تبين تمام ان هذه الامور الثلثة هي الاغراض التي
توجد نحوها الرياضة المستلزمة لكمال الاستعداد المستلزم للوصول التام ولذلك قال عليه السلام فعلي ضامن
لفلجكم آجلا ان لم تمنحوه عاجلا اي اذا قمتم بواجب ما امرتكم به من هذه الاوامر كان ذلك مستلزما لفوزكم في دار
القرار بجنات تجري من تحتها الانهار التي هي الغايات الحقيقية ولمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس
المتنافسون ان لم يتم تاهلكم للفوز في الدار العاجلة فتمنحوه فيها وقد يتم الفوز بالسعادتين العاجلية والآجلية
لمن وفت قوته بالقيام بهما وكمل استحقاقه لذلك في علم الله ولما كان حصول السعادة والفوز عن لزوم الاوامر

المذكورة امرا واجبا واضح الوجوب فى علمه عليه السلم لاجرم كان ضامنا له فان قلت فما وجه اتصال
هذه الاوامر بصدر الفصل قلت لما كان مقتضى صدر الفصل الى قوله ولا ايهان هو الاعذار الى الناس
فى قتال مخالفى الحق وكان مفهوم ذلك هو الحث على جهادهم والتنفير عما هم عليه من الظلم والجور كان تعقيب
ذلك بذكر الطريق الواضح المامور بسلوكه ولزوم حدود الله فيه امر اللازم الواجب وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معوية على البلاد وقدم عليه عاملاه
على اليمن وهما عبيد الله بن العباس وسعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن ارطاة فقام الى المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن
الجهاد ومخالفتهم له فى الراي فقال عليه السلم ما هى الا الكوفة اقبضها وابسطها ان لم تكونى الا انت تهب اعاصيرك
فقبحك الله ثم تمثل لعمر ابيك الخير يا عمرو انني على وضر من ذا الاناء قليل ثم قال انبئت بسرا قد اطلع اليمن وانى والله
لاظن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم فى الحق وطاعتهم امامهم فى
الباطل وبادائهم الامانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب
بعلاقته اللهم انى قد مللتهم وملونى وسئمتهم وسئمونى فابدلنى بهم خيرا منهم وابدلهم بى شرا منى اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح
فى الماء اما والله لوددت ان لى بكم الف فارس من بنى فراس بن غنم هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل ارمية الحميم
ثم نزل قال السيد رضى الله عنه الارمية جمع رمى وهو السحاب والحميم وقت الصيف وانما خص الشاعر سحاب الصيف
بالذكر لانه اشد جفولا واسرع خفوقا لانه لا ماء فيه وانما يكون السحاب ثقيل السير لامتلائه بالماء
وذلك لا يكون فى الاكثر الا فى الشتاء وانما اراد الشاعر وصفهم بالسرعة اذا دعوا والاغاثة اذا استغيثوا اقول السبب ان قوما
بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظمون قتله فبايعوا عليا عليه السلم على دغل فلما اختلف الناس عليه بالعراق وكان العامل
له يومئذ على صنعاء عبيد الله بن العباس وعلى الجند سعيد بن نمران ثم قتل محمد بن ابى بكر بمصر وكثرت غارات اهل
الشام تكلم هؤلاء ودعوا الى الطلب بدم عثمان فانكر عليهم عبيد الله بن عباس فتظاهروا بمنابذته على تخبيهم فكتبوا الى
اصحابهم بالجند فغزوا سعيد بن نمران عنهم وطهروا امرهم فانضم اليهم خلق كثير ارادوا منع الصدقة فكتب عبيد الله
وسعيد الى امير المؤمنين بخبرانه الخبر فكتب الى اهل اليمن والجند كتابا يتهددهم فيه ويذكرهم الله تعالى فاجابوه بانا
مطيعون ان عزلت عنا هذين الرجلين عبيد الله وسعيدا ثم كتبوا الى معاوية فاخبروه فوجه اليهم بسر بن ارطاة
وكان قطاسفاكا للدماء فقتل فى طريقه بمكة داود وسليمان ابنى عبيد الله بن العباس وبالطايف عبد الله بن المدان
وكان صهرا لابن عباس ثم انتهى الى صنعاء وقد خرج منها عبيد الله وسعيد واستخلفا عليها عبد الله بن عمرو
بن اراكة الثقفى فقتله بسر واخذ صنعاء فلما قدم ابن عباس وسعيد على على عليه السلم بالكوفة عاتبهما على تركهما قتال
بسر فاعتذرا اليه بضعفهما عنه فقام عليه السلم الى المنبر ضجرا من مخالفة اصحابه له فى الراي فقال ما هى الا الكوفة
الفصل اذا عرفت ذلك فقوله الاعصار ريح تهب فتثير التراب والوضر بفتح الضاد الدرن الباقى فى الاناء
بعد الاكل ويستعار لكل بقية من شئ قل الانتفاع بها والاناء بالفتح بحر حسن المنظر والطعم واطلع اليمن اى

غشيها سيدالون اى يصير الامر اليهم والدولة لهم والقعب القدح الضخم وماث الشئ اذابه واعلم ان الضمير فى قوله
ما هى للكوفة وان لم يجر لها ذكر فى اللفظ الا ان حضوره من اهلها قبل ذلك وخوضه فى تدبيرها امرا وحضورها فى
ذهنه عرى مجرى الذكر السابق لها واقبضها خبر ان او لمبتدا محذوف تقديره انا او يحتمل ان يكون ضمير القصة
واقبضها خبر عن الكوفة ونظيره فى الاحتمالين قوله تعالى انها لظى نزاعة ويفهم من هذا الكلام حصر ما بقى له
من البلاد التى يعتمد عليها فى الحرب ومقاتلة العدو فى الكوفة وهو كلام فى معرض التحقير لما هو فيه من امر الدنيا
وما بقى له من التصرف الحق بالنسبة الى ما لغيره من التصرف الباطل واقبضها وابسطها كنايتان عن وجوه
التصرف فيها اى ان الكوفة والتصرف فيها بوجوه التصرف حقيرة بالنسبة الى ساير البلاد التى عليها الخصم
فما عسى اصنع بتصرفى فيها وما الذى ابلغ به من دفع الخصم ومقاومته وهذا كما يقول الرجل فى تحقير ما فى يده من
المال القليل اذا رام به امرا كثيرا انما هو هذا الدينار فما عسى ابلغ به من الغرض وقوله فان لم تكونى الا انت تهب
اعاصيرك فيه عدول من الغيبة الى الخطاب والضمير بعد الا تاكيد للذى قبلها والجملة الفعلية بعده فى موضع الحال
وخبر كان محذوف ولفظ الاعاصير يحتمل ان يحمل على حقيقته فان الكوفة معروفة بهبوب الاعصار فيها ويحتمل
ان يكون مستعارا لما يحدث من اراء اهلها المختلفة التى هى منبع الفتن والتثاقل عن ندائه ووجه المشابهة
ما يستلزمه المستعار منه وله من الاذى والازعاج وتقدير الكلام فان لم تكونى الا انت عدة لى وجنة القى بها
العدو وحطامى من الملك والخلافة مع ما عليه حالك من المذام فقبحك الله وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم ولا
استصغاره لامرها تمثل البيت لعمر ابيك الخير ومعنى تمثله به انى على بقية من هذا الامر كالوضر القليل فى الاناء
وهو ذم لها بعد ذكر وجه الذم وهو تمثيل على وجه الاستعارة فاستعار لفظ الاناء للدنيا ولفظ الوضر القليل
فيه للكوفة ووجه المشابهة ما يشترك فيه الكوفة والوضر من الحقارة بالنسبة الى ما استولى عليه خصمه من الدنيا
وما اشتمل عليه الاناء من الطعام ومن روى الاناء فانما اراد انى على بقية من هذا الامر كالقدر الحاصل
للناظر الى الاناء من حسن المنظر مع عدم انتفاعه منه بشئ آخر وقد استعار لفظ الاناء لساير بلاد الاسلام ولفظ
الوضر باقى ما هو من حسن المنظر استعارة فى الدرجة الثانية وانما خص الكوفة دون البصرة وغيرها لان جمهور من
كان يعتمد عليه فى الحرب اذ ذاك هم اهل الكوفة قوله انبئت بسرا الى قوله منكم شروع فى استنفارهم الى الجهاد فاعلمهم
اولا بحال بسر وخروج اليمن من ايديهم ثم خوفهم بما حكم به من الظن الصادق ان سيدال القوم عنهم ثم اعقب ذلك
بذكر اسباب توجب وقوع ما حكم به وهى الامارات التى عنها ذكر اربعة امور من قبلهم هى اسباب الانقهار وادبار امورهم
من قبل الخصم مضادة لها هى اسباب القهر وقدم كل امر عقيب ضده ليظهر لهم المناسبة بين افعالهم وافعال خصومهم
فدعوهم الى الدين والمروة من سوء الراى فالاول من افعال الخصم الاجتماع والتوازر وان كان على باطل وهو التصرف الغير الحق
فى البلاد والاول من افعالهم ما يضاد ذلك وهو تفرقهم عن حقهم اى تصرفهم المستحق لهم بذلك والامر الثانى من افعال الخصم
الطاعة للامام الجاير فيما يريد من الباطل ومن افعالهم معصية الامام الحق فيما يريده بالحق الثالث للخصم تاديتهم للامانة الى صاحبهم

وهي لزوم عهده والوفاء بيعته ومن افعالهم ضد ذلك من الغدر والخيانة في العهد بتركهم لموازرته في القتال واوامره
لامره حتى صار الغدر مثلا لاهل الكوفة الرابع صلاح القوم في بلادهم اي انتظام امورهم فيها الناشي عن طاعة امامهم
ومن افعالهم ما يضاد ذلك من فسادهم في بلادهم بخروجهم عن طاعة امامهم وظاهر ان الامور الاربعة المذكورة من افعال
الخصم من اسباب صلاح الحال وانتظام الدولة والغلبة والقهر وان الامور الاربعة المضادة لها من افعالهم من اقوى
الاسباب الموجبة للانغلاب والانقهار **قوله** فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته مبالغة
في ذمهم بالخيانة على سبيل الكناية عن خيانتهم لامامهم في عهده على قوله واوامره **قوله** اللهم اني قد مللتهم وملوني وشكا
الى الله سبحانه منهم وعرض لما في ضميره وضمائرهم بحسب ما شهدت به قرائن احوالهم والملال والسأم مترادفان وحقيقته
اعراض النفس عن الشي اما لقصور القوى البدنية وكلالها عن كثرة الافاعيل واما لاعتقاد النفس عن دليل او امارة حسن
لها ان ما تطلبه غير ممكن لها وهذان السببان كانا موجودين لسامه عليه السلام من افعالهم فانه لم يزل بهم ولم يدع عليهم
حتى عجزت قواه عن التطلع الى وجوه اصلاحهم وانصرفت نفسه عن معالجة احوالهم لاعتقاده ان تقويمهم
غير ممكن له واما سامهم منه فاما لاعتقادهم ان مطلوباتهم التي كانوا ارادوها غير ممكنة منه او لكثرة تكرار
اوامره بالجهاد والذب عن دين الله والمواظبة على اوامر الله على قواهم الضعيفة التي هي مع ضعفها مشغولة
بغير الله فلذلك تنصرف نفوسهم عن قبول قوله وامتثال اوامره ثم اردف ذلك الشكاية بالتضرع الى الله تعالى
في الخلاص منهم ثم بالدعاء الى الله عليهم فدعا الله لنفسه بان يبدله خيرا منهم اما في الدنيا فقوم صالحين ينظرون
بنور الله عليهم فيخلصون له الدين واما في الاخرة فقوم ما غرقوا في مطالعة انوار كبرياء الله فاستقلوا على منازل جنته
واسنى مراتب كرامته قوم انعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واطلق
الخير منهم في الدنيا هو الارجح في الذهن لما يتمناه بعد من فوارس بني فراس ثم دعا الله عليهم ان يبدلهم شرا منه فان
قلت ان صدور مثل هذا الدعاء منه عليه السلم مشكل من وجهين احدهما انه يقتضي ان يكون هو فيه شر
وقد ثبت كان منزها عن الشر الثاني انه كيف يجوز منه ان يدعو بوجود الشرير ووجود الاشرار قلت الجواب عن الاول
من وجهين احدهما ان صيغة افعل التفضيل كما ترد لاثبات الافضلية كذلك قد ترد لاثبات الفضيلة وحدها
فيحتمل ان يكون مراده من قوله شرا مني اي ابدلهم من فيه شر غيري الثاني ان يكون شرا مني بحسب عقائدهم انه شر
عليهم واعتقادهم انه ذو شر لا يوجب كونه كذلك وعن الثاني من وجهين احدهما انه لما كان في دعاء الله ان يبدلهم
من هو شر منه مصلحة ما امه حسن منه ذلك وبيان المصلحة من وجهين احدهما ان صدور ذلك الدعاء منه
بشهد منهم وسمع من اعظم الاسباب المخوفة الجاذبة لاكثرهم الى الله تعالى وذلك مصلحة ظاهرة الثاني ان نزول ما
المدعو به عليهم بعد ما فيهم على فضله ويذكرهم انه لم يصبهم ذلك الا لتركهم اوامر الله تعالى وخروجهم عن طاعته
فيتقهقروا عن مسالك الغي والفساد الى واضح سبيل الرشاد ويكون ذلك بلاء من الله لهم الثاني لعله انما دعا عليهم لعلمه
انه لا يرجى صلاحهم فيما خلقوا لاجله مما يدعوهم اليه ومن لا يرجى صلاح حاله مع فساد نظام العالم بوجوده فلزوم

والصدع بشرة

فيضاد مطلوب الله منه فعدمه اولى من وجوده فكان دعاؤه عليهم اذن مندوبا اليه وعلى ذلك يحمل انضاد عاء
عليهم الكهوت قلوبهم كما ياث الملح في الماء ونحو ذلك ما نشي منه عليه السلم بالسابقين من الانبياء صلى الله عليهم
في التضجر من قومهم والشكاية منهم الى الله تعالى ودعائهم عليهم كنوح اذ قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم
دعائي الا فرارا الايات ربنا انهم عصوني ثم ختم بالدعاء على من تبعه ربه ربي لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
الاية وكلوط اذ قال لقومه اني لعملكم من القالين وغيرهما من الانبياء والمراد بالميث المدعو به يشبه ان يكون ما يحصل
في القلب من الانفعال عن الغم والخوف ونحوهما وذلك ان الغم اذا وقع لزمه تكاثف الروح القلبي لبرد الحادث عند
انطفاء الحرارة الغريزية لشدة انقباض الروح واحتقانه فيحس في القلب بانفعال شبيه بالعصر والمرس وذلك في
الحقيقة الم او مستلزم له فيحسن ان يكون مراده ويحتمل ان يكون كناية عن اسبابه من الغم والخوف وكانه طلب من الله ان يقصر
منهم ازمانوا عليه بعبار افعالهم وروي ان اليوم الذي دعا عليهم فيه ولد فيه الحجاج ابن يوسف وروي انه ولد بعد ذلك
اليوم باوقات يسيرة وفعل الحجاج باهل الكوفة ظاهر ومعاره لها مشهور **قوله** اما والله لوددت ان لي بكم الف فارس
من بني فراس بن غنم بفتح الغين ولم يذكر بيانا لخير منهم الذي طلبه اولا من الله بدلا عوضا بهم وبنو فراس حي من
تغلب ابوهم غنم بفتح الغين وسكون النون وهو غنم بن تغلب بن وائل وانما خص هذا البطن لشهرتهم بالشجاعة
والحمية وسرعة اجابة الداعي فاما البيت هنالك لو دعوت فعناه ما ذكره السيد الرضي رضي الله عنه وقد
تمثل عليه السلم بهذا البيت ان هؤلاء القوم الذين وقانهم كانوا له عوضا من قومه بصفة الفوارس الذين اشار
اليهم الشاعر في المبادرة الى اجابة الداعي والاجتماع على دفع الضيم عنهم ونصرة حقهم فلذلك تمناهم عوضا ومقصوده
في جميع ذلك ذمهم وتوبيخهم وتحقيرهم بتفضيل غيرهم عليهم تنفيرا لطباعهم عما هي عليه من التثاقل عن دعوة الذب
عن دين الله وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين وامينا على
التنزيل وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار منيخون بين حجارة خشن وحيات صم تشربون الكدر وتاكلون الجشب وتسفكون
دماءكم وتقطعون ارحامكم الاصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة **اقول** الاناخة المقام بالمكان والحية الصماء
التي لا تجيب الصوت كانها لا تسمع وربما يراد بها الصلبة الشديدة والجشب هو الطعام الغليظ الخشن هو الذي لا اذم
معه ومعصوبة مشدودة واعلم انه عليه السلم اقتصر امورا اقتضت لحسن مدحها وذمها فيها ذكر النبي صلى الله عليه
وآله وذكر بعض اسباب غاية البعثة فان الكمالات الغاية منها هو جذب الخلق عن دار الغرور الى الواحد الحق وكان ذلك
الجذب تارة بالنذارة وتارة بالبشارة وذكرها هنا النذارة وخصها بالذكر لانها السبب الاقوى في الردع فان عامة الخلق
وجمهورهم قلما ينفرون الى ما وعدوا به في الاخرة اذ لا فائدة بلوازم لذاتهم الحاضرة فان تلك امور غير متصورة لهم الا بحسب
الوصف الذي انما يكشف لهم عن امور محسوسة تشبه ما هم فيه او اضعف عندهم ثم ان نيلها مشروط بشرائط صعبة
في الدنيا تكدر عليهم ما هم فيه من حاضر لذاتهم مع بر آتهما عن الشروط والتكاليف الشاقة فلذلك قل ما يلتفتون الى الوعد
عن ما هم فيه فكان السبب الاقوى في الردع والالتفات الى الله انما هو الانذار والتخويف فاذا انضم اليه الوعد فالجوع الغاية

الغنيم

دينار

ولما كان مقصوده عليه السلام في هذا الموضع التوبيخ المطلق للعرب وترقيق قلوبهم المشتملة على الفظاظة والقسوة
كان الاليق هيهنا ذكر انذار النبي للعالمين ليتذكروا بذلك تفصيل الانذارات الواردة في القرآن والسنة ثم اردف
ذلك بذكر كونه امينا على التنزيل ليتذكروا ان الانذارات الواردة هي من عند الله تعالى ادّى بها الرسول غير خائن فيها
بتبديل او زيادة او نقصان فيتاكد في قلوبهم ما قد علموه من ذلك ليكون ادعى لهم الى الانفعال عن اقواله ثم شرع بعد
في اقتصاص احوالهم التي كانوا عليها والواو في قوله وانتم للحال اي حال ما كنتم بهذه الصفات بعث محمدا وذكر احوالهم
في معرض الذم لها فذكر انهم كانوا على شر دين وهو عبادة الاصنام من دون الله واعظم بذلك اقتضاء حالهم جعل منتهم الشرار
الشريعة وعرف الله سبحانه فلا احسبه عند سماع هذا التوبيخ الا نادما فرط في جنب الله ويقول يا ليتني لم ازل
برا حجاجا ثم اردف ذلك بتذكيرهم ما كانوا فيه من شر دار وارادها وتيهها منه وارض الحجاز وبين كونها شرا ببيان فساد
احوالهم في مساكنهم فبانا خيهم بين الحجارة السود الخشن التي لا اداوة بها ولا نبات والحيات الصم التي لا علاج لها
ووصفها بالصم لان حيات تلك الارض على غاية من القوة وحدة السموم لاستيلاء الحرارة واليبس عليها واما في شربهم
فلان الغالب على المياه التي يشربونها ان يكون كدرة لا يكاد غير المعتاد بها ان يقبل عليها مع العطش الا عند الضرورة
والسبب الغالب في ذلك عدم اقامتهم بالمكان الواحد لهم ابدا في الحل والارتحال ولا يحفرون المياه ويصلحونها
الا ريث ما هم عليها وربما كان بعضهم يحفر وبعضهم يشرب ومشاهدتهم توضح ذلك واما في اكلهم الجشب فلانهم
فانك تجد عامتهم يأكل ما دب من حيوان وسئل بعض العرب اي الحيوانات تاكلون في البادية فقال نأكل كل ما دب
ودرج الا ام حبين فقال السائل ليهن ام حبين السلامة قال صاحب المجمل ام حبين دويبة قدر كف الانسان
وبعضهم يخلط الشعير بنوى التمر ويطحنهما ويتخذ منهما خبزا ونحوه ثم كانوا الى ايام المجاعة يلوثون اوبار الابل بدم
القراد ويجففونها فاذا يبست دقوها وصنعوها طعاما واما في سفكهم الدماء بعضهم لبعض وقطع ارحامهم
فظاهر ايضا فان الولد كان يقتل اباه وبالعكس واما نصبهم للاصنام وعصب الاثام بهم في جاهليتهم فغني عن
البيان ولفظ العصب مستعار للزوم الاثام لهم في تلك الحال عن معناه الاصلي وهي استعارة لفظ نسبة بين
محسوسين لنسبة بين معقولين او بين معقول ومحسوس وانما ذكرهم عليه السلام بهذه الاحوال لينبههم لقبح ما كانوا
عليه قبل الى ما هم عليه ~~قبل الى ما هم عليه~~ في تلك الحال من اضداد ذلك كله اذ بدلوا بما كانوا فيه من فساد احوالهم
في الدنيا صلاح حالهم فيها ففتحوا المدن وكسروا الجيوش وقتلوا الملوك وغنموا اموالهم كما قال تعالى في المنة عليهم
وتذكيرهم انواع ما انعم عليهم به واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤها وجعل لهم الذكر الباقي والشرف
الثابت كل ذلك زيادة على هدايته لهم الى الاسلام الذي هو طريق دار السلام وسبب السعادة الباقية وانما كان
ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله اليهم واعلم ان سياق هذا الكلام يقتضي مدح النبي صلى الله عليه وآله
فيما حذف من الفصل بعده ليبني عليه مقصوده وفيه تنبيه على دوام ملاحظة السامعين لنعمة الله عليهم
فلا يحظوا الاستحقاقه لتمام العبادة عامة احوالهم ويكونون في وجل من خوفه وشوق اليه والله يهدي من يشاء الى

صراط مستقيم منها فنظرت فاذا ليس لي معين الا اهل بيتي فضننت بهم عن الموت واغضيت على القذى
وشربت على الشجى وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر من طعم العلقم اقول ضننت بكسر النون اي بخلت وفعل
بالفتح ايضا اغضيت على كذا اي اطبقت عليه جفني والقذى ما يسقط في العين فيؤذيها والشجى ما اعترض
في الحلق عند الغصص ونحوه لا يكاد يسيغ الانسان معه الشراب وقد مر تفسيرهما واخذ الكظم اي مجرى النفس
والعلقم شجر بالغ المرارة ويصدق بالعرف على كل مر واعلم ان هذا الفصل يشتمل على اقتصاص صورة حاله بعد
وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في امر الخلافة وهو اقتصاص في معرض التظلم والشكاية ممن يرى انه احق منه
بالامر فاشار الى انه فكر في امر المقاومة والدفاع عن هذا الحق الذي يراه اولى به فرأى انه لا ناصر له الا اهل بيته
وهم قليلون بالنسبة الى من لا يعينه ومن يعين عليه فانه لم يكن له معين يغلب على الظن الا بني هاشم كالعباس
وبنيه وابي سفين بن الحرث بن عبد المطلب ومن يخصهم وضعفهم وقلتهم عن مقاومة جمهور الصحابة
ظاهر فضن بهم عن الموت لعلمه انهم لو قاوم بهم اقتتلوا ثم لا يحصل على مقصوده ولما ضن بهم عن الموت لزمه ما كره
من الامور وهي الاغضاء على القذى كنى عن صبره عن المقاومة كناية بالمستعار ووجه المشابهة بينهما استكراههما — وكنى بالاغضا على القذى
للالم البالغ والقذى مما يعتقده ظلما في حقه وكذلك قوله وشربت على الشجى ملاحظة لوجه الشبه بين
ما يجري له من الامور التي يوجب له الغضب والعبرة وبين الماء الذي يشرب على الشجى وهو استلزامهما الاذى
وعدم التلذذ والاساغة ولذلك استعار له لفظ الشرب وكذلك قوله وصبرت على اخذ الكظم وعلى امر
من العلقم فيه استعارات حسنة للفظ اخذ الكظم كنى بها عن اخذ الوجوه عليه وتضييق الامر فيما يطلبه ولفظ
المرارة التي هي حقيقة في الكيفية المخصوصة للاجسام لما يجده من التالم بسبب فوت مطلوبه ووجه المشابهة
في هاتين الاستعارتين لزوم الاذى ايضا واما ان الذي يجده امر من العلقم فظاهر اذ لا نسبة للالم البدني
في الشدة الى الالم النفساني واعلم انه قد اختلف الناقلون لكيفية حاله بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله
فروى المحدثون من الشيعة وغيرهم اخبارا كثيرة ربما خالف بعضها بعضا بحسب اختلاف الاهواء
منها وهو الذي عليه جمهور الشيعة ان عليا عليه السلام امتنع من البيعة لابي بكر بعد وفاة الرسول وامتنع
معه جماعة بني هاشم كالزبير وابي سفين بن الحرث والعباس وبنيه وغيرهم وقال لا ابايع الا عليا وان الزبير
شهر سيفه فجاء عمر في جماعة من الانصار فاخذ سيفه فضرب به الحجر فكسره وحملت جماعتهم الى ابي بكر فبايعوا
وبايع معهم على كرهها وقيل ان عليا اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام وعلموا انه مفرد فتركوه وروى نصر بن
مزاحم في كتاب صفين انه كان يقول لو وجدت اربعين ذوي عزم لقاتلت ومنها وهو الذي عليه جمهور المحدثين
من غير الشيعة انه امتنع من البيعة ستة اشهر حتى ماتت فاطمة فبايع بعد ذلك طوعا وفي صحيحي مسلم والبخاري
كانت وجوه الناس مختلفة اليه وفاطمة لم تمت بعد فلما ماتت انصرفت وجوه الناس عنه فخرج وبايع ابا بكر
وعلى الجملة فحال الصحابة في الخلافة ثم بعد وفاة رسول الله وما جرى في سقيفة بني ساعدة وحال علي في طلب

هذا الامر ظاهر والعاقل اذا اطرح العصبية والهوى عن نفسه ونظر فيما نقله الناس في هذا المعنى علم ما جرى بين الصحابة
من الاختلاف والاتفاق وهل بايع علي طوعا او كرها وهل ترك المقاومة عجزا او اختيارا ولما لم يكن غرضنا
الا تفسير كلامه كان الاشتغال بغير ذلك تطويلا وفضولا خارجا عن المقصود ومن رام ذلك فعليه بكتب
التواريخ **ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص** ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة
ثمنا فلا ظفرت يد البايع وخزيت امانة المبتاع فخذوا للحرب اهبتها واعدوا لها عدتها فقد شب لظاها
وعلا سناها واستشعروا الصبر فانه ادعى الى النصر **اقول** خزيت اي ذلت وهانت والاهبة الاستعداد
والعدة اي هيؤوا وعدة الحرب ما يعد لها من الآلات والسلاح وشب لظاها اي وقدت نارها واثيرت ودري
شب النار الفاعل اي ارتفع لهيبها والسنا مقصورا الضوء والشعار ما يلي الجسد من الثياب والمعنى وليعلم ان هذا
من اقتصاص كلام ذكر عليه السلام فيه حال عمرو بن العاص مع معوية فذكر انه لم يبايعه حتى شرط عليه ان يؤتيه على
ثمنا وذلك انه لما نزل عليه السلام الكوفة بعد فراغه من امر البصرة كتب الى معوية كتابا يدعوه فيه الى البيعة فاهمه ذلك فدعا
قوما من اهل الشام الى الطلب بدم عثمان فاجابوه واراد الاستظهار في امره فاشار عليه اخوه عتبة بن ابي سفيان
بالاستعانة بعمرو بن العاص وكان بالمدينة فاستدعاه فلما قدم عليه وعرف حاجته اليه تباعد عنه وجعل
يمدح عليا في وجهه ويفضله ليخدعه عما يريد منه فمن ذلك ان معوية قال له يوما يا ابا عبد الله اني ادعوك الى
جهاد هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة واظهر الفتنة وفرق الجماعة وقطع الرحم
فقال عمرو ومن هو قال علي فقال والله يا معوية ما انت وعلي بحملي بعير ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده
ولا علمه ووالله ان له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لاحد غيره ولكني قد تعودت من الله احسانا وبلاء جميلا فما تجعل
لي ان شايعتك على حربه وانت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال لك حكمك قال له مصر طعمة فلم يزل معوية يتلكأ عليه
ويماطله وهو يمتنع عن مساعدته حتى رضي معوية ان يعطيه مصر فعاهده على ذلك وبايع عمرو معاوية وكتب له
بمصر كتابا فذلك معنى قوله عليه السلام ولم يبايع معوية حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمنا ثم اردف ذلك بالدعاء
على البايع لدينه وهو عمرو بعدم الظفر في الحرب او بالثمن بقوله فلا ظفرت يد البايع والحقه بالتوبيخ والذم للمبتاع
ذكر هو ان امانته عليه وهي بلاد المسلمين واموالهم التي فاءها الله عليهم ويحتمل ان يكون اسناد الخزي الى الامانة
اسنادا مجازيا او يكون على اضمار الفاعل بتقدير المبتاع اي وخزي المبتاع في امانته بخيانته لها وذهب بعض الشارحين
الى ان المراد بالبايع معوية وبالمبتاع عمرو وهو ضعيف لان الثمن اذا كان مصر فالمبتاع هو معاوية ثم لما ظهرت دعوة
معوية لاهل الشام ومبايعة عمرو له وكان ذلك من دلائل الحرب فلذلك امر عليه السلام اصحابه بالتاهب لها واعداد
عدتها وحكى عما ذكرناه من امارات وقوعها بقوله فقد شب لظاها وعلا سناها كناية بالمستعار ووجه الشبه
بين لهب النار وسناها وامارات الحرب كونهما علامات على امرين هما مظنة الهلاك ومحل الفتنة ويحتمل ان يكون
اطلاق لفظ النار شبيها للاستعارة ثم اردف ذلك بالامر بالصبر في الحرب واستشعاره اما ان يراد به اتخاذه

شعارا على وجه استعارة من الثوب الملاصق للجسد او يراد اتخاذه علامة لان شعار القوم علامتهم ايضا ويحتمل
ان يكون اشتقاقا من الشعور اي ليكن في شعوركم الصبر وان كان الاشتقاق من الشعار يرد الشعار بالمعنى الثاني
الى الشعور **وقوله** فان ذلك ادعى الى النصر بيان لغاية اتخاذ الصبر شعارا او علامة اما ان كان المقصود الزموا انفسكم الصبر
فظاهر ان لزوم الصبر من اقوى اسباب النصر وان كان المقصود اتخذوه علامة فلان من كان الصبر في الحرب علامة له
يعرف الخصم بها كان الخصم متصورا هاشه ادعى الى الانقهار وكان المستشعر لتلك العلامة ادعى الى القهر والنصر وان
كان المراد اخطاره بالبال فلانه سبب لزومه والله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة
فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه البسه الله ثوب الذل
وشمله البلاء وديث بالصغار والقماء وضرب على قلبه بالاسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف
الا واني قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ما غزي قوم قط في
عقر دارهم الا ذلوا فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الاوطان وهذا اخو غامد قد وردت خيله
الانبار وقد قتل حسان بن حسان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة
والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمتنع منه الا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا
وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو ان امرأ مسلما مات من بعد هذا اسفا ما كان به ملوما بل كان عندي جديرا
فيا عجبا عجبا والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا
يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فاذا امرتكم بالسير اليهم في ايام الحر قلتم هذه حمارة
القيظ امهلنا يسبخ عنا الحر واذا امرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر امهلنا ينسلخ عنا البرد كل
هذا فرارا من الحر والقر فاذا كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر يا اشباه الرجال ولا رجال حلوم الاطفال
وعقول ربات الحجال لوددت اني لم اركم ولم اعرفكم معرفة والله جرت ندما واعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملاتم قلبي قيحا
وشحنتم صدري غيظا وجرعتموني نغب التهمام انفاسا وافسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش
ان ابن ابي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم اشد لها مراسا واقدم فيها مقاما مني لقد نهضت فيها
وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرفت على الستين ولكن لا رأي لمن لا يطاع **اقول** هذه الخطبة مشهورة ذكرها ابو العباس
المبرد وغيره والسبب المشهور لها انه ورد عليه علج من اهل الانبار فاخبره ان سفيان بن عوف الغامدي قد ورد في خيل
لمعوية الى الانبار وقتل عامله حسان بن حسان البكري فصعد عليه السلام المنبر وخطب الناس وقال ان اخاكم البكري قد
اصيب بالانبار وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا اليهم حتى تلاقوهم فان اصبتم منهم طرفا
انكلتموهم عن العراق ابدا ما بقوا ثم سكت رجاء ان يجيبوه بشيء فلم ينطق احد منهم بكلمة فلما رأى صمتهم نزل وخرج ماشيا راجلا
حتى اتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى احاط به قوم من اشرافهم وقالوا ارجع يا امير المؤمنين ونحن نكفيك فقال ما تكفونني
ولا تكفون انفسكم فلم يزالوا به حتى ردوه الى منزله فبعث سعيد بن قيس الهمداني في ثمانية الاف في طلب سفيان بن عوف

فخرج حتى انتهى الى دار في ارض تعشرين وقد عاتوه فرجع وكان علي عليه السلم في ذلك الوقت عليلا فلم يقو على القيام
في الناس بما يريده من القول فجلس بباب السدة التي تصل الى المسجد ومعه الحسن والحسين عليهما السلم وعبد الله
بن جعفر ودعى سعدا مولاه فدفع اليه كتابا كتب فيه هذه الخطبة وامره ان يقرأها على الناس بحيث يسمع عليه السلم
ويسمعون وفي رواية المبرد انه لما انتهى اليه ورود خيل معوية الانبار وقتل حسان بن حسان خرج مغضبا يجر رداه
حتى اتى النخيلة ومعه الناس فرقى رباوة من الارض فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله
ثم قال الخطبة وفي رواية المبرد انه بصورة الحال واظهر وروى انه قام اليه رجل في آخر الخطبة ومعه ابن اخ له فقال يا امير المؤمنين
اني وابن اخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جمر الغضا
وشوك القتاد فدعا لهما بخير وقال واين تقعان مما اريد وارجع الى التفسير فنقول الجنة ما استترت به من سلاح او غيره
وديّث اي ذلّل ومنه الديوث لا غيرة له والصغار الذل والضيم والقماء ممدود ومقصور وقوقاة فهو قمي الحقارة الذي
والذل وروى الراوندي القما بالقصر وهو غير معروف واسهب الرجل بالبناء للمفعول اذا ذهب عقله من اذى يلحقه
وادل الحق من فلان اي غلبه عليه عدو وسامه خسفا بضم الخاء وفتحها اي اولاه ذلا وكلفه المشقة والنصف
بكسر النون وسكون الصاد الاسم من الانصاف وضم النون لغة وعقر الشيء بضم العين اصله والتواكل ان يكل كل واحد منهم
الامر الى صاحبه ويعتمد عليه وشن الغارة اشنها وفرقها عليهم من كل وجه وغامد قبيلة من اليمن وهي من الازد
ازد شنوءة والمسالح جمع مسلحة وهي الحدود التي ترتب فيها ذوو الاسلحة مخافة غارة العدو كالثغر والمعاهدة
الذمية والحجل بكسر الحاء وفتحها الخلخال والقلب السوار المصمت والرعاث جمع رعثة بفتح الراء وسكون العين
وفتحها وهي القرط والرعاث ايضا ضرب من الخرز والحلي والاسترجاع قول انا لله وانا اليه راجعون والاسترحام
مناشدة الرحم والوافر التام والكلم الجرح والترح الحزن والعرض الهدف وحمارة القيظ بتشديد الراء شدة حره
وسبخ الحر فتر وخف وصبارة القر بتشديد الراء ايضا شدة البرد وينسلخ ينقضي وربات الحجال النساء والحجال جمع
حجلة وهي بيت العروس من الستور والثياب والسدم الحزن عن الندم والقيح ما يكون في القرحة من المدة والشد
وشحنتم ملأتم والنغب جمع نغبة بضم النون وهي الجرعة والتهمام بالفتح الهم والمراس العلاج وذرفت بتشديد الراء على
الستين اي زدت واعلم ان قوله اما بعد الى قوله ومنع النصف صدر الخطبة بين فيه غرضه اجمالا وهو الحث على
الجهاد فانه لما ذكر فيه امر الجهاد وتعظيمه وخطأ من قصر عنه علم من ذلك انه يريد ان يحث السامعين على جهاد عدوهم
فذكر من مدايح الجهاد امورا احدها انه باب من ابواب الجنة وبيانه ان الجهاد تارة يراد به جهاد العدو الظاهر ههنا كاهو الظاهر
وتارة يعنى به جهاد العدو الخفي وهو النفس الامارة بالسوء وكلاهما بابان من ابواب الجنة والثاني منهما مراد بواسطة
الاول اذ هو لازم له وذلك انك علمت ان لقاء الله سبحانه ومشاهدة حضرة الربوبية هي ثمرة الجنة وغاية سعي عباد الله
الابرار ثم قد ثبت بالضرورة من دين محمد عليه السلم ان الجهاد احد العبادات الخمس وتبين ايضا في علم السلوك الى الله
ان العبادات الشرعية هي المتممة والمعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وان التطويع كيف يكون وسيلة

الى الجنة التي هي المشوق فيعلم من هذه المقدمات ان الجهاد الشرعي باب من ابواب الجنة اذ منه يعبر المجاهد السالك
الى الله الى الباب الاعظم للجنة وهو الرياضة وقهر الشيطان ومن وقوفك على هذا السر تعلم ان الصلوة
والصوم وساير العبادات كلها ابواب الجنة اذ كان امتثالها على الوجه المامور بها مستلزما للوصول
الى الجنة فان باب كل شيء هو ما يدخل اليه منه ويتوصل به اليه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله في الصلوة
انها مفتاح الجنة وفي الصوم ان للجنة بابا يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون الثاني من اوصاف الجهاد
انه باب فتحه الله لخاصة اوليائه والمراد بخواص الاولياء المخلصون له في المحبة والعبادة وظاهر ان المجاهد
لله لا لغرض آخر من خواص الاولياء وذلك ان المرء المسلم اذا فارق اهله وولده وماله واقدم على من يغلب
على ظنه انه اقوى منه كما امر المسلمون بان يثبت احدهم لعشرة من الكفار ثم يعلم انه لو قهره لقتله واستباح
حريمه وهو في كل تلك الاحوال صابر شاكر معترف بالعبودية لله مسلم امره الى الله فذلك هو الولي الحق الذي
قد اعرض عن غير الله راسا وقهر شيطانه وقهر اوليائه ان يطيع له امرا فان قلت اذا كان الغرض من
من العبادات هو جهاد الشيطان والاخلاص لله وكان تخصيص الجهاد بالوصفين المذكورين لاشتراك
ذلك المعنى لم يبق حينئذ لساير العبادات مزية عليه فما معنى قول الصحابة وقد رجعوا من جهاد المشركين
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قلت يحتمل معنيين احدهما ان الجهاد الظاهر ليس كل غرضه الذاتي
هو جهاد النفس بل ربما كان من اعظم اغراضه الذاتية فهو قهر العدو الظاهر ليستقيم الناس على الدين
الحق وينتظم امرهم في سلوكه ولذلك دخل فيه من لا يراد منه الا ذلك كالمؤلفة قلوبهم وان كانوا كفارا او دون ذلك
بخلاف ساير العبادات اذ غرضها ليس الا جهاد النفس ولا شك انه هو الجهاد الاكبر اما اولا فباعتبار
مضرة العدوين فان مضرة العدو الظاهر مضرة دنياوية فانية ومضرة الشيطان مضرة اخروية باقية
ومن كانت مضرته اعظم كان جهاده اكبر واهم واما ثانيا فلان مجاهدة الشيطان مجاهدة عدو ملازم ومع ذلك
فلا يزال يحاد عاقلا الانسان غرضه الا بالخروج في زي الناصحين الاصدقاء ولا شك ان الاحتراز من مثل هذا العدو
اصعب وجهاده اكبر من جهاد عدو يظهر بعداوته ويقاتله الانسان في عمره مرة او مرتين فحسن لذلك تخصيص
الجهاد الاصغر ومجاهدة النفس بالاكبر المعنى الثاني انا وان قلنا ان الغرض من الجهاد الاصغر هو جهاد
النفس الا ان جهادها في حال جهاد العدو الظاهر قد يكون سهلا وذلك ان القوى البدنية كالغضب
والشهوة يثوران عند مشاجرة العدو وطلب الدفعة وتصيران مطيعتين للنفس الانسانية فيما تراه وتامر به فلا يكون عليها
كثير كلفة في تطويع تلك القوى بخلاف ساير العبادات فان طباع تلك القوى معاكسة فيها لراى النفس فلذلك
كان جهادها في ساير العبادات اصعب واكبر من جهادها في حال الحرب والله اعلم الثالث كونه لباس التقوى ودرع
الله الحصينة وجنته الوثيقة واستعار له لفظ اللباس والدرع والجنة ثم رشح الاستعارتين الاخيرتين بوصفي الحصانة
والوثاقة ووجه المشابهة ان الانسان يتقي به شر العدو وسوء العذاب يوم القيمة كما يتقي بثوبه ما يؤذيه من حر او برد وغيره

وجنة مانجا من عدوه ثم اردف عليه السلام مدح الجهاد بوعد من تركه رغبة عنه من غير عذر موجب لتخلفه بامور
منفور عنها طبعا منها انه يستعقب بالترك لان يلبسه الله ثوب الذل واستعار لفظ الثوب للذل ولفظ اللباس لشموله له
ووجه المشابهة احاطة الذل به احاطة الصفة بالموصوف كاحاطة الثوب بلابسه وان يشمله بلاء العدو وفيه
بالصغار والقماء وان يضرب على قلبه بالاسهاب اي يذهب وجه عقله العملي في تدبير مصالحه اما لحوق الذلة
فلان كثرة غارات العدو وتكررها منه موجب لتوهم قهره وقوته وذلك مما ينفعل عنه النفس بالانقهار والذل وحينئذ
تدعن لشمول بلائه وتذهب وجه عقلها في استخراج وجوه المصالح في دفعه ومقاومته اما لقلة اهتمامها به
او عدم طمعها في مقاومته او لتشويشها الوهم عن ملاحظة وجه المصلحة واطلاق لفظ الضرب على قلبه استعارة
كقوله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة ووجه الشبه بها احاطة قلة العقل كاحاطة القبة المضروبة بمن فيها
او لزوم قلة العقل له كلزوم الطين المضروب على الحايط له ويحتمل ان يراد بالاسهاب كثرة الكلام من غير فائدة فان الانسان
حال الخوف والذل كثيرا ما يخبط في القول ويكثره من غير اصابة فيه وكذلك يلحق بالاهوج بكاذالة الحق مستند غلبة العدو
له وعدم انتصافه منه او ظاهر عن ترك جهاد عدوه مع التمكن من ذلك وهي منفور عنها طبعا ومضرة بحال من يلحقه في
الدارين وقد ورد في الشرع الالهي من فضل الجهاد والحث عليه امور كثيرة كقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
وقوله فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وقوله وجاهدوا في الله حق جهاده
وقوله ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ونحو ذلك قوله الا واني قد دعوتكم الى حرب هؤلاء الى اخره هذا الفصل من الخطبة وهو متصل
غرضه مما اجله فيه وهو حثهم على الجهاد وتوبيخهم على تركه فنبههم اولا على ما كان دعاهم اليه قبل من قتال معوية وصحبه
مرارا كثيرة وذكرهم نصيحته السابقة لهم في امرهم بغزو عدوهم قبل ان يغزوهم ويذكرهم بما كان اعلمهم اولا من القاعدة الكلية
المعلومة بالتجربة والبرهان وهي انه ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا وقد اشرنا الى علة ذلك وهو ان للوهم اثرا
في الابدان تارة بزيادة القوة وتارة بنقصانها حتى ان الوهم ربما كان سببا للمرض الصحيح لتوهمه المرض وبالعكس فكان السبب
في ذل من غزي في داره وان كان معروفا بالشجاعة هو الاوهام اما اوهامهم فلانها تحكم بانه لم يقدم على غزوهم الا لقوة
غازيهم واعتقاده فيهم الضعف بالنسبة اليه فينفعل اذن نفوسهم عن تلك الاوهام وتقهر عن المقاومة وتضعف
عن الانبعاث وتزول غيرتها وحميتها فيحصل على طرف رذيلة الذل واما اوهام غيرهم فلان الغزو الذي يلحقهم يكون باعثا
لكثير الاوهام على الحكم بضعفهم ومحركا لطمع كل طامع فيهم فيثير ذلك لهم احكاما وهمية بعجزهم عن المقاومة ثم انه اردف
ذلك بما قابلوا به نصيحته من تواكلهم وتخاذلهم عن العمل بمقتضى امره الى غاية ظهور العدو عليهم وتفريق الغارات من كل
جانب على اوطانهم وحدودهم ثم عقب ذكر العدو المطلق بذكره في شخص معين مشاهد وسماهم ليكونوا الى التصديق بظهور
العدو عليهم اقبل وقص عليهم ما احدث من بعد خيله وباوهم وقتله لعاملهم حيث ازالة خيله عن ثغورهم ومسالحهم وهتك
السلمات والمعاهدات وسلب اموال المسلمين وسائر ما عدده على الوجه المذكور مما هو مستغن عن الايضاح ثم ختم ذلك

الفصل بما الاولى ان يلحق المسلم للحمية الغيرة والحمية فلقه من الاسف والحزن المميت بسبب ما شاهد من الاحوال
المنكرة الواقعة بالمسلمين مع تقصيرهم عن مقاومة عدوهم كل ذلك التقرير ليمهد فانونا يحسن معه توبيخهم
وذمهم على التقصير فيما ينبغي لهم من امتثال امره وقبول مشورته فما هو الاولى والاصلح لهم ثم اردف ذلك بالتعجب
من حالهم تاكيدا الذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم تاكيدا لذلك التمهيد فنادى العجب من حالهم تاكيدا لذلك
التمهيد فنادى العجب من حالهم منكرا ليحضر لكانه غير متعين في حال ندائه ثم تعين بنداء وحضر فكرر الصيغة
بالشدة ونصبه على المصدر كانه لما حضر وتعين قال عجبت عجبا من شانكم كذا ونحو هذا المنادى قوله تعالى يا
بشرى في قراءة من قرا بغير اضافة ويحتمل ان يكون العجب الاول نصبا على المصدر ايضا والثاني للتاكيد او للتذكير
ويكون المنادى محذوفا تقديره يا قوم او نحوه وما وصفه له بانه يميت القلب ويجلب الهم فاعلم ان السبب في التعجب من الامر
هو عدم اطلاع النفس على اسبابه لغموضها مع كونه في نفسه امرا غريبا ولذلك وضع اهل اللغة قولهم ما افعله
صيغة للتعجب كقولك ما احسن زيدا وعلمت ان التقدير فيها السؤال عن اسباب حسنه وكلما كان الامر اغرب
واسبابه اخفى كان التعجب فاذا كان امرا خطرا مهما وانبعثت النفس في طلب سببه فقد عجزت عن تحصيله وكلت القوة
المفكرة عن تعيينه حدث بسبب عدم الاطلاع على سببه هم وغم لانه كالمرض الذي لا يمكن علاجه الا بالوقوف
على سببه فيمتد ذلك الهم موتا للقلب فجوز بلفظ الموت في الهم والغم تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه او اطلاقا
لاسم المسبب على السبب اذا عرفت ذلك فنقول ان حال قومه عليه السلام في تفرقهم عن حقهم مع علمهم بحقيته
وحال اجتماع هؤلاء على باطلهم مع اشتراكهم في الشجاعة وكون قومه واثقين برضا الله لو امتثلوا امره من العجب المميت
للقلب الذي لا يهتدي لسببه واما انه يجلب الهم فظاهر لان حاله عليه السلام معهم كحال الطبيب لمرضى الزمه
معالجتهم مع خطر امراضهم وعدم لزومهم لما يامر به من حمية او شرب دواء وظاهر ان تلك الحال مما تجلب الهم الطبيب
ثم لما اظهر لهم التعجب ووصفه بالشدة اعقبه بذكر الامر المتعجب منه ليكون في نفوسهم اوقع ثم اردف ذلك التعجب
بالدعاء عليهم بالبعد عن الخير والحزن بسبب تفريطهم واعقبه بالتوبيخ لهم والتبكيت بما يانف منه اهل المروة والحمية
ويوجب لهم الخجل والاستحياء من صيرورتهم بسبب تقصيرهم غرضا للرماة يغار عليهم وقد كان الاولى بهم ان يغيروا
ويغزون وقد كانوا هم اولى ويعصى الله مع رضاهم بذلك ثم حكى صورا عللا دعوهم في التخلف عن امره وهي تارة شدة الحر
وتارة شدة القر ونحوها من الاعذار التي يذوق العاقل منها طعم الكسل والفتور وانه لم يكن لهم بها مقصود الا الفرار
ثم تسلم تلك الاعذار منهم واستقبحها وجعلها سهادا للاحتجاج عليهم بقوله فانتم والله من السيف افر وذلك
ان الفارس الاهون فارا من الاشق بطريق الاولى اذ لا مناسبة لشدة الحر والبرد مع القتل والمجالدة بالسيف
ثم اردف ذلك التبكيت بالذم لهم بثلثة اوصاف احدها انه نفى عنهم صفة الرجولية لاستجماعها ما ينبغي من صفات
الكمال الانساني كالشجاعة والانفة والحمية والغيرة وعدم هذه الكمالات فيهم وان كانوا بالصور المحسوسة للرجال
الموجبة لتشبههم بهم وذلك قوله يا اشباه الرجال ولا رجال وثانيها انه وصفهم بحلوم الاطفال وذلك ان ملكة

الحلم ليس بحاصل للطفل وان كانت قوة الحلم حاصلة له لكن قد يحصل له ما يتصور بصورة الحلم كعدم التسرع الى الغضب
عن خيال مرضيه واغلب احواله ان يكون ذلك في غير موضعه ولم يحصل له ملكة بسبب نقصه طبائعه كما في حق الكاملين
فهو اذن نقصان حلم كان تاركوا امره عليه السلم بالجهاد قد تركوا المقاومة حلما عن ادنى خيال كرههم الحرب بصفين
عن خديعة اهل الشام بالمسالمة وطلب المحاكمة الى كتاب الله ورفع المصاحف فقالوا اخواننا في الدين فلا يجوز لنا قتالهم
كان ذلك حلما في غير موضعه حتى كان من امرهم ما كان فاشبه رضى الصبيان فاطلق اسمه عليه وقوله ربات الحجال
عقولهم كعقول النساء وذلك للمشاركة في النقصان وعدم عقليتهم لوجوه المصالح المختصة بتدبير المدن والحرب ثم عزمهم
محبته لعدم رؤيتهم وعدم معرفتهم لاستلزامها ندمه على الدخول في امرهم والحزن من تقصيرهم في الذب عن الدين لان المولى
لا يغلب على ظنه استقامته حتى اذا خالفه وطلب انتظامه وجده غير ممكن له لابد وان يندم على تضييع الوقت به
ويحزن على عدم امكانه لسوء حاله عليه السلم مع اصحابه ولذلك حزنت الانبياء عليهم السلم على تقصير اممها حتى عاتبهم الله
تعالى على ذلك كقوله لمحمد صلى الله عليه وآله ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا
مؤمنين ثم عاد الى الدعاء عليهم والشكاية منهم وذلك قوله قاتلكم الله الى آخره واعظم بادعائه عليهم به فان المقاتلة لما كانت مستلزمة
للعداوة والعداوة مستلزمة لاحكام كاللعن والطرد والبعد عن الشفقة والخير من جهة العدو وكان اطلاق المقاتلة
والعداوة على الله تعالى بحسب حقيقتهما غير ممكن كان اطلاق لفظ المقاتلة والعداوة مقصودا به لوازمهما كالابعاد
عن الرحمة مجازا قال المفسرون معنى قول العرب قاتلكم الله اى لعنكم وقال ابن الانبارى المقاتلة من القتل فاذا اخبر الله بها
كان معناها اللعنة منه لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك وقوله لقد ملأتم قلبي قيحا اشارة الى بلوغ الغاية
في الالم الحاصل له من شدة الاهتمام بامرهم مع تقصيرهم وعدم طاعتهم لاوامره فعبر بالقيح عن الم قلبه مجازا من باب
اطلاق اسم الغاية على ذي الغاية اذ كان غاية الم العضو ان يتقيح وكذلك اطلاق لفظ الشحن على فعلهم المولم
لقلبه مجاز لان الشحن حقيقة في نسبة بين جسمين وكذلك قوله وجرعتموني نغب التهمام انفاسا اى جرعتم الى الالم
وقتا فوقتا مجاز لان التجريع عبارة عن ادخال الماء ونحوه في الحلق وطريان الالم على نفسه وما يلزمه من الالام ثابتة
على حد منه وتكراره له منهم يشبه طريان المشروب وتجرعه وقوله انفاسا مجازا في الدرجة الثانية فان النفس حقيقة
لغوية في الهواء الداخل والخارج في بدن الحيوان من قبل الطبيعة ثم استعمل عرفا لمقدار ما يشرب من الشراب في
مدة ادخال الهواء بقدر الحاجة اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق ثم استعمل ههنا في كل مقدار من الالم يرد عليه
من قبلهم وقتا فوقتا وهي درجة ثانية من المجاز وقوله وافسدتم رأيي بالعصيان من تمام شكايته منهم
ومعنى افسادهم له خروجه بسبب عدم التفاتهم اليه عن ان يكون منتفعا به لعصيانهم حتى قالت قريش انه وان كان
رجلا شجاعا الا انه غير عالم بالحرب فان الخلق اذا راوا من قوم سوء تدبير او مقتضى رأي فاسد كان الغالب
ان ينسبوه الى رئيسهم ومقدمهم ولا يعلمون انه عليه السلم الالمعي الذي يرى الرأي كان قد رأى وقد سمع وان القصير
من قومه ثم اردف ذلك بالرد على قريش في نسبتها له الى قلة العلم بالحرب بقوله لله ابوهم الى آخره وهي كلمة من مدائح العرب

لهم

ثم سالهم عن وجه من هو اشد للحرب معالجة او اقدم منه فيها مقاما سؤالا على سبيل الانكار عليهم ونبه على مدة
نهوضه في الحرب ومعاناته احوالها عامة عمره وهو من قبل بلوغ العشرين الى آخر عمره ثم بين ان السبب في فساد حال
اصحابه ليس ما تخيلته قريش فيه من ضعف الرأي في الحرب كما زعموا بل عدم طاعتهم له فيما رآه ويشير عليهم به وذلك
قوله ولكن لا رأي لمن لا يطاع فان الرأي الذي لا يقبل بمنزلة الفاسد وان كان صوابا والمثل له عليه السلم

ومن خطبة له عليه السلم اما بعد فان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع وان الآخرة قد اقبلت واشرفت
باطلاع الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة الجنة والغاية النار افلا تائب من خطيئته قبل منيته
الا عامل لنفسه قبل يوم بؤسه الا وانكم في ايام امل من ورائه اجل فمن عمل في ايام امله قبل حضور اجله خسر عمله وضره اجله
الا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها الا وانه من لم ينفعه
الحق يضره الباطل ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال الى الردى الا وانكم قد امرتم بالظعن ودللتم على الزاد وان اخوف
ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا قال الرضي رحمه
الله واقول انه لو كان كلام يأخذ بالاعناق الى الزهد في الدنيا ويضطر الى عمل الآخرة لكان هذا الكلام وكفى به قاطعا لعلائق
الآمال وقادحا زناد الاتعاظ والازدجار ومن اعجبه قوله عليه السلم الا وان اليوم المضمار وغدا السباق والسبقة
الجنة والغاية النار فان فيه مع فخامة اللفظ وعظم قدر المعنى وصادق التمثيل وواقع التشبيه سرا عجيبا ومعنى لطيفا
وهو قوله عليه السلم والسبقة الجنة والغاية النار فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين ولم يقل والسبقة النار كما قال
والسبقة الجنة لان الاستباق انما يكون الى امر محبوب وغرض مطلوب وهذه صفة الجنة وليس هذا المعنى موجودا
في النار نعوذ بالله منها فلم يجز ان يقول والسبقة النار بل قال والغاية النار لان الغاية قد ينتهي اليها من يسره ذلك
فصلح ان يعبر بها عن الامرين معا فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل قال الله تعالى فان مصيركم الى النار
ولا يجوز في هذا الموضع ان يقال فان سبقتكم الى النار فتأمل ذلك فباطنه عجيب وغوره بعيد لطيف وكذلك اكثر كلامه
عليه السلم وقد جاء في رواية اخرى والسبقة بضم السين والسبقة عندهم اسم لما يجعل للسابق اذا سبق
من مال او عرض والمعنيان متقاربان لان ذلك لا يكون جزاء على فعل الامر المذموم وانما يكون جزاء على فعل
الامر المحمود **اقول** هذا الفصل من الخطبة التي في اولها الحمد لله غير مقنوط من رحمته وسيجيء بعد وانما قدمه
الرضي عليها لما سبق من عادته في خطبة الكتاب انه لا يراعي التتالي والنسق في كلامه عليه السلم **وقوله**
ادبرت اي ولت دبره وآذنت اي اعلمت واشرفت اي اطلعت والمضمار المدة التي تضمر فيها الخيل للمسابقة
اي تعلف حتى تسمن ثم ترد الى القوت والمدة اربعون يوما وقد يطلق على الموضع الذي تضمر فيه ايضا
والسباق مصدر مرادف للمسابقة وهو ايضا جمع سبقة كنطفة ونطاف او سبقة كحجلة وحجال والسبق محركا
وحمال والثلثة اسم لما يجعل للسابق من مال او عرض والمنية الموت والبؤس شدة الحاجة وتحرزون تحفظون
واعلم ان هذا الفصل يشتمل على احد عشر تنبيها **الاول** على وجوب التفارغ عن الدنيا وعدم الركون اليها وذلك

فقد نفعه عمله ولم يضرره اجله
ومن قصر في ايام امله قبل حضور
اجله فقد

من لا يسره الانتهاء اليها و

قل تمتعوا

الجنة

بقوله الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت بوداع واشار بادبار الدنيا واعلامها بالوداع الى تقضي الاحوال الحاضرة بالنسبة
الى كل شخص شخص من الناس من صحة وشباب وجاه ومال وكل ما يكون سببا لصلاح حال الانسان وان كل تلك
اجزاء الدنيا لدنوها من الانسان ولما كانت هذه الامور ابدا في التغير والتقضي المقتضي لمفارقة الانسان لها وبعدها
عنه لا جرم حسن اطلاق اسم الادبار على تقضيها وبعدها استعارة تشبيها لها بالحيوان في ادباره فيقال
لكل امر يكون الانسان فيه من خير او شر اذا كان في اوله اقبل واذا كان في آخره وبعد تقضيه ادبر وكذلك اسم الوداع
فان التقضي لما استلزم المفارقة وكانت مفارقة الدنيا مستلزمة لاسف الانسان عليها ووجده بها اشبه ذلك
ما يفعله الانسان في حق صديقه المرتحل عنه في وداعه له من الاسف على فراقه والحزن والبكاء ونحوه فاستعير
اسم الوداع له وكنى باعلامها بذلك عن الشعور الحاصل بمفارقتها من تقضيها شيئا فشيئا وهو اعلام بلسان الحال
الثاني التنبيه على الاقبال على الآخرة والتيقظ للاستعداد لها بقوله الا وان الآخرة قد اقبلت واشرفت باطلاع
ولما كانت الآخرة عبارة عن الدار الجامعة للاحوال التي يكون الناس عليها بعد الموت من سعادة وشقاوة
والم ولذة وكان تقضي العمر مقربا للوصول الى تلك الدار والحصول فيما اشتمل عليه من خير او شر حسن اطلاق
لفظ الاقبال عليها مجازا ثم نزلها لشرفها على الدنيا وحال اقبالها منزلة عال على سافل فاسند اليها
لفظ الاشراف ولاجل احصاء الاعمال الدنيوية فيها منزلة عالم مطلع فاطلق عليها لفظ الاطلاع ويحتمل
ان يكون اسناد الاشراف بكيفية الاطلاع الى رب الآخرة وانما عبر بالآخرة عنه تعظيما لجلاله كما يكنى عن
الرجل الفاضل بمجلسه وحضرته ويكون كيفية الاطلاع هي قرينة ذلك **الثالث** التنبيه على وجوب الاستعداد
بذكر ما يستعد لاجله وهو السباق وذكر ما يستبق اليه وما هو غاية للمقصر المتخلف عن بداء الله وذلك قوله
الا وان اليوم المضمار الى قوله والغاية النار وكنى باليوم عن مدة عمر الانسان الباقية له واخبر بالمضمار عنها
واعلم انه قد ورد المضمار الى قوله والغاية النار وكنى والسباق مرفوعين ومنصوبين فاما رفع المضمار فلانه
خبران واليوم اسمها وانما اطلق اسم المضمار على تلك المدة لما بينهما من المشابهة فان الانسان في مدة عمره
يستعد بالتقوى وبرياضة الاعمال الصالحة لكمال قوته ويكون من السابقين الى لقاء الله والمقربين في حضرته
كما يستعد الفرس بالتضمير لسبق مثله واما نصبه ففيه شك اذ يحتمل ان يقال ان المضمار زمان واليوم زمان
فلو اخبرنا عنه باليوم لكان ذلك اخبارا بوقوع الزمان في الزمان فيكون الزمان محتاجا الى زمان آخر وذلك
محال وجوابه لا نسلم ان الاخبار بوقوع الزمان في الزمان يحوج الزمان الى زمان آخر فان بعض اجزاء الزمان
قد يخبر عنها بالزمان بمعنى انها اجزاؤه والجزء في الكل لا بمعنى انها حاصلة في زمان آخر وان كان انما يحسن
الاخبار عنها به اذا قيدت بوصف او اشتملت على احداث يختص بها كما تقول ان مصطبح القوم اليوم فكذلك
المضمار لمكان وقد اشتماله على التضمير وهو حدث صح الاخبار عنه باليوم واما نصب السباق فلانه اسم ان
اي وان غدا السباق وكنى بغد عما بعد الموت واما رفعه فلا وجه له الا ان يكون مبتدا خبره غدا ويكون اسم ان

ضمير الشان وقال بعض الشارحين يجوز ان يكون خبران وهو ظاهر الفساد لان الحكم يبنى على شي اما بعد ان
هو هو كما يقال الانسان هو الضحاك وهو ما يسميه المنطقيون حمل المواطاة او على ان المحكوم عليه ذو المحكوم به
كما يقال الجسم ذو بياض وهو ما يسمى حمل الاشتقاق ولا واحد من المعنيين بحاصل في الحكم بالسباق على غد فيمتنع
ان يكون خبر ان اللهم الا على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وان غدا وقت السباق
لكن لا يكون السباق هو الخبر في الحقيقة ثم ان قلنا ان السباق مصدر كان التقدير ضمروا انفسكم اليوم فانكم غدا
تستبقون وتحقيق ذلك ان الانسان كلما كان اكمل في قوتيه النظرية والعملية كان وصوله الى حضرة القدس
قبل وصول من هو انقص منه ولما كان مبدأ النقصان في هاتين القوتين انما هو محبة ما عدا الواحد الحق
واتباع الشهوات والميل الى انواع اللذات الفانية والاعراض بسبب ذلك عن تولي القبلة الحقيقية ومبدأ الكمال
فيهما هو الاعراض عما عدا الواحد الحق من الامور المعدودة والاقبال عليه بالكلية وكان الناس في محبة الدنيا
وفي الاعراض عنها والاستكمال بطاعة الله تعالى على مراتب مختلفة ودرجات متفاوتة كان كون اليوم هو المضمار
وغدا السباق متصورا جليا فان كل من كان اكثر استعدادا واقطع لعلائق الدنيا عن قلبه لم يكن له بعد الموت عائق
يعوقه عن الوصول الى الله وما اعد له في الجنة من الثواب الجزيل بل كان خفيف الظهر ناجيا من ثقل الوزر كما
اشار اليه الرسول صلى الله عليه وآله بقوله نجا المخفون وكما سبق من اشارة علي عليه السلام الى ذلك بقوله تخففوا
تلحقوا فيكون بعد الموت سابقا ومن كان اضعف استكمالا منه ممن لبست عقارب الهيئات البدنية والملكات الردية
قلبه وثقلت الاوزار ظهره واوجبت له التخلف عن درجة السابقين الاولين وكذلك يكون سبق هذا بالنسبة الى
من هو اقل استعدادا منه واشد علاقة للدنيا بقلبه فكان معنى المسابقة ظاهرا وان كان استعارة من السباق
المتعارف بين العرب وان قلنا ان السباق جمع سبقة اسم لما تستبق اليه ويجعل للسابق فالمعنى ايضا ظاهر فان ما
يستبق اليه اما يكمل الوصول اليه بعد المفارقة وهو المسعي في درجات الرياضات كما اشار اليه سبحانه بقوله سابقوا
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت للذين آمنوا الآية وقوله فاستبقوا الخيرات
او بعد المفارقة كما اشرنا اليه ويكون قوله بعد ذلك والسبقة الجنة تعيينا للمستبق اليه بعد التنبيه عليه اجمالا
واما قوله والغاية النار فالذي ذكره الرضي رضي الله عنه في تخصيص الجنة بالسبقة والنار بالغاية حسن
وكاف في بيان مراده عليه السلام الا انه بقي هيهنا بحث وهو ان هذه الغاية من اي الغايات هي وهل هي غاية حقيقية
او لازمة للغاية فنقول ان ما ينتهي اليه قد يكون بسوق طبيعي وقد يكون بسوق ارادي وكل واحد منهما قد يكون
ذاتيا وقد يكون عرضيا فالسوق الذاتي منهما يقال له غاية اما الطبيعية كاستقرار الحجر في حيزه عن حركته بسوق
طبيعية له اليه واما الارادية كغايات الانسان من حركاته المنتهي اليها بسوق ارادته واما المنتهى اليه بالسوق العرضي
فهو من لوازم احدى الغايتين وقد يسمى غاية بالعرضية فاللازم عن الطبيعة ككون الحجر بحيث هو فان ذلك
من لوازم استقراره في حيزه وعن الارادة كاستضاءة الجار بسراج جاره فان ذلك من لواحق استضاءة ذي السراج

ويكون الاستباق الا قبل المفارقة

وجابذ الصياد عن الميل الى النقاطه اذا عرف ذلك فمعلول ان كون النار غاية بهذا المعنى الرابع وبيان الحجة
الدنيا والميل اليها والانهماك في مشتهياتها سواء كان معها مسكة للانسان بالله تعالى اولم يكن
فان من لوازمها الانتهاء الى النار الا ان يشاء الله كما قال تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب وكان المقصود الاول للانسان هو اللذات الحاضرة لكن لما كان من لوازم الوصول
الى تلك اللذات والاقبال عليها دخول النار والانتهاء اليها كانت غاية عرضية **الرابع** التنبيه على التوبة
قبل الموت وهو قوله افلا تائب من خطيئته قبل منيته ولا شك انها يجب ان تكون متقدمة على الاعمال
لانك علمت ان التوبة هي انزجار النفس العاقلة عن متابعة النفس الامارة بالسوء الجاذب الى طلب معه
على قبح ما كانت عليه من اتباع شياطينها وهو من مقام الزهد والتخلي وقد علمت في بيان كيفية السلوك
الى الله تعالى ان مقام التخلية مقدم على مقام التحلية فكان الامر بها مقدما على الامر بسائر الطاعات
الخامس التنبيه على العمل للنفس قبل يوم البؤس والاشارة به الى ما بعد الموت والعذاب اللازم للنقصان
اللازم عن التقصير في العمل اذا الواصل الى يوم بؤسه على غير عمل اسير في يد شياطينه وقد علمت ان غاية
الاسترسال في يد الشيطان دخول النار والحجب عن لقاء رب العالمين ولما كان العمل هو المعين على قهر
الشيطان والتخلص من اسره نبه عليه ثم اردفه بالتنبيه على وجود الزمان الذي يمكنهم فيه العمل وهو
ايام آمالهم للعمل وغيره وعلى ان ذلك الزمان منقطع بلحوق الاجل ثم اردفه ببيان فائدة العمل في ذلك الزمان
وهي المنفعة بالثواب في الاخرة وما يلزمها من عدم مضرة الاجل وببيان ثمرة التقصير في العمل وهي خسران
العمل المستلزم لمضرة الاجل واحسن باستعارته عليه السلم لفظ الخسران لفوات العمل فان الخسران في البيع
لما كان هو النقصان في راس المال او ذهاب جملته وكان العمل هو راس مال العامل الذي به يكتسب الكمال
والسعادة الاخروية لا جرم حسنت استعارة لفظ الخسران لعدم العمل واما استلزام المنفعة لعدم مضرة الموت
واستلزام الخسران لمضرته فهو امر ظاهر اذ كان الكامل في قوتيه المعرض عن متاع الدنيا غير متلفت اليها
بعد المفارقة فلم يحصل له بها تعذيب فكانت المضرة منفية عنه وكان المقصر عن الاستكمال فيما من شانه
طباعه الميل الى اللذات الحسية فاذا قصر عن العمل والتعلق بطاعة الله الجاذبة له الى مرحمته وان يستغفر بحضور الاجل
اذ كان الاجل قاطع الزمان للاجل قاطعا لزمان الاستكمال وحائلا بين الانسان وبين ما هو معشوق له من حاضر اللذات
السادس التنبيه على وجوب التسوية للعامل بين العمل في الرغبة والعمل في الرهبة وفيه شمة التوبيخ للعبد على غفلة
عن ذكر الله واعراضه عن عبادته في حال صفاء اللذات الحاضرة له وحاجته اليه وفزعه عند نزول ان نزلت به فان ذلك ليس من شان
العبودية الصادقة لله والى مثل هذا التوبيخ اشار التنزيل الالهي بقوله واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم
الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وغيره من الايات بل من شان العابد لله القاصد له ان تتساوى عبادته في ازمان
شدته ورخائه فيقابل الشدة بالصبر والرخاء بالشكر وان يعبده لا للرغبة ولا للرهبة وان عبده فيهما **السابع**

قوله الا واني لم ار كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها واعلم ان الضمير في قوله طالبها وهاربها يعود الى المفعول
الاول لرايت الحذف فعلا لمشبه في الموضعين والتقدير لم ار نعمة كالجنة نام طالبها ولا نقمة كالنار نام في
محل النصب مفعولا ثانيا ومغزى هذا الكلام انه نفى علمه بما يشبه الجنة وما يشبه النار ولم ينف علمه بذات
ذلك الشبيه بل علمه من جهة الشبه وهي نوم الطالب والهارب ولذلك استدعت ارى بمعنى اعلم هنا مفعولين
اى لم ار نعمة كالجنة يتصف نوم الطالب لها فانه على وجه الشبه بقوله نام طالبها ثم نفى الشبيه من تلك الجهة
وكذلك قوله ولا كالنار صفة نوم هاربها والمفعول الثاني في الجملتين صفة جارية على غير من هي له وهي
تنبيه للموقنين بالجنة والنار على كونهم نائمين في مراقد الطبيعة ليتنبهوا منها ويتيقظوا للاستعداد للعمل
لما لديهم من مرغوب ومرهوب وفيه شمة التعجب من جمع الموقن بالجنة والنار بين علمه بما في الجنة من تمام النعمة
وتقصيره عن طلبها بما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وجمع الموقن بالنار بين علمه بما فيها من عظم العذاب وبين تقصيره
وغفلته عن الهرب الى ما يخلص منها من ذلك **الثامن** قوله الا وانه من لم ينفعه الحق يضره الباطل فالضمير
في انه ضمير الشان والمراد بالحق الاقبال على الله بلزوم الاعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة والباطل الالتفات
عنه الى غير ذلك مما لا يجدي نفعا في الاخرة وهو تنبيه على استلزام عدم منفعة الحق لمضرة الباطل في صورة
شرطية متصلة وبيان الملازمة فيها ظاهر فان وجود الحق مستلزم لمنفعته فعدم منفعته اذن مستلزم
لعدمه وعدمه مستلزم لوجود الباطل لان اعمال المكلف وعمله اما ان تطابق اوامر الله تعالى اوليس والاول هو
الحق والثاني هو الباطل وظاهر ان عدم الاول مستلزم لوجود الثاني ثم ان وجود الباطل مستلزم لمضرته فظهر بهذا البيان
ان عدم منفعة الحق مستلزمة لوجود مضرة الباطل واذا ثبت ذلك فنقول مراده عليه السلم المشورة بلزوم الحق
المستلزم للمنفعة ونفي الباطل المستلزم لعدم مضرته فان لزوم الطاعة لله بامتثال اوامره والاقبال عليه مستلزم
للوصول الى جواره المقدس والالتفات الى ما عداه المعبر عنه بالباطل مستلزم للنقصان الموجب للتخلف
عن السابقين والهوي في دركات الهالكين وذلك محض المضرة فظهر اذن سر قوله عليه السلم انه من لم ينفعه الحق
يضره الباطل ومن غفلة بعض من يدعي العلم عن بيان هذه الملازمة ذهب الى ان الوعيدات الواردة في الكتب
الالهية انما جاءت للتخويف دون ان يكون هناك شقاوة للعصاة محتجا على ذلك بتمثيلات خطابية عن سهوات
في بادي الراي اذا تعقبها النظر زالت شهرتها **التاسع** ومن لا يستقم به الهدى يجر به الضلال الى الردى اراد بالهدى
نور العلم والايمان وبالضلال الجهل والخروج عن امر الله والمعنى ان من لم يكن الهدى دليله وقائده له بزمام عقله
في سبيل الله ويستقيم به في سلوك صراطه المستقيم فلا بد وان ينحرف به الضلال عن سواء الصراط الى احد جانبي
التفريط والافراط وملازمة هذه الشرطية ايضا ظاهرة لان وجود الهدى لما استلزم وجوب استقامته بالانسان
على سواء السبيل كان عدم استقامة الهدى به مستلزما لعدم الهدى المستلزم لوجود الضلال المستلزم
لجر الانسان الى مهاوي الردى والعدول به عن الصراط المستقيم الى سواء الجحيم **العاشر** قوله الا وانكم قد امرتم بالظعن

ورد التنبيه على الزاد وهو تنبيه على ملاحظة الاوامر الواردة بالظعن كقوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين
كقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واحسن باستعارة الظعن للسفر الى الله واستعارة الزاد لما تقرب اليه
ووجه الاستعارة الاولى ان الظعن لما كان عبارة عن قطع المراحل المحسوسة بالرحل والجمل ونحوه فكذلك السفر
الى الله عبارة عن قطع المراحل المعقولة بقدم العقل ووجه الثانية ان الزاد لما كان انما يعد لتقوى الطبيعة
على الحركة الحسية وكانت الامور المقربة الى الله تعالى ما تقوى به النفس على الوصول الى جنابه المقدس كان ذلك
من اتم المشابهة التي تقرب معها اتحاد المتشابهين وبحسب قوة المشابهة يكون حسن الاستعارة
الحادي عشر التنبيه على اخوف الامور التي ينبغي ان يخاف ويجتنب وهو الجمع بين اتباع الهوى وطول
الامل وسيذكر عليه السلم هذا الكلام في موضع آخر مع ذكر علة التحذير من هذين الامرين وسنوضح معناه
هناك ويكفي هيهنا ان يقال انما حذر منهما عقيب التنبيه على الظعن والامر باتخاذ الزاد لكون الجمع بينهما
مستلزما للاعراض عن الآخرة فيكون مستلزما لعدم الظعن وعدم اتخاذ الزاد فخوف منهما ليجتنبا
فيحصل مع اجتنابهما الاقبال على اتخاذ الزاد والاهبة للظعن ولذلك اردف التخويف منهما بالامر
باتخاذ الزاد في قوله من الدنيا في الدنيا الطف فان الزاد الموصل الى الله تعالى اما علم او عمل وكلاهما يحصلان من
الدنيا في الدنيا اما العمل فلاشك انه عبارة عن حركات وسكنات يستلزم هيات مخصوصة انما يحصل
بواسطة هذا البدن وكل ذلك من الدنيا في الدنيا واما العلم فلان الاستكمال به انما يحصل بواسطة هذا البدن
ايضا اما بواسطة الحواس الظاهرة والباطنة وتفطن النفس لمشاركات بين المحسوسات ومباينات
بينها وظاهر ان ذلك من الدنيا في الدنيا واشار بقوله ما تحرزون به انفسكم غدا الى ان كل زاد اعتد به الانسان
نفسه للوصول الى جوار الله فقد تحرز به من عذابه وحفظ به نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون وقد اشتمل
هذا الفصل على استدراجات لطيفة لانفعالات عن اوامر الله وزواجره واذا تاملت اسلوب كلامه عليه السلم
وراعيت ما فيه من فخامة الالفاظ وجزالة المعاني المطابقة للبراهين العقلية وحسن الاستعارات التي شبهها
ومواقعها وصحة ترتيب اجزائه ووضع كل مع ما يناسبه وجدته لا يصدر الا عن علم لدني وفيض رباني
وامكنك حينئذ الفرق بين كلامه عليه السلم وكلام غيره والتمييز بينهما بسهولة وبالله العصمة والتوفيق
ومن خطبة له عليه السلم ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع
فيكم الاعداء تقولون في المجالس كيت وكيت فاذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم ولا استراح
قلب من قاساكم اعاليل باضاليل دفاع ذي الدين المطول لا يمنع الضيم الذليل ولا يدرك الحق الا بالجد اي دار بعد
داركم تمنعون ومع اي امام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد
رمى بافوق ناصل اصبحت والله لا اصدق قولكم ولا اطمع في نصركم ولا اوعد العدو بكم ما بالكم ما دواؤكم ما
طبكم القوم رجال امثالكم اقولا بغير علم وغفلة من غير ورع وطمعا في غير حق **اقول** روي ان السبب

وكقوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وعلى الامر باتخاذ الزاد

وسائر نسخ التطويل

في هذه الخطبة هو غارة الضحاك بن قيس بعد قصة الحكمين وعزمه على المسير الى الشام وذلك ان
معوية لما سمع باختلاف الناس على علي عليه السلم وتفرقهم عنه وقتل من قتل من الخوارج بعث الضحاك
بن قيس في نحو من اربعة الاف فارس واوعز اليه بالنهب والغارة فاقبل الضحاك يقتل وينهب حتى
مر بالثعلبية فاغار على الحاج فاخذ امتعتهم وقتل عمرو بن عميس بن مسعود ابن اخي عبد الله بن
مسعود صاحب رسول الله ص وقتل معه ناسا من اصحابه فلما بلغ عليا عليه السلم ذلك استصرخ اصحابه
على اطراف اعماله واستشارهم الى لقاء العدو فتلكأوا وراى منهم تعاجزا وفشلا فخطبهم هذه الخطبة ولنرجع
الى المتن قال الاهواء الاراء والوهي الضعف وكيت وكيت كناية عن الحديث وحاد عن الامر عدل عنه قال
الجوهري قولهم حيدي حياد كقولهم فيحي فياح ونقل ان فياح اسم للغارة كقطام فحياد ايضا اسم لها والمعنى
اعدلي عنها ايتها الحرب ويحتمل ان يكون حياد من اسماء الافعال كنزال فيكون قد امر بالتنحي مرتين بلفظين
مختلفين والاعاليل والاضاليل جمع اعلال واضلال وهما جمع علة اسم لما يتعلل به من مرض وغيره وضلة
اسم من الضلال ومعنى الباطل والمطول كثير المطال وهو تطويل الوعد وتسويفه والجد الاجتهاد والاخيب
الاشد خيبة وهي الحرمان والافوق السهم المكسور الفوق وهو موضع الوتر منه والناصل الذي
لا نصل فيه والمقصود انه عليه السلم نبههم على ما يستقبح في الدين ومراعاة حسن السيرة من احوالهم
واقوالهم وافعالهم اما احوالهم فاجتماع ابدانهم مع تفرق ارائهم الموجب لتخاذلهم عن الذب عن الدين والمفرق
لشمل مصالحهم اما اقوالهم فكلامهم الذي تضعف عند سماعه القلوب الصلبة الثابتة ويظن سامعه
ان تحته نجدة وثباتا وهو قولهم مثلا في مجالسهم انه لا محل لخصومنا وانا سنفعل بهم كذا وسيكون منا
كذا وامثاله واستعار لفظي الصم الصلاب من اوصاف الحجارة للقلوب التي تضعف من سماع كلامهم
كما شبه القرآن الكريم بها فهي كالحجارة او اشد قسوة واما افعالهم فهو تعقب هذه الاقوال عند حضور القتال
ودعوتهم الى الحرب بالتخاذل وعدم التناصر والتقاعد عن اجابة داعي الله وكراهية الحرب والفرار عن
مقاتلة العدو وكنى بقوله قلتم حيدي حياد عن ذلك وهي كلمة كانت تستعملها العرب عند الفرار ثم اردف
ذلك بما العادة ان يلزم منه من طلب الانتصار بهم على وجه التضجر منهم من كثرة تقاعدهم عن صوته
وذلك قوله ما عزت دعوة من دعاكم المستلزم للحكم بذلة داعيهم ولا استراح قلب من قاساكم المستلزم
للحكم بتعبه وقوله اعاليل باضاليل خبر مبتدا محذوف اي واذا دعوتكم الى القتال تعللتم وهي اعاليل
باطلة ضالة عن سبيل الله وسائر التمني التاخير وتطويل المدة دفاعا وقوله دفاع ذي الدين المطول يحتمل ان يكون
تشبيها لدفاعهم بدفاع ذي الدين فيكون منصوبا بحذف الجار ويحتمل ان يكون قد استعار دفاع
ذي الدين المطول لدفاعهم فيكون مرفوعا ووجه الاستعارة ان المدين المطول ابدا مشتهي لعدم
المطالبة ويود نفسه ان لا يراه غريمه فكذلك فهم عليه السلم منهم انهم كانوا يحبون ان لا تعرض لهم

بذكر الضلال ولا يطالبهم به فاستعار الدفاع عنهم للدفاع المذكور لمكان المشابهة ثم نبههم على قبح الذل المفضي الى
فضيلة الشجاعة بذكر بعض لوازمه المنفرة وهو ان صاحبه لا يمكن من دفع الضيم عن نفسه وعلى قبح التواني والتقاعد
بانه لا يدرك الانسان حقه الا بضده ذلك وهو الجد والتشمير في طلبه ثم اعقب ذلك بالسؤال على جهة الانكار
والتقريع عن تعيين الدار التي ينبغي لهم حمايتها بعد دار الاسلام التي لا ينبغي لغيرها في العز والكرامة عند الله وجوب
الدفع عنها والتي هي موطنهم ومحل دولتهم وكذلك قوله ومع اي امام بعدي تقاتلون وفيه تنبيه على فضيلته وما في
بدمن لخلوص نفسه لله في جميع حركاته وتثبيتهم على طاعته اذ كان عليه السلام يتوهم في بعضهم الميل الى معوية والرغبة
فيما عنده من الدنيا ثم اردف ذلك بذم من اغتر بكلامهم ونسبته الى الغرور والغفلة ثم بالاخبار عن سوء حال من كانوا
حزبه ومن بقائه بهم اما الاول فهو قوله المغرور والله من غررتموه والمقصود بالحقيقة ذمهم وتوبيخهم على خلف الوعد
والمماطلة بالنفار الى الحرب لانه انما ينسب من وثق بهم الى الغرور بعد خلفهم في وعدهم له بالنهوض بعد جعله المغرور
مبتدا ومن خبره المبالغة في اسباب العزة لمن اغتر بهم من العكس لا قتضاء الكلام اذن انحصار المغرور فيمن اغتر بهم ولو كان من
مبتدا واما الثاني فهو قوله ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل وقد شبه نفسه في خصومه
كالدعين بالميسر ولاحظ شبه حصوله في حقه بخروج احد السهام الخائبة التي لا غنم لها كالاوغاد او التي فيها غرم
كالتي لم يخرج حتى استوفيت اجزاء الجزور فحصل لصاحبها غرم وخيبة فلاجل ملاحظة هذا الشبه استعار
لهم لفظ السهم بصفة الاخيب ولطلاق الفوز هنا مجاز في حصولهم له من باب اطلاق اسم احد الضدين على الاخر
كتسمية السيئة جزاء وكذلك لاحظ الشابهة بين رجال الحرب وبين السهام في كون كل منها عدة للحرب ودفع العدو
ولاحظها ايضا بين ارسالهم في الحرب وبين الرمي بالسهام فلا جرم استعار اوصاف السهم من الافوق الناصل
واستعار لفظ الرمي لمقاتلته بهم ثم خصصهم باردا اوصاف السهم التي يبطل نفعها فائدة لمشابهتهم بذلك السهم
في عدم الانتفاع بهم في الحرب وكانه ايضا خصص بعثه لهم على الحرب باستعارة الرمي بالسهم الموصوف لزيادة
الشبه وهي عدم انبعاثهم عن امره وتجاوزهم اوطانهم كالرمي بالسهم الذي لا فوق له ولا نصل فانه لا يكاد يجاوز عن القوس
مسافة وهي من لطايف ملاحظات المشابهة والاستعارة عنها والمعنى ان من حصلتم في حزبه فالخيبة حاصلة
له فيما يطلب بكم ومن قاتل بكم عدوه فلا نفع له فيكم ثم اردفه بالاخبار عن نفسه بانه قد نشات عن اساءة ظنه بهم وعدم وثوقه
باقوالهم لكثرة خلفهم ومواعيدهم الباطلة بالنهوض معه وهو انه لا يصدقهم لانه من اكثر من شيء عرف به ومن امثالهم ان
الكذوب لا يصدق وانه لا يطمع في نصرهم وانه لا يوعد بهم عدوهم اذ كان وعيده بهم مع طول تخلفهم وشعور العدو
بذلك مما يوجب جراءته وتسلطه واما منه من المقاومة ثم اردفه بالاستفهام على سبيل الاستنكار والتقريع عن حالهم التي
توجب لهم التخاذل والتصامم عن ندائه وهو قوله ما بالكم ثم عن دواءهم الصالح للمرض الذي هم فيه ثم عن كيفية علاجهم
منه بقوله ما دواؤكم ما طبكم وقيل اراد بقوله ما طبكم اي ما عادتكم والاول اظهر والتي تنبيههم على انهم من جنس من خصومهم
خصومهم وانهم بانهم رجال امثالكم في الرجولية التي هي مظنة الشجاعة والباس فلا مزية لهم عليكم فلا معنى للخوف منهم ثم

عاد الى سؤالهم على جهة التقريع ونبههم به على امور لا ينبغي منفور عنها مستقبح في الشريعة والعادة فاولا عن قولهم
ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما لا يفعلون وهو اشارة الى ما يعدونه به من النهوض الى الحرب ثم لا يفعلون وذلك
بقوله اقولا بغير علم وذكر لهم ما يستلزم ذلك من المقت عند الله كما اشير اليه في القرآن الكريم لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وعلى الرواية الثانية وهي اقولا بغير علم اي تقولون بالسنتكم ما ليس في قلوبكم
ولا تعتقدونه وتجزمون به من انا سنفعل كذا او كذا ويحتمل ان يكون معناه اتقولون انا مخلصون لله وانا مسلمون ولا
تعلمون شرايط الاسلام والايمان وثانيا عن غفلتهم التي ليست عن ورع وهي عدم تعقلهم للمصالح التي ينبغي
ان يكونوا عليها وهي طرف التفريط من فضيلة الفطانة وهذه بخلاف الغفلة مع الورع فان تلك نافعة في المعاد
اذ كان الورع عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة المسعدة في الاخرة فالغفلة معه عن الامور الدنيوية والمصالح المتعلقة
بجزئياتها ليست بضارة بل ربما كانت سببا للخلاص من عذاب ما في الاخرة وثالثا عن طمعهم في غير حق اي
في ان يمنحهم ما لا يستحقونه ليتهضوا معه ويجيبوا دعوته وكانه عليه السلام عقل من بعضهم ان احد اسباب
تخلفهم عن ندائه انما هو طمعهم في ان يوفر عطياتهم او يمنحهم زيادة على ما يستحقون كما فعل غيره مع غيرهم فاشار
الى ذلك ونبههم على قبحه من حيث انه طمع في غير حق والله اعلم **ومن كلام له عليه السلام** في معنى قتل عثمان لو امرت
به لكنت قاتلا او نهيت عنه لكنت ناصرا غير ان من نصره لا يستطيع ان يقول خذله من انا خير منه ومن خذله ~~لا يستطيع ان يقول خذله~~
لا يستطيع ان يقول نصره من هو خير مني وانا جامع لكم امره استاثر فاساء الاثرة وجزعتم فاساتم الجزع ولله حكم واقع
في المستاثر والجازع **اقول** المستاثر الذي المستبد به ومقتضى هذا الفصل تبريه عليه السلام من الدخول في دم
عثمان بامر او نهي كما نسبه اليه معوية وغيره **فقوله** لو امرت به لكنت قاتلا قضية شرطية بين فيها لزوم كونه قاتلا لكونه
امرا وهذا اللزوم عرفي اذ يقال في العرف للامر بالقتل قاتل والامر شريك الفاعل وان كان القاتل في اللغة هو المباشر للقتل
والذي صدر عنه وكذلك بين في قوله لو نهيت عنه لكنت ناصرا لزوم كونه ناصرا لكونه ناهيا وهو ظاهر وقد
عرفت ان استثناء نقيض اللازم يستلزم نقيض الملزوم واللازمان في هاتين القضيتين هما القتل والنصرة ومعلوم
ان القتل لم يوجد منه عليه السلام بالاتفاق فان غاية ما يقول الخصم ان قعوده عن نصرته دليل على ارادة قتله وذلك
باطل لان القعود عن النصرة قد يكون لاسباب اخرى كما سنبينه ثم سلمنا ان القعود عن النصرة دليل ارادة القتل لكن
ارادة القتل ليس بقتل فان كل احد يحب قتل خصمه لكن لا يكون بذلك قاتلا وكذلك ظاهر كلامه يقتضي ان النصرة لم توجد منه
واذا انتفى اللازمان استلزم ما نفي امره بقتله ونهيه عنه ويحتمل ان يريد في القضية الثانية استثناء عين مقدمها
لينتج عين تاليها اي لكني نهيت عنه فكنت ناصرا والاشكال لا يخلو اما ان يكون مرتكب المنكر هو عثمان او قاتليه وعلى
التقديرين يجب على علي عليه السلام القيام والانكار اما على عثمان بالمساعدة عليه ان كان هو مرتكب المنكر او على قاتليه
بالانكار عليهم ونصرته فقعوده عن احد الامرين يستلزم الخطا لكنه لم يخط فلم يكن تاركا لاحد الامرين فلا بد من التبري والجواب
البري من العصبية في هذا الموضع ان عثمان احدث امورا نقمها جمهور الصحابة عليه وعاتبوه احداثه حتى يجب

انكاره اما احداث عثمان فلم يخفه في نظر علي عليه السلم الى حد يستحق بها القتل وانما استحق في نظره ان ينبههم عليها فلذلك
ورد في النقل انه انكرها عليه مع حذره من الناس غير مرة كما سيجيء في كلامه عليه السلم فان صح ذلك النقل ثبت انه انكر
عليه ما احدث لكنه لا يكون بذلك داخلا في دم لاحتمال انه لما حذره الناس ولم يرجع عنه اعتزلهم وان لم يثبت فلذلك
النقل فالانكار ليس من فروض الاعيان بل من فروض الكفايات اذا قام به البعض سقط عن الباقين وقد ثبت ان
جمهور الصحابة انكروا تلك الاحداث من عثمان فلم يتعين وجوب الانكار على علي لما احدث قالت فهو قوله فان ثبت
انه عليه السلم ما انكر عليهم قلنا ان من جملة شروط انكار المنكرات ان يعلم المنكر او يغلب على ظنه قبول قوله او تمكنه
من المنع بيده فلعله عليه السلم علم من حالهم انه لا يفيد انكاره معهم وظاهر ان الامر كان كذلك اما عدم فائدة
انكاره بالقول معهم فلانه نقل عنه عليه السلم انه كان بين الناس ان اصلح الحال بينهم وبين عثمان واذا انه
عما نقموه عليه وتكرر منه وعده لهم بذلك ولم يتمكن منه وظاهر انهم بعد تلك المواعيد لا يلتفتون الى قوله واما
انكاره بيده فمعلوم بالضرورة ان الانسان الواحد او العشرة لا يمكنهم دفع الجمع العظيم من عوام العرب ورعاعهم
خصوصا مع طباع ثارت وتالفت وجمعها اشد جامع وهو ما نسبوه اليه من تفرقه مال المسلمين الذي هو قوام
حياتهم سواء كان ما نسبوه اليه حقا او باطلا ثم من المحتمل ان يكون قد غلب على ظنه انه لو قام في نصرته لقتل
معه ولا يجوز للانسان ان يعرض نفسه للاذى والقتل في دفع بعض المنكرات الجزئية واما ما ثبت انه انكر
عليهم كما نقل حملنا ذلك النهي على نهيه لهم حال اجتماعهم لقتله قبل حال قتله وكان قوله ولو نهيت عنه لكنت
ناصرا له الا على عدم المنع من قتله حال قتله لعدم تمكنه من ذلك وعدم افادة قوله قال بعض الشارحين هذا
الكلام بظاهره يقتضي انه ما امر بقتله ولا نهى عنه فيكون دمه عنده في حكم الامور المباحة التي لا يؤمر بها ولا
ينهى عنها قلت هذا سهو لان التبري من الامر بالشي والنهي عنه غاية ما يفهم منه عدم الدخول فيه والسكوت
عنه ولا يلزم من ذلك الحكم بانه من الامور المباحة لاحتمال ان اعتزاله هذا الامر كان لاجل ما ذكرناه وبالجملة فان اهل
التحقيق متفقون على ان السكوت عن الامر لا يدل على حال الساكت بمجرده وان دل بقرينة اخرى ومما يدل على انه
كان متبرءا من الدخول في دم عثمان بامر او نهي ما نقل عنه انه سئل اساءك قتل عثمان ام سرك فقال ما ساءني ولا سرني وقيل
له ارضيت بقتله فقال لم ارض فقيل اسخطت قتله فقال لم اسخط وهذا كلام حق يستلزم عدم التعرض بامره فان من لم يعرض
عن شي ولم يدخل فيه يصدق ان يقول اني لم اسخط وهذا كلام حق يستلزم عدم به ولم ارض ولم اسا به ولم اسر
فان السخط والرضا والاساءة والسرور حالات تورد على النفس لاسباب تعلق بها فمع خلو النفس عن تلك الاسباب في امر
من الامور كيف يعرض لها احد هذه الحالات فيه فان قلت ان كان قتل عثمان منكرا كان مستلزما لسخطه عليه السلم
ومساءته وقد نقل عنه انه لم يسخط لذلك فيقتضي احد الامرين احدهما انه عليه السلم لا يسخط المنكر وهو باطل با
لاتفاق الثاني ان قتل عثمان لم يكن عنده منكرا والتقدير انه منكر قلت ان قتل عثمان بل من جهة كونه منكرا والمنقول
انه لم يسخط لقتل عثمان ولا ساءه ذلك اي من جهة كونه قتل عثمان وذلك لا ينافي ان يسوءه ويسخطه من جهة كونه

منكرا وفي الجواب غموض فليتفطن له ولاجل اشتباه هذه الحال خبط الجهال فيها يقول شاعر اهل الشام
وما في علي لمستعتب مقال سوى صحبة المحدثينا وايثاره اليوم اهل الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
اذا سيل عنه حذا شبهة وعمّى الجواب على السائلينا فليس براض ولا ساخط ولا في النهاة ولا الامرينا
ولا هو ساء ولا سره ولا بد من بعض ذا ان يكونا فاما تفصيل الاعتراضات والاجوبة في معنى قتل عثمان وما نسب الى علي من
ذلك فمبسوط في كتب المتكلمين كالقاضي عبد الجبار وابي الحسين البصري والسيد المرتضى وغيرهم فلا نطول
بذكرها وربما اشرنا الى شي من ذلك فيما بعد **وقوله** غير ان من نصره لا يستطيع الى قوله خير مني فاعلم ان هذا الفصل
ذكره عليه السلم جوابا لبعض من انكر بحضرته قعود من قعد عن نصرة عثمان وجعلهم منشا الفتنة وقال
انهم لو نصروه وهم اكابر الصحابة لما اجترى عليه طغام الامة وجهالها وان كانوا ارادوا ان قتله وقاله هو الحق
فقد كان يتعين عليهم ان يعرفوا الناس ذلك حتى يرتفع عنهم الشبهة وفهم عليه السلم ان القائل يعنيه بذلك
فاجابه بهذا الكلام تلويحا لا تصريحا اذ كان في محل لا يرتضي التوقي تصريحا والا انه ما امر في ذلك الامر ولا نهى ثم عاد
الى الاستثناء فقدر في هاتين القضيتين ان الذين خذلوه كانوا افضل من الذين نصروه اذ لا يستطيع ناصروه
كمروان واشباهه ان يفضلوا انفسهم على خاذليه كعلي بزعم المنكر وكطلحة وساير اكابر الصحابة اذ العقل والعرف
يشهد بافضليتهم وكذلك لا يستطيع الخاذلون ان يفضلوا الناصرين على انفسهم اللهم الا على سبيل التواضع
والبس الكلام فيه فكانه عليه السلم سلم تسليم جدل انه دخل في امر عثمان وكان من الخاذلين له ثم اخذ في الرد على المنكر بوجه آخر
فقال غير اني لو سلمت اني من خذله لكن الخاذلون له افضل من الناصرين واثبت هذه المقدمة بهاتين القضيتين
وحذف الثانية للعلم بها وتقديرها والافضل يجب على من عداه اتباعه والاقتداء به فينتج هذا القياس
انه كان يتعين على من نصره ان يتبع من خذله وهذا عكس اعتقاد المنكر وقال بعض النقاد ان هذه كلمة قرشية
واراد بذلك انه عمّى على الناس في كلامه فقال ولم يرد التبرؤ من امره وانما اراد ان الخاذلين لا يجحدهم المفضولية
بكونهم خاذلين له وان الناصرين له لا يجعلهم الافضلية بنصرته والذي ذكره بعيد الفهم من هذا الكلام ويمكن
ان يحمل على وجه وذلك انه انما قدر افضلية الخاذلين على الناصرين ليسلم هو من التخصيص باللائمة في القعود
عن النصرة فكانه قال واذا كان الخاذلون له افضل من نصره بعين عليهم السؤال عن التخلف وان يشهد عليهم
بحال الناصرين له مع كونهم مفضولين فلم خصصت باللائمة من بينهم والمطالبة بدمه لولا الاغراض الفاسدة
وقوله وانا جامع لكم امره الى قوله الاثرة اشار عليه السلم في هذا اللفظ الوجيز اجمالا الى ان كل واحد من عثمان
وقاتليه كانا على طرفي الافراط من فضيلة العدالة اما عثمان فاستيثاره واستبداده برايه فيما الامة شركاء فيه
والخروج في ذلك الى حد الافراط الذي فر معه نظام الخلافة عليه وادى الى قتله واما قاتلوه فلخروجهم في
الجزع من فعله الى طرف التفريط عما كان ينبغي لهم من التثبت وانتظار صلاح الحال بينهم وبينه بدون القتل
حتى استلزم ذلك الجزع ارتكابهم لرذيلة الجور في قتله فلذلك كان فعله اساءة للاستيثار وفعلهم اساءة للجزع و

ارادانكم اسائتم الجزع عليه بعد قتله وقد كان ينبغي منكم ذلك الجزع له قبل قتله **وقوله** والله حكم واقع في المستاثر
والجازع المفهوم من ذلك انه يريد بالحكم الواقع لله في المستاثر هو الحكم المقدر اللاحق لعثمن بالقتل المكتوب
بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وفي الجازع هو الحكم اللاحق لقاتليه من كونهم قاتلين او قاتلين وخاذلين
وفي نسبة هذه الاحكام الى الله تعالى تنبيه على تبرئه من الدخول في امر عثمان وقاتليه بعد الاشارة الى السبب
المعد لوقوعها في حقهم وهو الاساءة في الاستيثار والجزع ويحتمل ان يريد الحكم في الاخرة اللاحق لكل من
ثواب او عقاب عن ما ارتكبه من خطا او صواب كانه قال والله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيجزي
كلا بما يستحقه من سعادة او شقاوة وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلم** لما انفذ عبد الله بن عباس
الى الزبير قبل وقوع حرب الجمل ليستفيئه الى طاعته لا تلقين طلحة فانك ان تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب
الصعب ويقول هو الذلول ولكن الق الزبير فانه الين عريكة فقل له يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا
مما بدا قال الرضي رضي الله عنه وهو عليه السلم اول من سمعت منه هذه الكلمة اعني فما عدا مما بدا **اقول** ليستفيئه
اي يسترجعه من فاء اذا رجع وفي رواية ان تلقه تلفه من الفية على كذا اذا وجدته عليه والعقص الاعوجاج وعقص
الاعوجاج وعقص الثور قرنه بالفتح يعقص ~~وعقص الثور قرنه بالفتح يعقص~~ وعقص قرنه بالكسر لازم والصعب الدابة
الجموح الشغبة والذلول السهلة الساكنة والعريكة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة
واصل العرك دلك الجلد بالدباغ وغيره وعدا جاوز وبدا ظهر **واعلم** انه عليه السلم لما نهى ابن عباس عن لقاء طلحة
بحسب ما راى في ذلك من المصلحة نبهه على علة وجه نهيه عنه بقوله فانك ان تلقه تجده كذا وقد شبهه
بالثور واشار الى وجه الشبه بعقص القرن واستعار لفظ القرن وكنى به عن شجاعته ولفظ العقص لما يتبع تغطيته بالقوة
والشجاعة من منع الجانب وعدم الانقياد تحت طاعة الغير اللازم عن الكبر والعجب بالنفس الذي هو عرض للشجاع وزد وجه
الاستعارة الاولى ان القرن آلة القوة للثور ومنع ما يراد به عن نفسه كذلك الشجاعة يلزمها الغلبة والقوة ومنع
الجانب ووجه الاستعارة الثانية ان الثور عند ارادة الخصام يعقص قرنيه اي يرخي راسه ويعطف قرنيه
ليصوبهما الى جهة خصمه ويقارن ذلك منه هيج صادر عن توهم غلبته لقاومه وشدة عليه وانه لا يقدر احد عنده
كذلك المشبه ها هنا علم منه عليه السلم انه عند لقاء ابن عباس له يكون مانعا جانبه متهيئا للقتال مقابلته
بالخشونة وعدم الانقياد له الصادر عن عجبه بنفسه وغروره بشجاعته فلذلك حسن التشبيه ويحتمل ان يكون
وجه الشبه هو التواء طلحة في ارائه وانحرافه عنه عليه السلم التشبيه بالتواء القرن وهو تشبيه للمعقول بالمحسوس
ويقال ان الكبر الذي تداخل طلحة لم يكن فيه قبل يوم احد وانما حدث به في ذلك اليوم وذلك انه ابلى فيه
بلاء حسنا ثم اشار على ابن عباس بلقاء الزبير واشار له الى وجه الراي في ذلك وهو كونه الين عريكة وكنى
بالعريكة عن الطبع والخلق كناية بالمستعار فيقال فلان لين العريكة اذا كان سهل الجانب لا يحتاج فيما يراد منه الى
الى تكلف ومجاذبة تشبيها بالجلد اللين الذي يسهل عركه وفلان شديد العريكة اذا كان بالضد بذلك وظاهر ان الزبير

كان سهل الجانب فلاجل ذلك امره بلقائه لما عهده من طبيعته انها اقبل للاستدراج واقرب الى الانفعال
عن الموعظة وتذكر الرحم واحسن بهذه الاستمالة بتذكر النسب المستلزم تصوره للميل والانعطاف من الطبع
السليم ونحوه قوله تعالى حكاية قول هرون لموسى عليهما السلم يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قال يا ابن ام
ان القوم استضعفوني فان فيه من الاستمالة والاسترقاق بتذكيره حق الاخوة ما يدعو الى عطفه على
ما لا يوجد في كلام اخر واما كون علي عليه السلم ابن خال الزبير فلان ابا طالب وصفية ام الزبير من اولاد
عبد المطلب ابن هاشم **وقوله** فما عدا مما بدا ~~قال ابن ابي الحديد عدا مما بدا~~ قال ابن ابي الحديد عدا بمعنى صرف ومن
ههنا بمعنى عن ومعنى الكلام فما صرفك عما كان بدا منك اي ظهر اي ما الذي صدك عن طاعتي بعد
اظهارك لها وحذف الضمير المفعول كثير كقوله تعالى وسئل من ارسلنا قبلك اي ارسلناه وقال القطب
الراوندي له معنيان احدهما ما الذي منعك مما كان قد بدا منك من البيعة قبل هذه الحالة الثاني ما الذي
عاقك من البدا الذي يبدو للانسان ويكون المفعول الثاني لعدا محذوفا يدل عليه الكلام اي ما عداك
يريد ما شغلك وما منعك عما كان بدا لك من نصرتي قال ابن ابي الحديد ليس في الوجه الثاني ما ذكره
القطب زيادة على الوجه الاول الا زيادة فاسدة اما انه لا زيادة فلانه فسر عدا في الوجهين بمعنى منع وفسر
قوله مما كان بدا منك في الوجهين ايضا بتفسير واحد فلم يبق بينهما تفاوت واما الزيادة الفاسدة
فظنه ان عدا يتعدى الى مفعولين وهو باطل باجماع النحاة واقول الوجه الذي ذكره ابن ابي الحديد هو الوجه
الاول من الوجهين اللذين ذكرهما الراوندي لان الصرف والمنع لا كثير تفاوت بينهما وان كان قد يفهم ان المنع
اعم واما اعتراضه عليه بانه لا فرق بين الوجهين اللذين ذكرهما فهو سهو عليه لان معنى بدا في الوجه الاول معنى
ظهر للناس منك من البيعة لي ومراده به في الثاني ما ظهر لك من الراي من نصرتي وطاعتي وفرق بين ما يظهر
من الانسان لغيره وبين ما يظهر له من نفسه او من غيره فاما ما ذكره انه زيادة فاسدة فالاظهر ان لفظة الثاني
في قوله المفعول الثاني زيادة من قلمه او قلم الناسخ سهوا ويريد اظهاره للمفعول الاول تفسير القول ويكون المفعول
لعدا محذوفا ثم اقول وهذه الوجوه وان احتملت ان تكون تفسيرا الا ان في كل واحد عدولا عن الظاهر من وجه
اما الوجه الذي ذكره المدايني فلانه لما حمل عدا على حقيقتها وهي المجاوزة وحمل بدا على الطاعة السابقة
احتاج الى ان يجعل من بمعنى عن وهو خلاف الظاهر واما الراوندي فانه فسر عدا بمعنى منع او عاق وشغل وحمل
ما بدا على الطاعة السابقة او على البيعة ولا يتم ذلك الا ان يكون من بمعنى عن والحق ان يقال ان عدا بمعنى جاوز
ومن لبيان الجنس والمراد ما الذي جاوز بك عن بيعتي مما بدا لك بعدها من الامور التي ظهرت لك
وحينئذ تبقى الالفاظ على اوضاعها الاصلية مع استقامة المعنى وحسنه وروي عن الصادق جعفر
بن محمد عليهما السلم عن ابيه عن جده قال سالت ابن عباس رضي الله عنه عن تلك الرسالة فقال بعثني
فاتيت الزبير فقلت له فقال اني اريد ما تريد كانه يقول الملك ولم يزدني على ذلك فرجعت الى امير المؤمنين عليه السلم

فاخبره وعن ابن عباس ايضا انه قال قلت الكلمة للزبير فلم يزدني على ان قال انا مع الخوف الشديد لنطمع وسئل ابن عباس
عما يعني الزبير بقوله هذا فقال يقول انا على الخوف لنطمع ان نلي من الامر ما وليتم وفسر غيره ذلك بتفسير آخر
فقال اراد انا مع الخوف الشديد من الله نطمع ان يغفر لنا هذا الذنب **ومن خطبة له عليه السلام** ايها الناس
انا قد اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود يعد فيه المحسن مسيئا ويزداد الظالم فيه عتوا لا ننتفع بما علمنا ولا نسأل عما جهلنا
ولا نتخوف قارعة حتى تحل بنا فالناس على اربعة اصناف منهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه
وكلالة حده ونضيض وفره ومنهم المصلت لسيفه والمعلن بشره والمجلب بخيله ورجله قد اشرط نفسه واوبق دينه
لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه ولبئس المتجر ان ترى الدنيا لنفسك ثمنا ومما لك عند الله عوضا ومنهم من يطلب
الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا قد طامن من شخصه وقارب من خطوه وشمر من ثوبه وزخرف من نفسه
للامانة واتخذ ستر الله ذريعة الى المعصية ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضئولة نفسه وانقطاع سببه فقصرته
الحال على حاله ~~فتحلى على حاله~~ فتحلى باسم القناعة وتزين بلباس اهل الزهادة وليس من ذلك في مراح ولا مغدى
وبقي رجال غض ابصارهم ذكر المرجع واراق دموعهم خوف المحشر فهم بين شريد ناد وخائف مقموع وساكت مكعوم
وداع مخلص وثكلان موجع قد اخملتهم التقية وشملتهم الذلة فهم في بحر اجاج افواههم ضامزة وقلوبهم قرحة
قد وعظوا حتى ملوا وقهروا حتى ذلوا وقتلوا حتى قلوا فلتكن الدنيا اصغر في اعينكم من حثالة القرظ وقراضة الجلم واتعظوا
بمن كان قبلكم قبل ان يتعظ بكم من بعدكم وارفضوها ذميمة فانها قد رفضت من كان اشغف بها منكم قال السيد
رضي الله عنه وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له الى معوية وهي من كلام امير المؤمنين عليه السلام الذي لا شك
فيه واين الذهب من الرغام والعذب من الاجاج وقد دل على ذلك الدليل الخريت ونقده الناقد البصير عمرو بن
بحر الجاحظ فانه ذكر هذه الخطبة في كتاب البيان والتبيين وذكر من نسبها الى معوية ثم تكلم من بعدها بكلام
في معناها جملته انه قال وهذا الكلام بكلام علي اشبه وبمذهبه في تصنيف الناس وفي الاخبار عما هم عليه من
القهر والاذلال ومن التقية والخوف اليق قال ومتى وجدنا معوية في حال من الاحوال يسلك في كلامه مسلك
الزهاد ومذاهب العباد **اقول** عنود جائر وكنود كفور والعتو الكبر والقارعة الخطب العظيم ومهانة النفس حقارتها
وكلالة حد السيف وغيره اذا وقف عن القطع ونضيض وفره قلة ماله والمصلت لسيفه الماضي في الامور بقوته
والمجلب المستعين على الامر بالجمع والرجل جمع راجل واشرط نفسه لكذا اي اعلمها واعدها والموبق دينه اي المهلكه
والحطام متاع الدنيا واصله ما تكسر من اليبس والانتهاز الاختلاس والاستلاب بقدر الامكان والمقنب
بكسر الميم وفتح النون الجمع من الخيل ما بين الثلاثين الى الاربعين وفرع المنبر يفرعه اي علاه وطامن من شخصه اي خفض
والاسم الطمأنينة وشمر من ذيله اذا رفعه وزخرف اي زين وموه وضئولة نفسه حقارتها والمراح المكان الذي تأوي
اليه الماشية بالليل والمغدى هو الذي تأوي اليه بالغداة والشريد المشرد وهو المطرود والناد الذاهب على وجهه
والقمع الاذلال والمكعوم الذي لا يمكنه الكلام كانه سد فوه بالكعام وهو شيء يجعل في فم البعير عند الهياج والثكل

الحزن على فقد بعض المحاب واخملتهم اي اسقطتهم واذلتهم بين الناس والتقية والتقوى الخوف والاجاج الملح
والضامزة الساكنة والحثالة الثفل والقرظ ورق السلم يدبغ به والجلم المقراض يجز به اوبار الابل وقراضته ما
تساقط من قرضه واعلم ان نسبة الخير الى بعض الازمنة والشر الى بعض اخر وتفضيل بعض الازمنة على بعض
نسبة صحيحة لما ان الزمان من الاسباب المعدة لحصول ما يحصل في هذا العالم من الامتزاجات وما يتبعها
مما يعد خيرا او شرا او بعد تفاوت الازمنة في الاعداد لقبول الخير والشر ففي بعضها يكون بحسب الاستقراء ما يعد
شرا اكثر فيقال زمان صعب وزمان جائر خصوصا زمان ضعف الدين والنواميس الشرعية التي هي سبب
نظام العالم وبقائه وسبب الحياة الابدية في الدار الآخرة وفي بعضها يكون ما يعد خيرا اكثر فيقال زمان حسن
وزمان عادل وهو الزمان الذي يكون احوال الخلق فيه منتظمة صالحة خصوصا زمان قوة الدين وظهوره
وبقاء ستر ناموس الشريعة مع علا هذا وان كنا اذا اعتبرنا اجزاء الخير واجزاء الشر الواقعة في كل العالم بحسب
كل زمان زمان لم يكن هناك كثير تفاوت بين الازمنة في ما يعد خيرا فيها او شرا ولذلك قال افلاطن الناس
يتوهمون بكل زمان انه آخر الازمنة ويشتمون تقصيره عما تقدمه وليس يوفون الزمان الماضي والمقيم حقهما من التامل
وذلك انهم يقيسون الاموات في الزمان المقيم الى من تناهت سنه وتجاربه في الزمان الماضي وينظرون الى
قصور المرادات في الزمان المقيم واتساعها في الماضي من غير ان ينظروا الى الاعراض في الزمانين وما اوجبه
كل واحد منهما واذا تتبع هذا بعدل واستقصى تصريف الزمانين من القوى والحيوات والامن والخوف والاسباب
والاحوال كانا متقاربين اذا عرفت هذا فنقول قوله عليه السلام انا قد اصبحنا الى قوله حتى تحل بنا ذم للزمان بصفتي الجور
والشدة لما عدد فيه من الاوصاف المعدودة شرا بالقياس الى نظام العالم وبقائه وذكر من تلك الاوصاف
كونه يعد فيه المحسن مسيئا وذلك من حساب الناس الكسالى عن القيام بطاعة الله فيعدون انفاق المحسن
ماله رياء وسمعة او خوفا او رغبة في مجازاة وكذلك سائر فضائله ردا لكل ذلك طعنا في فضيلته وحسدا ان ينال
رتبة اعلى فيلحقونه بدرجاتهم في الاساءة ومنها انه يزداد الظالم فيه عتوا وذلك ان منشأ الظلم هو النفس الامارة بالسوء
وهي في زمان العدل تكون مقهورة دائما او في اكثر الاحوال وثوراتها في ذلك الوقت طالبة للظلم تكون قليلة واشهار
فالظالم في زمان العدل ان ظلم او تجاوز حده فكالسارق الذي لا يأمن في كل لحظة ان يقع به المكروه فكذلك الظالم في
زمن العدل مقموع بحراسة الشريعة مرصود بعيون طالبيها اما في زمن ضعف الشريعة فالظالم فيه كالناهب
مطلق القوة سؤلها غير ملتفت الى وازع الدين فلا جرم كان عتوه فيه ازيد وقد كان في زمانه عليه السلام اتم
الى عهد الرسول صلى الله عليه وآله كذلك والشهادة لا ينتفع احد فيه بما علموا وهو توبيخ للمقصرين في اعمال الآخرة على
وفق ما علموا من الشريعة ما ينبغي ان يعملوا بها اذ الانتفاع بالعلم انما يكون اذا وافقه العمل واليه الاشارة بقوله عليه السلام
في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل فان المراد بارتحال العلم هو عدم
الانتفاع به وبهتفه بالعمل اقتضاؤه ما ينبغي من مقارنة العمل الموافق لها انهم لا يسألون عما جهلوا وهو توبيخ

للمقصرين في اعمال الآخرة على وفق ما طلب من الشريعة مما ينبغي ان يميل اليها الا الانتفاع بالعلم انما يكون الآوان العمل
واليه الاشارة بقوله عليه السلم في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل في طلب العلم بعدم السؤال
عما جهلوا انه وقلة الالتفات لقصور افهامهم عن فضيلته واستغالهم بحاضر اللذات الحسية
وخاسيسها كونهم لا يعرفون قدره حتى تحل بهم وذلك لعدم فكرهم في عواقب امورهم واشتغالهم بحاضرها عن
الالتفات الى مصالحهم وتدبيرها وهو توبيخ للمقصرين في امر الجهاد وتحريض لهم بذكر القارعة وحلولها بهم
وكل هذه امور مضادة لمصلحة العالم ولذلك عد الزمان الواقعة عنوداً وشديداً والناس على اربعة اصناف
الى قوله قلوا **اقول** وجه هذه القسمة ان الناس اما مريدون للدنيا او لله اما المريدون للدنيا فاما قادرون
عليها او غير قادرين وغير القادرين اما غير محتالين لها او محتالون والمحتالون اما ان يوهلوا نفوسهم للامرة
والملك او لما هو دون ذلك فهذه اقسام خمسة مطابقة لما ذكره عليه السلم من الاصناف الاربعة الذين عرضهم
للذم مع الصنف الخامس الذين افردهم للمدح فالصنف الاول فهم المريدون للدنيا القادرون عليها هو المشار
اليه في القسم الثاني من قسمه بقوله ومنهم المصلت بسيفه والمعلن بشره الى قوله نفره والمقصود بهذا الرديف
القادرون على الدنيا المطلقون لعنان الشهوة والغضب في تحصيل ما يجل كالامن القبائل الدنية فاصلات السيف
كناية عن التغلب وتناول ما امكن تناوله بالغلبة والقهر واعلان الشر المجاهرة بالظلم وغيره من رذائل الاخلاق
والاجلاب بالخيل والرجل كناية عن جمع اسباب الظلم والغلبة والاستعلاء على الغير واشراط نفسه تاهيلها واعدادها
للفساد في الارض وظاهر ان من كان كذلك فقد اوبق دينه وافسده وقوله لحطام ينتهزه او مقنب يقوده او منبر يفرعه
اشارة الى بعض العلل الغائية للصنف المذكور من كونهم بالاوصاف المذكورة واستعار لفظ الحطام للمال ووجه
المشابهة ان اليبس من النبات كما انه لا نفع له بالقياس الى ما بقي خضرته ونضارته او يكون ذا ثمرة كذلك المال للنسبة
الى الاعمال الصالحة الباقي نفعها في الآخرة وانما خص هذه الامور الثلثة لانها الاغلب فيما يسعى اهل الدنيا لاجله
اذ الغالب ان السعي فيها اما لجمع المال او لرياسة دنيوية باقتناء الخيل والنعم او دينية كافتراع المنابر والترأس بناموس الدين مع
قصد الدنيا وقوله ولبئس المتجر الى آخره تنبيه لهذا الصنف من الناس على خسرانهم في افعالهم الشبيهة بالتجارة الخاسرة فان
طالب الدنيا المحصل لها كيف ما اتفق هالك في الآخرة فهو كالبايع لها بما حصل له من دنياه والمعتاض بما عند الله
من الاجر الجزيل والثواب حطاما تفني عينه وتبقى تبعته ولذلك استعار لفظ التجارة لها الصنف الثاني هم المريدون
لها غير القادرين عليها وغير المحتالين لها وهو المشار اليه بقوله ومنهم من لا يمنعه من الفساد في الارض الا مهانة نفسه وكلالة
حده ونضيض وفره وكنى بقوله بكلالة حده عن عدم صرامته في الامور وضعفه عنها وظاهر ان المريد للدنيا
المعرض عن الله لو خلى عن الموانع المذكورة وجد الدنيا لم يكن سعيه فيها الا فسادا الصنف الثالث غير القادرين على
الدنيا مع احتيالهم لها واعدادهم انفسهم لامور دون الملك وهو المشار اليه بقوله ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة
بعمل الدنيا الى آخره فقوله يطلب الدنيا بعمل الآخرة اشارة الى الحيلة للدنيا كالرياء والسمعة وقوله ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا

وقوله

اشارة الى انه يريد الدنيا فقط وقوله قد طامن من شخصه الى آخره تفصيل لكيفية الحيلة فان خضوع الانسان وتطامن شخصه
والمقاربة بين خطوه وتشمير ثوبه وزخرفة لنفسه بما هو شعار الصالحين من عباد الله وستر الله الذي حمى به اهل
التقوى ان يردوا موارد الهلكة يقع من صنف من الناس التماسا لدخولهم في عيون اهل الدنيا وارباب القينات
ليركنوا اليهم في الامانات ونحوها ويجعلون ذلك ذريعة لهم الى ما املوه من الدنيا الفانية فيكونون قد اتخذوا ستر الله
وظاهر دينه وسيلة الى معصيته الصنف الرابع الغير القادرين عليها المحتالون لها الموهلون انفسهم للملك والامرة وهم
المشار اليهم بقوله ومنهم من اقعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه الى آخره وذكر من موانع هذا الصنف عما راموه مانعين
احدهما ضؤولة نفسه الى آخره وذكر من موانع هذا الصنف عما رامه مانعين احدهما ضؤولة نفسه وقصورها عن الشاو
وتخلفها بالعجز عن طلب الملك وان كان مطلوبا له الثاني سبب ذلك الضعف وهو انقطاع سببه من قلة المال و
عدم الاعوان والانصار في الطلب فلذلك وقفت به حاله القعود على حالته التي لم يبلغ معها ما اراد وقصرته عليها
فعدل لذلك الى الحيلة الجاذبة لرغبات الخلق اليه من التحلي بالقناعة والتزين بلباس اهل الزهادة من المواظبة
على العبادات ولزوم ظواهر اوامر الله وان لم يكن ذلك عن اصل واعتقاد قادة اليه وقوله وليس هو من ذلك
في مراح ولا مغدى كناية عن انه ليس من القناعة والزهد في شيء اصلا ويحتمل ان يكون هذا الصنف من غير القادرين
وغير المحتالين الصنف الخامس وهم المريدون لله تعالى وهم المشار اليهم بقوله عليه السلم وبقي رجال الى آخره وذكر
لهم اوصافا الاول كونهم قد غض ابصارهم ذكر المرجع وذلك ان المريد لله اذا التفت الى جنابه المقدس واستحضر انه راجع
اليه لا بد انه يعرض عن غيره حياء منه وابتهالا الى وطاعة الوازع وخوفا ان يجمح ببصره عن صعود
مراتب الاملاك الى مهاوي الهلاك ولان الحس تابع للقلب فاذا كان بصر القلب مشغولا غريقا في جلال الله
كان مستتبعا للحس فلم يكن له التفات من طريقه الى امر آخر وهو المراد بالغض الثاني كونهم قد اراق دموعهم خوف
المحشر واعلم ان خوف الخائفين قد يكون لامور مكروهة لذاتها وقد يكون لامور مكروهة لادائها الى ما هو
مكروه لذاته واقسام القسم الثاني كثيرة كخوف الموت قبل التوبة او خوف نقض التوبة او خوف الانحراف عن القصد
في عبادة الله او خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة او خوف تبعات
الناس عنده او خوف سوء الخاتمة او خوف سبق الشقاوة في علم الله تعالى وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله
الصالحين واغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فان الامر فيه خطر واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف
السابقة لكون الخاتمة تبعا لها ومظهرة لما سبق في اللوح المحفوظ وقد مثل من له خوف السابقة ومن له خوف الخاتمة
برجلين وقع لهما ملك بتوقيع يحتمل ان يكون لهما فيه غنا او هلاك فتعلق قلب احدهما بحال نشر التوقيع وما يظهر
فيه من خير او شر وتعلق قلب الآخر بما خطر للملك حالة التوقيع من رحمة او غضب وهذا التفات الى السبب
فكان اعلى فكذلك الالتفات الى القضاء الازلي الذي جرى بتوقيعه القلم الالهي في اللوح المحفوظ اعلى من
الالتفات الى الابد والى ذلك اشار الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان على المنبر فقبض كفه اليمنى وقال هذا

كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص وليعمل اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة
حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستنقذهم الله تعالى قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعمل اهل الشقاوة بعمل اهل
السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله
والشقي من شقي بقضاء الله والاعمال بالخواتيم واما اقسام القسم الاول فلان يمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته
كسكرات الموت وشدته او سؤال منكر ونكير او عذاب القبر او هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف
الستر والسؤال عن النقير والقطمير او الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه او من النار واغلالها
واهوالها او من حرمان الجنة او من نقصان الدرجات فيها او خوف الحجاب من الله تعالى وكل هذه الاسباب مكروهة
ويختلف حال السالكين الى الله فيها واعلاها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله تعالى وهو خوف العارفين
وما قبل ذلك فهو خوف العابدين والصالحين والزاهدين ومن لم تكمل معرفته بعد اذا عرفت ذلك فمقول الخوف
الذي اشار اليه عليه السلام من هذا القسم اذ خوف الحشر يشتمل ما ذكرناه من اقسامه الثالث كونهم من شريد ناد اي
مشرد في البلاد مطرود اما لكثرة انكاره المنكر والعصبية على مشاهدة المنكر وخائف مقموع وساكت ملجوم اي
كان الفقيه سكت فاه عن الكلام وهو من باب الاستعارة وداع مخلص وثكلان موجع لما اصابه في الدين ومن كثرة
اذى الظالمين وهذا تفصيل لحال احاد المتقين ويحتمل ان يكون ذلك تفصيله لحالهم بالنسبة اي خوف الحشر الى نوعهم
وفعل كل واحد منهم ما ذكر عنه من الحالة التي هو عليها الرابع كونهم قد اخملتهم التقية اي تقية الظالمين وهو تاكيد
لما سبق الخامس كونهم قد شملتهم الذلة اي بسبب التقية السادس كونهم في بحر اجاج واستعار لفظ البحر ووصف الاجاج
لما هم فيه من احوال الدنيا الباطلة ووجه المشابهة ان الدنيا لا تصلح للاحتشاد والاستمتاع بها لكونها سببا للعذاب
في الاخرة كذلك البحر الاجاج لا يمكن سالكه ان يبلغ به جهد العطش بالغة شربه والتروي به وقوله افواههم ضامرة وقلوبهم
قرحة اي انهم لما فطموا انفسهم عن لذاتها وعن الطعام وهلعهم فيه من الانهماك فيها الاجرم كانت افواههم ضامرة
لكثرة صيامهم بعيدة العهد بالمضغ وقلوبهم قرحة من جوع او خوف من الله او عطش الى رحمته ورضوانه او لما
يشاهدونه من كثرة المنكرات وعدم تمكنهم من انكارها ومن روى ضامزة بالزاي المعجمة اراد سكوتهم وقلة كلامهم
السابع كونهم قد وعظوا حتى ملوا اي ملوا او وعظ الخلق لعدم نفعه فيهم الثامن كونهم قهروا حتى ذلوا التاسع كونهم قتلوا
حتى قلوا اي قتلهم الظالمون لعدم انتظامهم في سلكهم فان قلت كيف يقال قتلوا مع بقائهم قلت اسناد القتل الى الكل
لوجود القتل الى الكل لوجود القتل في البعض مجاز من باب اسناد حكم الجزء الى الكل ولان الكل لما كان مقصودا بالقتل
كان كونهم مقتولين علة غائية منهم فجاز اسناد القتل اليهم وان كان المقتول بعضهم **قوله** فلتكن الدنيا في اعينكم
الى آخره امر السامعين باستصغار الدنيا واستحقارها الى حد لا يكون في اعينهم ما هو احقر منها فان حثالة
القرظ وقراضة الجلم في غاية الحقارة والمراد من هذا الامر غاية الترك لها فان استحقار الشيء واستصغاره يستتبع
تركه والاعراض عنه ثم امرهم بالاتعاظ بالامم السالفة فان في المضيين عبرة لاولي الابصار ومحل الاعتبار ما كانوا

فيه من نعيم الدنيا ولذاتها والمباهاة بكثرة قنياتهم ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت وبقاء الحسرة والندامة الشكر
منها حجابا حائلا بينهم وبين الوصول الى حضرة جلال الله وبينههم بقوله قبل ان يتعظ بكم من بعدكم على
انهم مضطرون الى مفارقة ما هم فيه وسيصيرون عبرة لغيرهم وفائدة الامر بالاتعاظ ايضا الاعراض عنها
والامر في عن الاغترار بها ثم لما امرهم بهذه الاوامر التي ليست صريحة في الترك اردف ذلك بالامر الصريح
بالترك فقال وارفضوها ذميمة اي اتركوها حال الحقارة والذمامة ثم نبه بعده على ما يصلح علة لتركها وهو
عدم دوام صحبتها وثباتها لمن كان احب منهم لها اي لو دام سرورها ونعيمها لاحد لدام لاحب الخلق لها
واحرصهم على المحافظة عليها فلما لم تدم لمن هو اشد حبا لها منكم فبالاولى ان لا تدوم لكم واذا كان طباعها رفض
كل محب فالاحرى بذي المروة واللب الترفع والاعراض عمن لا يدوم صحبته ولا يصفوا محبته وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال اهل البصرة قال عبد الله بن عباس رضي الله دخلت على امير
المؤمنين عليه السلم بذي قار وهو يخصف نعله فقال لي ما قيمة هذه النعل فقلت لا قيمة لها فقال والله
لهي احب الي من امرتكم الا ان اقيم حقا او ادفع باطلا ثم خرج عليه السلم فخطب الناس فقال ان الله بعث محمدا
وليس احد من العرب يقرا كتابا ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بواهم محلتهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت
قناتهم واطمانت صفاتهم اما والله ان كنت لفي ساقتها حتى تولت بحذافيرها ما عجزت ولا جبنت وان مسيري
هذا لمثلها ولانقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه ما لي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولاقاتلنهم
مفتونين واني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم **اقول** ذو قار موضع قريب من البصرة وهو الموضع
الذي نصرت فيه العرب على الفرس قبل الاسلام ويخصف نعله اي يخرزها وبواهم اسكنهم والمحلة المنزل
والمنجاة موضع النجاة والقناة الرمح وعمود الظهر النظم للعقار والصفاة الحجر الاملس المنبسط والساقة جمع سائق
وتولت بحذافيرها اي باسرها والبقر الشق واعلم انه عليه السلم قدم لنفسه مقدمة من الكلام اشار فيها الى
فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله في مبعثه وهو سوقه للخلق الى الدين الحق ليبني عليها فضيلة نفسه وكانت
غايته من ذلك ~~توبيخ من ذلك~~ توبيخ من خرج عليه من قريش والاستعداء عليهم **فقوله** ان الله بعث محمدا
الى قوله صفاتهم صدر الكلام اشار فيه الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو ان الداخلتان على
حرفي النفي للحال فان قلت كيف يجوز ان يقال انه لم يكن احد من العرب في ذلك الوقت يقرا كتابا وكانت اليهود
يقراون التورية والنصارى الانجيل قلت ان الكتاب الذي تدعيه اليهود وتسميه في ذلك الوقت التورية
ليس هو الكتاب الذي انزل على موسى عليه السلم فانهم كانوا حرفوه وبدلوه فصار كتابا آخر بدليل قوله تعالى قل
من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
فظاهر انه من حيث هو مبدل ومحرف ليس هو المنزل على موسى عليه السلم واما الكتاب الذي يدعي النصارى
بقاءه في ايديهم فغير معتمد على نقلهم فيه لكونهم كفارا بسبب القول بالتثليث وما النافون للتثليث فهم في

في غاية القلة فلا بعد قولهم ان ما في ايديهم هو انجيل عيسى عليه السلام اذ لا يكون المفرد لهم حال بعث محمد صلى الله عليه وآله كتاب هو من عند الله سلمناه لكن يحمل ان يريد بالعرب جمهورهم فان اكثرهم لم يكن لهم دين ولا كتاب وانما كان بعضهم يتمسك بآثار من شريعة اسمعيل وبعضهم برسوم لهم **وقوله** فساق الناس حتى بوأهم محلتهم الاشارة بسوقه لهم الى سوقه العقلي لاذهانهم بحسب المعجزات الى تصديقه فيما جاء به من القرآن الكريم والسنة النبوية الى معرفة سبيل الله ثم بحسب الترغيب لبعضهم والترهيب لبعض الى سلوك تلك السبيل وتصحيحها وقد بوأهم محلتهم اي منزلتهم ومرتبتهم التي خلقوا لاجلها وكانت هي مطلوب العناية الازلية بوجودهم في هذه الدار وهي لزوم القصد في سبيل الله المسمى اسلاما ودينا وايمانا وهي في الحقيقة المنجاة التي لا خوف على سالكها ولا سلامة للمنحرف عنها وذلك معنى قوله وبلغهم منجاتهم **وقوله** واستقامت قناتهم فالمراد بالقناة القوة والغلبة والدولة التي حصلت لهم مجازا وهو من باب اطلاق اسم السبب على المسبب فان الرمح او الظهر سبب للقوة والشدة ومعنى اسناد الاستقامة اليها انتظام قهرهم ودولتهم **وقوله** واطمأنت صفاتهم استعارة للفظ الصفاة لحالهم التي كانوا عليها ووجه المشابهة انهم كانوا قبل الاسلام في مواطنهم وعلى احوالهم متزلزلين لا يبقى بعضهم بعضا في موطن ولا على حال بل كانوا ابدا في الغارة والنهب والجلاء فكانوا كالواقف على حجر املس متزلزل مضطرب فاطمأنت احوالهم وسكنوا في مواطنهم من كل ذلك بسبب مقدم محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وقوله اما والله ان كنت لفي ساقتها الى قوله ولا جبنت الى آخر الفصل اثبت لنفسه انه كان من ساقتها الى ان تولت باسرها من غير عجز اعتراه ولا جبن والضمير في ساقتها الكتائب الحرب وان لم يجر لها ذكر صريح بل ما يحصل منه معنى الذكر وهو الناس فكانه قال فساق الناس وهم يومئذ كتائب عليه فكنت في ساقتها حتى تولت تلك الكتائب باسرها الحق منها من غالبه وتحملت ان السوق قد يكون سوقا الى الهدى وقد يكون سوق طرد وهزيمة والاول هو غاية عليه السلام من السوق الثاني اذ لم يكن مقصوده من حروبه الا السوق الى الدين ولما لم يمكن حصول الهداية للخلق الا بوجود النبي صلى الله عليه وآله وايضاح سبيل الحق كان ذبه وطرده للكتائب حتى تولت بحذافيرها حماية عن النبي وعن حوزة عن الدين امرا واجبا لا لذاته لكن لغرض تمام الهدى الذي هو غاية وجود النبي **وقوله** ما عجزت ولا جبنت تمام لاثبات الفضيلة المذكورة له وتقرير لما علم من شجاعته وتاكيد لعدم العجز والجبن الذي هو طرف التفريط من فضيلة الشجاعة **وقوله** وان مسيري هذا لمثلها اي لمثل تلك الحال التي كنت عليها معهم زمان كفرهم من سوق كتائبهم وطردها من غير جبن ولا ضعف وهو في معنى التهديد الذي عساه ان يبلغ خصومه ويقوى به نفوس اوليائه وكذلك قوله ولابقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ايضا في معنى التهديد وتنبيه على ما عليه خصومه من الباطل واستعار هنا لفظ الخاصرة للباطل والبقر لتفريق الباطل وتمييز الحق منه تشبيها للمعنى باسناد الحق في عدم تميزه منه بحيوان ابتلع جوهرا نفيسا اعز منه قيمة واتم فائدة فاحتيج الى شق بطنه في استخلاص ما ابتلع

بحسب ما جاء به

وقوله مالي ولقريش استفهام على سبيل الانكار ما بينه وبينهم مما يوجب الاختلاف ووجد اختلافهم وانكار فضيلته ونحوهم لاعذارهم في حربه **وقوله** والله لقد قاتلتهم كافرين اظهار للمنة عليهم بسوقه لهم الى الدين وتعييرا لهم بما كانوا عليه من الكفر ليعترفوا بفضيلته ونعمة الله عليهم به فيخجلوا من مقابلته بالباطل وهو اظهار الانكار عليه اذ كانوا اولى بايمان المكرمة وهو اولى برد عنهم آخرا كما كان اولا وكذلك قوله ولاقاتلنهم مفتونين على احدى الروايتين واما على رواية ولاقاتلتهم مفتونين فهو تهديد بان يوقع بهم القتال على فتنتهم وضلالهم عن الدين وكافرين ومفتونين نصب على الحال وفي ذكره هذين الحالين تنبيه على علة قتاله لهم في الحالتين وهو طلبه لاستصلاحهم على الدين ورجوعهم الى الحق عن الضلال واغراء السامعين بهم **وقوله** اني لصاحبهم بالامس كما انا صاحبهم اليوم اشارة الى انه لم تتغير حالته التي بها قاتلهم كافرين وفائدته تذكيرهم الآن ابلاءه الكفار في ذلك الوقت ليستقهرهم عن محاربته اذ في تذكرهم ما يعيه في جد الاسلام وشدة باسه ما تطير منه القلوب وتقشعر منه الجلود وقد نقلت في تمام هذه الخطبة في بعض النسخ لتضج قريش ضجيجها ان يكن فينا النبوة والخلافة والله ما اتينا اليهم الا انا اجترانا عليهم وذلك اشارة الى السبب الاصلي لخروج طلحة والزبير وغيرهم من قريش عليه وهو الحسد والمنافسة ان يكن الخلافة والنبوة في بني هاشم دونهم والضجيج الصراخ القوي وهو كناية عن اشد مخاصماتهم ومنافراتهم له على هذا الامر وقوله والله ما اتينا الى الخ تاكيد لما نسب اليهم من سبب الخروج بالقسم البار على انه لم يكن الباعث لهم على قتاله او على حسده والبغي عليه امر سوى الاجتراء عليهم اي الشجاعة والاقدام عليهم في منعهم عما يريدون من قول او فعل لا تسوغه الشريعة فانه لما لم يكن ذلك في الحقيقة اساءة في حقهم يستحق بها المكافاة منهم بالاحسان وبردع عن سلوك طرق الضلال تعين ان السبب في الخروج عليه ونكث بيعته هو الحسد والمنافسة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في استنفار الناس الى اهل الشام اف لكم لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم دارت اعينكم كانكم من الموت في غمرة ومن الذهول في سكرة يرتج عليكم حواري فتعمهون وكان قلوبكم مالوسة وانتم لا تعقلون ما انتم لي بثقة سجيس الليالي وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عز يفتقر اليكم ما انتم الا كابل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر الله سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم في غفلة ساهون غلب والله المتخاذلون وايم الله اني لاظن بكم ان لو حمس الوغى واستحر الموت قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج الراس والله ان امرا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فاما انا فوالله دون ان اعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والاقدام ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء ايها الناس ان لي عليكم حقا ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا

تجهلوا او ادبكم كيما تعلموا واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والاجابة حين ادعوكم والطاعة
حين امركم **اقول** روي انه عليه السلم خطب بهذه الخطبة بعد فراغه من امر الخوارج وقد كان قام بالنهروان
فحمد الله واثنى عليه اما بعد فان الله تعالى قد احسن نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى عدوكم من اهل الشام
فقالوا له قد نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ارجع بنا الى مصرنا لنصلح عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عدتنا
مثل من هلك منا المستعين به فاجابهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم الآية
فتلكؤوا عليه وقالوا ان البرد شديد فقال انهم يجدون البرد كما تجدون [illegible] اف لكم ثم تلا قوله تعالى قالوا يا موسى ان فيها
قوما جبارين الآية فقام منهم ناس واعتذروا بكثرة الجراح في الناس وطلبوا ان يرجع بهم الى الكوفة اياما ثم يخرج
بهم فرجع بهم غير راض وانزلهم النخيلة وامرهم ان يلزموا معسكرهم ويوطنوا على الجهاد انفسهم ويقلوا زيارة اهلهم
فلم يقبلوا وجعلوا يتسللون ويدخلون الكوفة حتى لم يبق معه الا القليل منهم فلما راى ذلك دخل الكوفة
فخطب الناس فقال ايها الناس استعدوا القتال عدو في جهادهم القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده
قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه موزعين بالجور والظلم لا يعدلون به وجفاة عن الكتاب نكب عن الدين يعمهون
في الطغيان ويتسكعون في غمرة الضلال فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفى
بالله وكيلا قال فلم ينفروا فتركهم اياما ثم خطبهم هذه الخطبة فقال اف لكم الفصل اف كلمة تضجر من الشيء وغمرات
الموت سكراته التي يغمر فيها العقل والذهول النسيان والسهو ويرتج عليكم اي يغلق والحوار المخاطبة
وتعمهون تتحيرون وترددون والمالوس المجنون والمخالط العقل ويجيل الادجن اي ابد امدي الليالي
والزوافر جمع زافرة وزافرة الرجل انصاره وعشيرته وسعر جمع ساعر واسعار النار تهييجها والهابها والاتعاظ
الغضب وحمس الوغا اشتدت الحرب وجلبة الاصوات وعرقتم اللحم اعرقه اذا ابقيت على العظم منه
مشبا والمشرفية سيوف منسوبة الى مشارف قرى من ارض العرب تدنوا من الريف وفراش الهام العظام
الرقيقة تلي القحف واعلم انه عليه السلم لما استنفرهم الى الحرب وكانوا كثيرا ما يتثاقلون عن دعوته
استقبلهم بالتانيف والتعيير بما لا يرتضيه من افعالهم **وقوله** لقد سئمت عتابكم وكانوا كثيرا ما يتثاقلون
عن دعوته استقبلهم بالتانيف والتعيير بما لا يرتضيه من افعالهم **وقوله** لقد سئمت عتابكم تفسير لبعض
ما انف منه وقوله ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العز خلفا استفهام على سبيل الانكار
عليهم يستلزم الحث على الجهاد فان الجهاد لما كان مستلزما الثواب الآخرة والعزة لجانب وخوف الاعدا
والقعود عنه يستلزم في الاغلب السلامة في الدنيا والبقاء فيها لكن مع طمع العدو فيهم وذلتهم لكانوا
بقعودهم عنه كمن اعتاض الدنيا من الآخرة واستخلف الذل من العزة وذلك مما لا يرضى به ذو عقل سليم
عوضا وخلفا منصوبان على التمييز **وقوله** اذا دعوتكم الى جهاد عدوكم الى قوله لا تعقلون تبكيت لهم
وتوبيخ برذائل تعرض لهم عند دعائهم الى الجهاد الاولى انه تدور اعينهم حيرة وترددا وخوفا من احد امرين اما مخالفة

دعوته او الاقدام على الموت وفي كلا الامرين خطر ثم شبه حالتهم تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمى في
سكرات الموت الساهي فيها عن حاضر احواله المشغول بما يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك تدور
اعينهم حيرة وترددا وخوفا من احد امرين اما مخالفة دعوته او الاقدام على الموت وفي كلي الامرين خطر ثم شبه حالتهم
تلك في دوران اعينهم وحيرتهم بحال المغمى في سكرات الموت الساهي فيها عن حاضر احواله المشغول بما
يجده من الالم ونحوه قوله تعالى ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت الثانية انه يرتج عليهم حواري
ويرتج في موضع الحال وتعمهون عطف عليه اي يرتج عليكم فتحيرون ثم شبه حالهم عند دعائه لهم الى الجهاد
بسببها ثانيا بحال من اختلط عقله اي انهم في حيرتهم وترددهم في جوابه كمخالط العقل لا يفقه ما يقول الثالثة
انهم ليسوا بثقة ابدا وهو وصف لهم برذيلة الخلف والكذب المستلزم لعدم الثقة باقوالهم الرابعة كونهم ليسوا
بركن يميل به المستند اليه على خصمه يقال فلان ركن شديد استعارة له من ركن الجبل وهو جانبه لما بينهما
من المشاركة في الشدة وامتناع المعتصم به ونحوه قوله تعالى لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد اي قوي يمنعني
منكم وهو وصف بالتخاذل والعجز الخامسة ولا زوافر عز يفتقر به وهو وصف لهم برذيلة الذل والحقارة
السادسة تشبيههم بالابل ضل رعاتها والايما الى وجه الشبه وهو انها كلما جمعت من جانب انتشرت
من جانب اشارة الى انهم ضعيفوا العزم متشتتوا الآراء لا يجتمعون على مصلحة بها يكون نظام احوالهم
في الدارين وقد علمت ان ذلك من نقصان القوة العملية وكان منشاها على رذيلة البله السابعة كونهم ليسوا بسعر نار
الحرب اي ليسوا من رجالها وذلك ان مدار الحرب على الشجاعة والراي وقد سبقت منه الاشارة الى ذمهم
بالفشل وضعف الراي فلذلك ليسوا من رجال الحرب ولما استعار لهيجان الحرب لفظ النار لما يستلزم من
الاذى الشديد رشح تلك الاستعارة بذكر الاسعار ووصف رجالها الثامنة كونهم يكادون ولا يكيدون
اي يخدعون ويمكر بهم عدوهم في ايقاع الحيلة بهم وليس لهم قوة المكر والحيلة به وذلك ايضا من رذيلة ضعف الراي
التاسعة كونهم تنتقص اطرافهم فلا يتغيظون اي يغار العدو في كل وقت على بعض بلادهم فيحوزها فلا يشق ذلك
عليهم ولا يحركهم منه انفة وحمية وهو وصف لهم برذيلة المهانة العاشرة كونهم في غفلة ساهون مع انتباه عدوهم
لهم وهو وصف لهم برذيلة الغفلة ايضا عما يراد بهم وقلة تعقلهم لمصالح انفسهم وكل هذا التوبيخ تنفيرا لهم وتنبيه لنفوسهم
الراقدة عن مراقد طبايعها على ما ينبغي لهم من المصالح التي يكون بها نظام احوالهم على قانون الدين **وقوله** والله المتخاذلون
تنبيه على انهم بتخاذلهم سيغلبون واورد الغلب المطلق بعلة التخاذل لانهم الحكم العام ثم عبر لانهم الحكم على انفسهم اذ
خصصهم به فقال غلبتم والله اذ تخاذلتم لم يكن يضعف الذوق كونه عاما **وقوله** وايم الله الى قوله انفراج الراس
اقسم انه ليظن بهم انهم عند اشتداد الحرب وحرارة الموت ينفرجون عنه انفراج الراس اي يتفرقون عنه تفرق
وانفراج الراس مثل قيل اول من تكلم به اكثم بن صيفي في وصية له يا بني لا تنفرجوا عند الشدائد انفراج الراس فانكم بعد ذلك
لا تجتمعون على عز وفي معناه اقوال احدها قال ابن دريد معناه ان الراس اذا انفرج عن البدن لا يعود اليه ولا يكون بعده

ان الرأس اذا انفرج بعض عظامه عن بعض كان ذلك بعيدا لالتيام والعود الى الصحة الرابع قال بعضهم معناه صح

اتصال وقال الشارح انفراج الثاني قال المفضل الراس اسم رجل ينسب اليه قرية من قرى الشام يقال لها بيت الراس وفيها يباع الخمر قال حسان كان سبية من بيت راس يكون مزاجها عسل وماء وهذا الرجل كان قد انفرج عن قومه ومكانه فلم يعد اليه فضرب به المثل في المباينة والمفارقة الثالث قال بعضهم معناه انفرجتم عني راسا اي بالكلية الخامس قيل معناه انفراج من يريد ان ينجو براسه السادس قيل معناه انفراج المراة عن راس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحو قوله عليه السلم في موضع آخر انفراج من يريد ان ينجو براسه السادس قيل معناه انفراج المراة عن راس ولدها حالة الوضع فانه يكون في غاية من الشدة وتفرق الاتصال والانفراج ونحو قوله عليه السلم في موضع آخر انفراج المراة عن قبلها وعلى كل تقدير فمقصوده شدة انفصالهم وتفرقهم عنه احوج ما يكون اليهم واستحرار الموت يحتمل ان يراد شدة الشبه بالحرارة مجازا كما سبق ويحتمل ان يراد به خلوصه وحضوره فيكون اشتقاقه من الحرية والجملة الشرطية خبر ان المخففة من المثقلة واسمها ضمير الشان وهي مع اسمها وخبرها قائمة مقام مفعولي ظن وفيه توبيخ لهم على التقصير البالغ في حقه الى حد ان يظن بهم الظن المذكور **قوله** والله ان امرا الى قوله ان شئت من لطيف الحيلة في الخطاب الموجب للانفعال عنه وذلك انه صور لهم افعالهم من التخاذل عن العدو والضعف وساير افعالهم المذمومة التي الفوا التوبيخ عليها والتعنيف بعبارة يريهم اياها في اقبح صورة واشدها كراهة وابلغها نكاية فيهم وهو تمكينهم للعدو من انفسهم فان افعالهم من التخاذل ونحوه هي بعينها تمكين للعدو فيما يريد بهم واعداد له وتقوية لحاله ولما كان من عادة ظفر العدو احتياج المال والصابر تعريق الحال كنى عن الاول بقوله يعرق لحمه ووجه استعارة عرق اللحم لسلب المال بكليته ظاهر وكذلك كنى عن القتل وساير اسباب الهلاك من فعل العدو بهشم العظم وعن تمزيق الحال السيطم بفري الجلد ثم لما كان من البين ان تخاذلهم عكن لعدوهم منهم وكان تمكين الانسان لعدوه من نفسه بفعل بالافعال المنكرة لا يكون الا عن عجز عظيم وضعف في القلب عن مقاومته لا جرم اثبت العجز وضعف القلب لامر مكن عدوه من نفسه وكذلك بان ورا القسم البار وكنى بضعف القلب عن الجبن واتى بذلك الاثبات على وجه عام لكل ابرى نفرا ذلك ولم يخصهم بالخطاب لان مكن العدو اليهم صريحا وان كانوا هم المقصود بذلك ويحا لمقارهم عن الدخول تحت هذا العموم بالانقياد لامره بالجهاد ثم اردفه بالامر ان يكونوا ذلك المرا الذي وصفه مارضه امرا على سبيل التهديد والتنفير وذلك قوله انت فكن ذالسان سينما اي ذلك المرا الموصوف بالعجز والضعف خطاب للشخص المطلق الصادق على اي واحد منهم كان ويرله ان يكون بصفة المرا الموصوف اولا تنفيرا له عما ذكره مما يلزم الانسان من الاحوال الردية عند تمكينه عدوه من نفسه وروي انه خاطب بقوله انت فكن ذلك الاشعث بن قيس فانه روي انه قال لعلي عليه السلم وهو يخطب ويلوم الناس عن تقاعدهم عن الحرب هلا فعلت فعل ابن عفان فقال له ان فعل ابن عفان مخزاة على من لا دين له ولا وثيقة معه وان امرا امكن عدوه من نفسه يهشم عظمه ويفري جلده لضعيف رايه مأفون عقله انت فكن ذاك ان شئت الفصل **وقوله** فاما انا الى

قوله ما يشاء لما خيرهم ان يكونوا ذلك المرا على سبيل التهديد اردف ذلك بالتبري من حال المرا المذكور ليكون لهم به عليه السلم اسوة في الفرار عن تمكين العدو من انفسهم الابعد بذل النفس في الجهاد اي على تقدير ختيار المخاطب تلك الحال فانه لا يختار ذلك بل دون ان يعطي عدوه من نفسه ذلك التمكين ضرب بالمشرفية تطير منه الهام وتطيح منه السواعد والاقدام وكل ذلك كناية عن اشد المجاهدة ويفعل الله بعد ذلك الجهاد والمناجزة ما يشاء من تمكين العدو او عدم تمكينه فان اليه مصير الامور وعواقبها **وقوله** ايها الناس الى اخره ذكر عليه من الحق وما له عليهم منه ليعرفهم انه ادى ما عليه من الواجب لهم فينبغي ان يخرجوا اليه من واجب حقه الذي فرض الله عليهم فبدا ببيان حقهم عليه لو راوا استدراجا لطباعهم فان البداة بحق الغير قبل حق النفس ادعى الى ادب وهم لسماعه اقبل فذكر منها اربعة امور بها يكون صلاح حالهم في الدارين احدها النصيحة لهم وهي حثهم على مكارم الاخلاق وجذبهم الى ما هو الا يليق بهم في معاشهم ومعادهم الثاني توفير فيئهم عليهم بترك ظلمهم فيه وتحريمه في غير وجهه ما لا يرى مصلحة لهم كما نسبوا الى من كان قبله الثالث تعليمهم كيلا يجهلوا وانما لم يقل كما يعلموا لان ظهور المنة عليهم بذكر نفي الجهل عنهم اشد من ظهورها في ذكر غرض ايجاد العلم لهم ولذلك كان اذى الجهل وانفته من ان يقال له يا جاهل اشد بكثير من نفاره من يقال له لست بعالم الرابع تاديبهم كما يعلموا فهذه الامور الاربعة هي الواجبة على الامام لرعيته واحد منها يرجع الى صلاح ابدانهم وقوامها وهو توفير فيئهم عليهم بضبطه وعدم التصرف فيه لغير وجوه مصالحهم واثنان يرجعان الى صلاح حال نفوسهم اما من جهة اصلاح القوة النظرية وهو التعليم لغرض العلم او من جهة اصلاح القوة العملية وهو التاديب لغرض العمل وواحد مشترك بين مصلحتي البدن والنفس ونظام احوالهما وهو النصيحة لهم ثم اردف ذلك ببيان حقه عليهم وذكر ايضا اربعة الاول الوفاء بالبيعة وهي اهم الامور اذ بها النظام الكلي الجامع لهم معه الثاني النصيحة له في غيبته وحضوره والذب عنه اذ بذلك نظم شمل المصلحة بينهم وبينه ايضا الثالث اجابته حين يدعوهم من غير تثاقل عن ندائه فان في التثاقل عن دعوته ما علمت من قهر العدو وغلبته عليهم وفوات مصالح عظيمة الرابع طاعته حين يامرهم فظاهر ان شمل المصلحة لا ينتظم بدون ذلك وانت تعلم بادنى تامل ان هذه الامور الاربعة وان كانت حقوقا له عليهم الا انه انما يطلبها منهم لما يعود عليهم به من النفع في الدنيا والاخرة فان الوفاء ملكة تحت العفة والنصيحة له سبب لانتظام امورهم به واجابته اذا دعي الله الجاذب الى الخير والمصلحة وكذلك طاعة امره طاعة لامر الله اذ هو الناطق به وقد علمت ما يستلزم نظام الله من الكرامة عنده وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلم** بعد التحكيم الحمد لله وان اتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل واشهد ان لا اله الا الله ليس معه اله غيره وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله اما بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري ونخلت لكم مخزون رايي لو كان يطاع لقصير امر فابيتم علي اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح الا ضحى الغد روي ان عمرو بن العاص لما سوى

الاشعري لما التقيا بدومة الجندل وقد حكما في امر الناس كان علي يومئذ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به
فلما تمت خدعة عمرو لابي موسى وبلغه عليه السلم ذلك اغتم له غما شديدا ووجم منه وقام فخطب الناس فقال الحمد لله
الفصل وزاد بعد الاستشهاد ببيت دريد في بعض الروايات الا ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم
الكتاب واحييا ما امات واتبع كل واحد منهما هواه وحكم بغير حجة ولا بينة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشد
الله فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للسير واصبحوا في معسكركم يوم كذا واما قصة التحكيم وسببها فنذكرها في التواريخ
والخطب الامر العظيم وفدحه الامر اذا غاله وابهظه والجاف خشن الطباع الذي ينبو طبعه عن المؤانسة فيقاطع
ويباين **فقوله** الحمد لله الى قوله الجليل قد عرفت نسبة الخير والشر الى الدهر على اي وجه هو ومراده احمد الله على
كل حال من السراء والضراء وان هنا للغاية ويفهم من هذا الصدر وقوع الخطب الفادح وهو ما وقع من امر
الحكمين رحمة الله عليه وقوله ليس معه اله غيره تاكيد لمعنى كلمة التوحيد وتقرير لمقتضاها **وقوله** اما بعد
الى قوله الندامة القيود الاربعة التي ذكرها من صفات المشير معتبرة في حسن الراي ووجوب قبوله اما
كونه ناصحا فلان الناصح يصدق الفكر ويمحض الراي وغير الناصح ربما يشير بغير الراي فيوقع في المضرة واما
كونه شفيقا فلان الشفقة تحمل على النصح وتحمل على حسن التروي في الامر وايقاع الراي فيه عن تثبت واجتهاد والباعث
على هذين اعني النصح والشفقة اما الدين او محبة المستشير واما كونه عالما فلفائدة اصابته لعلمه وجه
المصلحة في الامر فان الجاهل اعمى لا يبصر وجه المصلحة فيه قال رسول الله صلى الله عليه واله استرشدوا العاقل
ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسين لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر
عداوة العدو العاقل فانه كما يوشك ان يقع بك مكر العاقل كذلك يوشك ان يورطك شور الجاهل واما كونه مجربا فلانه
لا يتم راي العالم ما لم تنضم اليه التجربة وذلك ان العالم وان علم وجه المصلحة في الامر فان ذلك الامر قد يشتمل على وجوه
المفاسد لا يطلع عليها الا بالتجربة مرة ومرة فالمشورة من دون تجربة مظنة الخطا وقيل في منثور الحكم كل شيء محتاج
الى العقل والعقل محتاج الى التجارب واذا عرفت ان طاعة المشير الموصوف بالصفات المذكورة مستلزمة في
اغلب الاحوال للسرور بجني ثمرة رايه والفوز بها لا جرم كانت معصيته ومخالفة رايه مستلزمة للحسرة مستعقبة
للندامة **وقوله** وقد كنت امرتكم في هذه الحكومة امري لما قدم ان معصية المشير المذكور تعقب الحسرة والندامة اردف ذلك
ببيان انه هو المشير وانه اشار عليهم فخالفوه ليتضح لهم انهم عصوا مشيرا قد استكمل شرائط الراي فيتوقعوا الندم
على معصيته **وقوله** ونخلت لكم مخزون رايي استعارة للفظ النخل لاستخلاص صفو رايه واجوده لهم [illegible]
ووجه المشابهة ان جوهر ما ينتفع به مما ينخل من دقيق ونحوه هو المنخول كذلك الراي اجوده وانفعه ما استخلص وصفي
من كدورات الشهوة والغضب **وقوله** لو يطاع لقصير امر مثل وقصير هذا هو قصير بن سعد اللخمي مولى جذيمة
الابرش بعض ملوك العرب واصل المثل ان جذيمة كان قتل ابا الزباء ملكة الجزيرة فبعثت اليه عن حيلة ليتزوج بها خدعة
وسالته القدوم عليها فاجابها الى ذلك وخرج في الف فارس وخلف باقي جنوده مع ابن اخته عمرو بن عدي

وكان قصير اشار على جذيمة ان لا يتوجه اليها فلم يقبل رايه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة ولم
ير منهم اكراما فاشار عليه قصير بالرجوع عنها وقال انها امراة ومن شان النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل اليها غدرت
به وقتلته فعندها قال قصير لا يطاع لقصير امر فذهبت مثلا لكل عاص هو مصيب في رايه وقد يتوهم ان جواب لو ههنا
مقدم ولو كانت جوابها محذوف والمعنى تتضح بترتيب الكلام والتقدير اني كنت امرتكم امري في هذه الحكومة ونخلت لكم
فلو اطعتموني لفعلتم ما امرتكم به ومحضت لكم النصيحة فيه فقولنا لفعلتم هو تقدير الجواب ومما نبه عليه ان قوله فابيتم
على اباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة وهو في تقدير استثناء نقيض ذلك التالي وتقديره لكنكم ابيتم على اباء
من خالف الامر وجفاء المشير وعصاه حتى شك في نصحه هل كان صوابا او خطا وهذا الحكم حق فان المشير بالراي
الصواب اذا كثر مخالفوه فقد يتهم نفسه في صحة ذلك الراي وصوابه لان استخراج وجه المصلحة في الامر انما
يغلب على الظن بكثرة الامارات اللائحة للمشير فاذا جوز المشير ان يكون خلاف ما رآه هو المصلحة فلا مانع ان
ان يعرض لغيره امارات اخرى يغلب على ظنه ان ما رآه هو ليس بمصلحة فيعارض بها ما رآه الاول حقا ويخالفه
في رايه فاذا كثرت تلك المخالفة من جمع عظيم جاز ان يتشكك الانسان فيما ظنه من المصلحة انه ليس بمصلحة وان
الامارات التي اقتضت ذلك الظن غير صحيحة ولذلك قال عليه السلم حتى ارتاب الناصح بنصحه وعنى بالناصح نفسه
او من راي رايه للاطباق اكثر اصحابه على مخالفتهم وقال بعض الشارحين يجوز ان يعني بالناصح نفسه لانه عليه السلم منزه عن ان
يشك فيما رآه صوابا بعد شوره به **وقوله** وضن الزند بقدحه قيل هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده اذا لم يجد لها قابلا
عارفا بحقها اذا لم يتمكن من افادتها فان المشير اذا اتهم واستغش او خطئ في رايه ربما لا ينقدح له بعد ذلك
راي صالح لحكم الغضب عليه من جهة مخالفيه وعدم قبول رايه ولما كان غرضه ان يقرر عليهم الندامة في مخالفة
رايه ويريهم ثمرة عصيانهم امره الصادر عن معاينة وجه المصلحة كما هو قال فكنت واياكم كما قال اخو هوازن امرتهم امري
بمنعرج اللوى البيت وهو لدريد بن الصمة من قصيدة له في الحماسة اولها نصحت لعارض واصحاب عارض ورهط بني السوداء
والقوم شهدي وقصته في هذه القصيدة ان اخاه عبد الله بن الصمة غزا بني بكر بن هوازن بن غطفان فغنم منهم
واستاق ابلهم فلما كان بمنعرج اللوى قال لا والله لا ابرح حتى انحر النقيعة وهي ما ينحر من النهب قبل القسمة فاجل
السهام فقال له اخوه دريد لا تفعل فان القوم في طلبك فابى عليه واقام ونحر النقيعة وبات فلما اصبح هجم القوم
عليه وطعن عبد الله بن الصمة فاستغاث باخيه دريد فنهنه عنه القوم حتى طعن هو ايضا وصرع وقتل عبد الله
وحال الليل بين القوم فنجا دريد بعد طعنات وجراح حصلت له فقال القصيدة وانما قال عليه السلم اخو هوازن
لنسبته اليهم فان دريد بن الصمة من جشم بن معوية بن بكر بن هوازن ونحوه قوله تعالى واذكر اخا عاد لنسبته فيهم وقوله
قال لهم اخوهم لوط ويكفي في اطلاق لفظ الاخ مجاز بمجرد الاتصال بهم والملابسة لهم وقد عرفت ذلك ووجه تمثله عليه السلم
بالبيت انه واياكم في نصحي لكم ونهيي عن الحكومة ومخالفتكم امري المستلزمة لندامتكم على التفريط كهذا القائل
مع قومه حيث نصح لهم فعصوه فلحقهم ما لحقهم من الندامة والهلاك واعلم ان الذي كان اشار به على اصحابه

هو ترك الحكومة والصبر على قتال اهل الشام ومحل النبيان امارات الغلبة ليلة الهرير كانت لايحة على اهل الشام
ومحل النبيان امارات الغلبة فلما عاينوا الهلاك استشار معوية بعمرو بن العاص في كيفية الخلاص
فقال عمرو ان رجالك لا يقوم لرجاله ولست مثله انه يقاتلك على امر وانت تقاتل على غيره انت تريد البقاء
وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن الق
الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فانك بالغ به
حاجتك واني لم ازل اوخر هذا الامر لوقت حاجتك اليه فعرف معوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف
على اطراف الارماح وكان عددها خمسمائة مصحف ورفعوا مصحف المسجد الاعظم على ثلثة ارماح مشدودة
يمسكها عشرة رهط ونادوا باجمعهم الله الله معشر العرب في النساء والبنات الله الله في دينكم هذا كتاب
الله بيننا وبينكم فقال عليه السلم اللهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحق المبين
وحينئذ اختلف اصحابه فقالت طائفة القتال القتال وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحل لنا الحرب
وقد دعينا الى حكم الكتاب ونادوا من كل جانب الموادعة الموادعة فقال عليه السلم في جوابهم ايها الناس اني احق
من اجاب الى كتاب الله ولكن معوية وعمرو بن العاص وابن ابي معيط ليسوا باصحاب دين ولا قران اني اعرف
بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا اشر صغار وشر رجال ويحكم انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها انهم
يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق
مقطعه ولم يبق الا ان يقطع دابر القوم الظالمين فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين
اجب اليوم الى كتاب الله اذ دعيت والا قتلناك كما قتلنا عثمان فقال عليه السلم ويحكم انا اول من اجاب الى كتاب الله
واول من دعا اليه فكيف لا اقبله وانما قاتلتهم ليدينوا بحكم القرآن ولكني قد اعلمتكم انهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن
يريدون فقالوا ابعث الى الاشتر يأتيك وقد كان الاشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معوية ليدخله
ولاح له الظفر فبعث اليه فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحابه على سباب ومجادلة
على ما اختاروا من ترك الحرب ونادوا من كل جانب رضي امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا عهدا على الرضا به
وسنذكر كيفيته اجمالا ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم في تخويف اهل النهر فانا نذير لكم
ان تصبحوا صرعى باثناء هذا النهر وباهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم ولا سلطان مبين معكم
قد طوحت بكم الدار واحتبلكم المقدار وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فابيتم علي اباء المخالفين المنابذين
حتى صرفت رأيي الى هواكم وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام ولم آت لا ابا لكم بجرا ولا اردت بكم ضرا
اول — الخطاب للخوارج الذين قتلهم عليه السلم بالنهروان وقد كان القضاء الالهي سبق فيهم بما كان
من الخروج روى في صحاح الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله بينما هو يقسم قسما جاءه رجل من بني تميم يقال له
ذو الخويصرة فقال اعدل يا محمد فقال صلى الله عليه وآله قد عدلت فقال له ثانية اعدل يا محمد فانك لم تعدل

٨٤

قصة ذي الثدية

فقال صلى الله عليه وآله ويلك من يعدل اذا لم اعدل فقام عمر وقال يا رسول الله ايذن لي في ضرب عنقه فقال دعه
فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على حين فرقة من الناس
تحقر صلوتكم في جنب صلوتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج
اليد احدى يديه كانها ثدي امراة او بضعة تدر يقتلهم اولى الفريقين بالحق وفي مسند احمد رضي الله عنه
عن مسروق قال قالت لي عايشة انك من ولدي واحبهم الي فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله
علي بن ابي طالب على نهر يقال لاعلاه تامرا ولاسفله النهروان بين لخافيق وطرفاء قالت ابغني على ذلك بينة فاقمت رجالا
شهدوا عندها بذلك ثم قلت لها سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت منه فقالت سمعته يقول انهم
شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند الله وسيلة فاما سبب خروج هؤلاء القوم فهو
انه عليه السلم لما قهره اصحابه على التحكيم وتظاهروا عنه الرضى به بعد ان حذرهم ووعظهم فلم يفعلوا كتبوا كتاب
التحكيم واخذه الاشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علي فرضوا به حتى مر
برايات عنزة وكان مع علي عليه السلم منهم بصفين اربعة الاف فارس فلما قرأ الكتاب عليهم قال فتيان منهم لا
حكم الا لله ثم حملا على اصحاب معاوية فقتلا فهما اول من حكم ثم مر على مراد ثم على رايات بني راسب ثم على
بني تميم فكلما قرأه عليهم قالوا لا حكم الا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله فرجع الاشعث فاخبر عليا
عليه السلم بذلك فاستصغر امرهم وظن انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين ما راعه الا والناس يتنادون من
كل جانب لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك وقد كنا اخطأنا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى الله وتبنا ارجع
انت وتب الى الله كما تبنا والا برئنا منك فابى علي عليه السلم الرجوع وقال ويحكم ابعد العهد نرجع فانصح بقوله
تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم الآية وابت الخوارج الا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئوا من علي وبرئ منهم
ثم كان اجتماعهم بحروراء فسار اليهم عليه السلم الى الحرورية فناظرهم بها فرجع منهم الفان ثم مضوا الى النهروان وكان
اميرهم يومئذ عبد الله بن الكوا وحين القتال عبد الله بن وهب الراسبي فسار اليهم فخطبهم وقال نحن اهل بيت النبوة
وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وعنصر الرحمة ومعدن العلم والحكمة ايها القوم اني نذير لكم الفصل وروي انه عليه السلم
لما قتلهم طلب ذا الثدية فيهم طلبا شديدا فلم يجده فجعل يقول والله ما كذبت ولا كذبت اطلبوا الرجل وانه لفي القوم
ثم لم يزل يطلبه حتى وجده في وهدة من الارض تحت القتلى وهو رجل مخدج اليد كانها ثدي في صدره وعليها شعرات
كسبال الهرة فكبر علي عليه السلم وكبر الناس معه وسروا بذلك الاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادي والغائط ما سفل
من الارض وطوحت بكم اي توهتكم في اموركم ورمت بكم المرامي واحتبلكم اوقعكم في الحبالة والنكر المنكر ويروى بجرا
والبجر الامر العظيم والداهية ويروى هجرا وهو الساقط من القول ويروى عرا والعر والمعرة الاثم والعر ايضا داء يأخذ
الابل في مشافرها ويستعار للداهية واعلم ان حاصل هذا الفصل تحذير القوم من الهلاك وهم على غير بينة
من ربهم ولا حجة واضحة يحتجون بها على ما يعتقدونه حقا ويعملون عليه وذلك مما يجب الحذر منه

اذ فيه حرمان سعادة الدارين وانما سميت الحجة نفسها سلطانا لان بها الغلبة والتسلط وهو من باب
الاستعارة **وقوله** قد طوحت بكم الدار كنى بالدار عن الدنيا وانما نسب هلاكهم او ابعادهم ورميهم اليها
لان المهلك لهم والموجب لتيههم انما هو اتباع اهوائهم الباطلة التي منشاها انما هو تحصيل امر دنيوي
من مال او جاه ونحوه فكانت الدنيا هي التي رمت بهم المرامي عن رحمة الله واخرجتهم عن طاعته **وقوله**
واحتبلكم المقدار استعارة حسنة لاحاطة القدر النازل عن قضاء الله بهم فهو كحبالة الصايد التي لا
يخرج للطاير منها اذا نزلت به **وقوله** كنت نهيتكم عن هذه الحكومة الى قوله الى هواكم تقرير للحجة عليهم وكانه
يقول لهم ان كان الحق هو عدم الحكومة فلم طلبتموها وابيتم على اباء المخالفين المنابذين لما نهيتكم عنها حتى صرتم
الى هواكم فيها وان كان الحق هو ايقاعها فلم شاققتموني الآن لما اوقعتها وجعلت لله على نفسها عهدا
وعلى المتقدين لزمهم الخطا **وقوله** وانتم معاشر اخفاء الهام سفهاء الاحلام الواو للحال والعامل
صرفت والاضافة في اخفاء وسفهاء غير محضه ولذلك صح كونهما وصفين لمعاشر وخفة الهام كناية
عن رذيلة الطيش المقابلة لفضيلة الثبات والسفه رذيلة مقابلة للحلم والثبات والحلم فضيلتان تحت ملكة
الشجاعة ولما كانت هاتان الرذيلتان نسبة الى الفضيلتين صح اضافتهما اليهما **وقوله** ولم ات لا ابا لكم
بجرا ولا اردت بكم ضرا اخرج مخرج الاعتذار اليهم واستدراجهم بيان نحسن فعله ونفي النكر عنه وعدم
قصد الاساءة ليرجعوا عما شبه اليهم **وقوله** لا ابا لكم كلمة اعتيدت في السنة العرب قال الجوهري يراد بها
المدح وقال غيره يراد بها الذم فان عدم اللحوق باب يستلزم العار والسبة وقيل هي دعا على المراد لا يكون له اب
يعزه ويشد ظهره ونفي الاب يستلزم نفي العشيرة لذلك دعا بالذل وعدم الناصر والله اعلم **ومن كلام له**
عليه السلم يجري مجرى الخطبة فقمت بالامر حين فشلوا ونطقت حين تعتعوا وتطلعت حين تقبعوا ومضيت
بنور الله حين وقفوا وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا فطرت بعنانها واستبددت برهانها كالجبل
لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف لم يكن لاحد فيّ مهمز ولا لقايل فيّ مغمز الذليل عندي
عزيز حتى اخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى اخذ الحق منه رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره اتراني
اكذب على رسول الله والله لانا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه فنظرت في امري فاذا طاعتي
قد سبقت بيعتي واذا الميثاق في عنقي لغيري **اقول** التعتعة الاضطراب في الكلام من الحصر
وتطلع الامر اختباره وتعرفه والتقبع التقبض يقال قبع القنفذ اذا قبض راسه بين كتفيه والاستبداد
الانفراد والرهان ما يرهن ويتسبق عليه والمهمز الغيبة والعيب وكذلك المغمز قال بعض الشارحين
هذا الفصل فيه فصول اربعة التقطها الرضي رحمه الله من كلام طويل له عليه السلم قاله بعد وقعة النهروان
ذكر فيه حاله منذ توفي رسول الله صلى الله عليه واله الى اخر وقت **الفصل الاول** قوله فقمت بالامر
حين فشلوا الى قوله برهانها هذا الكلام ورد في معرض افتخاره واثبات فضيلته على ساير الصحابة

اليهم

لغاية قبول رايه فقيامه بالامر حين فشلهم اشارة الى فضيلة شجاعته اي قمت بامر الله بين يدي رسوله
وبعده في الحروب والمقامات الصعبة التي ضعفوا عنها او الاوقات التي فشلوا فيها او امره في ذلك
ظاهر **وقوله** ونطقت حين تعتعوا اشارة الى ملكة الفصاحة مستتبعة لملكة العلم اي نطقت
في القضايا المبهمة والاحكام المشكلة والمقاول التي حصرت فيها بلغاؤهم مكني بنطقه وبتعتعتهم عن فصاحته
وعيهم **وقوله** وتطلعت حين تقبعوا اشارة الى كبر الهمة في تحصيل ما ينبغي للانسان ان يحصله من
تعرف الامور واختبارها والنظر في مصادرها ومواردها وهي ملكة تحت الشجاعة ولما كان التطلع على
الامر يحتاج الانسان فيه الى نحو من التطاول ومد العنق وتحديق العين ونحوه وكان تعرف الامور واختبارها
لا بد فيه من بعث رايد الفكر الذي هو عين النفس التي بها يبصر وبعد يفحص الامور المعقولة وارسال
التخيل لتفتيش خزاين المحسوسات اشبه ذلك التطلع فاستعير له لفظ التطلع وكنى به عنه **وقوله** حين تقبعوا
اي كان تعرفي للامور حين تقصيرهم عن ذلك ولما كان التقبع يقابل مد العين والتطاول الى روية الاشيا
المسمى تطلعا وكان قصور الفكر ايضا والعجز عن المعرفة يشبه التقبع استعار لهم لفظ التقبع وكنى به عنه
وقوله ومضيت بنور الله حين وقفوا اشارة الى فضيلة العلم اي كان سلوكي لسبيل الحق على
وفق العلم وهو نور الله الذي لا يضل من اهتدى به وذلك حين وقفوا حايرين مترددين جاهلين بالقصد
وكيفيه سلوك الطريق وانما اثبت لنفسه هذه الفضايل وقرن كل فضيلة له برذيلة فيهم تقابلها ليبين
فضله بالنسبة اليهم اذ كان الغرض ذلك **وقوله** وكنت اخفضهم صوتا واعلاهم فوتا كنى بخفض الصوت عن ربط
الجاش في الامور والثبات فيها والتصميم على فعل ما ينبغي من غير التفات الى الحوادث والموانع على فعل ما هو خير
وصلاح فان كثرة الاصوات وعلوها في الافعال التي هي مظنة الخوف دليل الفشل ولا شك ان من كان اشد
في ذلك كان اعلى فوتا واشد سبقا الى مراتب الكمال ودرجات السعادة ممن كان اضعف فيه **قوله**
فطرت بعنانها واستبددت برهانها الضمير ان يعودان الى الفضيلة وان لم يجر لها لفظ فاستعار هنا لفظ
الطيران للسبق العقلي لما يشتركان فيه من معنى السرعة واستعار لفظي العنان والرهان اللذين هما من
متعلقات الخيل للفضيلة التي استكملها نفسه تشبيها الجامع فضايل نفوسهم بخيل الحلبة ووجه المشابهة
ان الصحابة رضي الله عنهم لما كانوا يقتنون الفضايل ويستبقون بها الى رضوان الله وسعادات الاخرة كانت
فضايلهم التي هم عليها يستبقون كخيل الرهان ولما كانت فضيلته عليه السلم اكمل فضايلهم واتمها كانت
بالنسبة الى فضايلهم كالفرس الذي لا يشق غباره فحسن منه ان يستعير لسبقه بها لفظ الطيران
ويجري عليها لفظ العنان والرهان **الفصل الثاني** قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله اخذ الحق منه
وهذا الفصل يحكي فيه قيامه باعباء الخلافة حين انتهائها اليه وجريه فيها على القانون العدل الالهي
الالهية فقوله كالجبل تشبيه له في الثبات على الحق بالجبل فكما لا تحرك الجبل قواصف الرياح وعواصفها كذلك

انكارهم وعدم اعتبارهم لما كان شيئا يقابل قرا الفكر وتقاول الذهن الى معرفة الامور وكان قصور
صح

ذكره

حتى

هو لا يحركه عن سواء السبيل مراعاة هوى لاحد واتباع طبع يخالف ما يقتضيه سنة الله وشرعه بل هو
ثابت على القانون العدل وموافقة الامر الالهي **وقوله** لم يكن لاحد في مهمز ولا لقائل في مغمز اي لم يكن في
عيب عاب به ولا داعي في هذه القرائن الاربع مع الاربع الاخيرة من الفصل الاول السجع المتوازي **وقوله**
الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له اعزازه للذليل اعتناؤه بحاله واهتمامه بامر ظلامته ومن اعتنى بحال الشاكي
فقد اعزه ثم جعل لاعزازه غاية هي اخذ الحق له وكذلك **وقوله** والقوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه
فان ضعف القوي هو قهره تحت حكمه الى غاية يستوفى منه حق المظلوم فان قلت يفهم من هاتين الغايتين
ان نظره الى الذليل بعد استيفاء حقه والى القوي بعد اخذ الحق منه لا يكون على سواء بل يكون التفاته الى القوي
اكثر وذلك ليس من العدل قلت انه لما لم يكن الغرض من الامر بادأة النظر بين الخلق الا اخذ حق الضعيف
من القوي وعدم التظالم بينهم لم يجب مساواة النظر بين القوي والضعيف الا من تلك الجهة ولم يكن اعزازه
للقوي واكرامه في غير وجه الظلم قبيحا لجواز انفراده بفضيلة توجب اعزازه من جهة الدين ايضا **الفصل الثالث**
قد رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله امره الى قوله من كذب عليه قيل ذكر ذلك عليه السلام لما تفرس في طائفة من قومه
انهم يتهمونه فيما يخبرهم به عن النبي صلى الله عليه وآله من اخبار الملاحم في الامور المستقبلة وقد كان منهم
من يواجهه بذلك كما روي انه لما قال سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة
الا انبأتكم بناعقها وسائقها قام اليه انس النخعي فقال اخبرني كم في لحيتي ورأسي طاقة شعر فقال عليه السلام
والله لقد حدثني حبيبي ان على كل طاقة شعر من رأسك ملكا يلعنك وان على كل طاقة شعر من لحيتك شيطانا
يغويك وان في بيتك سخلا يقتل ابن رسول الله وكان ابنه سنان بن انس قاتل الحسين عليه السلام يومئذ
طفلا يحبو وسيأتي تلك الاخبار وقوله رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له امره قد عرفت ان الرضى بقضاء
الله والتسليم لامره باب من ابواب الجنة يفتحه الله لخواص اوليائه ولما كان عليه السلام سيد العارفين بعد رسول
الله صلى الله عليه وآله وكان قلم القضاء الالهي قد جرى على قوم بالتكذيب له والتهمة فيما يقول لاجرم كان هو عليه السلام
اولى الناس بلزوم باب الرضى **وقوله** اتراني اكذب الى قوله عليه استنكار للصدور منهم في حقه التكذيب
واورد حجة لبطلان اوهامهم في حقه ~~من التكذيب له~~ بصورة قياس الضمير مع نتيجته وتقديره والله لانا
اول من صدقه وكل من كان اول مصدق له فلن يكون اول مكذب له فينتج اني لا اكون اول مكذب له **الفصل الرابع**
قوله فنظرت في امري الى آخره فيه احتمالان احدهما قال بعض الشارحين انه مقطوع من كلام يذكر فيه حاله بعد وفاة
الرسول صلى الله عليه وآله وانه كان معهودا اليه ان لا ينازع في امر الخلافة بل ان حصل له بالرفق والا فليمسك
فقوله فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي اي طاعتي لرسول الله فيما امرني به من ترك القتال قد سبقت بيعتي للقوم
فلا سبيل الى الامتناع منها وقوله واذا الميثاق في عنقي لغيري اي ميثاق رسول الله وعهده الي بعدم المسابقة وقيل
الميثاق ما لزمه من بيعة ابي بكر بعد ايقاعها اي فاذا ميثاق القوم قد لزمني فلم يمكني المخالفة بعده الاحتمال

قصة انس النخعي

الثاني ان يكون ذلك في تضجره وتبرمه من ثقل اعباء الخلافة وتكلف مداراة الناس على اختلاف اهوائهم ويكون
المعنى اني نظرت فاذا طاعة الخلق لي وانقيادهم لي قد سبقت بيعتهم لي واذا ميثاقهم قد صار في عنقي فلم اجد بدا
من القيام بامرهم ولم يسعني عند الله الا النهوض بامرهم ولو لم يكن كذلك لتركت كما قال من قبل اما والله لولا حضور الحاضر وقيام
الحجة بوجود الناصر وما اخذ الله على العلماء ان لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لالقيت حبلها على
غاربها ولسقيت آخرها بكاس اولها والاول اشهر بين الشارحين والله اعلم بالصواب **ومن خطبة له عليه السلام**
وانما سميت الشبهة شبهة لانها تشبه الحق فاما اولياء الله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما
اعداء الله فدعاؤهم الضلال ودليلهم العمى فما ينجو من الموت من خافه ولا يعطى البقاء من احبه
اقول يحتمل ان يكون هذا الكلام فصلين احدهما قوله وانما سميت الى قوله ودليلهم العمى والثاني
الباقي فالفصل الاول اشارة الى علة تسمية الشبهة شبهة ثم الى بيان حال الناس فيها اما الاول فالشبهة
عبارة عما يشبه الحق مما يحتج به اما في صورته او في مادته او فيهما معا وظاهر ان علة تسميتها شبهة هو ذلك
الشبه فلا تلحظ حصرها فيه واما الثاني فلان الناس اما اولياء لله او اعداء له اما اولياؤه فلما كانت نفوسهم
مشرقة بنور اليقين مستضيئة بمصباح التقى في سلوك الصراط المستقيم كانت تلك الانوار هدى لهم
في ظلمات الشبهات وحرزهم عن الهوى في مهاوي الجهالات كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم بشراكم
اليوم جنات تجري من تحتها الانهار الآية وهو الهدى المامور بلزوم سمته والسلوك له الى المطالب الحقة وهو المراد
بقوله فضياؤهم فيها اليقين ودليلهم سمت الهدى واما اعداؤه فليس دعاؤهم الى ما يدعون اليه الا الضلال
عن القصد القويم والضلال المخالف عن الطريق الحق وليس ما يعتمدونه دليلا يزعمون انهم يهتدون به السبيل الا الشبهة التي
في غشها عمى لابصار بصائرهم عن مطالعة نور الحق معطل للاذهان من استجابتهم عن اهتداء سبيل الله ومن لم
يجعل الله له نورا فما له من نور واما الفصل الثاني وهو قوله فما ينجو الى آخره فمصداق القضية الاولى قوله تعالى
قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وقوله اينما تكونوا يدرككم الموت الآية وحاصله التذكير بهادم اللذات
والتخويف بذكره والتنفير عن محبة ما لابد من زواله ليفزع السامعون الى العمل لما بعده ان اخذ التوفيق بازمة عقولهم
فان خوفه ومحبة ضده وهو البقاء لا ينفعان في الخلاص منه لكونه ضروريا في الطبيعة ويحتمل ان يكون الكلام متصلا
ويكون الفصل الثاني قد سبق بقبل الاول كلام يحسن تعلقه به وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** منيت بمن لا يطيع اذا
امرت ولا يجيب اذا دعوت لا ابا لكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمشكم اقوم فيكم مستصرخا واناديكم
متغوثا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي امرا حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم
الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الاسر وتثاقلتم تثاقل النضو الادبر ثم خرج الي منكم جنيد متذائب ضعيف كانما
يساقون الى الموت وهم ينظرون **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها عليه السلام في غارة النعمان بن بشير على عين التمر
والسبب ان معاوية بعث النعمان بن بشير في الفي فارس لارهاب اهل العراق فكتب مالك الى علي عليه السلام يطلب النجدة فصعد المنبر

سلوكهم

ما ملك حتى ورد على عين التمر وكان عامله يومئذ من قبل علي عليه السلام مالك بن كعب الارحبي ولم يكن معه الا سوى مائة رجل او نحوها

فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم فان النعمن بن بشير قد نزل به فجمع من اهل الشام
ليس بالكثير فانهضوا الى اخوانكم لعل الله يقطع بكم طرفا من الكافرين ثم نزل فتثاقلوا فارسل الى وجوههم فامرهم بالنهوض
فتثاقلوا ولم يجتمع منهم الا نفر يسير نحو ثلثمائة رجل فقام عليه السلم وقال الا انى منيت الفصل وروى ان الداسرة
كانت لمالك من معه على النعمن وجمعه منيت ابتليت ويحكم اي يغضبكم والمستصرخ المستجلب بصوته من يعينه
والغوث الصوت يستصرخ به وقيل هو قول الرجل واغوثاه والجرجرة ترديد صوت البعير في حنجرته
عند عسفه والسرر داء ياخذ البعير في سرته يقال منه جمل اسر والنضو من الابل البالي من تعب السير والادبر الذي
به دبر وهي القروح في ظهره وفي الفصل مطالب الاول قوله منيت بمن لا يطيع الى قوله دعوت وهو اظهار العذر
نفسه على اصحابه لينسب اليهم التقصير بدونه ويقع عليهم اللائمة بغيرهم الثاني قوله لا ابا لكم الى قوله ام دعوا استنهاض
الى نصرة الله بسوالهم عن سبب تاملهم عن نصرة والذب عن دينه سوالا على سبيل الانكار للسبب وتنبيه
لهم على الاسباب التي توجب اجتماعهم لنصرة الله والغضب له بسوالهم عنها هل هي موجودة لهم ام لا سوالا على
سبيل الانكار ايضا اذ هم يدعون وجودها لهم وهي الدين الذى امروا بلزومه والاتخاذ فيه كما قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفا الاية ثم الحمية وهي ملكة تحت الشجاعة وكذلك قوله اقوم فيكم الى قوله
فيكم الى قوله امر من الاسباب الباعثة لهم ايضا على الاجتماع فان ذكر حالهم في مقابلة ذلك من تاملهم عن نصره
وعدم طاعتهم له ما ينبههم على خطائهم وتقصيرهم وقوله حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة ذكر لغاية تاملهم عن
دعوته وتنبيه ذكر استعقابه المساءة على خطائهم وكذلك قوله ما تدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام عتاب وتوبيخ يبعث
طباع العرب على التالف في النصرة اذ من شانهم ثوران الطباع بمثل هذه الاقوال وقوله دعوتكم الى قوله الادبر
استعار لفظ الجرجرة لكثرة تململهم وقوة تضجرهم من ثقل ما يدعوهم اليه ولما كانت جرجرة الجمل الاسر اشد من جرجرة
غيره لالم خاص شبه ما نسبه اليهم من التضجر بها وكذلك تشبيه تاملهم بتثاقل النضو الادبر وذكرهم ما دعاهم
اليه من نصرة اخوانهم اعنى اصحاب مالك بن كعب المذكور وجوابهم له بالتبرم من ذلك والتثاقل
ذلك من خرج منهم من الجند ووصفه بالاضطراب والضعف وتشبيههم بمن يساق الى الموت وهو ينظر
في تاقله واضطرابه وضعفه عن الحركة الى ما يساق اليه لشدة خوفه كل ذلك ذم وتوبيخ ليستثير طباعهم
عما هي عليه من التثاقل عن نداه والتقصير في اجابة دعائه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم في معنى الخوارج
لما سمع قولهم لا حكم الا لله فقال كلمة حق يراد بها باطل نعم لا حكم الا لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة ولا بد للناس
من امير بر او فاجر يعمل في امرته المومن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الاجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو
وتامن به السبل ويوخذ للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويستراح من فاجر وفي رواية اخرى انه عليه السلم
لما سمع تحكيمهم قال حكم الله انتظر فيكم ثم قال اما الامرة البرة فيعمل فيها التقي واما الامرة الفاجرة فيتمتع فيها
الشقي الى ان تنقطع مدته وتدركه منيته اقول قوله كلمة حق يراد بها باطل هذه الكلمة لما انغرس في اذهان الخوارج

من جهة دعاء اصحاب معويه الى كتاب الله اي ان دعاءهم لكم الى كتاب الله كلمة حق ودعاءهم لكم الى كتاب الله
لكن ليس مقصودهم بها كتاب الله بل غرض آخر باطل وهو فتور الحرب عنهم وتفرق اهوائكم ونحوه مما لا يجوز ان يفعل
قوله نعم لا حكم الا لله تصديق لقولهم لكن لما عليه الكلمة في نفس الامر لا لما ارادوه محقا من ظاهرها فان حصر
الحكم ليس حقا على معنى انه ليس للعبد ان يحكم بغير ما نص كتاب الله عليه فان اكثر الاحكام الفروعية غير منصوص
عليها مع انها احكام الله وكونها متفرعة بحسب الاجتهاد وساير طرقها لمن كان اهلا لذلك ويجب على من
ليس له اهلية الاجتهاد اتباعها ولما تصور الخوارج تلك الكلمة بمعنى انه لا يصح حكم لم يوجد في كتاب الله ولا
يجوز استناده الى العلماء لا جرم قال نعم لا حكم الا لله لكن هؤلاء القوم يقولون لا امرة اي لما نفوا ان يكون لغيره تحكيم نص
عليه فقد نفوا الامرة لان استنباط الاحكام والنظر في وجوه المصالح من لوازم الامرة التي هي حال الامير في
رعيته ونفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ولما كانوا قد نفوا الامرة كذبهم عليه السلم بقوله ولا بد للناس من امير بر او فاجر
فكان وجه الكلام في معنى شرطية متصلة هكذا اذا قالوا لا حكم الا لله كما تصوروه فقد قالوا بنفي الامرة لكن الحق
ثبوت الامرة فبطل القول بنفي الحكم الا لله كما تصوروه باطل بقوله ولا بد للناس من امير في معنى استثناء نقيض تالي
المتصلة وتقريره ان الانسان خلق مدنيا بمقارنة النفس الامارة بالسوء محتاجا الى مجموع قوى في بدنه هي منابع الشر
فاهواء الخلق لذلك مختلفة وقلوبهم متفرقة فكانت طبيعة نظام احوالهم في معاشهم وبقائهم محوجة الى سلطان
قاهر يالف برهبته ما الاهواء ويجتمع بهيبته القلوب وينكف بسطوته الايدي العادية اذ في طباع الخلق من حب
المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه الا بمانع قوي ورادع ملي وقد افصح المتنبي عن
ذلك حيث يقول لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة
فلعلة لا يظلم وهذه العلة المانعة من الظلم عند الاستقراء ترجع الى امور اربعة اما عقل زاجر او دين حاجز
او عجز مانع او سلطان رادع والسلطان القاهر ابلغها نفعا لان العقل والدين ربما كانا مغلوبين بدواعي
بدواعي الهوى فتكون رهبة السلطان اقوى ردعا واعم نفعا وان كان جائرا ظالما روي عن رسول الله صلى الله عليه
وآله ان الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم في الآخرة وروي بالرجل الفاسق وروي عنه انه قال
الامام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه وفي بعض الشر خيار اي ان وجود الامام وان كان جائرا خير من عدمه
المستلزم لوجود الفتنة ووقوع الهرج والمرج بين الخلق اذ كان بوجوده صلاح بعض الامور على انه وان كان
لا خير فيه ايضا من جهة ما هو جائر كما قال وكل لا خير فيه الا ان هيبته ووجوده بين الخلق مما يوجب
الانزجار عن اثارة الفتن فيكون ذلك خيرا وقع في الوجود بوجوده لا يحصل مع عدمه فوجوده مطلقا واجب
وذلك معنى قوله عليه السلم لابد للناس من امير بر او فاجر وقوله يعمل في امرته المومن ويستمتع فيها الكافر الضمير
في امرته عايد الى الامير وكان لفظ الامير يحتمله للبر والفاجر كان المراد بالامرة التي يعمل فيها المومن امرة الامير
من حيث هو بر والتي يستمتع فيها الكافر امرة من حيث هو فاجر وهذا اولى من قول بعض الشارحين ان الضمير

يعود الى الفاجر فان امرة الفاجر ليست لنفسه تمكن المومن من عمله والمراد بعمل المومن فى امرة البر عمله على وفق اوامر الله
ونواهيه اذ ذلك وقت تمكنه منه والمراد باستمتاع الكافر فى امرة الفاجر انهماكه فى اللذات الحاضرة التى
يخالف فيها اوامر الله اذ ذلك وقت تمكنه من مخالفة الدين وقوله يبلغ الله فيها الاجل اى فى امرة الامير
سواء كان برا او فاجرا وفايدة هذه الكلمة تذكر العصاة بلوغ الاجل وتخويفهم به وقوله ويجمع به الفىء الى
قوله القوى للضعيف المجرورة كلها راجعة الى الامير المطلق اذ قد تحصل الامور المذكورة كلها من وجود وكيف
كان برا او فاجرا ومما يؤيد ذلك ان اكثر الخلق متفقون على ان امراء بنى امية كانوا فجارا عدا رجلين او ثلثة كعثمان
وعمر بن عبد العزيز وكان الفىء يجمع بهم والبلاد مفتتحة فى ايامهم والثغور الاسلامية والسبل امنة والقوى ماخوذ
بالضعيف ولم يضرهم فجورهم شيئا فى تلك الامور وقوله حتى يستريح بر ويستراح من فاجر غاية من الامور المذكورة
اى غاية صدور هذه الامور ان يستريح بر بوجودها ويستراح من تعدى الفاجر وبغيه وقد اراد ان هذه
الامور لا تزال تحصل بوجود الامير برا كان او فاجرا الى ان يستريح بر بموته او بعزله واما الرواية الاخرى فمعنى
الكلام فيها ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ان الوفاء توام الصدق ولا اعلم جنة اوقى منه وما يغدر
من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا فى زمان اتخذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ما لهم
قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من امر الله ونهيه فيدعها راى عين بعد القدرة عليها وينتهز
فرصتها من لا حريجة له فى الدين اقول الجنة ما استترت به من سلاح ونحوه والقلب الحول الذى كثر تحوله
وتقلبه فى اختيار الامور وتعرف وجوهها والانتهاز المبادرة الى الامر والفرصة وقت الامكان والحريجة التحرج هو
التحرز من الحرج والاثم واعلم ان الوفاء ملكة نفسانية تنشأ من لزوم العهد كما ينبغى والبقاء عليه والصدق ملكة
يحصل عن لزوم الاقوال المطابقة وهما فضيلتان داخلتان تحت فضيلة العفة متلازمتان ولما كان التوام هو الولد
المقارن لولد اخر فى بطن واحد اشبه الوفاء المقارن للصدق تحت العفة فاستعار لفظه له ثم لما كانت فضيلة الوفاء
مقابلة برذيلة الغدر وفضيلة الصدق مقابلة برذيلة الكذب كانت رذيلتا الغدر والكذب ايضا توامين تحت رذيلة
الفجور المقابلة لفضيلة العفة قوله ولا اعلم جنة اوقى منه حكم ظاهر فان الوفاء وقاية اما فى الاخرة فلاستلزامه
من عذاب الله الذى هو اعظم ما يحذر واما فى دنياه فلاستتاره به من السب والعار وما يستلزمه عدم الوفاء
من الغدر والكذب المهلكين لوجه النفس واذ علمت انه لا شيء مما يجن به من الاسلحة وغيرها الا ما يتوقى
بالوفاء علمت انه لا جنة اوقى من الوفاء وممادح الوفاء ومذام الغدر كثيرة قال تعالى الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون
الميثاق والذين يوفون بعهدهم اذا عاهدوا الاية وقال فى مدحه بالوفاء ومن اوفى بعهده من الله وقال ومن نكث
فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما ومن الخبر فى ذم الغدر لكل غادر لواء يعرف
به يوم القيمة وقوله وما يغدر من علم كيف المرجع اقول العلم بكيفية المرجع الى الله تعالى والاطلاع على ما يؤول
السفر اليه وعلى احوال الاخرة التى هى المستقر صارف قوى عن ارتكاب الرذائل التى من جملتها الغدر وانما خص الغدر

ويستراح من فاجر بموته

ينسبنا اهل الجهل الى ابن العاد لكونه فى معرض مدح الوفاء والترغيب فيه وقوله ولقد اصبحنا فى زمان الى قوله الحيلة
اقول انما اتخذ اهل الزمان الغدر كيسا ونسبهم كثير الى حسن الحيلة لجهل الفريقين بثمرة الغدر
وعدم تميزهم بين الغدر والكيس فانه لما كان الغدر كثيرا ما يستلزم الدهاء والفطن لوجه الحيلة وايقاعها
بالغدور به وكان الكيس ايضا عبارة عن الفطانة والذكاء وجودة الراى فى استخراج وجوه المصالح التى ينبغى
كانت بينهما مشاركة فى استلزام مفهوميهما للفطن والذكاء فى استخراج وجه الحيلة وايقاع الاراء الا ان فطن
الغادر يستعمله فى استنباط الحيلة وان خالفت القوانين الشرعية ووافقت المصالح الكلية فى جنب مصلحة
جزئية تخصه وتفطن الكيس انما يستعمل فى ايقاع راى او حيلة ينظم مصلحة العالم ويوافق القوانين الشرعية
ولدقة الفرق بينهما استعمل الغادرون غدرهم فى موضع الكيس ونسبهم ايضا الجاهلون فى غدرهم الى
حسن حيلتهم كما نسب ذلك الى عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونحوهما ولم يعلموا ان حيلة الغادر
الى رذيلة الفجور وانه لا حسن فى حيلة جرت الى رذيلة وقوله ما لهم قاتلهم الله قد يرى الى اخره دعا عليهم
ما لهم استفهام عن خوضهم فى امره استفهاما على سبيل الانكار وقوله قاتلهم الله
كناية عن عداوته والبعد عن رحمته وظاهر ان اهل الغدر بعداء عن رحمة الله ثم اردف ذلك الدعاء بالاشارة
الى انه لا فضيلة لهم فيما يفتخرون به من الذكاء فى استنباط وجوه الحيلة اذ كانت غايتهم الغدر والخيانة فان الحول
القلب فى الامور قد يرى وجه الحيلة عيانا الا انه يلاحظ فى العمل بها مانع الله ونهيه عن ارتكابها المؤدى اليه
من ارتكاب الرذائل الموبقة فيتركها راى عينه اى حال ما هى مرئية له وبعد القدرة عليها خوفا من الله
تعالى ثم يراها من لا يعتقد اثما فى هدم قواعد الدين فيبادر اليها حال امكانها وليس ذلك بفضيلة بل الفضل
فى الحقيقة لتاركها عن وازع الدين والاشارة بالحول القلب الى نفسه فان شيمته الكريمة كانت كذلك ومن
خطبة له عليه السلام ايها الناس ان اخوف ما اخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع
الهوى فيصد عن الحق واما طول الامل فينسى الاخرة الا وان الدنيا قد ولت حذاء فلم يبق منها الا صبابة كصبابة
الاناء اصطبها صابها الا وان الاخرة قد اقبلت ولكل منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة فان كل ولد
سيلحق بابيه يوم القيمة وان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل اقول حذاء خفيفة سريعة لا يتعلق احد
منها بشيء والصبابة بقية الماء فى الاناء والمقصود بهذا الفصل النهى عن الهوى وطول الامل فى الدنيا
فانهما من اشد اسباب الهلاك فكان الجذب عنهما من اشد اسباب النجاة كما قال تعالى فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا
فان الجحيم هى الماوى واما من خاف مقام ربه الاية ثم التذكير بامور الاخرة واعلم ان الهوى هو ميل النفس الامارة
بالسوء الى مقتضى طباعها من اللذات الدنيوية الى حد الخروج عن حدود الشريعة واما الامل فقد سبق
بيانه ولما كانت السعادة التامة انما هى فى مشاهدة حضرة الربوبية ومجاورة الملأ الاعلى فى مقعد صدق
عند مليك مقتدر وكان اتباع النفس الامارة بالسوء فى ميولها الطبيعية والانهماك فى لذاتها الفانية

ولا تكونوا من ابناء الدنيا

اشد مهلك جاذب للانسان عن قصد الحق وصاد له عن سلوك سبيله وعن الترقي في ملكوت السموات
الى حضيض جهنم كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وكما قال حب الدنيا راس كل خطيئة وقال الدنيا والاخرة ضرتان بقدر ما تقرب من احديهما
تبعد من الاخرى لاجرم كان اخوف ما ينبغي ان يخاف من الامور المهلكة اتباع الهوى واما الامل فلانه
ايضا الامل لما لا ينبغي ان يؤمل فيه من المقتنيات الفانية وظاهر ان طول الامل فيها يكون مطابقا
لاتباع الهوى وبه يكون نسيان الاخرة لان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية توجب دوام ملاحظتها ودوام
ملاحظتها مستلزم لدوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الاخرة وهو مستعقب لانمحاء ما تصور
في الذهن منها وذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي والشقاء الاشقى ولما كان عليه السلم
هو المتولي لاصلاح حال الخلق في امور معاشهم ومعادهم كان الاهتمام بصلاحهم منوطا بهمته العلية فلاجرم
نسب الخوف عليهم الى نفسه **وقوله** الا وان الدنيا قد ولت الى قوله صبابها **اقول** الدنيا بالنسبة الى كل شخص مفارقة
له وخفيفة سريعة الانجفال لم يبق منها بالقياس اليه الا اليسير ولفظ الصبابة هنا استعارة لبقيتها القليلة
والقلة هي وجه تشبيهها بصبابة الاناء ايضا **وقوله** الا وان الاخرة قد اقبلت لما نبه على ان الدنيا سريعة الانجفال
اردف ذلك بالتنبيه على سرعة لحوق الاخرة واقبالها وكل ذلك قطع للامال الفانية وردع عن اتباع الهوى و
انما للصالحين اذ كان العمر في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى والموت هو دهليز الاخرة **وقوله**
ولكل منهما بنون الى قوله يوم القيمة من لطايف كلامه فاستعار لفظ الابناء للخلق بالنسبة الى الدنيا والاخرة
ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شانه الميل الى الوالد اما ميلا طبيعيا او بحسب تصور
المنفعة منه وكان الخلق منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الاخرة ويميل كل منهما الى ما يراد مع ما يحصل من طرف
الدنيا للراغبين فيها مما يتوهم لذة وخيرا او يحصل من طرف الاخرة للراغبين فيها من اللذة والسعادة
اشبه كل بالنسبة الى ما رغب فيه واستفاد منه الخير الابن بالنسبة الى الاب فاستعير لفظه لذلك لما اشبهه
ولما كان غرضه حث الخلق على السعي للاخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال عليه السلم فكونوا من ابناء
الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ثم ذكر فايدة رايه عليهم ان يكونوا كذلك وهي ان كل ولد سيلحق بابيه يوم القيمة
واشار بذلك الى ان ابناء الاخرة والطالبين لها والعاملين لاجلها مقربون في الاخرة لاحقون لمراداتهم
فيها ولهم فيها ما تشتهي انفسهم ولهم ما يدعون نزلا من غفور رحيم واما ابناء الدنيا فان نفوسهم
لما كانت مستغرقة في محبتها وناسية لطرف الاخرة ومعرضة عنها لاجرم كانت يوم القيمة مغمورة في محبة
الباطل مغلولة بسلاسل الهيئات البدنية والملكات الردية المتمكنة من جواهرها فهي لتعلقها بمحبة الدنيا
حيث لا تتمكن من محبوبها بمنزلة ولد لا تعلق له ولا مسكة الا بوالده ولا الف له الا هو ولا انس الا معه ثم حيل بينه
وبينه مع شدة تعلقه به وشوقه اليه واحتاجه الى الضيق الاستهجان وقيل بالعز الهوان فهو في اشد ولوع واعظم حسرة

وغم فاما ابناء الاخرة فهي حضانة ابيهم وفي غنية قد زال عنهم بوس الغربة وشقاء اليتم وسوء الحضن فمن الواجب اذن
معرفة احوال الوالدين واتباع ابرهما ادوم مهما شفقة واعظمهما بركة وما هي الا الاخرة فليكن ذو العقل
من ابناء الاخرة وليكن برا بوالده متوصلا اليه باقوى الاسباب وامتنها **وقوله** وان اليوم عمل الى اخره كنى باليوم
عن مدة الحياة وبغد عما بعد الموت وراعى المقابلة فقابل اليوم بالغد والعمل بلا عمل والاحساب بالحساب واليوم اسم
ان وعمل قام مقام الخبر استعمالا للمضاف اليه مقام المضاف اي واليوم يوم العمل ويحتمل ان يكون اسم ان ضمير الشان
واليوم عمل جملة من مبتدا وخبر هي خبرها وكذلك قوله وغدا حساب ولا عمل وصدق هذين الحكمين ظاهر وغايتهما
التنبيه على وقت العمل وعدمه ليبادروا الى العمل الذي يكونون به من ابناء الاخرة في وقت امكانه قبل مجي الغد الذي
هو وقت الحساب دون العمل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقد اشار عليه اصحابه بالاستعداد لحرب
اهل الشام بعد ارساله الى معوية جرير بن عبد الله البجلي ان استعدادي لحرب اهل الشام بعد ارساله الى معاوية
وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لاهله عن خير ان ارادوه ولكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا
او عاصيا والراي مع الاناة فارودوا ولا اكره لكم الاعداد ولقد ضربت انف هذا الامر وعينه وقلبت ظهره
وبطنه فلم ار فيه الا القتال او الكفر انه قد كان على الامة وال احدث احداثا واوجد الناس مقالا فقالوا ثم نقموا
فغيروا **اقول** وقد كان في ظن كثير من الصحابة بعد ولاية علي عليه السلم ان معوية لا يطيع له بامارات
كثيرة ولذلك اشار عليه اصحابه بعد ارسال جرير اليه بالاستعداد لحربه وروي ان جريرا لما اراد بعثه
قال والله يا امير المؤمنين ما ادخرك من نصرتي شيئا وما اطمع لك في معوية فقال عليه السلم قصدي حجة اقيمها
ثم كتب معه اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان
على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغايب ان يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار اذا اجتمعوا على
رجل فسموه اماما كان ذلك رضا فان خرج من امرهم خارج بطعن او رغبة ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على
اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى ويصليه جهنم وساءت مصيرا وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا
بيعتي فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه
المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك واستعنت بالله عليك
وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله فاما تلك التي تريدها
فخدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ قريش من دم عثمان واعلم انك من الطلقاء
الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت اليك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع
ولا قوة الا بالله وربما حاشى من هذا الكتاب في كتبه عليه السلم الى معوية فاجابه معاوية اما بعد فلعمري لو بايعك
القوم الذين بايعوك وانت بري من دم عثمان كنت كابي بكر وعمر وعثمان ولكنك اغريت بعثمان وخذلت عنه الانصار
فاطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف وقد ابى اهل الشام الا قتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فان فعلت كانت شورى

بين المسلمين ولعمري لك حتى يصح اليوم قتل عثمان ما حجتك على طلحة والزبير لانهما بايعاك ولم ابايعك
اما حجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة لانهم اطاعوك ولم يطعك اهل الشام فاما شرفك في الاسلام
وقرابتك من النبي عليه السلام وموضعك من قريش فلست ادفعه وكتب في آخر الكتاب قصيدة كعب بن
جعيل أرى الشام تكره اهل العراق واهل العراق لها كارهونا وقد ذكرنا بعضها قبل وروى ان الكتاب الذي
كتبه علي عليه السلام مع جرير كانت صورته اني قد عزلتك ففوض الامر الى جرير والسلام وقال لجرير صن نفسك عن
خداعه فان سلم اليك الامر وتوجه الى فاقم انت بالشام وان تعلل بشيء فارجع فلما عرض جرير الكتاب على معوية
تعلل بمشاورة اهل الشام وغير ذلك فرجع جرير فكتب معوية في اثره في ظهر كتاب علي من ولاك حتى تعزلني
والسلام واقول الاستعداد التهيؤ للامر والخداع الاخذ بالحيلة والاناة الاسم من التأني والرفق وارودوا
امهلوا وتمت الامر نفخ القاف انكره فقوله ان استعدادي الى قوله ان ارادوه المراد ان اهل الشام في زمان
كون جرير عندهم في مقام التروي والتفكر في اي الامرين ضعون وان لم يكن كلهم فبعضهم كذلك فلو اعتد
هو الحرب في تلك الحال لعلمهم بذلك فاحتاجوا الى الاستعداد ايضا وانعب القتال فكان ذلك الاستعداد
سبب الغلق الشام الكلي وصرفا لمن يكون في ذهنه تردد في هذا الامر وفي طلبه اللحوق به عما يريد وذلك مضاد
للحزم وقوله لكن قد وقت الى قوله عاصيا اي قد وقت له وقتا يصل اليه فيه لا يتخلف عنه الا لاحد مانعين
اما خداع منهم له ومواعيد مختلفة بالجواب ليمهلوا امورهم في تلك المدة واما عصيان منه ومخالفة فان قلت
حصر تخلف جرير في هذين المانعين غير صحيح لجواز ان يتخلف لمرض او موت او غرض آخر قلت انه عليه السلام
لم يقصد الحصر العقلي وانما اراد الحصر بحسب غلبة الظن الناشئ من الامارات والقرائن الحالية ثم
كلامه عليه السلام في الاسباب الاضطرارية التي من قبل الله تعالى فان ذلك امر مفروغ منه لا يحتاج الى
ذكره واما الموانع الاختيارية فاما منهم وغالب الظن هو الخداع واما منه وغالب الظن انه العصيان اذ لا
يتصور من مثل جرير وقد ارسل في هذا الامر المهم ان يعدل عنه الى شغل اختياري لنفسه او لغيره
الا ان يكون عاصيا وقوله والرأي مع الاناة راي حق اجمع الحكماء على صوابه فان اصابة المطالب
والظفر بها في الغالب انما هو مع التثبت والتأني في الطلب وفي اناة الطالب هي مظنة فكره في الامر
الى تخليص الوجه الاليق والانفس والاشمل للمصلحة في تحصيل مطلوبه ولذلك قال بعض الحكماء الامر
بالتأني يقول من لم يتثبت في الامور لم يعد مصيبا وان اصاب فالغرض وان كان هو الاصابة الا انها
وان حصلت من غير التأني كان مفرطا وثمرة التفريط غالبا الندامة وعدم الاصابة والاصابة
منه نادرة والنادر غير منتفع به ولا ملتفت اليه وقوله فارودوا ولا اكره لكم الاعداد لما نبههم
على فضيلة الاناة امرهم بها ولم يأمرهم بها مطلقا بل نبههم بقوله ولا اكره لكم الاعداد على امور ثلثة احدها
انه ينبغي لهم ان يكونوا على يقظة من هذا الامر حتى يكونوا حال اشارته اليهم قريبين من الاستعداد الثاني

ان لا يتوهم احد منهم فيه مداخلة ضعف عن مقارعة اهل الشام فيداخلهم بسبب ذلك فشل وضعف عزم
الثالث ذكر الشارح ابن ابي الحديد انه عليه السلام وان كان كره الاستعداد الظاهر الا ان قوله ولا
اكره لكم الاستعداد الاعداد تنبيه لهم على الاستعداد الباطن والتهيؤ في السر دون ما كان فراد الشارح بهذا
الوجه ما يتوهم تناقضا وهو كونه قد اشار بترك الاستعداد ثم قال لاصحابه ولا اكره لكم الاعداد وقد علمت
ان ترك الاستعداد في ذلك الوقت واختياره تركه لا ينافي تنبيههم على عدم كراهيته لكونه يقظة على
ما اومأنا اليه وقوله ولقد ضربت الى قوله او الكفر اقول استعار لفظ العين والانف والظهر والبطن
التي هي حقائق في الحيوان لحاله مع معوية في امر الخلافة وخلاف اهل الشام له استعارة على سبيل الكناية
فكنى بالعين والانف عن المهم من هذا الامر وخالصه فان العين والانف اعز ما في الوجه وكنى بالضرب لهما عن
قصده للمهم منه على سبيل الاستعارة ايضا وكنى بلفظي الظهر والبطن لظاهر هذا الامر وباطنه ووجوه الرأي
فيه ولفظ التقليب لتصفح تلك الوجوه وعرضها على العقل واحدا واحدا وقوله فلم ار الا القتال او الكفر
تعيين لما اختاره بعد التقليب والتصفح لوجوه المصلحة في امر مخالفيه وهو قتالهم ونبه على وجه اختياره له
بقوله او الكفر اي ان احد الامرين لازم اما القتال او الكفر وذلك انه ان لم يختر القتال لزمه تركه وتركه مستلزم للكفر
لكن التزام الكفر منه محال فتعين اختياره القتال ومراده بالكفر الكفر الحقيقي فانه صرح بذلك فيما قبل حيث قال
وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني يسعني الا قتالهم او الجحود بما جاء به محمد عليه السلام
فان قلت ما وجه الحصر في القتال والجحود مع ان ترك القتال بدون الجحد ممكن قلت بيانه من وجهين احدهما
قال الشارحون ان الرسول صلى الله عليه وآله كان قد امره بقتال من خالفه لقوله امرت ان اقاتل الناكثين
والقاسطين والمارقين فلو ترك قتالهم مع ما عليه امر الاسلام من الخطر لكان قد خالف امر الرسول وظاهر ان
مخالفة مثله عليه السلام لامر الرسول لا يتصور الا عن عدم اعتقاد صحتها وذلك جحد به وكفر الثاني يحتمل
ان يكون قد تجوز بلفظ الجحود في التهاون بهذا الامر تعظيما له في نفوس السامعين وهو من المجازات السائغة
وقوله انه قد كان الى آخره تنبيه على وجه عذره عما نسبه اليه معوية وجعله سببا لعصيانه له وهو الطلب
بدم عثمان وتهمته له بذلك واراد بالوالي عثمان والاحداث التي احدثها هو ما نسب اليه من الامور التي انكروها
عليه كما سنذكرها واوجد الناس مقالا اي جعل لهم بتلك الاحداث طريقا الى القول عليه فقالوا اي انكروا ما
فعل فغيروه وازالوه فاما الاحداث المنقولة عنه فالمشهور منها بين اهل السير عشرة الاولى توليته امور
المسلمين من ليس اهلا له من الفساق مراعاة للقرابة دون حرمة الاسلام كالوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر
وسعيد بن العاص حتى ظهرت عنه الامور التي اخرجه اهل الكوفة منها بسببها وعبد الله بن ابي سرح مع ظلمه
وتظلم المصريين منه وهو الذي اتهم المسلمون بكاتبه بقتل محمد بن ابي بكر ونقل انهم ظفروا بالكتاب ولاجله عظم
التظلم وكثر الجمع واشتد الحصار عليه الثانية رده الحكم بن ابي العاص الى المدينة بعد طرد رسول الله صلى الله عليه وآله

ما نقل عمر

وبعد امتناع ابي بكر وعمر من رده فخالف في ذلك سنة الرسول وسيرة الشيخين وعمل بعد عزموا بمجرده عن السعيه
الثالثة انه كان يؤثر اهله بالاموال العظيمة من بيت المال من غير استحقاق وذلك في صور منها انه دفع الى
اربعة نفر من قريش زوجهم بناته اربعمائة الف دينار ومنها انه اعطى مروان مائة الف دينار وروي خمس افريقية
وذلك مخالف لسنة الرسول ومن بعده من الخلفاء **الرابعة** انه حمى الحمى عن المسلمين بعد تسوية الرسول بينهم في الماء والكلاء
الخامسة انه اعطى من بيت مال الصدقة المقاتلة وغيرها وذلك مما لا يجوز في الدين **السادسة** انه ضرب عبد الله
بن مسعود رضي الله عنه وهو من اكابر الصحابة وعطل عطاءه حتى كسر بعض اضلاعه وذلك ظلم ظاهر **السابعة**
انه جمع الناس على قراءة زيد بن ثابت خاصة واحرق المصاحف وابطل ما لا شك انه من القرآن المنزل وذلك مخالفة
لله وللرسول ومن بعده **الثامنة** انه اقدم على عمار بن ياسر رحمه الله بالضرب مع انه من اشرف الصحابة ومع علمه
بما قال الرسول صلى الله عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
حتى اصابه الفتق ولذلك صار عمار مظاهرا لبعض المتظلمين منه على قتله وروي انه كان يقول قتلناه كافرا
التاسعة اقدامه على ابي ذر مع ثناء الرسول صلى الله عليه وآله وصحبته له وقوله فيه ما اقلت الغبراء ولا اظلت
الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر حتى نفاه الى الربذة **العاشرة** تعطيله الحد الواجب على عبيد الله
بن عمر بن الخطاب فانه قتل الهرمزان مسلما بمجرد تهمة انه امر ابا لؤلؤة بقتل ابيه ثم لم يقده به وقد كان علي
عليه السلم يطلبه بذلك فهذه هي المطاعن المشهورة فيه وقد اجاب الناصرون لعثمن عن هذه الاحداث
باجوبة مستحسنة وهي مذكورة في المطولات من مظانها وانما ذكرنا هذه الاحداث واوردناها مختصرة لتعلق
المتن بذكرها **ومن كلام له عليه السلم** لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني الى معوية وكان قد ابتاع سبي بني ناجية
من عامل امير المؤمنين عليه السلم واعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به وهرب الى الشام قبح الله مصقلة فعل فعل
السادة وفر فرار العبيد فما انطق مادحه حتى اسكته ولا صدق واصفه حتى بكته ولو اقام لاخذنا ميسوره
وانتظرنا بماله وفوره **اقول** مصقلة هذا كان عاملا لعلي عليه السلم على اردشير خره وبنو ناجية قبيلة نسبوا
انفسهم الى سامة بن لوي بن غالب فدفعتهم قريش عن هذا النسب وسموهم بني ناجية وهي امهم امراة سامة واما
هربه الى الشام فهو ان الخريت احد بني ناجية كان قد شهد مع علي عليه السلم صفين ثم استهواه الشيطان فصار
من الخوارج بسبب التحكيم وخرج هو واصحابه الى المداين مفارقا لعلي فوجه اليهم معقل بن قيس في الف فارس من
اهل البصرة ولم يزل معهم بالعسكر يعبي العسكر حتى لحقوهم بساحل فارس وكان بها جماعة كثيرة من قوم الخريت
وكان فيهم من اسلم عن النصرانية فلما راوا ذلك الاختلاف ارتدوا واجتمعوا عليه فزحف اليهم معقل بمن معه
فقتل الخريت وجماعة منهم وسبا من كان ادرك فيهم من الرجال والنساء ونظر فيهم فمن كان مسلما اخذ بيعته وخلى
سبيله وحمل الباقين من النصارى وعيالهم معه وكانوا خمسمائة نفر حتى مروا بمصقلة فاستغاث اليه الرجال والنساء
وبكوا وطلبوا منه ان يعتقهم فاقسم ليتصدقن عليهم بذلك ثم بعث الى معقل بن قيس فابتاعهم منه

موفوره

هربه مصقلة

بخمسمائة الف درهم ثم وعده ان يحمل المال في اوقات مخصوصة فلما قدم معقل على علي عليه السلم واخبره
القصة شكر سعيه وانتظر المال من مصقلة فابطا به فكتب اليه باستعجاله او بقدومه عليه فلما قرا
كتابه قدم عليه وهو بالكوفة فاقره اياما ثم طالبه بالمال فادى منه مائتي الف درهم وعجز عن الباقي وفر
ملحقا بمعوية فبلغ ذلك عليا فقال الفصل ولنرجع الى المتن فقبحه الله اي نحاه عن الخير والتبكيت كالتقريع
والتانيب والوفور مصدر وفر المال اي نما وزاد وروي موفوره ومقصوده عليه السلم تعداد عدم الكمال
على مصقلة بان خطاه فانه اشار الى جهة الخطا وهي جمعه بين امرين متنافيين في العرف وهما فعل
السادة ذوي المروة والحمية حيث اشترى القوم واعتقهم مع الفرار الذي هو شيمة العبيد ثم اكد عليه السلم
ذلك بمثلين احدهما انه ما انطق مادحه حتى اسكته ويفهم منه معنيان احدهما ان يكون حتى بمعنى اللام
اي لم ينطق مادحه حتى تقصد اسكاته بهربه فان اسكات المادح لا تصور قصده لو قصد الا بعدم
انطاقه وهو لم يتمم فعله الذي يطلب به انطاق مادحه بمدحه من الكرم والحمية والرقة ونحوها فكانه قصد اسكات
مادحه عن مدحه الا انه لاختياره الهروب المستلزم لاسكات المادح صار كالقاصد له فنسب اليه
الثاني ان يكون المراد انه جمع بين غايتين متنافيتين انطاقه لمادحه بفداء الاسرى مع اسكاته بهربه قبل تمام
انطاقه وهو وصف له بسرعة لحاقه لفضيلته برذيلته حتى كانه قصد الجمع بينهما وهذا كما يقال في وصف سرعة
تفرق الاحباب عن اجتماعهم ما اجتمعوا حتى افترقوا اي لسرعة افتراقهم كان الدهر قد جمع لهم بين الاجتماع
والافتراق الثاني قوله ولا صدق واصفه حتى بكته والمفهوم منه كالمفهوم من الذي قبله **وقوله** ولو اقام
الى اخره لما اشار الى خطائه اردفه بما يصلح جوابا لما عساه يكون عذرا له لو اعتذر وهو توهمه التشديد عليه
في امر الباقي من المال حتى كان ذلك الوهم سبب هزيمته وفي بعض الروايات ولو اقام لاخذنا منه ما قدر عليه
فان اعسر انظرناه فان عجز لم ناخذه بشيء والاول هو المشهور وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
الحمد لله غير مقنوط من رحمته ولا مخلو من نعمته ولا مايوس من مغفرته ولا مستنكف عن عبادته الذي لا تبرح
منه رحمة ولا تفقد له نعمة والدنيا دار مني لها الفناء ولاهلها منها الجلاء وهي حلوة خضرة وقد عجلت للطالب
والتبست بقلب الناظر فارتحلوا عنها باحسن ما بحضرتكم من الزاد ولا تسالوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها
اكثر من البلاغ **اقول** هذا الفصل ملتقط من خطبة طويلة له عليه السلم خطب بها يوم الفطر وهو غير
متسق لان بين قوله نعمة وقوله والدنيا فصلا طويلا وهذه الخطبة تنتظم الفصل المتقدم وهو قوله اما بعد فان الدنيا
قد ادبرت وهو فيها بعد هذا الفصل ولم نذكرها كراهة التطويل ولنعد الى الشرح فنقول القنوط الياس
والاستنكاف الاستكبار ومني لها اي قدر والجلاء بالفتح والمد الخروج عن الوطن والتبست امتزجت
والكفاف ما كف عن الناس اي اغنى عنهم من المال والبلاغ ما بلغ مدة الحياة منه وكفى واعلم انه نبه على
استحقاق الله تعالى الحمد ودوامه باعتبار ملاحظة ستة احوال فاشار الى الحالة الاولى بقوله غير مقنوط

بهربه فانه ذكرى عليه ذلك وقال لم انه لم ينطقه
بمدحه فكيف يقصد اسكاته بهربه
وان كان العاقل لا يتصور منه
قصد اسكات مادحه

الا لا ييأس من روح الله

من رحمته مقرر لقوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء ولقوله لا تيأسوا من روح الله إلا القوم الكافرون
وهذه الحال مما يشهد باثباتها العقل اذ كان العبد عند اخذ العناية الالهية بضبعيه يعلم استناد جميع
الموجودات كليها وجزئيها الى مدبر حكيم وانه ليس شيء منها خاليا عن حكمة فيستلزم من ذلك ان ايجاده
له واخذ العهد عليه بالعبادة ليس الا ليجذب الى موطنه الاصلي ومبدائه الاول بالتوحيد المحقق والحمد المطلق
عن نار اججت وجحيم سعرت وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فلا ييأس من روح الله عند نزول الروح
النزول به مما يعده شرا لكونه برجائه اوثق وقلبه بشمول العناية له اعلق فانه لا ييأس من روح الله الا الذين عميت
ابصار بصائرهم عن اسرار الله فهم في طغيانهم يعمهون واولئك هم الخاسرون واشار الى الحالة الثانية بقوله
ولا مخلو من نعمته مقرر لقوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله فسبوغ نعمته دائم لآثار قدرته التي استلزمت
طبايعها الحاجة اليه فوجب لها فيض جوده فاستلزم ذلك وجوب تصريحها بلسان حالها ومقالها بالثناء
المطلق عليه ودوام الشكر له وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم واشار الى الحال الثالثة
بقوله ولا مأيوس من مغفرته تقرير لقوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية
وهي شهادة بشمول ستره وجميل عفوه وغفره لمن جذبت بعقله ايدي شياطينه ليحطه الى مهاوي الهلاك
فيعجز عن مقاومتها بعد ان كانت له مسكة بجناب الله فضعفت تلك المسكة عن ان يكون منجاة له من
مجاذبة هواه وان كان ذلك الغفران متفاوتا بحسب قوة تلك المسكة وضعفها والعقل مما يؤيد ذلك
ويحكم بصحة هذه الشهادة فان كل ذي علاقة بجناب الله سيخلص من العقاب وان بعد خلاصه على ما
نطق به البرهان في موضعه وذلك يستلزم الاعتراف بالاحسان ودوام الثناء والحمد ثم اشار الى الرابعة
بقوله ولا مستنكف عن عبادته تقرير لقوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون الآية وكونه تعالى غير مستنكف عن عبادته شاهد عظيم على كمال عظمته
وانه المستحق للعبادة دون ما عداه اذ هو المستجمع للكمال المطلق فلا جهة نقصان فيه اليها يشار فيكون سببا
للاستنكاف والاستكبار وغير مع مجال السلوب الثلثة بعدها منصوبات على الحال وقوله الذي لا تبرح
له رحمة ولا تفقد له نعمة اعتباران اخران يستلزمان في ملاحظتهما وجوب شكره تعالى ونبه بقوله لا تبرح على دوام
رحمة الله لعباده وقوله لا تفقد له نعمة كقوله ولا مخلو من نعمته ثم اعقب ذلك التنبيه على معايب الدنيا للتنفير عنها
فذكر وجوب الفناء ثم حذر بذكر العيب الاكبر لها الذي رغب مع ذكره وملاحظته من له ادنى بصيرة عن الركون
اليها ومحبة قنيانها وهو مفارقتها الواجبة والجلاء عنها ثم اردف ذلك بذكر جهتين من جهات الميل اليها لهما
احدهما منسوبة الى القوة الذائقة وهي حلاوتها والاخرى الى القوة الباصرة وهي خضرتها واطلق لفظيهما
مجازا كنى به عن جهات الميل اليها من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل واراد بهذين الوصفين اللذين هما وصفا
مدح في معرض ذمها كتقدير اعتراض على ذمها الغرض ان يجيب عنه ولهذا اعقب ذكرهما ما يصلح جوابا وتنبيه على

ما يصيب من الميل اليها من هاتين الجهتين وهو كونها معجلة للطالب اذ كان من شأن المعجل ان ينتفع به
في حال تعجيله دون ما بعد وخصوصا في حق من احب ذلك المعجل ولم يلتفت الى ما سواه والدنيا كذلك
كما اشار اليه بقوله والتبست بقلب الناظر وانما خص الناظر لتقدم ذكر الخضرة التي هي من حظ النظر
فمن عجلت للمنتجع والتبست بقلبه وكان لا بد له من مفارقتها لم ينتفع بما بعدها بل بقي في عذاب الفراق منكوسا
وفي ظلمة الوحشة محبوسا واليه اشار التنزيل الالهي من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا ثم لما نبه على معايبها امر بالارتحال عنها ولم يأمر به مطلقا بل لا بد
معه من استصحاب احسن الازواد اذ كانت الطريق المامور بسلوكها في غاية الوعارة مع طولها وقصر المدة
التي يحصل الزاد فيها فلا ينفع اذن الا الزاد الاقوى الابقى الذي لا يتطرق اليه فناء ولا نقصان اعدك الله
لافاضة رحمته من هذا الارتحال الارتحال الحسي الحاصل لك من بعضها الى بعض ولا من الزاد الماكول الحيواني
فان احسن ما بحضرتك ربما كان منهيا عنه بل المامور به ارتحال آخر يتعقبه من تصور طريق الاخرة فانك
لما علمت ان الغاية من التكاليف البشرية هي الوصول الى حضرة الله ومشاهدة جلال كبريائه علمت من ذلك
ان الطريق الى هذا المطلوب هي ما جوده وشواهد الايمان القاطع لمراحل تلك الطريق ومنازلها هو قوة
عقلك مقتديا باعلامها الواضحة كما انزل منها منازل الاعتة العرفية بالاستدلال باعلام منزل الى اخر على كرم
منه كما ان القوة التركيبية لمتقاعس طبق الى ان تستقر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ولما تصورت معنى
الارتحال وقد علمت ان لكل ارتحال وسفر زادا علمت ان اكرم الزاد واحسنه في هذه الطريق ليس الا التقوى والاعمال
الصالحة التي هي غذاء للعقول ومادة حيوتها واليها الاشارة بقوله تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى واشار
بقوله ما بحضرتكم الى ما يمكن ان ياتي به من الاعمال الصالحة في حيوة الدنيا ثم عقب الامر باتخاذ الزاد بالنهي عن
طلب الزيادة على ما يقوم به صورة البدن من متاع الدنيا اذ كان البدن منزلة مركوب يقطع به النفس مراحل طريقها
والزيادة على المحتاج اليه مما يحوج الراكب الى الاهتمام به والعناية بحفظه المستلزم لمحبته وكل ذلك مثقل للظهر
ومشغل عن الجهة المقصودة وذلك معنى قوله ولا تسألوا منها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها اكثر من البلاغ
ولا تمدن اعينكم فيها الى ما متع المترفون به فقصروا في الرحيل وتشاغلوا بطلب مثل ما شاهدتم وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير الى الشام اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب
وسوء المنظر في النفس والاهل والمال اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل ولا يجمعهما
غيرك لان المستخلف لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا قال السيد رضي الله عنه وابتداء
هذا الكلام روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قفاه امير عليه السلام بابلغ كلام وتممه باحسن تمام
من قوله ولا يجمعهما غيرك الى آخر الفصل **اقول** دعاؤه عليه السلام بهذا الدعاء عند وضعه رجله
في الركاب متوجها الى حرب معاوية ووعثاء السفر مشقته واصله المكان المتعب لكثرة رمله وغوص الارجل

فيه والكآبة والحزن ويشتمل هذا الفصل على الالتجاء الى الله في خلاص طريقة المتوجه فيها ابدا وعودا من الموانع
الصارفة عن تمام المقصود وفي سلامة الاحوال المهمة التي تتعلق النفس بها عن الشغلات البدنية المعوقة
عن عبادة الله واعظمها احوال النفس ثم ما يصحبها من اهل ومال وولد ثم عقب ذلك بالاقرار بشمول
عنايته وجميل رعايته وصحبته تقريرا لقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم اذ كان شان الصاحب العناية
بامور صاحبه وشان الخليفة على الشيء العناية بذلك وحفظه مما يوجب له ضررا واستلزم جمعه له بين هذين الحكمين
وهما الخلافة والاستصحاب بقوله ولا يجمعهما غيرك لكونه تعالى بريا عن الجهة والجسمية اذ كان اجتماعهما ممتنعا
للاجسام اذ لا يكون جسم مستصحبا مستخلفا في حال واحد واكد ذلك وبينه بقوله لان المستخلف لا يكون
لا يكون مستصحبا والمستصحب لا يكون مستخلفا فان قلت هذا الحصر انما يتم لو قلنا ان كل ما ليس بذي جهة فهو
واجب الوجود وهذا المذهب خاص فما وجه صحته مطلقا قلت الحصر صادق على كل تقدير بثبوت امور مجردة عن
الجسمية والجهة سوى الحق سبحانه فالمستحق للجمع بين هذين الامرين بالذات والاولى هو الله تعالى وما سواه
فبالعرض فيحمل الحصر على ذلك الاستحقاق والمبحث عن فائدة الدعاء وسبب اجابته فانه ربما عرض لبعض الاذهان
شبهة فنقول اما ان يكون المطلوب بالدعاء معلوم الوقوع لله او معلوم اللاوقوع وعلى التقديرين لا
فائدة في الدعاء لان ما علم الله وقوعه وجب وما علم عدمه امتنع فنقول في الجواب عن هذا الوهم ان كل كائن فاسد
موقوف في كونه وفساده على شرائط توجد واسباب تعد لا يمكن بدونها كما علمت ذلك في مظانه واذا كان
ذلك فلعل الدعاء من شرائط ما يطلب به وهما وان كانا معلومي الوقوع لله وهو سببهما وعلتهما الاولى الا انه
هو الذي ربط احدهما بالاخر فجعل سبب وجود ذلك الشيء الدعاء كما جعل صحة المريض شربه الدواء وما لم
يشرب الدواء لم يصح واما سبب اجابته فقال العلماء هو توافق الاسباب وهو ان يوافق سبب دعاء رجل مثلا
فيما يدعو فيه وسائر اسباب وجود ذلك الشيء معا عن الباري تعالى لحكمة الهية على ما قدر وقضى ثم الدعاء
وتوقع الاجابة واجب فان انبعاثنا للدعاء سببه من هناك ويصير دعاؤنا سببا للاجابة وموافقا الدعاء لحدوث
الامر المدعو لاجله هما معلولا علة واحدة وقد يكون احدهما بواسطة الاخر وقد يتوهم ان السماويات
تنفعل عن الارضية وذلك انا ندعو فيستجاب لنا وذلك باطل لان المعلول لا ينفعل في علته ابدا واذا لم
يستجب الدعاء للداعي وان كان يرى ان الغاية التي يدعو لاجلها نافعة فالسبب في عدم الاجابة ان الغاية
النافعة ربما لا تكون نافعة بحسب مراده بل بحسب نظام الكل فلذلك يتاخر اجابة دعاء او لا يستجاب له
وبالجملة يكون عدم الاجابة لفوات شرط من شروط ذلك المطلوب حال الدعاء واعلم ان النفس الزكية عند الدعاء
قد يفيض عليها من الاول قوة تصير بها مؤثرة في العناصر فتطاوعها متصرفة على ارادتها فيكون ذلك اجابة
للدعاء فان العناصر موضوعة لفعل النفس فيها واعتبار ذلك في ابداننا فانا ربما تخيلنا شيئا فتغير ابداننا بحسب ما نتصوره
احوال نفوسنا وتخيلاتها وقد يمكن ان تؤثر النفس في غير بدنها كما تؤثر في بدنها وقد تؤثر في نفس غيرها وقد

غاية علاقة بدم

اشرنا الى ذلك في المقدمات وسبحان الله لتلك النفس اذا دعت فما احمد عواقبها اذا كانت الغاية التي تطلبها
بالدعاء نافعة بحسب نظام الكل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** كاني بك يا كوفة تمدين مد الاديم
العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل واني لاعلم انه ما اراد بك جبار سوءا الا ابتلاه الله بشاغل ورماه
بقاتل **اقول** عكاظ بالضم اسم موضع بناحية مكة كانت العرب يجتمع به في كل سنة ويقيمون به سوقا مدة
شهر ويتبايعون ويتناشدون الاشعار ويتفاخرون وفي ذلك قول ابي ذويب اذا بني القباب على عكاظ وقام
البيع واجتمع الالوف فلما جاء الاسلام رفع ذلك والاديم عكاظي منسوب اليها لكثرة ما كان يباع بها
والاديم واحد وجمعه ادم وربما جمع على آدمة كرغيف وارغفة والعرك الدلك والنوازل المصائب والخطاب
ههنا للمشاهد حال المدينة التي هي الكوفة وبك هو خبر كان وتمدين وتعركين وتركبين في موضع النصب
على الحال وتقدير الخطاب كاني حاضر بك ومشاهد لك حال المستقبل حال تجاذب ايدي الظالمين
لاهلك بانواع الظلم وهو المكنى عنه بمدها وشبه ذلك بمد الاديم ووجه الشبه شدة ما يقع بهم من الظلم
والبلاء كما ان الاديم مستحكم الدباغ يكون شديد المد والعرك واستعار لفظ المد والعرك ملاحظة لذلك الشبه
ولفظ الركوب ملاحظة لشبهها بالنوق المطايا وكذلك لفظ الزلازل ملاحظة لشبهها فيما يقع لهم من الظلم
الموجب للاضطراب بالحال بالارض ذات الزلازل ثم اشار الى مشاهدة ثانية لما يقع لمن ارادهم بسوء او اوقع بهم ما
اوقع من البلاء فاشار الى كونهم جبابرة ثم الى ابتلاء الله بعضهم بشاغل في نفسه عما يريده بهم من سوء او يهمه من حادث
خراب ورمي بعضهم بقاتل فاما المصائب التي ابتلي بها اهل الكوفة والنوازل التي عركوا بها فكثيرة مشهورة في
كتب التواريخ واما الجبابرة الذين ارادوا بها سوءا وطغوا فيها فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
واخذهم بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فجماعة فممن ابتلي بشاغل فيها زياد وروي انه كان قد جمع الناس في المسجد
ليامرهم بسب علي والبراءة منه ويقتلهم بذلك فعصمهم الله بعصمته فبيناهم مجتمعين اذ خرج صاحبه فامرهم بالانصراف
وقال ان الامير مشغول عنكم وكان في تلك الساعة قد رمي بالفالج ومنهم ابنه عبيد الله وقد اصابه الجذام ومنهم
الحجاج وقد تولدت في بطنه الحيات واحترق دبره حتى هلك ومنهم عمر بن هبيرة وابنه يوسف وقد اصابهما
البرص ومنهم خالد القسري وقد ضرب وحبس حتى مات جوعا واما الذين رماهم الله بقاتل فعبيد الله بن زياد ومصعب
ابن الزبير والمختار ابن ابي عبيدة الثقفي ويزيد بن المهلب واحوالهم من رامها طالع التاريخ **ومن خطبة له عليه السلام**
الحمد لله كلما وقب ليل وغسق والحمد لله كلما لاح نجم وخفق والحمد لله غير مفقود الانعام ولا مكافأ الافضال اما بعد
فقد بعثت مقدمتي وامرتهم بلزوم الله هذا الملطاط حتى ياتيهم امري وقد رايت ان اقطع هذه النطفة الى شرذمة
منكم موطنين اكناف دجلة فانهضهم معكم الى عدوكم واجعلهم من امداد القوة لكم قال السيد رضي الله عنه يعني
بالملطاط ههنا السمت الذي امرهم بلزومه وهو شاطئ الفرات ويقال لذلك ايضا شاطئ البحر واصله ما استوى
من الارض ويعني بالنطفة ماء الفرات وهو من غريب العبارات وعجيبها **اقول** روي ان هذه الخطبة خطب بها

منه م

ذكر ابتلاء اهل الكوفة

مشهورة ٢

وخفق ٢

عليه السلم وهو النخيلة خارجا من الكوفة متوجها الى صفين لخمس مضين من شوال سنة سبع وثلثين ووقب
الليل اذا دخل وغسق اظلم وخفق النجم غاب ومقدمة الجيش اوله والشرذمة النفر اليسير والاكناف النواحي والملطاط
وقطن بالمكان استوطنها اتخذها وطنا والامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش من الجند واعلم انه قد حمد الله باعتبار
تكرر وصفين ودوام حالين والمقصود والتكرار دوام الحمد لله الان في التقييد بالقيود المذكورة فوايد فالاول قوله
كلما وقب ليل وغسق فيه تنبيه على كمال قدرة الله في تعاقب الليل والنهار واستحقاقه دوام الحمد بالنسبة الى ذلك من ضروب
الامتنان والثاني قوله كلما لاح نجم وخفق وفيه تنبيه على ما يلزم طلوع الكواكب وغروبها من الحكمة وكمال النعمة
كما سبقت الاشارة اليه الثالث الحمد له حال كونه غير مفقود الانعام وقد تكررت الاشارة الى فايدة هذا القيد الرابع
كونه غير مكافا الافضال وفايدته التنبيه على ان افضاله لا يمكن ان يقابل بجزاء اذ كانت القدرة على الجزاء من نعمه
وقد سبق بيان ذلك ايضا فاما قوله اما بعد الى آخره فخلاصته انه عليه السلم لما اراد التوجه الى صفين بعث زياد بن النضر
وشريح بن هاني في اثني عشر الف فارس مقدمة له وامرهم ان يلزموا شاطى الفرات فاخذوا شاطيها من قبل البر مما يلي
الكوفة حتى بلغوا عانات فذلك معنى امره لهم بلزوم الملطاط وهو سمت شاطى الفرات واما هو عليه السلم فلما
خرج من الكوفة انتهى الى المداين فحذرهم ووعظهم ثم سار عنهم وخلف عليهم عدي بن حاتم فاستخلص منهم
ثمان مائة رجل فسار بهم وخلف معهم ابنه زيد فلحقه في عشرة رجل منهم فذلك قوله وقد رايت ان اقطع هذه النطفة
اى الفرات الى شرذمة منكم موطنين اكناف دجلة وهم اهل المداين واما المقدمة فانه لما بلغهم انه عليه السلم
سار على طريق الجزيرة وان معاوية خرج في جموعه لاستقباله كرهوا ان يلقوهم وبينهم وبين علي ع الفرات مع قلة
عددهم فرجعوا حتى عبروا الفرات من هيت ولحقوا به فصوب رايهم في الرجوع اليه وباقي الكلام ظاهر ومن خطبة
له عليه السلم الحمد لله الذي بطن خفيات الامور ودلت عليه اعلام الظهور وامتنع على عين البصير
فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من اثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء اعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء اقرب
منه فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم
يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له
علوا كبيرا اقول قال بطنت الوادي دخلته وبطنت الامر علمت باطنه وفي هذا الفصل مباحث جليلة
من العلم الالهي وجملة من صفات الربوبية اولها كونه تعالى بطن خفيات الامور ويفهم منه معنيان احدهما
كونه داخلا في جملة الامور الخفية ولما كانت بواطن الامور الخفية اخفى من ظواهرها كان المفهوم من كونه بطنها
انه اخفى منها عند العقول الثاني ان يكون المعنى انه نفذ علمه في بواطن خفيات الامور اما المعنى الاول فبرهانه انك
علمت ان الادراك اما حسي واما عقلي ولما كان الباري تعالى مقدسا عن الجسمية منزها عن الوضع والجهة استحال ان
يدركه شيء من الحواس الظاهرة والباطنة ولما كانت ذاته بريئة عن انحاء التركيب استحال ان يكون للعقل اطلاع عليها بالكنه
فخفاؤه اذن على جميع الادراكات ظاهر وكونه اخفى الامور الخفية واضح واما الثاني فقد سبق منا بيان انه عالم الخفيات

والسرائر وثانيها كونه تعالى قد دلت عليه اعلام الظهور وكنى باعلام الظهور عن اياته وآثاره في العالم الدالة
على وجوده الظاهر في كل صورة منها كما قال: وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وهي كناية بالمستعار ووجه
المشابهة ما بينهما من الاشتراك في الهداية والى هذه الاعلام الاشارة بقوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق واعلم ان هذه الطريق من الاستدلال هي طريق المليين وساير فرق المتكلمين فانهم
يستدلون اولا على حدوث الاجسام والاعراض ثم يستدلون بحدوثها وتغيراتها على وجود الخالق
ثم بالنظر في احوال المخلوقات على صفاته واحدة واحدة مثلا باحكامها واتقانها على كونه عليما عالما حكيما وبتخصيص
بعضها بالبعض الآخر على كونه مريدا ونحو ذلك وكذلك الحكماء الطبيعيون يستدلون ايضا بوجود الحركة على محرك وبامتناع
اتصال المحركات لا الى اول على وجود محرك اول غير متحرك ثم يستدلون من ذلك على وجود مبدأ اول واما الالهيون فلهم
في الاستدلال طريق آخر وهي انهم ينظرون اولا في مطلق الوجود انه واجب او ممكن ويستدلون من ذلك على اثبات
واجب ثم بالنظر في لوازم الوجوب من الوحدة الحقيقية على نفي الكثرة بوجه ما المستلزم لعدم الجسمية والعرضية
والجهة وغيرها ثم يستدلون بصفاته على كيفية صدور افعاله عنه واحدا بعد اخر وظاهر ان هذه الطريق اجل
واشرف من الطريق الاولى وذلك لان الاستدلال بالعلة على المعلول اولى البراهين باعطاء اليقين لكون العلم
بالعلة المعينة مستلزما للعلم بالمعلول المعين من غير عكس ولما كان صدر الاية المذكورة اشارة الى طريقة
الاولى تممها اشارة الى هذه الطريقة وهو قوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد قال بعض العلماء وهذه طريق
الصديقين الذين يستشهدون به لا عليه اي يستدلون بوجوده على وجود كل شيء اذ هو مبدؤه ولا يستدلون عليه
بوجود شيء اذ هو اظهر وجودا من كل شيء فان خفي مع ظهوره فلشدة ظهوره وظهوره سبب بطونه ونوره هو حجاب
نوره اذ كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته فلها عدة السنة تشهد بوجوده والحاجة الى تدبيره وقدرته لا يتجافى
شيء من الموجودات شيئا في تلك الشهادات ولا تختص احدها بعدم الحاجات وقد ضرب العلماء الشمس مثلا
لنوره في شدة ظهوره فقالوا ان اظهر الادراكات التي يساعد عليها الوهم ادراك الحواس واظهرها ادراك البصر
واظهر مدركات البصر نور الشمس المشرق على الاجسام وقد اشكل ذلك على جماعة حتى قالوا الاشياء الملونة ليس فيها الا
الوانها فقط من سواد ونحوه فاما انه ليس فيها مع ذلك ضوء يقارن اللون فلا فاذا اريد تنبيه هؤلاء على سهوهم فطريقه
التنبيه بالتفرقة التي يجدونها بين غيبة الشمس بالليل واحتجابها عن الملونات وبين حضورها بالنهار واشراقها
عليها مع بقاء الالوان في الحالين فان التفرقة بين المستضي بها وبين المظلم المحجوب عنها جلية ظاهرة فيعرف وجود النور
الذي يعدم بعدمه ولو فرضت الشمس دائمة الاشراق على الجسم الملون لا تغيب عنه لتعذر على هؤلاء معرفة كون النور شيئا
موجودا زايدا على الالوان مع انه اظهر الاشياء وبه ظهورها ولو تصور لله تعالى تقدس عدم او غيبة لانهدمت
السموات والارض وكل ما انقطع نوره عنه ولادركت التفرقة بين الحالين وعلم وجوده قطعا ولكن لما كانت الاشياء
كلها في الشهادة متفقة والاحوال كلها على نسق واحد مطردة متسقة كان ذلك سببا لخفائه فسبحان من احتجب عن الخلق

بنوره وخفي عليهم لشدة ظهوره وثالثها اشارة الى سلوب يوجب ملاحظة تركيبها تعظيمه تعالى احدها كونه
ممتنعا على عين البصيرة اي لا يصح ان يدرك بحاسة البصر وصدق هذا السلب ظاهر بدليل انه كما ان الباري تعالى
هو غير جسم وغير ذي وضع وكل ما كان كذلك فيمتنع رويته بحاسة فينتج انه تعالى ممتنع الروية بحاسة والمقدمة
الاولى استدلالية والثانية ضرورية وربما استدل عليها بالسنة مستقصاه في الكلام والى ذلك الاشارة
القرآن الكريم لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وثانيها قوله فلا عين من لم يره تنكره اي انه سبحانه مع كون البصر
لا تدركه بحاسة بصره لا ينكره من جهة انه لا يبصره اذ كانت فطرته شاهدة بظهور وجوده في جميع آثاره ومع
ذلك ليس له سبيل الى انكاره من جهة عدم ابصاره اذ كان حظ العين ان يدرك بها ما صح ادراكه فاما
ان ينفي بها ما لا يدرك من جهتها فلا وثالثها قوله ولا قلب من اثبته يبصره اي من اثبته مع كونه مثبتا
له بقلبه لا يبصره وانما اكد عليه السلام بهذين السلبين الاخيرين لانهما يشتملان عند الوهم في مبدأ امرهما
على منافاة وكذب الى ان يقهره العقل على التصديق بهما فكان الوهم يقول في جواب قوله فلا عين من لم يره
تنكره كيف لا تنكر العين شيئا لا تراه وفي جواب السلب الثاني كيف يثبت القلب ما لم يبصر فلما كان
في صدق هذين السلبين ازعاج لاوهام السامعين مفزع لهم الى ملاحظة جلال الله وعظمته
وتنزيهه عما لا يجوز عليه كان ذكرهما من احسن الذكر ويحتمل ان يريد بقوله فلا قلب من اثبته بصره اي
وان اثبته من جهة وجوده فيستحيل ان يحيط به علما ورابعها كونه تعالى قد سبق في العلو فلا شيء اعلى منه
وتقريره ان العلو يقال بالاشتراك على معان ثلثة الاول العلو الحسي المكاني كارتفاع بعض الاجسام على بعض
الثاني العلو التخيلي كما يقال للملك الانساني انه اعلى الناس اي اعلاهم في الرتبة المتخيلة كما لا الثالث العلو
العقلي كما يقال في بعض الكمالات العقلية التي بعضها اعلى من بعض وكما يقال السبب اعلى من المسبب اذا
اذا عرفت ذلك فنقول يستحيل ان يكون علوه تعالى بالمعنى الاول لاستحالة كونه في المكان ويستحيل ان يكون بالمعنى
الثاني لتنزهه سبحانه عن الكمالات الخيالية التي يصدق بها العلو الخيالي اذ هي كمالات اضافية يتغير ويتبدل
ويتبدل بحسب الاشخاص والاوقات وقد يكون كمالات عند بعض الناس ونقصانات عند اخرين كدول الدنيا
بالنسبة الى العالم الزاهد ويتطرق اليه الزيادة والنقصان ولا شيء من كمال الاول الواجب سبحانه كذلك
لتنزهه عن النقصان والتغير بوجه ما فبقي ان يكون علوه علوا عقليا مطلقا بمعنى انه لا رتبة فوق رتبته
بل جميع المراتب العقلية منحطة عنه وبيان ذلك ان اعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة العلية ولما كانت ذاته
المقدسة هي مبدأ كل موجود حسي وعقلي وعلته التامة المطلقة التي لا يتصور النقصان فيها بوجه ما لا جرم
كانت مرتبته اعلى المراتب العقلية مطلقا وله الفوق المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء وعن
امكان ان يكون فوقه ما هو اعلى منه وذلك معنى قوله سبق في العلو فلا شيء اعلى منه فسبقه في علوه تفرده
في العلو المطلق وفواته لغيره ان يلحقه فيه وخامسها قربه في الدنو فلا شيء ادنى منه وقد اورد عليه السلام القرب ههنا

البعد

القرب

مقابلا للبعد اللازم عن السبق في العلو فانه مستلزم للبعد عن الغير فيه وادرج الدنو مقابلا للعلو وكما علمت ان
العلو يقال على المعاني الثلثة المذكورة بحسب الاشتراك فكذلك الدنو يقال على معان ثلثه مقابلة لها فيقال مكان
فلان ادنى من مكان فلان اذا كان اسفل منه وان كان يقال بمعنى القرب ايضا ويقال رتبة الملك الفلاني
ادنى من رتبة السلطان الفلاني اذا كان في رتبة اقرانه ويقال رتبة المعلول ادنى من رتبة علته ويقال على معنى
رابع فيقال فلان ادنى الى فلان واقرب اليه اذا كان خصيصا به مطلعا على احواله اكثر من غيره والباري تعالى منزه
عن ان يراد بدنوه احد المفهومات الثلثة الاولى بل المراد هو المفهوم الرابع فهو قريب في دنوه اذ لا يعزب عن علمه الذي
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وبهذا الاعتبار هو اقرب
كل قريب وادنى كل دان كما قال تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وهو ادنى الى العبد من نفسه اذ نفس كل انسان
لا تعرف نفسها وهو سبحانه العالم بها الموجد لها فهو اذن القريب في دنوه الذي لا شيء اقرب منه وانما
اورده بلفظ الدنو ليحصل المقابلة فيرتع النفوس السليمة عند انكار الوهم لاجتماع القرب والبعد والعلو والدنو
في شيء واحد الى تفهم المقاصد بها وتطلع على عظمة الحق سبحانه منها قوله فلا استعلاؤه باعده من شيء
من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به تأكيد لرد الاحكام الوهمية بالاحكام العقلية فان الوهم يحكم بان
ما استعلى على الاشياء كان بعيدا عنها بقدر علوه عليها وما قرب منها فقد ساواها في امكنتها وذلك لكونه
مقصور الحكم على المحسوسات ونحن لما بينا ان علوه على خلقه وقربه منهم ليس علوا وقربا مكانيا بل بمعان اخرى
لا جرم لم يكن استعلاؤه بذلك المعنى على مخلوقاته مباعدا له عن شيء منها ولم يكن دنوه بالقرب بالمعنى الذي
ذكرناه بل كان الاستعلاء والقرب مجتمعين له ولم يكن قربه منها ايضا موجبا للمساواة لها في المكان فذا اللوهم
ورد الاحكام الفاسدة في صفات الجلال ونعوت الكمال وسادسها كونه لم يطلع العقول على تحديد صفته
ولم يحجبها عن واجب معرفته فيهم من صفته معنيان احدهما شرح حقيقة ذاته والثاني شرح ما له من صفات
الكمال المطلق وظاهر ان العقول لم تطلع على حصر صفته وتحديدها بالمعنى الاول اذ لا حد لحقيقته
ولا بالمعنى الثاني ايضا اذ ليس لما تعتبره العقول من كماله سبحانه نهاية تقف عندها فيكون حدا له واما انه
سبحانه مع ذلك لم يحجبها عن واجب معرفته فلانه تعالى وهب لكل نفس قسطا من معرفته هو الواجب لها
بحسب استعدادها القبول حتى نفوس الجاحدين له فانها ايضا معترفة بوجوده لشهادة اعلام الوجود وآيات
الصنع على نفس كل جاحد بصدورها عنه بحيث يحكم صريح عقلها وبديهتها بالحاجة لما يشاهد من تلك
الآثار الى صانع حكيم فهو الذي يشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب كل من جحده بان جحده له انما هو راي تبع
وهمه مع اقرار قلبه بالتصديق به وشهادة آيات الصنع وشواهد الآثار على صحة ذلك الاقرار واعلم ان الجحود
على ضربين احدهما جحود تشبيه اذ المشبهون لله بخلقه ان اختلفوا في كيفية التشبيه باسرهم جاحدون له

فى الحقيقة وذلك ان المعنى الذي يتصورونه ويثبتونه الغالين هو نفس الاله مع انهم ينفون ماسوى ذلك كانوا
نافين للاله الحق فى المعنى والثاني جحود من لم يثبت صانعا وكلى الفريقين جاحد له من وجه مثبت له من وجه
اما المشبهون فيثبتون له صريحا جاحدون له لزوما واما الاخرون فبالعكس اذ كانوا جاحدين له صريحا
من الجهة التي يثبته العقلاء بها ومقرون به التزاما واضطرارا ولذلك نزهه عليه السلم عن اقوال الفريقين تعالى
تعالى الله عما يقولون المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا وحكى ان زنديقا دخل على الصادق جعفر بن
محمد عليهما السلم فساله عن دليل اثبات الصانع فاعرض عنه عليه السلم ثم التفت اليه وساله من اين اقبلت وما قصتك
فقال الزنديق انى كنت مسافرا فى البحر فعصفت علينا الريح ذات يوم وتلعبت بنا الامواج من كل جانب فانكسرت
سفينتنا فتعلقت بخشبة منها ولم تزل الامواج تقلبها حتى قذفت بها الى الساحل وسلمت عليها فقال له
عليه السلم ارايت الذي كان قلبك اذا انكسرت السفينة وتلاطمت عليكم امواج البحر فزعا اليه مخلصا فى التضرع له طالبا
للنجاة منه فهو الهك فاعترف الزنديق بذلك وحسن اعتقاده والجملة فاتفاق العقول على الشهادة بوجود الصانع
سبحانه امر ظاهر وان خالطتها غواشى الاوهام واليه الاشارة بقوله واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا
اياه فلما نجيكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا وقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا
بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا
من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون فى الارض بغير الحق والله الموفق **ومن خطبة له عليه السلم**
انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع واحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله
فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ولو ان الحق خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين
ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فهنالك يستولى الشيطان على اوليائه وينجو الذين سبقت
لهم من الله الحسنى **اقول** المرتاد الطالب والضغث القبضة من الشيء واعلم ان مبدا وقوع الفتن المودية الى خراب العالم
وفساده انما هو اتباع الهوى والاراء الباطلة والاحكام المبتدعة الخارجة عن اوامر الله وذلك ان المقصود من
بعثة الرسل ووضع الشرائع انما هو نظام احوال الخلق فى امر معاشهم ومعادهم فكان كل راى ابتدع او هوى اتبع خارجا
من كتاب الله وسنة رسوله سببا لوقوع الفتنة وتبدد نظام الوجود فى هذا العالم وذلك كاهواء البغاة واراء الخوارج
ونحوها **وقوله** فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق الى اخره اشارة الى اسباب تلك الاراء الفاسدة ومدار ذلك كله
على امتزاج المقدمات الحقة بالباطلة فى الحجج التي يستعملها المبطلون فى استعلام المجهولات فبين ان السبب هو ذلك
الامتزاج بشرطيتين متصلتين احدهما قوله فلو ان الباطل خلص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين ووجه الملازمة فى
هذه المتصلة ظاهر فان مقدمات الشبهة اذا كانت كلها باطلة ادرك طالب الحق وجه فسادها بادنى سعى ولم يخف
عليه بطلانها واما استثناء نقيض تاليها فلانه لما خفى وجه البطلان فيها على طالب الحق لم يكن الباطل خالصا من مزاج الحق

بزاث

فيها

وكان ذلك هو سبب الغلط واتباع الباطل لان النتيجة تتبع اخس المقدمتين والثانية قوله ولو ان الحق
خلص من لبس الباطل انقطعت عنه السن المعاندين ووجه الملازمة ايضا كما ترى ان مقدمات
الحجة التي استعملها المبطلون لو كانت كلها حقة مرتبة ترتيبا حقا لكانت النتيجة حقا فتنقطع السنتهم
عن العناد فيه والمخالفة له وقد حذف عليه السلم كبرى هذين القياسين لانهما قياسان ضميران كما سبق ثم اتى
بالنتيجة او ما فى معناها وهو قوله ولكن يوخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث اى من الحق والباطل فيمزجان
ولفظ الضغث مستعار ومقصوده بذلك التصريح بلزوم الاراء الباطلة والاهواء المبتدعة لمزج الحق بالباطل
ولذلك قال وهنالك يستولى الشيطان على اوليائه اى انه يزين لهم اتباع الاهواء والاحكام الخارجة عن كتاب الله
بسبب اغوائهم عن تمييز الحق من الباطل فيما سلكوه من الشبهة وينجو الذين سبقت لهم منا الحسنى اى من اخرجت عناية
الله ايديهم فى ظلمات الشبهات فقادتهم فيها بافاضة نور الهداية عليهم الى تمييز الحق من الباطل واولئك هم عن النار
مبعدون **ومن كلام له عليه السلم** لما غلب اصحاب معوية على شريعة الفرات بصفين ومنعوهم من الماء قد استطعموكم
القتال فاقروا على مذلة وتاخير محلة او رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء فالموت فى حياتكم مقهورين
والحياة فى موتكم قاهرين الا وان معوية قاد لمة من الغواة وعمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية **اقول**
اللمة بالتخفيف الجماعة القليلة وعمس بالتخفيف والتشديد عمى وابهم ومنه عمس الليل اظلم والمحلة المنزلة وفى الفصل
لطائف **الاولى** قوله قد استطعموكم القتال استعار لفظ الاستطعام لتحرشهم بالقتال فى منعهم الماء ووجه
الاستعارة استدعاؤهم القتال وطلبهم له بمنع الماء الذي هو فى الحقيقة اقوى جذبا للقتال من طلب المأكول بالاقوال
ولانهم لما حازوا الماء اشبهوا فى ذلك من طلب الطعام لانه لما استلزم ذلك المنع طلبهم للقتال حسن ان
يشبه ما طلبوا الطعام **الثانية** قوله فاقروا على مذلة وتاخير محلة الى قوله الماء امر لهم باحد اللازمين عن منعهم
الماء واستطعامهم القتال به اما ترك القتال او ايقاعه وانما اورد الكلام بصورة التخيير بين هذين اللازمين
وان لم يكن مراده الا القتال اعلاما بانهم لا يختارون ترك القتال مع ما يلزمه من الاقرار بالعجز والمذلة والاستسلام
للعدو وتاخير المنزلة عن رتبة اهل الشرف والشجاعة وانما اورد الوصفين اللازمين لترك القتال وهما
الاقرار على المذلة وعلى تاخير المحلة ليتنفر بهما عنه ويظهره لهم فى صورة كريهة وانما جعل الرى من الماء الذي
هو مشتهى لصحابه فى ذلك الوقت لازما لرويتهم السيوف من الدماء التى يلزمها القتال ليحبب اليهم القتال فى
صورة محبوبة تميل طباعهم اليها ونسبة الروى الى السيوف نسبة مجازية **الثالثة** قوله فالموت فى حياتكم مقهورين
والحياة فى موتكم قاهرين من لطائف الكلام ومحاسنه وهو جذب الى القتال ابلغ ما يمكن من البلاغة فجذبهم اليه
بتصويره لهم ان الغاية التي عساهم يفرون من القتال خوفا منها وهى الموت موجودة فى الغاية التي عساهم يطلبونها من
ترك القتال وهى الحياة البدنية حال كونهم مقهورين وبين لفظ الموت فى الشدائد والاهوال التي تلحقهم من عدوهم
لو قهرهم وهى عند العاقل اشد وكثير من موت البدن واقوى مقاساة فان المذلة وسقوط المنزلة والضيم والاستنقاص

اصحابه

عند ذي اللب موتات متعاقبة ويحتمل ان يكون مجازا في ترك عبادة الله بالجهاد فانه موت النفس وعدم
لحياتها برضوان الله وكذلك جذبهم الى الغاية التي يفرون اليها بترك القتال وهي الحياة موجودة في الغاية
التي تفرون منها وهي الموت البدني حال كونهم قاهرين لما في الدنيا من وجهين احدهما الذكر الباقي الجميل الذي
لا يموت ولا يفنى الثاني ان طيب حيوتهم الدنيا انما يكون بنظام احوالهم بوجود الامام العادل وبقاء الشريعة
كما هي وذلك انما يكون بالقاء انفسهم في غمرات الحرب محافظة على الدين وموت بعضهم فيها ولفظ الموت
مهمل اصدق نسبته الى الكل وان وجد للبعض ولما في الاخرة فالبقاء الابدي بالمحافظة على وظايف الله
والحيوة التامة في جنات عدن كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
الاية وفي القرينتين الاولتين السجع المتوازي وفي اللتين بعدهما السجع المطرف وفي اللتين بعدهما المقابلة الرابعة
قوله الا وان معوية ذكر للعدو رذيلتين وللاصحابه رذيلتين اما الاولتان فكونه قايدا غواة وكونه قد لبس عليهم
بالباطل واراهم الباطل في صورة الحق واما الاخريان فكونهم غواة عن الحق وكونهم قد انقادوا للباطل عن شبهة حتى
صار جهلهم مركبا والغرض بذلك التنفير عنهم **وقوله** حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية غاية لاصحاب معوية
من لبسه الحق عليهم وكنى بذلك عن تصديهم للموت ولفظ الغرض مستعار لنحورهم ووجه المشابهة جعلهم
نحورهم بصدد ان تصيبها سهام المنية من الطعن والضرب والذبح ووجوه القتل فاشبهت ما ينصبه الرامي
هدفا وهي استعارة بالكناية كما تحقق ان يستعير للمنية لفظ الرامي وبالله التوفيق الا وان الدنيا قد تصرمت
وآذنت بانقضاء وتنكر معروفها وادبرت حذاء فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها وقد امر
منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا فلم يبق منها الا سملة كسملة الاداوة او جرعة كجرعة المقلة لو تمززها
الصديان لم ينقع فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على اهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الامل
ولا يطولن عليكم فيها الامد فوالله لو حننتم حنين الوله العجال ودعوتم بهديل الحمام وجأرتم جؤار متبتلي الرهبان
وخرجتم الى الله من الاموال والاولاد التماس القربة اليه في ارتفاع درجة عنده او غفران سيئة احصتها كتبه وحفظتها
رسله لكان قليلا فيما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وتالله لو انماثت قلوبكم انمياثا وسالت عيونكم من رغبة
اليه او رهبة منه دما ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية ما جزت اعمالكم عنكم ولو لم تبقوا شيئا من جهدكم انعمه
عليكم العظام وهداه اياكم للايمان **اقول** آذنت اعلمت وتنكر معروفها جهل وحذاء سريعة خفيفة
وروى بالجيم اي مقطوعة الخير العادة والحفز السوق الحثيث والحفز ايضا الطعن والسملة بفتح الميم
البقية من الماء في الاناء والمقلة بفتح الميم وسكون القاف حصاة يقسم بها الماء عند قلته تعرف بها مقدار
ما يسقى كل شخص والتمزز تمصص الشراب قليلا قليلا والصديان العطشان ونقع ينقع اي سكن عطشه
وازمعت الامر وازمعت عليه اي ثبت عزمي على فعله والمقدور المقدر الذي لا بد من كونه والامد الغاية والوله
العجال جمع واله وعجول وهما من الابل النوق تفقد اولادها وهديل الحمام نوحها والجؤار الصوت والتبتل

ومن خطبة له عليه السلام

سكنتم — خفقة — وسالت — ما كنتم بحق — لما فتم بحق

الانقطاع الى الله باخلاص النية وامثال التي تحلو وتطيب واعلم ان مدار هذا الفصل على امور ثلثة احدها
التنفير عن الدنيا والتحذير منها والنهي عن تاميلها والامر بالرحيل عنها الثاني التنبيه على عظيم ثواب الله وما ينبغي
ان يرجى منه وليلتفت اليه ويقصد بالرحيل بالنسبة الى ما الناس فيه ويتوهم خيرا في الدنيا ثم على عظيم عقابه
وما ينبغي ان يخاف منه الثالث التنبيه على عظمة نعم الله تعالى على الخلق وانه لا يمكن جزاؤها بابلغ المساعي
واكثر الاجتهاد اما الاول فاشار اليه بقوله الا وان الدنيا قد تصرمت الى قوله فيها الامد وقد علمت ان تصرمها
هو تقضي احوالها الحاضرة شيئا فشيئا بالنسبة الى من وجد فيها في كل حين وان اذانها بالانقضاء هو
اعلامها بلسان حالها الاذهان المعتبرين انها لا تبقى لاحد فاما تنكر معروفها فعبارة عن تغيرها وتبدله
ومثاله ان الانسان اذا اصاب لذة من لذات الدنيا كصحة او امن او مال او جاه ونحوه انس اليه وتوهم بقاءه
له وكان ذلك معروفها الذي سرته اليه وعرفه والفه منها ثم انه عن قليل يزول ويتبدل بضده فيصير
بعد ان كان معروفا مجهولا وتكون الدنيا كصديق تنكر في صداقته ورجع بعداوته **وقوله** وادبرت حذاء اي
ولت حال ما لا تعلق لاحد بشيء منها مسرعة واستعار لفظ الادبار لانتقال خيراتها عمن انتقلت عنه بموته
او غيره لما من وجوه زوالها ملاحظة لشبهها بملك اعرض عن بعض رعيته رفده وبره **وقوله** فهي تحفز
بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها استعار لها وصفي السايق والحادي استعارة بالكناية ووجه
المشابهة كونهم قاطعين لمدة العمر بالفناء والموت فهي مصاحبة لهم بذلك كما يصحب السايق والحادي الابل
بالسوق والحداء وان اريد بالحفز الطعن فيكون قد تجوز بنسبته الى البلاء ملاحظة لشبه مصاحب الدنيا
بالرماح وكذلك استعار لفظ الفناء والموت لالة السوق والحداء ونزلها منزلة الحقيقة ووجه المشابهة كون
الموت هو السبب في انتقال الانسان الى دار الاخرة كما ان الصوت والسوط مثلا اللذين هما الحداء والسوق هما
اللذان بهما يحصل انتقال الابل من موضع الى موضع **وقوله** وقد امر منها ما كان حلوا وكدر منها ما كان
صفوا كقوله وتنكر معروفها اي ان الامور التي يقع اللذة فيها ويجدها الانسان في بعض اوقاته صافية حلوة خالية
عن كدورات الامراض ومرارة التنغيص بالعوارض الكريهة في معرض التغير والتبدل بالمرارة والكدر فما من شخص خاطب
ما ذكرنا الا ويصدق عليه انه قد عرضت له من تلك اللذات ما استعقب صفوها كدرا وحلاوتها مرارة اما من
سلب بدل بكدر او غنى بفقر او عز بذل او صحة بسقم **وقوله** فلم يبق منها الا سملة الى قوله لم ينقع تقليل وتحقير
لما بقي منها لكل شخص شخص من الناس فان بقاءها على حسب بقائه فيها وبقاء كل شخص فيها يسير ووقته قصير
واستعار لفظ السملة لبقيتها وشبهها ببقية الماء في الاداوة وبجرعة المقلة ووجه الشبه ما اشار اليه
بقوله لو تمززها الصديان لم ينقع اي كما ان العطشان الواجد لبقية الاداوة والجرعة لو تمصصها لم ينقع عطشه
كذلك طالب الدنيا المتعطش اليها الواجد لبقية عمره واليسير من الاستمتاع فيه بلذات الدنيا لا يشفى بذلك
قليله لا يسكن عطشه منها فالاولى اذن تعويد النفس الفطام عن شهواتها **وقوله** فازمعوا عباد الله

الرحيل من هذه الدار امرهم بعد تحقيرها والتنفير عنها بالازماع وتصميم العزم على الرحيل عنها بالالتفات
الى الله والاقبال على قطع عقبات الطريق اليه وهو الرحيل الحق عن الدنيا **وقوله** المقدور على اهلها الزوال
تذكير بما لا بد منه من مفارقتها ليخف الرغبة فيها ثم اعقب ذلك بالنهي عن متابعة الامل في لذاتها
فانه ينسي الاخرة كما سبقت الاشارة اليه وذكر لفظ المغالبة تذكيرا بالانفة واستثارة للحمية من نفوسهم
ثم النهي عن توهم طول مدة الحياة واستبعاد الغاية التي هي الموت فان ذلك يقسي القلب فيورث الغفلة عن
ذكر الله كما قال تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون واما الثاني فهو التنبيه على عظيم ثواب
الله وعقابه فاعلم انه لما حقر الدنيا وحذر منها وامر بالارتحال عنها اشار بعد ذلك الى ما ينبغي ان يعظم ويلتفت
اليه ويرجى ويخشى وهو ثواب الله وعقابه فاشار الى تعظيمها بتحقير الاسباب والوسائل التي يعتمد عليها العالم
وهي غايات جهدهم بالنسبة الى ما ينبغي ان يرجى من ثوابه ويخشى من عقابه وتلك الاسباب هي حنة الحنين والوله
الى الله والدعاء الشديد والتضرع المشبه لتبتل الرهبان هذا في طرف العبادة وانما خص التشبيه بتبتل
الرهبان لشهرتهم بشدة التضرع وكذلك الخروج الى الله من الاموال والاولاد وهو اشد الزهد ورتب ذلك
في صورة متصلة مقدمها قوله لو حننتم الى قوله رسله وتاليها قوله لكان ذلك قليلا الى قوله من عقابه والتماس مفعول
له وخلاصة هذا المقصود وحيز الكلام انكم لو اتيتم بجميع اسباب التقرب الى الله الممكنة لكم من عبادة وزهد
ملتمسين بذلك التقرب اليه في ان يرفع لكم عنده درجة او يغفر لكم سيئة احصتها كتبه والواحه المحفوظة
لكان الذي ارجو من ثوابه للمتقرب اليه في ان يرفع منزلته من حضرة قدسه اكثر مما يتصور المتقرب انه يصل
اليه بتقربه ولكان الذي اخافه من عقابه على المتقرب في غفران سيئة عنده اكثر من العقاب الذي يتوهم انه
يدفعه عن نفسه بتقربه فينبغي للطالب الزيادة في المنزلة عند الله ان يخلص بكليته في التقرب اليه ليصل
الى ما هو اعظم مما يتوهم انه يصل اليه من المنزلة عنده وينبغي للهارب من ذنبه عقد الى الله ان يخلص بكليته
في الفرار اليه ليتخلص من هول ما هو اعظم مما يتوهم انه يدفعه عن نفسه بوسيلته اليه فان الامر في معرفة
ما اعده الله لعباده الصالحين من الثواب العظيم وما اعده لاعدائه الظالمين من العذاب الاليم اجل مما تتصوره
عقول البشر ما دامت في عالم الغربة وان كانت عقولهم في ذلك الامر المتفاوتة ولما كانت نفسه القدسية
اشرف نفوس الخلق في ذلك الوقت لا جرم نسب الثواب المرجو لهم والعقاب المخوف عليهم الى رجائه هو وخوفه
فقال ما ارجو لكم من ثوابه واخاف عليكم من عقابه وذلك لقوة اطلاعه من ذلك على ما لم يطلعوا عليه واما
الثالث وهو التنبيه على عظيم نعمة الله تعالى على العباد فهو قوله بان كل ما اتوا به من الاعمال التي بذلوا جهدهم
فيها في طاعة الله وما عساه يمكنهم ان ياتوا به فهو قاصر عن مجازاة نعمه العظام وتوفيق بيان ذلك ورتب
المطلوب في صورة شرطية متصلة ايضا مقدمها مركب من امور احدها قوله لو انماثت قلوبكم اي ذابت خوفا منه
وجعل انه وكنى بذلك عن اقصى حال الخائف الراجي له في عبادته الثاني قوله وسالت عيونكم دما وهو كالاول

ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية اي مدة بقاء الدنيا وتاليها قوله ما جزت اعمالكم الى عمالكم جزء وانعمه منصوب
مفعول جزت وهداه في محل النصب عطفا عليه وانما افرد الهدى بالذكر وان كان من الانعم لشرفه اذ هو
الغاية المطلوبة من العبد بكل نعمة افيضت عليه فانه لم يخلق ولم تفض عليه انواع النعم الالهية الا ليتاهل قلبه
ويستعد نفسه لقبول صورة الهدى من واهبها فيمشي بها في ظلمات الجهل الى ربه ويجوز بها عقبات صراطه
المستقيم واكد ملازمة هذه المتصلة بالقسم البار وكذلك المتصلة السابقة وفائدة هذا التنبيه بعث الخلق
على الشكر وتوجيه الذم على الاجتهاد في الاخلاص لله حياء من مقابلة عظيم انعامه بالتقصير في شكره والاشتغال
بغيره والله الموفق **ومن كلام له عليه السلم** يوم النحر في صفة الاضحية ومن تمام الاضحية استشراف
اذنها وسلامة عينها فاذا سلمت الاذن والعين سلمت الاضحية وتمت وان كانت عضباء القرن تجر رجلها
الى المنسك **اقول** الاضحية منسوبة الى الاضحى اذ كان ذبحها في ضحى ذلك اليوم وقيل انه مشتق منها واستشراف
اذنها طولها وكنى بذلك عن سلامتها من القطع او نقصان الخلقة والعضباء مكسورة القرن وقيل القرن الداخل
وكنى بجر رجلها الى المنسك عن عرجها والمنسك موضع النسك وهو العبادة والتقرب بذبحها واعلم ان المعتبر
في الاضحية سلامتها عما ينقص ثمنها وظاهر ان العمى والعور والهزال وقطع الاذن تشويه في خلقتها ونقصان
في ثمنها دون العرج وكسر القرن وفي فضل الاضحية اخبار كثيرة روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ما من
عمل يوم النحر احب الى الله عز وجل من اراقة دم وانها لتاتي يوم القيمة بقرونها واظلافها وان الدم ليقع من الله
بمكان ~~قبل ان يقع من الله~~ بمكان قبل ان يقع الارض فطيبوا بها نفسا وروي عنه ايضا ان لكم بكل صوفة
من جلدها حسنة وبكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع في الميزان فابشروا وقد كانت الصحابة يغالون
في اثمان الهدي والاضاحي ويكرهون المماكسة فيها فان افضل ذلك اغلاه ثمنا وانفسه عند اهله وروي ان عمر
اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسال رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا
فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وسر ذلك ان الجيد القليل خير من الكثير الدون فثلثمائة دينار وان كان ثمنه ثلثين
بدنة وفيها كثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم بل المقصود تزكية النفس وتطهيرها من صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم
لله فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك بمراعاة النفاسة في القيمة كثر العدد ام قل واعلم
انه لما لاح من اسرار وضع الاضحية سنة باقية هو ان يدوم بها التذكر لقصة ابرهيم عليه السلم وابتلائه بذبح ولده
وقوة صبره على تلك المحنة والبلاء المبين ثم يلاحظ من ذلك حلاوة ثمرة الصبر على المصائب والمكاره فيتاسى
في ذلك مع ما في نحر الاضحية من تطهير النفس عن رذيلة البخل واستعداد النفس بها للتقرب الى الله تعالى
والله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** فتداكوا علي تداك الابل الهيم يوم ورودها قد ارسلها راعيها وخلعت
مثانيها حتى ظننت انهم قاتلي او بعضهم قاتل بعض لدي وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم فما وجدتني
يسعني الا القتال او الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب

وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة **اقول** تداكوا اى دق بعضهم بعضا اى دقه بالضرب والدفع والهيم
الابل العطاش والمثاني جمع مثناة وهي الحبل يثنى ويعقل به البعير اعلم ان قوله فتداكوا الى قوله الذي اشارة الى صفة
اصحابه بصفين لما طال منعه لهم من قتال اهل الشام وكان عليه السلم يمنعهم من قتالهم لامرين احدهما انه كانت
عادته في الحرب ذلك ليكون خصمه البادي فتركبه الحجة والثاني انه كان يتخلص وجه المصلحة في كيفية قتالهم
لا على سبيل شكه في وجوب قتال من خالفه فانه عليه السلم كان مامورا بذلك بل على جهة استخلاص وجه الراي
الاصلح وانتظار انجذابهم الى الحق ورجوعهم الى طاعته لحقن دماء المسلمين كما سيصرح به في الفصل الذي
بعده ثم انه وصفهم بالازدحام عليه بامرين احدهما تشبيهه بزحام الابل العطاش حين يطلقها رعاتها من مثانيها
يوم توردها الماء ووجه الشبه ما لهما من شدة الزحام الثاني غاية ذلك الزحام وهو ظنه عليه السلم ان يقتلوه
او يقتل بعضهم بعضا **وقوله** وقد قلبت هذا الامر الى آخره اشارة الى بعض علل منعه لهم من القتال وتحصيله
لوجوه الآراء في قتالهم حتى تبين له ما يلزم في ترك القتال من الخطر وهو الكفر على ان في الامرين خطرا اما القتال
ففيه بذل نفسه للقتل وهلاك جملة من المسلمين واما تركه ففيه مخالفة امر الله ورسوله المستلزمة للعقاب
الاليم لكن قد علمت ان الدنيا الاتية لسعادتها ولا نسبة لشقاوتها الى سعادة الآخرة وشقاوتها عند ذوي
البصاير خصوصا مثله عليه السلم فلذلك قال فكانت معالجة القتال اهون علي من معالجة العقاب
وموتات الدنيا اهون علي من موتات الآخرة واستعار لفظ الموتات للاهوال والشدايد في الدنيا والآخرة لما
بين الموت وبينها من المناسبة في الشدة **ومن كلام له عليه السلم** وقد استبطا اصحابه اذنه لهم في القتال بصفين
اما قولكم اكل ذلك كراهية الموت فوالله ما ابالي دخلت الى الموت او خرج الموت الي واما قولكم شكا في اهل الشام
فوالله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طايفة فتهتدي بي وتعشوا الى ضوئي فهو احب الي
من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء باثامها **اقول** عشا الى النار استدل عليها ببصر ضعيف وباء باثامه
اى رجع به وهذا الفصل مناسب للذي قبله والسبب فيه ان اصحابه لما طال منعه لهم عن قتال اهل الشام الحوا عليه
في طلبه حتى نسبه بعضهم الى الجزع وكراهية الموت ونسبه بعضهم الى الشك في وجوب قتال هؤلاء فاورد عليه السلم
شبهة الاولين وهي قولهم اكل ذلك كراهية الموت وروي كراهية بالنصب على المفعول له [illegible] الجزع واجاب عنها
بقوله فوالله ما ابالي الى قوله الي وصدق هذه الدعوى المؤكد بالقسم البار ظاهر منه فان العارف بمعزل عن محبة الحياة
خصوصا نفسه القدسية كما سبق ونسبة الدخول على الموت والخروج اليه نسبة مجازية تستلزم ملاحظة
تشبيهه بحيوان مخوف ثم اورد الشبهة الثانية وهي قوله واما قولكم شكا في اهل الشام واجاب عنها بقوله
فوالله ما دفعت الحرب الى آخره وتقريره ان المطلوب الاول من الانبياء والاولياء انما هو اهتداء الخلق بهم من ظلمة الجهل
واستقامة امورهم في معاشهم ومعادهم بوجودهم واذا كان هذا هو المطلوب الذاتي له عليه السلم من طلب هذا الامر
والقتال عليه وكان تحصيل المطالب كلما كان الطف واسهل من القتل والقتال كان اولى لا جرم كان انتظاره

الحرب ومدافعتها يوما فيوما انما هو انتظار وطمع ان يلحق به منهم من تجذبه العناية الالهية بذهنه الى الحق ويهتدي
به في طريق الله ويعشوا الى ضوء علمه وكما لم كان ذلك احب اليه من قتلهم على ضلالهم وان كان كل ضال
انما يرجع باثمه الى ربه ويكون رهين عمله كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة ولا تكسب كل نفس الا عليها
ولا تزر وازرة وزر اخرى **ومن كلام له عليه السلم** ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله نقتل آباءنا وابناءنا
واخواننا واعمامنا ما يزيدنا ذلك الا ايمانا وتسليما ومضيا على اللقم وصبرا على مضض الالم وجدا في جهاد العدو
ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان انفسهما ايهما يسقي صاحبه كاس المنون
فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا فلما راى الله صدقنا انزل بعدونا الكبت وانزل علينا النصر حتى استقر الاسلام
ملقيا جرانه ومتبوءا اوطانه ولعمري لو كنا ناتي ما اتيتم ما قام للدين عمود ولا اخضر للايمان عود وايم الله لتحتلبنها
دما ولتتبعنها ندما **اقول** المنقول ان هذا الكلام صدر عنه يوم صفين حين اقر الناس بالصلح واوله ان هؤلاء
القوم لم يكونوا ليستجيبوا الى الحق ولا ليجيبوا الى كلمة سواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر وحتى يرجموا بالكتائب تقفوها
الجلايب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في نواحي ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم وحتى
تشن عليهم الغارات من كل فج وحتى يلقاهم قوم صدق صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم وموتاهم في سبيل الله
الا جدا في طاعة الله وحرصا الى لقاء الله ولقد كنا مع رسول الله الفصل وكلمة سواء اى عادلة والمنسر خيل من المائة
الى المائتين ويقال بل الجيش ما ير [illegible] الا اقلعه والخميس الجيش وتدعق تغار على ارضهم فيوثر فيها حوافرها وتشن الغارة
تفرقها واللقم منهج الطريق والمضض حرقة الالم ويتصاولان يتحاملان ويتطاولان ويتخالسان ينتهز كل منهما
فرصة صاحبه والمنون المنية والكبت الصرف والاذلال وجران البعير مقدم عنقه من مذبحه الى منحره وتبوء وطنه سكن
فيه ومقصوده من هذا الفصل توبيخ اصحابه على ترك الحرب والتقصير فيه **فقوله** ولقد كنا الى قوله اوطانه بيان لفضله
وكيفية صنعه هو وساير الصحابة في الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله لغرض قيام الاسلام وظهوره
ليتبين السامعين تقصيرهم بالنسبة الى ما كان اولئك عليه في جهادهم ومجدهم ابذكرهما كانوا يكلفونه من الشدايد
وان احدهم كان يقتل اباه وولده طلبا لرضاء الله وذبا عن دينه ثم لا يزيده ذلك الا ايمانا بالله وتسليما لقضائه ومضيا
على واضح سبيله وصبرا في طاعته على مضض الالام المتواترة وان احدهم كان يصاول عدوه ليختطف كل روح صاحبه
وتجوز بلفظ الكاس فيما يتجرعه الانسان من غصص الالام حال القتل ونبه بقوله مرة لنا ومرة لعدونا على ان اقدامهم على القتال
لم يكن عن قوة منهم على العدو وتيقن بغلبهم بل مع غلبة العدو لهم وقهره ومرة منصوب على الظرف وتقديره فمرة
الادالة تكون لنا من عدونا ومرة تكون لعدونا **وقوله** فلما راى الله صدقنا الى قوله النصر فيه تنبيه على ان الجود الالهي
لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما هو عام الفيض على كل قابل استعد لرحمته واشار برؤية الله صدقهم الى علمه باستحقاقهم
واستعدادهم بالصبر الذي اعدهم به وبانزال النصر عليهم والكبت لعدوهم الى افاضته على كل منهم ما استعد له **وقوله**
حتى استقر الاسلام الى قوله اوطانه اشارة الى حصول غايتهم التي قصدوها بجهاد العدو وهي استقرار الاسلام

في قلوب عباد الله واستعار لها لفظ الجران ورشح تلك الاستعارة بالالقاء ملاحظة لشبهه بالبعير الذي
اخذ مكانه وكذلك استعار لفظ البوء ونسبته الى الاوطان تشبيها له بمن كان من الناس خائفا متزلزلا ثم استقر
ثم اطمان واستقر في وطنه واستعار لفظ الاوطان لقلوب المؤمنين وكنى بتبوئه اوطانه عن استقراره فيها
وقوله ولعمري لو كنا نأتي الى قوله عود رجوع الى مقصوده الاصلي وهو توبيخ اصحابه على تقصيرهم والمعنى
لو قصرنا يومئذ كتقصيركم الان وتخاذلكم لما حصل ما حصل من استقامة الدين وكنى بالعمود للدين عن قوته
ومعظمه كناية بالمستعار وكذلك باخضرار العود للايمان عن نضارته في النفوس ولاحظ في الاولى تشبيه
الاسلام بالبيت ذي العمود وفي الثانية تشبيه الايمان بالشجرة ذات الاغصان وقوله وايم الله لتحتلبنها دما
استعار لفظ حلب الدم لثمرة تقصيرهم وتخاذلهم عما يدعوهم اليه من الجهاد ولاحظ في تلك الاستعارة تشبيههم
لتقصيرهم في افعالهم بالناقة التي اصيب ضرعها بآفة من تفريط صاحبها فيها والضمير المؤنث بهم يرجع في المعنى
الى افعالهم وكذلك الضمير في قوله ولتتبعنها ندما فان ثمرة التفريط الندامة ودما وندما منصوبان على التمييز
وقد اتفق في هذا الفصل نوعان من السجع فالمقم والاثم سجع متوازي وجرانه واوطانه مطرف وكذلك عمود
وعود ودما وندما وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لاصحابه اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل
رحب البلعوم مندحق البطن ياكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيامركم بسبي والبراءة
مني فاما السب فسبوني فانه لي زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرؤا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى
الايمان والهجرة اقول رحب البلعوم واسع مجرى الحلق وبطن مندحق ناتئ بارز وفي هذا الفصل اخبار بما يكون
لاصحابه من الابتلاء بسبه والخطاب لاهل الكوفة وقوله اما يحتمل ان يكون المشددة والتقدير لما بعد انه كذا
ويحتمل ان يكون مخففة وهي ما النافية دخلت عليها همزة الاستفهام والتقرير اما انه سيظهر واختلف في مراده
بالرجل فقال اكثر الشارحين المراد معوية لانه كان بطينا كثير الاكل روى انه كان ياكل فيمل فيقول ارفعوا فوالله ما شبعت
ولكن مللت وتعبت وكان ذلك داء اصابه بدعاء الرسول صلى الله عليه وآله روي انه بعث اليه مرة فوجده ياكل
فبعث اليه ثانية فوجده كذلك فقال اللهم لا تشبع بطنه وبعضهم في وصف آخر فصاحب لي كان معاوية كانه
في امعائه معاوية وقيل هو زياد بن ابي سفيان وهو زياد بن ابيه وقيل هو الحجاج وقيل المغيرة بن شعبة وظهوره عليهم
بعد استيلاؤه وتامره عليهم وكلما يجد مع طلبه ما لا يجد كناية عن كثرة اكله بحيث ذلك علامة له وقوله
فاقتلوه اي لما هو عليه من الفساد في الارض ولن تقتلوه حكم لدني اطلع عليه وقوله الا وانه سيامركم بسبي الى آخره
اشارة الى ما سيامرهم به في حقه من السب والبراءة ووصية لهم بما هو المصلحة اذن وفرق عليه السلم بين سبه والبراءة منه
بان رخص في سبه عند الاكراه عليه ولم يرخص في التبري منه وفي الفرق بينهما لطف وذلك ان السب من صفات
القول اللساني وهو امر يمكن ايقاعه من دون اعتقاده مع احتماله التعريض ومع ما يشتمل عليه من حقن دماء المأمورين
ونجاتهم بامتثال الامر فاما التبرؤ فليس بصفة قولية فقط بل يعود الى المجانبة القلبية والمعاداة والبغض هو

المنهي عنه ههنا فانه امر باطن يمكنهم الانتهاء عنه ولا يلحقهم بسبب تركه وعدم امتثال الامر ضرر وكانه لحظ
فيهما قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب الاية وقوله
في السب فانه لي زكاة ولكم نجاة اشارة الى اسباب ترخيصه في سبه اما نجاتهم فبسببه فظاهر واما كونه
زكاة له فلوجهين احدهما ما روي في الحديث ان ذكر المؤمن بسوء هو زكوة له ووصمه بما ليس فيه زيادة في جاهه
وشرفه الثاني ان الطباع تحرص على ما تمنع منه وتلج فيه فالناس لما منعوا من ذكر فضائله والموالاة له والزموا
سبه وبغضه ازدادوا بذلك محبة له واظهارا لشرفه ولذلك انه عليه السلم سبته بنو امية الف شهر على المنابر
فما زاد ذكره على ذلك الا علوا ولا ازداد الناس في محبته الا غلوا والمنقول ان الذي امر بقطع سبه عمر بن عبد العزيز
ووضع مكان سبه من الخطبة ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن يمدحه
وليت فلم تشتم عليا ولم تخف ۞ بريا ولم تقبل اساءة مجرم ۞ وفيه يقول الرضي الموسوي يا ابن عبد العزيز لو بكت العين
فتى من امية لبكيتك ۞ انت نزهتنا عن الشتم والسب ولو كنت مجزيا لجزيتك ۞ غير اني اقول انك قد طبت وان لم يطب
ولم يزك بيتك وقوله فاني ولدت على الفطرة الى آخره تعليل لحسن الانتهاء عن البراءة منه ووجهه واراد بالفطرة
فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي بعثهم الى عالم الاجسام ماخوذا عليهم ميثاق العبودية والاستقامة على سنن
العدل في سلوك صراطه المستقيم واراد بسبقه الى الاسلام والهجرة سبقه الى طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله
صلى الله عليه وآله فيما جاء به من الدين وصحبته له ومهاجرته معه مستقيما في كل ذلك على فطرة الله لم يدنس
نفسه بشيء من الملكات الرديئة مدة وقته اما زمان صغره فكل مولود يولد على الفطرة واما بعد ذلك فلان الرسول صلى
الله عليه وآله كان هو المتولي لتربيته وتزكية نفسه بالعلوم والاخلاق من اول وقته الى ان توفي صلى الله عليه وآله
ولما اشرنا اليه قبل وكما سنذكره بعد كيفية وكان قبوله واستعداده لانوار الله اوفر فطرت عليه نفسه وجبلت
عليه طبيعته حتى لم يلحقه في ذلك احد من الصحابة وظاهر ان من كان بهذه الصفة من خلفاء الله واوليائه
كان التبري منه تبريا من الله ورسوله فوجب الانتهاء عنه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم
كلم به الخوارج اصابكم حاصب ولا بقي منكم آبر ابعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين فاوبوا شر مآب وارجعوا على اثر الاعقاب اما
انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاطعا واثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة قال الرضي رضي الله عنه
وقوله ولا بقي منكم آبر يروى بالراء من قولهم ابر للذي يابر النخل اي يصلحه وروي آثر وهو الذي يأثر الحديث اي
يحكيه ويرويه وهو اصح الوجوه عندي كانه قال لا بقي منكم مخبر ويروى آبز بالزاي معجمة وهو الواثب
والهالك ايضا يقال له آبز اقول الروي في السجع انه لما كتب عهد التراضي بالحكمين بين علي ومعاوية
اعتزلت الخوارج وتنادوا من كل ناحية لا حكم الا لله الحكم لله يا علي لا لك ان الله قد امضى حكمه في معاوية
واصحابه ان يدخلوا تحت حكمنا وقد كنا زللنا واخطانا حين رضينا بالتحكيم وقد بان لنا زللنا وخطانا فرجعنا

الى الله وتبنا فارجع انت كما رجعنا وتب اليه كما تبنا وقال بعضهم اشهد على نفسك بالكفر
ثم تب منه حتى نطيعك فاجابهم عليه السلم بهذا الكلام والحاصب ريح شديدة ترمي الحصباء وهي صغار
الحصى والاثر بالتحريك الاستبداد دعا عليهم ان لا يبقى مخبر منهم ثم بالفناء عضبا من مقالتهم ثم اخذ في
تقريعهم وانكار مقالتهم وطلبهم شهادته على نفسه بالكفر في صورة سؤال عقبه بتنبيههم على خطائهم في
بيان غلطه على نفسه لو اجابهم الى ما سألوا فان شهادة الانسان على نفسه بالكفر ضلال عن الحق وعدم اهتداء
في سبيل الله ثم اردف ذلك بامرين احدهما جذبهم بالغضب والقهر وامرهم بالرجوع الى الحق على اعقابهم من
حيث خرجوا من الحق وفارقوه الثاني اخبارهم بما سيلقون بعده من الذل الشامل والسيف القاطع وهو كناية
عمن يقتلهم بعده كالمهلب بن ابي صفرة وغيره وهذا الاخبار الغرض استفائتهم اليه وجذب لهم وقد يلحق غيره — اشارة م
والاثرة التي يتخذها الظالمون فيهم سنة الى ما يستأثر به الملوك والعمال عليهم من الفيء والغنائم واهانتهم لهم
وقد كانت دعوته عليهم السلام استجيبت فيهم فانهم لم يزالوا بعده في ذل شامل وقتل ذريع حتى افناهم
الله تعالى واحوالهم في كيفية قتالهم وقتلهم ومن قتلهم مستوفى في كتاب الخوارج وبالله التوفيق **وقال
عليه السلم** لما عزم على قتال الخوارج وقيل له ان القوم قد عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة
والله لا يفلت منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة قال السيد يعني بالنطفة ماء النهر وهي افصح كناية عن الماء
وان كان كثيرا جما **اقول** خلاصة هذا الخبر انه عليه السلم لما خرج الى اصحاب النهر جاءه رجل من
اصحابه فقال البشرى يا امير المؤمنين ان القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله اكتافهم
فقال الله انت رأيتهم قد عبروا فقال نعم فقال عليهم السلم والله ما عبروه ولن يعبروه وان مصارعهم دون
النطفة والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لن يبلغوا الاثلاث ولا قصر بوران حتى يقتلهم الله وقد خاب
من افترى قال ثم جاء جماعة من اصحابه واحد بعد آخر كلهم يخبره بما اخبره الاول فركب عليه السلم وسار
حتى انتهى الى النهر فوجد القوم باسرهم قد كسروا اجفان سيوفهم وعرقبوا خيولهم وجثوا على الركب وحكموا
تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل وروي ان شابا من اصحابه قال في نفسه حين حكم عليه السلم بما حكم به انهم
وصلوا الى النهر لسان صدق حكمه والله لاكونن قريبا منه فان كانوا عبروا النهر لاجعلن سنان رمحي في عينه
ايدعي علم الغيب فلما وجدهم لم يعبروا نزل عن فرسه واخبره بما روى في نفسه وطلب منه ان يغفر له فقال
عليه السلم ان الله هو الذي يغفر الذنوب جميعا فاستغفره فاما حكمه بانهم لا يفلت منهم عشرة ولا يقتل من اصحابه
عشرة فروي انه قال لابي ايوب الانصاري وكان على ميسرته لما بدأت الخوارج بالقتال احملوا عليهم فوالله لا يفلت
منهم عشرة ولا يهلك منكم عشرة فلما قتلهم وجدوا المفلت منهم تسعة والمقتول من اصحابه ثمانية وهذا من
الحكمات من كراماته عليه السلم **وقال عليه السلم** لما قتل الخوارج فقيل له يا امير المؤمنين هلك القوم باجمعهم كلا والله انهم
نطف في اصلاب الرجال وقرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين **اقول**

ثم عطف والاصلاب المخلص وكلامه رد لمقالة من حكم بهلاكهم جميعا واشار بكونهم نطفا في اصلاب الرجال وقرارات
النساء الى انه لا بد من وجود قوم منهم يقولون بمثل مقالتهم وانهم الان موجودون في الاصلاب والارحام بالقوة
فيهم نطف يترشح الى الارحام وكنى بالقرارات عنها ومنهم نطف تعد في الاصلاب ثم الحقهم احكاما اخر تقريرا
لبقائهم منها انه سيقوم منهم رؤساء قوم وابتلع وعبر عمن يظهر منهم بالقرن استعارة ورشح القطع للاستعارة
بقتلهم وقطع لكونهما حقيقين في النبات وجعل الترامهم غايته هي كون اواخرهم لصوصا سلابين اي قطاعا
للطريق واما الذين ظهروا بعده من رؤسائهم فجماعة كثيرة وذلك ان التسعة الذين سلموا يوم النهر تفرقوا
في البلاد فانهزم اثنان منهم الى عمان واثنان الى كرمان واثنان الى سجستان واثنان الى الجزيرة وواحد
الى تل موزون وقد كان منهم جماعة لم يظفر بهم عليه السلم فظهرت بدعتهم في اطراف البلاد بعده فكانوا
نحوا من عشرين فرقة وكبارها ست احداها الازارقة اصحاب نافع بن الازرق وكانت اكبر الفرق خرجوا
من البصرة الى الاهواز وغلبوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلدان فارس وكرمان في ايام عبد الله
بن الزبير وكان مع نافع من امراء الخوارج عشرة عطية بن الاسود الحنفي وعبد الله بن ماحوز واخواه عثمان
والزبير وعمر بن العمير العنبري وقطري بن الفجاءة المازني وعبيدة بن هلال الشيباني وصخر التميمي وصالح
العبدي وعبد ربه الكبير وعبد ربه الصغير في نيف وثلاثين الف فارس منهم فانفذ اليهم المهلب بن ابي
صفرة ولم يزل في حربهم هو واولاده تسع عشرة سنة الى ان فرغ من امرهم في ايام الحجاج ومات نافع قبل وقائع المهلب
وبايعوا قطريا وسموه امير المؤمنين الثانية النجدات رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي وكان معه اميران يقال
لاحدهما عطية والاخر ابو فديك ففارقاه بشبهة ثم قتله ابو فديك وصار لكل واحد منهما جمع عظيم وقتلا في زمن
عبد الملك بن مروان الثالثة البيهسية اصحاب ابي بيهس الهيصم بن جابر وكان بالحجاز وقتله عثمان بن حيان المري
بالمدينة بعد ان قطع يديه ورجليه وذلك في زمن الوليد باشارة منه الرابعة العجاردة اصحاب عبد الكريم
بن عجرد وتحت هذه الفرقة فرق كثيرة لكل منهم رئيس مشهور الخامسة الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض قتل
في ايام مروان بن محمد فوجه اليه عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله فقتله السادسة الثعالبة اصحاب ثعلبة بن عامر
وتحت هذه الفرقة ايضا فرق كثيرة ولكل منها رئيس مشهور وتفصيل رؤسائهم وفرقهم واحوالهم ومن قتلهم مذكور
في كتب التاريخ واما كون آخرهم لصوصا سلابين فاشارة الى ما كانوا يفعلونه في اطراف البلاد باصبهان والاهواز
وسواد العراق ويعيثون فيها وفي نهب اموال الخراج وقتل من لم يدن بدينهم جهرا وغيلة وذلك بعد ضعفهم وتفرقهم
بوقائع المهلب وغيرها كما هو مذكور في مظانه — وقال عليه السلم لا تقتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطاه كمن طلب الباطل
فادركه يعني معاوية واصحابه **اقول** نهى عليه السلم عن قتال الخوارج بعده وادى الى علة استحقاق القتل بانها
طلب الباطل لانه باطل وتبين انها منفية في حقهم فينتفي لازمها وهو استحقاق القتل واشار الى ان الخوارج لم يطلبوا
الباطل مع العلم بكونه باطلا بل طلبوا الحق بالذات فوقعوا في الباطل بالعرض ومن لم يكن غرضه الا الحق لم يجز قتله وحسن الكلام

لا يستحقون بسبب طلبهم

يظهر في نفسه بر متصلة هكذا لو استحقوا القتل بسبب طلبهم الباطل من حيث هو باطل لكنهم لا يستحقون من تلك
الجهة لانهم ليسوا طالبين الباطل من حيث هو باطل فلا يستحقون القتل وفرق بين من يطلب الحق لذاته
فيظهر عنه في صورة باطل وبين من يطلب الباطل لذاته فيظهره في صورة الحق حتى يدركه فان الثاني هو المستحق للقتل
دون الاول واولى ممن طلب الباطل فادركه الى معوية واعلم ان هذا النص منه عليه السلام بانهم كانوا طالبين للحق في
بيانه ان معظم رؤسائهم كانوا على غاية من المحافظة على العبادات كما نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله حيث وصفهم
فقال يحقر احدكم صلاته في جنب صلوتهم وكانوا مشهورين بالصلاح والمواظبة على حفظ القرآن ودرسه
الا انهم الغوا في الحق وشدة الطلب له حتى عبروا عن فضيلة العدل فيه الى رذيلة الافراط فوقعوا في [illegible]
من الدين فان قلت كيف نهى عن قتلهم بعده مع اشتغالهم قلت جوابه من وجهين احدهما انه عليه السلام
انما نهى عن قتلهم بعده على تقدير ان يلزم كل منهم نفسه ويشتغل بها ولا يعيث في الارض فسادا وانما قتلهم
حيث اخذوا في زمانه وقتلوا جماعة من الصالحين كعبد الله بن خباب وشقوا بطن امراته وكانت حاملا ودعوا
الناس الى بدعتهم ومع ذلك كان يقول لاصحابه حين سار اليهم لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم ولم يشرع في قتلهم حتى
بدؤه بقتل جماعة من اصحابه الثاني انه يحتمل ان يقال انه انما قتلهم لانه امام عادل راى الحق في ذلك وانما نهى عن
قتلهم بعده لانه علم انه لا يلي هذا الامر بعده من له بحكم الشريعة ان يقتل ويتولى امر الحد ولا من يعرف مواضعها
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لما خوف من الغيلة وان علي من الله جنة حصينة فاذا جاء يومي انفرجت عني
واسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم ولا يبرا الكلم **اقول** قد كان عليه السلام خوف من غيلة ابن ملجم لعنه الله
روى ان الاشعث لقيه متقلدا سيفه فقال له ما تقلدك السيف وليس اوان حرب فقال اردت ان انحر جزور
القرية فاتى الاشعث عليا فاخبره وقال قد عرفت ابن ملجم وفتكه فقال عليه السلام ما قتلني بعد وروي ان عليا
كان يخطب مرة ويذكر اصحابه وابن ملجم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لاريحنهم منك فلما انصرف علي الى بابه
ملببا فاشرف عليهم وقال لهم ما تريدون فخبروه بما سمعوا منه فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه وان علي من الله جنة
الفصل والغيلة القتل على غفلة والجنة ما يستتر به من سلاح وطاش السهم انحرف عن الغرض والكلم الجرح
وكنى بالجنة عن عناية الله بحفظ اسباب حياته في المدة المكتوبة في القضاء الالهي كناية بالمستعار ووجه الاستعارة
ان مع بقاء اسباب الحياة محفوظة لا يؤثر في الانسان شيء من سهام المنية كما كان لابس الجنة محفوظا بها من اثار
السهام ونحوها ووصفها بالحصينة ترشيح للاستعارة وكنى بها ايضا عن قوة ذلك الحفظ وكنى بيومه عن وقت
ضرورة موته وبانفراج الجنة عن عدم بعض اسباب الحياة المستلزم لعدم الحياة ولحوق سهام الامراض وهو ترشيح للاستعارة
ايضا ونسب اليها اسلامه ملاحظة لتشبيهها بمن يحفظه ثم يسلمه للقتل وقوله وحينئذ لا يطيش السهم استعار
لفظ السهم للامراض التي هي اسباب الموت وكنى بعدم طيشه عن اصابته وحصول الموت عنه ولفظ الكلم للاثر
الحاصل عن تلك الاسباب ووجه الشبه في الاولى كونهما سببين للهلاك وفي الثانية ما يستلزمانه

من الالم ورشح الاولى بذكر الطيش والثانية بذكر البرء ومن الشعر المنسوب اليه في ذلك قوله اي يومي من الموت
افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر يوم لم يقدر فلا ارهبه ويوم قد قدر لا يغني الحذر وهو في ذلك ملاحظة
لقوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها ولا ينجى بشيء
كان لها ابتلى الناس بها فتنة فما اخذوه منها لها اخرجوا منه وحوسبوا عليه وما اخذوه منها لغيرها
قدموا عليه واقاموا فيه وانها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص وزائدا حتى نقص **اقول**
بينا اصلها بين بمعنى الوسط فاشبعت الفتحة فحدثت الالف وقد يزاد ما فيقال بينما والمعنى واحد
وتحقيق الظرفية هنا ان الظل دائر بين السبوغ والقلوص والزيادة والنقصان وقلوص الظل نقصه وغرض هذا
الفصل التحذير من الدنيا والتنبيه على وجوب لزوم اوامر الله فيها واشار الى ذلك في اوصاف لها **الاول**
كونها لا يسلم منها الا فيها وتحقيق ذلك انه لا دار الا الدنيا والاخرة وقد علمت ان اسباب السلامة
هي الزهد والعبادة وسائر اجزاء الرياضة وشيء منها لا يمكن في الاخرة بل كلها اعمال متعلقة بالبدن
فاذن لا يتحقق ما يلزمها من السلامة من الدنيا الا في الدنيا **الثاني** كونها لا ينجى بشيء كان لها وفيه ايماء الى لزوم
الرياء في الاقوال والافعال وتحذير من كل عمل وقول قصد به الدنيا فان شيئا من ذلك لا يحظى في استلزام
النجاة في الاخرة **الثالث** كونها قد ابتلى الناس بها فتنة وفتنة منصوب بالمفعول له ويحتمل ان يكون مصدرا
سد مسد الحال ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ولنبحث عن معنى الابتلاء بالدنيا
وكونها فتنة واعلم انه ليس المراد ان الله تعالى لا يعلم ما يؤول اليه احوال العباد وما يكون منهم بعد خلقهم
وابتلائهم بالدنيا فانه تعالى العالم بما كان وما يكون قبل كونه كما قال تعالى وما من غائبة في السماء والارض الا في
كتاب مبين وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها
ان ذلك على الله يسير بل الكشف عن حقيقة الابتلاء انه لما كان الانسان انما يكون انسانا بما خلق فيه من القوى
الشهوية والغضبية وما يتبعهما وكان لهذه القوى ميول طبيعية الى حاضر اللذات الدنيوية فهي مشتهياتها
ولا ابتهاج لها الا بها ولا حظ لها من غيرها وكانت النفوس الانسانية مخالطة لهذه القوى وهي آلاتها ولا
وجد لها في تصرفاتها غالب الاحوال الا هي وكانت تلك القوى في اكثر الخلق جاذبة لنفوسها الى مشتهياتها الطبيعية
بالطبع وكانت تلك النفوس في اكثر الناس منقادة لقواها معرضة عن الاخرة مشغولة بحاضر ما وجدته من لذات
الدنيا بقصور ما وراءها ثم مع ذلك كان المطلوب منها ما يضاد ذلك وهو ترك حاضر الدنيا ومنازعة هذه القوى
في مشتهياتها وجذبها عن التوجه بكليتها اليها لمتابعة النفس لحركاتها عن ذلك الى ما لا يتصور في الدنيا
الا بالاوصاف الخيالية كما في وظيفة الانبياء عليهم السلام مع الخلق كانت ارادته تعالى لذلك الا التفات مع ما هم فيه
من منازعة الهوى فان يطاعوه وهلكوا وان عصوه نجوا صورة امتحان فاشبه ذلك ما يعمله احدنا عند عبده اذا

بل ربما كان سببا للهلاك فيها لما ان الاشتغال بمهمات الدنيا مانع للاخرة

اراد مثله اختبار صبره ومحنته له فوهب لجميع ما اشتهيه ثم كلفه مع ذلك بتكاليف شاقة لا يتمكن
من فعلها الا بالتنفر عن مشتهاه وتبغضه عليه فلا جرم صدقت صورة الابتلاء والاختبار من الله
في الوجود وكذلك ظهر مع كون ساقته فان الفتنة الامتحان والاختبار وان قدرناها حالا كانت بمعنى الضلال
ويعود الى جذبها للنفوس الى حاضر لذاتها عن سفر الحق **الرابع** كونهم ما اخذوه منها لها اخرجوا منه
وحوسبوا عليه وهو تنبيه على وجوب قصد الاخرة بما يؤخذ من الدنيا ويصرف فيه وسفير ان يجعل الماخوذ
منها لمجرد التمتع بها لذكر وصفين احدهما وجوب مفارقة الماخوذ منها والاخراج منه والثاني الحساب عليه
في الاخرة واعلم ان الحساب على راي المليين ظاهر لو ان الله تعالى قادر على حساب الخلق دفعة واحدة ولا يشغله
كلام عن كلام وهو سريع الحساب واما الحكماء فقالوا ان الحساب معنى وتقريره بتقديم مقدمات الاولى ان تكرر
الافعال وتكررها يوجب حدوث الملكات في النفوس والاستقرار التام يكشف عن ذلك ومن كان مواظبته
على عمل من الاعمال اكثر كان رسوخ تلك الملكة الصادرة عن ذلك الفعل في نفسه اقوى الثانية انه لما كان تكرر العمل
يوجب حصول الملكة وجب ان يكون لكل عمل يعمله الانسان اثر في حصول تلك الملكة بل يجب ان يكون لكل جزء
من اجزاء العمل الواحد اثر في حصولها بوجه ما وضربوا لذلك مثالا فقالوا لو فرضنا سفينة عظيمة بحيث
لو القي فيها مائة الف من فانها تغوص في الماء قدر شبر واحد لو لم يكن فيها الا حبة واحدة من الحنطة ولذلك
القدر من الجسم الخفيف فيما يوجب غوصها في الماء بمقدار ما له من الثقل وان بلغ في القلة الى حيث لا يدركه
الحس اذا عرفت ذلك فنقول ما من فعل من الخير والشر قليل او كثير الا ويفيد حصول اثر في النفس اما سعادة
او شقاوة وعند هذا ينكشف سر قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكذلك
لما ثبت ان الافعال انما تصدر بواسطة الجوارح من اليد والرجل وغيرهما لا جرم كانت الايدي والارجل شاهدة
على الانسان يوم القيمة بلسان حالها على معنى ان تلك الاثار النفسانية انما حصلت في جواهر النفوس بواسطة
الافعال الصادرة عنها فكان صدور تلك الافعال من تلك الجوارح جاريا مجرى الشهادة على النفس
بما اكتسبته بها اذا عرفت ذلك فنقول لما كانت حقيقة المحاسبة تعود الى تعريف الانسان ما له وما عليه من مال
ونحوه وكان ما يحصل في النفوس من الملكات الخيرية والشرية امورا مضبوطة في جوهرها محصاة عليها وانما يكشف
لها كثرة تلك الهيآت وتمكنها من ذواتها وتضررها بها في الآن الذي ينقطع فيه علاقة النفس مع البدن اشبه ذلك
ما يتبين للانسان عند المحاسبة مما احصي عليه ولذا اطلق عليه لفظ الحساب وتلك اليقين والاطلاع هو المشار
اليه بقوله عليه السلم قدموا عليه وليس المقصود ان ما قدموا عليه في الاخرة هو عين ما اخذ من الدنيا بل ما ترتسم
في النفوس من خير او شر فالذي يتناوله الجاهلون منها لمجرد التنعم بها فهو الذي تتمكن عنه هيآت السوء في جواهر
نفوسهم فيقدمون عليها ويعذبون بها في عذاب جهنم خالدين لا تفتر عنهم وهم فيه مبلسون **الخامس**
كونها عند ذوي العقول كفيء الظل وتنبيه بهذا الوصف على سرعة زوالها وانما خصص ذوي العقول بذلك

لا من احدهما ان المعتبر زوالها عاما يحزنه عقله دون هواه فلذلك نسب الى العقل الثاني ان حال ذوي
العقول رغوب فيه لمن سمعوه لما كان مقصوده تحذير السامعين من سرعة زوالها ليعملوا فيها لما بعدها
نسب ذلك الى ذوي العقول ليقتفي السامعون اثرهم ثم اشار الى وجه شبهها بالظل بقوله بينا تراه الى اخره
اي انها تسرع زوالها كما تسرع زواله وهو من التشبيهات السائرة ومثله قول الشاعر الا انما الدنيا كظل غمامة
اظلت يسيرا ثم خفت فولت **ومن خطبة له عليه السلم** فاتقوا الله عباد الله وبادروا اجالكم باعمالكم وابتاعوا
ما يبقى لكم بما يزول عنكم وترحلوا فقد جد بكم واستعدوا للموت فقد اظلكم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا
واعلموا ان الدنيا ليست لكم بدار فاستبدلوا فان الله لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى وما بين احدكم وبين الجنة
او النار الا الموت ان ينزل به وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة
وان غائبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة الاوبة وان قادما يقدم بالفوز او الشقوة
لمستحق لافضل العدة فتزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به نفوسكم غدا فاتقى عبد ربه نصح نفسه
وقدم توبته غلب شهوته فان اجله مستور عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يزين له المعصية
ليركبها ويمنيه التوبة ليسوفها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها فيا لها حسرة على كل ذي غفلة
ان يكون عمره عليه حجة وان تؤديه ايامه الى شقوة نسأل الله سبحانه ان يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة
ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية ولا تحل به بعد الموت ندامة ولا كآبة **اقول** المبادرة المسارعة
والسدى المهمل وحري بكذا اي اولى به وحري حقيق والتسويف قول الانسان سوف افعل وهو كناية
عن التمادي في الامر والبطر تجاوز الحد في الفرح والكآبة الحزن وحاصل هذه الموعظة التنفير من الدنيا
والترغيب في الاخرة وما يكون وسيلة الى نعيمها والترهيب مما يكون سببا للشقاء فيها فقوله فاتقوا الله
الى قوله باعمالكم فيه تنبيه على وجوب لزوم الاعمال الصالحة وحث عليها بالامر بمسابقة الاجال بها وعلى
توقع سرعة الاجال واخطاره بالبال وهو من الجواذب القوية الى الله تعالى ونسب المسابقة الى الاجال ملاحظة
لشبهها بالمراهن اذ كان لحوقها لهم حائلا بينهم وبين الاعمال الصالحة الشبيهة بما يسبق عليه من رهن **فقوله**
وابتاعوا ما يبقى الى قوله عنكم اشارة الى لزوم الزهد في الدنيا والتخلي عن متاعها الفاني وان يشترى به ما يبقى من
متاع الاخرة وقد عرفت غير مرة اطلاق لفظ البيع هنا وقيد المشتري بما يبقى والثمن بما يزول ليكون المشتري احب الى
النفوس لبقائه **وقوله** وترحلوا فقد جد بكم امر بالترحل وهو قطع منزل منزل من منازل السفر الى الله تعالى في مراتب
السلوك لطريقه وتنبيه على وجوب الترحل بقوله فقد جد بكم اي في السير الى اجالكم بقوة وذلك الجد يعود الى سرعة
توارد الاسباب التي عنها المزاج الفساد وتقربه الى الاخرة ملاحظة لشبهها بسائق الابل ونحوها **وقوله** واستعدوا
للموت فقد اظلكم الاستعداد له هو استكمال النفوس كمالها الذي ينبغي حتى لا يبقى للموت عندها كثير وقع بل يكون
محبوبا لكونه وسيلة الى المحبوب وهو لقاء الله والسعادة الباقية في حضرة الملأ الاعلى ونبه بقوله فقد اظلكم على قربه

واستلزم ذلك تشبيهه بالسحاب او الطير فاستعير له وصف الاظلال وقوله فكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا
تنبيه لهم على الالتفات الى منادي الله وهو لسان الشريعة والانبياء بندائه من مراقد الطبيعة واعلموا
الى قوله سدا تنبيه لهم على ان الدنيا ليست بدار لهم ليلتفتوا عن الركون اليها ويتوقعوا الاخراج منها ثم امرهم
بالاستبدال بها ليتذكروا ان هناك عوضا منها يجب ان يلتفت اليه وهو الدار الاخرة ونبه بقوله فان الله
لم يخلقكم عبثا الى آخره على وجوب العمل لتلك البدل فانهم لم يخلقوا الا لامر وراء ما هم فيه وقوله وما بين احدكم الى
قوله ينزل به تنبيه لهم لما خلقوا له ووعدوا به الوصول اليه انه لا حائل بينهم وبينه الا الموت قال بعض الشارحين
وهذا الكلام مما يصلح متمسكا للحكماء في تفسيرهم الجنة والنار فانهم لما قالوا ان الجنة تعود الى المعارف الالهية
ولوازمها والنار تعود الى حب الدنيا والميل الى مشتهياتها وتمكن الهيئات الردية في جوهر النفس وعشقها
بعد المفارقة لما لا يمكن من العود اليه كمن حل في مجاورة معشوقه والالتذاذ به الى موضع ظلماني شديد
الظلمة مع عدم تمكنه من العود اليه كما قال تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا الاية
وكان ادراك لذة المعارف التامة وادراك ألم النار بالمعنى المذكور امرا يتحقق حال مفارقة هذا البدن اذ كان الانسان
في عالم الشهادة في ادراكه لما حصل في نفسه وتمكن من الهيئات كعضو مفلوج غطي بخدر او علة فاذا زال
الخدر وجد الالم فكذلك النفس بعد الموت تدرك ما لها من لذة او الم كما هو لزوال الشواغل البدنية عنها
قلت بهذا الكلام ايضا ظاهر على مذهب المتكلمين اذ جاء في الخبر ان العبد يكشف له عند الموت عما يستحقه
من جنة او نار ثم يوجد ذلك الى قيام القيمة الكبرى وقوله وان غاية الى قوله المدة كنى بالغاية عن الاجل المعلوم
للانسان ثم نبه على قصره وحقارته بامرين احدهما كونه تنقصه اللحظة اي النظرة وهو ظاهر فان كل جزء من الزمان
فرضته قد مضى من مدة الانسان منقص لها الثاني كونه تهدمه الساعة كنى بالساعة عن وقت الموت
ولا شك ان الآن الذي تنقطع فيه علاقة النفس مع البدن غاية لاجل الانسان وغايته التي هي ما ينقطع
عندها التي كنى بالهدم من ذلك الانقطاع والانتهاء كناية بالمستعار وظاهر ان مدة هذا شانها في غاية
القصر وقوله وان غائبا الى قوله الاوبة اشار بالغائب الى الانسان اذ كانت الدنيا عالم غربته ومحل سفره
ومنزله الحقيقي انما هو منشأه وما اليه مرجعه والجديدان الليل والنهار جديدان لتعاقبهما فليس احدهما
مخلقا للآخر واستعار لفظ الحدو لما يستلزمانه من اعداد الانسان لقرب اجله المشبه لصوت الحادي
الذي يعد الابل لسرعة سيرها وقربها من المنزل المقصود لها فظاهر ان من كان الليل والنهار حاديه فهو
في غاية سرعة الرجوع الى مبدائه ووطنه الاصلي وقال بعض الشارحين اراد بالغائب الموت وهو وان كان
محتملا الا انه لا يطابقه لفظ الاوبة لان الموت لم يكن حتى يرجع وقوله وان قادما الى قوله العدة اشار بالقادم
بالفوز والشقوة الى الانسان حين قدومه على ربه بعد المفارقة فانه اما الفوز بالسعادة الباقية او الحصول على
الخيبة والشقوة ونبه بذكر القدوم على ان من هذا شانه فالواجب عليه ان يستعد افضل عدة ليصل بها

وقوله

البدن

عن

الى احبهما اليه ويتباعد بها عما يكرههما عنده وقوله فتزودوا الى قوله غدا فصل نوع تفصيل لفضل
العدة وهو الزاد الذي يحرز الانسان به نفسه يوم القيمة من السغب في نار جهنم وغليل حرها واشار بتلك الزاد
الى تقوى الله وخشيته وقد علمت حقيقة الخشية والخوف وانه انما يحصل في الدنيا واما كونه من الدنيا فلان
الآثار الحاصلة للنفس من الحالات والملكات كالخشية والخوف وسائر ما يتزود وليستصحبه بعد المفارقة
امور انما حصلت عن هذا البدن واستفيدت من الدنيا واستعير للمشابهة التي لاجلها استعار لفظ
الزاد هنا الاشتراك فيه الزاد المحسوس والتقوى من سلامة المتزود بهما كل في طريقه فذاك في المنازل المحسوسة
من عذاب الجوع والعطش المحسوسين وهذا في المنازل المعقولة ومراتب السلوك ومراحل السفر الى الله تعالى
من عذاب الجوع المعقول وقوله فاتقى عبد ربه الى قوله شهوته اوامر وردت بلفظ الماضي خالية عن العطف
وهي بلاغة تزيك المعنى في احسن صورة فالامر بالتقوى تفسير للامر بالزاد كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد
التقوى والامر بنصيحة النفس اي النظر في مصالحها والشور عليها ان تعمل ما هو الاولى بها من التمسك
بحدود الله والوقوف عندها والامر بتقديم التوبة وغلب الشهوة هو من جملة الامر بالنصيحة كالتفسير له ومن
لوازم التقوى اردفه بها واراد بتقديم التوبة على الموت او بالنسبة الى كل وقت يحضر وقوله فان اجله الى قوله
شقوه حث على امتثال الاوامر السابقة الى التوبة وغيرها وتحذير من هجوم المنية على غفلة لما يستلزم ذلك
من شدة الحسرة وطول الندم على التفريط وذلك ان ستر الاجل عن الانسان موجب للغفلة عنه واذا انضاف
الى ذلك خداع الامل الناشئ عن وساوس الشيطان في تزيينه المعصية وتسويفه التوبة مع كونه موكلا به
وقرينا له كما قال سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ما من مولود يولد الا ويولد معه قرين من الشيطان كان
الغفلة اشد والنسيان اكد واستعار لفظ الخداع لصورة من النفس الامارة بالسوء وهو قولها للانسان
مثلا تمتع من شبابك واغتنم لذة العيش ما دمت في مهلة ومستقبل من عمرك وستلحق التوبة ونحو ذلك
من الاضاليل فان هذه صورة خداع من الشيطان وانما نسب ذلك الى الامل فلان الامل هو عمدة النفس
على فعل تلك الامور وامثالها في مستقبل الاوقات عن توهم طول مدة الحياة واتساعها لما تفعله فيها من معصية
وتوبة وذلك العزم من اسباب الانخداع للشيطان وغروره فلذلك نسب الخداع الى الامل مجازا وجعل غاية ذلك
الخداع هو ان تهجم على المخدوع منيته حال ما هو في اشد غفلة عنها واشتغال بما يؤمله فيكون ذلك مستلزما
لاعظم حسرة واكثر ندامة على ان يكون عمره عليه حجة شاهدا بلسان حاله على ما اكتسب فيه من الآثام
فصار بعد ان كان وسيلة للسعادة سببا للشقاوة واعظم نصب على الحال وحسرة على التمييز المتعجب منه المدعو
واللام في لها قيل للاستغاثة كانه قال يا للحسرة على الغافلين ما اكثرك وقيل بل لام الجر فتحت لدخولها على الضمير
والمنادي محذوف تقديره يا قوم ادعوكم لها حسرة وان في موضع النصب بحذف الجار كانه قيل اعلم تقع عليهم
الحسرة فصل على كون اعمارهم حجة عليهم يوم القيمة وقوله نسأل الله الى قوله كآبة خاتم الخطبة وسال الله الخلاص

من امور ثلثة **الاول** ان يخلصه من شدة الفرح بنعمة الدنيا فان ذلك من لوازم محبتها المستلزمة للهلاك
الابدي **الثاني** ان لا يقصر به عامله عن طاعة ربه اي لا يقصر عن غاية من غايات الطاعة فيا تقصرت هذه الغاية بعد ان
الم يبلغها **الثالث** ان لا تحل به بعد الموت ندامة ولا حزن وذلك سوال لحسم اسبابهما وهو اتباع الهوى في الدنيا والعدول
عن طاعة الله وبالله العصمة **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون اخرا
ويكون ظاهرا قبل ان يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره
مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب
عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق
ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد وكل باطن م
منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها
بائن لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء
متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** المثاور المواثب والداخر الذليل واده الامر
اثقله وذرأ خلق والمبرم المحكم وقد اشتملت هذه الخطبة على مباحث لطيفة من العلم الالهي ايضا لا يطلع عليها
الا المتبحرون فيه **الاول** الذي لم تسبق الى قوله باطنا **اقول** انه لما ثبت ان السبق والمقارنة والقبلية والبعدية
امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت انه تعالى منزه عن الزمان اذ كان من لواحق الحركة المتاخرة عن
وجود الجسم المتاخر عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه لا جرم لم يلحق ذاته المقدسة وما لها من صفات
الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان فلم يجز ان يقال مثلا كونه عالما قبل كونه قادرا او سابقا عليه او كونه
قادرا قبل كونه مريدا او كونه حيا قبل كونه عالما ولا كونه للعالم قبل كونه اخرا له قبلية وسبقا زمانيا بمعنى ان يقال ان اولاهو
القبلية والبعدية قد تطلق بمعان اخر كالقبلية بالشرف والفضيلة والذات والعلية وقد بينا في الخطبة الاولى
ان كلما يلحق ذاته المقدسة من الصفات فاعتبارات ذهنية تحدثها العقول عند مقايسته الى مخلوقاته
وشيء من تلك الاعتبارات لا تتفاوت ايضا بالقبلية والبعدية باحد المعاني المذكورة بالنظر الى ذاته المقدسة
فلا يقال مثلا هو مستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار او بعده والا لكان كمال ذاته قابلا للزيادة والنقصان
بل استحقاقه بالنظر الى ذاته لما يصح ان يعتبر لها استحقاق واحد لجميعها دائما فلا يحال بغرض انه هو يستحق
فيه ان يعتبر له الاولية والاخرية معا استحقاقا ذاتيا اوليا لا على وجه الترتيب وان تفاوتت الاعتبارات بالنظر
الى اعتبارنا وهذا بخلاف غيره من الامور الزمانية فان الجوهر مثلا يصدق عليه كونه اولا من العرض ~~ولا يصدق~~
~~عليه كونه اولا من العرض~~ ولا يصدق عليه مع ذلك انه اخر حتى لو فرضنا عدم جميع الاعراض وبقاء الجوهر بعدها
لم يكن استحقاقه للاعتبارين معا بل استحقاقه لاعتبار الاولية متقدم اذ كانت بعض احواله سابقة على بعض ولا
استحقاقه لهما لذاته بل بحسب بقاء اسبابه ولا العرض لا يصدق عليه انه بعد الجوهر يصدق عليه انه قبله باعتبار ما

وخلاف المختلفين في اي الصفات اقدم مبني على سوء تصورهم لصفاته سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
اذا عرفت ذلك فنقول اوليته هو اعتبار كونه مبدأ الكل موجود واخريته هو كونه غاية لكل ممكن وقد سبق معنى كونه ظاهرا
وباطنا في الخطبة التي اولها الحمد لله الذي بطن خفيات الامور **الثاني** كل مسمى بالوحدة غيره قليل مقصود هذا الكلام انه
تعالى لا يوصف بالقلة وان كان واحدا وتقريره ان الواحد يقال بمعان والمشهور منها المتعارف بين الخلق كون الشيء
مبدأ الكثرة ويكون عادا لها ومكيالا لها وهو الذي يلحقه القلة والكثرة الاضافيتان فان كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة
الى الكثرة التي يصلح ان يكون مبدأ لها والمتصور لاكثر اهل العالم صدق هذا الاعتبار على الله بل ربما لا يتصور منهم
كونه تعالى واحدا الا بهذا التوحيد ولما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلة والكثرة لما يستلزمانه من الحاجة والنقصان
اللازمين لطبيعة الامكان اثبت القلة لكل ما سواه فاستلزم اثباتها لغيره في معرض المدح له نفيها عنه
واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن الوحدة بالمعنى المذكور اذ سلب اللازم يستلزم سلب ملزومه وليس اذا ابطل
كونه واحدا بهذا المعنى يبطل كونه واحدا مطلقا بل انما صدق الواحد عليه بمعان اخر في الخطبة الاولى وقد يتفهم
من هذا انه لما نفي عنه القلة استلزم ذلك ان يثبت له الكثرة وهو من سوء الفهم وقلة العلم فان عدم القلة
انما يستلزم ثبوت الكثرة عن تعاقبهما على محل من شانه قبولهما وربما قيل ان المراد بالقليل هنا الحقير وهو
غير مناسب لذكر الوحدة وانما قال عليه السلام كل مسمى بالوحدة ولم يقل كل واحد ليشعر بان قول الوحدة على واحد منه تعالى
على واحد منه تعالى وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم **الثالث** وكل عزيز غيره ذليل **اقول** رسم العزيز انه الخطير الذي
يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول اليه ثم في كل واحد من هذه القيود الثلثة كمال ونقصان
فالكمال في قلة الوجود ان يرجع الى واحد ويستحيل ان يوجد مثله وليس ذلك الا لله سبحانه والكمال في النفاسة
وشدة الحاجة ان يحتاج كل شيء في كل شيء وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى والكمال في صعوبة المنال ان لا
يصل الى حقيقته على معنى الاحاطة بها وليس ذلك على الكمال الا لله تعالى فهو اذن العزيز المطلق الذي
كل موجود سواه فقير في ذل الحاجة اليه وحقارة العبودية بالنسبة الى كمال عزته فاما العزيز من الخلق فهو الذي
توجد له تلك الاعتبارات لكن لا مطلقا بل بقياسه الى من هو دونه في الاعتبارات المذكورة فهو اذن وان صدق
عليه انه عزيز لذلك الاعتبار الا انه في ذل الحاجة الى من هو اعلى رتبة منه وكذا في تلك الاعتبارات وكذلك
من هو اعلى منه الى ان ينتهي الى العزيز المطلق الذي لا يلحقه ذل باعتبار ما فلذلك اثبت عليه السلام الذل لكل عزيز
سواه **الرابع** وكل قوي غيره ضعيف القوة تعود الى تمام القدرة ويقابلها الضعف ولما كان استناد جميع
الموجودات الى تمام قدرته علمنا انه لا اتم من قدرته فكل قوة وصف بها غيره فبالنسبة الى الضعف يقابلها
لمن هو دونه واذا قيس بالنسبة الى من فوقه كان ضعيفا بالنسبة اليه وكذلك من هو فوقه الى ان ينتهي الى تمام
قدرة الله فهو القوي الذي لا يلحقه ضعف بالقياس الى احد غيره وكذلك قوله وكل مالك غيره مملوك فان معنى
المالك يعود الى القادر على الشيء الذي تنفذ مشيته فيه باستحقاق دون غيره وغيره باذنه ولما ثبت ان كل

موجود سواه فهو في تصريف قدرته ومشيته اذ هما مستند وجوده وثباته هو المالك المطلق الذي ليست
لملوكية بالقياس الى شيء آخر وان كل ما سواه فهو مملوك له وان صدق عليه بالعرف انه مالك بالقياس الى من هو
ثم لا يخفى عليك مما سلف ان قول القوي والمالك عليه وعلى غيره قول بحسب اشتراك الاسم ايضا **الخامس** وكل عالم
غير متعلم لما ثبت ان علمه تعالى بالاشياء على تمام من التفصيل انما هو لذاته ولم يكن شيء منه يستفاد من امر آخر وكان علم
من سواه انما هو مستفاد بالتعلم من الغير ثم الغير من الغير الى ان ينتهي الى علمه تعالى الفائض بالخيرات لاجرم
كان كل عالم سواه متعلما وان سمي عالما بحصول العلم له وكان هو العالم المطلق الذي لا حاجة به في تحصيل العلم
الى امر آخر وكل قادر غيره يقدر ويعجز **السابع** قدرة الله تعالى تعود الى اعتبار كونه مصدر الآثار فاما قدرة السادس
الغير فقد يراد بها قوة جسمانية منبثة في الاعضاء محركة لها نحو الافاعيل الاختيارية والعجز ما يقابل
القدرة بهذا المعنى وهو عدمها عما من شأنه ان يقدر كما في حق الواحد منا وقد يراد بهما اعتبارات آخر
يقابلان اذا عرفت ذلك فنقول القادر المطلق على كل تقدير هو مستند كل مخترع وموجود اختراعا ينفرد
ويستغني فيه عن معاونة غيره وذلك انما يتحقق في حق الله سبحانه فاما كل منسوب الى القدرة سواه فهو وان
كان بالجملة ذا قدرة الى انها ناقصة لتناولها بعض الممكنات فقط وقصورها عن البعض الآخر وعدم تناولها
لما اذا كانت لا تصلح للمخترعات وان نسب اليه ايجاد شيء فلانه فاعل اقرب وواسطة بين القادر الاول
سبحانه وبين ذلك الاثر لا لذاته استقلالا وتفردا به على في مظانه فكل قادر سواه فلذاته يستحق العجز وعدم علی اسم
القدرة وبالنسبة الى ما لا يمكن تعلق قدرته به من سائر المخترعات والممكنات وانما يستحق القدرة من جوده
تعالى وهو اذن الفاعل المطلق الذي لا يعجز عن شيء ولا يستعصي على قدرته شيء **الثامن** وكل سامع غيره يصم شیء
عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها **التاسع** حس السمع في الحيوان عبارة عن
شعب من الدماغ الى الاذن في عصبة تابعة منه الى الصماخ مبسوطة عليه كجلد الطبل وهذه العصبة قوته
الة هذه القوة والصوت هنا يحصل في الهوا عن تموجه بحركة شديدة اما من قرع يحصل من اصطكاك جسمين
صلبين فينضغط الهواء بينهما وينفلت بشدة واما من قلع شديد فيلج الهواء بين الجسمين المنفصلين الصلبين
ويحصل عن السببين تموج الهواء على هيئة مستديرة كما يفعله وقوع الحجر في الماء فاذا انتهى ذلك التموج الى الهواء
الذي في الاذن تحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة فتنفعل العصبة المفروشة على الصماخ
عن تلك الحركة وتدركها القوة السامعة هنالك فهذا الادراك يسمى سماعا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ادراك
هذه القوة الصوت يكون على قرب وبعد وحد من القوة والضعف مخصوص فانه ان كان الصوت ضعيفا
او بعيدا جدا لم يحصل بسببه تموج الهواء فلم يصل الى الصماخ فلم يحصل السماع وذلك معنى قوله يصم عن لطيف نبیه
الاصوات ويذهب عليه ما بعد منها فان قلت خصص اللطيف بالصم عنه والبعيد بالذهاب عليه قلت ان يكون
لان البعيد في مظنة ان يسمع وانما يفوته بسبب عدم وصول الهواء الحامل اليه واما الخفي فلما لم يكن من شأنه ان

القوة السامعة اشبه عجزها عن ادراكه بالصمم فاستعير لفظه له واما ان كان الصوت في غاية من القوة والقرب
فربما احدث الصمم وذلك لشدة قرعه للصماخ وتفرق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل
استعدادها لتأدية القوة الى الصماخ وكل ذلك من نقصان الحيوان وضعفه ولما كان الباري تعالى منزها
عن الجسمية ولوازمها لا جرم كانت هذه اللواحق من الصمم عن لطيف الاصوات وذهاب بعيدها والصمم من
كبيرها مخصوصة بمن له تلك القوة المذكورة والسمع المخصوص فكل سامع غيره فهو كذلك واسلم ان الرب
في معرض مدحه تنزيهه سبحانه عنها اذ ليس سميعا بالمعنى المذكور وقد نطق القرآن باثبات هذه الصفة
له فهو سميع بمعنى انه لا يعزب عن ادراكه مسموع وان خفي فيسمع السر والنجوى بل هو ادق واخفى ويسمع حمد الحامدين
ودعا الداعين وذلك هو السميع الذي لا يتطرق اليه الحدثان اذ لم يكن بآلة ونحوها **العاشر** وكل بصير
غيره يعمى عن خفي الالوان ولطيف الاجسام **اقول** خفي الالوان مثلا كاللون في الظلمة واللطيف
قد يكون بمعنى عديم اللون كما في الهواء وقد يكون بمعنى رقيق القوام كالجوهر الفرد عند المتكلمين وكالذرة واللطيف
بالمعنيين غير مدرك للحيوان واطلق لفظ العمى مجازا اذ كان عبارة اما عن عدم البصر مطلقا او عن عدمه
عما من شأنه ان يبصر ولا واحد من هذين الاعتبارين بموجود للبصير غير الله فلم يكن عدم ادراكهما عمى حقيقيا
بل لكون العمى من اسباب عدم الرؤية اطلق لفظه عليه اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهذا الحكم في
معرض مدحه تعالى يستلزم تنزيه بصره عن لاحق العمى ومظنته اذ كان سبحانه منزها عن معروض العمى
والبصر ومتعاليا عن ان يكون ادراكه بحدقة واجفان وانطباع الصور والالوان وان كان يشاهد ويرى
حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وانه ليس بصيرا بالمعنى المذكور فهو البصير باعتبار انه مدرك لكمال
صفات المبصرات وذلك الاعتبار اوضح واجلى مما يفهم من ادراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات
الحادي عشر وكل ظاهر غيره غير باطن **اقول** ظهور الاشياء هو انكشافها للحس او للعقل انكشافا بينا
وبطونها هو خفاؤها عن احدهما ولما ثبت انه تعالى منزه عن الجسمية ولواحقها علم كونه منزها عن ادراك الحواس
ولما قام البرهان على انه تعالى بريء عن انحاء التراكيب الخارجية والعقلية وجب تنزه ذاته المقدسة عن
اطلاع العقول عليها فعلم من هذا التقرير انه لا يشارك الاشياء في معنى ظهورها وقد وصف نفسه
بالظاهر فيجب ان يكون ظهوره عبارة عن انكشاف وجوده لابصار بصائر عباده في جزئيات آثاره كما قال تعالى
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وان كانت مشاهدة الحق له على مراتب متفاوتة
ودرجات متصاعدة كما اشار اليه بعض مجردي السالكين ما رأيت شيئا الا ورأيت الله بعده فلما ترقوا عن تلك
المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا ما رأينا شيئا الا رأينا الله فيه فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئا الا ورأينا الله
قبله فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئا سوى الله والاول مرتبة الفكر والاستدلال عليه والثاني مرتبة الحدس والثالثة
مرتبة المستدلين به لا عليه والرابعة مرتبة الفناء في ساحل عزته واعتبار الوحدة المطلقة بحذف ما عنها كل حكم

واذا عرفت معنى ظهوره علمت ان شيا من الممكنات لا يكون له الظهور المذكور فانه وان كان لبعض الاشيا
في عقل او حس الا انه ليس في كل عقل وفي كل حس اذ كل مطلع على شي فالذي خفي عنه اكثر مما اطلع عليه
فكل ظاهر غيره فهو باطن بالقياس اليه وهو تعالى الظاهر لكل شي وفي كل شي لكونه مبدا كل شي ومرجع
كل شي **الثاني عشر** وكل باطن غيره فهو ظاهر وقد عرفت معنى البطون للممكنات وظهورها وعلمت ايضا
مما سبق ان كونه باطنا تعالى بمعنيين احدهما انه الذي خفي وتقدس ذاته عن اطلاع العقول عليه والثاني
انه الذي بطن جميع الاشيا خبره ونفذ فيها علمه ثم علمت الظاهر المقابل للمعنى الاول فاما المقابل للثاني
فهو الذي لم يطلع الا على ظواهر الاشيا ولم يكن له اطلاع على بواطنها يقال فلان ظاهر فظاهر لي
اذا عرفت ذلك فنقول ان كل باطن غيره سوا كان المراد بالبطون خفاء التصور او نفوذ العلم في البواطن فهو
ظاهر بالقياس اليه تعالى ظهورا بالمعنى الذي يقابله اما الاول فلان كل ممكن وان خفي على بعض العالمين
لم يخف على غيره وان خفي على الكل فهو ظاهر في علمه تعالى وممكن الظهور في علم غيره فليس اذن يخفى مطلقا وهو تعالى
الباطن الذي لا ابطن منه وكل باطن غيره فهو ظاهر بالقياس اليه واما الثاني فلان كل عالم وان جل قدره
فلا احاطة له ببعض المعلومات وهو قاصر عن بعضها وبعضها غير ممكن له وهو تعالى الذي لا يعزب عنه علم
مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر وكل ظاهر بالقياس اليه وفي بعض النسخ وكل ظاهر
غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر ومعنى القضيتين ان كل ممكن ان كان ظاهرا لم يكشفه العقل او حس
لم يوصف مع ذلك بانه باطن كالشمس مثلا وان كان باطنا خفيا عن العقل او الحس لم يوصف مع ذلك بانه ظاهر
وهو تعالى الموصوف بانه الباطن الظاهر معا وفي هذه النسخ نظر فانا انما اثبتنا كونه تعالى ظاهرا وباطنا معا باعتبارين
وفي بعض الممكنات ما هو كذلك كالزمان مثلا فان كل عاقل يعلم بالضرورة وجود الزمان وان خفيت حقيقته على
جمهور الحكما واضطربت فيه اقوال العلما وكذلك العلم فليس اذن كل ظاهر غيره غير باطن ولا كل باطن غيره غير
ظاهر والله اعلم **الثالث عشر** لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان الى قوله مثار **اقول** انه تعالى لا يفعل لغرض
ومتى كان كذلك كان منزها عن خصوصيات هذه الاغراض اما الاول فبرهانه انه لو فعل لغرض لكان وجود ذلك
الغرض وعدمه بالنسبة اليه تعالى اما ان يكونا سواء او ليس والاول باطل والا لكان حصول الغرض له ترجيحا
من غير مرجح والثاني باطل لانهما اذا لم يستويا كان حصول الغرض اولى به فيه فيكون حصول ذلك الغرض معتبرا في
كماله فيكون بدونه ناقصا تعالى الله عن ذلك لا يقال لم لا يستوي اولوية الغرض بالنسبة الى ذاته بل بالنسبة الى العباد اعني
الاحسان الى الغير لانا نقول غرض احسانه الى الغير وعدمه ان كانا بالنسبة اليه على سواء عاد حديث الرجحان بلا مرجح
وان كان احدهما اولى به عاد حديث الكمال والنقصان واذا عرفت انه تعالى لا يفعل لغرض وكل ما ذكره عليه السلم
في هذا الفصل من تشديد سلطان وتقويته او تخوف عاقبة زمان او استعانة على ند او شريك وضد اغراض علمت
صدق قوله انه لم يخلق شيا من خلقه لشي من هذه الامور وهذا تنزيه من طريق نفي الغرض المطلق واما تنزيهه تعالى

عن خصوصيات هذه الاغراض فلان تشديد السلطان انما يحتاج اليه ذو النقصان في ملكه ولما كان تعالى
هو الغني المطلق في كل شي عن كل شي صدق ان ذلك ليس بغرض له مما خلق واما الخوف من عواقب الزمان فلان
الضرر والانتفاع ونحوهما من الخوف والرجا ونحوهما انما هي من لواحق الممكنات القابلة النقصان والكمال فهما
في معرض التغير والزوال ولما ثبت تنزيهه تعالى عن الانفعال عن شي لم يتصور ان يكون احد هذه الامور غرضا له
وكذلك الاستعانة على الند والضد والشريك فان الاستعانة هي طلب العون من الغير وذلك من لوازم الضعف
والعجز والخوف واذ لا عجز فلا استعانة فلا ند ولا شريك ولا ضد وكذلك نقول لا ند ولا شريك ولا ضد
فلا استعانة والغرض تنزيهه سبحانه عن صفات المخلوقين وخواص المحدثين **وقوله** لكن خلايق مربوبون
وعباد داخرون اي بل خلايق خلقهم بمحض جوده وهو فيضان الخير عنه على كل قابل بقدر ما يقبله من غير بخل
ولا منع وتعويق وبذلك الاعتبار كان كل شي مربوبا له وهو رب كل شي وكل عبد ذليل وهو مالكه ومولاه **وقوله**
لم يحلل في الاشيا فيقال هو فيها كاين اشارة الى وصفه بسلب كونه ذا محل والناس في تنزيهه تعالى عن المحل
كلام طويل والمعقول من الحلول عند الجمهور قيام موجود بموجود على سبيل التبعية له وظاهر ان الحلول بهذا المعنى
على واجب الوجود محال لان كونه تبعا للغير يستلزم حاجته اليه وكل محتاج ممكن قال افضل المتاخرين نصير الدين
الطوسي ابقاه الله والحق ان حلول الشي في الشي لا يتصور الا اذا كان الحال بحيث لا يتعين الا بتوسط المحل
واذ لا يمكن ان يتعين واجب الوجود بغيره فاذن يستحيل حلوله في غيره اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الكون
في المحل والناي عنه والمباينة له امورا انما يقال على ما يصح حلوله فيه وبحله وكان هو تعالى منزها عن الحلول
وجب ان يمتنع عليه اطلاق هذه الامور فاذ ليس هو بحال في الاشيا فليس هو بكاين فيها واذ ليس
بكاين فيها فليس بناي عنها ولا مباين لها **وقوله** لم يؤده خلق ما ابتدا ولا تدبير ما ذرا الاعيا انما
يقال لذي الاعضاء من الحيوان واذ ليس تعالى بجسم ولا ذي آلة جسمانية لم يلحقه بسبب فعله اعياء وانما قال
ما ابتدا ليكون سلب الاعياء عنه ابلغ اذ ما ابتدى من الافعال تكون المشقة فيه اتم وتدبيره يعود الى تصريفه
لجميع الذوات والصفات بما اقتضته كليا وجزئيا على وفق حكمته وعنايته ونحوه قوله تعالى اولم يروا ان
الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن **وقوله** ولا وقف به عجز عما خلق اشارة الى كمال قدرته وان
العجز عليه محال ووقوفه شانه **وقوله** ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر اشارة الى كمال علمه ونفي الشبهة
ان تعرض له واعلم ان الشبهة انما تدخل على العقل في الامور المعقولة الصرفة غير الضرورية وذلك لان علمت
ان الوهم لا يصدق حكمه الا في المحسوسات فاما الامور المعقولة الصرفة فحكمه فيها كاذب فالعقل حال
استعماله الوجه الحق فيما يكون معارضا بالاحكام الوهمية فاذا كان المطلوب غامضا وربما كان في الاحكام
الوهمية ما يشبه بعض اسباب المطلوب فتصوره النفس بصورته وتعتقده مبدا فينتج الباطل في صورة المطلوب
وليس به ولما كان الباري تعالى منزها عن القوى البدنية وكان علمه لذاته لم يجز ان يعرض لقضائه ولا لقدره شبهة

او يدخل عليه فيه شك لكونهما من عوارضها وقد عرفت معنى القضاء والقدر فيما سبق **وقوله** لقضاء متقن وعلم محكم اي بريء من فساد الشبهة والغلط **وقوله** وامر مبرم اشارة الى قدره الذي هو تفصيل قضاء المحكم وظاهر ان تفصيل المحكم لا يكون الا محكما **وقوله** الماءمول مع النقم المرهوب مع النعم **اقول** جمع هذين الوصفين هو كمال ذاته وعموم لاكونه
فيضه وانه لا غرض له وانما الجود المطلق والهيبة لكل ما يستحقه ولما كان العبد حال حلول نقمته به قد يستعد بالاستغفار والشكر لافاضة الغفران ورفع النقمة فيفيضها عليه مع بقاء كثير من نعمه لديه كان تعالى مظنة البدء
الامل والفزع اليه في رفع ما القى وابقاء ما ابقى حتى انه تعالى هو الفيض لصورة الامل واشار بقوله تعالى واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وكذلك حال افاضة نعمته لما كان العبد قد ليستعد بالغفلة للاعراض عن شكرها كان تعالى في تلك الحال اهلا ان يغض عليه ويدر نعمته بسلبها فكان هو الماءمول مع النقم المرهوب مع النعم فهو المستعان به عليه وهو الذي لا مفر منه الا اليه ومن عداه فحلول نقمته غير جامع لامل رحمته وقيام نعمته مانع لشمول رهبته فلا ماءمول ولا مرهوب في كلي الحالين سواه وبالله العصمة والتوفيق

ومن كلام له عليه السلام كان يقوله لاصحابه في بعض ايام صفين معاشر المسلمين استشعروا الخشية وتجلببوا السكينة وعضوا على النواجذ فانه انبا للسيوف عن الهام واكملوا اللامة وقلقلوا السيوف في اغمادها قبل سلها والحظوا الخزر واطعنوا الشزر ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطى واعلموا انكم بعين الله ومع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعاودوا الكر واستحيوا من الفر فانه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب وطيبوا عن انفسكم نفسا وامشوا الى الموت مشيا سجحا عليكم بهذا السواد الاعظم والرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان كامن في كسره قد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم **اقول** المشهور ان هذا الكلام قاله عليه السلام لاصحابه في اليوم الذي كان مساءه ليلة الهرير وروي انه قال في اول ايام اللقاء بصفين وذلك في صفر سنة سبع وثلثين استشعرت الشيء اتخذته شعارا وهو ما يلي الجسد من الثياب والجلباب الملحفة والسكينة الثبات والوقار والنواجذ اقاصي الاضراس ونبا السيف اذا رجع في الضريبة ولم يعمل واللامة بالهمزة الساكنة الدرع وبالممدودة مع تخفيف الميم جميع الات الحرب والقلقلة التحريك والخزر بفتح الزاي ضيق العين وصغرها وكذلك تضيقها والنظر بموخرها عند الغضب والطعن الشزر بكون الزاي الضرب على غير استقامة بل يمينا وشمالا والظبي جمع ظبة وهي طرف السيف والمنافحة التناول باطراف السيوف والاعقاب جمع عقب او جمع عقب او جمع عقبى وهو العاقبة وسجحا اي سهلا والسواد العدد الكثير والرواق بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد وثبجه وسطه والكسر جانب الخباء والنكوص الرجوع والصمد القصد ولن يتركم اي ينقصكم واعلم ان هذه الاوامر مشتملة على تعليم كيفية الحرب والمقاتلة وهي كيفية يستلزم الاستعداد بها افاضة النصر لا محالة فاولها الامر باستشعار خشية الله كما يلزم الشعار الجسد وهو استعارة كما سبق وفائدة هذا الامر الصبر على الحرب

وامتثال جميع الامور الباقية اذ خشية الله مستلزمة لامتثال اوامره ولذلك قدمه الثاني الامر بتجلبب السكينة جلبابا بزيادة الثبات الشامل للانسان منزلة الملحفة في شمولها للبدن والشمول هو وجه الاستعارة وفائدة هذا الامر طرد الفشل وارهاب العدو فان الطيش والاضطراب يستلزمان الفشل وطمع العدو الثالث الامر بالعض على النواجذ وفائدته ما ذكره وهو ان ينبوا السيف عن الهامة وعلته ان العض على النواجذ يستلزم تصلب العضلات والاعصاب المتصلة بالدماغ فيقاوم ضربة السيف ويكون نكايته فيه اقل والضمير في قوله فانه يعود الى المصدر الذي دل عليه عضوا كقولك من احسن كان خيرا له وقال بعض الشارحين عض النواجذ كناية عن تسكين القلب وطرد الرعدة ليس المراد حقيقته قلت هذا وان كان محتملا لوقطع عن التعليل الا انه غير مراد هنا لانه يضيع تعليله بكونه انبا للسيوف عن الهام الرابع الامر باكمال اللامة وهو الدرع والبيضة والسواعد ويحتمل ان يريد باللامة جميع آلات الحرب وما يحتاج اليه فيه وفائدته شدة التحصن الخامس الامر بقلقلة السيوف في الاغماد وفائدته سهولة جذبها حال الحاجة اليها فان طول مكثها في الاغماد يوجب صداها وصعوبة مخرجها حال الحاجة السادس الامر بلحظ الخزر وذلك من هيات الغضب فان الانسان انما ينظر من غضب عليه نظر خزر وفائدته امور احدها احماء الطبع واستثارة الغضب والثاني ان النظر بكليه العين الى العدو امارة الفشل ومن عوارض الطيش والخوف وذلك يوجب طمع العدو الثالث ان النظر بكليتها اليه يوجب له التفطن والحذر واخذ الاهبة والتحرز والنظر خزرا استغفال له ومظنة لاخذ غرته السابع الامر بالطعن الشزر وذلك ان الطعن يمينا وشمالا لا يوسع المجال على الطاعن ولان اكثر المناوشة للخصم في الحرب يكون عن يمينه وشماله الثامن الضرب باطراف السيوف وفائدته ان مخالطة العدو والقرب الكثير منه يشغل عن التمكن من ضربه التاسع الامر بوصل السيوف بالخطى وله فائدتان احدهما ان السيف ربما يكون قصيرا فلا ينال الغرض فاذا انضاف اليه مد اليد والخطوات بلغ به المراد وفيه قول الشاعر اذا قصرت اسيافنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فنضارب وقول الاخر نصل السيوف اذا قصرن بخطونا يوما ونلحقها اذا لم تلحق وقيل له عليه السلام ما اقصر سيفك فقال اطوله بخطوة الثانية ان الزحف في الحرب الى العدو والقدوم اليه خطوات في حال المكافحة يكسر توهم الضعف في عدوه ويلقي في قلبه الرعب ويدخله الرهبة واليه اشار حمدون بقوله ووصل الخطا بالسيف والسيف بالخطا اذا ظن ان المرء ذا السيف قاصر ثم لما اراد تاكيد تلك الاوامر في قلوبهم وان يتبعها اوامر اخرى اردف ذلك بامرين احدهما ان الله تعالى يراهم وينظر كيف يعملون وذلك قوله واعلموا انكم بعين الله والباء هيهنا كهي في قولك انت مني بمراى ومسمع الثاني تذكيرهم بكونهم مع ابن عم رسول الله تنبيها لهم على فضيلته وان طاعته كطاعة رسول الله وحربه كحربه كما هو المنقول عنه حربك يا علي حربي فيثبتوا على قتال عدوهم كما ثبتوا مع رسول الله العاشر الامر بمعاودة الكر وذلك عند التحرف للقتال والانحياز الى الفئة وان يستحيوا من الفرار ثم نبههم على قبحه بامرين احدهما انه عار في الاعقاب اي انه عار في عاقبة امركم وسبة

باقية خلفكم والعرب تستقبح الفرار كثيرا الثاني كونه عارا يوم الحساب اي يوجب استحقاق النار وهو من كبائر المعاصي وجعله نارا مجازا تسمية له باسم غايته وهو تذكير لهم بوعيده تعالى ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير الحادي عشر قوله وطيبوا عن انفسكم وهو تسهيل للموت عليهم الذي هو غاية ما يلقونه من الشدائد في الحرب بالبشارة بما هو اعظم واجل من الحياة الدنيا المطلوبة بترك القتال وهو ما اعد لهم من الثواب الباقي وهذا كما يقول احدنا للمنفق ماله مع حبه له طب نفسا عما ذهب منك فان الصدقة مضاعفة لك عند الله وتجدها خيرا واعظم اجرا ونفسا منصوب على التمييز واشار بها الى النفس المدبرة لهذا البدن وبالاولى الى الشخص الزائل الثاني عشر الامر بالمشي الى الموت سجحا اي مشيا سهلا لا تكلف فيه ولا تجمع فان المتكلف سريع الفرار وهو امر لهم بالمشي الى غاية ما يخافون من القتال ليوطنوا نفوسهم عليه وليبادروا بسرعة الى الحرب اذ من العادة ان يستقبل الشجاع بمثل ذلك فيسارع الى داعيه لما يتصور فيه من جميل الذكر وحسن الاحدوثة ويروي سجحا والمعنى واحد **وقوله** عليكم بالسواد الاعظم الى قوله انجلاء **اقول** لما حثهم بالاوامر المذكورة عين مقصدهم واشار بالسواد الاعظم الى اهل الشام مجتمعين وبالرواق المطنب الى مضرب معوية وكان معاوية اذن في مضرب عليه قبة عالية باطناب عظيمة وحوله من اهل الشام مائة الف كانوا تعاهدوا ان لا يفرجوا عنه حتى يقتلوا وعين لهم وسط الرواق واغراهم بقوله ان الشيطان كامن في كسره واراد بالشيطان معوية وقيل عمرو بن العاص وذلك ان الشيطان لما كان عبارة عن شخص يضل الناس عن سبيل الله وكان معوية في اصحابه كذلك عنده عليه السلام لا جرم اطلق عليه لفظ الشيطان وقد سبقت الاشارة الى معنى الشيطان ويحتمل ان يريد الشيطان المطلق ولما كانت محال الفساد هي مظنة ابليس وكان المضرب قد ضرب على غير طاعة الله كان محلا للشيطان فلذلك استعار له لفظ الجلوس في كسره **وقوله** فقد قدم للوثبة يدا واخر للنكوص رجلا كناية عن تردد معوية وانتظاره لامرهم ان جبنوا وثب وان شجعوا نكص وهرب وعن الشيطان على سبيل الاستعارة الوثبة والنكوص واليد والرجل وكون تقدم يده للوثبة كناية عن تزيينه لاصحاب معوية الحرب والمعصية وتاخيره للنكوص الرجل كناية عن تهيئته للفرار ان التقى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه ~~فلما تراءى الجمعان كما حكى الله سبحانه عنه~~ فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم الاية فان قلت فما معنى نكوص الشيطان على راي من فسره بالقوة الوهمية ونحوها قلت لما كانت وسوسته تعود الى القائه الى النفس صورة ما يحكم بحسنه لها فقط دون امر آخر كما حكى الله تعالى عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم الاية كان نكوصه يعود الى اعراض الوهم عند عض الحرب ومشاهدة المكروه عن ذلك الحكم ورجوعه عنه وهو معنى قوله اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون وذلك ان الوهم اذن حكم بالهرب والانقلاع عن المخوف بعد ان كان قد زين الدخول فيه ويكون اذن قوله اني اخاف الله والله شديد العقاب موافقة لحكم العقل فيما كان يراه من طاعة الله بترك العصية بالحرب وكلا ذلك من تمام اغراء

اصحابه باهل الشام وتنبيههم على ان باعثهم في الحرب ليس الا الشيطان وانه لا غرض له الا فتنتهم ثم الرجوع والاعراض عنهم الثالث عشر امرهم بقصد عدوهم مؤكدا له بتكريره اي اصمدوا لهم صمدا الى غاية ان يظهر لكم نور الحق بالنصر واستعار لفظ العمود للحق الظاهر عن الصبح للمشاركة بينهما في الوضوح والجلاء فالصبح للحس والحق للعقل ولفظ التجلي ترشيح الاستعارة وكنى به عن ظهوره ووضوحه والمعنى الى ان يتضح لكم ان الحق معكم بظفركم بعدوكم وقهره اذ الطالب لغير حقه سريع الانفعال قريب الفرار في المقاومة **وقوله** وانتم الاعلون الاية تسكين لنفوسهم وبشارة بالمطلوب بالحرب وهو العلو والقهر كما بشر الله تعالى به الصحابة في قتال المشركين وتشجيع لهم على المضي في طاعته فان حزب الله هم الغالبون ووعد ولن يتركم اعمالكم تذكير لهم بجزاء الله لهم اعمالهم في الاخرة وبعث لهم بذلك على لزوم العمل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قالوا لما انتهت الى امير المؤمنين عليه السلام انباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما قالت الانصار قالوا قالت منا امير ومنكم امير قال فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وصى بان يحسن الى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم قالوا وما في هذا من الحجة عليهم فقال عليه السلام لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش قالوا احتجت بانها شجرة الرسول صلى الله عليه وآله فقال احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة **اقول** الانباء التي بلغته عليه السلام هي اخبار ما جرى بين الانصار والمهاجرين من المشاجرة في امر الامامة وايقاعهم البيعة لابي بكر وخلاصة القصة انه لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله اجتمعت الانصار في سقيفة بني ساعدة وهي صفة كانوا يجتمعون بها فخطبهم سعد بن عبادة ومدحهم في خطبته واغراهم بطلب الامامة وقال ان لكم سابقة في الاسلام ليست لقبيلة من العرب ان رسول الله لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوه ولا يدفعوا عنه ضيما حتى اراد الله بكم خير الفضيلة وساق اليكم الكرامة ورزقكم الايمان به والاقرار بدينه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوه من غيركم حتى استقاموا لامره ودانت لاسيافكم العرب وانجز الله لنبيكم الوعد وتوفاه وهو عنكم راض فشدوا ايديكم بهذا الامر فانكم احق الناس به فاجابوه جميعا ان وفقت واصبت ولن نعدو ان نوليك هذا الامر واتى الخبر ابا بكر وعمر فجاءا مسرعين الى السقيفة فتكلم ابو بكر فقال للانصار الم تعلموا انا معاشر المهاجرين اول الناس اسلاما ونحن عشيرة رسول الله وانتم انصار الدين ووزراء رسول الله واخواننا في كتاب الله وانتم المؤثرون على انفسهم واحق الناس بالرضا بقضاء الله والتسليم لما ساق الله الى اخوانكم وان لا يكون انتقاض هذا الدين على ايديكم وانا ادعوكم الى بيعة ابي عبيدة او عمر فكلاهما قد رضيت لهذا الامر فقال عمر وابو عبيدة ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك انت صاحب الغار وثاني اثنين وامرك رسول الله بالصلوة فانت احق بهذا الامر فقالت الانصار نحن انصار الله والايمان لم يعبد الله علانية الا عندنا وفي بلدنا ولا عرف الايمان الا من اسيافنا ولا جمعت الصلوة الا في مساجدنا فنحن اولى بهذا الامر فان ابيتم فمنا امير ومنكم امير فقال عمر هيهات لا يجمع سيفان في غمد ان العرب

لا نرضى ان نؤمركم ونحن بها من غيركم فقال الحباب بن المنذر نحن والله احق بهذا الامر انه قد دان لهذا الامر باسيافنا
من لم يكن يدين له وان لم ترضوا اجليناكم عن بلادنا انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ان شئتم لنعيدنها
جذعة والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بسيفي هذا فقام بشير بن سعد الخزرجي وكان يحسد سعد بن
عباده ان يصل اليه هذا الامر وكان سيدا في الخزرج وقال انا لم نرد بجهادنا واسلامنا الا وجه ربنا لا غرضا
من الدنيا وان محمدا رجل من قريش وقومه احق بميراث امره واتقوا الله ولا تنازعوهم معشر الانصار فقام ابو بكر
وقال هذا عمر وابو عبيده بايعوا ايهما شئتم فقالا لا يتولى هذا الامر غيرك وانت احق به ابسط يدك فبسط
يده فبايعاه وبايعه بشير بن سعد وبايعه الاوس كلها وحمل سعد بن عباده وهو مريض فادخل منزله وقيل انه بقي
ممتنعا من البيعة حتى مات بحوران في طريق الشام ولنرجع الى المتن فنقول اما الخبر الذي رواه عليه السلم عن رسول
الله صلى الله عليه وآله حجة عليهم فهو صحيح اخرجه مسلم والبخاري في مسنديهما عن انس قال ان ابا بكر والعباس
بمجلس من مجالس الانصار في مرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا
ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فدخلا على الرسول فاخبراه بذلك فخرج صلى الله عليه وآله معصبا على رأسه
حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي
وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فاما وجه احتجاجه بهذا
الخبر فهو في صورة شرطية متصلة يستثنى فيها نقيض تاليها وتقريرها لو كانت الامامة حقا لهم لما كانت الوصية
بهم لكنها بهم فليست الامامة لهم بيان الملازمة ان العرف قاض بان الوصية والشفاعة ونحوهما انما يكون
الى الرئيس في حق المرؤوس من غير عكس واما بطلان التالي فللخبر المذكور واما قوله احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة
فاشار بالثمرة اما الى نفسه واهل بيته فانهم ثمرة الغصن المورق المثمر لتلك الشجرة ولما استعير لفظ الشجرة لقريش
استعار لفظ الثمرة وقد عرفت فرعيته من رسول الله وكونه ثمرته واضاعتهم لها اهمالهم من هذا الامر ويحتمل ان يريد
بالثمرة التي اضاعوها سنة الله الموجبة في اعتقاده استحقاقه لهذا الامر وظاهر كونها ثمرة الرسول صلى الله
عليه وآله واهمالهم لها ترك العمل بها في حقه وهو كلام في قوة احتجاج له على قريش بمثل ما احتجوا به على الانصار
وتقريره انهم ان كانوا اولى من الانصار لكونهم شجرة رسول الله فنحن اولى لكوننا ثمرته وللثمرة اختصاص بالمثمر من
وجهين احدهما القرب ومزيته ظاهرة والثاني ان الثمرة هي المطلوبة بالذات من الشجرة وغرسها فان كانت الشجرة
معتبرة فبالاولى اعتبار الثمرة وان لم يلتفت الى الثمرة فبالاولى لا التفات الى الشجرة ويلزم من هذا الاحتجاج احد الامرين
اما بقاء الانصار على حجتهم لقيام هذه المعارضة او كونه عليه السلم احق بهذا الامر وهو المطلوب والله اعلم بالصواب

ومن كلام له عليه السلم لما قلد محمد بن ابي بكر مصر فملكت عليه وقتل وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبه ولو وليته
اياها لما خلى لهم العرصة ولا انهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن ابي بكر ولقد كان الي حبيبا وكان لي ربيبا **اقول**
كان عليه السلم ولى محمد بن ابي بكر مصر فلما اضطرب الامر عليه بصفين وقوى امر معويه طمع في مصر وقد كان عمرو بن العاص

بايعه على ان يكون معه في قتال علي ويكون مصر طعمة فبعثه اليها بعد صفين في ستة الاف فارس وقد كان
فيها جماعة عظيمة ممن يطلب بدم عثمان وكانوا يزعمون ان محمدا قتله فانضافوا الى عمرو وكان معاويه كتب الى وجوه
اهل مصر اما الى شيعته فبالترغيب واما الى اعدائه فبالترهيب وكتب محمد بن ابي بكر الى علي بالقصه يستمده
بالمال والرجال فكتب اليه يعده بذلك فجعل محمد يدعوا اهل مصر لقتال عمرو فانتدب معه منهم اربعة الاف
رجل فوجه منهم الفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو ولقي هو في الفين فالتقى كنانة في ذلك اليوم بلا دهم جنان
وقتل من عسكر عمرو خلقا كثيرا ولم يزل يقاتل حتى قتل هو ومن معه فلما قتل تفرق الناس عن محمد واقبل عمرو
يطلب محمدا فهرب منه متخفيا فالتجى الى خربة اختبى فيها ودخل عمرو فسطاطه وخرج معويه بن حديج الكندي
وكان من امراء جيش عمرو في طلب محمد فظفر به وقد كاد يموت عطشا فقدمه فضرب عنقه ثم اخذ جثته فحشاها
في جوف حمار ميت واحرقه وقد كان علي عليه السلم وجه لنصرته مع مالك بن كعب الى مصر نحوا من الفي رجل فسار
بهم خمس ليال وورد الخبر الى علي بقتله واخذ مصر فخرج عليه السلم عليه جزعا ظهر اثره في وجهه ثم قال رحم الله
محمدا كان غلاما حدثا وقد كنت اردت الفصل والتهيز النهوض لتناول الشيء والفرصة النهضه وهي ما يمكنك
من نفسه وانما اراد توليه هاشم لقوته على هذا الامر وكثرة تجاربه وهاشم هذا ابن عتبه بن ابي وقاص الذي
كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد وكلم شفته وكان هاشم من شيعة علي والمخلصين في
ولايته وشهد معه صفين وابلى فيه بلاء حسنا واستشهد بين يديه بها وقوله لما خلى لهم العرصة
اي عرصة الحرب كما فر محمد وظن انه ينجى بفراره ولو ثبت لثبت معه الناس وقتل كريما **وقوله** ولا انهزهم الفرصة
كنى بالفرصة عن مصر اي ولم يمكنهم من تناولها كما مكنهم محمد وقوله بلا ذم لمحمد اي لست في مدحي لهاشم
ذاما لمحمد ونبه على براءته من استحقاق الذم بوجهين الاول انه كان له حبيبا وظاهر انه عليه السلم لا يحب الا من يحبه
الله ورسوله بريا من العيوب الفاضحة وقد كان محمد رضي الله عنه من نساك قريش وعبادها والثاني انه كان ربيبا
له وذلك مما يستلزم محبته وعدم ذمه فاما كونه ربيبا فلان ام محمد هي اسماء بنت عميس وكانت تحت جعفر ابن ابي
طالب وهاجرت معه الى الحبشة فولدت له عبد الله بن جعفر وقتل عنها يوم مؤتة فتزوجها ابو بكر فاولدها محمدا ثم لما
مات عنها تزوجها علي عليه السلم فكان محمد ربيبه ونشا على يده لا يعرف ابا سواه وكان علي يحبه ويكرمه ويقول
محمد ابني من ظهر ابي بكر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** في ذم اصحابه كم اداريكم كما تدارى البكار العمدة
والثياب المتداعية كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر كلما اطل عليكم منسر من مناسر اهل الشام اغلق
كل رجل منكم بابه وانجحر انجحار الضبة في جحرها والضبع في وجارها الذليل والله من نصرتموه ومن رمي بكم فقد
رمي بافوق ناصل انكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات واني لعالم بما يصلحكم ويقيم اودكم ولكني والله لا
ارى اصلاحكم بافساد نفسي اضرع الله خدودكم واتعس جدودكم لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل ولا تبطلون الباطل
كابطالكم الحق **اقول** البكار جمع بكر وهو الفتي من الابل والعمدة هي التي شدخ اسنمتها ثقل الحمل والحوض

الخياطة وتهتك تخرقت واطل اشرف والمنسر بكسر الميم وفتح السين وبالعكس القطعة من الجيش من المائة الى
المائتين وقد سبق وانجحر الضب دخل جحره وهو بيته وجب الضبع وجاره والافوق النصل السهم لا فوق له والناصل
والباحة ساحة الدار والاود الاعوجاج واضرع اذل واتعس اهلك وهذا الفصل يشتمل على توبيخ اصحابه
لتقاعدهم عن النهوض معه الى حرب اهل الشام وذكر وجوه التوبيخ قوله حاجتهم الى المداراة الكثيرة وليس
ذلك من شيم الرجال ذوي العقول بل من شان البهائم ومن لا عقل له وشبههم في حاجتهم الى المداراة
تشبيهين احدهما بالبكار التي تداعكها جلبها ووجه الشبه بينها وبينهم هو قلة صبرهم وشدة اشفاقهم
وفرارهم من التكليف بالجهاد واستعانتهم كما يستعجرجر البكر العمد وفراره من معاودة الحمل الثاني بالثياب
المتداعية وهي التي يتبع ما لم يتخرق منها ما انخرق في مثل حاله ووجه الشبه ما ذكره وهو قوله كلما حيصت من جانب
تهتكت من آخر اي كما ان الثياب المتداعية كذلك فكذلك كلما اصلح حال بعضهم وجمعهم للحرب فسد بعض آخر
عليه الثاني شهادة حالهم عليهم بالجبن والخوف وهو قوله كلما اطل الى قوله وجارها وكنى باغلاق كل منهم بابه
عند سماعهم بقرب بعض جيوش الشام منهم عن فرارهم من القتال وكراهية سماعهم للحرب وشبههم في ذلك الخوف
والفرار بالضبة والضبع حين ترى الصائد وانما خص الاناث لانها اولى بالمخافة من الذكران الثالث
وصفهم بالذلة وقلة الانتفاع بهم فنبه على وصف الذل بقوله الذليل والله من نصرتموه فانه انما يكون ذليلا لكونهم
كذلك ويحتمل ان يشير بذلك الى سوء آرائهم في التفرق والاختلاف ثم بالغ في ذلك بحصر الذل لكل منتصر بهم
من نصره ونبه على قلة الانتفاع بهم بقوله ومن رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل استعار لهم من اوصاف السهم
ارداها وكنى بذلك عن عدم فايدتهم ونكايتهم في العدو كما لا فايدة في الرمي بالسهم الموصوف الرابع وصفهم
بالكثرة في الجامع والافنية مع قلتهم في الحرب وتحت الالوية وذلك يعود الى الذم بالجبن ايضا والعادة فان قلة
في الحرب هو التفرق عنه من لوازم الخوف وكان مقابل هذا الوصف وهو الاجتماع والكثرة في الحرب مع القلة
في غيره مدحا كما قال ابو الطيب * ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا * قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا * وقال البحتري ان كان هذا
الوصف ذما كما قال عويف القوافي * الستم اقل الناس عند لوائهم * واكثرهم عند الذبيحة والقدر * وقوله واني لعالم
الى قوله اودكم اراد انه لا يصلحهم الا السياسة بالقتل ونحوه كما فعل الحجاج حين ارسل المهلب الى الخوارج
انه نادى في الكوفة من تخلف عن المهلب بعد ثلث فقد احل بدمه وقتل جماعة فخرج الناس الى المهلب يهرعون
وكما فعله كثير من الملوك وقوله ولكني لا ارى اصلاحكم بافساد نفسي اي انه لم يكن ليستحل من دماء اصحابه
ما يستحل ملوك الدنيا من رعيتهم اذا ارادوا ثبات ملكهم ولو بفساد دينهم لا جرم لم يرد اصلاحهم بذلك
سببا لفساد نفسه بلزوم آثامهم لها ولما كان من الواجب في الحكمة ان يكون اصلاح الانسان للغير
فرعا على اصلاح نفسه اولا لم يتصور من مثله عليه السلام ان يفعل فعلا يستلزم فساد نفسه وان اشتمل
على وجه من المصلحة فان قلت الجهاد بين يدي الامام العادل واجب وله ان يحملهم عليه فلم لا يستجيز قتلهم

قلت الجواب من وجهين احدهما انه ليس كل واجب يجب في تركه القتل كالحج الثاني لعله عليه السلام لو شرع في
عقوبتهم بالقتل على ترك الجهاد معه لفروا عنه الى خصمه او سلموه اليه او اتفقوا على قتله وكل هذه مفاسد
اعظم من تقاعدهم عن دعوته لهم في بعض الاوقات وقوله اضرع الله الى آخره دعا عليهم بالذل والهلاك الحظ
ثم نبههم على علة استحقاقهم لدعائه وهي الجهل ثم ما يشاكله من ظلم انفسهم اما الجهل فعدم معرفتهم
الحق كمعرفتهم الباطل وقد يراد به ما يلزمهم من اوامر الله واراد بمعرفتهم الباطل معرفتهم باحوال الدنيا وباطلها والاشتغال
به عن اوامر الله ويحتمل ان يشير به الى ما يعرض لبعضهم من الشبه الباطلة في قتال اهل القبلة فيوجب لهم التوقف
والتخاذل عن الحرب ويكون مكاثرة بين معرفتهم للباطل والحق تنبيها على قوة جهلهم المركب وهو اشد الجهل
وغاية توبيخهم بكونهم على قسمي الجهل فالبسيط هو عدم معرفتهم للحق والمركب هو تصديقهم بالباطل
واما الظلم فهو ابطالهم للحق وذلك اشارة الى تعليهم عن طاعة الله وتصامهم عن سماع منادية واجابته
وعدم ابطالهم للباطل اشارة الى عدم انكارهم للمنكر من انفسهم وغيرهم وبالله التوفيق وقال عليه السلام في
سحرة اليوم الذي ضرب فيه ملكتني عيني وانا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه واله فقلت يا رسول الله
ماذا لقيت من امتك من الاود واللدد فقال ادع عليهم فقلت ابدلني الله بهم خيرا لي منهم وابدلهم بي شرا لهم مني
اقول السحرة السحر الاعلى وما كيفية قتله عليه السلام مذكور في التواريخ وقوله ملكتني عيني فاستعارة
حسنة ويجوز في المركب اما الاستعارة فلفظ الملك للنوم ووجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم
وقهره ومنعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع الملك المملوك من التصرف في امره واما التجوز ففي العين وفي
الاسناد اليها اما الاول فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملابسة اذ انطباق الجفون من عوارضهما
واما الثاني فاسناد الملك الى النوم المتجوز فيه بلفظ العين والواو في قوله وانا الحال وقوله فسنح الى آخره اراد
بالسنح حضور صورة رسول الله صلى الله عليه وآله في لوح خياله كما علمت وشكايته منهم وجواب الرسول له يستلزم
امرين احدهما انه عليه السلام كان في غاية الكرب من تقصيرهم في اجابة ندائه ودعوته الى الجهاد حتى انتهت الحال الى ذلك
الثاني عدم رضا الرسول صلى الله عليه وآله عنهم وقوله وابدلهم بي شرا لهم مني لا يستلزم ان فيه شرا كما قد يتبادر منه
[illegible] ومن كلام له عليه السلام في ذم اهل العراق اما بعد يا اهل العراق فانما انتم كالمراة الحامل حملت فلما اتمت
املصت ومات قيمها وطال تايمها وورثها ابعدها اما والله ما اتيتكم اختيارا ولكن جئت اليكم سوقا ولقد بلغني
انكم تقولون يكذب قاتلكم الله فعلى من اكذب اعلى الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه كلا والله لكنها
لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها ويل امه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء ولتعلمن نباه بعد حين اقول املصت اسقطت
والايم التي لا بعل لها واللهجة اللسان والقول الفصيح وهذا الكلام صدر عنه بعد حرب صفين وفيه مقصودان
الاول توبيخهم على تركهم للقتال بعد ان شارفوا النصر على اهل الشام وتخاذلهم الى التحكيم وابرز هذا
المقصود في تشبيههم بالمراة الحامل وذكر لها اوصافا خمسة هي وجوه الشبه بينها وبينهم فالحمل تشبيه

استعدادهم وتعبيتهم للحرب والاتمام بشبه مشارفتهم للظفر والاملاص يشبه رجوعهم عن عدوهم بعد طمعهم في الظفر به وذلك رجوع غير طبيعي ولا معتاد للعقلاء كما ان الاملاص امر غير طبيعي للحامل ولا معتاد لها ثم موت القيم بامورها وهو زوجها وطول عزبتها وذلك يشبه عدم طاعتهم له الجاري مجرى موته عنهم وطول ضعفهم لذلك ودوام عجزهم وذلتهم بعد رجوعهم لتفرقهم الى الخوارج وغيرهم فان موت قيم المراة مستلزم لضعفها ودوام عجزها وذلتها ثم كونها قد استحق ميراثها البعيد عنها لعدم ولدها وزوجها وذلك يشبه من حالهم اخذ عدوهم الذي هو ابعد الناس عنهم ما لهم من البلاد واستحقاقه ذلك بسبب تقصيرهم في مقاومته وبهذه الوجوه من الشبه اشبهوا المراة المذكورة ثم توبيخهم من هذه الجهة ثم اخبرهم على وجه التضجر من حالة معهم بانه لم ياتهم ايثارا منه للمقام بينهم ولكن سوقا بقدر اذ اضطره الى قتال صدوقه اذ لم يكن خروجه من المدينة التي هي دار الهجرة ومفارقته منزل رسول الله وقبره الى الكوفة الا لقتال اهل البصرة وحاجته الى الاستنصار باهل الكوفة عليهم اذ لم يكن جيش الحجاز وافيا بقتالهم ثم اتصلت تلك الفتنة بفتنة اهل الشام فدامت حاجته الى المقام فيهم وهو قوله ولا جئت اليكم شوقا بل سيرا اليهم والمقصد الثاني توبيخهم على ما بلغه من تكذيبهم له ومقابلته لهم على ذلك برد احكام اوهامهم الفاسدة في حقه وذمهم بجهلهم وقصور افهامهم عما يفيده من الحكمة وهو قوله وقد بلغني انكم تقولون يكذب صورة دعواهم المقول عليه انه كان جماعة من منافقي اصحابه اذا اخبر عن امور ستكون او كانت ثم اخبر عنها واسند ذلك الى رسول الله صلى الله عليه واله يتحادثون فيما بينهم بتكذيبه فيبلغه ذلك كاخباره عن قصة الخوارج وما يكون منهم وعن ذي الثدية وانه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ونحو ذلك من الامور الغريبة التي يستنكرها طباع العوام ولا يعقل اسرارها الا العلماء بل كانوا يكذبونه بمحضر روي انه قال لو كسرت لي الوسادة لحكمت بين اهل التورية بتوريتهم وبين اهل الانجيل بانجيلهم وبين اهل الفرقان بفرقانهم والله ما من آية نزلت في بر او بحر او سهل او جبل ولا سماء ولا ارض الا وانا اعلم فيمن نزلت وفي اي شيء نزلت قال رجل من تحت المنبر اياه والدعوى الكاذبة وكذلك لما قال سلوني قبل ان تفقدوني اما والله لتشغرن الفتنة العمياء برجلها وتطأ في خطامها بالمنافقة شبت نارها بالحطب الجزل مقبلة من شرق الارض رافعة ذيلها داعية ويلها بدجلة او حولها ذلك اذا استدار الفلك وقلتم مات وهلك باي واد سلك فقال قوم من تحت منبره لله ابوه ما افصحه كاذبا وكانها اشارة الى واقعة التتار وقابل دعواهم بان احدهما الدعاء عليهم بقتال الله لهم وقد علمت ان قتاله يرجع الى مقته وابعاده عن رحمته الثاني الحجة وتقريرها ان الذي اخبركم به من هذه الامور انما هو عن الله وعن رسوله فلو كذبت فيه لكذبت اما على الله وهو باطل لاني اول من آمن به او اول مومن به لا يكون اول مكذب له او على نبيه وهو باطل لاني اول من صدقه واتبع ملته وقوله كلا والله رد لصورة دعواهم بعد الحجة كانه قال فاذن دعواكم علي الكذب فيما اخبركم به باطلة **وقوله** ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من اهلها يريد به بيان منشا دعواهم القا

لكن به وذلك كون ما يقوله ويخبر به من الامور المستقبلة ونحوها اطوارا وراء عقولهم الضعيفة التي هي بمنزلة اوهام ساير الحيوان فلم يصلوا لفهم اسرارها باهل واشار باللهجة الى تلك الاقوال واسرارها وبغيبتهم عنها الى غيبة عقولهم عن ادراكها ومعرفة امكانها في حق مثله او الى غيبتهم عنها عند القاء الرسول صلى الله عليه وآله قوانينها الكلية اليه وتعليمه لابوابها وتفصيل ما انفصل منها له وظاهر انه لما كانت عقول اولئك وامثالهم مقهورة تحت سلطان اوهامهم فكان الوهم مكذبا ومنكرا لمثل هذه الاحكام لم تنهض عقولهم لتصديقه عليه السلم فيها ولم يجز اطلاعه عليها بل انبعث اوهامها في الحكم بتكذيبه وحالهم في ذلك مختصر من حال رسول الله صلى الله عليه وآله مع منافقي قومه **وقوله** ويل امها في الاصل دعاء بالشر لجنس واضافته الى الام دعاء عليها ان تصاب باولادها وقيل انها تستعمل للرحمة وقيل تستعمل للتعجب واستعظام الامر **وقوله** كيلا بغير ثمن اشارة الى ما يفيضه عليهم من الاخلاق الكريمة والحكم البالغة التي لا يريدون بها جزاء ولا ثمنا ثم لا يفقهونها ولا يهذبون بها انفسهم لكون نفوسهم غير مستعدة لقبولها فليس لها اذن من تلك الانفس وعاء يحصلها واستعار لفظ الكيل وكنى به عن كثرة ما يلقيه اليهم منها وهو مصدر استغنى به عن ذكر فعله على هذا يحتمل ان يكون ويل امه دعاء بالشر على من لم يعقه مقاله ولم يقتبس الحكمة منه والضمير للانسان ذلك الوقت وان لم يجر له ذكر سابق مفرد يعود اليه لكنه موجود في كل شخص منهم فكانه قال ويل الامهم ويحتمل ان يكون ترحما لهم فان الجاهل مرحوم ويحتمل ان يكون تعجبا من قوة جهلهم او من كثرة كيله الحكم عليهم مع اعراضهم عنها **وقوله** ولتعلمن نباه بعد حين اقتباس لهذه الآية المفصحة عن مقصوده اي لتعلمن نبا جهلكم واعراضكم عما امركم به والقيه اليكم من الحكم والآداء الصالحة وينكشف لكم ثمرة ذلك بعد حين واشار بالحين اما الى مدة الحرب من الدنيا وثمرة اعمالهم اذن الندامة والحسرة على ما فرطوا في جنب الله حيث لا ينفع الا الاعمال الصالحة وذلك حين يزول عنهم غواشي ابدانهم وتطرح نفوسهم جلابيبها بالموت واما الى مدة حياة هو كي سيعلمون عاقبة فعلكم هذا بعد مفارقتي لكم والعاقبة اذن ابتلاؤهم بمن بعده من بني امية وقهرهم بالقتل والذل والصغار والله الموفق والعصمة

ومن خطبة له عليه السلم علم فيها الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله اللهم داحي المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الاباطيل والدامغ صولات الاضاليل كما حمل فاضطلع قائما بامرك مستوفزا في مرضاتك غير ناكل عن قدم ولا واه في عزم واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبس القابس واضاء الطريق للخابط وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام الى موضحات الاعلام ونيرات الاحكام فهو اميتك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك بالحق ورسولك الى الخلق اللهم افسح له مفسحا في ظلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بناءه واكرم لديك منزله

واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك مقبول الشهادة مرضي المقالة ذا منطق عدل وخطبة فصل اللهم اجمع
بيننا وبينه في برد العيش وقرار النعمة ومنى الشهوات واهواء اللذات ورخاء الدعة ومنتهى الطمأنينة وتحف
الكرامة **اقول** المدحوات المبسوطات والمسموكات المرفوعات ودعمها حفظها بالدعامة وجبل خلق
والفطرات جمع فطرة وهي الخلقة والدمغ كسر عظم الدماغ وجيشات جمع جيشة من جاشت القدر ارتفع
غليانها واضطلع بالامر قوي على حمله والقيام به من الضلاعة وهي القوة والاستيفاز الاستعجال والنكول
الرجوع والقدم التقدم والوهي الضعف ووعى الامر فقهه والقبس شعلة النار واورى اذكى واشعل وقد
اشتملت هذه الخطبة على ثلثة فصول الاول في صفات المدعو وتمجيده وهو الله سبحانه والثاني في صفات
المدعو له وهو النبي صلى الله عليه وآله الثالث في انواع المدعو به وذلك هو الترتيب الطبيعي فبدأ بمجد الله تعالى
باعتبارات ثلثة احدها كونه داحي المدحوات اي باسط الارضين السبع وظاهر كونها مدحوات فان كل طبقة
منها اذا اعتبرت كانت مبسوطة واما صدق البسط على جملة الارض مع انها كرة وشهادة ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحيها بذلك وقوله والارض مددناها فهو باعتبار طبقاتها وقد يصدق عليها البسط
سطحها البارز من الماء الذي يتصرف عليه الحيوان فانه في الاوهام سطح مبسوط وان كان عند الاعتبار العقلي محدبا
واليه الاشارة بقوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والله جعل لكم الارض بساطا الثاني داعم المسموكات اي حافظ
السموات ان تقع على الارض ان قلت قد قال في الخطبة الاولى بلا عمد يدعمها ثم جعلها هنا مدعومة فما وجه الجمع
قلت لم ينف هناك الا كونها مدعومة بعمد وههنا اثبت كونها مدعومة بغير العمد وقد بينا هناك ان الدعامة
التي تقوم بها السموات وهي قدرته تعالى الثالث كونه جابل القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اي خالق
النفوس على ما خلقها عليه من الشهوة والاستعداد لسلوك سبيلي الخير والشر واستحقاق الشقاوة والسعادة بحسب
القضاء الالهي كما قال تعالى ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من
دسيها وقوله وهديناه النجدين اي الهمناه معرفة سلوك طريقي الخير والشر واهل العرفان كثيرا ما يعبرون
عن النفس بالقلب وشقيها بدل من القلوب اي خالق شقي القلوب وسعيدها على فطراتها المكتوبة في اللوح المحفوظ
فمن جذبته العناية الالهية بزمام عقله على وفق ما كتب له قاعدة لقبول الهداية لسلوك سبيل الله فهو السعيد
ومن لحقه حبائل القضاء الالهي فخطته الى مهاوي الهلكة فذلك هو الشقي البعيد واليه الاشارة بقوله تعالى
فمنهم شقي وسعيد الاية **وقوله** واجعل شرايف صلواتك ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك بعض مطلوبه
من هذا الدعاء وشرايف صلواته ما عظم من رحمته وكمال جوده على النفوس المستعدة لها ونوامي بركاته ما
زاد منها **الفصل الثاني** ذكر للنبي عليه السلام احد وعشرين وصفا هي جهات استحقاق الرحمة من الله وزيادة
البركة المدعو بها **الاول** كونه عبد الله وظاهر كون العبودية جهة لاستحقاق الرحمة ~~الاول كونه عبد الله تعالى~~
~~كون العبودية جهة لاستحقاق الرحمة~~ **الثاني** كونه رسولا والرسالة نوع خاص من الاستعداد يوجب مزيد الرحمة

باعتبار

الثالث كونه خاتما لما سبق من انوار الوحي والرسالة بنوره وما جاء به من الدين الحق وظاهر كون ذلك جهة
استعداد منه لقبول الرحمة ودرجات الكمال **الرابع** كونه فاتحا لما انغلق من سبيل الله قبله وطرق جنته وحظيرة
قدسه باندراس الشرايع ففتح صلى الله عليه وآله تلك السبيل ببرهانه وكيفية هدايته للخلق فيها **الخامس** كونه
قد اظهر الحق بالحق والحق الاول هو الدين وما يدعوا اليه والثاني فيه اقوال فقيل هو المعجزات اذ بسببها تمكن من اظهار
الدين وقيل الحروب والخصومة يقال فلان حاق فلانا فحقه اي خاصمه فغلبه وقيل هو البيان اي اظهر الدين
بالبيان الواضح واقول الاشبه انه اراد اظهر الحق بعضه ببعض فكل جزء من الحق حق وذلك ان الدين لم يظهر دفعة
وانما بني الاسلام على خمس ثم كثرت فروعه فالاصل اظهر الفرع وظاهر كون اظهاره للحق جهة لاستحقاق الرحمة
السادس كونه دافعا جيشات الاباطيل اي ثوران فتن المشركين وانبعاثهم لاطفاء انوار الله او لفتنهم الثائرة
التي كانت معتادة لهم من الغارات وحروب بعضهم لبعض فان كل ذلك امور باطلة على غير قانون عدلي من الله وذلك
الدفع من جهات قبول الرحمة **السابع** كونه دامغا صولات الاضاليل وهو قريب من السادس واستعار لفظ الدمغ
لابطاله الضلال بالكلية ببركة مقدمه صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كون الدمغ مهلكا للانسان فاشبهه
ما اهلك الباطل ومحاه من افعال الرسول والضلال هنا الانحراف عن طريق الله اللازم عن الجهل بها واستعار وصف
الصولات له ملاحظة لشبه المنحرفين عن سبيل الله الى الفساد في قوة انحرافهم وشدة فسادهم بالفحل الصايل
الثامن كونه حمل الرسالة فقام بما كلف به وقوي عليه وقام بما نصب على الحال وكذلك المنصوبات بعده وهي
مستوفزا وغير ناكل وكذلك محل الاعراب هي وواعيا وحافظا وماضيا وفي قوله كما حمل لطف اي صل عليه صلاة مناسبة
مشابهة لتحمله الرسالة وقيامه بامرها لان الجزاء من الحكيم العدل يكون مناسبا للفعل المجزي ولاجل كونها
جهة استحقاق طلب ما يناسبها من الجزاء **التاسع** كونه عجلا في رضاء الله باشتال الاوامر **العاشر** كونه غير ناكل
فيما تقدم فيه من طاعة الله **الحادي عشر** كونه ماضي العزم في القيام بامر الله غير وان فيه **الثاني عشر** كونه واعيا لوحيه
ضابطا له قوي النفس على قبوله **الثالث عشر** كونه حافظا لعهده المأخوذ عليه من تبليغ الرسالة واداء الامانة وقد سبق
بيان معنى العهد في الخطبة الاولى **الرابع عشر** كونه ماضيا على انفاذ امره في العالم وجذب الخلق الى سلوك سبيله
الخامس عشر ما انتهى اليه من الغاية باجتهاده في رضا الله وهو كونه اورى قبس القابس اي اشعل انوار الدين
وقدح زناد الافكار حتى اظهر انوار العلوم منها للمقتبسين واستعار لفظ القبس لنور العلم والحكمة ولفظ الوري
لاظهار الرسول تلك الانوار في طريق الله وقد سبق وجه الاستعارة **السادس عشر** كونه اضاء الطريق للخابط
فالطريق هي طريق الجنة والحضرة الالهية واضاءته لها باظهار تلك الانوار وبيانها بتعليم كيفية سلوكها
والارشاد اليها والخابط هو الجاهل الذي قصدت الحكمة الالهية ارشاده حيث كان يخبط في ظلمات الجهل
السابع عشر كونه قد هديت به القلوب الى موضحات الاعلام اي الى الادلة الواضحة على الحق ونيرات الاحكام
هي المطالب الحقة الواضحة اللازمة عن تلك الادلة بعد ما كانت القلوب فيه من خوضات الفتن والاثام اللازمة

عما اجترحته من السيئات وذلك امر ظاهر **الثامن عشر** كونه امين الله اي على وحيه ورسالته والمامون اكيد
لامانته وقد عرفت معنى الامانة **التاسع عشر** كونه خازن علمه المخزون اي علومه اللدنية الغيبية التي لا
يتاهل لحملها كل البشر المشار اليها بقوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **العشرون**
كونه شهيدا يوم الدين كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا اي شاهدا يوم
القيمة على امته بما علم منهم من خير وشر فان قلت وما حقيقة هذه الشهادة وما فايدتها مع ان الله تعالى عالم الغيب
والشهادة قلت اما حقيقتها فتعود الى اطلاعه صلى الله عليه وآله على افعال امته وبيان ذلك انك علمت فيما سلف
ان للنفوس القدسية الاطلاع على الامور الغايبة والانتقاش بها مع كونها في جلابيب من ابدانها فكيف بها
اذا فارقت هذا العالم والجسم المظلم فانها اذن تكون مطلعة على جميع افعال اممها ومشاهدة لها من خير او شر واما
فايدتها فقد علمت ان اكثر احكام الناس وهمية والوهم منكر لله على الوجه الذي هو الحق فلا يجري ان يكون كونه
عالما بجزئيات افعال عباده ودقايق خطرات اوهامهم وظاهر ان ذلك الانكار يستتبع عدم المبالاة بفعل
القبيح والانهماك في الامور الباطلة التي نهى الله تعالى عنها فاذا ذكر لهم ان عليهم شهداء ورقباء وكتابا لما يفعلون
مع صدق كل ذلك باحسن تاويل كان ذلك مما يعين العقل على كسر النفس الامارة بالسوء وقهر الاوهام الكاذبة
وردع النفس عن متابعة الهوى ثم لا بد لكل رسول من امنا على دينه وحفظة له هم شهداء ايضا على من بعده
الى قيام الساعة واذا كان معنى الشهادة يعود الى اطلاع الشاهد على ما في ذمة المشهود عليه وعلمه بحقيقته
وفايدتها حفظ ما في ذمة المشهود عليه وتخوفه ان يجحد او لم يوصله الى مستحقه ان يشهد عليه الشاهد
فيفضحه وينتزع منه على اقبح وجه وكان هذا المعنى والفايدة قايمين في شهادة الانبياء عليهم السلم اذ بها
يحفظ اوامر الله وتكاليفه التي هي حقوقه الواجبة ويحصل الخوف للمقصرين فيها لذكر شهادة الرسل عليهم
بالتقصير فيفضحوا في محفل القيمة ويستوفى منهم جزاء ما كلفوا به فقصروا فيه بالعقاب الاليم لا جرم ظهر معنى
كونهم شهداء الله على خلقه **الحادي والعشرون** كونه مبعوثا بالحق وهو الدين الثابت الباقي نفعه وثمرته في الاخرة
ثم اعاد ذكر كونه رسول الله الى خلقه وانما كرره لانه الاصل في باقي الاوصاف وظاهر ان كل هذه الاوصاف جهات
استحقاق الرحمة والبركة وافاضة الصلوات الالهية على نفسه القدسية **الفصل الثالث**
في تفصيل المطلوب من هذا الدعاء وقوله اللهم افسح الى آخره وطلب امورا **احدها** ان يفسح له مفسحا في ظله
اي مكانا متسعا في حضرة قدسه وظل وجوده ولفظ الظل مستعار للوجود ووجه المشابهة راحة المستظل
بالظل من حر الشمس فاشبهها راحة الملتجي الى جود الله المستظل به من حرارة جهنم وسعير عذابه واليه الاشارة
بقوله تعالى في ظل ممدود **الثاني** ان يجزيه مضاعفات الخير من فضله اي يضاعف له الكمالات من نعمه
وقد علمت ان مراتب استحقاق نعم الله غير متناهية **الثالث** ان يعلي على بناء البانين بناءه يحتمل ان يريد
ببنيانه ما شيده من الدين فيكون اعلاه المطلوب هو تمام دينه واظهاره جهده على الاديان كلها ويحتمل ان يريد بما شيده

من الملكات الخيرية وما استحقه من مراتب الجنة وقصورها **الرابع** ان يكرم لديه منزلته وهو انزاله المنزل المبارك
الموعود وقل رب انزلني منزلا مباركا **الخامس** ان يتم له نوره وهو اما النور الذي بعث به واتمامه انتشاره في
العالمين واما النور الذي في جوهر ذاته وتمامه زيادة كماله **السادس** ان يجزيه عن بعثته بقبول شهادته ورضاه مقالته
ومقبول مفعول آخر وذا منطق نصب على الحال وقبول شهادته كناية عن تمام الرضى عنه اذ من كان مقبول
الشهادة مرضي القول فلا بد وان يكون بريا من جهات الرذايل المسخطة او كناية عن كون معتقداته ومباحثاته
من اعمال امته وغيرها بريئة عن كدر الاغاليط وشوايب الاوهام وكذلك رضا اقواله في شفاعته وغيرها
وكونه ذا منطق عدل اي لا جور فيه عن الحق وخطبة فصل اي مميزة للحق فاصلة له من الباطل وكل هذه الا
وان اختلفت مفهوماتها ترجع الى مطلوب واحد وهو طلب زيادة كمالاته عليه السلم وقربه من الله تعالى
وقوله اللهم اجمع الى آخره سال الله ان يجمع بينه وبين الرسول في امور **احدها** برد العيش والعرب
تقول عيش بارد اذا كان لا كلفة فيه من حرب وخصومة وهو في الاخرة يعود الى ثمرات الجنة البريئة من كدر
الاتعاب **الثاني** قرار النعمة اي مستقرها وهو الجنة وحضرت رب العالمين **الثالث** منى الشهوات
وهو ما تتمناه النفس وتهواه من اللذات بنعيم الابد **الرابع** رخاء الدعة ومنتهى الطمانينة اي اتساع سكون
النفس بلذة معارفه الحق والانس بالملاء الاعلى وامنها من مزعجات الدنيا وراحتها من معانات آفاتها
الخامس تحف الكرامة وهي ثمرات الجنة وقطوفها الدانية وساير ما اعده لتحف اوليائه الابرار
مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **ومن كلام له عليه السلم** قال لمروان بن الحكم بالبصرة
قالوا لما اخذ مروان بن الحكم اسيرا يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلم الى امير المومنين
عليه السلم فكلماه فيه فخلى سبيله فقالا له يبايعك يا امير المومنين فقال الم يبايعني بعد قتل عثمان لا
حاجة لي في بيعته انها كف يهودية لو بايعني بيده لغدر بسبته اما ان له امرة كلعقة الكلب انفه
وهو ابو الاكبش الاربعة وستلقى الامة منه ومن ولده موتا احمر **اقول** السبة الاست والامرة بالكسر
الولاية وكبش القوم رئيسهم ولما امتنع من بيعة مروان نبه على سبب امتناعه من ذلك وهو انه مظنة الغدر
وذلك قوله انها كف يهودية اذ من شان اليهود الخبث والمكر والغدر ثم فسر تلك الكناية بقوله لو بايعني
بيده لغدر بسبته وذكر السبة اهانة له لان الغدر من اقبح الرذايل فنسبته الى السبة اولى بالنسب والعرب
تسلك مثل ذلك في كلامها قال المتوكل يوما لابي العيناء الى متى تمدح الناس وتذمهم فقال ما احسنوا و
اساءوا ثم قال يا امير المومنين ان الله تعالى رضي فمدح فقال نعم العبد انه اواب وسخط فذم فقال عتل بعد ذلك
زنيم والزنيم ولد الزنا ثم ذكر ما سيكون من امر مروان ثلثة امور **احدها** انه سيصير امير المسلمين ونبه على قصر
مدة امارته بتشبيهها بلعقة الكلب انفه ووجه الشبه هو القصر وكانت مدة امرته اربعة اشهر وعشرا
وقيل ستة اشهر وانما خصه بلعقة الكلب لانه في معرض الذم والبحث في اما كهو في قوله اما انه سيظهر

مر المشتهيات ٢

خ

هو

عليكم والثاني انه سيكون ابا للاكبش الاربعة وكان له اربعة ذكور لصلبه وهم عبد الملك وولي الخلافة
وعبد العزيز وولي مصر وبشر وولي العراق ومحمد وولي الجزيرة ويحتمل ان يريد بالاربعة اولاد عبد الملك
وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام وكلهم ولي الخلافة ولم يلها اربعة اخوة الا هم الثالث الى ما يصدر
منه ومن ذريته من الفساد في الارض وما يلقى الناس منهم من القتل وانتهاك الحرمة وكنى عن تظلم الناس وشدة
ما يلقون منهم بالموت الاحمر من لسان العرب وصف الامر الشديد بالاحمر ولعله لكون الحمرة وصف الدم كنى
به عن القتل وروي يوما احمر وهو كناية عن مدة امرهم ووصفه بالحمرة كناية عن شدته وفساد بني امية ودمارهم
للاسلام واهله مشهور وفي كتب التاريخ مسطور ومن كلام له عليه السلم في بيعة عثمان لقد علمتم اني احق بها
من غيري ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الا علي خاصة التماسا لاجر ذلك
من فضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه اقول الزخرف الزينة ويقال الذهب
والزبرج النقش والزينة بالحلية ايضا وقوله لقد علمتم اني احق بها يشير الى ما علموه من وجه استحقاقه
الخلافة وهو استجماعه للفضايل الداخلية والخارجية والضمير في بها للخلافة وهو اما ان يعود
الى ذكرها في فصل تقدم متصلا بهذا الفصل او لشهرتها وكون الحديث فيها قرينة معينة لها كما قال [illegible]
وقوله والله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين اي لاتركن المنافسة في هذا الامر ما سلمت امور المسلمين من الفتنة
وفيه اشارة الى ان غرضه عليه السلام من المنافسة في هذا الامر هو صلاح حال المسلمين واستقامة امورهم
وسلامتهم عن الفتن وقد كان لهم من سلف من الخلفاء قبله استقامة امور ان كانت لا تبلغ عنده كمال استقامتها
لو ولي هو هذا الامر فلذلك [illegible] ليسلم ذلك الامر ولا ينازع فيه اذ لو نازع فيه لثارت الفتنة بين المسلمين و
وانشقت عصا الاسلام وذلك ضد مطلوب الشارع وانما يتعين عليه النزاع والقتال عند خوف
الفتنة وقيامها فان قلت السوال من وجهين الاول ما وجه منافسته في هذا الامر مع انه منصب
يتعلق بامور الدنيا وصلاحها مع ما اشتهر منه عليه السلم من الزهد فيها والاعراض عنها وذمها
ورفضها الثاني كيف سلم ههنا خوف الفتنة ولم يسلم لمعاوية ولطلحة والزبير مع قيام الفتنة في [illegible]
قلت الجواب عن الاول ان منصب رسول الله ليس منصبا دنياويا وان كان متعلقا باصلاح احوال الدنيا
لكن لا لكونها دنيا بل لانها مضمار الاخرة ومزرعتها والغرض من اصلاحها انما هو نظام احوال الخلق
في معاشهم ومعادهم فمنافسته عليه السلم في هذا الامر على هذا الوجه من الامور المندوب اليها اذا اعتقد
ان غيره لا يغني غناه في القيام به فضلا ان يقال انها لا تجوز وعن الثاني ان الفرق بين الخلفاء الثلثة
وبين معاوية في اقامة حدود الله والعمل بمقتضى اوامره ونواهيه ظاهر قوله ولم يكن فيها جور الا علي
خاصة ظلم من عدل بها عنه وتسليم [illegible] من استحقها في انظارهم اذ وصلوها اليه من ساير
الخلفاء وخاصة نصب على الحال وقوله التماسا لاجر ذلك الى اخره ~~والتماسا لاجر ذلك الى اخره~~ والتماسا مفعول له

والعامل لاسلمن اي التمس ثواب الله وفضله بتسليمي وصبري وكذلك قوله وزهدا مفعول له وفيه ايماء الى ان
مقصود غيره من طلب هذا الامر والمنافسة فيه ليس الا الدنيا وزخرفها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه
السلم لما بلغه اتهام بني امية له بالمشاركة في دم عثمان اولم ينه امية علمها بي عن قرفي او ما وزع الجهال
سابقتي عن تهمتي ولما وعظهم الله ابلغ من لساني انا حجيج المارقين وخصيم المرتابين على كتاب الله تعرض
الامثال وبما في الصدور تجازى العباد اقول قرفني كذا اي اتهمني به ونسبه الي ووزع كف
وحجيجهم محاججهم والخصيم المخاصم وقوله اولم ينه او ما وزع استفهام عن عدم انتهائهم عن نسبته
الى دم عثمان مع علمهم بحاله وقوته في الدين وعصمته عن دم حرام فضلا عن مثل دم عثمان استفهام على
سبيل الانكار عليهم والتعجب منهم ونسبه لهم الى الجهل لجهلهم بمناسبة حاله وسابقته في الاسلام لبراءته
عما قرفوه به وقوله ولما وعظهم الله به ابلغ من لساني تعذير لنفسه في عدم ردعه لهم عن الغيبة واشباهها
اي اذ كان وعظ الله لهم مع كونه ابلغ من كلامي لا يردعهم فكلامي بطريق الاولى وزواجر كتاب الله كقوله ان
بعض الظن اثم وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية وقوله والذين
يؤذون المؤمنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ونحوه من القران كثير واراد
بلسانه وعظه مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله انا حجيج المارقين اي الخوارج او كل من خرج
عن دين الله وخصيم المرتابين اي الشاكين في شبهة هذا الامر الي وقيل المنافقين الشاكين في صحة الدين
وقوله على كتاب الله تعرض الامثال الى اخره اشارة الى الحجة التي يحج بها ويخاصم وتقديرها ان تعلق هذا
المنكر اما من جهة اقواله او افعاله او اعتقاده والاقسام الثلثة باطلة فتعلق هذا المنكر ونسبته اليه باطلة
فتعلق هذا المنكر ونسبته اليه باطلة بيان الحصر ان هذه الجهات هي جهات صدور المنكر عن
الانسان بيان بطلان الاول والثاني انه كان قد حصل في اقواله وافعاله ما يشبه الامر بالقتل او فعله وما يوقع
في النفوس للجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه لما سئل عن قتل عثمان الله قتله وانا معه وتخلفه في داره
يوم قتل عن الخروج فينبغي ان يعرض ذلك على كتاب الله تعالى فانه عليه تعرض الامثال والاشباه فان دل
على كون شي من ذلك علة في الحكم بالاقدام ولن يدل ابدا فليس لهم ان يحكموا بالقتل من جهة قول او فعل واما بطلان
الثالث فلان علم ما في القلوب الى الله وهو المجازي بما فيها من خير وشر وليسوا مطلعين على ما هنالك
حتى يحكموا بالقتل من جهته واذا ثبت حكمهم بتعلق هذا المنكر به باطل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
رحم الله امرأ سمع حكما فوعى ودعي الى رشاد فدنا واخذ بحجزة هاد فنجا راقب ربه وخاف ذنبه قدم خالصا
وعمل صالحا اكتسب مذخورا واجتنب محذورا ورمى غرضا واحرز عوضا كابر هواه وكذب مناه جعل الصبر مطية
نجاته والتقوى عدة وفاته ركب الطريقة الغراء ولزم المحجة البيضاء اغتنم المهل وبادر الاجل وتزود من العمل اقول
الحجزة معقد الازار والمراقبة المحافظة والغراء البيضاء واعلم ان هذا الفصل اشتمل على استنزاله عليه السلم الرحمة

لعبد استجمع ما ذكر من الامور وهي عشرون وصفا **الاول** ان يسمع الحكم فيعيه والحكم الحكمة وذوعاه لسامعها
ووعيها يستلزم امره تعلمها وتعليمها وهي اعم من العلمية والعملية ووعاها اي فهمها كما ينبغي **الثاني**
كونه ادعي الى رشاد فدنا من الداعي اليه واجاب دعاه والرشاد يعود الى ما يهدي ويرشد في طريق معاشه
ومعاده من العلوم والاعمال التي وردت بها الشريعة **الثالث** ان ياخذ بحجزة هاد فينجو به اي يكون في سلوكه سبيل
الله مقتديا باستاد مرشد عالم ليحصل به نجاته واستعار لفظ الحجزة لاثر الاستاد وسنته ووجه المشابهة
كونه هو المقتدى لا ثر ماسنة شيخه في مضايق طريق الله وظلماتها لينجو به كما يلزم السالك الطريق المظلم
قبل حجزة آخر قد سلك تلك الطريق وصار دليلا فيها ليهتدي به ويخلص اليه في ظلماتها وبين اهل السلوك
خلاف في انه هل يضطر المريد الى الشيخ في سلوكه ام لا واكثرهم يرى وجوبه ويفهم من كلامه عليه السلام وجوب ذلك وقبل
شهادته بجميع الموجودين له اذا كان لسان العارفين ومنتهى طبقاتهم وظاهر ان طريق المريد مع الشيخ اقرب الى الهداية
وبدونه اطول واقرب الى الضلال عنها فلذلك قال عليه السلام فنجا اي ان النجاة معلقة به وقد ذكرنا ما احتج به
الفريقان في كتاب مصباح العارفين **الرابع** ان يراقب ربه واعلم ان المراقبة احدى ثمرات الايمان وهي رتبة عظيمة
من رتب السالكين قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وقال الله تعالى افمن هو
قائم على كل نفس بما كسبت وقال ان الله كان عليكم رقيبا قال الامام الغزالي رحمه الله وحقيقتها انها حالة للنفس يثمرها
نوع من المعرفة وتثمر اعمالا في الجوارح والقلب اما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به واما العلم المثمر لها
فهو العلم بان الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت وان سر القلوب مكشوف له كظاهر
البشرة للخلق لا هواشد وهذه المعرفة اذا استولت على القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد ان يجذبها الى مراعاة الرقيب
والموقنون ... بهذه المعرفة منهم الصديقون ومراقبتهم التعظيم والاجلال واستغراق القلب بملاحظة ذلك
الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير اصلا وهي مراقبة مقصورة
على القلب اما الجوارح فانها تتعطل عن التلفت الى المباحات فضلا عن المحظورات واذا تحركت بالطاعة كانت
كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا يحتاج الى تدبير في ضبطها على سنن السداد ومن نال هذه الرتبة فقد يغفل
عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع اقوالهم ومثل هذا من يحضر في خدمة ملك عظيم فان بعضهم قد لا يحس
ما يجري في حضرة الملك من استغراقه بهيبته ومن يشغله امرهم عن فكره فيه وروي ان يحيى بن زكريا عليهما السلام
مر بامراة فدفعها على وجهها فقيل له لم فعلت هذا فقال ما ظننتها الا جدارا **الثانية** مراقبة الورعين
من اصحاب اليمين وهم قوم غلب بعض اطلاع الله تعالى على ظاهرهم وباطنهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال
بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة للتلفت الى الاحوال والاعمال الا انها مع ممارستها العمل لا تخلو عن المراقبة
وقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يحجمون الا عن تثبت فيمتنعون عن كل امر فاضح في القيمة اذ
يرون الله تعالى مشاهدا لاعمالهم في الدنيا كما يرونه في القيمة ومن كان في هذه الدرجة فيحتاج ان يراقب جميع

صح

حركاته وسكناته ولحظاته وجميع اختياراته ويرصد كل خاطر يسنح له فان كان الهيا تعجل بمقتضاه وان كان
شيطانيا بادر الى قمعه واستحيا من ربه ولام نفسه على اتباع هواه فيه وان شك فيه توقف الى ان يظهر له
بنور الله سبحانه من اي جانب هو كما قال عليه السلام الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة
ولا يهمل شيئا من اعماله وخواطره وان قل ليسلم من مناقشة الحساب غدا قال الرسول صلى الله عليه وآله
ان الرجل ليسأل عن كحل عينيه وعن فتة الطين باصبعيه وعن لمسة ثوب اخيه **الخامس** ان يخاف ذنبه
واعلم ان الخوف ليس ما هو ذنب بل من المعاقب على الذنب لكن لما كان الذنب سببا موجبا لسخط المعاقب وعقابه
نسب الخوف اليه وقد سبق منا بيان حقيقة الخوف والرجاء **السادس** ان يقدم خالصا اي يكون احواله
كلها خالصة لله من قول وعمل وخاطر بريئة عن الالتفات الى غيره فيها وقد سبق معنى الاخلاص في الخطبة
الاولى **السابع** ان يعمل صالحا وصلاح العمل الاتيان به كما امر به وهو نوع مما يقدمه **الثامن** ان يكتسب
مذخورا وهو امر بتبادر ما امرت الشريعة باكتسابه ونبه على وجوب السعي فيه بانه يبقى ذخرا ليوم الفاقة اليه
التاسع ان يجتنب محذورا وهو امر باجتناب ما نهت الشريعة عنه ونبه على وجوب اجتنابه بكونه محذورا
يستلزم العقاب في الاخرة **العاشر** ان يرمي غرضا اي يحذف اغراض الدنيا عن درجة الاعتبار وهو اشارة
الى الزهد والتخلي عن موانع قبول الرحمة **الحادي عشر** ان يحرز عوضا اي يدخر في جوهر نفسه ملكات الخير
وتوجه سره الى مطالعة انوار كبرياء الله ويحرز ما يفاض عليه من الحسنات وثوابها بتركه ما فنعم العوض
هي متاع الدنيا واغراضها الفانية **الثاني عشر** ان يكابر هواه اي يطوع نفسه الامارة بالسوء بالاعمال الدينية
ويراقبها في كل خاطر لقيته الى نفسه ويقابلها بكسره وقمعه **الثالث عشر** ان يكذب مناه اي يقابل ما القته
اليه الشيطان من الاماني ويعدها به بالتكذيب والقمع لتجويز عدم نيلها وبحسم مادة ذلك بالمراقبة فان الوساوس
الشيطانية يتبع بعضها بعضا ومن اشاراته عليه السلام الى ذلك اياكم والمنى فانها بضايع النوكى اي الحمقى **الرابع
عشر** ان يجعل الصبر مطية نجاته والصبر هو مقاومة النفس لئلا تنقاد الى قبائح اللذات ولما علمت ان الانقياد
في سلكها الى اللذات القبيحة هو سبب الهلاك في الآخرة علمت ان مقاومتها ونهيها عنها هو سبب النجاة
هناك وقد استعار لفظ المطية للصبر ووجه المشابهة كونه لزومه سببا للنجاة كما ان ركوب المطية والهرب
عليها سبب للنجاة من العدو **الخامس عشر** ان يجعل التقوى عدة وفاته ولما كان التقوى قد يراد بها الخوف
من الله المستلزم للزهد كما علمت وكانت العدة هو ما استعده الانسان للقاء الحوادث وكان الموت اعظم ما
يسبق الى الانسان من احوال الاخرة لا جرم كان التقوى عدة للموت اذ كان المتقي مشغول السر بعظمة الله وهيبته
عن كل حال المحبة فلا يكون الموت عنده كبير وقع ولا عظيم كرب وقد يراد بالتقوى مطلق الايمان وبالوفاة
ما بعدها مجازا وظاهر كون الايمان عدة واقية من عذاب الله **السادس عشر** ان يركب الطريقة الغراء وهو
الذي يسلك الى الله تعالى الطريقة الواضحة المستقيمة وهي شريعته **السابع عشر** ان يلزم المحجة البيضاء

والفرق بين هذا الامر والذي قبله ان الاول امر ركوب الطريقة الغراء والثاني امر لزومها وعدم مفارقتها وانها وان كانت واضحة الا انها طويلة كثيرة المخاوف وسالكها ابدا محارب الشيطان وهو في معرض ان يستزله عنها الثامن عشر ان يغتنم المهل اي ايام مهلة وهي حياة الدنيا واغتنامه العمل فيها قبل يوم الحساب التاسع عشر ان يبادر الاجل اي يسابقه الى العمل ان يسبقه فيقطعه عنه العشرون ان يتزود من العمل وهو الامر بما يبادر اليه من اتخاذ العمل زادا وقد سبق وجه استعارة الزاد له وقد راعى عليه السلم في كل مرتبتين من هذا الكلام السجع المتوازي وجعل الصدر ثلثا والاخر ثلثا وعطف كل قرينة على مشاركتها في الحرف الاخير منها وحذف حرف العطف من الباقي ليتميز ما يناسب منها عن غيره وكل ذلك ليلا عنه ومن كلام له عليه السلم ان بني امية ليفوقونني تراث محمد صلى الله عليه وسلم تفويقا والله لئن بقيت لهم لانفضنهم نفض اللحام الوذام التربة وروي التراب الوذمة وهو على القلب قوله ليفوقونني اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة اي يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها والوذام جمع وذمة وهي الحزة من الكرش او الكبد تقع في التراب فتنفض اقول استعار لفظ التفويق لعطيتهم له المال قليلا ووجه المشابهة هو قلة ما يعطونه منه مع كونه في دفعات كما يعطي الفصيل ضرع امه لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد اليها وتراث محمد اشارة الى الفئ الحاصل ببركة محمد وهو التراث اللغوي المكتسب عن الميت بوجه ما ثم اقسم ان بقي لبني امية ليحرمنهم التقدم في الامور واستعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك وشبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد او الكرش من التراب اذا اصابته وهذه الرواية هي الحق والثانية سهو من الناقلين وقد ورد عنه هذا الكلام بزيادة ونقصان في رواية اخرى وذلك ان سعيد بن العاص حيث كان امير الكوفة من قبل عثمان بعث اليه بصلة فقال والله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث الينا ما افاء الله على رسوله بمثل قوت الارملة والله لئن بقيت لانفضنها نفض القصاب الوذام التربة ومن كلمات كان يدعوا بها عليه السلم اللهم اغفر لي ما انت اعلم به مني فان عدت فعد لي بالمغفرة اللهم اغفر لي ما وأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي اللهم اغفر لي ما تقربت به اليك ثم خالفه قلبي اللهم اغفر لي رمزات الالحاظ وسقطات الالفاظ وشهوات الجنان وهفوات اللسان اقول الواي الوعد والرمزات جمع رمزة وهي الاشارة بالعين او الحاجب او الشفة والسقط من الشئ رديه والهفوة الزلة وقد سال الله سبحانه في جميع هذا الفصل المغفرة ومغفرة الله للعبد تعود الى ستره عليه ان يقع في مهاوي الهلكة في الاخرة او يكشف مقابحه لاهل الدنيا فيها وكل ذلك يعود الى توفيقه لاسباب السعادة وجذبه بها عن متابعة الشيطان في المعاصي قبل صدورها منه او قبل مصيرها ملكات في جوهر نفسه والمطلوب غفره امور الاول ما الله اعلم به منه مما هو عند الله معصيته وسيئة في حقه وهو لا يعلمها فيفعلها ثم طلب تكرار مغفرة الله لما تعاوده ويتكرر منه كذلك واذا تصورت معنى المغفرة تصورت كيف تكرارها الثاني ما وعد من نفسه

ان يفعله ثم لم يوف به وما ههنا مصدرية ولا شك ان مطال النفس بفعل الخير وعدم الوفاء به انما يكون عن خاطر شيطاني يجب ان يستغفر الله له ويسال ستره بعث الدواعي الجاذبة عن متابعة الشيطان المحرك له الثالث شوب النفس ما يتقرب به من الاعمال الى الله بالرياء والسمعة ومخالفة نية القربة اليه بقصد غيره بها ولا شك ان ذلك شرك خفي جاذب عن الترقي في درجات العلى ويحتاج الى تدارك الله بالمغفرة والجذب عنه قبل تمكنه من النفس الرابع الاشارة باللحظ وهو الايماء الخارج عن حدود الشريعة كما يفعل عند الغيبة على شخص ليعاب او ليضحك منه او يظلم وكل ذلك عن خواطر شيطانية ينبغي ان يسال الله تعالى رفع اسبابها وستر النفس عن التدنس بها الخامس سقطات الالفاظ والردى من القول هو ما يتجاوز حدود الله ويخرج بها الانسان عن مستقيم صراطه السادس شهوات القلوب فمن روى بالشين المعجمة فالمراد جذب القوة الشهوية للنفس الى مشتهياتها ومن روى بالسين فسهوات القلب خواطره التي لا يشعر بتفصيلها اذا خالفت اوامر الله وقد تستتبع حركة بعض الجوارح الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان كان لا يوجب تاثر النفس ولا يواخذ به الا انه ربما تقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك سبيل الله كما في حق المنهمكين في لذات الدنيا المتجردين لها فان احدهم ربما دام السهو به من يصلي الفرض فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا ولا يستثبت عدد ركعاتها وسجداتها وغفر مثل ذلك بجذب العبد عن الاسباب الموجبة له السابع هفوات اللسان اي الزلل الحاصل من قبله ومادته ايضا خاطر شيطاني وغفره بتوفيقه لمقاومة هواه واعلم ان الشيعة لما اوجبوا عصمته عليه السلم عن المعاصي حملوا طلبه لمغفرة هذه الامور على وجهين احدهما وهو الارق ان طلبه لغفرانها انما هو على تقدير وقوعها منه فكانه قال اللهم ان صدر عني شئ من هذه الامور فاغفر لي وقد علمت انه لا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من جزئيها فلا يلزم من صدق كلامه صدور شئ منها حتى يحتاج الى المغفرة الثاني انهم حملوا ذلك على تأدب الناس وتعليمهم كيفية الاستغفار من الذنوب وعلى التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة التقصير والاساءة واما من لم يوجب عصمته فالامر معه ظاهر وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم قاله لبعض اصحابه لما عزم على المسير الى الخوارج فقال له يا امير المومنين ان سرت في هذا الوقت خشيت عليك ان لا تظفر بمرادك من طريق علوم النجوم فقال اتزعم انك تهدي الى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغي في قولك للعامل بامرك ان يوليك الحمد دون الله لانك بزعمك انت هديته الى الساعة التي نال فيها النفع وامن فيها الضر ثم اقبل عليه السلم على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما يهتدى به في بر او بحر فانها تدعوا الى الكهانة المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله اقول حاق به احاط ويوليه كذا اي يعطيه اياه ويجعله اولى

اخبار اشعث بن قيس

به وروي ان المشير عليه بذلك كان عفيف بن قيس وكان يتعاطى علم النجوم واعلم ان الذي يلوح من نهي
الحكمة النبوية عن تعلم النجوم امران احدهما اشتغال متعلمها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين للاحكام
بما يرجون ويخافون عليه فيما يسندونه الى الكواكب والاوقات والاشتغال بالفزع اليه والى ملاحظة
الكواكب عن الفزع الى الله تعالى والغفلة عن الرجوع اليه فيما يهم من الاحوال وقد علمت ان ذلك ضد
مطلوب الشارع اذ كان غرضه الا دوام التفات الخلق الى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم اليه
الثاني ان الاحكام النجومية اخبارات عن امور ستكون وهي تشبه الاطلاع على الامور الغيبية واكثر الخلق من العوام
والنساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والاخبار به وكان تعلم تلك الاحكام والحكم بها سببا لضلال
كثير من الخلق وموهنا لاعتقاداتهم في المعجزات اذ الاخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة باريهم ويشككهم
في عموم صدق قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما
تدري نفس باي ارض تموت فالمنجم اذا حكم لنفسه بانه يصيب كذا في وقت كذا فقد ادعى ان نفسه تعلم ما تكسب
غدا وباي ارض تموت وذلك عين التكذيب للقران وكان هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة
والسحر والعزائم ونحوها واما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الاحكام فبيانها ان اهل
النظر اما متكلمون فاما معتزلة او اشعرية اما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على امرين احدهما
ان الشريعة كذبته وعندهم ان كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وان لم يعلم عين ذلك الوجه والثاني
مناقشته في ضبطه لاسباب ما اخبر عنه من كون او فساد واما الاشعرية فهم وان لم يقولوا بمؤثر الا الله
تعالى وزعم بعضهم انهم خلصوا بذلك من اسناد التاثيرات الى الكواكب الا انه لا مانع على مذهبهم ان
يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم او حركته علامة على كون كائن او فساده وذلك مما لا يبطل على المنجم علمه
فيرجعون ايضا الى بيان عدم احاطته باسباب كون ما اخبر عنه ومناقشته في ذلك واما الحكماء
فاعلم انه قد ثبت في اصولهم ان كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بد له من اسباب اربعة فاعلي ومادي
وصوري وغائي اما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية والذي هو ابعد منها فالمحرك لها الى ان ينتهي
الى الجود الالهي المعطي لكل قابل ما يستحقه واما سببه المادي فهو القابل للصورة من العوالم الى الفلك
الاول وهو مادة العناصر المشتركة بينها واما الصوري فصورته التي يقبلها مادته واما الغائي فهي التي
لاجلها وجد واما الحركات السماوية فان من الكائنات ما يحتاج في كونه الى دورة وحركة للفلك ومنها ما
يحتاج الى بعض دورة ومنها ما يحتاج الى جملة من ادوار واتصالات واما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم
ايضا ان قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين لها وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه
وهكذا قبل كل صورة صورة معدة لحصول الصورة بعدها وكل صورة منها ايضا تستند الى الاتصالات والحركات

الفلكية ولكل استعداد معين زمان معين وحركة معينة واتصال معين يخصه لا يفي بدركها القوى
البشرية اذا عرفت ذلك فنقول الاحكام النجومية اما ان تكون جزئية واما كلية اما الجزئية فان يحكم مثلا
بان هذا الانسان يكون من حاله كذا وكذا وظاهر ان مثل هذا الحكم لا سبيل الى معرفته اذ العلم به انما
هو من جهة اسبابه اما الفاعلية فان يعلم ان الدورة المعينة او الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل
البلد المعين مثلا وانه لا سبب فاعلي لذلك الا هو والاول باطل لجواز ان يكون السبب غير ذلك الاتصال او
هو مع غيره اقصى ما في الباب ان يقال انما كانت هذه الدورة وهذا الاتصال سببا لهذا الكائن لانها كانت سببا
لمثله في الوقت الفلاني لكن هذا ايضا باطل لان كونها سببا للكائن السابق لا يجب ان يكون لكونها مطلق دورة
واتصال بل لعله ان يكون لخصوصية كونها تلك المعينة التي لا تعود بعينها فيما بعد وحينئذ لا يمكن الاستدلال
بحصولها على كون هذا الكائن لان المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها والثاني ايضا باطل لان العقل
يجزم بانه لا اطلاع له على انه لا مقتضي لذلك الكائن من الاسباب الفاعلة الا الاتصال المعين وكيف وقد ثبت
ان من الكائنات ما يفتقر الى اكثر من اتصال واحد ودورة واحدة واحدة واقل واما القابلية فان تعلم
ان المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن واستجمعت جميع شرائط قبولها الزمانية والمكانية والسماوية
والارضية وظاهر ان الاحاطة بذلك مما لا تفي به القوة البشرية واما الصورية والغائية فان يعلم ما تقتضيه
استعداد مادة ذلك المعين وقبولها من الصورة وما يستلزمه من الشكل والمقدار وان تعلم ما غاية وجوده
وما الحكمة الغائية له وظاهر ان الاحاطة بذلك غير ممكنة للانسان واما احكامهم الكلية فكان يقال
كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا والمنجم انما يحكم بتلك الحكم عن جزئيات من الدورات تشابهت آثارها فظنها
متكررة ولذلك تعللوا اذا حقق القول عليهم الى دعوى التجربة وقد علمت ان التجربة تعود الى تكرر مشاهدات تضبطها الحس
والعقل يحصل منها حكما كليا كحكمه بان كل نار محرقة فانه لما تكرر على العقل اسناد الاحراق بواسطة الحس امكنه
الجزم الكلي بذلك فاما التشكلات الفلكية والاتصالات الكوكبية المقتضية لكون ما يكون فليس شيء منها
يعود بعينه كما علمت وان جاز ان يكون تشكلات وعودات متقاربة الاحوال ومتشابهة الا انه لا يمكن الانسان
ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك ان حساب المنجم مبني على قسمة الزمان
بالشهور والايام والساعات والدرج والدقائق واجزائها وتقسيم الحركة بازائها ووضعهم بينهما نسبة عددية وكل
هذه امور غير حقيقية وانما توجد على سبيل التقريب اقصى ما في الباب ان التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة
لكنه يشبه ان يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الاسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم
الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار اثرها على وتيرة واحدة ثم لو سلمنا انه لا يظهر تفاوت اصلا الا ان العلم بعود
مثل الدورة لا يقتضي تجربة العلم بعود مثل الاثر السابق لتوقف العلم بذلك على عود امثال الاسباب الباقية
للاثر السابق من الاستعداد وسائر اسبابه العلوية والسفلية وعلى ضبطها فان العلم التجربي انما يحصل بعد حصرها

يعلم عودها وكرها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية الى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة اذا عرفت ذلك
فنقول قوله ادعوا الى قوله الضر استيثاث لما في العادة ان تدعيه الاحكاميون كادعاء المنجم التيسير بعدم
السير في ذلك الوقت **وقوله** فمن صدقك بهذا الى قوله الضر الزامات له على ما يعتقده تفرعها عن قبول
احكام النجوم والاعتقاد فيه اولها ان من صدقه فقد كذب القرآن ووجه التكذيب ما ذكرناه الثاني كون
مصدقه يستغني عن الاستعانة بالله في نيل محبوبه ودفع مكروهها اي بفزع اليه في كل امر يهمه به ويجعله عدة له
فيعرض عن الفزع الى الله كما سبق الثالث انه ينبغي للعامل ان يوليه الحمد دون ربه وعلى هذا الالزام بقياس ضمير
من الشكل الاول صورته المنجم يزعم انه يهدي الى ساعة النفع والضر وكل من يزعم ذلك فقد اهل نفسه لاستحقاق
الحمد من مصدقه دون الله فينتج انه قد اهل نفسه لاستحقاق الحمد من مصدقه دون الله والكبرى من الخطابة
وقد يستعملها الخطيب المنفر عن بعض الامور التي يقصد النهي عنها وقوله ايها الناس الى قوله بحار دبر
بحذر عن تعلمها لما ذكرناه واستثنى من ذلك تعلمها للاهتداء بها في السفر واعلم ان الذي ذكرناه ليس الا بيان
ان الاصول التي بني عليها الاحكاميون احكامهم وما يخبرون في المستقبل اصول غير موثوق بها فلا يجوز
الاعتماد عليها في تلك الاحكام والجزم بها وهذا لا ينافي كون تلك القواعد ممهدة بالتقريب كقسمة الزمان حركة
الفلك بالسنة والشهر واليوم ماخوذا عنها حساب بني عليه مصالح اما دينية كمعرفة اوقات العبادات
كالصوم والحج ونحوها او دنيوية كاجال المداينات وساير المعاملات وكمعرفة الفصول الاربعة ليعمل في كل منها
ما يليق به من الحراثة والسفر واسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين تقريبية من اوضاع الكواكب وحركاتها
يهتدي بقصدها على سمتها المسافرون في بر او بحر فان ذلك القدر منها غير مجزوم بالعلم من الامور
المستخرجة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاسد التي يشتمل عليها الاحكام كما سبق ولذلك امتن الله
تعالى على عباده بعلم الكواكب في قوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقوله
ولتعلموا عدد السنين والحساب وقوله فانها الى آخره تعليل للتحذير عن تعلمها وتنفير عنها بقياس آخر موصول
يستنتج منه ان المنجم في النار وعلى تقدير تفصيله فالنتيجة الاولى كون المنجم كالساحر وهي مع قوله والساحر
كالكافر ينتج ان المنجم كالكافر وهذه النتيجة مع قوله والكافر في النار ينتج المطلوب وهو ان المنجم في النار والقياسان
الاولان من قياس المساواة وقد علمت انه غير الانحلال الى الحدود المرتبة في القياس المنتج لان موضوع الكبرى
جزء من محمول الصغرى فليس الاوسط بتمامه فهو معدول عن وجهه الى وقوع الشركة في بعض الاوسط ولذلك
استحق ان يفرد باسم ويجعل لتحليله قانون يرجع اليه في امثاله وقد سبق مثله في الخطبة الاولى واذا حمل على القياس
الصحيح كان تقديره المنجم يشبه الكاهن المشبه للساحر ويشبه الكاهن المشبه للساحر شبه للساحر فينتج ان المنجم
يشبه الساحر وهكذا في القياس الثاني المنجم يشبه الساحر المشبه للكافر ويشبه الكافر فالمنجم يشبه الكافر والكافر في
النار فالمنجم كذلك فهو القياس الثالث ووجهه فاما بيان معنى الكاهن والساحر والاشارة الى وجوه الشبهات

وشبه الساحر والمشبه للكافر

المذكورة فاعلم انا قد اشرنا في المقدمة الى امكان وجود نفس يقوى على الاطلاع على ما سيكون وعلى الحركات
العجيبة في هذا العالم فتلك النفس ان كانت كاملة خيرة مجذوبة من الله تعالى بدواعي السلوك الى سبيله وما يقود
اليه فهي نفوس الانبياء والاولياء ذوي المعجزات والكرامات وان كانت ناقصة شريرة منجذبة عن تلك الجهة
وغيابة لتلك المرتبة بل مقتصرة على رذائل الاخلاق وخسائس الامور كالتكهن ونحوه فهي نفوس الكهنة والسحرة
واعلم ان اكثر ما يظهر قوة الكهانة ونحوها من قوى النفوس في اوقات الانبياء وقبيل ظهورهم وذلك ان الفلك
اذا اخذ في الشكل بشكل يتم به في العالم حدث عظيم عرض من ابتداء ذلك الشكل وغاية احداث في الارض
شبيه بما يريد ان يتم ولكنها تكون غير تامة منه لان سببها غير تام فاذا استكمل ذلك الشكل في الفلك وتم وجد به
في العالم ما يقتضيه في اسرع زمان لسرعة تبدل اشكال الفلك فتظهر تلك القوة التي يوجبها ذلك الشكل في شخص
واحد او شخصين او اكثر على حسب ما تقتضيه العناية الالهية ويستوعب ذلك الشخص تلك القوة على
الكمال فاما من قرب من ذلك الشكل ولم يستوعبه فانه يكون ناقص القوة بحسب بعده من الشكل ويظهر ذلك النقصان
بظهور النبوة المقصودة من ذلك الشكل فيتبين قصور القوى المتقدمة على النبي والمتاخرة عنه ونقصانها
عن ذلك التمام فاما صفة الكاهن من اصحاب تلك القوى فهو ان صاحب قوة الكهانة اذا احس بها من نفسه
تحرك اليها بالارادة لتكملها فيرى بها في امور حسية ويشرها في علامات تجري مجرى الفال والزجر وطرق
الحصى وربما استعان بالكلام الذي فيه سجع وموازنة او بحركة عنيفة من عدو حيث كما حكي عن كاهن
من الترك وكما نقل الي من شاهد كاهنا كان في زماننا وتوفي منذ عشرين سنة يكنى ابي عمر وكان بناحية
من ساحل البحر يقال لها ‹…› وانه كان اذا سئل عن امر استعان بتحريك راسه تحريكا يقوى ويضعف
بحسب الحاجة واجاب عقيب ذلك وقيل انه كان قد يستغني في بعض الاخبارات عن تلك الحركة والغرض
من ذلك اشتغال النفس عن المحسوسات فتداخل نفسه ويقوى فيها ذلك الاثر ويحس في نفسه عند تلك
الحركة ما تقذفه على لسانه وربما صدق الكاهن وربما كذب وذلك انه يتم نقصه بامر مباين لكماله غير داخل فيه
فيعرض لها الكذب ويكون غير موثوق به وربما اعتمد الكذب خوفا من كساد بضاعته فيستعمل الرزق ويجبر ما اثر
له في نفسه ويضطر الى التخمين ودرجات هؤلاء متفاوتة بحسب قربهم من الافق الانساني وبعدهم منه
وبقدر قبولهم للاثر العلوي ويخبرون عن الاشياء بالكذب وما يدعونه من المحالات وان اتفق ان لزم حدهم الصدق
فانه لا يتجاوز قدره في قوته وسادر الى التصديق باول امر يلوح من النبي ويعرف فضله كما روي عن طليحة
وسواد بن قارب ونحوهما من الكهنة في زمان الرسول صلى الله عليه وآله اذا عرفت ذلك فنقول اما قوله فانها
تدعوا الى الكهانة اي انها تدعو المنجم في آخر امره الى ان يصير نفسه كالكاهن في دعوى الاخبار عما سيكون
ثم لكونها داعية الى ذلك يمكن تشبيهه بالكاهن واعلم ان الكاهن يتميز عن المنجم بكون ما يخبر به من الامور الكائنة
انما هو عن قوة نفسانية له وظاهر ان ذلك ادعى الى فساد اذهان الخلق واغوائهم لزيادة اعتقادهم فيه على المنجم

تعريف الكاهن

صفة الساحر والكافر

واما الساحر فيمتاز عن الكاهن بان له قوة على التاثير في امر خارج عن بدنه تاثيرا خارجا عن الشريعة موذيا للخلق كالتفريق بين الزوجين ونحوه وتلك زيادة شر اخر على الكاهن ادعى الى فساد اذهان الناس وزيادة اعتقادهم فيه وانفعالهم عنه خوفا ورغبة واما الكافر فيمتاز عن الساحر بالبعد الاكبر عن الله تعالى وعن دينه وان شاركه في اصل الانحراف عن سبيل الله وحينئذ صار الضلال والفساد في الارض مشتركا بين الاربعة الا انه يقول عليهم بالاشد والاضعف فالكاهن اقوى في ذلك من المنجم والساحر اقوى من الكاهن والكافر اقوى من الساحر ولذلك التفاوت جعل عليه السلم الكاهن اصلا في التشبيه للمنجم لزيادة فساده عليه تحقيرا به وجعل الساحر اصلا للكاهن والكافر اصلا للساحر لان التشبيه يستدعي كون المشبه به اقوى في الوجه الذي فيه التشبيه واحق به وقد لاح من ذلك ان وجه التشبيه في الكل هو ما يشتركون فيه من العدول والصد عن طريق الله بالتنجيم والكهانة والسحر والكفر وما يلزم من ذلك من صد كثير من الخلق عن سبيل الله وان اختلفت جهات هذا العدول بالشدة والضعف كما بيناه ولما فرغ عليه السلم من نهي اصحابه عن تعلم النجوم وقول احكامها وشغل اذهانهم من ذلك بالتخويف المذكور امرهم بالمسير الى الحرب وروي انه سار في تلك الساعة الى الخوارج وكان ما علمت من الظفر بهم وقتلهم حتى لم يفلت منهم غير تسعة نفر ولم يهلك من رجاله غير ثمانية نفر كما سبق بيانه وذلك يستلزم خطا ذلك المنجم وكذبه في مقاله وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء معاشر الناس ان النساء نواقص الايمان نواقص الحظوظ نواقص العقول فاما نقصان ايمانهن فقعودهن عن الصلوة والصيام في ايام حيضهن واما نقصان عقولهن فشهادة الامراتين منهن كشهادة الرجل الواحد واما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الانصاف من مواريث الرجال فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر اقول لما كانت واقعة الجمل وما اشتملت عليه من هلاك جمع عظيم من المسلمين منسوبا الى راي امراة اراد ان ينبه على وجوه نقصان النساء واسبابه وذكر نقصانهن من جهات ثلثه احدها كونهن نواقص الايمان واشار الى جهة النقص فيه بقعود احداهن عن الصلوة والصوم ايام الحيض ولما كان الصوم والصلوة من كمال الايمان ومتممات الرياضة كان قعودهن عن الارتياض بالصوم والصلوة في تلك الايام نقصانا لايمانهن وانما رفعت الشريعة التكليف عنهن بالعبادتين المذكورتين لكونهن في حال مستقذرة لا يناسب صاحبها الوقوف بين يدي الملك الجبار ويعقل للصوم وجه اخر وهو انه يزيد الحائض الى ضعفها ضعفا بخروج الدم واسرار الشريعة ادق واجل ان يطلع عليها عقول ساير الخلق الثاني كونهن نواقص حظ واشار الى جهة نقصانه بان ميراثهن على النصف من ميراث الرجال كما قال تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين والذي يلوح من ذلك كثرة المؤنة على الرجل وهو اهل التصرف وكون المراة من شانها ان تكون مكفولة محتاجة الى قيم هو لها كالخادم الثالث كونهن نواقص عقول ولذلك سبب من داخل وهو نقصان امزجتهن وقصورها عن قبول تصرف العقل كما يقبله مزاج الرجل كما نبه تعالى عليه بقوله فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى فانه نبه على ضعف القوة الذاكرة فيهن ولذلك جعل شهادة امراتين بشهادة رجل واحد وله ايضا سبب عارض من خارج وهو قلة معاشرتهن لاهل العقل والتصرفات وقلة رياضتهن لقواهن الحيوانية بلزوم القوانين العقلية في تدبير امر المعاش والمعاد ولذلك كانت احكام القوى الحيوانية فيهن اغلب على احكام عقولهن فكانت المراة ارق وابكى واحسد والج وابغى واجزع واوقح واكذب وامكر واقبل للمكر واذكر لمحقرات الامور ولكونها بهذه الصفات اقتضت الحكمة الالهية ان يكون عليها حاكم ومدبر يعيش بتدبيره وهو الرجل فقال تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ولشدة قبولها المكر وقلة طاعتها العقل مع كونها مشتركة داعية الى نفسها اقتضت ايضا الناموس في حقها التستر والتحجب وقوله فاتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر لما نبه على جهات نقصانهن وقد علمت ان النقصان يستلزم الشر لا جرم نفر عنهن فامر بالخشية من شرارهن وهو يستلزم الامر بالهرب منهن وعدم مقاربتهن فاما خيارهن فانما امر بالكون منهن على حذر ويفهم من ذلك انه لما كان لا بد من مقاربتهن وكان الانسان انما يختار مقاربة الخيرة منهن فينبغي ان يكون معها على تحرز وتثبت في سياستها وسياسة نفسه معها اذ لم تكن الخيرة منهن خيرة الا بالقياس الى الشريرة ثم نهى عن طاعتهن فيما يشرن به وامرن مطلقا وان كان معروفا صوابا او فيما يطلبنه من زيادة المعروف والاحسان اليهن واكرامهن بالزينة ونحوها فان طاعة رايهن فيما يشرن به من معروف تدعوهن الى الشور بما لا ينبغي والتسلط على الامر فان فعل فليفعل لانه معروف لا لانه مقتضى رايهن وزيادة اكرامهن من مقويات دواعي الشهوة والشر فيهن حتى تهيج بهن الطمع الى الافراط والخروج الى المواضع التي يرى فيها زينتهن ونحو ذلك اذ العقل مغلوب فيهن بدواعي الشهوات وفي المثل المشهور لا تعط عبدك كراعا فياخذ ذراعا وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله كان يخطب يوم عيد فالتفت الى صفوف النساء فقال معاشر النساء تصدقن فاني رايتكن اكثر اهل النار عددا فقالت واحدة منهن ولم يا رسول الله فقال لانكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير وتمكث احداكن شطر عمرها لا تصوم ولا تصلي ومن خطبة له عليه السلم ايها الناس الزهادة قصر الامل والشكر عند النعم والورع عن المحارم فان عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم فقد اعذر الله اليكم بحجج مسفرة ظاهرة وكتب بارزة العذر واضحة اقول عزب ذهب وبعد واعذر اظهر عذره ومسفرة مشرقة واعلم ان قوله عند المحارم تفسير للزهد وقد رسمه بثلثه لوازم له الاول قصر الامل لما علمت فيما سلف ان الزهد هو اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها وقطع الالتفات الى ما سوى الله تعالى وظاهر ان ذلك الاعراض مستلزم لقصر الامل في الدنيا اذ كان الامل انما يتوجه نحو مامول والملتفت الى الدنيا كيف يتصور طول امل الشيء منها الثاني الشكر على النعمة وذلك ان العبد بقدر التفاته عن اغراض الدنيا

يكون بحمد الله واقباله عليه واعترافه الحق بالآية وذلك ان الشكر حال للقلب يثمرها العلم بالمشكور وهو
في حق الله ان يعلم انه لا منعم سواه وان كل منعم يقال في العرف فهو واسطة مسخرة من نعمته وتلك الحال
تثمر العمل بالجوارح الثالث الورع وهو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدود الله عن التورط في محارمه وهو
ملكة تحت العفة وقد علمت ان الوقوف عن التورط في المحارم ولزوم الاعمال الجميلة لازمة للاعراض عن
محاب الدنيا ولذا انتهاء عن المنهي عن الميل اليها وهذا التفسير منه عليه السلم مستلزم للامر به **وقوله**
بعد ذلك فان عزب عليكم الى آخره يحتمل معنيين احدهما وهو الظاهر انه ان بعد عليكم وشق استجماع هذه الامور
الثلثة فالزموا منها الورع والشكر وكانه رخص لهم في طول الامل وذلك انه قد يتصور طولها فيما ينبغي من عمارة الارض
لغرض الآخرة ولان قصر الامل لا يصدر الا عن غلبة الخوف من الله تعالى على القلب والاعراض الكلي عن الدنيا
وذلك في غاية الصعوبة فلذلك نبه على لزوم الشكر والورع ورخص في طول الامل وفسر الورع بالصبر لانه
لازم للورع وهما تحت ملكة العفة ثم شجعهم بذكر الغلب على مقاومة الهوى ونبههم بذكر النسيان على الزام
التذكر الثاني يحتمل ان يكون لما فسر الزهد باللوازم الثلثة في معرض الامر بلزومها قال بعدها ان صعب عليكم
لزوم الشكر والثناء لله ولزوم الاعمال الجميلة فاعدلوا الى اسهل منها ورخص لهم في طول الامل لما ذكرناه
في التذكر لنعم الله بحيث لا ينسى الكلية وليقنعوا عنها عوضا من دوام الحمد والثناء ثم في الصبر عند المحارم
وعدم الانقهار لغلبة دواعي الشيطان عوضا من لزوم الاعمال الجميلة عنوها فان الصبر عند
شرب الخمر مثلا عند حضورها اهون على الطبع من الصوم عن ساير المباحات حينئذ ولزوم ساير
الاعمال الجميلة **وقوله** فقد اعذر الى آخره تاكيد لما سبق من امره بالزهد وجذب اليه واشار بالحجج الى الرسل
لقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولفظ الحجج مستعار ووجه
المشابهة انه لما كان ظهور الرسل قاطعا السنة حال الظالمين لانفسهم في محل العقبة عن ان يقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى اشبه الحجة القاطعة فاستعير لفظها لهم باسفارها
وظهورها الى اشراق انوار الدين عن نفوسهم الكاملة على نفوس الناقصين وهو استعارة ايضا واشار
بروز عذر الكتب الى ظهور اعذار الله الى خلقه بتخويفهم وترغيبهم وارشادهم الى طريق النجاة واسناد الاعذار
الى الله تعالى استعارة من الاقوال المخصوصة التي يبديها الانسان عذرا لا افعال الله واقواله التي عرفت
خلقه فيها صلاحهم واشعرهم فيها بلزوم العقاب لهم لو لم يلتفتوا اليها والله الموفق **ومن كلام له
عليه السلم** في ذم الدنيا ما اصف من دار اولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب من استغنى
فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته
قال السيد رضي الله عنه واذا تأمل المتأمل قوله عليه السلم من ابصر بها بصرته وجد تحته من المعنى العجيب والغرض
البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره لا سيما اذا قرن اليه قوله عليه السلم من ابصر اليها اعمته فانه يجد الفرق

بين ابصر بها وابصر اليها واضحا نيرا وعجيبا باهرا صلوات الله وسلامه عليه **اقول** العناء التعب وقد ذكر للدنيا
في معرض ذمها والتنفير عنها اوصافا عشرة **الاول** كون اولها عناء وهو اشارة الى الانسان فيها من لدن ولادته
في تعب وشقاء ويكفي في الاشارة الى متاعب الانسان فيها ما ذكره الحكيم برزويه في صدر كتاب كليلة ودمنة
في معرض تطويع نفسه بالصبر على عيش النساك اوليست الدنيا كلها اذى وبلاء اوليس الانسان يتقلب في ذلك
من حين يكون جنينا الى ان يستوفي ايامه فانا قد وجدنا في كتب الطب ان الماء الذي يقدر منه الولد السوي
اذا وقع في رحم المرأة اختلط بمائها ودمها وغلظ ثم الروح تمخض ذلك الماء والدم حتى تركه كالرائب الغليظ ثم تقسمه
في اعضاء لا ناياما فان كان ذكرا وجهه قبل ظهر امه وان كان انثى وجهها قبل بطن امها وذقنه على ركبتيه
ويداه على جبينه مقبض في المشيمة كانه مصرور في صرة ويتنفس من متنفس شاق وليس منه عضو الا كانه
مقموط قد شد حر البطن وحثه وهو منوط بمعاء من سرته الى سرة امه ومنها يمتص ويعيش من طعام امه وشرابها
فهو بهذه الحالة في الغم والظلمات والضيق حتى اذا كان يوم ولادته سلط الله الريح على بطن امه وقوي عليه
الحركات فصوب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج وعصره ما يجد صاحب الرهق فاذا وقع الى الارض فاصابته
ريح او مسته يد وجد من ذلك من الالم ما لا يجده من سلخ جلده ~~من سلخ جلده~~ ثم هو في الوان من العذاب
ان جاع فليس له استطعام وان عطش فليس له استسقاء ~~او وجع فليس له استسقاء~~ او وجع فليس له استغاثة
مع ما يلقى من الرفع والوضع واللف والحل والدهن والمسح اذا انيم على ظهره لم يستطع تقلبا ولا يزال في
اصناف هذا العذاب ما دام رضيعا فاذا افلت من ذلك اخذ بعذاب الادب فاذيق منه الوانا وفي الحمية
والدواء والاوجاع والاسقام فاذا ادرك فهم المال والاهل والولد والشره والحرص ومخاطرة الطلب
والسعي وكل هذا يتقلب معه فيها اعداؤه الاربعة المرة والبلغم والدم والريح وسم المميت والحيات اللادغة
مع خوف السباع والناس وخوف البرد والحر ثم الوان عذاب الهرم لمن بلغه **الثاني** كون آخرها فناء وهو
تنفير عنها بذكر غايتها وهو الموت وما يستصحبه من فراق الاهل والاحبة والاشراف على اهوال العظيمة
العضلة **الثالث** كون حلالها حسابا وهو اشارة الى ما يظهر في صحيفة الانسان يوم القيمة من الآثار
المكتوبة عليه مما خاض فيه من مباحات الدنيا وتوسع فيه من المآكل والمشارب والمناكح والمراكب وما يظهر في
نفسه من محبة ذلك فيعوقه عن اللحوق بالمجردين عنها الذين لم يتصرفوا فيها تصرف الملاك فلم يكتب عليهم في
شيء منها ما يحاسبون عليه واليه اشارة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان الفقراء ليدخلون الجنة
قبل الاغنياء بخمسمائة عام وان فقراء امتي ليدخلون الجنة سعيا وعبد الرحمن يدخلها حبوا وما ذاك الا لكثرة حساب
الاغنياء وتعويقهم بثقل ما حملوا من محبة الدنيا وقنياتها عن اللحوق بدرجة المخفين منها وقد عرفت
كيفية الحساب **الرابع** كون حرامها عقابا وهو تنفير عما يوجب العقاب من الآثام بذكره **الخامس**
كونها من استغنى فيها فتن اي كانت محبته لما اقتنى منها سببا لفتنته وضلاله عن سبيل الله كما قال

تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة **السادس** كونها من افتقر فيها حزن وظاهر ان المفتقر الطالب للدنيا غير الواجد
لها في غاية المحنة والحزن على ما يفوته منها وخاصة ما يفوته بعد حصوله له **السابع** من ساعاها فاته
واقوى اسباب هذا الفوات ان تحصيلها اكثر ما يكون بمنازعة اهلها عليها ومجاذبتهم اياها وقد علمت
ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشيء وقوة منع الانسان له وتجاذب الخلق للشيء وعزته عندهم
سبب لفوت بعضهم له على بعض وفيه تنبيه على وجوب ترك الحرص عليها والاعراض عنها اذ كان فوتها
اللازم عن شدة السعي في تحصيلها مكروها للسامعين **الثامن** كونها من قعد عنها واتته وهو ايضا جذب الى القعود
عنها وتركها وان كان لغرض مواتاتها كما يفعله اهل الزهد الظاهري المشوب بالرياء والسمعة وقد علمت
ان الزهد الظاهري مطلوب ايضا للشارع اذ كان وسيلة الى الزهد الحقيقي كما قال الرسول صلى الله عليه
وآله الرياء قنطرة الاخلاص وقد راعى في هذه القرائن السجع المتوازي **التاسع** من ابصر بها بصرته اي
من جعلها سبب هدايته وبصره واستفاد منها البصر والهداية وذلك لانك علمت ان مقصود الحكمة الالهية
من خلق هذا البدن وما فيه من الآلات والمنافع انما هو استكمال نفسه باستخلاص العلوم الكلية وفضائل
الاخلاق من صحيح جزئيات الدنيا ومقايسات بعضها الى البعض كالاستدلال بحوادثها وعجائب مخلوقات
الله فيها على وجوده وحكمته وجوده وتحصيل الهداية بها الى اسرار ملكه فكانت سببا ماديا لذلك فلاجله
صدق انها تبصر من ابصر بها **العاشر** ومن ابصر اليها اعمته اي من مد اليها بصر بصيرته وتطلع اليها
بعين قلبه محبة وعشقا اعمت عين بصيرته عن ادراك انوار الله والاهتداء لكيفية سلوك سبيله واليه
الاشارة بالنهي في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه وقد ظهر
الفرق بين قوله من ابصر بها وابصر اليها ومدح السيد لهذا الفصل مدح في موضعه **ومن خطبة له عليه
السلام وهي من الخطب العجيبة وتسمى الغراء** اعلم ان في هذه الخطبة فصولا **الفصل الاول**
قوله الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله مانح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وازل احمده على عواطف
كرمه وسوابغ نعمه واومن به اولا باديا واستهديه قريبا هاديا واستعينه قاهرا قادرا واتوكل عليه كافيا ناصرا
واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله لانفاذ امره وانهاء عذره وتقديم نذره
اقول الحول القوة والطول الفضل والمنحة العطية والازل الشدة والنذر النذارة وقد اثنى
على الله تعالى في هذا الفصل باعتبارات اربعة من نعوت جلاله **الاول** كونه عليا واذ ليس المراد بالعلو المكاني
لتقدسه تعالى عن الجسمية كما سبق فالمراد العلو المعقول له باعتبار كونه مبدا كل موجود ومرجعه فهو العلي
المطلق الذي لا اعلى منه في وجود وكمال رتبة وشرف كما سبق بيانه ولما كان ذلك اعتبارا الحقه بالقياس
الى كل موجود صدر عنه بقدرته وقوته لاجرم جعل الحقه له مبدا هو حوله **الثاني** كونه دانيا بطوله ولما عرفت ان معنى
الدنو والقرب في حقه تعالى ليس مكانيا ايضا كان اعتبار الحقه عقوليا له من قربا فاضته نعمه على قوابلها ومن

من ابصار البصائر في صورة نعمه نعمة منها ولذلك جعل طوله مبدا الدنو **الثالث** كونه مانح كل غنيمة وفضل
الرابع كونه كاشف كل عظيمة وازل وهما اشارة الى كل ما تصدر عنه على قابلها بفاضل جوده ورحمته سواء كانت
وجودية كالصحة والمال والعقل وغيرها او عدمية كدفع البأساء والضراء واليها الاشارة بقوله تعالى وما بكم من نعمة
فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم اذا كشف الضر عنكم الآية وقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء
ويجعلكم خلفاء الارض **وقوله** احمده الى قوله نعمه تنبيه السامعين على مبدا استحقاقه لاعتبار الحمد وهو كرمه قال
بعض الفضلاء الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء ولم يبال كم اعطى ولا
لمن اعطى وان رفعت الى غيره حاجة لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائل
والشفعاء فمن اجتمعت له هذه الاعتبارات حقيقة من غير تكلف فهو الكريم المطلق وليس ذلك الا الله تعالى ولنت
والاجمع الاسنع في رسم هذا الاعتبار انه يعود الى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع وتعويق على كل من يقدر ان يقبله
بقدر ما يقبله وعواطف كرمه هي نعمه وآثاره الخيرية التي تعود على عباده مرة بعد اخرى وسوابغ نعمه السابغة
التي لا قصور فيها عن قبول قابلها **وقوله** واومن به اولا باديا نصب اولا باديا على الحال واشار بهذين الوصفين
الى الجهة التي هي مبدا الايمان اذ كان باعتبار كونه اولا هو مبدا لجميع الموجودات وكونه باديا هو كونه ظاهرا
للعقل في جميع آثاره فباعتبار ظهوره مع كونه مبدا لكل موجود اولا لنجب الايمان به والتصديق بالهيته **وقوله**
واستهديه قريبا هاديا فاستهداؤه طلب الهداية منه وقربه هو دنوه بجوده من قابل الفضل وهدايته هبته الشعور
لكل ذي ادراك بما هو الحق فظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا لطلب الهداية منه **وقوله** واستعينه
قاهرا قادرا استعانته طلب العون منه على ما ينبغي من طاعته وسلوك سبيله والقاهر هو الذي لا يجري في ملكه
بخلاف حكمه نفس بل كل موجود مسخر تحت حكمه وقدرته حقير في قبضته والقادر هو الذي اذا شاء فعل واذا لم يشا
لم يفعل وان لم يلزم انه لا يشاء فلا يفعل كما سبق بيانه وظاهر انه باعتبار هذين الوصفين مبدا للاستعانة
وقوله واتوكل عليه كافيا ناصرا التوكل كما علمت يعود الى اعتماد الانسان فيما يرجو ويخاف على غيره والكافي
اعتبار كونه معطيا لكل قابل من خلقه ما يكفي استحقاقه من منفعة ودفع مضرة والناصر هو اعتبار اعطائه
النصر لعباده على اعدائهم بافاضة هدايته وقوته وظاهر انه تعالى باعتبار هذين الوصفين مبدا لتوكل عباده عليه
والقائهم مقاليد امورهم اليه **وقوله** واشهد الى آخره تقرير للرسالة وتعيين لاغراضها وذكر منها ثلثة احدها
انفاذ امره والضمائر الثلثة لله وانفاذ امره اجراؤه لاحكامه على قلوب الخلق ليقروا بالعبودية له الثاني انهاء عذره
في اقواله وافعاله وقد سبق بيان وجه استعارة العذر **الثالث** تقديم نذره وهو التخويفات الواردة على
السنة الرسل عليهم السلام الى الخلق قبل القيامة الجاذبة لهم الى لزوم طاعته وظاهر كون الثلثة اغراضا للبعثة
الفصل الثاني قوله اوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الامثال ووقت لكم الآجال والبسكم
الرياش وارفع لكم المعاش واحاط بكم الاحصاء وارصد لكم الجزاء وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وانذركم

ليطلب بوجه ما ليس الحق به

بالحجج البوالغ فاحصاكم عددا او وظف لكم مددا في قرار خبرة ودار عبرة انتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها

اقول الرياش اللباس الفاخر وقيل الغنى بالمال والارصاد الاعداد والرفد جمع رفدة وهي العطية والروافغ الواسعة الطيبة وهذا الفصل مشتمل على الوصية بتقوى الله وخشيته والانجذاب اليه باعتبار امور الاول ضرب الامثال والامثال التي ضربها الله لعباده في القرآن كثيرة منها قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم الى قوله يرجعون والاشارة بهذا المثل الى من كان قد طلب اظهار المعجزات من الرسول صلى الله عليه وآله فلما ظهرت لهم لم يقبلوها ورجعوا الى ظلمة جهلهم فهم صم عن سماع دعاء داعي الله باذان قلوبهم بكم عن مناجاة الله بالسنتهم عمي عن مشاهدة انوار الله بابصار بصائرهم فهم لا يرجعون عن تماديهم في غيهم وكفرهم ومنها قوله او كصيب من السماء الى قوله قاموا وهو مثل شبه فيه القرآن بالمطر النازل من السماء وشبه ما في القرآن من الوعد والوعيد بما في المطر من الرعد والبرق وشبه تباعد المنافقين عن الاصغاء الى القرآن وتغافلهم عن سماع الوعظ بمن يجعل اصابعه في اذانه خوف الصواعق وقوله يكاد البرق الى اخره اشارة الى من كان يرق قلبه لسماع الوعظ البالغ اذا قرعه ويميل الى التوبة وينجلي عن قلبه بعض الظلمة فاذا رجعوا الى قرنائهم اشاروا عليهم بالعود الى دينهم وبذلوا لهم الجهد في النصيحة وخوفوهم بالعجز فضعف قصدهم ويظلم عليهم شبهات الباطل ويغطي ما كان ظهر لهم من نور الحق وكذلك باقي امثال الله في كتابه الكريم الثاني قوله ووقت لكم الاجال اي كتبها بقلم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ كل الى اجل مسمى ثم يرجع اليه فيحاسبه باعلانه واسراره فبالحري ان يعبده ويميل للقائه الثالث كونه قد البسهم الرياش وهو اظهار لنعمه عليهم كما قال تعالى يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى الاية ليذكروا انواع نعمه فيستحيوا من مجاهرته بالمعصية الرابع كونه قد ارفغ لهم المعاش اي اطاب معايشهم في الدنيا كما قال تعالى ورزقكم من الطيبات وهو كالثالث الخامس احاطته بهم احصاء كقوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا اي احاط بهم علمه واحصاء منصوب على المصدر من غير لفظ فعله او على التمييز وظاهر ان علم العصاة بانه لا يشذ احد منهم عن احاطة علمه جاذب الى تقواه السادس كونه قد ارصد لهم الجزاء كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون السابع ايثارهم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ كقوله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة الثامن انذاره بالحجج البوالغ وهي رسله ومواعظه وسائر ما جذب به عباده الى سلوك سبيله وهو حجة على عصاة امره ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين التاسع احصاؤه لهم عددا كقوله تعالى واحصى كل شيء عددا العاشر توظيفه لهم المدد وهي كونه لهم الاجال وانما كرر وصف الاحصاء والعد وهذين الوصفين ايضا لان الوهم كثيرا ما ينكر احاطته بها بالجزئيات مع عدم تناهيها فيكون ذلك مشبها على النفس توقيت الاجال الكل تخص تخص ويقدح في امر المعاد

الموزعة لكل آحاد الخلق بحسب كل قدرة من الاعمال الصالحة فكررها طردا للوهم وكسرا للحكمة ولان ذكر توقيت الاجال من اشد الجواذب عن الدنيا الى الله وقوله في قرار خبرة ودار عبرة اي محل اختبار الله خلقه ومحل عبرتهم اي انتقال اذهانهم فيما يجري فيها من آيات العبرة وآثار القدرة والاستدلال بها على وحدانية صانعها كما سبقت الاشارة الى معنى الاختبار والاعتبار وكذلك قوله انتم مختبرون وعليها محاسبون وقد سبقت الاشارة اليه في قوله الا وان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها وفي هذين القرينتين مع السجع المتوازي نوع من التجنيس من خبرة وعبرة والاختلاف بالحرف الاول

فيها

الفصل الثالث

قوله فان الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها ويوبق مخبرها غرور حائل وضوء آفل وظل زائل وسناد مائل حتى اذا انس نافرها واطمان ناكرها قمصت بارجلها وقنصت باحبلها واقصدت باسهمها واعلقت المرء اوهاق المنية قائدة له الى ضنك المضجع ووحشة المرجع ومعاينة المحل وثواب العمل وكذلك الخلف بعقب السلف لا تقلع المنية اختراما ولا يرعوي الباقون اجتراما يحتذون مثالا ويمضون ارسالا الى غاية الانتهاء وصيور الفناء

اقول الرنق الكدر والردغ الوحل والرائب المختلط بالماء ويوبق يهلك والغرور خداعة مستغفلة للاذهان والحائل المتحول وقمصت الدابة رفعت يديها وطرحتهما وعجنت برجليها وقنصت صادت والقنص والقصد اصابة المقتل والاوهاق جمع وهق بالفتح وهو حبل والضنك الضيق واقلع عن الشيء امتنع منه والاخترام الموت دون المدة الطبيعية وارعوى كف ورجع واحتذى تلا ان فعل فعله وارسالا جمع رسل بالفتح وهو القطيع وصيور الامر ما يرجع اليه منه ومدار هذا الفصل على التنفير عن الدنيا بذكر معايبها وما تؤول اليه وذكر لها اوصافا الاول كونها رنقا مشربها وهو كناية عن كدر لذاتها بشوائب المصائب من الهموم والاحزان والاعراض والامراض الثاني كونها ردغا مشرعها ومحل الشروع في لذاتها والورود في استعمالها وكونه ردغا وصف الطريق المحسوس استعير له ووجه المشابهة كون طريق الانسان في استعمال الدنيا والتصرف فيها ذات مزالق ومزال اقدام تهوي به الى جهنم لا يثبت فيها الا قدم عقل قد هجر في ضبط قواه وقهر سطوة شياطينه كما ان الطريق ذات الوحل كذلك وهو من لطايف استعاراته عليه السلم الثالث كونها يونق منظرها ويوبق مخبرها وهو اشارة الى اعجابها لذوي الغفلة بزينتها الحاضرة مع هلاكهم باختبارها لغفلتهم لها وتيهها الغرض الالهي لذاتها الرابع كونها غرورا حائلا يروى بفتح الغين وضمها ومعنى الاول ذات غرور اي تغر الخلق بزخارفها فيتوهمون بقاءها ثم تنتقل عنهم وتحول ومن روى بالضم جعلها نفسها غرورا والغرور يطلق على ما يغتر به حقيقة عرفية الخامس كونها ضوءا آفلا استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين ودال على قوله ضوء اي له منظر حسن او لما ظهر لهم من وجوه مسالكها فاهتدوا به الى تحصيلها ومداخلها ومخارجها وعلى التقديرين فهو ضوء آفل لا يدوم ولفظ الافول ايضا مستعار السادس وظلا زائلا استعار لفظ الظل لما يأوي اليه الانسان من نعيمها فيستظل به من حرارة بؤسها وظاهر كونه زائلا السابع كونها سنادا مائلا استعارة مائلا ايضا للفظ السناد فيما يعتمد الغافلون عليه من قنياتها وخيراتها

التي لا اصل لها ولا ثبات بل هي كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار وذكر الميل ترشيح للاستعارة
الثامن كونها تغر الناس بصفوها وظلها وبهجة منظرها الى غاية ان يستأنس بها من كان يعقله نفورا
عنها ويطمئن اليها من كان بمقتضى فطرته منكرا لها حتى اذا كان ذلك منه طوعا لها فعلت به افعال
العدو الخدوع ونسب اليها من الافعال امورا احدها قمصها بالارجل واستعار لفظ القمص لاسراعها
على الانسان عند حضور اجله كانها تدفعه برجليها مولية عنه كما تفعل الدابة ورشح بذكر الارجل وانما جمع
لاعتبار اليدين مع الرجلين وذكره بلفظ الرجل لان القمص اليها انسب الثاني قصها له باحبلها وهو
كناية عن تمكن حبائل محبتها والهيئات الردية المكتسبة منها في عنق نفسه كناية بالاستعارة الثالث
كونها اقصدت له باسهمها واستعار لفظ الاسهم للامراض واسباب الموت واقصادها كناية عن اصابتها
كناية بالاستعارة لاوصاف الرامي تنزيلا للدنيا منزلته الرابع كونها اعلقته حبال المنية وحبالها استعارة
لما تجذب به الى الموت من ساير اسبابه ايضا وكذلك لفظ القايد استعارة كنى بها عن انسياق المريض
في حبال مرضه الحاصل فيها الى الامور المذكورة من ضنك المضجع وهو القبر ووحشة المرجع وهو اشارة
الى ما تجده النفوس الجاهلة عند رجوعها الى مبداها من وحشة فراق ما كان محبوبا لها في الدنيا وما كانت
الفته من مال واهل وولد وهي استعارات لاوصاف الصايد تنزيلا للدنيا منزلته ومعاينة المحل اي مشاهدة
الاخرة التي هي محل الجزاء وثواب العمل اي جزاؤه من خير او شر وقوله وكذلك الخلف اي اخره اي على الاحوال المذكورة
للدنيا مضى الخلق يتبع خلفهم من سلف منهم لا تقلع المنية عن اخترام نفوسهم والباقون منهم يرجعون عما هم عليه
من ارتكاب الجرائم فيها والغرور بها يقتدون بامثال الماضين في ذلك ويمضون عليه اتباعا الى غاية سيرهم
بمطايا الابدان ومصير امرهم وهو الفناء والعرض على الملك الديان وقد راعى ايضا مع السجع التجنيس في قوله
بوتق وبوبق داوها واكرها وقنصت وقصت والاختلاف بحرف اوسط وبالله التوفيق

الفصل الرابع

في الاشارة الى ما يلحق الناس بعد الموت من احوال القيمة وتذكيرهم قوله حتى اذا تصرمت الامور وتقضت الدهور
وازف النشور اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور اعشا واوجرة السباع ومطارح المهالك سراعا
الى امره مهطعين الى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس
الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الامل وهوت الافئدة كاظمة وخشعت الاصوات
مهينمة والجم العرق وعظم الشفق وارعدت الاسماع لزبرة الداعي الى فصل الخطاب ومقايضة الجزاء ونكال
العقاب ونوال الثواب اقول تصرمت تقضت وازف دنا والضرايح جمع ضريح وهو الشق في وسط القبر والاوكار
الطيور اعشاشها والاوجرة جمع وجار وهو بيت السبع مهطعين مقبلين ورعيلا مجتمعين واللبوس ما يلبس
والضرع الخضوع والانكسار وكاظمة والهينمة صوت خفي والجم العرق بلغ الفم فصار كاللجام والشفق الاشفاق
وهو الخوف والزبرة الانتهار والمقايضة المعاوضة والنكال نوع العقوبة واعلم انه قد تطابقت السنة

الانبياء والرسل عليهم السلام على القول بالمعاد الجسماني ونطق به الكتاب العزيز كقوله تعالى يوم يخرجون من
الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة الاية ونحوها واطبق السلف
على القول به واما الحكما فالمشهور من مذهبهم منع المعاد الجسماني بناء على ان المعدوم لا يعاد بعينه لامتناع عود
اسبابه باعيانها من الوقت والادوار الفلكية المعينة وغيرهما وربما قال بعض حكماء الاسلام بجواز عود
المثل وربما قلد بعضهم ظاهر الشريعة في امر المعاد الجسماني واثبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية
قال الرئيس ابو علي بن سينا في كتاب الشفا ما هذه حكاية الفاظه يجب ان يعلم ان المعاد منه ما هو مقبول من الشرع
ولا سبيل الى اثباته الا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة وهو الذي للبدن عند البعث وخيرات البدن
وشروره معلومة لا يحتاج ان تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي اتانا بها سيدنا ومولانا محمد صلى
الله عليه وعلى آله حال السعادة والشقاوة اللتين بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس
البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للانفس
وان كانت الاوهام منا تقصر عن تصورها الان لما نوضح من العلل والحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة
هذه السعادة اعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كانهم لا يلتفتون الى تلك وان اعطوها
ولا يستعظمونها في جنبة هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الاول واعلم ان الذي ذكره عليه السلام هنا صريح
في اثبات المعاد الجسماني ولواحقه فقوله اخرجهم من ضرايح القبور واوكار الطيور واوجرة السباع ومطارح
المهالك اشارة الى جمعه لاجزاء ابدان الناس بعد تشذبها وتفرقها فيخرج من كان قبر من ضريح قبره ومن كان
اكيل طير او سبع او مقتولا في مطرح الهلاك من معركة الحرب او غيرها اخرجه من ذلك المكان وجمع اجزاءه
والف بينها فان قلت اذا اكل انسان انسانا او غيره فصارت اجزاء بدنه اجزاء البدن الاكل فكيف يمكن
اعادتهما لان تلك الاجزاء في اي بدن منهما اعيدت لزم نقصان الاخر وبطلانه قلت مذهب محققي المتكلمين
ان في كل بدن واحد اجزاء اصلية باقية من اول العمر الى اخره لا تتغير ولا تعدم واجزاء فضلية فاذا اعيد
يوم القيمة فما كان اصليا من الاجزاء البدن المأكول فهو فضلي لبدن الاكل فيرد اليه من غير ان ينقص من
الاجزاء الاصلية للاكل شيء ولا عبرة بالفاضلة وباقي الفصل غني عن البيان وقال بعض الفضلاء انه ربما
احتملت هذه الالفاظ التسلط عليها من التاويل ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني فقوله
حتى اذا تصرمت الامور اي احوال كل واحد واحد من الخلق في الدنيا وقوله وتقضت الدهور اي تقضت
مدة كل شخص منهم وقوله وازف النشور اي دنا انشار كل واحد في عالم الاخرة من قبور الابدان وقوله اخرجهم
من ضرايح القبور استعار لفظ القبور للابدان وضرايحها ترشيح للاستعارة ووجه المشابهة ان النفس
تكون منغمسة في ظلمة البدن وكدر الحواس متوحشة عن عالمها كما ان المقبور مترهم لظلمة القبر ووحشة منقطع
عن الاهل والمال وضمير اخرجهم يعود الى الله في صدر الخطبة وقوله واوكار الطيور فاعلم ان العارفين واهل

الحكمة كثيرا ما يستعيرون لفظ الطير لوصافه النفس الناطقة والملائكة كما اشار اليه سيد المرسلين صلى
الله عليه وآله في قوله حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش ويقول يا اهلي ويا ولدي لا تلعبن
بكم الدنيا كما لعبت بي والرفرفة انما تكون لذي الجناح من الطير وكما جاء في التنزيل الالهي في وصف الملائكة اولي
اجنحة مثنى وثلاث ورباع وكما اشار اليه ابو علي في قصيدته التي اولها هبطت اليك من المكان الارفع ورقاء
ذات تعزز وتمنع واشار بالورقاء الى النفس الناطقة كما اشار اليه ايضا في رسالته المسماة برسالة الطير بقوله
برزت طائفة تقتنص فنصبوا الحبال ورتبوا الشرك وهيأوا الطعم وتواروا في الحشيش وانا في سرب طير ونحوه
ووجه المشابهة في هذه الاستعارة ما يشترك فيه النفس والطير من سرعة التصرف والانتقال فالنفس بالانتقال
عقلي والطير بالانتقال حسي واذا استعير لفظ الطير للنفس فبالحري ان يستعار لفظ الوكر للبدن لما بينهما
من المشاركة وهو كونهما مسكنا لا يسهل مفارقته **وقوله** واوجرة السباع استعارة للابدان ايضا والسباع
اشارة الى النفوس المطيعة لقواها الغضبية التي شانها محبة الغلبة والانتقام كما ان السبع كذلك **وقوله**
ومطارح المهالك اشارة الى الابدان ايضا فانها مطارح مهالك الغافلين الذين اتبعوا الشهوات اعني ابدانهم
وقوله سراعا الى امره نصب على الحال بقوله اخرجهم وكذلك ما بعده من المنصوبات وامره هو قضاؤه الازلي
عليهم بالرجوع اليه وعودهم الى مبدائهم وسرعتهم اليه اشارة الى قرب وصولهم وهو في انقطاع علاقة النفس مع البدن
وهو على غاية من السرعة **وقوله** مهطعين الى معاده اشارة الى اقبال النفوس بوجوهها على محل عودها وما اعد لها
فيه من خير وشر **وقوله** رعيلا اشارة الى اجتماعهم في حكم الله وقبضته ومحل الاستحقاق لثوابه وعقابه
وقوله صموتا اذ لا السنة لهم اذن ينطقون بها ويحتمل ان يكون الصمت كناية عن خضوعهم وانقيادهم في ذل
الحاجة وهيبة الجلال **وقوله** قياما صفوفا قيامهم استعارة لاستشعار النفوس هيبة الله وعظمته وقيامها
بتصورها على ساق العبودية وذل الامكان وصفوفا استعارة لاصطفافهم ازلا في سلك علمه تعالى ازلي الكل
بالنسبة الى علمه على سواء كما يستوي الصف المحسوس ويحتمل ان يكون الصف استعارة لترتيبهم في القرب الى الله تعالى
متنازلين متصاعدين **وقوله** ينفذهم البصر اشارة الى احاطة علمه تعالى بهم **وقوله** ويسمعهم الداعي فالداعي
هو حكم القضاء عليهم بالعود واسماعهم عموم ذلك الحكم لهم بحيث لا يمكن ان يخرج عنه منهم احد **وقوله** عليهم
لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة اشارة الى حالهم التي يخرجون من الاجداث عليها من ذل الامكان
ورق الحاجة والخوف في قبضة الله وهو كقوله تعالى يوم يدعو الداع الى شيء نكر خشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث
وقوله قد ضلت الحيل اي حيل الدنيا فلا حيلة لهم في الخلاص مما هم فيه كما كانوا يتخلصون بحيل الدنيا
من بعض شرورها وانقطع الامل اي املهم فيها لا متاع عودهم اليها وانقطاع طمعهم في ذلك **وقوله**
وهوت الافئدة كاظمة اي سقطت النفوس في حضيض الذل والفاقة الى رضا الله وعفوه ولفظ الكظم مستعار
كما سبق **وقوله** وخشعت الاصوات مهينمة كقوله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وهو اشاره

حكم

الى سو الحم لسان حالهم عفو الله ورحمته على وجه الذلة والضعف ورق العبودية في ملاحظة جلال الله
وقوله والجم العرق وعظم الشفق استعار لفظ العرق وكنى به عن غاية ما تجده النفس من كرب الم الفراق
وهيبة الله وعدم الانس بعد الموت اذ غاية الخائف المستعيبان يعرق ويشفق من نزول العقاب به ونسبة
الالجام الى العرق نسبة مجازية **وقوله** وارعدت الاسماع لزبرة الداعي اشارة ما تجده النفس عند تيقنها
المفارقة واستعار لفظ الزبرة لقهر حكم القضاء للنفس على مرادها وقهر الا تمكن معه من الجواب بالامتناع
وفصل الخطاب هو امضاء احكام الله على نفوس عباده عند الرجوع اليه بتوفيه ما لها واستيفاء ما عليها
ومقايضة الجزاء معاوضتها بما اتت به اما من الملكات الردية فبنكال العقاب واما من الملكات الفاضلة
فبنوال الثواب وهبة كل بقدر استعداده وقبوله واعلم ان العدول الى المجازات والاستعارات عن حقائق الالفاظ
والى التاويل عن الظواهر انما يجوز خصوصا في كلام الله وكلام رسوله واوليائه اذا عضده دليل عقلي يمنع من اجراء الكلام
على ظاهره ولما اعترف على القوم بجواز المعاد الجسماني بتقليد الشريعة ولم يقم دليل عقلي يمنع منه لم يمكنا الجزم
بصحة هذه التاويلات وامثالها والله الموفق والعصمة **الفصل الخامس** في تنبيه الخلق على اوصاف حالهم
المنافية لما هم عليه من التجبر والاعراض عما خلقوا لاجله لعلهم يذكرون **فقوله** عباد مخلوقون اقتدارا ومربوبون
اقتسارا ومقبوضون احتضارا ومضمنون اجداثا وكائنون رفاتا ومبعوثون افرادا ومدينون جزاء ومميزون
حسابا قد امهلوا في طلب المخرج وهدوا سبيل المنهج وعمروا مهل المستعتب وكشفت عنهم سدف الريب
وخلوا لمضمار الجياد وروية الارتياد وأناة المقتبس المرتاد في مدة الاجل ومضطرب المهل **اقول** القسر القهر
والجدث القبر والاجداث القبور واحده جدث والرفات الفتات من العظم ونحوه ومدينون مجزيون والمستعتب المسترضي
والسدف جمع سدفة وهي ظلمة الليل والريب الشبه والشكوك والارتياد الطلب وذكر من تلك الاوصاف
عشر صفات **الاول** كونهم مخلوقين اقتدارا اي خلقهم ليس لذواتهم بل بقدرة قادر مستقلة عن مشاركة الغير
وفي ذلك تنافر لعصيانهم **الثاني** كونهم مربوبين اقتسارا اي ليس ملك مالكهم لهم عن اختيار منهم حتى يكون لهم الخيرة في
معصيته وطاعته **الثالث** كونهم مقبوضين احتضارا اي مستحضرين بالموت مقبوضين الى حضرة جلال الله
الرابع كونهم من شانهم ان يضمنوا الاجداث **الخامس** من شانهم ان يصيروا رفاتا **السادس** ان من شانهم ان يبعثوا
افرادا كما قال تعالى وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اي مجردا عن استصحاب غيره معه من اهل ومال **السابع** انهم مدينون
جزاء ومن شانهم ذلك والجزاء مصدر نصب بغير فعله **الثامن** ان من شانهم ان يميزوا حسابا اي يحصون عددا كقوله
تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا وحسابا ايضا مصدر انتصب عن غير فعله **التاسع** قد امهلوا في طلب المخرج اي انما
امهلوا في الدنيا لطلب خلاصهم وخروجهم من ظلمات الجهل وورطات المعاصي الى نور الحق ومتبع الجود **العاشر**
كونهم قد هدوا سبيل النهج اي الهموا باصل فطرهم ودلوا بالاعلام الواضحة من الانبياء والشرائع على الطريق
الى حضرة قدس الله والجنة **الحادي عشر** كونهم قد عمروا مهل المستعتب لما كان من طلب استعتابه والمقصود رجوعهم

ع

افرادا

كونهم

عن غيه بمهل ويداري طول الحياة ما كان مهله الله سبحانه لخلقه مدة اعمارهم ليرجعوا الى طاعته ويعملوا صالحا خاتم
ذلك فنزلت منزلته ومهل نصب على المصدر لان التعمير امهال الثاني عشر كونهم قد كشفت عنهم سدف الريب اي ازال
عن ابصارهم ظلم الشكوك والشبهات والجهالات بما وهب لهم من العقول واتيهم من بعثة الرسل الثالث عشر
كونهم قد خلوا المضمار الجياد اي تركوا في الدنيا المضمار انفسهم بازدياد التقوى ولما استعار لفظ المضمار رشح بذكر
الجياد اذ شرف المضمار ان تحل جياد الخيل وفيه تنبيه لهم على ان يكونوا من جياد مضمارهم وقد سبق وجه الاستعارة
ومعنى المضمار في قوله الا وان اليوم المضمار وكذلك خلوا الروية الارتياد اي ليفكروا في طلب ما يخلصهم الى الله تعالى
من سابل طاعته وكذلك ليتاملوا انه المقصود الحوار الالهية الطالب لا اشارة بها في مدة اجالهم ومحل اشطرا بهم في مهلتهم
وتحصيلهم لما ينبغي لهم من الكمالات ومن ملك من عبيده هذه الحالات وافاض عليهم ضروب هذه الانعامات
فكيف يليق احدهم ان يجاهره بالعصيان او يجاسر ان يقابله بالكفران الانسان تبيين الفصل الثاني في التنبيه على فضل
موعظته وتذكيره ومدحها بالبلاغة والتعريض بعدم القلوب الحاملة لها ثم البحث على التقوى فقوله فيا لها
امثالا صايبة ومواعظ شافية امثالا ومواعظ نصب على التمييز وصواب الامثال مطابقتها للممثل وشفاء المو عظة
تاثيرها في القلوب ازالة مرض الجهل والرذايل الخلقية ورجوع المتعظ بها منيبا الى ربه وقوله لو صادفت قلوبا
زاكية واسماعا واعية واراء عازمة والبابا حازمة وزكاء القلوب استعدادها لقبول الهداية وقربها من ذلك
ووعى الاسماع فهم القلوب عنها وانما وصفها بالوعي لانها ايضا قابلة لصور المعاني موديه لها الى قوة الحس المشترك الخيال
وعزم الاراء توجيه الهمة الى ما ينبغي والثبات على ذلك وحزامة الالباب جودة راى العقول فيما يختاره وظاهر ان هذه
الثلثة هي اسباب نفع الموعظة وقوله فاتقوا الله الى قوله مقامه امر بتقوى الله تقية كتقوى من استجمع جميع هذه الاوصاف
احدها تقية من سمع فخشع اي تقية من استعد قلبه بسماع الموعظة فخشع منها لله الثاني تقية من اقترف واعترف اي
اكتسب الذنب فاعترف بها واناب الى الله الثالث تقية من وجل اي خاف ربه فاقلقه خوفه فعمل اي فالتجا الى الاعمال
الصالحة لينجو بها الرابع تقية من حاذر اي عقاب ربه فبادر اي الى طاعته الخامس تقية من ايقن اي بالموت والقيامة
فاحسن اي فاحسن عمله واخلص له السادس تقية من عبر اي رمي بالعبر وذكر بها فاعتبر اي جعلها سلما يعبر فيها ذهنه
الى العلم بما ينبغي له السابع تقية من حذر اي من سخط الله وعقابه فازدجر اي فرجع عن معصيته الثامن تقية من اجاب
اي اجاب داعي الله فاناب اي رجع اليه ببره واستغفاره التاسع تقية من راجع اي راجع فكره وعقله فتاب اي عن
عمل شياطينه وقهر نفسه الامارة بالسوء فتاب من متابعتها العاشر تقية من اقتدى بانبياء الله واوليائه وهداهم الله
الواية فاحتذى اي صار احذوهم في جميع احوالهم فطلب مقصدهم وفعل فعلهم الحادي عشر تقية من اري اي اري الحق
فاظهرت لعين بصيرته طريق الله وسبيله فراى فعرفها واسرع طالبا لما اسلك لها ونهى اليه ونجا فيها هاربا من ظلمات
جهله وثمراته فافاد ذخيرة اي فاستفاد سلوكه لها وطاعته لربه في تلك ذخيرة المعاد واطاب سلوكها سريرته عن نجاسات
الدنيا وعمرها كتب في سلوكها من الكمالات المسعدة معاده واستظهر زادا ليوم رحيله من دنياه واستعده لوجه

سبيله التي هو سالكها ومسافر فيها ولحال حاجته ولموطن فاقته فان كل رتبة من الكمال حصلت للانسان
فهي تعد الرتبة اعلى منها لو لم يحصلها لظهرت لحاجته في الاخرة الى اقل منها حيث لا يجد اليها سبيلا
وكذلك قوله وقدم اي ما استظهر به زادا امامه اي تلقاء وجهته التي هو مستقبلها ومنته اليها الدار مقامه الاخرة
وقوله فاتقوا الله جهة ما خلقكم له اي اعتبار ما خلقكم لاجله ~~اي اعتبار ما خلقكم لاجله باعتبار ما خلقكم له~~
واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه اي اسلكوا ولما كان ما خلقهم له انما هو عرفانه والوصول اليه كان المعنى
اجعلوا تقواكم لله نظرا الى تلك الجهة والاعتبار لا للرياء والسمعة وجهة منصوب على الظرف ويحتمل ان يكون مفعولا
بالفعل مقدر اي واقصد واتقوا بتقواكم جهة ما خلقكم له وقوله واحذروا منه كنه ما حذركم منه حقيقة تحذيره
لكم من نفسه ما توعدكم به وذلك الحذر انما يحصل بالبحث عن حقيقة المحذور منه والسالكون الى الله في تصور ذلك
على مراتب متفاوتة وقوله واستحقوا منه ما اعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده استحقاق ما وعده الله تعالى
من جزيل الثواب انما يحصل بالاستعداد له فهو امر بالاستعداد له والاستعداد يحتاج الى اسباب فذكرها عليه السلام
في امرين احدهما التنجز لصدق ميعاده والتنجز طلب انجاز الوعد وقضائه وذلك انما هو الاقبال على طاعته كما قال
تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونحوها والثاني الحذر من
اهوال معاده وذلك باجتناب مناهيه والارتداع بزواجره ونواهيه منها قوله جعل لكم اسماعا اعلم ان في هذا الفصل
فصلين الفصل الاول في تذكير عباد الله بضروب نعمه عليهم والتنبيه على الغاية منها ثم التذكر
بحال الماضين من الخلق والتنبيه على الاعتبار بهم وهو في معرض الامتنان وذلك قوله عليه السلم جعل
لكم اسماعا لتعي ما عناها وابصارا لتجلو عن عشاها واشلاء جامعة لاعضائها ملائمة لاحنائها في تركيب
صورها ومدد عمرها بابدان قائمة بارفاقها وقلوب رائدة لارزاقها من مجللات نعمه وموجبات منه
وحواجز عافيته وقدر لكم اعمارا سترها عنكم وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلاقهم
ومستفسح خناقهم ارهقتهم المنايا دون الامال وشذبهم عنها تخرم الاجال لم يمهدوا في سلامة الابدان
ولم يعتبروا في انف الاوان فهل ينتظر اهل بضاضة الشباب الاحواني الهرم واهل غضارة الصحة الا نوازل
السقم واهل مدة البقاء الا آونة الفناء مع قرب الزيال وازوف الانتقال وعلز القلق والم المضض وغصص الجرض
وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والاقرباء والاعزة والقرناء فهل دفعت الاقارب او نفعت النواحب وقد غودر
في محلة الاموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا قد هتكت الهوام جلدته وابلت النواهك جدته وعفت العواصف
آثاره ومحا الحدثان معالمه وصارت الاجساد شحبة بعد بضتها والعظام نخرة بعد قوتها والارواح مرتهنة بثقل
اعبائها موقنة بغيب انبائها لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اولستم ابناء القوم
والاباء واخوانهم والاقرباء تحتذون امثلتهم وتركبون قدتهم وتطاون جادتهم فالقلوب قاسية عن حظها
لاهية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها اقول عناها

من نفسه اي اسلكوا في سلوكهم

بصايرهم

كلمة

قدتهم

وهوسه

اهمها والعشي علة تعرض العين بالليل والاشلاء جمع شلو وهو العضو ايضا القطعة من اللحم وكني عن الجسد والحنو الجانب والارفاق المنافع وروى بارماقها والرمق بقية الروح والخلوق المضيء والحقاق بالكسر جبل يحنو به والارهاق الاعجال والتشذب التفريق وسهد الامر تحققا وشدة اي هياه والنعا الاوان والتصا امتلاء البدن وقوة والهرم الكبر وغضارة العيش طيبه والاونة جمع اوان كالازمنة جمع زمان والزلزال الزلزلة والزلزلة والعلز كالرعدة باخذ المريض والجرض ان يبلع ريقه على هم وحزن والحفدة الاعوان وهو من برك وانهد اخلاقه والبلاء والمعالم الاثار والنحب الهالك النافد والنخرة البالية والاعباء الاثقال والقدة بكسر القاف والدال المهملة الطريق وروي بضم القاف والذال المعجمة والاول اصح والمرجع الى المعنى فقوله جعل لكم الى قوله باوقاتها تذكير بنعم الله تعالى بخلق الابدان وما اشتملت عليه من المنافع ففائدة الاسماع ان تعي ما خلقت لاجله وفائدة الابصار ان تدرك بها الانسان عجائب مصنوعات الله تعالى فيحصل له منها عبرة ولفظ العشا يحتمل ان يكون مستعارا لظلمة الجهل العارض لابصار القلوب حتى يكون التقدير لتجلو اعشاء قلوبها وحينئذ فادراك البصر المحصل عبرة يحصل للقلب به جلاء لذلك العشا ويحتمل لان اسناد الجلاء الى الابصار ويحتمل ان يكون مستعار العدم ادراكها لما يحصل منه عبرة اذ كان غايتها ذلك فاذا لم يحصل منها ذلك الادراك كانت كبصر اصابه العشا ووجه الشبه عدم الفائدة ونسب الجلاء اليها وجود الادراك المفيد عبرة عنها وهو استعارة ايضا عن ليست بزايد لان الجلاء يستدعي مجلوا ومجلوا عنه وذكر عليه السلم المجلو ~~ومجلو عنه ذكر عليه السلم المجلو~~ واقامه مقام المجلو عنه فكانه قال تجلو عن قواها عشاها واما ما يتبع البدن واعضاء فقد اشرنا اليه قبل مفصلا **وقوله** قائمة بارفاقها اي ان كل بدن قائم في الوجود بحسب ما هيئ له من ضروب المنافع **وقوله** وقلوب رايدة الى قوله سترها عنكم اظهار لمنة الله تعالى على عباده بخلقه لهم وهدايته لنفوسهم لارتياد ارزاقها التي بها قوام حياتها الدنيا وتمكينها من اصلاح معادها ثم باعتبار كونهم في مجللات نعمه وسوابغها فمنها ستره عليهم قبائح اعمالهم ان تظهر وهواجس خواطرهم بعضهم لبعض بحيث لو اطلع كل على ما في ضمير صاحبه من الغل والحسد وتمني زوال نعمته لافنى بعضهم بعضا وخرب نظام وجودهم وموجبات منته نعمه التي يستوجبان بها ومن روي بفتح الجيم فالمراد المنن اذن النعم وموجباتها ما سقط منها وافيض على العباد وحواجز عافيته ما منع منها عوائل الامراض والمضار التي تدفع بها وانما ذكر سترية الاعمار في معرض المنة لانه من النعم العظيمة على العبد اذ كان اطلاع الانسان على كمية عمره مما يوجب استعمال خاطره بخوفه من الموت عن عمارة الارض ويبطل بسببه نظام هذا العالم **وقوله** وخلف لكم عبرا الى قوله من من الله تعالى على عباده فان ابقاء احوال الماضين وما خلفوه عبرة للاحقين سبب عظيم لجذبهم عن دار الغرور ومهاوي الهلاك الى سعادة الابد ومستمتع خلاقهم محل ما استمتعوا به مما كان نصيبا لهم في مدة بقائه من متاع الدنيا ومستفسح خناقهم محل الفسحة لاعناقهم من ضيق حبال الموت واغلال الجحيم وذلك المستفسح هو مدة حياتهم ايضا ثم اردف ذلك بوصف حال الماضين في غرورهم وذكر اعجال الموت لهم

عن بلوغ آمالهم وتشذيبه لهم باخترامهم عنها ونبه به على وجوب تقصير الامل والاستعداد للموت وكذلك تنبيههم بقوله لم يمهدوا الى قوله الاوان على تقصير الماضين في اصلاح معادهم حيث امكنهم ذلك في سلامة ابدانهم واول زمانهم ليحصل لهم بذلك التذكر بفكرهم في حال السابقين والانزعاج عن الغرور الى الاستعداد بالتقوى والاعمال الصالحة ثم استفهمهم عما ينتظر الشباب بشبابهم غير حوانى الهرم واهل الصحة بصحتهم من غير الاسقام والمعمرون بطول اعمارهم غير الفناء استفهاما على سبيل الانكار لما ينتظرونه غير هذه الامور وتقريعا على ذلك الانتظار وتنفيرا عنه بذكر غاياته التي حصرها فيها واعلم ان ذلك ليس انتظارا حقيقيا لكن لما كان المنتظر للامر والمترقب له تاركا في اكثر احواله لما يعنيه من الاشتغال الى غاية ان يصل اليه ما ينتظره وكانت غايات الشباب ان يجني ظهورهم الهرم وغاية الصحيح ان يسقم وغاية المعمر ان يفنى اشبه تركهم للعمل وعبادة الله الى غاياتهم المذكورة الانتظار لها فاستعير له لفظ الانتظار ثم كنى عن شدة حال المفارق في سكرات الموت باوصاف تعرض له حينئذ كالرعدة والقلق والغم والخوف والغصص بالريق والتلفت الاستغاثة بالاعوان والاقرباء والاعزة ثم نبه بقوله فهل دفع الاقارب ونفعت النواحب اي البواكي على ان ما يقع عند نزول الموت من تلك الاحوال لا ينفع في دفعه قريب ولا حبيب على طريق الاستفهام والانكار **وقوله** قد غودر الجملة في محل النصب على الحال والعامل نفعت اي لم ينفعه البكا حال ما غودر في محلة الاموات بالاوصاف الكريهة تنفيرا عن احواله وجذبا الى الخلاص من اهوالها بالعمل لله والاخلاص له ورهينا اي مقيما او مرتهنا بنفسه وموثوق بها ونصبه على الحال وكذلك وحيدا وموضع قوله قد هتكت وما في الافعال المعطوفة عليه والهوام الديدان المتولدة من جيفه وغيرها **وقوله** والارواح مرتهنة بثقل اعبائها اشارة الى اشتغال النفوس والتفاتها الى الجثة الساقطة بثقل ما حملته من الاوزار واكتسبته من الهيئات الردية وما يحقق غيبته من الانباء هناك هو الاخبار عن الاحوال اللاحقة بها بعد الموت من خير وشر فانها تنقطع غيبتها عن اهل الدنيا وابنائها ما خلفته من اللواحق الدنيوية فانها تنقطع بعد الموت غيبتها وانقطاعها عنها والاول اولى **وقوله** لا تستزاد من صالح عملها ولا تستعتب من سيئ زللها اي لا تطلب منها زيادة من العمل الصالح ولا اقالة من سيئ زللها ورضى عنها كقوله تعالى وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وذلك لعدم آلة العمل وامتناع الرجوع اليه وعدم تمكنها من نزع ما صار في عنقها من اطواق الهيآت البدنية كما قال تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون **وقوله** اولستم ابناء القوم والاباء واخوانهم والاقرباء اي وليس فيكم من هو اب لاحد اولئك او ابن له او اخوه او قريبه وهو تنبيه للسامعين على وجه العبرة فانه لما شرح حال الماضين في الموت وما بعده نبههم على انهم امثالهم في كل تلك الاحوال ليرجعوا الى تقوى الله الذي هو سبب النجاة من تلك الاهوال **وقوله** تحذون امثلتهم اي تقتدون بهم في افعالهم وتسلكون مسالكهم في غرورهم ونحوه كما قال تعالى انا وجدنا آباءنا

حكايته

على انه وانا على آثارهم مقتدون وقوله فالقلوب قاسية عن حظها اي لا استعداد لها تعمل به حظها
الذي ينبغي لها طلبه لاهية عن رشدها غافلة عن هدايتها سالكة في غير مضمارها المضمار هنا هو الشريعة
واوامر الله تعالى وسلوكها لغيره ارتكابها لمناهي الله ورياضتها بالاعمال الصالحة التي هي طرق الجحيم وقوله
كان المعني سواها وكان الرشد في احراز دنياها مبالغة في ذكر اعراض القلوب وغفلتها عن المواعظ وانهماكها
في تحصيل الدنيا الى غاية ان اشبهت من لم يكن معنيا بالخطاب بها او ان الرشد الذي جذبها اليه
انما هو في تحصيل الدنيا وجمعها الذي جذبت عنه وحذرت منه في التذكير بالصراط والتحذير
من اهواله والحث على التقوى وذلك قوله واعلموا ان مجازكم على الصراط ومزالق دحضه واهاويل زلله
وتارات اهواله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه وانصب الخوف بدنه واسهر التهجد غرار
نومه واظمأ الرجاء هواجر يومه وظلف الزهد شهواته واوجف الذكر بلسانه وقدم الخوف لامانه وتنكب
المخالج عن وضح السبيل وسلك اقصد المسالك الى النهج المطلوب ولم تفتله فاتلات الغرور ولم تعم عليه
مشتبهات الامور ظافرا بفرحة البشرى وراحة النعمى في انعم نومه وآمن يومه وقد عبر معبر العاجلة حميدا
وقدم زاد الآجلة سعيدا وبادر من وجل واكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب في يومه
غده ونظر قدما امامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى
بالكتاب حجيجا وخصيما اوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر واحتج بما نهج وحذركم عدوا نفذ في
الصدور خفيا ونفث في الآذان نجيا فاضل واردى ووعد فمنى وزين سيئات الجرائم وهون
موبقات العظائم حتى اذا استدرج قرينته واستغلق رهينته انكر ما زين واستعظم ما هون وحذر
ما آمن اقول المزلق الموضع الذي لا يثبت عليه قدم والدحض الزلق والتهجد العبادة بالليل
والغرار النوم القليل واوجف اسرع والمخالج الامور الشاغلة الجاذبة واكمش انكمش عزمه ومضى قدما
لم يعرج واعلم ان الصراط الموعود به في القرآن الكريم حق يجب الايمان به وان اختلف الناس في حقيقته فظاهر
الشريعة والذي عليه جمهور المسلمين ومن اثبت المعاد الجسماني يقتضي انه جسم في غاية الدقة والحدة ممدود
على جهنم وهو طريق الى الجنة يجوزه من اخلص لله ومن عصاه سلك عن جنبتيه احد ابواب جهنم واما
الحكماء فقالوا بتحقيقه وما نقل في حقه انه كالشعر في الدقة فهو ظلم بالنسبة اليه كنسبتها الى الخط الهندسي
الفاصل بين الظل والشمس الذي ليس من احدهما فهو كذلك الخط الذي لا عرض له اصلا وحقيقته هو الوسط
الحقيقي بين الاخلاق المتضادة كالسخاوة بين التبذير والبخل والشجاعة بين التهور والجبن والاقتصاد
بين الاسراف والتقتير والتواضع بين التكبر والمهانة والعفة بين الشهوة والجمود والعدل بين الظلم
والانظلام فالاوساط بين هذه الاطراف المتضادة هي الاخلاق المحمودة ولكل واحد منها طرفا تفريط
وافراط هما مذمومان ولكل واحد منها غاية البعد بين طرفيه وليس من طرف الزيادة ولا من طرف النقصان

فلو اوتحقيق ذلك ان كمال الانسان في التشبه بالملائكة وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة وليس في
امكان الانسان الانفكاك عنها بالكلية فغايته التباعد عنها الى الوسط تباعدا يشبه الانفكاك عنها
فالسخي كانه لا بخيل ولا مبذر فالصراط المستقيم هو الوسط الحق الذي لا ميل له الى احد الجانبين ولا عرض له وهو ادق
من الشعر ولذلك قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل وروي عن الصادق عم
وقد سئل عن قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال يقول ارشدنا للزوم الطريق المؤدي الى محبتك والمبلغ
دينك والمانع من ان نتبع اهواءنا فنعطب او نأخذ بآرائنا فنهلك وعن الحسن العسكري عليه السلام الصراط صراطان
صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فاما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام
فلم يعدل الى شيء من الباطل والصراط الآخر هو طريق المؤمنين الى الجنة لا يعدلون عن الجنة الى النار ولا الى غير النار
سوى الجنة والناس في ذلك متفاوتون فمن استقام على هذا الصراط وتعود سلوكه مر على صراط الآخرة مستويا
ودخل الجنة آمنا اذا عرفت ذلك فقوله مزالق الصراط كناية عن المواضع التي هي مظان انحراف الانسان عن
الوسط بين الاطراف المذمومة وتلك المواضع هي مظان الشهوات والميول الطبيعية واهاويل زلله هي
ما يستلزمه العبور الى احد طرفي الافراط والتفريط من العذاب العظيم في الآخرة وتارات اهواله تكرارها
تارة بعد اخرى وقوله فاتقوا الله عود الى الامر بتقوى الله تقية من استجمع اوصاف الايمان احدها تقية من
شغل التفكر قلبه اي في امر معاده عن محبة الدنيا وباطلها الثاني وانصب الخوف بدنه اي اتعبه وخوف
الله تعالى وما اعد للعصاة من الاهوال الثالث واسهر التهجد غرار نومه اي لم يترك له نوما الرابع
واظمأ الرجاء هواجر يومه اي اظمأه رجاؤه ما اعد الله لاوليائه الابرار عوضا من طيبات هذه الدار وظمأ
في هواجر يومه كناية عن كثرة صيامه في ايام شدة حرارة وانما جعل الهواجر مفعولا اقامة للظرف مقام المظروف
وهو من وجوه المجاز الخامس وظلف الزهد شهواته استعار لفظ الاظلاف للزهد وهو من اوصاف الماء
ونسبته الى النار نسبة الزهد الى الشهوات فلاحظ الشبه بين الشهوات والنار في تأثيرهما المؤذي
وبين الزهد والماء لما يستلزمانه من كون الاعراض عن الدنيا يستتبع قهر الشهوات ودفع مضارها كما يقعد
الماء النار السادس واوجف الذكر بلسانه اي لتعوده اياه وادمانه عليه السابع وقدم الخوف لامانه اي خوف
ربه فعل خلوصا لدنيا من عذابه الثامن وتنكب المخالج اي عدل عن الامور الشاغلة الى واضح سبيل الله
التاسع وسلك اقصد المسالك اي اولاها بالقصد الى النهج الواضح والطريق المطلوب لله من خلقه
وهو سبيله المستقيم فان للناس في سلوك سبيل الله مذاهب كثيرة ولكن احبها اليه اولاها بالقصد
الى الطريقة الموصل اليه العاشر ولم تفتله فاتلات الغرور اي لم تصرفه خدعة في لذات الدنيا عن ربه اذ لم يغفل
عن طاعته الحادي عشر ولم تعم عليه مشتبهات الامور اي لم تظلم في وجهه شبهة على حق فيفسد عليه وجه
تخليصه الثاني عشر ظافرا بفرحة البشرى اي بشرى الملائكة في قوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار

الاخرة م

الثالث عشر وراحة النعمى اي الراحة من مشاق الدنيا ومتاعبها بنعيم الآخرة ونعيم الله في الجنة
الرابع عشر في انعم نومه اي في اطيب راحته واطلق لفظ النوم على الراحة في الجنة مجازا اطلاقا
لاسم الملزوم على لازمه **الخامس عشر** وآمن يومه اي آمن اوقاته واطلق لفظ اليوم على مطلق الوقت
مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل **السادس عشر** قد عبر معبر العاجلة اي الدنيا حميدا اي محمود الطريقة
السابع عشر وقدم زاد الآجلة سعيدا اي عمله للآخرة فحصل على السعادة الابدية وحميدا وسعيدا
حالان **الثامن عشر** وبادر من وجل اي الى الاعمال الصالحة من وجل خوف الله **التاسع عشر** واسرع
في مهل اي الى الطاعة في ايام مهلته وهي حياته الدنيا **العشرون** ورغب في طلب اي كان طلبه لله عن
رغبة له **الحادي والعشرون** وذهب عن هرب اي كان ذهابه عما يبعد عن الله عن هرب من خوف الله في
كل قريتين من هذه العشر التي المتوازي **الثاني والعشرون** وراقب في يومه غده اي توقع في ايام حيوته هجوم آخرته

الثالث والعشرون م

ونظر قدما امامه اي لم يلتفت في نظره عن قصد الله الى غيره ثم نبه بقوله فكفى بالجنة ثوابا ونوالا على وجوب
السعي لها دون غيرها ثم بكون النار وبالا وعقابا على وجوب الهرب منها دون غيرها وبقوله وكفى بالله منتقما
ونصيرا على وجوب الاقتصار على خشيته والاستعانة به وبقوله وكفى بالكتاب حجيجا اي محتجا وخصيما
على وجوب الانفعال عنه وملاحظة شهادته في الآخرة على من لم يتبعه ونسب الاحتجاج والخصام الى الكتاب
مجازا والمنصوبات يكفي على التميز **وقوله** اوصيكم بتقوى الله عود الى الحث على تقوى الله باعتبار امور ثلثة
احدها اعذاره الى الخلق بما انذرهم به من العقوبات الثاني احتجاجه عليهم بما اوضحه من الدلائل والبينات
الثالث تحذيره لهم ابليس عدو وقد سبق معناه في الخطبة الاولى وذكر له اوصافا هي كونه نفذ في الصدور
خفيا والاشارة به الى النفس الامارة بالسوء ويجوز بلفظ الصدور في القلوب اطلاقا لاسم المكان على المتمكن وكونه
نفث في الآذان نجيا وهو اشارة الى ما يلقيه شياطين الانس بعضهم الى بعض من زخرف القول غرورا
وقد سبق ذلك في الخطب الاولى وكونه اضل اي جذب عن طريق الله واردى اي فاز دائما في غمرات الجحيم ووعد
ومنى اي بلوغ الآمال الكاذبة وزين سيئات الجرائم اي قبائح المعاصي وهون موبقات العظائم اي ما يهلك من عظيم
الذنوب ومهونه لها امثال شبه التوبة ومساعد العقل بقوله ان الله غفور رحيم ومثل الاقتداء بالغير الذي هو اكل
بالعفة مثلا او اكبر قدرا في الدنيا وسائر اصناف الوساوس كما عرفت حقيقتها **وقوله** حتى اذا استدرج قرينته
واستغلق رهينته فقرينته هي النفس الناطقة باعتبار موافقته وهي رهينته باعتبار احاطة الذنوب بها من قبله
كما استغلق الرهن بما عليه من المال ولفظ الرهينة مستعار واستدراجها رجعه حالا بعد حال وتعويدها بطاعته
وقوله انكر ما زين الى آخره اشارة الى غايته من وسوسته وبعوده من النفس الامارة بالسوء الى موافقتها لحكم العقل
في قبح ما كانت امرت به واستعظام خطره ومساعدتها على التحذير منه بالامتناع من بعد بعد ان كانت تحث عليه وتوبيخ
وتوش منه وذلك اما عند التوبة وقهر العقل او عند معاينة المكروهات الجزئية من العقوبات والالام اما في الله

او بعد المفارقة والحصول في عذاب الجحيم بسبب الانهماك فيما كانت زينته من الباطل وذلك ان النفس اذا فارقت
البدن حملت معها القوة المتوهمة فيدرك ما لحقتها من جزئيات العقوبات كعذاب القبر وما يتوقع منه
كما سبقت الاشارة اليه وقد يتصور ذلك من شياطين الانس في موضع الجرائم وامامن الشيطان الظاهر
نظام **منها** في صفة خلق الانسان وفي هذا الفصل فصلان **الفصل الاول** قوله ام هذا الذي
انشاه في ظلمات الارحام وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه
قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر

مناره

مستكبرا وخبط سادرا ماتحا في غرب هواه كادحا سعيا لدنياه في لذات طربه وبدوات اربه لا يحتسب رزية ولا يخشع
تقية فمات في فتنته غريرا وعاش في هفوته يسيرا لم يفد عوضا ولم يقض مفترضا دهمته فجعات المنية في غبر
جماحه وسنن مراحه فظل سادرا وبات ساهرا في غمرات الآلام وطوارق الاوجاع بين اخ شقيق ووالد شفيق

الولدان جمع الوليد ... نوبة ... القعدة ...

وداعية بالويل جزعا ولادمة للصدر قلقا والمرء في سكرة ملهثة وغمرة كارثة وانة موجعة وجذبة مكربة وسوقة
متعبة ثم ادرج في اكفانه مبلسا وجذب منقادا سلسا ثم القي على الاعواد رجيع وصب ونضو سقم تحمله حفدة
الولدان وحشدة الاخوان الى دار غربته ومنقطع زورته حتى اذا انصرف المشيع ورجع المتفجع اقعد في حفرته
نجيا لبهتة السؤال وعثرة الامتحان واعظم ما هنالك بلية نزل الحميم وتصلية الجحيم وفورات السعير لا فترة مريحة ولا دعة
مزيحة ولا قوة حاجزة ولا موتة ناجزة ولا سنة مسلية بين اطوار الموتات وعذاب الساعات انا بالله عائذون
اقول اعلم ان مدار هذا الفصل على وصف حال الانسان من مبدا عمره بالنقصان وبيان نعم الله تعالى تردده
في اطوار الخلقة ونكتة مقابلته لها بالكفران والغفلة في متابعة الشيطان وتذكيره ما يكون غايته من حيوة الدنيا
وهو الموت وما يتبعه من احوال الميت بين اهله واقاربه وحالهم معه وما يكون بعد الموت من العذاب في القبر
والسؤال والحساب وسائر ما ينفر طبعه منه ويوجب له الالتفات الى صلاح معاده وتذكيره مبداه لعله
يتذكر او يخشى والشغف بالغين المعجمة جمع شغاف بالفتح وهو غلاف القلب والدهاق المفرغة والمحاق الناقصة
واليافع الغلام المرتفع والسادر اللاهي الذي لا يهتم بشيء والماتح الجاذب الدلو من البير والبدوات الخطرات
التي تبدو اي تظهر للخاطر ودهمه بالكسر اي غشيه وغبر الشيء بقيته وجماحه سعيه في ركوب هواه والسادر التاي
المتحير واللادم ضارب الصدر والكارثة موجبة لشدة الغم والابلاس اليأس والرجيع من الابل المردد في الاسفار والنضو
الذي تداوله وحفدة الرجل اعوانهم والحشدة بفتح الحاء والشين المجتمعون والمتفجع المتوجع وفي تفصيل هذا الفصل نكت
الاولى ام للاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للانسان وامره باعتبار حال نفسه وبدايته خلقته
على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكان ام معادلة لهمزة الاستفهام قبلها والتقدير الم فيما اظهر الله لكم من
عجايب مصنوعاته عبرة ام هذا الانسان وتقلبه في اطوار خلقته وحالاته الى يوم نشوره كقوله تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وفي بعض النسخ او هذا والمعنى واحد واعلم ان في ملاحظة خلقة الانسان وما جمع فيها من
لطائف الاسرار عبرة تامة حتى كان به العالم المختصر كما اومانا اليه قبل وكما سياتي **الثانية** قيل اول احوال يكون الانسان

تبديه المني وانتفاخ يظهر فيه فتمر ابتداول ما يكون فيه وعا الروح بفعل الملك المصور ثم تحدث ريح من
قبل الطبيعة فيثقب ثقبا امام فوهات العروق بحيث اذا تخلقت تحو سصارت عروقا ثم تبسط النطفة في
اقطارها ويحدث في الغشاء ثقبا موازية لثقب العروق التي في الرحم تنفتح عند الحيض ويحصل الجميع مجاري
في الغشاء المذكور يؤدي الى مجرى واحد نافذ الى عمق النطفة سوداء الا انه الدم في عرقين او عرق والنفس في عرقين
او عرق ~~والنفس في عرقين او عرق~~ فاذا تخلقت هذه المجاري امتص النطفة حينئذ الغذاء من فوهات تلك العروق
ونفذ في الصفاق ثم تستحيل عن قرب الى جوهر المني وتحدث لها خطوط لها مبادي دموية ونقطة اولى هي
القلب ثم الازال الدموية يزداد في النطفة حتى تصير علقة فيكون مثل الرغوة في الاكثر لستة ايام وابتدا الخطوط الحمر
والنقطة بعد ثلثة ايام اخرى وهو الخامس عشر من حين العلوق تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة وبعد ذلك
اثني عشر يوما يصير لحما ويتميز قطعة لحم هي المضغة وتميز الاعضاء الرئيسية وتتمدد رطوبة النخاع ثم بعد خمسة
تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن يتميز الحس في بعضهم ويخفى في بعض
حتى يحس بعد اربعة ايام اخرى تمام الاربعين فيصير جنينا وقد يتم في ثلثين يوما وقد يتم في خمس واربعين
يوما وقيل العدل في زمان ذلك الاخيرة والمثون يوما فيتحرك في سبعين يوما ويولد في مائتين وعشرة ايام وذلك سبعة
اشهر واذا كان الاكثر خمسة واربعين يوما فيتحرك في تسعين يوما ويولد في مائتين وسبعين يوما وذلك تسعة
اشهر فهذه اشارة الى تقلبه في ظلمات الرحم بتدبير الملك المقدر وواسطة الملك المصور ولو كشف الغطاء
لرأينا هذا التخطيط والتصوير يظهر عليه شيئا فشيئا مع انا لا نرى المصور ولا آلته فسبحان المقتدر على ما يشاء
الثالثة انما وصف العلقة بالمحاق لكونها لم ينقص عليها بعد صورة تخص الانسان بعد مضغة الرابعة الولد
ما دام يرضع فهو رضيع وبعده وليد فاذا ارتفع قيل يافع فاذا طرّ شاربه فهو غلام فاذا ادرك فهو رجل واكثر
ثلثة عقود الشباب وهو الى تمام النمو وبعده الكهولة وبعده الشيخوخة الخامسة ذكر الحفظ للقلب واللفظ للسان
واللحظ للبصر بيان لفوايدها ثم ذكر غاية تلك الفوايد ومقصودها وهو ان يفهم الانسان معتبرا اي يستنبط من
شواهد آلاء الله دلايل وحدانيته وسائر نعوت جلاله ويعبر فيها الى استكمال الفضائل النفسانية ويقصر
مزدجرا عنها السادسة قوله حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا الى آخر الاوصاف ربما يعترض
فيقال ان كثيرا من الناس لا يكون بهذه الصفة وحينئذ لا تصدق عليهم هذه الاحكام فجوابه ان اشارته
الى الانسان المطلق الذي هو في قوة البعض لا الانسان العام وظاهر ان الاوصاف المذكورة اذا صدقت
على المطلق فقد صدقت على بعض الناس وذلك البعض هم العصاة المرادون بهذه الاوصاف والتوبيخ
بها لهم وفيه تنبيه للباقين على وجوب دوام شكر الله والبقاء على امتثال اوامره ونواهيه السابعة ماتحا في
غرب هواه لما استعار لفظ الغرب لهواه الذي يملأ صحايف اعماله من المآثم كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء
رشح تلك الاستعارة بذكر المتح الثامنة المنصوبات العشرون نطفة وعلقة وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا

ومزدجرا ومستكبرا وسادرا وماتحا وكادحا وغررا ومبلسا ومنقادا وسلسا ورجيع وصب ونضو
سقم ونجيا كلها احوال والعامل في كل حال ما يليه من الافعال وسعيا اما مفعول به والعامل كادحا
او مصدر استغنى عن ذكر فعله ويسيرا صفة ظرف محذوف اقيمت مقامه اي زمانا يسيرا او ردي
اسيرا فصل هذا يكون حالا وجزعا وقلقا وبقيه مفعول له واستعار الاسير للعاصي على الرواية الثانية
ووجه المشابهة ان صاحب الزلة يقوده هواه الى هواه كما يقاد الاسير الى ما يكرهه التاسعة لم يفد عوضا
اي لم يستفد في الدنيا عوضا مما يفوته منها في الاخرة والعوض الذي ضيعه هو الكمالات التي
خلق ليستفيدها وفرضت عليه ولم يقضها من العلوم والاخلاق العاشرة الواو في لدى للحال والعامل
لا دمنو لانها موجهة منه لطلوب الواجدين عليه والجذبة المكربة اي جذب الملائكة للروح كما قال تعالى
ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم الاية وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله انه قال ان المومن اذا احتضر اتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل
روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال ايتها النفس المطمئنة ارجعي راضية مرضية الى روح الله و
كرامته فاذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليه الحريرة وبعث بها
الى عليين وان الكافر اذا احتضر اتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنزع روحه انتزاعا شديدا ويقال
ايتها النفس الخبيثة ارجعي ساخطة مسخوطا عليك الى هوان الله وعذابه فاذا خرجت روحه وضعت
على تلك الجمرة وكان لها نشيش ويطوى عليها ذلك المسح ويذهب بها الى سجين واعلم ان تلك الجذبة تعود
الى ما يجده الميت حال النزع وهو عبارة عن الم يلزم نفس الروح فيستغرق جميع اجزائه المنتشرة في اعماق البدن
وليس هو كسائر ما يجده الروح المختص ببعض الاعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوه لاختصاص ذلك بموضع
واحد فالم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع اجزائه وهو المجذوب من كل عرق وعصب وجزء من الاجزاء
ومن اصل كل شعرة وبشرة ولا تسال عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه وقد تمثل ذلك بشجرة شوك كانت ~~كانت~~
داخل البدن ثم جذبت منه فهي الجذبة المكربة ولما كان موت كل عضو من البدن عقيب الامراض التي ربما طالت
مدة تجيا فذلك هي السوقة المتعبة الحادية عشر قوله رجيع وصب ونضو سقم استعار له وصفي الجمل الرجيع باعتبار
كونه قد ردد في اطوار المرض وتواتر عليه كما يردد الجمل في السفر مرة بعد اخرى ولفظ النضو باعتبار نحوله من الاسقام
كما يحل الاسفار الجمل الثانية عشر قوله اقعد في حفرته نجيا لبهتة السؤال الى آخره الثالثة عشر القول بعذاب
القبر وسؤال منكر ونكير حق روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال لعمر بن الخطاب كيف بك اذا انت
مت فانطلق بك قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك فغسلوك وكفنوك ثم احتملوك
حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا عليك التراب فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير اصواتهما
كالرعد العاصف وابصارهما كالبرق الخاطف ~~يجران اشعارهما كالبرق الخاطف~~ يجران اشعارهما ويحثيان القبر

باتيا بهما فبلباذلك ويزلزلانك فقولان من ربك ومن نبيك وما دينك كيف بك عند ذلك يا عمر فقال
عمر فيكون معي عقلي الان قال صلى الله عليه وآله نعم قال فاذن اكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه
وآله نعم قال فاذن اكفيكهما وفي وصفهما عنه صلى الله عليه وآله من ذلك انهما ملكان اسودان ازرقان احدهما
منكر والآخر نكير احدهما منكر والاخر نكير واعلم ان الايمان بامثال هذا على ثلث مراتب احدها وهو الاظهر الاسلم ان يصدق
بانها موجودة وان هناك ملكين على الصورة المحكية وحيات وعقارب تلدغ الميت وان كنا لا نشاهدها
اذ لا تصلح هذه العين لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة فهو من عالم الملكوت كما كانت الصحابة
يؤمنون بنزول جبرئيل وكان النبي صلى الله عليه وآله يشاهده وان لم يكونوا يشاهدونه وكان جبرئيل لا يشبه الناس
فكذلك منكر ونكير وفعلهما والحيات والعقارب في القبر من جنس حيات عالمنا فيدرك بحس آخر المقام الثاني
ان يذكر ما قد يراه النايم من صورة تخصه يضربه او يقتله او حية تلدغه وقد يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق
جبينه وينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويشاهده ويتاذى به كما يتاذى اليقظان وانت ترى ظاهره ساكنا
ولا ترى حوله شخصا ولا حية والحية موجودة في حقه متخيلة له ولا فرق بين ان يتخيل عدوا وحية او يشاهده
المقام الثالث ان تعلم ان منكرا ونكيرا وساير اهوال القبر غاية الايلام والمولم في حقه ليس هو الشخص
المشاهد ولا الحية بل ما حصل فيه من العذاب فالنفس العاصية اذا فارقت البدن حملت القوة المتخيلة
معها ولم تتجرد عن البدن منزهة عن الهيآت البدنية والاخلاق الردية المهلكة من الكبر والريا والحسد
والحقد والحرص وغيرها وهي عند الموت عالمة بمفارقة البدن متوهمة نفسها الانسان الذي مات وعلى صورة
كما كان في الرؤيا يتخيل ويتوهم بدنها مقبورا ويحل الالام الواصلة اليها عن كل خلق ردي على سبيل العقوبة
الحسية لها كما وردت الشريعة الصادقة والغرض في الاذهان عنها على صورة تخصه منكرها الصورة بعنفه
في السؤال وبهيئته بين منظره وهول اصواته وتبجحه فيلجئ لسانه فيضربه ويعذبه وعلى مثال التنين يلدغه ويهشه
وان كانت النفس سعيدة تحولت اللذات الحاصلة لها عن كل خلق حسن وعمل صالح تقدمته في صورة ملائمة نوق
ما كانت تعتقده وما كان يوصف لها من صور اشخاص بهية تدخل عليهم وتلقاهم بالبشارة كمبشر وبشير وساير
الملائكة الذين يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم ومن فسحة القبر والروح والريحان وساير ما وعدوا به
فهذا عذاب القبر وثوابه واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النار فان قلت لم جعل اول داخل على الانسان في قبره سواء كان سعيدا او شقيا ملكين
ولم يكن ثلثة او واحدا امثاله قلت قال بعض العلماء انه لما كانت السعادة والشقاوة الحاصلتين للنفس انما تحصل
من جهة قوتين نظرية وعملية بهما جعل ما يكتسب من كل واحدة منهما ملكا فان كانت المكتسب جهلا مركبا
ورذايل اخلاق فنكر ونكير وان كان علما ومكارم فمبشر وبشير والله اعلم باسرار شريعته واعلم انك متى تصورت معنى
ثواب القبر وعذابه في المقامات تصورت معنى ثواب الجنة وعذاب النار الرابع عشر قوله لا فترة من يحمد ولا

حاجزة يجري مجرى آيات الوعيد الناطقة بالتخليد وهي مخصوصة بالكفار الذين لا مسكة لنفوسهم بعالم الملكوت
ونحو قوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون واما انه ليس لهم قوة حاجزة
فلان القوة الحاجزة بينهم وبين العذاب مفقودة في حقهم وهي المسكة بالله ومحبة الالتفات الى عالم الغيب والملاء الاعلى
واما عدم الموت الناجز فلان الانسان غير قابل للفناء مرة اخرى كما علمت ذلك في موضعه واما سلبا السنة عنهم
اشارة الى شدة آلامهم وما يلقونه من اليم العذاب لما ان الالم الشديد يستلزم عدم النوم فلا سلوة
اذن بين حالات سكرات العذاب واطلاق لفظ الموتات مجاز في شدة العذاب باطلاقا للذى الغاية على ما يصلح
غاية وقد لاحظ في هذا الفصل السجع المتوازي وبالله التوفيق الفصل الثاني قوله عباد الله الذين عمروا
فعمروا وعلموا ففهموا وانظروا فلهوا وسلموا فنسوا امهلوا طويلا ومنحوا جميلا وحذروا اليما ووعدوا جسيما
احذروا الذنوب المورطة والعيوب المسخطة اولي الابصار والاسماع والعافية والمتاع هل من مناص
او خلاص او معاذ او ملاذ او فرار او محار ام لا فانى تؤفكون ام اين تصرفون ام بماذا تغترون وانما حظ احدكم من
الارض ذات الطول والعرض قيد قده متعفرا على خده الان عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل في فينة
الارشاد وراحة الاجساد ومهل البقية وانف المشية وانظار التوبة وانفساح الحوبة قبل الضنك والضيق
والروع والزهوق وقبل قدوم الغايب المنتظر واخذة العزيز المقتدر اقول وترهقه في الامر حملته فيه
والمناص الملجاء والمحار المرجع وافك صرف وقيد قده مقدار قامته والمتعفر المترب والعفر التراب والفينة
الحين والانف التي اوله والحوبة الحاجة والمسكنة والضنك الضيق وفي هذا الفصل فوايد الاولى التنبيه
والتقريع على كفران جماعة من نعم الله عليهم ان عمرهم فعمرهم وعلمهم ففهموا وانظرهم وسلمهم من الافات فلهوا
طويلا ومنحهم الجميل وحذرهم اليم العذاب ووعدهم وعدا حسنا ومن كفرانهم لتلك النعم ان اشتغلوا بلذات الدنيا عن
اوامره ولهوا عن الالتفات اليه ونسوا اما ذكرهم به ودعاهم اليه الثانية التحذير من الذنوب المورطة في موارد الهلكة
وانواع العذاب ثم من العيوب المسخطة لله وهي اكتساب رذايل الاخلاق الثالثة تنبيه اولي الابصار والاسماع
والعافية والمتاع في الدنيا على انه لا مناص اي من امر الله ولا خلاص اي من عذابه لمن حصل فيه وكذلك لا معاذ
ولا ملاذ منه لمن استحقه ولا فرار اي من حكمه ولا مرجع اي بعد الموت وانما خص اولي الابصار والاسماع والعافية
لكونهم اهل التكاليف التامة والعقول داخلة في اشارته اما بالابصار والاسماع مجازا او في العافية وانما خص اولي
المتاع لان اهل الاستمتاع بالدنيا هم المجذوبون عنها من جهة اشتغالهم بمتاعها عن سلوك سبيل الله وهل استفهام
عن الامور المذكورة على سبيل الانكار لها ثم استفهمهم عن وقت صرفهم عن غوايتهم وعن مكان ذلك على سبيل
التقريع لهم ثم عنما يغترون به بعد لقاء الله في ترك اوامره على سبيل الانكار للعذر ايضا وعن معادله الحل الا سفهاية
الرابعة التذكير بالقبر وتعفير الخد فيه مما هو منفور عنه طبعا وفيه تنبيه على وجوب الانتهاء عن الاستكثار
من قنيات الدنيا وجناتها لوجوب مفارقتها وانه لا نصيب المجد في تحصيلها منها الا مقدار قامته وهو كناية

مرقبره الخامسة التنبيه على وقت العادة لاحوال التي يمكنهم فيها وكنى بالآن عن زمان الحيوة الدنيا والحناق عما يوجد به
اعناق النفوس الى باريها وهو الموت كناية بالمستعار ووجه المشابهة كون كل واحد منهما مكروها يقاد به الى مكروه
ورشح الاستعارة بذكر الاهمال وكنى به عن مدة الامهال في الحيوة الدنيا وكذلك اراد بارسال الروح اهمالها واسهالها
ويكون ذلك الارسال في وقت الارشاد النفوس وطلبها لما تسعد به من الكمال البقاء الله وروي الارشاد اي ارشاد النفوس
الى سبيل الله وجهة السعادة الابدية وكذلك مهل البقية اي بقية الاعمار السادسة قوله وانف الشبه
اي اوائل الارادات للنفوس وذلك انه ينبغي ان يكون زمان الانسان واوائل ميول عليه الى طاعة الله والانقياد لاوامره
ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات المسعدة في الاخرة واردا على لوح صاف عن كدر الباطل فانه متى عكس ذلك
فجعل اوائل ميوله وارادته لمعاصي الله تسود وجه نفسه بملكات السوء ثم لم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحق
فكان من الاخسرين اعمالا السابعة انظار التوبة امهال الله العصاة لاجلها ولما كان غرض العناية الالهية سوق كل
الى كماله حسن ان يعبر عن بقاء العاصي ابتاء انظار للتوبة الثامنة وانفساح الحوبة اتساع زمان العمل المحتاجة في الاخرة
والانسان مكفى فيها ادنى ملابسة وذلك ان كل حاجة يعرضها الانسان في الدنيا فقد لا يكون في محل
الضرورة والضيق الكل منها وان كانت في محل الضرورة لكنها في مظنة ان يرجى زوالها بخلاف الحاجة
والضرورة في الاخرة الى صالح الاعمال فانها لا يمكن زوالها بعد المفارقة ولا مقنع للعمل لها الا في الدنيا وكان اهلها
منها في شدة ضرورة وضيق حال واقبح صورة واشار بالضنك والضيق الى انحصار الانسان في اغلال الهيآت
البدنية وضيق جهنم وبالروع والزهوق الى الفزع الاكبر من اهوال الموت وما بعده التاسعة الغايب المنتظر
كناية عن الموت وقدومه هجومه ولما استعار له لفظ الغايب راعاه لشبهه بما نزحيطر رشح تلك الاستعارة
بلفظ القدوم العاشرة اخذة العزيز المقتدر جذب الارواح بحكم قدرة الله العزيز الذي لا يجده الا الاله الذي لا امتناع منه لقدرة قادر بالله التوفيق ~~وبالله التوفيق~~ ومن كلام له عليه السلم في ذكر عمرو بن العاص عجبا لابن
النابغة يزعم لاهل الشام ان في دعابة واني امرؤ تلعابة اعافس وامارس لقد قال باطلا ونطق اثما اما وشر القول
الكذب انه ليقول فيكذب ويعد فيخلف ويسئل فيحلف ~~ويسئل فيحلف~~ ويسأل فيبخل ويخون العهد ويقطع الال فاذا
كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها فاذا كان ذلك كان اكبر مكيدته ان يمنح القوم
سبته اما والله ليمنعني من اللعب ذكر الموت وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الاخرة انه لم يبايع معوية حتى شرط له ان يؤتيه
أتية ويرضخ له على ترك الدين رضيخة اقول النابغة لقب لام عمرو والنابغة لشهرتها بالفجور وتظاهرها به
والدعابة المزاح والتلعابة كثير اللعب والتاء للمبالغة والمعافسة المداعبة والممارسة المعالجة بالمصارعة والقرص ونحوه
والال القرابة وسبته سوءته والاتية العطية والرزن واحد وكذلك الرضيخة واعلم انه في هذا الفصل اشار فصولا
الاول ذكر دعوى عمرو في حقه عليه السلم من كونه لعابا مزاحا كثير المعالجة والمصارعة وذكر هذه الدعوى مصدرة
بالتعجب من صدورها في حقه مخرجها مخرج الكذب لمدعيها والرد لقائله وذلك قوله عجبا الى قوله ونطق اثما وباطلا و

الصدر دونا حال وانما كنى عنه بامه لان من عادة العرب النسبة الى الام اذا كانت مشهورة بشرف او خسة ونحوها
واعلم انه عليه السلم قد كان يصدر عنه المزاح بالقدر المعتدل الذي لا يخرج به الى حد رذيلة الافراط فيه فروي انه كان
جالسا يوما على رابية من الارض وكان ابو هريرة جالسا معه واحدث دونه فالتفت اليه
~~ابو هريرة جالسا معه واحدث دونه فالتفت اليه~~ ابو هريرة فتبسم عليه السلم فقال ابو هريرة ~~فتبسم عليه السلم~~
فقال ابو هريرة هذا الذي اخرك عن الناس وقد علمت ان ذلك من توابع حسن الخلق ولين الجانب فاذن هو فضيلة ومن
رذيلة والمدعي لعمرو انما هو عبوره في ذلك الى حد الافراط الذي يصدق عليه انه لعب وهزل روي انه كان يقول
لاهل الشام انما اخرنا عليا لان فيه هزلا لا جد معه ونحو ما كان يقوله ابوه العاص لرسول الله صلى الله عليه وآله
انه ساحر ومن اشبه اباه فما ظلم وكذبه عليه السلم لعمرو انما هو فيما ادعاه من الخروج الى اللعب واما اصل المزاح
فلا ينكره وكيف وقد كان يصدر عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما روي انه قال يوما العجوز ان العجايز لا يدخلن الجنة
فبكت فتبسم وقال ان الله يجعلهن شوابا ثم يدخلهن الجنة فاهل الجنة شباب جرد مرد وان الحسن والحسين سيدا
شباب اهل الجنة وكان يقول اني امزح ولا اقول الا حقا الثاني قوله اما وشر القول الى قوله سبته ويشتمل على ذكر
ما اجتمع في هذا المدعي من الرذايل التي توجب فسقه وسقوط دعواه لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق
بنبأ فتبينوا الآية وذكر من تلك الرذايل خمسا الاولى الكذب وظاهر كونه شر القول وانه مفسدة مطلقة في الدين
والدنيا اما الدين فللمنقول والمعقول اما المنقول فقول الرسول صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق واما المعقول
فلان الوجدان شاهد بان الكذب مما يسود لوح النفس ويمنعها ان ينتقش بصور الحق والصدق ويفسد المنامات
والالهامات واما الدنيا فلانه سبب عظيم لخراب البلاد وقتل النفوس وسفك الدماء وانواع الظلم
ولذلك اتفق اهل العالم من ارباب الملل وغيرهم على تحريمه وادعى المعتزلة قبحه بالضرورة لذاته وهو رذيلة مقابلة للصدق
داخلة تحت رذيلة الفجور الثانية الخلف في الوعد الثالث الغدر في العهود وخيانته وهما رذيلتان مقابلتان
للوفاء داخلتان تحت رذيلة الفجور ايضا والغدر يستلزم رذيلة الخبث وهو طرف الافراط من فضيلة الذكاء وهما
يستلزمان الكذب ايضا الرابعة قطع الرحم وهي رذيلة الافراط من فضيلة صلة الرحم وحقيقتها عدم مشاركة ذوي
اللحمة في الخيرات الدنيوية وهي رذيلة تحت الظلم مستلزمة للبخل الخامس رذيلة الجبن وهي طرف التفريط من فضيلة
الشجاعة ونبه عليها بقوله فاذا كان عند الحرب فاي زاجر وآمر هو الى قوله وفيه تنبيه على دناءة همته ومهانة نفسه
ان كان على الهمة شهم النفس لا يفر من قراع الاقران الى التخلص من الموت باقبح فعل يكون من كشف سوءته ومضادا ذلك
سبة في عقبه على مرور الدهور والدناءة والمهانة رذيلتان للجبن وقوله فاي زاجر وآمر هو استفهام على سبيل
التعجب والمبالغة في امره ونهيه وذكره في معرض الذم هنا وان كان من الممادح لغرض ان يردفه برذيلة ليكون ذلك خارجا
مخرج الاستهزاء فيكون ابلغ وقعا في النفوس واشد عارا عليه لان الامر والنهي في الحرب انما يحسن ممن يشتهر
بالشجاعة والاقدام لا ممن يامر وينهى فاذا اشتد القتال فر فرار الحمار من السبع واجتهد في البقاء ولو باقبح منزلة فان امر

الامر والنهي والحول بثواهنا اليق واولى من وجوه وهاوكان ابا الطيب حكي صورة حاله اذ قال وكذا ما خلد الجبان وقد طلب السلامة وحده والمثل الاول اما صورة هذه الرذيلة منه فروي ان عليا عليه السلام حمل عليه في بعض ايام صفين فلما تصور انه قاتله القى نفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجها له عليه السلام بها فلما راى ذلك غض بصره عنه وانصرف عنه وهو مكشوف العورة وتجابنه لذلك فصار مثلا لمن يدفع عن نفسه مكروها بارتكاب المذلة والعار وفيه يقول ابو فراس ولا خير في دفع الاذى بذلة كما ردها يوما بسوءته عمرو ونقل مثل ذلك بشر بن ارطاة معه عليه السلام فانه حمل على بشر فسقط بشر على قفاه ورفع رجليه فانكشفت عورته فصرف عليه السلام وجهه عنه فلما قام سقطت البيضة عن راسه فصاح اصحابه يا امير المؤمنين انه بشر بن ارطاة فقال ذروه لعنه الله فلقد كان معاوية اولى بذلك منه فضحك معاوية وقال لا عليك يا بشر ارفع طرفك ولا تستحي فلك بعمرو اسوة وقد اراك الله منه واراه منك فصاح فتى من اهل الكوفة ويلكم يا اهل الشام اما تستحيون لقد علمكم عمرو كشف الاستاه ثم انشد افي كل يوم فارس ذو كريهة له عورة وسط العجاجة بادية يكف لها عنه علي سنانه ويضحك منها في الخلاء معاوية بدت امس من عمرو فقنع راسه وعورة بشر مثلها حذو حاذية فقولا لعمرو وابن ارطاة ابصرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه ولا تحمدا الا الحيا وخصاكما هما كانا والله للنفس واقيه ولولاهما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العود ناهيه وكان بشر ممن يضحك من عمرو فصار ضحكة له ايضا الثالث بيان وجه فساد دعوى عمرو في حقه وهو سند المنع وذكر وجهين احدهما يرجع اليه وهو انه عليه السلام دائم الذكر للموت والتفكر في احوال المعاد والوجدان شاهد بان المستكثر من اخطار الموت بكون ابدا قصير الامل وجلا من الله مترصدا لهجوم الموت عليه مشغول بذلك عن الالتفات الى حظ الشهوات من اللعب ونحوه وكيف يتصور اللعب ممن هذه حاله الثاني يرجع الى حال عمرو وهو انه ممن نسي الاخرة وظاهرات نسيانها مستلزم الكذب وسائر وجوه خداع ابناء الدنيا عنها بالمكر والحيلة وما لا ينبغي من مناهي الله ومن كانت هذه حاله كيف لا يقول ثم نبه بقوله ولم يبايع معاوية الى آخره على بعض لوازم نسيان الاخرة وهو اخذه لبيعته وقتاله معه الا الحال الذي يخرج به عن ربقة الدين عوضا وثمنا وتلك العطية هي مصر كما سبقت الاشارة اليه وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الاول لا شيء قبله والآخر لا غاية له لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية ولا تناله التجزئة والتبعيض ولا تحيط به الابصار والقلوب اقول هذا الفصل اشتمل على اثبات ثماني صفات من صفات الجلال الاولى الوحدانية موكدة بنفي الشركاء وذلك قوله واشهد الى قوله لا شريك له وقد اشرنا الى معقد البرهان العقلي على الوحدانية ولما لم تكن هذه المسئلة مما يتوقف اثبات النبوة عليها جاز الاستدلال فيها بالسمع كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقوله والهكم اله واحد لا اله الا هو الثانية اثبات كونه اولا غير مسبوق بالغير الثالثة اثبات كونه آخرا غير منته وجوده الى غاية يقف عندها وقد سبق البحث

عنهما مستقصى ونفي قبلية شيء والغاية عنه تاكيد ان الرابعة من السلوب انه لا تلحقه الاوهام فتقع منه على صفة وقد علمت فيما سبق ان الاوهام لا يصدق حكمها الا فيما كان محسوسا او متعلقا بمحسوس فاما الامور المجردة عن علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها اصلا فضلا عن ان يصدق في اثبات صفة لها وانما الحاكم باثبات صفة له هو العقل الصرف وقد علمت ان ما نسبه منها اليه حقيقة خارجية بل امور اعتبارية يحدثها عقولنا عند مقايسته الى الغير ولا يفهم من هذا انه اثبت له صفة بل معناه ان الاوهام لا يصدق حكمها في وصفه تعالى الخامسة كونه تعالى لا يعقل لكيفية يكون عليها وبيان ذلك ان معنى الكيفية يقول انها عبارة عن هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها قسمة ولا نسبة ولما ثبت انه تعالى ليس بصفة تزيد على ذاته وهي محل لها استحال ان تعقد القلوب منه على كيفية السادسة كونه تعالى لا تناله التجزئة والتبعيض وهو اشارة الى نفي الكمية عنه اذ كانت التجزئة والتبعيض من لواحقها وقد علمت ان الكم من لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم وليس بكم فليس يقابل التبعيض والتجزئة ولان كل قابل لهما منفعل عن غيره والمنفعل عن الغير ممكن على ما مر السابعة كونه لا تحيط به الابصار وهو كقوله تعالى لا تدركه الابصار وهذه المسئلة مما اختلف فيها علماء الاسلام وقد سبق فيها الكلام وخلاصته ان المدرك بحاسة البصر بالذات انما هو الالوان والاضواء وبالعرض المتلون والمضيء ولما كان اللون والضوء من خواص الجسم وكان تعالى منزها عن الجسمية حقها وجب كونه منزها عن الادراك بحاسة البصر الثامنة كونه تعالى لا تحيط به القلوب والمراد ان العقول البشرية قاصرة عن الاحاطة بكنه ذاته المقدسة وقد سبق تقرير ذلك وبالله التوفيق منها فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع والآي السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ وانتفعوا بالذكر والمواعظ فكان قد علقتكم مخالب المنية وانقطعت منكم علائق الامنية ودهمتكم مفظعات الامور والسياقة الى الورد المورود وكل نفس معها سائق وشهيد سائق يسوقها الى محشرها وشاهد يشهد عليها بعملها اقول الآي جمع آية والساطع المرتفع والنذر جمع نذير ومفظعات الامور شدائدها والورد المورد وفي هذا الفصل فوائد الاولى الامر بالاتعاظ بالعبر النوافع واسم العبرة حقيقة في الاعتبار وقد يطلق مجازا فيما يعتبر به ويحتمل ان يراد هيهنا اطلاقا لاسم الحال على المحل والاتعاظ سبب وحقيقة اما سببه فالنظر في آثار الماضين وتدبر قصصهم وتصريف قضاء الله وقدره لاحوالهم وهو الاعتبار واما حقيقته فالخوف الحاصل في نفس المعتبر من اعتباره وتاثره عن ان يلحقه ما لحقهم فهو مثلهم واولى بان يلحقه وامارته فالانزجار عن مناهي الله واجابة داعيه والانقياد لسلوك سبيله الثانية الامر بالاعتبار بالآي السواطع وهو ارداف للامر بالاتعاظ بالامر بسببه واراد بالآي آيات آثار الله وعجائب مصنوعاته او آيات القرآن المعجزة والمنذرة واستعار لها لفظ السطوع ووجه المشابهة ظهورها اشراق نور الصبح وسطوعه وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول واعتباره بها انتقال ذهنه فيها في مقام النظر والاستدلال كما سلف بيانه الثالثة الامر بالازدجار بالنذر البوالغ وهو امر بغاية الاتعاظ الذي ذكره

زواجر الله ووعيده انه البالغة حد الكمال في التخويف والزجر عند اعتبارها الرابعة الامر بالانتفاع بالذكر والمواعظ
وهو امر بتحصيل ثمرة الذكر والموعظة ~~وهو تحصيل ثمرة الذكر والموعظة~~ منهما وختم هذه الاوامر بذكر الانتفاع ترغيبا
وجذبا للنفوس الى الذكر وقبول المواعظ الخامسة التخويف والتذكير بالموت وما يتبعه ليبادروا الى امتثال اوامره
السابقة فقوله فكان قد علقتكم مخالب المنية استعار لفظ المخالب للمنية استعارة بالكناية ورشح بذكر العلوق
ملاحظا في ذلك المنية بالسبع الذي يهجم ويتوقع افتراسه وكان مخففة من كان واسمها ضمير الشان ويحتمل ان يكون
ان الناصبة للفعل دخلت عليها كاف التشبيه وقوله وانقطعت عنكم علائق الامنية اشارة الى ما ينقطع عن الميت تشبيه
بانقطاع عمله من مال وجاه وساير ما كان يتعلق به آماله من علائق الدنيا ومتاعها وقوله ودهمتكم مفظعات الامور
اشارة الى ما يهجم على الميت من سكرات الموت وما يتبعها من عذاب القبر واهوال الآخرة وقوله والسياقة الى الورد المورود
فالسياقة هي السوقة المتعبة التي سلف ذكرها والورد المورود هو المحشر وقوله وكل نفس معها سائق وشهيد اقتباس من
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فالسائق الذي يسوقها الى المحشر وهو حكم القضاء الالهي واسباب الموت
القريبة الحاكمة على النفس برجوعها الى معادها فان كانت من اهل الشقاوة فلها من سوقة متعبة وجذبة مزعجة
وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم ياتكم رسل منكم الآية وان كانت
من اهل السعادة ساقها سائق رؤف سوقا لطيفا ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واما الشاهد عليها
بعملها فقد سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق منها في صفة الجنة درجات متفاضلات ومنازل
متفاوتات لا ينقطع نعيمها ولا يظعن مقيمها ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها اقول اعلم ان الذ ثمار
الجنة هي المعارف الالهية والنظر الى وجه الله ذي الجلال والاكرام والسعداء في الوصول الى نيل هذه الثمرة
على مراتب متفاوتة ودرجات متفاضلة فالاولى مرتبة من اوفى الكمال في حدس القوة النظرية حتى استغنى
عن معلم بشري بما ساوا والحق مع ذلك ثبات قوته المفكرة واستقامته وهم منقاد الحكم العقل فلا يلتفت الى العالم
المحسوس بانفسهم حتى يشاهد العالم المعقول بما فيه من الاحوال ويستثبتها في النقطة فيصير العالم وما يجري فيه متمثلا في
نفسه فيكون للقوة النفسانية ان تؤثر في العالم الطبيعي حتى تنتهي الى درجة النفوس السماوية وتلك هي النفوس الكاملة
اولات المعارج وهم السابقون السابقون اولئك المقربون وهم افضل النوع البشري واحقها باعلى درجات السعادة
في الجنة المرتبة الثانية مرتبة من له الامران الاولان دون الثالث اعني التاثير في عالم الطبيعة وهذه مرتبة اصحاب اليمين
وتحتها مراتب فاحدها مرتبة من له استعداد طبيعي لاستكمال قوة النظرية دون العملية الثانية مرتبة من اكتسب ذلك
الاستكمال في قوته النظرية اكتسابا بتكلف دون تهيؤ طبيعي ولا اجتهاد في امر القوة العملية الثالثة مرتبة من له
تهيؤ طبيعي لا اكتساب بتكلف في قوته النظرية ولذلك التهيؤ في القوة العملية الرابعة مرتبة من له تكلف في اصلاح
الاخلاق واكتساب الملكات الفاضلة دون تهيؤ طبيعي لذلك اذا عرفت ذلك فاعلم ان للمقربين بالغين في الملكات

الشريفة لذات عظيمة في الجنة وقد فازوا بنعيم الابد والسرور الدايم في حضرة جلال رب العالمين في مقعد صدق
عند مليك مقتدر غير محجوبين عن لذاتهم لهم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون كما قال عليه السلام لا يظعن
مقيمها مجردون عن عوارض الابدان وشوائب المواد مردعون عن مزاحمة القوى المتعالية المتجاذبة المودية الى الهرم والموت
متكلين بالانوار الساطعة ينظرون الى ربهم بوجوههم المقابلة واما اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين ولهم
لذات دون الوصول الى رتبة السابقين وقد يخالط لذات هؤلاء شوب من لذات المقربين كما اشير اليه في التنزيل الكريم
في وصف شراب الابرار ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ولكل من المراتب المذكورة كمال يخصه ودرجة من السعادة
في الجنة تخصه كما قال هم درجات عند الله وقال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال لهم غرف
من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار واذا عرفت ذلك فلنرجع الى المتن فنقول اما قوله لا ينقطع نعيمها فلقوله
تعالى واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
وقوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد ولان الكمال الذي حصل للانسان فاستحق به سعادة في الجنة ملكات ثابتة في جوهره
لا تزول ولا تتغير ومهما دام استحقاق القابل لجود الله ونعمه وجب دوام ذلك الجود وفيض تلك النعمة اذ هو الجواد المطلق
الذي لا بخل من جهته ولا منع واما قوله ولا يظعن مقيمها فلقوله تعالى لهم جنات النعيم خالدين فيها ابدا وقوله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولان النعيم
الابدي مطلوب بالذات غير ممنوع منه فلا يكون مهروبا عنه بالذات واما قوله ولا يهرم خالدها ولا ييأس
ساكنها اي لا يصيبه بؤس فلان الهرم مستلزم للتعب والنصب وكذلك البؤس من الضعف وهذه اللوازم
منفية عن اهل الجنة لقوله تعالى الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار
المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واذا انتفت هذه اللوازم انتفى عنهم ملزومها وهو الهرم
وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وفيها فصول الاول قوله قد علم السرائر وخبر الضمائر له الاحاطة بكل شيء والغلبة
لكل شيء والقوة على كل شيء وهذا الفصل يشتمل على بعض اوصاف الحق سبحانه الاول كونه عالما بالسرائر وهو
كقوله يعلم سركم ونجواكم والثاني كونه خبيرا بالضماير وهو قريب من المرادف للعالم بالسرائر فان الخبير هو الذي لا تعزب
عنه الاخبار الباطنة ولا تضطرب نفس ولا تسكن الا ويكون عنده خبرها وقد يعنيه هو العالم مضافا الى الخبرة
والخفايا الباطنة وان كان مطلق العلم اعم والثالث كونه محيطا بكل شيء وهو اشارة الى علمه بكليات الاشياء وجزئياتها
وعليه اتفاق جمهور المتكلمين والحكماء اما المتكلمون فظاهر واما المحققون من الحكماء فلخصوا الحال في كيفية علمه
تعالى انه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والادراك ولا يتعدد الا بحسب الاعتبارات العقلية
التي يحدثها العقل البشري واما المعلولات القريبة منه فيكون باعيان ذواتها ويتحد هناك المدرك والادراك
ولا يتعددان الا بالاعتبار العقلي وتغايرهما ~~المدرك والادراك ولا يتعددان الا بالاعتبار العقلي وتغايرهما~~
المدرك واما المعلولات البعيدة كالماديات والمعدومات التي من شانها امكان ان توجد في وقت ويتعلق بوجود

فيكون بارتسام صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها اولا بالذات وكذلك الى ان ينتهي الى ادراك
المحسوسات بارتسامها في آلات مدركها فاذن لو اراد ذلك لان الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك
لما يحضر معه فاذن لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر ويكون ذوات
معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور وهي التي يعبر عنها تارة بالكتاب المبين وتارة باللوح المحفوظ وتسمى عندهم
عقولا فعالة الرابع كونه تعالى غالبا لكل شيء الخامس كونه قويا على كل شيء وهما اشارتان الى وصف قدرته تعالى بالعلم
على كل مقدور فان القوة عليها والغلبة لها من تمام القدرة ويفهم من الغالب زيادة على القوي وبعيد الى حتى القاهر
وقد سبق بيانه واما بيان صدق هاتين القضيتين فهو ان الله تعالى مبدأ كل موجود وان كل ممكن مفتقر في سلسلة
الحاجة اليه وقد فرغ من ذلك في كتب الكلامية **الفصل الثاني** قوله فليعمل العامل منكم في ايام مهله قبل ارهاق اجله
وفي فراغه قبل اوان شغله وفي متنفسه قبل ان يؤخذ بكظمه وليمهد لنفسه وقدمه وليتزود من دار ظعنه لدار اقامته
فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه واستودعكم من حقوقه فان الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى
ولم يدعكم في جهالة ولا عمى قد سمى آثاركم وعلم اعمالكم وكتب آجالكم وانزل عليكم الكتاب تبيانا وعمر فيكم نبيه ازمانا حتى اكمل له ولكم
فيما انزل من كتابه دينه الذي رضي لنفسه وانهى اليكم على لسانه محابه من الاعمال ومكارهه ونواهيه واوامره فالقى اليكم المعذرة
واتخذ عليكم الحجة وقدم اليكم بالوعيد وانذركم بين يدي عذاب شديد فاستدركوا بقية ايامكم واصبروا لها انفسكم
فانها قليل في كثير الايام التي تكون منكم فيها الغفلة والتشاغل عن الموعظة ولا ترخصوا لانفسكم فتذهب بكم الرخص
مذاهب الظلمة ولا تداهنوا فيهجم بكم الادهان على المعصية عباد الله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه وان اغشهم
لنفسه اعصاهم لربه والمغبون من غبن نفسه والمغبوط من سلم له دينه والسعيد من وعظ بغيره والشقي من انخدع لهواه
وغروره واعلموا ان يسير الرياء شرك ومجالسة اهل الهوى منساة للايمان ومحضرة للشيطان جانبوا الكذب
فانه مجانب للايمان الصادق على شفا منجاة وكرامة والكاذب على شرف مهواة ومهانة لا تحاسدوا فان الحسد يأكل
الايمان كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فانها الحالقة واعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر فاكذبوا الامل فانه غرور
وصاحبه مغرور **اقول** الفصل الى آخره شروع في الموعظة والمشورة ولما قدم الاشعار بان الله تعالى عالم بما في
الصدور غالب على كل مقدور امرهم بعده بالعمل واراد الاعمال الصالحة المطلوبة بالتكاليف الشرعية وان يجعلوها
مهاد الثبات اقدامهم على الصراط المستقيم المامور بسلوكه ثم لطف في الجذب الى العمل بتذكيرهم بانهم في ايام مهلة
وفراغ ومتنفس خناق يمكنهم فيه العمل وان الذي يعملونه من الصالحات هو زادهم في سفرهم الى الله والى دار اقامتهم
وان وراء هذه المهلة اوان شاغل بعيد شغل اهوال الآخرة واخذ بالكظم وكنى به عدم التمكن من العمل اذ لم يكن الآخرة دار عمل
ثم اكد ذلك بالناس وحذرهم ربهم ان يخالفوا فيما امرهم بحفظه وهو كتابه وعنى بحفظه تدبر ما فيه والمحافظة على العمل باوامره
ونواهيه وعنى حقوقه التي استودعهم اياها ثم علل ذلك بتنبيههم على ان الله تعالى لم يخلقهم عبثا خاليا عن وجه الحكمة بل خلقهم
ليستكملوا الفضائل النفسانية بواسطة الآلات البدنية ولم يجعلهم في وجودهم مهملين بل ضبط آثارهم واعمالهم وكتب

آجالهم في كتابه المبين واللوح المحفوظ الى يوم الدين ونظم وجودهم برسول كريم عمره فيهم وكتاب اوضح لهم فيه السبيل التي
يسلكها لما خلقهم لكمالهم ولبيته دينهم الذي ارتضى لهم وما اهلهم له من الكمالات المسعدة في الآخرة كما قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وليعلمهم على لسانه ما احبه لهم من الخيرات الباقية وكره لهم من الشرور
المشقية في الآخرة كما اشتملت عليه اوامره ونواهيه وابان لهم فيه الاعذار واوضح فيه الحجج وتخوفه بالوعيد والانذار بين يدي
عذاب شديد واستعار لفظ اليدين للعذاب وكنى ببين يديه عن الوقت المتقدم على عذاب الآخرة المشار اليه ووجه
المشابهة ان الانذار المخوف يكون من ذي سطوة وبأس شديد فكانه نزل العذاب الشديد منزلة المعذب فاستعار اليدين
ورشح للانذار والتخويف منه متقدما له بين يديه وذلك من الجوانب اللطيفة ثم عاد الى امرهم باستدراك بقية
اوقاتهم في الدنيا بان يصبروا لها انفسهم اي يلزموا انفسهم فيها الصبر على الاعمال الصالحة وفي لفظ الاستدراك
اشعار بعدم تفريط منهم في جنب الله ولذلك قال فانها قليل في كثير الايام التي يكون منكم فيها الغفلة والتشاغل
عن الموعظة وانما قال لها لان كل وقت يستحق ان يوقع فيه ما ينبغي من الافعال يصدق عليها ان ذلك الفعل لها
وقوله ولا ترخصوا لانفسكم الى قوله المعصية **اقول** ليس المقصود بالرخصة هنا الرخص الشرعية بل ما
يتساهل الانسان فيه مع نفسه من توسيع المآكل والمشارب والمناكح والخروج فيها الى ما لا ينبغي في نفس الامر وتأول
تأويل وحيلة يخيل انها جائزة في الشريعة ويروج بها اتباعه لهواه ونحو الاجتماع في السماع لغير اهله وحضور مجالس
الفساق ومعاشرة الظالمين والضابط الكلي في هذا الباب هو توسع الانسان في الامور المباحة واستيفاؤه حظوظه
ما امكن فعل ذلك شارف المكروه ثم يقع المحظورات لا عقاب في فعله فتارة شهوته الى فعله فاستوفى حقه فشارف المحظور
وذلك لان العقل اذا اطاع النفس الامارة بالسوء فيما تامر به مرة ومرة لم يزل ينقاد لها يقوده اليه لوقوع الانس به
وظاهر ان ارتكاب بعض ما مر ذاتها يجر الى ارتكاب بعض شوبه ذلك الى تجاوز الحدود الشرعية وعبورها الى
الوقوع في حبائل الشيطان والتهوي في المحظورات التي هي مهاوي الهلاك ولذلك ما ورد في الخبر من رتع حول الحمى
اوشك ان يقع فيه وقد شبه العارفون القلب بحصن والشيطان بعدو يريد ان يدخله ولن يمكن دفع ذلك العدو
والتحفظ منه الا بضبط ابواب ذلك الحصن التي منها الدخول اليه وحراستها وهي ابواب كثيرة كسائر المحرمات ومباهج
النفس فالتوسع في المباحات والدخول في الامور المشتبهة من اعظم تلك الابواب ودخول الشيطان منه اسهل
وهو عليه اقدر ولذلك قال عليه السلام فيذهب بكم الرخص مذاهب الظلمة ويهجم بكم الادهان على المعصية
ومذاهب الظلمة مسالكها وطرقها العادلة عن العدول وروي ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فرأى
عليه معاليق من كل شيء فقال له يا ابليس ما هذه المعاليق قال هذه هي الشهوات التي اصيب بهن قلوب بني آدم فقال
هل لي منها شيء قال نعم اذا شبعت ثقلناك عن الصلوة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املأ
بطني من طعام ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح مسلما ابدا ولا تداهنوا اي لا تساهلوا الظلمة وتساهلوا معهم في السكوت
عما ترونه من منكراتهم فيهجم بكم الادهان على المعصية اي اذا آنستم بمشاهدة المعاصي والفتم تكرارها كنتم بذلك

عصاه ويجم سائكم ذلك الى فعل المنكر ومشاركتهم فيه وقوله عباد الله الى آخره اخبارات فى معنى الاوامر والنواهي
واوامر ونواهي صريحة مشتملة على جواذب الى طاعة الله ولزوم دينه فالاول قوله ان انصح الناس لنفسه اطوعهم لربه
وبيانه انه لما كان غرض النصح انما هو جلب الخير والنفع الى المنصوح وكان اجل خير ونفع هو السعادة الباقية الابدية
الابدية ومشاهدة الحضرة الربوبية وكانت تلك السعادة انما تنال بطاعة الله تعالى فكل من كانت طاعته اتم
كانت سعادته اتم وكان انصح الناس لنفسه بمبالغته فى طاعته الثاني قوله وان اغشهم لنفسه اعصاهم لربه وهو ظاهر
مما دريناه فانه لما كانت غاية الغش انما هو جلب الشر والمضرة الى المغشوش وكان اعظم شر وضرر يلحق العبد هو الشقاوة
الابدية فى قرار الجحيم وكانت تلك الشقاوة انما يحصل الانسان عليها بمعصية الله تعالى فكل من كانت معصيته
اتم كانت شقاوته اتم وكان هو اغش الناس لنفسه بمبالغته فى معصيته وحاصل القضية الاولى الامر بالطاعة
اتم ما يمكن والثانية النهي عن المعصية اتم ما يمكن ورغب فى الطاعة بذكر نصيحة النفس لان النصيحة محبوبة
ونفر عن المعصية بذكر غشها الثالث قوله والمغبون من غبن نفسه والمراد من غبنها بالمعصية المستلزمة
لدخول النار فكان الانسان بمتابعة شيطانه خادع لنفسه وقد بخسها ما يستحقه من ثواب الله ولما كانت السعادة
الاخروية اعظم ما يتنافس فيه لاجرم كان اعظم مغبون من لم يحرزها ولذلك حصر المغبون فيه على طريق المبالغة وهو
جار فى معنى النهي عن المعصية ونفر عنها بذكر غبن النفس الرابع قوله والمغبوط من سلم له دينه والغبطة ان يتمنى
الانسان مثل ما لغيره من حال او مال مع قطع النظر عن تمنى زوال تلك الحال عمن هي له وبهذا القيد تميز عن
الحسد والقضية ظاهرة مما قبلها فانه لما كان من سلم دينه فائزا بالسعادة الكبرى الباقية مع كونها اجل ما يغبط
به ويتنافس فيه لاجرم كان هو اعظم مغبوط ولذلك حصر المغبوط فيه مبالغة ورغب فى المحافظة على الدين بكون
من سلم له مغبوطا الخامس قوله والسعيد من وعظ بغيره وقد صارت هذه القضية فى معنى المثل اى السعيد
فى الاخرة من اعتبر حال غيره فشاهد بعين بصيرته مصير الظالمين فخاف عاقبتهم فعدل عن طريقهم وذكر مآل
المتقين فالى اجتهادهم وسلك مسالكهم ورغب فى الاتعاظ بالغير بذكر استلزامه السعادة السادس قوله
والشقي فى الاخرة من انخدع لهواه وغروره ونفر عن اتباع الهوى بذكر الخداع والغرور السابع التنبيه على ان يسير
الرياء شرك وقد سبق منا بيان ان الرياء فى العبادة وان قل التفات مع الله الى غيره وادخال له فى القصد
بالعمل والطاعة وذلك فى الحقيقة شرك خفي اتفقت عليه ارباب القلوب الثامن قوله ومجالسة اهل الهوى منساة
للايمان ومحضرة للشيطان اراد باهل الهوى الفساق المنقادين لدواعي الشيطان الى الشهوات الخارجة
عن حدود الله ونفر عن مجالستهم بانها علة امرين احدهما نسيان الايمان وهو ظاهر فان اهل الهوى ابدا
مشغولون بذكر ما هم فيه من لعب ولهو خائضون فى اصناف الباطل وانواعه فمجالستهم عن رغبة مظنة
الغفلة عن ذكر الله والانجذاب الى ما هم عليه عن الاعمال الصالحة وتلك اركان الايمان وقواعده وقد علمت
ان كثرة الغفلات عن الشيء تؤول الى نسيانه وامحائه عن لوح الخيال والذكر وربما يتجوز فى مطلق الغفلة عن

العبادة والذكر بالنسيان تسمية للشيء باسم ما يؤول اليه الثاني كونها محلا لحضور الشيطان وقد علمت
معنى الشيطان وان كل محل عصى الله فيه فهو محضر الشيطان وموطن له التاسع الامر بمجانبة الكذب
ونفر عنه بقوله فانه مجانب للايمان وهو حديث نبوي ومعنى المجانبة كون كل منهما فى جانب فان كانت الاعمال
الصالحة داخلة فى مسمى الايمان فالصدق من جملتها ومضاد الصدق مضاد للايمان واحد الضدين مجانب للآخر
فالكذب مجانب للايمان وان لم يكن كذلك قلنا ان الكذب من اعظم الرذائل الموبقة والايمان اعظم الفضائل المسعدة
وبين الفضائل والرذائل منافاة ذاتية فالكذب مناف للايمان ومجانب له ويحتمل ان يكون معنى مجانبته له كونه غير لائق
ان يجامعه فى محل واحد وغير مناسب له وبالجملة كونه ليس منه فى شيء وقد بينا ما اشتمل عليه الكذب من المضار
المهلكة ثم اردف ذلك بالترغيب فى الصدق بكون الصادق على شفا منجاة اى مشارف النجاة وكرامة المحل
وهو الجنة اذ الصدق باب من ابوابها ثم بالتنفير عن الكذب بكون الكاذب على شرف مهواة ومهانة اى مهوى
وهوان ومحلها وهو حضيض الجحيم الذي هو محل الهوان اذ الكذب باب من ابوابها ومن انتهى الى الباب فقد شارف
الدخول عن الرسول صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فانه يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا وعليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وقال صلى الله عليه وآله الكذب راس النفاق ~~وهو راس النفاق~~ وهو ظاهر
فان مدار النفاق على المصانعة بالقول الغير المطابق لما فى النفس وهو حقيقة الكذب العاشر النهي عن الحسد
وقد اتفق ارباب القلوب على انه من اعظم ابواب الشيطان التي يدخل بها على القلب وهو احد العوارض الردية
للنفس يتولد من اجتماع البخل والشره فى النفس واعني بالشره من لم تطب نفسه بمضار تقع بالناس ويكره
ما وافقهم وان كانوا ممن لا يرونه ولم يسيئوا اليه وقد علمت ان من هذه صفته مستحق للمقت من الله عز وجل وذلك
انه مضاد للارادة اذ هو تعالى المتفضل على الكل المريد الخير المطلق للكل وقد رسم الحسد بانه اغتمام الانسان بخير
ينال غيره من حيث لا مضرة عليه منه بتة وقد يوجد الحسد ممن يتمنى زوال ما للمحسود ويسمى الحسد البالغ فاما تعليله
وجوب تركه بانه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فاعلم ان العلماء قد اتفقوا على ان الحسد مضر بالنفس والجسد
اما بالنفس فلانه يذهلها ويفرق فكرها بالاهتمام بامر المحسود حتى لا يفرغ للتصرف فيما يعود نفعه عليها بل وينسى ما
حصلت عليه من الملكات الخيرية التي هي الحسنات المنقوشة فى جوهرها ويضمحل على طول تعود الحسد باشتغال
الفكر فيه وطول الحزن والهم لان نعم الله على عباده اكثر من ان تحصى فاذا كان الحسد بها دام فانقطع وقت الحاسد
عن تحصيل الحسنات واما بالجسد فلانه يعرض له عند حدوث هذه الاعراض للنفس طول السهر وسوء الاغتذاء
ويعقب ذلك رداءة اللون وسوء السحنة وفساد المزاج اذا عرفت ذلك فنقول انه قد استعار هيهنا لفظ الاكل
لكون الحسد ماحيا لما فى النفس من الخواطر الخيرية التي هي الحسنات ومانعا من صيرورتها ملكات وذلك
بسبب استغراقها فى حال المحسود واشتغالها به وشبه ذلك باكل النار الحطب ووجه الشبه ما يشترك فيه

الحدود الناد من اقنا الحسنات والحطب واستهلاكه كما الحادي عشر النهي عن التباغض وتعليل ذلك بانها
الحالقة واعلم انه لما كان امر العالم لا ينتظم الا بالتعاون والتظافر وكان التعاون انما يتم بالالفة وكان اقوى اسباب
الالفة هو المودة والمواخاة بين الخلق كانت المودة من المطالب المهمة للشارع ولذلك اخى رسول الله صلى الله
عليه وآله بين اصحابه لتخلص محبتهم وتصفو الفتهم ويصدق بينهم التعاون والتظافر والاتحاد في الدين وقد قال صلى الله
عليه وآله المؤمن مرآة اخيه ولا خير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له فلذلك كان التباغض بينهم منهيا
عنه مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع ~~بينهم منهيا عنه مكروها في الشريعة لما يستلزمه من التقاطع~~
بينهم وعدم تعاونهم وتظافرهم وبسبب ذلك يختلف كلامهم لبغي حاسديهم ويحكم فيه اهواء اعاديهم فلا تتم لهم مصلحة ولا تنتظم
لهم حال لم يكن بذلك بواره واضمحلال النوع وهلاكه ولذلك قال عليه السلم فانها الحالقة واصل هذا اللفظ مستعار
لما يحلق الشعر كالموسى ونحوها الدواهي واسباب الشر ثم سار مثلا وقد وقع هيهنا موقعه من الاستعارة ووجه
المشابهة ان الموسى مثلا كما انها سبب لحلق الشعر واستيصاله كذلك التباغض سبب لاستيصال الخلق بعضهم بعضا
الثاني عشر التنبيه على مضار الامل للدنيا سعيا عنه والامر بتكذيبه المستلزم النهي عنه فاما مضاره فاحدها
انه يوجب سهو العقل اي عما هو الاولى بالانسان في معاشه ومعاده ظاهر فان الانسان ابدا مشغول الفكر بما وجوه
يامله ويرجوه وفي كيفية تحصيله وكيفية العمل بعد حصوله وشغله بذلك يستلزم اعراضه عن غيره اذ ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه الثانية انه ينسي الذكر اي ذكر الله تعالى وما بعد الموت من احوال الاخرة وذلك بما ذكرنا من تعمقهم
في ما يامله من احوال الدنيا كما مر الثالثة انه غرور وصاحبه مغرور وروي بفتح الغين من غرور وضمها ووجه الفتح
ان الامل الذي هو نفس الغفلة عن الذكر وغيره يستلزم لها فلذلك صدقت نسبة الغرور اليه ووجه الضم انه مجاز
من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه واما كذبه فبذكر الموت ودوام اخطاره بالبال وملاحظة المرجع والمعاد
وانما سمي رد الامل تكذيبا له لان النفس حال توقعها الماءمول تكون حاكمة حكما وهميا ببلوغه ونيله فاذا رجعت
الى صرف العقل وملاحظة الموت وجواز الانقطاع به عن بلوغ ما رجته كان تجويزها ذلك مكذبا لما جزم به الوهم
من الاحكام ورادا له وبالله التوفيق والعصمة ومن خطبة له عليه السلم وفيها فصول الفصل الاول في صفات المتقين
وهو قوله عباد الله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر
مصباح الهدى في قلبه واعد القرى ليومه النازل به فقرب على نفسه البعيد وهون الشديد نظر فابصر وذكر
فاستكثر وارتوى من عذب فرات سهلت له موارده فشرب نهلا وسلك سبيلا جددا قد خلع سرابيل الشهوات
وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى
ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها
ومن الحبال امتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس قد نصب نفسه لله في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه ارفع
وتصيير كل فرع الى اصله مصباح ظلمات كشاف عشوات مفتاح مبهمات دفاع معضلات دليل

فلوات يقول فيفهم ويسكت فيسلم قد اخلص لله فاستخلصه فهو من معادن دينه واوتاد ارضه قد الزم نفسه العدل
فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه يصف الحق ويعمل به لا يدع للخير غاية الا امها ولا مظنة الا قصدها قد امكن الكتاب
من زمامه فهو قائده وامامه يحل حيث حل ثقله وينزل حيث كان منزله اقول القرى الضيافة والفرات الصادق العذوبة
والنهل الشرب في اول الورد والجدد الارض المستوية والسرابيل القمصان والمنار الاعلام والغمار جمع غمرة وهي الزحمة
من كثرة الناس والماء ونحوه والعشوات جمع عشوة وهي ركوب الامر على جهل به والعشوة بالعين المعجمة هي الغطاء والمبهمة
الامر الملتبس والمعضلات الشدائد وذكر من صفاتهم التي هي سبب محبته تعالى لهم العشرين وصفا وقد علمت ان محبة
الله تعالى تعود الى افاضة الكمالات النفسانية على نفس العبد بحسب قربه بالاستعداد لها الى جوده فمن كان استعداده
اتم كان استحقاقه اوفى فكانت محبة الله له اكمل من تلك الاوصاف كونه اعانه الله على نفسه اي افاضه عليه قوة فلاولى
على استعداد يقوى به عقله على قهر نفسه الامارة بالسوء الثاني ان يستشعر الحزن اي يتخذه شعارا له
واراد الحزن على ما فرط في جنب الله واكتسب من الاثم فانه من جملة ما اعدته المعونة الالهية لاستشعاره ليستعد
به لكمال اعلى الثالث ان يتجلبب الخوف وهو اتخاذه جلبابا واستعار لفظ الجلباب وهو الملحفة للخوف
من الله والخشية من عقابه ووجه المشابهة ما اشتركا فيه كون كل منهما متلبسا به وهو ايضا معونة
من الله للعبد على تحصيل السعادة الرابع زهرة مصباح الهدى في قلبه واشارة الى شروق نور المعارف
الالهية على مرآة سره وهو ثمرة الاستعداد بالحزن والخوف ولذلك عطفه بالفاء واستعار لفظ
المصباح لنور المعرفة لما يشتركان فيه من كون كل منهما سببا للهدى وهو استعارة لفظ المحسوس للمعقول
الخامس كونه اعد القرى ليومه النازل به استعار لفظ القرى للاعمال الصالحة واراد باليوم النازل به يوم
القيمة واستلزمت الاستعارة تشبيه لذلك اليوم بالضيف ويوم القرى للضيف المتوقع نزوله ووجه
المشابهة ان القرى كما يبيض به وجه القاري عند ضيفه ويخلص به من ذمه ويكسب المحمدة والثناء منه
كذلك الاعمال الصالحة في ذلك اليوم تكون سببا لخلاص العبد من اهواله وكسب رضا الحق سبحانه والثواب
الجزيل منه السادس وقرب على نفسه البعيد يحتمل وجهين احدهما ان يشير بالبعيد الى رحمة الله فانها بعيدة من
غير مستحقها والمستعد لقبولها هو من حسن عمله وكمل قوله فاعد لذلك بالاعمال الصالحة نفسه واعدها
في يوم كانت رحمة الله على غاية من القرب منه كما قال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين الثاني يحتمل ان يريد
بالبعيد امله الطويل في الدنيا وتقريبه على نفسه تقصيره له بذكر الموت دون بلوغه كما سبق السابع كونه قد هون
الشديد ويحتمل ايضا معنيين احدهما ان يريد بالشدائد امر الاخرة وعذاب الجحيم وتهوينه لها بالاعمال الصالحة واستشراق
انوار الحق وظاهر كونها مهونة لشديد عذاب الله الثاني ان يريد بالشدائد شدائد الدنيا من الفقر والاهتمام
بالمصائب التي تنزل به من الظلم وفقد الاحبة والاقرباء ونحو ذلك وتهوينه لذلك تسهيله على خاطره باستحضاره
في جنب ما يتصوره من الفرحة بلقاء الله وما اعد له من الثواب الجزيل في الآخرة كما قال تعالى وبشر الصابرين

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون
الثامن كونه نظاري معتكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فابصر اي شاهد الحق سبحانه في مجالي
مصنوعاته بعين بصيرته التاسع وذكر فاستكثر من ذكره حتى صار الذكر ملكة له وتجلى المذكور في اطوار ذكره لمرآة سره
والاستكثار من الذكر باب عظيم من ابواب الجنة العاشر كونه ارتوى من عذب فرات شبه العلوم والكمالات الفائضة
التي تفاض على العارف بالماء الزلال فاستعار له لفظ العذوبة والفرات ورشح تلك الاستعارة بذكر الارتواء وقد
سبق وجه هذه الاستعارة مرارا الحادي عشر كونه سهلت له موارده الفائزون بقصب السبق في طريق الله لا
ينكرون عن ابتداء الهوى بخاصية زاجية يكون لهم بها سرعة الاستعداد لقبول الكمالات الموصلة اليه اذا عرفت فنقول
موارد تلك الكمالات من العلوم والاخلاق هي معادنها ومواطنها المنتزعة منها وهي النفوس الكاملة التي يهتدى
بها ويوخذ عنها انوار الله كالانبياء وتصدق تلك الموارد على ابع صنع الله التي يردها ذهن العبد ويكتسب بها
الملكات الفاضلة وسهولة تلك الموارد لهم هو سرعة قبولهم لاخذ الكمالات عنها بسهولة باذهان صافية هيأتها
العناية الالهية لقبولها وتيسرتها لذلك الثاني عشر فشرب نهلا اي اخذ من تلك الكمالات سابقا اليها كثيرا
من ابناء نوعه ومتقدما فيها لسهولة موردها عليه وهو الفاظ مستعارة لاخذه لها وسبقه اليها ملاحظ تشبيهه
بشرب السوابق من الابل الى الماء الثالث عشر كونه قد سلك سبيلا جددا اي سبيل الله الواضح المستقيم العدل بين
طرفي التفريط والافراط الرابع عشر كونه قد خلع سرابيل الشهوات بكل الاوصاف السابقة اشار فيها الى تحصيل
العلم والاستعداد له واشار بهذا الوصف الى طرف الزهد واستعار لفظ السرابيل للشهوات ووجه
المشابهة تلبس صاحبها بها كما يتلبس بالقميص ورشح بلفظ الخلع وكنى به عن طرحه لاتباع الشهوة والقائه
عنها مما يخرج به عن حد العدل الخامس عشر وتخلى من الهموم الا هما واحدا اي من هموم الدنيا وعلائق احوالها
وطرح كل مقصود عن قصده الا هما انفرد وهو الوصول الى ساحل عزة الله وتوجيه سره الى مطالعة انوار كبريائه
واستغراقه بها وهو تمام الزهد الحقيقي فظاهر كونه منفردا به عن غيره من ابناء نوعه السادس عشر فخرج عن صفة العمى
اي عمى الجهل بما حصل عليه من فضيلة العلم والحكمة وعن مشاركة اهل الهوى اي افراطهم وتجويزهم اذ هو على حاق
الوسط من فضيلة العفة السابع عشر فصار من مفاتيح ابواب الهدى فابواب الهدى هي طرقه وسبل المعدة لقبوله من اهم
وقد وقف عليها العارفون وتخلوا منها الى حضرة جلال الله فوقفوا على مراحلها ومنازلها ومخاوفها فصاروا
مفاتيح لما انغلق منها على اذهان الناقصين ومصابيح فيها للنفوس الجاهلين المفتاح مستعار للعارف ووجه
المشابهة ظاهر الثامن عشر ومغاليق ابواب الردى فابواب الردى هي اطراف التفريط والافراط والمسالك التي يخرج
فيها عن حدود الله المردي سلوكها في قرار الجحيم والعارف لما سد ابواب المنكرات فسلكها الجاهلون
ولزم طريق العدل الجهم اشبه المغلاق الذي يكون سببا لسد الطريق ان يسلك فاستعير لفظه له وفي
القرينتين مطابقة فالمغاليق بازاء المفاتيح والردى بازاء الهدى التاسع عشر قد ابصر اي بنور بصيرة طريقه اي الله

ملتبس

والفقاهر

بسلوكها والمجذوب بالعناية الالهية اليها وهي صراط الله المستقيم العشرون وسلك سبيله اي لما ابصر السبيل سلكه
اذ كان السلوك هو المقصود الاول الحادي والعشرون وعرف مناره لما كان السالك الى الله قد يستعين بطريق
انشاء فاده ذلك كسلوك من لم يستكمل قوته النظرية العلوم وقد يكون سلوكه بعد استكماله فالسالك كذلك قد عرف بالبرهان
مناره اي اعلامه المقصوده في طريقه التي هي سبب هدايته وهي القوانين الكلية العلمية ويحتمل ان يريد بالمنار
ما يقصده بسلوكه وهو حضرة جلال الله وملائكته المقربين الثاني والعشرون قد قطع غماره واشار بالغمار
الى ما كان مغمورا فيه من مشاق الدنيا وهومها والتالم بسبب فقدها ومجاذبة اهلها لها فان العارف
معتزل عن ذلك والتالم بسببه الثالث والعشرون واستمسك من العرى باوثقها ومن الجبال بامتنها اراد بأوثق
العرى وامتن الجبال سبيل الله واوامره استعارة ووجه المشابهة ان العروة كما تكون سببا لنجاة من تمسك بها
وكذلك الحبل وكان اجودها ما ثبت وتمتن ولم ينفصم كذلك طريق الله المؤدي اليه تكون لزومه والتمسك باوامره سبب
النجاة من اهوال الاخرة وهي عروة لا انفصام لها واوامرها حبال لا انقطاع لها واليها الاشارة بقوله تعالى فمن يكفر
بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها الرابع والعشرون فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس
اي فكان تمسكه باوامر الله ونواهيه ومجاهدته في سبيله قد استشرق اتم انوار اليقين فصار مشاهدا بعين بصيرته
عالم الملكوت واسبابها الجنة والنار عين اليقين كما يرى ببصره الظاهر نور الشمس في الوضوح والجلاء الخامس والعشرون
قد نصب نفسه لله سبحانه في ارفع الامور من اصدار كل وارد عليه وتصيير كل فرع الى اصله اي لما كان في ذاته نصب نفسه
لارفع الامور من هداية الخلق وافادتهم لقوانين طريق الله فصار كالمصباح يقتبس منه انوار العلم فهو لكونه مليا
بها قائم باصدار الاجوبة عن كل ما يورد عليه من الاسولة التي اشتبهم امرها على الاذهان وان يرد كل فرع من
فروع العلم الى اصله المتشعب عنه السادس والعشرون كونه مصباح ظلمات اي يهتدي به التائهون في
ظلمات الجهل الى الحق ولفظ المصباح مستعار له كما سبق السابع والعشرون كونه كشاف عشوات اي موضح
لما اشكل امره وركب فيه الجهل من الاحكام الملبسة مميز وجه الحق منها وروي بالغين المعجمة فالمراد كشاف
اغطية الجهالات عن ابصار البصائر الثامن والعشرون وكذلك كونه مفتاح مبهمات اي فاتح لما انغلق على
اذهان الخلق واستبهم وجه الحق فيه من الاحكام التاسع والعشرون كونه دفاع معضلات اي دافع كل حيرة في
معضلة من معضلات الشرع صعب على الطالبين تمييز وجه الحق فيه ويحميهم بيانه عن التردي في مهاوي
الجهل الثلاثون وكذلك كونه دليل فلوات واستعار لفظ الفلوات لموارد السلوك وهي الامور المعقولة ووجه
المشابهة ان الفلوات كما لا يهتدي لسالكها الا الادلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها
حتى كان من لا دليل لهم فيها لا يجدون بقيه فيها ويكون جهله بطرقها سببا لهلاكه كذلك الامور المتصورة المعقولة
لا يهتدي لطريق الحق فيها الا من اخذت العناية الالهية بضبعيه فالقت زمام عقله الى استاد مرشد يهديه

بهاسر

سبل الحق منها ومن لم يكن كذلك حتى حار عن طريق الحق فيها خبط في ظلمات الجهل خبط عشواء وسلكت
به شياطينه ابواب جهنم والعارفون هم ادلاء هذه الطرق والواقفون على اخطارها ومنازل السلامة يهدون نهار
ببصائرهم **الحادي والثلثون** كونه يقول فيفهم وذلك لمشاهدته عين الحق من غير شبهة تعتريه فيما يقول ولا اختلاف في
عبارة من جهل بالمقول **الثاني والثلثون** كونه يسكت فيسلم اي من خطر القول ولما كانت فايدة القول الابانة
والافادة وفايدة السكوت السلامة من آفات اللسان وكان كلامه في معرض المدح لا جرم ذكرهما مع فايدتيهما
والمقصود ان العارف يستعمل كلا من القول والسكوت في موضعه وعند الحاجة اليه فقط **الثالث والثلثون**
كونه قد اخلص لله فاستخلصه وقد عرفت ان الاخلاص هو النظر اليه مع حذف كل خاطر سواه عن
درجة الاعتبار واستخلاص الحق للعبد هو اختصاصه من بين ابناء نوعه بالرضى عنه وافاضة انواع الكمال
عليه وادناؤه الى حضرة قدسه وافراده بمناجاته وظاهر ان اخلاصه سبب استخلاصه كما قال واذكر في الكتاب
موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا **الرابع والثلثون**
كونه من معادن دينه استعار لفظ المعدن له ووجه المشابهة اشتراكهما في كون كل منهما اصلا لما يستخرج
منه الجواهر ففي المعادن انواع الجواهر المحسوسة ومن نفس العارف جواهر العلوم والاخلاق وساير ما اشتمل
عليه دين الله **الخامس والثلثون** كونه من اوتاد ارضه استعار لفظ الوتد ووجه المشابهة كون كل منهما
سببا لحفظ ما يحفظ به فالوتد يحفظ الموتود والعارف يحفظ نظام الارض واستقامة امور هذا العالم
وقد سبق مثله في قوله في الخطبة الاولى ووتد بالصخور ميدان ارضه **السادس والثلثون** كونه الزم نفسه
العدل فكان اول عدله نفي الهوى عن نفسه لما كان العدل ملكة منشأ عن الملكات الثلث وهي الحكمة
والعفة والشجاعة وكان العارفون قد راضوا انفسهم بالعبادة وغيرها حتى حصلوا على هذه الملكات
الخلقية لا جرم كان سعيه في حصولها قد الزم نفسه العدل ولما كان العدل في القوة الشهوية
وهو ان تصير عفيفا لا خامد الشهوة ولا فاجرا اصعب من العدل على ساير القوى لكثرة موارد الشهوة
وميلها بالانسان الى طرف الافراط ولذلك كان اكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم
كان مقتضى المدح ان يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه ولان السالك اول ما يبدأ في تكميل القوة العملية باصلاح
القوة الشهوية فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في مأكول او منكوح او كسب ونحوه **السابع والثلثون**
كونه يصف الحق ويعمل به اي يتبع قول الحق بعمله فان الخلف في القول عند الخلق قبيح ومع الله اقبح ولذلك عاتب الله
المؤمنين بقوله يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وكانوا قالوا
نفعل في سبيل الله ما فيه رضاه فلما كان يوم احد لم يثبتوا واكد عتابه بشدة مقته لخلفهم وعدم مطابقة
افعالهم لاقوالهم **الثامن والثلثون** كونه لا يدع للخير غاية الا امها لما فرغ من جزئيات اوصاف العارف شرع فيها

اجمالا فذكر انه طالب لكل غاية خير اي لا يدع بعض الحق ويقف عنده بل يتخطى بنيته ويستقصي غاياته **التاسع
والثلثون** وكذلك هو قاصد لكل مظنة له ومظنة كل محل امكنه ان يشرع منه ويستفيده كالاولياء ومجالس
الذكر وغيرها **الاربعون** كونه قد امكن الكتاب من زمامه فهو قائده الى آخره فتمكينه الكتاب كناية عن انقياده لما
اشتمل عليه من الاوامر والنواهي واستعار لفظ الزمام لعقله ووجه المشابهة ما اشتركا فيه من كون كل منهما
آلة للانقياد وهي استعارة لفظ المحسوس للمعقول وكذلك استعار لفظ القائد للكتاب لكونه جاذبا بزمام عقله
الى جهة واحدة مانعا له عن الانحراف عنها وكذلك لفظ الامام لكونه مقتدى به وقوله يحل حيث حل ثقله وينزل منزله
ومعنى الحلول والنزول اللذين هما من صفات المسافر وكنى بحلوله حيث حل عن لزوم اثره والعمل بمقتضاه ومتابعته
له في طريق سفره الى الله بحيث لا ينفك عنه وجودا وعدما وبالله التوفيق **الفصل الثاني** قوله وآخر قد تسمى عالما
وليس به فاقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور قد حمل الكتاب جهائل من جهال
على آرائه وعطف الحق على اهوائه يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم يقول اقف عند الشبهات وفيها
وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان لا يعرف باب الهدى فيتبعه
ولا باب العمى فيصد عنه فذلك ميت الاحياء اقول وهذا الفصل في صفات بعض الفساق في مقابلة الموصوف
السابق وخصص من تسمى عالما وليس بعالم بالذكر في معرض الذم لانه اشد فتنة واقوى فسادا للدين لتعدي
فتنته من نفسه الى غيره وذكر له اوصافا **الاول** كونه قد تسمى عالما وليس بعالم لطلب الرياسة وتحصيل الدنيا وهذا
الصنف من الناس كثير والعلماء فيهم معروفون **الثاني** كونه قد اقتبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال والجهائل جهائل من جهال
جمع جهالة اراد الجهل المركب وهو الاعتقاد الغير المطابق لما في نفس الامر وهذا الوصف احد اسباب الاول ونسبة
الاقتباس الى الجهل نسبة مجازية لما ان الجهل يشبه العلم في كونه مستفادا على وجه التعلم والتعليم والاضاليل
من لوازم الجهالات وهي الانحراف عن سواء السبيل وانما قال من جهال ومن ضلال ليكون اثبات الجهل والضلال
له آكد فانه تلقفهما عن الجهال الضلال واعتقادها اثبت وارسخ في النفس من ساير الجهالات **الثالث**
كونه نصب للناس اشراكا من حبال غرور وقول زور استعار لفظ الاشراك والحبال لما يغتر به الناس
من الاقوال الباطلة والافعال المزخرفة ووجه المشابهة ما اشترك فيه الشرك من الحبال وغيره وساير ما يجذب به
الخلق من اقوالهم وافعالهم في كونها محصلة للغرض فالشرك للصيد وغرور هؤلاء لقلوب الخلق ورشح تلك الاستعارة
بذكر النصب **الرابع** قد حمل الكتاب على آرائه المجاهل في تفسير كتاب الله تعالى على مذاهب مجبرة ويكفيك منها ما يعتقدونه
المجسمة من ظواهر الشرع كتجسيم الصانع جلت قدرته وتفسيرهم للكتاب على ما اعتقدوه من باطلهم **الخامس**
وعطف الحق على اهوائه من فسر الفاظ القرآن على حسب عقيدته الفاسدة ورايه الباطل فقد عطف الحق على
هواه اي جعل كل هوى له حقا يتبع بتأويل ما ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
السادس كونه يؤمن الناس من العظائم ويهون كبير الجرائم اي يسهل على الناس امر الآخرة في موضع يحتاجون

فيه الى ذكر وعيد الله وتذكيرهم اليم عقابه كما يخطى الجاهلون ويعرضوا عن اوامر الله تعالى ونواهيه فاذا حضروا
مجالس جهال الواعظين والزهاد توسلوا الى استجلاب قلوبهم وتشييد مناصبهم باجماعهم عليهم بان ذكروا
لهم مواعيد الله كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فيهون عليهم بذلك عظيم الوعيد واهوال الاخرة ويصغر
عندهم جرائمهم التي ارتكبوها في جنب ما تصوروه من الوعد الكريم وساعدتهم ميل طباعهم الى المشتهيات الخارجة
عن حدود الله فعاودوا ما اقترفوه ولا كذلك العالم اذ من شانه ان يستعمل كلا من آيات الوعد والوعيد في
موضعها ليبقى السامعون بين خوف ورجاء فلا ينهمكوا في اللذات الفانية اتكالا على الوعد ولا
تقنطوا من رحمة الله نظرا الى الوعيد **السابع** يقول اقف عند الشبهات اي اذا انتهت الى امر شبهة بتم
لا اقدم عليه وفيها وقع وذلك لجهله بمواقع الشبهة وغيرها **الثامن** يقول اعتزل البدع اي ما ابتدع
من الامور المخالفة لقوانين الشريعة وبينها اضطجع كنى باضطجاعه بين البدع عن تورطه فيها كناية بالاستعارة
وذلك ايضا لجهله باصول الشريعة وكيفية تفريعها **التاسع** فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان
اراد بالحيوان غير الانسان كما هو مختص في العرف واطلق على قلبه انه قلب حيوان كالحمار ونحوه لما بينهما من
المناسبة وهو عدم صلاحيتهما لقبول المعارف والعلوم مع ميلها الى الشهوات **العاشر** كونه لا يعرف باب الهدى
فيتبعه ولا باب الردى فيصد عنه اي لا يعرف لجهله باب الهداية الى طريق الحق فيسلكه ولا وجه دخوله في الباطل
فيعرض عنه وذلك ان الجاهل الجهل المركب لما جار عن سبيل الله وجزم بما اعتقده من الباطل امتنع مع ذلك
الجزم ان يعرف باب الهدى ومبدء الدخول اليه فامتنع منه اتباعه ولما اعتقد ان ما جزم به من الباطل هو الحق
امتنع ان يعرف مبدء دخوله في الجهل وهو باب العمى فامتنع منه ان يصد عنه ثم حكم عليه السلام عن تلك الاوصاف
انه ميت الاحياء اما كونه ميتا فلان الحياة الحقيقية التي تطلب لكل عاقل والتي وردت الشرايع والكتب الالهية
بالامر بتحصيلها هي حياة النفس باستكمال الفضائل التي هي سبب السعادة الباقية وقد علمت ان الجهل المركب
هو الموت المضاد لتلك الحياة فالجاهل بالحقيقة ميت واما انه ميت الاحياء فلانه في صورة حي **الفصل الثالث**
قوله فاين تذهبون وانى تؤفكون والاعلام قائمة والايات واضحة والمنار منصوبة فاين يتاه بكم بل كيف تعمهون
وبينكم ازمة الحق والسنة الصدق فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش ايها الناس خذوها
عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله انه يموت من مات منا وليس بميت ~~ويبلى من بلي~~ ويبلى وليس ببال فلا تقولوا
ما لا تعرفون فان اكثر الحق فيما تنكرون اعذروا من لا حجة لكم عليه وانا هو الم اعمل فيكم بالثقل الاكبر واترك فيكم
الثقل الاصغر وركزت فيكم راية الايمان ووقفتكم على حدود الحلال والحرام والبستكم العافية من عدلي وفرشتكم
المعروف من قولي وفعلي واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي فلا تستعملوا الراي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل
اليه الفكر **اقول** تؤفكون تصرفون والتيه الضلال والعمه الحيرة والتردد وعترة الرجل اقاربه من ولده وولد ولده
بني عمه والهيم الابل العطاش واعلم انه لما قدم المتقين بصفاتهم والفاسقين بصفاتهم كان في ذكرها تنبيه على

وصفي طريقي الحق والباطل ولوازمهما فلذلك اعقبها بالتنبيه على كونهم في ضلال وتيه وعمى عن الحق ثم التوبيخ
والتبكيت والتذكير بكتاب الله وعترة رسوله ليلزموا سمتهم ويسلكوا بهم طريق اهل التقوى ويقتبسوا من
مشاعلهم الى اقتباس انوار الحق من **قوله** فقوله فاين تذهبون الى قوله منصوبة سوال عن ما تذهبون اليه وعن
وقت صرفهم عن ذلك المعنى سوالا على سبيل الانكار لما هم عليه من الطريق الجائرة والواو في قوله والاعلام
للحال واشار بالاعلام الى ائمة الدين ووضوحها ظهورها منهم وكذلك المنار ونصبها قيام الائمة فيهم ووجودهم
فيهم ثم اردف ما انكره من ذهابهم وتعجب منه بتفسيره فقال فاين يتاه بكم وكيف تعمهون ونبه على ان التيه
الذي سالهم عنه هو تيه في الضلال وحيرة الجهل والتردد في الغي وتبين منه ان قوله وانى تؤفكون اي متى
تصرفون عن سهمكم وذهابكم في الضلالة **وقوله** وبينكم عترة نبيكم الواو للحال ايضا فالعامل تعمهون
ويتاه بكم وكذلك الواو في قوله وهم ازمة الحق والعترة كيف يجوز ان تتيهوا في ظلمات الجهل مع ان فيكم عترة نبيكم
واراد بعترته اهل بيته عليهم السلام واليه الاشارة بقول الرسول صلى الله عليه وآله وخلفت فيكم ما ان تمسكتم به
لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض واستعار لهم لفظ الازمة ووجه المشابهة
كونهم قادة للخلق الى طريق الحق كما يقود الزمام الناقة الى الطريق وكذلك استعار لهم لفظ الالسنة ووجه المشابهة
كونهم تراجمة الوحي الصادق كما ان اللسان ترجمان النفس ويحتمل ان يريد بكونهم السنة الصدق انهم لا يقولون الا صدقا
وقوله فانزلوهم باحسن منازل القرآن فاعلم ان للقرآن منازل القلب وهو فيه منزلتين احداها منزلة الاكرام
والتعظيم والثانية منزلة التصور فقط من دون تعظيم الثالثة منزلة في الوجود اللساني بالتلاوة الرابعة
منزلته في الدفاتر والكتاب واحسن منازله هي الاولى فالمراد اذن الوصية باكرامهم ومحبتهم وتعظيمهم كما يكرم
القرآن بالمحبة والتعظيم **وقوله** وردوهم ورود الهيم العطاش ارشاد لهم الى اقتباس العلوم والاخلاق منهم
اذ كانوا معادنها ولما كانت العلماء والائمة تشبه بالينابيع والعلم يشبه بالماء العذب وعادمه بالعطشان حسن
منه ان امرهم بورودهم وان يشبه الورود المطلوب منهم بورود الابل العطاش **وقوله** ايها الناس الى قوله
وليس ببالي لما كان عليه السلم في معرض ذكر الفائدة وكانها قد تقدم ذكرها فلذلك حسن ان اراد الضمير في قوله خذوها
وان لم يسبق لها ذكر واشارة النبي صلى الله عليه وآله بهذه الكلمة تقريرا لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين الآية ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين
العقلية ان اولياء الله لا يموتون ولا يبلون وان بليت اجسادهم قال بعض الخائضين فيها لا يعنيه قوله ويبلى
من بلي مناقض حمل على ان اجساد الاولياء تبلى وذلك يخالف ما يعتقده الناس من ان اجسادهم باقية
الى يوم القيمة بحالها فكيف الاعتقاد المذكور لبعض الناس انما اتى من قول الرسول صلى الله عليه وآله في
قتلى بدر زملوهم بكلومهم ودمائهم فانهم يحشرون يوم القيمة واوداجهم تشخب دما وقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله الآية وليس ولا واحد منهما بدال على ان الاجساد لا تبلى الحيلولة لما البحر فليس مقتضاهما يبلى

صحيحة تتحجب دمائها يوم القيمة بذلك ما يشهد بطلانه من الحس بل يحمل على انها كما تعاد يوم القيمة تعاد بجرحه فيجب
جراحها دماً كهيئتها يوم موتها واما الاية الذي اجمع عليه على المفسرين ان الحياة المذكورة فيها هي حياة
النفوس وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما اصيبت اخوانكم
باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طيور خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب
معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا في الجنة نرزق
لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا
الاية فاذن لا منافاة بين كلامه عليه السلم وما ورد في القرآن والخبر ومقصوده بهذه الكلام تقرير فضيلتهم
وانهم اولياء باقون عند ربهم في ظل كرامته **وقوله** فلا تقولوا بما لا تعرفون تنبيه على الرجوع الى العترة العارفين
بما ينبغي ان يقال **وقوله** فان اكثر الحق فيما تنكرون تاكيد للامر بالتثبت في الاقوال والنهي عن التسرع اليها
والجاهل قد يستنكر الحق اذا خالف طبعه او نبا عنه فهمه او سبق اعتقاد ضده اليه بشبهة او تقليد
فنبه على ان اكثر الحق فيما ينكرونه لئلا يتسرعوا الى القول عن غير علم ولذلك ذكر هذه القضية مرتبة بفاء التعليل
وقوله واعذروا من لا حجة لكم عليه وهو انا طلب عليه السلم العذر منهم فيما يلحقهم من عذاب الله بسبب تقصيرهم
فان الضمير للحق لهم قد انذروا وتوعدوا فلو قصر هو عليه السلم في تذكيرهم بتلك الوعيدات والانذارات مع كون
ذلك ماخوذاً عليه من الله تعالى لكانت حجتهم عليه قائمة ولما كان له عذر لكنه بلغ وحذر فقد اعذر من انذر وانما
ذكرهم بطلب الحجة عنه في ذلك ليتذكروا احكامه ولعلهم يرجعون **وقوله** الم اعمل فيكم الى قوله من نفسي تفصيل
لما جاءهم به من الجواذب الى الله فاعتذر اليهم بها واتى بلفظ الاستفهام على سبيل التقريع والثقل الاكبر
كتاب الله واشار بكونه اكبر الى انه الاصل المتبع المقتدى به والثقل الاصغر الائمة من ولده عليه السلم وكنى براية
الايمان عن سنة الشرع وطريقته الواضحة في العمل بكتاب الله وسنة رسوله كناية بالمستعار ووجه المشابهة
كون طريقته يهتدي بها الى سبيل الله كما يهتدي بالاعلام والرايات امام الجيش وغيره ولفظ الركز ترشيح
للاستعارة وكنى به عن ايضاحها لهم وتوقيفه على حدود الحلال والحرام تعريفهم اياها واراد بالعافية
السلامة من الاذى الحاصل من ايدي الظالمين واستعار لفظ اللباس لها ووجه الاستعارة ان العافية
تشمل المعافى كالقميص وكذلك استعار لفظ الفرش للمعروف لكونه اذا وطئت قواعده يستراح به كالفراش
وقوله واريتكم كرائم الاخلاق من نفسي اي اوضحتها لكم وشاهدتموها مني مكررة **وقوله** فلا تستعملوا
الراي الى آخره نهي لهم عن الاشتغال بالخوض في صفات الله والبحث عن ذاته على غير قانون واستبداد شو
الى بحسب الراي والتخمين فان تلك الدقائق لما كانت لا ساحل لها ولا غاية يقف الفكر عندها وان تغلغل في
اعماقها وكانت مع ذلك في غاية العسر والدقة وكثرة الاشتباه كان تداولهم للاشتغال بها مؤدياً الى التخبط والتزام
المذاهب فتشتت الكلمة والاشتغال بذلك عن الانتظام في سلك الدين والاتحاد فيه كما عليه من ينسب الى العلم

بعدها وكل ذلك ضد مطلوب الشارع فان الالفة والاتحاد في الدين من اعظم مطلوباته ويحتمل ان يريد مطلق
دقائق العلم وتفريع الفقه على غير قانون من امام هدى بل بالراي عن انفسهم **وقوله** حتى يظن الظان ان الدنيا
معقولة على بني امية تمنحهم درها وتوردهم صفوها ولا يرفع عن هذه الامة سوطها ولا سيفها وكذب
الظان لذلك بل هي مجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة **وقوله** معقولة المجة
والمجة الفعلة من مج الشراب اذا قذفه من فيه والبرهة المدة من الزمان فيها طول ولفظ كذا القائم
من فيه وهذا الكلام من فصل يذكر فيه حال بني امية وطول مدتهم وبلاء الخلق بهم **فقوله** حتى يظن
الظان الى قوله سيفها غاية من غايات طول عناء الناس معهم واستعار للدنيا اوصافاً **احدها**
كونها معقولة ووجه الاستعارة ملاحظة شبهها بالناقة في كونها محبوسة في ايديهم كما تحبس الناقة
بالعقال **الثاني** كونها ذات در تمنحهم اياه ووجه الاستعارة ايضاً تشبيهها بالناقة في كون ما فيها من فوائد
وخير مهيئة لهم ومصونة كما تجعل الناقة درها لحالبها **الثالث** كونها توردهم صفوها ولسبه الايراد اليها
مجاز ويجوز بالسوط والسيف عما فيه الامة معهم من العذاب والقتل ونحوه استعمالاً للفظ السبب
في المسبب **وقوله** وكذب الظان لذلك الى آخره رد لما عساه يظن من ذلك بتحقير ما حصلوا عليه
من الامر ولذاتهم وتحقير مدته واستعار لذلك لفظ المجة وكنى بكونها مطعومة لهم عن تلذذهم بها
مدة امرتهم وبكونها ملفوظة عن زوال الامرة عنهم وكذلك الزوال بقوله جملة اي بكليتها وهي كناية
بالمستعار تشبيهاً لها باللقمة التي لا يمكن اساغتها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم**
اما بعد فان الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط الا بعد تمهيل ورخاء ولم يجبر عظم احد من الامم
الا بعد ازل وبلاء وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر وما كل ذي قلب بلبيب ولا
كل ذي سمع بسميع ولا كل ذي ناظر ببصير فيا عجبا وما لي لا اعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في
دينها لا يقتصون اثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب يعملون
في الشبهات ويسيرون في الشهوات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم في المعضلات
الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كان كل امرئ منهم امام نفسه قد اخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات
واسباب محكمات **اقول** القصم بالقاف الكسر والازل بفتح الهمزة الضيق والشدة واقتص اثره تبعه
ومقصود هذا الفصل توبيخ الامة على اختلاف آرائهم في الدين واستبداد كل منهم بمذهب بحسب رأيه في
المسائل الفقهية ونحوها مع وجوده عليه السلم بينهم واعراضهم عن مراجعته مع علمهم بقيامه بذلك **فقوله**
اما بعد الى قوله معتبر صدر الخطبة وكانه عليه السلم فهم ممن خرجت هذه الخطبة بسببه انهم انما يستبدون بآرائهم
من دون مراجعته عن كبر منهم على التعلم والاستفادة ومحبة الراحة من تحمل كلفة التحري في الدين والخوف من العلة
ومشقة الطلب فلذلك خوفهم من حال الجبابرة وان تصيبهم بترك قواعد الدين الى آرائهم المفرقة فيستعد والله اعلم بقوله

ان لم يقصم جباري دهر الا بعد امهال لهم ورخاء بهم فانهم اذا امهلوا وانغمسوا فيما هم فيه من الرخاء والترف اعرضوا عن الاخرة ونسوا ذكر الله تعالى فاستعدوا بتركهم لقوانين الدين التي بها نظام العالم للهلاك وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا قوله ولم يجبر عظم احد من الامم الا بعد ازل وبلاء كنى بجبران العظم عن قوتهم بعد الضعف كناية بالمستعار وصدق هذه القضية ظاهر فان احدا من الامم المتبعين لانبيائهم او لملوكهم في اظهار دين او طلب ملك لن يصلوا الى مطلوبهم الا بعد قوتهم وتضاعفهم وتظاهر بعضهم ببعض ومعاناة بلاء وازل بحيث يستعدون بذلك للفزع الى الله فتصفي قلوبهم لقبول الالفة وبعدها باجتماع عزائمها لقبول صورة النصر وفيه تنبيه على وجوب الاتحاد في الدين وعدم الاراء فيه فان ذلك يدعوا الى التحزب والتفرق ويدخل عليهم الوهن والضعف وكل ذلك ضد مطلوب الشارع كما سبق ويحتمل ان يكني بقوله لم يقصم جباري دهر عن جباري وقته كمعاوية واصحابه وبقوله لم يجبر احد من الامم الا بعد ازل وبلاء عن اصحابه فنبههم بالكلام الاول على ان اولئك الجبارين وان طالت مدتهم وقويت شوكتهم فانما ذلك املاء من الله لهم ليستعدوا به للهلاك وبالكلام الثاني على انكم وان ضعفتم وابتليتم فذلك عادة الله فيمن يريد ان ينصره ثم عقب ذلك بتوبيخهم على الاختلاف وتشعب الاراء والمذاهب في الدين لما ان ذلك يؤدي الى طول محنتهم وضعفهم عن مقاومة عدوهم قوله وفي دون ما استقبلتم من عتب اي من عتاب لكم واستدبرتم من خطب اي من الاهوال التي كنتم رزءتم بها من المشركين في مبدا الاسلام حيث كنتم قليلين وامرتم ان يثبت الواحد منكم لعشرة منهم ثم ايدكم الله بنصره والف بين قلوبكم وجبر عظمكم بمن اسلم ودخل في دينكم وذلك اي معتبر وفيه اي اعتبار فانكم لو لم تتحدوا في الدين فتفاسوا مرارة ذلك الصبر واختلفت اراؤكم في ذلك الوقت كاختلافها الان وكنتم اذن على غاية من الكثرة لم يغن عنكم كثرتكم شيئا وكانت الغاية المحبوبة من ذلك الاعتبار ان لا تفرقوا في الراي وان تتحدوا في الدين وتراجعوا علمكم باصوله وفروعه قوله فما كل ذي قلب بلبيب الى قوله ببصير اراد بالقلب الانسان وظاهر ان الانسان لا يخلوا عن القلب واراد باللب العقل والذكاء واستعمل الاعمى على الوجه الذي يجري بالمجاز فاللبيب من ينتفع بعقله فيما خلق لاجله وكذلك السميع والبصير هما اللذان يستعملان سمعهما وبصرهما في استفادة العبرة واصلاح امر المعاد ونحوه قوله الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها وقوله فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وغاية هذا الكلام تحريك النفوس الى الاعتبار كيلا يبعد السامع لغير لبيب ولا سميع ولا بصير قوله فيا عجبا الى اخره اردف تعجبه بما يصلح جواب سوال مقدر بما يتعجب منه وكانه فهم من تقدير ذلك السوال تعجب السائل من تعجبه المستلزم لتبرمه وتضجره حتى كان السائل قال لم تتعجب وعلام هذا التبرم والاسف فقال وما لي لا اعجب من خطا هذه الفرق المختلفة ثم شرع في تفصيل الخطايا والمذام التي كان اجتماعها فيهم سبب التعجب منهم

فاشار الى تركهم ما ينبغي ثم اردفه بذكر فعلهم ما لا ينبغي وقدم على الكل ذكر اختلاف حججهم في دينهم وذلك هو الاصل الذي نشأت عنه اكثر هذه الرذائل فاما تركهم ما ينبغي ففي صور احدها تركهم لاقتصاص اثر نبيهم فانهم لو اقتصوا اثره لما اختلفوا اذ لا اختلاف فيما جاء به كما سبق بيانه لكنهم اختلفوا فلم يقتصوا اثره الثاني تركهم الاقتداء بعمل الوصي وهو اشارة الى نفسه وهذا اقطع لاعذارهم فان الاختلاف في الدين وان عرض عن ضرورة وهي عدم اصابة الكل للحق مع عدم الشارع الذي يرجع اليه في التوقيف على اسرار الشريعة فاما اذا كان الموقف موجودا بينهم كعلي عليه السلم امتنع ان يقعوا في تلك الضرورة فيعذروا بها في الاختلاف الثالث تركهم الايمان بالغيب اي التصديق به والطمانينة في اعتقاده وللمفسرين في تفسير الغيب اقوال احدها عن ابن عباس هو ما جاء من عند الله الثاني عن عطاء هو الله سبحانه الثالث عن الحسن هو الدار الاخرة والثواب والعقاب والحساب الرابع قيل يؤمنون بظهر الغيب كقوله تعالى يخشون ربهم بالغيب اي لا يحفظون شرائط الايمان في غيب بعضهم عن بعض الخامس [illegible] عن ابن عيسى الغيب ما غاب عن الحواس مما يعلم بالدليل السادس عن الاخفش يؤمنون بما غاب عن افهامهم من متشابهات القران الرابعة تركهم العفة عن عيب وهو اشارة الى الغيبة وظاهر انها فجور وعبور الى طرف الافراط من فضيلة العفة واما فعلهم لما لا ينبغي فامور احدها انهم يعملون في الشبهات اي لا يتوقفون فيما اشتبه عليهم امره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما قادهم اليه الهوى الثاني كونهم يسيرون في الشهوات لما لحظ مشابهة ميل قلوبهم الى شهواتها الدنيوية وانهماكها فيها قاطعة مراحل الاوقات بالتلذذ بها بالسير السائر في الطريق ونحوها استعار لذلك السلوك لفظ السير الثالث كون المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر ما انكروا اي ان المعروف والمنكر تابعان لارادتهم وميلهم الطبيعي فما انكرته طباعهم كان هو المنكر بينهم وان كان معروفا في الشريعة وما اقتضته طباعهم ومالت اليه كان هو المعروف بينهم وان كان منكرا في الدين والواجب ان يكون اراداتهم وميولهم تابعة لرواسم الشريعة في اتباع ما كان فيها معروفا وانكار ما كان فيها منكرا الرابع كون مفزعهم في المعضلات الى انفسهم وتعويلهم في المبهمات على ارائهم وهو كناية عن كون احكامهم في كل ما يرد عليهم من مشكلات الدين وفتياتهم من احكامه تابعة لاهوائهم لا يجرونها على قانون شرعي يعرف حتى اشبهت نفوسهم الامارة بالسوء التي هي منبع الاهواء المخالفة للشريعة الائمة التي يرجع اليهم في استفادة الاحكام فكل منهم يأخذ عن نفسه اي يتمسك فيما يراه ويحكم به باراء كانها عنده عرى وثيقة اي لا ينفصل من تمسك بها واسباب محكمات اي نصوص جلية وظواهر واضحة لا اشتباه فيها وقد عرفت معنى المحكم ولفظ العرى مستعار وقد سبق وجه الاستعارة وبالله العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم واعتزام من الفتن وانتشار من الامور وتلظ من الحروب والدنيا كاسفة النور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها واغورار من مائها قد درست اعلام

الهدى وظهرت اعلام الردى متجهمة لاهلها عابسة في وجه طالبها ثمرها الفتنة وطعامها الجيفة وشعارها
الخوف ودثارها السيف فاعتبروا عباد الله واذكروا تيك التي آباؤكم واخوانكم بها مرتهنون وعليها محاسبون
ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود ولا خلت فيما بينكم وبينهم الاحقاب والقرون وما انتم اليوم من
يوم كنتم في اصلابهم ببعيد والله ما اسمعهم الرسول صلى الله عليه وآله شيئا الا وها انا ذا مسمعكموه وما اسماعكم
اليوم بدون اسماعهم بالامس ولا شقت لهم الابصار وجعلت لهم الافئدة في ذلك الاوان الا وقد اعطيتم مثلها في
هذا الزمان ووالله ما بصرتم بعدهم شيئا جهلوه ولا اصفيتم به وحرموه ولقد نزلت بكم البلية جائلا خطامها
رخوا بطانها فلا يغرنكم ما اصبح فيه اهل الغرور فانما هو ظل ممدود الى اجل معدود **اقول** الفترة ما بين زماني
الرسالة والهجعة النومة والاعترام العزم ويروى اعترام الفتن بالراء المهملة اى كثرتها ويروى اعتراض من
اعترض الفرس الطريق اذا مشى عرضا من غير قصد وتلظت الحرب تلهبت والتجهم العبوس والاحقاب
جمع حقب بضم الحاء والقاف وهو الدهر والبطان حزام البعير للقتب وصورة هذا الفصل تذكيرهم بنعمة الله
تعالى التي نقذ بها ما كانوا فيه من بؤس وهي بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وما استلزمته من الخيرات ليعتبروا
فيشكروا ويخلصوا التوجه الى الله تعالى فاشار اولا الى النعمة المذكورة ثم اردفها بالاحوال المذمومة التي تبدلت
بتلك النعمة الجسيمة وعد منها امورا **احدها** الفترة من الرسل وظاهر ان خلو الزمان عن رسول فيه
يستلزم وجود الشرور ووقوع الهرج والمرج وتلك احوال مذمومة يلحق ذلك الزمان بها من الذم بقدر
ما لحق زمان وجود الرسول من المدح **الثاني** طول الهجعة من الامم وكنى بالهجعة عن الغفلة في امر المعاد وساير
المصالح التي تبغي **الثالث** الاعترام من الفتن اما على الرواية الاولى فنسبة العزم الى الفتن مجاز كنى به
عن وقوعها بين الخلق المشبه لقصدها اياهم وعلى الرواية الثانية اى على كثرة من الفتن وعلى الرواية
الثالثة فالمعنى ان الفتن لما كانت غير واقعة على قانون شرعي ولا انتظام مصلحي ولذلك سميت فتنة لا جرم
اشبهت المعترض في الطريق من الحيوان الماشي على غير استقامة فلذلك استعير لها لفظ الاعتراض
الرابع وعلى انتشار من الامور اى تفرق امور الخلق واحوالهم وجريان افعالهم على غير قانون عدلي **الخامس**
التلظي من الحروب وقد سبق تشبيه الحرب بالنار فلذلك اسند اليها التلظي على سبيل الاستعارة وكنى به
عن هيجانها ووجودها بينهم زمان الفترة **السادس** والدنيا كاسفة النور والواو للحال اي كاسف نورها
ونور الدنيا كناية عن وجود الانبياء وما ياتون به من الشرايع وما نتج عنهم من الاولياء والعلماء كناية بالمستعار
ووجه المشابهة ما يستلزمه النور ووجود الانبياء والشرايع من الاهتداء بهما ورشح تلك الاستعارة بذكر
الكسوف وعبر به عن عدم ذلك النور منها ملاحظة لشبهها بالشمس **السابع** ظاهرة الغرور اي كل قد اغتر بها
وانهمك في مشتهياتها وخدعته بخداعها **الثامن** كونها على حين اصفرار من ورقها واياس من ثمرها
واغورار من مائها استعار لفظ الثمر والورق لمتاعها وزهرتها ولفظ الاصفرار لتغير تلك الزينة عن العرب

في ذلك الوقت وعدم طلاوة عيشهم اذ ذاك وخشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشجرة باصفرار ورقها
فلا تلتذ بالنظر اليها وعنى بالاياس من ثمرها انقطاع امال العرب اذ ذاك من الملك والدولة وما استلزمه من حصول
على طيبات الدنيا وكذلك استعار لفظ المواد متاع الدنيا وطرق لذاتها ولفظ الاغورار لعدم تلك المواد
من ضعف التجارات والمكاسب وعدم المكاسب مصادر وكذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلها استعارات
بالكناية ووجه الاستعارة الاولى ان الورق كما انه زينة الشجرة وبه كمالها كذلك لذات الحياة الدنيا وزينتها
ووجه الثانية ان الثمر كما انه مقصود الشجرة غالبا وغايتها كذلك متاع الدنيا والانتفاع به هو مقصودها
المطلوب منها الاكثر الخلق ووجه الثالثة ان الماء كما انه مادة الشجرة وبه حياتها وقيامها في الوجود
كذلك مواد تلك اللذات وهي المكاسب والتجارات والصناعات وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه
باقي الاستعارات ظاهرة **التاسع** دروس اعلام الهدى وكنى باعلام الهدى عن ائمة الدين وكتبه التي بها
يهتدى لسلوك سبيل الله وبدروسها عن موت اولئك وعدمهم كناية بالمستعار كما سبق **العاشر**
ظهور اعلام الردى وهم ائمة الضلال الداعين الى النار **الحادي عشر** كون الدنيا متجهمة لاهلها عابسة
في وجوه طلابها وكنى بذلك وكنى بذلك عن عدم صفائها لهم فان طيب العيش في الدنيا انما يكون مع
وجود نظام العدل والنصفة بين اهلها وعدم التظالم وذلك في زمان الفترة مفقود بين العرب
وهو كناية بالمستعار ووجه المشابهة ما يستلزمه المستعار عنه وله من عدم تحصيل المطلوب معهما **الثاني**
عشر كون ثمرها الفتنة اي غاية سعيهم فيها على خبط في ظلمات جهلهم انما هو الفتنة اي الضلال
عن سبيل الله والتيه في ظلمات الباطل وغاية كل شيء هي مقصودة كالثمرة فلذلك استعير لها لفظها **الثالث عشر**
وطعامها الجيفة يحتمل ان يكون لفظ الجيفة مستعارا هنا لطعام الدنيا ولذاتها ووجه المشابهة انه لما كانت الجيفة
عبارة عما انتن وتغيرت رائحته من جثة حيوان ونحوها فخبث ماكله ونفر الطبع عنه كذلك طعام الدنيا ولذاتها في
زمان الفترة اكثر ما يكون من النهب والغارة والسرقة ونحوها مما يخبث تناوله شرعا وينفر العقل عنه وتاباه كرام الاخلاق
فاشبه ما يحصل من متاعها اذ ذاك الجيفة في خبثها وسوء مطعمها وان كان احد الخبثين عقليا والاخر حسيا
فاستعير لفظها له ويحتمل ان يكنى بالجيفة عما كانوا ياكلونه في الجاهلية من الحيوان غير مذكى وهو ما حرمه القران
الكريم من ذلك في قوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة اى المضروبة
بالخشب حتى تموت ويبقى الدم فيها فيكون اطيب كما زعم المجوس والمتردية اى التي تردت من علو فماتت
فان كل ذلك اذا مات فكثيرا ما يتعفن ويوكل فيصدق ان طعامهم كان الجيفة **الرابع عشر** كون شعارها الخوف
الخامس عشر كون دثارها السيف استعار لفظي الشعار والدثار للخوف والسيف ووجه الاستعارة الاولى
ان الخوف وان كان من العوارض القلبية الا انه كثيرا ما يستتبع اضطراب البدن وانفعاله بالرعدة فيكون شاملا
له شمول ما يلبسه الانسان شعارا ووجه الثانية ان الدثار والسيف يشتركان في مباشرة المدثر والمضروب من فوقهما

وقوله فاعتبروا عباد الله شروع في المقصود فقوله واذكروا تلك اشارة الى وجه العبرة من صالح الاعمال اي تلك الاعمال التي كانت عليها اباؤكم واخوانكم زمان الفترة وزمان دعوة الرسول لكم وقوله فهم بها مرتهنون اي محبوسون في سلاسل الهيئات البدنية واغلال ما اكتسبوا منها ومحاسبون عليها وقوله ولعمري الى قوله بعيد الحاقهم باباتهم في تشبيه زمانهم بزمانهم وتقارب ما بين الزمانين وتشبيه احوالهم بحالهم في امور احدها ان اولئك كانوا اباكم وليس زمان الابن وحال بعيدا من حال ابيه فيما يليق ويقرب الثاني ان الرسول صلى الله عليه وآله لم يسمعهم شيئا الا واسمعكم اياه فلا فرق بينكم وبينهم من هذه الجهة الرابع انه لا تفاوت بين اسماعكم واسماعهم الثالث ان سائر الآلات البدنية التي كانت لاولئك فاكتسبوا بها كالا ولم يكتسبوا حاصلة لكم ايضا الخامس انكم لم تعلموا شيئا كان آباؤكم جهلوه حتى يكون ذلك سببا للفرق بينكم وبينهم السادس ولا اصفيتم من الدنيا بشي لم يكن لآبائكم مثله وغرضه من الحاقهم باباتهم في هذه الاحوال امران احدهما التنفير عن حال من سبق من العاصين بمخالفة اوامر الله تعالى والثاني الجذب والترغيب في حال من سبق من المطيع لله والرسول فانه اذا حصلت المشابهة بينهم وبين السابقين والمشابهة ان يحصل في اللوازم فكان من يشبه سابقا في عصيانه لزمه ما لزمه من اليم العقاب ومن تشبه به في طاعته وانقياده فلزمه ما لزمه من الوصول الى جزيل الثواب وقوله ولقد نزلت بكم البلية يشبه ان يكون انذارا بما يلحق الخلق بدولة بني امية وملوكها وقوله جائلا خطامها كناية بالمستعار عن خطرها وصعوبة حال من يركن اليها فانها لما كانت دولة خارجة عن نظام الشريعة جارية على وفق الاهواء كان الراكن اليهم على خطر في دينه ونفسه كما يشكو الى الناقة التي جال خطامها اي لم يثبت في وجهها ولا في خراسها فراكبها كان على خطر ان تصرعه فيهلك ثم ردف ذلك بالنهي عن الاغترار بما اصبح فيه اهل الغفلة من متاع الدنيا وطيباتها ونفر عنه باستعارة لفظ الظل ووجه المشابهة ما اشر كان فيه من كونه ممدودا ينتهي عند اجل وزوال به وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام المعروف من غير رؤية ~~الخالق من غير رؤية~~ الخالق من غير روية الذي لم يزل دائما قائما اذ لا سماء ذات ابراج ولا حجب ذات ارتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج ولا ارض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووارثه واله الخلق ورازقه والشمس والقمر دائبان في مرضاته يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد قسم ارزاقهم واحصى آثارهم واعمالهم وعدد انفاسهم وخائنة اعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير ومستقرهم ومستودعهم من الارحام والظهور الى ان تتناهى بهم الغايات هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته قاهر من عازه ومدمر من شاقه ومذل من ناواه وغالب من عاداه من توكل عليه كفاه ومن ساله اعطاه ومن اقرضه قضاه ومن شكره جزاه عباد الله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وحاسبوها من قبل ان تحاسبوا وتنفسوا قبل ضيق الخناق وانقادوا قبل عنف السياق واعلموا انه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ اقول الارتاج

الاغلاق والساجي الساكن والفجاج الاتساع والفج الواسع ودائبان مجدان في سيرهما وعازه غالبه والمناواة المعاداة ومقصود هذا الفصل اعتبارات اضافية للحق سبحانه في معرض تمجيده فالاول كونه تعالى معروفا من غير رؤية وقد سبق معنى معرفته تعالى ومراتبها وبيان كونه منزها عن الرؤية بحاسة البصر الثاني كونه تعالى خالقا من غير روية وقد سبق ايضا بيانه في قوله في الخطبة الاولى بلا روية اجالها الثالث كونه لم يزل دائما وذلك لكون وجوب وجوده مستلزما لاستحالة عدمه ازلا وابدا الرابع كونه قائما ويجوز ان يريد به معنى الدائم الباقي ويجوز ان يريد به القائم بامور العالم وللمفسرين فيه على هذا الوجه اقوال احدها عن ابن عباس رضي الله عنه كونه عالما بالخلق اينما كانوا وضابطا لاحوالهم الثاني قيامه بتوكيل الحفظ عليهم وهو المشار اليه بقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الثالث القائم على الشيء هو الحافظ له والمدبر لامره الرابع هو المجازي بالاعمال الخامس هو القاهر لعباده والمقتدر عليهم وقوله اذ لا سماء الى قوله ذو اعتماد اشارة الى جهة اعتبار ازليته قيامه بذاته وسبقه لكل ممكن ودوامه تقريرا لقول الرسول صلى الله عليه وآله كان الله ولا شي معه وما الحجب ذات الارتاج فيحتمل ان يريد بها السماوات على ظاهر الشريعة وانها ذات ابواب فاستعار لها لفظ الحجب لمنعها واستعار لفظ ارتاج كناية عن عدم التمكن من فتحها او الدخول فيها كناية بالمستعار وقال بعض الفضلاء اراد بها الهيئات البدنية ومحبة الدنيا والظلمات الحاصلة للنفس الحاجبة لها عن مشاهدة انوار جلال الله حتى كان اقفال عليها كما قال تعالى ام على قلوب اقفالها وقوله ولا خلق ذو اعتماد اي ذو قوة وبطش الخامس كونه مبتدع الخلق اي مخترعه على غير مثال سبق السادس كونه وارثه اي كانه مبدؤه فهو مآله ومرجعه وذلك اشارة الى كونه دائما فانه لم يزل ولا يزال السابع كونه آله الخلق وهو اعتبار الجهة بالقياس الى ايجاده لهم واستعباده اياهم الثامن كونه رازقهم وهو اعتبار له بالقياس الى افاضته سائر نعمه عليهم التاسع كون الشمس والقمر دائبين في مرضاته اي على وفق ارادته الخير المطلق والنظام الكلي وذكرهما في معرض تمجيده لكونهما من اعظم آيات ملكه وقوله يبليان كل جديد نسب الابلاء اليهما لكون حركاتهما من الاسباب لحدوث الحوادث في هذا العالم وتغيراته وكذلك قوله ويقربان كل بعيد وفيه جذب الى ذكر المعاد والعمل له فكونهما يبليان كل جديد منبه على عدم الثقة والاعتماد على ما يروق ويعجب من حسن الابدان وجدتها وكذلك ما يحدث ويتجدد من قينات الدنيا ولذاتها لوجوب دخولها تحت البلى وكونهما يقربان البعيد منبه مع ذلك على الحذر مما يستبعده اهل الغفلة من الموت والفناء في حال صحة ابدانهم وسلامتهم في حيوتهم الدنيا العاشر كونه تعالى قسم ارزاقهم كقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا اي وهب لكل من الخلق ما كتب له في اللوح المحفوظ الحادي عشر كونه احصى آثارهم الى قوله من الارحام والظهور اي احصى كل ذلك منهم بقلم القضاء الالهي في الالواح المحفوظة واليه الاشارة بقوله تعالى والله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين وقوله الى ان تتناهى بهم الغايات اي يعلم كل احوالهم من حين ابتدائهم

العالم وقوله وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين وقوله يعلم م

الى ان يقف كل عند غايته المكتوبة له من خير او شر **الثاني عشر** هو الذي اشتدت نقمته على اعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لاوليائه في شدة نقمته واشار بذلك الى كمال ذاته بالنسبة الى ملوك الدنيا مثلا فان احدهم في حال غضبه على عدوه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره وكذلك في حال رحمته لاوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم ولما ثبت انه تعالى هو الغني المطلق المنزه عن صفات المخلوقين وانه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في وجوده على امر من ذاته وكان اعداء الله مستعدين ان يبعدهم عنه لقبول سخطه وشدة نقمته في الاخرة لاجرم ولا هم ذلك ولو انهم كانوا في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته وكذا اولياؤه لما استعدوا القبول رحمته وشمول نعمته افاضها عليهم فهم في حضرة قدسه على غاية من البهجة والسعادة وضروب الكرامة وان كانوا باجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والضنك في الدنيا وذلك لانه لا يكون الا حليما لا يشغله غضب عن رحمة عدل حكيم لا يمنعه رحمته عن انزال عقوبته سبحانه ليس الا هو **الثالث عشر** قاهر من عاداه انه تعالى قاهر باعتبار انه قاصم ظهور الجبابرة من اعدائه فيقهرهم بالموت والاذلال كفرعون اذ قال انا ربكم الاعلى فاخذه الله نكال الاخرة والاولى وهو الذي يلحقه هذا الاعتبار مطلقا اذ كل موجود فهو مسخر تحت قدرته وقهره عاجز في قبضته **الرابع عشر** ومدمر من شاقه **الخامس عشر** ومذل من ناواه **السادس عشر** وغالب من عاداه فشاقه الله اتباع غير سبيله من بعد ما تبين له الهدى ومناواته الاعراض عن اوامره واتباع الشهوات واذلاله تعالى حينئذ هو افاضة لصورة الحاجة الى غيره **السابع عشر** كافي من توكل عليه **الثامن عشر** ومعطي من سأله **التاسع عشر** وقاضي من قرضه **العشرون** ومجازي من شكره وهذه الاعتبارات تعود الى حرف واحد وهو ان العبد اذا استعد بحسن التوكل والسؤال والصدقة والشكر لنعم الله وجب في جود الله وحكمته افاضة كفايته فيما توكل عليه فيه نكفايته من الكمالات افاضة تمامها عليه ومن رفع النقصانات دفعها عنه ثم اعطاؤه ما سأل اذا استعد لقبوله ثم اداؤه عن قرضه اضعافه ثم جزاؤه على شكره زيادة النعمة واطلق لفظ القرض لما يعطي الفقير مجازا كما قال تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي برا من جهة البر والبر الخالص لوجه الله فيضاعفه له اضعافا كثيرة ووجه المناسبة كون الفقراء اهل الله وعياله والمعطي هو الله تعالى **وقوله** عباد الله الى آخره شروع في الشور والموعظة فقوله زنوا انفسكم من قبل ان توزنوا وزن النفوس في الدنيا اعتبار اعمالها وضبطها بميزان العدل اي مراعاة استقامتها على حاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط اللذين هما كفتي الميزان مهما رجحت احداهما فالنقصان لازم والخسران قائم واما الميزان الاخروي فاما على رأي المتكلمين وظاهر الشريعة فظاهر واما على راي محققي السالكين من الصوفية فما اشار اليه الامام الغزالي رضي الله عنه كاف في بيانه قال ان تعلق النفس بالجسد كالحجاب لها عن حقائق الامور وبالموت ينكشف الغطاء كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ومما ينكشف له تاثير اعماله فيما يقرب الى الله تعالى ويبعد عنه ومقادير تلك الاثار وان بعضها اشد تاثيرا من بعض ولا في قدرة الله تعالى ان يجري شيئا بغير

الحالين في لحظة واحدة مقادير الاعمال بالاضافة الى تأثيراتها في التقريب والابعاد فحد الميزان ما يتميز به الزيادة والنقصان وان اختلف مثاله في العالم المحسوس فمنه الميزان المعروف ومنه القبان والاصطرلاب لحركات الفلك والمسطرة لمقادير الخطوط والعروض لمقادير حركات الاصوات فهذه كلها امثلة للميزان الحقيقي وهو ما يعرف به الزيادة والنقصان وهو موجود فيها باسرها وصورته تكون للحس عند التشكيك وللخيال بالتمثيل **وقوله** وحاسبوها قبل ان تحاسبوا محاسبة النفس ضبط الانسان على نفسه اعمالها الخيرية والشرية ليركبها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وهي باب عظيم من ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين في سلوك سبيل الله ومرابطتهم مع انفسهم مقامات خمسة **الاولى** المشارطة ثم المراقبة ثم المحاسبة ثم المعاتبة ثم المجاهدة والمعاقبة وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال الانسان مع نفسه كحاله مع شريكه اذا سلم اليه مالا ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الاخرة ومطلبه وربحه تزكية النفس اذ بذلك فلاحها كما قال تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها بالاعمال الصالحة فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستسخرها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وكما ان الشريك يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويأمرها بسلوك طريق الحق ويرشدها اليها ويحرم عليها سلوك غيرها كما يشرط التاجر على شريكه **الثانية** ان لا يغفل عن مراقبتها لحظة فلحظة عند خوضها في الاعمال ويلاحظها بالعين الكالئة والى مقام المراقبة الاشارة بقوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقوله صلى الله عليه وآله اعبد الله كانك تراه وقد سبق بيان حقيقة المراقبة ولا بد منها فانه لو غفل عن نفسه واهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال كالعبد الخائن اذا انفرد بالمال **الثالثة** ثم بعد الفراغ من العمل ينبغي ان يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا لحقارتها بالنسبة الى نعيم الاخرة فلا ينبغي ان يهمل مناقشتها في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها يمكن ان يشترى بها كنز من كنوز الاخرة لا يتناهى قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب فريضة كل صبح مع نفسه بالوصية ويقول اي نفس ما لي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد فني راس مالي ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله وهو صاحب البضاعة وربحها ولو توفاني لقلت رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فاحسبي انك قد رددت فاياك وتضييع هذا اليوم والغفلة فيه واعلمي ان اليوم والليلة اربع وعشرون ساعة وقد ورد في الخبر انه ينشر للعبد في كل يوم وليلة اربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مملوة نورا من حسناته التي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والاستبشار بمشاهدة تلك الانوار ما لو قسم على اهل النار لاغناهم عن الاحساس بالامها ويفتح له خزانة اخرى فيراها سوداء مظلمة يفوح

بلغ

تنشها وتغشاه ظلمة منها وهي الساعة التي عصى الله تعالى فيها فيناله من الهول والفزع ما لو قسم على اهل الجنة
لنغص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة اخرى فارغة ليس فيها ما يسره ولا ما يسوءه وهي الساعة التي نام فيها او غفل
في شيء من مباحات الدنيا فيتحسر على خلوها وينال من الغبن الفاحش ما ينال من قدر على ربح كثير ثم ضيعه
واليه الاشارة بقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وقال بعضهم هب ان المسيء قد عفي عنه اليس قد فاته
ثواب المحسنين وهو اشارة الى الغبن والحسرة يومئذ ثم يستانف وصية لاعضائه السبعة وهي العين والاذن
واللسان والبطن والفرج واليد والرجل ويسلمها اليها فانها رعايا خادمة لها في التجارة وبها يتم اعمال هذه
التجارة وان لجهنم سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم وانما يتعين تلك الابواب لمن عصى الله تعالى بهذه
الاعضاء ويوصي كل عضو بما ينبغي له وينهاه عما لا ينبغي له ويرجعه في تفصيل تلك الاوامر والنواهي
الى مراسم الشريعة ثم يشترط عليها ان خالفت ذلك عاقبها بالمنع من شهواتها وهذه الوصية قد تكون بعد
العمل وقد تكون قبله للتحذير كما قال تعالى واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه **الرابعة** المجاهدة والمعاقبة
وهو بعد المحاسبة اذا راى نفسه قد قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالصبر عن امثالها ويضيق عليها في مرادها
وما تعود اليها من الامور المباحة وان راها توانت وكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان
يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من الطاعات جبرا لما فات روي ان ابن عمر اخر صلوة المغرب
حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين **الخامسة** توبيخ النفس ومعاتبتها وقد علمت ان لك نفسا امارة بالسوء
ميالة الى الشر وقد امرت بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها وخالقها ومنعها عن شهواتها
ولذاتها المالوفة فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة
واللائمة كانت نفسك هي النفس اللوامة وسبيل المعاتبة ان تذكر النفس عيوبها وما هي عليه من الجهل والحمق
وما بين يديها من مفاجاة الموت وما تؤول اليه من الجنة والنار وما عليه اتفاق اكابر اولياء الله الذين هم
بتسليمها سادات الخلق ورؤساء العالم من وجوب سلوك سبيل الله ومفارقة معاصيه وتذكيرها بايات الله
واحوال الصالحين من عباده فهذه محاسبات النفس ومرابطاتها واما حسابها الاخروي فقد سبقت الاشارة اليه
وقوله وتنفسوا من قبل ضيق الخناق استعار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالاعمال الصالحة
في الدنيا المستلزمة لها كما يستلزم التنفس راحة القلب من الكرب واستعار لفظ الخناق في الحبل المخصوص
للموت ووجه المشابهة ما يستلزمه ضيق الخناق والموت من عدم التمكن والتصرف والعمل اي انتهزوا الفرصة
والعمل قبل العذر به وزوال وقته وضيقه **وقوله** وانقادوا قبل عنف السياق اي انقادوا لاوامر الله الى طاعته
قبل السوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكروهة كما سبق **وقوله** واعلموا انه من لم يعن على نفسه الخ
اي من لم يعنه الله على نفسه واعانة له هو اعداد العناية الالهية لنفسه الناطقة ان تقبل السوانح الخيرية وتاييدها
بها على النفس الامارة بالسوء لتقوى بتلك السوانح على قهرها وعلى الانزجار عن متابعتها والانجذاب الى ما يدعوها

اليه من الشهوات فانه متى لم يكن لها ذلك الاستعداد والقبول لم ينفعها وعظ غيرها ولم تقبله اذ لا قبول لمن لا
استعداد للقبول وفي ذلك تنبيه على وجوب الاستعانة بالله في احوال النفس ودفع الشيطان عنها والله الموفق

ومن خطبة له عليه السلم تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل الخطب

وكان سأله سائل ان يصف الله تعالى حتى كانه يراه عيانا فغضب لذلك وقال الخطبة روى مسعدة بن صدقة
عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلم انه قال خطب امير المؤمنين عليه السلم هذه الخطبة على منبر الكوفة وذلك
ان رجلا اتاه فقال يا امير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا وبه معرفة فغضب ونادى الصلوة جامعة
فاجتمع الناس حتى غص المسجد باهله فصعد المنبر وهو مغضب متغير اللون فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله
عليه ثم خطبها واعلم ان في الخطبة فصولا **الفصل الاول** قوله الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الاعطاء
والجود اذ كل مانع مذموم ما خلاه وهو المنان بفوائد النعم وعوائد المزيد والقسم عياله الخلائق ضمن ارزاقهم
وقدر اقواتهم ونهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل باجود منه بما لم يسئل الاول الذي
لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والاخر الذي ليس بعده والرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه ما اختلف عليه
دهر فيختلف منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال
وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونثارة الدر وحصيد المرجان ما اثر ذلك في جوده
ولا انفد سعة ما عنده ولكان عنده من ذخائر الانعام ما لا تنفده مطالب الانام لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال
السائلين ولا يبخله الحاح الملحين **اقول** الاشباح الاشخاص ويفره يزيده وفورا ويكديه ينقص خيره
وتنفست عنه انفرجت والفلز ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض والعقيان الذهب الخالص
والمرجان صغار اللؤلؤ والالحاح في السؤال الادامة عليه وقد شرع في وصف الله سبحانه باعتبارات له الى آثاره
الاول انه لا يزيد بما حرمه ومنعه من فضله **الثاني** ولا ينقصه عطاؤه وجوده ثم رد حكم الوهم عليه بحاجة
بدخوله في المتنقصين بالعطايا بقوله اذ كل معط منتقص سواه وكذلك قدسه عن الدخول في زمرة المذمومين
بمنعهم ما في ايديهم عن طالبه بقوله وكل مانع مذموم ما خلاه فكانت هاتان القضيتان موكدتين للاوليين
وبرهانهما ان التزيد بالمنع والتنقص بالاعطاء انما يطلق في حق من ينتفع ويتضرر بالزيادة والنقصان والانتفاع
والتضرر على الله محال فالتزيد والتنقص عليه محال ولانهما يقتضيان عليه الحاجة والامكان ولان مقدوراته
غير متناهية ونبه بقوله اذ على جهة الفرق بينه وبين خلقه وانما النقص المعطي من خلقه لحاجته
الى ما يعطيه وانتفاعه به وانما استحق المانع منهم الذم دونه سبحانه لكون ما يصدر عنه من منع ان صدق الكلية
في المتنقصين بالعطاء فظاهر واما في المذمومين بالمنع فتحقيقها ان كل مانع لمال فهو انما يمنعه خوف الفقر
ونحوه وظاهر ان الخائف من الفقر في الدنيا محب لها وهو بمعزل عن عباد الله المتوكلين عليه الزاهدين
في متاع الدنيا وقيناتها واذا كان العبد مأمورا بان يكون من هؤلاء وفي زمرتهم فبالحري ان يكون مستحقا

معط منتقص سواه وكل م

بعد فيكون شيء صح

ما لم

عموم

واعلم ان منعه بنظام الحكمة والعدل ... من الاثر فان منعه ... مطلع و ... منع والسلام

الفتم على ماينعه من ماله فيكون حجابا لوجهه عن النظر الى وجه الله الكريم فصدق الكلية اذن ظاهر وفي ادعيه
زين العابدين عليه السلم يا من لا يزيده كثرة العطاء الا كرما وجودا وفيه سر لطيف فانه لما كان جوده سبحانه غير
متوقف الا على وجود الاستحقاق وكانت كل نعمة صدرت عنه معدة لمحلها ومهية له لقبول نعمة اخرى
كانت كثرة عطائه مستلزمة لكثرة الاعداد المستلزمة لزيادة الجود **الثالث** انه المنان بفوايد النعم والمنة
تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه والسبب الفارق كون
كل منعم سواه فيحتمل ان يتوقع لنعمته جزاء او يستفيد كمالا يعود اليه مما افاده واليه توقع الذكر وقع من جليل
نعمته ويتوقع لها جزاء ان يمن بها لما يستلزمه المن من التطاول والكبر بما لاجتماعهما في العرف اذ التطاول — وتوقع الجزاء والكافي الى مع التطاول والكبر
والكبر انما يتعلقان بالغني عن ثمرة ما تطاول به ولان التطاول مما يتاذى به المنعم عليه فيطلب لذلك استعداد نفس
المنعم لقبول رحمة الله وجزائه لذلك وربما نهي عن المنة في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اي عدم استحقاق ثوابها وفوايد النعم ما افاد منها وعوايدها لزيد
والقسم معادها **الرابع** كونه الخلق عيال الضمين لارزاقهم ومقدر اقواتهم واستعار لفظ العيال للخلق بالنسبة الى
ربهم ووجه المشابهة ان عيال الرجل هو من جمعهم ليقيتهم ويصلح حالهم كذلك الخلق انما خلقهم وجمعهم
تحت عنايته ليصلح احوالهم في معاشهم ومعادهم وكذلك استعار لفظ الضمان لما وجب في الحكمة الالهية من
وجود ما لا بد منه في تدبير صلاح حالهم من الاوقات والارزاق وتقدير اقواتهم اعطاكل ما كتب له في اللوح المحفوظ
من زايد وناقص ~~من زايد وناقص~~ **الخامس** كونه نهج سبيل الراغبين اليه والطالبين ما لديه وذكر اولا ما يصلح
حالهم في الدنيا وهو ضمان الارزاق وتقدير الاقوات ثم اردفه بما هو سبب صلاح حالهم في الاخرة من نهج السبل
واتضاحه واشاره الى ايضاح الشريعة لطرق السالكين الراغبين في النظر الى وجهه الكريم والطالبين لما عنده
من النعيم المقيم **السادس** كونه ليس بما سيل باجود منه بما لم يسال اي يستلزم بيان هذا الوصف اشارة لطيفة وهو ان فيضان
ما يصدر عنه سبحانه له اعتباران احدهما بالنظر الى جوده وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل
نسبتها اليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال هو بكذا اجود منه بكذا والا لاستلزم ذلك ان يكون بعض الاشياء
اعلى واليها احوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك والثاني بالنظر الى الممكن نفسه والاختلاف الواقع في القرب والبعد
الى جوده انما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان اتم استعدادا واقبل للوجود واقل شرطا ومعاندا كان اقرب الى جوده
اذ عرفت ذلك فاعلم ان السائل وان حصل له ما سال من الله تعالى دون ما لم يسال ليس منعه ما لم يساله لعزته عند الله
وليس بينه وبين ما سال بالنسبة الى جود الله فرق وتفاوت بل انما خص ما سال بالوجوب وجوده لعند تمام قبوله
له لسؤاله دون ما لم يساله واستحق وجود ما كان في الجود الالهي بخل به ولا منع في حقه وان اعظم خطره وجل قدره
لم يكن له انقصان في خزاين ملكه وعموم جوده والى هذا اشار علي بن موسى الرضا عليهما السلم وقد سيل عن الجواد

فقال لسؤالك وجهان ان اردت المخلوق فالذي يؤدي ما افترض الله عليه والبخيل الذي يمنع ما افترض عليه وان
اردت الخالق فهو الجواد ان اعطى وان منع لانه ان اعطى من له وان منع من ليس له فقوله وليس له
اشارة الى ان الجود الالهي لما يهب ويتوقف في هبته على وجود المستحق وقد نزهه عليه السلم بهذا الوصف
عن صفة الخلق اذ كان من شانهم ان يكونوا مما سئلوا اجود منهم بما لم يسالوه لكونه اسهل عليهم ومن شان السائل
ان لا يسالهم ما هو اعز عندهم ولذلك كانوا بما سئلوا اجود **السابع** الاول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله
الثامن والاخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده وقد اشرنا الى هذين الوصفين فيما سلف ونزيدهما بيانا
فنقول الاولية والاخرية اعتباران اضافيان تحدثهما العقول لذاته المقدسة وذلك انك اذا لاحظت ترتيب
الوجود في سلسلة الحاجة اليه سبحانه وجدته تعالى بالاضافة اليها اول اذ كان انتهاؤها في سلسلة
الحاجة الى غناه المطلق فهو اول بالعلية والذات والشرف واذ ليس بذي مكان فالتقدم بالمكان منفي
عنه والزمان متاخر عنه اذ هو من لواحق الحركة المتاخرة عن علته فلم يلحقه القبلية الزمانية فضلا عن ان يسبق — هو الجلم للمتاخرة
عليه فلم يكن شيء قبله مطلقا لا من الزمانيات ولا من غيرها واذا اعتبرته بالنظر الى ترتيب السلوك ولاحظت
مراتب السالكين المسافرين في منازل عرفانه وجدته اخرا اذ هو آخر ما ترتقي اليه درجات العارفين ومعرفته
هي الدرجة القصوى والمنزل الاخير ولان كل موجود سواه فهو ممكن العدم فله من ذاته ان لا يستحق وجودا
فضلا عن ان يستحق الاخرية والبعدية المطلقة وهو تعالى الواجب لذاته فهو المستحق لبعدية الوجود واخرية
لذاته وبالقياس الى كل موجود فاذن هو الاول الذي لا شيء قبله والاخر المطلق الذي لا شيء بعده **التاسع** — المطلوبم
الرادع اناسي الابصار عن ان تناله او تدركه وقد سبق ان القوة الباصرة انما تتعلق بذي وضع وجهة
والباري تعالى منزه عنهما فيستحيل ان يدركه بحاسة البصر وردعه لها قهرها بذل النقصان عن قبول
ادراكه **العاشر** كونه لم يختلف عليه دهر فيختلف عليه الحال لما كان الزمان مبدا للتغيرات واختلاف الاحوال
وكان ذاته سبحانه مقدسة عن لحوق الزمان كانت مبراة عن تغير الاحوال الجارية على الزمانيات ولواحقها
الحادي العشر ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال لما كان من شان ذي المكان جواز ان ينتقل
عن مكانه وكان سبحانه منزها عن المكان والا لزمه النقصان اللازم لذي مكان لا جرم لم يجز عليه الانتقال
الثاني عشر كونه لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عنه اصداف البحار من فلز اللجين والعقيان
الى قوله مطالب الانام انما عدد هذه الاشياء في معرض المدح لله تعالى لكونها اعظم ما تقدر عليه الانسان
وتتنافس فيه وتجلو ما بينا فيه ابناء الدنيا تنبيها على كمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته اذ سبق انه انما
سمي بهبة مثلها للجود المحتاجين الذين يتعاقب عليهم الانقاع والتضرر واستعار لفظ الضحك
للاصداف ووجه الشبه انفتاح الصدف واسفارها عن اللؤلؤ والشبه في بدوه باسنان الانسان
حال الضحك وعن لحمة تشبه اللسان في رقة طرفه ولطافته ومن شاهد الصدف عند فتحها وجدها كانسان

يضحك وكذلك استعار لفظ الحصيد لصغار اللؤلؤ ملاحظة لشبهه بما يحصد من الحنطة وغيرها وارادة ان الصدف وان كان حيوانا فوحش وحركة الا ان له شبها بالنبات وكونه من جهة انه ذو عرق في الارض يغتذي به وقد احوا ما يخرج من معادن البر والبحر لتمييز السامع بينها وقوله لانه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله الحاح الملحين انما كان هذا علة لعدم ما ترجوه بهبة ما يعظم قدره ونقصان خزائنه باخراجه منها لان الجواد الذي شانه ما ذكر انما كان كذلك لكونه ليس من شانه ان يلحقه النفع والضر والنقص بل انه غير متناهية واستعار لفظ الغيظ لنعم ملاحظة لشبهها بالماء الذي له مادة تامة لا ينقص بالنزح ومن روي يغضبه فلان الغضب من لواحق المزاج والباري تعالى منزه عنه فيتنزه عن لواحقه ولذلك البخل رذيلة مكتسبة من البدن والمزاج ينبعث عليها الحاجة والنقصان فمن لا يزيد ولا ينقص فلا يؤثر في ملكه ان يهب الدنيا لمن سالها **الفصل الثاني** قوله فانظر ايها السائل فما دلك القرآن من صفته فائتم به واستضئ بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله وائمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرا من خطر الوساوس ان يقع عليه في كيفية صفاته وتغلغلت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لينال علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذ جبهت معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وارانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمساك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وظهرت في البدائع التي احدثها آثار صنعته واعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وان كان صامتا فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة واشهد ان من شبهك بتباين اعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بانه لا ند لك وكانه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين اذ يقولون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين كذب العادلون بك اذ شبهوك باصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين باوهامهم وجزؤوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم فاشهد ان من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيناتك وانك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها مكيفا ولا في رويات خواطرها محدودا مصرفا ان

الاقتحام الدخول في الامر بشدة بغتة والسدد جمع سدة وهي الابواب والحجب وحاجب الباب وقيل قطعها والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والجبه الرد واحتذى عليه اي سلك مسلكه والحقاق جمع حق وهو اطراف عظام المفاصل والعادل الجاعل لله عديلا والقريحة قوة الفكر ومقصود هذا الفصل تاديب الخلق في تعظيم الله سبحانه وتعليمهم كيفية السلوك في مدحه والثناء عليه بما هو اهله وان كان الخطاب للسائل اذ هو السبب في هذه الخطبة وذلك على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة فارشده في ذلك الى كتاب الله تعالى وامره ان يجعله اماما يقتدي به ويستضيء بانواره في سلوك سبيل الله وكيفية وصفه فان اولى ما وصف به نفسه وامره بان يكل علم ما لم يجده مفروضا عليه في كتاب الله او في سنة رسوله وآثار ائمة الهدى القائمين على نهجه ونسبه تعالى الى خلقه وما يناسب ذلك من الالفاظ ويقيدها فيطلق عليه وتقرر عن طلب ذلك والبحث عنه ما اشارة الى انه تكليف الشيطان فطلب ما وراء حدود الشريعة التي نهت عن مجاوزتها انما هو بسبب وسوسة الشيطان وحرص الطبع على ما منع منه ثم علله ان ذلك هو منتهى حق الله عليه ومطلوبه منه ولما كان مطلوب الشارع حين وضع الشريعة وتقرير قواعدها هو جمع قلوب العالم على قانون واحد واتحادهم فيه بحيث لا يتغير فوا في اعتقاد امر ما اللهم يكون ذلك الافتراق سببا لضعف الدين وعدم تعاونهم على تشييده كما سبق بيانه لا جرم وجب في الحكمة ان يحرم حينئذ عليهم الخوض فيما وراء ذلك ليثبت قواعد الدين في قلوبهم وترسخ ولا يخرج بهم البحث عن ورائها الى اطراحها وفساد اعتقاد كثير من الخلق لها ولغيرها مما وراءها اذ لم يكن فيهم من يستعد لقبول ما وراء تلك الظواهر الا الفرد النادر وان كان امثال صلى الله عليه وآله ذا علم من احوالهم استعداد القبول شيء من اسرار الشريعة ووثق به ان يحمله القاه اليه كعلي عليه السلام دون ابي هريرة وامثاله ثم وصف لتعبده ذلك الراسخين في العلم المدحوين في القرآن الكريم بقوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك الآية وقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وفسر معنى الرسوخ بانهم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا ولما اشار الى السدد المضروبة وحجب الغيوب فلنشر الى ما كشف عنه بعض علماء الصوفية منها واشار اليه الخبر عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولما ثبت ان الله تعالى متجل لذاته بذاته فالحجاب لا بد وان يكون بالنسبة الى محجوب فاقسام المحجوبين ثلثة منهم من حجب بمجرد نور ومنهم من حجب بنور مقرون بظلمة وتحت كل قسم من هؤلاء اقسام كثيرة لا تحصى فيكفينا الاشارة الى اصولها فنقول القسم الاول المحجوبون بمجرد الظلمة وهؤلاء هم الملحدة الذين لا يؤمنون بالله وهم صنفان صنف منهم طلبوا للعالم سببا فاحالوه على الطبع وقد علمت ان الطبع صفة جسمانية مظلمة خالية عن المعرفة والادراك وصنف منهم طلبوا السبب لم يتفرغوا لذلك ولم ينتبهوا لطلب السبب بل اشتغلوا بانفسهم وعاشوا عيش البهائم فكانوا محجوبين بكدورات نفوسهم وشهواتهم المظلمة ولا ظلمة اشد من الهوى ولذلك قال تعالى افرايت من اتخذ

لمّا هو ما وصف به

مقامه في ايضاح الدين وحفظ الاعلام وبتاله وهو المراد بالتفويض وذلك ان ائمة الهدى

الهه هواه وقال النبي صلى الله عليه وآله الهوى ابغض اله عبد على وجه الارض وتحت هؤلاء فرق كثيرة لا حاجة الى
ذكرها **القسم الثاني** المحجوبون بنور مقرون بظلمة وهم ثلثة اصناف فصنف منهم منشأ ظلمته الحس وصنف منهم
وصنف منهم منشأها الخيال
منشاؤها مقايسات عقلية فاسدة فالاولون ايضا طوايف **الاولى** عبدة الاوثان فانهم علموا على سبيل الجملة
ان لهم ربا اوجبوا ايثاره على انفسهم واعتقدوا انه اعز وانفس من كل شيء ولكنهم حجبوا بظلمة الحس عن ان يجاوزوا العالم
المحسوس في اثبات ربهم فاتخذوا من انفس الجواهر كالفضة والذهب والياقوت اشخاصا مصورة باحسن صورة
وجعلوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال من صفات الله تعالى وضعوها في الاجسام المحسوسة فصارت
حجبهم انوارا مكدرة بظلمة الحس اذ الحس ظلمة بالاضافة الى عالم المعقولات **الثانية** طائفة ترقوا عن هؤلاء الاجلاف
فكانوا ادخل من عبدة الاوثان في ملاحظة الانوار كما يحكى عن قوم من اقاصي الترك ليس لهم ملة ولكن يعتقدون
ان لهم ربا هو اجمل الاشياء فاذا راوا انسانا في غاية الجمال او فرسا او شجرا عبدوه وقالوا هو ربنا فهؤلاء محجوبون بنور
الجمال مع ظلمة الحس ايضا **الثالثة** طائفة ترقوا عن هؤلاء وقالوا ينبغي ان يكون الرب نورانيا في صورته ذا سلطان
في نفسه مهيبا لا يطاق القرب منه ولم يترقوا عن درجة المحسوس فعبدوا النار اذ وجدوها بهذه الصفات
فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من انوار الله مع ظلمات حسهم **الرابعة** طائفة ترقوا عن ذلك
فراوا ان النار تطفى وتقهر فلا تصلح للالهية بل ما يكون بهذه الصفات ولكن يكون تحت تصرفه ويكون
مع ذلك موصوفا بالعلو وكان المشهور بينهم علم النجوم واضافة التاثيرات اليها فعبدوا النجوم فمنهم عبدة
المشتري ومنهم عبدة الشعرى وغيرهم فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الاستعلاء والاشراف وهي من
انوار الله **الخامسة** طائفة ترقوا عن هؤلاء فقالوا ان وجب ان يكون الرب بالصفات المذكورة الا انه ينبغي
ان يكون اكبر الكواكب فعبدوا الشمس فهؤلاء محجوبون مع ظلمة الحس بنور الكبرياء والعظمة مع بقية الانوار **السادسة**
طائفة ترقوا عن ذلك فقالوا ان الشمس لا تنفرد بالنور بل لغيرها انوار والاله لا يجوز ان يكون له شريك في نورانيته
فعبدوا النور المطلق على كل نور وزعموا انه اله العالم والخيرات كلها منسوبة اليه ثم راوا في العالم شرورا فلم يستحسنوا
اضافتها الى ربهم تنزيها له فجعلوا بينه وبين الظلمة منازعة واحالوا العالم الى النور والظلمة وهؤلاء الثنوية
الصنف الثاني المحجوبون ببعض الانوار مقرونة بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس واثبتوا وراء المحسوس
امرا لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجودا قاعدا على العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف
الكرامية وارفعهم درجة من نفى الجسمية وجميع عوارضها الا الجهة فخصصوه بجهة فوق وهؤلاء لم يثبتوا
موجودا غير محسوس ولا متخيل حتى ينزهوه عن الجهة **الصنف الثالث** المحجوبون بانوار الهية مقرونة
بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الها سميعا بصيرا متكلما عالما قادرا منزها عن الجهات لكن
فهموا هذه الصفات على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه صوت ككلامنا وربما
ترقى بعضهم فقال لا بل هو كحديث انفسنا ولا صوت ولا حرف ولذلك اذا حقق القول عليهم رجعوا الى التشبيه

في المعنى بان الكرم لفظا انه لم يدركوا كيفية اطلاق هذه الالفاظ في حق الله فهؤلاء محجوبون بجملة من الانوار
مع ظلمات المقايسات العقلية **القسم الثالث** المحجوبون بمحض الانوار وهم اصناف لا تحصى ايضا لكن
نذكر منهم ثلثة اصناف **الاول** الذين عرفوا معاني هذه الصفات وعرفوا ان اطلاق اساميها على الله تعالى
وبين اطلاقها على البشر فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات فقالوا ربنا رب
السموات والارض لن نعرف من دونه الها وهو الرب المنزه عن هذا المفهوم الظاهر وهو محرك السموات ومدبرها
الصنف الثاني الذين عرفوا ان في السموات ملائكة كثيرة وان محرك كل سماء منها موجود آخر
يسمى ملكا وان هذه السموات في ضمن فلك يتحرك الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة واحدة والرب تعالى هو المحرك
للفلك الاقصى منها المشتمل عليها **الصنف الثالث** الذين ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام الفلكية
من الملائكة يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له ويكون الرب تعالى هو المحرك للكل بطريق الامر فهؤلاء كلهم محجوبون
بانوار محضة وقفت بهم عما وراءها وراء هؤلاء صنف رابع تجلى لهم ان هذا المطاع موصوف بصفة الوحدة
المطلقة والكمال البالغ وكشفت عنهم حجب المقايسات والاعتبارات الى الغير وهم الواصلون فمنهم من احترقت [illegible]
التجلي في تلك الانوار جميع ما ادركه بصره الكلية وبقي ملاحظا لرتبة الحق فيها فامحقت فيها المبصرات دون المبصر
ومنهم من تجاوز هؤلاء وهم خواص الخواص فاحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان الجلال فامحقوا وتلاشوا في انفسهم
فلم يلتفتوا اليها التفات وملاحظة لفنائهم عن انفسهم ولم يبق الا الواحد الحق وهو الاسم الواصلون كما سبقت
الاشارة اليه ومنتهى الكمال الى حجاب الامكان الذي يهلك فيه كل موجود ولا وجه الله ذي الجلال والاكرام اذا
بقي الامر
عرفت ذلك فقول السبعين المضروبة وحجب الغيب التي اشار اليها هي سبحات الانفعالات في مفهومات
صفات الله تعالى في مراتب عرفانه ومعرفة ملائكته ورسله وكلامه وسائر حجب الانوار التي حجبت بها اهل القسم
الثالث والراسخون الذين اشار اليهم هم في ظاهر كلامه الواقفون في الرتبة الاولى وهم الذين قصروا في صفات الله
تعالى وملائكته وعالم غيبه على ما فهمهم الشريعة عليهم على سبيل الجملة كما وصل الى افهامهم الرسول صلى الله
عليه وآله وعقلوا في وصفه تعالى بصفات الكمال ونعوت الجلال انه ليس على حد وصف البشر بها ولم يخ
في اذهانهم ما تصوروه اجمالا لو فصل لكان مطابقا ومن عادة العناية الالهية لقبول التفصيل يصل اليه
بقي هنها بحث لطيف وهو انه لما كان التكليف في نفس الامر انما هو على قدر العقول وتفاوت مراتبها والذي
قال صلى الله عليه وآله بعثت لاكلم الناس على قدر عقولهم كان كل عقل اقوى على رفع حجاب من حجب الغيب وقصد
ما وراءه واعترف بالعجز عنه فذلك تكليفه وهو من الراسخين فعلى هذا الرسوخ ليس رتبة واحدة هي تقليد
ظواهر الشريعة واعتقاد حقيتها فقط بل تقليدها مرتبة اولى من مراتب الرسوخ وما وراءها مراتب غير متناهية
بحسب مراتب السلوك وقوة السالكين على رفع حجب الانوار التي اشرنا اليها وكلامه عليه السلام الاتيان ما علمناه بل
يصدق الا زل عليه فان قوله وسمي ذلك التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا صادق ايضا على من قطع

جاد من منازل السلوك وعجز عما وراها ووقف ذهنه عن التعمق فيه والبحث اذ لا تكليف الا بما في قوته **وقوله**
فاقتصر على ذلك اي على ما نطق به الكتاب العزيز ودلت عليه السنة النبوية وارشدت اليه ائمة الهدى
وقوله ولا تقدر عظمة الله تعالى على قدر عقلك فتكون من الهالكين فالمقدر لعظمة الله تعالى بقدر عقله
هو المعتقد ان عقله قدره واحاط به علما وهو تصغير لعظمة الله بحسب عقله الضعيف وعظمة الله تعالى اعظم واجل
من ان يضبطها عقل بشري وانما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم بتشبيه الله تعالى بالمدركات من الاجسام
والجسمانيات وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصانع صانعا وضلال عن طريق معرفة الله وهو مستلزم للهلاك
في تيه الجهل واعلم ان في احالته عليه السلام لطالب المعرفة على الكتاب والسنة وبيان الائمة دلالة على ان مقصوده
ليس ان يقتصر على ظاهر الشريعة فقط بل تتبع انوار القرآن والسنة وآثار ائمة الهدى وقد ورد في القرآن الكريم والسنة
وكلامهم الا قدر من الاشارات والتنبيهات على منازل السلوك ووجوب الانتقال في درجاتها ما لا يحصى
كثرة ونبهوا على كل مقام اهل والخوض عن غير اهله اذ كانوا اطباء النفوس وكما ان الطبيب يعطي بعض الادوية
لبعض المرضى ترياق وشفاء ذلك الدواء بعينه لشخص آخر سم وهلاك كذلك كتاب الله والموضحون لمقاصده
من الانبياء والاولياء يرون ان بعض الاسرار الالهية شفاء لبعض الصدور فيلقونها اليهم وربما كانت تلك الاسرار
باعيانها لغير اهلها سببا للضلال وكفرهم اذا القيت اليهم فاذن مقصوده عليه السلام قصر كل عقل على ما هو اهل
له ومما يحتمله والجم العظيم المخاطبون هم اصحاب الظاهر الذين يجب قصرهم عليه والله اعلم **وقوله** هو القادر الذي
اذا ارتمت الى آخره اشارة الى عبارات اخر جليه في وصفه تعالى تنبيها على ان غاية استقصاء العقول
وتعمقها وغوص فطنها طالبة لتفصيل صفاته كماله ذاته فوقت جلاله ان تقف خاسئة وترجع حسيرة معترفة
بالعجز والقصور فقوله اذا ارتمت الى قوله ردعها شرطية متصلة في قوة شرطيات متعددة المقدمات وتاليها واحد
فالمقدم الاول قوله اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته وارتماؤها استرسالها بجودة في المطالعة والتفتيش
ومنقطع قدرته منتهيها والمقدم الثاني قوله وحاول الفكر المبرء عن خطرات وساوس الشيطان وشوائب الاوهام
ان يقع عليه فكيف ذاته ويستثبتها بكل ما يبقى لها من الكمالات في عميقات غيوب ملكوته اي في اسرار
عالم الغيب العميقة المقدم الثالث قوله وتولهت القلوب اي اشتد شوقها اليه لتجري في كيفية صفاته المقدم
الرابع قوله وغمضت مداخل العقول اي دقت مواقع دخولها بحيث لا تبلغه الصفات اي انتهت العقول الى حد انها
لا تعبر مع ملاحظة ذات الموصوف لم يحدث كل خاطر وكل اعتبار من صفة وغيرها عن ملاحظة فتوسلت لتنال
علم ذاته بالكنه وقوله ردعها هو تالي هذه الشرطيات وردعها هو ردها خاسئة حسيرة وسبب ذلك في كل
هذه المدركات هو خلقها قاصرة عن ادراك ما تطلبه من هذه المطالب العظيمة فالاوهام لقصورها
عن ادراك ما ليس بمحسوس ولا متعلقا بالمحسوس وردع الفكر ان يقع عليه والقلوب ان تجري في كيفية صفاته لحدها
وحصرها لخلقتها قاصرة عن الاحاطة بما لا نهاية له اذ كانت صفات الكمال ونعوت الجلال كذلك وردع العقول

ان يحيط بكنه ذاته لخلقها قاصرة عن ادراك كنه ما ليس بذي حد وتركيب فكان مستند ذلك الردع هو
قدرته فلذلك قدم على الشرطيه اعتبار كونه قادرا فقال هو القادر الذي من شانه كذا **وقوله** وهي تجوب
مهاوي سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه الجملة في موضع الحال والعامل ردعها واستعار لفظ السدف
لظلمات الجهل بكل معنى غيبي من صفات جلاله وطبقات حجبها اي ردعها عن تلك المطالب حال ما هي
قاطعة لمهاوي تلك الظلمات ووجه الاستعارة ما يشترك فيه من عدم الاهتداء فيها ومتخلصة حال ايضا
والعامل اما تجوب او ردعها وتخلصها اليه توجهها بكليتها في طلب ادراكه **وقوله** فرجعت اذ جبهت
الى قوله عزته معترفة حال والعامل رجعت وجوز الاعتساف شدة جولانها في تلك المنازل وظاهر ان جوره عن
غير نافع في تحصيل ما لا يمكن والوارد الروايات اصحاب الفكر اي رجعت معترفة بامرين احدهما انه لا ينال كنه معرفته
والثاني ان الفكر لا يخطر ببالها جلال عزته اي لا يحيط بكمال الخبر وظاهر ان صدق هذه الاحكام التفصيل موقوف
على ارتماء افكارها في طلب هذه المعارف وعجزها عنها **وقوله** الذي ابدع الخلق على غير مثال الى قوله قبله
ان الصنايع البشرية انما تحصل بعد ان يرتسم في الخيال صورة المصنوع بل وكل فعل لا يصدر الا عن تصور وضعه
وكيفيته اولا وتلك التصورات تارة تحصل عن امثلة للصنع ومقادير له خارجية يشاهدها الصانع ويحذو
حذوها وتارة يحصل بمحض الالهام والاختراع كما اذا وقع في اذهان كثير من الاذكياء صورة شكل لم يسبق الى تصوره فيقصد
الى ايجاد صورته في الخارج وكيفية صنع الله للعالم وجزئياته منزهة عن الوقوع على احد هذين الوجهين اما
الاول فلو فاتنا انه لا قبل للعالم قبل المصنوعات فلو مثال امتثله اي عمل مثله ولا مقدار احتذى حذوه واما الثاني
فلان سمي الفاعل على وفقه مخترعا لكن الحس يشهد بانا انما نعمل على وفق ما حصل في ذهنه من الشكل والهيئة وهما
مستفادان من الصانع الاول جلت عظمته وكان في الحقيقة فاعلا على غير مثال سابق محتذيا بالمقدار غيره
وعلم الاول سبحانه ليس على النحو المذكور من حصول صورة مساوية للمعلوم في ذاته كما تحقق من قبل فاذن فعله
محض الابداع والاختراع على الابد ما يكون عن حذو مثال **وقوله** وارانا من ملكوت قدرته الى قوله معرفته
ملكوت قدرته ملكها وانما نسبه الى القدرة لان اعتبارها مبدأ الوجود كله فهي مبدأ المالكية واثار حكمته ما
منها من الافعال والاحكام والانقياد كل ما نقص الى كماله واستعار لفظ النطق لسان حال آثاره تعالى المفصحة
عن كمال الحكمة العجيبة بنظام النظام وحسن الترتيب ووجه المشابهة ما اشترك فيه النطق وحال مصنوعاته
من ذلك الافصاح والبيان واعتراف عطف على عجايب والان متعلق بالحاجة وما في قوله ما دلنا هي المفعول الثاني
لارانا اي وارانا من اعتراف الخلق لحاجتهم الى ان يقيمهم في الوجود بمساك قدرته التي يمسك السموات والارض
ان تزولا ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته وقوله على معرفته متعلق بدلنا اي ما دلنا على معرفته فلزمت قيام
الحجة له بالضرورة **وقوله** وظهرت في البدائع الى قوله اعلامه استعار لفظ الاعلام لما يدل على حكمة الصانع من
من الافعال والاحكام واعلم ان كل ما ظهرت فيه آثار حكمة الله فهو ناطق بربوبيته وكمال الوهيته فبعض ناطق

بلسان حاله ومقاله كالانسان ونحص بلسان حاله فقط اذ لا عقل له ولا لسان كالجماد والنبات والضمير المضاف
اليه في قوله الحمد محمل عوده الى الله ويحتمل ان يعود الى الخلق الصامت وقد علمت ان الشاكين من سماع هذا
النطق من آثار الله ومشاهدته في مصنوعاته على درجات ومنازل متفاوتة كما اشرنا اليه غير مرة وقوله
واشهد ان من شبهك الى قوله برب العالمين التفات الى خطاب الله تعالى على طريق قوله مالك يوم الدين اياك نعبد
والشبه في الحقيقة هو الخلق وانما جعل المشبه به هو تباين اعضائهم وتلاحم حقاق مفاصلهم لان في معرض ذم
المشبهة والنعي على وجوه اغلاطهم وتباين الاعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به وهما مستلزمان للتركيب
واجتماع المفردات المستلزم لظهور الحاجة الى المركب والجامع ومتى علم ظهور حاجته ان يشبه به
الصانع المطلق البري عن الحاجة بوجه ما فقد منهما الجزء انهما يجري الاوسط في لزوم التركيب للمشبه به
فيظهر تنزيه الاله عن التشبه به وانكان المقدر من شبهك بخلقك في اعضائهم المتباينة المتلاحمة وقوله
والذي يقال من وجه الحكمة في احتجاب المفاصل هو انها لو خلقت ظاهرة عرية عن الاغشية لجفت رباطاتها
وقست فيتعذر التصرف والجولان بها كما هو الان او انها كانت معرضة للآفات المفسدة لها وغير ذلك من خفي
تدبيره ولطيف حكمته وقد شهد عليه السلم على المشبه لله بخلقه بامرين احدهما انه لم يعرفه والثاني انه لم يقف
تنزيهه عن المثل والقرآن والبرهان مصدقان لشهادته في موضعين اما القرآن فانه عليه بقوله [illegible]
تبرء التابعين من المتبوعين اذ يقولون الاية ووجه الاستدلال على المطلوب الاول ان تشهد عبدة الاصنام
بكشف لهم في الاخرة انهم كانوا ضالين في تشبيه اصنامهم برب العالمين في ترتيب دليل هكذا المشبهة ضالون
من جهة تشبيههم الله بخلقه وكل من كان كذلك فليس بعارف بالله والمقدمة الاولى ثابتة بمنطوق الاية والثانية
فلانه لو كان المشبه له عارفا مع تشبيهه له بخلقه لما كان في ضلال مبين من تلك الجهة لكنه في ضلال
مبين من تلك الجهة فاذن ليس هو بعارف له واما البرهان فلان الله سبحانه مقدس عن ان يشبه خلقا وثني
كان المشبه له بخلقه والمكيف له بكيفية مخوبها وهو غير عارف به بل متصور لامر اخر في الحقيقة غير الله واما صدقه في القضية
الثانية فلان المشبه لله ضال من جهة ما هو مشبه له وكل من كان كذلك فليس بمنزه له عن الند والمثل وصدق الاولى
ظاهر من الاية واما الثانية فلانه لو كان منزها عن الند بكونه مشبها له لما كان ضالا من تلك الجهة لكنه ضال
منها فليس بمنزه له عنه واما البرهان العقلي فلان الند والمثل هو الشبيه وكلامنا في المشبه وفي الاية تنفير عن مذهب
التشبيه بذكر تبرؤ التابعين ممن اتبعوا وشبهوا بخالقهم وندامتهم على تفريطهم في ذلك وحسرتهم على ترك
تدارك الاعمال والاعتقادات الصالحة واعترافهم بانهم كانوا بتشبيههم في ضلال مبين وقوله كذب العادلون
الى قوله عقولهم تكذيب للعادلين به واشار الى تفصيل جهات كونهم عادلين والى سبب ذلك وهو الوهم وقد علمت ان
منشأ التشبيه هو الوهم انكار حكمه لا يرتفع عن المحسوسات وما يتعلق بها فان حكم الجزئيات بحكم قدرها محسوسة
ذات اجسام ولحقتها احكام المحسوس ولذلك لم يرتفع المشبهة لله عن تشبيهه بالاصنام واشخاص الاجسام

كصورة الانسان واعضائه وكذلك غير عبدة الاوثان من سائر فرق المشبهة حتى كانت غاية تنزيه من هو
منهم ان نزهه في جهة فوق فقد علمت ان الجهة والكون فيها من عوارض الاجسام المخلوقة فكانوا عن اخرهم قد حلوه
حلية المخلوقين ووصفاتهم بادها بهم الفاسدة فمنهم من اثبت له اعضاء من يد وساق وعين ووجه وسائر
ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية حملا على ظاهرها ومنهم من تجاسر على وصف هيئته فقال انه مجوف
الاعلى مصمت الاسفل وانه قطط الشعر الى غير ذلك من هذيانهم وكفرهم تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وتجزئته بخواطرهم تجزئة المجسمات هو اثباتهم الاعضاء المذكورة وذلك عن تقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى
هو لمع عقولهم الجامدة متابعة لاوهامهم الفاسدة وتقليد من سلف من ابائهم فان الاعضاء انما تولد
وتكون بواسطة قوى طبيعية ونباتية وحيوانية وغيرها وهي قوى مختلفة بحقائقها ومتضادة في افعالها محتاجة
الى الجامع المركب موجدة بالامكان الذي تنزه قدس الصانع ان يتطرق اليه بوجه وقوله فاشهد ان من ساواك
بشيء من خلقك الى قوله بيناتك شهادة ثانية على من شبهه وجعل له مثلا بالكفر واشارة الى برهانها بقياس
من الشكل الاول استند بيان كبراه الى كتاب الله ونصوص آيات المحكمة وخبايا الانبياء وشواهد حججهم هي تلك الايات
الحجج بهم الشاهدة هي كقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا وقوله
ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون والاشراك
كفر وجحود للحق واما المقدمة الاولى فلان الشبيه هو المثل والعديل وقد علمت ان البرهان العقلي ما يشهد
بصدق هذه الشهادة فان المشبه لله بخلقه مع براءته عن شبيهه الغير اذا اعتقد ذلك الذي يشير اليه
بوهمه هو صانع العالم فقد اعتقد غير الصانع صانعا وذلك عين الكفر والضلال وقوله وانت الله الذي لم
تتناه في العقول الى قوله مصرفا شهادة ثالثة هي خلاصة الشهادتين الاوليين تنزيهه عن تناهيه في العقول
البشرية وافكارها اي احاطتها بجهته وما لها من صفات الكمال ونعوت الجلال بحيث لا يكون وراء ما
ادركته شيء لخروجه عنه فهذه الشهادة على ما لزم ذلك التناهي من كونه ذا كيفية تكيفه بها القوى المتخيلة المتعقلة
بها العقول ومهاب الفكر جهاتها ثم من كونه محدودا اذ كانت الحقائق انما تدرك بكنهها من حدودها
وقوله مصرفا اي محكوما في ذاته بالتجزية والتحليل والتركيب اذ كان من شأن المحدود ذلك ولما كانت هذه اللوازم
باطلة برا منه عن الكيفية والاجزاء والتركيب كانه ملزومها وهو التناهي في العقول باطلا **الفصل الثالث**
قدر ما خلق فاحسن تقديره ودبره فالطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون
الانتهاء الى غايته ولم يستصعب اذ امر بالمضي على ارادته وكيف وانما صدرت الامور عن مشيئته المنشئ اصناف
الاشياء بلا روية فكر آل اليها ولا قريحة غريزة اضمر عليها ولا تجربة افادها من حوادث الدهور ولا شريك اعانه
على ابتداع عجائب الامور فتم خلقه واذعن لطاعته واجاب الى دعوته لم يعترض دونه ريث المبطئ ولا اناة المتلكئ
فاقام من الاشياء اودها ونهج حدودها ولاءم بقدرته بين متضادها ووصل اسباب قرائنها وفرقها اجناسا

مختلفات في الحد ومدوا لاقدار والغرايز والهيات بدايا خلايق احكم صنعها وفطرها على ما اراده ابتدعها **قوله**
الى عجج واذعن خضع وذل ما الريث البطوء وكذلك الاناة والتلكي التباطؤ عن الامر والتوقف فيه والاود الاعوجاج
وبذا يا جمع بدية وهي الخلقة العجيبة **قوله** فقدر ما خلق فاحكم تقديره اشارة الى ان كل مصنوع قدره في الوجود كمي
وفق حكمته بحيث لو زاد على تلك المقدار او نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدر وتغيرت منفعته **قوله** ودبره
فالطف تدبيره ايجاده على وفق المصلحة ولطفه في ذلك تصرفه في جميع الذوات والصفات تصرفات كلية وجزئية
من غير شعور غيره بذلك **قوله** ووجهه لوجهته الى قوله الى غايته اي الهم كلا ويسره لما خلق له ولما كتب له في اللوح
المحفوظ فلم يتجاوز رسوم تلك المنزلة المعلومة اي لم يتعدها ولم يقصر دونها والا لزم التغير في علمه سبحانه
وانه محال **قوله** ولم يستصعب اذا امر المضي على ارادته اي لما امر المخلوق بالتوجه الى وجهته على وفق ارادة
الله وسابق الحكمة الالهية تكلو الى غايته لم يمكن تخلفه واستصعابه عن ذلك الامر وامره له اشارة الى توجيه
اسبابه بحسب القضاء الالهي عليه بذلك **قوله** وكيف وانما صدرت الامور عن مشيته اي وكيف يستصعب
ثم اشار الى علة عدم استصعابه وسرعة طوعه وانقياده بذكر علته وهو استناد جميع الاثار الى مشيته اذ كل اثر
فهو واجب عن مؤثره والكل منته في سلسلة الحاجة الى ارادته واجب عنها وقد علم في العلم الالهي **قوله** المنشئ
اصناف الاشياء الى قوله عجايب الامور قد سبق في الخطبة الاولى بيان ان الروية والفكر والتجربة مما يحتاج الانسان
ويحيته وان الباري سبحانه منزه عن شيء في كيفية ابداع الخلقة واما الشريك فنزه عنه ببرهان الوحدانية كما
سبقت الاشارة اليه ايضا وقريحة الغريزة قوة الفكر للعقل **قوله** فاتم خلقه واذعن لطاعته واجاب
الى دعوة تمام مخلوقاته من جهة جوده بافادتها ما ينبغي لها فان عرض لشيء منها فوت كمال فلعدم استعداده
وقبوله لذلك واذعانه ذلته في رق الحاجة والامكان وتصريف القدرة واجابته الى دعوة كونه في الوجود
عن قوله كن **قوله** لم يعترض دونه ريث المبطئ والاناة المتلكي تنزيه لفعله تعالى وامره ان يعرض في طاعة الاشياء
لشيء من هذه الكيفيات اذ كل شيء في قهره وعلى غاية من السرعة الى اجابة امره ولما كان تعالى انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون وفي قوله كن هيئة كل ما ينبغي لذلك المامور وما يعده للاجابة امره بالكون في الوجود ويجب عنه
فكيف يمكن ان يعرض له في اجابة الامر بطوء او تلكي بل يكون كلمح البصر كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر
ويحتمل ان يكون ذلك تنزيها له تعالى ان يعرض له من جهة ما هو فاعل شيء من هذه الكيفيات فان البطوء والاناة والتلكي
من عوارض الحركة التي هي من عوارض الجسم واعراضها فمن يفعل بالالة ويشتد حركته ويضعف وقد علمت تنزه
الله تعالى عن جميع **قوله** فاقام من الاشياء اودها الى قوله والهيات اقامته لاودها رفعه لاعوجاج كل
شيء باعداده لما ينبغي له وافاضته كماله ونهجه لحدودها وحدودها على الروايتين هو ايضاحه لكل شيء وجهته
وغايته وتيسيرها له وملاءمته بين متضادها كجمعه العناصر الاربعة على تضاد كيفياتها في مزاج واحد
وقد سبق بيانه ووصله لاسباب قراينها اشارة الى ان الموجودات لا تنفك عن اشياء تقترن بها من هيئة

او شكل او غريزة ونحوها واقتران الشيئين لا محالة مستلزم لاقتران اسبابهما واتصالها لاستحالة العلم الوجود
بدون اسبابه وذلك الوصل مستند الى كمال قدرته اذ هو مسبب الاسباب وقال بعض الشارحين اراد بالقراين
النفوس وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى وصله لاسبابها هدايتها الى عبادته وما هو الاولى بها ومعاشها
ومعادها وسوقها الى ذلك اذ المفهوم من قول القائل وصل الملك اسباب فلان اذا علقه عليه ووصله
وانعامه والاول اظهر **وقوله** وفرقها اجناسا مختلفات في الحدود والاقدار والغرائز والهيات لا يريد بالاجناس
والحدود ما اصطلح عليه قوم في عرفهم بل اما اختلاف بالامور المذكورة كلها او بعضها فهو يختلف الجنس لغة وحد
الشيء منتهاه وما يحيط به والاقدار المقادير والاشكال ايضا والغرائز القوى النفسانية والاخلاق
والهيات والصفات وان حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسنا فان حكمة الخالق سبحانه اقتضت
تميز بعض الموجودات عن غيرها بحدودها وحقايقها وبعضها باشكالها وهيآتها ومقاديرها وغرائزها واخلاقها
كما يقتضيه نظام الوجود واحكام الصنع وحكم الارادة الالهية **وقوله** بدايا خلايق احكم صنعها وفطرها على ما
اراد وابتدعها اي هي بدايا اي عجايب مخلوقات احكم صنعها على وفق ارادته وبالله التوفيق **ومنها في صفة
السماء** ونظم بلا تعليق رهوات فروجها ولاحم صدوع انفراجها ووشج بينها وبين ازواجها وذلل
للهابطين بامره والصاعدين باعمال خلقه حزونة معراجها وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى
اشراجها وفتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها وامسكها
من ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها
آية ممحوة من ليلها فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجهما ليميز بين الليل والنهار بهما وليعلم
عدد السنين والحساب بمقاديرهما ثم علق في جوها فلكها وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها
ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها واجراها على اذلال تسخيرها من ثبات ثابتها ومسير سائرها وهبوطها
وصعودها ونحوسها وسعودها **اقول** الرهوات جمع رهوة وهي الفرجة المتسعة والمداوة وبايدها الكه
ومكان مرتفع وناط علق والصدوع الشقوق ووشج بالتشديد اي شبك والحزونة الصعوبة والاشراج جمع شرج الفتح
وهي عرى العيبة التي تخاط وتعقد ويطلق ايضا على خروقها التي تخاط والارتتاق الالتصاق والنقاب جمع نقب
بفتح النون وهو الطريق في الجبل والدراري الكواكب المضيئة وهذا الفصل يشتمل على كيفية خلق السماء فقوله ونظم
بلا تعليق الى قوله انفراجها يقتضي بظاهره ان السماء كانت ذات فرج وصدوع وهذا على راي المتكلمين ظاهر فان
الاجسام لما كانت عندهم مركبة من الاجزاء التي لا تتجزى كانت قبل تاليفها ذات فرج وصدوع ولما على راي غيرهم
فقال يحتمل امرين احدهما انه لما كانت السموات مركبة من اجزاء وكانت بين كل مركب مباينة لولا المركب والمؤلف
استعار عليه السلام لفظ الرهوات والفرج لما يتصور من المباينة بين اجزاء السماء عند قطع النظر عن صانعها
ومركبها سبحانه ونظمه لرهوات فرجها افاضته لصورها على قوابلها حتى تمت تركيبا منتظما ملتحم الصدوع

والفرج الثاني يحتمل ان يشير بالفروج الى ما بين طباق السموات من التباين فنظره لو هوانها وملاحة صدوعها خلقها الكرامة ماسة لاخلاء بينها وتنبيه على كمال قدرة الله بقوله بلا تعليق فان الاوهام حاكمة بان السماء وما فيها في خلاء كما تعف الحجر في الهواء وذلك متشاجرتها وتعجبها لحركتها فذلك القول الى التعجب والاستعظام

وقوله ووشج بينها وبين ازواجها اراد بازواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج اي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره وقوله وذلل للهابطين بامره الى قوله انفراجها قد سبقت الاشارة الى ان الملائكة ليست اجساما كسائر الحيوان فاذن ليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود المحسوسين والانكار الباري جل قدسه عن اوهام المتوهمين في جهة اليه يصعد وعنه ينزل فاذن هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة الى اسفل للنزول المعقول من سماء الجود الالهي الى اراضي المواد القابلة للافاضات العاليه وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن ايصالها الى كل ما لها كالمتوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحي وغيره وكذلك الصاعدون باعمال الخلق هم الملائكة ايضا واما معنى الصعود بها فيعود الى كونها منقوشة في ذوات الصاعدين بها وقد لاح فيما سبق ان علمه تعالى بعلولاته البعيدة كالزمانيات والمعدومات التي من شانها ان توجد في وقت ويتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الالواح وهو ايضا مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من ارتسام النفوس الى الالواح المحفوظة فاما انفراجها الذي فيه لاخروسه لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود الى عدم حجبها ومنعها لنفوذ علوم الملائكة باعمال الخلائق وما يجري في هذا العالم وكما ان الاجسام المنصدع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو منصدع والوصول الى ما وراءه كذلك السماء لا تحجب علوم الملائكة ان تتعلق بما في هذا العالم من الحوادث تحرت مجرى المنفرج من الاجسام فاطلق عليها لفظ الانفراج ويناسبه لخروسه ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه ما لجريان علوم الملائكة المقربين في هذا العالم وقوله وناداها بعد اذ هي دخان فالتحمت عرى اشراجها وافتق بعد الارتتاق صوامت ابوابها فيه احتمالان الاول انك قد علمت فيما سبق ما معنى كون السماء من دخان فاما نداؤه لها فاشار الى امره لها بالاتيان والكون في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين واما التحامها فاعتبار تركيبها بانضمام جزوها الصوري الى جزئها القابل كالتحام طرفي العيبة بشريج عراها وافتتاق صوامت ابوابها بعد تلك الارتتاق هو جعلها اسبابا لنزول رحمته ومدبرات تنزل بواسطة حركاتها فشبه الابواب اذ هي ابواب رحمته ومفاتيح جوده الثاني ان العرب تقول لكل ما علاك فهو سماء وكل فعل هذا يحتمل ان يكون المراد بالسماء ما هو اعم من السماء المعهودة ويكون قوله وناداها اشارة الى سماء السحاب وكونها دخانا هو كونها بخارا قبل الانعقاد يشبه الدخان فاستعير له لفظه والتحام عرى اشراجها اشارة الى التحام تلك الاجزاء البخارية وانعقادها سحابا وافتتاق صوامت ابوابها هو انزال المطر منها كما قال تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر وقوله واقام رصدا من الشهب الثواقب على نقابها له معنيان احدهما ان يكون استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلق العلوم

ما وراءها من الاجسام والمجردات وقد سبق معنى الشهب واقامتها رصدا الثاني ان يكون استعار لفظ الرصد لهذه الشهب المحسوسة ورشح بذكر النقاب اذ شان الرصد والحرس حفظ الفروج والابواب ويكون سره للملائكة والحكمة فيه ان العرب كانت تعتقد ان الشياطين تصعد الى السماء فتسترق الغيب من الملائكة فتلقيه الى الكهنة والسحرة وتحوهم فلما ان حد الشرع النهي عن الكهانة ونحوها لما فيه من فساد اذهان الخلق وصرف قلوبهم عن غرض الشريعة القي اليهم ان هذه الشهب التي تنقض انما جعلت رجوما للشياطين مسترقي السمع فكل من استمع منهم رمي بشهاب منها وان المراد تحجب عنهم فلا تصل الى اليها لغرض في اذهان الخلق انقطاع مادة الكهانة ونحوها وضعف اعتقادهم فيها وكون الذي كثرها مهم التي عنها انها شياطين النفوس وقمعها وابعادها والتوفيق وقوله وامسكها ان تمور في خرق الهواء بايده وامرها ان تقف مستسلمة لامره اي حفظها بقوة عن ان تحركها الريح المحركة فيها مجيئا وذهابا وحكمة الحكمة لادامة عليها بالاستقرار انقيادا للقهر والامر الاول اشارة الى حكم القضاء والامر الثاني اشارة الى اعتبار القدرة

وقوله وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها وقمرها آية ممحوة من ليلها كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الاية وكونهما آيتين اي دلالة لهما على كمال قدرته وهو لما عليه التغير في ابصار آية النهار ومحو آية الليل وجوه منها ان ابصار آية النهار هو بقاء الشمس بحالها وتمام ضيائها في كل حال ومحو آية الليل اختلاف احوال القمر في اشراقه ومحاقه بحيث لا يبقى ليلتين على حال واحدة بل كل ليلة في منزل بزيادة او نقصان الثاني ما نقل ان ابن الكوا سال عليا عليه السلم عن اللطخة التي في وجه القمر فقال ذلك محو آية الليل الثالث عن ابن كثير ان الآيتين هما ظلمة الليل وضياء النهار والتقدير وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين فقوله فمحونا آية الليل اي لم نجعل القمر نورا من ذاته كالشمس وابصار آية النهار كون الشمس مضيئة بذاتها ومن هنا للابتداء الغاية او للبيان الجنس ويتعلق بمحوة او بجعل او يراد من آيات ليلها وقوله فاجراهما في مناقل مجراهما وقدر سيرهما في مدارج درجتهما ما نقل مجراهما ومدارج درجتهما التي يقدر سيرهما فيها هي بروجهما ومنازلهما ولنشر الى مفهومات الدرج والبروج والمنازل وهو ان الناس قسموا دور الفلك الذي تسير فيه الكواكب باثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا وقسموا كل برج ثلثين قسما وسموا كل قسم درجة وسموا تلك البروج اسماء الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدي الدلو الحوت والشمس يسير كل برج منها في شهر واحد والقمر يسير كل برج منها في ازيد من يومين وانقص من ثلثة ايام واما منازل القمر فثمانية وعشرون واسماؤها الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية الفرغ المقدم الفرغ المؤخر الرشاء والقمر يكون كل يوم في منزل منها وكل في فلك يسبحون ذلك تقدير العزيز العليم وقوله ليميز بين الليل والنهار الى قوله بمقادير هما اي بمقادير سيرهما وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وقوله ثم علق في جوها فلكها لما اشار اولا الى تركيبها اشار الى اقرارها في احيازها وهو المشار اليه بتعليق فلكها في جوها فان قلت فقد قال اولا بلا تعليق ثم قال هنا وعلق فما وجه الجمع

ملك التعليق برباني يصدق سلبه واثباته باعتبارين فالمراد بالاول انها غير معلقة بجسم آخر فوقها والثاني
انه علقها الى جوها ابتدا بقدرته ولا منافاة واراد بالفلك اسم الجنس وهو اجسامها المستديرة التي يصدق عليها
هذا الاسم قوله وناط بها زينتها من خفيات دراريها ومصابيح كواكبها كقوله تعالى وزينا السماء الدنيا بمصابيح
ورمى مسترقي السمع بثواقب شهبها كقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب وقد تقدم بيانه وانما اعاد ذكر الشهب لا
ذكرا اولا انه اقامها رصدا وذكر هنا انه جعلها رصدا اي لمسترقي السمع بها قوله واجراها على اذلال
تسخيرها كقوله تعالى والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والذلة ذلة الامكان والحاجة الى الايجاد
واما الثابت والسائر منها فالسائر هي الكواكب السبعة زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد
والقمر ويسمى الشمس والقمر بالنيرين والخمسة الباقية المتحيرة لان لكل واحد منها استقامة ثم رجوعا ثم وقوفا
ثانيا ثم عودا الى الاستقامة وليس للنيرين غير الاستقامة وباقي الكواكب التي على السما غير هذه السبعة
تسمى بالثوابت وفلكها الثامن ولكل واحد من السبعة تحرك حركة مخصوصة تخالف حركة الآخر فاما صعودها
وهبوطها فصعودها طلبها لشرفها وشرف الشمس في الدرجة التاسعة عشر من الحمل وشرف القمر في الدرجة
الثالثة من الثور وشرف زحل في الحادية والعشرين من الميزان وشرف المشتري في الخامسة عشر من السرطان
وشرف المريخ في الثامنة والعشرين من الجدي وشرف الزهرة في السابعة والعشرين من الحوت وشرف عطارد
في الخامسة عشر من السنبلة وشرف الرأس في الثالثة من الجوزا وشرف الذنب في الثالثة من القوس وبرج الشرف
كله شرف الا ان تلك الدرجات قوية فما دام الكوكب متوجها الى قوة الشرف فهو في الازدياد والصعود فاذا جاز
صار في الانتقاص والهبوط وهبوط كل كوكب يقابل شرفه وصعوده واما نحوسها وسعودها فقالوا زحل والمريخ
نحسان اكبرهما زحل والمشتري والزهرة سعدان اكبرهما المشتري وعطارد سعد مع السعود نحس مع النحوس والنيران
سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة والراس سعد والذنب والكيد نحسان
ومعنى سعودها ونحوسها كون اتصالاتها اسبابا لصلاح شي من احوال هذا العالم وفساده والله الموفق

منها في صفة الملائكة ثم خلق لاسكان سمائه وعمارة الصفيح الاعلى من ملكوته خلقا بديعا من ملائكته
فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها وبين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس
وسترات الحجب وسرادقات المجد ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الاسماع سبحات نور تردع الابصار
عن بلوغها فتقف خاسئة على حدودها وانشاهم على صور مختلفات واقدار متفاوتات اولي اجنحة تسبح جلال عزته
لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون انهم يخلقون شيئا معه مما انفرد به بل عباد مكرمون لا يسبقونه
بالقول وهم بامره يعملون جعلهم فيما هنالك اهل الامانة على وحيه وحملهم الى المرسلين ودائع امره ونهيه
وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته وامدهم بفوائد المعونة واشعر قلوبهم تواضع اخبات
السكينة وفتح لهم ابوابا ذللا الى تماجيده ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده لم تثقلهم موصرات الآثام

ولم ترتحلهم عقب الليالي والايام ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم
ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلالته
في اثناء صدورهم ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم منهم من هو في خلق الغمام الدلح وفي عظم الجبال
الشمخ وفي قترة الظلام الايهم ومنهم من قد خرقت اقدامهم تخوم الارض السفلى فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق
الهوا وتحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية قد استفرغتهم اشغال عبادته ووصلت
حقائق الايمان بينهم وبين معرفته وقطعهم الايقان به الى الوله اليه ولم تجاوز رغباتهم ما عنده الى ما عند غيره
قد ذاقوا حلاوة معرفته وشربوا بالكاس الروية من محبته وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته فحنوا بطول
الطاعة اعتدال ظهورهم ولم ينفد طول الرغبة اليه مادة تضرعهم ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم
ولم يتولهم الاعجاب فيستكثروا ما سلف منهم ولا تركت لهم استكانة الاجلال نصيبا في تعظيم حسناتهم ولم تجر الفترات
فيهم على طول دؤوبهم ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم ولا ملكتهم الاشغال
فتنقطع بهمس الجؤار اليه اصواتهم ولم تختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم ولم يثنوا الى راحة التقصير في امره رقابهم ولا تعدو
على عزيمة جدهم بلادة الغفلات ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم ويمموه
عند انقطاع الخلق الى المخلوقين برغبتهم لا يقطعون امد غاية عبادته ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته الا
الى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته لم تنقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم ولم تاسرهم الاطماع
فيؤثروا وشيك السعي على اجتهادهم ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم
شفقات وجلهم ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم ولم يفرقهم سوء التقاطع ولا تولاهم غل التحاسد
ولا تشعبتهم مصارف الريب ولا اقتسمتهم اخياف الهمم فهم اسراء ايمان لم يفكهم من ربقته زيغ ولا عدول ولا ونى
ولا فتور وليس في اطباق السماوات موضع اهاب الا وعليه ملك ساجد او ساع حافد يزدادون على طول الطاعة
بربهم علما وتزداد عزة ربهم في قلوبهم عظما **اقول** الصفيح السطح والفجاج الطريق الواسع والجو المكان المتسع
العالي والفجوة الفرجة والزجل الاصوات والسرادق الستر الذي يمد فوق البيت والرجيج الزلزلة والاضطراب
وتستك الاسماع تصم وخاسئة متحيرة منحسرة والاخبات التذلل والاستكانة وذلك سهلة والموصرات المثقلات
والعقب جمع عقبة وهي المرة من التعاقب والنوازع بالعين المعجمة الخواطر المفسدة وبالمهملة القسي والاحن جمع
احنة وهي الحقد ولاق التصق والاثناء جمع ثني وهي تضاعيف الشي والرين الغلبة والتغطية والدلح جمع دالحة
وهي الثقال والشمخ العالية وقترة الظلام سواده والايهم الذي لا يهتدى فيه والتخوم جمع تخم بفتح التاء وهو منتهى الارض
وحدودها والريح الهفافة الساكنة الطيبة والوشيجة عروق الشجر والربق جمع ربقة وهي الحلقة من الحبل والدؤوب الجد
في العمل والاسلة طرف اللسان والجؤار رفع الصوت بالدعاء ونحوه والهمس الخفي من الصوت والانتضال الرمي بالسهام
والاستهتار بالامر الولوع به والمظاهرة ووشيك السعي قريبه والنسخ الازالة والاستحواذ على الشي الاحاطة به والغلبة

عليه راحات الهم مختلفاتها وانحاء الخيفة والحفد الرعه واعلم ان هذا الفصل يشتمل على وصف الملائكة
الذين هم اشرف الموجودات الممكنة بكمال العبودية لله اذ كان في معرض تمجيده ووصف عظمته وقد سبق
ذكر انواع الملائكة واسكانهم اطباق السموات وبينا مقاصده بقدر الامكان ولنشر هاهنا الى ما يختص بهذا
الموضع من المباحث الاول ثم خلق سبحانه الى قوله من ملائكته يحتمل ان يشير بالصفيح الاعلى الى الفلك التاسع
وهو العرش لكونه اعظم الاجرام واعلاها وسكانه الملائكة المدبرون له ويحتمل ان يريد به محل عبادة الملائكة من
حضرة جلال رب العالمين وعالم الملكوت ومقعد صدق من معرفته فان خلقهم انما كان لعمارة ذلك
المحل وهو البيت المعمور بمحافل القدس وعباداتهم له ولما كانوا من اشرف الموجودات كانوا اهم الخلق البديع النظم العجيب
الثاني فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق اجوائها استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين اجزاء
الفلك من التباين لولا الملائكة الذين هم ارواح الافلاك التي بها قوام وجودها ونظام اجزائها المحفوظ بها ووجه المشابهة
ظاهر ورشح تلك الاستعارة بذكر الملء والحشو وانما الفجاج وفروجها فاشارة الى ما يعقل بين اجزائها واجوائها
المتطابقة من التباين لولا الناظم لها بوجود الملائكة فيكون حشو تلك الفرج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودها
وجعلها معمورة الثالث وبين فجوات تلك الفروج الى قوله المجد استعار لفظ الزجل لكمال عباداتهم لربهم كما ان كمال عبادة
الرجل في رفع صوته بالتضرع والتسبيح والتهليل وكذلك استعار لفظ الحظاير لمنازل الملائكة من عالم الغيب
ومقامات عباداتهم وظاهر كونها حظاير القدس لطهارتها وبراءتها عن نجاسات الجهل والنفس الامارة بالسوء
وكذلك استعار لفظ سترات الحجب والسرادقات لما نبهنا عليه من حجب النور التي حجبت بها عن الاذهان
او لتجردهم عن المواد والاوضاع المحسوسة ووجه المشابهة كونهم محجبين بذلك عن رؤية الابصار والاوهام
وظاهر كون تلك الحجب سرادقات المجد لكمال ذواتهم وشرفهم بها على من دون تلك الحجب الرابع ووراء ذلك
الرجيج الذي تستك الى قوله حدودها استعار لفظ الرجيج لعبادات الملائكة كما استعار لفظ الزجل ورشح
استعارة الرجيج بقوله تستك منه الاسماع وكنى به عن كمال عباداتهم ويحتمل ان يشير بذلك الزجل والرجيج الى
ما تسمعه الانبياء من اصوات الملائكة كما علمت كيفيته في سماع الوحي وبيناه في المقدمة واشار بسبحات النور التي ردعها
ذلك الرجيج الى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه ان تصل ابصار البصاير وبه يكون ذلك وراء رجيجهم الى ان معارفهم
لا تتعلق به كما هو بل وراء علومهم وعباداتهم اطوار اخرى من جلاله لم تقصر معارفهم عنها وردع ابصار
البصاير عن ادراكها فترجع حسيرة متحيرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الادراك الخامس انشاهم على
صور مختلفات الى قوله عزته اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم في الحقايق وتفاوت اقدارهم تفاوت مراتبهم في
الكمال والقرب منه ولفظ الاجنحة مستعار للقوى التي بها حصلوا على المعارف الالهية وتفاوتها بالزيادة
والنقصان كما قال تعالى اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع كناية عن تفاوت ادراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي
له ولذلك جعل الاجنحة هي التي تسبح جلال عزته فان علمهم بجلاله منزه عما لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب

٢٠٦

جلال عزته السادس ولا ينحلون الى قوله يعلمون اي لا ينسبون بعض مصنوعاته الى قدرهم وان كانوا وسايط
فيها ولا يدعون انهم يقدرون على شيء منها الا باقداره لهم لا غلبتهم انهم وسايط في افاضة الجود على مستحقيه
وما يحصل لهم وسايطيه بل انفرد بذاته في ابداعه فلا يدعون القدرة عليه اصلا وذلك لكمال معارفهم باقدارهم
ونسبتهم الى باريهم وقد اكرمهم الله تعالى بالتقديس عن النفوس الامارة بالسوء التي هي مبدأ مخالفة امره والخروج
عن طاعته السابع جعلهم فيما هنالك الى قوله ونهيه اي في مقاماتهم من حضرة قدسه وقد سبقت الاشارة
الى ذلك في الخطبة الاولى الثامن وعصمهم الى قوله مرضاته منشأ الشكوك والشبهات والزيغ عن سبيل
الله هو معارضة النفس الامارة للعقل وجذبها له الى طرق الباطل والملائكة مبرؤن عنها فكانوا معصومين
ممنوعين مما هو داع اليه وبابه من الزيغ والانحراف عن قصد الله وامدادهم بفوائد المعونة زيادتهم في كمالاتهم
على غيرهم ومدام ذلك بدوام وجوده التاسع واشعر قلوبهم تواضع اخبات السكينة استعار لفظ التواضع
اخبات السكينة استعار لفظ التواضع والاستكانة لكمالهم من الاعتراف بذل الحاجة والامكان الى جوده ولا
تحت عظمته اي جعل ذلك الاعتراف شعارا لازما لذواتهم او من الشعور وهو الادراك العاشر وفتح لهم ابوابا
ذللا الى تماجيده الابواب المذلل وجوه معارفهم الالهية التي بها يمجدونه حق تمجيده وهي ابوابهم وسبلهم التي
تنزيهه وتعظيمه وظاهر كونها سهلة لحصولها لهم ليس اكتسابا من طرق توعرت بتراكم الشكوك والشبهات
ومنازعات الاوهام والخيالات كما عليه علومنا الحادي عشر ونصب لهم منارا واضحة على اعلام توحيده فقيل
استعار المنار الواضحة للوسايط من الملائكة المقربين منهم وبين الحق سبحانه اذ اخباره عن الملائكة السماوية ولفظ
الاعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة ووجه المشابهة ان المنارة الاعلام
كما تكون وسايط في العلم المطلوب كذلك الملائكة المقربون والمعارف الحاصلة بواسطتهم تكون وسايط في
الوصول الى المطلوب الاول بحلك الكل عز سلطانه الثاني عشر لم تثقلهم موصرات الآثام لما لم تكن النفوس
الامارة بالسوء موجودة لهم استلزم عدمها نفي آثارها عنهم من الآثام والشرور الثالث عشر ولم ترتحلهم عقب الليالي
والايام اي لم يستلزم تعاقب الزمان رحيلهم عن الوجود وذلك لتجردهم وبراءة المجردات عن لحوق الزمان والتغيرات
الحادثة بسببه الرابع عشر ولم ترم الشكوك بنوازعها عزيمة ايمانهم ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم
عزيمة ايمانهم ما لزم ذواتهم من التصديق بمبدعهم وما ينبغي له ومعاقد يقينهم اعتقاداتهم اليقينية واعتراك
الشكوك والظنون منشاؤه الاوهام والخيالات وعلوم الملائكة المجردين مبراة عنها ولفظ الرمي مستعار
لانبعاث النفوس الامارة بالسوء والقائها الخواطر الفاسدة الى النفس المطمئنة ومن ذوي النوازع بالعين
المهملة فهو ترشيح للاستعارة وكذلك استعار لفظ الاعتراك لاختلاط الظنون والاوهام على القلوب
وجولانها في النفوس ووجه المشابهة ظاهر الخامس عشر ولا قدحت قادحة الاحن فيما بينهم اي لم تثر بينهم الاحقاد
شيئا من الشرور كما تثير النار قادحها لبراءتهم عن قوى الغضب والشهوة السادس عشر ولا سلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته

حصول

فيما يرجع الى قولهم صدورهم لكانت الحيرة تردد العقل في اي الامرين اولى الطلب والاختيار وكان منشأ ذلك هو معارضات
الوهم والخيال للعقل فحيث لا وهم ولا خيال فلا حيرة تنحا الطامعار فيهم وتزايد خطفته من صدورهم والحسية كناية
عن استشعار عظمته ولفظ الصدور مستعار لذواتهم **السابع عشر** ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم
وقد مر تفسير الوسوسة وفاعل الطمع ههنا اما مضمر على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي
اهل الوساوس وهم الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس وهم ~~الشياطين او يكون الفاعل هو الوساوس~~ اسناد
الطمع اليه مجازا كقوله تعالى واخرجت الارض اثقالها ورينها غلبة الشكوك اللازمة عنها على وجوه عقولهم
وابصار ذواتهم التي بها نظرت الى وجه ربهم واستغناؤها عنهم لانتفاء اسبابها وهي نفوس الامارة **الثامن عشر** منهم
من هو في خلق الغمام الى قوله الابهم هذا التقسيم يعود الى جنس الملائكة فاما الاوصاف السابقة فكانت خاصة
بسكان السموات منهم وقد وردت الشريعة بان في الغمام ملائكة تسبح الله وتقدسه وكذلك في الجبال والاماكن
المظلمة وهم من الملائكة الارضية وقد علمت ما قيل فيها في الخطبة الاولى **التاسع عشر** ومنهم من خرقت اقدامهم
تخوم الارض السفلى الى قوله المتناهية يشبه ان يكون هذا القسم من الملائكة السماوية ايضا واستعار لفظ الاقدام
لعلومهم المحيطة باقطار الارض السفلى ونهاياتها ووجه المشابهة كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة
الى نهايته كما ان الاقدام تقطع الطريق وتصل الى الغاية منها وشبهها بالرايات البيض النافذة في مخارق الهواء
من وجهين احدهما في البياض فان البياض لما استلزم الصفاء عن الكدر والسواد كذلك علومهم صافية من
من كدورات الباطل وظلمات الشبه الثاني في نفوذها في اجزاء المعلوم كما تنفذ الرايات في الهواء واشار بالريح التي
تحبس الاقدام على حيث انتهت من الحدود الى حكمة الله التي اعطت كل ما يستحقه وقصرت كل موجود على حده
وبهفوفها الى لطف تصرفها وجريانها في المصنوعات **العشرون** قد استفرغتهم اشغال عبادته الى قوله
وشيجة خيفته اي لم يجعل لهم فراغا لغيرها وقد علمت ان تحريك الملائكة السماوية للاجرام الافلاك الجارية لها
مجرى الابدان بحركة ارادية شوقية للتشبه بالملائكة المتوسطة بينها وبين الحق سبحانه في كمال عبادتهم لهم وتلك
الحركات الدائمة الواجبة مستفرغة لهم عن الاشتغال بغيرها كما قال يسبحون الليل والنهار لا يفترون ووصل حقائق
الايمان تصديقهم الحق بوجوده عن شاهد وجودهم وظاهر كونه سببا للارادة معرفته التامة والدوام عليها واو
ايرادنا في قولهم من الكمال بها الى الفعل فان التصديق بوجود الشيء الواجب تحصيله اقوى الاسباب الباعثة
على طلبه فصار الايمان والتصديق الحق اليقين بوجوده وسيلة جامعة بينهم وبين معرفته والاستكمال
بها وقاطعا لهم الى الوله اليه والعشق لعوشات الرغبات على ما عنده دون غيره ولما استعار لفظ الذوق لعقولهم
ولفظ الشرب لما يكن في ذواتهم من عشقه وكمال محبته رشح الاستعارة الاولى بذكر الحلاوة كنى بها عن كمال
ما يجدونه من اللذة بمعرفته كالمتذوق الحلاوة بها والثانية بذكر الكاس الروية اذ من كمال الشرب ان يكون بكاس
روية اي من شانها ان تروي وكنى بها عن كمال معارفهم التي ليست الى غيرهم وكذلك رشح استعارة لفظ الغصو

بعد رسوخ يقينها انه كان من كمال تمكن العوارض القلبية كالمحبة والخوف ان يبلغ الى سويدائه واشار بوشيجة خيفته
الى العلاقة المتمكنة من ذواتهم لخيفته وهي كمال علمهم بعظمته ولفظ الحنية مستعار كما سبق لانقهارهم في ذل
الامكان عند اعتبار عزه وقهره **الحادي والعشرون** فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم تجوز بانحناء الظهور
في كمال خضوعهم في عبادتهم وهو اطلاق لاسم المسبب على السبب **الثاني والعشرون** ولم ينفد طول الرغبة اليه
مادة تضرعهم لما كان من شان احدنا اذا رغب في امر الى بعض الملوك وفزع فيه اليه بالتضرع والخدمة
ان ينقطع تضرعه بانقطاع مادته ومادته اما دواعي نفسه الى الطلب وميولها وانقطاعها اما باستيلاء الملال
على نفسه وضعفها عن حمل المشقة او مطلوبه وقصوره لامكان نيله او انقطاعه اما باياسه منه او باعطائه
اياه وكانت مادة تضرعهم وعبادتهم لله تعالى على التقديرين بريئة عن القواطع اما من ذواتهم فلان الملال
والملال من عوارض المركبات العنصرية واما مطلوبهم فلانه كمال معرفة الله بعد تصورهم لعظمة تلك المطلوب
وعلمت ان درجات الوصول الى غير متناهية لاجرم سلب عنهم في معرض مدحهم انقطاع مادة تضرعهم
ليستلزم ذلك سلب انقطاع تضرعهم وعبادتهم له **الثالث والعشرون** ولا اطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم
لما كان من قرب من السلطان مثلا من شانه ان يقوى نفسه ويخف هيبته منه وكان ذلك لتناهي ملك
ملوك الدنيا وكونه مكتسبا لهم وتصور المتقرب اليهم مثليته لهم وامكان وصوله الى ما وصلوا اليه
وكان سلطان الله لا يتناهى عظمة وعزة وعرفانا لم يتصور من العارف المتقرب اليه ان يخف هيبته او ينقص خشوعه
وعبادته بل كلما ازداد عظمة في نفسه اذ كان يجد في سلوكه عظمة الله بقدر عرفانه بحكمه عز من لا
من منازل المعرفة علم عظمة خالقه فكلما عظمت عنده بذلك علم نقصان ذاته فكثر خشوعه وصدق خضوعه
واستعار لفظ الربق لما حصلوا فيه من الخشوع **الرابع والعشرون** ولم يتولهم الاعجاب الى قوله حسناتهم
اي لم يستول عليهم والاعجاب هو استعظام الانسان نفسه عما يتصور انه فضيلة له ومنشأ ذلك
الحكم هو النفس الامارة فيتوهم الانسان ان تلك الفضيلة حصلت له عن استحقاق وجب له بسعيه
وكده مع قطع النظر عن واهب النعم ومفيضها والملائكة السماوية مبرؤن عن الاوهام واحكامها
غرقى في الوله اليه ودوام مطالعة الائه والاستكانة تحت جلال عزته فلا يستكثرون ما سلف منهم
من عبادة ولا يستعظمون ما صدر عنهم من خير **الخامس والعشرون** ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم قد ثبت
ان الملائكة السماوية دائمة التحريك لاجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يلحقها ويفترها اعياء وتعب وبيان
ذلك بالبرهان اصول ممهدة في مواضعها واما بالقرآن فلقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقد سبق **السادس والعشرون** ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربهم الخالفة عن الشيء العدول عنه وقد سبق
ان رغبات الملائكة السماوية واشواقها الى كمالاتها دائمة ثابتة فكانت لذلك دائمة الرجاء لما هو واهبها
ولفظ الغيض مستعار كما سبق **السابع والعشرون** ولم تجف لطول المناجاة اسلات السنتهم طول مناجاتهم

يره الى توجيه وجوههم دايما اليه واستعار لفظ الالسنة ورشح بذكر الاسلات ملاحظة للتشبيه
باحدتا في مناجاته وكنى بعدم جفاف السنتهم عن عدم فتورهم وعدم لحوق الاعيا والكلال لهم وظاهر انه
لا السنة لحاية لهم فلا جفاف **الثامن والعشرون** ولا ملكهم الى قوله اصواتهم اي لم تضعفهم العبادة فتنقطع
اصواتهم وتضعف بحكى التضرع اليه وهو تنزيه لهم عن الاحوال البشرية والعوارض البدنية من الضعف
والاعيا وكلال الاعضاء عند كثرة الاشغال وقوتها وقدمر ان الملائكة السماوية لا يجوز عليها شي من
تلك العوارض واستعار لفظ الاصوات كما استعار لفظ الالسنة **التاسع والعشرون** ولم يختلف في مقاوم
الطاعة مناكبهم الى قوله رقابهم استعار لفظ المقادم من ريش الطاير وهي عشر في كل جناح لما سبق وجوه
من طاعة الله وكان اهم عبادة له كمعرفته والتوجه اليه ولفظ المناكب وهي اربع ريشات بعد المقادم في كل جناح
لذواتهم ووجه المشابهة ان المناكب تالية المقادم وعلى نظامها وترتيبها لا يخالف صفها ونسقها كذلك
الملائكة لا تختلف ذواتهم واجرامها في نسق ما امر من عبادة ربهم ومعرفته بل صافون لا يخالف بعضهم بعضا
في استقامة طريقهم اليه ولا يخرجون عن نظام ترتبه لهم في التوجه اليه كما اشار اليه في الخطبة الاولى وصافون
لا يزايلون وكذلك استعار لفظ الرقاب ولفظ الثني اي لم ينثنوا الى الراحة من تعب العبادة فيقصروا في امره
والمقصود نفي الاحوال البشرية عنهم من التعب والراحة لكونهما من توابع هذه الابدان **الثلثون** لا تعدوا على
قوله الشهوات قد عرفت معنى الغفلة فيما سبق والبلادة هي طرف التفريط من فضيلة الذكاء وكلاهما
من عوارض هذا البدن وبواسطته وكذلك الشهوات والملائكة السماوية بريئة عنها فلم يجز ان على
قصودهم اللاتوجه اليه غفلة ولا بلادة حتى يكون ذلك سببا لاعراضهم عن التوجه فيه ولم يجز ان ترمي الشهوات
همهم بسهام خدايعها ولفظ الانتضال مستعار لورود جواذب الشهوة على النفس الناطقة مع كونها موذية
لها ومردية في قرار الجحيم **الحادي والثلثون** قد اتخذوا الى قوله برغبتهم اشار بقوله فانهم الى حال حاجتهم في الاستكمال
الى جوده وان كان ذلك دايما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون وكذلك الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوق
الى حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون وانما يتحقق قصدهم لبرغبتهم اشار بقوله
ما فهم الى حال حاجتهم في الاستكمال الى جوده وان كان ذلك دايما فهو ذخرهم الذي اليه يرجعون وكذلك
الاشارة بقوله عند انقطاع الخلق الى المخلوقين الى حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه
فيما يحتاجون وانما يتحقق قصدهم لبرغبتهم حال الحاجة ايضا فانه انما يكون ذخيرة لهم لرجوعهم اليه فيما يحتاجون
وانما يتحقق قصدهم له برغبتهم حال الحاجة اليه **الثاني والثلثون** لا يقطعون الى قوله ومخافته لما كانت غاية عبادته
هو الوصول الى كمال معرفته وكانت درجات المعارف الالهية غير متناهية لم يكن قطعهم لتلك الغاية ممكنا ولما
كانوا غرقى في محبته عالمين بكمال عزته وان ما يرجونه من تمام جوده اشرف المطالب وارفع المكاسب وما يخشى
من انقطاع جوده وزوال حرمانه اعظم المهالك والمعاطب لا جرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في رهق الحاجة

بطرائه

علمته

اليه والفزع من حرمانه وكان ذلك الرجا والخوف هو مادة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجعون اليها
من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها **الثالث والثلثون** لم ينقطع اسباب الشفقة منهم فينوا في جدهم الشفقة
الاسم من الاشفاق اي لم تنقطع اسباب خوفهم لدوام اسبابه من حاجتهم الى القيام في الوجود الى الاستكمال
بجوده فان الحاجة الضرورية الى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضاه ويوجب الاقبال على
الاستعداد لجوده بلزوم طاعته وحاجتهم اليه دايمة فجدهم في عبادته دايم فالتواني فيه مفقود **الرابع والثلثون**
ولم ياسرهم الى قوله اجتهادهم سلب لبعض اوصاف البشر عنهم فان كثيرا من العابدين قد يصير فيهم عن الاجتهاد في
طاعة الله بسبب ما يظهر لهم من كمالات الدنيا وزينتها فيؤثرون ما قرب من السعي في تحصيله على ما ابتعد منه
من تحصيل السعادة الاخروية الباقية وقد عرفت ان ذلك من جواذب الشهوات والغفلة عن ما وراء هذه الدار
والملائكة مبرؤون عن الشهوات وما يلزمها من اسر الاطماع الكاذبة لهم ولفظ الاسر استعارة لقود الامال
الى ما يطمع فيه **الخامس والثلثون** ولم يستعظموا ما مضى من اعمالهم الى قوله رجائهم معنى هذه الشرطية
انهم لو استعظموا ذلك لكان رجاؤهم لثواب عبادتهم عظيما فكان لقوته ما حيا الاشفاق وخوفهم منه
وهذا كما ان الانسان اذا اعمل لبعض الملوك عملا يستعظمه فانه يري في نفسه استحقاق اتم جزائه ويجد
التطاول به والدالة عليه فيهون ذلك ما يجده من خوفه وكلما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده
في قربه من الملك قوة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته لكن الملائكة خايفون ابدا كما قال تعالى
يخافون ربهم من فوقهم والملائكة من خيفته فينتج انهم لا يستعظمون سالف عبادتهم **السادس والثلثون**
ولم يختلفوا في ربهم باستحواذ الشيطان عليهم اي في اثباته واستحقاقه كمال العبادة وذلك لعدم سلطان
عليهم وهو سلب لبعض احوال البشر وكذلك قوله ولم يفرقهم الى قوله اخياف الهمم تنزيه لهم عن امور من
من عوارض البشرية احدها سوء التقاطع وهو كتقاطع المتعادين وتباينهم الناشي عن الغضب والشهوة
الثاني غل الحسد وقد علمت ان الحسد رذيلة نفسانية تنبعث عن الجهل والشره ومنبعها النفس الامارة
تشعب مصارف الريب بهم والريب الشكوك والشبه ومصارفها هي الامور الباطلة التي ينصرف اذهانهم
عن الشبه او تلك الشبهة والشكوك انفسها وتشعبها لهم اقتسامها بحيث يذهب كل واحد من شبهة
الى باطل وقد علمت ان منشأ الشكوك هو الوهم والخيال والملائكة مبرؤون عن النفوس الامارة وجب تنزيههم
عن تنزيههم عن هذه الامور الثلثة الرابع لما كان معبودهم واحدا وهو غاية مطلوبهم كانت همهم فيه
واحدة فلم يلتفتوا الى شي آخر ولم تفترق فيها **السابع والثلثون** فهم اسرا الايمان الى قوله ولا فتور استعار لفظ
الاسر ورشح بذكر الربقة ونزههم عن ان يجذبهم عن الايمان احد الامور الاربعة وقد سبق وجه تنزيههم
عنها **الثامن والثلثون** وليس في اطباق السموات الى قوله عظما المراد ان السموات مملوة بالملائكة فمن ساجد او
ركوع او ساع محتفد في امره واعلم ان للسماء ملائكة مباشرة لتحريكها وملائكة اعلى رتبة من اولئك هم الامرون

لهم بالتحريك فيشبه ان يكون الاشارة بالساجدين منهم الى الآمرين والتسبيح كناية عن كمال عبادتهم كناية
بالمستعار ويكون الاشارة بالساعين المسرعين الى المتولين للتحريك فما ازدادتهم بطول الطاعة علما بربهم ولعل ما
ان حركاتهم انما هي شوقية للتشبه بما هو اعلى منهم رتبة في كمال المعارف الالهية وظهور ما في قوتهم القوة
الى الفعل وزيادة عزة ربهم عندهم عظما بحسب زيادتهم معرفتهم له تابعة كما نبهنا عليه قبل وبالله التوفيق
منها في صفة الارض ودحوها كبس الارض على مور امواج مستفحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم اواذي امواجها بحار
وتصطفق متقاذفات اثباجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماح الماء المتلاطم لثقل على الماء
حملها وسكن هيج ارتمائه اذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا اذ تمعكت عليه بكواهلها فاصبح بعد اصطخاب
امواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل منقادا اسيرا وسكنت الارض مدحوة في لجة تياره وردت
من نخوة بأوه واعتلائه وشموخ انفه وسمو غلوائه وكعمته على كظة جريته فهمد بعد نزقاته ولبد بعد زيفان
وثباته فلما سكن هيج الماء من تحت اكنافها وحمل شواهق الجبال البذخ على اكتافها فجر ينابيع العيون من عرانين
انوفها وفرقها في سهوب بيدها واخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب
الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع اديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها
وركوبها اعناق سهول الارضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها واعد الهواء متنسما لساكنها واخرج اليها
اهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون عن روابيها ولا تجد جداول الانهار
ذريعة الى بلوغها حتى انشأ لها ناشئة سحاب تحيي مواتها وتستخرج نباتها الف غمامها بعد افتراق لمعه وتباين
قزعه حتى اذا تمخضت لجة المزن فيه والتمع برقه في كففه ولم ينم وميضه في كنهور ربابه ومتراكم سحابه ارسله سحا متداركا فيه
قد اسف هيدبه تمريه الجنوب درر اهاضيبه ودفع شآبيبه فلما القت السحاب برك بوانيها وبعاع ما استقلت
به من العبء المحمول عليها اخرج من هوامد الارض النبات ومن زعر الجبال الاعشاب فهي تبهج بزينة
رياضها وتزدهي بما البسته من ريط ازاهيرها وحلية ما سمطت به من ناضر انوارها وجعل ذلك بلاغا
للانام ورزقا للانعام وخرق الفجاج في آفاقها واقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد ارضه وانفذ
امره اختار آدم عليه السلم خيرة من خلقه وجعله اول جبلته واسكنه جنته وارغد فيها اكله واوعز اليه فيما نهاه عنه
واعلمه ان في الاقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته فاقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه
فاهبطه بعد التوبة ليعمر ارضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يؤكد
عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على السن الخيرة من انبيائه ومتحملي ودائع رسالاته
قرنا فقرنا حتى تمت بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الارزاق فكثرها
وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من اراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر
والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرج افراحها

غصص

غصص اتراحها وخلق الآجال فاطالها وقصرها وقدمها واخرها ووصل بالموت اسبابها وجعله خالجا
لاشطانها وقاطعا لمرائر اقرانها عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد
عزيمات اليقين ومسارق ايماض الجفون وما ضمنته اكنان القلوب وغيابات الغيوب وما اصغت لاستراقه
مصائخ الاسماع ومصائف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهات وهمس الاقدام ومنفسح الثمرة
من ولائج غلف الاكمام ومنقمع الوحوش من غيران الجبال واوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الاشجار والحيتها ومغرز
الاوراق من الافنان ومحط الامشاج من مسارب الاصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودرور
قطر السحاب في متراكمها وما تسفي الاعاصير بذيولها وتعفو الامطار بسيولها وعوم نبات الارض
في كثبان الرمال ومستقر ذوات الاجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير
الاوكار وما اوعبته الاصداف وحضنت عليه امواج البحار وما غشيته سدفة ليل او ذر عليه
شارق نهار وما اعتقبت عليه اطباق الدياجير وسبحات النور واثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع
تعرم كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهماهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة او ساقط
ورقة او قرارة نطفة او نقاعة دم ومضغة او ناشئة خلق وسلالة لم يلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته
في حفظ ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الامور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة
بل نفذهم علمه واحصاهم عده ووسعهم عدله وغمرهم فضله مع تقصيرهم عن كنه ما هو اهله
اللهم انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير ان تؤمل فخير مأمول وان ترج فاكرم مرجو اللهم وقد بسطت
لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سواك ولا اوجهه الى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت
بلساني عن مدائح الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين اللهم ولكل مثن على من اثنى عليه مثوبة من جزاء
وعارفة من عطاء وقد رجوتك دليلا على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة اللهم وهذا مقام
من افردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقا لهذه المحامد والممادح غيرك وبي فاقة اليك لا يجبر مسكنتها
الا فضلك ولا ينعش من خلتها الا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك واغننا عن مد الايدي
الى سواك انك على كل شيء قدير اقول كبسها اغاصها في الماء بقوة والمور التردد في الحركة ومستفحلة
صائلة والتلاطم التراد والاواذي جمع آذي وهو ما عظم من موج البحر والاصطفاق التراد ايضا
والاثباج جمع ثبج وهو معظمها وعواليها وجماح الفرس اذا غلب صاحبه ولم يملكه والارتماء التقاذف والتراد
والكلكل الصدر والمستخذي الخاضع والتمعك التمرغ واصطخابها اصطخاب امواجه غلبتها واصواتها والساجي الساكن
والحكمة ما احاط من اللجام بحنك الدابة والدحو البسط والبأو الزهو والنخوة الكبر والترفع والبأو والفخر وشموخ انفه
كبره والغلواء تجاوز الحد وكعمته سددت فاه والكظة شدة البطنة وهمد سكن وخمد والنزق الخفة والطيش ولبد
لصق بالارض ساكنا والزيفان التبختر والبذخ العالية والعرنين اعلى الانف عند ملتقى الحاجبين والسهوب

جمع سهب وهو الفلاة الواسعة والبيد جمع بيداء وهي الفلاة ايضا والاخدود الشق في الارض والجلة
الصخور والشناخيب رؤس الجبال والشم العالية والصخور الصخرة الصلبة وادمها سطحها وتغلغل دخول
في اعماقها والتسرب الدخول في السرب والجوبة الفرجة في الارض وجراثيم الارض اعاليها وما اجتمع منها
والارض جرز لانبات بها لانقطاع الماء عنها والروابي عوالي الارض والقزع قطع السحاب الرقيقة الواحدة
قزعة والكفة بالضم ما استطال من السحاب وما استدار فبالكسر والوميض اللمعان والكنهور العظيم
من السحاب والرباب الغمام الابيض والثج الصب واسف دنا من الارض لثقله وهيدبه ما تهدب
منه الى الارض اى تدلى وتمريه تستخرج ما فيه من الماء والدرر جمع درة بالكسر وهي كثرة اللبن وسيلانه
والاهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضب وهو حلبات القطر بعد القطر والشآبيب جمع شؤبوب
وهو الرشقة القوية من المطر والبرك الصدر والبواني ما يلي الصدر من الاضلاع وبعاع السحاب
ثقله بالمطر والعب الثقل وجبلة زعراء لانبت بها وزهي تكبر والريط جمع ريطة وهي الازاهير النيرة
وسمطت زينت بالسمط وهو العقد ومن روى شمطت بالشين المعجمة اراد خلطت والهدل الحلقة واغرابه
بكذا اقدم اليه به والعقابيل بقايا المرض والترح الحزن والفاقة الفقر والخلج الجذب والاسناد
جمع سطن وهي الجبال والمرابي ايضا الجبال اللطيفة العقل والنجاث المسارة والرجم بالظن القول عنه والغيابة
ظلمة قعر البئر ومصانع الاسماع خروقها والاصاخة التسمع والولائج المداخل والاكمام جمع كم بالكسر وهو غلاف
الطلع والنقع محل الاجتماع وهو الارتداع ولحى الشجر قشرها والافنان الاغصان والامشاج الخلطة المختلطة
بالدم والشفوا الجو وشناخيب الجبال رؤسها وذراها اعاليها والتغريد ترديد صوت الطائر والدياجير
جمع ديجور وهو الظلام والسدفة الظلمة وذر الشارق طلع ورجع الكلمة جوابها والنجاعة نفع وجمع منها الدم
واعتو بحاطت به والعارفة المعروف والخلة الفقر والفتة الهضمة من عشرة واعلم ان هذا الفصل
يشتمل على فصول **الفصل الاول** في تمجيد الله تعالى باعتبار خلقه للارض في الماء وجملة من احوالها وهي
الى قرارها بطرقها وفيه ابحاث **البحث الاول** في الاستعارات والتشبيهات وابحاث لفظية **الاول**
استعارة لفظ الكبس لحلقة لها غايصا معظمها في الماء كما يغوص بعض الزق المنفوخ ونحوه بالاعتماد
عليه **الثاني** استعارة لفظ الاستفحال للموج ووجه المشابهة ما اشترك فيه الموج والفحل من
الاضطراب والهيجان والصولة **الثالث** تشبيهه بالفحول ايضا ووجه الشبه ما يظهر على رؤس الموج عند
اضطرابه وغليانه من رغوة الزبد كما يظهر من فم الفحل عند هياجه **الرابع** استعار لفظ الجماح لحركة الماء
على غير نسق واضطراب لا يملك معه تصريفه كما يجمح الفرس **الخامس** استعار اوصاف الناقة من الكلكل و
الكاهل للارض ورشح تلك الاستعارة بالوطي والتمعك وانما خص الصدر والكاهل لقربهما وكنى بالجموع
من لحاقها بالناقة **السادس** استعار لفظ الاستخذاء والقهر ولفظ الحكمة والانقياد والاسر وكنى بها

عن لحاقه بحيوان صائل قهر كالفرس واضاف الحكمة الى الذل اضافة للسبب الى المسبب **السابع** استعار لفظ
النخوة والباو وشموخ الانف والتيه والغلو والترقي والزيفان والوثبات للماء في هيجانه واضطرابه
ملاحظة لشبهه بالانسان المتجبر التياه في حركاته المؤذنة بتكبره وزهوه **الثامن** استعار لفظ الاكتاف
للارض ووجه المشابهة كون الارض محلا لحمل ما ثقل من الجبال كما ان كتف الانسان وغيره محل لحمل الاثقال
التاسع استعار لفظ العرنين والانف لاعالي رؤس الجبال عن كناية عن لحاقها بالانسان **العاشر**
كنى بالتغلغل والتسرب عما يتوهم من نفوذ الجبال في الارض وغوصها فيها واستعار لفظ الخياشيم للسلك
الاسراب الموهوم وللمجعل للجبال انوفا جعل لتلك الاسراب المتوهم فيها للجبال اسمها خياشيم **الحادي عشر**
استعار لفظ الركوب للجبال والاعناق للارض كناية عن لحاقها بالقاهر والمقهور **الثاني عشر** استعار
لفظ الوجدان والذريعة للجداول كناية عن لحاقها بالانسان عديم الوسيلة الى مطلوبه **الثالث عشر** الضمير في
في تغلغلها وركوبها للجبال والضمير في خياشيمها يعود الى الارض وباقي الضماير ظاهرة **الرابع عشر** تجوز في اسناد
لفظ الاحياء والاستخراج الى السحاب اذ المخرج هو الله تعالى **الخامس عشر** كنى بعدم النوم عن عدم اخفاء وميض
البرق في السحاب كناية بالمستعار **السادس عشر** استعار لفظ الهدب لقطرات المطر المتصل يتلو بعضها
بعضا ملاحظة لشبهها بالخيوط المتدلية **السابع عشر** استعار لفظ الدرر والاهاضيب وهي الحلبات للغمام
كناية عن لحاقها بالناقة **الثامن عشر** اسند المري الى الجنوب مجازا ولان لها سببية ما في نزول الغيث وانما
خص الجنوب لانها في اكثر البلاد حارة رطبة اما الحرارة فلانها تأتي من الجهة المتسخنة بمقاربة الشمس
واما الرطوبة فلان البحار اكثرها جنوبية والشمس تفعل فيها بقوة وتثير عنها الابخرة فتخالط الرياح واذا كان
كذلك كانت الجنوب اولى بالذكر من وجهين احدهما انها اكثر استصحابا للابخرة فلذلك كان السحاب انها
اكثر انعقادا معها ومصاحبة لها **الثاني** لحرارتها تفتح المسام ولرطوبتها ترخي فكان درور المطر عنها اكثر
التاسع عشر استعار لفظ البرك والبواني للسحاب واسند اليه الالقاء كناية عن لحاقه بالجمل الذي يلقى ثقله ملاحظة
لحمل ويبرك بصدره الى الارض **العشرون** نسب الابتهاج والازدهاء واللبس الى الارض ذات الازاهير مجازا ملاحظة
لشبهها بالمرأة المتبجحة بما عليها من فاخر الملبوس وجميل الثياب **البحث الثاني** ان مقتضى الكلام انه تعالى
خلق الماء قبل الارض ثم دحاها فيه وسكن بها استفحال امواجه وهذا ما يشهد به البرهان العقلي فان الماء
لما كان حاويا لاكثر الارض كان سطحه الباطن المماس لسطحها الظاهر مكانا لها وظاهر ان المكان متقدم
باعتبار ما على المتمكن فيه وان كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على خلق الارض تقدما زمانيا كما هو المقبول
عند السامعين **البحث الثالث** انه اشير الى كونها مدحوة في القرآن الكريم ايضا والارض بعد ذلك دحاها مع
ان الارض كرة كما ثبت بيانه في علم الهيئة فلابد من التأويل وقد نبهنا عليه في قوله اللهم داحي المدحوات وقد روي
في الخبر ان الارض دحيت من تحت الكعبة قال بعض العارفين الاشارة بالكعبة الى الكعبة وجود واجب الوجود

التي هي مقصد وجوه المخلصين التي جعلت هذه الكعبة في عالم الشهادة مثالا لها ودحوها من تحتها
عبارة عن وجودها عن وجودها عن ذلك المبدا **البحث الرابع** الاشارة الى خلق الجبال فيها وكونها سببا
لسكونها وللناس في تكوين ما تكون من الجبال فيها وجوه احدها انه قد تكون عن بحار زالت مياهها الثاني
قد تكون عن زلزلة فصلت قطعة على ناحية فارتفعت **الثالث** قد تكون عن رياح جمعت بهبوبها ترابا
فتراكم وعلا **الرابع** قد يكون لعمارات تراكمت مخربة فاما كونها اسبابا لسكون الارض فقد سبقت الاشارة
اليه في الخطبة الاولى واعلم ان البرهان مطابق على الشهادة بسكونها كما اشير اليه في مظانه **البحث الخامس**
في تفجير ينابيع العيون في الجبال وغيرها وقد اشار العلماء الى اسبابه فقالوا ان الادخنة والابخرة ما يحدث
منها تحت الارض وفيه ثقب وفرج فيها هواء او بخار ومياه فقد تبرد الابخرة والهواء فيصير ماء فان قوة
ومدد تفجر عيونا ويجري على الولاء لعدم مدخل الهواء بين الخارج وما يتصل به وتبعه وما لا مدد له من العيون
ركد وما له مدد الا ان اجزاء متبددة والارض واهية لا تحتاج الى مقاومة تحصل منه القنوات وما اليه ايضا
سبيل ما له مدد لكنه لم يجد سبيلا الى احد الجوانب لعدم رخاوة الارض فحفر القنوات وانما خص الجبال بتفجير
العيون منها لان العيون اكثر ما تتفجر من الجبال والاماكن المرتفعة وذلك لشدة احتقان الابخرة تحتها بالنسبة الى
سائر الاماكن الهابطة الرخوة فان الارض اذا كانت رخوة نفضت البخار عنها فلا يكاد يجتمع منه قدر يعتد به
ولان هذا التخصيص ادل على حكمة الصانع وعنايته في الخلق وهو في معرض تمجيده وتعديد الائه **البحث
السادس** انه اعد الهواء لساكنها واعلم انه سبحانه كما جعل الهواء عنصر الابدان الحيوان وارواحه البدنية
كذلك جعله مددا يصل الى الارواح ويكون علة لصلاحها وبقائها بالتعديل ويكون بفعلين احدهما الترويح
والثاني التنقية اما الترويح فهو تعديل مزاج الروح الحار اذا افرط بالاحتقان في الاكثر فان الهواء الذي يحيط
بنا ابرد بكثير من ذلك المزاج فاذا وصل اليه باستنشاق الرئة ومن مسام منافس النبض وصدمه وحاله
منعه عن الاستحالة الى النارية الاحتقانية المودية الى سوء مزاج يزول به عن الاستعداد لقبول التاثير
النفساني الذي هو سبب الحياة واما التنقية فهي باستصحابه عند رد النفس لما سلمته اليه القوة المميزة
من البخار الدخاني الذي نسبته الى الروح نسبة الخلط الفضلي الى البدن فكان التعديل هو بورود الهواء
على الروح عند الاستنشاق فالتنقية بصدوره عنه عند رد النفس وذلك ان الهواء المستنشق انما يحتاج
اليه في تعديل اول وروده لكونه باردا بالفعل فاذا استحال الى كيفية الروح بالتسخين لطول مكثه بطلت
فائدته فاستغني عنه واحتيج الى هواء جديد يدخل ويقوم مقامه فدعت الضرورة الى اخراجه لاخلاء المكان
لمعاقبه ولينفع معه فضول جوهر الروح فهذا معنى قوله عليه السلم واعد الهواء مستنشقا لساكنها واعتبار اعداده
لمنفعة الحيوان اعم مما ذكرنا فانه ايضا معدل لسائر الامزجة المعدنية والنباتية والحيوانية التي يحتاج الانسان في
بقائه اليها وكونه عنصر الها ومعتبرا في بقائها وعند ملاحظة هذه المنافع عن الهواء يظهر اثر نعمة الله

به **البحث السابع** في اخراجه تعالى اهل الارض اليها بعد تمام مرافقها كما قال تعالى والارض مددناها والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين والاشارة باهلها
المخرجين اليها الى الحيوان مطلقا واعلم ان ارتفاقهم بها ان جعلها قرارا لهم صالحا للسكنى عليها كما قال تعالى
الذي جعل لكم الارض فراشا ولكونها فراشا شرايط **احدها** ان تكون ساكنة ليصح الاستقرار عليها والتصرف
فيها بحسب الاختيار وموافقة المصلحة دون كونها متحركة **الثاني** ان تكون خارجة من الماء وذلك ان الانسان وغيره
من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء فاقتضت عناية الخالق سبحانه بالحيوان ان ابرز بعضها من
الماء ليعيش فيه ويتصرف عليه **الثالث** ان لا تكون في غاية الصلابة كالحجر والا لكان النوم والمشي عليها مولما
وايضا لم يكن لينبت فيها انواع النبات والاشجار وايضا لكانت تسخن كثيرا في الصيف وتبرد كثيرا في
الشتاء فما كانت تصلح لسكنى الحيوان وكان يتعذر حفرها وتركيب بعضها ببعض **الرابع** ان لا تكون في
غاية الرخاوة كالماء وغيره من المايعات التي يغوص فيها الانسان **الرابع** انه سبحانه لم يخلقها في غاية الشفافة
واللطافة فانها ان كانت مع ذلك جسما سيالا كالهواء لم يتمكن من الاستقرار عليه وان كانت جسما ثابتا
صقيلا براقا احترق الحيوان وما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس عليها كما يحترق القطن اذا قرب من المرايا
المحاذية للشمس والبلور لكنه خلقها غبراء ليستقر النور على وجهها فيحصل فيها نوع من السخونة وخلقها كثيفة
لئلا تنعكس الاشعة منها على ما فيها فتحرقه فصارت معتدلة في الحر والبرد تصلح ان تكون فراشا ومسكنا للحيوان
المنفعة الثانية خلق الجبال فيها وتفجيرها بالماء كما سبقت الاشارة **المنفعة** الثالثة ما تولد فيها
من المعادن والنبات والحيوان وفي انواع كل من هذه الموجودات واختلاف اصنافه والوانه وروايحه
وطعومه ولينه وصلابته وملاسته وخشونته ما لا يحصى من المنافع التي يحتاج اليها الانسان في بقائه
وصلاح حاله **المنفعة** الرابعة كونها اصلا لبدن الانسان وذلك ان الماء لرقته ورطوبته لا يحفظ
الشكل والتصوير فاذا خلط بالتراب حصل القوام واستمسك وحصل قبول الاشكال والتخطيط كما قال
تعالى اني خالق بشرا من طين ~~المنفعة الخامسة قبولها للحياة بعد الموت كما قال تعالى اني خالق بشرا من~~
المنفعة الخامسة قبولها للحياة بعد الموت كما قال تعالى وآية لهم الارض الميتة احييناها **البحث الثامن**
في تمجيده تعالى باعتبار انشائه السحاب والبرق والمطر ووجه الحكمة فيه وفي اصله وفي حياة الارض به اما وجه
الحكمة في انشائه فكونه مادة لما نبت في الارض الجرز مما هو قوام بدن الحيوان وغذاء له كما اشار اليه عليه السلم بقوله
ثم لم يدع جرز الارض التي تقصر مياه العيون والانهار عنها ولا تجد جداول الارض ذريعة الى بلوغها الى قوله
وجعل ذلك بلاغا للانام ورزقا للانعام ونحوه قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا
تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون **البحث التاسع** في تمجيده باعتبار تعريفه للفجاج في افاقها اي الطرق
الواسعة في نواحيها كما قال تعالى وجعل لكم فيها فجاجا سبلا لعلكم تهتدون ثم باعتبار اقامته المنار للسالكين

فيها والاشارة بالمنار اما الى النجوم كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون او الى الجبال الفصل الثاني في تمجيده تعالى
باعتبار خلقه لآدم واختياره له واتمام نعمته عليه ومقابلته بالعصيان ومقابلة عصيانه بقبول توبته واهباطه
الى الارض واكرام ذريته بعده ببعثة الانبياء منهم واليهم وتقسيمه بينهم معيشتهم وآجالهم بالقلة والكثرة
وابتلاء سلمهم بذلك وهو من قوله فلما مهد ارضه وانفذ امره الى قوله قاطعا مرائر اقرانها واعلم ان الكلام في قصة
آدم ع قد سبق في الخطبة الاولى مستوفى فلا نعيده غير ان في هذا الكلام فوايد الفائدة الاولى معنى قوله مهد ارضه
اي جعلها مهادا كقوله تعالى الم نجعل الارض مهادا او جعلها مهدا كقوله تعالى جعل لكم الارض مهدا
وعلى التقدير الاول اراد انه لما خلقها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة وساير
جهات النفع وانفذ امره في خلق آدم خلقه بعد ذلك وعلى التقدير الثاني يكون لفظ المهد استعارة
لها ملاحظة لتشبيهها بمهد الصبي في كونه محل الراحة والنوم الفائدة الثانية قوله وانفذ امره اي في ايجاد مخلوقاته
واتمامها الحكم على العالم بالتمام باختيار نوع الانسان الذي هو تمام دايرة الوجود فقال لذلك فكان الفائدة الثالثة
قوله خيرة من خلقه نصب على الحال ويحتمل النصب على المصدر وشاهد كونه خيرة الله من خلقه قوله تعالى
ان الله اصطفى آدم وقوله ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا وبيان هذا التكريم من وجهين احدهما قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله ان انواع
كرامات الله في حق البشر غير متناهية كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال اما
التفصيل فمن وجوه الاول انه سبحانه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية كما قال تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه الثاني انه يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا الثالث
انه يمطر على المجتهدين مطر الهداية كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا الرابع انه يمطر
على الشاكرين مطر الزيادة كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الخامس انه يمطر على المتذكرين مطر البصيرة كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون الثاني ان التكريم لآدم وذريته
اما باحوال داخلة في الانسان او خارجة عنه والداخلة فيه اما بدنية او غيرها اما البدنية التي اكرم بها
فامور الاول الصورة الحسنة كما قال تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني حسن القامة والتعديل كما قال تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وذلك ان الشيء كلما كان اكثر علوا وارتفاعا كان اشرف في نوعه فان
احسن الاشجار اعلاها امتدادا الثالث انه اكرمه بتمكينه من القيام والقعود والاستلقاء والانبطاح
والاضطجاع وذلك انه تعالى ركب الخلق على اصناف اربعة احدها ما يشبه القايمين كالاشجار
وثانيها ما يشبه الراكعين كالبهايم وثالثها ما يشبه الساجدين كالحشرات التي تدب على وجوهها وبطونها
ورابعها ما يشبه القاعدين كالجبال ثم انه سبحانه خلق الانسان قادرا على جميع هذه الاحوال كما قال تعالى الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم واما الاحوال التي اكرم بها غير بدنية فامور احدها الروح التي هي محل العلم

اشرف الموجودات وسعادتها وهو الله تعالى كما قال ونفخت فيه من روحه وشرفه باضافة روحه اليه وبهذا التشريف
تميز عن ساير الموجودات في هذا العالم الثاني العقل وشرفه من وجوه الاول روي ان الله تعالى اوحى الى داود
عليه السلم اذا رايت عاقلا فكن له خادما الثاني قول الرسول صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله العقل
قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك
اثيب وبك اعاقب واعلم ان للعقل بداية ونهاية وكلاهما يسميان عقلا اما الاول فهو القوة المهيئة للعلوم
الكلية الضرورية كما للطفل وهو المشار اليه بقول النبي عليه السلم والثاني العقل المستفاد وهو المشار اليه
بقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلم اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم
بالدرجات والزلفى عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة الثالث العلم والحكمة التي هي ثمرة العقل كما قال تعالى
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب وسماه حياة ونورا فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس واما التكرمة الخارجة عنه فامور احدها انه خلق ما سواه منفعة له فقال هو الذي خلق لكم
ما في الارض جميعا وقال لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ففرش الارض وجعل السماء سقفا
محفوظا وجعل ما اخرج من الارض رزقا له وما ارسله من السحاب من ماء مادة لذلك كما قال تعالى
وانزل من السماء ماء فاخرج من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره وسخر لكم الانهار واكرمه
بخلق الشمس والقمر والنجوم كما قال وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وقوله وجعل لكم النجوم
لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقال لتعلموا عدد السنين والحساب واكرمه بخلق الانعام فجعل منها غذاءه
وملبوسه وراحته وجماله وزينته فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها
جمال الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون الثاني روي عن امير المؤمنين عليه
السلم في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم انه قال بالدعوة الى الجنة كما قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام
الثالث انه اكرمهم بتحير قلوبهم لمعرفته والسنتهم لشهادته وابدانهم لخدمته فشرفهم بتكليفه
وبعثة الانبياء اليهم من انفسهم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم جعل آدم والانبياء من ذريته
اكرم عباده لديه فحباهم بالنبوة والرسالة كما قال تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على
العالمين ذرية بعضها من بعض ثم فضل اولي العزم منهم فقال واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل
بعضهم على بعض وهو الخليل والكليم والروح والحبيب فقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من
كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ثم فضل محمدا صلى الله
عليه وآله على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما وجعله غاية طينتهم وخاتمهم فقال ولكن رسول
الله وخاتم النبيين الفائدة الرابعة قوله وجعله اول جبلته اشارة الى ان آدم اول شخص تكون في الوجود من نوع

وبحريه

الانسان وقوله والمخاطرة بمنزلته اي عند الله وكونه مستحقا للقرب منه وقوله موافاة لسابق علمه اي الآن وقوعه في الوجود بعد عن ضابط القلم والقضاء الالهي السابق **الفائدة** الخامسة قوله فاهبطه
بعد التوبة من قال ان المراد بآدم هو نوع النفوس البشرية وقد نبهنا انه حادث او الشخص الاول منها
قال ان التوبة قبل الاهباط هي التوبة بالقوة المعلومة لله من عصاة اولاد آدم التائبين اليه قبل اهباط
نفوسهم من درجات عرفاته والفات وجوههم الى عمارة الارض والاشتغال بالحرث والنسل والا
عليهم السلام يرجعون عن المباحات الى ما هو الاولى والاهم من عبادة الله ومطالعة انوار كبريائه
ويعد من مار جعوا عنه ذنبا ورجوعهم عنه توبة كما قال النبي صلى الله عليه انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله في اليوم سبعين مرة وليس ذلك المستغفر منه الا اشتغال ذهنه بتدبير امور الارض وعمارتها
واشتغاله بذلك عن الخلوة بالله واستغراق انوار قدسه **الفائدة** السادسة قوله وليقيم الحجة به
على عباده الذي بعث آدم حجة عليهم اي اولاده الموجودون في زمانه والمنقول انه مات عن اربعين ولدا
او من لعقبه ستة منهم بعد وفاته والمنقول ان الله تعالى انزل من الاحكام تحريم الميتة والدم
ولحم الخنزير وحروف المعجم في احد وعشرين ورقة وهو اول كتاب كان في الدنيا اجرى الله عليه
الالسنة كلها **الفائدة** السابعة قوله ولم يخلهم بعد ان قبضه مما يوكد عليهم حجة ربوبيته اي ان
جهة ربوبيته قائمة عليهم في كيفية تخليقه لهم وخلق ما يستدلون عليه به من صنعه كما قال تعالى
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق الآية وغيره من الآيات وانما يكون بعثة
الانبياء موكدة لتلك الحجج مذكرة للغافلين عنها بهم ومنبهة على وجودها وموصلة بينهم وبين معرفة
ما جاءت به من الكتب المنزلة والسنن الشريفة وقوله ولغ المقطع عذره ونذره اي اعذاره الى الخلق
وانذاره لهم بلغ الغاية ومقطع كل شي غايته **الفائدة** الثامنة تقدير الله ارزاقهم وقسمها واعطاء
كل مخلوق ما كتب له في اللوح المحفوظ منها من قليل وكثير وضيق وواسع ومتيسر ومتعسر ومعاقبة الاحد
عليهم من تغيص سعة الغني بلواحق الفقر والفاقة كما قال فيما الانسان في ملكه اصبح محتاجا
الى الفلس وكذلك الحاقه السلامة في النعم بطوارق الآفات من غرق او حرق او غصب ظالم وغلب غاشم
وكذلك سعة الارزاق وفرج افراحها وتكديرها بغصص احزانها وارواحها ثم خلقه الآجال متفاوتة
بالطول والقصر والتقدم والتاخر **الفائدة** التاسعة تقديره للموت متصلا باسبابها ولما كان الاجل عبارة
عن وقت ضرورة الموت وكانت اسباب حلول تلك الاوقات هي بعض الامراض او القتل شاء الاجر مصداق
ان الموت الذي هو عبارة عن مفارقة الارواح لاجسادها متصلا بتلك الاسباب واستعار لفظ الخلج
للموت ورشح بذكر الاشطان ووجه المشابهة ما يستلزمه الموت من قرب الاجل كما يستلزمه الجاذب من قرب
من قرب المجذوب اليه فقدر الموت جاذبا للاجل بالحبال كما يجذب بها الانسان ما يريد واما كونه قاطعا

لمرام اقرانها فاستعار ايضا لفظ المرائر لاسباب العلاقة بين اقران الآجال وهم المتقاربون في الزمان
الواحد الذي يتصل بهم الاجل وتلك الاسباب كالصداقة والاخوة وساير اسباب العلاقة بين الناس
وظاهر كون الموت قاطعا لتلك المرائر **الفايدة** العاشرة انه عليه السلام جعل قسمة الله تعالى للارزاق
وتقديرها بالكثرة والقلة والضيق والسعة مقصورة ابتلاء من الله الشكر من الاغنياء والصبر من الفقراء
وقد اشار في قوله الا ان الدنيا دار لا يسلم منها الا فيها الى ان المراد بالابتلاء من الله معاملته تعالى العباد
معاملة المبتلين المختبرين لانه سبحانه عالم الخفيات والسرائر فلا يتصور في حقه الاختبار حقيقة لا
الازلي وههنا بيان اقول ان العبد اذا تمكن في خاطره ان ما يفعل الله من افاضة نعمة عليه او حرمانه لها لحكمات
ابتلاء لشكره او صبره فشكر وصبر حصل من شكره او صبره على فاضلة في نفسه ليستعد بها لمزيد الكمال النعمة
كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون واما التحقيق في امثال
هذه القسمة من ضيق رزق او سعة او طول اجل او قصره او معاقبة شدة لرخاء وحزن لفرح فهو ان لكل
واحد من هذه الامور اسباب قد يخفى على من تعرض له ولا بد من انتهائها الى قضاء الله فما عد منها
خيرا فهو داخل في الارادة الكلية للخير المطلق بالذات وما عد منها شرا فهو داخل في القضاء الالهي
بالعرض كما علمت ذلك في مظانه وبالله التوفيق **الفصل الثالث** في تمجيده سبحانه باعتبار كونه عالما
بالاشياء وعد من جزئياتها جملة هي من قوله عالم السر من ضماير المضمرين الى قوله وناشية خلق وسلالة
ولنشر الى ما عساه يشكل من الفاظه **الاول** خواطر رجم الظنون لما كان الخاطر الظني للانسان يتعلق
بمظنون لا محالة بعيدا لم يكن اشبه تعلقه به الرجم وهو الرمي بالحجر ونحوه فاستعير لفظه له واما خص الظن
بذلك دون العلم لما ان كثيرا ما يظن ما لا يجوز ظنا غير مطابق كما يظن بعض الناس ما قبح فيسوء ل
اليه ليجيبه اذى وان لم يكن صدقا فكان اشبه الاشياء برميه بالحجر المستلزم للاذاء **الثاني** عقد عزيمات
اليقين ما انعقد في النفس من العزوم عن يقين **الثالث** ومشارق ايماض الجفون لما اشبه شعاع البصر
البرق في وميضه واختفائه عند فتح الجفون وطبقها استعار لفظ الوميض لبروزه ولفظ المشارق
لمخارجه **الرابع** استعار لفظ الاكنان للقلوب بالنسبة الى ما اخفته من الاسرار ولفظ الغيابات
للغيوب ووجه المشابهة كون القلوب حافظة كالبيت وكون الظلمات مانعة من ادراك المبصرات
كما يمنع الغيب ادراك ما فيها **الخامس** مصائف الذر ومشاتي الهوام مواقيتها واسرابها الصيفية والشتوية
من بطن الارض الواقية لها حر الصيف وبرد الشتاء ورجع الحنين من المولهة وردد صوت الثكلى في بكائها
وحنينها الى من فقدته **السادس** ولائج غلف الاكمام انما حسنت الاضافة هنا لان كل كم غلاف ولا
ينعكس فجاز تخصيص العام بالاضافة الى بعض جزئياته **السابع** محط الامشاج محل نزول النطف من

الاصلاب وسائرها وهي الاوعية التي يتربب فيها المني والاخلاط التي يتولد عنها **الثامن**
وما تشتمل الاعاصير بذيولها اي ما تثيره وتذروه من التراب واستعار لفظ الذيول لما اخذ الارض منها
التاسع استعار لفظ العوم لدخول عروق النبات في نواحي الارض لملاحظة شبهها بالما
وربي بنات الارض بتقديم البا وهي الهوام التي تنشا في الرمال وتغوص فيه وتسير كالحلكة وهي دويبة
كالعظاة دون الشبر صفراء ملسا تستعملها العرب للسمنة وكنوع من الحيات وغيرها **العاشر** وتغريد ذوات
المنطق استعار لفظ المنطق للطير ووجه المشابهة ان مدلول تغريدها معلوم لله فاشبه النطق المفيد
من الانسان **الحادي عشر** ما اودعته الاصداف كاللؤلؤ والمرجان وما حضنت عليه امواج البحار من لؤلؤ
وحيوان وغيرهما لفظ الحضن مستعار للامواج ملاحظة لشبهها بالحواضن في انطباقها على البيض
والفراخ **الثاني عشر** سبحات النور ما نزه منه عن كدر الظلمة ولفظ النور مستعار لمعارف جلال الله
والضمير في قوله عليها يرجع الى الارض وقراره النطفة مستقرها من الارحام ولفظ النقاعة استعاره
لمحل دم الحيض والمضغة الولد في بعض اطوار خلقته كما عرفناه قبل وناشية الخلق ما نشا من مخلوقاته
الثالث عشر قوله لم يلحقه في ذلك كلفة الى قوله ولا فترة الكلفة كون الفعل مستلزما للفاعل نوع مشقة وذلك
المشقة اما لضعف قوة الفاعل او ضعف آلته او قصور علمه عن تصور ما يفعل والباري تعالى منزه عن
هذه الامور لاستلزامها الحاجة وكذلك العارضة من عوارض موانع العلوم ونفوذها يستلزم وجود
المقاوم والمثل وقد تنزه قدس الحق عنهما واما الملالة فالمفهوم انصراف النفس عن الفعل بسبب
تحلل الارواح الدماغية وضعفها عن العمل او لعارض آخر لها وقد علمت انهما من لواحق الاجسام وكذلك
الفترة والباري سبحانه منزه عنهما **الرابع عشر** قوله بل نفذهم علمه الى قوله وغمرهم فضله ابتدأ كل واحد من
هذه القراين الاربع مقابل للاربع التي نفاها فنفاد علمه فيهم مقابل لما نفاه من لحوق الكلفة في علمه بهم
واحصاوهم بعده مقابل الاعتراض العارضة في حفظ خلقه ووسع عدله لهم مقابل لنفي اعتوار الملالة له
في تنفيذ اموره وتدبير مخلوقاته اذ كان معنى عدله فيهم وضعه لكل موجود في مرتبته وهبته لما يستحقه
من زيادة ونقصان مضبوطا بنظام الحكمة واعتراض الملالة سبب لاختلال نظام الفعل وقوله وغمرهم
فضله مقابل لنفي الفترة فان فتور الفاعل عن الفعل مانع له عن تمة فعله وتمام جوده وقوله مع تقصيرهم
عن كنه ما هو اهله على حقارة عبادتهم في جنب عظمته واستحقاقه لما هو اهله ليدوم شكرهم وثناؤهم
ولا يستكثروا شيئا من طاعاتهم وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في تمجيده خطابا له ودعاء وطلبا لجزاء ما
سبق ما ثناه وتعديد اوصافه الجميلة وهو رضاه عنه واغناه عن غيره وفيه اشارات **الاول** قوله
انت اهل الوصف الجميل والتعداد الكثير اشارة الى انه تعالى يجب استحقاقه الوصف باشرف طرفي
النقيض كان اهل الوصف الجميل وباعتبار تعدد ثنائه وحمده بالنظر الى كل جزئي من جزئيات نعمه

من اهل التعداد الكثير **الثاني** قوله وقد بسطت لي فيما لا امدح به غيرك ولا اثني به على احد سوالك اشارة
الى اذنه في شكره والثناء عليه بالاوصاف الجميلة التي لا يستحقها حقيقة الا هو ولا ينبغي ان تطلق
الا له ومعنى هذا الاذن اما الهام حسن شكر المنعم ومدحه واذ لا منعم في الحقيقة الا هو فلا يستحق التمجيد
المطلق الا هو او مخاطبته له بايجاب الشكر كقوله تعالى واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وبالتسبيح
في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى وقوله وسبحوه بكرة واصيلا واستعار
لفظ المعادن للخلق ووجه المشابهة ان معدن الشي كما انه مظنة المطلوب منها كذلك الخلق
ارباب النعم الفانية مظان خيبة طالبها من ايديهم وحرمانها وكذلك مواضع الريبة اي الشك في
منعهم وعطائهم لها ولذلك قرره بقوله وعدلت بلساني عن مدائح الادميين والثناء على المربوبين المخلوقين
الثالث قوله دليلا نصب على الحال او المفعول له والمراد بجاية دليله على ذخاير الرحمة وجاز ان يسوق بها عنايته
الى وجوه الاستعدادات الى رحمته ويسر عليه تهيئته للالتفات اليه عن كل خاطر سواه فان كل خاطر
سوى الحق سبحانه ذنب في حق مثله عليه السلام ولفظ الذخيرة والكنوز مستعار لجوده **الرابعة** قوله هذا
مقام من افردك بالتوحيد اشارة الى مقامه بين يديه بهذا الذكر والتوحيد في خطبته وهو توطية لذكر مطلوبه
واستنزال رحمة الله ثم قال ولي فاقة اليك فذكر وجه استحقاقه لجودك او لا وقصر سد تلك الفاقة على فضله
اذ لم تكن فاقة في امر دنيوي يمكن المخلوقين الاتيان به ثم اردفه بذكر مطلوبه وهو رضا الله واغناؤه عمن سواه
والظاهر ان حصولهما مستلزم لما رجاه الله ودليله عليه من ذخاير رحمته وكنوز مغفرته وبالله العصمة والتوفيق
ومن كلام له عليه السلام لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون
امرا له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الافاق قد اغامت والمحجة قد تنكرت
واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتموني فانا كاحدكم ولعلي
اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم وانا لكم وزيرا خير مني لكم اميرا **اقول** حاصل هذا الفصل انه لابد لكل
مطلوب على امر من تعزز فيه وتمنع والحكمة في ذلك ان الطالب يكون بذلك ارغب فيما يطلب فان الطبع حريص
على ما منع سريع النفرة عما سورع الى اجابته فيه فاراد عليه السلام التمنع عليهم ليقوى رغبتهم اليه فانه لما ال
اليه هذا الامر بعد اضطراب في الدين في قتل عثمان والجراة على الدم فاحتاج في تقويم الخلق وردهم الى قواعد
الحق الى ان يزدادوا فيه رغبة بهذا الكلام ومثله فقال دعوني والتمسوا غيري الا ترى انه نبههم بعد هذا التمنع
على ان ههنا امورا صعبة مختلفة يريد ان ينكرها عليهم ويقاوم بعضهم فيها بعضا ويحملهم على الصادح
وجعل استقباله لتلك الامور الصعبة علة لاستقالته من هذا الامر فقال فانا مستقبلون امرا له وجوه والوان
لا تقوم له القلوب اي لا تصبر ولا تثبت عليه العقول بل تنكره وتاباه لمخالفته الشريعة ومضادته لنظام العالم ودلك
الامر هو ما كان يعلمه من اختلاف الناس عليه بضروب من التاويلات الفاسدة والشبهات الباطلة

كتبه معاوية الى اهل البصرة لدم عثمان وكما ولي الخوارج عليه في الرضا بالتحكيم ونحو ذلك وهو المكنى عنه بالوجوه والالوان كناية بالاستعارة وقوله وانكرت الافاق وغامت والمحجة قد تنكرت استعار لفظ الغيم لما غشي افق البلاد واقطار القلوب المتغيرة العارضة على الفساد من ظلمات الظلم والجهل ووجه المشابهة ما يلزمه هذه الظلمات من توقع نزول الشرور منها كما يتوقع نزول المطر والصواعق من الغيم واشار بالمحجة الى واضح طريق الشريعة وتنكرها جهل الناس بها وعدم سلوكهم لها **وقوله** واعلموا الى قوله عتب العاتب لما تمنع عليهم وعلم صدق رغبتهم فيه شرع في تقرير ما يريد ان يفعله تقريرا اجماليا عليهم تمنع دون الاول فاعلمهم انه على تقدير اجابتهم الى هذا الامر لا يركب بهم الا ما يعلم من امر الشريعة ولا يصغي الى قول قائل ولا الى عذل عاذل بمقتضى هواه ولا عتب عاتب عليه في انه لم يفضله او لم يرضه بما يخالف ما يعلمه من امر الشريعة اذ القائل والعاتب في ذلك مفتر على الله وعاتب عليه ولعله ومن عليه الكلام بما وعدهم به من ذلك كما سيذكره من قصة اخيه عقيل لما استماحه صاعا من بر او شعير فحمى له حديدة وقربها منه فان عقيلا فقال له ثكلتك الثواكل اتئن من حديدة احماها انسان للعبة ولا اتئن من نار اسجرها جبارها لغضبه ولفظ الركوب مستعار للاستواء على ما يعلم **وقوله** وان تركتموني الى آخره اي كنت كاحدكم في الطاعة لاميركم بل العلي الكون اطوعكم له لقوة علمه بوجوب طاعة الامام وانما قال لعلي لانه على تقدير ان تولوا احدا بحالف امر الله لا يكون لطوعيهم له اعصاهم واجمال توليتهم لمن هو كذلك قائم فاحتمال طاعته له وعدم طاعته قائم فحسن ايراد لعل والواو في قوله انا لكم وزيرا للحال لان خيرا لكم حالا والعامل فيه ما تعلق به الجار والمجرور واراد بالوزير اللغوي وهو المعين والظهير لوزر من يظاهره ويثقله وظاهر انه عليه السلام كان وزيرا للمسلمين وعضدا لهم والخيرية ههنا تعود الى سهولة الحال عليهم في امر الدنيا فانه اذا كان اميرا لهم حملهم على ما يكره طباعهم من المصابرة في الحروب والتسوية في العطايا او منعهم ما يطلبون مما فيه للشريعة ادنى منع ولا كذلك اذا كان وزيرا فان حظ الوزير ليس الا المشورة والراي الصالح والمعاضدة في الحروب وقد يخالف في رايه حيث لا يمكن من الزام العمل به وانما كان هذا المنع دون الاول لان قوله ان اجبتكم فيه اطماع لهم بالاجابة وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** اما بعد ايها الناس فانا فقأت عين الفتنة ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري بعد ان ماج غيهبها واشتد كلبها فاسألوني قبل ان تفقدوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها ومن يقتل من اهلها قتلا ومنهم من يموت منهم موتا ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الامور وحوازب الخطوب لاطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين وذلك اذا قلصت حربكم وشمرت عن ساق وضاقت الدنيا عليكم ضيقا تستطيلون ايام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم ان الفتن اذا اقبلت شبهت واذا ادبرت نبهت ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات يحمن حوم الرياح يصبن بلدا ويخطئن بلدا الا ان اخوف الفتن عندي فتنة بني امية فانها فتنة عمياء مظلمة عمت خطتها و

خصت بليتها واصاب البلاء من ابصر فيها واخطأ البلاء من عمي عنها وايم الله لتجدن بني امية لكم ارباب سوء بعدي كالناب الضروس تعذم بفيها وتخبط بيدها وتزبن برجلها وتمنع درها لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم الا نافعا لهم او غير ضائر بهم ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار احدكم منهم الا كانتصار العبد من ربه والصاحب من مستصحبه ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الاديم بمن يسومهم خسفا ويسوقهم عنفا ويسقيهم بكأس مصبرة لا يعطيهم الا السيف ولا يحلسهم الا الخوف فعند ذلك تود قريش بالدنيا وما فيها لو يرونني مقاما واحدا ولو قدر جزر جزور لاقبل منهم ما اطلب اليوم بعضه فلا يعطونيه **اقول** فقأت عينه غيرتها وماج اضطرب والغيهب الظلمة والكلب الشر والكلب داء معروف والفئة الطائفة وناعقها الداعي لها والمناخ بالضم محل البروك وحوازب الخطوب ما حزب منها اي اصاب وقلص تقبض وشبهت اشتبهت واوقعت الشبهة وحام الطائر دار والخطة الحال والامر والناب الناقة المسنة والضروس التي تعض حالبها والعذم العض وهو الكدم ايضا والزبن الدفع وشوهاء قبيحة المنظر وسامه خسفا اولاه ذلا والعنف شدة السوق ويحلسهم اي يلبسهم الحلس وهو الكساء تحت برذعة البعير والجزر القطع ومنه سميت الجزور لما ينحر من الابل ومقصود هذا الفصل التنبيه على فضيلته وشرف دقته به وعلى رذيلة بني امية بذكر فعلهم وما يكون منهم ليشتد النفار عنهم ويقوى الرغبة اليه من وجهين احدهما باخباره عما سيكون والثاني بذكر الشرور من غيره **فقوله** فانا فقأت عين الفتنة اشار الى فتنة اهل البصرة وغيرها واستعار لها لفظ العين وانما خص العين لانها اشرف عضو في الوجه وبها تصرف الشخص وحركته ورشح الاستعارة بذكر الفقاء وكنى به عن زوال فتنتهم بسيفه **وقوله** ولم يكن ليجترئ عليها احد غيري اي ان الناس كانوا لا يتجاسرون على قتال اهل القبلة ويخافون من ذلك الحرج والاثم ولا يعلمون كيفية قتالهم هل يتبعون مدبرهم وهل يجهزون على جريحهم وهل يسبى ذراريهم وتقسم اموالهم اذا بغوا ام لا حتى اقدم عليه السلام على قتالهم فعقلوا منه احكامه بعدها وسيما ذلك حرب عائشة وقد صرح عليه السلام بذلك في الفاظ اخرى فقال اما بعد فانا فقأت عين الفتنة شرقيها وغربيها ومنافقها ومارقها لم يكن ليجترئ عليها غيري ولو لم اكن لما قوتل اصحاب الجمل ولا اهل صفين ولا اصحاب النهر ويحتمل ان يكون المراد فقأت عين اهل الفتنة بحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ويكون فقأه لعيونهم كناية عن قتلهم وروي ان المتوقفين عن الحرب الاحنف بن قيس وجماعة معه وكنى بتموج غيهبها عن انتشار ظلمات الشبهة عن تلك الفتن في اذهان الناس بجهلهم ان خلاف طلحة وخروج عائشة كان حقا او باطلا وكان ذلك سببا لاضطرابهم وقتالهم وقتلهم وكذلك كنى باشتداد كلبها عن شدة ما وقع منها من الشرور وكلب اهلها وحرصهم على القتل والقتال كناية بالمستعار في الموضعين **وقوله** فاسألوني الى قوله ومن يموت موتا تعرض للمسألة عما سيكون ولم يجر على ذلك احد غيره من بين ساير الصحابة والتابعين ولو ادعى غيره ذلك

واقام المصاف بهم

بكن

لكذبه العيان وتفضحه الامتحان وروي ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم
وكان ابو حنيفة حاضرا وهو اذن غلام حدث السن فقال سلوه عن نملة سليمن كانت ذكرا ام انثى فسالوه
فانقطع فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له بم عرفت ذلك فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة ولو كان
ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والشاة وانما يميز بينهما بعلامة التانيث
فانظر الى هذا المعجب بنفسه كيف انقطع من سوال يمكن الفطن ان يجيب عنه بادنى سعي فكيف اذا سئل عن
الامور المستقبلة التي لا يستطلع لها من عالم الغيب الا من ايد بقوة الهية تكشف لنور بصيرته معها حجب
الاسرار وقد بينا فيما سبق وجه تمكنه من الاخبار عما يكون وكيفية ذلك وارد بالساعة القيمة واستعار
اوصاف الابل ورعاتها واصحابها من الناعق والقايد والسايق والمناخ والركاب والرحال للفئة المهدية
والضالة ومن يهديهم ويضلهم ملاحظة لشبههم بالابل في الاجتماع والانقياد لقايد وداعي والضير في اهلها
يعود الى الفئة **وقوله** ولو قد فقدتموني الى قوله المسولين كرائه الامور ما يكرهون منها وحوازب الخطوب ما يمسهم
من الامور العظيمة المهمة واطراق السائلين لحيرتهم في عواقب تلك الخطوب وما يكون منها وكيفية الخلاص
وفشل كثير من المسولين اي جبنوا عن رد الجواب لجهلهم بعواقبها وما يسئلون عنه منها وقوله وذلك اشارة
الى اطراق السائلين وفشل المسولين **وقوله** اذا قلصت حربكم تقلص لكرائه الامور النازلة بهم واستعار لفظ التقلص
والتشمير عن ساق الحرب ووجه الاستعارة تشبيهها بالجد في الامر الساعي فيه وكما انه اذا اراد ان يتوجه وقلص
ثيابه وشمرها عن ساقه لسلامة نحو قصده متهيئا وبيع عليه كذلك الحرب في كونها مجمعة على النزول بهم واللحوق لهم والواو
في قوله وكانت للعاطف على شمرت وموضع تستطيلون النصب على الحال **وقوله** حتى يفتح الله لبقية الابرار منكم اي
الذين يبلون من بني امية في دينهم واعمارهم ويفتح الله لهم بهلاكهم وزوال دولتهم **وقوله** ان الفتن اذا اقبلت شبهت
اي تكون في مبداها شبيهة بالحق في اذهان الخلق واذا ادبرت نبهت الاذهان على كونها فتنة بعد وقوع الهرج
والمرج بين الناس واضطراب امورهم بسببها واكثر ما يكون ذلك عند ادبارها كالفساد في الدول مثلا الذي يعرض
به عامة الخلق كونها فتنة وضلالا عن سبيل الله اكثر ما يكون في آخرها فيكون موقظا بزوالها وعلامة مبشرة به
وقوله ينكرن مقبلات ويعرفن مدبرات تفسير له اي لا يعرف في مبدا الحال كونها فتنة وتشبه بكونها حقا
ودعا هدى فاذا استعقبت عرف انها عن الحق بمعزل وان دعاتها كانوا دعاة ضلال **وقوله** يحمن حوم الرياح استعار
لها لفظ الحوم ملاحظة لشبهها في دورانها الموهوم ووقوعها عن قضاء الله من دعاة الضلال في بلد دون
بلد بالطاير والريح ولذلك شبهها بحومها وكذلك لفظ الخطا **وقوله** الا ان اخوف الفتن عندي الى آخره شروع في
تعيين ما يريد ان يخبر به وهو بعض ما تعرض للسوال عنه وانما كانت هذه الفتن اخوف الفتن لشدتها على الاسلام واهله
وكثرة بلوى اهل الدين فيها بالقتل وانواع الاذى ويكفي في عظم تلك الفتنة هتكهم حرمة رسول الله صلى الله عليه
وآله وقتل الحسين ع وذريته وهتك حرمة الاسلام بهدم الكعبة وحرقها وقتل ابن الزبير وسب علي عليه السلم

ثمانين سنة وما انتشر من البلاء وعم بتوليتهم الحجاج دماء المسلمين الى غير ذلك من منكراتهم المسطورة في التواريخ واشار
بكونها فتنة عمياء الى ذلك واستعار لفظ العمى لجريانها على غير قانون حق كالاعمى المتصرف في حركاته في غير جادة
او لكونها لا يسلك فيها سبيل الحق كالا يهتدي بالعين العمياء وكذلك لفظ المظلمة **وقوله** عمت خطتها لكونها ولاية
عامة وخصت بليتها اي اهل التقوى وشيعة علي عليه السلم ومن بقي من الصحابة والتابعين الذين اعيان
الاسلام **وقوله** واصاب البلاء من ابصر فيها واخطا من عمي عنها اي من اهتدى لكونها فتنة كان فيها في
بلاء من نفسه ومنهم امام نفسه يحتمل الحزن الطويل من مشاهدة المنكر واما منهم فلان المتقي العالم بكونهم ائمة
ضلال يخرف عنهم وغير داخل في تصرفهم الباطل وكان من شانهم تتبع من هذه حاله بالاذى والقتل وكان
البلاء به اخص واما من لم يهتد لكونها فتنة بل كان في عمى الجهل عنها فهو منقاد لدعوتهم الباطلة مناسب
رايات ضلالهم جار على وفق اوامرهم فكان سالما من بلاءهم ثم اردف ذلك بالقسم البر ليجدنهم الناس ارباب سوء
لهم وشبههم في افعالهم المضرة لهم بالناب الضروس لحالبها واشار الى وجه الشبه باوصاف فكدمها وعضها
وخبطها بيديها وزبنها برجلها ومنعها درها اشارة الى جميع حركاتها المؤذية الردية وهي تشبه حركاتهم
في الخلق بالاذى والقتل ومنع الرفد والاستحقاق من بيت المال ثم اردف ذلك بذكر غاية من حركاتهم الشريرة
وبلاءهم الناس احدا هما انهم لا يتركون من الاذى والقتل الا احد رجلين اما نافع لهم سالك مسلكهم او من
لا يضرهم بانكار منكر عليهم ولا يجاوزونه على دولتهم من ساير العوام والسوقة الثانية انه لا يكون انتصارهم منهم الا
مثل انتصار العبد من سيده والصاحب ممن استصحبه اي كما لا يمكن العبدان ينتصر من سيده والتابع المستصحب
الذي من شانه الضعف وعدم الاستقلال بنفسه ممن يستصحبه كذلك لا يمكن بقية هولاء ان ينتصروا
من بني امية اصلا ويحتمل ان يريد هنالك ما يشبه الانتصار من الغيبة ونحوها كما قال عليه السلم في موضع آخر
ويكون نصرة احدكم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه ثم اردف ذلك بذكر فتنتهم
وانها تطرا على فتن فوق واحدة تاتي شابيب وقطعا كقطع الليل المظلم ومن روى فتنهم بلفظ الجمع فاراد
جزئيات شرورهم في دولتهم واستعار لفظ الشوها لقبحها عقلا وشرعا ووجه المشابهة كونها منفورا عنها
كما ان قبيح المنظر كذلك وكذلك استعار لفظ القطع لورودها عليهم دفعات كقطع الخيل المقبلة في الغارة
والحرب واشار بكونها جاهلية الى كونها على غير قانون عدلي كما ان حركات اهل الجاهلية كانت كذلك
ولذلك قال ليس فيها منار هدى ولا علم يرى اي ليس فيها امام عدل ولا قانون حق يقتدى به **وقوله**
نحن اهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعاة اي انا ناجون من آثامها والدخول فيها والدعوة الى مثلها
وليس المراد انا سالمون من اذاهم غير داعين فيها الى الحق لشهادة دعوة الحسين عليه السلم الى نفسه وقتله وقتل اولاده
وهتك ذريته ويحتمل ان يريد انا بمنجاة من آثامها ولسنا فيها بدعاة مطلقا والحسين عليه السلم لم يكن داعيا
منبعثا من نفسه للدعوة وانما كان مدعوا الى القيام من اهل الكوفة ومجيبا لهم **وقوله** ثم يفرجها الله كتفريج الاديم

الى قوله الا الخوف اشارة الى زوال دولتهم بظهور بني العباس عليهم وقتلهم واستيصالهم وقمعهم لا آثارهم وحصول
الفرج منهم لعقبه الابرار من عباد الله المقصودين باذاهم كما تفرح الجملة اي لشيء ما فيه ولقد اذاقهم بنو العباس
من الذل والهوان واذاقوهم كاس العذاب طعوم ما تخلقه واذيقهم غيان الموت الوان شتى كما هو مذكور في كتب التاريخ
ولفظ الكاس والتصبير والعطية مستعار وكذلك لفظ التحلس ووجه المشابهة جعلهم الخوف شعارا لهم كما ان حلس
البعير كذلك **وقوله** حتى تود قريش الى آخره اشارة الى غاية هذه الفرقة المتغلبة من قريش على هذا الامر اي ان حالهم في
التزلزل والضعف عن محاربتهم تنتهي الى ان يجبوا رؤيته مقاما واحدا مع اشد البغض للخلق اليهم ليقبل منهم
حينئذ ما يطلب اليوم بعضه من نصرتهم لو اتباعهم لامره وانقيادهم لهداه فيمنعونه اياه وكنى عن قصر ذلك المقام
المتمني ليعقد او زمان جزر الجزور وصدقه عليه السلم في هذا الخبر ظاهر فان ارباب السير نقلوا ان مروان بن محمد
اخر ملوك بني امية قال يوم الزاب حين شاهد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس مارا في صف خراسان
لوددت ان علي بن ابي طالب تحت هذه الرايات بدلا من هذا الفتى والقصة مشهورة والله الموفق **ومن خطبة له عليه السلم**
فتبارك الذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن الاول الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي **اقول** تبارك قيل
مشتق من البروك المستلزم للمقام في موضع واحد والثبات فيه وقيل من البركة وهو الزيادة وبالاعتبار الاول يكون
اشارة الى عظمته باعتبار دوام بقائه واستحقاقه تقدم الوجود لذاته وبقاء وجوده لا عن استفتاح ولا الى انقطاع
وبالاعتبار الثاني اشارة الى فضله واحسانه ولطفه وهدايته ووجوه الثناء عليه **وقوله** الذي لا يبلغه بعد الهمم
ولا يناله حدس الفطن كقوله في صدر الخطبة الاولى الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن الا انه ابدل الغوص هنا
بالحدس والحدس في اللغة الظن وفي اصطلاح العلماء لما كان الفكر عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادي
~~ثم منها الى المطالب كان الحدس عبارة عن حركة الذهن منتقلا من المطالب الى المبادي ثم منها الى المطالب كان الحدس~~
عبارة عن حركة هذه الحركة الى اقتناص الحد الاوسط من غير طلب وتجشم كلفة وهو مقول بحسب التشكيك وهو جميع اقسام
وباعلى رتبه قاصر عن تناول ذات الحق تعالى كما سبق **وقوله** الاول الى آخره تقدم تفسير اوليته وآخريته عز وجل والله
الموفق **منها** قوله فاستودعهم في افضل مستودع واقرهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصلاب الى مطهرات الارحام
كلما مضى سلف قام منهم بدين الله خلف حتى افضت كرامة الله سبحانه الى محمد صلى الله عليه وآله فاخرجه من افضل
المعادن منبتا واعز الارومات مغرسا من الشجرة التي صدع منها انبياءه وانتجب منها امناءه عترته خير العتر واسرته
خير الاسر وشجرته خير الشجر نبتت في حرم وبسقت في كرم لها فروع طوال وثمر لا ينال فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى
سراج لمع ضوؤه وشهاب سطع نوره وزند برق لمعه سيرته القصد وسنته الرشد وكلامه الفصل وحكمه العدل
ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل وغباوة من الامم اعلموا رحمكم الله على اعلام بينة فالطريق نهج يدعو
الى دار السلام وانتم في دار مستعتب على مهل وفراغ والصحف منشورة والاقلام جارية والابدان صحيحة والالسن مطلقة
والتوبة مسموعة والاعمال ~~والاعمال~~ مقبولة **اقول** النسخ النقل وافضت انتهت والارومة الاصل والصدع

الشق وعترة الرجل نسله ورهطه الادنون واسرته قومه وبسقت طالت والزند العود الاعلى يقدح به والنهج الواضح
وقوله فاستودعهم الى قوله خلف اشارة الى الانبياء عليهم السلم القائمون بدين الله واعلم ان الدين الله واحد وحرث
جميع الانبياء السالكين لخلق اياه وله اصول وفروع فاصله الطرق الى معرفته والاستكمال بها وجماع مكارم
الاخلاق ونظام امر الخلق في معاشهم ومعادهم وهذه الامور هي المراد من الشرع وهو اصل لا يختلف فيه نبي نبيا
فلما اختلاف الواقعة في الشرايع فهي امور جزئية بحسب مصالح جزئية ~~بحسب مصالح جزئية~~ تتعلق بوقت
الرسول المعين وحال الخلق المرسل اليهم يوقع عليها ذلك الاصل ويكون كالمخصصات له والعوارض التي تلحق بما الطبيعة
الواحدة النوعية وافضل مستودع استودعهم فيه حظاير قدسه ومنازل ملائكته وهو خير مستقر اقرهم فيه
ومحل كرامته في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتناسخ الاصلاب لهم الى مطهرات الارحام نقلهم اليها نطفا
وكرائم الاصلاب ما كرم منها وحق للاصلاب سمحت بمثلهم ان توصف بالكرم ومطهرات الارحام ما طهر
منها وحق لما استعد منها لانتاج مثل هذه الامرجة وقبولها ان يكون طاهرة من كدر الفساد والشيعة يطهرون
اصول الانبياء من طرف الاباء والامهات عن الشرك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله نقلنا من الاصلاب
الطاهرة الى الارحام الزكية ويحتمل ان يريد بافضل مستودع وخير مستقر في مبداهم اصلاب الاباء وارحام الامهات
ويكون قوله تناسختهم تفسير الهم وبيانا **وقوله** كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف اشارة الى ضرورة
وجود الانبياء عند الحاجة اليهم على التعاقب وقد سبقت الاشارة اليه **وقوله** حتى افضت كرامة الله الى محمد صلى الله عليه
وآله الى قوله امناءه الى غاية سلسلة الانبياء وكنى بكرامة الله عن النبوة واستعار لفظ المعدن والمنبت والمغرس
لطينة النبوة وهي مادته القريبة التي استعدت لقبول مثله ووجه الاستعارة ان تلك المادة منشا لمثله كما ان
الارض معدن الجواهر ومغرس الشجر الطيب وظاهر ان اصلابهم بتلك افضل المعادن واعز الاصول وقيل اراد بلده
مكة شرفها الله وقبليته وقبيلته ثم ميزه بما هو اخص واشرف فقال من الشجرة التي صدع منها انبياءه فاستعار له
لفظ الشجرة لصنف الانبياء وكما ان الشجرة اشرف من طبيعتها كذلك صنف الانبياء اشرف من نوع صورهم ووجه
الاستعارة هو ما كنى بالانصداع عنه من تفرع اشخاص الانبياء عن صنفهم كما يتفرع اغصان الشجرة منها وامناءه
اي على رسالته **وقوله** عترته خير العتر واسرته خير الاسر اما العترة لما عرفت انها اخص واقرب من الاسرة ومصداق
افضلية عترته قوله صلى الله عليه وآله سادة اهل المحشر سادة اهل الدنيا انا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر
ووجه افضلية اسرته قوله صلى الله عليه وآله ان الله اصطفى من العرب معدا واصطفى من معد بني النضر كنانة
واصطفى هاشما من بني النضر واصطفاني من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله قال لي جبريل قلبت الارض
شرقا وغربا فلم اجد فيها اكرم منك ولا بيتا اكرم من بني هاشم وقوله صلى الله عليه وآله الناس تبع لقريش برهم لبرهم وفاجرهم
لفاجرهم **وقوله** وشجرته خير الشجر قيل اراد بالشجرة في الموضعين ابرهيم عليه السلم وقيل اراد هاشما وولده بقرينة
قوله نبتت في حرم واراد مكة ورشح تلك الاستعارة بوصف الانبات والبسوق وكنى بالكرم الذي نبتت فيه عن زكاء اصله

وما استلزم من الفضل وكنى بالفروع عن مثله صلى الله عليه وذريته وسائر النجبا من بني هاشم وبوصفهم بالطول
من بلوغهم في الشرف والفضل الغاية البعيدة وهو ترشيح للاستعارة وكذلك الثمر وكنى به عن العلوم والاخلاق
المتفرعة عنه وعن ائمة امته وبكونها لا ينال عن شرفها وغموض اسرارها اى انها لشرفها وعلوها لا يمكن
ان يطاول فيها او لغموض اسرارها لا تصل الاذهان اليها وقوله فهو امام من اتقى الى قوله برق لمعه استعار لفظ البصر
والسراج والشهاب والزند له صلى الله عليه وآله ووجه الاستعارة كونه سبب هداية الخلق كما ان هذه الامور
الثلاثة كذلك ورشح استعارة السراج بلمعان الضوء والشهاب بسطوع النور والزند ببروق اللمع ويحتمل ان يكون
وجه استعارة الزند هو كونه مثيرا لانوار العلم والهداية وقوله سيرته القصد اي طريقته العدل والاستوا
على الصراط المستقيم وعدم الانحراف الى احد طرفي الافراط والتفريط وسنته الرشد اى سلوك طريق الله
عن هداية وكلامه الفصل اى الفاصل بين الحق والباطل كقوله تعالى انه لقول فصل وحكمه العدل الوسط بين
رذيلتي الظلم والانظلام وقوله ارسله على حين فترة من الرسل وهفوة من العمل اي زلة عنه وغباوة من الامم
اي جهل منهم وعدم فطنة لما ينبغي وقد سبق بيان الفترة وقوله اعملوا رحمكم الله على اعلام بينة استعار
لفظ الاعلام لائمة الدين وما بايديهم من مصابيح الهدى وكنى بكونها بينة عن وجودها وظهورها بين الخلق
وقوله والطريق نهج يدعوا الى دار السلام فالطريق الشريعة ونهجه وضوحها في زمانه عليه السلام وقرب العهد بالرسول ص
وظاهر كون الشريعة داعية الى الجنة واسناد الدعوة الى الطريق مجاز اذ الداعي قيم الطريق وواضعها وقوله وانتم في
دار مستعتب اي دار الدنيا التي يمكن ان تستعتبوا فيها اي يطلبوا رضا الله بطاعته فيرضى عنكم وعلى
مهل اي امهال وانظار وفراغ من عوائق الموت وما بعده وقوله والصحف منشورة الى آخره الواوات السبع للحال
والمراد صحائف الاعمال واقلام الحفظة على الخلق اعمالهم وفائدة التذكير بهذه الامور التنبيه على وجوب العمل معها لان بعد
انسدادها ما لا يمكن معه العمل ولا ينفع الندم من الموت وطي الصحف وجفاف الاقلام وفساد الابدان وخرس الالسنة
وعدم سماع التوبة كما قال تعالى يومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وبالله التوفيق ومن خطبة له ع
بعثه والناس ضلال في حيرة وخابطون في فتنة قد استهوتهم الاهواء واستزلتهم الكبرياء واستخفتهم الجاهلية الجهلاء
حيارى في زلزال من الامر وبلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله في النصيحة ومضى على الطريقة ودعا الى الحكمة
والموعظة اقول الفصل تقرير لفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله والواو في والناس للحال اي في حال ما هم ضالون عن
سبيل الله في حيرة من امرهم ماذا يتبعون وخابطون في فتنة اى كانت حركاتهم على غير نظام في ضلال البدع ومن روى
حاطبون فهو استعارة ووجهها كونهم يجمعون في ضلالهم وفتنتهم ما اتفق من اقوال وافعال كما يجمع الحاطب
ومنه المثل حاطب ليل لمن يجمع الغث والسمين والحق والباطل في اقواله وقوله قد استهوتهم الاهواء اى جذبتهم الاراء
الباطلة الى مهاوي الهلاك او الى انفسها واستزلتهم الكبرياء اي قادتهم الى الزلل والخطأ عن طريق العدل واقتفاء
آثار الانبياء في التواضع ونحوه واستخفتهم الجاهلية الجهلاء فطارت بهم الى ما لا ينبغي من الغارات والفساد

الى الارض فكانوا ذوي خفة وطيش ولفظ الجهلاء تاكيد للاول كما قال ليل اليل وود واد وقوله حيارى في زلزال
من الامر وبلاء من الجهل اي لا يهتدون لجهلهم الى مصالحهم فهو منشأ اضطراب امورهم وبلائهم بالغارات وقتل
بعضهم بعضا ونهبهم وقوله فبالغ الى آخره مضيه على الطريقة سلوكه لسبيل الله من غير انحراف ودعوته الى الحكمة
والموعظة الحسنة فالدعوة بالحكمة الدعوة بالبرهان وبالموعظة الدعوة بالخطابة وقد سبقت الاشارة الى
ذلك في المقدمات وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الاول فلا شيء قبله والآخر فلا شيء بعده والظاهر
فلا شيء فوقه والباطن فلا شيء دونه اقول اثبت لله سبحانه اعتبارات اربعة الاولية والآخرية والظاهرية
والباطنية واكد كل واحد منها بكماله فكمال الاولية بسلب قبلية شيء عنه وكمال الآخرية بسلب بعدية شيء له والظاهرية
بسلب فوقية شيء له والباطنية بسلب شيء دونه والمراد بالظاهر هنا العالي فلذلك حسن تاكيده بسلب فوقية
الغير له والباطن الذي بطن خفيات الامور علما وهو بهذا الاعتبار اقرب الاشياء اليها فلذلك حسن تاكيده
بسلب ما هو دونه اي ما هو اقرب اليها منه وحصلت حينئذ المقابلة بين الداني والعالي ويحتمل ان
يريد بالظاهر البين ويكون معنى قوله فلا شيء فوقه اى لا شيء يوارى وجوده ويحجبه عن معرفة خلقه به وبالباطن
الخفي ومعنى فلا شيء دونه اى في الخفاء وقد سبق بيان هذه الاعتبارات الاربعة غير مرة وبالله التوفيق
منها في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مستقره خير مستقر ومنبته اشرف منبت في معادن
الكرامة ومماهد السلامة قد صرفت نحوه افئدة الابرار وثنيت اليه ازمة الابصار دفن به الضغائن
واطفأ به النوائر الف به اخوانا وفرق به اقرانا اعز به الذلة واذل به العزة كلامه بيان وصمته لسان اقول
المماهد جمع ممهد والميم زائدة وثنيت اليه اى صرفت والضغائن الاحقاد والنوائر جمع نائرة وهي العداوة
والمخاصمة والاقران الاخوان المقترنون واشار بمستقره الى مكة وكونها خير مستقر لكونها ام القرى ومقصد
خلق الله ومحل كعبته ويحتمل ان يريد محله من جود الله وعنايته وظاهر كونه خير مستقر واستعار لفظ المنبت والمعادن
وقد مر بيان وجه استعارتهما ومماهد السلامة محال التوطية لها وهي كناية عن مكة والمدينة وما حولهما
فانها محل العبادة لله والخلوة به التي هي مهاد السلامة من عذابه وانما كانت كذلك لكونها دار التقشف
خالية عن المشتهيات والقنيات الدنيوية ويحتمل ان يريد بمماهد السلامة ما تقلب فيه ونشأ عليه من
مكارم الاخلاق الممهدة للسلامة من سخط الله وفي قوله قد صرفت نحوه افئدة الابرار تنبيه على ان الصارف
هو لطف الله وعنايته بهم بالفات قلوبهم الى محبته والاستضاءة بانوار هداه ولما استعار لفظ الازمة
للابصار ملاحظة لشبهها بمقاود الابل رشح تلك الاستعارة بذكر الثني وكنى بذلك عن التفات الخلق
بابصارهم وتلقي الرحمة الالهية منه ثم استعار لفظ الدفن لاخفاء الاحقاد بعد ان كانت ظاهرة مجاهرا بها ولفظ
الاطفاء لازالة العداوة بين العرب بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى في اظهار المنة على عباده
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا والاقران المفرق لهم هم المتالفون على الشرك

هي دعوته الى السبيل بهما اقتباسا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ع
عله

اليه

وقوله عزة الذلة اي ذلة الاسلام واهله وذل به العزة اي عزة الشرك واهله وبين كل كلمتين من هذه الست مقابلة ومطابقة فقابل بالتفريق التاليف وبالذلة الاعزاز وبالعزة الاذلال وقوله وكلامه سانكما الخلق من احكام كتاب الله كقوله تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وقوله وصمته لسان استعار لفظ اللسان لسكوته ووجه المشابهة ان سكوته صلى الله عليه وآله مستلزم البيان من وجهين احدهما انه كان يسكت عما لا ينبغي من القول ليعلم الناس السكوت عن الخوض فيما لا يعنيهم الثاني ان الصحابة كانوا اذا فعلوا فعلا على سابق عاداتهم فسكت عنهم ولم ينكره عليهم علموا بذلك انه على حكم الاباحة فكان سكوته عنهم في ذلك بيانا له وشبيه سكوته عند اللسان المعرب عن الاحكام وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام ولئن امهل الله الظالم فلن يفوت اخذه وهو له بالمرصاد على مجاز طريقه وبموضع الشجا من مساغ ريقه اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لانهم اولى بالحق منكم ولكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد اصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها واصبحت اخاف ظلم رعيتي استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا واسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرا وجهرا فلم تستجيبوا ونصحت لكم فلم تقبلوا اشهود كغياب وعبيد كارباب اتلوا عليكم الحكم فتنفرون منها واعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها واحثكم على جهاد اهل البغي فما اتي على آخر قولي حتى اراكم متفرقين ايادي سبا ترجعون الى مجالسكم وتتخادعون عن مواعظكم اقومكم غدوة وترجعون الي عشية كظهر الحية عجز المقوم واعضل المقوم ايها الشاهدة ابدانهم الغائبة عقولهم المختلفة اهواؤهم المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وانتم تعصونه وصاحب اهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله ان معوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فاخذ مني عشرة منكم واعطاني رجلا منهم يا اهل الكوفة منيت منكم بثلث واثنين صم ذوو اسماع وبكم ذوو كلام وعمي ذوو ابصار لا احرار صدق عند اللقاء ولا اخوان ثقة عند البلاء تربت ايديكم يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر والله لكاني بكم فيما اخال لو حمس الوغى وحمي الضراب قد انفرجتم عن ابن ابي طالب انفراج المراة عن قبلها اني لعلى بينة من ربي ومنهاج من نبيي واني لعلى الطريق الواضح القطه لقطا انظروا الى اهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا اثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى فان لبدوا فالبدوا وان نهضوا فانهضوا ولا تسبقوهم فتضلوا ولا تتاخروا عنهم فتهلكوا ولقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما ارى احدا يشبههم ولقد كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين جباههم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب ورجاء للثواب اقول المرصاد الطريق يرصد بها والرصد الراقب والشجا الغصص لقمة وغيرها والحث السوق الشديد واعضل اشكل والحنية القوس ومنيت ابتليت وتربت اصابت التراب دون الخير ولخال احسب والوغى الحرب واصله من الاصوات وحمس اشتد والسمت الطريق ولبد الطائر لصق بالارض فقوله ولئن امهل الله الظالم الى قوله ريقه في معرض التهديد لاهل الشام بأخذ الله لهم وعدم فوتهم وانه لهم بالمرصاد

نعمه
تفرقت من جانب ٣

على جميع حركاتهم وعلى مجاز طرقهم التي هم سالكوها ضلالة لا وعلى موضع الشجى من مساغ ريقهم وهو الحلق وكني بالشجى وكون الله بالرصد تنبيه على ان الله تعالى في مظنة ان يرى الظالم بعقوبته عند طلاوعه على ظلمه كما قال تعالى او ياخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف ثم اردف ذلك بالقسم البار ليظهرن اصحاب معوية عليهم تنفيرا لهم الى مقاومتهم ثم نفى ما عساه يتوهم انه علة غلبهم لهم كسلا يتخاذلوا بسبب ذلك وهو قوله ليس لانهم اولى بالحق منكم واردفه بتعيين السبب الحق في ذلك وهو قوله لكن لاسراعهم الى باطل صاحبهم اي امره الباطل وابطائكم عن حقي وتنفيرهم عما هم عليه من مخالفة امره بقوله ولقد اصبحت الامم الى قوله رعيتي لان شان الرعية الخوف من سلطانها فاذا كان حاله مع رعيته بالعكس كانت لله عليهم بعصيانه دون حجة لهم عليه واما التنفير فبذكرانهم في محل الظلم مثله ولقد اشفق عليه السلام منهم في مواطن كثيرة كيوم التحكيم اذ قالوا له ان لم ترض فعلنا بك كما فعلنا بعثمان ونحو ذلك ثم اردف بيان وجوه تقصيرهم ببيان ما فعل في حقهم من الايادي الجميلة والهداية الى وجوه المصالح من استنفارهم لجهاد عدوهم وحفظ بلادهم واسماعهم الدعوة الى مصالحهم سرا وجهرا ونصيحته لهم بالوجوه الصالحة من الراي وهو كقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم الى قوله استكبارا ثم شبههم بالغياب مع شهادتهم وبالارباب مع كونهم عبيدا ووجه الشبه ان الغايب في شاهد المواعظ والغايب هو عنها سماعها والانتفاع بها فاذا ليسوا كذلك فهم كالغياب عنها في عدم الانتفاع بها واما الثانية فانهم رعية من شانهم التعبد لاوامر امرائهم ثم انهم لتعززهم وشموخهم كبرا وعدم طاعتهم كالارباب الذين من شانهم ان يامروا ولا ياتمروا ثم وبخهم بنفارهم عما يتلوا عليهم من الحكم وتفرقهم عن مواعظه البالغة لهم واهل البغي اشارة الى اهل الشام وايادي سبا مثل يضرب في شدة التفرق ضربه لتفرقهم عن مجالس الذكر وهما لفظان جعلا اسما واحدا كمعدي كرب وسبا قيل هو ابو اولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان واصل المثل ان هذه القبيلة كانت بمارب فلما آن وقت انفتاح سد مارب ودلت طريفة الكاهنة ذلك الامر عرفته العمرو بن عامر الملقب مزيقيا فباع امواله بمارب وارتحل الى مكة فاصابت هولاء الحي وكانوا لا يعرفونها ففزعوا الى الكاهنة فاخبرتهم ما سيقع وقالت انه مفرق بيننا فاستشاروها في امرهم فقالت من كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد فكانت ازد عمان ثم قالت ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج ثم قالت ومن كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتاج ولبس الديباج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من ارض الشام فكان الذين يسكنونها آل جفنة من غسان ثم قالت ومن كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بارض العراق فكانت آل جذيمة الابرش ومن كان بالحيرة وآل محرق فضربت العرب بتفرقهم في البلاد هذا المثل وسار فيمن يتفرق بعد اجتماع ثم ان المخادعة هي الاستغفال عن المصلحة وقال يتخادعون اي انهم اذا رجعوا من مجلس وعظه اخذ كل منهم يستغفل صاحبه عن تذكر الموعظة ويشغله بغير ذلك من الاحاديث وان لم يكن عن قصد خداع لم يقع منهم صورة المخادعة

عن حقي اذ كانت النفرة باجتماع الكلمة وطاعة الامام لا باعتقاد حقيته او عدمه مع الخذلان عنه ثم اردف ذلك ٣

ومن كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن نمر فكانت خزاعة ثم قالت ٣
فليلحق ٣

ونحو يه لهم العقدة اصلاح احلامهم بالحكم والمواعظ ورجوعهم اليه عشية كظهر الحنية اي معوجين كظهر
القوس وهو تشبيه المعقول من اعوجاجهم وانحرافهم عن جبل الاخلاق بالمحسوس **وقوله** عجز المقوم اشارة الى
نفسه واعتراف بعجزه عن تقويمهم واعضل المقوم اي اشكل امرهم واعيى داؤه وهم علاجا ثم عاد الى نداءهم
وتنبيههم بذكر معايبهم لتنفر عقولهم عنها فوصفهم بشهادة الابدان مع غيبة العقول ثم باختلاف الاهوا
ثم بكونهم محل ابتلى بهم امراؤهم ثم نبههم على رذيلتهم من مخالفة امره مع كونه مطيعا لله وما عليه خصومهم من فضيلة
طاعتهم امامهم مع كونه عاصيا لله وجعل ذلك مقايسة بينهم ليظهر الفرق فتدركهم الغيرة ثم اردفه بتحقيرهم
وتفضيل عدوهم عليه في الباس والنجدة واستقامة الحال فاقسم انه ليود ان يصارفه معاوية بهم صرف الدينار
بالدرهم وذلك قوله يا اهل القوم الى قوله رجلا منهم ثم اردف ذلك ببيان ما ابتلى منهم واشار الى خمس خصال
وانما قال بثلث واثنتين لتناسب الثلث وكون الثنتين من نوع اخر فالثلث الصم مع كونهم ذوي اسماع
والبكم مع ذوي كلام والعمى مع كونهم ذوي ابصار وجمعه لهذه الثلث مع اضدادها هو سبب التعجب منهم
والتوبيخ لهم واراد بها عدم انتفاعهم في مصالحهم الدينية ونظام امور دولتهم بآلة السمع واللسان والعين فان
من لم تعد سمعه وبصره عبرة ومن لم يكن كلامه فيما يعنيه كان كفاقد هذه الالات في عدم الانتفاع بها بل كان
فاقدها احسن حالا منه لان وجودها اذا لم يفد منفعة اكسب مضرة ولا منها عادمها اما الثنتان فكونهم
لا احرار صدق عند اللقاء اي انهم عند اللقاء لا يصدق حربهم ولا يبقى نجدتهم من مخالطة الجبن والتخاذل والفرار
اذ الحر الخالص من شوب الرذائل والمطامع ثم كونهم غير اخوان ثقة عند البلاء اي ليسوا ممن يوثق باخوتهم في الابتلاء
بالنوازل ثم عاد الى الدعاء عليهم على وجه التضجر منهم وتشبيههم بالنعم فقوله تربت ايديكم دعاء بعدم اصابة
الخير وقوله يا اشباه الابل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب ذكر للتشبيه والمشبه به ووجه
المشبه ثم اردفه بذكر رذيلة يظنها منهم بامارات ونهى تفرقهم عنه على تقدير اشتداد الحرب وشبه انفراجهم
عنه بانفراج المراة عن قبلها ليرجعوا الى الانفة وتسليم المراة لقبلها وانفراجها عنه اما وقت الولادة او
وقت الطعان ثم عاد الى ذكر فضيلته ليثبت قلوبهم وينالفها والبينة التي هو عليها من ربه ايات الله وبراهينه
الواضحة له على وجوده والثقة بما هو عليه من سلوك سبيله وهو كقوله تعالى قل اني على بينة من ربي والمنهج
من نبيه طريقه وسنته والطريق الواضح الذي هم عليه سبيل الله وشريعة نبيه والتقاطه له لقطا تتبعه وتميزه
عن طرق الضلال بالسلوك له ثم اردف فضيلته بالامر باتباع اهل البيت ولزوم سمتهم واقتفاء اثرهم واشار الى جهة وجوب
اتباعهم بكونهم يسلكون بهم سبيل الهدى لا يخرجون عنه ولا يردونهم الى ردى الجاهلية والضلال القديم وفيه اماء الى
ان اتباع غيرهم يرد الى ذلك وقوله فان لبدوا فالبدوا اي ان سكنوا ولجوا الزوم البيوت على طلب امر الخلافة والقيام
في ذلك فان سكونهم قد يكون لمصلحة تغيب علمها عن غيرهم وان نهضوا في ذلك فانهضوا معهم ثم نهاهم عن ان
يسبقوهم فيضلوا اي ام لم يعد موكم فيضلوا متقدم الدليل شانه الضلال عن القصد وان لا يتاخروا عنهم

فيهلكوا اي لا يتاخروا عن متابعتهم في اوامرهم وافعالهم بالمخالفة لهم فيكونوا من الهالكين في تيه الجهل وعذاب
الاخرة والامامية تخص ذلك بالاثنى عشر من اهل البيت عليهم السلم **وقوله** ولقد رايت اصحاب رسول
الله صلى الله عليه واله الى اخره مدح لخواص الصحابة وذكر مكانهم من خشية الله ودينه ترغيبا في مثل تلك
الفضائل وحرك بقوله فما ارى احدا يشبههم ما عساه يدرك السامعين من الغيرة على تلك الفضائل ان يختص
بها دونهم وذكر من مدائحهم اوصافا احدها الشعث والاغبرار وهو اشارة الى تقشفهم وتركهم زينة الدنيا
ولذاتها الثاني بياتهم سجدا وقياما واشارة الى احيائهم الليل بالصلوات وهو كقوله تعالى والذين يبيتون لربهم
سجدا وقياما الثالث مراوحتهم بين جباههم وخدودهم وقد كان احدهم اذا تعبت جبهته من طول السجود
راوح بينها وبين خده الرابع وقوفهم على مثل الجمر من ذكر معادهم واشارة الى قلقهم ووجدهم من ذكر المعاد
واهوال يوم القيمة كما يقلق الواقف على الجمر مما يجده من حرارته الخامس كان بين اعينهم ركب المعزى من طول سجودهم
ووجه المشابهة ان محال سجودهم من جباههم كانت قد اسودت ومارت جلودها وقست كما ان ركب المعزى كذلك
السادس انهم كانوا اذا ذكر الله هملت اعينهم حتى تبل جيوبهم ومن ربي جباههم فذلك في حال سجودهم ممكن
ومادوا كما يميد الشجر بالريح العاصف خوفا من عقاب ربهم ورجاء لثوابه فتارة يكون ميدانهم وقلقهم
عن خوف الله وتارة يكون عن ارتياح واشتياق الى ما عنده من عظيم ثوابه وهو كقوله تعالى والذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرما الا استحلوه ولا عقدا
الا حلوه وحتى لا يبقى بيت مدر ولا وبر الا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم وحتى يقوم الباكيان باك يبكي لدينه
وباك يبكي لدنياه وحتى يكون نصرة احدكم من احدهم كنصرة العبد من سيده اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه
وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا فان اتاكم الله بعافية فاقبلوا وان ابتليتم فاصبروا
فان العاقبة للمتقين **اقول** نبا به المنزل اذا لم يوافقه والعناء التعب والاشارة في هذا الفصل الى بني امية
انهم لا يزالون ظالمين فحذف الخبر للعلم به وذكر لظلمهم غايات **احداها** انهم لا يدعون محرما الا استحلوه من اعظم
كبائر المحرمات الظلم وقتل النفس وحالهم فيهما مشهور فما ظنك بغيرهما ومعنى قوله استحلوه استعملوه كاستعمال
الحلال في عدم التحرج والتاثم به **الثانية** ان لا يدعوا عقدا الا حلوه اي من عقود الاسلام التي نظم بها
امر العالم من قوانين الشرع وضوابطه وحله كناية عن خرم تلك القواعد بمخالفتها **الثالثة** انه لا يبقى بيت مدر
ولا وبر الا دخله ظلمهم وهو كناية عن عموم عدوانهم وبغيهم على جميع الخلق من البدو والحضر ونبا به سوء رعيهم اي
اوجب سوء رعيهم لاهله نبوهم عنه **الرابعة** ان يقوم الباكيان باك يبكي لدينه وباك يبكي لدنياه **الخامسة**
وحتى يكون نصرة احدكم من احدكم كنصرة العبد من سيده ذكر المشبه والمشبه به ثم اشار الى وجه الشبه بقوله
اذا شهد اطاعه واذا غاب اغتابه **السادسة** وحتى يكون اعظمكم فيها عناء احسنكم بالله ظنا وانما كان كذلك
لان حسن الظن بالله اشد الناس عبادة منهم وتوكلا عليه فيكونون عليه اشد كلبا وله اقوى طلبا فكان منهم اكثر

كونهم

لبست

وقوله

فعيا ثم اردف ذلك بامر من الله العافية ان يقبلها وليشكر الله عليها النعمة واراد العافية من الابتلاء بشرورهم لعطل الناس
او بقائهم عدل لخلاص من لعنهم وبامر من ابتلى بهم بالصبر على ما ابتلى به و وعده على ذلك بحسن العاقبة لا انما
للتقوى والصبر كما قال تعالى والصابرين العاقبة للمتقين

هذا آخر الجلد الثاني ويتلوه
الجلد الثالث من هذا الكتاب
والحمد لله وحده

الجلد الثالث من مصابيح السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن خطبة له عليه السلام

نحمده على ما كان ونستعينه من امرنا على ما يكون ونسأله المعافاة في الاديان كما نسأله المعافاة في الابدان اوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وان لم تحبوا تركها والمبلية لاجسادكم وان كنتم تحبون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كسفر سلكوا سبيلا فكانهم قد قطعوه وامّوا علما فكانهم قد بلغوه وكم عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها وما عسى ان يكون بقاء من له يوم لا يعدوه وطالب حثيث يحدوه في الدنيا حتى يفارقها فلا تنافسوا في عز الدنيا وفخرها ولا تعجبوا بزينتها ونعيمها ولا تجزعوا من ضرائها وبؤسها الى نفاد وكل مدة فيها الى انتهاء وكل حي فيها الى فناء اوليس لكم في آثار الاولين وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر ان كنتم تعقلون اولم تروا الى الماضين منكم لا يرجعون والى الخلف الباقي لا يبقون اولستم ترون اهل الدنيا يمسون ويصبحون على احوال شتى فميت يبكى وآخر يعزى وصريع مبتلى وعائد يعود وآخر بنفسه يجود وطالب الدنيا والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وعلى اثر الماضي ما يمضي الباقي الا فاذكروا هادم اللذات ومنغص الشهوات وقاطع الامنيات عند المساورة للاعمال القبيحة واستعينوا بالله على واجب حقه وما لا يحصى من اعداد نعمه واحسانه

اقول الرفض الترك السفر المسافرون وامّوا قصدوا والعلم العلامة ويحدوه يسوقه والمساورة المواثبة فقوله نحمده الى قوله في الابدان خصص الحمد بما كان لان الشكر على النعم مترتب على وقوعها والاستعانة على ما يكون لان طلب العون انما يكون في امر هو بصدد ان يفعل ثم سأل المعافاة في الاديان كما سألها في الابدان لان لها سقما هو في الحقيقة اشد وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال الجنة قيل افلا ندعو لك طبيبا فقال الطبيب امرضني وسمعت عنترة العابدة البصرية رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الاجساد وعمى القلب عن الله اشد والمعافاة فيهما بامداد العناية الالهية ببقائها سليمة او بتداركها للذين يحتاجون الى التوبة ثم اردف ذلك بالراي الصالح والوصية الناصحة برفض الدنيا والفرغ عنها وذكر معايبا احدها تركها لهم ومن كبر المصالح ترك محبوب لا بد من مفارقته تركا باستدراج النفس واستغفالها كي لا يقع حبها مفارقته دفعة مع تمكن محبته من جوهر النفس فيبقى نزاع عن معشوقه الى موضع طلما في شوقه الثاني كونها مبلية لاجسامهم وان احبوا تجديدها وابلاؤها بالامراض والهرم ومن شان المودي ان يجتنب لا ان يحب اصلاحه ثم اردف ذلك بتمثيلهم في الكون بها فشبههم بالسفر ومثلها بسبيلهم سالكوه ومن سلك سبيله فكانهم قطعوه فالشبه هو باعتبار سرعة سيرهم وقرب الاخرة منهم وقطع منازل الاعمار والشبه ان قطع ذلك السبيل اي من سلك سبيله اشبه في سيره من قطعه ثم لما كان لا بد لكل طريق سالك من غاية تقصد فمن سلك سبيله فكانهم بلغوا تلك الغاية اي اشبهوا في قرب وصولها من بلغها وهو تخويف بالموت وما بعده وتحقير لمدة البقاء في الدنيا والمقام فيها واكد ذلك بقوله وما عسى المجري الى الغاية ان يجري اليها حتى يبلغها اي اجراه اليها بسير سريع وفي بعض النسخ وكم عسى والقدير وكم رجوا الذي يجري الى غاية من اجرائه اليها حتى يبلغها وهو استفهام في معنى التحقير لما يرجو من مدة الجري وهي مدة الحياة الدنيا ومفعول المجري محذوف والقدير المجري مركوبه ولما لم يكن الغرض الا ذكر الاجراء لا جرم حذف المفعول وقد يجيء لازما وكذلك قوله وما عسى ان يكون مقام من له يوم لا يعدوه الى قوله يفارقها اي وما يرجى ويومل ان يكون من ذلك البقاء وكان هنا تامة وهو في الموضعين استفهام على سبيل التحقير لما يرجى من البقاء في الدنيا والانكار على المومل الراجي له وعنى بالطالب الحثيث الموت واسند اليه الطلب مجازا واستعار له لفظ الحدو وقد علمت وجه هذه الاستعارة وكنى بذلك الحدو عما يوهم من سوق اسباب الموت للبدن اليه وقوله لا تنافسوا الى قوله الى فناء نهى عن اعتبار شيء من احوالها خيرها وشرها فمن خيرها عزها وفخرها وزينتها ونعيمها ونهى عن المنافسة فيه والاعجاب به واما شرها فضراؤها وشدائدها ونهى عن الجزع منها وعلل وجوب الانتهاء عما نهى عنه بانقطاع ونفاد الموجود لما كان من شانه الزوال والانقطاع فمن الواجب ان لا ينافس فيه ولا يعجب به وان عد نافعا وان لا يجزع من وجوده وان عد ضارا وقوله اوليس لكم في آثار الماضين الى قوله لا يبقون تذكرة لهم بآثار السابقين والماضين من آبائهم على سبيل الاستفهام منهم عن حصول العبرة لهم بهم استفهام انكار عليهم ان لا يستفيدوا من ذلك عبرة على تقدير انهم عقلاء كما يزعمون ذلك ثم نبههم على وجه الاعتبار وهو عدم رجوع الماضي منهم وعدم بقاء الباقي فان ذلك محل العبرة ثم نبههم على ما يرون من احوال اهل الدنيا المختلفة ليستدلوا على عدم بقائها باختلاف احوالها وعلى انها لا تصلح قرارا فاهلها بين ميت يبكى وآخر يعزى وآخر صريع مبتلى بالامراض والاسقام وآخر يعود مشغول الخاطر به وآخر في المعارضة والاحتضار والتالم من تلك الآلام وطالب للدنيا والموت من ورائه طالب له غافل عما يراد به وليس الله بغافل عنه ثم لا بد له ان يمضي على اثر من مضى وان طال بقاؤه وما في ما يمضي مصدرية وانما قدم الميت في اقسام اهل الدنيا لان ذكره اشد موعظة واستعار لفظ المحتضر ووجه المشابهة انه يسمح بنفسه ويسلمها كما يسلم الجواد ما يعطيه من ماله ثم امرهم بذكر الموت ووصفه بكونه هادما للذات الدنيوية ومنغصا لشهواتها وقاطعا للامنيات فيها وعين لهم وقت ذكره وهو عند مساورتهم الى الاعمال القبيحة ليكون ذكره زاجرا لهم عنها ثم بالرغبة الى الله في طلب معونته بجواذب عنايته وجميل لطفه على اداء واجب حقوقه التي كلفنا القيام بها بالمواظبة عليها وادائها وواجب ما لا يحصى من نعمه بدوام شكرها والاعتراف بها مواطنين بجلاله وكبريائه باعتبار كل جزئي منها وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام

الحمد لله الناشر في الخلق فضله والباسط فيهم بالجود يده نحمده في جميع اموره ونستعينه على رعاية حقوقه ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا عبده ورسوله ارسله بامره صادعا وبذكره ناطقا فادى امينا ومضى رشيدا وخلف فينا راية الحق من تقدمها مرق ومن

تخلف عنها زهق ومن لزمها لحق دليلها مكيث الكلام بطيء القيام سريع إذا قام فإذا أنتم ألنتم له رقابكم وأشرتم إليه بأصابعكم
جاءه الموت فذهب به فلبثتم بعده ما شاء الله حتى يطلع الله لكم من يجمعكم ويضم نشركم فلا تطمعوا في غير مقبل ولا
تيأسوا من مدبر فإن المدبر عسى أن تزل إحدى قائمتيه وتثبت الأخرى فترجعا حتى تثبتا جميعا ألا إن مثل آل محمد
صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم فكأنكم قد تكاملت فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون
أقول مرق خرج من الدين وزهق هلك والمكيث البطيء المتأني وخوى النجم سقط للغيب والصنيعة النعمة وهذا
الفصل يشتمل على إعلامهم بما يكون بعده من أمر الأئمة وتعليمهم ما ينبغي أن يفعل الناس معهم وتبشيرهم
بظهور إمام من آل محمد عقيب آخر ووعدهم بكمال صنائع الله فيهم بما يأملونه من ظهور إمام منتظر فقوله
الحمد لله إلى قوله حقوقه شكر لله تعالى باعتبار أمرين أحدهما نشره لفضله في خلقه الثاني بسطه فيهم الجود
بيده وإطلاق اليد مجاز لتقدسه تعالى عن الجارحة وهو من باب إطلاق اسم السبب على المسبب وظاهر كون اليد
مبدأ النعمة والنشر والبسط وإن كانا حقيقة في الأجسام إلا أنهما من الاستعارات الشائعة التي صارت حقيقة
ثم أكد ذلك الحمد بتعميمه باعتبار كل صادر عنه من رخاء وشدة إذ الشدائد لاحقة من نعمه أيضا فإنها إذا قوبلت
بصبر جميل استلزمت ثوابا جزيلا كما قال تعالى وبشر الصابرين الآية وظاهر أن أسباب النعم نعم وما حمده على
من نعمة طلب منه المعونة على رعاية واجب حقوقه واستعار لفظ الصادع للرسول ووجهها أنه شق
بأمر الله بيضة الشرك وقلوب المشركين فأخرج ما كان فيها من الكفر والجهل ونطق بذكره تعالى فأودعها
إياه فأدى ما أمر به أمينا عليه وقبضه الله إليه مرشدا له إلى الحضرة المقدسة وشارك الأبرار من سلوك محجته
وصار داعيا لخلقه أمينا ورشيدا أحوال وأشار براية الحق التي خلفها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى كتاب الله
وسنته وأشار بتقدمها والتخلف عنها إلى طرفي الإفراط والتفريط من فضيلة الاستقامة عليها أي من كان
تحتها لاحقا بها فهو على حاق الوسط من الفضائل ومن تقدمها كان على طرف الإفراط فقد تعدى في
طلب الدين وغلا فيه على جهل فمرق منه كما فعلت الخوارج ومن تخلف عنها كان على طرف التفريط المقصر
فهلك في طرق الضلال والحيرة ولفظ الراية مستعار ووجه المشابهة كون الكتاب والسنة مقصودين لمن
يهتدي بهما في سبيل الله كما أن الراية كذلك ودليلها إلى نفسه استعارة ووجهها أن الإمام مظهر
ومبين لأحكام الكتاب والسنة وما خفي منهما للسالكين إلى الله كما يرفع الراية حاملها ليتبعه ليقصده
ثم أشار إلى صفات ذلك الدليل وكنى بقوله مكيث الكلام عن رويته وتثبته في أقواله وما يشير به عليكم وبقوله
بطيء القيام عن تأنيه في حركته في وجوه المصالح وحين استنباط الرأي الأصلح ووجه المصلحة وبقوله سريع
إذا قام عن مبادرته إلى وجوه المصلحة وانتهاز الفرص ثم أخذ يذكرهم قوته وكنى بقوله ألنتم له رقابكم عن خضوعهم
له بالطاعة وانقيادهم لأمره وبقوله وأشرتم إليه بالأصابع عن اشتهاره فيهم بفضيلته وتعظيمهم له وأشار إلى أنه إذا كان كذلك
توفي به وبقوله فلبثتم بعده ما شاء الله إلى أنهم يخلون عن إمام يجمعهم مدة والإشارة إلى مدة والإشارة إلى

بني أمية وبقوله حتى يطلع الله لكم إلى قوله نشركم على أنه لا بد لهم بعد تلك المدة من شخص يجمعهم وطلوعه ظهوره
وتعيينه للرئاسة بعد اختفاء فقيل هو الإمام المنتظر وقيل هو قائم بني العباس بعد انقضاء دولة بني أمية وقوله
فلا تطمعوا في غير مقبل أي من لم يقبل على هذا الأمر فهو أهله ومتعين له وأثر تركه إلى الخلوة بالله فلا تطمعوا
فيه فإن له بالله شغلا عن كل شيء وقيل المراد بغير المقبل من انحرف عن الدين بارتكاب منكر فإنه لا يجوز
الطمع في أن يكون أميرا لكم وروي فلا تطعنوا في عين مقبل أي من أقبل عليكم من أهل البيت طالبا لهذا الأمر وهو
أهل له فكونوا معه وكنى بالطعن في عينه عن دفعه عما يريد وقوله ولا تيأسوا من مدبر إلى قوله فتثبتا جميعا أراد
أن من أدبر عن طلب الخلافة ممن هو أهل لها فلا ينبغي أن يحصل الإياس من عوده وإقباله على الطلب فلعله
إنما أدبر عن ذلك لاختلال بعض الشرائط التي يتعين عليه معها القيام وكنى عن اختلال بعض أحوال من
له ناصر ونحوه بزوال إحدى قائمتيه وبثبات الأخرى عن وجود بعض الشرائط كثبات أهليته للطلب أو بعض أنصاره
معه وبقوله فترجعا حتى تثبتا عن تكامل شرائط قيامه ولا منافاة في النهي عن الإياس هاهنا والنهي عن الطمع في غير
المقبل لجواز أن ينهى عن الطمع فيه حال إعراضه وإدباره عن الطلب لاختلال بعض شرائطه والنهي عن الإياس
منه لجواز حصول شرائط القيام فيه وتكاملها وقوله ألا إن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله إلى قوله طلع نجم يعني
الأئمة من آل محمد قالت الإمامية هم الأئمة الاثنا عشر من أهل البيت وشبههم بالنجوم ووجه التشبيه أمران أحدهما
أنهم يستضاء بأنوار هديهم في سبيل الله كما يستضيء السائر بالنجوم في سفره ويهتدي بها الثاني ما أشار
إليه بقوله كلما خوى نجم طلع نجم وهو كناية عن كونهم كلما خلا منهم سيد قام سيد والإمامية يستدلون بهذا
الكلام منه عليه السلام على أنه لا يخلو زمان من وجود قائم من أهل البيت مهتدى به في سبيل الله وقوله
فكأنكم إلى آخره إشارة إلى منة الله عليهم بظهور الإمام المنتظر وإصلاح أحوالهم بوجوده وقد جاءت له عليه السلام
في أثناء بعض خطبه في اقتصاص ما يكون بعده فصل يجري مجرى الشرح لهذا الوعد وهو أن قال يا قوم هذا
إبان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون ألا وإن من أدركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها
على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس
لا يبصر القائف أثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل أبصارهم
ويرمى بالتفسير في مسامعهم ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح

علما يقينا أن الذي يستقبل ما أنا من أرجاء جاهليتكم ليس بدون ما استقبل الرسول من أرجاء جاهليتكم وذلك
أن الأمة كلها يومئذ جاهلية إلا من رحم الله فلا تعجلوا فيعجل الخرق بكم واعلموا أن الرفق يمن وفي الأناة بقاء
وراحة والإمام أعلم بما ينكر ولعمري لينزعن عنكم قضاة السوء وليقبضن عنكم المراضين وليعزلن عنكم
أمراء الجور وليطهرن الأرض من كل غاش وليعملن فيكم بالعدل وليقومن فيكم بالقسطاس المستقيم وليتمنن
أحياؤكم لأمواتكم رجعة الكرة عما قليل فيعيشوا إذن فإن ذلك كائن فلله أنتم بأحلامكم كفوا ألسنتكم وكونوا من
وراء معائشكم فإن الحرمان سيصل إليكم وإن صبرتم واحتسبتم واستيقنتم أنه طالب وتركم ومدرك ثأركم
وآخذ بحقكم وأقسم بالله قسما حقا إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ومن خطبة له عليه السلام تشتمل على ذكر
الملاحم الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر بأوليته وجبت الأولية وبآخريته وجبت الآخرية وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة يوافق فيها السر الإعلان والقلب اللسان أيها الناس لا يجرمنكم شقاقي

ولا يستهوينكم عصياني ولا تراموا بالابصار عند ما تسمعونه مني فوالذي فلق الحبة وبرا النسمة ان الذي
انبئكم به عن النبي الامي صلى الله عليه وآله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص
براياته في ضواحي كوفان فاذا فغرت فاغرته واشتدت شكيمته وثقلت في الارض وطاته عضت الفتنة
ابناءها بانيابها وماجت الحرب بامواجها وبدا من الايام كلوحها ومن الليالي كدوحها فاذا اينع زرعه
وقام على ينعه وهدرت شقاشقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضلة واقبلن كالليل المظلم والبحر
الملتطم هذا وكم يخرق الكوفة من قاصف ويمر عليها من عاصف وعن قليل تلتف القرون بالقرون ويحصد القائم
ويحطم المحصود اقول يجرمنكم يحملنكم واستهواه اماله والضليل الكثير الضلال ونعق صاح وفحص
الطائر الارض برجله بحثها والضواحي النواحي البارزة وكوفان اسم للكوفة وفغرت فاه فتح وفاغرته شدقه
اذا كان قوي النفس ابيا والكلوح كشر في عبوس والكدح فوق الخدش واينع الزرع نضج والحطم الدق ومضمون
هذا الفصل بعد توحيد الله تحذير السامعين من عصيانه وعن التغامز بتكذيبه عما يخبرهم فيما كان يخبرهم به من
الامور المستقبلة فقوله الاول والاخر قد مضى تفسيرهما وقوله باوليته وجب الاول له لما اراد باوليته
كونه مبدا لكل شيء وباخريته كونه غاية ينتهي اليها كل شيء في جميع احوالها كان بهذا الاعتبار يجب ان لا يكون
له اول هو مبداه ولا آخر يقف عنده وينتهي وصف شهادتيه بانهما التي يوافق السر الاعلان والقلب
اللسان كناية عن خلوصهما عن شائبة النفاق والجحود بالله ثم ايها الناس وحذرهم من شقاقه وعصيانه وكلمة
فيما يقول وهو تقريع لمن ضعفت عين بصيرته عن ادراك فضله فيما يمكن الاعتبار عما سيكون من مثله ثم
ما يريد ان يخبرهم من ذلك وما اخبر الى النبي صلى الله عليه وآله ليكون ذلك شهادة لصدقه واكد ذلك
بتنزيهه صلى الله عليه وتنزيه السامع يعني نفسه عن الكذب فيما بلغ عن ربه وفيما سمع هو عنه وقد بينا كيفية
احتواء امثاله العلوم عنه في المقدمات وقوله لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام من جملة اخباراته بما سيكون
والضليل قيل انه اشارة الى السفياني الدجال وقيل انه اشارة الى معاوية فان عبد الملك بالشام ودعوته بها واما
فاراته الى نواحي الكوفة والى الانبار في حياته عليه السلام كما عرفت ذلك من قبل وكنى بفحصه براياته عن بلوغه الى الكوفة
ونواحيها كما بينا استعار ملاحظة لشبهه بالقطاة التي تفحص مفحصا وكذلك تعرف فاغرته كناية عن المحالي الناس
كناية مستعار ايضا ملاحظة لشبهه بالاسد في اقتحام فريسته واشتداد شكيمته كناية عن قوة راسه وشدة
باسه واصله ان الفرس الجموح قوي الراس يحتاج الى قوة الشكيمة وشدتها وكذلك ثقل وطاته كناية عن شدة
باسه في الارض وعلى الناس والاشبه انه اشارة الى عبد الملك وقد عرفت احواله وثقل وطاته في الارض مما سبق
واستعار لفظ العض للفتنة ووجه المشابهة ما يستلزمانه من الشدة والالم ورشح تلك الاستعارة بذكر الانياب
وابناء الفتنة اهلها وكذلك استعار لفظ الموج للحرب وكنى به عن الاضطراب الواقع فيها من الصيال والاهوال
والايام لفظ الكلوح وكنى به عن شدة ما يلقى فيها من الشر كالمتوقي من العبس المكشر وكذلك لفظ الكدوح استعار

لما يلقى فيها من المصائب الشبيهة بها ولفظ الزرع استعارة لاعماله ولفظ الايناع كناية عن بلوغه غاية افعاله
ولفظ الشقاشق والبروق استعارة لحركاته الهائلة واقواله المخوفة تشبيها بالسحاب ذي الشقاشق والبروق
وقوله عقدت رايات الفتن المعضلة اي ان هذه الفتنة اذا قامت اثارت فتنا كثيرة بعدها يكون فيها
الهرج والمرج وشبه تلك الفتن في اقبالها بالليل المظلم ووجه المشابهة كونها لا يهتدى فيها للحق كما لا يهتدى
في ظلمة الليل لما يراد وبالبحر الملتطم في عظمها وخلطها للخلق بعضهم ببعض والقلاب قوم على قوم بالمحق
في الهلاك كما يلتطم بعض امواج البحر ببعض ثم اشار الى ما يلحق الكوفة بسبب تلك الفتنة بعدها من الوقايع
والفتن وقد وقع فيها وفي اخباره وقايع جمة وفتن كثيرة كفتنة الحجاج والمختار وابي عبيدة وغيرهما
واستعار لفظي القاصف والعاصف من الريح لما يمر بها من ذلك ويجري على اهلها من الشدائد وقوله
وعن قليل تلتف القرون بالقرون الى آخره اي عن قليل يلحق قرنه ~~يجب بالقرون الى آخره~~ من الناس بعضهم ببعض
وكنى بالتفاف بعضهم ببعض عن اجتماعهم في بطن الارض واستعار لهم لفظ الحصد والحطم ملاحظة لشبههم
الزرع يحصد قائمه ويحطم محصوده فكنى بحصدهم عن موتهم او قتلهم وبحطم محصودهم عن فنائهم وتفرق اوصالهم
في التراب واعلم انه ليس في اللفظ دلالة واضحة على ان المراد بالضليل المذكور معوية بل يحتمل ان يريد به شخصا آخر
يظهر فيما بعد بالشام كما قيل انه السفياني الدجال وان كان الاحتمال الاول اغلب على الظن وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام يجري هذا المجرى وذلك يوم يجمع الله فيه الاولين والآخرين لنقاش الحساب
وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من وجد لقدميه موضعا ~~لنقاش~~
~~الحساب وجزاء الاعمال خضوعا قياما قد الجمهم العرق ورجفت بهم الارض فاحسنهم حالا من وجد لقدميه~~
موضعا ولنفسه متسعا اقول اشار باليوم الى يوم القيمة ونقاش الحساب المناقشة والتدقيق فيه وقد عرفت كيفية
ذلك اليوم فيما سبق ونحوه قوله تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم وخضوعا كقوله تعالى خشعا ابصارهم
وقياما كقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وهما كناية عن كمال براءتهم من حولهم وقوتهم اذ ذلك وتيقنهم انه
ان لا سلطان الا سلطانه والجمهم العرق بلغ منهم مكان اللجام وهو كناية عن بلوغهم الغاية من الجهد
اذ كانت غاية الساعي ان يبلغ ذلك وقوله ورجفت بهم الارض كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اذا رجت
الارض رجا وبست الجبال بسا قال بعضهم المراد بالارض الراجفة والمراد ارض القلوب عن زوال خشية
الله وشدة اهوال يوم القيمة وقال آخرون ان ذلك صرف للكلام عن ظاهره من غير ضرورة فلا يجوز لانه
كلما اخبر الصادق عنه من جزئيات احوال القيمة امور ممكنة والقدرة الالهية وافية بها وقوله فاحسنهم
حالا من وجد لقدميه موضعا ولنفسه متسعا قيل المراد به من وجدت قدماه عقلا موضعا من معرفة الله
سبحانه وعبادته ومن وجد لنفسه متسعا في حظاير قدس الله وسعة رحمته وظاهر ان اولئك احسن الخلق حالا
يوم القيمة وحمله على ظاهره موافقة لظاهر الشريعة ممكن منها فتن كقطع الليل المظلم لا يقوم لها قائمة ولا ترد

الآية

بحكمة فقره

لها راية تأتيكم مزمومة مرحولة يحفزها قائدها ويجهدها راكبها اهلها قوم شديد كلبهم قليل سلبهم يجاهدهم
في الله قوم اذلة عند المتكبرين في الارض مجهولون وفي السماء معروفون فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم
الله لا رهج له ولا حس وسيبتلى اهلك بالموت الاحمر والجوع الاغبر **اقول** يحفزها يدفعها من خلف والكلب الشر
والاذلة جمع ذليل والرهج الغبار والحس الصوت الخفي وقد نبه في هذا الفصل على ما سيقع بعده من الفتن ويخص
فيه صاحب الزنج بالبصرة وشبه تلك الفتن بقطع الليل المظلم ووجه الشبه ظاهر ولا تقوم لها اي لا يمكن
مقابلتها بابقاء وبها ويدفعها والمداث لكون القائم في مقابلة الفتنة وقيل لا يثبت لها قائمة فرس واستعار
لفظ الزمام والرحل والحفز والقائد والراكب وجهه لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بالزمام والرحل عن
تمام اعدادها للفتنة وتهيئتها كما ان كمال الناقة للركوب ان تكون مزمومة مرحولة وبقائدها عن اعوانها وبراكبها
عن منشيها المتبوع فيها وبحفزها وجهدها عن سرعتهم فيها واهلها اشارة الى الزنج وظاهر شدة كلبهم
وقلة سلبهم اذ لم يكونوا اصحاب حرب وعدة وخيل كما يعرف ذلك من قصتهم المذكورة كما سنذكره فاما نسبها
مما يستقل من كلامه في فصل آخر وقد وصف معاتليهم في الله بكونهم اذلة عند المتكبرين وكونهم مجهولين في الارض
اي لا يعرفون ابناء الدنيا المشهورين بنعيمها وكونهم معروفين في السماء وهو اشارة الى كونهم من اهل العلم والايمان
تعرفهم ربهم بطاعته وتعرفهم ملائكة بعبادة ربهم ثم اردف ذلك باخبار البصرة مخاطبا لها والخطاب
لاهلها بما سيقع بها من فتنة الزنج وظاهرانه لم يكن لهم غبار ولا اصوات اذ لم يكونوا اهل خيل ولا قعقعة
لجم فاذن لا رهج لهم ولا حس وظاهر كونهم من نقم الله للعصاة وان عمت الفتنة اذ قلما تخص العقوبة
النازلة بقوم بعضهم كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقوله وسيبتلى اهلك
بالموت الاحمر والجوع الاغبر قيل اما الموت الاحمر اشارة الى قتلهم بالسيف من قبل الزنج او من قبل غيرهم ووصفه بالحمرة
كناية عن شدته وقد قيل ان اشد الموت ما كان بسفك الدم واقول قد فسره عليه السلام بهلاكهم من قبل الغرق
كما يحكيه عنه وهو ايضا في غاية الشدة لاستلزامه زهوق الروح وكذلك وصف الاغبر لان اشد الجوع
ما اغبر معه الوجه وغير البشرة الصافية لقلة مادة الغذاء او ورده فلذلك سمي اغبر وقيل لانه يلصق بالغبراء
وهي الارض وقد اشار عليه السلام الى هذه الفتنة في فصل من خطبة خطب بها عند فراغه من حرب البصرة
وقتلها وهي خطبة طويلة حكى منها فصولا يتعلق بالملاحم من ذلك فصل يتضمن حال غرق البصرة وعند
فراغه عليه السلام من ذلك الفصل قام اليه الاحنف بن قيس فقال له يا امير المؤمنين ومتى يكون ذلك قال
يا ابا بحر انك لن تدرك ذلك الزمان وان بينك وبينه لقرونا ولكن ليبلغ الشاهد منكم الغائب عنكم لكي يبلغوا
اخوانهم اذا هم راوا البصرة قد تحولت اخصاصها دورا وآجامها قصورا فالهرب الهرب فانه لا بصيرة لكم يومئذ
ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الابلة فقال له المنذر بن الجارود فداك ابي وامي اربعة فراسخ قال له صدقت فوالذي
بعث محمدا واكرمه بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه الى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني ان قال يا علي

هل علمت ان بين التي تسمى البصرة والتي تسمى البصرة والتي تسمى الابلة اربعة فراسخ وسيكون
في التي تسمى الابلة موضع اصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من امتي سبعون الفا شهيدهم يومئذ
بمنزلة شهداء بدر فقال له المنذر يا امير المؤمنين ومن يقتلهم فداك ابي وامي قال يقتلهم اخوان الجن وهم
جيل كانهم الشياطين سود الوانهم منتنة ارواحهم شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلهم وطوبى
لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم اذلة عند المتكبرين من اهل ذلك الزمان مجهولون في الارض
معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والارض وسكانها ثم هملت عيناه بالبكاء ثم قال
ويحك يا بصرة ويلك يا بصرة من جيش لا رهج له ولا حس قال له المنذر يا امير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل
الغرق مما ذكرت وما الويح وما الويل فقال هما بابان فالويح باب الرحمة والويل باب عذاب يا ابن الجارود نعم تارات
عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة تكون بها اخراب منازل وخراب ديار وانتهاك اموال
وقتل رجال وسبي نساء يذبحن ذبحا يا ويل امرهن حديث عجب منها ان يستحل بها الدجال الاكبر الاعور
الممسوح العين اليمنى والاخرى كانها ممزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقة ناتئ الحدقة كهيئة حبة العنب الطافية
على الماء فيتبعه من اهلها عدة من قتل بالابلة من الشهداء اناجيلهم في صدورهم يقتل ويهرب من يهرب
ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الاغبر ثم الموت الاحمر وهو الغرق يا منذر ان البصرة لها ثلاثة اسماء سوى
البصرة في الزبر الاول لا يعلمها الا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفكة يا منذر والذي فلق الحبة
وبرأ النسمة لو اشاء لاخبرتكم بخراب العرصات عرصة عرصة من يخرب ومتى تعمر بعد خرابها الى يوم القيمة ان
عندي من ذلك علما جما وان تسألوني تجدوني به عالما لا اخطئ منه علما ولا وافيا ولقد استودعت علم
القرون الاولى وما هو كائن الى يوم القيمة قال فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين اخبرني من اهل الجماعة ومن
اهل الفرقة ومن اهل السنة ومن اهل البدعة فقال ويحك اذا سالتني فافهم عني ولا عليك ان لا تسأل احدا
بعدي اما اهل الجماعة فانا ومن اتبعني وان قلوا وذلك الحق عن امر الله وامر رسوله واما اهل الفرقة فالمخالفون لي ومن
اتبعني وان كثروا واما اهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله ورسوله لا العاملون برأيهم واهوائهم وان كثروا
وقد مضى الفوج الاول وبقيت افواج وعلى الله قصمها واستيصالها عن جديد الارض وبالله التوفيق **ومن**
خطبة عليه السلام ايها الناس انظروا الى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصادفين عنها فانها والله
عما قليل تزيل الثاوي الساكن وتفجع المترف الآمن لا يرجع ما تولى منها فادبر ولا يدرى ما هو آت منها فينتظر
سرورها مشوب بالحزن وجلد الرجال منها يمنحون الى الضعف والوهن فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها
لقلة ما يصحبكم منها رحم الله امرأ تفكر فاعتبر واعتبر فابصر فكان ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن وكان
ما هو كائن من الآخرة عما قليل لم يزل وكل معدود منقض وكل متوقع آت وكل آت قريب دان **اقول**
صدفنا عرض وثوى بالمكان اقام به والفجيعة المصيبة والجلد القوة وحاصل الفصل تزهيد الدنيا والتحذير

منها نارهم ان ينظروا اليها نظر الزاهدين فيها المعرضين عنها امرهم بتركها واحتقارها الا بمقدار الضرورة التي
ما يقوم به الصورة ثم ارشفه بذكر معايبها المنفرة فالاول انها المقيم بها المطمئن اليها عما ركن اليه منها الثاني
تجمعها المترف المنعم بها الذي خدعه باماينها حتى امن فيها بسلب ما ركن اليه وامن عليه الثالث كونها
لا يرجع ما تولى منها فادبر من شباب وصحة ومال وعمر ونحوه الرابع كونها لا يدري ماهو آت من مصائبها
فينتظر ويحترز منه الخامس شوب سرورها بالحزن اذ كان سرورها لا يدوم في كل اوان فوت مطلوب او
فقد محبوب السادس انتها قوة اهلها وجلدهم الى الضعف كما قال تعالى ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ويزهد
بعض الصالحين في الدنيا فقال عيش مشوب بسقم منساق الى هرم محتوم بعدم مستعقب بندم هل يجوز التنافس
فيه ثم نهى عن الاغترار بكثرة ما يعجبهم منها وعلل حسن ذلك النهي بقلة ما يصحبهم منها فان الذي
انما ينبغي ان تكون باقيا للانسان حيث كان كان واشار بقليل ما يصحبهم منها الى الكفن ونحوه ثم دعا الى التفكر
فافاد فكره عبرة اى انتقالا ذهنيا الى ما هو الحق من وجوب ترك الدنيا والعمل للآخرة فافاده ذلك الانتقال الادراك
للحق ومشاهدة بعين البصيرة له ثم ارشد بتشبيه وجود متاع الدنيا الحاضر بعدمه تنبيها على سرعة فوت
عدمه لوجوده فكان وجوده شبيه بان لم يكن لسرعة زواله وكذلك تشبيه الآخرة الآتي وما يلحق فيها من الثواب
والعقاب بوجودها الدائم اى كانها لسرعة وجودها ولحوقها لم تزل موجودة ونبه بقوله وكل معدود منقض
على انقضاء مدة الاعمار لكونها معدودة الايام والساعات والانفاس وقوله وكل متوقع آت وكل آت قريب
دان في صورة الضرب الاول من الشكل الاول ونتيجته فكل متوقع قريب دان في صورة الضرب الاول من الشكل
والاشارة به الى الموت وما بعده **منها** العالم من عرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره وان من ابغض الرجال
الى الله لعبدا وكله الله الى نفسه جائرا عن قصد السبيل سائرا بغير دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل وان دعي
الى حرث الآخرة كسل كان ما عمل له واجب عليه وكان ما ونى فيه ساقط عنه **اقول** حصر العالم فيمن عرف
قدره واراد بقدره مقداره من ملك الله ومحله من الوجود ولما كان عرفانه بذلك مستلزما لمعرفته بنسبته
الى مخلوقات الله في العالمين وانه اي شيء هو منها ولاي شيء وجد لا جرم كان هو العالم اللازم لحدوده السالك
لما امر به غير المتعدي لطوره المرسوم له في كتاب ربه وسنن انبيائه وقوله وكفى بالمرء جهلا ان لا يعرف قدره
لما كان العالم مستلزما لمعرفة القدر كان معرفة عدم القدر مستلزما لعدم العلم وهو الجهل لان نقيض اللازم
يستلزم نقيض الملزوم وقوله وكفى بذلك الجهل اشارة الى قوته واستلزامه العذاب وقوله وان من ابغض الرجال
الى الله الى قوله قصد السبيل قد سبق بيانه وقوله سائرا بغير دليل كنى بالدليل عن ائمة الهدى والمرشدين الى الله
ودخل في ذلك الكتاب والسنة فان من سار في معاملة الله او لعبادة بغير دليل منهما كان من الهالكين وقوله
ان دعي الى آخره استعار لفظ الحرث لاعمال الدنيا واعمال الآخرة ووجه المشابهة كونها مستلزمة للمكاسب
الاخروية والدنيوية كما ان الحرث كذلك ثم شبه ما عمله من حرث الدنيا بالواجب عليه في مبادرته اليه

تشبيه م

غاية الوصول الى حضرة رب العالمين التي هي جنة المأوى لا جرم كان رفيع الغاية اذ لا غاية ارفع منها واعلى مرتبة
الثاني والعشرون كونه جامع الحلية للعفة فانها حلية الاسلام كما سبق بيانه ووجه الاستعارة كونها محلا
الاجتماع بها السباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل في حلبة السباق الى الرهن الثالث والعشرون
كونه متنافس السبقة ولما كانت سبقته الجنة كانت اشرف ما يتنافس فيها الرابع والعشرون كونه شريف الفرسان
واستعار لفظ الفرسان لعلمائه الذين هم فرسان العلوم ورجالها ملاحظة لشبهه بالفرس الجواد الذي
لا يجاري راكبه الخامس والعشرون والصديق منهاجه جوهر الى آخره تفسير لما اهمل تفسيره من منهاجه ومناره
ومضماره وحلبته وسبقته وانما جعل الموت غاية اي الغاية القريبة التي هي باب الوصول الى الله تعالى ويحتمل ان
يريد بالموت موت الشهوات فانها غاية قريبة للاسلام ايضا وكذلك استعارة لفظ السبقة للجنة لكونها
الثمرة المطلوبة والغاية من الدين كما ان السبقة غاية سعي المتراهنين **منها** في ذكر الرسول صلى الله عليه وآله
حتى اورى قبسا لقابس وانار علما لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك
بالحق رحمة اللهم اقسم له مقسما من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم اعل على بناء البانين
بناءه واكرم لديك منزلته وآته الوسيلة واعطه السناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا
ناكبين ولا ضالين ولا مفتونين قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم الا انا كررناه ههنا لما في
الروايتين من الاختلاف **اقول** القبس الشعلة واورى اشعل وانار اشعل والحابس الواقف بالمكان
ما يهيا المراد من ضيافة ونحوها والسناء الرفعة والزمرة الجماعة من الناس والناكب المنحرف عن الطريق
فقوله حتى اورى الى قوله لحابس غاية لكلام مدح فيه النبي صلى الله عليه وآله وذكر فيه جهاده واجتهاده
في الدين للغاية المذكورة واستعار لفظ القبس لانوار الدين المشعلة لتقتبس منها نفوس الخلق انوار
الهدى وكذلك استعار لفظ العلم واسند اليه تنويره ويفهم منه امران احدهما انه اظهر انوارا جعلها
اعلاما يهتدى بها في سبيل الله من حبسته ظلمة الحيرة والشبهة عن سلوكها فهو واقف على ساق التحير
كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وكنى بتلك الاعلام عن ايات الكتاب والسنن الثاني ان يكون المراد بالاعلام ائمة
الدين وتنويره لهم تنوير قلوبهم بما ظهر عن نفسه القدسية من الكمالات والعلوم وقوله فهو امينك المأمون اي على
وحيك وشهيدك يوم الدين اي على خلقك وبعيثك نعمة اي مبعوثك اليهم نعمة عليهم بهدايتهم به الى جنتك ورسولك
بالحق حجة لعبادك لئلا يقعوا في مهاوي الهلاك بخطيئك وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ثم اردفه بالدعاء
له صلى الله عليه وآله فدعا الله ان يقسم له مقسما من عدله ولما كان مقتضى عدل الله ان يبلغ نفسا هي محل
الرسالة اقصى ما استعدت له من درجات الكمال وبعدها بذلك الكمال الاعلى دعا له ان يقسم له نصيبا وافرا
من عدله ويبعد به لدرجات من مراتب الوصول الغير المتناهية وقوله واجزه مضاعفات الخير من فضلك
لما دعا له بما يستحقه زاد على ذلك فدعا له ان يتفضل عليه بزيادة من فضله فيضاعف له ما يستحقه من الخير م

واستعار لفظ الحلبة م
مضاعفات الخير
صح م

يقول اللهم امل علينا البانين بناء دعاه ليشيد ما بناه من قواعد الدين على سائر بناء البانين للشرايع من الرسل قبله
وابرز ما بناه لنفسه من مراتب الكمال ولفظ البناء مستعار ثم دعاه ان يكرم لديه ما هياه من الثواب الجزيل وان يشرف
مقامه في حضرة قدسه وان يوتيه ما يتوسل به اليه ويقربه منه وهو ان يكمل استعداده لما هو اتم القوة على الوصول
اليه وان يعطيه الرفعة ويشرفه بالفضيلة التامة وان يحشره في زمرته على احوال غير خازين اى غير فضايح الذنوب ولا
نادمين على التفريط في جنب الله والتقصير في الواجب عنه ولا ناكبين منحرفين عن سبيله الى الحظر في التفريط ولا
الا ناكثين لعهوده ومواثيقه التي وثق بها خلقه ان يعبدوه ويخلصوا له الدين ولا ضالين عن سواء السبيل العدل
ولا مفتونين بالشبهات الابطيليه والله التوفيق **ومنها في خطاب** وقد بلغتم من كرامة الله لكم منزلة تكرم بها اماؤكم
وتوصل بها جيرانكم ويعظكم من لا فضل لكم عليه ولا يد لكم عنده ويهابكم من لا يخاف لكم سطوة ولا لكم عليه امرة وقد
ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون وانتم لنقض ذمم آبائكم تانفون وكانت امور الله عليكم ترد وعنكم تصدر
واليكم ترجع فمكنتم الظلمة من منزلتكم والقيتم اليهم ازمتكم واسلمتم امور الله في ايديهم يعملون بالشبهات ويسيرون
في الشهوات وايم الله لو فرقوكم تحت كل كوكب لجمعكم الله لشر يوم لهم **اقول** صدر هذا الفصل بتذكيرهم المنزلة التي
اكرمهم الله بها من الاسلام والهداية للايمان ومن تلك المنزلة في الفضل حتى حرستها اماؤهم وجيرانهم
وان كانوا غير مسلمين وعظمهم من لا فضل لهم عليه ولا يد لهم عنده وهابهم من لا يخاف سطوتهم فظاهر ان
ذلك كله هو كرامة الله لهم بالاسلام والهداية للايمان ثم لما قرر نعمة الله عليهم اردف ذلك التوبيخ لهم على التقصير
في اداء واجب حقه واشار الى اركانهم لبعض مسببات كفران نعمته وهو عدم انكارهم لما يرون من نقض عهود الله
وسكوتهم عليها وعدم غضبهم منها كالراضين بذلك واراد بذلك بغي البغاة وخروج الخوارج وساير المنكرات
التي وقعت من اهل الشام وغيرهم خالفوا فيها امر الله ونكثوا بيعته التي هي عهد من عهود الله عليهم فان السكوت على
مثل ذلك مع التمكن من ازالته الكاره بالجهاد منكر وهم راكبوه والواو في قوله وانتم للحال اى وانتم مع ذلك
تانفون لنقض ذمم آبائكم وكان يجب منكم بطريق الاولى ان تانفوا لعهود الله ان تنقض وذمته ان تخفر ثم ذكرهم
تفريطهم وتهاونهم في الامور التي كان الله سبحانه فرضها اليهم وجعلهم موردها ومصدرها من امور الاسلام
واحكامه والتسلط بها على ساير الناس وكونهم مكنوا الظلمة في منزلتهم تلك من الاسلام واراد الظلمة معاوية وقومه
وتمكينهم لهم تخاذلهم عنهم والقاءهم ازمة الامور اليهم بذلك ولفظ الازمة مستعار والامور التي سلموها اليهم احوال
امور الاسلام كان ذلك التقصير عن مجاهدتهم وعملهم بالشبهات حملهم على وفق اوهامهم الفاسدة وآرائهم
الباطلة التي يوهمون بها حجة فيما يفعلون ومسيرهم في الشهوات قطع اوقاتهم بالانهماك في مقتضيات الشهوة ثم
وايم الله الى آخره تحذير لهم فانه اذا ربما سيكون من بني امية من جمع الناس في ملكهم وشرودهم وعموم فتنتهم وكنى باليوم
عن مدة ملكهم التي كانت شر الاوقات على الاسلام واهله وانما نسب الشر اليهم والجمع الى الله تعالى نظرا
لما سيترك بقدرته من ابادة الخلق بانهم لو فرقهم في اطراف البلاد لم يمنعهم ذلك التفرق عن كون قدر الله لهم وانتقامه

اصحابه م

من زواله بجميعهم بما يراد لهم من الابتلاء بدولة بني امية وشرورها واحوال دولتهم مع الخلق خصوصا الصالحين
من عباد الله ظاهرة وبالله العصمة والتوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في بعض ايام صفين وقد رايت جولتكم
وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف
والانف المقدم والسنام الاعظم ولقد شفا وحاوح صدري ان رايتكم باخرة تحوزونهم كما حازوكم
وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسا بالنصال وشجرا بالرماح تركب اولاهم اخراهم كالابل الهيم المطرودة
ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها **اقول** الجولة المدورة والتحاوز والانحياز التنحي والطغام اوغاد الناس واللهاميم جمع
لهموم وهو الجواد من الناس والياآفيخ جمع يافوخ وهو اعلى الدماغ والوحاوح جمع وحوحة وهي صوت فيه بحح يجده
من التالم والحس الاستيصال والنصال جمع نصل السيف والشجر الطعن وتذاد تساق وتطرد وفي هذا الفصل
تبكيت لاصحابه بانحيازهم عن عدوهم وتقريع ثم تنحية واغراء كيلا يعاودوا الى الفرار وذلك قوله وقد رايت
وذلك قوله وقد رايت الى قوله اهل الشام اى وقد رايت تخاذلكم عنهم حتى حازكم اراذل اهل الشام وسادات العرب
واستعار لفظ اليآفيخ لهم لكونهم بالنسبة الى العرب في علوهم وشرفهم كعلو الانف وتقدمه وحسن الوجه به
بالنسبة الى باقي الاعضاء وعلو السنام وعلوه بالنسبة الى باقي اعضاء الجمل ثم اردف ذلك التبكيت والتذكير
بالرذيلة بذكر فضيلتهم التي ختموا بها وهي حوزهم لعدوهم بالاخرة وكونهم لهم اولا وازالتهم لهم عن مواقفهم كما ازالوهم
وحسهم استيصالا لاولهم وركب مقدمهم تاليهم واولهم آخرهم ليثبتوا على مثل هذه الافعال في مثل تلك الوقعات
وعد ذلك شفاء لوحاوح صدره وكنى بالوحاوح عما كان يجده من التالم بسبب انهزام اصحابه وغلب عدوهم
لهم وشبههم في تضعضعهم وركوب بعضهم لبعض مولين بالابل العطاش التي اجتمعت على الحياض لتشرب ثم
طردت ورميت عنها بالسهام وذيدت عما وردته فان طردها على ذلك الاجتماع يوجب لها ان يركب بعضها بعضا
ويقع بعضها على بعض وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وهي من خطب الملاحم الحمد لله الذي المتجلي لخلقه بخلقه
والظاهر لقلوبهم بحجته خلق الخلق من غير روية اذ كانت الرويات لا تليق الا بذوي الضماير وليس بذي ضمير في نفسه
خرق علمه باطن غيب السترات واحاط بغموض عقايد السريرات **اقول** حمد الله تعالى باعتبارات خمسة احدها
اعتبار تجليه لخلقه بخلقه وقد علمت غير مرة ان تجليه يعود الى جلاء معرفته من مصنوعاته للقلوب حتى تجلت
لكل قدر من مخلوقاته مرات ظهر فيها لهم يشاهدونه على قدر قبولهم لمشاهدته ومتفاوت تلك المشاهدة بحسب
تفاوت اشعة ابصار بصايرهم فمنهم من يرى الصنعة اولا والصانع ثانيا ومنهم من يراهما معا ومنهم من يرى
الصانع اولا ومنهم من لا يرى مع الصانع غيره **الثاني** الظاهر لقلوبهم بحجته اى الواضح وجوده لقلوب منكريه
باوهامهم والسنتهم بقيام حجته عليهم بذلك وهي احكام الصنع واتقانه في انفسهم وان احتاجوا الى تنبيه ما
كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وكذلك في ملكوت السموات والارض كقوله تعالى اولم يتفكروا في ملكوت السموات
والارض كقوله تعالى وما خلق الله من شيء الاية وهو قريب مما مر **الثالث** خلقه الخلق بلا روية وفكر في كيفية خلقه

المقدم م

اهل الشام مع انكم م

كانها آفخ بالنسبة الى الابدان وكذلك استعار لفظ الانف والسنام ووجه المشابهة عزهم وشرفهم م

فهم م

ينظروا م

واستدل برهان سلب الرؤية عنه بقوله ادركته الروايات لا لكن الاذى الضمار راي بذي قلب وحواس بدنية
وليس الباري بذي ضمير في نفسه والقياس من الشكل الثاني ومرتبه كذا رؤية فلذي ضمير ولا شي من واجب الوجود
بذي ضمير فينتج انه لا شي من الرؤية لواجب الوجود سبحانه والمقدمتان جليتان مما سبق غير مرة الرابع كونه عالما
خارقا الباطن غيب السترات وهو اشارة الى نفوذه في كل مستتر وعالمية بحيث لا يحجبه ستر ولا تستره حجاب
الخامس كونه محيطا بغموض عقايد السريرات اي بما دق من عقايد اسرار الخلق كقوله تعالى يعلم السر واخفى منها
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله اختاره من شجرة الانبياء ومشكاة الضياء وذؤابة العلياء وسرة البطحاء ومصابيح الظلمة
وينابيع الحكمة اقول الذؤابة ما تدلى من الشعر ونحوه وبطحاء مكة بسيطها واديها وسرة الوادي اشرف موضع فيه
وفي الفصل استعارات الاولى لفظ الشجرة لصنف الانبياء عليهم السلم ووجه المشابهة كون ذلك الصنف ذا ثمرة وفروع
ففروعه اشخاص الانبياء وثمرة العلوم والكمالات النفسانية كان الشجرة ذات غصون وثمر الثانية لفظ المشكاة لآل
ابرهيم ووجه المشابهة ان هؤلاء قد ظهرت منهم الانبياء وسطع من جبينهم ضياء النبوة ونور الهداية كما يظهر نور
المصباح من المشكاة الثالثة لفظ الذؤابة وشبهه ان يشير به الى قريش ووجه المشابهة علوهم في اغصان
الشرف والعلو عن اباهم كعلو ذؤابة الشعر عن الراس الرابعة سرة البطحاء واشاره الى اختياره من افضل بيت في
مكة الخامسة استعارة لفظ المصابيح للانبياء ايضا ووجه المشابهة ظاهر مما تقدم غير مرة كونهم مصابيح الظلمات
السادسة استعارة لفظ الينابيع ووجه المشابهة فيضان العلم والحكمة عنهم كفيضان الماء عن ينابيعه منها
طبيب دوار بطبه قد احكم مراهمه واحمى مواسمه يضع من ذلك حيث الحاجة اليه من قلوب عمي واذان صم
والسنة بكم متتبع بدوائه مواضع الغفلة ومواطن الحيرة لم يستضيئوا باضواء الحكمة ولم يقدحوا بزناد العلوم
الثاقبة فهم في ذلك كالانعام السائمة والصخور القاسية قد انجابت السرائر لاهل البصائر ووضحت
محجة الحق لخابطها واسفرت الساعة عن وجهها وظهرت العلامة لمتوسمها ما لي اراكم اشباحا بلا ارواح
وارواحا بلا اشباح ونساكا بلا صلاح وتجارا بلا ارباح وايقاظا نوما وشهودا غيبا وناظرة عمياء
وسامعة صماء وناطقة بكماء راية ضلال قد قامت على قطبها وتفرقت بشعبها تكيلكم بصاعها
وتخبطكم بباعها قائدها خارج من الملة قائم على الضلة فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر
او نفاضة كنفاضة العكم تعرككم عرك الاديم وتدوسكم دوس الحصيد وتستخلص المؤمن من بينكم استخلاص
الطير الحبة البطينة من بين هزيل الحب اين تذهب بكم المذاهب وتتيه بكم الغياهب وتخدعكم الكواذب ومن
اين تؤتون وانى تؤفكون ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب فاستمعوا من ربانيكم واحضروه قلوبكم واستيقظوا
ان هتف بكم وليصدق رائد اهله وليجمع شمله وليحضر ذهنه فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة وقرفه قرف الصمغة
فعند ذلك اخذ الباطل ماخذه وركب الجهل مراكبه وعظمت الطاغية وقلت الداعية وصال الدهر صيال
السبع العقور وهدر فنيق الباطل بعد كظوم وتواخى الناس على الفجور وتهاجروا على الدين وتحابوا على الكذ

ب وتباغضوا على الصدق فاذا كان ذلك كان الولد غيظا والمطر قيضا وكان اهل ذلك الزمان ذئابا وسلاطينه سباعا
واوساطه اكالا وفقراؤه امواتا وغار الصدق وفاض الكذب واستعملت المودة باللسان وتشاجر الناس
بالقلوب وصار الفسوق نسبا والعفاف عجبا ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا اقول المواسم المسامير المحماة يكوى بها
وانجابت انكشفت والمتوسم المتفرس والضلة الضلال والعكم كبر العين العدل والبطينة الممتلئة والغياهب
الظلم ويؤفكون يصرفون والفنيق الفحل المكرم وكظوم الجمل سكونه عن الجرة فقوله طبيب دوار بطبه كناية عن
نفسه كناية بالاستعارة فانه طبيب مرضى الجهل ورذائل الاخلاق وكنى بدورانه بطبه تعرضه لعلاج الجهال
من بابهم ونصب نفسه لذلك واستعار لفظ المراهم لما عنده من العلوم ومكارم الاخلاق ولفظ المواسم لما
يتمكن منه من اصلاح من لا ينفع فيه الموعظة والتعليم بالجلد وسائر الحدود فهو كالطبيب الكامل الذي له
المراهم والادوية والمكاوي لمن لا ينفع فيه المراهم يضع كل واحد من ادويته ومواسمه حيث الحاجة اليه من قلوب
عمي تعمى عماها باعراضها عن القبول لانوار العلم والهداية لسلوك سبيل الله ومن اذان صم عندها عن القبول للمواعظ
وتجوز بلفظ الصم في عدم انتفاع النفس بالموعظة من جهتها فهي كالصما اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه اذ كان
الصم يستلزم ذلك العدم ومن السنة بكم بطلاقتها بذكر الله والحكمة واطلق لفظ البكم مجازا في عدم النطق
منها او وجودها وهو النطق بما ينبغي فانها لفقدها ذلك المطلوب كالبكم وقوله متتبع صفة لطبيب ومواضع
الغفلة ومواطن الحيرة كناية عن قلوب الجهال ولذلك اشار اليهم بانهم لم يستضيئوا باضواء الحكمة اي لم يكتسبوا شيئا
من العلوم والاخلاق ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة كنى بالزناد عن الفكر وبالقدح عن الاكتساب به كناية بالمستعار
ووجه المشابهة كون الفكر يستخرج به العلوم الثاقبة التي تثقب سترات الحجب كما يستخرج بالزناد وقوله فهم في ذلك
اي في عدم استضاءتهم باضواء الحكمة كالانعام السائمة والصخور القاسية ووجه المشابهة بينهم وبين الانعام
استواؤهم في الغفلة والانخراط في سلك الشهوة والغضب دون اعتبار شي من خط العقل وعدم التقيد به
كالانعام السائمة وبينهم وبين الصخور قساوة قلوبهم وعدم لينها وخشيتها من ذكر الله وآياته كما قال تعالى
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله قد انجابت السرائر لاهل البصائر اشارة الى انكشاف
ما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن يقرب مما يكون بعده لنفسه القدسية ولمن تقرب ملكوت من ملوك بني امية
وغموض ظلمهم من اولي التجارب والفطن السليمة ويحتمل ان يريد بالسرائر اسرار الشريعة وانكشافها وقوله ووضحت
محجة الحق لخابطها اشارة الى وضوح الشريعة وبيان طريق الله وفايدة القضية الاولى التنبيه على النظر في العواقب
وفايدة الثانية الجذب الى اتباع الدين وسلوك سبيل الله اذ لا عذر للخابطين في جهالاتهم بعد وضوح دين
الله وقوله واسفرت الساعة عن وجهها اي بدت مقدماتها فلما كان وجود النبي اول علاماتها ومنذ وينظر كنى به عما
من امر الساعة وهو قيام الفتن واهوالها وقوله وظهرت العلامة لمتوسمها اي علامة قيام الساعة وهي الفتن المتوقعة
المفترسة من بني امية ومن بعدهم وذكره لاسفار الساعة وظهور علاماتها تهديد وترغيب في العمل لها

مالى اركم اشباحا بلا ارواح شبههم فى عدم انتفاعهم بالعقول وعدم تحريك المواعظ والتذكير لهم بالجمادات الخالية
من الارواح كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقوله وارواحا بلا اشباح فيه وجوه الاول ان ذلك مع ما قبله
اشارة الى انقسامهم اى ان منهم من هو شبح بلا روح كما سبق ومن كان له روح ومنهم فلا نخوة له اذا الحرب ولا نفع
معه فهو كروح خلت عن بدن فهم فى طرفى تفريط وافراط الثانى قيل كنى بذلك عن عدم نهضة بعضهم الى الحرب
دون بعض اذا دعوا اليه كما لا يقوم البدن بدون الروح ولا الروح بدون البدن الثالث قال بعضهم اراد انهم لما خافوا
ذهلت عقولهم وطارت البابهم فكانوا كاجسام بلا ارواح وان اموا ارك الاهتمام بامورهم وضيعوا الفرص ومصالح
الاسلام حتى كانهم فى ذلك ارواح لا تعلق لها بما يحتاج الاجسام اليه وقوله ونساكا بلا صلاح اشارة الى من تزهد
منهم وهو ظاهرى ليس عن صلاح سريرة وقيل اراد من تزهد منهم عن جهل فانه وان عمل الا ان اعماله لم تكن عن علم
كانت ضائعة واقعة على غير الوجه المرضى والمامور به كما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله الزاهد الجاهل
مسخرة الشيطان وقوله وتجارا بلا ارباح اشارة الى من يتاجر منهم بالاعمال الفاسدة وهو يعتقد كونها قربة الى الله
مستلزمة لثوابه وليس كذلك ولفظ التجار والربح مستعاران ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله وايقاظا
نوما كنى بنومهم عن نوم نفوسهم فى مراقد الطبيعة ومراقد الغفلة فهم بذلك الاعتبار ايقاظ العيون نوم
العقول وقوله وشهودا غيبا اى شهودا بابدانهم غيبا بعقولهم عن التفطن لمقاصد الله والتلقى لاوامره من المواعظ
والاوامر الالهية وقوله وناظرة عميا اى ذوى عيون ناظرة عميا اى عن تصفح آثار الله
للعبرة بها والاستبصار فى امر الآخرة وهى تشبه العمى فى عدم الفائدة بها وقوله وسامعة صما اى واذانا سامعة
للاصوات صما عن نداء الله والنافع من كلامه فهى تشبه الصم فى عدم الفائدة المقصودة وقوله وناطقة بكما اى والسنة
ناطقة بكما عن النطق بما ينفع فلتشبهها البكم ولفظ العمى والصم والبكم مستعار للمتشابهات المذكورة ووقع التضاد
فى تلك التضادات فى الالفاظ واراد ذوى عيون واذان والسنة بالصفات المذكورة اى خالية عن الفائدة وقوله
راية ضلال لما نبههم وايقظهم بالتوبيخ والتقريع والتنقيص القى اليهم ما ينبغى ان يحترزوا منه وما يحذرونه
اهتمامهم من ظهور الفتن المتوقعة لبنى امية وكنى عن ظهورها بقوله راية ضلال والتقدير هذه راية ضلال قد وكنى
بقيامها على قطبها عن اجتماع اهلها على قائد الفتنة وتقويم امرها وكنى بالقطب عنه كناية بالمستعار وبتفرقها
وتشعبها انتشارها فى الآفاق وتولد فتن اخرى عنها ثم استعار لفظ الكيل لاخذهم واهلاكهم زمرة زمرة ملاحظة
لتشبيهها بالكيال فى اخذه ما يكيل جملة جملة ورشح بلفظ الصاع وكذلك استعار لفظ الخبط لايقاع السيف
والاحكام الجائرة فيهم على غير قانون دينى ولا انتظام حق ملاحظة لشبهها بالبكرة النفور من الابل التى تخبط
ما تلقاه بيدها ورشح الاستعارة بذكر الباع وانما قيل بذكرها لان ذكر الباع ابلغ فى التعبير عن قوة الخبط وقوله
قائدها خارج عن الملة اى خارج عن الدين والشريعة فاسق عن امر الله قائم على الضلة اى مقيم على الضلال وقوله
فلا يبقى يومئذ منكم الا ثفالة كثفالة القدر استعار لفظ الثفالة وكنى به عمن لا خير فيه من الاراذل ولا

ذكر لهم ولا شهرة وشبه اولئك بثفالة القدر فى كونهم غير معتبرين ولا ملتفت اليهم وكذلك نفاضة العكم وهو
ما يبقى فى اسفل العدل من اثر الزاد كالحنطة ونحوها ثم استعار لفظ العرك لتقليب الفتن لهم وتحبيسهم وتذليلهم
بها كما تدلك وتلين الاديم وكذلك استعار لفظ الدوس لاهانتهم لهم وشبه اهانتها اياهم بالبلاء وشبه ذلك بدوس
الحصيد من الحنطة ونحوها وهو ظاهر ثم اشار الى استقصاء اهل تلك الضلالة على المؤمنين واستخلاصهم
لهم لايقاع المكروه بهم وشبه ذلك الاستخلاص باستخلاص الطير الحبة البطينة المستلبة من القار على الهزيلة
وذلك ان الطير يميز باعتقاده سمين الحب من هزيله فيجلى عن الهزيل منه ثم اخذ يسالهم على سبيل التهكم والتقريع لهم عما
على نحو اتتبهم فسالهم عن غاية اخذ مذاهب الضلال لهم وعما تتيه بهم ظلم الجهالات اليه من المطالب وعما تخدعهم
اوهامهم الكواذب جاذبة لهم اليه منكرا عليهم مطلوبا آخر غير الله تعالى من طريق غير شريعته ثم سالهم من الجهة
التى يؤتون منها اى من اين اتتكم هذه الامراض وهو عليه السلم يعلم ان الداخل انما دخل عليهم من جهلهم لكن ذكر
وجه من البلاغة تكون له ان نسمى تجاهل العارف وهو كقوله تعالى فاين تذهبون وكذلك قوله فانى تؤفكون اى متى تؤ
افكم عما انتم عليه من الغفلة وقوله ولكل اجل كتاب ولكل غيبة اياب تهديد بالاشارة الى قرب الموت وانهم
يعرضون ان ياخذهم على غفلتهم فيكونوا من الاخسرين اعمالا ثم امرهم باستماع الموعظة منه والربانى العالم العلم الرب
السبحانية باحضار قلوبهم وهو التفاتهم باذهانهم الى ما يقول ثم بالاستيقاظ من نوم الغفلة عند هتفه بهم
ونداه لهم وقوله وليصدق رائد اهله مثل تركه هنا على رائد واصله لا يكذب الرائد اهله فاستعار لفظ الرائد للفكر
ووجه المثل ان الرائد لما كان هو الذى يبعثه القوم لطلب الكلاء والماء اشبهه الفكر فى كونه مبعوثا من قبل النفس
فى طلب مرعاها وماء حياتها من العلوم وسائر الكمالات فكنى به عنه واهله على هذا البيان هو النفس فكانه عليه السلم
قال فليصدق افكاركم وتخيلاتكم نفوسكم وصدقها اياها تصرفها على حسب اشارة العقل فيما يقوله ويشير به دون
التفاتها الى مشاركة الهوى فان الرائد اذا ارسلته النفس عن مشاركة ميل شهوانى كذبها ولاهاها بغروره ويجمع
ان وجد الرائد الخاص من حضر عنده فان كلا منهم له اهل وقبيلة يرجع اليهم فاذا وان يصدقهم لم يجمع ما
مع على الوجه الذى ينبغى والنصيحة هو الدعوة اليه كما يرجع طالب الكلاء والماء الواجد لهما الى قومه فيبشرهم بهم
اليه وقوله وليجمع شمله اى ما تفرق وتشعب من خواطره فى امور الدنيا ومهماتها وليحضر ذهنه اى يوجهه الى
ما اقول وقوله فلقد فلق لكم الامر فلق الخرزة اى اوضح لكم امر ما جهلتموه من الدين واحكام الشريعة وقيل امر ما سيكون
من الفتن وشق لكم ظلمة الجهل عنه كما يشق باطن الخرزة لتشعبها وقرفه قرف الصمغة اى القى اليكم على كليته
والنصيحة فيه حتى لم يدخر عنكم شيئا من ذلك كما يقرف الصمغة الملم يترك لشيئا لان الصمغة تقلع من شجرتها
حتى لا يبقى عليها علقه وقوله فعند ذلك متصل بقوله من بين هزيل وحباى فعند ما تفعل بكم تلك الفتن وما
الضلال ما تفعل فقد اخذ الباطل ماخذه اى استحكم وثبت واخذ مقاره وكذلك ركب الجهل مراكبه اى
كان له تلك وقت حيلته ملاحظة لتشبيهه بالمستعد للغارة فقد ركب خيله وكنى بمراكبه عن الجهال وقوله

فما فيها خال تركته كما مثل تقرف الصمغة

٣٤٦

وعظت الطاغية الى الفتنة الطاغية التي تجاوزت في عظمها الحد والمقدار وقلت الراعية اي رعاة الدين وحملة
الدين وعون حوزته اي الفرقة الراعية وروي الداعية اي الفرقة الداعية الى الله وقوله وصال الدهر صيال السبع
العقور استعار وصف الصيال للدهر ملاحظة لشبهه بالسبع ووجه الاستعارة كون الدهر مبدا لوقوع
تلك الشرور الواقعة فاشبه السبع الضاري العقور في شدة صياله ثم استعار لفظ الفنيق للباطل ورشح
الاستعارة بذكر الهدير والكظوم ووجه المشابهة ظهور الباطل واكرام اهله وتحكمهم من الامر والنهي كالفحل للا
ذي الشقشقة وعنى بالهدير ظهوره وتحكمه وبالكظوم خفاء الباطل وخمول اهله في زمان ظهور الحق وقوته
وقوله وتواخى الناس على الفجور اي كان تصادقهم ومحبة بعضهم لبعض على الفجور واتباع الاهواء وتهاجروا على الدين اي
من اخوانه توقى دينه وهجره ورفضه فهجرهم والتحاب على الكذب داخل تحت التواخي على الفجور والتباغض على
الصدق داخل تحت التهاجر على الدين والغرض بتعداد ذلك تنفير السامعين عن تلك الرذائل وتخويفهم بوقوعها
وقوله فاذا كان ذلك كان الولد غيظا اي اذا حدث ذلك اشتغل كل امرئ بنفسه ليحتاج اليها فيكون الولد الذي هو
محبوب غيظا اي من اسباب بحبه وغيظه واطلق لفظ الغيظ عليه اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقوله والمطر
قيضا اي جعل وقوع المطر قيضا من علامات تلك الشرور وهو ايضا مما يعد شرا لانه لا ينبت نباتا ولا يقوم عليه
زرع ويفسد الثمار القائمة وكانه كنى به عن انقلاب احوال الخير شرورا وقوله وكان اهل ذلك الزمان الى قوله امواتا
اهل كل زمان ينقسمون الى ملوك اكابر واوساط واداني فاذا كان زمان العدل كان اهله في نظام سلكه فيفيض عدل
الملوك على من يليهم ثم بواسطتهم على من يليهم حتى ينتهي الى اداني الناس واذا كان زمان الجور فاض الجور كذلك
فكان السلاطين سباعا ضارية يفترسون الكاين ممن كان اهل ذلك الزمان واكابره ذئابا بضاريهم على اوساط الناس
وكانت الاوساط اكالا لهم وكان الفقراء امواتا لانقطاع مادة حياتهم ممن هو اعلى منهم رتبة ويجوز لفظ الاموات عن
غاية الشقاء والبلاء لكون الموت غاية ذلك اطلاقا لاسم المسبب الغائي على سببه ثم استعار لفظ الغيض لقلة الصدق
والفيض لظهور الكذب وكثرته ملاحظة لشبههما بالماء واستعمال المودة باللسان اشارة الى النفاق وهو التودد القولي
مع التباعد القلوب وعقدها على البغض والحسد واستعار لفظ التشاجر للقلوب ملاحظة لشبهها بالرماح
فكان الرماح تتشاجر فكذلك قلوب بعضهم تعقد على هلاك بعض والطعن فيه بانواع المهلكات وكذلك لفظ النسب
للفسوق ووجه المشابهة كون الفسق بينهم هو سبب التواصل والتزاور كما ان النسب كذلك وصار العفاف عجبا
لقلة وجوده وندرته بينهم ولبس الاسلام لبس الفرو مقلوبا من احسن التشبيه والمشبه به ههنا هو لبس الفرو
ووجه الشبه كونه مقلوبا وبيانه انه لما كان الغرض الاصلي من الاسلام ان يكون باطنا ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته
فقلب المنافقون غرضه واستعملوه بظاهر السنتهم دون قلوبهم اشبه قلبهم له لبس الفرو اذ كان اصل ان يكون حمله
ظاهرا لينتفع الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوبا وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام كل شيء خاشع له وكل
شيء قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره

لو اده

التشح م

والتقاب م

لخ

ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق
الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك
ولا يزيد في ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاك ولا يستغني عنك من تولى عن امرك كل سر عندك علانية
وكل غيب عندك شهادة انت الابد فلا امد لك وانت المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد فلا منجى منك الا اليك بيدك
ناصية كل دابة واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك وما اصغر عظيمه في جنب قدرتك وما اهول
ما نرى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما اسبغ نعمك في الدنيا وما اصغرها في نعم الاخرة
اقول هذا الفصل من اشرف الفصول المشتملة على توحيد الله وتنزيهه واجلاله وتعظيمه والملهوف الحزين
والملهوف المظلوم يستغيث والابد الدائم والامد الغاية وحاص عن الشيء عدل وهرب والمحيص المهرب وفيه
اعتبارات ثبوتية وسلبية اما الثبوتية فعشرة الاول الخشوع كل شيء له والخشوع يراد بها بحسب الاشتراك اللفظي
الخشوع من الناس يعود الى تطامنهم وخضوعهم لقدوس الملوك ومن دونهم في عبادة ملاحظة لعظمته ومن
ساير الممكنات انفعالها عن قدرته وخضوعها في رق الامكان والحاجة اليه والاشتراك وان كان لا يستعمل
في جميع مفهوماته حقيقة فقد يجوز استعماله مجازا فيها بحسب القرينة وهي هنا اضافته الى كل شيء
اولانه في قوة التعدد كقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون فكانه قال الملك خاشع له والبشر خاشع له وهكذا
الاعتبار يستلزم وصفه تعالى باعتبارين احدهما كونه عظيما والثاني كونه غنيا اما العظيم فينقسم الى ما كبرها
في النفس ولكن يتصور ان يحيط بكماله العقول وتقف على كنه حقيقته والى ما يمكن ان يحيط به العقول وان فاتت
اكثرها وهذان القسمان مما يطلق عليهما لفظ العظمة بالاضافة وقياس كل الى ما دونه مما هو عظيم فيه والى
ما لا يتصور ان يحيط به العقل اصلا وهو العظيم المطلق الذي جاوز حدود العقول ان تقف على صفات كماله
ونعوت جلاله وليس هو الا الله تعالى واما الغني فنذكره الثاني قيام كل شيء به واعلم ان جميع الممكنات اما جواهر
او اعراض وليس شيء منها يقوم بذاته في الوجود اما الاعراض فظاهر لظهور حاجتها الى المحل الجوهري واما
الجوهر فلان قوامها في الوجود انما يكون بقيام عللها وينتهي الى الفاعل الاول جلت عظمته فهو اذن الفاعل
المطلق الذي به قوام كل موجود في الوجود واذ ثبت ان الله تعالى غني عن كل شيء في كل شيء وثبت ان به قوام كل شيء
ثبت انه القيوم المطلق اذ مفهوم القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره فكان هذا الاعتبار مستلزما
الثالث كونه تعالى غنى كل فقير ويجب ان يحمل الفقر على ما هو اعم من الفقر المتعارف وهو مطلق الحاجة ليعم
الجميع كما ان الغنى هو سلب مطلق الحاجة ليعم ~~الجميع كما ان الغني هو سلب مطلق الحاجة~~ واذ ثبت ان كل ممكن فهو مفتقر
في طرفيه منته في سلسلة الحاجة اليه وانه تعالى المقيم في الوجود ثبت انه تعالى دافع حاجة كل موجود بل كل ممكن
وهو المراد بكونه غنى له واطلق عليه تعالى لفظ الغنى وان كان الغني به مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب
الرابع كونه عز كل ذليل وقد سبق ان معنى العزيز هو الخطير الذي يقل وجود مثله وتشتد الحاجة اليه ويصعب الوصول

بعض م

ذلك م

اليه فما اجتمعت فيه هذه المفهومات الثلثة سمي عزيزا وسبق ايضا ان هذه المفهومات مقوله بالزيادة
والنقصان على ما تصدق عليه وانه ليس الكمال في واحد منها الا الله سبحانه ويقابله الذليل وثبت انه تعالى
عزيز كل موجود لان كل موجود سواه انما يتحقق فيه هذه المفهومات الثلثة منه سبحانه الناظم لسلسلة الوجود
والواضع لكل من الموجودات في رتبته من النظام الكلي فهو عزيز كل موجود وكل موجود ذليل في رتبة الامكان المحتاج
اليه في ان تحصل المفهومات الثلثة عليه فهو اذن عزيز كل ذليل واطلاق لفظ العزيز عليه كاطلاق لفظ الغني الحادي عشر
وقوة كل ضعيف القوي يطلق على كمال القدرة وعلى شدة الممانعة والدفع ويقابلها الضعف وهما مقولان بالزيادة
والنقصان على ما يطلقان عليه واذ ثبت انه تعالى مستوجب جميع الموجودات المفيض على كل قابل ما يستعد له
ويستحقه فهو المعطي لكل ضعيف عادم القوة ما يتقوى به فهو قوة كل ضعيف المعنى المذكور لها ومنه
ان الحول والقوة الا بالله ونحو قول النبي لوط اذ قال لقومه لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد واراد ركنا اشد من الله
واطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ القوة عليه كاطلاق لفظ الغني ايضا السادس كونه مفزع كل ملهوف
اي اليه يلجا كل مضطر في ضرورة حال حزن او خوف او فطلم كما قال تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون واذا مسكم
الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه فكل مفزع وملجا غيره فلمضطر لا لكل مضطر ومجاز لا حقيقة واما في
لا حقيقي وهذا الاعتبار يستلزم كمال القدرة لله لشهادة فطرة ذي الضرورة بنسبة جميع احوال وجوده الى وجوده
ويستلزم كمال العلم لشهادة فطرته باطلاعه على ضرورته وكذلك كونه سميعا بصيرا او خالقا ومجيبا للدعوات
وقوما ونحوها من الاعتبارات السابع كونه من تكلم سمع نطقه الثامن من سكت علم سره وهما اشارتان الى وصفي
السميع العليم ولما كان السميع يعود الى العالم بالمسموعات استلزم الوصفان احاطته بالظاهر والباطن وما اسر واخفاه
في حالتي نطقه وسكوته وقد سبقت الاشارة الى ذلك التاسع ومن عاش فعليه رزقه العاشر ومن مات فاليه منقلبه وهما
اشارتان الى كونه تعالى مبدا للعباد في وجودهم وما يقوم به عاجله ومنتهى وغاية لهم آجله فاليه رجوع الاحياء
منهم والاموات وبه قيام وجودهم حالتي الحياة والممات الحادي عشر من الاعتبارات السلبية لم ترك العيون
فتخبر عنك وفيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد وهذا الالتفات وعكسه يستلزم شدة
عناية المتكلم بالمعنى المنتقل اليه وحسنه معلوم في علم البيان واعلم ان هذا الكلام لابد فيه من تجوز او اضمار وذلك
ان جعلنا الرائي هو العيون كما عليه اللفظ وصيرورة حقيقة لزم اسناد فعل الخبر اليها مجازا لكون الاخبار ليس لها
وان ادعينا عموم المجاز لزم ان يكون التقدير لم تراك العيون فتخبر عنك اربابها او لم تراك ارباب العيون فتخبر عنك
فيلزم الاضمار ولزم التعارض بينه وبين المجاز لكن تفصيله في مقدمات اصول الفقه انهما يتساويان في الرتبة
وغرض الكلام تنزيهه تعالى عن وصف المشبهة ونحوهم واخبارهم عنه بالصفات التي من شانها ان يكون
عنها الراوون عن مشاهدة حسية مع اعترافهم بان اخبارهم عن مشاهدة وكان الاخبار عن المحسوسات
وما من شانه ان يحس انما يصدق اذا استند الى الحس لاجرم استلزم سلبه لرؤية العيون له سلب الاخبار عنه

من جهتها وكذب الاخبار عنه بالايجاب الا من جهتها او يخبر وان كان في صورة الاثبات الا انه مستلزم لنفي لانه
وهو رؤية العيون له اذ كان الاخبار من جهتها يستلزم رؤيتها ونصبه بالضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي
والكلام في تقدير شرطية متصلة صورتها لو صح اخبار العيون عنك لكانت قد رأتك لكنها لم تراك
فلم يصح ان تخبر عنك فلما وكذلك قبل الواصفين من خلقك فتعليل لسلب الرؤية المستلزم لسلب الاخبار عنها
بقياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان قبل واصفيه لم يروه فلم يخبروا عنه وهذه الكبرى من الفطريات المشهورات
في بادي النظر وهي كما علمت من مواد قياس الخطيب وان كانت اذا تعقبت لم توجد كلية اذ ليس كلما وجد قبل انما يبطل
اخبارنا عنه ويمكن حمل هذا القول على وجه التحقيق وهو ان يقول المراد بقبليته تعالى الواصفين قبليته وجوده
بالعلية الذاتية وهي بهذا الاعتبار مستلزمة لتنزيهه تعالى عن الجسمية ولواحقها المستلزم لامتناع الرؤية المستلزم
لامتناع الرؤية المستلزم لكذب الاخبار عنه من وجه المشابهة الحسية الثاني عشر كونه لم يخلق الخلق لوحشة وهو اشارة
الى تنزيهه عن الطبع المستوحش والمستانس وقد سبق بيان ذلك في الخطبة الاولى الثالث عشر ولا استعملهم لمنفعة
اي لم يكن خلقه لهم لمنفعة اي لم يكن خلقه لهم لمنفعة تعود اليه وقد سبق بيان ان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق المزاج
المنزه قدس الله تعالى عنه الرابع عشر ولا يسبقك من طلبت اي لا يفوتك هرب الخامس عشر ولا يفلتك من اخذت
اي لا يفوت من اخذته اي لا يفلت منك عبد اخذته فحذف حرف الجر وعدى الفعل بنفسه كما قال تعالى واختار
موسى قومه وهذان الاعتباران يستلزمان كمال ملكه وتمام قدرته واحاطة علمه اذ اي ملك فرض قد يعجزه
من يده الهارب ويفلت من اسره الماخوذ بالحيلة ونحوها السادس عشر ولا ينقص سلطانك من عصاك السابع
عشر ولا يزيد في ملكك من اطاعك وهما تنزيه له تعالى من احوال ملوك الدنيا اذ كان كمال سلطان احدهم زيادة
جنوده وكثرة مطيعيه وقلة المخالف والعاصي له ونقصان ملكه بعكس ذلك وهو سبب لتسلط اعدائه عليه
وطمعهم فيه فاما سلطانه تعالى فلما كان لذاته وكمال قدرته مستوليا وهو مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير وهو على كل شي قدير لم يتصور خروج العاصي بعصيانه
عن كمال سلطانه حتى يؤثر في نقصانه ولم يكن لطاعة الطائع تاثير في زيادة ملكه الثامن عشر ولا يرد امرك من سخط
قضاك الا رهنا القدر النازل على وفق القضاء الالهي وهو تفصيل القضاء كما بيناه وهذا الاعتبار يستلزم القضاء
قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلابد من وجوده سواء كان مكروها للعبد او محبوبا له كما قال تعالى ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
وان يمسسك بخير فهو على كل شي قدير وانما حصص المتسخط للقضاء بالعجز عن رد الامر اذ كان من شانه ان لو
قدر ان يرد القدر التاسع عشر ولا يستغني عنك من تولى عن امرك اراد بالامر هنا ظاهره وهو امر عباده بطاعته
وعبادته وظاهر ان من تولى عن امر الله فهو اليه اشد فقرا وانقص ذاتا ممن ترك امره وهذا الاعتبار يستلزم
ايضا تمام قدرة الله وكمال سلطانه اذ كان ما علم وجوده فلابد من وجوده سواء كان مكروها للعبد او محبوبا له كما قال تعالى

كال سلطانه وغناه المطلق العشرون كل سر عندك علانية الحادي والعشرون وكل غيب عندك شهادة
هذان الاعتباران يستلزمان كمال علمه واحاطته بجميع المعلومات ولما كانت نسبة علمه تعالى الى المعلومات
على سواء لاجرم استوى بالنسبة اليه السر والعلانية واتصافان السر والغيب انما يطلقان بالقياس الى المحجوب
عنه وغايب عنه وهي القلوب المحجوبة بحجب الطبيعة واستار الهيئات البدنية والارواح المستولى عليها
نقصان الامكان الحاكم عليها بجهل احوال ما هو اكمل منها وكذلك ما هو مقدس الصانع عنه الثاني والعشرون
انت الابد فلا امد لك اي انت الدائم فلا غاية لك يقف عندها وجودك وذلك لاستلزام وجوب وجوده امتناع
عدمه واتصافه بالغاية وقال بعض الشارحين اراد انت ذو الابد كما قيل انت خيال اي ذو خيال من الخيلاء وهو الكبر
واقول تقرير ذلك انه لما كان الازل والابد لازمين لوجوده تعالى اطلق الابد على وجوده مجازا اطلاقا للفظ الدوام
كان احدهما هو عين الاخر كقولهم انت الطلاق ثلاثا للمبالغة في البينونة الثالث والعشرون وانت المنتهى فلا محيص
عنك الرابع والعشرون وانت الموعد فلا منجا منك الا اليك اما انه تعالى المنتهى والموعد فلقوله تعالى وان الى ربك
المنتهى وقوله الى الله مرجعكم جميعا والمنتهى في كلامه عليه السلام الغاية وقد سبق بيان انه تعالى غاية الكل
واما انه لا معدل عنه ولا ملجأ منه الا اليه فاشارة الى الضرورة القائدة لكل لهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه
الخامس والعشرون بيدك ناصية كل دابة اي في ملكك وتحت تصرف قدرتك كقوله تعالى ما من دابة الا هو آخذ
بناصيتها وانما خصت الناصية لحكم الوهم بانه تعالى في جهة فوق فيكون اخذه بالناصية ولانها اشرف ما في الدابة
فسلطانه تعالى على الاشرف يستلزم القهر والغلبة وتمام القدرة السادس والعشرون واليك مصير كل نسمة وقد سبق
انه تعالى منتهى الكل واليه مصيره وقوله سبحانك ما اعظم ما نرى من خلقك الى آخره شرع في تنزيه الله تعالى عن حكم
الاوهام على صفاته بتشبيه ثم عدد من كمالها وتعجب في معرض التمجيد من عظم ما شاهد من مخلوقاته كاطباق الافلاك
والعناصر وما تركب منها ثم من حقارة هذه العظيمة بالقياس الى ما عرفته العقول من مقدوراته وما يمكن في
كمال قدرته من الممكنات الغير المتناهية فظاهر ان نسبة الموجود الى الممكن في العظم والكثرة يستلزم حقارته ومن عجبه
ثم من هول ما وصلت اليه العقول من عظمة ملكوته ثم حقارته بالقياس الى ما غاب عنها وحجبت عن ادراكه من آثار
القدرة وحجب العزة من الملأ الاعلى وسكان حظاير القدس وحال العالم العلوي ثم من سبوغ نعمة الله تعالى
على عباده في الدنيا وحقارة تلك النعم بالقياس الى نعمه التي اعدها لهم في الاخرة ظاهر ان نعم الدنيا اذا اعتبرت
الى نعم الاخرة في الدوام والكثرة والشرف كانت بالقياس اليها في غاية الحقارة وبالله التوفيق منها من ملائكة
اسكنتهم سماواتك الى آخره وفي هذا الفصل فصول الاول قوله من ملائكة اسكنتهم سماواتك ورفعتهم عن ارضك هم
اعلم خلقك بك واخوفهم لك واقربهم منك لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من ماء مهين
ولم يتشعبهم ريب المنون وانهم على مكانهم منك ومنزلتهم عندك واستجماع اهوائهم فيك وكثرة طاعتهم لك وقلة
غفلتهم عن امرك لو عاينوا كنه ما خفي عليهم منك لحقروا اعمالهم ولازروا على انفسهم ولعرفوا انهم لم يعبدوك حق عبادتك

ولم يطيعوك حق طاعتك اقول المهين الحقير والتشعب الانقسام والتفريق والمنون الدهر وريبه ما يكره
من حوادثه والمكانة المنزلة وكنه الشيء نهاية حقيقته وزريت عليه عبت فعله واعلم ان من في صدر هذا
الفصل لبيان الجنس وذلك انه عليه السلام لما شرع في بيان عظمة الله تعالى وجلاله جعل مادة ذلك
التعظيم تعديد مخلوقاته وذكر الاشرف فالاشرف منها فذكر الملائكة السماوية واشار الى فضيلتهم باوصاف الاول
كونهم اعلم خلقك بك وهو ظاهر اذ ثبت ان كل مجرد كان علمه ابعد عن منازعة النفس الامارة بالسوء التي هي مبدأ
الغفلة والسهو والنسيان كان اكمل في معارفه وعلومه مرجحاته ولان الملائكة السماوية وسايط لغيرهم
في وصول العلم وساير الكمالات الى الخلق فكانوا كالاستاذين لمن عداهم وظاهر ان الاستاذ اعلى مرتبة من
التلميذ وقد علمت في الخطبة الاولى ان المعارف مقولة بحسب التشكيك الثاني كونهم اخوف له وذلك
لكونهم اعلم بعظمة الله وجلاله وكل من كان اعلم بذلك كان اخوف له واشد خشية اما الاولى فظاهرة واما الثانية فلقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فحصر الخشية من عباده في العلماء ويجب تفاوت العلم بالشدة والضعف
يكون تفاوت الخشية بهما الثالث كونهم اقرب منه والمراد لا القرب المكاني لتنزهه تعالى عن المكان بل القرب
بالمنزلة والرتبة منه وظاهر ان من كان اعلم به واخوف منه كان اقرب منزلة عنده لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقيكم الرابع من سلب نقصانات البشرية عنهم كونهم لم يسكنوا الاصلاب ولم يضمنوا الارحام ولم يخلقوا من
ماء مهين ولم يختلف عليهم حوادث الدهر وظاهر كون هذه الامور الاربعة نقصانات لزوم الحيوان العنصري
لاستلزامها التغير ومخالطة الحال المستقذرة ومعاناة الاسقام والامراض وساير الحالات البدنية المانعة عن
التوجه فكان سلبها عمن لا يجوز عليه من كمالاته وقوله وانهم على مكانهم منك الى آخره لما بين عظمة الملائكة انتبه
الى ما هو شرع في المقصود وهو بيان عظمة الله بالنسبة اليهم وحقارتهم على عظمتهم بالقياس الى عظمته وكبريائه
اي انهم مع كونهم على هذه الاحوال التي توجب لهم العظمة والاجلال من قرب منزلتهم منك وكمال محبتهم لك وعرفانهم
فيك واكبر بالك عن الالتفات الى غيرك لو عرفوا كنه معرفتك لصغرت في اعينهم اعمالهم وعلموا ان لا نسبة لعبادتهم
الى عظمتك وجلال وجهك ولما كان كمال العبادة ومطابقتها للامر المطاع بحسب العلم بعظمته وكانت ذات الحق
سبحانه اعظم من ان يطلع على كنهه ملك مقرب او نبي مرسل لاجرم كانت عبادة الملائكة بحسب معارفهم
القاصرة عن كنه حقيقته فكل من كانت معرفته اتم كانت عبادة من دونه مستحقرة في جانب عبادته حتى لو
زادت معارفهم به وامكن اطلاعهم على كنه حقيقته لزادت عبادتهم وكانت اكثر فاستحقروا ما كانوا فيه
وعابوا انفسهم بقصور الطاعة والعبادة عما يستحقه كماله المطلق وعبر بقلة الغفلة عن عدمها في حقهم مجازا
اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان كل معدوم قليلا ولا ينعكس وحمل قلة الغفلة في مقابلة كثرة الطاعة يحتمل
ان يريد بقلة الغفلة قوة معرفة بعضهم بالنسبة الى بعض مجازا ايضا اطلاقا لاسم الملزوم على اللازم اذ كانت
قلة الغفلة مستلزمة لقوة المعرفة وزيادتها وقد سبق ذكر انواع الملائكة السماوية وغيرهم وذكر نكت من احوالهم في

الخطبة الاولى الفصل الثاني قوله سبحانك خالقا ومعبودا بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا وجعلت فيها
مادبة مشربا ومطعما وازواجا وخدما وقصورا وانهارا وزروعا وثمارا ثم ارسلت داعيا يدعو اليها فلا الداعي
اجابوا ولا فيما رغبت رغبوا ولا الى ما شوقت اليه اشتاقوا اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصطلحوا على
حبها ومن عشق شيئا اعشى بصره وامرض قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة ويسمع باذن غير سميعة قد خرقت الشهوات
عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت عليها نفسه فهو عبد لها ولمن في يديه شيء منها حيث ما زالت زال اليها
وحيث ما اقبلت اقبل عليها لا ينزجر من الله بزاجر ولا يتعظ منه بواعظ وهو يرى الماخوذين على الغرة حيث لا اقالة
ولا رجعة كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يامنون وقدموا من الاخرة على ما كانوا يوعدون
فغير موصوف ما نزل بهم اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها اطرافهم وتغيرت لها الوانهم
ثم ازداد الموت فيهم ولوجا فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله
وبقاء من لبه يفكر فيم افنى عمره وفيم اذهب دهره ويتذكر اموالا جمعها اغمض في مطالبها واخذها من مصرحاتها
ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها واشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون
المهنا لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامة على ما اصحر له عند الموت من امره ويزهد
فيما كان يرغب فيه ايام عمره ويتمنى ان الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه فلم يزل الموت
يبالغ في جسده حتى خالط سمعه فصار بين اهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفه بالنظر في وجوههم يرى
حركات السنتهم ولا يسمع رجع كلامهم ثم ازداد الموت التياطا فقبض بصره كما قبض سمعه وخرجت الروح من
جسده فصار جيفة بين اهله قد اوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه لا يسعد باكيا ولا يجيب داعيا ثم حملوه
الى مخط من الارض واسلموه فيه الى عمله وانقطعوا عن زورته اقول المادبة بضم الدال وفتحها الطعام يصنع ويدعى
اليه والوله التحير لشدة الوجد والمحبة واغمض اي ازداد من مطالبها وتساهل في وجوه اكتسابها ولم يحفظ دينه
والتبعة ما يلحق من اثم وعقاب والمهنا المصدر من هنؤ الطعام وهنئ بالكسر والعبء الحمل واصحر انكشف ورجع
الكلام جوابه وترديده والالتياط الالتصاق والمخط موضع الخط كناية عن القبر يخط اولا ثم يحفر ويروى بالحاء
ومحط القوم منزلهم وفي هذا الفصل نكتتان الاولى ان خالقا ومعبودا حالان انتصبا عما في سبحانك من معنى
الفعل اي اسبحك خالقا ومعبودا واشار بذلك الى وجوب تنزيهه في هذين الاعتبارين اعني اعتبار كونه
خالقا للخلق ومعبودا لهم عن الشركاء والانداد فانه لما تفرد بالابداع والخلق واستحق بذلك التفرد تفرده بعبادة
الكل له وجب تنزيهه عن مساواته في الاعتبارين الثانية قوله بحسن بلائك عند خلقك خلقت دارا الجار والمجرور متعلق
بخلقت ولفظ الدار مستعار للاسلام ولفظ المادبة للجنة والداعي هو الرسول صلى الله عليه وآله وقد جاء مثلها
الخبر في بعض امثاله صلى الله عليه وآله وهو ان الله جعل الاسلام دارا والجنة مادبة والداعي اليها محمدا ووجه الاستعارة
الاولى ان الاسلام يجمع اهله ويحميهم كالدار ووجه الثانية ان الجنة مجمع الشهوات ومنبع اللذات كالمادبة يجتمع

من يريد الدار الاخرة باعتبار كونها مجمعا ومستقرا والمادبة فيها الجنة والمنصوبات الثمانية مميزات لتلك
المادبة وظاهر ان وجود الاسلام والجنة والدعوة اليها بلاء حسن من الله لخلقه وقد عرفت معنى البلاء
تعالى وقال بعض الشارحين ان قوله بحسن بلائك متعلق بسبحانك او بمعبودا وهو بعيد الثالثة قوله فلا الداعي
اجابوا الى قوله بواعظ شرح لحال العصاة الذين لم يجيبوا داعي الله وبيان لعيوبهم وغرقهم في حب الباطل
من الدنيا ومايلة اما المتنبهين اللازمين لاوامر الله المجيبين لدعوته فتنبيههم عن الركون الى هولاء والوقوع
فيما وقعوا فيه واما الهولاء فتنبيههم من رقدة غفلاتهم بتذكيرهم عيوبهم لعلهم يرجعون واستعار لفظ
الجيفة للدنيا ووجه المشابهة ان لذات الدنيا وقيناتها في نظر العقلاء واعتبار الصالحين منفور عنها
ومهروب منها ومستقذرة كالجيفة والى ذلك اشار بالوصف لها وما هي الا جيفة مستحيلة عليها كلاب
ههنا جذابها فان تجتنبها كنت سلما لاهلها وان تجتذبها نازعتك كلابها ويمكن اخذ معنى الجيفة
الثاني في وجه الاستعارة المذكورة وكذلك استعار لفظ الافتضاح لمن شهرها باقتنائها وجمعها والخروج
به عن شعار الصالحين ووجه الاستعارة انه لما كان الاقبال على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الله من اعظم
الكبائر والمساوي في نظر الشارع والسالكين لطريق الله وكان الافتضاح عبارة عن انكشاف المساوي
والمعايب قبحها الاجرام اشبه الاشتهار بجمعها وانكشاف الحرص عليها الافتضاح ويمكن ان يصدق
الافتضاح هنا حقيقة وكنى باكلها عن جمعها ويجوز بلفظ الاصطلاح في التوافق على حبها اطلاقا لاسم
الملزوم على لازمه فان الاصطلاح عبارة عن التراضي بعد التغاضب ويلزمه الاتفاق على الاحوال وقوله ومن عشق
شيئا اعشى بصره وامرض قلبه كبرى قياس دل على صغراه قوله واصطلحوا على حبها لان الاصطلاح على محبة
الشيء يستلزم شدة محبته وهو معنى العشق ونتيجته ان المذكورين في معرض الذم قد اعشت الدنيا ابصارهم
وامرضت قلوبهم واستعار لفظ البصر لنور البصيرة ملاحظة لشبه المعقول بالمحسوس ولفظ العشا لظلمة
الجهل ملاحظة لشبه الظلمة العارضة للعين بالليل واسناد الاعشاء الى الدنيا يحتمل ان يكون حقيقة لما يستلزم
حبها من الجهل والغفلة عن احوال الاخرة ويحتمل ان يريد البصر حقيقة ويكون لفظ العشا مستعارا لعدم
استفادتهم بابصارهم عبرة لقصرهم عن حب الدنيا الى ملاحظة احوال الاخرة ويريد قوله فهو ينظر بعين
غير صحيحة وكنى بعدم صحتها عما يلزم العين غير الصحيحة من عدم الانتفاع بها في تحصيل الفائدة وكذلك
استعار لفظ المرض للداء الاكبر وهو الجهل استعارة لفظ المحسوس للمعقول وقوله فهو يسمع باذن غير سميعة
كنى بذلك عن عدم افادتها عبرة من المواعظ والزواجر الالهية كما سبق وكذلك استعار لفظ الخرق لتفرق
عقله في مهمات الدنيا ومطالبها ووجه الاستعارة ان العقل اذا استعمل فيما خلق لاجله من تحصيل
الزاد ليوم المعاد واقتباس العلم والحكمة من تصفح جزئيات الدنيا والاستدلال منها على وجود الصانع
وما ينبغي له ونحو ذلك مما هو كمال السعداء في الاخرة فانه يكون منتظما منتفعا به اما اذا استعمل فيما لا ينبغي من

جمع متفرقات الدنيا وتوزيع الهمة في تحصيل جزئياتها وضبطها حتى يكون ابدا في الحزن والاسف على فوات ما فات
وفي الخوف من ذهاب ما يحصل وفي الهمة والحرص على جمع ما لم يحصل بعد فانه يكون كالثوب المخرق الذي
لا ينتفع به صاحبه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله همه وجعل فقره بين
عينيه الحديث وشبه ذلك الحريق الى الشهوات ظاهرة الكان زمام عقله بيد شهوة فهي تقوده وتركته
على حسب تصرفاتها وميلها الى انواع المشتهيات وكذلك استعار لفظ الامانة لعكسه ووجه المشابهة خروجه
عن الانتفاع بالانتفاع الحقيقي الباقي كالميت والضمير في قوله عليها يعود الى الدنيا اي وولهت الدنيا على نفسها فقد
وكنى بالتولية عن شدة المحبة لها واطلقه مجاز التسمية الشي بما هو من غاياته وكذلك استعار لفظ العبد لها باعتبار
كون محبها والمجرد لتحصيلها متصرفا بحسب تصرفاتها ودائرا في حركاته حيث دارت فان كانت في يد اقبل
عليها بالعمارة والحفظ وان زالت عنه انصب الى تحصيلها وخدمه من كانت في يده لغرضها فهو في
ذلك كالعبد لها بل اخس حالا كما قال عليه السلم في موضع اخر عبد الشهوة اذل من عبد الرق اذ الباعث لعبد الرق
على الخدمة والانقياد قد يكون قسريا والباعث لعبد الشهوة طبيعي وشتان ما هما الرابعة قوله وهو ترك الماخوذ
على الغرة قالوا افي قوله وهو الحال وهو شروع في وصف نزول الموت بالغافلين عن الاستعداد له ولما وراءه من
الاخرة وكيفية قبض الموت لارواحهم من مبدا نزوله بهم الى اخره وكيفية احوالهم مع اهليهم واخوانهم معه
وهو وصف لا مزيد على وضوحه وبلوغه غاية وغايته مذكرا للعصاة باهوال الموت ونحيهم من غفلته في الباطل
بذلك على وجوب العمل وتنبيهًا للسالكين الى الله على ما هم عليه ومراده بقوله ما كانوا يجهلون ان الموت
معلوم لكل احد انه متصل سكراته واهواله اشارة الى الموت وما بعده فان الغافل حال انهماكه في لذات الدنيا
لا يعرض له خوف الموت بل يكون في تلك الحال كالناسي له وقوله غير موصوف ما نزل بهم اي ليس في ذلك ما يمكن
بوصف بل غاية التمثيل كما ورد في التورية ان مثل الموت كمثل شجرة شوك ادخلت في بدن ابن آدم فتعلقت كل شوكة بعرق
وعصب ثم جذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى واستعار لفظ الولوج لما يتصور من فرقه
الحياة لعضو عضو فاشبه ذلك دخول جسم في جسم آخر وكذلك استعار العيث للالام التي عملها السفر في
عكر الطهر استعارة لفظ المحسوس للمعقول الخامسة قوله والمرء قد علقت رهونه بها فضرب مثلا لحصول المرء
تبعات ما جمع وارتباطه بها عن الوصول الى كماله وانبعاثه الى سعادته بعد الموت وقد كان يمكنه فكاكها بالتوبة والاعمال
الصالحة فاشبه ما جمع من الهيئات الردية في نفسه عن اكتساب الاموال فارتهنت بها في ما على الرهن من المال
وقال بعض الشارحين اراد انه لما اشفى على الفراق صارت الاموال التي جمعها مستحقة لغيره ولم يبق له بها تصرف
فاشبهت الرهن الذي غلق على صاحبه فخرج عن كونه مستحقا لصاحبه وصار مستحقا للمرتهن وهذا وان كان
محتمله الا انه ضعيف لما ان قوله بها لان الضمير يعود الى الاموال المجموعة واشارة الى المال الذي اغلق الرهن فلا
يكون هي نفس الرهن قوله وهو يعض يده كناية عن لوازم ذلك من الاسف والحزن والندم على تفريطه في جنب الله حيث كذا

وما كانوا يامنون م

حال الموت انقطاع سببه من الله وفوت ما كان يتوهم بقاءه عليه مما اشتغل به عن ربه وحيث يتحسر على ذلك
التفريط كما قال تعالى ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او الرجعة الى الدنيا للامتثال ما فرطت فيه من الاوامر الالهية فيقول حين يرى
العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وكما قال لعم ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا
ونبه عليه السلم في هذا الكلام على ان آلة النطق تبطل من الانسان حال الموت قبل آلتي السمع والبصر بقوله
فحيل بين احدهم وبين منطقه وانه لبين اهله ينظر ببصره ويسمع باذنه على صحة من عقله ثم نبه على ان بطلان
السمع بعدها قبل آلة البصر وان آلة البصر تبطل مع المفارقة بقوله حتى خالط سمعه الى قوله يرى حركات السنتهم
ولا يسمع رجع كلامهم وذلك لعلمه عليه السلم باسرار الطبيعة وليس كلامه مطلقا بل في بعض الناس واغلب ما يكون
ذلك فيمن يعرض له الموت الطبيعي لا لآفة والا فقد يعرض لا فساد البصر وآلته قبل آلة السمع وآلة النطق والذي
يلوح من اسباب ذلك انه لما كان السبب العام القريب للموت هو انطفاء الحرارة الغريزية عن فناء الرطوبة
عن محل الحرارة الغريزية فيها التجفيف والتحليل ووقوعها على ذلك الاسباب الخارجية من الاهوية واستعمال
الادوية المجففة وسائر المجففات كان كل عضو ايبس في طبيعته وابرد اسرع الى البطلان واسبق الى الفساد ثم عرفت
ذلك فنقول اما ان آلة النطق اسرع فسادا من آلة السمع فلان آلة النطق مبنية على الاعصاب المحركة ومركبة منها وآلة السمع
من الاعصاب المفيدة للحس واتفق الاطباء على ان الاعصاب المحركة ايبس وابرد لكونها منبعثة من موخر الدماغ و
الاعصاب المفيدة للحس فان جلها منبعث من مقدم الدماغ فكانت لذلك اقرب الى البطلان ولان النطق اكثر
شرايط من السماع لتوقفه مع الآلة وسلامتها على الصوت وسلامة مخارجه ومجاري النفس والاكثر شرطا اكثر
شروطا اسرع الى الفساد واما بطلان آلة السمع قبل البصر فلان منبت الاعصاب التي هي محل القوة السامعة اقرب الى مؤخر
الدماغ من منابت محل القوة الباصرة فكانت ايبس وابرد واقبل لانطفاء الحرارة الغريزية ولان العصب المفروش على
الصماخ الذي رتبت فيه قوة السمع احتاج ان يكون مكشوفا غير مستور عنه سبيل الهواء بخلاف العصب الذي
هو آلة البصر فكانت لذلك اصلب والاصلب ايبس واسرع فسادا هذا مع انه قد يكون ذلك لتحلل الروح الحامل للسمع قبل
الروح الحامل للبصر او لغير ذلك والله اعلم واما سبب النفرة الطبيعية من الميت والتوحش من قربه فحكم الوهم على المخيلة
بمحاكاة حاله في نفس المتوهم وعزل العقل في ذلك الموضع حتى ان المجاور للميت في موضع منفرد يتخيل ان الميت يجذبه
اليه ويصيره بحاله مثل حالته المنفور عنها طبعا السادسة قوله ويسلمون الى عمله اشارة الى ان كل ثواب وعقاب
اخروي فايض على النفس بحسب استعدادها باعمالها السابقة الحسنة والسيئة فعمل الانسان هو النافع والضار له
حين لا ناصر له ولما كان قصده عليه السلم في هذا الكلام الى الانذار والتخويف لاجرم ذكر اسلامهم الى عمل
لان الاسلام انما يكون الى العدو فلما حاول ان ينفر عن قبيح الاعمال نبه على ان عمل الانسان القبيح يكون كعدو
القوي عليه يسلم اليه **الفصل الثالث** قوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله والامر مقاديره والحق اخر الخلق باوله

الاصلية التي منها فضلها وكان فناؤها الرطوبة م

وجاء من امر الله ما يريده من تجديد خلقه اماد السماء وفطرها وارتج الارض وارجفها وقلع جبالها ونسفها ودك
بعضها بعضا من هيبة جلال الله وخوف سطوته واخرج من فيها الخلق بعد اخلاقهم وجمعهم بعد تفرقهم
ميزهم عارفين من مسالكهم عن الاعمال وخبايا الافعال وجعلهم فريقين انعم على هؤلاء وانتقم من اولئك اما اهل الطاعة
فاثابهم بجواره وخلدهم في داره حيث لا يظعن النزال ولا يتغير بهم الحال ولا تنوبهم الافزاع ولا تنالهم الاسقام
ولا تنالهم الاسقام ولا تعرض لهم الاخطار ولا تشخصهم الاسفار واما اهل المعصية فانزلهم شر دار وغل الايدي
الى الاعناق وقرن النواصي بالاقدام والبسهم سرابيل القطران ومقطعات النيران في عذاب قد اشتد حره
وباب قد اطبق على اهله في نار لها كلب ولجب ولهب ساطع وقصيف هائل لا يظعن مقيمها ولا يفادى اسيرها
ولا تفصم كبولها لا مدة للدار فتفنى ولا اجل للقوم فيقضى **اقول** الرج والرجف الاضطراب الشديد وورد
رجها بغير همزة وهو الاشهر ونسفها قلعها من اصولها وتبديدها ودك بعضها بعضا اصطدمت وشتتهم فرقهم
والخطر الاشراف على الهلاك ويخص خرج من منزل الى آخر واخصه غيره والكبل القيد الشديد والجلب والجلبة الصياح
والقصيف الصوت الشديد والكبول الاغلال اواحدها كبل وفصمها كسرها واشار بقوله حتى اذا بلغ الكتاب اجله
الى غاية الناس في موتهم وهو بلوغ الوقت المعلوم الذي يجمع له الناس وهو يوم القيمة واراد بالامر القضاء ومقاديره
نفا صيله من الآثار التي توجد على وفقه كما سبق بيانه وبحوق الخلق بآخره اشارة الى تواقيهم في الموت وتساويهم فيه
كما نطق الشريعة وتجديد الخلق بعثهم واعادتهم واما اماد السماء وشقها وارجاج الارض ونسف الجبال فالظاهر
الشريعة الناطق بخراب هذا العالم ناطق به واما من يزعم بقاءه فربما عدلوا الى التاويل والذي يحتمل ان يقال فيه وجوه
احدها ان القيمة لما كانت عندهم عبارة عن موت الانسان ومفارقته لهذا البدن وما يدرك بواسطته من الاجسام
والجسمانيات ووصوله الى مبداه الاول كان عدمه من هذه الاشياء مستلزما الغيبة عنه وعدمها وخرابها
بالنسبة فيصدق عليه انه اذا انقطع نظره من جميع الموجودات سوى مبداه الاول جلت عظمته انها قد عدمت
وتفرقت وكذلك اذا انقطع نظره عن عالم الحس والخيال ومتعلقاتهما من الاجسام والجسمانيات واتصل بالملاء الاعلى
فبالحري ان تبدل الارض والسموات بالنسبة اليه فيصير عالم الاجسام والجسمانيات ارضا وعالم المفارقات سماء
الثاني ان هذه الموجودات المشار اليها لما كانت مقهورة لجام الامكان في قبض القدرة الالهية كان ما نسب اليها
من الانشقاق والانفطار والارتجاج والنسف وغيرها امورا ممكنة في نفسها وان امتنعت بالنظر الى الاسباب
الخارجية فعبر عما يمكن بالواقع مجازا وحسنه في العربية معلوم وغايته التهويل بما بعد الموت والتخويف الفصل بتلك
الاهوال الثالث انه لا يحتمل ان يريد بالارض القوابل للجود الالهي استعارة فعلى هذا امادة السماء عبارة عن حركاتها
واتصالات كواكبها التي هي اسباب معدة للقوابل لهذا العالم وانفطارها افاضة الجود بسبب تلك المعدات
على القوابل وارجاج الارض اعدادا لمواد لاعادة امثال هذه الابدان او لنوع آخر بعد فنا النوع الانساني وقلع الجبال
ونسفها ودكها اشارة الى زوال الموانع الاستعدادات لنوع آخر ان كان او لاعادة ابناء هذا النوع استعارة

ان الارض بنسف الجبال تسوى سطحها وتعتدل فكذلك قوابل الجود يستعد ويعتدل لان يفاض عليها صورة
نوع آخر او صور اخرى لابناء هذا النوع **الرابع** قال بعض الفضلاء ان يريد بالسماء سماء الجود الالهي وبالارض عالم الانسان فيحتمل
ان يكون امادة السماء عبارة عن ترتيب كل استحقاق القابل في القضاء الالهي والفطر عبارة عن الفيض وارتجاج
الارض وارجافها عبارة عن الهرج والمرج الواقع بين نوع الانسان وقلع جبالها ونسفها ودك بعضها ببعض
عبارة عن اهلاك الجبابرة والمعاندين للناموس الالهي وقتل بعضهم ببعض كل ذلك باسباب قهرية مستندة
الى هيبة جلال الله وعظمته واخراج من فيها وتجديدهم اشارة الى ظهور ناموس آخر وتجديد لهذا الناموس
والمتبع اذن قوم آخرون هم كنوع جديد وتميزهم فريقين منعم عليهم ومنتقم منهم ظاهر فان المستعدين لاتباع
الناموس الشرعي والعاملين به هم المنعم عليهم المثابون والتاركين له المعرضين عنه هم المنتقم منهم
المعاقبون فاما صفة الفريقين وما اعد لكل منهم بعد الموت فعلى ما نطق به الكتاب العزيز ووصفه
هذه الالفاظ الكريمة وعلى ضد التاويلات السابقة لم يعدل عن الظواهر فثواب اهل الطاعة جواره اياهم
وملاحظة الكمال المطلق له وخلودهم في داره بقاؤهم في تلك النعمة غير جائز عليهم الفناء كما نطق عليه الشرع
والبرهان وكونهم غير ظاعنين ولا متغيري الاحوال ولا فزعين ولا ينالهم سقم ولا خطر ولا يشخصهم سفر فلان كل
ذلك من لواحق الابدان والكون في الحياة الدنيا بحيث زالت عوارضها ولواحقها واما جزاء اهل المعصية
فانزالهم شر دار هي جهنم التي هي البعد البعيد عن جوار الله وغل ايديهم الى اعناقهم اشارة الى قصور قواهم العقلية
عن تناول ثمار المعرفة وقرن النواصي بالاقدام اشارة الى انتكاس رؤوسهم عن مطالعة انوار الحضرة الالهية والباسهم
سرابيل القطران استعار لفظ السرابيل للهيئات البدنية المتمكنة من جواهر نفوسهم ووجه المشابهة اشتمالها عليها
وتمكنها منها كالسرابيل للبدن ونسبتها الى القطران اشارة الى شدة استعدادهم للعذاب وذلك اشتعال النار فيما
يسبح القطران اشد نحو قوله تعالى سرابيلهم من قطران وكذلك مقطعات النيران اشارة الى تلك الهيئات التي تمكنت
من جواهر نفوسهم ونسبتها الى النار لكونها تلبس اهلها فهي منها كما قال تعالى قطعت لهم ثياب من نار ولما كان
سبب الخروج من النار هو الخروج الى الله من المعاصي بالتوبة والرجوع الى تدبر الآيات والعبر النوافع وكان البدن
وحواسه ابواب الخروج الى الله مع الموت تغلق تلك الابواب فلا جرم سعي الكفار ودار اطبق تلك الابواب في شدائد
حرارة ذلك العذاب ولهب النار وجلبها واصواتها الهائلة استعارة لاوصاف النار المحسوسة المستلزمة للهيبة
والخوف حتى النار المعقولة التي هي في الحقيقة اشد نفوذا ولكنها وانما عدل الى المحسوس لغفلة عن صفات تلك
النار وعدم تصور اكثر الخلق لها الا من هذه الاوصاف المحسوسة وكونها لا يظعن مقيمها كناية عن التخليد والتي
في حق الكفار ولفظ الاسير والعدو استعارة وكذلك لفظ الكبول استعارة للقيود الهيئات البدنية المتمكنة
من جواهر نفوس الكفار فكما لا ينفصم القيد الوثيق من الحديد ولا يفك المكبل كذلك النفوس المقيدة بالهيئات
الردية البدنية عن المشي في سبيل جلال الله وعظمته والتنزه في جنان حظائر قدسه ومقامات اصفيائه

ولما كان الاجل مفارقة البدن لم يكن لهم بعد موتهم لبلاء لا ابدان بعد الابدان ولا خلاص من العذاب الاليم
الوديه لاعناق نفوسهم وتمكنها منها فهذا اما اعتبار [?] اوقوشا وعبر به عن الاسرار التي يدعو منها تحت هذه
العبارات الواضحة التي وردت الشريعة بها لكنك قد علمت ان العدول الى هذه التاويلات وامثالها مبني على
امتناع المعاد البدني وذلك مما صرحت به الشريعة تصريحا لا يجوز العدول عنه ونصوصا لا تحتمل التاويل فاذا
حملنا الكلام على ما وردت به الشريعة فهذا الكلام منه عليه السلام افصح ما يوصف به حال القيمة والمعاد
والعرض لشرحه يجري مجرى ايضاح الواضحات وبالله التوفيق **منها في ذكر النبي** قد حقر الدنيا وصغرها
واهون بها وهونها وعلم ان الله زواها عنه اختيارا وبسطها لغيره احتقارا فاعرض عن الدنيا بقلبه وامات
ذكرها من نفسه واحب ان تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها رياشا او يرجو فيها مقاما بلغ عن ربه
معذرا ونصح لامته منذرا ودعا الى الجنة مبشرا نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع
الحكم ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة **اقول** الرياش اللباس والفصل اقتصاص
لحال الرسول صلى الله عليه وآله واوصافه الحميدة ليبني عليها ما مدح نفسه فقوله قد حقر الدنيا وتصغيرها [?]
اشارة الى ما كان عليه من الخلق [?] منها من ذكر [?] معايبها واهونها اشارة الى [illegible]
فيها وعلمه ان الله زواها عنه اختيارا اشارة الى ان زهده فيها كان عن علم منه باختيار الله له ذلك
وتسبيب اسبابه وهو وجه مصلحة لتستعد نفسه بذلك لكمال النبوة والقيام باعباء تكاليفها الالهية
وبسطها لغيره احتقارا لها وعلى الرواية الثانية فقد عرفت معنى الاختيار من الله لخلقه غيره [?] وكان
اعراضه عنها بقلبه واماتة ذكرها عن نفسه ومحبته ان تغيب زينتها عن عينه لئلا يتخذ منها رياشا او يرجو
فيها مقاما لجذب العناية الالهية له الى الالتفات اليها الى الكمالات العلوية وعن ان يحجبها عن [illegible]
نقضت العناية الالهية بنظام العالم ببعثه ثم اعقب ذلك بذكر احوال هي ثمرة النبوة التي هي ثمرة الزهد التام
وهي تبليغ رسالة ربه [?] الى خلقه ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ونصحهم انذارا بالعذاب الاليم في
عاقبة الاعراض عن الله ودعاؤه الى الجنة مبشرا لمن سلك سبيل الله ونهجه المستقيم بما اعد فيها من النعيم
المقيم ثم عقب اقتصاص تلك المدائح بالاشارة الى فضيلة نفسه وذلك منه في معرض المفاخرة بينه وبين مشاجره
كمعوية فاشار الى فضيلته من جهة اتصاله بالرسول صلى الله عليه وآله اذ كان من البيت الذي هو شجرة النبوة
ومحط الرسالة ومعدن العلم وينبوع الحكم بافضل مكان بعد الرسول صلى الله عليه وآله كما سبق بيانه في
بيان فضائله ولفظ الشجرة والمعادن والينابيع مستعار كما سبق واذ كان من تلك الشجرة كما علمت ولكل غصن من
الشجرة قسط من الثمرة بحسب قوته وقربه من الاصل وعناية الطبيعة به علمت مقدار فضيلته ونسبتها الى الرسول
صلى الله عليه وآله وقوله بعد ذلك ناصرنا ومحبنا الى آخره ترغيب في نصرته ومحبته وجذب اليها بالوعد برحمة
الله وافاضة بركاته وتنفير عن عداوته وبغضه وخذلانه بلحوق سطوة الله ولعل ذلك هو غاية هنا

صلى الله عليه وآله

من ذكر فضيلته وبالله التوفيق والعصمة **ومن خطبة له عليه السلام** ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله
سبحانه الايمان به وبرسوله والجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام وكلمة الاخلاص فانها الفطرة واقام
الصلوة فانها الملة وايتاء الزكوة فانها فريضة واجبة وصوم شهر رمضان فانه جنة من العذاب
وحج البيت واعتماره فانهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم فانها مثراة في المال ومنسأة
للاجل وصدقة السر فانها تكفر الخطيئة وصدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء وصنائع المعروف فانها
تقي مصارع الهوان افيضوا في ذكر الله فانه احسن الذكر وارغبوا فيما وعد المتقين فان وعده اصدق الوعد
واقتدوا بهدى نبيكم فانه افضل الهدى واستنوا بسنته فانها اهدى السنن وتعلموا القرآن فانه
احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته
فانه انفع القصص وان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله
بل الحجة عليه اعظم والحسرة له الزم وهو عند الله الوم **اقول** ذروة الشيء اعلاه والملة الدين والجنة
الوقاية ويرحضان بفتح الضاد يغسلان والرحض الغسل والمثراة وهي محل كثرة المال والثروة ومنسأة محل النسأ
وهو التاخير والافاضة في الذكر الاندفاع فيه والهدى هنا الاستدلال وهو مصدر وقد اشار عليه السلام في هذا
الفصل الى ان افضل الوسائل الموصلة الى الله سبحانه هو الايمان الكامل فالايمان بالله هو التصديق بوجوده
وهو اشارة الى اصل الايمان ثم له لواحق وكمالات احدها التصديق برسوله وانما قدمه على سائر العبادات
لانه اصلها الا انه بدونها [?] الثاني الجهاد في سبيله وقد عرفت فضائل الجهاد فيما سلف واشار الى وجه فضيلته
بكونه ذروة الاسلام واستعار لفظ الذروة له بملاحظة تشبيهه في العلو والمرتبة في الاسلام بالسنام البعير
وانما قدمه على الصلوة لكون سالكه على يقين من لقاء الله وقرب من التصديق بما جاء به الرسول حيث يلقى نفسه
الى التهلكة الحاضرة التي ربما يغلب على ظنه وقوعها فيها ولانه الاصل الاعظم في جمع العالم على الدين الثالث
كلمة الاخلاص وهي كلمة التوحيد المستلزمة لنفي الشركاء والانداد وهو معنى الاخلاص ولذلك اضيفت
اليه ووجه فضيلتها كونها فطرة الله التي فطر الناس عليها فان العقول السليمة البريئة عن شوائب العلائق البدنية
وعوارض التربية شاهدة ومقرة بما اخذ عليها من العهد القديم من توحيد صانعها وبراءته عن الكثرة
واطلق عليها اسم الفطرة وان كانت الفطرة عليها مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابع اقامة
الصلوة وانما جعلها الملة وان كانت بعض اركان الدين لانها الركن الاعظم من اركانه فاطلق عليها
ذلك اللفظ اطلاقا لاسم الكل على الجزء مجازا واعلم ان للصلوة فضائل واسرارا نبهنا عليها فيما سلف
وقد ورد فيها اخبار كثيرة بعد تاكيد القرآن الكريم للامر بها كقوله صلى الله عليه وآله الصلوة عمود الدين
من تركها فقد هدم الدين وقوله مفتاح الجنة الصلوة وقوله في فضل اتمامها ان الرجلين من امتي يقومان
في الصلوة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وقوله اما يخاف الذي يحول

فضائل الصلوة

وجهه في الصلوة ان يحول الله وجهه وجه حمار وقوله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من
الدنيا غفر الله له ذنوبه واما اسرارها فينقسم الى عامة والى خاصة اما العامة فهو ما سلف في شرح
الحج في الخطبة الاولى السر العام لجميع العبادات وهي كونها متممة للغرض الثاني من اغراض العارف
ومعينة على تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة وتمرينها على موافقتها واذا لاح لك هذا السر
فقد علمت ان جميع الآيات والاخبار الواردة في فضلها يرجع معناها اليه كنهيها عن الفحشاء والمنكر
في قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ كان سببهما القوة النزوعية اذا خرجت عن حكم العقل
فاذا كانت الصلوة هي التي توجب دخولها تحت حكم العقل والعقل ناه عن الفحشاء والمنكر فقد كانت الصلوة
هي السبب في الانتهاء وكانت ناهية وظهر ايضا معنى كونها عماد الدين اذ قال بني الاسلام على خمس وكان
منها عمادها يجب شرائطه فمن اخل بها فقد هدم بنيانه الذي يصعد به الى الله وكذلك كونها مفتاح الجنة
اذ بها يفتح باب من ابواب الوصول الى الله ولذلك لظهر التفاوت الذي اشار اليه صلى الله عليه وآله في صلاة
الرجلين من امته فانه لما كانت فائدة الصلوة هو الالتفات الى الله تعالى بقمع الشيطان وكان احد الرجلين في
في صلاته خاشعا لخشية الله مستحضر العظمة والآخر غافلا عن هذه الجهة فقد صرف الشيطان وجه
قلبه الى غير القبلة فان حديث الاخير وكذلك ما اشار اليه من التخويف لمن يحول وجهه في الصلوة فانه ملهي منه
عن الغفلة عن الالتفات الى الله وملاحظة عظمته في حال الصلوة فان الملتفت يمينا وشمالا لا ملتفت
عن الله وغافل عن مطالعة انوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك ان تدوم تلك الغفلة عليه فيحول وجه قلبه كوجه
قلب الحمار في قلة عقليته للامور العلوية وعدم اكرامه بشيء من العلوم والقرب الى الله وكذلك غفران ذنب المصلي
بسبب تركه حديث نفسه بشيء من الدنيا فانه في تلك الحال ملتفت الى الله تعالى غافل عن غيره والالتفات اليه
هو روح العبادة وخلاصتها ولذلك قال صلى الله عليه وآله انما فرضت الصلوة وامر بالحج والطواف واشعرت
المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك المذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة
ذكرك وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلوة فكأنه
لم يعرفنا ولم نعرفه شغلا بالله عن كل شيء وكان علي عليه السلم اذا حضرت الصلوة يتململ ويتزلزل ويتلون فيقال له
ما لك يا امير المومنين فيقول لمن ما لك يا امير المومنين فيقول جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والارض
فابين ان يحملنها واشفقن منها وكان علي بن الحسين ع اذا حضر للوضوء اصفر لونه فيقال له ما هذا
الذي يعتادك عند الوضوء فيقول ما تدرون بين يدي من اقوم وكل ذلك اشارة الى استحضار عظمة الله
والالتفات اليه حال العبادة والانقطاع عن غيره واما ما يخصها من الاسرار فقد علمت ان الصلوة تشتمل على
ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود اما الذكر فظاهر انه محاورة ومناجاة لله تعالى وغايتها استلزام الالتفات
اليه وتذكره لتجذب القوى الشيطانية تحت قياد العقل ويتم تعوده بذلك وهو المقصود من القراءة والاذكار

من اسرار الصلوة وأركانه

وتحميد وثناء وتضرع ودعاء وليس المقصود منه الحرف والصوت امتحانا للسان بالعمل وان حصلت
الغفلة فان تحريك اللسان بالهذيان خفيف على الانسان لا كلفة فيه من حيث هو عمل سيما في حال
الذكر وفضيلته وغايته في موضع اليق ان شاء الله واما الركوع والسجود والقيام والقعود فالغرض بها التعظيم
لله تعالى المستلزم للالتفات اليه وذكره ايضا اذ لو جاز ان يكون معظما لله بفعله وهو غافل عنه لجاز
ان تعظيم صنما موضوعا بين يديه وهو غافل ويؤيد ذلك ما روى عن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
في الصلوة فلا صلوة له وقال عليه السلم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما
يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ولما عرفت ان الاصل من اركانها هو الالتفات الى الله تعالى فاعلم ان
الالتفات اليه مستلزم للذكر والفهم لان الالتفات اليه انما يراد لمطالعة كبريائه وعظمته والمطالعة
ليس الا للفكر الذي هو عين البصيرة وحدقة العقل الانساني ثم ان الذكر والفهم مستلزم للتعظيم
فان مطالعة عظمة الله اعظم من ان لا يعظمها العارف بها والتعظيم مستلزم للخوف والرجاء فانا نجد
عند تصور عظمة ملك من ملوك الدنيا وجه الحضور بها انا نتقهقر عن مكالمته ومحاورته ويلزم معه
السكوت والخضوع وربما تبع ذلك رعدة البدن وتلعثم اللسان ومنشأ كل ذلك الخوف الحادث عن
تصور عظمته فكيف بتصور جبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة وكذلك الرجاء فانا عند تصور عظمة الله
تصور ان الكل منه وذلك باعث على رجائه خصوصا وقد تأكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف
والرجاء وكذلك يستلزم الحياء لان المتصور لعظمة الاله لا يزال مستشعر التقصير ومتوهما ذنبا وذلك
الاستشعار والتوهم يوجب الحياء من الله سبحانه الخامس ايتاء الزكوة وهي ركن قوي من اركان الدين واشار الى
فضيلتها بكونها فريضة واجبة قال قطب الدين الراوندي رحمه الله اراد بالفريضة السهم المقتطع من المال للفقراء
المستحقين المسمى زكوة قال وهو عرف شرعي لا الفريضة بمعنى الواجب فان كل العبادات الواجبة كذلك ولان الفرض
والواجب بمعنى فيكون قوله فريضة واجبة تكرارا واقول ما ذكره وجه حسن وهو اشارة الى بعض اسرارها كما بينه
فعمدة العبادة مع السر العام الشامل لجميع العبادات وهو الالتفات الى الله تعالى ومحبته اسرارها الاول ان المرام
بكلمة الشهادة التوحيد المطلق وافراد المعبود بالتوجه اليه وذلك لا يتم الا بنفي كل محبوب عداه فان المحبة
لا تحتمل الشركة والتوحيد باللسان قليل الفائدة في الباطن وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوب والاموال
محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وانسهم بها ونفرتهم عن الموت فامتحنوا بتصديق دعواهم في
المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة ولما فهم الناس هذا المعنى انقسموا اقساما فطائفة اخلصوا في حب معشوقهم ووفوا بعهده فبذلوا
اموالهم ولم يدخروا منها شيئا حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم قال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة
دراهم واما علينا فيجب بذل الجميع ومنهم من قعد عن هذه المرتبة وامسكوا اموالهم ولاقوا مواقيت الحاجات

ومواسم الخيرات وجعلوا قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة الى
وجوه البر وهؤلاء لا يقتصرون على واجب الزكوة كالنخعي والشعبي ومجاهد وقيل للشعبي هل في المال حق سوى الزكوة
فقال نعم اما سمعت قوله تعالى واتى المال على حبه ذوي القربى الاية واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
ولم يجعلوا ذلك مخصوصا بآية الزكوة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا
ان يزيل حاجته بما يفضل عن مال الزكوة ومنهم من اقتصر على اداء الواجب من الزكوة من غير زيادة ولا نقصان وهي
ادون الرتب وقد اقتصر جميع العوام على ذلك لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وضعف حبهم للآخرة ولزم هذا السر
تطهير ذوي الاموال عن رذيلة البخل فانها من المهلكات قال عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه ووجه كونه مهلكا انه انما يصدر عن محبة المال وقد علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من
احداهما يبعد من الاخرى فكانت محبة المال صارفة عن التوجه الى الله ومبعدة عنه وذلك يستلزم الهلاك
كما مر واما زوال هذه الرذيلة فبتعود البذل لان حب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته بالتدريج حتى يصير
ذلك عادة فالزكوة بهذا المعنى طهور اي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وفرحه
واستبشاره بصرفه في جنب الطاعة ومحبة له ومن لحظ الجزء كل محبوب عداه عن محبة الله السر الثاني
شكر النعمة فان لله على العبد نعمة في نفسه وشكرها العبادات البدنية ونعمة في ماله وشكرها العبادات المالية
ولما اخس وابعد عن رحمة الله من نظر الى فقير قد ضيق عليه في الرزق ثم اضطر اليه فلم تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله
تعالى على ما اغناه عن السؤال واحوج غيره اليه بعشر او ربع عشره السر الثالث يتعلق باصلاح المدن وتدبير
اهلها وهو ان جعل الله هذا القرض في اموال الاغنياء شركة للفقراء ليسد بذلك خلتهم واليه اشار عليه السلام بكونه حقا
واجبة وفي هذا السر سران احدهما ان يكون ذلك معينا لهؤلاء على عبادة الله كي لا يشتغلوا بالطلب عنها الثاني
ان تنكسر هممهم عن حسد اهل الاموال والسعي بالفساد في الارض فلا ينتظم امر المدينة وتكون قلوبهم ساكنة الى ذلك
القدر معلقة مستمدة من الله بالدعاء في حفظ مال القوم مع اهل الاموال مجذوبة اليهم فيتم بذلك الالفة
والمعاونة والانس والمحبة الموجبات للالفة الموجبة لنظام العالم ودوام امر الدين وبقاء نوع الانسان لما لا يخفى
وجه السادس صوم شهر رمضان وتخصيصه بكونه جنة من العقاب دون ساير العبادات كذلك انه اشدها
وقاية الشهوة ومثيرها الاكل والشرب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وقال صلى الله عليه وآله لعايشة داومي قرع باب الجنة فقالت بماذا قال بالجوع وكان
الصوم على الخصوص ضرا وقمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه ولما كان العقاب انما يلحق الانسان من قبل الشيطان
في حقه بالشدة والضعف بحسب تفاوت قربه من الشيطان وبعده منه وكانت هذه العبادة ابعد شيء عن الشيطان
كان بسببها العبد بعيدا من العقاب فلذلك خصت بكونها وقاية منه واعلم ان هذه العبادة وان كانت عدمية
الا انها ليست عن ما صرف العدم ملكة محركة من الطبيعة تحريكا شديدا يتبعه صاحبها انه على جدد من الامر ليس هذه

وبيان ذلك انه مستلزم لقهر اعداء الله من الشياطين المطيفة بالانسان فان وسيلة الشيطان الشهوات وانما يقوى بها

قد يكون بسبب ما ينويه من ذلك التقرب الى الله سبحانه كما هو غاية السر العام للعبادات السابع الحج الى البيت
واعتماره وقد سبقت منا الاشارة الى اسراره في الخطبة الاولى والذي ذكره ههنا كونهما ينفيان الفقر
ويغسلان الذنب فجمع فيه بين منفعة الدنيا ومنفعة الآخرة اما منفعة الدنيا فكونهما ينفيان الفقر وذلك
بسبب التجارة الحاصلة في موسم الحج وقيام الاسواق بمكة حينئذ واما منفعة الآخرة فكونهما يغسلان الذنب
من لوح النفس كما علمته في اسرار العبادات وهذه هي المنافع المشار اليها في القرآن الكريم بقوله ليشهدوا منافع
لهم قال اكثر المفسرين هي منافع الدنيا من التجارة وهو المنقول عن سعيد بن جبير وابن عباس في رواية ابي رزين عنه
ومنهم من جعلها عامة في منافع الدنيا والآخرة كالتجارة والثواب وهو المنقول عن مجاهد وابن عباس في رواية
عطاء عنه الثامن صلة الرحم وذكر من فوايدها امرين احدهما كونها مثراة في المال وذلك من وجهين احدهما
ان العناية قسمت لكل حي قسطا من الرزق يناله مدة الحيوة الدنيا ويقوم به صورة بدنه فاذا اعدت شخصا من
الناس للقيام بامر جماعة وكفلته بامدادهم ومعونتهم وجب في العناية افاضة ارزاقهم على يده وما يقوم
بامدادهم بحسب استعداده لذلك سواء كانوا ذوي ارحام او مرحومين في نظره حتى لو نوى قطع احد منهم فربما نقص
ما يجب رزق ذلك المقطوع وذلك معنى كونه مثراة في المال الثاني ان صلة الرحم من الاخلاق الحميدة التي يميل
بها الطباع الخلق فواصل رحمه مرحوم في نظر الكل فيكون ذلك سبب الامداد ومعونته من ذوي الامداد والمعونات
كالملوك ونحوهم فكانت صلة الرحم مظنة لزيادة المال والثاني كونه منساة في الاجل وهو من وجهين احدهما
ان صلة الرحم توجب تعاطف ذوي الارحام وتوازرهم ومعاضدتهم لواصلهم فيكون عن اذى الاعداء ابعد وفي
مظنة تأخيره وطول العمر والثاني ان مواصلة ذوي الارحام توجب تعلق هممهم معا بواصلهم ومدده
بالدعاء وقد يكون دعاؤهم له وتعلق هممهم ببقائه من شرايط بقائه وانساء اجله فكانت مواصلتهم منساة في
اجله التاسع صدقة السر وذكر من فوايدها كونها تكفر الخطيئة وانما اختصها بذلك مع ان ساير العبادات كذلك
لكونها ابعد عن الريا ومخالطة ما لا يراد به وجه الله تعالى فكان الاخلاص فيها لله اتم وكانت اولى بالتقرب من
الله ومحو الخطيئة العاشر صدقة العلانية وذكر من فوايدها انها تدفع ميتة السوء وبيان ذلك ان صدقة العلانية
تستلزم الشهرة بفعل الخيرات وتوجب الذكر الجميل والمحبة للمتصدق ولما كانت ميتات السوء كالحرق والغرق
والصلب والقتل ونحو ذلك من احوال الشنيعة التي تكثر نفرة الناس من الموت عليها وكان قليلا ما يقع شيء منها
يقصد من الناس لمن اجمع واشتهر بالرحمة واستجلاب قلوب الفقراء بالصدقة والايثار فلا جرم كانت تلك
الصدقة مظنة الدفع لميتات السوء عنه الحادي عشر صنايع المعروف وذكر من فوايدها انها تقي مصارع الهوان
وظهور قرب مما قبله لان اصطناع المعروف مستلزم لتالف قلوب الخلق واجتماعهم على محبة المصطنع
فلا يقع مع ذلك نسبتهم في مصرع هوان ثم لما فرغ من تعداد كمالات الايمان اردفه بما يؤكد في القلوب محبته وهي امور
احدها الاندفاع في ذكر الله وهو من مؤكدات الايمان به ورغب فيه بكونه احسن الذكر وذلك لما يستلزمه من الحصول

العناية صح

على الكمالات المسعدة في الآخرة والوصول الى الله كما سبق فضيلة وفائدة في موضع اليق به. الثاني الرغبة
فيما وعد المتقين من ثواب الآخرة وانواعه وهو ايضا من موكدات طاعته والعمل له ولما كان الخلف في خبره تعالى
محالا كان وعده اصدق الوعد. الثالث الاقتداء بهدى النبي صلى الله عليه وآله. الرابع واتباع سنته ولما كان
افضل الانبياء كانت سنته اشرف السنن والاقتداء به واتباع سنته اهدى الطرق الى الله. الخامس تعلم القرآن
وظاهر كونه من موكدات الايمان بالله ورسوله واستعار لفظ الربيع ووجه المشابهة كون القرآن جامعا لانواع
العلوم الشريفة والاسرار العجيبة اللطيفة التي هي متنزه القلوب كما ان زمن الربيع محل الازهار الرائقة التي هي
مستمتع النظر ومطرح السرور. السادس الاستشفاء بنوره وظاهر كونه شافيا للقلوب من علل الجهل. السابع حسن
تلاوته وذلك لان حسن تلاوته مظنة تفهم معانيه وتدبرها وحسن الاصغاء لظهور فايدته وتحصيل منفعته
وانما يكون انفع القصص اذا تلي حق تلاوته كما سبق بيانه ثم اكد الاوامر المذكورة بالاعمال التي عددها انما ينبغي ان يعمل
على وفق العلم بالتنبيه على نقصان العالم الذي لا يعمل بعلمه فسوى بينه وبين الجاهل العادل عن سواء سبيل الله
ووجه التسوية اشتراكهما في ثمرة الجهل وهو الجور عن قصد السبيل وفي عدم الانتفاع بفايدة العلم وثمرته وهي الاعمال
الصالحة ثم جعل حال العالم اخس لثلثة وجوه احدها ان الحجة عليه اعظم لان للجاهلين ان يقولوا انا كنا عن هذا
غافلين وليس للعالم ذلك وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله
على ابن آدم وعلم في القلب فذلك العلم النافع اي الذي يستلزم الطاعة بالعمل. الثاني ان الحسرة له الزم وذلك ان النفس
الجاهلة غير عالمة بمقدار ما يفوتها من الكمال بالتقصير فاذا فارقت ابدانها فهي وان كانت محجوبة عن ثمار الجنة
وما اعد الله فيها للاولياء من العمل الا انها لما لم تجد لذتها ولم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم يكن لها كثير حسرة ولها
ولا اسف على التقصير في تحصيلها بخلاف العارف بها العالم بنسبتها الى اللذات الدنيوية فانه بعد المفارقة
اذا علم وانكشف له ان الصارف له والمانع من الوصول الى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه
بمقدار ما فاته من الكمالات والدرجات كان اسفه وحسرته على ما فاته اشد الحسرات وجرى ذلك مجرى من علم
بجوهرة نفيسة تساوي جملة من المال ثم اشتغل عن تحصيلها ببعض لعب حتى فاتته فانه يعظم حسرته عليها وتحسره
على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها. الثالث انه يكون عند الله الوم واشدية اللائمة له بعد المفارقة
مجاز في انقطاع لسان حاله عن العذر في معصيته عن علم وانما يكون الوم لان اقدام العالم على المعصية التي
علم قبحها انما يكون عن نفس في غاية الانقياد للنفس الامارة بالسوء والطاعة لابليس ووجوده طاعة فضل
على طاعة الجاهل وانقياده لقيام الصارف عنها في حق العالم وهو علمه بقبحها ورجح الداعي اليها عليه
وعدم الصارف في حق الجاهل ولا شك ان اشدية اللائمة تابعة لاشدية الانقياد لابليس خصوصا مع العلم
بما يستلزمه متابعته من الهلاك وظاهر انه كونه الوم عند الله والله الموفق والعصمة. ومن خطبة له عليه السلام
اما بعد فاني احذركم الدنيا فانها حلوة خضرة حفت بالشهوات وتحببت بالعاجلة وراقت بالقليل وتحلت

بالآمال وتزينت بالغرور لا تدوم حبرتها ولا تؤمن فجعتها غرارة ضرارة حائلة زائلة نافدة بائدة اكالة غوالة لا تعدو
اذا تناهت الى امنية اهل الرغبة فيها والرضا بها ان تكون كما قال الله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا لم يكن امرؤ منها في حبرة الا اعقبته بعدها عبرة
ولم يلق من سرائها بطنا الا منحته من ضرائها ظهرا ولم تطله فيها ديمة رخاء الا هتنت عليه مزنة بلاء وحري
اذا اصبحت له منتصرة ان تمسي له متنكرة وان جانب منها اعذوذب واحلولى امر منها جانب فاوبى لا ينال
امرؤ من غضارتها رغبا الا ارهقته من نوائبها تعبا ولا يمسي منها في جناح امن الا اصبح على قوادم خوف
غرارة غرور ما فيها فانية فان من عليها لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى من اقل منها استكثر مما يؤمنه
ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وزال عما قليل عنه كم من واثق بها قد فجعته وذي طمأنينة اليها قد صرعته
وذي ابهة قد جعلته حقيرا وذي نخوة قد ردته ذليلا سلطانها دول وعيشها رنق وعذبها اجاج وحلوها
صبر وغذاؤها سمام واسبابها رمام حيها بعرض موت وصحيحها بعرض سقم ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب
وموفورها منكوب وجارها محروب الستم في مساكن من كان قبلكم اطول اعمارا وابقى آثارا وابعد آمالا واعد عديدا
واكثف جنودا تعبدوا للدنيا اي تعبد وآثروها اي ايثار ثم ظعنوا عنها بغير زاد مبلغ ولا ظهر قاطع فهل بلغكم
ان الدنيا سخت لهم نفسا بفدية او اعانتهم بمعونة او احسنت لهم صحبة بل ارهقتهم بالفوادح واوهنتهم بالقوارع
وضعضعتهم بالنوائب وعفرتهم للمناخر ووطئتهم بالمناسم واعانت عليهم ريب المنون فقد رايتم تنكرها لمن دان لها
وآثرها واخلد اليها حين ظعنوا عنها لفراق الابد هل زودتهم الا السغب او احلتهم الا الضنك او نورت لهم
الا الظلمة او اعقبتهم الا الندامة افهذه تؤثرون ام اليها تطمئنون ام عليها تحرصون فبئست الدار لمن لم
يتهمها ولم يكن فيها على وجل منها فاعلموا وانتم تعلمون بانكم تاركوها وظاعنون عنها واتعظوا فيها بالذين قالوا
من اشد منا قوة حملوا الى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا الاجداث فلا يدعون ضيفانا وجعل لهم من الصفيح اجنان ومن
التراب اكفان ومن الرفات جيران فهم جيرة لا يجيبون داعيا ولا يمنعون ضيما ولا يبالون مندبة ان جيدوا لم
يفرحوا وان قحطوا لم يقنطوا جميع وهم آحاد وجيرة وهم ابعاد متدانون لا يتزاورون وقريبون لا يتقاربون
قد ذهبت اضغانهم وجهلوا وقد ماتت احقادهم لا يخشى فجعهم ولا يرجى دفعهم استبدلوا بظهر الارض بطنا
وبالسعة ضيقا وبالاهل غربة وبالنور ظلمة فجاؤوها كما فارقوها حفاة عراة قد ظعنوا عنها باعمالهم الى الحياة الدائمة
والدار الباقية كما قال سبحانه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين. اقول الحبرة السرور والفجعة
الرزية وغوالة اي تاخذ على غرة واوبى ارض والغضارة طيب العيش وقوادم الطير مقاديم ريش جناحه
والوبقة الهلاك والابهة العظمة والرنق الكدر والرمام البالية المقطعة والمحروب مسلوب المال وارهقتهم غشيتهم والفادحة
الامر الثقيل والقارعة الداهية الشديدة وضعضعتهم ذللتهم والمناسم اخفاف الابل والسغب الجوع
والاجنان جمع جنن جمع جنة وهي الستر واعلم ان مدار هذا الفصل على التحذير من الدنيا والتنفير عنها بذكر

معاشها وفيه نكت فاستعار لفظ الخاضرة والخضرة المعلقتين بحتى الذوق والبصر لما يروق منها ولذا النفس
ووجه المشابهة المشاركة في الالتذاذ وانما خص تعلق هذين الحسين لكثرة تاديتهما الى النفس والالتذاذ
بواسطتهما دون سائر الحواس ب وصف الدنيا بكونها محفوفة بالشهوات وفي الخبر حفت الجنة بالمكاره
النار بالشهوات قال اصحاب المعاني وفي ذلك تنبيه على ان النار هي الدنيا ومحبتها بعد المفارقة هو سبب
قلت ان ذلك غير مفهوم من كلامه عليه السلام واما معنى الخبر فجاز ان يراد فيه النار المعقولة فيكون فربما
قالوا وجاز ان يراد النار المحسوسة ويكون المعنى على التقدير ان النار انما يدخل الانهماك في مشتهيات الدنيا
ولذاتها والخروج في استعمالها عما ينبغي الى ما لا ينبغي وكانها اللذات محفوفة ومحاطة بالشهوات لا يدخل اليها
الا منها واراد بالعاجلة اللذات الحاضرة التي في الحيوة الدنيا بسببها فاشبهت المرأة المتحببة بمالها وجمالها
فاستعير لها وصف التحبب وكذلك قوله راقت بالقليل اي اعجبت رغبتها القليلة الفانية الى متاع الاخروية
وكيفية وكذلك تحليها بالامال الكاذبة المنقطعة ورغبتها ما هو في نفس الامر غرور وبطلانه لولا الغرور والغفلة
من عواقبها الماراتب في عيون طالبيها ح استعار لها اوصاف المحالة الخدوع وهي كونها غرارة وغوالة
اي كثيرة الاستغفال لاهلها والخداع لهم ووصف السبع العقور لكونها اكالة لهم وكنى بالاكل
عن كونها كالمخادع في كونها سببا لغفلتهم عما خلقوا لاجله بالاشتغال بها والانهماك عن كونها
كالسبع في افنائهم بالموت ك معنى قوله لا تعدو الى قوله مقتدرا ان غاية تصفاتها للراغبين فيها
والراضين بها وموافقتها لهم لا تجاوز المثل وهو ان تزهر في عيونهم وتروقهم محاسنها ثم عن قليل تزول
عنهم فكانها لم تكن كما هو معنى المثل المضروب لها في القرآن الكريم واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء الاية ه كنى بالعبرة عن الحزن المعاقب للسرور وخصيصه البطن بالسراء والظهر بالضراء يحتمل
امرين احدهما ان يريد بطن المجن وظهره وذلك من العادة في حال الحرب ان يلقى الانسان ظهر المجن وفي
حال السلم ان يلقى المجن فيكون بطنه ظاهرا فجرى المثل في حق المتكبرين والمخاصمين بعد سلم فقيل
قلب له ظهر المجن كما قال علي عليه السلام لابن عباس في بعض كتبه اليه قلبت لابن عمك ظهر المجن فكذلك
استعمل ههنا لقاءها للمرء بطنها في اقبالها عليه ولقاءه منها ظهرا في ادبارها عنه ومحاربتها له
الثاني يحتمل ان يريد بطنها وظهرها وذلك ان العادة فمن يلقى صاحبه بالبشر والسرور ان لقاه بوجهه
وبطنه وفيمن يلقى بالشكر والادبار ان يلقى ظهره موليا عنه فاستعير ذلك للدنيا وعبر به عن اقبالها
وادبارها و انما خص امنها بالجناح لان الجناح محل التغير بسرعة فنبه به على سرعة تغير امنها
وانما خص الخوف بالقوادم من الجناح لان القوادم هي رأس الجناح وهي الاصل في سرعة حركته وتغيره
وهو في سياق ذمها والتخويف منها فحسن ذلك التخصيص ومراده انه وان حصل فيها امن فهو في
محل التغير السريع والخوف اليه اسرع لتخصيصه بالقوادم ز لا خير في شيء من ازوادها الا التقوى

ما هو المقصود من خلق الدنيا ووجه هذا النوع فيها وهو التقوى الموصل الى الله سبحانه وانما كان من ازواد الدنيا
لانه لا يمكن تحصيله الا فيها وقد سبقت الاشارة اليه في قوله تزودوا من الدنيا في الدنيا ما تحرزون به انفسكم غدا
والظاهر انه لا خير فيما عداه من ازوادها الفانية ومضرة في الاخرة ح من اقل منها استكثر مما يؤمنه اي من الزهد فيها
وقد عرفت كيفية الامان به من عذاب الله ومن استكثر منها استكثر مما يوبقه وهو ملكات السوء الحاصلة
عن حبها ولذاتها الفانية الموجبة للهلاك بعد مفارقتها وزوالها ط استعار لفظ العذب والحلو للذاتها
والمطي الاجاج وهو المالح والصبر للمشوب لذاتها من الكدر بالامراض والتغيرات ووجه الاستعارات الاشتراك
في الالتذاذ والايلام ي استعار لفظ الغذاء وكنى به عن لذاتها ايضا ولفظ السمام وجه الاستعارة ما يستعقب
الانهماك في لذاتها من الهلاك في الاخرة كما يستعقبه شرب السم والسمام جمع سم ثم اعقب التحذير منها
بالتنبيه على مصارع السابقين فيها ممن كان اطول اعمارا واشد باسا من تغيرها بهم ونكرانها لهم مع شدة محبتهم لها
ثم السؤال على سبيل الانكار عن دوام سرورها لهم وحسن صحبتها اياهم وصرح بعده بالانكار بقوله بل ارهقتهم
بالفوادح واستعار لها لفظ الارهاق والضعضع والتعفير والوطي واعانة ريب المنون واسند اليها افعال
الاحياء ملاحظة لتشبيهها بالمرأة المرتبة لخداع الرجال عن انفسهم واموالهم ونحو ذلك يا ما فرع من ذمها
والتنفير عنها بعد بيان مقابحها استفهم السامعين على سبيل التقريع لهم عن ايثارهم لها بهذه المذام وطمأنينتهم
اليها وحرصهم عليها ثم عاد الى ذمها بقوله فبئست الدار لمن لم يتهمها اي لم يعتقد بصحبتها وانها مقصودة
بالذات وركن اليها فانها بذلك الاعتبار من موبقة في حقه اذ كانت سبب هلاكه في الاخرة فاما المتهم
لها المخادعة والغرور فانه يكون فيها على وجل منها عاملا لما بعدها فكانت محمودة له اذ كانت سبب سعادته
في الاخرة ثم شرع في الامر بالعلم على وجه العلم بمفارقتها وذلك ان ترك العمل للاخرة انما يكون للاشتغال بالدنيا
فالعالم بضرورة مفارقتها له وما اعد لتارك العمل من العذاب الاليم اذا نبه على تلك الحال كان ذلك صارفا له
عنها وسلما الى العمل لغيرها وكذا التنبيه على مفارقتها بالتذكير باحوال المفارقين لها بعد مفارقتها الشاخصين
الاحوال المعتادة للاحياء التي الفوها واستراحوا اليها اذ كان من عاداتهم اذا حملوا ان يسموا ركبانا واذا انزلوا ان يحلوا
ضيفانا واذا تجاوروا ان يجيبوا داعيهم ويمنعون عنه الضيم وان يفرجوا ان جادهم الغيث وتعطوا او تخطوا
وان يزاوروا وان يتدانى ويحلوا عند وجود الاضغان ويجهلوا عند قيام الاحقاد ويخشوا ويجوا فسلبت
عنهم تلك الصفات وعرفوا اضداد تلك السمات ت فجاوزها كما فارقوها اي اشبه بجيئهم اليها وعجزهم
فيها خروجهم منها يوم مفارقتهم لها ووجه الشبه كونهم حفاة عراة وهو كناية عن الفقر منها وعدم الزاد
استشهاده بالاية الكريمة وموضع قوله تعالى ظعنوا عنها النصب على الحال كما انتصب حفاة عراة والعامل فيها
ولا تعدو رشد بعد جاوزها وان تقدر مثل الحالين السابقين قال الامام الوبري رحمه الله فراقهم من الدنيا ان
حملوا منها كجيئهم اليها ان دخلوا فيها قال الله تعالى هو الذي خلقكم من تراب ث وكان الحامل لهذا الامام

على هذه الشارة انه لو كان مراده بحيثهم اليها هو دخولهم فيها حين الولادة مع انه في ظاهر الامر هو المشبه ومفارقتهم
هو المشبه به لانعكس الغرض اذ المقصود تشبيه المفارقة بالمجيء وذلك يستلزم ان المشبه هو المفارقة والمشبه به
هو المجيء لكن ينبغي ان تعلم ان المشابهة اذا حصلت بين الشيئين في نفس الامر جاز ان يجعل احدهما اصلا
والآخر فرعا وجاز ان يقصد اصل المساواة بينهما من دون ذلك فنحمله هنا على الوجه الثاني اولى من
التعسف الذي ذكره فاما الآية فان من شبها لبيان ان الجنس لا يدل على المفارقة والانفصال وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلم ذكر فيها ملك الموت وتوفيه الانفس هل تحس به اذا دخل منزلا ام هل تراه اذا توفى
احدا بل كيف يتوفى الجنين في بطن امه ايلج عليه من بعض جوارحها ام الروح اجابته باذن ربها ام هو ساكن
معه في احشائها كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله **اقول** هذا الفصل من خطبة طويلة ذكرها
في معرض التوحيد والتنزيه لله تعالى عن اطلاع العقول البشرية على كنه وصفه فقدم التنبيه بالاستفهام
على سبيل الانكار عن الاحساس به في دخوله منازل المتوفين وذلك قوله هل تحس به الى قوله احدا ونبه بانكار
الاحساس به على انه ليس بجسم اذ كان كل جسم من شانه ان يحس باحد الحواس الخمس ثم عن كيفية توفيه الجنين في بطن
امه وهو استفهام من قبيل تجاهل العارف والتنبيه اليه وذلك قوله بل كيف يتوفى الجنين الى قوله في احشائها
وجعل الحق من هذه الاقسام في الوسط وهو اجابتها باذن ربها ليبقى الجاهل في محل الحيرة مترددا ثم لما بين
ان ملك الموت لا يمكن الانسان من وصفه نبه على عظمة الله سبحانه التنبيه اليه وانه اذا عجز الانسان عن
وصف مخلوق مثله فبالاولى ان يعجز عن صفة خالقه ومبدعه الذي هو ابعد الاشياء عنه مناسبة
وتقرير البيان بذلك التنبيه ان العبد عاجز عن صفة مخلوق مثله فهو عن صفة خالق ذلك المخلوق ومبدعه
اشد عجزا ولنشر اشارة خفيفة الى حقيقة الموت والى ما عساه يلوح من وصف ملك الموت ان شاء الله
فنقول اما حقيقة الموت فاعلم ان الذي نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت ليس الا عبارة عن تغير
حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجاري مجرى الالة لذي الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت
به البراهين العقلية في مظانها والاثار النبوية المتواترة ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرفها فيه لخروجه
عن حد الانتفاع به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج في ادراكه الى آلة فهي متعطلة عنه بعد مفارقة البدن
الى ان تعاد اليه في القبر او يوم القيمة وما كان مدركا لها بنفسها من غير آلة فهو باق معها تتنعم به وتفرح او
تحزن من غير حاجة الى هذه الالة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك وتقريب المفارقة التي
سميناها بالموت مثلا فيقال كان بعض اعضاء المريض يتعطل بسبب فساد مزاج يقع فيه او بسبب سدة تعرض
في الاعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فيكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء دون ما استعصى عليها منها فكذلك
الموت عبارة عن استعصاء جميع الاعضاء كلها وتعطلها وحاصل هذه المفارقة يعود الى سلب الانسان
عن هذه الاعضاء والالات والقنيات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها ولا فرق بين ان تسلب هذه

الاشياء عن الانسان او يسلب هو عنها اذ كان المؤلم هو الفراق وقد يحصل ذلك بان ينهب مال الرجل ويسبى ذريته
وقد يحصل بان يسلب وينهب عن ماله واهله فالموت في الحقيقة هو سلب الانسان عن امواله بازعاجه الى عالم آخر
فان كان له في هذا العالم شيء يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة ويصعب
~~شقاوته في مفارقته ويكون سبب عظم خطره عنده يعظم تحسره عليه في الآخرة ويصعب شقاوته في مفارقته~~
ويكون سبب عظم خطره عنده ضعف تصديقه لما اعد للابرار المتقين في الآخرة مما يستحقر في القليل منه
اكثر نفائس الدنيا فاما ان كانت عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به عظم نعيمه وتمت سعادته
اذ خلي بينه وبين محبوبه فقطع علائقه وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هناك ما كان
بين يديه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة كما يشاهد المستيقظ من نومه صورة ما رآه في النوم
والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا اذا عرفت ذلك فاعلم ان ملك الموت عبارة عن الروح المتولي لافاضة
صورة العدم على اعضاء هذا البدن وحال مفارقة النفس له ولعله هو المتولي لافاضة صورة الوجود عليها
لكنه بالاعتبار الاول يسمى ملك الموت ثم لما كانت النفوس البشرية انما تدرك المجردات ما دامت في هذا العالم
وتستثبتها بان تستصحب القوة المتخيلة معها فتحاكي ما كان محبوبا منها للنفس ومستبشرا بلقائه بصورة بهية
كتصورها لجبرئيل في صورة دحية الكلبي وغيره من الصور البهية الحسنة وما كان مستكرها مخوفا مستنفرا
من لقائه بصورة هائلة لا جرم اختلف روية الناس لملك الموت فمنهم من يراه على صورة بهية وهم المستبشرون
بلقاء الله الذين قلت رغبتهم في الدنيا ورضوا بالموت ليصلوا الى لقاء محبوبهم وفرحوا به لكونه وسيلة اليه كما روي عن
ابرهيم عليه السلم انه لقي ملكا فقال له من انت فقال انا ملك الموت فقال اتستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها
روح المومن قال نعم اعرض عني فاعرض عنه فاذا هو شاب فذكر من حسنه وثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك
الموت لو لم يلق المومن من البشرى الا حسن صورتك لكان حسبه ومنهم من يراه على صورة قبيحة هائلة المنظر
وهم الفجار الذين اعرضوا عن لقاء الله ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها كما روي عن ابرهيم عليه السلم انه قال لملك
الموت فهل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر فقال لا تطيق ذلك فقال بلى قال فاعرض
عني فاعرض عنه ثم التفت اليه فاذا هو رجل اسود قائم الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره
النار والدخان فغشي على ابرهيم عليه السلم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى حالته الاولى فقال يا ملك الموت
لو لم يلق الفاجر عند موته الا هذه الصورة لكفته والله الموفق **ومن خطبة له عليه السلم** واحذركم الدنيا
فانها منزل قلعة وليست بدار نجعة قد تزينت بغرورها وغرت بزينتها دار هانت على ربها فخلط
حلالها بحرامها وخيرها بشرها وحياتها بموتها وحلوها بمرها لم يصفها الله تعالى لاوليائه ولم يضن بها على اعدائه
خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفد وملكها يسلب وعامرها يخرب فما خير دار تنقض نقض البناء وعمر
يفنى فناء الزاد ومدة تنقطع انقطاع السير اجعلوا ما افترض الله عليكم من طلبتكم واسالوه من اداء حقه ما سالكم

واسمعوا دعوة الموت اذانكم قبل ان يدعى بكم ان الزاهدين في الدنيا تبكي قلوبهم وان هم ضحكوا ويشتد حزنهم وان
فرحوا ويكثر مقتهم انفسهم وان اغتبطوا بما رزقوا قد غاب عن قلوبكم ذكر الاجال وحضرتكم كواذب الامال
فصارت الدنيا املك بكم من الاخرة والعاجلة اذهب بكم من الاجلة وانما انتم اخوان على دين الله ما فرق بينكم الا
خبث السرائر وسوء الضمائر فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا توادون ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه ولا يحزنكم
باليسير من الدنيا حين يوبكم ولا يحزنكم الكثير من الاخرة تحرمونه ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبين ذلك
في وجوهكم وقلة صبركم عما زوي منها عنكم كانها دار مقامكم وكان متاعها باق عليكم وما يمنع احدكم ان يستقبل
اخاه بما يخاف من عيبه الا مخافة ان يستقبله بمثله قد تصافيتم على رفض الاجل وحب العاجل وصار دين
احدكم لعقة على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله واحرز رضا سيده **اقول** يقال هذا منزل قلعة بضم القاف
اي لا يصلح للاستيطان والنجعة بضم النون طلب الكلاء والعتيد المهيا المعد واللعقة بالضم اسم لما تاخذه الملعقة
وفي الفصل نكت **ا** التحذير من الدنيا والاستدراج الى تركها بذكر معايبها وذلك من اول الفصل الى قوله لقطاع
السير فاشار اولا الى انها لا تصلح للاستيطان وطلب الكلاء وكنى به عما ينبغي ان يطلب من الخيرات الباقية التي هي
محل الامن والسرور الدائم وثانيا الى ان زينتها سبب لاستغفال الخلق والاغترار بها سبب لاستحسانها فان قلت
فقد جعل الزينة سببا للغرور والغرور سببا للزينة وذلك دور قلت جعل الزينة سببا للاستغرار والغرور سببا
لاستحسانها وعدم التنبه لمعايبها فلا دور وثالثا انها هانت على ربها اي لم تكن العناية الالهية اليها بالذات
فلم تكن خيرا محضا اذ كان كل ما فيها ممازجا خيرا شرا وشربها له وذلك بحسب الممكن فيها وزهادة خيرها بالنسبة
الى خير الاخرة **ب** التاديب بلوازم احدها ان يجعلوا فرائض الله عليهم من جملة ما يطلبونه والغرض ان تصير
محبوبة لهم كمحبتهم ما يسالونه من مال وغيره فيواظبوا على ادائها **الثاني** ان يسالوه اداء حقه عنهم وذلك بالاعانة
والتوفيق والاعداد لذلك كما سالهم اداء حقه والغرض ايضا ان يصير الاداء مهما لهم يرجعوا اليهم ونحوه الى الله
المأثور اللهم انك سالتني من نفسي ما لا املكه الا بك فاعطني منها ما يرضيك عني **الثالث** ان يسمعوا
داعي الموت اذانهم اي يتصوروا سماع كل لفظ يخوف الموت واهواله وذلك بالجلوس في مجالس الذكر ومحاضرة الزهاد
في الدنيا وفائدة ذكر الموت تنغيص اللذات الدنيوية كما قال عليه السلم اكثروا ذكر هادم اللذات **الثالثة** شرح حال
الزاهدين في الدنيا ليهتدي من شاء بجذبه الى الله كيفية طريقتهم فيقتدي بهم فذكر لهم اوصافا **الاول** انهم
تبكي قلوبهم وان ضحكوا وذلك اشارة الى دوام حزنهم لملاحظتهم الخوف من الله فان ضحكوا مع ذلك فعاملا مع الخلق
الثاني انهم يشتد حزنهم وان فرحوا وهو قريب مما قبله **الثالث** انهم يكثر بغضهم لانفسهم فيتركون لا السعادات الى ما
بالزينة ومطالعتها فيما تدعوهم اليه من متاع الحياة الحاضرة وان اغتبطوا بما قسم لهم من رزق **الرابعة** تعنيف
السامعين على ما هم عليه من الاحوال المضرة في الاخرة وذلك بالغفلة عن ذكر الاجل واستحضارهم للامال
الكاذبة وغيرها من الاحوال المذكورة الى آخر الفصل ومحل تدركونه وتحرمونه ويفوتكم النصب على الحال وقلة صبركم

عطف على وجوهكم اي حتى يتبين ذلك القلق في وجوهكم وفي قلة صبركم عما غاب عنكم منها وقوله وما يمنع احدكم
ان يستقبل اخاه الى آخره اي ما يمنع احدكم من لقاء اخيه بعيبه ولا ينبه عليه الا الخوف منه ان يلقاه بمثله لمشاركته
اياه فيه كما صرح به في قوله تصافيتم على رفض الاجل الى آخره واستعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والذكر
كالشهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه وصنيع نصب على المصدر اي صنعتم
صنيعا مثل صنيع من احرز رضا سيده بقضاء ما امره به ووجه التشبيه الاشتراك في الترك والاعراض عن
عن العمل وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر نحمده على آلائه كما نحمده
على بلائه ونستعينه على هذه النفوس البطاء عما امرت به السراع الى ما نهيت عنه ونستغفره مما احاط به
علمه واحصاه كتابه علم غير قاصر وكتاب غير مغادر ونؤمن به ايمان من عاين الغيوب ووقف على الموعود
ايمانا نفى اخلاصه الشرك ويقينه الشك ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
شهادتين تصعدان القول وترفعان العمل لا يخف ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه
اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاد زاد مبلغ ومعاد منجح دعا اليها اسمع داع ووعاها
خير واع فاسمع داعيها وفاز واعيها عباد الله ان تقوى الله حمت اولياء الله محارمه والزمت قلوبهم
مخافته حتى اسهرت لياليهم واظمات هواجرهم فاخذوا الراحة بالنصب والري بالظما واستقربوا الاجل
فبادروا العمل وكذبوا الامل فلاحظوا الاجل ثم ان الدنيا دار فناء وعناء وغير وعبر فمن الفناء ان الدهر موتر قوسه
لا تخطئ سهامه ولا تؤسى جراحه يرمي الحي بالموت والصحيح بالسقم والناجي بالعطب آكل لا يشبع وشارب
لا ينقع ومن العناء ان المرء يجمع ما لا ياكل ويبني ما لا يسكن ثم يخرج الى الله لا مالا حمل ولا بناء نقل ومن غيرها انك
ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوما ليس ذلك الا نعيما زل وبؤسا نزل ومن عبرها ان المرء يشرف على امله فيقتطعه المغبوط صح
حضور اجله فلا امل يدرك ولا مؤمل يترك فسبحان الله ما اغر سرورها واظما ريها واضحى فيئها لا جاء
يرد ولا ماض يرتد فسبحان الله ما اقرب الحي من الميت للحاقه به وابعد الميت من الحي لانقطاعه عنه انه ليس
شيء بشر من الشر الا عقابه وليس شيء بخير من الخير الا ثوابه وكل شيء من الدنيا سماعه اعظم من عيانه وكل شيء من الاخرة
عيانه اعظم من سماعه فليكفكم من العيان السماع ومن الغيب الخبر واعلموا ان ما نقص من الدنيا وزاد في
الاخرة خير مما نقص من الاخرة وزاد في الدنيا فكم من منقوص رابح ومزيد خاسر ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم
عنه وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فذروا ما قل لما كثر وما ضاق لما اتسع وقد تكفل لكم بالرزق وامرتم بالعمل فلا يكونن
المضمون لكم طلبه اولى بكم من المفروض عليكم عمله مع انه والله لقد اعترض الشك ودخل اليقين حتى كان الذي
ضمن لكم قد فرض عليكم وكان الذي فرض عليكم قد وضع عنكم فبادروا العمل وخافوا بغتة الاجل فانه لا يرجى من رجعة
العمر ما يرجى من رجعة الرزق ما فات اليوم من الرزق رجي غدا زيادته وما فات امس من العمر لم يرج اليوم رجعته
الرجاء مع الجائي واليأس مع الماضي فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون **اقول** لا تؤسى اي لا تداوى

ولا ينتفع لا يكن عطشه واضحى بنزيحر التمس وفى الخطبة لطايف الاولى انحصر الخطبة بحمد الله تعالى
باعتبارين احدهما وصله حمد حامديه بافاضة نعمه عليهم كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم
وسر ان العبد يستعد بشكر النعمة الثانى وصلة النعم التى يفيضها على عباده بافاضة الاعتراف بها على
اسرار قلوبهم وقد علمت ان الاعتراف بالنعم هى حقيقة الشكر وظهر لك معنى وصلة النعم بالشكر
وان الشكر والتوفيق له نعم اخرى كما سبقت الاشارة اليه فى الخطبة الاولى ويحتمل ان يريد الشكر منه تعالى
لعباده الشاكرين كما قال تعالى والله شاكر عليم وظاهر ان نعمه بشكره فى نهاية التفضل والانعام فان الاحسان
المعارف يستتبع الشكر من المحسن اليه فاما من المحسن فذلك تفضل آخر وربه اعلى الثالثة انه جمع بينه
بين حمده على النعماء وحمده على البلاء تنبيها منه على وجوب ذلك لان النعمة قد تكون بلاء من الله كما قال تعالى
ونبلوكم بالشر والخير فتنة والبلاء منه ايضا نعمة يستحق به الثواب الآجل بسبب النعمة منه وبهذا الاعتبار
يجب الشكر على البلاء ايضا كما يجب على النعماء الكل الرابعة الثالثة نبه على وجوب استعانة تعالى على النفوس
وذكر ما لاجله الاستعانة عليها وهو كونها بطاء عما امرت به من ساير التكاليف وذلك لحاجة النفوس الى
مقاومة الطبيعة سراعا الى ما نهيت عنه من المعاصى وذلك لموافقتها مقتضى الطبيعة الرابعة نبه على
وجوب طلب المغفرة من الله لكل ذنب صغيرا او كبيرا مما احاط به علمه واحصاه كتابه المبين واللوح المحفوظ
جبرئيل الامين علم احاط بكل شيء وكتاب غير مغادر لشيء الخامسة انما خص بيان من عاين الغيوب
ووقف على الموعود اى وقف على ما وعد به المتقون بعين الكشف لكونه ارقى درجات الايمان فان من الايمان
ما يكون بحسب التقليد ومنه ما يكون بحسب البرهان وهو علم اليقين واقوى منه الايمان بحسب الكشف
والمشاهدة وهو عين اليقين وذلك هو الايمان الخالص بحسب الاخلاص فيكون نفيه للشرك ويجب يقينه
اعنى اعتقاد ان الامر كذا مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون الا كذلك بكون نفى الشك وقد علمت انه عليه السلم
من اهل هذه المرتبة السادسة كون الشهادتين تصعدان القول وترفعان العمل وذلك ان خلوص الشهادة شرط
لقبول الاقوال والاعمال الصالحة لا يصعد الى الله قول وعمل الا يكون ان اصله لهما واشار الى ذلك بقوله لا يخف
توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان منه وقد اشرنا الى معنى الوزن فيما سبق وسنزيده بيانا ان شاء الله تعالى السابعة
اراد بكون تقوى الله هى الزاد اى الزاد المبلغ وان بها المعاد اى المعاد المنجح ولذلك اوردها تفسيرا الثامنة
اراد باسمع داعى اشد الداعين اسماعا وتبليغا وهو الرسول صلى الله عليه وآله واراد بخير واعى السامعين له
الله التاسعة ان تقوى الله فصل الفواضل الانسانية التاسعة وصف ما يستلزمه تقوى الله من الآثار فى اوليائه فقد وصف
الليالى بالسهر والهواجر بالظمأ لكونهما طرفين فالليالى للقيام بالصلوة والنهار للصوم فكان تخلك من باب
اطلاق صفة المظروف على الظرف وهو كقولهم نهاره صائم وليله قائم واخذهم الراحة اى فى الآخرة النصب
اى تعب الابدان من القيام والرى من حين تمنى سبيله بالاستعداد بظما الصيام والقيام وليله منها ولا خطر

فتعلق فان استقراب الاجل يستلزم للعمل له ولما بعده وكذلك تكذيب الامل وانقطاعه ملازم لملاحظة الاجل
العاشرة ذكر مذام الدنيا اجمالا وهو كونها دار فناء وعناء وغير وعبر ثم اعقب ذلك الاجمال بتفصيل كل جملة من ذلك
الى قوله ولا امن من سلم ترك واستعار وصف الايتار للدهر ورشح بذكر القوس ووجه الاستعارة ان الدهر كما يرمى بسهامه
المستند الى القضاء الالهى الذى لا يتغير كما يرمى الرامى الذى لا يخطى وكذلك استعار لفظ الجراح لنوايب الدهر
لاشتراكهما فى الايلام ورشح بذكر عدم المداواة وكذلك استعار لفظ الاكل والشارب عن نحو الشبع والرى
ووجه المشابهة كونه يأتى على الخلق فيفنيهم كما يأتى الاكل والشارب المذكوران على الطعام والشراب فيفنيانهما
واراد بالمرحوم الذى يرى مغبوطا اهل المسكنة والفقر الذى يجد فقرهم الغنى فيغبطون والمغبوط الذى
يرى مرحوما اهل الغنى المبتلين به فقرا بحسب تصاريف الدهر فيصيروا الى محل الرحمة وقوله ليس ذلك الا نعيما
زائلا اى عن المغبوطين وبوسا نازلا بهم الحادية عشر نسب الغرور الى سرورها والظما الى ريها والضحى الى فيئها
بلفظ التعجب وكنى بريها عن استتمام لذاتها وبفيئها عن الركون الى قيناتها والاعتماد عليها ووجه النسبة ان
سرورها وفيئها هى الصوارف عن العمل للآخرة والملفتات عن الاقبال على الله فكان سرورها اقوى سبب الغرور
بها وريها وفيئها اقوى الاسباب لظما المنهمك فيهما من شراب الابرار واوجب لاوراده الى حر الجحيم فلهذه النسبة
جازت اضافة الغرور والظما والضحى الى سرورها وريها وفيئها وقوله لا جاء يرد ولا من آفات الدهر كالموت والفقر
ونحوها والماضى يرتد اى من الاموات والغايب من المفقودات الثانية عشر قوله انه ليس شيء بشر من الشر
الا عقابه الى قوله سماعه يحتمل ان يريد الشر والخير المطلقين ويكون ذلك للمبالغة اذ يقال للامر الشريف هذا اشد
من الشديد واجود من الجيد ويحتمل ان يريد شر الدنيا وخيرها فان اعظم شر فى الدنيا مستحقر فى عقاب الله واعظم
خير فيها مستحقر بالنسبة الى ثواب الله ثم اكد ذلك بالعظمة احوال الآخرة بالنسبة الى احوال الدنيا وصدق
كلامه عليه السلم ان اعظم شر يتصوره الانسان بالسماع ويستهوله ويستنكره من يفعله صورة القتل والجراح
فاذا وقع فى مثل تلك الاحوال وشاهدها واضطر الى المخاصمة والمحاربة سهل عليه ما كان يستصعبه منها
وهان فى عينه ذلك الوقع والخوف وكذلك لا يزال الانسان يحوف الشول بين يدى الملوك ويتصور عظمتهم وسطوتهم
الى ان يصل الى مجالستهم فانه يجد من نفسه زوال ذلك الخوف وكانت مشاهدته ما كان يتصوره شرا عظيما
اهون عنده من وصفه والسماع له وكذلك حال الخير فان الانسان لا يزال يحرص على تحصيل الدرهم والدينار
وغيرهما من ساير مطالب الدنيا ويكون قلبه مشغولا بتحصيله فرحا بانتظار وصوله فاذا وصل اليه هان عليه
وهو امر وجدانى اما احوال الآخرة فالذى يسمعه من سرورها وخيرها انما يلحظها بالنسبة الى خيرات الدنيا
وسرورها وربما كانت فى اعتبار اكثر الخلق اهون من خيرات الدنيا وسرورها لقرب الخلق من المحسوس وقرب الدنيا
منهم وبعد هم عن مشاهدات الآخرة مع قيام البرهان العقلى على ضعف الاحوال الحاضرة من خير وشر بالقياس الى احوال
الآخرة فلذلك كان عيان احوالها اعظم من سماعها واذا كانت الحال كذلك فينبغى ان يكتفى من العيان بالسماع ومن

العيب بالخبر حيث لا يمكن الاطلاع على الغيب ومشاهدة العيان لتلك الاحوال في هذا العالم ثم نبه على فضيلة
الاخرة بان ما زاد فيهما مما يقرب الى الله تعالى وان استلزم نقصان الدنيا من بذل مال او جاه خير من العكس وبيان
هذه الخيرية كون خيرات الدنيا في معرض الزوال مشوبة بالاوجاع والاوجال وكون تلك باقية على كل حال
مع كونها في نهاية الكمال وضرب المثل بكثرة المنقوص من الدنيا الراجح في الاخرة وهم اولياء الله واحباؤه الذين
اشترى منهم انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واكثر بالمزيد الخاسر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ثم اكد الحث على سلوك طريق الاخرة ببيان اتساعها بالنسبة الى طريق الدنيا
فقال ان الذي امرتم به اوسع من الذي نهيتم عنه وذلك ظاهر فان كبار ما نهينا عنه خمس الكبر وفي مقابله
العفو والصبر التي هي من اشرف الاخلاق المحمودة سعة عنه ثم الظلم وفي العدل والاقتصار على تناول الامور
المباحة التي هي اكثر واوسع سعة عنه ثم الكذب الذي هو راس النفاق وعليه يبتنى خراب العالم وفي المعارض
والصدق الذي هو يبتنى في عمارة العالم مندوحة عنه ثم الزنا ولا شك ان في ساير وجوه المناكحات
مع كثرتها وسلامتها عن المفاسد المترتبة على الزنا سعة عنه ثم شرب الخمر التي هي ام الخبائث ومفاتيح
من الفساد وفي تركها الى ما تقارب افعالها التي يدعى كونها محمودة من ساير الاشربة وغيرها معدل عنها
وسعة وكذلك قوله وما احل لكم اكثر مما حرم عليكم فان الواجب والمندوب والمباح والمكروه تصدق على جميعها
اسم الحلال وهي اكثر من الحرام الذي هو قسم واحد من الاحكام ثم لما نبه على وجه المصلحة في ترك المنهي والمحرم
اردف ذلك بالامر بتركهما لان العقل اذا لاحظ طريقا مخوفا واحدا بين طرق كثيرة امنة اقتضى العدول عن
المخوفة الضرورية الثالثة عشر نبه بالنهي عن ترجيح طلب الرزق على الاشتغال بفرائض الله وعلى ان الاشتغال
بها اولى لكون الرزق مضمونا فالسعي في تحصيل يجري مجرى تحصيل الحاصل ثم اردف ذلك ما يجري مجرى التوبيخ
للسامعين على ترجيحهم طلب الرزق على الاشتغال بالفرائض فاقسم ان ذلك منهم عن اعتراض الشك لهم فيما
يثقون من تكفل الله سبحانه بارزاقهم ووعده وضمانه لهم بقوله وفي السماء رزقكم وما توعدون اي في ما
وقد علمت ان الجد في طلب الرزق يستند الى ضعف التوكل على الله وهو مستند الى ضعف اليقين به
وسوء الظن به وذلك يستلزم استناد العبد الى نفسه وتوكله عليها وجعلهم في طلب الرزق كمن يتعين المفروض
دون المفروض طلبه عليه والمفروض عليه طلبه موضوعا عنه مبالغة في ذمه احتفالهم بفرائض الله عليهم
واشتغالهم عنها بطلب الدنيا الرابعة عشر نبه على وجوب المحافظة على العمر بالعمل فيه للاخرة وعلى اولوية
مراعاته بالنسبة الى مراعاة طلب الرزق بكون العمر لا يرجى من رجعته ما يرجى من رجعة الرزق فان العمر
وتقضي بنقصان وما فات منه غير عايد بخلاف الرزق فانه يرجى زيادة وجبران ما نقص منه في الماضي
ولما كان العمر الذي من شانه ان لا يعود ما فات منه ظرفا للعمل وفوت بفواته وجب تدارك العمل بتداركه
وقوله الرجا مع الجاي يريد الرزق والياس مع الماضي يريد العمر وهو مركب لما قبله الخامسة عشر انه ختم الاية

اقتباسا من نور القرآن ووجه هذا الاقتباس انه لما كان الكلام في معرض جذب السامعين الى العمل الذي
هو سبب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة الذي هو جزء من الرياضة وكان التقوى عبارة عن الزهد
في الدنيا الذي حقيقته حذف الموانع الداخلية والخارجية عن القلب الذي هو الجزء الثاني من الرياضة
وكان الاسلام هو الدين الحق المركب من ذينك الجزئين لا جرم حسن ايراد الاية المشتملة على الامر بالتقوى والموت
على الاسلام بعد الامر بالعمل ليكون ذلك امرا بكمال الدين واتمامه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء**
اللهم قد انصاحت جبالنا واغبرت ارضنا وهامت دوابنا وتحيرت في مرابضها وعجت عجيج الثكالى على اولادها
وملت التردد في مراتعها والحنين الى مواردها اللهم فارحم انين الانة وحنين الحانة اللهم فارحم حيرتها في
مذاهبها وانينها في موالجها اللهم خرجنا اليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين واخلفتنا مخايل الجود
فكنت الرجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس ندعوك حين قنط الانام ومنع الغمام وهلك السوام ان لا تؤاخذنا
باعمالنا ولا تاخذنا بذنوبنا وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق والربيع المغدق والنبات المونق سحا وابلا
تحيي به ما قد مات وترد به ما قد فات اللهم سقيا منك محيية مروية تامة عامة طيبة مباركة هنيئة مريعة
زاكيا نبتها ثامرا فرعها ناضرا ورقها تنعش بها الضعيف من عبادك وتحيي بها الميت من بلادك اللهم سقيا
منك تعشب بها نجادنا وتجري بها وهادنا ويخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا وتعيش بها مواشينا
وتندى بها اقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة
ووحشك المهملة وانزل علينا سماء مخضلة مدرارا هاطلة يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر
غير خلب برقها ولا جهام عارضها ولا قزع ربابها ولا شفان ذهابها حتى يخصب لامراعها المجدبون ويحيى ببركتها المسنتون
فانك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وانت الولي الحميد قال السيد رحمه الله تفسير
ما في هذه الخطبة من الغريب قوله انصاحت جبالنا اي تشققت من المحول يقال انصاح الثوب اذا انشق
ويقال ايضا انصاح النبت وصاح وصوح اذا جف ويبس وقوله هامت دوابنا اي عطشت والهيام العطش وحدابير السنين
جمع حدبار وهي الناقة التي انضاها السير فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرمة حدابير
ما تنفك الا مناخة على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا والقزع القطع الصغار من السحاب المتفرقة وقوله ولا شفان
ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها فان تقديره ولا ذات شفان ذهابها والشفان الريح
الباردة والذهاب الامطار اللينة فحذف ذات لعلم السامع به واقول اعتكرت اختلطت وازدحمت والمخايل
جمع مخيلة السحابة التي ترجى المطر والمبتئس الحزين والمنبعق والمنبعج السحاب المنصب بشدة والربيع هنا المطر
والسقيا بالضم الاسم من السقي والمريع المخصب والنجاد جمع نجد وهو المرتفع من الارض والضواحي النواحي البارزة
اي اهل نواحينا والمرملة قليلة المطر والمخضلة الرطبة والودق القطر والجهام السحاب الذي لا ماء فيه والخلب التي لا مطر
الظن والمسنتون الذين اصابتهم شدة السنة واعلم انه نبه بقوله ندعوك ان لا تؤاخذنا باعمالنا ولا تاخذنا
بذنوبنا على ان الذنوب والاعمال الخارجة عن اوامر الله تاثر في منع الرحمة وسر ذلك ان الجود الالهي لا بخل فيه

ولا منع من قبله وانما يكون ذلك بحسب عدم الاستعداد وقلته وكثرته وظاهر ان المقبلين على الدنيا المرتكبين
لمحارم الله معرضون عنه غير مستعدين لانزال رحمته بل مستعدون لضد ذلك اعني سخطه وعذابه بحسب
استعدادهم بالانهماك في محارمه والجور عن سبيله وحري بمن كان كذلك ان لا ينال بركة ولا يفاض عليه اثر
رحمة ونصب سحا وابلا على الحال والعامل انشر واراد بالسماء المحصلة هنا السحاب والعرب تقول لكل ما
علاك فهو سماؤك ومعنى انزاله ارسال ماء وادراره ويحتمل ان يريد بالسماء المطر نفسه ونحوه انزل علينا
الغيث وقد اقتبس من القرآن الكريم ختام هذا الفصل ايضا ووجه مناسبته للآية ظاهر وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلام ارسله داعيا الى الحق وشاهدا على الخلق فبلغ رسالات ربه غير وان ولا مقصر
وجاهد في الله اعداءه غير واهن ولا معذر امام من اتقى وبصر من اهتدى اقول الواهن الضعيف والمعذر
بالتشديد المقصر واعلم ان الاوصاف التي ذكرها للنبي عليه السلم ظاهرة وقد سبقت الاشارة اليها
غير مرة فاما كونه امام من اتقى فلانه سن لاهل التقوى كيفية سلوك سبيل الله التي هي التقوى واستعار
لفظ البصر له ووجه المشابهة كونه سببا لاهتداء الخلق الى سبيل الرشاد كما يهتدي صاحب البصر في طريقه
المحسوس وبالله التوفيق منها ولو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غيبه اذن لخرجتم الى الصعدات تبكون على اعمالكم
وتلتدمون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها ولهمت كل امرئ منكم نفسه لا يلتفت الى غيرها ولكنكم نسيتم ما ذكرتم وامنتم ما حذرتم
فتاه عنكم رايكم وتشتت عليكم امركم لوددت ان الله فرق بيني وبينكم والحقني بمن هو احق بي منكم قوم والله ميامين
الراي مراجيح الحلم متاريك للبغي مضوا قدما على الطريقة واوجفوا على المحجة فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة
الباردة اما والله ليسلطن عليكم غلام ثقيف الذيال الميال ياكل خضرتكم ويذيب شحمتكم ايه ابا وذحة قال السيد
رحمه الله والوذحة الخنفساء وهذا القول يومي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره
اقول الصعدات جمع صعيد وهو وجه الارض والالتدام ضرب الوجه ونحوه ...
وقدما بضم القاف والدال اي تقدموا ولم يتثبطوا والوجيف ضرب من السير فيه قوة والوذحة كما قيل انها
الخنفساء ولم يرد ذلك في المشهور من كتب اللغة وانما المشهور انها القطعة من بعر الشاة تتعقد على اصواف اذنابها
وتتعلق بها وهذا الفصل من خطبة له بالكوفة يستنهض فيها اصحابه الى حرب الشام ويتبرم من تقاعدهم عن نصرته
فنبههم اولا على جهلهم بما سيقع من الفتن في الاسلام مما غاب عنهم علمه وعلمه هو من الله ورسوله حيث لو اشرفوا على
ما علمه منها لاشتغل كل منهم في الخلاص لنفسه ولخاموا اهل وجه الارض بكاء على تقصيرهم في اعمالهم على ترك
اوامره التي بها يكون نظام العالم الى الابد والامن من تلك الفتن لو فعلوها ولكنهم نسوا ما ذكروا به من آيات الله
الحذر وضلت عنهم آراؤهم الصالحة التي بها يكون نظام امورهم فاستعقب ذلك تشتت امورهم وغلبة العدو
عليهم وقيل اراد بما طوي عنهم غيبه وعلمه هو ما يلقى المقصرون من اهوال الآخرة والاول انسب لسياق الكلام
ثم عقب ذلك بالتبرم منهم وطلب فراقهم واللحاق باخوانه من اولياء الله مياميين الآراء ثقال الحلوم لا يستخفهم

الجهال ملازمي الصدق وفضيحة الذين من شانهم ترك البغي على انفسهم وغيرهم مضوا على الطريقة الحميدة
سالكين لمحجة الله غير ملتفتين عنها فوصلوا الى الثواب الدائم والنعيم المقيم وقرينة الظفر تخصص العقبى بالثواب
والعرب تصف النعم والكرامة بالبرد ثم اخبرهم ببعض ما سيلحقهم من الفتن العظيمة مما طوي عنهم غيبه وهي فتنة
الحجاج وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن ابي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب من الاحلاف
قوم من ثقيف وكان ضعيف العين دقيق الصوت والذيال اي طويل الذيل يسحبه تبخترا والميال اي كثير الميل الى الكبر والتجبر
واكل خضرتهم كني بها عما هم عليه من الابهة وسلامة النفوس والاموال وحسن الاحوال وكنى بها عن ازالة
ذلك وتغيرها الى اضدادها ولفظ الاكل مستعار لذلك ووجه الاستعارة ظاهر وكذلك استعار لفظ الشحمة لما هم
فيه من قوتهم ووصف الاذابة لافنائه ذلك بالقتل والاهانة ومصداق ذلك المشهور من فعله باهل العراق كما سبق
بيانه في ذكر الكوفة ثم قال ايه يا ابا وذحة وكلمة ايه اسم من اسماء الافعال الامر يستدعى بها الحديث المعهود من الغير
ان سكنت وان نونت كانت لاستدعاء قول وفعل ما وقيل التسكين للوقف والتنوين للدرج فاما لقبه عليه السلم
بابي وذحة فروي في سبب ذلك انه كان يوما يصلي على سجادة له فدبت اليه خنفساء فقال نحوها عني
فانها وذحة من وذح الشيطان وروي انه قال قاتل الله قوما يزعمون ان هذه من خلق الله فقيل له ما هي قال
من وذح ابليس وكانه شبهها بالوذح المتعلقة بذنب الشاة في حجمها او شكلها فاستعار لها لفظها ونسبه
الى ابليس لاستقذاره اياها واستكراهه لصوتها او لانها تشوش في الصلوة وروى ابو علي بن مسكويه
انه جاءها بقصبه وقال لعنك الله وذحة من وذح الشيطان ونقل بعض الشارحين ودجة بالدال والجيم
وكني بذلك عن كونه سفاكا للدماء قطاعا للاوداج وفيه بعد ومن كلام له عليه السلم فلا اموال بذلتموها للذي
رزقها ولا انفس خاطرتم بها للذي خلقها تكرمون بالله على عباده ولا تكرمون الله في عباده فاعتبروا بنزولكم
منازل من كان قبلكم وانقطاعكم عن اصل اخوانكم اقول مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالاموال والانفس
وقوله للذي رزقها وخلقها استدراج حسن فان البخل انما يستقبح بملاحظة امرين احدهما خوف
الفقر والثاني انه كثيرا ما يتوهم الاشحاء ان لا مستحق للمال الاهم فيكون ذلك وامثاله عذرا لهم مع انفسهم
وعدم البذل وكذلك الشحيح بنفسه انما شح بها خوف الموت وان لا يكون له من هذه الحياة عوض تساويها فاذا علم
ان باذل المال لرازقه اياه بعد ان يكون حسن الظن به زال عذره في البخل لعلمه بتعويضه خزائنه وبانه احق منه
بالمال واولى من الملاك وكذلك يزول عذر الشحيح بنفسه لعلمه ان الطالب لبذلها هو الاحق وانه القادر على
ان يوصله الى ما هو خير له من هذه الحياة الفانية وفي انقطاع ما يتوهمه عذرا في البخل بالمال والنفس يكون
سهولة بذلها في سبيل الله وقوله تكرمون بالله على عباده اي تعززون على الخلق بانكم اهل طاعة الله وعباده ثم لا تكرمونه
فيما دعاكم اليه ولا تجيبون داعيه في اكرام عباده والالتفات الى فقرائهم باليسير مما رزقكم ثم امرهم بالاعتبار بنزولهم
منازل الماضين وانقطاعهم عن اوصل اخوانهم تنبيها لهم على انهم امثالهم في اللحاق بمن سلف والانقطاع

كان ر

وتشرفون

عن سعي وسروي عن اصل اخوانكم اي اقربهم اصلا اليكم وفايدة هذا الاعتبار تذكر الموت والعمل لما بعده
ومن كلام له عليه السلم انتم الانصار على الحق والاخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس بكم اضرب
المدبر وارجو طاعة المقبل فاعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب فوالله اني لاولى الناس بالناس
اقول الجنن جمع جنة وهي ما استترت به من سلاح وبطانة الرجل خاصته وقد اشتمل هذا الفصل على
استمالة طباع اصحابه الى مناصحته في الحروب فمدحهم بكونهم من اهل الدين ثم بالشجاعة ثم باعلامه لهم انهم
من اهل خاصته الذين يعتمد عليهم في ضرب المدبر وطاعة المقبل وطلب منهم الاعانة بمناصحة صادقة خالية
من الشك في صحة امامته وانه اولى بالامر من غيره فلذلك اقسم انه كذلك وقد سبق بيانه ومن كلام له عليه السلم
وقد جمع الناس وحضهم على الجهاد فسكتوا مليا فقال عليه السلم ما بالكم امخرسون انتم فقال قوم منهم يا امير المؤمنين
ان سرت سرنا معك فقال عليه السلم ما لكم لا سددتم لرشد ولا هديتم لقصد افي مثل هذا ينبغي لي ان اخرج انما يخرج
في مثل هذا رجل ممن ارضاه من شجعانكم وذوي باسكم ولا ينبغي لي ان ادع الجند والمصر وبيت المال وجباية الارض
والقضاء بين المسلمين والنظر في حقوق المطالبين ثم اخرج في كتيبة اتبع اخرى اتقلقل تقلقل القدح في الجفير الفارغ
وانما انا قطب الرحى تدور علي وانا بمكاني فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها هذا لعمر الله الراي
السوء والله لولا رجائي الشهادة عند لقاء العدو لو قد حم لقاؤه لقربت ركابي ثم شخصت عنكم فلا اطلبكم ما اختلف
جنوب وشمال اقول الكتيبة الجيش والقدح السهم قبل ان يراش والجفير كالكنانة اوسع منها والثفال
الجلد الذي يوضع عليه ليسقط عليه الدقيق وحم الامر قدر ومدار هذا الفصل على الدعاء عليهم وصدره
بالاستفهام عن حالهم القبيحة التي هم عليها من مخالفته على سبيل الانكار عليهم ثم عن ما اشار به من خروجه
بنفسه الى الحرب منكرا لذلك ايضا ثم على الاشارة الى ما ينبغي ان يخرج عوضا له ثم بين وجه المفسدة في خروجه
بنفسه وهو ترك المصالح التي عددها مما يعود به امر الدولة ونظام العالم وخروجه على الوجه المذكور وعظم
قبح ذلك وشبه خروجه معهم بالقدح في الجفير ووجه الشبه انه كان قد عقد الجيش قبل ذلك واراد ان يجعل
من هو من الناس في كتيبة اخرى فشبه نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وحده مع تقدم كابر جماعته تخلخلها
بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل وفي العرف ان يقال للشريف اذا مشى في حاجة ينوب فيها من هو دونه
وتلك المهام التي لا تقوم الا برايه انه القلاقلي ومشى يتقلقل على كذا ثم استعار لنفسه لفظ القطب ملاحظا
لدوران الاسلام ومصالحه عليه كما يدور الرحى على قطبها ولذلك هو وجه الاستعارة واستلزم ذلك تشبيه
الاسلام واهله بالرحى وانه اذا اهملها بخروجه الى الحرب اضطرب كاضطراب الرحى وخروج مدارها وتحيرها
عن الحركة المستديرة المستقيمة ولما بين وجه المفسدة في رايهم حكم برداءته واكد ذلك بالقسم البار ثم
انه لولا رجاء لقاء الله بالشهادة في لقاء العدو لو قدر له ذلك لفارقهم غير متاسف عليهم ولا طالب لهم
ابدا تبرما من سوء صنيعهم وكثرة مخالفتهم لاوامره وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم

تالله لقد علمت تبليغ الرسالات واتمام العدات وتمام الكلمات وعندنا اهل البيت ابواب الحكم وضياء
الامر الا وان شرايع الدين واحدة وسبله قاصدة من اخذ بها لحق وغنم ومن وقف عنها ضل وندم اعملوا ليوم
تذخر له الذخاير وتبلى فيه السراير ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه اعجز وغايبه اعوز واتقوا نارا
حرها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد الا وان اللسان الصالح يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال
يورثه من لا يحمده اقول صدر الفصل بذكر فضيلته وهي علمه بكيفية تبليغ الرسالات وادائها وعلمه باتمام
الله تعالى ما وعده المتقين في دار القرار فتمام وعده ان لا خلف فيه وتمام اخباره ان لا كذب فيها وتمام الكلمات
وتأويلها اشتمالها على المصالح الخاصة والعامة وهكذا ينبغي ان يكون اوصياء الانبياء وخلفاؤهم في
ارض الله وعباده ثم اردف ذلك بالاشارة الى فضل اهل البيت عاما واراد بضياء الامر انوار العلوم
التي تهتدى عليها الامور والاعمال الدينية والدنيوية وما ينبغي ان يهتدي الناس به في حركاتهم من قوانين
الشرعية وما يستقيم به نظام الامر من قوانين السياسات وتدبير المدن والمنازل ونحوها اذ كان كل امر
شرع فيه على غير ضياء من الله ورسوله او احد اهل بيته وخلفائه الراشدين فهو محل التيه والزيغ عن
سبيل الله واستعار لفظ الشرايع وهي موارد الشاربة لاهل البيت ووجه الاستعارة كونهم موارد لطلاب
العلم كما ان الشرايع موارد طلبة الماء وكونها واحدة اشارة الى ان اقوالهم لا تختلف في الدين بل لما علموا
اسراره لم تختلف كلمتهم فيه فكلهم كالشريعة الواحدة وكذلك استعار لهم لفظ السبل ووجه
المشابهة كونهم موصلين الى المطالب على بصيرة وقصد كما توصل الطريق الواضح وقوله من اخذ بها
اي من اخذ عنهم واقتدى بهم لحق بالسابقين من سالكي سبيل الله وندم على تفريطه بتخلفه وقيل اراد
بشرايع الدين وسبله قوانينه الكلية فان اي قانون عمل به منها فانه مستلزم لثواب الله فهي واحدة في
ذلك وموصلة الى الجنة من غير جور ولا عدول وذلك معنى كونها قاصدة والاول اظهر لكونه في معرض
فضيلتهم ولما كان غرض الخطيب من اظهار فضيلته قبول قوله شرع في الامر بالعمل ليوم القيمة والذخاير
الاعمال الصالحة ومعنى قوله ومن لا ينفعه حاضر لبه الى قوله اعوز ان اعتبروا حال حضور لبكم فانها
ان لم تنفعكم الان كانت اعوز واعجز عن نفعكم اذا عزبت عند حضور الموت ومقاساة اهواله وما بعدها من
احوال الاخرة ثم اكد التخويف بمناقشة الحساب بالتخويف بالنار واراد بحليتها من الحديد ما اعد فيها للعصاة
من الاغلال والاصفاد والمقامع والسلاسل التي تشبه الحلية وقوله الا وان اللسان الى آخره تنبيه لهم على
الذكر الجميل من الناس في العقبى وتهوين المال وقد سبقت الاشارة الى هذا في قوله اما بعد فان الامر ينزل
من السماء الى الارض ومن كلام له عليه السلم وقد قام اليه رجل من اصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا
بها فما ندري اي الامرين ارشد فصفق عليه السلم باحدى يديه على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقدة
اما والله لو اني حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فان استقمتم هديتكم وان

وشرابها صديد
موجود في اصل الشيخ العفيف

قوتكم وان ابيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن والى من اريد ان اداوي بكم وانتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة
وهو يعلم ان ضلعها معها اللهم قد ملت اطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة باشطان الركي اين القوم
الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه وقرؤا القرآن فاحكموه وهيجوا الى الجهاد فولهوا اللقاح اولادها وسلبوا
السيوف اغمادها واخذوا باطراف الارض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون
بالاحياء ولا يعزون عن القتلى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر
الالوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين اولئك اخواني الذاهبون فحق لنا ان نظمأ اليهم ونعض الايدي على
فراقهم ان الشيطان يسني لكم طرقه ويريد ان يحل دينكم عقدة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة فاصدفوا عن نزغاته
ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن اهداها اليكم واعقلوها على انفسكم اقول الضلع بفتح الضاد وسكون اللام الميل
والهوى والداء الدوي الشديد وصف بما هو من لفظه والدوي اسم الفاعل من دوي اذا مرض والنزعة
المستقون والركي جمع ركية وهي البير ومره جمع مارهه وهي العين التي فسدت اي عيونهم مارهة وسني
كذا حسنه وسهله وعقلت عليه كذا اي حبسته عليه وكان هذا الكلام منه عليه السلم بصفين حين
امرهم بالحكومة بعد ان نهاهم عنها والسبب ان معوية لما احس بالعجز وظفر علي عليه السلم بليلة
الهرير راجع عمرو بن العاص في الراي فقال له اني خبات لك رايا لمثل هذا الوقت وهو ان تامر اصحابك
برفع المصاحف على الارماح ويدعون اصحاب علي الى المحاكمة الى كتاب الله فانهم ان فعلوا افترقوا وان لم
يفعلوا افترقوا وكان الاشتر صبيحة تلك الليلة قد اشرف على الظفر فلما اصبحوا رفعوا المصاحف حتى المصحف
الكبير بالجامع الاعظم على عشرة ارماح وهم يستغيثون معاشر المسلمين الله في اخوانكم في الدين
الى كتاب الله الله الله في النساء والبنات فقال اصحاب علي عليه السلم اخواننا واهل دعوتنا استقالوا
واستراحوا الى كتاب الله فالراي التنفيس عنهم فغضب عليه السلم من هذا الراي فقال انها كلمة حق يراد بها
باطل كما سبق القول فيه فافترق اصحابه فريقين منهم من راي رايه عليه السلم في الاصرار على الحرب ومنهم
راي ترك الحرب والرجوع الى الحكومة وكانوا اكثرين فاجتمعوا اليه عليه السلم وقالوا ان لم تفعل قتلناك
كما قتلنا عثمان فرجع الى قولهم وامر برد الاشتر عن الحرب ثم كتبوا كتاب الصلح وطافوا به في اصحابه
واتفقوا على الحكومة فخرج بعض اصحابه من هذا الامر وقالوا كنت نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فما ندري
اي الامرين ارشد ويدل على انه شاك في امامته فسفق احدى يديه على الاخرى فقال عليه السلم هذا
من قولهم وقال هذا جزاء من ترك العقدة اي عقدة الامر الذي عقده واحكمه وهو الراي في الحرب والعزم
عليها والذي كان امرهم به هو البقاء على الحرب وهو المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا من الظفر وسلامة
وقوتكم اي بالقتل والضرب ونحوه وكذلك معنى قوله تداركتكم وقوله لكانت الوثقى اي الفعلة المحكمة
وقوله ولكن بمن اي بمن كنت استعين عليكم والى من اي الى من ارجع في ذلك وقوله اريد ان اداوي بكم اي

اداوي

اداوي ما بي من بعضكم ببعض وانتم دائي فاكون في ذلك كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم ان ضلعها معها
وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به في اصلاح من يراد اصلاحه وميله الى المستعان عليه يقال لا
تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها يقول ان استعانتي ببعضكم في اصلاح بعض كنقش الشوكة بالشوكة
وهو يعلم ان ضلعها معها وهذا مثل تضربه العرب لمن يستعان به في اصلاح من يراد اصلاحه وميله
الى المستعان عليه يقال لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها ووجه المشابهة ان طباع بعضكم يشبه طباع بعض
وتميل اليها كما تشبه الشوكة وتميل اليها فربما انكسرت معها في العضو واحتاج الى منقاش آخر ثم رجع الى
الشكاية الى الله واراد بالداء الدوي ما هم عليه من اعتياد المخالفة لامره وتثاقلهم عن دعوته وبالاطباء
فان داء الجهل وما يستلزمه اعظم من سائر الادواء المحسوسة وفضل اطباء النفوس على اطباء الابدان
شرف النفوس على الابدان وهي استعارة تكاد ان يكون حقيقة وكذلك استعار لفظ النزعة لرسل نصرح
لنفسه معهم فكانهم عن المصلحة في قعر بئر عميق وقد كل هو من جذبهم اليها ثم اخذ في السؤال عن اخوانه من
الصحابة الذين بذلوا جهدهم في نصرة الدين واعرضوا عن الدنيا استفهاما على سبيل التوجع لفقدهم
كما يقول احدنا اذا وقع في شدة اين اخي ثم وصفهم بالاوصاف الحميدة ترغيبا للسامعين في مثل حالهم
عليهم حيث لم يكونوا بهذه الاوصاف وذلك بطريق المفهوم وقوله اولادها نصب باسقاط الجار اذ الفعل
وهو قوله ولهوا غير متعد الى مفعولين بنفسه وفي الخبر لا توله والدة بولدها وقولهم لها بركوبهم اياها
خروجهم للجهاد وقوله واخذوا باطراف الارض اي اخذوها باطرافها وزحفا زحفا وصفا صفا مصدر
موكدان بمثليهما قاما مقام الحال وقوله لا يبشرون بالاحياء ولا يعزون عن القتلى اي كانوا في تلك الحال غير
ملتفتين الى حيهم ولا راعين ومحافظين على حيوته حتى يبشرون ببقائه او يجزعون لموته فيعزون عليه بل
الجهاد في سبيل الله ولعلهم يفرحون بقتل من يقتلونه في سبيله وان كان ولدا او والدا او بالعكس وانما كان
موجبا لصفرة اللون لانه يهيج الحرارة ويفسد السحنة ويجفف البدن ويكثر فيه المرة والصفرة من توابع
لا سيما في الابدان النحيفة كما عليه اهل المدينة ومكة والحجاز وغبرة الخاشعين صفة الزاهدين الخاشعين من
الله لعدم عطفهم بالدنيا واستعار لفظ الظما للشوق اليهم ملاحظة لشبههم بالماء في شدة الحاجة اليه فنزل
الشوق اليهم والحاجة الى لقائهم منزلة العطش الى الماء فاعطاه لفظه واراد بعقد الدين ما احكم منه من
القواعد وبحل الشيطان لها ترغيبه ترك قانون قانون وسنة سنة الاجماع عقده عقدها الشارع لما سبق
من المصالح واكدها فكانت الفرقة حلا لتلك العقد ونزغات الشيطان حركاته بالافساد ونفثاته القاؤه الو
في القلوب مرة بعد اخرى وعنى بمن اهدى اليهم النصيحة نفسه وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم**
للخوارج وقد خرج الى معسكرهم اكلكم شهد معنا صفين فقالوا منا من شهد ومنا من لم يشهد قال فامتازوا فرقتين
من شهد صفين فرقة ومن لم يشهد فرقة حتى اكلم كلا بكلامه ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام وانصتوا

واقبلوا اما قد تكم الى من نشدناه فليقل بعمل فيها فكلمهم عليه السلم بكلام طويل من جملته ان قال الم تقولوا عند رفعهم
المصاحف حيلة وغيلة ومكرا وخديعة اخواننا واهل دعوتنا استقالونا واستراحوا الى كتاب الله تعالى فالراى
القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا امر ظاهره ايمان وباطنه عدوان واوله رحمة وآخره ندامة فاقيموا على
شانكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا الى ناعق نعق ان اجيب اضل وان ترك ذل ولقد
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وان القتل ليدور بين الآباء والابناء والاخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة
وشدة الا ايمانا ومضيا على الحق وتسليما للامر وصبرا على مضض الجراح ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا في الاسلام
على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل فاذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها الى
البقية فيما بيننا رغبنا فيها وامسكنا عما سواها **اقول** التنفيس التفريج ولكن هذا الفصل ظاهر ما يستر وقوله
هذا امر ظاهره ايمان اى رفع اولئك المصاحف وطلبهم الحكومة فان ظاهره منهم الاجتهاد في الدين بالرجوع
الى كتاب الله وباطنه منهم عدوان اى حيلة للظلم والغلبة واوله رحمة منكم لهم برجوعكم الى قولهم وآخره ندامة
لكم عند تمام الحيلة فاقيموا شانكم اي ما كنتم عليه من الاجتهاد في الحرب والناعق اشارة الى الطالب للحكومة او
المشير عليهم بذلك الراى وهو عمرو بن العاص واخرجه في اوصاف المنيس وقوله بعد ذلك ولقد كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله الى قوله مضض الجراح استدراج لهم بشرح حاله وحال الصحابة حيث كانوا في الجهاد مع الرسول
صلى الله عليه كذلك على الحالة التى شرحها لعلهم يتاسون بالماضين فيها وقوله ولكنا انما اصبحنا نقاتل اخواننا
في الاسلام الى آخره تنبيه على اعتراض عساهم يقولونه وجواب عنه وهو ان يقولوا انما نقاتل اخواننا السابقين
ما اضلوا بعينهم بما هم عليه من الدين الحق وتعقبهم ضلال الكفار والمحاربين لهم فانما يقاتل بعضنا بعضا
فكيف يجوز لنا قتل قوم مسلمين استسلموا الينا ودعونا الى المحاكمة الى كتاب الله فاجاب بما معناه انا انما قاتلنا
في مبدأ الامر وعنينا دعوة الى الاسلام ورغبة في رسوخ قواعده في المبداء فانما قاتلنا لتحصيل ماهيته في
الوجود وفي الثاني قاتلنا لحفظ ماهيته وبقائها وحيث دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتاويل
ما دخل فاذا طمعنا في خلة محمودة يجمع الله بها افترقنا ونتقارب بها الى ما بقى فيما بيننا من الاسلام والدين رغبنا
فيها وقاتلنا طمعا في تحصيلها وكان رغبتى بالخصلة رجوع محاربيه الى طاعته واتفاقهم عليه وهذا الكلام
في قوة صغرى قياس ضمير احتج عليهم به وتقديرها انكم حين قلت لكم ان رفعهم المصاحف خديعة منهم
اجبتموني بهذا الجواب وتقدير الكبرى وكل من اجاب بهذا الجواب فليس له ان ينكر الحكومة اذ كان قد رضى
بها فينتج انه ليس لهم ان يابوا الحكومة وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** قاله لاصحابه في وقت الحرب واى امرء منكم
احس من نفسه رباطة جاش عند اللقاء وراى من احد من اخوانه فشلا فليذب عن اخيه بفضل نجدته التى
فضل بها عليه كما يذب عن نفسه فلو شاء الله لجعله مثله ان الموت طالب حثيث لا يفوته المقيم ولا يعجزه
الهارب ان اكرم الموت القتل بالسيف والذى نفس ابن ابى طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش

اقول

اقول نبه شجاعته والتذنيب الدفع والمنع وقد امرهم في هذا الفصل بمساعدة بعض لبعض في الحرب ومنع بعضهم
بعضا منعا صادقا كما يمنع عن نفسه وبذلك يكون انعقاد الاجتماع وتعاون الهمم حتى يكون الجميع كنفس واحدة
وبذلك يكون الظفر والغلبة واستمال ذوى النجدة بذكر فضيلة تخصهم دون من يذبون عنه استثارة لنجدتهم
وتعطيفا لهم وقوله ان الموت طالب حثيث الى قوله ان اكرم الموت القتل تسهيل للقتل والموت بذكر انه لا بد منه تسهيل
للحرب عليهم واما ان اكرم الموت القتل فاراد القتل في سبيل الله وذلك لاستلزامه الذكر الجميل في الدنيا
والثواب الدائم في الاخرى ثم اكد ذلك بالقسم لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على الفراش وصدق ذلك
في حق من نظر الى الدنيا بعين الاستحقار في جنب نعيم الابد في الاخرة والذكر الجميل في الدنيا وحصلت له
ملكة الشجاعة ظاهر وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وكانى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تاخذون
حقا ولا تمنعون ضيما قد خليتم والطريق فالنجاة للمقتحم والهلكة للمتلوم **اقول** كشيش الضباب صوت جلودها
بعضها بالبعض عند الازدحام والتلوم الانتظار والتوقف واشار بهذا الكلام الى انه يستلحقهم غلبة من العدو
وتغضهم الحروب بحيث يضعفون ويأخذون في الهرب والتخفي فلا ينتفع بهم في اخذ حق او دفع ضيم ووصف
الكشيش مستعار لهم باعتبار هيئتهم في الحيد عن العدو والهرب منه وهو وجه الشبه بكشيش الضباب
وقوله قد خليتم والطريق اى طريق الاخرة فالنجاة للمقتحم اى مقتحمها والمبادر الى سلوكها والهلكة للمتوقف
عن ذلك والطريق منصوب على المفعول معه **ومن كلام له عليه السلم** في حض اصحابه على القتال فقدموا
الدارع واخروا الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام والتووا في اطراف الرماح فانه امور
للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه اطرد للفشل
ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها الا بايدى شجعانكم والمانعين الذمار منكم فان الصابرين على نزول
الحقائق هم الذين يحفون براياتهم ويكتنفونها حفافيها وورائها وامامها لا يتأخرون عنها فيسلموها
ولا يتقدمون عليها فيفردوها اجزأ امرؤ قرنه وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيجتمع عليه قرنه
وقرن اخيه وايم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة انتم لهاميم العرب والسنام
الاعظم ان في الفرار موجدة الله والذل اللازم والعار الباقى وان الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه
وبين يومه من رائح الى الله كالظمآن يرد الماء الجنة تحت اطراف العوالى اليوم تبلى الاخبار اللهم فان ردوا
الحق فافضض جماعتهم وشتت كلمتهم وابسلهم بخطاياهم انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن
دراك يخرج منه النسيم وضرب يفلق الهام ويطيح العظام ويندر السواعد والاقدام وحتى يرموا بالمناسر
ويرجموا بالكتائب تقفوها الحلائب وحتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس وحتى تدعق الخيول في
نواحر ارضهم وباعنان مساربهم ومسارحهم قال السيد رضى الله عنه الدعق الدق اى تدق الخيول
بحوافرها ارضهم ونواحر ارضهم متقابلاتها يقال منازل بنى فلان تتناحر اى تتقابل **اقول** هذا الكلام قاله

ولسوء لشدة حركة ونفوذا او الجاذب روعة القلب واضطرابه عند الخوف والذمار ما اوكد الرجل مما يجب عليه حمايته
وحفاظا الشئ جانباه ولهاميم العرب اجوادهم والموجة الضب وانسابهم اسلهم للمملكة والعوالي جمع عالية
الرمح وهو ما دخل منه الى ثلثه والغسم النقس والمنسر القطعة من الجيش وكذلك الخميس الجيش والنواجر ايضا
جمع نجيرة وهي اخر ليلة من الشهر سميت بها لانها نحر الشهر المستقبل فيكون مراده بنواجر ارضهم اواخيها
واعقاب مسايرهم اقطارها وما اعترض منها ومسايرهم مراعيهم واحدتها مسرحة وقد امرهم باوامر في
مصلحة الحرب وكيفيتها ونهاهم مناهي فاولها الامر بتقديم الدارع وتاخير الحاسر والمصلحة فيه ظاهرة الثاني
العض على الاضراس وحكمته ما سبق في قوله معاشر المسلمين استشعروا الخشية وفي قوله لابنه محمد بن
الحنفية تزول الجبال ولا تزل وقد كرر هنا ايضا الثالث الالتواء في اطراف الرماح وعلته ما ذكر وهو
ان التوى الانسان مع الرمح حال ارساله كان الرمح به اشد وذلك لحركة تصدر للانسان بعد التوائه مع حركة
يده حين الارسال فكانت حركته اشد واقوى نفوذا الرابع غض الابصار وفايدته ما ذكر من كونه اربط للجاش
القلب واسكن ويضيد ذلك مد البصر الى القوم فانه مظنة الخوف والفشل وعلامة لهما عند العدو الخامس
اماتة الاصوات وفايدته ايضا طرد الفشل اذ كانت كثرة اللغط والصياح علامة لخوف الصايح وذلك
مستلزم لطمع العدو فيه وجراته عليه السادس قوله ورايتكم فلا تميلوها فان امالتها مما يظن به العدو
تشويشا واضطراب حال فيطمع ويقدم ولانها اذا اميلت تغيب عن عيون الجيش فربما لا يهتدي كثير
منهم للوجه المطلوب السابع ولا تخلوها وسيفسر هو التخلية الثامن ولا تجعلوها الى قوله منكم وذلك لانها
اصل نظام العسكر وعليها يدور بها تقوى قلوبهم مادامت قائمة فيجب في ترتيب الحرب ان يكون
حاملها اشجع القوم وقوله فان الصابرين الى قوله فيفردوها تخصيص لمن يحفظ الراية ويحفها بوصف
الصبر على نزول الحقائق اي الشدائد الحقة المتيقنة التي لا شك في نزولها كي يسارعوا الى حفظها
بها رغبة في تلك المحمدة وبين بقوله لا يتاخرون عنها الى قوله فيفردوها معنى التخلية التي نهاهم عنها
فيسلموها ويفردوها ونصب الفعلان باضمار ان عقيب الفاء في جواب النفي التاسع قوله اجزأ امرؤ
قرنه العاشر واسى اخاه بنفسه فعلان ماضيان في معنى الامر والتقدير وليجز امرؤ قرنه وهو خصمه
وكفوه في الحرب اي ليقاومه وليواس اخاه بنفسه في الذب عنه ولا يعرض قرنه اعتمادا على اخيه في
دفعه فيجتمع على اخيه قرنه وقرن اخيه ثم ذكرهم عدم الفايدة في الفرار اذ كانت غاية الفرار السلامة من
الموت وهو لا بد منه كقوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذن لا تمتعون الا قليلا
واستعار لفظ سيف الاخرة للموت ووجه المشابهة كونهما مبطلين للحياة وانما كان سيف الاخرة لانها
غايته ثم مدحهم باوصاف يستقبح معها الفرار وهي كونهم اجواد العرب والسنام الاعظم واستعار لهم لفظ
السنام لمشاركتهم اياه في العلو والرفعة ثم اكد تقبيح الفرار بذكر معايبه وانه الاقامة فيه ايضا الى ما يعيبه فكونه مستلزما

غضب للفقهان الفار من الجهاد في سبيله عاص لامره والعاصي له مستحق لغضبه وعقابه ثم كونه مستلزما للذل اللازم
والعار الباقي في الاعقاب وهو ظاهر وانه لا اثر لا فايدة فيه فلان الفار لا يزاد في عمره بفراره اذ علمنا ان الفار لم
يبلغ اجله المكتوب له فكان بقاؤه في مدة الفرار من عمره لا زيادة فيه وان له يوما في القضاء الالهي يحين
فيه وبينه فراره وفيه تخويف بالموت وقوله من رايح الى الله كالظمآن يرد الماء استفهام عمن يسلك سبيل الله
ويروح اليه كما يروح الظمآن استفهاما على سبيل العرض لذلك الرواح ووجه الشبه القوة في السير والسعي
الحثيث واشار بقوله الجنة تحت اطراف العوالي الى ان مطلوبه الرواح الى الله بالجهاد وجذب السير لكون الجنة
وخصها بجهة تحت لان دخول الجنة غاية من الحركات بالرماح في سبيل الله وتلك الحركات انما هي تحت العوالي
وقد اطلق لفظ الجنة على تلك الاعمال التي هي غاية منها مجازا تسمية للشئ باسم غايته ثم اعقب ذلك بدعاء
الله على محاربيه ان ردوا دعوة الحق بالتفريق والاهلاك ثم حكم بانهم لن يزولوا عن مواقفهم دون
ما ذكر حكما على سبيل التهديد والوعيد لهم والطعن الدراك المتدارك وكنى بخروج النسيم منه عن
خرق الجوف والامعاء بحيث يتنفس المطعون من الطعنة وروى النسيم وروى القسم بالقاف والسين
المهملة وهو اللحم والشحم وهو بعيد وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** في التحكيم انا لم نحكم الرجال وانما
حكمنا القران وهذا القران انما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وانما ينطق عنه
الرجال ولما دعانا القوم الى ان نحكم بيننا القران لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله وقال سبحانه فان تنازعتم
في شئ فردوه الى الله والرسول فرده الى الله ان نحكم بكتابه ورده الى الرسول ان ناخذ بسنته فاذا حكم بالصدق
في كتاب الله فنحن احق الناس به وان حكم بسنة رسول الله فنحن اولاهم به واما قولكم لم جعلت بينكم وبينهم اجلا
في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبين الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله ان يصلح في هذه الهدنة امر هذه الامة ولا
يوخذ باكظامها فتعجل عن تبين الحق وتنقاد لاول الغي ان افضل الناس عند الله من كان العمل بالحق احب اليه
وان نقصه وكرثه من الباطل وان جر اليه وزاده فاين يتاه بكم ومن اين اتيتم استعدوا للمسير الى قوم حيارى
عن الحق لا يبصرونه وموزعين بالجور لا يعدلون به جفاة عن الكتاب نكب عن الطريق ما انتم بوثيقة يعلق
بها ولا زوافر عز يعتصم اليها لبئس حشاش نار الحرب انتم اف لكم لقد لقيت منكم برحا يوما اناديكم ويوما اناجيكم
فلا احرار عند النداء ولا اخوان ثقة عند النجاء **اقول** هذا الفصل من كلام له بعد سماعه لامر الحكمين
وخديعة عمرو بن العاص لابي موسى كرثه الامر اشتد عليه واوزع بكذا فهو موزع اذا اغري به ونكب
بتشديد الكاف جمع ناكب وهو العادل عن الطريق كبازل وبزل وزوافر الرجل انصاره وعشيرته وحشاش
جمع حاش وهو موقد النار وكذلك الحاشي بكسر الحاء وتخفيف الشين كنايم ونوام ونيام وقيل هو ما يحش
به النار اي يوقد والبرح بسكون الراء الشدة والاذى يقال لقيت منه برحا بارحا وروى ترحا وهو الحزن و
الفصل من اوله الى قوله اولاهم به جواب لمن شبهة التحكيم للخوارج عن امره بالحرب بعد ان رضي بالتحكيم

الشبهة انك رضيت بتحكيم رجلين في هذا الامر وعاهدت على ذلك وكل من رضي بامر وعاهد عليه فليس له ان ينقض
عهده فقدح في صغرى هذه الشبهة بقوله انا لم نحكم الرجال اي لكونهما رجالا وانما حكمنا القران لكن لما
كان القران لابد له من ترجمان يبين مقاصده ودعانا القوم الى حكم القرآن لم نكن نحن الفريق المتولي عن كتاب الله
المتولى عنه بعد امره تعالى بالرجوع اليه والى رسوله في الكتاب والسنة فيما اشتبه امره بقوله فان تنازعتم في الامر
فاذا حكم بالصدق عن علم بكتابه فنحن احق الناس براي اولاهم باتباعه او اولاهم بان ينص على كون الامر لنا كما في قوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين الى قوله حتى تفيء الى امر الله وظاهر كون اوليك بعد عقد الامامة بغاة عليه
فوجب بنص الكتاب قتالهم وكذلك الآيات الدالة على وجوب الوفاء بالعهود والعقود وكان هو اولى بالحق
الذي يجب قتالهم عليه فكان الحاكم لهم مخطيا مخالفا لكتاب الله غير عامل به فوجب مخالفة حكمه وان حكم
بسنة رسول الله فنحن اولى الناس برسول الله للقرابة والعمل بسنته لموافقتها الكتاب ونصه على وجوب قتال
الامام العادل فكان الحاكم لغيرنا مخالفا للسنة ايضا فصارت خلاصة هذا الجواب انا لم نرض بتحكيم الرجلين
رجلين ولكن بتقدير حكمهما بكتاب الله الذي هما ترجمان عنه وهو الحاكم الذي دعانا الخصم اليه وحيث خالفاه
لم يجب علينا قبول قولهما وقوله واما قولكم الى قوله لاول الغي فتقدير سوال آخر لهم مع جوابه وذلك انهم حين اتفقوا
على التحكيم كتبوا كتاب الصلح وضربوا للحكم الحكمين اجلا مدة سنة وصورة الكتاب هذا ما تقاضى عليه
علي بن ابي طالب ومعوية بن ابي سفيان قاضى علي بن ابي طالب على اهل العراق ومن كان معه من شيعته من
المومنين والمسلمين وقاضى معوية بن ابي سفيان على اهل الشام ومن كان معه من شيعته من المومنين
المسلمين انا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه ولا يجمع بيننا الا اياه وان كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته
الى خاتمته نحيي ما احيى القران ونميت ما امات القران فان وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وان
لم يجداه اخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله وعمرو بن العاص وقد اخذ الحكمان من علي
ومن الجندين انهما آمنان على انفسهما واموالهما واهلهما والامة لهما انصار وعلى الذي يقضيان عليه
المومنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله ان يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وان
الامن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين الى ان يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد
الله ليحكمن بين الامة بالحق لا بما يهوى واجل الموادعة سنة كاملة فان احب الحكمان ان يعجلا الحكم
عجلاه وان توفي احدهما فلامير شيعته ان يختار مكانه رجلا لا يالوا الحق والعدل وان توفي احد الاميرين
كان نصب غيره الى اصحابه ممن يرتضون امره ويحمدون طريقته اللهم انا نستنصرك على من ترك
ما في هذه الصحيفة واراد فيها الحادا او ظلما وشهد فيه من اصحاب علي عشرة ومن اصحاب معوية عشرة
وتقدير هذا السوال انك حين رضيت بالتحكيم لم ضربت بينك وبينهم اجلا غيره وما الحكمة في ذلك فاجاب
ذلك ليتبين الجاهل اي وجه الحق ويتثبت العالم اي في امره بحيث يخلص من الشبهة ورجاء ان يصلح في هذه الامة

الصلح وقوله ولا تؤخذ باكظامها فتعجل الى آخره فيه باخذ الكظم عن الاخذ بعنف وعلى غرة وهولاء القوم لما اخذ في الاول
شبهة عرضت من رفع المصاحف وهو اول الغي فلم يتثبتوا في امرهم اشبهوا من اخذ بمجرى نفسه فلم يتمكن من
الاستراحة الى التنفس فاستعير وصف اخذ الكظم لهم وقوله ان افضل الناس الى قوله وزاده جذب الى الحق
وان ادى الى الغاية المذكورة وتنفير عن الباطل وان استلزم الغاية المذكورة بذكر الافضلية عند الله وقوله
من الباطل متعلق باحب اليه وقوله وان نقصه وكرثه اعتراض بينهما والحكم في هذه القضية ظاهر الصدق
اذ كان ملازم الحق ابر الخلق والاتقى افضل عند الله تعالى كما قال ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقوله فاين يتاه بكم
يدل الى اي غاية يكون هذا التيه الذي اخذتم فيه وفيه تنبيه على ان ذلك التيه ضلال العين بهم ومن اين اتيتم
اي من اي وجه دخلت عليكم الشبهة ويشبه هذا السوال تجاهل العارف اذ كان يعلم وجه الداخل عليهم ثم
اعقب ذلك التعنيف لهم بالامر بالمسير الى اهل الشام ووصفهم بالجور عن الحق والعمى عنه والاعراض بالجور
عن طريق الله بحيث لا يشك في الجور عندهم وبجفاوة الطباع عن فهم كتاب الله وبنوه لا انتباه عنه وبعدهم
عن طريقه كل ذلك اغراء بهم وقوله ما انتم بوثيقة اي بعروة وثيقة الى آخره وهو عتاب لهم وتضجر منهم على
قلة طاعته وقوله يوما اناديكم اي ادعوكم الى النصرة واستغيث بكم ويوما انا جيكم اي اعاتبكم واحادثكم
على تقصيركم وقوله فلا احرار عند النداء الاول الحر من شانه اجابة الداعي والوفاء بالوعد ولستم كذلك ولا اخوان
ثقة عند النجاء لان اخا الثقة اذا ذل وعوتب من اخيه اعتب واذا احوج واعتذر اليه رجع الى الصفا الاخوة
لمكان ونافيها ولستم بعين ذلك في شئ وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم لما عوتب على التسوية في العطاء
اتامروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما ام نجم في السماء نجما لو كان
المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله الا وان اعطاء المال في غير وجهه وعند غير اهله تبذير واسراف
وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في الناس ويهينه عند الله ولم يضع امرؤ ماله في غير
حقه وعند غير اهله الا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودهم فان زلت به النعل يوما فاحتاج الى معونتهم فشر
خليل والام خدين اقول لا اطور به اي لا اقربه والسمير الدهر يقال لا افعله ما سمر سمير اي الدهر كله وابنا سمير
لا افعله ما سمر ابنا سمير وابنا الليل والنهار والحديث الصديق والتسوية في العطاء من سنة الرسول صلى
الله عليه وآله وكان ابو بكر كذلك على تلك السنة فلما فضل من بعدهما اهل السابقة والشرف في العطاء على
غيرهم اعتاد المفضلون بذلك الى زمانه عليه السلم ولما كان سالكا مسالك الرسول صلى الله عليه وآله في
اثر سنته لم يمكنه الا التسوية فطلب المفضلون عادتهم من التفضيل فضل وعلا فيه لهذا الاثر فقال الكلام فقوله
اتامروني ان اطلب النصر بالجور جواب لمن اشار عليه بالتفضيل وكان المشير قال له ان فضلت هولاء كانوا
عونا لك ونصروك فاجابهم بذلك والجور العدول عن سبيل الله بالتفضيل حيث كان خارجا عن سنة الرسول
صلى الله عليه وآله ثم اقسم لا اقرب التفضيل ابدا وان المال لو كان له لكان من العدل ان يسوي بينهم فيه فكيف والمال

للشريف ووجه ذلك ان التسوية هي العدل الذي يجمع النفوس على النصرة وتألف الهمم على مقاومة العدو دون التفضيل
المستلزم لانكسار قلوب المفضولين مع كثرتهم فلو كان المال لي مع كون مقتضى طباع البشرية الميل الى بعض دون بعض لسويت
بينهم فكيف والمال لله الذي تساوي نسبة الخلق اليه والحكم الذي فرضه الله لهم على سواء وهو كالاعتذار اليهم و
لمادة الطمع في التفضيل ثم نبه على قبح وضع المال في غير اهله وعلى غير وجهه وغير اهله هم غير المعروفين بحق ووجه
حقه الذي لم يفرضه الشارع واشار الى وجوه المفاسد ففي غير اهله تبذير وفي غير وجهه اسراف
انهما طرفا الافراط من فضيلة السخاء وقوله يرفع صاحبه في الدنيا اي يحصل له بالتبذير ذكر الكرم بين العوام
والعامة ومن لا يعرف حقيقة الكرم ويضعه في الآخرة اذ كان من رذيلة وكذلك يكرمه عند الناس ويهينه
عند الله واما حكمه عليه السلام بان الواضع لماله في غير حقه وعند غير اهله محروم شكرهم ولغيره ودهم وعلى تقدير
وقوع الذلة التي يحتاج فيها الى مساعدتهم يتقاعدون عنه فذلك امر يحصل بالاستقراء وربما بلغ التجربة و
سر ذلك فيحتمل ان يكون لانهم لما كانوا غير اهل لوضع المعروف فلم يكونوا اهلا للاعتراف به اما لجهلهم بقدر عظمه
او لاعتقادهم ان المسدي اليهم غير اهل لشكرهم او انهم اعلى مرتبة واحق بالمال منه واكثر ما يكون عدم الشكر من
هولاء لنظر كل منهم الى ان غيره من المسدى اليه غير اهل وانه هو احق بغيره منه وانما يخوض الخطأ من باذل المعروف
فلا يزال متسخطا عاتبا عليه ذاما للزمان وحسدا لا يمحو اعتراف نعمة الباذل فاذا اصابه من غيره ادنى
او لم يصبه بل سمع مدح احد وشكر الناس له ساعد على مدحه واظهر فضله وقال انه ممن يضع المعروف في
اهله فيكون في ذلك كالمستنهض لحمد الباذل او كالمزري عليه والمعاير له وكفى بزوال النعم عن خطاير عيبا
في المصاب وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** ايضا للخوارج فان ابيتم الا ان تزعموا اني اخطات وضللت
فلم تضللون عامة امة محمد صلى الله عليه وآله بضلالي وتاخذونهم بخطائي وتكفرونهم بذنوبي سيوفكم على
عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من اذنب بمن لم يذنب وقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجم الزاني ثم صلى عليه ثم ورثه اهله وقتل القاتل وورث اهله ميراثه وقطع السارق وجلد الزاني
غير المحصن ثم قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات فاخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذنوبهم واقام حق
الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الاسلام ولم يخرج اسماءهم من بين اهله ثم انتم شرار الناس ومن رمى به الشيطان
مراميه وضرب به تيهه وسيهلك فيّ صنفان محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق ومبغض مفرط يذهب به
البغض الى غير الحق وخير الناس فيّ حالا النمط الاوسط فالزموه والزموا السواد الاعظم فان يد الله على الجماعة واياكم
والفرقة فان الشاذ من الناس للشيطان كما ان الشاذ من الغنم للذئب الا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي
هذه وانما حكم الحكمان ليحييا ما احيا القرآن ويميتا ما امات القرآن واحياؤه الاجتماع عليه واماتته الافتراق عنه فان جرنا
القرآن اليهم اتبعناهم وان جرهم الينا اتبعونا فلم آت لا ابا لكم بجرا ولا ختلتكم عن امركم ولا لبسته عليكم انما اجتمع رأي
ملئكم على اختيار رجلين اخذنا عليهما الا يتعديا القرآن فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما فمضيا

عليه وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصمد للحق سوء رأيهما وجور حكمهما **اقول** البجر الشر والامر العظيم والختل
الخديعة والصمد القصد وهذا الفصل مشاجرة مع الخوارج وهو منع لشبهتهم التي بها كفروا اصحاب علي عليه السلام
وصورتها انكم ضللتم بالتحكيم وكل ضال كافر ينتج انكم كفار فقوله عليه السلام فان ابيتم الى قوله وضللت يجري مجرى
تسليم جدلي لما منعه اولا في الفصول السابقة من صغرى شبهتهم وبين ان التحكيم لم يكن منه خطأ ولا ضلالا فكانه قال
وهب اني اخطات كما زعمتم وقوله فلم تضللون عامة امة محمد بضلالي منع الصغرى هذه الشبهة وقوله وتكفرونهم
بذنوبي الى قوله بمن لم يذنب منع للكبرى فكانه يقول وهب انكم ضللتموهم بضلالي فلم تكفرونهم وتتناولون بسيوفكم
المذنب وغير المذنب وقوله وقد علمتم الى قوله بين اهله استشهاد عليهم بفعل الرسول صلى الله عليه وآله مع من اخطأ
والسلام لم يكفرهم بذنوبهم بل اجرى عليهم احكام الاسلام ولم يسلبهم اسمه وهذا الاستشهاد يجري مجرى ذكر
المنع والزاني الذي رجمه هو المحصن ولم يمنعه استحقاقه الرجم صدق الاسلام عليه ولحوق احكام من الصلاة
عليه وتوريث ماله لاهله وكذلك الباقون من اهل الكباير من الاسلام لم يمنعهم ذلك من اجراء احكام الاسلام
عليهم وصدق اسمه المنافي لصدق الكفر عليهم وضمير الاثنين في نكحا يرجع الى السارق والزاني لم يمنعهم استحقاقهما
القطع والجلد من حصتهما من الفيء ولا من نكاح المسلمات وضماير الجمع في قوله فاخذهم الله بذنوبهم
الى قوله بين اهله راجعة الى كل من جرى ذكره من المذنبين والكلام المذكور حكاية حالهم والضمير في اهله
يرجع الى الاسلام ثم لما فرغ من بيان غلطهم ذمهم ونسبهم الى الانفعال عن الشيطان اذ كانت وساوسه
مبادي الاغلاط والشبه ثم عقب ذلك بالاخبار عن هلاك من سلك طرفي الافراط في حبه او بغضه الخروجهما
عن الحق والعدل الى الباطل والجور فافراط الحب ان جعل الها كالمنسوب الى النصيرية ونحوهم من الغلاة وافراط
البغض ان نسب الى الكفر كالمنقول عن الخوارج وجعل خير الناس فيه حالا النمط الاوسط في المحبة وهم اهل العدل
فيه والنمط الاوسط الجماعة من الناس امرهم واحد وفي الحديث خير هذه الامة النمط الاوسط يلحق بهم التالي
ويرجع اليهم الغالي فالتالي هو المقصر الواقف في طرف التفريط والغالي هو العابر الى طرف الافراط وامرهم بلزوم
ذلك النمط ولزوم طريقه السواد الاعظم اي اكثر المسلمين المتفقين على راي واحد ورغب في لزومهم
بان يد الله على الجماعة فتجوز بلفظ اليد في قدرة الله وحراسته للجماعة اذ كانوا امنع وابعد عن الانفعال للعدو
وامن من الغلط والخطأ لكثرة آرائهم واتفاقها فلا تكاد تتفق على امر لا مصلحة فيه مع كثرتها واختلافها وحذر
من الفرقة والشذوذ عن الجماعة بان الشاذ من الناس اي المنفرد المستبد برايه للشيطان اي محل تطرق الشيطان واغوائه
وشبه ذلك بالشاذ من الغنم ووجه الشبه كون انفراده محلا لتطرق الهلاك اليه باستغواء الشيطان كما ان الشاة
المنفردة في مظنة الهلاك لانفرادها ووحدتها للذئب ثم امر بقتل من دعا الى هذا الشعار وهو مفارقة الجماعة والاستبداد
بالراي وقوله ولو كان تحت عمامتي هذه مبالغة في الكلام كنى بها عن اقصى القرب من عنايته اي ولو كان ذلك الداعي
الى هذا الحد من عنايتي به وقيل اراد ولو كان ذلك الداعي انا وقوله وانما حكم الحكمان اعتذار عن شبهة التحكيم واستند

لفظي الاحياء والاماتة مجاز باعتبار كونهما في الاجتماع عليه والعمل به سببا لظهور منفعته وفائدته كما يفعله موجد الحي
وكونهما في تركه والاعراض عنه سببا لبطلان منفعته وعدم فائدته كما يفعله مميت الشيء ومبطل حياته وقوله
فلم آت لا ابا لكم بجرا الى آخره لما بين وجه عذره في التحكيم انكر ان يكون فعله ذلك مشتملا على قصد شر او خدعة
لهم او تلبيسا عليهم في التحكيم من غير اتفاق منهم ومراجعة لهم بل انما كان ذلك عن اجماع آراء قومهم على اختيار
حكمين اخذت عليهم الشرائط المعدودة في كتاب الصلح في نسخته اختيار الحكمين السلام عليهم ونسبة اخذ العهد عليهما
في ابتاع الكتاب الى نفسه او الى الجماعة هو احدهم تنبيه على ان اخذ العهد عليهما كان منه او شركه دون تضييعهما
الحكومة لما نقل انه كان غير راض بنصب ابي موسى نائبا عنه وانما اكره على ذلك وكان ميله واختياره في
ذلك لابن عباس وتلخيص الكلام انا انما رضينا بالحكمين بشرط ان يعملا بكتاب الله والمشروط بشرط
عدم عند عدم ذلك الشرط فحيث خالفا الشرط عمدا بعد ان سبق استيثاقنا عليهما سوء رأيهما وحب مخالفتهما
واتصف سوء رأيهما لا انه معدول به عن سبق وبالله التوفيق والعصمة **ومن كلام له عليه السلام** وهو مما كان
يخبر به عن الملاحم بالبصرة يا احنف كأني به وقد سار بالجيش الذي لا يكون له غبار ولا قعقعة لجم ولا
حمحمة خيل يثيرون الارض باقدامهم كأنها اقدام النعام يومي بذلك الى صاحب الزنج ثم قال عليه السلام
ويل لسكككم العامرة والدور المزخرفة التي لها اجنحة كاجنحة النسور وخراطيم كخراطيم الفيلة من اولئك
الذين لا يندب قتيلهم ولا يفتقد غائبهم انا كاب الدنيا لوجهها وقادرها بقدرها وناظرها بعينها **اقول**
الملحمة الوقعة العظيمة وهذا الفصل من خطبة له عليه السلام بالبصرة بعد وقعة الجمل ذكر فيها ضروبا
فيما سيقع والخطاب مع الاحنف بن قيس لانه كان رشادا عقل وسابقة في قومه واسمه صخر بن قيس بن معاوية
حصين بن عبادة بن مرة بن عبيد بن تميم وقيل اسمه الضحاك وكنيته ابو بحر وسببه كان اسلام بني تميم حين
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فلم يجيبوا فقال لهم الاحنف انه يدعوكم الى مكارم الاخلاق
عن ملائمها فاسلموا واسلم الاحنف وشهد مع علي عليه السلام صفين ولم يشهد الجمل مع احد الفريقين والضمير في
قوله كأني به لصاحب الزنج واسمه علي بن محمد علوي النسب والجيش المشار اليه هم الزنج ووقعتهم بالبصرة
مشهورة واخبارهم وبيان احوالهم وتفصيل وقعتهم يشتمل عليها كتاب مفرد في نحو من عشرين كراسة
فليطلب علمها من هناك فاما وصف ذلك الجيش بالاوصاف المذكورة فلان الزنج لم يكونوا اهل
خيل ولا جند من قبل حتى يكونوا بالاوصاف المشار اليها واثارتهم التراب باقدامهم كناية عن كونهم حفاة
في الاغلب مشققي الاقدام فهي من اعتياد الحفا ومباشرة الارض كالخشب ونحوه فكانت مظنة اثارة التراب
عوضا من حوافر الخيل ووجه شبهها باقدام النعام ان اقدامهم في الاغلب قصار عراض منتشرة الصدور مفرقة
الاصابع فهي من عرضها لا تتبين لها طول فاشبهت اقدام النعام في بعض تلك الاوصاف ثم اخبر بالويل الهالك
ودورها التي وقعت من اولئك واستعار لدورها لفظ الاجنحة واراد بها القطانيات التي تعمل من الاخشاب والبواري

بارزة

بارزة عن السقوف كالوقاية للمشارف والحيطان من آثار الامطار وهي اشبه الاشياء في هيئتها وصورة وضعها باجنحة
الطير كالنسور وكذلك استعار لفظ خراطيم الفيلة للميازيب التي تعمل من الخوص على شكل خراطيم الفيل وتطلى بالقار
تكون نحوا من خمسة اذرع او ازيد تدلى من السطوح حفظا للحيطان من اذى السيل ايضا وهي اشبه الاشياء في صورتها
بخراطيم الفيلة فاما وصفه لهم بانه لا يندب قتيلهم ولا يفتقد غائبهم قال بعض الشارحين ذلك وصف لهم
بشدة البأس والحرص على الحرب والقتال وانهم لا يبالون بالموت ولا يأسفون على من يفقد منهم واقول ولا اشبه
ان ذلك لكونهم لا اصول لهم ولا اهل لاكثرهم من ام او اخت او غير ذلك ممن عادته ان ينوح ويندب قتيله ويفتقد
غائبه لكون اكثرهم غرباء في البصرة فمن قتل منهم لا يكون له من يندبه ومن غاب لا يكون له من يفتقده وقوله انا
كاب الدنيا لوجهها اشارة الى زهده فيها وتنبيه على فضيلته يقال كببت فلانا لوجهه اذا تركته ولم التفت
اليه وقادرها بقدرها اي معامل لها بمقدارها ولما كان مقدارها حقيرا عنده كان التفاته اليها التفاتا حقيرا
حسب ضرورة البقاء فيها وكذلك ناظرها بعينها اي معتبرها بالعين التي ينبغي ان تعتبر بها الدنيا من كونها
غرارة غدارة زائلة حائلة الى غير ذلك من اوصافها وانها مزرعة الآخرة وطريق اليها غير مطلوبة لذاتها
وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** يومي به الى وصف الاتراك كأني اراهم قوما كأن وجوههم المجان المطرقة
يلبسون السرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على المقتول ويكون
المفلت اقل من الماسور فقال له بعض اصحابه لقد اعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل
وكان كلبيا يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذي علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه
وتعالى بقوله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام فيعلم سبحانه ما في الارحام من ذكر او انثى وقبيح
او جميل وسخي او بخيل وشقي او سعيد ومن يكون للنار حطبا او في الجنان للنبيين مرافقا فهذا علم الغيب الذي لا
يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه صلى الله عليه وآله فعلمنيه ودعا لي بان يعيه صدري وتضطم
عليه جوانحي **اقول** المجان بالفتح جمع مجن بكسر الميم وهي الترس والمطرقة بفتح الراء والتخفيف التي تطرق وتخصف
كطبقات النعل يقال اطرقت بالجلد اذا البست والسرق بفتح السين والراء شقق الحرير واحدتها سرقة قال
ابو عبيدة هي البيض منها وهو فارسي معرب اصله سره اي جيد كالاستبرق الغليظ من الديباج ويعتقبون الخيل
يحتبسونها ويربطونها واستحرار القتل [illegible] واعلم انه عليه السلام من عادته اذا اراد الاخبار عن امر سيكون فانه
يصدره بقوله كأني كما سبق من اخباره عن الكوفة كأني بك يا كوفة وكقوله كأني به وقد نعق بالشام ووجه ذلك انه شاهد
بعين بصيرته لما افيض على نفسه القدسية من انوار الغيب على سبيل الالهام بواسطة الاستاذ المرشد صلى الله عليه
المشاهدة بعين البصر في الجلاء والظهور الخالي عن الشك فلذلك حسن حرف التشبيه صدورا وضمير الجمع في الفصل
يعود الى الاتراك وشبه وجوههم بالترس المطرقة ووجه الشبه في تشبيهها بالترس الاستدارة والعظم والانبساط وفي
كونها مطرقة الخشونة والغلظ وهو تشبيه المحسوس بالمحسوس ولما وصفهم بلباس السرق والديباج واعتقاب الخيل

فلاعتبار احوال الترك فتشهد بصدقه واما الاخبار من استمرار القتل الى الغاية المذكورة حين ظهورهم فمما يشهد بصدقه التواريخ بالوقايع المشهورة بينهم وبين العرب وغيرهم من المسلمين فى ايام عبد الله بن الزبير وفى ايام قتيبة بن مسلم وبعده فى صدق ذلك الى الغاية المذكورة ما شاهدناه من وقايع التتار مع المسلمين وقتلهم اياهم بالعراقين وخراسان وغيرها من البلاد فاما جوابه عليه السلم للكلبى ان ذلك ليس بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وتحديده بعلم الغيب الذى لا يعلمه الا الله سبحانه فحق وصدق وقد نبهنا على الفرق بين علم الغيب والاخبار عن المغيبات فى المقدمات لكن ينبغى ان تعلم ان التعلم الحاصل له من قبل الرسول صلى الله عليه وآله ليس على سبيل ان كل ما القى اليه صور جزئية ووقايع جزئية بل معناه هو اعداد نفسه القدسية على طول الصحبة من حيث كان طفلا الى ان توفى الرسول صلى الله عليه وآله لهذه العلوم بالرياضة التامة وتعليم كيفية السلوك واسباب تطويع النفس الامارة بالسوء للنفس المطمئنة حتى استعدت نفسه الشريفة للانتقاش بالامور الغيبية وانتقشت فيها الصور الكلية فامكنه الاخبار عنها وبها ولذلك قال ودعا لى بان يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى اى يضبطه قلبى ويشتمل عليه وكنى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه ولو كانت تلك العلوم صورا جزئية لم يحتج الى مثل هذا الدعاء فان فهم الصور الجزئية وضبطها والاخبار عنها ممكن لكل الصحابة من العوام وغيرهم وانما الصعب المحتاج الى الدعاء بان يعيه الصدر ويستعد الاذهان لقبول القوانين الكلية وكيفية انشعابها وتفصيلها تلك الامور المعدة لادراكها حتى اذا استعدت النفس بها للكون ينتقش بالصور الجزئية من مفيضها كما سبقت الاشارة اليه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم فى ذكر المكاييل والموازين عباد الله انكم وما تاملون فى هذه الدنيا اثوياء مؤجلون ومدينون مقتضون اجل منقوص وعمل محفوظ فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر قد اصبحتم فى زمن لا يزداد الخير فيه الا ادبارا والشر الا اقبالا والشيطان فى هلاك الناس الا طمعا فهذا اوان قويت عدته وعمت مكيدته وامكنت فريسته اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا او غنيا بدل نعمة الله كفرا او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا او متمردا كان باذنه عن سمع المواعظ وقرا اين خياركم وصلحاؤكم واين احراركم وسمحاؤكم واين المتورعون فى مكاسبهم والمتنزهون فى مذاهبهم اليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغصة وهل خلقتم الا فى حثالة لا تلتقى بذمهم الشفتان استصغارا لقدرهم وذهابا عن ذكرهم فانا لله وانا اليه راجعون ظهر الفساد فلا منكر مغير ولا زاجر مزدجر افبهذا تريدون ان تجاوروا الله فى دار قدسه وتكونوا اعز اوليائه عنده هيهات لا يخدع الله عن جنته ولا تنال مرضاته الا بطاعته لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له والناهين عن المنكر العاملين به اقول الثوياء جمع ثوى على فعيل وهو الضيف والدائب المجد فى العمل والوقر الصمم والحثالة الثفل وكانه الردى من كل شىء وقد نفر عليه السلم عن الدنيا بذكر عدة من معايبها احدها كونهم فيها ضيفانا واستعار لهم لفظ الضيف وكذلك لما يا ملون منها ووجه الاستعارة مشابهتهم للضيف

واسابه

تاملت

مزوجه

فى تأجيل

فى تأجيل الاقامة وانقطاع وقته وقرب رحيله وموجلون ترشيح للاستعارة الثانية كونهم مدينون فيها واستعار لفظ الدين باعتبار وجوب الفرايض المطلوبة منهم وعهد الله الماخوذ عليهم ان يرجعوا اليه طاهرين عن نجس الملحدين ورشح بذكر المقتضين لما ان شان الدين ان يقتضى منه الدين ثم لما ذكر كونهم موجلين ومدينين كرر ذكر الاجل بوصف النقصان ولا شك فى نقصان ما لا يبقى وذكر العمل الذى هو الدين المقتضى منهم بوصف كونه محفوظا عليهم ليجذب بنقصان الاجل الى العمل خالصه وصالحه ويحفظ العمل الى اصلاحه والاخلاص فيه واجل وعمل خبران حذف مبتدأهما اى اجلكم اجل منقوص وعملكم عمل محفوظ ونبه بقوله فرب دائب مضيع ورب كادح خاسر على ان العمل وان قصد فيه الصلاح ايضا الا انه قد يقع على وجه الغلط فيصل بذكر انحراف عن الدين وضلال عن الحق فيضيع العمل ويخسر الكادح كالخوارج ونحوهم فربما دخل الكادح فى قوله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وذلك ككدح اهل الكتاب ونحوهم وقوله قد اصبحتم الى قوله اقبالا اشكاية للزمان وذم له وهو كقوله انا قد اصبحنا فى زمن كنود ودهر عنود وذلك لاحق الزمان فى البعد عن وقت ظهور الشريعة وطراوتها وجراة الناس على هتك الدين وارتكاب مناهى الله وكذلك طمع الشيطان فى هلاكهم اى فى هلاك دينهم الذى يكون غايته هلاكهم فى الآخرة واشار الى ان ذلك الوقت هو اوان قوة عدته وعموم مكيدته وامكان حمله فما ظنك بزماننا هذا وما بعده واستعار لفظ الفريسة للناس الشيطان والمنفعلين عنه ووجه الاستعارة بلوغه منهم مراده وتصريفه لهم لغاية هلاكهم كالاسد مع فريسته وقوله اضرب بطرفك الى قوله وقرا شرح لما اجمله اولا من ازدياد اقبال الشر وادبار الخير وكفر الغنى وكفره اعراضه عن شكر نعم الله سبحانه عليه وقوله بحق الله متعلق بالبخل اى ان البخيل يقصد ببخله بحق الله على مستحقه توفير المال والزيادة فيه وقوله اين خياركم الى قوله مذاهبهم سؤال من باب تجاهل العارف تنبيها لهم على ما صاروا اليه من الفناء وفراق الدنيا وعلى انه لم يبق فيهم من اولى الاعمال الصالحة احد لعلهم يرجعون الى لزوم الاعمال الصالحة واراد بالاحرار الكرماء والمتورعون فى مكاسبهم الملازمون للاعمال الجميلة فيها من التقوى والمسامحة واخراج حقوق الله تعالى والمتنزهون فى مذاهبهم الممتنعون عن ولوج ابواب المحارم والشبهات فى مسالكهم وحركاتهم وقوله اليس الى قوله المنغصة سؤال على سبيل التقرير لما نبههم عليه من فراق الدنيا ودناءتها بالنسبة الى عظيم ثواب الآخرة وتنغيصها بالآلام ونحوها حتى قال بعض الحكماء ان كل لذة فى الدنيا فانما هى خلاص من الم وقوله وهل خلقتم الى قوله عن ذكرهم سؤال على سبيل التقرير لما ذكر ايضا واستعار لفظ الحثالة لرعاع الناس وذمهم وقوله لا تلتقى بذمهم الشفتان اى انهم احقر من ان تشتغل الانسان بذمهم وانتصب استصغارا وذهابا على المفعول له وحسن اقتباس القرآن هاهنا لما ان هذه الحال التى الناس عليها من فقد خيارهم ونحوها مصيبة لحقتهم ومن آداب الله الصابرين على نزول المصايب ان يسلموا انفسهم واحوالهم اليه فيقولوا عندها

إنا لله وإنا إليه راجعون كما قال سبحانه وبشر الصابرين الآية ثم حكم على سبيل التوجع والأسف بظهور الفساد
وبنفي المنكر المغير للفساد المزدجر عنه بنهيها لهم على انهم وان كان فيهم من ينكر ويزجر الا انه لا يغير ما ينكره
ولا يزدجر عن مثله وذلك من قبائح الأعمال والرياء فيها وقوله أفبهذا اي بأعمالكم هذه المدخولة وبتقصيركم
ومجاورة الله الوصول اليه والمقام معه في جنته التي هي مقام الطهارة عن نجاسات الهيئات البدنية ومقام
تنزيه ذات الله تعالى وطهارتها عن اتخاذ الشركاء والانداد وهو استفهام على سبيل الانكار ولذلك عقبه
بهيهات اي بعُد ولما كان ذلك يجري بالزهد الظاهر مع النفاق في الباطن اعني اعمالهم المدخولة من ركوب
المنكر وارتكاب نهيهم على ان فعلهم كخداع الله عن جنته وصرح بان الله لا يخدع بفعله بالسرائر او لا تنال
مرضاته الا بطاعته اي الطاعة الحقيقية الخالصة دون الظاهرة ثم ختم بلعن الآمرين بالمعروف التاركين
للعمل به والناهين عن المنكر المرتكبين له لانهم منافقون مغرورون بذلك لمن يقتدي بهم والنفاق مستلزم للعن
والبعد عن رحمة الله وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لأبي ذر رحمه الله لما أخرج الى الربذة يا أبا ذر انك
غضبت لله فارج من غضبت له ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فاترك في ايديهم ما خافوك
عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم الى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والاكثر
حسدا ولو ان السموات والارض كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا لا يؤنسنك الا الحق
ولا يوحشنك الا الباطل فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك **اقول** ابو ذر اسمه جندب
بن جنادة وهو من بني غفار قبيلة من كنانة واسلم بمكة ولم يشهد بدرا ولا احدا ولا الخندق لانه حين اسلم
رجع الى بلاد قومه فاقام حتى مضت هذه المشاهد ثم قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وكان
يوالي عليا واهل بيته وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وآله في حقه ما اقلت الغبراء ولا اظلت
الخضراء على ذي لهجة اصدق من ابي ذر وروى ابن المعتمر عنه قال رأيت ابا ذر آخذا بحلقة باب الكعبة
وهو يقول انا ابو ذر الغفاري فمن لم يعرفني فانا جندب صاحب رسول الله سمعت رسول الله صلى الله
عليه وآله يقول مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وكان قد اخرجه عثمان
الى الربذة وهي موضع قريب الى المدينة واختلف في سبب اخراجه فروي عن زيد بن وهب انه قال قلت
لابي ذر رحمه الله وهو بالربذة ما انزلك هذا المنزل قال اخبرك اني كنت بالشام في ايام معوية فذكرت قوله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الآية فقال معوية هذه نزلت في اهل الكتاب فقلت
فينا وفيهم فكتب معوية الى عثمان يشكوني في ذلك فكتب الي ان اقدم علي فقدمت عليه فانثال الناس
علي كانهم لم يعرفوني فشكوت ذلك الى عثمان فخيرني وقال انزل حيث شئت فنزلت الربذة وهذا قول من ينزه عثمان
عن ظلم ابي ذر رحمه الله ونفيه اذ كان خروجه الى الربذة باختياره وقيل بل كان يغلظ القول في انكاره ما يراه منكرا
من عثمان ويقول لم يبق اصحاب محمد على ما عهد وينفر بهذا القول وامثاله عنه فاخرجه لذلك وخطابه عليه السلام لابي ذر

القول

بالقول الثاني فقوله انك غضبت لله شهادة له بان انكاره لما كان ينكره انما يقصد به وجه الله تعالى وقوله ان القوم خافوك
على دنياهم اي على امر الخلافة بالتغيير عليهم وخفتهم على دينك باجتناب موافقتهم واخذ عطاياهم على غير السنة وقوله
فاترك الى قوله منعوك اي اترك لهم دنياهم وانج بدينك فما احوجهم الى دينك واغناك عن دنياهم وقوله
وستعلم من الرابح غدا والاكثر حسدا اي يوم القيمة وظاهر كون تارك الدنيا اربح من المقبل عليها واكثر
الحسد من لواحق كثرة الربح وقوله ولو ان السموات الى قوله مخرجا بشارة له بخلاصه مما هو فيه من ضيق الحال
بسبب الاخراج وشرط في ذلك تقوى الله اشارة الى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال ابن عباس قرأ رسول
الله صلى الله عليه وآله ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم
القيمة وظاهر كون التقوى عند استشعارها سببا قاطعا للطمع المنفي من الدنيا وقيناتها وهو مستلزم
لراحته من مجاذبة النفس الامارة بالسوء والوقوع في شبهات الدنيا وهي في استلزام الخلاص من غمرات الموت
وشدائد يوم القيمة اظهر وكنى عليه السلام بالغاية المذكورة وهي رتق السموات والارض على العبد عن غاية الشدة
مبالغة لتبيين فضل التقوى ثم امره بالاستيناس بالحق وحده والاستيحاش من الباطل وحده واكد الحصر في
الموضعين بقوله وحده تنفيرا عن ان يستوحش من حق ما فيتركه وينفر عنه وان صعب وشق على النفس او
يستأنس بباطل ما فيفعل او يسكت عليه وان لذ وان تناولته على جهة بغضهم واخافتهم له وهو عدم مشاركتهم
في دنياهم والانفراد بالانكار وغلظة القول عليهم وكنى بالقرض من الدنيا عن الاخذ منها وبالله التوفيق
ومن كلام له عليه السلام ايتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم
اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان اطلع بكم سرار العدل
او اقيم اعوجاج الحق اللهم انك تعلم انه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان ولا التماس شيء من
فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الاصلاح في بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام
المعطلة من حدودك اللهم اني اول من اناب وسمع واجاب لم يسبقني الا رسول الله صلى الله عليه وآله
بالصلوة وقد علمتم انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل
فيكون في اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ
قوما دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك
الامة **اقول** اظأركم اعطفكم ووعوعة الاسد صوته وسرار العدل ما خفي منه والنهمة الحرص على الشيء
وكنايته بالنفوس بصفة الاختلاف اي اختلاف الاهواء والقلوب المتشتتة اي المتفرقة عن مصالحها
وما خلقت لاجله واراد بغيبة عقولهم ذهولها عن رشدها واصابة وجه الحق وانصرافها عن ذلك الى
ما لا ينبغي وشبه نفارهم بنفور المعزى من صوت الاسد ووجه التشبيه شدة نفارهم عن الحق ثم استبعد
ان يظهر بهم العدل لو اقام الذين مثلهم على ما هم عليه من قلة طاعته ثم عقب ذلك باستشهاد الله سبحانه

على ان تصدع بمنافسة في امر الخلافة لم يكن في سلطان ولا التماس حطام دنيوي ولكن للغاية التي ذكرها من رد
معالم الدين وهي الآثار التي يهتدى بها وكذى ساير ما عدده من المصالح ثم نبّه على ذلك الاستشهاد باستحقاقها
على انه اول من اناب اي رجع الى الله تعالى عما العله كان يعبد في حقه دنيا وسمع اي اطاع الله واجاب اي دعاه
الله ثم استثنى سبق الرسول صلى الله عليه وآله الى الدين بالصلوة وذلك امر معلوم من حاله وانما يقول انه
اسرع من تبع الرسول صلى الله عليه وآله كان طفلا لا اعتداد باسلامه وسيذكر ذلك في موضعه من الخطبة المسماة
بالقاصعة وغرضه من هذا الاستشهاد مع ما بعده من الاشارة الى الرذايل التي ينبغي ان يكون الامام منزها
عنها تقرير فضيلته وتنبيه على انه فيه من الفضايل ما يقابل تلك الرذايل بتعديدها ونفيها عن الامام الوالي
لامور المسلمين والاشارة الى وجوه المقاصد اللازمة عنها وتذكيرهم بما علموه من ذلك بقوله وقد علمتم الى
آخره اما البخيل فلشدة حرصه على ما في ايدي الناس من الرعية وقد عرفت ما يستلزمه من تفارقهم عنه وعدم انتظام
الاحوال به واما الجاهل فلانه لجهله بقوانين الدين وتدبير امور العالم ضال وضلالته يستلزم ضلال من اقتدى
به وذلك ضد مقصود الشارع واما الجافي فلان جفاه يستلزم النفرة والانقطاع عنه وذلك ضد الائتلاف
والاجتماع المطلوب للشارع واما الحايف من الدول فيختص بما يشاء من يخاف دون غيره وذلك ظلم لا ينتظم
معه نظام العالم واما المرتشي في الحكم فلظلمه وذهابه بالحقوق والوقوف بها على الحيف دون المقاطع الحقة
فترى احد هولاء اذا اراد فصل قضية دافع بها طول بلا وصعب الحق وعرض بغموضه واشار بالصلح بين
الخصمين مع ظهور الحق لاحدهما وكانت غايته من ذلك تخويف صاحب الحق من فوته ليجيء الى الصلح على
بعض حقه مع انه قد ياخذ منه رشوة ايضا وربما كانت في المقدار كرشوة المبطل منهما وهم في ذلك اهل
معرفتهما من حالهم والله المستعان على ما تصفون واما المعطل للسنة فلتضييعه قوانين الشريعة و
اهماله المستلزم لفساد النظام في الدنيا والهلاك الدايم في الاخرى وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام
نحمده على ما اخذ واعطى وعلى ما ابلى وابتلى الباطن لكل خفية الحاضر لكل سريرة العالم بما تكن الصدور وما
تخون العيون ونشهد ان لا اله غيره وان محمدا نجيبه وبعيثه شهادة يوافق فيها السر الاعلان والقلب اللسان
اقول الضمير في قوله نحمده يعود الى اسم الله في كلام سابق لم يذكره وقد علم شكر الله تعالى على اخذه و
وعلى ابلائه بالخير وابتلائه بالشر ونبه بذلك على وجوب شكر الله تعالى في طوري السراء والضراء وحالي
الشدة والرخاء فاما وصفه له بالباطن والحاضر والعالم فقد سبق شرحه غير مرة ومصداق الوصفين الاولين
قوله تعالى يعلم السر واخفى ومصداق الاخير قوله تعالى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وكذلك
الاشارة الى سر الشهادتين ونجيبه وبعيثه منتجبه ومبعوثه فعيل بمعنى مفعول وقوله شهادة يوافق فيها
الى آخره اي شهادة خالصة من النفاق والرياء وبالله التوفيق منها فانه والله الجد لا اللعب والحق لا
الكذب وما هو الا الموت اسمع داعيه واعجل حاديه ولا يغرنك سواد الناس من نفسك وقد رايت من كان

ممن جمع

٢٥٨

ممن جمع المال وحذر الاقلال وامن العواقب طول امل واستبعاد اجل كيف نزل به الموت فازعجه عن وطنه واخذه من
مامنه محمولا على اعواد المنايا يتعاطى به الرجال الرجال حملا على المناكب وامساكا بالانامل اما رايتم الذين يأملون
بعيدا ويبنون مشيدا ويجمعون كثيرا اصبحت بيوتهم قبورا وما جمعوا بورا وصارت اموالهم للوارثين وازواجهم
لقوم آخرين لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون فمن اشعر التقوى قلبه برز مهله وفاز عمله فاهتبلوا
هبلها واعملوا للجنة عملها وان الدنيا لم تخلق لكم دار مقام بل خلقت لكم مجازا لتزودوا منها الاعمال الى دار القرار
فكونوا منها على اوفاز وقربوا الظهور للزيال اقول المشيد المعلى والاهتبال في الامر السعي في احكامه وهبلها
مصدر مضاف الى ضمير التقوى موكد للفعل اي احكموا احكامها والاوفاز جمع وفز وهي العجلة والضمير في
قوله فانه اما ان يرجع الى مذكور سابق او الى معنى كلامه وهو التحذير والانذار وكذلك الذي في قوله وما
هو الا الموت يحتمل ان يعود الى ملفوظ به سابق ويحتمل ان يعود الى المعنى بالتحذير منه والانذار به اي وما الذي
احذركم هجومه عليكم الا الموت واسمع واعجل يحتملهما النصب على الحال من معنى الاشارة وقوله فلا يغرنك الى قوله
وامن العواقب اي فلا يغرنك من نفسك الامارة بالسوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت
برؤيتك سواد الناس اي كثرتهم اذ كثيرا ما يرى الانسان الميت محمولا فيتداركه من ذلك رقة وروعة ثم يدفعها
الوسواس الخناس ويامر باعتبار كثرة المشيعين له من الناس وان يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين فلا يخطر ببالـ
شبابه وصحته وياس باعتبار اسباب موت ذلك الميت من القتل وساير الامراض وباعتبار زوال تلك الاسباب
عن نفسه وبالجملة فيبعد في اعتباره غير الموت بكل حيلة فنهى السامعين عن الانخداع للنفس بهذه الخدعة
واسند الغرور الى سواد الناس لانه مادة تزيينه بهم بقوله وقد رايت الى قوله يستعتبون على كذب تلك الخدعة
شاهدة والواو في قوله وقد واو الحال ومن في قوله من جمع بدل البعض من الكل من قوله من كان قبلك والمعنى انه
نزل باولئك الموت وازعجهم عن اوطانهم فكذلك انتم وقوله طول امل نصب على المفعول له اي فعلوا ذلك لاجل
طول الامل ويحتمل ان يكون ظرفا والعامل امن وقيل هو بدل من قوله من كان قبلك اي رايت طول امل من كان
قبلك وروي بطول امل واعواد المنايا النعوش ويتعاطى به الرجال اي يتناوله الحاملون لبعضهم الى بعض
والخطاب بالكاف لنوع المخاطب او لشخص على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جاره وقوله اما رايتم
على سبيل التقرير وانما كانوا لا يستطيعون زيادة في حسنة ولا استعتابا من سيئة لان محل الاعمال هي الدنيا دون
ما بعدها قوله فمن اشعر التقوى قلبه اي من اتقى تقوى حقيقية برز تقدمه اي ظهرت عليه آثار الرجحان
في السكينة والوقار والحكم والاناة عن التسرع الى مطالب الدنيا وعلمه للجنة في الاخرة وفاز عمله فيها بالجزاء
الاوفى قوله فاهتبلوا هبلها امرهم باحكام التقوى ان يتقوا الله تقوى حقيقية فانها التي يستحق بها الثواب الدايم وان يعملوا للجنة
عملها التي يستحق بها ثم نبههم على وجوب العمل للجنة بالتصريح بما لاجله خلقت الدنيا وانها لم تخلق لهم دار مقام بل طريقا
يعبر بها الى الاخرة كما يعبر المسافرون ويتزودون منها الاعمال الصالحة الموصلة الى الجنة وامرهم ان يكونوا منها على

مصدر استعيد الحال بمعنى الكون

قطع عقباتها وعجل في الارتحال عنها لان الماني فيها يستلزم الالتفات الى لذاتها والغفلة عن المقصد الحقيقي واستعار
له لفظ الظهور وهي الركاب لمطايا الآخرة وهي الاعمال الصالحة وتقربها للزيال هو الحاثة للاعمال
الى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها **ومن خطبة له عليه السلم** وانقادت له الدنيا
والآخرة بازمتها وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها وسجدت له بالغدو والآصال الاشجار الناضرة
وقدحت له من قضبانها النيران المضيئة وآتت اكلها بكلماته الثمار اليانعة **اقول** المقاليد المفاتيح جمع مقليد
بكسر الميم واليانع من الثمار المدرك وهذا الفصل يشتمل على تمجيد الله سبحانه واظهار عظمته سلطانه في
الدنيا والآخرة فانقياد الدنيا والآخرة له بازمتها دخولها في ذل الامكان والحاجة اليه وقوله وقذفت اليه السموات والارضون مقاليدها
كقوله تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس ومقاتل المراد مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة
وقال الليث المقلاد الخزانة ومقاليد السموات والارض خزائنها واقول لفظ القذف مجاز في تسليمها
وانقيادها بزمام الحاجة والامكان الى قدرته مع جميع ما هي سبب في وجوده في هذا العالم مما هو رزق ورحمة
للخلق وكذلك لفظ المفاتيح على راي ابن عباس استعارة للاسباب المعدة للارزاق والرحمة وتلك الاسباب
كحركات السموات واتصالات بعض الكواكب ببعض وكاستعدادات الارضين للنبات وغيره ووجه الاستعارة
ان هذه الاسباب باعدادها المواد الارضية يفتح بها خزائن الجود الالهي كما يفتح الابواب المحسوسة بمفاتيحها
وكلها مسلمة الى حكمه وجريانها بمشيته وعلى قول الليث فلفظ الخزائن استعارة في موادها واستعدادها
ووجه الاستعارة ان تلك المواد والاستعدادات يكون فيها بالقوة والفعل جميع المحدثات من الارزاق وغيرها
كما يكون في الخزائن ما يحتاج اليه وسجود الاشجار الناضرة له بالغدو والآصال خضوعها وذلها تحت قدرته
الموجدة ونسب قدح النيران اليها لما انها السبب المادي وان كان القدح حقيقة في فعل السبب الفاعل
القريب وجعل ذلك له تعالى لانه الفاعل الاول وقوله وآتت اكلها بكلماته فالمراد بكلماته اوامره واحكامه المعبر
عنها بقوله كن واطلاق الكلمات عليها استعارة وجهها نفوذ تلك الاحكام في المحكومات كنفوذ الاوامر
القولية في المامورات واراد باتيان الثمار دخولها طوعا في الوجود المعبر عنه بقوله تعالى فيكون والله اعلم
والعصمة **منها** وكتاب الله بين اظهركم ناطق لا يعيا لسانه وبيت لا تهدم اركانه وعز لا تهزم اعوانه **اقول** هذا
الفصل كانه في معرض التوبيخ على ترك اوامر الله ومخالفة احكامه وتنبيه ان يكون الواو للحال كانه يقول كيف تفعلون
كذا وكتاب الله بين اظهركم ناطق وكونه بين اظهركم كناية عن وجوده بينهم مع ان من شانه ان يستند اليه واستعار
لفظ الناطق للكتاب باعتبار ان المكتوب معرب عن المقصود كما ان الناطق كذلك واستعار لفظ اللسان وانه لا يعيا
للاستعارة كنى بها عن بيان الكتاب على مرور الاوقات ويحتمل ان يريد باللسان نفسه عليه السلم مجازا اذ كان هو
لسان الكتاب الذي لا يعيا ولا يقصر عن بيان مقاصده وكذلك استعار لفظ البيت باعتبار كونه حافظا لحافظيه
والعاملين به كما يحفظ البيت اهله واركانه قواعده الكلية التي بني عليها انتظام العالم من الاوامر والنواهي والمواعظ

الارض

وتلك القواعد

وتلك القواعد لا تكاد تنهدم في وقت من الاوقات اذ الحكم الكلية صالحة لجميع الاوقات وكونه عزا باعتبار اعلائه من
اللائذ على لزومه اذ كان حفظه والعمل به مستلزما للعز الدائم الذي لا يعرض له ذل واعوانه هم الله وملائكته ورسله
واولياؤه واولئك اعوان لا خوف عليهم ولا انهزام لجمعيتهم مواطر وبالله التوفيق **منها** ارسله على حين فترة من
الرسل وتنازع من الالسن فقفى به الرسل وختم به الوحي فجاهد في الله المدبرين عنه والعادلين به **اقول** هذا
اتبع به من قبله وغرض الفصل الثناء على الرسول صلى الله عليه وآله وقوله ارسله الى قوله الالسن بيان لبعض
امارات النبوة فان منها الزمان المتطاول الذي تندرس فيه الشريعة السابقة والقوانين التي بها نظام
العالم ويحتاج الخلق الى قوانين مجددة لنظام احوالهم وحينئذ يجب بعثة رسول وكانت الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلم ستمائة وعشرين سنة ومنها تنازع الالسن واختلاف الخلق في الآراء والمذاهب وقلة الاتفاق
على قانون شرعي جامع لهم فقوله فقفى به الرسل كقوله تعالى وقفينا من بعده بالرسل وقوله وختم به الوحي كقوله
وخاتم النبيين وهذا الختم مستفاد من الشريعة وليس للعقل في الحكم بانقطاع الرسل فيما بعد مجال
ذلك من الامور الممكنة عنده والمدبرون عن الله المعرضون عن اتباع اوامره ونواهيه والعادلون به
الجاعلون له عديلا وهو الند والمثل كالمشركين تعالى عما يقولون علوا كبيرا ونسبة المجاهدة الى الله تعالى
وجهها انه تعالى دين محمد صلى الله عليه وآله المشركين كما يرمي المجاهد بنفسه واعوانه مجاهديه وبالله التوفيق
منها وانما الدنيا منتهى بصر الاعمى لا يبصر مما وراءها شيئا والبصير ينفذها بصره ويعلم ان الدار وراءها
فالبصير منها شاخص والاعمى اليها شاخص والبصير منها متزود والاعمى لها متزود **اقول** الشاخص
المسافر والشاخص ايضا الذي يرفع بصره الى الشيء ويمده اليه وهذا الفصل مع قلة الفاظه يشتمل على لطائف
فالاولى ان الدنيا منتهى بصر الاعمى للجاهل كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
ووجه الاستعارة ان الجاهل لا يدرك بعين بصيرته الحق كما لا يدرك الاعمى من المبصرات واشار بقوله
لا يبصر من ورائها شيئا الى جهله باحوال الموت وما بعده من سعادة الآخرة وشقاوتها فان قلت انه اثبت
للاعمى البصر واثبت انه بصر الدنيا وذلك نوع مناقضة قلت انه لما اراد بالاعمى اعمى البصيرة وهو الجاهل استعار
لم يكن في اثبات البصر الحسي له ونظر الدنيا به مناقضة ويحتمل ان يريد ببصره ايضا بصر بصيرته استعارة وهو
ان منتهى بصر بصيرة الجاهل التصرف في احوال الدنيا وكيفية تحصيلها والتمتع بها دون ان يتعدى حدها لما وراءها
من احوال الآخرة **الثانية** قوله والبصير ينفذها بصره استعار لفظ البصير للعالم ونفوذ بصره كناية عن ادراكه ما وراء
الدنيا من احوال الآخرة وعلمه انها دار القرار **الثالثة** قوله فالبصير منها شاخص اي راحل مسافر قد جعلها طريقا
الى الآخرة والاعمى اليها شاخص اي متطلع اليها بعين بصيرته ومهمته ان كان اعمى عن مصالحه الحقيقية من
اقاتها وطرقها المحوزة وفي هذه الكلمة مع التي قبلها من اقسام البديع التجنيس التام والمطابقة بين الاعمى والبصير
الرابعة قوله والبصير منها متزود اي بالتقوى والاعمال الصالحة في سفره الى الله تعالى والاعمى لها متزود اي متخذ

شيئا واستعار لفظ الاعمى

للذاتها وقيامها ادا انها مدة عمره قد جعل ذلك هو الزاد الحقيقي والكمال الذي ينبغي له وهي في البدن
كالتي قبلها وبالله التوفيق منها واعلموا انه ليس من شيء الا ويكاد صاحبه يشبع منه ويمله الا الحياة فانه لا
لا يجد له في الموت راحة وانما ذلك بمنزلة الحكمة التي هي حياة للقلب الميت وبصر للعين العمياء وسمع للاذن
الصماء وري للظمآن وفيها الغنى كله والسلامة كتاب الله تبصرون به وتنطقون به وتسمعون به وينطق
بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض ولا يختلف في الله ولا يخالف بصاحبه عن الله وقد اصطلحتم على
الغل فيما بينكم ونبت المرعى على دمنكم وتصافيتم على حب الآمال وتعاديتم في كسب الاموال لقد استهام
بكم الخبيث وتاه بكم الغرور والله المستعان على نفسي وانفسكم اقول الدمن آثار الناس وما سودوا
دمنة والغل الغش والحقد وقد استثنى الحياة مما يشبع منه ويمل ثم علل عدم ملال الحياة بفقدان الراحة في
الموت قال بعض الشارحين ان فقدان الراحة في الموت مخصوص باهل الشقاوة في الآخرة فاما اولياء الله
وعباده الصالحون فلهم في الموت الراحة الكبرى كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه ليس للمؤمن راحة
دون لقاء الله قال بعضهم بل يحمل على العموم مراعاة لظاهر الكلام وذلك من وجهين احدهما ان بالموت
متجر الآخرة وينقطع الاستعداد لكمال اشرف مما حصل عليه الميت وان كان وليا فلا جرم لا يجد الراحة
التي لحقته بما يفوته من ذلك الكمال الثاني ان النفوس البشرية ما لم يكن معارفها ضرورية ولم تتمكن ما
دامت في هذه الابدان من الاطلاع على ما بعد الموت من سعادة او شقاوة فالحري ان لا تجد لها راحة
بتصورها في الموت قال وذلك لا ينافي الخبر ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله اما على الوجه الاول فلان
الراحة الحاصلة من الكمال الفائت بالموت لا تحصل له وان حصل على راحة ما بحسب ما حصل له
واما على الثاني فلان المؤمن لا يجد له ما دام في الدنيا راحة في ذلك لا ينافي ان يحصل له الراحة عند لقاء الله
كما نقل ان الحسن عليه السلم لما ان سعره الى الآخرة بكى فقال له اخوه الحسين عليه السلام ما لي اراك
تجزع مع يقينك بانك تقدم حيث تقدم على جدك وابيك فقال نعم يا اخي لا اشك في ذلك الا اني
سلكت مسلكا لم اسلكه من قبل واقول لما كان مراده عليه السلم بقوله لا يجد في الموت راحة اي في نفس الموت مع
قطع النظر عن غيره من احوال الآخرة فالحق قول من عمم فقدان الراحة في حق الجميع اذ الموت من حيث هو موت
لا راحة فيه لاحد من الناس كافة وان كان مراده فقدان الراحة في الموت وما بعده فالحق التخصيص باهل
الشقاوة الدائمة فان شدة محبة الحياة ونقصانها تتفاوت بحسب تصور زيادة الراحة في الآخرة و
نقصانها وذلك ظاهر عند اعتبار اهل الدنيا المقبلين عليها بالكلية ومن منهم من طبقات السالكين
وقوله وانما ذلك اي الامر الذي هو احق بان يمل ولا يشبع منه بمنزلة الحكمة اي ما كان بمنزلة الحكمة والحكمة في لسان
الشريعة هي العلم النافع في الآخرة وقد يطلق على ما هو اعم من ذلك ثم ذكر لها اوصافا الاول انها حياة للقلب الميت
وقد مر ان القلب في عرف العارفين هو النفس الانسانية واستعار للحكمة لفظ الحياة ووجه المشابهة كون الحياة مبدأ

الموت ج

القلب

القلب وبقاؤه كما ان الحكمة بها بقاء الانسان وسعادته في الدارين وكذلك استعار لفظ الميت للقلب الجاهل باعتبار انه
غير مطلع على وجوه مصالحه ومفاسده في الدارين وغير مهتد لانتفاع او دفع ضرر كالميت الثاني استعار وصف
البصر للحكمة ووصف العمياء لعين الجاهل ثم يجوز ان يكون لفظ العين ايضا استعارة في بصيرة الجاهل ويجوز
ان يكون المراد حقيقته ووجه الاستعارة الاولى ان الحكمة يبصر الانسان مقاصده ويهتدي وجوه مصالحه
الدنيوية والاخروية كما يهتدي البصير بعينه وجوه مسالكه ومقاصده ووجه الثانية ان بصيرة الجاهل
لا تهتدي لتلك الوجوه كما لا تهتدي العين العمياء الى شيء ووجه الثالثة ان بصر الجاهل تابع لبصيرته فاقدامه و
احجامه وتصرفاته المنسوبة الى حس البصر وغيره تابعة لما يتصوره ولما كانت تلك التصرفات غير نافعة في الآخرة بل
قد يكون ضارة لا جرم اشبهت عينه الباصرة التي وقع بها سوء ذلك التصرف العين العمياء فاستعير لها لفظها
وكذلك استعار لفظ السمع ولفظ الصماء للاذن ووجه الاستعارات ما سبق فان المراد بالسمع ادراك البصيرة
والاذن يحتمل ان يراد بها البصيرة استعارة او الاذن المحسوسة وكذلك استعار لفظ الري للحكمة ولفظ
الظمآن للجاهل ووجه الاولى ان الحكمة تملا النفس وتجدها شفاء لما بها من داء الجهل كما يملا الماء جوف الظمآن و
قلبه ويشفي من الم الظماء ووجه الثانية ان الجاهل يلحقه الم الجهل ويكون سبب الموت في الآخرة كما يلحق الظمآن
الم الظماء الثالث ان فيها الغنى كله والسلامة واراد بالغنى غنى النفس عن كل شيء وكمالها بها فان غاية الحكمة
الوصول الى الحق سبحانه والغرق في بحار معرفته وفي ذلك غنى العارفين عن كل شيء واراد بالسلامة سلامة
النفوس من عذاب الجهل اذ ثبت في اصول الحكمة انه السبب الاكبر في الهلاك الاخروي وقوله كتاب الله خبر
مبتدا اما خبر ثان لذلك وما كان بمنزلة الحكمة خبر اول او المبتدا محذوف تقديره وهو كتاب الله ويحتمل ان
يكون عطف بيان لما كان بمنزلة الحكمة وذكر له اوصافا الاول قوله تبصرون به اشارة الى اشتمال الكتاب على
الحكمة ووجه شبهه بها فان به ابصار الجاهلين لمقاصدهم الدنيوية والاخروية لما فيه من الحكمة الثاني
وكذلك ينطقون به الثالث ويسمعون به الرابع قوله ينطق بعضه ببعض اي يفسر بعضه ببعض كالمبين
المفسر للمجمل والمقيد المبين للمطلق والمخصص المبين للعام الخامس ويشهد بعضه على بعض اي يستشهد
ببعضه على ان المراد ببعض آخر وهو قريب مما قبله السادس قوله ولا يختلف في الله اي لما كان مدار الكتاب
على بيان القواعد الكلية التي بها يكون صلاح حال نوع الانسان في معاشه ومعاده وكانت غاية ذلك
الى الله سبحانه والوصول الى جواره لم يكن فيه لفظ يختلف في الدلالة على هذه المقاصد بل كله متطابق الالفاظ
على مقصود واحد وهو الوصول الى الحق سبحانه بصفة الطهارة عن نجاسات هذه الدار وان هذب بانواع
الاسباب الموصلة الى ذلك المقصود السابع قوله ولا يخالف بصاحبه عن الله اي لا يجوز بالمهتدين به
في سلوك سبيل الله عن الغاية الحقيقية وهو الله سبحانه وقوله قد اصطلحتم الى آخره توبيخ للسامعين على
ارتكاب رذائل الاخلاق واستعار لفظ الاصطلاح لسكوتهم عن انكار بعضهم على بعض ما يصدر عنه من المنكر

كالغش والحقد والحسد واشتراكهم في تلك الرذايل وقوله وتجنب المرعى على دمنكم يضرب مثلا للمنافق
في الظاهر مع غل القلوب فيما بينهم ووجه مطابقة المثل ان ذلك الصلح سريع الزوال لا اصل له كما ليس لنبات
النبات في الدمن وقوله تصافيتم على حب الآمال اشارة الى وجه الصلح الذي ذكر ولذلك اسقط حرف العطف
هنا وقوله وتعاديتم في كسب الاموال اشارة الى وجه الغل الذي اشار اليه اما الاول فلان الجامع للناس في الظاهر هو
هو ما يؤمل كل من صاحبه من الانتفاع برأ ودفع شره فيما هو بصدده من المامولات الدنيوية وان انطوى
له على غل كما هو المتعارف في زماننا واما الثاني فلان الاحقاد والعداوات اغلب ما يكون على جواذب اموال
الدنيا وقنياتها وقوله لقد استهام بكم الخبيث اي اشتد عشقه لكم ولازمكم واراد بالخبيث ابليس وذلك
تنبيه على ما يظهر عنهم من آثار وسوسته وملازمتهم لما ينهون عنه وكذلك قوله وتاه بكم الغرور اي
استغفلكم فتهتم في استغفاله لكم عن سواء سبيل الله والغرور هو الشيطان كما قال تعالى ولا يغرنكم بالله
الغرور ثم ختم باستعانة الله تعالى له ولهم على النفوس الامارة بالسوء اما في حقه عليه السلام فهي دواعيها
مقهورة لعقله واما في حقهم ففي قهرها وضعها وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وقد شاوره عمر في
الخروج الى غزو الروم بنفسه وقد توكل الله لاهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذي نصرهم وهم
قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حي لا يموت انك متى تسر الى هذا العدو بنفسك فتلقهم
لا يكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم وليس بعدك مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز
معه اهل البلاء والنصيحة فان اظهر الله فذاك ما تحب وان تكن الاخرى كنت ردءا للناس ومثابة
للمسلمين اقول ذلك حين خرج قيصر الروم في جماهير اهلها الى المسلمين وانزوى خالد بن الوليد فلازم
بيته وصعب الامر على ابي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وغيرهما من امراء سرايا الاسلام وحوزة
كل شيء بيضته وجمعيته وكنفه حفظه وآواه والمحرب بكسر الميم الرجل صاحب حروب وحفزه اي
وحفزه ضمه الى غيره واظهر الله على فلان نصر عليه والردء العون والمثابة المرجع وقوله وقد توكل الله الى
قوله لا يموت صدر لهذه النصيحة والراي تنبيه على وجوب التوكل على الله والاستناد اليه في هذا الامر
انه ضمن اقامة هذا الدين واعزاز حوزته اهله وكنى بالعورة عن هتك الستر في النساء ويحتمل ان يكون
لما يظهر عليهم من الذل والقهر لو اصيبوا فضمن سبحانه ستر ذلك باقامة النصر عليهم وهذا الحكم من
قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا وقوله والذي نصرهم الى آخر الفصل احتجاج في
هذه الخطابة يشبه ان يكون تمثيلا وتلخيصه ان الذي نصرهم حال قلتهم حي لا يموت فهو ينصرهم حال
كثرتهم فاصل التمثيل هو حال قلتهم وفرعه حال كثرتهم وحكمه النصر وعلة ذلك الحكم هو حياته الباقية
لا يعاقبها موت وقوله انك متى تسر الى آخره نص الراي وخلاصة المشورة بعدم خروجه بنفسه و

هذا

هذا الراي بجواز النكبة وانقهاره عند ملاقاة العدو ومع انه موسد ظهر المسلمين الذين يلجأون اليه فلو انكسر لم
يبق لهم كانفة تحوطهم ولا جمع يستندون اليه ثم امر باخراج من يقوم مقامه من اهل النجدة ممن عرف بكثرة
الوقايع والحروب فيكون على بصيرة في امر الحرب وان يضم اليه اهل البلاء اي المختبرون في النصيحة والمجربون
في الوقايع ثم استنتج من هذا الراي انه ان نصر الله المسلمين فذاك الذي يجب وان يكن الاخرى اي الانكسار
وعدم الانتصار كان للمسلمين ظهرا يستندون اليه وماوى ياوون اليه ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت
مشاجرة بينه وبين عثمان فقال المغيرة بن الاخنس لعثمان انا اكفيكه فقال امير المؤمنين عليه السلام للمغيرة
يا ابن اللعين الابتر والشجرة التي لا اصل لها ولا فرع انت تكفيني فوالله ما اعز الله من انت ناصره ولا قام
من انت منهضه اخرج عنا ابعد الله نواك ثم ابلغ جهدك فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اقول هذه المشاجرة
كانت في زمن ثوران الفتنة على عثمان في خلافته وكان الناس يستعرون عليه والابتر كل امر انقطع من
اثره والنوى القصد الذي ينويه المسافر من قرب او بعد والنوى لغة في النأي وهو البعد وقد ذم المغيرة
بالاصل ولعنه واستعار لبيته لفظ الشجرة وكنى بنفي اصلها وفرعها عن سقوط بيته ودناءته وحقارته
في الناس ثم استفهمه عما ادعى من الكفاية له استفهاما على سبيل الانكار والاستحقار له واقسم ان الله لا يعز
من هو ناصره وانما يعز الله من نصره اولياء الله واهل عنايته ومن لم يعز الله لم يقم من نهضته كقوله تعالى
ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ثم دعا عليه بابعاد الله مقصده وقوله
ابلغ جهدك اي في الاذى فلا ابقى الله عليك ان ابقيت اي لا رحمك ولا رحمت ان راعيتني يقال ابقيت على فلان
اذا راعيته ورحمته ومن كلام له عليه السلام لم تكن بيعتكم اياي فلتة وليس امري وامركم واحدا اني اريدكم
لله وانتم تريدونني لانفسكم ايها الناس اعينوني على انفسكم وايم الله لانصفن المظلوم ولاقودن الظالم
بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارها اقول الفلتة الامر يقع بغير تدبر ولا روية والخزامة حلقة من شعر
تجعل في انف البعير ومفهوم قوله لم تكن بيعتكم اياي فلتة انها انما كانت عن تدبر واجتماع راي منكم لم يكن
لاحدكم بعدها ان يخالف او يندم عليها وفيه تعريض ببيعة ابي بكر حيث قال عمر فيها كانت بيعة ابي بكر
فلتة وقى الله شرها وقوله وليس امري وامركم واحدا اشارة الى الاختلاف بين حركاته ومقاصده و
مقاصدهم ثم بين الفرق بقوله اني اريدكم لله اي انما اريد طاعتكم لاقامة دين الله واقامة حدوده وانتم
تريدونني لانفسكم اي لحظوظ انفسكم من العطاء والتقريب وساير منافع الدنيا ثم لما وبخهم بذلك ابتدأهم
وطلب منهم الاعانة على انفسهم اي بالطاعة له وامتثال اوامره ثم اقسم لينصفن المظلوم وليقودن الظالم
بخزامته واستعار وصف القود في تذليل الظالم واذعانه للحق ورشح بذكر الخزامة وكذلك استعار لفظ المنهل
ووجه الاستعارة كونه موردا يشتفي به الم المظلوم كما يشتفي الم العطشان وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام
في معنى طلحة والزبير والله ما انكروا علي منكرا ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم

فإن كنت شريكهم فيه فإن لهم نصيبهم منه وإن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا قبلهم وإن أول عدلهم للحكم على
أنفسهم وإن معي لبصيرتي ما لبست ولا لبس علي وإنها للفئة الباغية فيها الحماة والحمة والشبهة المغدفة
وإن الأمر لواضح وقد زاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه عن شغبه وايم الله لأفرطن لهم حوضا أنا ماتحه
لا يصدرون عنه ولا يعبون بعده في حسي **أقول** النصف النصفة والطلبة بكسر اللام المطلوب والحماة
الطين الأسود المنتن كما قال تعالى من حمإ مسنون ويروى الحما بالف مقصورة والحمة بضم الحاء وتخفيف الميم
وفتحها سم العقرب والمغدفة بالدال والفاء المظلمة يقال أغدف الليل إذا اشتد ظلامه ويروى المغدفة بفتح
الدال أي الخفية وأصله أن المرأة تغدف وجهها بالقناع وزاح الباطل انحزق ونصابه أصله ومقره ولا أمر على
لا ملأن والشغب بالتسكين المشاغبة وتهييج الشر والماتح بنقطتين من فوق المستقي وبنقطتين من
تحت الذي يملأ الدلو في البير والعب الشرب والحسي بكسر الحاء وسكون السين الماء الذي يشربه الرمل
فينتهي إلى أرض صلبة تحفظه ثم تحفر عنه فيستخرج واعلم أن قوله والله إلى قوله ولا لبس علي قد تقدم
تفسيره في قوله ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه وفي فصل قبله برواية أخرى فلا حاجة إلى إعادته
وأما قوله وإنها للفئة الباغية فيها الحما والحمة فقال بعض الشارحين في تعريف الفئة بالألف واللام
تنبيه على أنه كان عنده علم من الرسول صلى الله عليه وآله أنه ستبغي عليه فئة من غير تعيين لها فلما
خرجت هذه الفئة علمها بأماراتها وقد سبق أيضا تفسير الحما والحمة على بعض الروايات وأما على
الرواية فاستعارة للغل والفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ووجه الاستعارة استلزامه
لتكدير الإسلام وإثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدر الحماة الماء وتخبثه أو استلزامه للأذى في
كما يستلزم ذلك سم العقرب وأشار بالشبهة المغدفة إلى شبهتهم في الطلب بدم عثمان واستعار
لها وصف الظلمة لعدم اهتداء أكثر الخلق فيها حتى ضلوا بسببها كما لا يهتدى في الليل المظلم وقوله
وإن الأمر لواضح إلى قوله شغبه نفي لتلك الشبهة عن نفسه وولايته وإن الحق واضح في حاله لا أصل
للباطل فيه ولا لسان يشغب به ولفظ اللسان استعارة والشغب ترشيح لها وباقي الفصل قد
تقدم تفسيره أيضا في الفصل المذكور **منها** فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل على أولادها تقولون
البيعة البيعة قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها اللهم إنهما قطعاني وظلماني
ونكثا بيعتي وألبا الناس علي فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما وأرهما المساءة فيما أملا وعملا
ولقد استثبتهما قبل القتال واستأنيت بهما أمام الوقاع فغمطا النعمة وردا العافية **أقول** العوذ
جمع عوذة وهي الناقة المسنة والمطافيل جمع مطفل بضم الميم وهي قريبة العهد بالنتاج والتأليب التحريض
والإبرام الأمر أحكمه واستثبتهما بالثاء المثلثة بثلاث نقط طلبت رجوعهما ويروى بالتاء من التوبة أي
استتبت استطرت وهذا الفصل احتجاج على طلحة والزبير ومن تابعهما على نكث بيعته فقوله فأقبلتم إلي

قوله

قوله فبادرتموها يجري مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الأول وتلخيصها أنكم اجتهدتم علي في طلب البيعة حتى
بايعتكم وأخذت عهودكم وتقدير الكبرى وكل من اجتهد اجتهادكم إلى تلك الغاية فيجب عليه الوفاء بعهده
مسلمة منهم وبرهان الكبرى الكتاب يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم
وقد شبه إقبالهم عليه طالبين للبيعة بإقبال مسنات النوق على أطفالها ووجه التشبيه شدة الإقبال
والحرص على متابعته وخص المسنات لأنها أقوى حنة على أولادها ونصب البيعة على الإغراء وفائدة التكرير
في الإغراء تأكيد الأمر الدال على شدة الاهتمام بالمأمور به وقال بعض الشارحين فائدة التكرار دلالة المنصوب
الأول على تخصيص الأمر الأول بالحال ودلالة الثاني على تخصيص الأمر الثاني بالمستقبل أي خذ البيعة في
الحال وخذها للاستقبال قال وكذلك قوله الله الله أي اتقوا الله في الحال واتقوه في الاستقبال أقول
إن ذلك غير مستفاد من اللفظ بإحدى الدلالات وقوله اللهم إلى قوله عملا شكاية إلى الله منهما في أمور
ثلاثة قطع رحمه وظلمهما له بمطالبتهما له بغير حق لهما عنده ثم نكث بيعته ثم جمع الناس على قتاله وقوله
فاحلل دعا عليهما بأمور ثلاثة أن يحل ما عقدا من العزوم الفاسدة التي فيها هلاك المسلمين وأن لا
يحكم ما أبرماه من الآراء في حربه وأن يريهما المساءة في آمالهما وأعمالهما أي عكس أغراضهما فيهما واستجابة
دعائه ظاهر بقتلهما وقوله ولقد استثبتهما إلى قوله الوقاع إظهار لعذره مع الناس في حقهما قبل وقوع
الحرب بتأنيه في حقهما واستعطافه لهما في الرجوع إلى الحق واستتابته لهما من ذنبهما في نكث البيعة وقوله
فغمطا إلى آخره وبيان لجوابهم عن أعذاره إليهم وهو مقابلتهم نعمة الله أي قسمهما من الفيء بالاستحقار لها والبطر
عليها ولكان أحد الأسباب الباعثة لهما على ما فعلاه هو التسوية بينهم وبين غيرهم في العطاء وكذلك مقابلتهم
والعافية من بلاء الحرب والشقاق وهلاك الدين والنفس في عاقبة فعلهما بردهما لها والإصرار على الحرب ذلك
من غير نظر في عاقبة أمرهما وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يومي فيها إلى ذكر الملاحم يعطف الهوى
على الهدى إذا عطفوا الهدى على الهوى ويعطف الرأي على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأي **أقول** الإشارة في
هذا الفصل إلى وصف الإمام المنتظر في آخر الزمان الموعود به في الخبر والأثر وقوله يعطف الهوى على الهدى أي يرد
النفوس الحائرة عن سبيل الله المتبعة لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة إلى سلوك سبيله
واتباع أنوار هديه وذلك إذا ارتدت تلك النفوس عن اتباع أنوار هدى الله في سبيله الواضح إلى اتباع أهوائها
في آخر الزمان وحين ضعف الشريعة وزعمت أن الحق والهدى هو ذلك وكذلك قوله ويعطف الرأي على القرآن
إذا عطفوا القرآن على الرأي أي يرد كل رأي رآه غيره إلى القرآن فيحملهم على ما وافقه منها دون ما خالفه
إذا تأول الناس القرآن وحملوه على آرائهم وردوه إلى أهوائهم كما عليه أهل المذاهب المتفرقة من فرق الإسلام
على ما يميل إليه كل يزعم أن الحق الذي يشهد به القرآن هو ما رآه وأنه لا حق وراء ما سواه وبالله التوفيق **منها**
حتى يقوم الحرب بكم على ساق باديا نواجذها مملوءة أخلافها حلوا رضاعها علقما عاقبتها ألا وفي غد وسيأتي غد

بما لا تعرفون يأخذ الوالي من غيرها عمالها على مساوي اعمالها وتخرج له الارض افاليذ كبدها وتلقي اليه سلما مقاليدها ويريكم
كيف عدل السيرة ويحيي ميت الكتاب والسنة اقول اختلاف الناقة حملها ان تضعها وافاليذ جمع الجمع لفلذة
وهي القطعة من الكبد وجمعها افلاذ فقوله حتى يقوم الحرب بكم على ساق الى قوله عاقبتها كناية عن غاية تخاذلهم عن
طاعته في امر الحرب ولقاء العدو كانه يقول انكم لا تزالون متخاذلين متقاعدين حتى يشتد العدو ويقوم
بكم الحرب على ساق وقيامها على الساق كناية عن بلوغها الغاية في الشدة وبدو نواجذها كناية عما يستلزم
من الشدة والاذى وهو من اوصاف الاسد عند غضبه كانه حاول ان يستعير لها لفظ الاسد فاتى بوصفه
وقال بعض الشارحين بدو النواجذ في الضحك اي تبلغ بكم الحرب الغاية كما ان غاية الضحك ان تبدو النواجذ
وهي اقصى الاضراس فكنى بذلك عن اقبالها قلت هذا وان كان محتملا الا ان الحرب مظنة اقبال الغضب لا
اقبال الضحك فكان الاول انسب وكذلك قوله مملوة اخلافها استعارة لوصف الناقة لحال استعلاء
الحرب واستكمالها عدتها ورجالها كاستكمال ضرع الناقة اللبن وقوله حلوا رضاعها استعارة لوصف الضرع
لها وكنى بحلاوة رضاعها عن اقبال اهل النجدة في اول الحرب عليها فكل منهم يحب ان يناجز قرنه ويستحلي
مغالبته كما يستحلي الراضع لبن امه وكذلك استعار لفظ العلقم لعاقبتها ووجه الاستعارة المشابهة بين
المرارتين الحسية والعقلية والمنصوبات الاربعة باديا مملوة وحلوا وعلقما احوال والمرفوعات بعدها كل منها
فاعله وانما ارتفع عاقبتها عن علقما مع انه اسم صريح لقيامه مقام اسم الفاعل كانه قال مريرا عاقبتها وقوله الا
وفي غد اخبار عن بعض الامور التي ستكون وقوله وسياتي غد بما لا تعرفون المراد به تعظيم شان الموعود بمجيئه
وبيان لفضيلته عليه السلم بعلم ما جهلوه وهو جملة اعتراضية كقوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فقوله وانه لقسم اعتراض وقوله يأخذ الوالي من غيرها عمالها يشبه ان يكون
قد سبقه ذكر طائفة من الناس ذات ملك وامرة فاخبر عليه السلم ان الوالي من غير تلك الطائفة ويومي
الى الامام المنتظر يأخذ عمالها على مساوي اعمالها اي يواخذهم بذنوبهم وقوله وتخرج له الارض افاليذ كبدها استعار
لفظ الكبد لما في الارض من الكنوز والخزائن ووجهها مشابهة الكنوز للكبد في العزة والخفاء ورشح بذكر الافلاذ
وقد ورد ذلك في الخبر المرفوع ومن لفظه وقاءت له الارض افلاذ كبدها وفسر بعضهم قوله تعالى واخرجت
الارض اثقالها بذلك فاما كيفية ذلك الاخراج فقال بعض المحققين هو اشارة الى ان جميع ملوك الارض
تسلم اليه مقاليدها كلها طوعا او كرها ويحمل اليه الكنوز والذخائر واسند الاخراج الى الارض مجازا لان المخرج اهلها
واستبعد ان يكون الارض بنفسها هي المخرجة لكنوزها ولاهل الظاهر ان يقولوا ان المخرج يكون هو الله تعالى
ويكون ذلك من معجزات الامام وكاماراته وقوله وتلقي اليه سلما مقاليدها استعار ايضا لفظ الالقاء الا
مجازا لان الملقي لمقاليدها هو اهل الارض وكنى بذلك عن طاعتهم وانقيادهم اجمعين لاوامره وتحت حكمه
وسلما مصدر سد مسد الحال ثم اخبر انه يريهم عدل سيرته وانه يحيي ميت الكتاب والسنة ولفظ الميت استعار

لما درس منهما فانقطع اثره والانتفاع به كما ينقطع اثر الميت فان قلت قوله ويريكم يدل على ان المخاطبين يدركون المهدي عليه السلم
ويرون عدله مع انكم قلتم انه يكون في اخر الزمان فكيف وجه ذلك قلت خطاب الحاضرين من الامة
كالعام لكل الامة وذلك كسائر خطابات القرآن الكريم مع الموجودين في عصر الرسول فانه يتناول الموجودين
الى يوم القيمة ثم يخرج المخاطبون بدليل العادة اذ من عادتهم ان لا يمتد اعمارهم الى وقت ظهوره فيبقى الموجودون
في زمانه والله التوفيق منها كاني به قد نعق بالشام وفحص براياته في ضواحي كوفان فعطف عليها عطف
الضروس وفرش الارض بالرؤس قد فغرت فاغرته وثقلت في الارض وطأته بعيد الجولة عظيم الصولة والله ليشردنكم
في اطراف الارض حتى لا يبقى منكم الا قليل كالكحل في العين فلا تزالون كذلك حتى تؤوب الى العرب عوازب احلامها
فالزموا السنن القائمة والاثار البينة والعهد القريب الذي عليه باقي النبوة واعلموا ان الشيطان انما يسني
لكم طرقه لتتبعوا عقبه اقول نعق الغراب ونعق الراعي بغنمه بالعين والغين صاح وفحص المطر
التراب قلبه والفحص البحث وكوفان اسم للكوفة وضواحيها نواحيها البارزة والضروس الناقة السيئة الخلق
تعض حالبها وفغرت فاها فتحته واكد الفعل بذكر الفاعل من لفظه ويسني يسهل والعقب بكسر القاف
موخر القدم وقد اخبر في هذا الفصل انه سيظهر رجل بهذه الصفات قال بعض الشارحين هو عبد الملك
بن مروان وذلك لانه ظهر بالشام حين جعله ابوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير الى
الكوفة بعد ان قتل مصعب المختار بن ابي عبيد الثقفي فالتقوا بارض مسكن بكسر الكاف من نواحي الكوفة
ثم قتل مصعبا ودخل الكوفة فبايعه اهلها وبعث الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن الزبير بمكة فقتله
وهدم الكعبة وذلك سنة ثلث وسبعين من الهجرة وقتل خلقا عظيما من العرب في وقايع عبد الرحمن
بن الاشعث ورمى الناس بالحجاج بن يوسف وفي الفصل لطائف الاولى اطلق لفظ النعيق لظهوره اول امره
ودعوته بالشام مجازا وكذلك استعار لفظ الفحص لقلبه اهل الكوفة بعضهم على بعض ونقضه لحالاتهم التي كانوا عليها
ثم شبه عطفه وحمله عليها بعطف الناقة الضروس ووجه التشبيه شدة الغضب والحنق والاذى الحاصل منهما
الثانية فرشه للارض بالرؤس كناية عن كثرة قتله فيها وذلك مما يشهد به التواريخ وفغر فيه استعارة لبعض
اوصاف السبع الضاري كنى به عن شدة اقدامه على القتل واقباله على الناس بشدة الغضب والاذى وكذلك ثقل وطأته
في الارض كناية عن شدة باسه وتمكنه في الارض الثالثة بعد جولته كناية عن اتساع ملكه وجولان خيله ورجله في البلاد
البعيدة وبعيد وعظيم حالان ويروى بالرفع فهما خبر مبتدا محذوف الرابعة لما فرغ من صفاته العامة بين
لهم ما سيفعله معهم من التشريد والتفريق في اطراف البلاد واكد ذلك بالقسم البار وذلك اشارة الى ما فعله عبد
الملك ومن ولي الامر من ولده في باقي الصحابة والتابعين واحوالهم معهم في الاستقصاء والاحتقار والطرد والقتل
ظاهرة وشبه البقية منهم بالغبار الذي يكون في العين من الكحل ووجه التشبيه الاشتراك في القلة الخامسة اخبرهم
لا تزالون كذلك اي بالحال الموصوفة مع عبد الملك ومن بعده من اولاده حتى يعود الى العرب عوازب احلامها اي ما كان

ذهب من عقولها العلية في نظام احوالهم والعرب هم بنو العباس ومن معهم من العرب ايام ظهور الدولة
كقحطبة بن شبيب الطائي وابنيه حميد والحسن وكبني رزيق ابي طاهر ابن الحسين واسحق بن ابراهيم المصعبي
وعدادهم في خزاعه وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقيل ان ابا مسلم اصله عربي وكل هؤلاء
كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بني اميه لم ينهض منهم ناهض الى ان اتاه الله تعالى عليهم ما
كان عزب عنهم من حياتهم فثاروا اللذين والمسلمين من جور بني مروان واقاموا الامر وازالوا ملك الدولة
فان قلت ان قوله ثوب يدل على ان انقطاع ملك الدولة بظهور العرب وعود عوازب احلامها وعبد الملك
مات وقامت سوه بعده بالدولة ولم يزل الملك عنه بظهور العرب فاين غاية الغاية قلت ان تلك
الغاية ليست غاية لدولة عبد الملك بل غاية من كونهم لا يزالون مشردين في البلاد وذلك الاشتهار وان كان
اصله من عبد الملك الا انه استمر في من اولاده الى حين انقضاء دولتهم فكانت غايته ما ذكره وقال بعض الشارحين
في الجواب ان ملك اولاده ملكه وما زال الملك من بني مروان حتى ابت الى العرب عوازب احلامها وهذا الجواب
من لم يتدبر كلامه عليه السلم ولم يتبع الفاظ الفصل حتى يعلم ان هذه الغاية لاي شي منه فيلحقها به فانه مرهم
ستر الله ورسوله القائمة فيهم من بعده واثاره البينة فيهم وهدم العرب بينهم وبينه وحجه عليهم ذلك
في الحال وعند نزول تلك الشدايد بهم اي اذا نزل بكم منهم ما وصف فلتكن فطيعتكم … وما ذكرت
على ما في سهولة المعاصي وفي تسهيل نفوسهم الامارة بالسوء عليهم طرق المحارم من المحذور وهو ان نفاد
النفوس العاقلة مفضلها عن سبيل الله ويقودها الضلال الى الهلاك الاخروي وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلم وقت الشورى لن يسرع احد قبلي الى دعوة حق وصلة رحم وعائدة كرم فاسمعوا قولي وعوا منطقي
عسى ان تروا هذا الامر من بعد هذا اليوم تنتضى فيه السيوف وتخان فيه العهود حتى يكون بعضكم ائمة
لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة اقول هذا من جملة كلام قاله عليه السلم لاهل الشورى وقد ذكرنا
من اخبارها فصولا لن يسرع احد الى قوله تعن بر لفضيلة ليسمع قوله ولذلك قال بعده فاسمعوا قولي وعوا منطقي
وذكر فضائل ثلثة الدعوة الى الحق التي لن يسارعه احد اليها الا سرعة وهي ثمرة العدالة وصلة الرحم وعائدة
الكرم وهما فضيلتان تحت ملكة العفة والذي امرهم بسماعه هو التنبيه على عاقبة امر الخلافة وما
فيها من الهرج والمرج بعدهم بناء على ما حضر من الخبط والاختلاط فيها فكانه يقول اذا كان حال هذا الامر
هذه الحال من الخبط ومجاذبة من لا يستحقه لمن يستحقه والتغلب فيه على اهله فعسى ان تروه بعد هذا
اليوم بحال يختصم الناس فيه بالسيوف وتخان فيه العهود وهو اشارة الى ما علمه من حال البغاة والخوارج
والناكثين لعهد بيعته فقوله حتى يكون بعضهم ائمة لاهل الضلالة وشيعة لاهل الجهالة غاية للتغالب على
هذا الامر واشارة بالائمة الى طلحة والزبير وباهل الضلالة الى اتباعهم وباهل الجهالة الى معوية وروساء
الخوارج وساير امراء بني امية وبشيعة اهل الجهالة الى اتباعهم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام

في النهي عن غيبة الناس وانما ينبغي لاهل العصمة والمصنوع اليهم في السلامة ان يرحموا اهل الذنوب والمعصية
ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم فكيف بالعايب الذي عاب اخاه وعيره ببلواه اما ذكر موضع ستر الله
عليه من ذنوبه مما هو اعظم من الذنب الذي عابه به وكيف يذمه بذنب قد ركب مثله فان لم يكن ركب
ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله فيما سواه مما هو اعظم منه وايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه
في الصغير لجراته على عيب الناس اعظم يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له ولا تامن
على نفسك صغير معصية فلعلك معذب عليه فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه
وليكن الشكر شاغلا له على ما ابتلي به غيره اقول اهل العصمة هم الذين اعانهم الله سبحانه على قهر نفوسهم
الامارة بالسوء حتى صارت اسيرة في ايدي نفوسهم العاقلة فحصلوا من ذلك على ملكة ترك الذنوب
والانزجار عن ولوج ابوابها واولئك هم الذين اصطنع الله اليهم السلامة من الانحراف عن سبيله والوقوع
في مهاوي الهلاك فنبههم اولا على ما ينبغي لهم وهو ان يرحموا اهل الذنوب وحصول تلك الرحمة منهم
باعتبارهم حال العصاة ووقوعهم في مهاوي الهلاك ومن عادة عباد الله الرحمة لمن يرونه في مهلكة
بانقاذه واعانته على الخروج منها وان يكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم وذلك باعتبارهم عند
مشاهدة اهل المعاصي لما انعم الله عليهم به من اعانته لهم على قهر شياطينهم التي هي مواد الذنوب وقوله
وكيف بالعايب شروع في تنبيه من هو دون اهل العصمة ممن يرتكب كبيرة او صغيرة على ما
لمن ترك الغيبة فكانه قال فهذا هو ما ينبغي لاهل العصمة فكيف يليق بغيرهم ممن يعيب اخاه و
بلواه بل ينبغي لمثله ان يترك الغيبة ويشكر الله بطريق الاولى وذلك باعتبار ستر الله عليه من ذنوبه
ما هو اعظم مما عيره اخاه به وتلك نعمة الله يجب شكره عليها واشار بموضع ستر الله عليه الى النعمة
المصطنعة عنده وهي تاهيله واعداده والاستفهام على سبيل الانكار اخذ يتعجب من ذم العايب
لاخيه بذنب وهو في صورة احتجاج عليه في ارتكابه لهذا الذنب وذلك قوله وكيف يذمه الى قوله ما عند
الله فكانه يقول لا يجوز لاحد ان يعيب اخاه لانه اما ان يكون بذنب قد ركب العايب مثله او اكبر منه او اصغر
كان بذنب قد ركب مثله او اكبر كان له في عيبه لنفسه شغل عن عيب غيره وان كان ارتكب اصغر منه فهو
ممنوع على تقدير جراته على الغيبة فصدورها عنه لانها من الكباير وانما قال هي اكبر ما عند الله لان اسباب العقر
لان المفاسد التي تشتمل عليها ارتكاب ساير المنهيات جزئية ومفسدة الغيبة كلية لانه لما كان من المقاصد المهمة
للشارع اجتماع النفوس على هم واحد وطريقة واحدة وهي سلوك سبيل الله بساير وجوه الاوامر والنواهي
ولن يتم ذلك الا بتعاون همهم وصفاء بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبة حتى يكونوا بمنزلة عبد واحد
في طاعة مولاه ولن يتم ذلك الا بنفي الضغاين والاحقاد والحسد ونحوه وكانت الغيبة من كل منهم لاخيه مثيرة
لضغنه ومستدعية منه مثلها في حقه لا جرم كانت ضد المقصود الكلي للشارع فكانت مفسدة كلية ولذلك

اكثر الله تعالى ورسوله من النهي عنها كقوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا حتى استعار لما يقرضه القلب من عرض
اخيه لفظ اللحم وزاده تقبيحا ونكرها بصفة الميت فقال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال صلى الله
عليه وآله اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة
لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وعنه صلى الله عليه وآله مررت ليلة اسري بي فرايت قوما يخمشون وجوههم باظفارهم
فسالت جبرئيل عليه السلام عنهم فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس وفي حديث البراء بن عازب خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وآله حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال الا لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فمن تتبع عورة
اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته ثم نهى عن الاستعجال والتسرع الى العيب
على وجوب ذلك لا بتهاء باحتمال ان يكون الذنب الذي عيب اخاه به مغفورا له وان كان كبيرا او ذلك
ان يكون حالة لم يتمكن من جوهر نفسه ونهى ان يامن على نفسه صغير معصية يرتكبها لاحتمال ان يعذب عليها
لصيرورتها ملكة متمكنة من جوهر نفسه ثم عاد الى الامر بالكف عن العيب باعتبار ما يعلم الانسان من عيب نفسه
وان يكون الشكر لله دايما على السلامة من التورط في مورد الهلكة الذي سلكه صاحب الذنب وابتلاه الله به
واعلم ان تعريف الغيبة يعود الى ذكر الانسان بما يكره نسبته اليه مما يعد نقصانا في العرف بذكره اهل سبيل
قصد الانتقاص والذم سواء كان ذلك النقصان عدم كمال بدني كالعور والعمى او نفساني كالجهل والشح
والظلم او عدم كمال من خارج كسقوط الاصل ودناءة الاباء واحترزنا بالقيد الاخير في تعريفها وهو قصد
الانتقاص عن ذكر العيب للطبيب مثلا او لاستدعاء الرحمة من السلطان في حق الزمن والاعمى بذكر
ثم الغيبة قد تكون باللسان وهي الحقيقة وقد تكون بالاشارة وغيرها من ساير ما يعلم به انتقاص اخيه
والتنبيه على عيبه ويسمى غيبة مجازا لقيامها مقام الغيبة ولها اسباب غالبة احدها اشتفاء الغيظ
فان الانسان كثيرا ما يشتفي غيظه بذكر مساوي من غاضه الثاني المباهاة والتفاضل كما يقول من
يتعاطى الانشاء والشعر كلام فلان ركيك وشعره بارد اللعب والهزل وتزجية الوقت فيذكر غيره بما الثالث
الحاضرين الرابع ان يستشعر من غيره انه سيذمه عند السلطان مثلا فيقصد سبقه بذكر مساويه
شهادته عنده عليه وقد يكون لها غايات اخر وقد وردت الرخصة في غيبة الفاسق المتجاهر بفسقه
كالخمار والمخنث والعشار الذي ربما يفتخر بعيبه ولا يستحيي منه قال النبي صلى الله عليه وآله من القى جلباب
الحياء عن وجهه فلا غيبة له لكن تركها الى السكوت اولى وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام ايها الناس
من عرف من اخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه اقاويل الرجال اما انه قد يرمي الرامي ويخطي
السهام ويحيك الكلام وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد اما انه ليس بين الحق والباطل الا اربع اصابع
فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا فجمع اصابعه ووضعها بين اذنه وعينه ثم قال الباطل ان تقول سمعت
والحق ان تقول رايت اقول احاك الكلام يحيك اذا عمل واثر وكذلك حاك وروي يحيل اي يبطل ولا يصيب

الفصل

الفصل ثم نهى عن التسرع الى التصديق بما يقال في حق مستور الظاهر المشهور بالصلاح والدين من العيب والقدح في
دينه وهو نهي عن سماع الغيبة بعد نهيه عنها نفسها واليه الاشارة بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق
بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ثم نبه على جواز الخطاء على المتسرعين الى الغيبة
بالمثل فقال اما انه قد يرمي الرامي ويخطي السهام ووجه مطابقة هذا المثل ان الذي يرمي بعيب قد يكون بريا منه
فيكون الكلام في حقه غير مطابق ولا صايب كما لا يصيب السهم الذي يرمي به فيخطي الغرض وعلى الرواية بالكاف
ويحيك الكلام اي ان السهم قد يخطي فلا يوثر والكلام يوثر على كل حال وان لم يكن حقا فانه يسود العرض ويوثر
في نظر من لا يعرفه وقوله وباطل ذلك يبور والله سميع وشهيد يجري مجرى التهديد وتحقير ثمرة ذلك
القول الكاذب الذي لا يبقى من مال او جاه او نحوهما بالنسبة الى عظم عقوبة الله وغضبه الباقي فان
سمعه وشهادته مستلزمان لغضبه المستلزم لعقوبته وقوله اما انه ليس بين الحق والباطل الا مقدار اربع
اصابع فتفسير الفصل المذكور وتفسير ذلك الفصل هو قوله الباطل ان يقول سمعت والحق ان يقول رايت
ثم هاهنا لطيفتان فالاولى ان قوله الباطل ان يقول سمعت لا يستلزم الكلية حتى يكون كل ما سمعه
باطلا فان الباطل والمسموع مهملان الثانية ان الحق ليس هو قوله رايت بل المرئي له والباطل هو
سمعت بل القول المسموع له وانما قوله رايت وسمعت اخبار عن وصول المرئي والمسموع الى البصر
والسمع فاقام هذين الخبرين مقام المخبر عنهما مجازا وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام وليس لواضع
المعروف في غير حقه وعند غير اهله من الحظ فيما اتى الا محمدة اللئام وثناء الاشرار ومقالة الجهال ما دام
عليهم ما اجود يده وهو عن ذات الله بخيل فمن اتاه الله مالا فليصل به القرابة وليحسن منه الضيافة و
ليفك به الاسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم وليصبر نفسه على الحقوق والنوائب ابتغاء الثواب
فان فوزا بهذه الخصال شرف مكارم الدنيا ودرك فضايل الاخرة ان شاء الله تعالى اقول لما كان
المعروف سواء كان في اهله او غير اهله ثناء من الناس ومدح له بالكرم والبذل كان مما يتميز به وضعه
في غير اهله عن وضعه في اهله ان الاول انما يحصل به لواضعه الحمد من لئام الناس اي ساقطي الاصول
والسفهاء والاشرار والجهال لعدم معرفتهم بوضع الاشياء في مواضعها التي هي مقتضى العقل الذي به نظام
امور الدنيا وقوام نوع الانسان في الوجود مع انه في الحقيقة وعند اولي الالباب العارفين بمواقع المعروف
بخيل في جنب الله تعالى واما الثاني فيحصل له المحمدة من الكل في الدنيا ومحمدة مطابقة للحق مع الثواب الجزيل
في الاخرى فلا جرم اشار الى الاول بقوله فليس لواضع المعروف الى قوله وهو عن ذات الله بخيل وقوله ما
اجود يده متعلق بمقالة اي ذلك هو الامر الذي يقولونه ما دام منعما عليهم وانما قيد بهذا القيد لان الجاهل قد
يعتقد ان ما يسدي اليه محول له فيمدحه ما دام يحمده بدوام ذلك الانعام لكن ينقطع بانقطاعه واما الجاهل الشرير
فكثيرا ما يعتقد انه انما يسدي اليه لشره وخوف اذاه فربما يشكر المنعم ما دام منعما حتى اذا انقطع عنه

شرع عوض شكره استجلاباً لذلك الانعام المنقطع واستعادة له واما الثاني ففيه اولاً على هو اصطناع المعروف وامر
بوضعه فيها وذكر منها خمسة الاول صلة الرحم الثاني حسن الضيافة الثالث فك الاسير وهو العاني وانما
اختلف اللفظ والرابع اعطاء الفقير والغارم وهو من عليه دين الخامس الحقوق الواجبة على اهلها
كالزكوات والمستحبة كالصدقات واشار بالنوائب الى ما يلحق الانسان من المصادرات والغرامات التي
يفك بها الانسان من ايدي الظالمين والسنتهم والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان والفضايل
الخمس داخلة تحت فضيلة الكرم والاشارة الى ذلك بقوله فمن آتاه الله الى قوله ابتغاء الثواب ونبه بهذه
اعني المقول له على ان الانفاق في هذه الوجوه انما يكون وضعاً للمعروف في موضعه اذا قصد به وجه الله تعالى
فاما اذا قصد به الرياء والسمعة فهو وان عد في ظاهر الشريعة مجزياً الا انه غير مجز ولا مقبول في باطنها ثم اشار
بقوله فان فوزاً بهذه الخصال الى آخره الى ما يتميز به واضع المعروف في اهله وهو شرف مكارم الدنيا من الذكر
الجميل بين الناس والجاه العريض ودرك فضايل الآخرة وهي درجات الثواب الجزيل الموعود لاولي الفضايل
النفسانية وانما نكر الفوز لان تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الذي يحصل باي شخص كان من اشخاصه وهذا
وان كان حاصلاً مع الالف واللام لتعريف تلك الطبيعة الا ان ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة
والمعهود والشخصي فكان موهماً الفوز الشخصي ولذلك كان الاتيان به منكراً افصح وابلغ وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقاء الا وان الارض التي تقلكم والسماء التي تظلكم مطيعتان لربكم
وما اصبحتا تجودان لكم ببركتهما توجعاً لكم ولا زلفة لكم ولا لخير ترجوانه منكم ولكن امرتا بمنافعكم فاطاعتا
واقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا ان الله يبتلي عباده عند الاعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات
واغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع مقلع ويتذكر متذكر ويزدجر مزدجر وقد جعل الله سبحانه
الاستغفار سبباً لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً
ويمددكم باموال وبنين فرحم الله امرأً استقبل توبته واستقال خطيئته وبادر منيته اللهم انا خرجنا اليك
من تحت الاستار والاكنان وبعد عجيج البهائم والولدان راغبين في رحمتك وراجين فضل نعمتك وخائفين من
عذابك ونقمتك اللهم فاسقنا غيثك ولا تجعلنا من القانطين ولا تهلكنا بالسنين ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء
منا يا ارحم الراحمين اللهم انا خرجنا نشكو اليك ما لا يخفى عليك حين الجأتنا المضايق الوعرة واجاءتنا
المقاحط المجدبة واعيتنا المطالب المتعسرة وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة اللهم انا نسألك الا تردنا
خائبين ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اللهم انشر علينا غيثك وبركتك
ورحمتك واسقنا سقيا نافعة مروية معشبة تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات نافعة الحيا كثيرة
المجتنى تروي بها القيعان وتسيل البطنان وتستورق الاشجار وترخص الاسعار انك على ما تشاء قدير **اللغة**
اقلع عن خطيئته اذا رجع عنها وتاب والمتاور المواثب والزلفة القربى والمنزلة والواجم الذي اشتد حزنه حتى

من الكلام والناقعة المروية والقيعان جمع قوع وقاع وهو المستوي من الارض والبطنان جمع البطن وهو ما انخفض
من الارض واعلم انا بينا فيما سبق ان الجود الالهي لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يكون منع الكمالات في هذه
الحياة بعدم الاستعدادات لها فكل مستعد لامر ملاق له وفايض عليه اذا عرفت ذلك فاعلم انه عليه السلام
قصد بهذا الفصل تنبيه العباد على وجوب الاستعداد لرحمة الله التي ارتفعت عنهم بحبس المطر وذلك
في قوله الا وان الارض الى قوله وبادر منيته فنبههم اولاً في ذلك الفصل على ان الارض التي هي كالام للنبات
والزرع والسماء التي هي كالاب مطيعتان لربهم واشار بالسماء الى السحاب او الى السموات لكونها بحركاتها
اسباباً معدة لكل ما في هذا العالم من الحوادث واشار بطاعتهما الى دخولهما تحت حكم القدرة الالهية واشار
بقوله وما اصبحتا الى قوله ترجوانه منكم الى لطيفة وهي ان الحوادث الحادثة في هذا العالم من العاليات ليست
مقصودة بالذات لها فيكون ذلك منها لاجل توجع للناس او لاجل قرابة ومنزلة بينهم وبينها ولا لخير ترجوانه
منهم كما هو المتعارف من منافع الناس بعضهم لبعض لان السموات والارض غنية عنا لكن لما كانت السموات
متحركة دائماً طلباً للكمالات اللايقة بها من واهبها جل وعلا ومسخرة بامره عرض عن هذه الحركات والاتصالات
اعداد الارض لقبول النبات والزرع ووجود الحيوانات التي هي ارزاق لها وبها قوام وجودها وكانت
مصالح هذه الحيوانات اذن منوطة بتلك الحركات وجارية على وفقها باذن المدبر الحكيم سبحانه والى
ذلك اشار بقوله ولكن الى قوله فقامتا وغرضه مما سبق الى هاهنا ان يقرر في النفوس عظمة الله سبحانه وان
الارزاق واسبابها منسوبة اليه ومنه حتى تتوجه النفوس اليه بالاقلاع عن الذنوب التي هي حجب لها
عن افاضة الرحمة عليها منه ثم بين بعده ان الله سبحانه انما يفعل ما يفعل من نقص الثمرات وحبس البركات واغلاق
خزائن الخيرات عن الخلق عند اعمالهم السيئة ابتلاء لهم كقوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع
ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد علمت معنى ابتلائه لهم ثم بين ان غاية الحكمة
الالهية من ذلك الابتلاء رفع حجب النفوس التي هي الذنوب والمعاصي واستعدادها بذلك لقبول رحمة
الله بالتوبة والاقلاع منها والازدجار عنها والتذكر للمبدأ الاول جلت عظمته وما اعد لاوليائه الابرار
في دار القرار ولاعدائه الاشرار في دار البوار ثم بين لهم ان الله سبحانه جعل الاستغفار سبباً لدرور الرزق
والرحمة ولما كان الاستغفار هو طلب غفر الذنوب وسترها على العبد ان يفتضح بها وذلك انما يكون
بمحوها من لوح نفسه لا جرم كان المستغفر المخلص ماحياً للخطيئة باستغفاره عن لوح نفسه وبذلك
يكمل استعداده لافاضة رحمة الله عليه في الدنيا بانزال البركات وفي الآخرة برفع الدرجات والى
الاشارة بالشاهد العدل قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً
الآية وقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض الآية وقوله
ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله

وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا الى آخره دعا لمن استقبل توبته وشرع في الاستعداد
بها ولمن استقال خطيئته اي طلب الاقالة من الالزام بعاقبتها وثمرتها وهو العقاب عليها والمؤاخذة
بها ولمن راقب منيته وعاجلها قبل ادراكها بالتوبة كل ذلك تنبيه على الاستعداد وطلب له لانه ان
كان لا يتم المطلوب بدونه ولفظ الاقالة استعارة ووجهها ان المخطئ كالمعاهد والملتزم لعقاب اخروي
بلذة عاجلة لما علم من استلزام تلك اللذة المنهي عنها للعقاب فهو يطلب الاقالة من هذه المعاهدة كما يطلب
المشتري الاقالة من البيع وقوله اللهم الى آخره لما قدم الامر بالاستعداد لرحمة الله رجع اليه في استنزال الرحمة
عليهم فقدم في الدعاء ما عادته ان يقدم بين يدي الملوك من الكلام المرقق للطباع والموجب للعطف
فذكر الخروج من تحت الاستار والاكنان التي ليس من شانها ان تفارق الا لضرورة شديدة وكذلك عجيج
البهائم والولدان واصواتها المرتفعة بالبكاء وذكر الغاية من ذلك وهي الرغبة في رحمته والرجاء
لفضل نعمته والخوف من عذابه ونقمته وهذه هي جهات المساعي البشرية ثم سال بعد ذلك المطالب
السقيا وعدم الياس المبعد للرحمة وعدم الهلاك بالجدب وان لا يؤاخذهم بافعال السفهاء من المعاصي
عن رحمته كقوله تعالى حكاية عن موسى عم اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ثم عاد الى تكرير شكوى الجدب
اسبابها الحاملة عليها ليكون اقوم للعذر والمقاحط اماكن القحط او سنى القحط وظاهر كون الجوع والقحط
وساير المسببات عن القحط فتنة اي صارفة للقلوب عما يراد بها ثم عاد الى طلب اجابة دعائه وقوله
ولا تخاطبنا بذنوبنا اي لا تجعل جوابنا الاحتجاج علينا بذنوبنا ولا تقايسنا باعمالنا اي لا تجعل فعلك
لاعمالنا السيئة وشبيها لها وسببية لمثلها ثم عاد الى طلب انواع ما يطلب منه سبحانه بامر ما ينبغي
الذي جنى الى آخره وهو ظاهر وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام بعث رسله بما خصهم به من وحيه
حجة له على خلقه لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار اليهم فدعاهم بلسان الصدق الى سبيل الحق الا ان الله تعالى
الخلق كشفة لا انه جهل ما اخفوه من مصون اسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم ايهم احسن عملا فيكون
الثواب جزاء والعقاب بواء اين الذين زعموا انهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغيا علينا ان رفعنا الله ووضعهم
واعطانا وحرمهم وادخلنا واخرجهم بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن
من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم اقول هذا الفصل [illegible] بينه وبين جمع من الفصل
كانوا ابان عوهر الفصل والبواء الكفو فقوله بعث رسله الى قوله سبيل الحق كقوله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولسان الصدق هو لسان الشريعة الناطقة عن مصباح النبوة
عن نور الحق سبحانه وسبيل الحق هو الطريق الموصلة اليه تعالى التي تطابقت على الحداء اليها السنة الرسل والاولياء
وصدر الفصل بذلك لاشتماله على فضيلة الانبياء ليبني عليه فضيلة نفسه وقوله الا ان الله الى قوله عملا
كلام يجري مجرى التهديد لمن نافق باطلاع الله على اسرارهم وان ما كلفهم به انما هو ابتلاء منه لهم

احسن عملا وقد عرفت معنى ابتلاء الله لخلقه مرارا واراد بالكشفة الاختبار والابتلاء ايضا ثم عقب ذلك
بالاستفهام عن الذين زعموا انهم افضل منه وذلك ان قوما من الصحابة كان منهم من يدعي الافضلية
في فن من العلم فمنهم من كان يدعي انه افرض ومنهم من كان يدعي انه اقرأ ومنهم من كان يدعي انه اعلم بالحلال
والحرام ورووا افرضكم زيد بن ثابت واقرأكم ابي ورووا مع ذلك اقضاكم علي وذلك الاستفهام على
سبيل الانكار عليهم ولذلك اردفه بالتكذيب لهم فيما ادعوه من الافضلية ثم ان كان ما رووه حقا مع ان
القضاء يحتاج الى جميع ما ادعوه فضيلة لهم ثبت انه عليه السلام افضلهم لاستجماعه ما تفرق فيهم من الفضائل
وان لم يكن حقا مع ان انوار فضائله مستطيرة في آفاق الصدور فقد ظهر فضله عليهم وذلك وجه التكذيب
لهم ثم اشار الى العلة الحاملة لهم على الكذب فيما ادعوه وهو قوله ان رفعنا الله اي رفع درجاتنا في الدنيا
والآخرة على الكافة ووضعهم دوننا وان وما بعدها نصب على المفعول له واعطانا اي الملك والنبوة
وحرمهم ذلك وكذلك ادخلنا بعنايته الخاصة بنا فيما اعطانا واخرجهم من ذلك وقوله بنا يستعطى
الهدى وبنا يستجلى العمى فاستعار لفظ العمى للجهل ورشح بذكر الاستجلاء ولما كانوا عليهم السلام المعدين
لاذهان الخلق لقبول انوار الله والمرشدين لنفوسهم الى سبيل الله لا جرم كان بهم يستعطى الهدى من الله
اذ بواسطة اعدادهم يفاض على النفوس هداها وبواسطة اعطائهم القوانين الشرعية الكلية والجزئية
يستجلى الجهل من واهب ذلك الجلاء وهو كناية عن الاستعداد ايضا وقوله ان الائمة من قريش الى آخره
لفظ النص المشهور عن الرسول صلى الله عليه وآله لاعتقادهم عصمته واما على مذهب الباقين من المسلمين فواجب
الاتباع ايضا لقوله عليه الصلوة والسلام الحق مع علي وان الحق معه يدور حيث دار ومراده بذلك البطن اما على مذهب
الاثني عشرية فقصره مع الاحد عشر من ولده بنص كل منهم على من بعده مع كونهم معصومين واما على مذهب الباقين
من الامامية فكل منهم يحمل هذا الكلام على من اعتقد امامته لا تصلح على من سواهم اي لا يكون لها صلاح
على يد غيرهم ولا تصلح الولاة منها آثروا عاجلا وتركوا آجلا وشربوا آجنا كاني انظر الى فاسقهم وقد صحب
المنكر فالفه وبسئ به ووافقه حتى شابت عليه مفارقه وصبغت به خلائقه ثم اقبل مزبدا كالتيار لا يبالي ما غرق او
كوقع النار في الهشيم لا يحفل ما حرق اين العقول المستصبحة بمصابيح الهدى والابصار اللامحة الى منار التقوى اين
القلوب التي وهبت لله وعوقدت على طاعة الله ازدحموا على الحطام وتشاحوا على الحرام ورفع لهم علم الجنة والنار
فصرفوا عن الجنة وجوههم واقبلوا الى النار باعمالهم دعاهم ربهم فنفروا وولوا ودعاهم الشيطان فاستجابوا واقبلوا
اقول بسئ به انس به واعلم ان ضمير الجمع في آثروا وشربوا وما بعدهما ضماير يحمله يصدق اطلاقها على
الجماعة وان كان المعنى بها بعضهم وهذا الكلام يصدق على من تخلف من الناس الى زمانه ممن هو غير مرضي الطريقة
وان كان معدودا من الصحابة بالظاهر كالمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم ومعاوية ونحوهم
من امراء بني امية ممن آثر عاجل الدنيا وتأول عليه واخر آجل ثواب الآخرة فنبذه وراء ظهره وترك ما وعد

الائمة من قريش وتخصيصه ذلك بهذا البطن من هاشم انما هذا مذهب الشيعة فهو نص يجب اتباعه كما يجب اتباع نص الرسول صلى الله عليه وآله
صح

من تلك اللذات الصافية عن كدورات الدنيا والعلائق البدنية الى اللذات الوهمية اللاحقة بشوب الاعراض
والامراض والتغير والزوال واستعار لفظ الآجن للذات الدنيا ملاحظة لتشبيهها بالماء الذي لا يسوغ
لتغير طعمه ورشح بذكر الشرب وقوله كأني انظر الى فاسقهم يحتمل ان يريد فاسقا كعبد الملك بن مروان
ويكون الضمير عائدا الى بني امية ومن تابعهم ويحتمل ان يريد مطلق الفاسق اي من يفسق من هؤلاء بما بعده
بالصفات التي ذكرها من صحبة المنكر والفه له وموافقته لطبعه الى غاية عمره وكنى عن تلك الغاية بشيب
المفارق ووصف بخلائقه اي صار المنكر ملكة له وخلقا واستعار له وصف الازباد تشبيها له بالبحر
الطامي ووجه التشبيه كونه عند غضبه لا يحفل بما يفعله في الناس من المنكرات كما لا يحفل البحر بمن غرق
فيه وكذلك شبه حركته في المنكرات والظلامات بوقع النار في الحطب ووجه الشبه كونه لا يبالي
بتلك الحركات كما لا تبالي النار بما احرقت ثم اخذ يسال عن العقول المستكملة بانوار الله واستعار لفظ مصابيح
الهدى اما الائمة الدين او لقوانينه الكلية والاستصباح بها الاقتداء بها وعن الابصار اللامحة لمنار
التقوى اي الناظرة الى اعلام التقوى واستعارة لفظ المنار كاستعارة لفظ المصابيح ثم عن القلوب التي
وهبها اهلها لله اي جعلوا اهمهم مطالعة انوار كبريائه والتوجه الى كعبة وجوب وجوده وعوقدت على
طاعة الله اي اخذ خلفاء الله عليهم العهد بطاعته والمواظبة عليها ثم عاد الى ذم السامعين وتوبيخهم بازدحامهم
على حطام الدنيا واستعار لفظ الحطام لمقتنيات الدنيا ووجه الاستعارة سرعة فنائها وفسادها كما يفسد
فساد النبت اليابس وتكسيره وتشاحهم على الحرام اي كل واحد يشاح صاحبه على الحرام ورفع لهم علم
بعلم الجنة الى قانون الشريعة القائدة الى الجنة وبعلم النار الى الوساوس المزينة لقنيات الدنيا والعلم الاول
بيد الدعاة الى الله وهم الرسول صلى الله عليه وآله ومن بعده من اولياء الله من اهل بيته والتابعين لهم
باحسان والعلم الثاني بيد ابليس وجنوده من شياطين الانس والجن الداعين الى النار ثم ذمهم بصرفهم
وجوههم عن الجنة واقبالهم باعمالهم على النار حين رفع العلمين من قبل الدعاة وانما قال واقبلوا باعمالهم
ولم يقل بوجوههم كما قال فصرفوا وجوههم لان اقبالهم بوجوه نفوسهم على لذات الدنيا وانها كما تستلزم
صرفها عن الاعمال الموصلة الى الجنة وذلك يستلزم اعراضها عن الجنة ثم لما كانت الغاية التي يطلبها
الانسان من الدنيا هو الحصول على لذاتها وكانت النار لازمة للاعمال الموصلة الى تلك الغاية لزوما عرضيا
لم تكن النار غاية ذاتية فاقبلوا بوجوههم عليها بل كان اقبالهم عليها باعمالهم اذ كانت هي المستلزمة
لها ثم اخبر في معرض الذم لهم عن مقابلتهم لدعاء ربهم لهم بالنفار عنه ولدعاء الشيطان لهم بالاستجابة
لدعوته واقبالهم اليه وفي قوله دعاهم الى آخره تنبيه ان الرافع لعلم الجنة هو الله بايدي خلفائه والرافع
لعلم النار هو الشيطان بايدي اوليائه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام ايها الناس انما انتم في
هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا مع كل جرعة شرق وفي كل اكلة غصص لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى ولا

يعمر معمر منكم يوما من عمره الا بهدم آخر من اجله ولا تجدد له زيادة في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه ولا يحيى
له اثر الا مات له اثر ولا يتجدد له جديد الا بعد ان يخلق له جديد ولا تقوم له نابتة الا وتسقط منه محصودة وقد
مضت اصول نحن فروعها فما بقاء فرع بعد ذهاب اصله اقول الغرض الهدف وغرض هذا الفصل ذم
الدنيا وتقبيحها بذكر معايبها لتنقص الرغبات فيها وتنصرف الى ما وراءها من الامور الباقية فاستعار لفظ
الغرض ووجه الاستعارة كونهم مقصودين بسهام المنية من سائر الامراض والاعراض كما يقصد الغرض بالسهام
واسند الانتضال الى المنايا مجازا لان القاصد لهم بالامراض هو فاعلها بهم فكان المجاز هنا في الاسناد والمفرد وكنى
بالجرعة والاكلة عن لذات الدنيا وبالشرق والغصص عما في كل منهما من شوب الكدورات اللازمة
لها طبعا من الامراض والمخاوف وسائر المنغصات لها وقوله لا تنالون منها نعمة الا بفراق اخرى فيه لطف وهو
اشارة الى ان كل نوع من نعمها فانما يتجدد شخص منها ويلتذ به بعد مفارقة مثله كلذة اللقمة مثلا فانها
موت اللذة باختها السابقة وكذلك لذة ملبوس شخصي او مركوب شخصي وسائر ما يعد نعمة دنيوية ملتذا
بها فانها انما تحصل بعد مفارقة ما سبق من امثالها واعم من ذلك فان الانسان لا يتهيأ له الجمع بين
الملاذ الجسمانية في وقت واحد بل ولا اثنين منها فانه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا وحال ما هو
في لذة الاكل لا يلتذ بمشروب ولا حال ما يكون خاليا على فراشه الوثير يكون راكبا للنزهة ونحو ذلك وبالجملة
لا يكون مشغولا بنوع من الملاذ الجسمانية الا وهو تارك لغيره وما استلزم مفارقة نعمة اخرى لا يعد في الحقيقة
نعمة ملتذا بها وكذلك قوله ولا يعمر معمر منكم الى قوله اجله لان السرور بالبقاء الى يوم معين لا يحصل الا
بعد انقضاء ما قبله من الايام المحسوبة من عمره فاذا قد هدم من عمره يوما فتكون اللذة في الحقيقة بما يقرب
من الموت وما استلزم القرب من الموت فلا لذة فيه عند الاعتبار وكذلك قوله ولا تجدد له زيادة
في اكله الا بنفاد ما قبلها من رزقه اي من رزقه وهو ما وصل الى جوفه مثلا فان ما لم يصل جاز ان يكون رزقا
لغيره وقد علمت ان الانسان لا ياكل لقمة حتى يفنى ما قبلها فهو اذن لا يتجدد له زيادة في اكله الا بنفاد رزقه
السابق وما استلزم نفاد الرزق لم يكن لذيذا في الحقيقة وروي اكله ويحتمل ان يريد انه اذا تجددت له جهة
رزق فتوجه فيها طالبا كان ذلك التوجه مستلزما للاضراب عما قبلها من الجهات وانقطاع رزقه من
جهتها واللفظ مهمل يصدق ولو في بعض الناس فلا يجب الكلية وكذلك قوله ولا يحيى له اثر الا مات له اثر
واراد بالاثر الذكر او الفعل فان كل ما يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود او مذموم او ذكر حسن او قبيح
ويحيى له بين الناس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار ويفنى وكذلك لا يتجدد له جديد من زيادات
بدنه ونقصانه واحوال الابدان بخلق له جديد يحلل بدنه ومعاقبة شيخوخته بشبابه ومستقبل اوقاته
لسالفها وكذلك لا يقوم له نابتة الا بعد ان يسقط منه محصودة واستعار لفظ النابتة لمن ينشا من اولاده
واقربائه ولفظ المحصودة لمن يموت من آبائه واهله ولذلك قال وقد مضت اصول نحن فروعها والاباء تحت

ثم استفهمهم على سبيل التعجب عن بقاء الفرع بعد ذهاب اصله وقد صرح ابو العتاهية بهذا المعنى حيث قال كل
الى ممات وكل ذي جدة يحول كيف بقاء الفروع يوما وقد ذوت قبلها الاصول منها وما احدث بدعة الا ترك
بها سنة فاتقوا البدع والزموا المهيع ان عوازم الامور افضلها وان محدثاتها شرارها اقول المهيع الطريق
الواسع والعوازم جمع عوزم وهي العجوز المسنة والمراد بالبدعة كل ما احدث مما لم يكن على عهد الرسول
اشتمل هذا الفصل على وجه ترك البدعة وبرهان استلزام احداث البدعة لترك السنة ان عدم احداث
البدع سنة لقوله عليه السلم كل بدعة حرام فكان احداثها مستلزما لترك تلك السنة ثم على امرهم بتقوى
البدع اي خشية عواقبها ثم بلزوم الطريق الواضح وهي سبيل الله وشريعته واراد بعوازم الامور اما
قديمها وهو ما كان عليه عهد النبوة واما جوازمها وهي المقطوع بها دون المحدثات منها التي هي محل الشبهة
والشك ورجح الاول المقابلة بمحدثاتها وجهة وصفها بكونها شرارا كونها محل الشبهة وخارجة عن
قانون الشريعة فكانت مستلزمة للهرج والمرج وانواع الشرور وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم
وقد استشاره عمر ابن الخطاب في الشخوص لقتال الفرس بنفسه ان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا
بقلة وهو دين الله الذي اظهره وجنده الذي اعده وامده حتى بلغ ما بلغ وطلع حيث طلع ونحن على موعود
من الله والله منجز وعده وناصر جنده ومكان القيم بالامر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه فان انقطع
النظام تفرق وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون
بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب واصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الارض
انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى يكون ما تدع وراءك من العورات اهم اليك مما بين
يديك ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا اقطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشد
لكلبهم عليك وطمعهم فيك فاما ما ذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان الله سبحانه هو اكره لمسيرهم
منك وهو اقدر على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانما كنا
نقاتل بالنصر والمعونة اقول اختلف الناقلون لهذا الكلام في الوقت الذي قاله عمر فيه فقيل انه قاله في
غزاة القادسية وهو المنقول عن المدائني في كتاب الفتوح وقيل في غزاة نهاوند وهو نقل محمد بن جرير الطبري
وقعة القادسية كانت سنة اربع عشرة للهجرة استشار عمر المسلمين في خروجه فيها بنفسه فاشار عليه
علي عليه السلم بالرأي المسطور فاخذ عمر به ورجع عن عزم المسير بنفسه وامر سعد بن ابي وقاص على الناس
وروي في تلك الواقعة ان رستم امير العسكر من قبل يزدجرد اقام ربيئا من الرجال الواحد منهم الى جانب
الآخر من القادسية الى المداين كلما تكلم رستم بكلمة اداها بعضهم الى بعض حتى يصل الى سمع يزدجرد وقصص
الواقعة مشهور في التواريخ واما وقعة نهاوند فانه لما اراد عمر ان يغزو العجم وجيوش كسرى قد اجتمعت بها
استشار اصحابه فاشار عثمان عليه بان يخرج بنفسه بعد ان يكتب الى جميع المسلمين من اهل الشام واليمن والحرمين

والبصرة ويأمرهم بالخروج واشار علي عليه السلم بالرأي المذكور وقال اما بعد فان هذا الامر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة
فقال عمر اجل هذا الرأي وقد كنت احب ان اتابع عليه فاشيروا علي برجل اوليه ذلك الثغر فقالوا انت افضل رأيا
فقال اشيروا علي به واجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم باهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم فقال
اما والله لاولين امرهم رجلا يكون عند اول الاسنة قيل ومن هو فقال النعمان بن مقرن قالوا هو لها وكان النعمان
يومئذ بالبصرة فكتب اليه عمر فولاه امر الجيش ولنرجع الى المتن فقوله بحذافيره اي باسره وقوله ان هذا الامر الى
قوله للاجتماع صدر الكلام اورده ليبني عليه الرأي فقرر فيه اولا ان هذا الامر اي امر الاسلام ليس نصره
بكثرة ولا خذلانه بقلة ونبه على صدق هذه الدعوى بانه دين الله الذي اظهره وجنوده هي جنده الذي اعده
وامده بالملائكة والناس حتى بلغ هذا المبلغ وطلع في آفاق البلاد حيث طلع ثم وعدنا بموعود وهو النصر
والغلبة والاستخلاف في الارض كما قال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم الآية وكل وعد من الله فهو منجز لعدم الخلف في خبره وقوله وناصر جنده يجري مجرى النتيجة اذ
من جملة وعده نصر جنده وجنده هم المؤمنون فالمؤمنون منصورون على كل حال سواء كانوا قليلين او كثيرين
ثم شبه مكان القيم بالامر بمكان الخيط من العقد ووجه التشبيه هو قوله يجمعه ويضمه الى قوله ابدا
لم يجمع بحذافيره ابدا وذلك انهم عند فساد نظامهم بقتل الامام مثلا يقع بهم طمع العدو وطمعهم فيكون
ذلك سبب استيصالهم ثم رفع عنه الشبهة في عدم الحاجة الى اجتماع كل العرب في هذه الواقعة وذلك لكثرتهم
بالاسلام واستقبال الدولة وعزتهم باجتماع الرأي واتفاق القلوب الذي هو خير من كثرة الاشخاص واراد
بالكثرة القوة والغلبة مجازا اطلاقا لاسم مظنة الشيء وقوله فكن قطبا شروع في الرأي الخالص بهم فاشار
ان يجعل نفسه مرجعا للعرب تدور اليه وتدور عليه واستعار لفظ القطب وكذلك لفظ الرحى ورشح بالاستدارة
وكنى بذلك عن جعل العرب دريئة دونه وحيطة له ولذلك قال واصلهم دونك نار الحرب لانهم ان سلموا
وغنموا فذلك الذي ينبغي وان انقهروا كان هو مرجعا لهم وسندا يقوي ظهورهم بخلاف شخوصه بنفسه
فانهم ان ظفروا فذاك وان انقهروا لم يكن لهم ظهر يلجؤون اليه كما سبق بيانه وقوله فانك ان شخصت الى قوله فيك
بيان للمفسدة في خروجه بنفسه من وجهين احدهما ان الاسلام كان في ذلك الوقت غضا وقلوب كثير
من العرب ممن اسلم غير مستقرة بعد فاذا انضاف الى من لم يسلم منهم وعلموا خروجه وتركه البلاد كان طمعهم
وهاجت فتنتهم على الحرمين وبلاد الاسلام فيكون ما تركه وراءه اهم عنده مما يستقبله ويطلبه ويتقى
عليه الفريقان من الاهوال الثاني ان الاعاجم اذا خرج اليهم بنفسه طمعوا فيه وقالوا الكلام وكان خروجه معرضا لهم على
القتال وهم اشد عليه كلبا واقوى فيه طمعا وقوله فاما ما ذكرت من مسير القوم الى آخره فهو ما قال عمر ان هؤلاء الفرس قد
قصدوا المسير الى المسلمين وقصدهم اياهم دليل قوتهم وانا اكره ان يغزونا قبل ان نغزوهم فاجاب بان كان كرهه
فان الله تعالى له اشد كراهية واقدر منك على التغيير والازالة وهذا الجواب يدور على حرف وهو ان مسيرهم

المسلمين وان كان مفسدة الآن لعاظم بنفسه في مفسدة اكبر واذا كان كذلك فينبغي ان يلغ المفسدة العظمى
ويحمل دفع المفسدة الاخرى الى الله تعالى فامكانه لهما ومع كراهيته لهما فهو اقدر على ازالتها وقوله اما ما ذكرت
من عددهم الى آخره فهو ان عمر ذكر كثرة القوم وعددهم فاجابه عليه السلام بتذكير قتال المسلمين في صدر الاسلام
فانه كان من غير كثرة وانما كان بنصر الله ومعونته فينبغي ان يكون الحال الآن كذلك وهو يجري مجرى التمثيل
كما اشرنا اليه في المشورة الاولى وبوعد الله تعالى المسلمين بالاستخلاف في الارض وتمكين دينهم الذي ارتضى
لهم وتبديلهم بخوفهم امنا كما هو مقتضى الاية **ومن خطبة له عليه السلام** فبعث محمدا صلى الله عليه وآله
بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته ومن طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قد بينه واحكمه
ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقروا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه في كتابه
من غير ان يكونوا راوه بما اراهم من قدرته وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات واحتصد
من احتصد بالنقمات وانه سياتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا اظهر من الباطل ولا اكثر
من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة ابور من الكتاب اذا تلي حق تلاوته ولا
انفق منه اذا حرف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر فقد نبذ الكتاب
حملته وتناساه حفظته فالكتاب يومئذ واهله منفيان طريدان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد
لا يؤويهما مؤو فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليسا فيهم ومعهم لان الضلالة لا توافق الهدى وان اجتمعا
فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا عن الجماعة كانهم ائمة الكتاب وليس الكتاب امامهم فلم يبق عندهم منه الا اسمه
ولا يعرفون الا خطه وزبره ومن قبل ما مثلوا بالصالحين كل مثلة وسموا صدقهم على الله فرية وجعلوا في الحسنة
عقوبة السيئة وانما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم وتغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود الذي ترد عنه المعذرة
وترفع عنه التوبة وتحل معه القارعة ايها الناس انه من استنصح الله وفق ومن اتخذ قوله دليلا هدي للتي
هي اقوم وان جار الله آمن وعدوه خائف وانه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعظم فان رفعة الذين يعلمون
ما عظمته ان يتواضعوا له وسلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح
من الاجرب والباري من ذي السقم واعلموا انكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تاخذوا بميثاق
الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه فالتمسوا ذلك من عند اهله فانهم
عيش العلم وموت الجهل الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون
الدين ولا يختلفون فيه فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق **اقول** الاوثان الاصنام وزبره كتابته
بفتح الميم والثاء اي نكلوا والاسم المثلة بضم الميم وسكون الثاء والقارعة الشديدة من شدائد الدهر
هذا الفصل على بيان بعثة الرسول صلى الله عليه وآله وبيان غاية البعثة والسبب المعد للوصول الى تلك الغاية
ثم بيان غاية تلك الغاية فالاشارة الى البعثة بقوله فبعث الى قوله بالحق واشار الى غايتها بقوله ليخرج الى قوله الى طاعته

وليسا معهم

وقوله

وقد علمت ان طاعته بسلوك الصراط المستقيم في الدنيا وهو اتباع الدين القيم والعدول عن طاعة الشيطان التي هي
الخروج الى احد طرفي الافراط والتفريط فاشار الى سبب تلك الغاية بقوله بقرآن قد بينه واحكمه وقد علمت اشتمال
القرآن الكريم على الجواذب الالهية الى الطاعة بقوله ليعلم العباد الى قوله انكروه وهي مسئلتان من امهات العلم الالهي
الاولى معرفتهم له بعد جهلهم به والثانية الاقرار به بعد جحدهم له واثباتهم له بعد انكارهم اياه وهو
واحد وان اختلفت العبارتان وهو التصديق بوجوده الا ان يحمل الاقرار على اللسان والجحد به ويحمل الاثبات
والانكار على اثباته بالقلب بعد الانكار به وحينئذ يتغاير المعنيان واشار بتجليه سبحانه في كتابه الى ظهوره
لهم في تذكيرهم فيه بما اراهم من عجائب مصنوعاته وما خوفهم به من وعيده وبتذكيرهم انه كيف
محق من محق من القرون الماضية بالعقوبات واحتصد من احتصد منهم بالنقمات كل ذلك الظهور
من غير رؤية له اذ تعالى عن ادراك الحواس وقال بعض الفضلاء يحتمل ان يريد بتجليه سبحانه في كتابه ظهوره
في عجائب مصنوعاته ومكوناته ويكون لفظ الكتاب استعارة في العالم ووجه المشابهة كونه محلا قابلا للاثار
الصنع المختلفة وعجائب الصور المنقوشة فيه كما ان الكتاب محل لنقش الحروف وكل ذلك من غير رؤية بحاسة البصر
لتعاليه وتقدسه عن ذلك وقوله سياتي الى قوله المنكر اخبار عن زمان ياتي بعده بالصفات المذكورة وقد
رايناه ورات قرون قبلنا فان خفاء الحق وظهور الباطل عليه امر ظاهر وكون الحق لا شيء اخفى منه والباطل
لا شيء اظهر منه على سبيل المبالغة وكذلك لا اكثر من الكذب على الله وعلى رسوله روي عن شعبة وكان امام
المحدثين انه قال تسعة اعشار الحديث كذب وعن الدارقطني ما الحديث الصحيح الا كالشعرة البيضاء في الثور
الاسود وقوله وليس عند اهل الى آخره قد مر تفسيره في الفصل الذي يذم من يتصدى للحكم بين الامة وليس
باهل ونبذ حملة الكتاب له اعراضهم عن تدبر ما فيه والعمل به وتناسي حفظته ايضا تعاميهم عن اوامره
ونواهيه وتغافلهم عن اتباعها وقوله فالكتاب الى قوله وان اجتمعا فاهل الكتاب الملازمون
للعمل به وحيث كان اهل ذلك الزمان المشار اليه غير ملتفتين الى الكتاب كانوا ايضا غير ملتفتين الى العلماء
ومن يعمل به بل يؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه مما يقتضيه احكام الكتاب ويوجبه اتباعه فكان
اعراضهم عنهما ابعادا لهما ونفيا وطردا او الطريق الذي اصطحب فيه الكتاب واهله هو طريق الله الواحد
وصدق انه لا يؤويهما مؤو من اهل ذلك الزمان اللهم اذا وافقا غرضه لكن ذلك ليس للكتاب
والعامل به بل لموافقتهما الغرض وكونهما في الناس اي بوجودهما وكونهما ليسا فيهم لعدم انتفاعهم بهما
والانتفاع بهما فاشبها ما ليس بموجود ولان فائدة الموجود ان ينتفع به وكذلك معهم بالمصاحبة
الاتفاقية في الوجود وليسا معهم لان ضلالتهم لا تجامع هدى الكتاب واهله فكانا متضادين لهم وان اجتمعا
في الوجود وقوله فاجتمع القوم على الفرقة اي اتفقوا على مفارقة الاجماع وما عليه الجماعة اما في وقته عليه السلام
فكالخوارج والبغاة واما فيما يستقبل من الزمان بعده فكالاخذين بالاراء والمذاهب المتفرقة المحدثة في الدين

الله وسلوك صراطه المستقيم واشار الى
غاية تلك الغاية من غاية ...

كالاقرار به

كونه

كذب

والاجتماع على الفرقة فيلزمهم الافتراق عن الجماعة وقوله كانهم ائمة الكتاب تشبيه لهم بالائمة له في الجراة على مخالفة
ظواهره والاختلاف فيه وتفريعه على حسب اغراضهم اذ شان الامام مع المأموم ذلك مع انه امامهم الذي
يجب ان يتبعوه ويقتفوا اثره واذ خالفوه ونبذوه وراء ظهورهم فلم يبق معهم من تمسكهم به الا اسمه وعلم
خطه وزبره دون اتباع مقاصده وقوله ومن قبل ما مثلوا بالصالحين اشارة الى زمن بني امية الكائن
قبل زمن من تخبر عنهم وتمثيل بني امية بالصالحين من الصحابة والتابعين وحملهم لهم على المكروه ونسبتهم
له الى الكذب على الله وجعلهم في الحسنة عقوبة السيئة ظاهر بينهم ووصفه لمن سياتي في ذلك الزمان
بالاوصاف المذكورة لا ينافي وصف من قبلهم من بني امية بمثل تلك الاوصاف وسامع الفعل في حكم
ومحلها الرفع على الابتداء وخبرها من قبل وقوله وانما هلك الى آخره تنبيه على وجوب تقصير الامال في الدنيا
لاستلزام طلبها الهلاك الاخروي واشار الى القرون الماضية من قبل واراد الهلاك الاخروي وجعل
سبب هلاككم طول آمالهم في الدنيا الموجب للاستغراق في لذاتها المبعدة عن الله تعالى مع تغيب آجالهم عنهم
اي تغيبها عنهم وقلة فكرهم فيها وعدم علمهم بتعيينها فان استشعار الاجل موجب للاقلاع عن الانهماك
في اللذات الحاضرة ومنغص لها وقوله حتى نزل بهم الموعود الى آخره ذكر غاية طول امالهم والموعود هو
الموت وترد عنه المعذرة اي لا يقبل فيه معذرة معتذر وترفع عنه التوبة اي بعد بابها حينئذ ولذلك قوله
تعالى وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ الآية
وتحل معه القارعة اي تنزل بمن نزل به الشدائد والاهوال وتتبعها العقوبات الاخروية ثم عاد الى الراي
للسامعين فايتهم ونبههم على وجوب استنصاحه اي ناصحا في قبول اوامره ونواهيه واتخاذ قوله
الى المطالب المهمة فان استنصاحه يستلزم التوفيق واتخاذه دليلا يستلزم الهدى للتي هي اقوم اي
للطريق التي هي اقوم الطرق ثم نبه على حسن جوار الله بالامن الذي هو غاية الجوار وعلى قبح عداوته
بذكر الخوف الذي هو غاية عداوة الملوك خصوصا جبار الجبابرة وملك الدنيا والآخرة واراد بجاره
القريب منه بالطاعة وبعداوته البعيد عنه بالمعصية ومخالفة اوامره ولا شك في كون الاول امنا من
الآخر وفي كون الثاني في محل الخوف والخطر وقوله وانه لا ينبغي لمن عرف الى آخره ارشاد لهم الى التواضع
لله ولمن ارشد الى طريقه ونهي عن التكبر عليهم والنفار عن قبول الحق منهم وخاطب من يعرف عظمة الله
لاحتقاره نفسه عند ملاحظة لنفسه ونسبته لها الى جلال الله فهو اسرع انفعالا واخضع في نفسه
على الله ونبه على حسن التواضع له بذكر عظمته ورفعة العالمين بعظمته فانه لما كان هو العظيم المطلق
عظمة ورفعة لعظيم فاستفادة من جوده والقرب منه وكانت العادة جارية من الملوك في حق من تواضع
لهم وعرفهم حقهم من الاجلال والاكرام وحسن الانقياد ان يرفعوه ويعظموه فبالحري ان يكون رفعه
المتواضع للملك المطلق والعظيم المطلق لازمه عن التواضع له وكذلك العادة جارية منهم بسلامة من استسلم

عن معرفته باقدارهم فبالحري ان يكون سلامة المستسلم لله عن العلم بغلبة قدرته واستيلاء سلطانه لازمة عن
واذ ادبهم بالتواضع لله ولاوليائه نبههم الى قبول الحق منهم وعدم النفار منه التشبيه بنفار الصحيح من الاجرب
والباري من السقيم ووجه الشبه هو شدة النفار ثم عاد الى تنفيرهم عن ائمة الضلال وذلك بتنبيههم على
انهم ليسوا عارفين بالرشد المعرفة الصحيحة ولا آخذين بميثاق الكتاب ولا متمسكين به الاخذ والتمسك
التام ما لم يعرفوا اولئك الضالين وانما شرط معرفتهم للرشد بمعرفتهم تاركه لان المعرفة التامة للرشد بل لكل
شيء تستدعي معرفة ما عليها من الشكوك والشبهات التي هي سبب التشكك فيها وترك العمل على وفقها ولما
كان الرشد هو الحق الذي هو عليه هو وتابعوه وكان التارك لذلك هم مخالفوه وخصومه في الامر من ائمة
الضلال لا جرم كان من تمام معرفة الحق في يده والرشد الذي يدعو اليه معرفة خصومه وانهم على شبهة اذا
عرفها طالب الحق تمت معرفته بطريق الرشد فسلكها ونفر عمن نكب عنها وكذلك شرطه لاخذهم بميثاق
الكتاب والعمل بما فيه بمعرفتهم لمن نقضه من خصومه اي ان اخذهم بما يعمل به عليه السلم منه لا يتم منهم الا
ان يعرفوا شبهة ناقضه وهو العامل بخلاف حكمه عليه السلم على وفق الكتاب لشبهة حتى اذا اطلعوا على
كيفية فسادها وضلاله بها اخذوا بميثاق الكتاب على بصيرة وعلموا ان ناقضه لم ينقض وا عنه وكذلك شرط
تمسكهم بالكتاب ولزومهم لميثاقه بمعرفة نابذه وان ضال لتحصل النفرة عنه فيتم التمسك به ويتأكد
لزوم ميثاقه وغاية كل ذلك التنفير عن ائمة الضلال بمعرفتهم ومعرفة ما هم عليه من الشبه والتبري منهم
ثم بعد ان نبه على تلك المعرفة امر بالتماسهما من عند اهلها والاشارة بهم الى نفسه واهل بيته عليهم السلم واستعار
لهم وصفي عيش العلم اي حيوته وموت الجهل ووجه الاستعارة الاولى انهم يكون وجود العلم والانتفاع
به ووجه الثانية ان بهم يكون عدم الجهل وعدم التضرر به كما يكون بموت الشرير عدمه وعدم مضرته
وقوله هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم اي يدلكم منطقهم بالحكمة وسيرتهم على وفقها على كمال نفوسهم بالعلوم
وصمتهم عن منطقهم فان لصمت المطبق للسن ذي الحكمة الغريزة وقارا وهيبة وحالة تكون قرائن دالة على
حسن منطقه وعلمه بما يقول وكذلك ظاهرهم عن باطنهم وقوله لا يخالفون الدين اشارة الى لزومهم لاوامر
الله وطريق شريعته ولا يختلفون فيه اشارة الى اتفاق آرائهم على احكامه عن كمال علومهم به فانه لما
كان طريقا واحدا واتفقوا على معرفته وجب ان لا يختلفوا فيه ولا يضل احدهم عن حكم من احكامه حتى
يخالف صاحبه فيه وقوله فهو بينهم شاهد صادق اي شاهد يستدلون به على الاحكام والوقائع
النازلة بهم وبغيرهم لا يكذب من حيث هو شاهد وصامت ناطق لكونه حروفا واصواتا واما نطق
بالسنتهم فهو بمنزلة الناطق واللفظان استعارة ووجهها الافادة مع النطق به وعدمها مع السكوت
عنه كافادة الناطق وعدم افادة الصامت **ومن كلام له عليه السلم** في ذكر اهل البصرة كل واحد منهما
يرجو الامر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان الى الله بحبل ولا يمدان اليه بسبب كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه

وعما قليل يكشف قناعه به والله لئن اصابوا الذي يريدون لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين هذا على هذا قد
قامت الفئة الباغية فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن وقدم لهم الخبر ولكل ضلة علة ولكل ناكث
شبهة والله لا اكون كمستمع اللدم يسمع الناعي ويحضر الباكي **اقول** مت اليه بكذا اي تقرب اليه بسبب
الحقد والغل والمحتسبون طالبو الاجر والثواب واللدم ضرب الصدر باليد مثل الحزين والضمير في منهما
الى طلحة والزبير والامر امر الخلافة وذلك حين خرجا الى البصرة مع عائشة ويعطفه اليه يجذبه الى نفسه ويرى
انه احق به من صاحبه وقوله لا يمتان الى قوله بسبب اي لا حجة لهما يستندان الى الله تعالى بها في قتالهما الا عليه
وهلاك المسلمين فيما بينهم وقوله كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه اي في صدره غل عليه وعما قليل
وينكشف واستعار لفظ القناع لظاهر الساتر لباطنه وذلك مثل يضرب لمن يتألف صاحبه ويظهر له
مع حسده وعقوقه له في الباطن والعرب تضرب بالضب المثل في العقوق فيقال اعق من ضب وذلك انه
ربما اكل حسوله ثم اقسم لئن اصابوا بغيتهم لينتزعن هذا نفس هذا وليأتين عليه اي يسعى كل منهم في قتل صاحبه
وهذا مما لا شك فيه فان العادة جارية بعدم قيام الامرين معا وسره ان الطباع البشرية متشاحة على الكمال
ويتفاوت ذلك التشاح بحسب تفاوت ذلك الكمال في تصور قوته وضعفه ولا شيء في نفوس طالبي الدنيا
اعظم من الملك خصوصا في نفس من يعتقد انه يقدر على تحصيل الآخرة فيه ايضا فان تحصيل الدنيا والآخرة
هي اكمل الكمالات المطلوبة للانسان ولا شيء يقاوم هذا المطلوب في النفوس فربما سعى في تحصيله بكل ممكن من
قتل الولد والوالد والاخ ولذلك قيل الملك عقيم وقد نقل عن هذين الرجلين الاختلاف قبل اصطلحهما بينهما
وقبل وقوع الحرب فاختلفا في الاحق بالتقديم في الصلوة فاقامت عائشة محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير يصلي
هذا يوما وهذا يوما الى ان ينقضي الحرب ثم ان عبد الله بن الزبير ادعى ان عثمان نص عليه بالخلافة
يوم الدار واحتج على ذلك باستخلافه له في الصلوة واحتج تارة بنص صريح ادعاه وطلب طلحة ان يسلم الناس
عليه بالامرة وادلى اليها بالسبب وادلى الزبير اليها باختصاصه فامرت الناس ان يسلموا عليهما معا بالامرة
واختلفا في تولي القتال فطلبه كل واحد منهما اولا ثم نكل عنه واحوالهم في ذلك ظاهرة وقوله قد قامت الفئة
الباغية اشارة اليهم وهم الناكثون الذين نقل فيما سبق فيهم الخبر امرت ان اقاتل الناكثين والقاسطين
والمارقين وقوله فاين المحتسبون وقد سنت لهم السنن اي اين طالبو الثواب من الله بعد وضوح الطرق
وروي فاين المحسنون وقوله وقدم لهم الخبر اي اخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله عن خروج فئة
باغية وناكثة ومارقة فبالحري ان يحذر هؤلاء ان يكونوا ممن اخبر عنهم وقوله ولكل ضلة علة اي لكل
خروج عن سبيل الله علة واشار الى علة خروج هذه الفرقة عن الدين وتلك العلة هي البغي والحسد ولكل
ناكث شبهة تغطي عين بصيرته عن النظر الى وجه الحق كطلبهم بدم عثمان وقوله والله لا اكون الى آخره اقسم
انه لا يكون كذلك اي انه بعيد مما عليه هؤلاء وجلبهم عليه وتهديدهم اياه لا ينام عنهم ويصبر لهم حتى

فيكون في المرء ويمكن يسمع الضرب والبكاء الذي هو مظنة الخطر ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهدة الحال ويحضر الباكي
وقد كان الاولى به ان يكتفي بذلك السماع لظهور دلالته ويأخذ في الاستعداد للعدو والهرب منه **ومن كلام**
له عليه السلام قبل موته **ايها الناس كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره والاجل مساق النفس والهرب منه موافاة**
كم اطردت الايام ابحثها عن مكنون هذا الامر فابى الله الا اخفاءه هيهات علم مخزون اما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئا
ومحمدا فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين واوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا حمل
كل امرئ منكم مجهوده وخفف عن الجهلة رب رحيم ودين قويم وامام عليم غفر الله لي ولكم انا بالامس صاحبكم
وانا اليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان تثبت الوطأة في هذه المزلة فذلك المراد وان تدحض القدم فانا كنا في افياء
اغصان ومهاب رياح وتحت ظل غمام اضمحل في الجو متلفقها وعفا في الارض مخطها وانما كنت جارا جاوركم
بدني اياما وستعقبون مني جثة خلاء ساكنة بعد حراك وصامتة بعد نطوق ليعظكم هدوي وخفوت
اطراقي وسكون اطرافي فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ والقول المسموع وداعي لكم وداع امرئ مرصد
للتلاقي غدا ترون ايامي ويكشف لكم عن سرائري وتعرفونني بعد خلو مكاني وقيام غيري مقامي **اقول** اطردت الايام
صيرتها طريدة لي وشرد الجمل ذهب لوجهه ودحضت القدم زلقت واضمحل فني والمخط الاثر وهذا الفصل
على الوعظ والاعتبار فنبه بالناس وبنفسه اولا على لحوق ضرورة الموت المنفور منه طبعا واحسن بقوله في فراره
فانه لما كان الانسان دائما فارا من الموت ومتوقيا له وكان لا بد له منه لا جرم كان ضروري اللقاء له في فراره
والاجل قد يراد به غاية الحياة الدنيا كما قال تعالى فاذا جاء اجلهم وقد يراد به المدة المضروبة للانسان وهي مدة عمره
واياه عنى هاهنا بقوله والاجل مساق النفس فان مدة بقائها في هذا البدن هو مساقها الى غايتها الاخيرة وقوله
والهرب منه موافاة في غاية اللطف وذلك ان الفار من الموت مثلا بالحركات والعلاجات ونحوها يستلزم
حركاته في ذلك فناء الاوقات وتصرمها وقطع تلك الاوقات مستلزم للملاقاة وموافاته فاطلق لفظ الموافاة
على الهرب مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه وقوله كم اطردت الايام اي صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضا
بالبحث وتعرف مكنون هذا الامر اي الذي يقع له من القتل وذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل ومكانه فان
ذلك مما استأثر الله تعالى بعلمه كقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة وقوله وما تدري نفس باي ارض تموت وان
كان قد اخبر الرسول صلى الله عليه وآله بكيفية قتله مجملا كما روي عنه انه قال ستضرب على هذه واشار الى هامته
فتخضب منها هذه واشار الى لحيته وعنه انه قال له اتعلم من اشقى الاولين قال نعم عاقر الناقة فقال له اتعلم من
الاخرين قال لا قال من يضربك هاهنا فتخضب هذه وانما بحثه عن تفصيل الوقت والمكان ونحوهما من
القرائن المشخصة وذلك البحث اما بالسؤال من الرسول صلى الله عليه وآله مدة حياته وكتمانه اياه او بالفحص والبحث من
من قرائن احواله في سائر اوقاته مع الناس فابى الله ان يخبر عنه تلك الحال هيهات اي بعد ذلك العلم فهو علم مخزون
ثم شرع في الوصية فبدأ بالاهم فالاهم فالاول هو الاخلاص لله بالاعراض عن كل ما سواه وفي ذلك ... ومراده بالحق

وسائر ما نطق به كتابه العزيز الثاني لزوم سنة محمد صلى الله عليه وآله وعدم اهمالها وانما قدم اسم الله ثم محمدا لما بينا ان الواجب في علم البيان تقديم الاهم ثم اكد القول في الامر باتباع التوحيد المطلق والسنة النبوية واستعار لهما لفظ العمودين ورشح بذكر الايقاد ووجه الاستعارة الاولى ان مدار الاسلام ونظام امور المسلمين في معاشهم ومعادهم على توحيد الله ولزوم ما جاء به رسوله كما ان مدار الخيمة وقيامها بالعمود ووجه الثانية ان توحيد الله والاقتداء بما جاء به رسوله مستلزم للهداية في طريقه من ظلمات الجهل قايدا الى جواره في جنات النعيم وهو المطلوب الحقيقي كما يهدي المصباح في الظلام على الطريق الى المطلوب وقوله وخلاكم ذم اي عداكم وهي كلمة تجري مجرى المثل اي عند لزوم توحيد الله وسنة رسوله لا ذم عليكم واول من قالها قصير مولى جذيمة حين حث عمرو بن عدي ابن اخت جذيمة على طلب ثاره من الزباء فقال له عمرو وكيف لي بذلك والزباء امنع من عقاب الجو فقال قصير اطلب الامر وخلاك ذم وقوله ما لم تشردوا استثناء من نفي لحوق الذم لهم اي اوقدوا هذين المصباحين فما دمتم كذلك فلا ذم يلحقكم الا ان تشردوا اي تتفرقوا عما انتم عليه ثم لما كان قد امرهم بلزوم هذين الامرين اللذين يدور عليهما التكليف بين لهم بقوله حمل كل امرئ منكم الى قوله الجهلة ان التكليف بذلك يتفاوت فكل امرئ من العلماء واهل النباهة ومن هو بصدد العلم يحمل مجهوده وطاقته من التنبيه على الادلة وتعليمها واما الجهال كالنساء واهل البادية والزنج ونحوهم من اهل الغباوة فتكليفهم دون ذلك وهو المحسوس من العبادات دون الامر بالتفكر في مقاصدها ثم ذكر ووصف الرحمة للرب لما سبق من ذكر التخفيف عن الجهلة في التكليف ودين قويم لا عوج فيه ولا زيغ عن القصد الحقيقي واما عليم اشارة الى الرسول صلى الله عليه وآله العالم بكيفية سلوك طريق الله وبمراحلها ومنازلها والهادي فيها بما تقتضيه حكمته من القول والعمل او الى نفسه لكونه وارث علمه وسالك مسالكه ورب خبر مبتدا محذوف وتقديره وذلك المكلف رب رحيم ويجوز ان يكون فاعلا لفعل تفسيره قوله حمل وخفف اي حملكم رب كقوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال ثم ختم الوصية بالدعاء لهم وله وطلب المغفرة ثم تمم بالتنبيه لهم على وجه الاعتبار به وهو تصرف حالاته بحسب الازمان فانه كان بالامس صاحبهم في الحرب ومنازعة الاقران وصاحب الامر والنهي فيهم واليوم عبرة لهم بحال مصرعه وضعفه عن الحراك وغدا مفارقهم بالموت وكل هذه التغيرات محل الاعتبار بعد التنبيه لها واراد بغد اما حقيقته ان كان قد غلب على ظنه موته في تلك الواقعة او ما يستقبل من الزمان وان بعد وهذا ارجح لقوله ان تثبت الوطأة في هذه المزلة اي ان يكن لي ثبات في الدنيا وبقاء في هذه المزلة اي محل الزوال عن الحياة فذاك المرجو وكنى بثبات الوطأة عما ذكرناه وبدحض القدم عن عدم ذلك بالموت وقوله في جواب الشرط فانا كنا في افياء اغصان الى قوله مختطها اي وان تمت فانا كنا كذا وكنى بالامور المذكورة عن احوال الدنيا ولذاتها وبقائه فيها وتمتعه بها وقيل استعار لفظ الاغصان للاركان الاربعة من العناصر ولفظ الافياء لما تتروح فيه النفوس من تركيبها

ورشح بذكر الايقاد للمصابيح

فهذا

في هذا العالم ووجه الاستعارة الاولى ان الاركان في مادتها كالاغصان المشجرة ووجه الثانية ان الافياء محل الانس واللذة كما ان الكون في هذا البدن حين صحة التركيب واعتدال المزاج من هذه الاركان كذلك وكذلك استعار مهاب الرياح للابدان ولفظ الرياح للارواح والنفحات الالهية عليها في هذه الابدان ووجه الاولى قبول الابدان لنفحات الجود كقبول مهاب الرياح لها استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه الثانية اظهر من ان يذكر وكذلك لفظ الغمام للاسباب العلوية من الحركات السماوية والاتصالات الكوكبية والارزاق المفاضة على الانسان في هذا العالم التي هي سبب بقائه ووجهها الاشتراك في الافاضة والسببية وكنى بظلها عما يستراح اليه منها كما يقال فلان يعيش في ظل فلان اي في عيشه وعنايته وكنى باضمحلال متلفقها في الجو عن تفرق الاسباب العلوية للبقاء وفنائها وبعفاء مختطها في الارض عن فناء آثارها في الابدان والضمير في متلفقها يعود الى الغمام وفي مختطها يعود الى مهاب الرياح وقوله فانما كنت جارا جاوركم بدني اياما فيه تنبيه على ان نفسه القدسية كانت متصلة بالملأ الاعلى ولم يكن لها ميل الى البقاء في الدنيا ومجاورة اهلها فيها فكانت مجاورته لهم ببدنه فقط وايضا فان المجاورة من عوارض الجسمية فيحتمل ان يكون تنبيها منه على وجود امر آخر غير البدن وهو النفس وكنى بالايام عن مدة حياته الدنيا وقوله وستعقبون اي توجدون في عاقبة امركم مني جثة خالية لا روح بها ولا حراك قد افترقت من تلك المعاني المعهودة لكم من العقل والنطق والقوة فهي متسكة لنا بالحراك السكون ثم عاد الى امرهم بالاتعاظ بذلك الهدوء وخفوت الاطراق وسكون الاطراف بالموت وقوله فانه اوعظ للمعتبرين من المنطق البليغ صاحب اللسن والفصاحة كلام حق فان الطباع اكثر انفعالا واعتبارا عن مشاهدة ما فيه العبرة من الوصف له بالقول المسموع ولو بلغ عبارة ثم اخذ عليه السلام في توديعهم فقوله ودعتكم اي الاخرى وقوله وداع امرئ مرصد للتلاقي اي معد ومهيا للقاء الله وقوله غدا ترون ايامي الى آخره تذكير لهم بفضيلته وتنبيه عليها ليثبت شعورهم على اتباعه والغافلون عن فضله ومحله بينهم اذا فارقهم وولي امرهم الظالمون بعده فلا بد ان ينكشف لهم ما كان مغطى عن اعين بصائرهم من لزومه للقصد في سبيل الله ويعرفون منزلته وفضله حين مشاهدة المنكرات ممن يقوم مقامه خلفا في الناس وان وقايعه وحروبه وحرصه على هذا الامر لم يكن لنيل دنيا بل لاقامة سنن العدل ورضاء الله تعالى

ومن خطبة له عليه السلام يومي فيها الى الملاحم واخذوا يمينا وشمالا ظعنا في مسالك الغي وتركا لمذاهب الرشد فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد فكم من مستعجل بما ان ادركه ود انه لم يدركه وما اقرب اليوم من تباشير غد يا قوم هذا ابان ورود كل موعود ودنو من طلعة ما لا تعرفون الا وان من ادركها منا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال الصالحين ليحل فيها ربقا ويعتق رقا ويصدع شعبا ويشعب صدعا في سترة عن الناس لا يبصر القائف اثره ولو تابع نظره ثم ليشحذن فيها قوم شحذ القين النصل تجلى بالتنزيل ابصارهم ويرمى بالتفسير في مسامعهم

ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح **أقول** ابان الشيء بكسر الهمزة وتشديد الباء وقته والربق بكسر الراء وتسكين
الباء حبل فيه حلقة عرى تشد به البهم والصدع الشق والشعب اصلاحه والشحذ التحديد والقين الحداد والغبوق
الشراب بالعشي والصبوح الشرب بالغداة فقوله عليه السلم فاخذوا يمينا وشمالا الى قوله الرشد اشارة الى من
ضل من فرق الاسلام عن طريق الهدى التي عليها الكتاب والسنه وسلكوا طرفي الافراط والتفريط منها كما قال
عليه السلم فيما قبل اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة وقد سبق تفسير ذلك مستوفى وذلك
التي لطراف الرذايل من الفضائل التي عددناها كالحكمة والعفة والشجاعة والعدالة ولوازمها ومذاهب الرشد هي
الفضائل وطعنا وتركا مصدران قاما مقام الحال وقوله فلا تستعجلوا ما هو كاين مرصد ذلك الاستعجال اشارة
الى ما كانوا يتوقعونه من الفتن التي اخبر الرسول صلى الله عليه وآله عن وقوعها في المستقبل وكانوا في اكثر الوقت
يسالونه عليه السلم عنها فقال لا تستعجلوا ما هو كاين اى لا بد من وقوعه وهو مرصد معد ولا تستبطئوا ما يجي به
الغد اى من الفتن والوقايع وقوله فكم من مستعجل الى قوله لم يدركه ذم للاستعجال والاستبطاء وهذا المدعو
كقوله تعالى عسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وما اقرب اليوم من تباشير غد اى من البشرى بعد لقربه كقول الله
ما غد ما اقرب اليوم من غد وكقوله وان غدا للناظرين قريب ثم اخذ في تقريب ذلك الموعود من الفتن فقال
هذا ابان كل موعود به ووقت دنو ظهور ما لا تعرفون من تلك الامور بالتفصيل وقوله الا وان من ادركها
اى من ادرك تلك الفتن من اهل بيته الايمة الاطهار يسري فيها بسراج منير واستعار لفظ السراج لكمال
نفسه التي استضاءت بها في طريق الله من العلوم والاخلاق الفاضلة ولفظ المنير ترشيح وهو اجار من
معرفة الحق وتمييزه من الباطل وان تلك الفتن لا توقع له شبهة ولا تاثير لها في عقيدته الصادقة الصافية بل
يتصرف فيها استنادا لانوار الله على صراطه المستقيم لا يلوي عنه ساق بل يقتفي فيها اثر آبائه الصالحين
ويلزم مكارم الاخلاق فيحل ما انعقد فيها واشكل على الناس من الشبه ويفك ربق الشك من اعناق
نفوسهم او يقتدي فيها الاسرى فيفك ربق اسرهم ويعتقهم ويصدع ما انشعب والتأم من ضلال يمكنه
صدعه ويشعب مما انصدع من امر الدين ما امكنه شعبه في ستر عن الناس لا يبصر القايف اثره ولو تابع اليه
النظر ومازالت ايمة اهل البيت عليهم السلم مغمورين في الناس لا يعرفهم الا من عرفوه انفسهم حتى في
فرقهم من لا يريدون معرفته لهم لم يعرفهم ولست اقول لم يعرف اشخاصهم بل لا يعرف انهم اهل الحق والاحق
بالامر وقوله ثم ليشحذن فيها قوم اى في اثناء ما ياتي من الفتن تشحذ اذهان قوم وتعد لقبول العلوم والحكمة
كما يشحذ الحداد النصل ولفظ الشحذ مستعار لاعداد الاذهان ووجه الاستعارة الاشتراك في الاعداد التام
النافع فهو يمضي في مسائل الحكمة والعلوم كمضي النصل فيما يقطع به وهو وجه التشبيه المذكور ثم اخذ في تفسير
ذلك الشحذ والاعداد فقال يجلى بالتنزيل ابصارهم اى تحد بالقرآن الكريم ودراسته وتدبر ابصار بصائرهم
لادراك الحكمة واسرار العلوم وذلك لاشتمال التنزيل الالهي عليها ويرمى بالتفسير في مسامعهم اى يلقى اليهم تفسير

على وجهه من امام الوقت ثم عبر عن اخذهم الحكمة ومواظبتهم على تلقيها ابدا واستعدادهم لها بالغبوق والصبوح
ولفظا الصبوح والغبوق مستعاران لكونهما حقيقتين في الشرب المخصوص المحسوس وهؤلاء المشار
اليهم بالاستعداد للحكمة واخذها هم علماء الامة من جاء منهم قبلنا ومن في آخر الزمان من المستعدين لكمالات
النفوس السالكين لسبيل الله المرتضين في نظره ونظر الايمة من ولده بعده **منها** وطال الامد بهم ليستكملوا
الخزي ويستوجبوا الغير حتى اذا اخلولق الاجل واستراح قوم الى الفتن واشتالوا عن لقاح حربهم لم يمنوا على الله
بالصبر ولم يستعظموا بذل انفسهم في الحق حتى اذا وافق وارد القضاء انقطاع مدة البلاء حملوا بصائرهم على
اسيافهم ودانوا لربهم بامر واعظهم حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه وآله رجع قوم على الاعقاب وغالتهم
السبل واتكلوا على الولايج ووصلوا غير الرحم وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رص
اساسه فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة وابواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة وذهلوا
في السكرة على سنة من آل فرعون من منقطع الى الدنيا راكن ومفارق للدين مباين **أقول** الامد الوقت و
الاشتيال الرفع والوليجة البطانة وهي خاصة الرجل من اهله وعشيرته ورص الاساس احكامه وما
تحركوا وهذا الفصل يستدعي كلاما منقطعا قبله لم يذكره الرضي رحمه الله وقد وصف فيه فئة ضالة
قد استولت وملكت واملى لها الله سبحانه وقوله وطال بهم الامد بهم ليستكملوا الخزي كقوله تعالى انما نملي
لهم ليزدادوا اثما الآية وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا وقوله حتى اذا اخلولق الاجل اى صار خلقا وهو كناية عن بلوغهم غاية مدتهم المكتوبة في
علم القضاء الالهي في اللوح المحفوظ وقوله استراح قوم الى الفتن اشارة الى من يبتلى بالوقايع التي ستقع
آخر الزمان من شيعة الحق وانصاره ويستريح اليها اى يجد في اشتغال القوم بعضهم ببعض راحة له في الانجماع
والعزلة والخمول واشتيالهم عن لقاح حربهم رفعهم لانفسهم عن تهييجها واستعار لفظ اللقاح بفتح اللام
لاثارة الحرب ملاحظة لشبهها بالناقة وقوله لم يمنوا جواب قوله حتى اذا اخلولق والضمير في يمنوا قال
بعض الشارحين انه عايد الى العارفين الذين ذكرهم في الفصل السابق بقوله حتى اذا التقى هؤلاء السلم الى
هذه الفية الضالة عجزوا واستراحوا من منابذتهم الى فتنتهم تقية منهم انهض الله اولئك الذين خصهم بحكمته
واطلعهم على اسرار العلوم فنهضوا ولم يمنوا على الله تعالى بالصبر في طاعته وفي رواية بالنصر اى بنصرهم له ولم
يستعظموا ما بذلوه من نفوسهم في طلب الحق حتى اذا وافق القدر الذي هو وارد القضاء وتفصيله وانقطاع مدة
هذه الفئة وارتفاع ما كان يشمل الخلوص من بلايهم حمل هؤلاء العارفون بصائرهم على اسيافهم وفيه معنى لطيف
وبيانه انهم اظهروا عقايد قلوبهم للناس وكشفوها وجردوها مع تجريد سيوفهم فكانهم حملوها على سيوفهم فهي في
غاية الجلاء والظهور كما هي في السيوف المجردة ومنهم من قال اراد بالبصاير جمع بصيرة وهي الدم فكانه اراد طلبوا بثارهم
والدماء التي سفكتها تلك الفية فكانت تلك الدماء المطلوب ثارها محمولة على اسيافهم المجردة للحرب واشار بموانه

الى الامام القايم واقول يحتمل ان يريد بالضمير في يمنوا وما بعده القوم الذين استراحوا الى الفتنة واشتالوا عن
لقاح الحرب وذلك انهم لم يفعلوا ذلك الا لانه لم يوذن لهم في القيام حين استراحتهم والقايم المستحق
ولم يتمكنوا من مقاومتهم لعدم قيام القايم بالامر وكانوا حين سالمتهم صابرين على مضض من الم المنكر الذي
يشاهدونه غير مستطيعين لبذل انفسهم في نصرة الحق لو ظهر من يكون لهم ظهرا يحوزونه الى الحق حتى اذا ورد القضاء
بانقطاع مدة بلاء هذه الفتنة وظهور من يقوم بنصر الحق ودعا اليه حمل هولاء بصايرهم على اسيافهم وقاموا
لربهم بامر من يقوم فيهم واعتقدوا بحق ونادوا لعبادة وهذا المحل يرجح عود الضمير الى الاقرب وهم القوم وقوله
حتى اذا قبض الله رسوله الى آخره هذا الفصل منقطع عما قبله لان صريحه ذكر غاية لاقتصاص حال جاء الرسول
صلى الله عليه وآله وحال الناس قبله ومعه وليس في الكلام المتقدم شي من ذلك اللهم الا ان يحمل
الامد بهم في الكلام المتقدم على من كان من اهل الضلال قبل الاسلام حتى اذا اخلولق اجلهم واستراح
قوم منهم الى الفتن والوقايع بالنهب والغارة واشتالوا عن لقاح حربهم اي اعدوا انفسهم لها كما تعد الناقة
نفسها بشول ذنبها للقاح لها اي ترفعه وقت ... شايلا ويكون الضمير في قوله لم يمنوا راجعا الى ذكر من سبق للصحابة
في هذه الخطبة حين قام الرسول صلى الله عليه وآله فيهم ونهبهم الحرب فلم يمنوا على الله بصبرهم معه في
نصرة الحق ولم يستعظموا بذل انفسهم له حتى اذا وافق وارادة القضاء انقطاع مدة البلاء بدولة الجاهلية
والكفر حمل هولاء الذين لم يمنوا على الله بنصرهم بصايرهم اي ما كانوا يخفونه من الاسلام في اوله على سيوفهم
اي كشفوا عقايدهم كما سبق القول فيه او دماؤهم وثاراتهم من الكفار ودانوا لربهم بامر واعظهم وهو
الرسول صلى الله عليه وآله وحينئذ يصلح قوله حتى اذا قبض الله رسوله غاية لذلك الكلام على هذا التاويل
وقوله رجع قوم على الاعقاب الى آخره اما على مذهب الامامية فاشارة الى عدول الصحابة بالخلافة عن اهل
بيته عليهم السلم الى الخلفاء الثلثة واما على مذهب من صحح امامة الخلفاء الثلثة فيحتمل ان يريد بالقوم الراجعين
على الاعقاب من خرج عليه في زمن خلافته من الصحابة كمعوية وطلحة والزبير وغيرهم ونقضوا ان عيرهم الله
بهامته ومن اولاده والرجوع على الاعقاب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الانقياد للشرع ... و
ورسوله ووصيته باهل بيته وغيلة السبل لهم كناية عن اشتباه طرق الباطل بالحق واستراق طرق الباطل
لهم واهلاكها اياهم وهي الشبه المستلزمة للاراء الفاسدة كما يقال في العرف اخذته الطريق الى مضيق وهي
مجاز في المفرد والمركب اما في المفرد فلان سلوكهم لسبل الباطل لما كان عن غير علم منهم بكونها باطلة اطلقت
على المطل عليه لفظها واما في المركب فلان اسناد الغيلة الى السبل ليس حقيقة اذ الغيلة من فعل العقلاء واتكالهم
على الولايج اعتماد كل من راي منهم رايا فاسدا على اهله وخواصه في نصرة ذلك الراي ووصلوا غير الرحم اي
رحم الرسول صلى الله عليه وآله وتركوا المضاف اليه للعلم به وكذلك هجروا السبب الذي امروا بمودته
يريد اهل البيت ايضا وظاهر كونهم سببا لمن اهتدى بهم في الوصول الى الله سبحانه كما قال الرسول صلى الله عليه

وآله خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي حبلان ممدودان من السماء الى الارض لن يفترقا حتى يردا علي
الحوض فاستعار لهم لفظ الحبل والسبب في اللغة الحبل وامرهم بمودته كما في قوله تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا
الا المودة في القربى وقوله ونقلوا البناء عن رص اساسه فبنوه في غير موضعه اشارة الى العدول بالخلافة
عنه وعن اهل بيته الى غيرهم وصلة غير الرحم خروج عن فضيلة العدالة الى رذيلة الظلم وعلم ...
الغري رذيلة التفريط من تلك الفضيلة الداخلة تحت العفة وكذلك نقل البناء عن موضعه دخول في رذيلة
الظلم ثم وصفهم وصفا اجماليا بكونهم معادن كل خطيئة اي انهم مستعدون لقبول كل خطيئة ومهيئون
لها فهم مظانها ولفظ المعادن استعارة وكذلك ابواب كل ضارب في غمرة واستعار لفظ الابواب
لهم باعتبار ان كل من دخل في غمرة جهالة او شبهة يثير بها فتنة واستعان بهم فتحوا له ذلك الباب
وحسنوا له رايه فكانهم بذلك ابواب له الى مراده الباطل يدخل منها وقوله قد ماروا في الحيرة اي ترددوا
في امرهم فهم حايرون لا يعرفون جهة الحق فيقصدونه وذهلوا اي غابت اذهانهم في سكرة الجهل فهم على
سنة من آل فرعون وطريقته وانما ذكر السنة لانه يريد بها تشابههم في بعض طرايقهم وآل فرعون اتباعه
وقوله من منقطع الى الدنيا الى آخره تفصيل لهم باعتبار كونهم على سنة من آل فرعون فمنهم المنقطع الى الدنيا
المنهمك في لذاتها المكب على تحصيلها ومنهم المفارق للدين المباين له وان لم يكن له دنيا والمنفصلة ...
الخلو بالنسبة الى المشار اليهم ويحتمل ان يريد مادة الجمع وحينئذ مفارق الدين الى من ليس له ركون الى الدنيا كبعض
ممن يدعي الزهد مع كونه جاهلا بالطريق فتراه ينفر من الدنيا ويحسب انه على شي مع ان جهله بكيفية سلوك
سبيل الله يقوده يمينا وشمالا عنها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** واستعينه على مداحر الشيطان
ومزاجره والاعتصام من حبايله ومخاتله واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ونجيبه وصفوته لا يوازي فضله ولا يجبر فقده اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة والجهالة الغالبة والجفوة
الجافية والناس يستحلون الحريم ويستذلون الحكيم يحيون على فترة ويموتون على كفرة ثم انكم معشر العرب اغراض
بلايا قد اقتربت فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق النقمة وتثبتوا في قتام العشوة واعوجاج الفتنة
عند طلوع جنينها وظهور كمينها وانتصاب قطبها ومدار رحاها تبدا في مدارج خفية وتؤول الى فظاعة جلية
شبابها كشباب الغلام وآثارها كآثار السلام يتوارثها الظلمة بالعهود اولهم قايد لآخرهم وآخرهم مقتد
باولهم يتنافسون في دنيا دنية ويتكالبون على جيفة مريحة وعن قليل يتبرا التابع من المتبوع والقايد من المقود
فيتزايلون بالبغضاء ويتلاعنون عند اللقاء ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف والقاصمة الزحوف
فتزيغ قلوب بعد استقامة وتضل رجال بعد سلامة وتختلف الاهواء عند هجومها وتلتبس الاراء عند
نجومها من اشرف لها قصمته ومن سعى فيها حطمته يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة وقد اضطرب معقود
الحبل وعمي وجه الامر تغيض فيها الحكمة وتنطق فيها الظلمة وتدق اهل البدو بمسحلها وترضهم بكلكلها

في ضبارها الوجدان ويهلك في طريقها الركبان تردّ بمر القضاء وتحلب عبيط الدماء وتثلم منار الدين وتنقض
عقد اليقين تهرب منها الاكياس وتدبّرها الارجاس مرعاد مبراق كاشفة عن ساق تقطع فيها الارحام
ويفارق فيها الاسلام بريّها سقيم وظاعنها مقيم اقول المداحر جمع مدحر وهي الامور التي يهلك بها ويطرد
ومخايلها مخايل غروره التي يخيل لولي الناس بها ويوهمهم انها نافعة والبوائق جمع بائقة وهي الداهية و
فتح القاف الغبار والعشوة بكسر العين الامر على غير بيان ووضوح والقطاعة تجاوز الامر الشديد الحد
والمقدار والسلام بالكسر الحجارة الصم واحدها سلمة بكسر اللام والريحة المنتنة وبين الملون يتقارب
ونجومها طلوعها واشرف لها اي انتصب لدفعها والتكادم التعاض بادني الفم والعانز القطيع من حمر
الوحش والمسحل المبرد والمسحل حلقة تكون في طرف شكيمة اللجام مدخلة في مثلها والوجدان جمع وجد
والعبيط الخالص الطري وقد صدر هذا الفصل باستعاذة الله تعالى على ما يدحر الشيطان ويزجره وذلك
العبادات والاعمال الصالحة المستلزمة لطرده وزجره وتطويعه وعلى الاعتصام من حبائله وهي الشهوات
واللذات الدنيوية واستعار لها لفظ الحبائل وهي اشراك الصائد لمشابهتها اياها في استلزام الحصول
فيهما البعد عن السلامة والحصول في العذاب ومن ممادح الرسول صلى الله عليه وآله كونه نجيا لله
مختارا وروي نجيبه وصفوة لدمن خلقه لا يوازي فضله اي لا يحصل مثله في احد اذ كان كمال قوته
النظرية والعملية غير مدرك لاحد من الخلق ومن كان كذلك لم يجبر فقده الا بقيام مثله من الناس
مثل له فيهم فلا جبران لفقده وقوله اضاءت به البلاد بعد الضلالة اي ضلالة الكفر ووصفها بالمظلمة
الاهتداء فيها الحق والوصف مستعار وكذلك وصف الاضاءة به مستعار لاهتداء الخلق به في معاشهم
واسناد الاضاءة الى البلاد مجاز والجهالة الغالبة على اكثر الخلق واراد الجهل بالطريق الى الله تعالى وبكيفية
المعاش بما بينه هو وكشفه بشريعته والجفوة الجافية يريد غلظة العرب وما كانوا عليه من فساق
وسفك الدماء ووصفها بما اشتق منها مبالغة وتاكيدا لها واراد الجفوة القوية والناس يستحلّون الحريم
للجال والعامل اصاب ويستذلون الحليم وظاهر من عادة العرب الى الآن استذلال من عقل منهم
الغارة والنهب واثارة الفتن واستهضامه ونسبته الى الجبن والضعف ويحيون على فترة اي على حال
الوحي والرسل وتلك حال انقطاع الخير وموت النفوس بداء الجهل ويموتون على كفرة وهي الفعلة من الكفر
لاهل كل قرن حيث لا هادي لهم ثم اخذ عليه السلم في انذار السامعين باقتراب حوادث الوقايع
التي يرمون بها كما يرمى الغرض بالسهام واستعار لفظ الغرض لهم ولما كانت الفتن الحادثة كثيرة
واهلاكهم مثلا بحسب استعدادهم لذلك وكان اكثر الاسباب المعدة لهم الغفلة عن ذكر الله بالانهماك
في نعم الدنيا ولذاتها استعار للغفلات لفظ السكرات ثم امر باتقائها وحذر من دواهي النقمات بسبب
كفران النعم ثم امر بالتثبت او التبين على الروايتين عند اشتباه الامور عليهم وظهور الشبهة المتبوع للفتنة

كشبهة قتل عثمن التي نشأت منها وقايع الجمل وصفين والخوارج واستعار لفظ القتام لذلك الامر المشتبه ووجه
المشابهة كون ذلك الامر مما لا يهتدى فيه كما لا يهتدي القايم في القتام عند ظهوره وخوضه و
اعوجاج الفتنة اتيانها على غير وجهها ولفظ الجنين يحتمل ان يكون حقيقة اي عند طلوع ما اجتن منها
وخفي عليكم وكذلك كمينها اي ما كمن منها واستتر ويحتمل ان يكون استعارة وعنى بقطبها من تدور
من البغاة المنافرين استعارة وانتصاب قيامه لذلك الامر وكذلك استعار لفظ مدار الرحى لدوران الفتنة على
تدور عليه من انصار ذلك القطب وعسكره الذين تدور عليهم الفتنة ثم اخبر انها تبدأ في مدارج خفية
واراد بالمدارج صدور من ينوي القيام فيها ويعقد على اثارتها وكان هذا اشارة الى فتنة بني امية وقد
كان مبدأها شبهة قتل عثمن ولم يكن احد من الصحابة يتوهم خصوصية هذه الفتنة وانما كانوا علموا
من الرسول صلى الله عليه وآله حدوث وقايع وفتن غير معينة الازمان ولا من يثيرها ويكون خطبا لها فقها
مدالجها كتمان معوية وطلحة والزبير وغيرهم لامورهم وما عزموا عليه من اقامة الفتنة والطمع في الملك وما الذي
حتى اكد ذلك الطمع الى الامور القطيعة الواضحة بعد الخفاء واستعار لفظ الشباب لقيامها وظهورها في الناس
ووجه المشابهة السرعة في الظهور ولذلك اكدها بتشبيه ذلك الظهور بشباب الغلام اي في السرعة
سرعتها لها آثار في هدم الاسلام كآثار الحجارة الصم في الجلد ووجه الشبه افسادها الدين ونظام المسلمين
كافساد الحجر ما يقع عليه بالرض والكسر واشار بالظلمة التي يتوارثونها الى بني امية يعهد الاب لابنه الى آخرهم وذكر
قوما ولهم لآخرهم الى النار والدخول في الظلم والضلالة واثارة تلك الفتن واستعار لفظ القود لتهيئة الاول
منهم اسباب الملك لمن بعده واقتداء آخرهم باولهم في ذلك وضمير المفعول في يتوارثونها يرجع الى الملك
الفتنة ثم اشار الى صفة حالهم في اثارة تلك الفتن وتوارثها وهي المنافسة في الدنيا الدنية في نظر العقلاء
واستعار وصف التكالب لجاذب بعضهم لبعض عليها كالتجاذب بين الكلاب على الميتة واستعار
لها لفظ الجيفة ورشح بذكر المريحة للتنفير عنها ووجهها كونها مستلزمة لاذى طالبها وهربا
منها للعقلاء كالهرب من الجيفة المنتنة والابتعاد عنها ثم اخبر بانقضائها عن قليل وكنى عن ذلك
بتبرء التابع من المتبوع والقايد من المقود اي يتبرء كل من الفريقين من الآخر كما قال الله تعالى اذ تبرّء
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وقوله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا وذلك التبرء
قيل عند ظهور الدولة العباسية فان العادة جارية بتبرء الناس من الولاة المعزولين خصوصا عند الخوف
ممن تولى عزل اوليك او قتلهم فيتباينون بالبغضاء اذ لم يكن الفتهم ومحبتهم الا لغرض دنياوي زائل
عند اللقاء وقيل ذلك يوم القيمة وقوله وعن قليل الى قوله عند اللقاء جملة اعتراضية مؤكدة لها معنى
منهم فكانه قال انهم على تكالبهم عليها عن قليل يتبرء بعضهم من بعض وذلك ادعى لهم الى ترك التكالب عليها
وقوله ثم ياتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف وكان هذه الفتنة هي فتنة التتار اذ الداين فيها على العرب

وقال بعض الشارحين بل ذلك اشارة الى الملحمة الكائنة فى آخر الزمان كفتنة الدجال وكنى عن اهوالها
واضطراب اهل الاسلام فيها بكونها رحوة اى كثيرة الرحف وطالعها مقدما تها واوائلها وكنى بقصمها عن
اهلاك الخلق فيها واستعار لها لفظ الزحوف ملاحظة لشبهها بالرجل الشجاع كثير الزحف فى الحرب
اقر اثرا اى يمشى اليهم قدما ثم شرع فى بيان اعمال تلك الفتنة بالناس من ازاغة قلوب قوم عن سبيل
بعد استقامتها عليه وضلال رجال اى هلاكهم فى الآخرة بالمعاصى بعد سلامتها والاختلاف
عن ارادة الله بعصومها والتباس الآراء الصحيحة بالفاسدة عند ظهورها على الناس فلا يهتدون
من غير من تطلع الى مقاومتها وسعى فى دفعها اهلك واستعار لفظ التكادم اما المغالبة منهم
الفتنة بعضهم لبعض او لمغالبتهم لغيرهم وشبه ذلك بتكادم الحمر فى العانة ووجه التشبيه المغالبة
الايماء الى خلعهم ربق التكليف من اعناقهم وكثرة غفلتهم عما يراد بهم فى الآخرة واستعار معقود الحبل لما
كان انبرم من دولة الاسلام واستقام لفظ الحبل للدين وكنى باضطرابه عن عدم استقرار قواعد
عند ظهور اول هذه الفتنة وعمى وجه هذا الامر اى عدم الاهتداء الى وجه المصلحة واشار بالحكمة التى
فيها الى الحكمة الخلقية التى عليها مدار الشريعة وقلتها واستعار لفظ الغيض لعدم ظهورها والانتفاع بها
وينطق فيها الظلمة اى بالامر والنهى وما يقتضيه آراؤهم الخارجة عن العدل واستعار لفظ المسحل لما تؤذى
العرب واهل البادية ووجه المشابهة اشتراك المبرد وشكيمة اللجام وما تؤذى به العرب من هذه الفتنة
فى الابتداء فكانها شجاع ساق عليهم فدقهم بشكيمة فرسه او نحو ذلك وكذلك استعار لفظ الكلكل لما يلقى
البدو منها ملاحظة لشبهها بالناقة التى تبرك على الشئ فتسحقه وقوله يضيع فى غبارها الوحدان ويهلك فى
طريقها الركبان كناية عن عظمتها اى لا يقاومها احد ولا يخلص منها الوحدان والركبان ولفظ الغبار
للقليل اليسير من حركة اهلها اى ان القليل من الناس اذا اراد دفعها هلكوا فى غبارها من دون ان
فى غمارها واما الركبان وكنى بهم عن الكثير من الناس فانهم يهلكون فى طريقها وعند خوضها وقيل اراد
نصادم الوقت اذ يقال فلان واحد وقته وبالغبار الشبهة التى تغطى الحق عن اعينهم ويكون الركبان كناية
عن الجماعة اهل القوة واذا كان هؤلاء يهلكون فى طريقها اى عند الخوض غمراتها فكيف غيرهم وكنى
عن القتل والاسر ونحوهما وظاهر كون الواردات المؤذية او النافعة واردة عن القضاء الالهى معلومة الكون
استعار وصف الحلب لها ملاحظة لشبهها بالناقة وكنى بذلك عن سفك الدماء فيها وسلب الدين
وهم علماؤه ويحتمل ان يريد قوانينه الكلية وثلمها عبارة عن قتل العلماء وهدم قواعد الدين وترك العمل
وعقد اليقين هو الاعتقاد الموصل الى علم اليقين او الى عين اليقين وهو اعتقاد الشريعة وايصال ذلك الى
الله تعالى والقرب منه ونقضه هو تركها العمل على وفقه عن تبين وتبدل والاكياس الهاربون منها هم اهل
العقول السليمة وكل هذه الاشارات معلومة من فتنة من ذكرنا وظاهر كونهم ارجاس النفوس برجس الشيطان

انجاسها بالهيآت البدنية والملكات الرديئة انجاس الابدان بحكم الشريعة وكنى عن شدتها وكونها محل المخاوف
بوصفى المرعاد والمبراق المستعارين ملاحظة لشبهها بالسحابة كثيرة البروق والرعود وبوصف كشفها عن
عن اقبالها مجردة كالمشمر للحرب او لامر مهم وظاهر كونها تقطع فيها الارحام ويفارق عليها الاسلام واشار بعينها الى
يعتقد فى هذه الدولة انه ذو صلاح برئ من المعاصى والآثام مع كونه ليس كذلك اذ من الظاهر ان السالم فى هذه
من معصية الله قليل بل اقل من القليل ولعله عند الاستقراء لا يوجد واشار بظاعنها الى من يعتقد انه متخلف عنها
وغيرهم اخل فيها وظاهر كونه غير متخرق عنها ويحتمل ان يريد به ان من ارتحل عنها خوفا لا يخلو منها والله الموفق منها
بين قتيل مطلول وخائف مستجير يختلون بعقد الايمان وبغرور الايمان فلا تكونوا انصاب الفتن واعلام البدع والزموا
ما عقد عليه حبل الجماعة وبنيت عليه اركان الطاعة واقدموا على الله مظلومين ولا تقدموا عليه ظالمين
واتقوا مدارج الشيطان ومهابط العدوان ولا تدخلوا بطونكم لعق الحرام فانكم بعين من حرم عليكم
وسهل لكم سبل الطاعة اقول يقال طل دم فلان فهو مطلول اذا اهدر ولم يطلب به ويختلون يخدعون
واللعق جمع لعقة وهى اسم لما يتناول بالملعقة مرة فقوله من قتيل الى قوله مستجير يشبه ان يكون صفة لحال
المتمسكين بالدين فى زمان الفتنة الاولى وقوله يختلون الى قوله وغرور الايمان صفة حال استجلاب هؤلاء
المقتولين اى انهم يخدعون باعطاء الاقسام والعهود الكاذبة وذلك كخداع الحسين عليه السلم عن نفسه
واصحابه وروى يختلون بالبناء للفاعل فيكون وصف حال اهل الفتنة واتباعهم ثم اخذ فى نهى السامعين ان
يكونوا انصاب الفتن التى يدركونها واعلاما للبدع اى رؤساء يشار اليهم فيها ويقتدى بهم كما يشار الى الاعلام
البينة ويقتدى بها وفى الخبر كن فى الفتنة كابن لبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب وقوله واقدموا على الله
ليس المراد منه الامر بالانظلام فان ذلك طرف التفريط من فضيلة العدالة وهى رذيلة بل المراد انكم اذا
كانت لكم مكنة من الظلم فلا تظلموا ولو استلزم ترك الظلم انظلامكم وهو كسر للنفوس عن رذيلة الظلم
خصوصا نفوس العرب فانها اكثر تطاولا الى الظلم وامنع عن قبول الانظلام والانفعال عنه وان استلزم
الظلم كما اشار اليه العربى • ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم • ومدارج الشيطان
طرقه وهى الرذائل التى يحسنها ويقود اليها وكذلك مهابط العدوان محاله التى يهبط فيها وهى من طرق
الشيطان ايضا ولعق الحرام كناية عما يكتسبه الانسان من الدنيا ومتاعها على غير الوجه الشرعى ونبه بلفظ اللعق
على قلتها وحقارتها بالنسبة الى متاع الآخرة ونبه على وجوب الانتهاء عما نهى عنه بقوله فانكم بعين من حرم عليكم
الى الآخر يقال فلان من فلان بمراى ومسمع وبعين منه اذا كان مطلعا على امره اى فان الذى حرم عليكم
المعصية واوجب عليكم طاعته عليكم وعالم بما تفعلون وذلك اردع لهم من التمادى فى الجرم ولفظ العين مجاز
فى العلم ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم
على ان لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب

الاحد لا بتاويل عدد والخالق لا بمعنى حركة ونصب والسميع لا باداة والبصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسة والبائن
لا بتراخي مسافة والظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع
له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده ومن عده فقد ابطل ازله ومن قال كيف فقد استوصفه
ومن قال اين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدور اقول المشاعر الحواس اذ هي محل الشعور
وقد حمد الله تعالى باعتبارات من اوصافه وفي الفصل ابحاث من العلم الالهي الاول الاشارة الى وجوده تعالى الواجب
في اثباته طريقان احدهما اثبات وجوده بالنظر في نفس الوجود وقسمته الى اقسام حاصرة وتقرير هذه الطريق
ان يقال لا شك في وجود موجود فذلك الموجود ان كان واجب الوجود فهو المطلوب وان كان ممكنا افتقر
الى مؤثر بناء على ان العلة المحوجة الى المؤثر هي الامكان وذلك الممكن ان كان ممكنا افتقر الى غيره
ولزم الدور او التسلسل وكلاهما باطلان اما الاول فلانه لو افتقر كل واحد لزم تقدم كل منهما على المتقدم
على نفسه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب واما الثاني فلانه لو كانت سلسلة من علل ومعلولات لا نهاية لها
في الوجود لكان مجموعها ممكنا لافتقاره الى اجزائه التي هي غيره فللمجموع علة تامة في ايجاده وهي محال
بالبديهة او داخل فيه وهو باطل لان العلة التامة للمركب علة لكل الاجزاء ولا التوقف على علة تامة
لم بل هي مع علة اجزائه هذا خلف واذا كانت علة المركب علة لكل الاجزاء لزم كون ذلك الجزء المؤثر في المجموع
مؤثرا في نفسه او لا وفي علله السابقة عليه فيلزم تقدمه على نفسه بمراتب غير متناهية وذلك باطل بالبديهة
فبقي ان يكون المؤثر في ذلك المجموع اما امرا خارجا عنه او ما يتركب من الداخل والخارج عنه لكن القسم الثاني ايضا
باطل لان الداخل لما كان جزءا من العلة المركبة فله تقدم عليها وهي متقدمة على مجموع الممكنات فلها تقدم
عليه وعلى اجزائه فجزؤها كذلك فله تقدم على نفسه وعلى علله وهو باطل فبقي الاول لكن الموجود الخارج عن
الممكنات لا يكون ممكنا بل واجب الوجود وهو المطلوب وهذه طريقة الالهيين الذين يستدلون بالوجود
على مخلوقاته ويسمونه برهان اللم واما الطريق الثانية فهي الاستدلال بالنظر في المخلوقات وحدوثها
وامكانها وتكثرها وقبولها للتغير والتركيب على مباديها ثم على المبدا الاول جلت عظمته وهي طريق
الطبيعيين وهي التي اشار اليها عليه السلام بقوله الدال على وجوده بخلقه والمتكلمون فرعوا هذه الطريق الى اربع
طرق احدها انهم استدلوا بحدوث هذه الذوات على امكانها وبامكانها على حاجتها الى موجد موجب
طريق الاشعري وابي الحسين البصري والمتاخرين من المتكلمين الثانية استدلوا بحدوث هذه الذوات
فقط على وجود محدث لها من غير نظر الى الامكان فقالوا الاجسام محدثة وكل محدث فله محدث والمقدمة الاولى استدلالية
والثانية عندهم بديهية الثالثة استدلالهم بامكان الصفات وذلك انهم بينوا ان الاجسام الفلكية والعنصرية
متماثلة ثم قالوا رأينا بعضها قد اختص بصفات ليست للآخر فذلك التخصيص ليس للجسمية ولا للوازمها
والا لوجب في كل جسم كذلك ولا العارض من عوارضها لان الكلام في تخصيص ذلك العارض كالكلام في الاول

التسلسل

التسلسل ولا للطبيعة كما يقول بعض الناس لانها لا تفعل في المادة البسيطة كالنطفة مثلا فعلا مختلفا فبقي ان
يكون ذلك التخصيص لمدبر حكيم وهو مرادنا بالصانع الرابعة الاستدلال بحدوث الصفات وهو طريقهم
وتقرير هذه الطرق ومالها وعليها في الكتب الكلامية وينبغي ان يخص المتكلم قوله الدال على وجوده
بخلقه الطريقة الاولى لهم والثانية فانه عليه السلام جعل الحدوث دليلا على الازلية البحث الثاني في ازليته
وبيانه ما ذكره عليه السلام بقوله وبحدوث خلقه على ازليته وتقرير هذه الدلالة انه قد ثبت في موضعه ان
جميع المحدثات صادرة عن قدرته تعالى ومنتهية عندها فلو كان هو محدثا لكان محدثا لنفسه وهو باطل
بالضرورة البحث الثالث انه لا مثل له ولا شبيه واليه الاشارة بقوله وباشتباههم على ان لا شبيه له
واراد اشتباههم في الحاجة الى المؤثر والمدبر وتقرير هذه الطريق ان نقول انه لو كان تعالى شبيها عن المؤثر
ولا شبيه له في الحاجة اليه لكن المقدم حق فالتالي مثله وقيل اراد اشتباههم في الجسمية والجنس والنوع
والمقادير والالوان ونحو ذلك واذ ليس داخلا تحت جنس لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان ولا تحت النوع
لافتقاره في التخصيص بالعوارض الى غيره ولا بذي مادة لاستلزامها التركيب ايضا فليس بذي شبه في شيء من الامور المذكورة
والاول اتم في نفي الشبيه البحث الرابع ان المشاعر لا تستلمه وبيانه ان استلام المشاعر مستلزم للجسمية والاعراض
القائمة بها واذ تنزه قدسه تعالى عن الجسمية ولواحقها فقد تنزه عن ادراك المشاعر ولمسها البحث الخامس
ان السموات لا تحجبه وبيانه ان الحجاب والستر من لواحق ذي الجسم والجسمية واذ تنزه قدسه عنهما فقد تنزه عن
الحجب والستر المحسوسين وقوله لافتراق الصانع والمصنوع الى قوله والمربوب التعليل راجع الى الجمل المتقدمة
كلها اذ كان لكل من الصانع والمصنوع صفات تخصه ويتميز بها وهي التدبير وبها يفارق الآخر فالمخلوقية والحدوث
والملموسية بالمشاعر وحجب السواتر من لواحق الصانع الاول الواجب وهو الذي ينبغي له ويليق به ويضاد
ما سبق من اوصاف الممكنات واراد بالحاد خالق الحدود والنهايات وهو الصانع واعتبار الصانع غيرها
الرب لدخول المالكية في مفهوم الربوبية دون الصنع البحث السادس في وحدانيته وقد سبق بيانها
واراد بقوله ليس بمعنى العدد ان وحدانيته ليس بمعنى كونه مبدا الكثرة تعدد بها كما يقال في اول العدد واحد
وقد علمت فيما سبق ان الواحد يقال بالاشتراك اللفظي على معاني عدة عرفتها وعرفت اطلاق الواحد عليه
تعالى باي معنى هو وانه لا يجوز ان يكون مبدا للعدد بل هو تعالى واحد بمعنى انه لا ثاني له في الوجود
انه لا كثرة في ذاته بوجه لا ذهنا ولا خارجا وبمعنى انه لا كثرة لم يفته شيء من كماله بل كل ما ينبغي ان يكون
له فهو له بالذات والفعل البحث السابع في كونه تعالى في خالقيته منزها عن الحركات والمتاعب وقد
عرفت لمية ذلك في الخطبة الاولى وهو كونهما من لواحق الاجسام التي قدسه عنها البحث الثامن
كونه سميعا لا باداة اي لا بسمع وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى البحث التاسع كونه بصيرا لا بتفريق الآلة
وتفريقها اما عبارة عن بعث القوة الباصرة وتوزيعها على المبصرات وهذا المعنى على قول من جعل الابصار

كالامور الكلية المعقولة وما يتبعها ويليق به او الوجود ان تربطه الذي يجب له المنزه عن حس المشاعر وحجب السواتر من لواحق

بآلة الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي اظهر فان توزيعه اوضح من توزيع الاكثر على قول من يقول الابصار يحصل بانطباع صورة المرئي في العين ومعنى التفريق على القول الثاني هو تقليب الحدقة وتوجيهها مرة الى هذا ومرة الى ذاك كما يقال فلان متفرق الهمة والخاطر اذا وزع فكره على حفظ اشياء متباينة ومراعاتها كالعلم والمال وظاهر تنزيهه تعالى عن الابصار بآلة الحس لكونها من توابع الجسمية ولواحقها **البحث العاشر** كونه تعالى شاهدا اي حاضرا لا بمماسة شيء والمراد تنزيه حضوره عن مماثلة حضور الجسمانيات المستلزم لمماسة الاجسام وتقارب اين من اين فهو تعالى الحاضر بعلمه عند كل شيء والشاهد لكل شيء من غير قرب ولا مماسة ولا اين مطلقا لتنزهه عن الجسمية ولواحقها **البحث الحادي عشر** انه تعالى بائن للاشياء لا بتراخي مسافة اي ان مباينته للاشياء لا يستدعي التمييز بالوضع والاين بل بذاته فقط وقد سبق تقرير ذلك في الخطبة الاولى ايضا **البحث الثاني عشر** انه الظاهر لا برؤية والباطن لا بلطافة وذلك ان الظاهر من الاجسام ما كان منها مرئيا بحاسة البصر والباطن منها ما كان لطيفا اما لصغر حجمه او لطافة قوامه كالهواء وظهوره تعالى وبطونه منزه عن هاتين الكيفيتين وقد شرحنا هذين الوصفين غير مرة **البحث الثالث عشر** كونه بائنا من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها الى قوله اليه ذكر في بينونته من مخلوقاته امرا من الصفات وفي بينونتها منه ما ينبغي لها فالذي ينبغي له كونه قاهرا لها غالبا عليها ومستوليا وكونه قادرا على ايجادها واعدامها والذي ينبغي لها كونها خاضعة في ذل الامكان والحاجة لعزته وقهره وراجعة في وجودها وكمالاتها الى جوده وبذلك حصل التباين بينها وبينه **البحث الرابع عشر** تنزيهه عن الصفات الزائدة بالقياس الذي ذكره بقوله من وصفه فقد حده ومن حده فقد عده وقد مر هذا القياس بعينه في الخطبة الاولى بابلغ تقرير وابلغ تحقيق غير انه قال هناك ومن اشار اليه فقد حده وقال ههنا من وصفه فقد حده لكن المراد بوصفه هنا هو اشارة الوهم اليه واستثباته بكيفيات وصفات فيكون معنى العبارتين واحدا وقوله ومن عده فقد ابطل ازله لما كان عده عبارة عن جعله مبدأ لكثرة معدودة او عن كونه ذا اجزاء وكان ذلك من لواحق الممكنات والمحدثات الغير المستحقة للازلية بالذات لا جرم كان من عده باحد الاعتبارين مبطلا ازله الذي يستحقه لذاته **البحث الخامس عشر** تنزيهه ان يسال عنه بكيف لانه سؤال عن الكيفية والصفة وهو معنى قوله فقد استوصفه وقد بينا تنزيهه تعالى عن الكيفيات والصفات **البحث السادس عشر** تنزيهه عن السؤال عنه باين وذلك لانها سؤال عن الحيز والجهة اللذين هما من لواحق الاجسام وقد بينا تنزيهه سبحانه عن الجسمية وما ينبغي لها فليس هو سبحانه في مكان وهو في كل مكان بعلمه واحاطته **البحث السابع عشر** كونه تعالى عالما اذ لا معلوم الى قوله مقدور وقد علمت معنى ربوبيته وقدرته وعلمت ان الاشارة باذا الى اعتبار تقدمه بذاته على معلوماته ومعلولاته وظاهر ان ذلك الاعتبار لا معلوم في الوجود سوى ذاته لذاته ولا مربوب ولا مقدور موجود هناك بل هو وحده

عن ذلك الاعتبار سواء كانت بعد ذلك محدثة كلها كما عليه المتكلمون او بعضها كما عليه الاوايل وبالله التوفيق والعصمة منها طلع طالع ولمع لامع ولاح لائح واعتدل مايل واستبدل الله بقوم قوما وبيوم يوما وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر وانما الائمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه ان الله قد خصكم بالاسلام واستخلصكم له وذلك لانه اسم سلامة وجماع كرامة اصطفى الله منهجه وبين حججه من ظاهر علم وباطن حكم لا تفنى غرائبه ولا تنقضي عجائبه فيه مرابيع النعم ومصابيح الظلم لا تفتح الخيرات الا بمفاتحه ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه قد احمى حماه وارعى مرعاه فيه شفاء المستشفي وكفاية المكتفي **اقول** العرفاء جمع عريف وهو النقيب وهو دون الرئيس واشار بطلوع الطالع الى ظهور الامرة والخلافة عليه واستقالها اليه وبلموع اللامع الى ظهورها من حيث هي حق له وسطوع انوار العدل بحضيره وردها اليه وبلوح اللائح الى ما يلحق استقالها اليه من الفتن والحروب الموعودة التي لاحت امارتها يومئذ وقال بعض الشارحين المراد بالثلثة معنى واحد وهو انتقال الخلافة اليه فضول واعتدال مايل فالمائل الخلافة فيمن قبله في نظره اذ كان اعتقاده انه اولى بها وان العدل ان يكون فيه واعتدال ذلك المائل بانتقالها اليه واستبدل الله بقوم اي من سبق عليه قوما اي هو وتابعوه وبيوم يوما كناية عن زمانهم بزمانهم وقوله وانتظرنا الغير انتظار المجدب المطر اشارة الى ما كان يتوقعه من انتقال هذا الامر اليه واراد بالغير تغيرات الدهر وتقلبات الاحوال فان قلت اليس هو المطلق للدنيا فاين هذا القول من طلاقه لها قلت انه طلقها من حيث هي دنيا ولم يردها لذاتها ولم يطلقها من حيث يمر بها الى انكار المنكرات واظهار العدل واقامة عمود الدين وحراسته فان طلبه لها انما كان لذلك كما سبق قوله لابن عباس بذي قار وهو يخصف نعله وشبه انتظاره للغير بانتظار المجدب المطر ووجه الشبه شدة التوقع والانتظار ويمكن ان يلاحظ في وجه الشبه لواحق الامرين المنتظرين اذ من لواحق المنتظر هو من الغير وانتقال الامر اليه شمول العدل وظهور الحق في موارده المشبه لوقع المطر في الارض المجدبة واستلزامه للخير والبركة ثم شرع في تعريف حال الائمة وما نصبوا له وقوله لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه معناه ان اهل كل عصر لا يدخلون الجنة الا بمعرفة امامهم ومعرفتهم وارادة الائمة من ولده عليهم السلام ومعرفتهم معرفة حق ولايتهم وصدق امامتهم وبيان الحصر من وجهين ان دخول الجنة لا يمكن لاحد من الامة الا باتباع الشريعة ولزوم العمل بها ولا يمكن ذلك الا بمعرفتها ومعرفة كيفية العمل بها ولا يمكن ذلك الا بصاحب الشريعة والقائم بها وارشاده وتعليمه وذلك لا يمكن الا بمعرفة المأموم للامام وحقية امامته وصدقه لا يقتدي به ومعرفة الامام للمأموم ليهديه فان دخول الجنة مستلزم لمعرفة الامام المأمومين ومعرفتهم له الثاني ان معرفة هؤلاء الائمة على رايه عليه السلام كما هو المشهور المنقول عنه ومعرفة حقية امامتهم وصدقهم تكون من اركان الدين لا يدخل الجنة الا من اقامه ومن عرفهم كذلك وجب معرفتهم له فثبت ان كل من فرقه كبيرا

شيعة هولاء الائمة ومحبيهم لا تعرفهم الائمة ولا يرون اشخاصهم فكيف لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم معرفة تحقيقهم لهم
المعرفة الشخصية العينية بل الشرط المعرفة على وجه كلي وهو ان يعلموا ان كل من اعتقد حق امامتهم واهتدى بما
انتشر من هديهم فهو وليهم ومقيم لهذا الركن من الدين فيكونون عارفين بمن يتولاهم على هذا الوجه ومن
يتولاهم عارفا بهم لمعرفته بحقيقة ولايتهم واعتقاد ما يقولون وان لم يشترط المشاهدة والمعرفة الشخصية
واما انه لا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه فهو ايضا حق وذلك ان دخول الجنة مستلزم لمعرفتهم على الحق
الذي قررناه ومخصص فيه فكل واحد واحد ممن يدخل الجنة عارف بهم وذلك يستلزم انه لا واحد ممن يدخل
الجنة بمنكر لهم لان معرفتهم وانكارهم مما لا يجتمعان في ملزوم واحد اذا عرفت ذلك فنقول ان من انكرهم
لا يجوز ان يكون اعم ممن يدخل النار اما اولا فلقوله المشهور من مات ولم يعرف امام وقته مات ميتة جاهلية دل
الخبر على ان انكارهم مستلزم للميتة الجاهلية المستلزمة لدخول النار واما ثانيا فلانه لو كان اعم لصدق على بعض
من يدخل الجنة فبعض المنكر لهم يدخل الجنة فينعكس بعض من يدخل الجنة منكر لهم وقد بينا انه لا واحد ممن يدخل
الجنة بمنكر لهم هذا خلف وكذلك لا يجوز ان يكون اخص والا لصدق على بعض من يتولاهم ويعترف بصدق
امامتهم انه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول صلى الله عليه وآله يحشر المرء مع من احب ولقوله لو احب احدكم
حجرا لحشر معه دل الخبر على ان محبة الانسان لغيره مستلزمة لحشره معه وقد ثبت انهم عليهم السلام الى الجنة
فكذلك من احبهم واعترف بحقية امامتهم ودخول الجنة مع دخول النار مما لا يجتمعان فثبت انه لا واحد ممن
يحبهم ويعترف بحقهم يدخل النار فقد ظهر اذن صدق هذه الكلية ايضا ووجه الحصر فيها
انها رحمة الله تعالى عليهم بالقرآن الكريم وتخصيصهم به من بين سائر الكتب واستخلاصهم له واعداده
من بين سائر الامم تشريفا على بعض اسباب اكرامه تعالى لهم به اما من جهة اسمه فلانه مشتق من السلامة والدخول
في الطاعة واما من معناه فمن وجوه احدها انه مجموع كرامة من الله لخلقه لان مداره جميع آياته على هداية الخلق
سبيل الله القائدة الى جنته الثاني ان الله اصطفى منهجه وهو طريقه الواضحة المؤدية للسالكين باتباعه الى
رضوان الله الثالث انه تعالى بين حججه وهي الادلة والامارات ومن للتمييز والتقسيم هنا تقسيم الحجج الى ظاهر
علم واشار به الى ظواهر الشريعة واحكامها الفقهية وادلة تلك الاحكام وباطن حكم واشار به الى ما اشتمل عليه
العزيز من الحكمة الالهية واسرار التوحيد وعلم الاخلاق والسياسات وغيرها الرابع انه لا تفنى غرائبه والمراد بالغرائب
هنا آياته المحكمة وواضحه العالية البراهين القاطعة وعدم فنائها اشارة الى ثباتها واستقرارها على طول المدة
وتغير الاعصار واما الى كثرتها عند البحث والتفتيش عنها الخامس ولا تنقضي عجائبه وذلك انه كلما تأمله
الانسان استخرج منه بفكره لطائف عجيبة من انواع العلوم لم تكن عنده من قبل السادس فيه مرابيع النعم
لفظ المرابيع وهي الامطار تاتي زمن الربيع فتحيي الارض وينبت الكلاء لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركة
القرآن ولزوم اوامره ونواهيه وحكمه وآدابه اما في الدنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحاملي القرآن والعشر

وغيرهم ظاهرة الكثرة واما بالنسبة الى الآخرة فما يحصل عليه مقتبسوا انواره من الكمالات المسعدة في الآخرة
من العلوم والاخلاق الفاضلة اعظم نعمة واتم فضل ووجه الاستعارة ظاهر السابع ان فيه مصابيح الظلم
واستعار لفظ المصابيح لقوانينه وقواعده الهادية الى الله في سبيله كما يهدي المصباح في الطريق المظلم
الثامن انه لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه واراد الخيرات الحقيقية الباقية واستعار لفظ المفاتيح لما هي آلة
الموصلة الى تلك الخيرات ووجه الاستعارة كونها اسبابا موصلة اليها كما ان المفاتيح اسباب موصلة
الى خيرات الخزائن مثلا التاسع ولا تكشف الظلمات الا بمصابيحه واراد ظلمات الجهل وبالمصابيح قوانينه
كما سبق استعارة العاشر كونه قد احمى حماه اي هياه وعرضه لان يحمى كما يقال اقتلت فلانا واضربته اذا
هياته للقتل وعرضته للضرب واستعار لفظ الحمى لحفظه وتدبيره والعمل بقوانينه ووجه الاستعارة ان
يكون حفظ الشخص وحراسته اما في الدنيا فمن ايدي كثير من الظالمين لاحترامهم حملة القرآن وممن
يعملون به واما في الآخرة فلحمايته حفظته ومتدبريه والعاملين به من عذاب الله الحمى من يلوذ به ونسبة الاحماء
اليه مجاز اذ المعرض لان يتدبر ويحمى به هو الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وحملته وقيل اراد بحماه محارمه
واحماه اي منع بنواهيه وزواجره ان يستباح محارمه وهو اخص مما قلناه اولا الحادي عشر وكذلك ارعى
مرعاه اي هياه لان يرعى واستعار لفظ المرعى للعلوم والحكم والآداب التي يشتمل عليها القرآن ووجه المشابهة
ان هذه مراعي النفوس الانسانية وغذاؤها الذي يكون به نشوها العقلي ونماؤها الفعلي كما ان المراعي المحسوسة
من النبات والعشب غذاء للابدان الحيوانية التي بها يقوم وجودها الثاني عشر فيه شفاء المستشفي اي طالب
الشفاء منه اما في الابدان فبالتعوذ به مع صدق النية فيه وسلامة الصدر واما في النفوس فلشفائها به من
امراض الجهل الثالث عشر وكفاية المكتفي واراد بالمكتفي طالب الكفاية اما من الدنيا فلان حملة القرآن الطالبين
به المطالب الدنيوية هم اقدر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم وكفايتهم بها واما من الآخرة فلان
الكامل منها يكفيه تدبر القرآن ولزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها وبالله التوفيق ومن خطبة
له عليه السلام وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين ويغدو مع المذنبين بلا سبيل قاصد ولا امام قائد
اقول هذا الفصل يشتمل على صفة مطلق الضال واشار بالمهلة الى مدة عمره المقدر وبهويه مع الغافلين
الى سقوطه وانخراطه في سلكهم بسبب جهله وغفلته عما يراد به واستعار لفظ الهوي لذلك الانحطاط وتلك
المتابعة ووجه المشابهة ان المنهمك في مجاري الغفلة ومسالك الجهل ينحط بها عن درجة اهل السلامة
ويهوي في مهابط الهلاك وهي الرذائل المبعدة عن الله تعالى كما ان الهاوي من علو كذلك ويغدو مع
موافقته لهم فيما هم فيه ومسارعته الى المعاصي من غير ان يسلك سبيلا قاصدا للحق او يتبع اماما يقوده
اليه من استاد مرشد او كتاب او سنة وبالله التوفيق منها حتى اذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم واستخرجهم
من جلابيب غفلتهم استقبلوا مدبرا واستدبروا مقبلا فلم ينتفعوا بما ادركوا من طلبتهم ولا بما قضوا من وطرهم

فاني احذركم ونفسي هذه المنزلة فلينتفع امرؤ بنفسه فانما البصير من سمع فتفكر ونظر فابصر وانتفع بالعبر ثم
سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة
بتعسف في حق او تحريف في نطق او تخوف من صدق فافق ايها السامع من سكرتك واستيقظ من غفلتك
واختصر من عجلتك وانعم الفكر فيما جاءك على لسان النبي الامي صلى الله عليه وآله مما لا بد منه ولا محيص عنه
وخالف من خالف في ذلك الى غيره ودعه وما رضي لنفسه وضع فخرك واحطط كبرك واذكر قبرك
فان عليه ممرك وكما تدين تدان وكما تزرع تحصد وما قدمت اليوم تقدم عليه غدا فامهد لقدمك وقدم
ليومك فالحذر الحذر ايها المستمع والجد الجد ايها الغافل ولا ينبئك مثل خبير ان من عزائم الله في الذكر الحكيم
التي عليها يثيب ويعاقب ولها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبدا وان اجهد نفسه واخلص فعله ان يخرج
من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها ان يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته او يشفي
غيظه بهلاك نفسه او يعر بامر فعله غيره او يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه او يلقى الناس
بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه ان البهائم همها بطونها وان السباع همها العدوان
على غيرها وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا والفساد فيها ان المؤمنين مستكينون ان المؤمنين مشفقون ان
المؤمنين خائفون اقول الجلباب الملحفة والوطر الحاجة والجدد الطريق الواضح واستنجح الحاجة استقضاها
وصدر هذا الفصل صفة غاية الغافلين عن احوال الآخرة المشمرين في طلب الدنيا وفاعل كشف ضمير يعود الى
اسم الله تعالى فيما سبق من الكلام وقد علمت ان النفس ذا جهتين جهة تدبير احوالها البدنية بما لها من القوة العملية
وجهة استكمالها بقوتها النظرية التي تتلقى بها من العاليات كمالها وعلمت انه بقدر خوضها في حال البدن في
استكمال قوتها العملية تنقطع عن الجهة الاخرى وتكتنفها الهيئات البدنية فتكون في اغطية منها وحجب
من الغفلة عن الجهة الاخرى بالانصباب الى ما تقتنيه مما يعد خيرا في الدنيا وبحسب انصبابها في هذه الجهة
تلك الهيئات البدنية منها يكون بعدها عن باريها وتورطها في دركات الجحيم عن درجات النعيم وبالعكس كما قال
صلى الله عليه وآله الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احدهما يبعد من الاخرى وظاهر ان بالموت تنقطع تلك
الغفلة وتنكشف تلك الحجب فيومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى ويكون ما اتيه لمن هو معتقد من تعلق تلك الهيئات
بنفسه وحطها لها عن درجات الكمال وما شاهده من السلاسل والاغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم ولفظ
استعارة لفظ المحسوس للمعقول ووجه المشابهة حجب الغفلة لاعين بصائرهم عن النور بانوار الله كحجب الاجنحة
والمدبر الذي استقبلوه هو العذاب الاخروي والاهوال التي كانت غائبة عنهم والمقبل الذي استدبروه هو ما
كانوا فيه من ماء ولاتهم واحوالهم الدنيوية وظاهر انهم لم ينتفعوا الذي بما ادركوا من طلباتهم الدنيوية لا بما
من اوطارهم وحاجاتهم الحاصلة فيها ثم عاد الى التحذير من هذه المنزلة اي الحالة التي هؤلاء الموصوفون عليها من
الغفلة فانها مقام صعب ومزلة قدم وشرك نفسه في التحذير لانه ادخل في جذب نفوس السامعين الى طاعة

ثم امر كلا بالانتفاع بنفسه وشرح كيفية الانتفاع بشرح حال البصير لانه لا ينتفع بنفسه الا البصير وذكر امورا الاول
ان يتفكر فيما يسمعه من كلام الله ورسوله والمواعظ البالغة فانه لا ينتفع بها بدون الفكر كما علمته الثاني ان ينظر بعين حسه
وبصيرته فيتوخى المقاصد النافعة فيبصرها ويدرك بعقله منها العبر الثالث ان ينتفع بما يدركه من العبر وذلك بالعمل
على وفق ما علم وادرك الرابع ان يسلك الصراط المستقيم الذي وردت به الشريعة وهو الجدد الواضح ويتجنب فيه العدول
والانحراف فان من انحرف عنه ولو بالشبر انصرع في مهواة وضل في مغواة وقد نبهناك فيما سلف على ذلك
بالمثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وآله حيث قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط ابواب
مفتحة وعليها ستور مرخاة وعلى راس الصراط داع يقول ادخلوا ولا تعرجوا قال فالصراط هو الدين وهو الجدد
الواضح هنا والداعي هو القرآن والابواب المفتحة محارم الله وهي المهاوي والمغاوي هنا والستور المرخاة هي
حدود الله ونواهيه . ثم نهى ان يعين الانسان على نفسه الغواة باحد امور ان يتعسف في حق اي لا يحملهم على
الحق وصعبه فان الحق له درجات بعضها اسهل من بعض فالاستقصاء فيه على غير اهله يوجب لهم النفرة
عنه وتوليه ويأسهم والعداوة له والقول لجنبه ويحتمل ان يريد بالتعسف في الحق التكلف في العمل به مع نوع من
التقصير فيه فان الغواة هم تاركوا الحق فاذا وجدوا تاركا فيه او متكلفا للعمل به مقصرا طمعوا في الانتيال لمثل
مكان قد اعانهم على نفسه بذلك وكذلك اذا انسوا منه الكذب والتحريف في القول او التخوف من الصدق وكان
ادعى لهم الى الطمع في ادخاله في باطلهم وادخاله فيه فكان معينا لهم على اغواء نفسه بذلك ثم عاد الى الامر الثاني
باوامر احدها الافاقة من سكرة الجهل والتيقظ من الغفلة في الدنيا ولفظ السكرة مستعار ووجه المشابهة
كون الغفلة مستلزمة لترك اعمال العقل كما ان السكر كذلك الثاني بالاختصار من العجلة واراد بالعجلة سرعة
الحركة في طلب الدنيا والاهتمام بها وباختصارها تخفيف تلك الحركة وتقليلها الثالث باتمام الفكر فيما اتاك
على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وكثير من ذكر الموت وعرض النفوس على ديانها واتمام الفكر في ذلك
تحقيق النظر في حال الموت وما بعده والاعتبار به لا بد منه ولا محيص عنه من ذلك الرابع بمخالفة من خالف
ذلك ونظر في غيره تماما عنه بعده من احوال الدنيا وزينتها وان يدع ذلك المخالف وما رضي لنفسه من التعوض
بالامور الفانية عن الامور الباقية وما يستلزمه ذلك من الشقاوة الاخروية الخامس ان يضع الفخر ويحط الكبر
وقد سبق بيان ما في الكبر من الآفات والفخر يستلزم الكبر اذ كل مفتخر متكبر لو سلمنا ان السادس ان يذكر قبره
لان في ذكره عبرة تامة وقوله فان عليه ممرك تنبيه له على وجوب الذكر له فان السالك لطريق لا بد من سلوكها اذا
كان فيها منزل موحش مظلم وجب الاستعداد له بتحصيل الضوء للاستنارة فيه والانسان في سلوكه لطريق الآخرة
لا بد له من المرور بالقبر واحكام الشارع الكثيرة ثم نبهه بالمثلين المشهورين كما تدين تدان على وجوب حسن المعاملة
مع الله سبحانه اذ كان حسن المعاملة مع الله سبحانه اذ كان حسن جزائه بقدر حسن معاملة العبد له وقبحه
بقبحها وكذلك قوله كما تزرع تحصد ولفظ الزرع مستعار لما يفعله الانسان فيكسب نفسه ملكة خير او شر ونحوه

لفظ الحصد للحصول على ما يثمره تلك الآثار وتستلزمه من ثواب او عقاب ووجه الاستعارة بين ظاهر وقوله وانما
تدرسنا اليوم وتقدم عليه غدا ظاهر فان الهيات النفسانية التي هي ثمرات الاعمال المستلزمة للسعادة او الشقاوة وان
كانت مستصحبة للنفس مدة بقائها في الدنيا ايضا الا انها لا تكشف لها الا بعد المفارقة كما سبق بيانه فيكون حينئذ
حالة الانكشاف بمنزلة من قدم على امر لم يكن معه واذا كان كذلك فينبغي للانسان ان يمهد لنفسه مراى يوطئ موضع
قدمه في الآخرة بطيب الاعمال ويقدم صالحها اليوم قبل امامه ثم عاد الى تحذيره من حيث هو مستمع للموعظة والى
امره بالجد في العمل لما بعد الموت واليقظة من الغفلة ونبهه باقتباس الآية على ان الواعظ له خبير باحوال الطريق
الآخرة واهوالها ولا يخبر بحقائق الامور كالعارف بها ثم عاد الى التحذير من بعض الكبائر التي نص القرآن المجيد انها
مستلزمة للعقاب لا محالة والذكر الحكيم هو القرآن وقد سبق بيان معنى الحكم وقيل هو اللوح المحفوظ و
ان انه لا ينفع الضمير في انه ضمير الشان وفاعل ينفع ان يخرج ولاقيا نصب على الحال والذنب من جملة نصوص
الله سبحانه التي هي في محكم كتابه العزيز التي باعتقادها والعمل على وفقها يحب ويرضى وبتركها يعاقب ويسخط
انه لا ينفع عبدا خروجه من الدنيا لاقيا ربه باحد الخصال المذكورة وان اجهد نفسه في العمل واخلص فيه
احدها الشرك بالله تعالى وقد سبق منا بيان درجات الشرك وبتفاوت قوته وضعفه يكون قوة العقاب
والنص الدال على مضرته المستلزمة لعدم نفعه قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقوله فيما افترض
عليه من عبادته يفهم منه انه اراد الشرك بالرياء في العبادة لا اتخاذ اله ثاني وهذه الآفة تلحق النفس تارة من
غلبة الجهل عليها واستيلاء الغفلة وترك النظر في المعرفة والتوحيد وتارة من غلبة الشهوة كما يلحق نفس
المرائي بعبادته لطلب الدنيا الثانية ان يشفي غيظه بهلاك نفس وفي نسخة نفسه وبغير نفس وذلك
الهلاك تارة في الدنيا كما يستلزمه السعي بالنميمة الى الملوك ونحوه وفي الآخرة كاكتساب الآثام المستلزمة لشفاء
الغيظ والنص فيه قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الآية وهذه الآفة تلحقها بواسطة
القوة الغضبية الثالثة ان يعر بامر فعله غيره اي يتهم على غيره بامر فعله ذلك الغير فيستلزم اهلاكه او اذاه
فيدخل فيمن يسعى في الارض فسادا والنص عليه قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الارض فسادا ان يقتلوا الآية وروى بعض الشارحين يعر بالعين المهملة قال ومعناه ان يقذف غيره بامر
قد فعله هو فيكون غيره منصوبا مفعولا ليعر والعامل بعير يقال عره بشر اي عابه ولطخه فعلى هذا يكون
داخلا في جملة الفاسقين والكاذبين والموذين للمومنين بغير ما اكتسبوا وهذه الآفة تلحق النفس
من الشهوة والغضب الرابعة ان يستنجح حاجة الى الناس باظهار بدعة في دينه كشاهد الزور والقاير
اليها او المرتشي في الحكم والقضاء الخامسة ان يلقى الناس بوجهين او يمشي فيهم بلسانين اي يلقى كلا من الضدين
مثلا بغير ما يلقى به الآخر ليغري بينهما او بين العدوين ليغري بينهما وبالجملة ان يقول بلسانه ما ليس في قلبه
في زمرة المنافقين ووعيد المنافقين في القرآن ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ومطابقته لذلك

انفن

من انفش اوحي نفسه بهيات السوء ولم يمحها بالتوبة الحقة فهو من اصحاب النار وقوله اعقل ذلك الى آخره اي اعقل ما
اضرب لك من المثل واحمل عليه ما يشبهه فان المثل دليل على شبهه وذلك المثل قوله ان البهائم الى قوله والفساد فيها
فقوله ان البهائم همها بطونها اشارة الى ان الانسان المتبع لشهوته بمنزلة البهيمة في اتباع قوته الشهوية وكان همه
بالطعام والشراب دون المطالب الحقيقية وقوله وان السباع همها العدوان على غيرها اشارة الى ان متبع القوة
الغضبية بمنزلة السبع في اتباعها ومحبة الانتقام والغلبة على الغير وقوله وان النساء همهن زينة الحيوة الدنيا
والفساد فيها اشارة الى ان النساء متبعات للقوتين الشهوية ولهذا كان همهن زينة الحيوة الدنيا والغضبية ولهذا
كان همهن الفساد في الدنيا فالتابع لشهوته وغضبه لاحق بالنساء في ذلك ثم لما حصر متابع الشر في قوتي
الشهوة والغضب ذكر المومنين بصفات ثلث كلها يستلزم كسر تينك القوتين وهي الاستكانة لتقهر الشهوة و
لذلة الاشفاق من غضبه ثم الخوف من عقابه وظاهر كون كل واحد من هذه الصفات جاذبا لهم عن طرفي الافراط
في القوتين والخروج عن حد العدل فيهما وغاية هذا المثل التنفير عن طاعة الشهوة والغضب بالتنبيه على ان
الخارج فيهما عن حد العدل الى ما لا ينبغي اما ان يشبه البهيمة او السبع او المراة وكل منهما لما يرغب العاقل
عنه وهو الذي امر بعقله فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الكلام من الاشارة اللطيفة التي يشهد عليه
السلام بمشاهدة الحق كما هو واذا اعتبرت ذلك وامثاله من الحكم البالغة ونظرت الى انه عليه السلام
لم يرجع فيه الى مطالعة كتاب او استفادة من بحث علمت انه فيض رباني بواسطة اعداد سيد البشر
والسادة المرشد صلى الله عليه وآله قال الشارح الفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد رحمه الله انما رمز
بباطن هذا الكلام الى الرؤساء يوم الجمل لانهم حاولوا ان يشفوا غيظهم باهلاكه واهلاك غيره من
المسلمين وعيروه عليه السلام بامر هم فعلوه وهو التاليب على عثمان وحصره واستنجحوا حوائجهم الى
اهل البصرة باظهار البدعة والفتنة ولقوا الناس بوجهين ولسانين لانهم بايعوه واظهروا الرضا به ثم
نكثوا من وجه آخر فجعل ذنوبهم هذه بمنزلة الشرك في انها لا تغفر الا بالتوبة قال وهذا معنى قوله
اعقل ذلك فان المثل دليل على شبهه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام وناظر قلب اللبيب
يبصر امده ويعرف غوره ونجده داع دعا وراع رعى فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي قد خاضوا بحار
الفتن واخذوا بالبدع دون السنن وارز المومنون ونطق الضالون المكذبون نحن الشعار والاصحاب
والخزنة والابواب لا تؤتى البيوت الا من ابوابها فمن اتاها من غير ابوابها سمي سارقا اقول لا بد للقائل
وغوره ونجده منخفضه ومرتفعه وارز انقبض والرائي اعتض واجتمع وناظر قلب اللبيب عين بصيرته و
ظاهر انه يبصر بها طريقه وغايته التي هو متوجه نحوها ومطلوبه منها وغوره ونجده طريقاه الى الخير
والشر وهما النجدان في قوله تعالى وهديناه النجدين وعبارة القرآن المجيد اخصر وهذه العبارة انسب
المعنى فان الغور هو المنخفض والمستفل انسب الى ان يعبر به عن رتبة النار التي في دركات الجحيم من النجد

واشار بالداعي الى الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به من القرآن الكريم والسنة وبالراعي الى نفسه وامر بالاستجابة للاول
وبالاتباع للثاني وظاهر وجوب الاستجابة لله ورسوله لقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم فيجب اتباع من اوجبا اتباعه وقوله قد خاضوا بحار الفتن يحتمل ان يكون الكلام
مفترقا في قوم معهودين للسامعين كمعوية واصحاب الجمل والخوارج ويحتمل ان يكون مقتطعا عما قبله متصلا
بكلام لم يحكه الرضي رضي الله عنه واليه ذهب بعض الشارحين قال وهو ذكر قوم من اهل الضلال
قد كان اخذ في ذمهم وعيبهم ولفظ البحار مستعار لما اعظم من الفتن والحروب وقد عرفت وجه
الاستعارة قبل ورشح بذكر الخوض والبدعة قد يراد بها ترك السنة وقد يراد بها امر آخر يفعل مع ترك
السنة وهو الاظهر في العرف ثم التفت الى ذكر فضيلته فاستعار لفظ الشعار لنفسه واهل بيته ووجه
ملازمتهم للرسول صلى الله عليه وآله واختصاصهم به كما يلزم الشعار الجسد ثم ذكر كونهم اصحابا له ثم كونهم
خزنة اي خزنة علمه كما نقل عن الرسول صلى الله عليه وآله هو خازن علمي وفي رواية عيبة علمي وقيل خزنة الجنة
على معنى ان من جاء يوم القيمة بولايتهم دخل الجنة والا فلا ولفظ الخزنة على التقديرين مستعار ووجه
المشابهة تصرفهم بمنع العلم واعطائه او بمنع الجنة بسببهم واعطائها كما ان الخازن للشيء كذلك ثم كونهم
الابواب اي ابواب العلم كما قال صلى الله عليه وآله انا مدينة العلم وعلي بابها او ابواب الجنة على الاستعارة
وقوله ولا تؤتى البيوت الا من ابوابها وذلك لوجوه احدها العادة الجارية على وفق الحكمة الثاني النص
واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله الثالث العرف وهو ان من اتاها من غير ابوابها سمي سارقا والقبح
العرفي يستلزم الترك ومراده ان من طلب العلم والحكمة واسرار الشريعة فليرجع الينا وبالله التوفيق

منها فيهم كرائم الايمان وهم كنوز الرحمن ان نطقوا صدقوا وان صمتوا لم يسبقوا فليصدق رائد
اهله وليحضر عقله وليكن من ابناء الآخرة فانه منها قدم واليها ينقلب فالناظر بالقلب العامل بالبصر
يكون مبتدأ عمله ان يعلم عمله عليه ام له فان كان له مضى فيه وان كان عليه وقف عنه فان العامل
بغير علم كالسائر على غير الطريق فلا يزيده بعده عن الطريق الا بعدا عن حاجته والعامل بالعلم كالسائر
على الطريق الواضح فلينظر ناظر اسائر هو ام راجع واعلم ان لكل ظاهر باطنا على مثاله فما طاب ظاهره
طاب باطنه وما خبث ظاهره خبث باطنه وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله ان الله يحب العبد ويبغض عمله ويحب
العمل ويبغض بدنه واعلم ان لكل عمل نباتا وكل نبات لا غنى به عن الماء والمياه مختلفة فما طاب سقيه
طاب غرسه وحلت ثمرته وما خبث سقيه خبث غرسه وامرت ثمرته اقول الاشارة الى فضائل اهل البيت عليهم
السلام الاولى فيهم كرائم الايمان اي نفائسه المستلزمة للسعادة القريبة من الله تعالى كالاخلاق الفاضلة والعلوم
الحقة المطابقة لما عليه الامر في نفسه الثانية وهم كنوز الرحمن اي خزائن علمه وساير ما امر به من مكارم الاخلاق
الثالثة ملازمة منطقهم الصدق الرابعة اختصاصهم بالحكمة التي لا يتمكن غيرهم من النطق بها والسبق اليها في

سكوتهم فهم ان نطقوا فبحكمة وان صمتوا فبحكمة ووضع الصمت في موضعه وانما ذكر هذه الفضائل لاهل البيت
تنبيه جذبا الى السماع دعوة الى الله ولذلك عقب بالمثل فليصدق رائد اهله واشار به الى ان من يحضر منكم
لاخبارنا فليصدق من بعثه امره انا اهل الحق ومنابع العلوم والحكمة والادلاء الى الله كما يصدق الرائد
لطلب الكلاء والماء اهله ويبشرهم بهما وليحضر عقله لما نقول ليعرف صحة ما ادعيناه ثم شرع فيما ينبغي
ان يقول لما اشار اليه وهو التنبيه على احوال الآخرة وان يكون العاقل من ابنائها ووجه استعارة البنوة هاهنا
قوله فانه منها قدم واليها ينقلب اي كما ان الابن ينقلب عن الام فاليها وطنه ورجوعه كذلك الانسان مبدأه
الحضرة الالهية فمنها ينقلب واليها يعود فينبغي ان يكون من ابنائها بالرغبة فيها والوله اليها والعمل لها ثم نبه
العاقل ذا الفكر السليم الناظر بعين بصيرته على ما ينبغي له ان يبتدئ في حركاته وسكناته وهو ان يتفقد
احوال نفسه فيما يهم به وينبعث في طلبه او تركه ويعلم ان ذلك الخاطر او تلك الحركة مقربة له من الله تعالى
فيكون له فينبغي ان يمضي فيها او مبعدة له عن رضاه ومستلزمة لسخطه فيكون عليه فيقف عنها ثم شبه
الجاهل في حركاته وسكناته بالسائر على غير طريق واشار الى وجه التشبيه بقوله فلا يزيده بعده عن الطريق
الا بعدا عن حاجته اذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب وبضده العامل بالعلم في
سلوكه وقربه من مطلوبه وتقريب ذلك التشبيه عن الجهل وزاد في التنفير بقوله فلينظر ناظر اسائر هو ام
راجع فانه اذا علم انه سائر وجب ان يعلم كيف يسير ويشعل مصباح العلم ليسلم من الضلال والتورط في مهاوي
الهلاك وقوله واعلم ان لكل ظاهر باطنا الى قوله ويبغض بدنه فاعلم ان هذه القضية الكلية صادقة وذلك لان الما
صدر عن الجود الالهي عالم الغيب والشهادة وان شئت عالم الخلق والامر وان شئت العالم الروحاني والجسماني اقتضت
الحكمة الالهية كون عالم الشهادة طريقا للنفوس البشرية الى عالم الغيب ولولاها لتعذر السفر الى الحضرة اللطيفة
طريق الترقي الى الله فكان جميع ما ظهر في عالم الشهادة مثالا مناسبا لامر باطن من عالم الغيب هو الطريق المرقي
عليه غير ان المفهوم من كلامه عليه السلام هاهنا تخصيص تلك الكلية باحد امرين فانه اما ان يشير بالظاهر الى اشخاص
الناس او الى افعالهم الظاهرة والباطن اشارة الى الاخلاق واعمال القلوب وما في الامزجة المختلفة من الخير والشر
وقيل اشارة الى ما يحصل من الثواب والعقاب في الآخرة وقد دل الاستقراء والقياس على ان حسن الصورة او حسن
الاعمال الظاهرة التي تدل على الافعال حسن الاخلاق طيب السريرة مستقيم السيرة وعلى ان قبيحها سيء الاخلاق
اما الاستقراء فظاهر واما القياس فلان حسن الاخلاق وقرب النفس من الاستقامة على طلب الحق مقتضى قرب
المزاج من الاعتدال وكذلك حسن الصورة فيترتب قياس هكذا حسن الصورة معتدل المزاج وكل معتدل المزاج
حسن الاخلاق فحسن الصورة حسن الاخلاق وان شئت هكذا معتدل المزاج حسن الصورة ومعتدل المزاج
حسن الاخلاق والقضيتان اكثريتان فان بعض حسن الصورة قبيح الباطن وبعض خبيث الظاهر حسن الباطن
ولذلك استشهد بما رواه عن الرسول صلى الله عليه وآله فان الله يحب العبد من حيث صورته الحسنة لكونها مقتضى

الحكمة الالهية وانسب الى الوجود من القبيحة التي هي انسب الى العدم الذي فان القبيح ابعد من حيث هو
الحسنة لكونها مقتضى الحكمة الالهية هو الشر المحض ويبغض عمله من جهة ما هو شر وكذلك يحب العمل به
البلد الطيب ويبغض بدنه القبيح لنسبته الى العدم الذي هو شر واما التعويض في كلامه الظاهر على البلد الطيب ما
نطق به القرآن الكريم والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا اي عسرا ممتنعا
قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتاده والسدي هذا مثل ضربه الله تعالى للمومن والكافر بالارض العذبة
التربة وبالارض السبخة المالحة شبه عبد المومن الذي اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به فبان اثر حسن
الاعمال وطيبها بالبلد الطيب اذ كان البلد الطيب يمرع ويخصب ويحسن اثر المطر عليه وشبه الكافر
الذي يسمع القرآن فلا يوثر فيه اثرا محمودا بالبلد الخبيث اذ كان لا يمرع ولا يخصب ولا يتبين اثر المطر فيه
واما البغض والمحبة فقد علمت انهما يعودان في الله سبحانه الى ارادته وكراهته فما كان خيرا محضا او الخير
غالب عليه فهو مراد له بالذات وما كان شرا محضا او غالبا فهو مراد له بالعرض مكروه له بالذات وقوله
واعلم ان لكل عمل نباتا استعار لفظ النبات لزيادة الاعمال ونموها ورشح تلك الاستعارة بذكر الماء
وكنى به عن المادة القلبية للاعمال ووجه المشابهة ان الحركات في العبادة انما تكون بالميول القلبية وارادتها
كما ان حركة النمو للنبات انما يكون بالماء وظاهر ان اختلاف المياه في الحلاوة والملوحة سبب لاختلاف
استعداد النباتات لطيب المغارس والثمار فما طاب سقيه اي نصيبه من الماء طابت ثمرته وما خبث
ثمرته فكذلك ما يشبه النباتات وهي الاعمال يكون طيب ثمارها وهي ثمار الجنة وانواع لذاتها بحسب طيب
مادتها من الاخلاص لله وخبثها بحسب خبث مادتها من الرياء وحب الشهرة ويكون ثمرتها امر الثمار
اذ لا امر مذاقا من عذاب النار وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم يذكر فيها بديع خلقة الخفاش
الحمد لله الذي انحسرت الاوصاف عن كنه معرفته وردعت العقول فلم تجد مساغا الى بلوغ غاية ملكوته
هو الله الحق المبين احق وابين مما ترى العيون لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقع عليه
الاوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ولا معونة معين فتم خلقه
بامره واذعن لطاعته فاجاب ولم يدافع وانقاد ولم ينازع ومن لطائف صنعته وعجائب خلقته
ما ارانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام
القابض لكل حي وكيف عشيت اعينها عن ان تستمد من الشمس المضيئة نورا تهتدي به في مذاهبها
وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها وردعها بتلالو ضيائها عن المضي في سبحات اشراقها
واكنها في مكامنها عن الذهاب في بلج ائتلاقها فهي مسدلة الجفون بالنهار على حداقها وجاعلة الليل سراجا تستدل
به في التماس ارزاقها فلا يرد ابصارها اسداف ظلمته ولا تمتنع من المضي فيه لغسق دجنته فاذا
القت الشمس قناعها وبدت اوضاح نهارها ودخل من اشراق نورها على الضباب في وجارها اطبقت

الاجحان

الاجفان على ماقيها وتبلغت بما اكتسبته من المعاش في ظلم لياليها فسبحان من جعل الليل لها نهارا ومعاشا والنهار
سكنا وقرارا وجعل لها اجنحة من لحمها تعرج بها عند الحاجة الى الطيران كانها شظايا الاذان غير ذوات ريش
ولا قصب الا انك ترى مواضع العروق بينة اعلاما لها جناحان لما يرقا فينشقا ولم يغلظا فيثقلا تطير
وولدها لاصق بها لاجئ اليها يقع اذا وقعت ويرتفع اذا ارتفعت لا يفارقها حتى تشتد اركانه ويحمله للنهوض
جناحه ويعرف مذاهب عيشه ومصالح نفسه فسبحان المبدئ لكل شيء على غير مثال خلا من غيره
اقول الخفاش مفرد جمعه خفافيش وهو من الخفش وهو ضعف البصر خلقة وانحسرت كلت وردعت
كفت والمساغ المسلك وسبحات اشراقها جلاله وبهاؤه والبلج جمع بلجة وهي اول ضوء الصبح وقد يكون مصدرا
والائتلاق اللمعان والاسداف مصدر اسدف الليل اظلم وغسق الدجنة ظلام الليل ووضح النهار ضوؤه
ووجار الضبع بيته والشظايا القطع وقد حمد الله تعالى باعتبارات الاول انحسار الاوصاف عن كنه معرفته
ولما كانت ذاته تعالى بريئة عن انحاء التراكيب لم يمكن العقول ادراكها بشيء من الاوصاف بالكنه وقد سبق ذلك
مرارا الثاني ردع عظمته العقول عن بلوغ غاية ملكوته وذلك ظاهر لان الادراك للاشياء بحقائقها
انما يتم بادراك حقائق عللها واذا استلزمت عظمته وارتفاعه عن ادراك العقول ردعها عن معرفة
كنهه فظاهر انها لا تجد مسلكا الى غاية ملكوته وما عليه نظام الوجود الاعلى والاسفل كما هو الثالث
قوله هو فهو الهو المطلق وهو الذي لا يكون هويته موقوفة على غيره ومستفادة منه فان كل ما كان
مستفادا من الغير فما لم يعتبر غيره لم يكن هو فلم يكن هو هو المطلق وكل ما كان هو هو لذاته فسواء
اعتبر غيره او لم يعتبر فهو هو لكن كل ممكن فوجوده من غيره فكل ما كان وجوده من غيره فخصوصية
وجوده وتعينه من غيره وهو الهوية فاذن كل ممكن فهويته من غيره فلا يكون هو هو لذاته لكن المبدا
الاول هو هو لذاته فلا يكون ممكنا فهو واجب لذاته فاذن واجب الوجود هو الذي لذاته هو هو بل
ذاته انه هو لبراءته عن التركيب المستلزم للامكان الرابع تعقيبه لذكر الهوية باسم الله وذلك لانه لما كانت
تلك الهوية والخصوصية عديمة الاسم لا يمكن شرحها الا بلوازمها واللوازم منها اضافية ومنها
سلبية واللوازم الاضافية اشد تعريفا والاكمل في التعريف هو اللازم الجامع لنوعي الاضافة والسلب
وذلك هو كون تلك الهوية الها فان الاله هو الذي ينسب اليه غيره ولا ينسب هو الى غيره فاليه اضافي
وعدم انتسابه الى غيره سلبي فلا جرم عقب ذكر الهوية بما يدل على ذلك اللازم لاكمليته في التعريف
غيره ليكون كالكاشف لما دل عليه لفظ هو وفيه سر اخر وهو انه لما عرف تلك الهوية بلازمها وهو الالهية
نبه على انه لا جزء لتلك الهوية والا لكان العدول عنه الى التعريف باللازم قصورا الخامس ذكر الحق وهو الثابت
الوجود فانه لما اشار الى الهوية وشرح اسمها عقب ذلك بالاشارة الى كونها حقا موجودا او جودها عند
العقول احق وابين مما ترى العيون وذلك ظاهر فان العلم بوجود الصانع جلت عظمته فطري للعقول وان

احتاج الى تجربتها والعلوم التي مستندها الحس قد يقع الخلل فيها بسبب ما يقع للوهم من اشتباه المحسوسات وعدم
ضبطها او بسبب تقصير الحس في كيفية الاداء لصورة المحسوس فكانت المعقولات الصرفة احرى وادق
لها بذاته السادس ان العقول لم تبلغه بتحديد فيكون مشبها وفيه اشارة لطيفة تدل على كمال علمه عليه السلم وذلك
انك علمت في المقدمات ان العقول اذا قويت على الاتصال بالامور المجردة كانت القوة المتخيلة بحيث تقوى على
الحس المشترك وضبطه عن الحواس الظاهرة فان النفس والحال هذه اذا توجهت لاقتناص امر معقول
القوى النفسانية اثرها انتقشت بذلك المعقول ثم انها تستعين في ضبط ذلك الامر بالقوة المتخيلة فتحاكيه
بما يشبهه من الامور المحسوسة ثم تحطه الى خزانة الخيال فيصير مشاهدا ممثلا اذا عرفت ذلك فنقول
لو كان البارئ تعالى مما تدركه العقول وتثبته بحد وصفة لكان استثباتها له على النحو المذكور فيلزم
ان يكون مشبها بشيء من الاجسام والجسمانيات لتثبت صورته عند الذهن وقد تنزه قدس الله عن
التشبيه بشيء منها السابع وكذلك ولم تقع الاوهام عليه بتقدير فيكون ممثلا اذ الوهم لا يدرك الا المعاني
الجزئية المتعلقة بالمحسوسات ولا بد له في ادراك ذلك المدرك من بعث المتخيلة على تشبيهه بمثال من الصور
فلو وقع عليه وهم لمثله في صورة حسية حتى ان الوهم انما يدرك نفسه في مثال من صورة وحجم ومقدار
خلقه الخلق على غير مثال الى قوله معين وقد سبق ايضا بيانه في الخطبة الاولى وغيرها وتمام خلقه بامره
الى غايته في الكمال الممكن له اذ نطقت البراهين العقلية ان كل ما امكن لشيء وصل اليه من الجود الالهي المنزه
عن البخل والمنع من جهته واذعانه لطاعته دخوله تحت القدرة الالهية وكذلك اجابته من غير مدافعة
وانقياده من غير منازعة ثم شرع في مقصود الخطبة وهو حمد الله تعالى باعتبار بعض لطائف صنعه في
خلقه والتنبيه على غوامض حكمته في خلقه هذا الحيوان المخصوص وبدأ بالتعجب من مخالفتها سائر الحيوان في
قبض الضياء لابصارها مع بسطه لسائر ابصار الحيوانات واعدادها لاعتباط النبات ونموه وغيره ثم من
الظلام لابصارها مع قبضه لسائر الابصار ثم نبه على العلة الطبيعية لذلك وهو عشا اعينها وضعفها
ان تستمد من نور الشمس المضيئة نورا تهتدي به والذي ذكر علة ذلك الضعف هو افراط التحلل في
الروح الحامل للقوة الباصرة من هذا الحيوان اذا لقي حر النهار فيصيبه لذلك التحلل ضعف فيحتاج معه الى
العوض عما تحلل فيرجع عن العضو الباصر منها طلبا للبدل ما تحلل فيستكمل البدل ببرد الليل فكان
وضعف حرارة النهار فيعود الابصار وبينه عليه السلم بحد الخاصية منها وكيفية حالها فيها الى قوله ظلم لياليها
ووصف لا مزيد على فصاحته وقوله وتتصل بعلانية برهان الشمس الى معارفها في غاية الفصاحة ومعانيها
ما قررناه من مذاهبها ووجوه مصارفها ان تتصل عطف على قوله تستمد ولما اسند الجفون بها على جعلها
تحلل الروح الحامل للقوة الباصرة بسبب الضوء ايضا فيكون ذلك الاسود البصر يا من النور وكثيرا ما يحكى كثيرا
من الحيوان وسببه ما ذكرناه واستعار لفظ القناع للشمس ملاحظة لشبهها بالمرأة ذات القناع وكون القناع

عن نورها

عن بروزها من حجاب الارض ثم ثنى بتسبيح الله تعالى وتعظيمه باعتبار امر اخر لها على سبيل التعجب وهو خلق
اجنحتها من لحم بلا ريش ولا قصب كسائر اجنحة الطير بل من عروق وورق تبسطه وتقبضه على مفاصل مخصوصة
من غير رقة توجب له الانشقاق عند الطيران ولا غلظ يوجب له الثقل ثم ثلث بعجيب حالها مع ولدها وذلك انها
تلصق بها غير تضمها ولا تفارقها في حالتي وقوعها وطيرانها حتى يشتد ويمكنه الطيران والتصرف بنفسه
وذلك امر مخالف به ايضا سائر الحيوان وهو محل التعجب ثم ختم الفصل بتسبيح الله تعالى باعتبار خلقه
لكل شيء من غير مثال سبق من غيره ومن الامثال العامة قيل للخفاش لماذا لا اجنحة لك قالت لاني تصوير
مخلوق قيل فلماذا لا تخرج نهارا قال حياء من الطيور يريدون ان المسيح عليه السلم صورني وان اليه
الاشارة بقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وفي الطير عجائب لا تهتدي
لها العقول بل وفي كل ذرة من ذرات مبدعاته ومكوناته لطائف واسرار كالنحل والبعوض والنمل يعجز عن ادراكها
واستقصائها اوصافها الباب الالباء وحكمة الحكماء فسبحانه ما اعظم شانه وابهر برهانه ومن خطبة له عليه
السلم خاطب بها اهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم فمن استطاع عند ذلك ان يعتقل نفسه على الله فليفعل
فان اطعتموني فاني حاملكم ان شاء الله على سبيل الجنة وان كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة واما فلانة فادركها
رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين ولو دعيت لتنال من غيري ما اتت الي لم تفعل ولها بعد حرمتها
الاولى والحساب على الله اقول اعتقل نفسه اي ضبطها وحبسها والضغن الحقد والمرجل القدر وقوله
عند ذلك يقتضي امر مسبوق منه قبل هذا الفصل ذكر فتن وحروب تقع بين المسلمين وجب على من ادركها ان
يحبس نفسه على طاعة الله دون مخالطتها والدخول فيها وسبيل الجنة هو الدين القيم فظاهر شرط حمله لهم
عليه بالطاعة اذ لا رأي لمن لا يطاع ونبه على ان سلوك الدين الحق ما هو ذو مشقة شديدة ومذاقة مريرة كالجهاد
وكذلك سائر التكاليف فيها مشقة وفلانة كناية عن عائشة وادراك رأي النساء لها في خروجها الى البصرة وقد
علمت ان رأي النساء يرجع الى افن وضعف وفي الخبر لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وجعله النهن قليلات
عقل ودين كما سبق بيان اختلافهن واما الضغن فقد نقل له اسباب عدة منها ما كان بينها وبين فاطمة عليها
السلم بسبب تزويج الرسول صلى الله عليه وآله لها عقيب موت خديجة ام فاطمة واقامتها مقامها في
المعلوم المعتاد مما يقع من المرأة وابنة زوجها من غيرها من الكدر وكان سبب البغض من المرأة لبنت الزوج
حركة المتخيلة باقامة البنت مقام الام التي هي ضرتها وتشبيهها بها فيتمها مقام الضرة وتتوهم فيها
العداوة والبغضة ثم يتأكد ذلك الخيال ويقوى باسباب اخرى فيتأكد البغض خصوصا ان كان للزوج اكرام
لبنته كما هو المنقول من الرسول صلى الله عليه وآله في حق فاطمة عليها السلم واما من جهة البنت فلتخيلها
انها ضرة امها وتوهمها بسبب ذلك بغضها لها والباغض للام باغض للبنت لا محالة وربما اكد ذلك الميل
المنقول عن الرسول صلى الله عليه وآله في حق عائشة وايثارها على سائر نسائه والنفوس البشرية خصوصا

نفوس النساء تغيظ على ما دون ذلك فكيف بذلك منه صلى الله عليه وآله ولاشك في تعدي ذلك الى نفس علي
عليه السلم فان النساء كثيرا ما يحصل بسببهن الاحقاد في قلوب الرجال وعن بعض الحكماء اذا رايت في الدنيا
خصومة ليست بسبب امرأة فاحمد الله تعالى فانها امر عجيب وكثيرا ما كانت فاطمة عليها السلم تشكوا اليه
ميلها من عايشة ومنها ما كان من امر قذف عايشة ونقل ان عليا عليه السلم من المشيرين بطلاقها تنزيها
لعرض الرسول صلى الله عليه وآله من اقوال المنافقين وقال لما استشاره ان هي الا شسع نعلك وقال اسال
الخادمة وخوفها ان اقامت على الجحود فاضر بها وبلغها كل ذلك الكلام وسمعت اضعافه من الغير بما جرت
عادة الناس ان يتداولوه في مثل هذه الواقعة ونقل اليها النساء ان عليا وفاطمة سرّا بذلك فتفاقم الامر وغلظ
ثم لما نزلت براءتها وصالحها الرسول صلى الله عليه وآله ظهر منهما ما جرت العادة بظهوره ممن انتقص بعد ظلمه
وينتصر بعد عليه من بسط اللسان والبجح بالبراءة من العيب وقالت القول في اثناء ذلك وبلغ ذلك عليا وفاطمة
عليهما السلم ومنها كون النبي صلى الله عليه وآله سد باب ابي بكر من المسجد وفتح باب صهره ومنها بعثه اباها
بسورة براءة ثم اخذها منه ودفعها الى علي الى غير ذلك من الاسباب الجزئية التي تشهد بها قراين الاحوال
ولا يكاد حسن بالاحوال فان كل ذلك مما يثير الاحقاد ويوكد الاضغان وقوله ولو دعيت الى آخره كلام حق لكن
الباعث لها في حقه دون غيره وقوله ولها بعد حرمتها الاولى وجه اعتذار في الكف عن اذاها بعد استحقاقها الاذى
في نظره وحرمتها نكاح رسول الله صلى الله عليه وآله وكونها زوجة له وقوله والحساب على الله تنبيه على ان سوء
ساعيها في الدنيا بما فعلت فان الله تعالى هو المتولي لحسابها في الآخرة ولعل هذا الكلام منه عليه السلم قبل اظهارها
للتوبة وعلمه بذلك لا في معنى اظهار الوعيد لها من الله **منها** سبيل ابلج المنهاج انور السراج فبالايمان يستدل
على الصالحات وبالصالحات يستدل على الايمان وبالايمان يعمر العلم وبالعلم يرهب الموت وبالموت تختم الدنيا وبالدنيا
تحرز الآخرة وبالقيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز الجحيم للغاوين وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة مرقلين
في مضمارها الى الغاية القصوى **اقول** ازلفت قدمت وقربت والارقال ضرب من الخبب ولا مقصر له عن كذا اي لا
محبس ومبدأ الفصل في وصف الايمان التصديق القلبي بالتوحيد وما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
ولا شك في كونه سبيلا ابلج واضح المسلك الى الجنة انور السراج في ظلمات الجهل ولفظ السراج مستعار
والصالحات هي الاعمال الصالحة من ساير العبادات ومكارم الاخلاق التي وردت بها الشريعة وظاهر كونها
معلولات للايمان وثمرات له فيستدل بوجوده في قلب العبد على ملازمته لها استدلالا بالعلة على المعلول ثم
يستدل بصدورها من العبد على وجود الايمان في قلبه استدلالا بالمعلول على العلة واما قوله فبالايمان يعمر
العلم فلان الايمان بالتفسير المذكور اذا اعتضد بالبرهان كان علما وهو روح العلوم ويطلق اسم الايمان
عليه مع ثمراته وهي الاعمال الصالحة لانها من كمالاته ولا تمام له ولا منفعة بدونها فان العلم اذا لم يعضد بالعمل
فهو قليل الفائدة في الآخرة بل لا ثمرة له فهو كالخراب الغير الصالح للاقتناء فكما لا يصلح الخراب للسكنى فكذلك العلم

الخالي عن الاعمال الصالحة ولذلك قال عليه السلم في موضع آخر العلم مقرون بالعمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه
والا ارتحل واما قوله وبالعلم يرهب الموت فلان العلم بالله تعالى وبغاية خلقه للانسان وملاحظة نسبة
الدنيا الى الآخرة والعلم باحوال المعاد يستلزم ذكر الموت ودوام ملاحظته وذلك مستلزم لرهبته ورهبة
العمل له ولما بعده وقوله وبالموت تختم الدنيا ظاهر اذ الدنيا عبارة عما فيه الانسان قبل الموت من المنافع
البدنية وقوله وبالدنيا تحرز الآخرة اشارة الى ان الدنيا محل الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد وفيها
يحصل كمال النفوس الذي تحرز به سعادة الآخرة وقد سبق بيانه وقوله يوم القيمة تزلف الجنة للمتقين وتبرز
الجحيم للغاوين اشارة لطيفة ذكرناها غير مرة وهو ان بالموت وطرح جلباب البدن يتبين ما للانسان
وما عليه مما قدم من خير وشر وان كانت ثمرة ذلك اثرا حاصلا للنفس في الدنيا الا ان التالم به والالتذاذ
انما يحصل لها بعد طرح البدن والى الاشارة بقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت
من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ولفظ الازلاف والبروز يشهد بذلك لان فيه معنى الظهور
اي ظهورها لادراك اذن وقوله وان الخلق لا مقصر لهم عن القيمة الى آخره كلام في غاية الحسن مع غزارة
الفايدة وهو اشارة الى انه لابد لهم من ورود القيمة ومضمارها مدة الحياة الدنيا وهو لفظ مستعار
ووجه المشابهة كون تلك المدة محل استعداد النفوس للسباق الى حضرة الله كما ان المضمار محل استعداد
الخيل للسباق وقد سبق بيان ذلك في قوله الا وان اليوم المضمار وغدا السباق ومرقلين حال وارقالهم
كناية عن سيرهم المتوهم في مدة اعمارهم الى الآخرة وسرعة حثيث الزمان بهم [illegible]
والغاية القصوى هي السعادة او الشقاوة الاخروية **منها** قد شخصوا من مستقر الاجداث وصاروا
الى مصاير الغايات لكل دار اهل لا يستبدلون بها ولا ينقلون عنها وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
لخلقان من خلق الله سبحانه وتعالى لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وعليكم بكتاب الله فانه الحبل
المتين والنور المبين والشفاء النافع والري الناقع والعصمة للمتمسك والنجاة للمتعلق لا يعوج فيقام
ولا يزيغ فيستعتب ولا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع من قال به صدق ومن عمل به سبق وقام اليه عليه السلم رجل فقال
اخبرنا عن الفتنة وهل سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عليه السلم لما انزل الله سبحانه قوله الم احسب الناس
ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون علمت ان الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين اظهرنا فقلت
يا رسول الله ما هذه الفتنة التي اخبرك الله بها فقال يا علي ان امتي سيفتنون بعدي فقلت يا رسول الله او ليس قد
قلت لي يوم احد حيث استشهد من المسلمين وحيزت عني الشهادة فشق ذلك علي فقلت لي ابشر فان الشهادة
من ورائك فقال لي ان ذلك لكذلك فكيف صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن
من مواطن البشرى والشكر وقال يا علي ان القوم سيفتنون باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته
ويامنون سطوته ويستحلون حرامه بالشبهات الكاذبة والاهواء الساهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية

والربا بالبيع قلت يا رسول الله فبأي المنازل انزلهم عند ذلك ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة اقول صدر
هذا الفصل يصف حال اهل القبور في القيمة ومصائرهم الى غايات الجنة والنار وظاهر ان لكل دار منهما اهلا لا يبغون
بها ويجب ان يعنى باهل النار الكفار ليتم قوله لا يستبدلون بها ولا ينتقلون عنها فان العصاة من اهل القبلة
وان صح انهم يعذبون لكن ثبت انهم ينتقلون عنها وقوله وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى قوله من رزق
حث عليهما بذكر كونهما خلقين من خلق الله واعلم ان اطلاق لفظ الخلق امر ملكة نفسانية يصدر عنها الافعال
بها افعال خيرية او شرية والله تعالى منزه عن الكيفيات والملكات يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة لكن
لما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الاخلاق الفاضلة اشبه ما نسب اليه تعالى من صفات الكمال ونعوت
الجلال التي نسب اليها ما يصدر عنه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والافعال الخيرية التي بها نظام
العالم وبقاؤه بحكمته وقدرته وجوده وعنايته وعدم حاجته ما يقارفه من الاخلاق الفاضلة التي يصدر
عنها الافعال الخيرية البشرية فاستعير لها لفظ الاخلاق واطلق عليه فاما كونهما لا يقربان الاجل ولا ينقصان
الرزق فلان كثيرا من ضعفاء الاعتبار العقلي يمنعهم عن الامر بالمعروف او النهي عن المنكر توهم احد
الامرين وخصوصا ترك نهي الملوك عن المنكرات ثم شرع في الحث على لزوم كتاب الله واوصاف نبه بها على
فضيلته الاول كونه الحبل المتين ولفظ الحبل مستعار له ووجه المشابهة كونه سببا لنجاة المتمسك به من
الهوي في دركات الجحيم كالحبل في نجاة المتمسك به ورشح بذكر المتانة الثاني كونه نورا مبينا ولفظ النور
ايضا استعارة له باعتبار الاهتداء به الى المقاصد الحقيقية في سلوك سبيل الله الثالث كونه الشفاء
النافع اي من الم الجهل وكذلك الري النافع الى العطشان من ماء الحيوة الابدية كالعلوم والكمالات الباقية
الرابع كونه عصمة للمتمسك ونجاة للمتعلق ومعناه كالذي سبق في كونه حبلا الخامس لا يعوج فيقام اذ هو
هو كمال الآلات المحسوسة السادس ولا يزيغ فيستعتب اي يطلب منه العتبى والرجوع الى الحق كما يطلب
من سائر الحكام من الناس السابع ولا تخلقه كثرة الرد اي الترديد في الالسنة وولوج الاسماع وهو من خواص
القرآن الكريم فان كل كلام نثر او نظم اذا كثرت تلاوته مجته الاسماع واستهجن الا القرآن الكريم فانه
لا يزال غضا طريا يزداد على طول التكرار في كرور الاعصار محبته في القلوب وحسنا والذي يلوح من سر ذلك
كثرة اسراره وغموضها التي لا يطلع عليها الا الافراد مع كونه في غاية من فصاحة الالفاظ وعذوبة المسمع فاما
ما حكاه من سؤاله لرسول الله صلى الله عليه وآله وجواب الرسول فقد روى كثير من المحدثين عنه عليه السلام
عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال فقلت يا
رسول الله وما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال فتنة قوم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله وهم
مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما اشهد قال على الاحداث في الدين ومخالفة
الامر فقلت يا رسول الله انك كنت وعدتني بالشهادة فاسأل الله ان يعجلها لي بين يديك قال فمن يقاتل

الناكثين

الناكثين والقاسطين والمارقين اما اني وعدتك الشهادة وستستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف
صبرك اذن فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر قال اجل اصبت فاعد للخصومة فانك
مخاصم فقلت يا رسول الله لو بينت لي قليلا فقال ان امتي ستفتن من بعدي فتتأول القرآن وتعمل بالرأي
وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال
فكن جليس بيتك حتى تقلدها فاذا قلدتها جاشت عليك الصدور وقلبت لك الامور فقاتل حينئذ
على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى فقلت يا رسول الله فبأي
المنازل انزل هؤلاء المفتونين ابمنزلة فتنة ام بمنزلة ردة فقال بمنزلة فتنة يعمهون فيها الى ان يدركهم
العدل فقلت يا رسول الله ايدركهم العدل منا ام من غيرنا قال بل منا بنا فتح وبنا يختم وبنا الف الله بين القلوب
بعد الشرك وبنا يؤلف القلوب بعد الفتنة فقلت الحمد لله على ما وهب لنا من فضله وليس في هذا
الفصل غريب ننبه عليه سوى قوله ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن الشكر فانك علمت فيما
سلف ان الصبر والشكر من ابواب الجنة والمقامات العالية للسالك الى الله تعالى لكن علمت ان مقام الشكر
ارفع من مقام الصبر ولما كان هو عليه السلام سيد العارفين بعد سيد المرسلين صلى الله عليه وآله لاجرم
كان اولى من صدرت عنه هذه الاشارة فاما اخبار الرسول صلى الله عليه وآله له بان الناس سيفتنون
باموالهم ويمنون بدينهم على ربهم ويتمنون رحمته ويأمنون سطوته وسائر ما اخبر به الى قوله بالبيع فكل
ذلك مشاهد في زماننا وقبله بقرون واما كون ذلك منزلة فتنة لا منزلة ردة فلبقائهم على الاقرار بالشهادتين
وان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا الشبهة غطت على اعين بصائرهم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم
الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته عباد
الله ان الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين لا يعود ما قد ولى منه ولا يبقى سرمدا ما فيه آخر فعاله
كاوله متشابهة اموره متظاهرة اعلامه فكانكم بالساعة تحدوكم حدو الزاجر بشوله فمن شغل نفسه بغير
نفسه تحير في الظلمات وارتبك في الهلكات ومدت به شياطينه في طغيانه وزينت له سيء اعماله فالجنة
غاية السابقين والنار غاية المفرطين اعلموا عباد الله ان التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل لا
يمنع اهله ولا يحرز من لجأ اليه الا وبالتقوى تقطع حمة الخطايا وباليقين تدرك الغاية القصوى عباد الله الله
في اعز الانفس عليكم واحبها اليكم فان الله تعالى قد اوضح سبيل الحق وانار طرقه فشقوة لازمة او سعادة دائمة
فتزودوا في ايام الفناء لايام البقاء فقد دللتم على الزاد وامرتم بالظعن وحثثتم على المسير فانما انتم كركب وقوف
لا تدرون متى تؤمرون بالمسير الا فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة وما يصنع بالمال من عما قليل يسلبه وتبقى عليه
تبعته وحسابه عباد الله انه ليس لما وعد الله من الخير مترك ولا فيما نهى عنه من الشر مرغب عباد الله احذروا يوما
تفحص فيه الاعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال اعلموا عباد الله ان عليكم رصدا من انفسكم وعيونا من جوارحكم

وخاطئا صدق يحفظون اعمالكم وعدد انفاسكم لا تستركم منهم ظلمة ليل داج ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج وان غدا
من اليوم قريب يذهب اليوم بما فيه ويجيء الغد لاحقا به فكان كل امرئ منكم قد بلغ من الارض منزل وحدته ومخط
حفرته فيا له من بيت وحدة ومنزل وحشة ومفرد غربة وكان الصيحة قد اتتكم والساعة قد غشيتكم وبرزتم
لفصل القضاء قد زاحت عنكم الاباطيل واضمحلت عنكم العلل واستحقت بكم الحقائق وصدرت بكم الامور مصادرها
فاتعظوا بالعبر واعتبروا بالغير وانتفعوا بالنذر اقول الشول النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها واتى عليها من
نتاجها سبعة اشهر الواحدة شائلة على غير قياس ولا ارتباك الاختلاط وحمة العقرب ابرتها وهي محل سمها واول
الفلق وقد حمد الله تعالى باعتبارات احدها جعله الحمد مفتاحا لذكره في بعض سور الثاني كونه سببا للمزيد من
فضله والمراد بالحمد هنا الشكر لقوله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم وقد عرفت اعداده لزيادة النعم الثالث
على الآلاء لاختصاص الشكر بمولى النعم وعلى عظمته لاختصاصه باستحقاق ذلك اذ امره هو مبدأ لكل عهد
الحمد لا ينبغي الا له ثم اخذ في الموعظة فنبه السامعين على فعل الدهر بالماضين ليتذكروا انهم امثالهم ولاحقون
بهم فيتقوا واعرفهم ويعملوا لما بعد الموت ثم نبه على حال الدنيا في تقضيها بان كل وقت مضى منه لا يعود والآتي
منه لا اهل ومتاع من الدنيا انما يكون في الوجود بوجود ذلك الوقت وظاهر انه ينقضي بتقضيه ولا يبقى
ما فيه وان آثاره متشابهة آخرها كاولها اي يوجد ما يكون باعداد وقت منه بوجود ذلك الوقت وينقضي
بانقضائه فحال الدنيا دائما على وتيرة واحدة وكذلك قوله متشابهة اموره فانه كما كان اي لا ينفع يوما للقصر وقوما
للرفعة وقوما للوجود واخرين للعدم كذلك هو آخرا وقوله متظاهرة اعلامها اي دلائله على تغيرها وطبيعتها
واعمالها التي يعامل الناس بها قديما وحديثا متواصلة يتبع بعضها بعضا ونسبة هذه الامور الى الدهر جريا على
اوهام العرب وان كان الفاعل هو الله تعالى وان الدهر لا عداد كما سبق ثم نبه على قرب الساعة وشبه حدوها
سوقها لهم بسوق الزاجر للنوق في حثه لها وقد عرفت كيفية ذلك التشويق ووجه الاستعارة فيه في قوله وان
من ورائكم تحدوكم فاما وجه الشبه فهو السرعة والحث والمختص الشول من النوق لخلوها من العشار فكون
سوقها اعنف واسرع ولما نبههم على قربها وانها غدا وحثهم على وجوب اشتغال كل بنفسه اذ كان مشغول نفسه
بغير نفسه غير محصل لنور يهتدي به في ظلمات طريق الآخرة بل انما يحصل على الغفلة والغشية من الهيئات الردية
اكتسبها لما اشتغل به من متاع الدنيا والعمل لها وعلم ان تلك الاغطية مغشية لنور البصيرة فلا جرم يتحير في تلك
ويرتبك في مهالك تلك الطريق ومغاويها وتمد به شياطينه ونفسه الامارة في طغيانه وتزين له سيئاته الرذائل
غاية وجود الانسان فحق الجنة بالسابقين والنار بالمفرطين وقد كان ذكر الجنة كافيا في الجذب اليها والنار كافيا
في الجذب عنها فقرن ذكر الجنة بذكر فضيلة السبق وذكر النار بذكر رذيلة التفريط ليقوى الباعث على طلب الشرف
والهرب من اخسيهما وايضا فلان السبق والتفريط علتان للوصول الى غايتيهما المذكورتين فهو اذا الطالب للاحد
والهرب من الاخرى بذكر مبدئيهما ثم عاد الى التنبيه على فضيلة التقوى واستعار لفظ الدار الحصينة العز

عمس بها ووجه الاستعارة كونها تحصن النفس اما في الدنيا فمن الرذائل الموبقة المنقصة الموجبة لكثير من الهلكات الدنيوية
واما في الآخرة فمن ثمرات الرذائل وملكات الشر المستلزمة للعذاب الاليم ثم على رذيلة الفجور وهو طرف الافراط من فضيلة
العفة واستعار لفظ الدار بعيد كونها حصنا ذليلا ووجه الاستعارة كونه مستلزما لضد ما استلزم التقوى ويحتمل ان
يخص التقوى هنا بفضيلة القوة البهيمية وهي العفة والزهد لمقابلته الفجور للعفة ثم نبه على فضيلة اخرى
للتقوى وهي كونها قاطعة لحمة الخطايا ولفظ الحمة مستعار لها باعتبار كونها اسبابا مستلزمة للاذى في الآخرة كما
تستلزم ابرة العقرب او سمها الاذى ومن روى حمة مشددة اراد شدة الخطايا وباسها لان حمة الحر معظمه وكان
كون التقوى قاطعا لباس الخطايا وماحيا لآثارها ولما اشار الى كون التقوى حاسما لمادة الخطايا وكان ذلك
اصلاح القوة العملية اشار الى ان اليقين الذي هو اصلاح القوة النظرية سبب لادراك الغاية القصوى فان الانسان
اذا حصل على كمال القوة النظرية باليقين وعلى كمال القوة العملية بالتقوى بلغ الغاية القصوى من الكمال الانساني
ثم عقب بتحذير السامعين من الله تعالى في اعز الانفس عليهم واحبها اليهم وفي الكلام اشارة الى ان للانسان انفسا
متعددة وهي باعتبار مطمئنة وامارة بالسوء ولوامة وباعتبار عاقلة وشهوية وغضبية ولا شك ان الذات
الاخيرة واعزها النفس العاقلة اذ هي الباقية بعد الموت ولها الثواب وعليها العقاب وفيها الوصية وغاية هذا
التحذير حفظ كل نفسه مما يوبقها في الآخرة وذلك بالاستقامة على سبيل الله ولذلك قال فقد اوضح لكم سبيل الحق
وابان طرقه ووصفه وانار طرقه اي بالآيات والنذر ثم نبه على غايتي سبيل الحق وسبيل الباطل بقوله فشقوة
لازمة وسعادة دائمة ثم عاد الى الحث على اتخاذ الزاد بعد ان ذكر التقوى تنبيها على ان الزاد هو التقوى كما قال
تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وايام الفناء ايام الحياة وايام البقاء الحال التي بعد الموت ودلالتهم على الزاد
في الآخرة التي دلهم الله تعالى بها عليه وامرهم بالظعن كقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وقوله
ففروا الى الله وبالجملة فكل امر بالاعراض عن الدنيا والتنفير عنها فهو مستلزم للحث على الظعن والامر بالسير
عن الدنيا بالقلوب لان الظعن هنا هو قطع درجات المعارف والاعمال في سبيل الله وصراطه المستقيم
فيها ويحتمل ان يريد بالحث على السير حث الليل والنهار بتعاقبهما على الاعمار فهما سائقان حثيثان عنيفان
التنبيه سوقهما على اتخاذ الزاد لما يسوقان اليه وقوله وانما انتم كركب الى آخره فوجه التشبيه ظاهر فالانسان
هو النفس والمطايا هي الابدان والقوى النفسانية والطريق هي العالم الحسي والعقلي والسير الذي ذكره قبل
الموت هو تصرف النفس في العالمين لتحصيل الكمالات المسعدة وهي الزاد لغاية السعادة الباقية واما السير الثاني
الذي هم وقوف ينتظرونه ولا يدرون متى يؤمرون به فهو الرحيل الى الآخرة من دار الدنيا وطرح البدن
وقطع عقبات الموت والقبر اذ الانسان لا يعرف وقت ذلك وحينئذ يتبين لك من سر هذا الكلام
ان قوله وامرتم بالظعن مع قوله لا تدرون متى تؤمرون بالسير غير متنافيين كما ظنه بعضهم ثم اخذ في تزهيد
الدنيا والتنفير عنها بذكر ان الانسان غير مخلوق لها بل لغيرها ومقتضى العقل ان يهمل الانسان ما خلق له

ملاحظة لشبهها بالنخامة وكنى بعدم ذوقها وقطعها عن عدم رجوعها اليهم وما هنا بمعنى المدة والجديدان الليل والنهار
وكنى بذلك عن الابد وهو اخبار منه عما سيكون وروى عن الرسول صلى الله عليه وآله انه اخبر ان بنى امية تملك
الخلافة بعده مع ذم منه لهم نحو ما روى عنه عليه السلم فى تفسير قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى اريناك
الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن قال المفسرون انه رأى فى المنام ان بنى امية ينزون على منبره نزو
القردة وبهذا اللفظ فسّر عليه السلم الآية وساءه ذلك ثم قال الشجرة الملعونة بنو امية وبنو المغيرة ونحو
عنه انه قال اذا بلغ بنو ابى العاص ثلثين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباده خولا وكما روى عنه فى تفسير قوله
تعالى ليلة القدر خير من الف شهر قال الف شهر يملك فيها بنو امية ونحو قوله ابغض الاسماء الى الله الحكم
والوليد الى غير ذلك ومن خطبة له عليه السلم ولقد احسنت جواركم واحطت بجهدى من ورائكم
واعتقتكم من ربق الذل وحلق الضيم شكرا منى للبر القليل واطراقا عما ادركه البصر وشهده البدن من المنكر
الكثير اقول الحياطة بجهده من ورائهم اشارة الى حفظه وحراسته لهم واعتاقهم من ربق الذل وحلق الضيم
حمايته من عدوهم واحترازهم ... على شكره القليل من برهم اى مقدار طاعتهم لله تعالى فضلا
عن كثير منكرهم مما شاهده منا عليهم بالمسامحة والعفو فان قلت فكيف يجوز له ان يسكت عن انكار المنكر مع مشاهدته
قلت يحمل ذلك منه على عدم التمكن من ازالته بالعنف والقهر لجواز ان يستلزم ذلك مفسدة اكبر مما هو عليه
المنكر وظاهر انهم غير معصومين ومحال ان يستقيم دولة او يتم ملك بدون الاحسان الى المحسنين من الرعية والتجاوز
عن بعض المسيئين وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم امره قضاء وحكمة ورضاه امان ورحمة يقضى
بعلم اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطى وعلى ما تعافى وتبتلى حمدا يكون ارضى الحمد لك واحب الحمد اليك وافضل
الحمد عندك حمدا يملأ ما خلقت ويبلغ ما اردت حمدا لا يحجب عنك ولا يقصر دونك حمدا لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده
فلسنا نعلم كنه عظمتك الا انا نعلم انك حى قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم لم ينته اليك نظر ولم يدركك بصر ادركت
الابصار واحصيت الاعمال واخذت بالنواصى والاقدام وما الذى نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك ونصفه
من عظيم سلطانك وما تغيب عنا منه وقصرت ابصارنا عنه وانتهت عقولنا دونه وحالت سواتر الغيوب
بيننا وبينه اعظم فمن فرغ قلبه واعمل فكره ليعلم كيف اقمت عرشك وكيف ذرأت خلقك وكيف علقت فى الهواء
سمواتك وكيف مددت على مور الماء ارضك رجع طرفه حسيرا وعقله مبهورا وسمعه والها وفكره حائرا
اقول امره هو حكم قدرته الالهية وكونه قضاء كونه حكما لازما لا يرد وكونه حكمة كونه على وفق الحكمة الالهية والنظام
الاكمل ورضاه يعود الى علمه بطاعة العبد له وفق امره ونهيه وقوله يقضى بعلم اعاده لمعنى قوله امره قضاء
وحكمة يجرى مجرى التفسير له وقوله ويعفو بحلم يعود الى الرضا بالطاعة بعد تقدم الذنب
العفو مع تحقق القدرة على العقاب اذ العجز لا يسمى عفوا فلذلك قال ويعفو بحلم ثم عقب بخطاب الله
بنعمته والحمد له باعتبار ضروب من السراء والضراء اشارة الى حمده على كل حال وهى الاخذ والاعطاء والمعافاة والابتلاء

ثم باعتبار ضروب كيفيته وهو كونه ارضى الحمد له واحبه اليه وافضله عنده اى اشده وقوعا على الوجه اللائق لما
لعظمته ثم باعتبار كميته وهو كونه يملأ ما خلق ويبلغ ما اراد كثرة ثم باعتبار غايته وهو كونه لا يحجب عنه ولا
يقصر دونه ثم باعتبار مادته وهو كونه لا ينقطع عدده ولا يفنى مدده وقد يكون التفصيل فى القول فى بعض
المواضع ابلغ وقعا فى النفوس والذ وقد يكون الاجمال والاختصار ابلغ وانفع ثم شرع فى الاعتراف بالعجز عن
كنه عظمته وفى بيان وجه معرفته الممكنة للخلق وهى اما بالصفات الحقيقية او الاعتبارات السلبية او الاضافية
واشار الى الاعتبارات الثلث فكونه حيا قيوما اشارة الى الصفات الحقيقية وقد عرفت انهما يستلزمان الوجود اذ
كل حى موجود والقيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره وكل قائم بذاته فهو موجود واجب الوجود وكونه لا تأخذه سنة
ولا نوم ولا ينتهى اليه نظر عقلى او بصرى ولا يدركه بصر اعتبارات سلبية وكونه مدركا للابصار محصيا للاعمال
آخذا بالنواصى والاقدام اى محيط القدرة بها اعتبارات اضافية ثم عاد الى استحقار ما عدده مما ادركه بالنسبة
الى ما لم يدركه من عظيم ملكوته وما فى قوله وما الذى استفهامية على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه وما الثانية
فى قوله وما يغيب عنا منه بمعنى الذى محلها الرفع بالابتداء وخبره اعظم والواو فيها للحال ثم عقب بالحكم على
من فرغ قلبه واعمل فكره ليصل الى كنه معرفته وعلم كيفية نظام العالم الاعلى والاسفل برجوع
كل من آلات ادراكه حسيرا مقهورا عن ادراك ما كلفه ادراكه من ذلك وقد سبقت الاشارة الى براهين هذه الاحكام
غير مرة وبالله التوفيق منها يدعى بزعمه انه يرجو الله كذب والعظيم ما باله لا يتبين رجاؤه فى عمله وكل
من رجا عرف رجاؤه فى عمله وكل رجاء الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول يرجو الله
فى الكبير ويرجو العباد فى الصغير فيعطى العبد ما لا يعطى الرب فما بال الله عز وجل يقصر به عما يصنع بعباده اتخاف
ان تكون فى رجائك له كاذبا او تكون لا تراه للرجاء موضعا وكذلك ان هو خاف عبدا من عبيده اعطاه من خوفه ما
لا يعطى ربه فجعل خوفه من العباد نقدا وخوفه من خالقه ضمارا او وعدا وكذلك من عظمت الدنيا فى عينه وكبر
موقعها من قلبه آثرها على الله فانقطع اليها وصار عبدا لها ولقد كان فى رسول الله صلى الله عليه وآله كاف لك
فى الاسوة ودليل لك على ذم الدنيا وعيبها وكثرة مخازيها ومساويها اذ قبضت عنه اطرافها ووطئت لغيره اكنافها
وفطم من رضاعها وزوى عن زخارفها وان شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه اذ يقول رب انى لما انزلت الى
من خير فقير والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض ولقد كانت خضرة البقل ترى من شفيف صفاق
بطنه لهزاله وتشذب لحمه وان شئت ثلثت بداود عليه السلم صاحب المزامير وقارى اهل الجنة ولقد كان يعمل
سفائف الخوص بيده ويقول لجلسائه ايكم يكفينى بيعها ويأكل قرص الشعير من ثمنها وان شئت قلت فى عيسى بن
مريم عليه السلم فلقد كان يتوسد الحجر ويلبس الخشن وكان ادامه الجوع وسراجه بالليل القمر وظلاله فى الشتاء
مشارق الارض ومغاربها وفاكهته وريحانه ما تنبت الارض للبهائم ولم تكن له زوجة تفتنه ولا ولد يحزنه ولا مال يلفته
دابته رجلاه وخادمه يداه فتأس بنبيك الاطيب الاطهر صلى الله عليه وآله فان فيه اسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى واحب العباد

الله التأسي بنبيه والمقتص لأثره قضم الدنيا قضما ولم يعرها طرفا أهضم أهل الدنيا كشحا وأخمصهم من الدنيا بطنا عرضت
عليه الدنيا فأبى أن يقبلها وعلم أن الله أبغض شيئا فأبغضه وحقر شيئا فحقره وصغر شيئا فصغره ولو لم يكن فينا
إلا حبنا ما أبغض الله وتعظيمنا ما صغر الله لكفى به شقاقا لله ومحادة عن أمر الله ولقد كان صلى الله عليه وآله
يأكل على الأرض ويجلس جلسة العبد ويخصف بيده نعله ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمار العاري ويردف خلفه
ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة لإحدى أزواجه غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه
ذكرت الدنيا وزخارفها فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا
يتخذ منها رياشا ولا يعتقدها قرارا ولا يرجو فيها مقاما فأخرجها من النفس وأشخصها عن القلب وغيبها عن البصر وكذلك
من أبغض شيئا أبغض أن ينظر إليه وأن يذكر عنده ولقد كان في رسول الله صلى الله عليه وآله ما يدلك على مساوي
الدنيا وعيوبها إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا
بذلك أم أهانه فإن قال أهانه فقد كذب والعظيم وإن قال أكرمه فليعلم أن الله قد أهان غيره حيث بسط الدنيا له
وزواها عن أقرب الناس منه فتأسى متأس بنبيه واقتص أثره وولج مولجه وإلا فلا يأمن الهلكة فإن الله
جعل محمدا صلى الله عليه علما للساعة ومبشرا بالجنة ومنذرا بالعقوبة خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة
سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله وأجاب داعي ربه فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا
نتبعه وقائدا نطأ عقبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل ألا تنبذها
عنك فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى أقول المدخول الذي فيه شبهة وريبة وكذلك
المعلول الغير الخالص والضمار الذي لا يرجى من الموعود والمقتص للأثر المتبع له والقضم الأكل بأدنى الفم والخضم
الخميص لقلة الأكل والمحادة المعاداة والرياش الزينة والمدرعة الدراعة واغرب أي تباعد ومساق الكلام
يقتضي ذم من يدعي رجاء الله ولا يعمل له وتنبيهه أن رجاءه ليس بخالص بتكذيبه وبيان تقصيره في العمل
يدعي بزعمه أنه يرجو الله صورة الدعوى الحالية أو المقالية وقوله كذب والعظيم رد لتلك الدعوى مؤكد
بالقسم البار وإنما قال والعظيم دون الله لأن ذكر العظمة دون الله هنا أنسب للرجاء وقوله ما باله لا يتبين
رجاؤه في عمله قياس من الشكل الثاني بين فيه أنه غير راج وتلخيصه أن هذا المدعي لا يتبين رجاؤه في عمله ينتج
هذا المدعي للرجاء غير راج ومراده الرجاء التام الذي يجتهد في العمل له ولذلك قال إلا رجاء الله فإنه مدخول فبين
فيه دخلا على وجوده إلا أنه غير خالص وبيان الكبرى أن كل من رجا أمرا من سلطان أو غيره فإنه يخدمه الخدمة
ويبالغ في طلب رضاه ويكون عمله له بقدر قوة رجائه له وخلوصه ونرى هذا المدعي للرجاء غير عامل فيستدل
بتقصيره في الأعمال الدينية على عدم رجائه الخالص في الله وكذلك قوله وكل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول
في رجاء الله تعالى مع تقصيرهم في الأعمال الدينية وتقدير الاستثناء الأول مع المستثنى منه وكل رجاء راج يعرف في
عمله أي يعرف خلوص رجائه فيما يرجوه إلا رجاء الراجي لله فإنه غير خالص مدخول وكل رجاء الله فإنه مدخول

رجاء محقق أو خالص لتطابق الكليتين على مساق واحد وفيه حذف الإضمار في الكلية الأولى وقوله في الثانية محقق فلم يفسره
هناك وقوله يرجو الله في الكبير إلى قوله يعطي الرب في قوة قياس ضمير صغراه قوله يرجو إلى قوله الصغير وتقدير
كبراه وكل من كان كذلك فينبغي أن يعطي الله الذي هو يرجو من رجائه والعمل له ما لا يعطي المخلوقين الذين هم عباده
والصغرى مسلمة فإن الحس يشهد بأكثرية أعمال الخلق لما يرجوه بعضهم من بعض بالنسبة إلى أعمالهم لما يرجونه
من الله تعالى وأما الكبرى فبيانها أن المقرر في الفطر أن المرجو الكبير يستدعي ما يناسبه مما هو وسيلة إليه
كمية وكيفية وقوله فيعطي العبد ما لا يعطي الرب نقض للكبرى وقوله فما بال الله إلى قوله بعباده توبيخ وتشنيع
على من يخالف العمل بالنسبة المذكورة وقوله أتخاف إلى قوله موضعا استفسار عن علة التقصير المذكور في
الرجاء لله والعمل له بالنسبة إلى رجاء العباد والعمل لهم استفسارا على سبيل الإنكار وتقريعا على ما عساه
يدعى من أحد العلتين المذكورتين وهما خوف الكذب في رجاء الله أو ظنه غير أهل الرجاء والأمر الأول خطأ
عظيم لزمه عن التقصير في معرفة الله والثاني كفر صراح وإنما خصص هاتين العلتين بالذكر لأنهما اللتان يمكن
في عدم رجاء الخلق بعضهم لبعض أو ضعفه وانتفاؤهما في حق الله تعالى ظاهر فإنه تعالى الغني المطلق الذي لا
بخل فيه ولا منع من جهته فالعبد إذا استعد بقوة الرجاء له والعمل لما يرجوه منه وجب إفاضته الجود عليه بما
يرجوه فلا يكذب رجاؤه وهو تعالى الموضع التام له وقوله وكذلك إن هو خاف إلى قوله يعطي ربه
ضمير استثنائي بين فيه قصور خوف الخائف من الله بالنسبة إلى خوفه من بعض عبيده والضمير في عبيده
لله وفي خوفه للخائف ويحتمل عوده إلى العبد والملازمة في الشرطية ظاهرة وكبرى القياس استثناء عين المقدم
لينتج عين التالي وقوله فجعل إلى قوله وعدا توبيخ وتشنيع على من لزمه ذلك الاحتجاج وأنه من القبيح المشهور
أن يجعل الإنسان خوفه من عبد مثله نقدا حاضرا وخوفه من خالقه وعدا غير حاضر وقوله وكذلك من عظمت
الدنيا إلى آخره إشارة إلى علة إيثار الناس لمحبوب الدنيا على ما عند الله تعالى ووعد به وانقطاعهم إليها وصيرورتهم
عبيدا لها وذكر من العلة القريبة وهو عظمة الدنيا في أعينهم وتمام هذه العلة حقارة ما تصوروه من الوعد
الأخروي بالنسبة إلى الدنيا وعلة هذه العلة هو تصورهم للذات العاجلة كما هي وغيبوبة اللذات الموعودة
وتصورها الضعيف بحسب الوصف الذي غايته أن يوجب في أذهانهم مشابهة ما وجدوه لما حضرهم
الآن فلذلك كانت العاجلة أعظم في نفوسهم وأكبر وقعا في قلوبهم ولذلك آثروها وانقطعوا إليها
فاستعبدتهم وغاية هذا التوبيخ التنفير عن الدنيا والجذب عنها إلى الرغبة فيما وعد الله ولذلك عقبه
على ترك الدنيا من الرسول صلى الله عليه وآله وسائر الأنبياء والمرسلين الذين هم القدوة للخلق وإعراضهم عنها
وعلى كونهم محل الأسوة الكافية لهم في ذلك وهو كقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية
والدليل التام على ذمها وعيبها وكثرة مساويها ومخازيها وأشار بقوله إذ قبضت عنه أطرافها إلى مقدمة من
الدليل على حقارتها وخستها وذلك إلى قوله وخادمه بيده وقبض أطرافها عنه كناية عن منعها عنه بالكلية لعدم استعداده

لها وقبوله اياها وبوطئه جوانبها الغير كابر عن اعطائها اياها وتذليلها له كالملوك لفظ القضم لمنعه منها وكذلك لفظ
الرضاع لها ملاحظة لمشابهتها للام وله بالابن ووجه المشابهة ظاهر والذي ذكره عليه السلم واقتصاصا الدلالة
خبرا هو تفسير الاكثر كما نقله المفسرون ايضا وصفاق بطنه هو الجلد الباطن منه وشفيفه مارق منه فلم يحجب
البصر عن ادراك ما وراءه وتشذب لحمه تفرقه واستعار لفظ المزامير لاصوات داود عليه السلم ولفظ الادام
والسراج للقمر والظلال لمشارق الارض ومغاربها والفاكهة والريحان لما انبت الارض والدابة للرجلين
لليدين ووجه الاولى مشاركة صوته عليه السلم للمزمار وهي الالة التي يزمر بها في الحسن حتى ان الوحش
والطير كانت تقع عليه حال القراءة في محرابه لاستغراقها في لذة صوته ونغمته ووجه الثانية قيام بدنه عليه السلم
بالجوع كقيامه بالادام ووجه الثالثة مشاركة القمر للسراج في الضوء ووجه الرابعة استتاره عن البرد بالمشارق
والمغارب كاستتاره بالظلال ووجه الخامسة التذاذه ذوقه وشمه بما نبت الارض كما يلتذ غيره بالفاكهة و
الريحان ووجه السادسة والسابعة قيام انتفاعه برجليه ويديه كقيامه بالدابة والخادم وبالجملة فحال الانبياء
المذكورين سلام الله عليهم اجمعين في التقشف وترك الدنيا والاعراض عنها ظاهر معلوم بالتواتر فاما كونه اول
قارى اهل الجنة كما ورد في الخبر فلان كل امر حسن ينسب الى الجنة في العرف او لانه مع حسنه حاد به الى الجنة
وداع الى الله تعالى ولما وصف حالهم عاد الى الامر بالتاسي بالرسول صلى الله عليه وآله لانهم المامورون بحسن
الاقتداء به مطلقا وفيه الاسوة الكافية لمن تاسى به ولانه اقرب عهدا ممن سبق وحث على التاسي به بكون التاسي
به والمقتص لاثره احب العباد الى الله وذلك من قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم عاد الى
حاله صلى الله عليه وآله في ترك الدنيا والاقتصار منها على قدر الضرورة ليتبين ما يكون فيه التاسي به وكنى عن ذلك
ثم كنى عن عدم التفاته اليها بعدم اعارتها طرفه وعن كونه اقل الناس شبعا منها والتفاتا الى ماكلها ومشاربها كنى
اخمصهم خاصرة وبطنا وروى عنه عليه السلم انه كان اذا اشتد جوعه يربط حجرا على بطنه ويسميه المشبع مع
قطعة واسعة من الدنيا وروى انه ما شبع آل محمد من لحم قط وان فاطمة وبعلها وبنيها كانوا يصومون على اقراص من
الشعير كانوا يعدونها لافطارهم وربما آثروا بها السائلين وطووا كما روى انهم فعلوا ذلك ثلث ليال طووا فكان
كان ذلك سبب نزول سورة هل اتى في حقهم كما هو المشهور في التفاسير فاما قوله وعرضت عليه فابى ان يقبلها
ورد عنه صلى الله عليه وآله انه قال عرضت على كنوز الارض ودفعت الى مفاتيح خزائنها فكرهتها واخترت الدار
الآخرة وقوله وعلم ان الله ابغض شيئا الى قوله فصغره فبغض الله لها عدم ارادتها لاوليائه او الاشارة الى اهانتها
وجودها بالعرض وتحقيرها وتصغيرها بالقياس الى ما اعد لهم في الآخرة ثم نفر عن محبتها بعد اشارة الى بغض الله لها
وتصغيره اياها بجملة اعتراضية تلخص منها قياس هكذا اقل ما بنا محبتنا لما ابغض الله وتعظيمنا لما صغر الله وكل
محبة وتعظيم كذلك يكفي به شقاقا لله ومحادة عن امره فينتج ان اقل ما فينا من المعائب يكفينا في مشاقة الله ومحادته ثم
اردف ذلك بتمام اوصافه في ترك الدنيا والتكلف لها فقوله ولقد كان ياكل على الارض ويجلس جلسة العبد كما روى

صلى الله عليه وآله انه قال انما انا عبد آكل كما ياكل العبيد واجلس كما يجلس العبيد وغاية ذلك هو التواضع وكذلك خصف نعله
وترقيع ثوبه بيده وركوبه الحمار العاري وارادفه خلفه واما امره بتغيب الستر فمحافظة من حركة الوسواس الخناس
وكما ان الانبياء عليهم السلم كانوا كاسرين للنفس الامارة بالسوء وقاهرين لشياطينهم كانوا ايضا محتاجين الى
مراقبتهم وتفقد احوال نفوسهم في كل لحظة وطرفة فانها كاللصوص المخادعين للنفوس المطمئنة مهما
تركت وغفل عن قهرها والتحفظ منها عادت الى طباعها وقوله فاعرض عن الدنيا بقلبه الى قوله وان تذكر عنده
اشارة الى الزهد الحقيقي وهو حذف الموانع الداخلة النفسية عن النفس وما قبله من الاوصاف اشارة الى الزهد
الظاهري وهو حذف الموانع الخارجية عنه ثم عاد الى التذكير بالمقدمة السابقة للدليل على حقارة الدنيا
وخستها فاعاد ذكر جوعه هو وخاصته من اهل بيته مع عظيم زلفته ورفعة منزلته عند الله وازواءها عنه
ولما ذكر تلك المقدمة شرع في الاستدلال بقوله فلينظر ناظر الى قوله اقرب الناس اليه وهو قياس شرطي متصل
مقدمه حملية وتاليه قضية شرطية منفصلة وتلخيصه اذا كان محمد صلى الله عليه وآله جاع في الدنيا مع خاصته
وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته عنده فلا يخلو اما ان يكون الله بذلك اكرمه او اهانه والقسم
الثاني ظاهر البطلان اذ ثبت انه صلى الله عليه وآله احب خلق الله واذا كان احقر ملك في الدنيا لا يقصد بالاهانة
خاصته اذا كان مطيعا له فكيف يقصد ذلك من جبار الجبابرة ومالك الدنيا والآخرة حكيم الحكماء
ورحيم الرحماء في اخص خواصه واشدهم طاعة له ولاجل وضوح ذلك اقتصر على تكذيب من قاله
بالقسم البار واما القسم الاول وهو انه اكرمه بذلك فمن المعلوم ان الشيء اذا كان عدمه اكراما وكمالا كان وجوده
نقصا واهانة فكان وجود الدنيا في حق غيره عليه السلم وان واحاعته مع قرب منزلته اهانة لذلك الغير وذلك
حقارتها وبعث العاقل على النفار عنها ثم عاد الى الامر بالتاسي به صلى الله عليه وآله في الدنيا تاكيدا لما سبق مبديا
وجوه التاسي به وهو امر في صورة الخبر مع زيادة تنبيه على ان الميل اليها محل الهلكة فمن لم يتاس بالنبي صلى
الله عليه وآله في احواله في الدنيا وخالفه في الميل الى شيء منها لم يامن الهلكة اذ قد عرفت ان حب الدنيا راس كل
خطيئة وهي الجاذبة عن درجات دار النعيم الى دركات دار الجحيم وقوله فان الله جعل محمدا الى قوله داعيا ربه
صورة احتجاج على قوله والا فلا يامن الهلكة وتقريره ان الله تعالى جعله علما للساعة وامارة على قربها ومبشرا
بالجنة ومنذرا بالعقوبة واطلعه على احوال الآخرة ثم خرج من الدنيا بهذه الاحوال المعدودة المستلزمة
لمفارقتها والبغض لها والحذر منها فلو لم يكن الركون اليها وارتكاب اضداد هذه الاحوال منها مظنة الهلكة
لما نفر النبي صلى الله عليه وآله عنها ولم يركن اليها لكنه نفر عنها فكانت مظنة الهلكة فوجب التاسي به في نفاره
عنها والا لم يامن غير المتاسي به الهلكة فيها وروى علما للساعة بكسر العين وهو مجاز اطلاقا لاسم المسبب على
السبب اذ هو صلى الله عليه وآله سبب العلم بالساعة وكنى بوضع الحجر على الحجر عن البناء * ثم عقب بتعظيم منة
الله تعالى على الناس حين انعم عليهم به سلفا يتبعونه وقائدا يعقبون اثره واردف ذلك بذكر بعض احوال النبي عليه السلام

بر عليه السلم فيها من ترك الدنيا والاعراض عن الاستمتاع بها الى غاية ترقيع مدرعته حتى استحيا من راقعها وقول من
له الا تنبذها وتلقيها وجوابه الحسن وقوله عند الصباح يحمد القوم السرى مثل يضرب لمحتمل المشقة ليصل الى
الراحة واصله ان القوم يسيرون في الليل يحمدون عاقبة ذلك بقرب المنزل اذا اصبحوا ومطابقته الصباح
لمفارقة النفس البدن او لاعراضها عنه واتصالها بالملأ الاعلى بسبب تلك الرياضة الكاملة واشراق انوار الملأ
العلوي عليها عند تحمد عواقب الصبر على مكاره الدنيا وترك لذاتها ومعاناة شدائدها مطابقة ظاهرة وقد وقع
موقعها وروى انه سئل عليه السلم عن رقعة قميصك فقال يخشع لها القلب ويقتدى بها المؤمنون ومما نقل
من زهده عليه السلم ما رواه احمد في مسنده عن ابي النوار الحوالم بالكوفة قال جاءني علي ابن ابي طالب عليه السلم
السوق ومعه غلام له وهو خليفة فاشترى مني قميصين وقال لغلامه اختر ايهما شئت فاخذ احدهما
واخذ علي الاخر ثم لبسه ومد يده فوجد كمه فاضلة فقال اقطع الفاضل فقطعه ثم كفه وذهب وروى
احمد ايضا قال لما ارسل عثمن الى علي وجدوه مؤتزرا بعباءة محتجزا بعقال وهو يهنأ بعيرا له اي يطليه بالقطران
وهو الهناء والاخبار في ذلك كثيرة وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ابتعثه بالنور المضيء والبرهان
الجلي والمنهاج البادي والكتاب الهادي اسرته خير اسرة وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة
مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية وموعظة شافية ودعوة
متلافية اظهر به الشرائع المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام
دينا تتحقق شقوته وتنفصم عروته وتعظم كبوته ويكن مآبه الى الحزن الطويل والعذاب الوبيل واتوكل على الله
توكل الانابة اليه واسترشده السبيل المؤدية الى جنته القاصدة الى محل رغبته اوصيكم عباد الله بتقوى الله
وطاعته فانها النجاة غدا والمنجاة ابدا رهب فابلغ ورغب فاسبغ ووصف لكم الدنيا وانقطاعها
وزوالها وانتقالها فاعرضوا عما يعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها اقرب دار من سخط الله وابعدها
من رضوان الله فغضوا عنكم عباد الله غمومها واشغالها لما قد ايقنتم به من فراقها وتصرف حالاتها فاحذروها
احذروها حذر الشفيق الناصح والمجد الكادح واعتبروا بما قد رايتم من مصارع القرون قبلكم قد
تزايلت اوصالهم وزالت اسماعهم وابصارهم وذهب شرفهم وعزهم وانقطع سرورهم ونعيمهم فبدلوا
بقرب الاولاد فقدها وبصحبة الازواج مفارقتها لا يتفاخرون ولا يتناسلون ولا يتزاورون ولا يتحاورون
فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته الناظر بعقله فان الامر واضح والعلم قائم والطريق جدد
والسبيل قصد اقول اسرته اهل بيته والمتهدلة المتدلية وطيبة اسم للمدينة سماها به رسول الله صلى الله عليه
وآله وقد كان اسمها يثرب وروى ان يزيد بن معوية سماها خبيثة والمتلافية التي استدرك وتدارك والكبوة العثرة
والوبيل المهلك والكدح السعي والعمل وخلاصة الفصل ذكر مدائح النبي صلى الله عليه وآله ثم الموعظة الحسنة
والتنفير عن الدنيا والنور المضيء نور النبوة والبرهان الجلي المعجزات والآيات الموضحة لنبوته والمنهاج البادي

كنحوه

شريعته ودينه الواضح والكتاب الهادي القرآن لهدايته الى سبيل الجنة وظاهر كون اسرته خير الاسر ولفظ الشجرة
مستعار لاصله وظاهر كون قريش افضل العرب ولفظ الاغصان مستعار لاشخاص بيته صلى الله عليه وآله كاولاده
وزوجته واعمامه واخوته واعتدال هذه الاغصان تقاربهم في الفضل والشرف وثمارها مستعار لفضائلهم
العلمية والعملية وتهدلها كناية عن ظهورها وكثرتها وسهولة الانتفاع بها وذكر مولده بمكة وهجرته بالمدينة
في معرض مدحه لشرف مكة بالبيت العتيق وشرف المدينة باهلها حيث آووه ونصروه حين هاجر اليها
فعلا بها ذكره وانتشر فيها صيته وامتدت دعوته ولانه هاجر اليها وهي بلد مجدب قليل الخصب ضعيف
الاهل مع غلبة خصومه وقوة المشركين عليه في ذلك الوقت ثم انه مع ذلك علا بها ذكره وانتشر فيها
صيته فكان ذلك من آيات نبوته ايضا والحجة الكافية ما جاء به من الآيات التي قهر بها اعداء الله والموعظة
الشافية ما اشتمل عليه القرآن العظيم والسنة الكريمة من الوعد والوعيد وضرب الامثال والتذكير بالقرون
الماضية والآراء المحمودة الجاذبة للناس في ارشد الطرق الى جناب ربهم وكفى بها شفاء للقلوب من ادواء
الجهل والدعوة المتلافية فانه استدرك بها ما فسد من نظام الخلق وتلافى بها ما هلك من قلوبهم وانفسهم
من الواح نفوسهم والشرائع المجهولة طرائق دينه وقوانين شريعته التي لم يكن يهتدى اليها الا بظهوره والبدع
ما كانت عليه اهل الجاهلية من الآثام والفساد في الارض والاحكام المفصولة ما فصله وبينه للناس من الاحكام
دين الاسلام الذي من ابتغى غيره دينا ضل عن سواء طريق النجاة فتحقق شقوته في الآخرة وانفصمت عروته
اي انقطع متمسك النجاة في يده فعظمت عثرته في سفره الى الآخرة وكان مرجعه الى الحزن الطويل على ما فرط
في جنب الله ومصيره الى العذاب المهلك في دار البوار ثم انشا يتوكل على الله توكل المنيب اليه اي الملتفت بقلبه
عن غيره المسلم لجميع اموره اليه وسال الارشاد الى سبيله القاصدة الى جنته التي هي محل الرغبة اليه ثم عقب
بالموعظة فبدا بالوصية بتقوى الله وطاعته واطلق عليها لفظ النجاة مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب
المادي لكونها معدة لافاضة النجاة من عذاب يوم القيمة وقيل النجاة الناقة التي ينجى عليها فاستعار لفظها
للطاعة لانها كالمطية يجوز بها المطيع من العطب ولفظ المنجاة اذ هي محل النجاة دائما والضمير في رهب ورغب
لله اي فابلغ في وعيده واسبغ الترغيب فاتمه ووصف الدنيا بالاوصاف الموجبة للرغبة عنها ثم امر عقيب ذلك
بالاعراض عن زينتها وعلل حسن ذلك الاعراض بقلة ما يستصحب الانسان منها الى الآخرة واراد الاعراض بالقلب
الذي هو الزهد الحقيقي وانما قال لقلة ذلك ولم يقل لعدمه لان السالكين لا بد ان يستصحبوا منها شيئا وهو ما
يكتسبه احدهم من الكمالات الى الآخرة لكن القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات اذا اتصفوا بامور
وسائر زينة الحيوة الدنيا الوصول الى الله تعالى قليل نزر مع ذلك فهم في غاية الخطر من مزلة القدم في كل حركة
وتصرف بخلاف اهل التقشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضرورة البدنية فكان ما يصحبهم القليل الذي
يصحبهم منها كالكفن ونحوه وانما كانت اقرب دار من سخط الله وابعدها من طاعة الله لان الميل فيها الى اللهو واللعب

ولا استمتاع بزبرجها المستلزم لسخط الله اغلب من الاستمتاع بها في سلوك سبيل الله وقوله فغضوا اى فكفوا عن انفسكم
الغم لاجلها والاشتغال بها لما يتقسم من فراقها لان الغم انما ينبغي ان يوجه نحو ما يبقى ثم حذر منها حذر الشفيق على نفسه
الناصح المجد الكادح لها ثم اخذ في الامر باعتبار ما هو مشاهد من مصارع القرون الماضية واحوالها الخالية من
تفرق اوصالهم وزوال اسماعهم وابصارهم الى سائر ما عدده من الاحوال التي نزلت بهم واستبدلوا بها من احوالهم نعيم
التي كانوا عليها ثم حذر منها حذر الغالب لنفسه الامارة بالسوء الناظر بعين عقله مقابح شهوته المانع لها عن الهوى
الى حد الافراط من تحصيل العفة فان امر الدنيا والاخرة واضح لمن اعتبر حالهما وعلم الشريعة الهادية الى الحق قائم
والطريق الى الله سهل مستقيم قاصد اى فلا يكن امركم عليكم غمة ومن كلام له عليه السلم لبعض اصحابه وقد
ساله كيف دفعكم قومكم عن هذا الامر وانتم احق به فقال عليه السلم يا اخا بني اسد انك لقلق الوضين ترسل في غير
سدد ولك بعد ذمامة الصهر وحق المسألة وقد استعلمت فاعلم اما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الاعلون
نسبا والاشدون بالرسول نوطا فانها كانت اثرة شحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين والحكم الله والمعود
اليه القيمة ودع عنك نهبا صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل وهلم الخطب في ابن ابي سفين فلقد
اضحكني الدهر بعد ابكائه ولا غرو والله فيا له خطبا يستفرغ العجب ويكثر الاود حاول القوم اطفاء نور الله من مصباحه
وسد فواره من ينبوعه وجدحوا بيني وبينهم شربا وبيا فان ترتفع عنا وعنهم محن البلوى احملهم من الحق على محضه
وان يكن الاخرى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون اقول الوضين بطان القتب والحزام
السرج والقلق الاضطراب والذمامة بالكسر الحرمة ويروى ماتة الصهر اى وسيلته وهي المصاهرة والنوط التعلق
والاثرة بالتحريك الاستبداد والاستيثار والحجرة بفتح الحاء الناحية والجمع حجرات بفتح الجيم وسكونها وهلم
يستعمل بمعنى تعال فلا تتعدى كقوله تعالى هلم الينا وقد يستعمل بمعنى هات كما هي هيهنا فتتعدى كما قال تعالى هلم
شهداءكم ولا غرو اى لا عجب والاود الاعوجاج والجدح بالجيم بعدها الحاء الخلط والتحريض والتكدير والشرب
بالكسر الحظ من الماء والوبى ذو الوباء الممرض فاما جوابه للاسدى فانه قال للرجل اذ لم يكن ذا ثبات في عقله وامره
بحيث يسال عما لا يعنيه او يضع سؤاله في غير موضعه ويستعجل انه قلق الوضين واصله ان الوضين اذا قلق
اضطرب القتب فلم يثبت فطابق حال من لا يتثبت في مقاله وحركاته فضرب مثلا له وكذلك قوله وترسل في
غير سدد اى تتكلم في غير موضع الكلام لا على استقامة وهذا تاديب له وقوله ولك بعد الى قوله استعلمت ابتداء له
في حسن جوابه فان للمصاهرة حقا وللسائل على المسئول حق الاسترشاد والسؤال فاما كونه صهرا فلان زينب بنت
جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت اسدية وهي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن
مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن اسد بن خزيمة وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف
بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا والمصاهرة المشار اليها هي هذه ونقل القطب الراوندي ان عليا
عليه السلم كان متزوجا في بني اسد وانكره الشارح ابن ابي الحديد معتمدا على انه لم يبلغنا ذلك وهو محتمل ولا

لانه ليس كل ما لم يبلغنا من حالهم لا يكون حقا ويلزم ان لا يصل الى غيرنا وقوله اما الاستبداد شروع في الجواب والضمير في
انها يعود الى معنى الاثرة في الاستبداد والقوم الذين شحوا عليها عند الامامية من تقدم عليه في الامامة وعند
غيرهم من قالوا المراد بهم اهل الشورى بعد مقتل عمر وقوله والحكم الله والمعود اليه اى المرجع في يوم القيمة في معنى
التظلم والتشكي والمعود مبتدأ خبره القيمة فاما البيت فهو لامرئ القيس واصله انه تنقل في احياء العرب بعد قتل
ابيه فنزل على رجل من جديلة طى يقال له طريف فاحسن جواره فمدحه واقام معه ثم انه خاف ان لا يكون
له منعة فتحول عنه ونزل على خالد بن السدوسي النبهاني فاغارت بنو جديلة عليه وهو في جوار خالد فذهبوا بابله
فلما اتاه الخبر ذكر ذلك لخالد فقال له اعطني رواحلك الحق عليها فارد اليك ابلك ففعل وركب خالد في اثر القوم
حتى ادركهم فقال يا بني جديلة اغرتم على ابل جاري قالوا ما هو لك بجار قال بلى والله وهذه رواحله فرجعوا
اليه فانزلوه عنهن وذهبوا بهن وبالابل فقال امرؤ القيس القصيدة التي اولها البيت فدع عنك نهبا
صيح في حجراته ولكن حديثا ما حديث الرواحل والنهب هنا ما ينهب وحجراته جوانبه وحديث الثاني مبتدا
والاول خبره وما للتنكير وهي التي اذا دخلت على اسم زادته ابهاما كقوله لامر ما جدع قصير انفه والمعنى دع ذكر
الابل فانه مفهوم ولكن حديث الرواحل حديث ما اى حديث مبهم لا ندري كيف هو وذلك انه قيل ان خالدا
هو الذي ذهب بالرواحل وكان عنده لبس في امرها فاما استشهاده عليه السلم به فالمروي في استشهاده
النصف الاول من البيت ووجه مطابقته لما هو فيه ان السابقين من الائمة وان كانوا قد استبدوا بهذا
الامر فحديثهم مفهوم اذ لهم الاحتجاج بالقدمة في الاسلام والهجرة وقرب المنزلة من الرسول وكونهم من قريش
فدع ذكر نهبهم هذا المقام فيما سبق ولكن هات ما نحن فيه الان من خطب معوية بن ابي سفيان والخطب هو
الحادث الجليل واراد هات ذكر خطبه فحذف المضاف للعلم به واشار الى الاحوال التي ادت الى ان كان
معوية منازعا له في هذا الامر مع بعده عنه حتى صار قائما عند كثير من الناس مقامه وقوله فلقد اضحكني
الدهر بعد ابكائه اشارة الى غبنه ممن تقدم عليه في هذا الامر وضحكه بعد ذلك تعجب مما حكمت به الاوقات واعتبار
ثم قال ولا عجب اى ذلك الامر جل عن التعجب ثم اخذ في استعظامه فقال يا له خطبا يستفرغ العجب اى يفنيه حتى
صار كلا عجب وهو من باب الاغراق والمبالغة كقول ابن هاني قد سرت في الميدان يوم طرادهم فعجبت حتى
كدت لا اتعجب ويحتمل ان يكون قوله ولا غرو والله اى اذا نظر الانسان الى حقيقة الدنيا وتصرف احوالها فكون
قوله بعد ذلك فيا له استيناف لاستعظام هذا الامر وكونه يكثر الاعوجاج ظاهر فان كل امر بعد عن الشريعة ازداد
الامر به اعوجاجا وقوله حاول القوم ينبوعه فالقوم قريش ومصباح انوار الله استعارة لخاصة الرسول صلى
الله عليه وآله من اهل بيته وكذلك ينبوعه استعارة لهم باعتبار كونهم معدنا لهذا الامر ولوازمه ووجه
الاستعارتين ظاهر يريد انهم حاولوا ازالة هذا الامر عن مستقره ومعدنه الاحق به وهو بيت الرسول
صلى الله عليه وآله ثم استعار لفظ الشرب الوبي لذلك الامر ولفظ الجدح للكدر الواقع بينهم والمجاذبة لهذا الامر

واستعار وصف الوبى له باعتبار كونه سببا للهلاك والقتل بينهم وقوله فان يرتفع الى آخره اى فان يجتمعوا على ويرتفع بيني وبينهم ما ابتلينا به من هذه المحن والاحن اسلك بهم محض الحق وان ابوا الا البقاء على ما هم عليه فلا اسف عليهم واقتبس الاية المشتملة على تاديب نفسه وتوطينها على ترك الاسف عليهم ان لم يومنوا وعلى تهديدهم ووعيدهم باطلاع الله على اعمالهم السيئة ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله خالق العباد وساطح المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لاوليته ابتداء ولا لازليته انقضاء هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل خرت له الجباه ووحدته الشفاه حد الاشياء عند خلقه لها ابانة له من شبهها لا تقدره الاوهام بالحدود والحركات ولا بالجوارح والادوات لا يقال له متى ولا يضرب له امد بحتى الظاهر لا يقال مما والباطن لا يقال فيما لا شبح فيتقضى ولا محجوب فيحوى لم يقرب من الاشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة ولا كرور لفظة ولا ازدلاف ربوة ولا انبساط خطوة في ليل داج ولا غسق ساج يتفيأ عليه القمر المنير وتعقبه الشمس ذات النور في الكرور والافول وتقليب الازمنة والدهور من اقبال ليل مقبل وادبار نهار مدبر قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة تعالى عما ينحله المحددون من صفات الاقدار ونهايات الاقطار وتاثل المساكن وتمكن الاماكن فالحد لخلقه مضروب والى غيره منسوب لم يخلق الاشياء من اصول ازلية ولا من اوائل ابدية بل خلق ما خلق فاقام حده وصور ما صور فاحسن صورته ليس لشيء منه امتناع ولا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى اقول الساطح الباسط والمهاد الارض والوهاد جمع وهدة وهي المكان المطمئن والنجاد جمع نجد وهو المكان المرتفع والربوة نقدمها والساجي الساكن وتفيؤ القمر ذهابه ومجيئه حالتي اخذه في الزيادة واخذه في النقصان الى المحاق وتحدد موثل وبيت موثل اصيل قديم وقد اشتملت الخطبة من علم التوحيد على مباحث قدم الحمد لله تعالى الاول قوله خالق العباد الى قوله النجاد اشارة الى كونه مبدءا لجميع الموجودات وبيانه ان لفظ العباد يشتمل من في السموات ومن في الارض لقوله تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا ويدخل في ذلك الاجسام الفلكية لكونها اجساما للملائكة وساطح المهاد اشارة الى خلق الارض وجعلها مهادا للخلق من الحيوان ومسيل الوهاد ومخصب النجاد اشارة الى ايجاده لسائر ما ينتفع به الخلق اذا عرفت ذلك فقد اشتملت هذه الالفاظ على ايجاده لجميع الموجودات الممكنة وقد ثبت ان خالق جميع الموجودات الممكنة لا يكون ممكنا فاذا كونه تعالى واجب الوجود الثاني من الاعتبارات السلبية كونه تعالى لا ابتداء لاوليته اى لا حد لكونه اولا تقف عنده اوليته وينتهي به والا لكان محدثا فكان ممكنا فلم يكن واجب الوجود هذا خلف الثالث ولا انقضاء لازليته اى لا غاية ينتهي عندها وينقضي والا لقبل العدم فلم يكن واجب الوجود هذا خلف وقوله هو الاول لم يزل والباقي بلا اجل تاكيد للاعتبارين الثاني والثالث بعبارة الاثبات الرابع خرت له الجباه ووحدته الشفاه وهو اشارة الى كمال الوهيته واستحقاقه للعبادة الخامس انه لا شبيه له شيء اذ كل ما عداه محدود وتحدده العقل والوهم ويشير اليه بحدوده

به منها ولا شيء منه تعالى كذلك اذ كل وهم وقدر يحد او بحركة او جارحة او اداة كما هو مقتضى الوهم في ادراكه لما يدركه فقد ضل ضلالا بعيدا عن تصوره وقد سبقت الاشارة الى ذلك السادس انه منزه عن لحوق الزمان فلا يسال عنه بمتى وعن غاية الزمان فلا يضرب له امد بحتى السابع كونه ظاهرا ومع غاية ظهوره لا مادة له ولا اصل يستفاد منه فلا يقال بما هو موجود الثامن كونه باطنا ومع غاية بطونه وخفائه لا حيز له فيقال فيه بطن وخفي كسائر الخفيات من الاجسام والجسمانيات وقد سبق بيان كونه تعالى باطنا وظاهرا غير مرة التاسع كونه ليس بشخص فيلحقه التغير والانقضاء العاشر ولا محجوب فيحويه الحجاب اذ الشخص للناظر والحجاب من لواحق الاجسام التي تنزه وقدس عنها الحادي عشر من الاعتبارات الاضافية كونه تعالى قريبا من الاشياء لا بالتصاق الثاني عشر كونه بعيدا منها لا بالافتراق وقد عرفت معنى قربه وبعده في الخطبة الاولى ولما كان الالتصاق والافتراق من لواحق الاجسام لا جرم تنزه قربه وبعده من الاشياء عنهما الثالث عشر كونه لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة الى قوله وادبار مدبر اشارة الى احاطة علمه بكل المعلومات وشخوص اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكرور اللفظة رجوعها وازدلاف الربوة تقدمها وازداد الربوة المتقدمة اى في النظر والبادي عند مد العين من الارض والضمير في عليه للغسق وقوله وتعقبه الشمس اى وتتعقبه فحذف احدى التائين كقوله تعالى تتوفيهم الملائكة وروى يعقبه والضمير المنصوب فيه للقمر وقوله من اقبال الليل متعلق بتقليب والمعنى ان الشمس تعاقب القمر فتطلع عند افوله وتطلع عند افولها الرابع عشر كونه قبل كل غاية ومدة وكل احصاء وعدة لانه تعالى خالق الكل ومبدؤه فوجب تقدمه وقبليته الخامس عشر تنزهه وتعاليه عما تصفه به المشبهة المتبعون لحكم اوهامهم في جنابه المقدس من صفات المقادير كالاقطار والنهايات والجوانب واصالة البيوت وقدمها والاستقرار في المساكن وسائر ما هي حدود ولواحق تتقيد بها ذوات الاحياز فان كل تلك الحدود مضروبة لخلقه ومنسوبة اليهم دونه السادس عشر كون مخلوقاته صادرة عنه من غير اصول ازلية ولا اوائل ابدية لها اى اولية سابقة ومعنى هذا الكلام انه لم يخلق ما خلق على مثال سبق يكون اصلا او اولا له حذا حذوه وقيل معناه انه ليس لما خلق اصل ازلي ابدي خلق منه من مادة وصورة كما زعمت الفلاسفة وروى ولا من اوائل ابدية وقوله بل خلق ما خلق فاقام حده اى بل هو المخترع لاقامة حدوده وهي ما له من المقادير والاشكال والنهايات والاجال والغايات على وفق الحكمة الالهية وكذلك صور ما صور فاحسن صورته اى اتى به على وجه الاحكام والاتقان السابع عشر كونه ليس لغيره منه امتناع اشارة الى كمال قدرته واحاطة علمه الثامن عشر كونه لا انتفاع له بطاعة شيء لان الانتفاع من لوازم الحاجة الممتنعة عليه وهو اشارة الى وصف الغنى التاسع عشر كون علمه تعالى بالاموات الماضين كعلمه بالاحياء الباقين وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الارضين السفلى وهو اشارة الى ان علمه غير مستفاد من غيره ولا يلحقه تغير وتجدد فلا يتجدد له علم لم يكن

علمه تعالى ازلي ابدي تام لا يلحقه نقصان نسبة جميع الممكنات اليه على سواء وقد علمت تحقيقه في المباحث الالهية
في مظانها وبالله التوفيق منها ايها المخلوق السوي والمنشأ المرعي في ظلمات الارحام ومضاعفات الاستار بدئت من
سلالة من طين ووضعت في قرار مكين الى قدر معلوم واجل مقسوم تمور في بطن امك جنينا لا تحير دعاء ولا تسمع
نداء ثم اخرجت من مقرك الى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها فمن هداك لاجترار الغذاء من ثدي امك وعرفك
عند الحاجة مواضع طلبك وارادتك هيهات ان من يعجز عن صفات ذي الهيئة والادوات فهو عن صفات
خالقه اعجز ومن تناوله بحدود المخلوقين ابعد اقول السوي المستوي والمرعي المعتنى بامره والخطاب
للانسان ونبهه بكونه سويا مرعيا على وجود خالقه الحكيم اللطيف وقد عرفت كيفية تخليق الانسان
وتصويره شيئا فشيئا الى حال كماله ووضعه وكذلك نبهه بتقلبه في حالاته واطوار خلقته وباستغنائه
عن هداه لاجترار غذائه من ثدي امه ومن عرفه عند الحاجة مواضع طلبه وهي الاثداء على وجود خالق
هداه الى جميع حاجاته فهذا القدر من العلم بالصانع امر ضروري في النفوس وان احتاج الى ادنى تنبيه
ومراد ذلك بمعنى صفات الكمال ونعوت الجلال وامور لا يطلع عليها العقول البشرية بالكنه وانما تطلع منها على
اعتبارات ومناسبات لها الى خلقه ويحتاج فيها الى الدليل والبرهان وقد اشار الى ذلك من قبل ونبه على
ادراكها والعجز عنها بقوله هيهات الى قوله والادوات اي من يعجز عن صفات نفسه في حال تخليقه ولا اطلاع على
ما فيه من جزئيات اعضائه مع كونها محسوسة مشاهدة له فهو عن صفات خالقه التي هي ابعد الاشياء عنه
اعجز ومن ادراكها بالمقايسة والتشبيه بحدود المخلوقين وصفاتهم ابعد وبالله التوفيق والعصمة ومن كلام له عليه
السلم لما اجتمع الناس اليه وشكوا ما نقموه على عثمان وسالوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم فدخل على عثمان فقال
ان الناس ورائي وقد استسفروني بينك وبينهم والله ما ادري ما اقول لك ما اعرف شيئا تجهله ولا ادلك على امر لا تعرفه
انك لتعلم ما نعلم ما سبقناك الى شيء فنخبرك عنه ولا خلونا بشيء فنبلغكه وقد رايت كما راينا وسمعت كما سمعنا
وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا وما ابن ابي قحافة ولا ابن الخطاب باولى بعمل الحق منك وانت اقرب الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيجة رحم منهما وقد نلت من صهره ما لم ينالا فالله الله في نفسك فانك والله ما تبصر
من عمى ولا تعلم من جهل وان الطرق لواضحة وان اعلام الدين لقائمة واعلم ان افضل عباد الله عند الله امام
عادل هدي وهدى فاقام سنة معلومة وامات بدعة مجهولة وان السنن لنيرة لها اعلام وان البدع لظاهرة
لها اعلام وان شر الناس عند الله امام جائر ضل وضل به فامات سنة ماخوذة واحيا بدعة متروكة واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في جهنم
فيدور فيها كما تدور الرحا ثم يرتبط في قعرها واني انشدك الله ان تكون امام هذه الامة المقتول
فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال الى يوم القيمة ويلبس امورها عليها ويبث الفتن فيها فلا يبصرون
الحق من الباطل يموجون فيها موجا ويمرجون فيها مرجا فلا تكونن لمروان سيقة يسوقك حيث شاء بعد جلال السن

فقال

فقال له عثمان كلم الناس في ان يؤجلوني حتى اخرج اليهم من مظالمهم فقال عليه السلم ما كان بالمدينة فلا اجل فيه وما
غاب فاجله وصول امرك اليه اقول استسفروني اتخذوني سفيرا اي رسولا والوشيجة عروق الشجرة والسيقة بتشديد الياء
ما يسوقه العدو في الغارة من الدواب وجلال السن علوه وحاصل الكلام استعتابه باللين من القول فاثبت له من
العلم اي باحكام الشريعة والسنن المشار اليها بينهم في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والظهور على كل ما ظهر عليه
من مرئي ومسموع والصحبة المساوية لصحبته وذكر ان الشيخين ليسا باولى منه بعمل الحق ثم رجحه عليهما بقرب الوشيجة
من رسول الله والصهورة من دونهما ولفظ الوشيجة مستعار لما بينه وبينهم من القرابة وانما كونه اقرب وشيجة
منهما فلكونه من ولد عبد مناف دونهما ثم حذره الله ووعظه بالتنبيه على انه غير محتاج الى التعليم فيما هو فيه
مع وضوح طرق الشريعة وقيام اعلام الدين ثم بتنبيهه على افضلية الامام العادل بالصفات المذكورة وعلى
قيام اعلام السنن وقيام اعلام البدع ليقتدي بتلك وينكب عن هذه ثم على حال الامام الجائر يوم القيمة عما
نقل من الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله ثم ناشده الله تعالى وحذره ان يكون الامام المقتول في هذه الامة
وقد كان الرسول صلى الله عليه وآله اخبر بذلك بهذه العبارة التي نقلها بعد قوله فانه كان يقال او بما يناسبها ثم نهاه
ان يكون سيقة لمروان بن الحكم اي يصرفه حسب مقاصده بعد بلوغه معظم السن وتقضي عمره وقد كان مروان من
من اقوى الاسباب الباعثة على قتل عثمن وكان يعكس الاراء التي يشار على عثمان بها من علي عليه السلم وغيره ثم
كونه بغيضا الى المعتبرين من الصحابة وكونه طريدا لرسول الله صلى الله عليه وآله وقوله في جوابه ما كان
بالمدينة فلا اجل فيه الى آخره كلام رجل حاسم للمعاذير يكون مما طلب من التاجيل لان الحاضر لا معنى
لتاجيله والغائب لا عذر في تاخيره بعد بلوغ امرك اليه الذي اعطاه اقرباءه من اموال بيت المال على غير وجهه وقد
سبق في الفصول المتقدمة من امر عثمان مع الصحابة وما نقموه عليه ما فيه كفاية وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه
السلم يذكر فيها عجيب خلقة الطاوس ابتدعهم خلقا عجيبا من حيوان وموات وساكن وذي حركات واقام من
شواهد البينات على لطيف صنعته وعظيم قدرته ما انقادت له العقول معترفة به ومسلمة له ونعقت في اسماعنا
دلائله على وحدانيته وما ذرا من مختلف صور الاطيار التي اسكنها اخاديد الارض وخروق فجاجها ورواسي
اعلامها من ذوات اجنحة مختلفة وهيئات متباينة مصرفة في زمام التسخير ومرفرفة باجنحتها في مخارق الجو
المنفسح والفضاء المنفرج كونها بعد اذ لم تكن في عجائب صور ظاهرة وركبها في حقاق مفاصل محتجبة ومنع بعضها
بعبالة خلقه ان يسمو في السماء خفوفا وجعله يدف دفيفا ونسقها على اختلافها في الاصابيغ بلطيف قدرته ودقيق
صنعته فمنها مغموس في قالب لون لا يشوبه غير لون ما غمس فيه ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق بخلاف
ما صبغ به ومن اعجبها خلقا الطاوس الذي اقامه في احكم تعديل ونضد الوانه في احسن تنضيد بجناح اشرج
قصبه وذنب اطال مسحبه اذا درج الى الانثى نشره من طيه وسما به مطلا على راسه كانه قلع داري عنجه نوتيه
يختال بالوانه ويميس بزيفانه يفضي كافضاء الديكة ويؤر بملاقحه احيلك من ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف

اسناده ولو كان كزعم من يزعم انه يلقح بدمعة تنشجها مدامعه فتقف في ضفتي جفونه وان انثاه تطعم ذلك ثم تبيض لا من
لقاح فحل سوى الدمع المنبجس لما كان ذلك باعجب من مطاعمة الغراب تخال قصبه مداري من فضة وما انبت عليها
من عجيب داراته وشموسه خالص العقيان وفلذ الزبرجد فان شبهته بما انبتت الارض قلت جني جني من زهرة كل ربيع
وان ضاهيته بالملابس فهو كموشي الحلل او مونق عصب اليمن وان شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات الوان قد
نطقت باللجين المكلل يمشي مشي المرح المختال ويتصفح ذنبه وجناحه فيقهقه ضاحكا لجمال سرباله واصابيغ
وشاحه فاذا رمى ببصره الى قوائمه زقا معولا بصوت يكاد يبين عن استغاثته ويشهد بصادق توجعه لان
قوائمه حمش كقوائم الديكة الخلاسية وقد نجمت من ظنبوب ساقه صيصية خفية وله في موضع العرف
قنزعة خضراء موشاة ومخرج عنقه كالابريق ومغرزها الى حيث بطنه كصبغ الوسمة اليمانية او كحريرة ملبسة
مرآة ذات صقال وكانه متلفع بمعجر اسحم الا انه يخيل لكثرة مائه وشدة بريقه ان الخضرة الناضرة ممتزجة به ومع
فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الاقحوان ابيض يقق فهو ببياضه في سواد ما هنالك ياتلق وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط
وعلاه بكثرة صقاله وبريقه وبصيص ديباجه ورونقه فهو كالازاهير المبثوثة لم تربها امطار ربيع ولا شموس قيظ
وقد يتحسر من ريشه ويعرى من لباسه فيسقط تترى وينبت تباعا فينحت من قصبه انحتات اوراق الاغصان ثم
يتلاحق ناميا حتى يعود كهيئته قبل سقوطه لا يخالف سالف الوانه ولا يقع لون في غير مكانه واذا تصفحت شعرة من شعرات
قصبه ارتك حمرة وردية وتارة خضرة زبرجدية واحيانا صفرة عسجدية فكيف تصل الى صفة هذا عمائق الفطن
او تبلغه قرائح العقول او تستنظم وصفه اقوال الواصفين واقل اجزائه قد اعجز الاوهام ان تدركه والالسنة ان تصفه
فسبحان الذي بهر العقول عن وصف خلق جلاه للعيون فادركته محدودا مكونا ومؤلفا ملونا واعجز الالسن عن
تلخيص صفته وقعد بها عن تادية نعته وسبحان من ادمج قوائم الذرة والهمجة الى ما فوقهما من خلق الحيتان والفيلة
ووأى على نفسه الا يضطرب شبح مما اولج فيه الروح الا وجعل الحمام موعده والفناء غايته اقول نعقت صاحت
والاخاديد شقوق الارض وشعابها والفجاج جمع فج وهو الطريق بين الجبلين والعبالة اسلاة الجسد ونسقها
ويختال يصيبه الخيلاء وزيفانه تمايله وتبختره ويهزهما يميل لاجل النكاح والحركة فيه وملاقحه آلات اللقاح و
التناسل والاعتلام شدة الشبق والقلع الداري الشراع المنسوب الى دارين وهي جزيرة من سواحل القطيف في
البحرين قال ابن الطيب كان يجلب من الهند وهي الآن خراب لا عمارة بها ولا سكنى وفيها آثار قديمة وعنجه عطفه
والنوتي ربان السفينة وضفتي جفونه جانباها والمنبجس المتفجر والمداري جمع مدرى وهي خشبة ذات اطراف
كاصابع الكف محددة الرؤوس يتنقى بها الطعام والدارات الخطوط المستديرة بقصبه والعقيان الذهب و
جمع فلذة وهي القطعة والزبرجد قيل هو الزمرد وقيل يطلق على [illegible] والجني بمعنى المجني وهو الملتقط
برود تعمل باليمن والمضاهاة المشابهة والحمش الدقاق ونطقت في اللجين اي شدت فيه ورصعت والوشاح
سير ينسج من اديم ويرصع بالجواهر فتشده المراة على عاتقها الى كشحيها وزقا صاح والمعول الصارخ والديكة الخلاسية هي

المولد

المولدة بين الدجاج الهندي والفارسي ونجمت ظهرت والظنبوب حرف الساق والصيصية الهنة التي في موخر رجل الديك
والقنزعة الشعر المجتمع في موضع الراس والوسمة بكسر السين وسكونها شجر العظلم يختضب بورقه الاسود والمتلفع
الملتحف واليقق خالص البياض وياتلق يلمع والبصيص البريق ويعرى يسقط منها شيء عقيب شيء وادمجها احكمها والذرة
النملة الصغيرة والهمجة ذباب صغير كالبعوضة ومقصود الخطبة التنبيه على عجائب صنع الله تعالى والالتفات
اليه والتفكر في ملكوته وقد عرفت معنى الابتداع واراد بالموات ما لا حياة فيه والساكن كالارض وذو الحركات كالافلاك
وشواهد البينات ما ظهر للعقول من لطائف المخلوقات فاستدل بها على لطف صنعته وكمال قدرته فانقادت له تلك
الدلائل والطرق الواضحة الى معرفته والاقرار به والتسليم لامره واستعار لفظ النعيق في الاسماع لظهور تلك الدلايل في
سماخ العقل وما الاولى مفعول لاقام والضمير في له يرجع الى ما وفي دلايله يحتمل العود الى كل واحد منهما وما
الثانية محلها الجر بالعطف على الضمير المضاف اليه في دلايله اي نعقت في اسماعنا دلايله على وحدانيته ودلايل
ما خلق وقد عرفت فيما سبق كيفية الاستدلال بكثرة ما خلق واختلافه في وحدانيته والاطيار التي اسكنها
اخاديد الارض كالقطا والصدا والتي اسكنها خروق فجاجها كالقبج التي اسكنها رؤوس الجبال كالعقبان والصقور
ثم اخذ يصف اختلافها بالاجنحة في هياتها وكيفيات خلقها تحت تصريف قدرته وحكمته ثم اشار الى العبالة
واحداثها في عجائب صورها والوانها وتركيب خلقها من عبالة جثة يمتنع سموه في الهواء كالنعام ثم نبه على لطف
حكمته في تصنيفها مختلفة الالوان والاصباغ فمنها مغموس في قالب لون واحد ومطوق بخلاف ما صبغ به
كالفواخت وشرع في التنبيه بحال الطاووس على لطف الصنع لاشتماله على جميع الالوان وكفى بوصفه عليه السلام
شارحا فانه لا ابلغ ولا اجمع لتفاصيل الحكمة الموجودة في هذا الموصوف منه وقد يحتاج بعض الفاظه عليه
السلام الى بيان فاراد بقصبه قصب ريش ذنبه وجناحيه واشرجها ضبط اصولها بالاعصاب والغطا و
شرج بعضها ببعض ووصفه عليه السلام الجنة موجهه الى الانثى حال ارادة السفاد ووصف من شاهد واستثبت
الحسن واحسن بتشبيهه لذنبه عند ارادة السفاد بالقلع الداري فانه في تلك الحالة يبسط ريشه وينشر [illegible]
ونصبه فيصير كهيئة الشراع المرفوع وفي وجه التشبيه زيادة على ذلك اشار اليها بقوله يعطفه نوتية وذلك ان
الملاحين يصرفون الشراع تارة بالجذب وتارة بالارخاء وتارة بتحويله يمينا وشمالا وذلك بحسب انصرافهم
من بعض الجهات الى بعض فاشبهه هذا الطائر عند حركته لارادة السفاد وزيفانه في تصريف ذنبه وتحويله ورده في
تلك الهيئة لا يستثبت وجه الشبه فيها كما هو الا من شاهدها مع مشاهدة المشبه به ولذلك قال احيلك من
ذلك على معاينة لا كمن يحيل على ضعيف اسناده وانما خص داريا بالذكر لانها كانت المرسى القديم في زمانه
عليه السلام حيث كانت معمورة وقوله ولو كان كزعم من يزعم الى قوله المنبجس اي لو كان حاله في النكاح كزعم من يزعم وهو انا
الدمع فهو ان الذكر تدمع عينه فتقف الدمعة بين اجفانه فتاتي الانثى فتطعمها فتلقح من تلك الدمعة وروي تنشجها
مدامعه اي تجري بها و[illegible] وهو عليه السلام لم يحل ذلك وانما قال ليس ذلك باعجب من مطاعمة الغراب [illegible]

الغراب لا يستفد من اشالهم اخفى من سفاد الغراب ويزعمون ان اللقاح من طاعم الذكر والانثى واتصال الجزء من الماء الذي
في قانصته اليها وهو ان يضع كل منهما منقاره في منقار صاحبه ويتراقان وذلك مقدمة للسفاد في كثير من الطير كالحمام وغيره
وهذا وان كان ممكنا في بعض الطير كالطاووس والغراب غير ان ذلك بعيد على انه قد نقل الشيخ في الشفاء ان القبجة تحبل
بريح تهب من ناحية الحجل ومن سماع صوته قال والنوع المسمى ما كيانا تلاقح بالمواجهة ثم تحتاك فذلك مسافدها
ونقل الجاحظ في كتاب الحيوان ان الطاووسة قد تبيض من الريح وتوقيها الذكر فيحيل ريحه فتبيض بيضا فاما وبيض الريح
ان يفرخ واقول قد يوجد في الدجاج ذلك الا انه قل ما يفرخ كما ذكره ثم شبه عليه السلام قصب ذنبه بالمداري
الفضة ومن شاهد صورة قيام ذنبه مع بياض اصول ريشه وتفرقها عند نشره للسفاد عرف موضع التشبيه
ووقوعه موقعه وكذلك شبه الخطوط الصفرة المستديرة على رؤوس ريش الذنب بما انبت من العقيان في الصفرة
الفاقعة مع ما يعلوها من البريق وما في وسط تلك الدارات من الدوائر الخضر بقطع الزبرجد في الخضرة
لها لفظ الشموس ملاحظة لمشابهتها لها في الاستدارة والاستنارة ثم قال وان شبهته بما انبتت الارض الى قوله كل
ووجه الشبه اجتماع الالوان مع نضارتها وبهجتها وكذلك وجه الشبه في تشبيهه بموشي الحلل او المونق من عصب
اليمن وكذلك ان شاكلته بالحلي ووجه شبهه بالفصوص المختلفة الالوان المنطقة في الفضة اي المرصعة في صفائح
والمكلل الذي جعل كالاكليل وحاصل الكلام انه شبه قصب ريشه بصفائح من فضة رصعت بالفصوص المختلفة
الالوان فهي كالاكليل بذلك الترصيع ثم حكى تهويه كالقهقهة عند نظره الى حسن سرباله وجلابيب جمال كسوته والقهقهة
والسربال مستعار وكذلك حاله في نظره الى قوائمه فانه يصيح كالمستغيث من قبح ساقيه وموقعهما
بعد تفطنه وتنبهه لنفسه ووجه تشبيه قوائمه بقوائم الديكة الخلاسية الدقة والطول والنتو في العرقوب ثم اخذ
في وصف صيصيته وقنزعته وهي ذؤيبات بيض طوال في مؤخر راسه نحو الثلث بارزة عن ريش راسه
ثم اخذ في وصف عنقه وشبه مخرجه بالابريق ووجه الشبه المعلومة بالمشاهدة وكذلك مغرزه من لدن
بطنه وشبهه في لونه بصبغ الوسمة في السواد المشرق او الحرير السوداء الملبسة مرآة ذات صقال في سوادها
بصيص المرآة لها او المعجر الاسود الا ان ذلك السواد لكثرة مائه وشدة بريقه يخيل للناظر انه ممتزج بخضرة ناصعة
وصف الخط الابيض عند مخرج سمعه وشبهه في دقته واستوائه بخط القلم الدقيق وفي بياضه بلون الاقحوان ثم اجمل
في تعديد الالوان فقال وقل صبغ الا وقد اخذ منه بقسط وعلاه اي وزاد على الصبغ بكثرة صقاله وبريقه وبصيص
ولفظ الديباج مستعار لريشه ثم رجع الى تشبيهه بالازاهير المبثوثة تنبيها على كمال القدرة في مشابهتها بانها لم
تربها امطار الربيع اي لم تعدها تلك الالوان امطار ربيع ولا شموس قيظ لانه لما تخيل انها ازاهير وكان من شأن الازاهير
المختلفة انها لا تكون الا في زمن الربيع بامطاره وحرارة الشمس المعدة لتنوع ازاهره اراد ان يبين عظمة مشابهها بانها
ازاهير خلقها بغير مطر ولا شمس ثم اشار عن حالة اخرى هي محل الاعتبار في حكمة الصانع وقدرته وهو انه يحسر ويعرى
من ذلك الزين الحسن شاهدة حتى ثم ينبت جميعا كل ريشة موضع ريشه ويلونها الاول عن غير زيادة او نقصان حتى كانها

ومنها

وشبهه في سقوطه ونباته بتهات اوراق الشجر من الاغصان ونباتها ثم نبه على وجوه حكمة الصانع في الشعرة الواحدة من
شعرات ريشه بانك اذا تاملتها اريتك من شعاعها وشدة بصيصها تارة حمرة كحمرة الورد وتارة خضرة كخضرة
الزبرجد وتارة صفرة كصفرة الذهب ثم عقب ذلك الوصف البليغ باستبعاد وصول الفطن العميقة الى صفة هذا
واراد العجز عن وصف على هذه الالوان واختلافها واختصاص كل من مواضعها بلون غير الاخر وعلل هيأتها وسائر
ما عدده فان اقل جزء منه مما تعجز الاوهام في ادراك علته وتقصر الالسنة عن وصفه ويحتمل ان يريد العجز عن استيعاب
جزئيات اوصافه الظاهرة وتشريحه فان ما ذكره عليه السلام وان كان في غاية البلاغة الا ان فيما وراء ذلك
لم تستقصها الوصف وهو الاقرب ثم تدرج الى تنزيه الله تعالى باعتبار قهره للعقول عن وصف هذه المخلوق
الذي جلاه واظهره للعيون فادركته محدودا مكونا ومولفا ملونا واعجز الالسن عن تلخيص وصفه وتادية نعته
ثم نزهه باعتبار امر اخر وهو احكامه قوائم الذرة والهمجة وسائر ما فوقهما كالحيتان وكبار حيوان البر كالفيلة
ثم باعتبار حكمه وتقديره على كل حي منها ضرورة الموت وفيه تنبيه على ذكر هادم اللذات واعلم انه قد ذكرت
للطاووس احوال اخرى تخصه اكثرها قالوا انه غاية ما يعيش خمسا وعشرين سنة وتبيض في السنة الثالثة من عمره
وتبيض في السنة مرة واحدة اثنتي عشرة بيضة في ثلثة ايام وتحضنها ثلثين يوما فيفرخ ويتحت ريشه عند
سقوط ورق الشجر وينبت مع ابتداء نبات ورقه منها في صفة الجنة فلو رميت ببصر قلبك نحو ما يوصف
لك منها لعزفت نفسك عن بدائع ما اخرج الى الدنيا من شهواتها ولذاتها وزخارف مناظرها ولذهلت بالفكر في
اصطفاق اشجار غيبت عروقها في كثبان المسك على سواحل انهارها وفي تعليق كبائس اللؤلؤ الرطب في عساليجها وافنانها
وطلوع تلك الثمار مختلفة في غلف اكمامها تجنى من غير تكلف فتأتي على منية مجتنيها ويطاف على نزالها في افنية قصورها
بالاعسال المصفقة والخمور المروقة قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتى حلوا دار القرار وامنوا نقلة الاسفار فلو
شغلت قلبك ايها المستمع بالوصول الى ما يهجم عليك من تلك المناظر المونقة لزهقت نفسك شوقا اليها ولتحملت من
مجلسي هذا الى مجاورة اهل القبور استعجالا بها جعلنا الله واياكم ممن يسعى بقلبه الى منازل الابرار برحمته اقول عزفت
انصرفت والكبائس جمع كباسة وهي العذق والعساليج الغصون واحدها عسلوج وكذلك الافنان جمع فنن والاكمام
جمع كمامة بكسر الكاف وهي غلاف الطلع والعسل المصفق المصفى وقوله فلو رميت ببصر قلبك استعارة لطيفة اي
لو نظرت بعين بصيرتك وفكرت في معنى ما وصف لك من متاع الجنة لم تجد لشيء من بدائع ما اخرج الى الدنيا من متاع
الذي من متاع الجنة الا نسبة وهمية اذا لاحظتها نفسك عزفت واعرضت عن متاع الدنيا وما يعد فيها لذة وذهلت
في اصطفاق الاشجار الموصوفة فيها وتمايل اغصانها ثم وصف اشجارها وانهارها وسائر ما عدده من متاع الجنة وصفا
لا مزيد عليه فهذه هي الجنة المحسوسة الموعودة وانت بعد معرفتك بقواعد التأويل وحقائق الالفاظ الغريبة ومجازاتها
واستعاراتها وتشبيهاتها وتمثيلاتها وسائر ما عددناه لك في صدر الكتاب من قواعد علم البيان وكان لك ذوق في
العلوم الالهية يمكنك ان تحمل هذه الجنة المحسوسة مثلا وشبها للجنة المعقولة ومتاعها كما ولك ان تلاحظ اشجار الجنة استعارة

وكثبان المسك استعارة للمعارف والكمالات التي لهم من واهب الجود وهم مغمورون فيها وقد وجد الطاوس بها كما في
الكثبان ولفظ الانهار استعارة للملائكة المجردين عن التعلق بالاجرام الفلكية باعتبار كون هذه الملائكة اصولا
للملائكة السماوية كما ان الانهار مبادى حياة الاشجار واسباب لوجودها واللؤلؤ الرطب والثمار استعارة لما
يفيض عن تلك الارواح من العلوم والكمالات على النفوس القابلة لها من غير بخل ولا منع فهي ثمارها تتدلى على
مجتنيها بحسب استعداده لكل منها والقوة المتخيلة تحكي تلك الافاضات في هذه العبارات والظواهر المحسوسة
المعدودة وتكسوها صورة ما هو مشتهى للمتخيل كل بحسب شهوته ولذلك كان في الجنة كل ما تشتهي الانفس وتلذ
الاعين وبما هو بحصول فيضها عند ارادتها اياها وكذلك لفظ العسل والخمر استعارة لتلك الافاضة المشتهاة
الملذة للنفس بحسب محاكاة المتخيلة لها في صورة هذا المشروب المحسوس بحسب النفوس تتصور بصورة وقوله قوم لم
تزل الكرامة الى قوله الاسفار استعار وصف التمادي الذي هو من افعال العقلاء لتأخر الكرامة عنهم واستظهارهم لها
في الدنيا الى ان يحلوا لهم دار القرار وحصول الكرامة لهم هناك وامنهم من نقلة الاسفار • ثم عقب بتشويق المستمع
الى ما هناك بقوله فلو شغلت قلبك اي اخذت في اعداد نفسك للوصول الى ما يهجم عليك اي يفاجئك من تلك المناظر
البهية المعجبة لزهقت نفسك اي ماتت شوقا اليها ولرحلت الى مجاورة اهل القبور استعجالا لنفسك الى ما يشتاق اليه ثم
ختم الخطبة بالدعاء لنفسه وللسامعين ان يعدهم الله تعالى لسلوك سبيله وقطع منازل الطريقة الموصلة الى منازل
الابرار وهي درجات الجنة ومقاماتها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ليتأس صغيركم بكبيركم وليرأف كبيركم
بصغيركم ولا تكونوا كجفاة الجاهلية لا في الدين يتفقهون ولا عن الله يعقلون كقيض بيض في اداح يكون كسرها وزرا
ويخرج حضانها شرا **اقول** قيض البيض كسره تقول قضت البيضة كسرتها وانقاضت تصدعت من غير كسر و
تكسرت فلقا والاداح جمع ادحي افعول من الدحو وهو الموضع الذي يفرخ فيه النعام وامر عليه السلام صغيرهم
بكبيرهم لان الكبير اكثر تجربة وعلما واكيس واحزم فكان بالقدوة اولى وامر كبيرهم ان يرأف بصغيرهم لان الصغير مظنة
الجهل لان يرحم لقلة عقله للامور وانما بدأ بامر الصغير لانه احوج الى التأديب والتعليم من هذا الامر انتظام امورهم
وحصول الفتهم بما امرهم به ثم نهاهم ان يشبهوا جفاة الجاهلية في عدم تفقههم في الدين وعدم عقليتهم لاوامر الله
فيشبهون اذن بيض الافاعي في اعشاشها ووجه الشبه انها ان كسرها كاسر اثم لاتلاف الحيوان ... يقتل
القطا فيأثم كاسره وان لم تكسر يخرج حضانها شرا اذ تخرج افعى قاتلا فكذلك هؤلاء اذا اشبهوا جفاة الجاهلية
لا يحل لاحد اذاهم واهانتهم لحرمة ظاهر الاسلام عليهم وان اهملوا وتركوا على ما هم عليه من الجهل وقلة الادب خرجوا
شياطين وبالله التوفيق **منها** افترقوا بعد الفتهم وتشتتوا عن اصلهم فمنهم آخذ بغصن اينما مال مال معه على ان
الله سيجمعهم لشر يوم لبني امية كما يجتمع قزع الخريف يؤلف الله بينهم ثم يجعلهم ركاما كركام السحاب ثم يفتح لهم ابوابا
يسيلون من مستثارهم كسيل الجنتين حيث لم تسلم عليه قارة ولم تثبت عليه اكمة ولم يرد سننه رص طود ولا حداب
ارض يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم وايم الله ليذوبن ما في ايديهم

ويمكن لقوم في ديار قوم

بعد العلو

بعد العلو والتمكين كما تذوب الالية على النار ايها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر الحق ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يطمع
فيكم من ليس مثلكم ولم يقو من قوي عليكم لكنكم تهتم متاه بني اسرائيل ولعمري ليضعفن لكم التيه من بعدي اضعافا بما
خلفتم الحق وراء ظهوركم وقطعتم الادنى ووصلتم الابعد واعلموا انكم ان اتبعتم الداعي لكم سلك بكم منهاج الرسول وكفيتم
مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الاعناق **اقول** القزع قطع السحاب المتفرقة ومستثارهم موضع ثورانهم
والقارة الاكمة والحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض والذعذعة بالذال المعجمة التفريق وتهنوا تضعفوا
وتوهين الباطل اضعافه والفادح المثقل والاشارة في هذا الفصل الى اصحابه واصلهم الذي تشتتوا عنه هو علي عليه
السلام وافتراقهم بعد الفتهم هو افتراقهم الى الخوارج وغيرهم بعد اجتماعهم عليه وقوله فمنهم آخذ بغصن اي يكون
منهم من يتمسك بمن اخلفه بعدي من ذرية الرسول صلى الله عليه وآله اينما سلك سلك معه كالشيعة
وتقدير الكلام ومنهم من ليس كذلك الا انه استغنى بالقسم الاول لدلالته على الثاني وقوله على ان الله يجمعهم اي
من كان على عقيدته فينا ومن لم يكن لشر يوم يكون لبني امية وشبه جمعه لهم والفته بينهم بجمعه لقزع السحاب في
الخريف وتراكمهم بذلك الجمع كتراكم ذلك القزع ووجه الشبه الاجتماع بعد التفرق والابواب
التي يفتحها لهم اشارة اما الى وجوه الاراء التي تكون اسباب الغلبة والانبعاث على الاجتماع او اعم منها كاسباب
الغلبة من اعانة بعضهم لبعض بالانفس والاموال وغير ذلك واستعار لخروجهم لفظ السيل وشبهه بسيل جنتي مارب وهما
جنتا سبأ المحكي عنهما في القرآن الكريم فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم الاية ووجه الشبه الشدة في الخروج
وافساد ما ياتون عليه كقوة ذلك السيل حيث لم يسلم عليه مرتفع من الارض ولم يرد طريقه وجريه جبل مرصوص اي شديد
الالتصاق ثم قال يذعذعهم الله في بطون اوديته ثم يسلكهم ينابيع في الارض وهو من الفاظ القرآن والمراد كما ان
الله ينزل من السماء ماء فيسكنه في اعماق الارض ثم يظهر منها ينابيع الى ظاهرها كذلك هؤلاء القوم يفرقهم الله في بطون
الاودية وغوامض الارض ثم يظهرهم بعد الاختفاء فيأخذ بهم من قوم حقوق آخرين ويمكن قوما من ملك قوم وديارهم ثم
اقسم ليذوبن ما في ايدي بني امية بعد علوهم وتمكنهم كما تذوب الالية على النار ووجه الشبه الفناء والاضمحلال و
مصداق هذا الاخبار ما كان من امر الشيعة الهاشمية واجتماعها على ازالة ملك بني امية من كان منهم ثابتا على ولاء
علي واهل بيته ومن حاد منهم عن ذلك في اواخر ايام مروان الحمار عند ظهور الدعوة الهاشمية ثم عاد الى توبيخ السامعين
بالاشارة الى سبب الطمع فيهم ممن هو دونهم في القوة والمنزلة وقوته عليهم والاشارة الى معويه واصحابه وذلك السبب هو
تخاذلهم عن نصرة الحق وتضاعفهم عن اضعاف الباطل وهو في معرض التوبيخ والاثم لهم • ثم شبه تيههم بتيه بني
اسرائيل ووجه الشبه لحوق الضعف والذلة والمسكنة لهم حيث لم يجتمعوا على العمل باوامر الله فوصلهم بالتيه وضربت
عليهم الذلة والمسكنة ثم اخبرهم بعاقبة امرهم في التخاذل وهو اضعاف التيه والتفرق بعده لانقطاعهم عن الحق وقطع
بعضهم ارحام ذويه وقرابته من الرسول صلى الله عليه وآله ووصلهم لمعويه وغيره ممن بعد عنه ثم اخبر في ارشادهم
وتنبيههم الى اتباعه تعالى ان اتبعتم الداعي وعنى نفسه سلك بكم منهاج الرسول وطريقه وكفيتم مؤونة الاعتساف في

الضلال والقيم ثقل الاوزار في الآخرة عن اعناق نفوسكم وظاهر كونها فادحة ويحتمل ان يريد بالثقل الفادح الآثام مع ما يلحقهم في الدنيا من الخطوب الفادحة بسبب عصيان الامام والخروج عن امره وبالله التوفيق ومن

خطبة له عليه السلام في اول خلافته ان الله سبحانه انزل كتابا هاديا بين فيه الخير والشر فخذوا نهج الخير تهتدوا واصدفوا عن سمت الشر تقصدوا الفرائض الفرائض ادوها الى الله تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حراما غير مجهول واحل حلالا غير مدخول وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق ولا يحل اذى المسلم الا بما يجب بادروا امر العامة وخاصة احدكم وهو الموت فان الناس امامكم وان الساعة تحدوكم من خلفكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر باولكم آخركم اتقوا الله في عباده وبلاده فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم اطيعوا الله ولا تعصوه واذا رايتم الخير فخذوا به واذا رايتم الشر فاعرضوا عنه اقول اصدفوا اعرضوا او تقصدوا اعتدلوا ومعاقدها مواضعها وصدر الفصل بالتنبيه على الكتاب وهي كونه هاديا الى طريقي الخير والشر ثم امر باخذ طريق الخير لكونه طريق الهدى الى المطالب الحقيقية وبالاعراض عن طريق الشر وسمته لاستلزام الاعراض عنه لزوم طريق الحق والاستقامة فيه ثم امر باداء الفرائض لانها اقوى طرق الخير ولذلك قال تؤدكم الى الجنة لان الجنة منتهى الخير كله ثم بين ان الله حرم حراما غير مجهول بل في غاية الوضوح وكذلك احل حلالا غير مدخول اي لا عيب فيه ولا شبهة فلا عذر لمن ترك وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وهذا لفظ الخبر النبوي حرمة المسلم فوق كل حرمة دمه وعرضه وماله وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها اي ربطها بهما فاوجب على المخلصين المعترفين بوحدانيته المحافظة على حقوق المسلمين في مواضعها وقرن توحيده بذلك حتى صار فضله كفضل التوحيد ثم عرف المسلم ببعض صفات المسلم الكامل وهي المسلمون من يده ولسانه الا ان يكون بحق او لسان حق وهو لفظ الخبر النبوي ايضا وقوله لا يحل اذى المسلم الا بالحق اورده تاكيدا لذلك ثم عقب بتنبيههم على امر العامة وخاصة احدهم وهو الموت ذلك الامر هو الموت وكونه عمومه لكل الحيوان خاصة احدهم لان لكل شخص خصوصية وكيفية مخالفة لما مع غيره وامرهم بالمبادرة الى العمل له ولما بعده قبل سبقه اليهم ونبههم على ان الناس امامهم اي قد سبقوهم الى الآخرة والساعة تحدوهم من خلفهم بالتخفيف للحاق بهم وحثهم على ذلك بقوله فانما ينتظر باولكم آخركم اي السابقين الى الآخرة للاحقين منكم ليبعث الكل وقد سبقت هذه الالفاظ بعينها وشرحها مستوفى ثم امر بتقوى الله في عباده وبلاده وذلك بلزوم خوفه في مراعاة ما لكل احد مع غيره وفي بلاده بترك الفساد في الارض ونبه على وجوب ذلك باستعقاب كل عمل وارد السؤال عنه مناقشة الحساب عليه حتى عن البقاع فيقال لم استوطنتم هذا المكان وزهدتم في ذلك وعن البهائم فيقال لم ضربتم هذه وقتلتم هذه ولم اجعتموها والى الاشارة بقوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون وقوله ولتسئلن يومئذ عن النعيم على شبع البطن وبارد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقوله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فيقال لم شغلت قلبك وسمعك وبصرك وفي الخبر الصحيح النبوي ان الله عذب انسانا بهرجبه قريب

تحمولهم

حتى حالك ثم اجمل القول بعد تفصيله وامر بطاعة الله ونهى عن معصيته وارشد الى الاخذ بالخير عند رؤيته والاعراض عن الشر عند رؤيته ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع بالخلافة وقد قال له قوم من الصحابة لو عاقبت قوما ممن اجلب على عثمان فقال يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف لي بقوة والقوم المجلبون على حد شوكتهم يملكوننا ولا نملكهم وها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم والتفت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا وهل ترون موضعا لقدرة على شيء تريدونه ان هذا الامر امر جاهلية وان لهؤلاء القوم مادة ان الناس من هذا الامر اذا حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة لا ترى ما ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا فاصبروا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق مسمحة فاهدؤوا عني وانظروا ماذا ياتيكم به امري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط منة وتورث وهنا وذلة وسامسك الامر ما استمسك فاذا لم اجد بدا فآخر الدواء الكي اقول اجلب عليه جمع وشوكتهم قوتهم والعبدان بتشديد الدال وتخفيفها وكسر العين وضمها جمع عبد والتفت انضمت ويسومونكم يكلفونكم ومسمحة مسهلة والالف في اخوتاه هي المنقلبة عن ياء النفس المضاف اليه والهاء للسكت واعلم ان هذا الكلام اعتذار منه عليه السلام في تاخير القصاص عن قتلة عثمان وقوله اني لست اجهل ما تعلمون دليل على ان ترك ذلك في نفسه وحاصل هذا العذر عدم التمكن كما ينبغي ولذلك قال وكيف لي بقوة والقوم على حد شوكتهم وصدقه عليه السلام ظاهر فان اكثر اهل المدينة كانوا من المجلبين عليه وكان من اهل مصر ومن الكوفة خلق عظيم حضروا من بلادهم وقطعوا المسافة البعيدة لذلك وانضم اليهم اعراب اجلاف من البادية وعبدان المدينة فكانوا في غاية من شدة الشوكة حال اجتماعهم وثاروا ثورة واحدة ولذلك قال والقوم يجتمعون الى قوله يسومونكم ما شاؤوا ولو روي انه عليه السلام جمع الناس ووعظهم ثم قال ليقم قتلة عثمان فقام الناس باسرهم الا القليل وكان ذلك الفعل منه استشهادا على صدق قوله والقوم على حد شوكتهم ومع تحقق هذه الحال لا يبقى له موضع قدرة على شيء من امرهم ثم قال على سبيل قطع لجاج الطالبين فاعلمهم ان هذا الامر امر جاهلية ويريد ان المجلبين عليه اذ لم يكن تركهم اياه بمقتضى الشريعة اذ الصادر عنه من الاحداث لا يجب فيها قتل وان لهؤلاء القوم مادة اي معينين وناصرين ثم قسم حال الناس على تقدير الشروع في امر القصاص الى ثلاثة فرق وهو احتجاج منه على الطالبين وتضعيف لرايهم بقياس ضمير من الشكل الاول مركب من شرطيتين متصلتين صغراهما قوله ان هذا الامر اذا حرك كان الناس فيه على امور ~~وتقدير الكلي واذا كان الناس فيه على امور~~ وتقدير الكبرى واذا كان الناس فيه على امور لم يتمكن من اتمامه وفعله فينتج ان هذا الامر اذا حرك لا يتم فعله ثم عدد تلك الامور وهي ان فرقة ترى كونه مصيبا كما راى الطالبون وفرقة ترى انه مخطئ وهم انصار المقتص منهم وفرقة لا ترى هذا ولا ذاك بل توقف كما جرى ذلك في امر التحكيم ثم امرهم بالصبر الى غاية هدوء الناس اذ ليس لهم الا المصلحة في تحريك الامر حينئذ فان الحقوق عند هدوء الناس واستقرار القلوب يسهل ماخذها وقوله فاهدؤوا وانظروا ما ياتيكم به امري يدل على ترصده وانتظاره للفرصة من هذا الامر وتخوفهم من الاستعجال بفعل يضعف شوكة الدين ويورث وهنه فانه لو شرع في حقوق الناس والقبض عليهم لم يؤمن من تجدد فتنة اخرى اعظم من الاولى وهو غالب الظن فكان الاصوب في التدبير

مفرقة ترى بالامور

الكبرى

يقتضيه العقل والشرع الامساك الى حين سكون الفتنة وتفرق اولئك الشعوب ورجوع كل قوم الى بلادهم وربما كان
عليه السلم ينتظر مع ذلك ان يحضر بنو عثمان للطلب بدمه ويعينون قوما باعيانهم بعضهم للقتل وبعضهم
للحصار كما جرت عادة المتظلمين الى الامام ليتمكن من العمل بحكم الله فلم يقع الامر كذلك وعصى معوية واهل الشام والتجأ
اليه ورثة عثمان وفارقوا حوزة امير المؤمنين عليه السلم ولم يطلبوا القصاص طلبا شرعيا وانما طلبوه مغالبة وجعلها
معوية عصبية جاهلية ولم يات احد منهم الامر من بابه وقبل ذلك ما كان من امر طلحة والزبير ونقضهما البيعة
ونهبهما اموال المسلمين بالبصرة وقتلهما الصالحين من اهلها وكل تلك الامور التي جرت مانعة للامام عن التصدي
للقصاص ولذلك قال عليه السلم لمعوية في بعض كلامه فاما طلبك بدم عثمان فادخل في الطاعة وحاكم القوم
الي احملك واياهم على كتاب الله وسنة رسوله فاما قوله وساسوك الامر ما استمسك الى آخره فاعلم ان هذا الكلام
انما صدر عنه عليه السلم بعد اكثار القول عليه في امر عثمان واضطراب الامر من قبل طلحة والزبير ونكثهما البيعة
هذه الشبهة مع كونهما من اكابر الصحابة وفتنت قلوب كثير من المسلمين عنه فحينئذ اشار اليه بعض الصحابة باخذ
القصاص من قتلة عثمان فسكنا الفتنة طلحة والزبير ومعوية لغلبة الظن حينئذ بها الفتنة واضطراب الشام فقال
اي قد ابديت هذا العذر فان لم يقبلوا متى ما استمسك الامر اي امر الخلافة بجهدي فاذا لم اجد بدا اي من خال من نجى
فآخر الدواء الكي الحرب والقتال لانها الغاية التي ينتهي امر العصاة اليها ومداواة امراض القلوب قلوبهم كما ينتهي مداواة المرض
الى ان يكوى وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** عند مسير اصحاب الجمل الى البصرة ان الله بعث رسولا هاديا بكتاب
ناطق وامر قائم لا يهلك عنه الا هالك وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله وان في سلطان الله عصمة
لامركم فاعطوه طاعتكم غير ملومة ولا مستكره بها والله لتفعلن او لينقلن الله عنكم سلطان الاسلام ثم لا ينقله اليكم ابدا
حتى يارز الامر الى غيركم ان هؤلاء قد تمالؤوا على سخطة امارتي وساصبر ما لم اخف على جماعتكم فانهم ان تمموا على فيالة هذا
الراي انقطع نظام المسلمين وانما طلبوا هذه الدنيا حسدا لمن افاءها الله عليه فارادوا رد الامور على ادبارها ولكم علينا
العمل بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام بحقه والنعش لسنته **اقول** يارز بتقديم الراء ينقبض وتمالؤوا اجتمعوا والفيالة الضعف
النعش وقوله ان الله بعث الى قوله هالك تصدير للفصل بالامور الجامعة للمسلمين التي هي اصول دعوتهم وتذكيرهم بها اي
اليها وامر قائم مستقيم وقوله لا يهلك عنه الا هالك اي لا يهلك من مخالفته الا اعظم هالك كما يقول لا يعلم هذا الفن
الا العالم اي من بلغ الغاية من العلم وقوله وان المبتدعات المشبهات هن المهلكات الا ما حفظ الله منها اي الكتاب
والسنة الجامعين لحدود الله وخروجهما عنهما اراد الهلاك الاخروي وقوله الا ما حفظ الله استثناء من المهلكات اي
الا ما حفظ الله منها بالعصمة عن ارتكابها اي لا يكون مهلكة الا لمن ارتكبها والمشبهات ما اشبه السنن وليس منها
وروي المشبهات بتشديد الباء وفتحها وهو ما شبه على الناس ولبس وروي المشتبهات اي الملتبسات وسلطان الله هو
سلطان الاسلام فحوق الصلاح واراد سلطان دين الله ويحتمل ان يريد بسلطان الله نفسه لكونه خليفة الله في ارضه
وانما اضافه اليه اعتزازا به والظاهر ان فيه منعة وعصمة لهم فان الذي نصرهم وهم قليلون حي قيوم لا يطالب نصرهم

كونهم يشترطون طاعة عن الخالصة والدخول في امر سلطانه ولذلك قال فاعطوه طاعتكم غير ملومة اي غير ملوم صاحبها بالنسبة الى
النفاق والرياء ولا مستكره عليها ويروى غير ملوية اي غير معوجة ثم اخذ في وعيدهم ان لم يطيعوه بنقل الله عنهم
سلطان الاسلام من غير ان يرده اليهم ابدا حتى يصير الامر الى غيرهم واراد امر الخلافة ثم ان جعلنا حتى وما
بعدها غاية لنقل السلطان عنهم لم يفهم منها عوده اليهم وان جعلناها غاية من عدم نقله اليهم فهم منها
ذلك فان قلت لم قال لا يرجع اليهم ابدا وقد عاد بالدولة العباسية قلت اجيب من وجوه الاول ان القوم الذين
خاطبهم من اصحابه بهذا الخطاب لم ترجع الدولة اليهم ابدا فان اولئك بعد انقضاء دولة بني امية لم يبق منهم
احد ثم لم يرجع الى احد من اولاده اصلا الثاني انه قيده بالغاية فقال لا يصير في قوم آخرين وظاهر انه كذلك باسقاطه
الى بني امية الثالث قال بعض الشارحين انما عاد لان الشرط لم يقع وهو عدم الطاعة فان اكثرهم اطاعه غير ملوم
ولا مستكره بها الرابع قال هو وارد بقوله ابدا المبالغة كما تقول لغريمك لاحبسنك ابدا والمراد بالقوم الذين يارز
اليهم هذا الامر بنو امية كما هو الواقع وقوله ان هؤلاء قد تمالؤوا اشارة الى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم وادعى
الى ان سيرهم سخطهم من امارته لما اظهروه من الطلب بدم عثمان ثم وعد بالصبر عليهم ما دام لم يخف
على حوزة الجماعة واخبر انهم ان بقوا على ضعف رايهم في مسيرهم ومخالفتهم قطعوا نظام المسلمين وفرقوا
جماعتهم وقوله وانما طلبوا الى قوله عليه بيان لعلة سخطهم لامارته وهي الحسد على الدنيا لمن افاءه الله عليه
الاشارة الى بيت الرسول صلى الله عليه وآله وقوله فارادوا رد الامور على ادبارها اي ارادوا اخراج هذا الامر عن اهل
بيت الرسول آخرا كما اخرجوه اولا او صرف هذا الامر عنهم بعد اقباله الى ما كان عليه من ادباره عنهم ثم اخبر بما
عليه من الحق ان اطاعوه الطاعة غير المدخولة وهي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسيرة رسوله والقيام بحقوقه
التي اوجبها واقامة سنته وذلك هو الواجب على الامام وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** لما قال كليب
الجرمي قبل وقعة الجمل بايع فقال اني رسول قوم ولا احدث حدثا دونهم حتى ارجع اليهم فقال عليه السلم
ارايت لو ان الذين وراءك بعثوك رائدا تبتغي لهم مساقط الغيث فرجعت اليهم واخبرتهم عن الكلأ والماء
فخالفوا الى المعاطش والمجادب ما كنت صانعا قال كنت تاركهم ومخالفهم الى الكلأ والماء فقال له عليه
السلم فامدد يدك اذن فقال الرجل فوالله ما استطعت ان امتنع عند قيام الحجة علي فبايعته عليه السلم **اقول**
الجرمي منسوب الى بني جرم وكان قوم من اهل البصرة بعثوه اليه عليه السلم ليستعلم حاله هو على حجة ام على شبهة
فلما رآه وسمع لفظه لم يتخالجه شك في صدقه فبايعه وكان بينهما الكلام المنقول ولا الطف من التمثيل الذي
جذبه به عليه السلم فالاصل في هذا التمثيل هو حالة هذا المخاطب في وجدانه للماء والكلأ على تقدير
رائديهما والفرع هو حالة في وجدانه للعلم والفضائل والهدى بتقدير والحكم في الاصل هو مخالفته لاصحابه
الى الماء والكلأ على تقدير وجدانه لهما ومخالفة اصحابه وعلة ذلك الحكم في الاصل هو وجدانه للكلأ والماء
ولما كان المشبه لجزء العلة وهو وجدانه للفضائل والعلوم التي هي غذاء النفوس ومادة حياتها كما ان الكلأ

والماء غذاء للابدان ومادة حياتها موجودا لهذا الرايد في الفرع وهو حال الرجل انه للعلم والفضل والهداية
عن تلك العلة تمثل الحكم في الاصل وهو مخالفة اصحابه الى الفضل والعلم والهداية عنده عليه السلم ولزومهم
ان يبايعوا ولذلك قال له فامدد يدك اذن وهو تمثيل لانكار النفس السليمة عند سماعها ان تقف دون
الانفعال عنه والاذعان له ولذلك اقسم الرجل انه لم يستطع الامتناع عند قيام هذه الحجة وعليه فبايع والله
ومن كلام له عليه السلم لما عزم على لقاء القوم بصفين اللهم رب السقف المرفوع والجو المكفوف الذي جعلته
مغيضا لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفا للنجوم السيارة وجعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا
يسامون من عبادتك ورب هذه الارض التي جعلتها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا يحصى مما
يرى وما لا يرى ورب الجبال الرواسي التي جعلتها للارض اوتادا وللخلق اعتمادا ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي
وسددنا للحق وان اظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة اين المانع للذمار والغائر عند نزول
الحقائق من اهل الحفاظ النار وراءكم والجنة امامكم اقول مغيضا لهما اي مغيبا والسبط القبيلة وفي
دعا الله سبحانه باعتبار كونه ربا للسماء والارض وباعتبار ما فيهما من الآيات المنبهة على كمال عظمته في لطفه
بخلقه وهذا الدعاء مما تستعد به القلوب والابدان لاستفاضة الغلبة والنصر على العدو والسقف المرفوع
السماء وكذلك الجو المكفوف وقد مرت الاشارة الى ذلك في الخطبة الاولى وكونه مغيضا لليل والنهار
لان الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس الى وجه الارض يكون سببا لغيبوبة الليل وباستلزامه حركتها
عن وجه الارض يكون سببا لغيبوبة النهار فكان كالمغيض لهما فاستعار له لفظ المغيض وكونه مجرى للشمس
ومحل اختلاف النجوم السيارة ظاهر وليس يريد الا على ان النجوم تتحرك فيه بذاتها من دون حركته والملائكة
اشارة الى الارواح الفلكية المحركة لاجرامها وقد سبقت الاشارة اليهم وبيان انهم لا يسأمون من العبادة في الخطبة الاولى
ثم دعاه باعتبار كونه ربا للارض وباعتبار ما بسطها لاجله من كونها قرارا للانام ومدرجا للهوام والانعام وما لا
مما يرى ولا يرى من انواع الحيوان قال بعض العلماء من اراد ان يعرف حقيقة قوله عليه السلم ما يرى وما لا يرى فليوقد
نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب انواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها
ولا غيره واقول يحتمل ان يريد بقوله وما لا يرى ما ليس من شأنه ان يرى اما لصغره او لشفافيته ثم باعتبار كونه
ربا للجبال وقد علمت معنى كونها اوتادا للارض فاما كونها اعتمادا للخلق فلانهم قد يجعلون بها المساكن
فيها من المنافع ما لا يقوم في الاودية ككثير من الاشجار والثمار ولانها معادن الينابيع ومنابع المعادن وظاهر
اذن كونها اعتمادا للخلق في مرافقهم ومنافعهم ثم سأل على تقدير نصره ان يجنبه البغي وهو العبور الى طرف الافراط
من فضيلة العدل ثم التسديد والاستقامة على فضيلة العدل وهو الحق وعلى تقدير اظهار عدوه عليه الشهادة
والعصمة من فتنة الغبن والانبهار فان المغلوب اذا كان معتقدا انه على الحق فلما يسلم من التسخط على القضاء
على نبوة وربما كفر كثير من الناس عند نزول البلاء بهم وظاهر كونه فتنة اي صارفا عن الله واستعصم عليه السلم

تلك الفتنة واما الحث على الاستثبات النفسية على الحق وتأديب السامعين ثم اخذ فيما العادة ان يستحث به الانسان اصحابه
في الحرب ويستثير به طباعهم من الاستفهام عن حامي الذمار والذي تصيبه الغيرة من اهل المحافظة عند
نزول الحقائق اي عظائم الامور وشدائدها ثم قال النار وراءكم اي ان رجوعكم القهقرى هربا من العدو مستلزم
لدخولكم النار واستحقاقكم لها والجنة امامكم اي في اقدامكم على العدو والتقدم الى مناجزته وهو كلام في غاية الفصاحة
والبلاغة ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله الذي لا توارى عنه سماء سماء ولا ارض ارضا اقول حمد الله
تعالى باعتبار احاطة علمه بالسموات والارضين واستلزم ذلك تنزيهه تعالى عن وصف المخلوقين اذ كانوا
في ادراكهم لبعض الاجرام السماوية والارضية محجوبين عما وراءها وعلمه تعالى هو المحيط بالكل الذي لا تحجبه
السواتر ولا يخفى عليه السرائر منها وقال لي قائل انك يا ابن ابي طالب على هذا الامر لحريص فقلت بل انتم والله
احرص وابعد وانا اخص واقرب وانما طلبت حقا لي وانتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه فلما
قرعته بالحجة في الملأ الحاضرين هب كانه لا يدري ما يجيبني به اللهم اني استعديك على قريش ومن اعانهم
فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي واجمعوا على منازعتي امرا هو لي ثم قالوا الا ان في الحق ان تأخذه
وفي الحق ان تتركه اقول هذا الفصل من خطبة يذكر فيها عليه السلم ما جرى له يوم الشورى بعد مقتل
عمر والذي قال له هذا القول هو سعد بن ابي وقاص مع روايته فيه انت مني بمنزلة هرون من موسى وهو
محل التعجب فاجابه بقوله بل انتم والله احرص وابعد اي احرص على هذا الامر وابعد من استحقاقه وهو في معنى
احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول سكت للقائل صغراه ما ذكر وتقدير كبراه وكل من كان احرص على هذا
الامر وابعد منه فليس له ان يعيب الاقرب اليه بالحرص عليه وقوله وانا اخص واقرب صغرى قياس ضمير احتج به على
اولويته بطلب هذا الامر وتقدير كبراه وكل من كان اخص واقرب الى هذا الامر فهو اولى بطلبه وروي ان هذا
الكلام قاله يوم السقيفة وان الذي قال له انك على هذا الامر لحريص هو ابو عبيدة بن الجراح والرواية الاولى اظهر
واشهر وروي فبهت بهت اي انتبه كانه كان غافلا ذاهلا عن الحجة فاستيقظ من غفلته ثم اخذ في
استعانته تعالى على قريش ومن اعانهم عليه وشكا امورا منها قطع رحمه فانهم لم يراعوا قربه من
رسول الله صلى الله عليه وآله ومنها تصغير عظيم منزلته بعدم التفاتهم الى ما ورد من النصوص النبوية
في حقه ومنها اتفاقهم على منازعته امر الخلافة الذي يرى انه احق به منهم وقوله ثم قالوا الا ان في الحق اي انهم لم يقتصروا
على اخذ حقي ساكتين عن دعوى كونه حقا لهم ولكنهم اخذوه مع دعواهم ان الحق لهم وانه يجب علي ان اترك المنازعة فيه
فليتهم اخذوه معترفين انه حق لي فكانت المصيبة اهون وروي نأخذه ونتركه بالنون في الكلمتين وعليه نسخة
الرضي رضي الله عنه والمراد انا نتصرف فيه كما نشاء بالاخذ والترك دونك وهذه شكاية ظاهرة لا تأويل فيها منها
في ذكر اصحاب الجمل فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تجر الامة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة
فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة

وسيجلي بالبيعة وطايعا فيلن مكره فقدموا على عاملي بها وخزان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبرا
وطائفة غدرا فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جره لحل لي قتل ذلك الجيش كله اذ
حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التي دخلوا بها عليهم اقول
جرمجناه ومقصود الفصل اظهار عذره في قتال اهل الجمل وذكر لهم ثلث كبائر من الذنوب تستلزم اباحة قتالهم
الاولى خروجهم بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وحبسه يجرونها كما تجر الامة عند شرائها مع حبسهما نسائهما
ومحافظتهما عليهن وضمير التثنية في حبسا لطلحة والزبير ووجه الشبه انهاك الحرمة وعضانها في تحو اجها الى
جراة على رسول الله صلى الله عليه وآله وروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوما لنسائه
وهن عنده جميعا ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وشمالها قتلى كثير
كلهم في النار وتنجو بعد ما كادت وروى حبيب بن عمير قال لما خرجت عايشه وطلحة والزبير من مكة الى البصرة
طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة فنبحتهم الكلاب فنفرت صعاب ابلهم فقال قائل منهم لعن الله
الحوأب فما اكثر كلابها فلما سمعت عايشه ذكر الحوأب قالت اهذا ماء الحوأب قالوا نعم قالت ردوني ردوني فسالوها ما شانها
وما بدا لها فقالت اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كاني بكلاب الحوأب قد نبحت بعض نسائي ثم قال لي
اياك يا حميرا ان تكونيها فقال لها الزبير مهلا يرحمك الله فانا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة فقالت اعندك من يشهد
بان هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب فلفق لها الزبير وطلحة وطلبا خمسين اعرابيا جعلا لهما جعلا فحلفوا
لها وشهدوا ان هذا الماء ليس بماء الحوأب فكانت هذه اول شهادة زور عملت في الاسلام فسارت عايشه لوجهها
فاما قوله في الخبر وتنجو بعد ما كادت فقالت الامامية معناه تنجو من القتل بعد ما كادت ان تقتل وقال المعتزلة
لها معناه تنجو من النار بالتوبة بعد ما كادت ان تدخلها بما فعلت الثانية نكثهم لبيعته وخروجهم عليه بعد الطاعة
في جماعة ما منهم الا من اخذ بيعته الثالثة قتلهم لعامله بالبصرة وخزان بيت مال المسلمين بها بعضهم صبرا اي بعد الاسر
وبعضهم غدرا اي بعد اعطائهم الامان وخلاصة القصة ما روي ان طلحة والزبير وعايشة لما انتهوا في مسيرهم
الى حفر ابي موسى قريب البصرة كتبوا الى عثمان بن حنيف الانصاري وهو يومئذ عامل علي على البصرة ان اخل
دار الامارة فلما قرأ كتابهم بعث الى الاحنف بن قيس والى حكيم بن جبلة العبدي فاقرأهما الكتاب فقال الاحنف انهم
حاولوا بهذا الطلب بدم عثمن وهم الذين البوا على عثمان وسفكوا دمه فاراهم والله لا يزايلونا حتى يلقوا العداوة
بيننا ويسفكوا دماءنا واظنهم سيركبون منك خاصة ما لا قبل لك به والراي ان تتاهب لهم بالنهوض اليهم بمن معك
من اهل البصرة فانك اليوم الوالي عليهم وانت فيهم مطاع فسر اليهم بالناس وبادرهم قبل ان يكونوا معك في دار
واحدة فيكون الناس لهم اطوع منهم لك وقال حكيم مثل ذلك فقال عثمان بن حنيف الراي ما رايتما لكني اكره الشر
وان ابداهم به وارجو العافية والسلامة الى ان ياتيني كتاب امير المؤمنين ورايه فاعمل به فقال له حكيم فاذن لي حتى اسير
بالناس فان دخلوا في طاعة امير المؤمنين والا نابذتهم على سواء فقال عثمان لو كان ذلك لي لسرت اليهم بنفسي فقال حكيم

والله ان دخلوا عليك هذا المصر لينقلن قلوب كثير من الناس اليهم وليزيلنك عن مجلسك هذا وانت اعلم فابى عثمن عليه
وكتب علي عليه السلام الى عثمن بن حنيف لما بلغه مسير القوم الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين الى عثمن بن حنيف
اما بعد فان البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا الى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله
اشد باسا واشد تنكيلا فاذا قدموا عليك فادعهم الى الطاعة والرجوع الى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فان
اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وان ابوا الا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك
وبينهم وهو خير الحاكمين وكتبت كتابي هذا من الربذة وانا معجل المسير اليك ان شاء الله وكتب عبد الله بن ابي
رافع في صفر سنة ست وثلثين فلما وصل الكتاب الى عثمان بعث ابا الاسود الدؤلي وعمران بن الحصين الخزاعي الى
عايشه فسالاها عما جاء بهم فقالت لهما القيا طلحة والزبير فقاما ولقيا الزبير فكلماه فقال جئنا للطلب بدم عثمان وندعو
الناس ان امر الخلافة شورى ليختار الناس ~~لانفسهم امر الخلافة شورى~~ لانفسهم فقالا له ان عثمان لم يقتل بالبصرة ليطلب
دمه فيها وانت تعلم قتلة عثمان واين هم وانك وصاحبك وعايشه كنتم اشد الناس عليه واعظمهم اغراء بدمه فاقيدوا من انفسكم
واما اعادة امر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليا طايعين غير مكرهين وانت يا ابا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك
دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وانت اخذ قائم سيفك تقول ما احد احق بالخلافة منه و
من بيعة ابي بكر فاين ذلك الفعل من القول فقال لهما اذهبا الى طلحة فقاما الى طلحة فوجداه خشن الملمس شديد
العريكة قوي العزم في اثارة الفتنة فانصرفا الى عثمان بن حنيف فاخبراه بما جرى وقال له ابو الاسود يا ابن حنيف

هذا
قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر
وابرز لها مستلئما وشمر فقال ابن حنيف اي

والحرمين لافعلن وامر مناديه فنادى في الناس السلاح السلاح فاجتمعوا اليه واقبلوا حتى انتهوا الى المربد فملاؤه
شاة وركبانا فقام طلحة فاشار الى الناس بالسكوت ليخطب فسكتوا بعد جهد فقال اما بعد فان عثمان بن عفان
كان من اهل السابقة والفضيلة ومن المهاجرين الاولين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ونزل القرآن ناطقا بفضلهم
واحد الايمة الوالين عليكم بعد ابي بكر وعمر صاحبي رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كان احدث احداثا نقمناها
عليه فاتيناه واستعتبناه فاعتبنا فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامة امرها غصبا بغير رضى ولا مشورة فقتله وساعده
على ذلك قوم غير اتقياء ولا ابرار فقتل محرما بريئا تائبا وقد جئناكم ايها الناس نطلب بدمه وندعوكم الى الطلب بدمه
فان نحن امكننا الله من قتلته قتلناهم به وجعلنا هذا الامر شورى بين المسلمين وكانت خلافة رحمة للامة جميعا فان
كل من اخذ الامر من غير رضى من العامة ولا مشورة منها ابتزازا كان ملكه ملكا عضوضا وحدثا كبيرا ثم قام الزبير
بمثل كلام طلحة فقام اليهما ناس من اهل البصرة فقالوا لهما الم تبايعا عليا فيمن بايعه ففيم بايعتما ثم نكثتما فقالا
ما بايعناه وما لاحد في اعناقنا بيعة وانما استكرهنا على بيعته فقال ناس قد صدقا ونطقا بالصواب وقال
آخرون ما صدقا ولا اصابا حتى ارتفعت الاصوات فاقبلت عايشه على جملها فنادت بصوت مرتفع ايها الناس
اقلوا الكلام واسكتوا فسكت الناس لها فقالت ان امير المؤمنين عثمان قد كان غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة
حتى قتل مظلوما تائبا انما نقموا عليه ضربه بالسوط وتامير الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في حرمة الشهر

البلد كما يذبح الحمل الاوان ثم تشارت غرضيهما بينا لجا وادمت لواهها ايديهما وما السعلها اياه شيا ولا سلك
به سبيلا فاصدّا اما والله امروها بلا ياعميه تشبه الناس وتقيم الجالس وليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم
سوء العذاب ايها الناس انه ما بلغ من ذنب عثمن ما يستحل به دمه مصّتموه كما يماص الثوب الرحيض ثم عدوتم عليه
فقتلتموه بعد توبته وخروجه من ذنبه وبايعتم ابن ابي طالب بغير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا اتراني
اغضب لكم من سوط عثمن ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم الا ان عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته
فاذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الامر شورى بين الرهط الذين اختارهم امير المومنين عمر بن الخطاب ولا
يدخل فيهم من شرك في دم عثمن قال فماج الناس واختلطوا فمن قايل يقول القول ما قالت ومن قايل يقول
وما هي من هذا الامر انما هي امراة مامورة بلزوم بيتها وارتفعت الاصوات وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال
وتراموا بالحصا ثم تمايز الناس فرقتين فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم اقبلا من المربد يريدان عثمان بن
حنيف فوجدوه واصحابه قد اخذوا بافواه السكك فمضوا حتى انتهوا الى موضع الدباغين فاستقبلهم اصحاب
ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير واصحابهما بالرماح فحمل عليهم حكيم بن جبلة فلم يزل هو واصحابه يقاتلونهم
حتى اخرجوهم من جميع السكك ورماهم النساء من فوق البيوت بالحجارة فاخذوا الى مقبرة بني مازن فوقفوا
بها مليا حتى ثابت اليهم خيلهم ثم اخذوا على مسناة البصرة حتى انتهوا الى الزابوقة ثم اتوا سبخة دار الرزق فنزلوها
فاتاهما عبد الله بن حكيم التميمي لما نزلا السبخة بكتب كتباها اليه فقال لطلحة يا ابا محمد اما هذه كتبك الينا قال
بلى قال فكتبت امس تدعونا الى خلع عثمن وقتله حتى اذا قتلته اتيتنا ثائرا بدمه فلعمري ما هذا رايك لا تريد الا
هذه الدنيا مهلا اذا كان هذا رايك فلم قبلت من علي ما عرض عليك من البيعة فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت
بيعتك ثم جئت لتدخلنا في فتنتك فقال ان دعاني الى بيعته بعد ما بايع الناس فعلمت اني لو لم اقبل ما عرضه علي
لم يتم لي ثم يغري بي من معه ثم اصبحا من غد صفا للحرب وخرج اليهما عثمان في اصحابه فناشدهما الله والاسلام واذكرهما
بيعتهما عليا فشتماه شتما قبيحا وذكرا امه فقال للزبير اما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله فانها ادنتك الى الظل
وان الامر بيني وبينك يا بن الصعبة يعني طلحة اعظم من القول لاعلمتكما من امركما ما يسوءكما اللهم اني قد اعذرت
الى هذين الرجلين ثم حمل عليهم فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم تحاجزوا واصطلحوا على ان يكتب بينهم كتاب صلح
فكتب هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حنيف الانصاري ومن معه من المومنين من شيعة علي بن ابي طالب
وطلحة والزبير ومن معهما من المومنين المسلمين من شيعتهما ان لعثمان بن حنيف الانصاري دار الامارة
والرحبة والمسجد وبيت المال والمنبر وان لطلحة والزبير ومن معهما ان ينزلوا حيث شاءوا من البصرة
ولا يضار بعضهم بعضا في طريق ولا سوق ولا فرضة ولا مشرعة ولا مرفق حتى يقدم امير المومنين علي بن
ابي طالب فان احبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامة وان احبوا لحق كل قوم بهواهم وما احبوا من قتال او سلم او خروج او
اقامة وعلى الفريقين بما كتبوا عهد الله وميثاقه واشد ما اخذه على نبي من انبيائه من عهد وذمة وختم الكتاب

حتى دخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا ما اعلهم ويداووا جراحاتهم فمكثوا كذلك اياما ثم ان طلحة والزبير خافا قدوم علي
عليهما على تلك القلة والضعف فراسلوا القبائل يدعونهم الى الطلب بدم عثمن وخلع علي ونفي ابن حنيف فبايعهم على ذلك الازد وضبة وقيس
عيلان كلها الا الرجل والرجلين من القبيلة كرهوا امرهم فتواروا عنهم وبايعهما هلال بن وكيع بن سعد من بني
عمرو بن تميم واكثر بني حنظلة وبني دارم فلما استوسق لهما امرهما خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر في
اصحابهما وقد البسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب فانتهوا الى المسجد وقت صلوة الفجر وقد سبقهم
عثمان بن حنيف اليه واقيمت الصلوة فتقدم عثمان ليصلي بهم فاخر اصحاب طلحة والزبير وقدموا الزبير فجاء
الشرط حرس بيت المال واخروا الزبير وقدموا عثمان فغلبهم اصحاب الزبير فقدموه واخروا عثمان فلم يزالوا
كذلك حتى كادت الشمس تطلع فصاح بهم اهل المسجد الا تتقون الله يا اصحاب محمد قد طلعت الشمس فغلب الزبير
فصلى بالناس فلما انصرف من صلاته صاح باصحابه المتسلحين ان خذوا عثمان فاخذوه بعد ان تضارب هو ومروان
بن الحكم بسيفيهما فلما اسر ضرب ضرب الموت ونتف حاجباه واشفار عينيه وكل شعرة في راسه ووجهه واخذوا
السبابجة وهم سبعون رجلا فانطلقوا بهم وبعثمان بن حنيف الى عائشة فاشارت الى ابان بن عثمان ان اضرب عنقه
فان الانصار قتلت اباك واعانت على قتله فنادى عثمان يا عائشة ويا طلحة ويا زبير ان اخي سهل بن حنيف
خليفة علي بن ابي طالب على المدينة واقسم بالله ان قتلتموني ليضعن السيف في بني ابيكم واهليكم ورهطكم فلا يبقي
منكم احدا فكفوا عنه وخافوا من قوله فتركوه وارسلت عائشة الى الزبير ان اقتل السبابجة فانه قد بلغني الذي
صنعوا بك قبل فذبحهم والله كما تذبح الغنم وولي ذلك منهم عبد الله ابنه وهم سبعون رجلا وبقيت منهم طائفة
متمسكون ببيت المال قالوا لا نسلمه حتى يقدم امير المومنين فسار اليهم الزبير في جيش ليلا واوقع بهم واخذ منهم
خمسين اسيرا فقتلهم صبرا فحكى ان القتلى من السبابجة يومئذ اربعمائة رجل وكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن
حنيف بعد عقدهم في بيعة على غدر اي غدر وكانت السبابجة اول قوم ضربت اعناقهم من المسلمين صبرا وخيروا
عثمان بن حنيف بين ان يقيم او يلحق بعلي فاختار الرحيل فخلوا سبيله فلحق بعلي عليه السلام فلما راه بكى وقال له
فارقتك شيخا وجئتك امرد فقال علي انا لله وانا اليه راجعون قالها ثلاثا قلت معنى قوله عليه السلام فقدموا على عمالي بها
وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدي ثم اقسم عليه السلام انهم لو لم يصيبوا من المسلمين الا رجلا واحدا متعمدين
قتله بغير جرم لحل له قتل ذلك الجيش كله وان لم يدع الا امرءا فان قلت المفهوم من هذا الكلام تعليل جواز قتله
الجيش كله بعدما انكار بهم المنكر فهل يجوز قتل من لم ينكر المنكر قلت اجاب الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد عنه
فقال انه يجوز قتلهم لانهم اعتقدوا ذلك القتل مباحا مع انه مما حرمه الله فجرى اعتقادهم اباحته مجرى اعتقادهم اباحة الزنا
وشرب الخمر واجاب القطب الراوندي بان جواز قتلهم لدخولهم في عموم قوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون
الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الاية وان هولاء القوم قد حاربوا رسول الله صلى الله عليه واله لقوله
حربك يا علي حربي وسعوا في الارض بالفساد واعترض المجيب الاول عليه فقال الاشكال انما هو في تعليله بقتل الجيش بكونه

لم ينكر على قتل رجلا واحدا من المسلمين فالتعليل بعدم انكار المنكر لا بعموم الامر واقول الجواب الثانى اسد والاول ضعيف لان
القتل وان وجب على من اعتقد اباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة كشرب الخمر والزنا فلم قلتم انه يجب على من اعتقد
اباحة ما علم تحريمه من الدين بالتاويل كقتل هولاء القوم لمن قتلوا وخروجهم لما خرجوا له فان جميع ما فعلوه كان
لهم وان كان معلوم الفساد فظهر الفرق بين اعتقاد حل الخمر والزنا وبين اعتقاد هولاء لاباحة ما فعلوه واما الاعتراض
على الجواب الثانى فضعيف ايضا لان له ان يقول ان قتل المسلم الذى لا ذنب له عمدا اذا صدر من بعض الجيش ولم
ينكر الباقون مع تمكنهم وحضورهم كان ذلك قرينة دالة على الرضا من جميعهم والراضى بالقتل شريك القاتل
خصوصا اذا كان معروفا بصحبته والاتحاد به كاتحاد بعض الجيش ببعض فكان خروج ذلك الجيش على الامام
العادل محاربة لله ورسوله وقتلهم لعامله وخزان بيت مال المسلمين ونهبهم له وتفريق كلمة اهل المصر وفساد
نظامهم سعى فى الارض بالفساد وذلك عين مقتضى الاية وقوله دع الى آخره اى لو كان من قتلوه من المسلمين واحدا
لحل لى قتلهم فكيف منهم عدة مثل عدتهم التى دخلوا بها البصرة وما بعد دع زائدة والمماثلة هنا فى الكثرة
وصدق عليه السلم فانهم قتلوا من اوليائه وخزان بيت المال بالبصرة خلقا كثيرا كما ذكرناه على الوجه الذى ذكره
بعض غدرا وبعض صبرا وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** امين وحيه وخاتم رسله وبشير رحمته
ونذير نقمته ايها الناس ان احق الناس بهذا الامر اقواهم عليه واعلمهم بامر الله فيه فان شغب شاغب
استعتب فان ابى قوتل ولعمرى لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس ما الى ذلك سبيل ولكن
اهلها يحكمون على من غاب عنها ثم ليس للشاهد ان يرجع ولا للغائب ان يختار الا وانى اقاتل رجلين رجلا ادعى
ما ليس له وآخر منع الذى عليه اوصيكم بتقوى الله فانها خير ما تواصى العباد به وخير عواقب الامور عند الله
فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما
تومرون به وقفوا عند ما تنهون عنه ولا تعجلوا فى امر حتى تتبينوا فان لنا مع كل امر تنكرونه غيرا الا وان
الدنيا التى اصبحتم تتمنونها وترغبون فيها واصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذى خلقتم له ولا
الذى دعيتم اليه الا وانها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها وهى وان غرتكم منها فقد حذرتكم شرها فدعوا غرورها لتحذيرها
واطماعها لتخويفها وسابقوا فيها الى الدار التى دعيتم اليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن احدكم خنين الامة
على ما زوى عنه منها واستتموا نعمة الله عليكم بالصبر على طاعة الله والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه الا
وانه لا يضركم تضييع شىء من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم الا وانه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شىء حافظتم عليه من
دنياكم اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر **اقول** صدر الفصل من مدائح الرسول صلى الله عليه
وآله وسلم فشهادة كونه امينا على التنزيل من التحريف والتبديل العصمة وشهادة ختمه للرسل قوله تعالى وخاتم النبيين
وكونه بشير رحمته بالثواب الجزيل ونذير نقمته بالعذاب الوبيل قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ثم
اردفه ببيان احكام الاول بيان احكام الذى هو احق الناس بامر الخلافة وحصره للاحق به فى امرين احدهما الاقوى

عليه وهو الاكمل قدرة على السياسة والاكمل علما بمواقعها وكيفيتها وكيفية تدبير المدن والحروب وذلك يستلزم كونه
اشجع الثانى اعلمهم باوامر الله فيه ومفهوم الاعلم باوامر الله يستلزم الاعلم باصول الدين وفروعه ليضع الاعمال
مواضعها ويستلزم اشد حفاظا على مراعاة حدود الله والعمل بها وذلك يستلزم كونه ازهد الناس واعبدهم واعلمهم
واعدلهم ولما كانت هذه الفضائل مجتمعة له عليه السلم كان ذلك اشارة الى نفسه وروى عوض اعلمهم الثانى بيان
حكم الشاغب للامام بعد انعقاد بيعته وهو انه يستعتب اى انه فى اول شغبه يطلب منه العتبى والرجوع
الى الحق والطاعة بلين القول فان ابى قوتل وذلك الحكم مقتضى قوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما الاية الثالث بيان كيفية انعقاد الامامة بالاجماع فبين بقوله ولعمرى الى قوله سبيل ان الاجماع
لا يعتبر فيه دخول جميع الناس حتى العوام اذ لو كان ذلك شرطا لادى الى ان لا ينعقد اجماع قط فلم تصح امامة احد ابدا
لتعذر اجتماع المسلمين باسرهم من اطراف الارض بل المعتبر فى الاجماع اتفاق اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه
وآله على بعض الامور وهم العلماء وقد كانوا باسرهم مجتمعين حين بيعته عليه السلم فليس لاحد منهم بعد انعقادها ان يرجع
ولا لمن عداهم من العوام ومن غاب عنها ان يختار غير من اجمع هولاء عليه فان قلت انه عليه السلم انما احتج على العوام
بالاجماع على بيعته ولو كان له متمسك آخر من نص وغيره لكان احتجاجه بالنص اولى فلم عدل الى دعوى الاجماع
قلت احتجاجه بالاجماع لا يتعرض لنفى النص ولا لاثباته بل يجوز ان يكون النص موجودا وانما احتج عليهم بالاجماع لانهم
على العمل به فيمن سبق من الائمة ولانه يحتمل ان يكون سكوته عنه لعلمه بانهم لا يلتفتون الى ذكره على تقدير وجوده لانهم لم
يلتفتوا اليه الآن وقد طالت المدة وبعد العهد فلم يكن فى ذكره فائدة الرابع بيان من يجب قتاله وهو احد رجلين الاول
رجل خرج على الامام العادل بعد تمام بيعته وادعى ان الامامة حق له وقد ثبت بالاجماع على غيره انها ليست حقا له الثانى
رجل خرج عن الامام ولم يمتثل له فى شىء من الاحكام والاول اشارة الى اصحاب الجمل والثانى الى معوية واصحابه ثم رغب بالوصية
بتقوى الله فانها خير زاد عند الله يستعقبه الانسان من حركاته وسكناته ولما كان خير ما تواصى به عباد الله وقوله وقد
فتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة على سبيل الاجمال واحال التفصيل على اوامره حال الحرب وقد كان الناس قبل حرب
الجمل لا يعرفون كيفية قتال اهل القبلة ولا كيف السنة فيهم الى ان علموا ذلك منه عليه السلم ونقل عن الشافعى انه قال لولا
على ما عرف شىء من احكام اهل البغى وقوله ولا يحمل هذا العلم الا اهل البصر الى اهل البصائر والعقول الراجحة والصبر على
المكاره وعن الفزع الى الوساوس والعلم بمواضع الحق وذلك ان المسلمين عظم عندهم حرب اهل القبلة واكبروه والمقدمون منهم
على ذلك انما اقدموا على خوف وحذر فقال عليه السلم ان هذا العلم لا يدركه كل احد بل من ذكرت وروى العلم بفتح اللام والمراد
ظاهر فان حامل العلم عليه مدار الحرب وقلوب العسكر منوطة به فيجب ان يكون بالشرائط المذكورة ليضع الاشياء مواضعها
ثم امرهم بحدود كلية قصد عزيمة على السير للحرب وهى ان يمضوا فيما يومرون به ويقفوا عند ما ينهون عنه ولا يعجلوا
فى امر الخارج ان يتبينوه اى لا يتسرعوا الى انكار امر فعله او يامرهم به حتى يسالوه عن فائدته ويامرهم فان له عند كل
ما يكرهونه تغييرا اى قوة على التغيير ان لم يكن فى ذلك الامر مصلحة فى نفس الامر وفائدة امرهم بالتبين عند استنكار امر امر

يحتمل ان لا يكون مما استنكروه منكراً لعدم علمهم بوجهه ويتسرعون الى انكاره بلسان او يد فيقعون في الخطا قال بعض الشارحين
وفي قوله فان لنا عند كل امر ينكرونه تغييراً ايماء الى انه ليس كعثمان في صبره على ارتكاب الناس لما كان ينهاهم عنه بل يغير كل
ما ينكره المسلمون ويقتضي العرف والشرع تغييره ثم اخذ في التنفير عن الدنيا بامور الاول التنفير عن تمنيها والرغبة فيها
وعن الغضب لفوتها والرضى بحصولها بكونها ليست الدار والمنزل الذي خلقوا له ودعوا اليه واستلزم ذلك التنفير التنبيه
على ما ورائها والعمل له الثاني تفزيعها بفنائها وفنائهم فيها الثالث بانه لا فائدة فيها فانها وان كانت تغر وتخدع بما
ما يعتقد خيراً وكمالاً فان فيها ما يقابل ذلك وهو التحذير بما فيها من الآفات والتغيرات المعدودة ثم انه ينبغي ان يترك
خيرها القليل لشرها الكثير واطماعها لتخويفها وسابقوا الى الخير الخالص في الدار التي دعوا اليها وخلقوا لاجلها وينصرفوا
بقلوبهم عنها اى يزهدوا الزهد الحقيقي فيها فان الزهد الظاهري مع الحنين الى ما زوي منها عن احدكم غير نافع
وخص حنين الامة لان الحنين اكثر ما يسمع من الامة لان العادة ان تضرب وتؤذى فيكثر حنينها وروي حنين الواله
البعير والحنين كالبكاء في الانف وامرهم بالزهد الحقيقي امر بالصبر على طاعة الله وعبادته والمحافظة على اوامره
ونواهيه اذ بالزهد يكون حذف الموانع الداخلة والخارجة وبالطاعة والعبادة يكون تطويع النفس الامارة
بالسوء للنفس المطمئنة وبمجموعهما الرياضة والسلوك لسبيل الله ورغب في الصبر على طاعة الله بان فيه استتمام
نعمته وظاهر ان طاعة الله سبب عظيم لافاضة نعم الدنيا والاخرة ثم اكد الامر بالمحافظة على ما تم من الدين
بانه لا يضر في ترك شيء من الدنيا وتضييعها مع المحافظة على الدين لما في المحافظة على الدين من الخير الدائم الاخروي
الذي لا نسبة لخير الدنيا اليه وبانه لا منفعة في المحافظة على ما فيها اى في الدنيا مع تضييع الدين واهماله وذلك امر
مفروغ منه ومستغنى عن بيانه ثم ختم بالدعاء لهم ولنفسه بان ياخذ الله بقلوبهم الى الحق اى يلهمهم لطلبه وهداهم
اليه ويجذبهم الى سلوك سبيله ثم الهامهم الصبر اى على طاعته وعن معصيته وبالله التوفيق ومن كلام له عليه
السلم في معنى طلحة بن عبيد الله قد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب وانا على ما وعدني ربي من النصر
والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان الا خوفاً من ان يطالب بدمه لانه مظنته ولم يكن في القوم احرص عليه
منه فاراد ان يغالط بما اجلب فيه ليلتبس الامر ويقع الشك ووالله ما صنع في امر عثمن واحدة من ثلث لئن كان ابن
عفان ظالماً كما كان يزعم لقد كان ينبغي له ان يوازر قاتليه وان ينابذ ناصريه ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي
له ان يكون من المنهنهين عنه والمعذرين فيه ولئن كان في شك من الخصلتين لقد كان ينبغي له ان يعتزله ويركد جانباً ويدع
الناس معه فما فعل واحدة من الثلث وجاء بامر لم يعرف بابه ولم تسلم معاذيره اقول هذا الفصل من كلام
قاله حين بلغه خروج طلحة والزبير الى البصرة وتهديدهما له بالحرب ونهنهه عنه كف وزجر والمعذرين
المعذرين بالتخفيف المعتذرين عنه وبالتشديد المظهرين للعذر مع انه لا عذر وركد سكن فقوله قد كنت الى قوله
النصر جواب لتهديدهم وقد مرت هذه الالفاظ فيما شرحه الا ان هناك واني على يقين من ربي وهنا اى
ما وعدني ربي من النصر وذلك الذي هو عليه هو اليقين بالنصر على لسان الرسول صلى الله عليه وآله ولو في

وما اهدد الحال لو كان ما به وقوله والله ما استعجل الى قوله ويقع الشك اشارة الى شبهتهم في الخروج الى البصرة وهي الطلب
بدم عثمان ثم الى معارضة هذه الشبهة وهي ان خروجه ليس الا خوفاً من ان يطلب بدمه لانه مظنته ذلك وقد
سبقت منا الاشارة الى دخول طلحة في تحريض الناس على قتل عثمان وجمعه لهم في داره وروي انه منع الناس من دفنه
ثلثة ايام وان حكيم بن حزام وجبير بن مطعم استنجدا بعلي في دفنه فاقعد لهم طلحة في الطريق اناساً يرمونهم بالحجارة
فخرج به نفر من اهله يريدون به حائطاً في المدينة يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم فلما صار هناك
رجم سريره فهموا بطرحه فارسل اليهم علي عليه السلم فكفهم عنه حتى دفن بحش كوكب وروي انه جاد له في دفنه بمقابر
المسلمين وقال ينبغي ان يدفن بدير سلع يعني مقابر اليهود وبالجملة فهو كما قال عليه السلم لم يكن في القوم احرص على
قتله لكنه اراد ان يغالط بما اجلب في الطلب بدمه ليلتبس الامر ويقع الشك في دخوله في قتله وقوله والله ما
صنع في امر عثمان الى آخره صورة احتجاج عليه وقطع لعذره في الخروج والطلب بدمه بقياس شرطي متصل
وتقريره ان حاله في امر عثمان وخروجه في طلب دمه لا يخلو من امور ثلثة فانه اما ان يعلم انه كان ظالماً او يعلم
انه كان مظلوماً او يشك في الامرين ويتوقف فيهما فان كان الاول فقد كان الواجب عليه ان يساعد قاتليه ويوازرهم
وينابذ ناصريه لوجوب انكار المنكر عليه وهو قد عكس الحال لانه نابذ قاتليه وثار في طلب دمه مع ناصريه من قومه
فيه ذلك وان كان الثاني فقد كان يجب عليه ان يكون ممن يكف الناس عنه ويعتذر عنه فيما فعل لوجوب انكار
المنكر ايضاً مع انه ممن وازر عليه الناس واظهر احداثه وعظمها كما هو المنقول المشهور عنه وان كان الثالث فقد
كان الواجب عليه ان يعتزله ويسكن عن الخوض في امره ولم يفعل ذلك بل ثار في طلب دمه فكان في هذه الاحوال
الثلثة محجوجاً في خروجه ونكثه للبيعة فاذن ما جاء به من ذلك امر لا يعرف باب اي وجه دخوله فيه ولم تسلم
فيه عذره وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم ايها الغافلون غير المغفول عنهم والتاركون المأخوذ
منهم ما لي اراكم عن الله ذاهبين والى غيره راغبين كانكم نعم اراح بها سائم الى مرعى وبي ومشرب دوي انما هي
كالمعلوفة للمدى لا تعرف ماذا يراد بها اذا احسن اليها تحسب يومها دهرها وشبعها امرها والله لو شئت
ان اخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شانه لفعلت ولكن اخاف ان تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه وآله
الا اني مفضيه الى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما انطق الا صادقاً
ولقد عهد الي بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الامر وما ابقى شيئاً يمر على راسي الا افرغه في اذني
وافضى به الي ايها الناس اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم
عنها اقول السائم الراعي والوبي محل الوباء والدوي محل الداء والمدى جمع مدية وهي السكين والخطاب عام وكونهم
غافلين اى عما يراد بهم من امر الآخرة وغير مغفول عنهم اى ان اعمالهم محصاة في اللوح المحفوظ وتاركين اى لما امروا به من
الطاعة ومأخوذاً منهم اى منتقص من اعمارهم وقياماتهم الدينية من مال واهل ثم نبههم على ذهابهم عن الله وهو اعراضهم
عن طاعته ورغبتهم في غيره وهو الحياة الدنيا وزينتها ثم شبههم في ذلك بالنعم التي اراح بها راعيها الى مرعى كثير الوباء

والذا ووجه الشبه انهم لغفلتهم كالنعم ونفوسهم الامارة بالسوء القائدة لهم الى المعاصي كالراعي القائد للنعم الى المرعى
الوبي ولذات الدنيا وشهواتها وكون تلك اللذات والشهوات على الاثام التي هي مظنة الهلاك الاخروي
الدوي تشبه المرعى الوبي والمشرب الدوي وقوله وانما هي كالمعلوفة تشبيه آخر لهم بمعلوفة النعم ووجه الشبه
انهم لما تهم بلذات الدنيا من المطاعم والمشارب كالنعم المعتنى بعلفها وكون ذلك التلذذ غاية للموت
غاية المعلوفة وهي الذبح وكونهم غافلين عن غاية الموت وما يراد بهم تشبه غفلة النعم عن غايتها من الذبح وكونهم
يظنون ان الاحسان اليهم ببسط الدنيا في بعض الاوقات دائم في جميع اوقاتهم وان شبعهم في هذه الحيوة
وريهم هو غايتهم التي خلقوا لاجلها وتمام امرهم تشبه غفلة النعم في حال حضور علفها في بعض الاوقات
عما بعده من الاوقات وتوهمها ان ذلك غايتها التي خلقت لاجلها ووجه هذا الشبه مركب من هذه الوجوه
ثم اقسم انه لو شاء لاخبر كل رجل منهم بمواضع تصرفاته وحركاته وجميع احواله وهو كقول المسيح عليه السلم
وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم وقد علمت امكان ذلك العلم وسببه في حق الانبياء والاولياء في
مقدمة الكتاب وقوله ولكن اخاف ان تكفروا فيّ برسول الله اي اخاف ان تغلوا في امري وتفضلوني على رسول
الله بل كان يخاف ان يكفروا فيه بالله كما ادعت النصارى في المسيح حيث اخبرهم بالامور الغائبة ثم قال الا
اني مفضيه الى الخاصة اي اهل العلم والثبات من اصحابه ممن يؤمن ذلك الكفر منه وهكذا شأن العلماء والسالكين
الحكمة وبابهم ان لا يضعوا العلم الا في اهله هذا مع ان من الناس من ادعى فيه النبوة وانه شريك محمد في الرسالة ومنهم
ادعى انه الرب وهو الذي ارسل محمدا الى غير ذلك من الضلال وفيه يقول بعض شعرائهم شعر ومن اهلك عادا وثمود
بدواهيه • ومن كلم موسى فوق طور اذ يناديه • ومن قال على المنبر يوما وهو راقيه • سلوني ايها الناس فحاروا في
معانيه • وقول الاخر انما خالق الخلائق من • زعزع اركان خيبر جذبا • قد رضينا به اماما ومولى • وسجدنا
له الها وربا • ثم اقسم انه ما نطق الا صادقا فيما يخبر به من هذه الامور وانه عهد الرسول صلى الله عليه وآله عهد اليه
بذلك وبهلاك من يهلك الى قوله وافضى به الي اي القاه الي واعلمني به وذلك التعليم منه ما يكون على وجه جزئي
اعني انه يعرفه بواقعة واقعة ومنه ما يكون على وجه كلي اي يلقي اليه اصولا كلية يعد ذهنه بها لاستفاضة الصور الجزئية
من واهب الصور كما سبق تقريره ومما نقل عنه من ذلك في بعض خطبه التي يشير فيها الى الملاحم يومي الى القرامطة
ينتحلون لنا الحب والهوى ويضمرون لنا البغض والقلى وآية ذلك قتلهم وراثنا وهجرهم احداثنا وصح ما اخبر به فان
القرامطة قتلت من آل ابي طالب خلقا كثيرا واسماؤهم مذكورة في كتاب مقاتل الطالبيين لابي الفرج الاصفهاني قال
بعض الشارحين ومن هذه الخطبة وهو يشير الى السارية التي كان يستند اليها في مسجد الكوفة كأني بالحجر الاسود منصوب
هاهنا ويحهم ان فضيلته ليست في نفسه بل في موضعه واسه يمكث هاهنا مدة ثم هاهنا مدة واشار الى المواضع ثم يعود
الى مأواه وام مثواه ووقع من القرامطة في الحجر الاسود بموجب ما اخبر به عليه السلم واقول في هذا النقل نظر لان
المشهور ان القرامطة نقلوا الحجر الاسود الى ارض البحرين وبنوا له موضعا ووضعوه فيه الى الان بالكعبة ويبقى هناك مدة

لذات م

ثم اعيد الى مكة وروي انه مات تحته في المجيء خمسة وعشرون بعيرا وعاد الى مكة على بعير ابلق بالقوة وذلك من اسرار دين الله تعالى
ولم ينقل انهم نقلوه مرتين والله اعلم ومن خطبة له عليه السلم انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله واقبلوا نصيحة
الله فان الله تعالى قد اعذر اليكم بالجلية واخذ عليكم الحجة وبين لكم محابه من الاعمال ومكارهه منها لتتبعوا هذه وتجتنبوا
هذه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول ان الجنة حفت بالمكاره وان النار حفت بالشهوات واعلموا انه ما
من طاعة الله شيء الا يأتي في كره وما من معصية الله شيء الا يأتي في شهوة فرحم الله رجلا نزع عن شهوته وقمع هوى
نفسه فان هذه النفس ابعد شيء منزعا وانها لا تزال تنزع الى معصية في هوى واعلموا عباد الله ان المؤمن لا يصبح ولا
يمسي الا ونفسه ظنون عنده فلا يزال زاريا عليها ومستزيدا لها فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين امامكم قوضوا من الدنيا تقويض
الراحل وطووها طي المنازل واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش والهادي الذي لا يضل والمحدث الذي لا يكذب
وما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد
قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي
والضلال فاسألوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسألوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله بمثله واعلموا انه شافع
مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيمة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيمة صدق عليه
فانه ينادي مناد يوم القيمة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه
واستدلوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه آراءكم واستغشوا فيه اهواءكم العمل العمل ثم النهاية
النهاية والاستقامة الاستقامة ثم الصبر الصبر والورع الورع ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم وان لكم علما
فاهتدوا بعلمكم وان للاسلام غاية فانتهوا الى غايته واخرجوا الى الله مما افترض عليكم من حقه وبين لكم من
وظائفه انا شاهد لكم وحجيج يوم القيمة عنكم الا وان القدر السابق قد وقع والقضاء الماضي قد تورد واني
متكلم بعدة الله وحجته قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا
تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقد قلتم ربنا الله فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة
الصالحة من عبادته ثم لا تمرقوا منها ولا تبتدعوا فيها ولا تخالفوا عنها فان اهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيمة ثم
اياكم وتهزيع الاخلاق وتصريفها واجعلوا اللسان واحدا وليخزن الرجل لسانه فان هذا اللسان جموح بصاحبه
والله ما ارى عبدا يتقي تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه وان لسان المؤمن من وراء قلبه وان قلب المنافق من وراء لسانه لان
المؤمن اذا اراد ان يتكلم بكلام تدبره في نفسه فان كان خيرا ابداه وان كان شرا واراه وان المنافق يتكلم بما اتى على لسانه
لا يدري ماذا له وماذا عليه ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا
يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه فمن استطاع منكم ان يلقى الله سبحانه وهو نقي الراحة من دماء المسلمين واموالهم
سليم اللسان من اعراضهم فليفعل واعلموا عباد الله ان المؤمن يستحل العام ما استحل عاما اول ويحرم العام ما حرم
عاما اول وان ما احدث الناس لا يحل لكم شيئا مما حرم عليكم ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله فقد جربتم الامور

مرادينا م

زيادة في هدى من عمى م

تقوى تنفعه م

ووعظتم بمن كان قبلكم وضربت الامثال لكم ودعيتم الى الامر الواضح فلا يصم عن ذلك الا اصم ولا يعمى عنه الا اعمى ومن لم ينفعه
الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء من العظة واتاه التقصير من امامه حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف وانما الناس رجلان
متبع شرعة ومبتدع بدعة ليس معه من الله سبحانه برهان سنة ولا ضياء حجة فان الله سبحانه لم يعظ احدا
بمثل هذا القرآن فانه حبل الله المتين وسببه الامين وفيه ربيع القلب وينابيع العلوم وما للقلب جلاء غيره
مع انه قد ذهب المتذكرون وبقي الناسون او المتناسون فاذا رأيتم خيرا فاعينوا عليه واذا رأيتم شرا فاذهبوا
عنه فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول يا ابن آدم اعمل الخير ودع الشر فاذا انت جواد قاصد الا وان الظلم
ثلثة فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله قال الله سبحانه ان
الله لا يغفر ان يشرك به واما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات واما الظلم الذي لا يترك
فظلم العباد بعضهم بعضا القصاص هناك شديد ليس هو جرحا بالمدى ولا ضربا بالسياط ولكنه ما يستصغر
ذلك معه واياكم والتلون في دين الله فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل وان
الله سبحانه لم يعط احدا بفرقة خيرا ممن مضى ولا ممن بقي يا ايها الناس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى
لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعة ربه وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة

اقول الظنون المتهمة والزاري العائب وتقويض البناء نقضه واللأواء الشدة ونحل به الى السلطان
كاده وقال فيه ما يضره وتوردت الخيل البلدة دخلتها قطعة قطعة وترتيع الاخلاق كثيرها وتفرقها
وضرست الامر احكمته بتجربة وقد امر السامعين ان ينتفعوا ببيان الله في كتابه وعلى لسان رسوله ويتعظوا
بمواعظه ويقبلوا نصحه فيما لاجله خلقوا وانما صرح باسم الله صريحا دون الضمير للتعظيم ثم اشار الى وجه
وجوب الامتثال عليهم وهو اعذاره اليهم بالجلية اي اظهاره ما هو صورة العذر من الآيات والدلائل الجلية
الواضحة واتخاذ الحجة ببعث الرسل وبيان محابه من الاعمال الصالحات ومكارهه من المحرمات في كتابه العزيز
ليتبع محابه واجتناب مكارهه ثم نبه على ما في الطاعة وامتثال التكليف من الشدة والمكروه فذكر الخبر
ما تضمنه الخبر وانه لم يبنه على الشدة مجردة بل قرنها بذكر الجنة وجعلها محجوبة بها لتحصل الرغبة في الجنة فيتم
السعي في قطع تلك الحجب المكروهة وكذلك قرن ذكر الشهوات بذكر كونها محفوفة بها النار لتنفر عنها
ثم بعد تسهيل المكروهات المكاره التي تشتمل عليها الطاعات بذكر الجنة وتحقير الشهوات التي يرغب
عنها بذكر النار صرح بانه ما من طاعة الا في كره ولا معصية الا في شهوة وقد عرفت سر ذلك وان النفس
الشهوية اطوع منها للعقل خصوصا فيما هو اقرب اليها من اللذات المحسوسة التي يلحقها العقاب عليها ثم
عقب ذلك بدعاء الله ان يرحم امرأ نزع عن شهوته اي امتنع من الانهماك فيها وقمع نفسه الامارة بالسوء
فانها ابعد شيء منزعا عن الله ثم فسر منزعها الذي ينزع اليه وهي المعصية في هواها وما تميل اليه ثم نبه على ان
المؤمن الحق تهمته نفسه في جميع احواله من صلاح وفساد وانه لا يزال عائبا عليها ومراقبا لاحوالها ومؤاخذا لها

بالزيادة

وما وجه ترغيبا في الاقتداء به واستعار لفظ الناصح ... ووجه الاستعارة ... القرآن

بالزيادة في الاعمال الصالحة وقد سبقت الاشارة الى ذلك ثم امرهم ان يكونوا كالسابقين من اكابر الصحابة والماضين امامهم
الى الجنة في الاعراض عن الدنيا واستعار لفظ التقويض والطي لقطعهم علائق الدنيا ورحلتهم الى الآخرة كما يقوض الراحل
منازله للسفر ويطوي خيامه للرحيل ثم عقب بذكر القرآن يرشدهم الى وجوه المصالح كما ان الناصح كذلك ونبه بكونه
لا يغش معه كذلك كونه هاديا لا يضل اي الى طريق الله وروي لا يضل اي لا يضل غيره وكذلك استعار وصف المحدث له
ونبه بكونه لا يكذب ووجه الاستعارة اشتماله على الاخبار والقصص الصحيح وتمثيله واستفادة منه كالمحدث الصادق
وكنى بمجالسة القرآن عن مجالسة حملته وقرائه والاستماع منهم وتدبره عنهم فان فيه من الآيات الباهرة والنواهي الزاجرة
ما يزيد بصيرة المستبصر من الهدى وينقص من عمى الجهل ثم نبههم على انه ليس بعده على احد فقر اي ليس بعد نزوله للناس
وبيانه الواضح حاجة بالناس الى بيان حكم في اصلاح حال معاشهم ومعادهم ولا لاحد قبله من غنى اي قبل نزوله لا غنى
للنفوس الجاهلة واذا كان بهذه الصفة امرهم باخذ الشفاء عنه لادوائهم اي ادواء الجهل وان يستعينوا به على شدتهم
وفقرهم الى ان يستقيم امره ووجوه المصالح الدنيوية والاخروية ثم عد اكبر ادواء الجهل واعاد ذكر كونه شفاء منها
الكفر بالله وهو عمى القوة النظرية من قوى النفس عن معرفة صانعها ومبدعها الاول فلذلك كان اول الادواء او اتخاذ ثان له او الحكم عليه
بصفات المخلوقين المحدثين والثاني النفاق وهو يستلزم رذيلة الكذب المقابلة لفضيلة الصدق ثم رذيلة
الغدر المقابلة لفضيلة الوفاء وقد سبق بيان حال النفس في هاتين الرذيلتين الثالث الغي وهو رذيلة التفريط
من فضيلة الحكمة الرابع الضلال وهو الانحراف عن فضيلة العدل والى كونه شفاء الاشارة بقوله عليه السلام ان القلوب
تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقد علم اشتماله على ذكر
الموت في مواضع كثيرة ثم امرهم ان يسألوا الله به والمراد انكم اعدوا انفسكم وكملوها لاستنزال المطالب من الله بما اشتمل
عليه القرآن من الكمالات النفسانية وتوجهوا اليه بحبه لان من احبه استكمل بما فيه فحسن توجهه الى الله
وقوله ولا تسألوا به خلقه اي لا تجعلوا تعلمكم له لطلب الرزق به من خلق مثلكم فانه لم ينزل لذلك ثم اكد بانه ما
توجه العباد الى الله بمثله وذلك لاشتماله على جميع الكمالات النفسانية من العلوم ومكارم الاخلاق والنهي عن
الرذائل الموبقة ثم استعار لفظي الشافع والمشفع ووجه الاستعارة كون تدبره والعمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس
من الهيئات الرديئة من المعاصي وذلك مستلزم لمحو غضب الله كما يمحو الشفيع المشفع اثر الذنب عن قلب المشفوع
اليه وذلك سر الخبر المرفوع ما من شفيع من ملك ولا نبي ولا غيرهما افضل من القرآن وكذلك لفظ القائل والمصدق
ووجه الاستعارة كونه ذا الفاظ اذا انطق بها لا يمكن تكذيبها كالقائل الصادق ثم اعاد معنى كونه شافعا
يوم القيامة ثم استعار لفظ المحل للقرآن ووجه الاستعارة ان لسان حال القرآن شاهد في علم الله وحضرة ربوبيته
على من اعرض عنه بعدم اتباعه ومخالفته لما اشتمل عليه وتلك شهادة لا يجوز عليها الكذب فالواجب ان يصدق
فاشبه الساعي الى السلطان في حق خصمه بما يضره وقوله فانه ينادي مناد يوم القيامة الى آخره فالمنادي هو لسان حال
الاعمال والحرث كل عمل يطلب به غاية ويستخرج منه ثمرة والابتلاء ها هنا ما يلحق النفس على الاعمال وعواقبها من العذاب بقدر

الخروج فيها عن طاعة الله وظاهر ان خيرات القرآن والبحث عن مقاصده لقلة الاستكمال بهم يروى من لواحق العقوبات ثم ايهم
على ان يكونوا من حزبه واتباعه وان يستدلوه اى يتخذوه دليلا قائدا الى ربهم وان يستنصحوه على انفسهم اى يتخذوه
ناصحا على نفوسهم الامارة بالسوء لكونها هي الغاشة لهم بقودها الى معصية الله وكون القرآن زاجرا لهم عما تأمرهم به
النفوس فيجب ان يقبل نصيحته عليها وكذلك اتهموا عليه آراءكم اى اذا رأيتم رأيا يخالف القرآن فاتهموا ذلك الرأى
فانه صادر عن النفس الامارة بالسوء وكذلك قوله واستغشوا فيه اهواءكم وانما قال هنا استغشوا وقال في الاراء اتهموا
لان الهوى هو ميل النفس الامارة من غير مراجعة العقل فاذا احكمت النفس من متابعتها بحكم فهو غش صراح واما
الراى فقد يكون بمراجعة العقل وحكمه وقد يكون بدونه فجاز ان يكون حقا وجاز ان يكون باطلا فكان بالتهمة اولى ثم
امر بلزوم العمل الصالح ثم بحفظ النهاية المطلوبة منهم بالعمل والوصول اليها منه اى داوموا على تقويكم ونهايتها لكم
وغايتها فان الامور بخواتيمها ثم امر بالاستقامة اى على العمل ثم بالصبر عليه وحقيقته مقاومة الهوى لئلا ينقاد
الى قبائح اللذات فيخرج عن التسلط ثم بالورع وهو لزوم الاعمال الجميلة وانما عطف النهاية والصبر ثم الورع على
العمل عنه وكون الصبر احدهما هو في معنى التراخي والتفاوت عن العمل الذي هو معنى وجودي بخلاف الاستقامة
على العمل فانها كيفية له والورع فانه جزء منه وكرر تلك الالفاظ للتاكيد والنصب في جميعها على الاغراء ثم اشار الى
ان تلك النهاية هي النهاية التي لهم وامرهم بالانتهاء اليها وهي الامر الذي خلقوا لاجله اعنى الوصول الى الله طاهرين عن
رجس الشيطان وهو لفظ الخبر النبوي ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم غاية فانتهوا الى غايتكم
فان المراد بالغاية والنهاية واحد والمراد بالمعالم حظائر القدس ومنازل الملائكة وكذلك ان لكم علما فاهتدوا بعلمكم
اى الى تلك النهاية واستعار لفظ العلم لنفسه ثم اخبر ان للاسلام غاية وامرهم بالانتهاء اليها وتلك الغاية هي النهاية المشار
اليها وقوله واخرجوا الى الله الى قوله وظائفه فالتقدير اخرجوا من حقه بما افترض عليكم وحقه في فرائضه ووظائفه
الاخلاص بها لوجهه ثم رغبهم في طاعته وابلغ وامرهم بكونه شاهدا لهم يوم القيمة وحجيجا قال بعض الشارحين وانما
ذكر الاحتجاج وان كان ذلك الموقف ليس موقف محاجة لانه اذا شهد لهم كان اثبات الحجة لهم فاشبه الحاج
لما كان امام كل قوم هو المخاطب عنهم والشهيد لهم كما قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقوله ويوم نبعث من كل امة
شهيدا تحملتها وازبرها لكم وكان ذلك الموقف هو موقف السؤال والجواب كان ذلك معنى المحاجة
من الاسولة باجوبتها تشبيه على المسؤول بالحجيج هو البرهان المطلوب وجرت العادة بان البرهان يكون عند الحاجة
الانقطاع عن الجواب فشبه كون المسؤول محجوجا وهذا الاحتجاج والشهادة مقالية عند العالمين بحشر الاجساد وحالية
عند غيرهم ثم اخبر ان القدر السابق في علم الله قد وقع والقضاء الماضي اى الذى قد تورد اى دخل في الوجود شيئا فشيئا وقد
علمت فيما سلف ان القضاء هو العلم الالهي بما يكون وما هو كائن وان القدر تفصيله الواقع على وفقه لكنه اشار بوقوع
القدر هنا الى وقوع خلافته وما يلزمها من الفتن والوقائع وروى ان هذه الخطبة من اوائل الخطب التي خطبها
ايام بويع بعد قتل عثمان قال بعض الشارحين وفي هذا الكلام اشارة الى ان الرسول صلى الله عليه وآله اخبره ان الامر سيصل

بلغ

اليه في آخر وقته واقول لا اشك ان وقوع هذا الامر من القدر السابق على وفق القضاء وليس للفظ استعارة بما قال هذا
الفاضل اذ كان عليه السلم عالما بان كل واقع في الوجود فبقضاء من الله وقدره وقوله واني متكلم بعدة الله وحجته اى لما
وقع هذا الامر الى فاني اتكلم بكذا وعدة الله ما وعد به عبادة الذين اعترفوا بربوبيته فاستقاموا على سلوك سبيله
بطاعته من تنزل الملائكة عليهم بذهاب الخوف والحزن والبشارة بالجنة واما حجته التي تكلم بها فقوله وقد قلتم
ربنا الله اى اعترفتم بالربوبية فاستقيموا على كتابه وعلى منهاج امره وعلى الطريقة الصالحة من عبادته اى التي هي
على الخالصة من الرياء والنفاق من غير ان تمرقوا منها اى تخرجوا منها بالتحذلق والتشدد الى طرف الافراط الذى
هو ثمرة الجهل ولا تبتدعوا فيها بدعة ولا تخالفوا عنها وتحيدوا يمينا وشمالا فتقعوا في مهاوى الهلاك فانكم متى
فعلتم ذلك فقد فقدتم شرط استحقاقكم لانجاز عدة المذكورة فان ذلك الشرط مركب من الاعتراف بربوبيته ولا
على الامور المذكورة فحينئذ يجب ان ينقاض تلك العدة ومع فوات جزء من ذلك الشرط لا يقع المشروط فلم يتحقق
به الحقيقي ثم شرع في النهي عن النفاق لان تهزيع الاخلاق تغييرها ونقلها من حال الى حال وهو معنى قصر بفهاود الذى
هو النفاق اذ المنافق لا يلزم خلقا واحدا بل تارة يكون صادقا وتارة كاذبا وتارة وفيا واخرى غادرا ومع الظالمين ظالما
ومع اهل العدل عادل ونحو ذلك قال واجعلوا اللسان واحدا وهو شروع في الوصية بحال اللسان وقوله اى لا يكون احدكم
ذا لسانين وهو المنافق ثم امر بخزنه واستلزم النهي عن امور وهي الفضل من القول ووضعه في غير مواضعه والغيبة والنميمة
والسعاية والسباب والقذف ونحوه كلها رذائل تحت طرف الافراط من فضيلة العدل وقوله فان اللسان جموح بصاحبه
تعليل لذلك النهي واشارة الى خروجه بصاحبه عن فضيلة العدل الى الرذائل التي هي موارد الهلكة في الاخرة والدنيا
كما ان الفرس الجموح يخرج بصاحبه الى الهلاك ولفظ الجموح مستعار لتلك الاعتبار ثم اقسم انه لا يتقى بنفعه تقواه
الا بخزن لسانه وهو حق لان التقوى النافع هو التقوى التام وخزن اللسان وكفه عن الرذائل المذكورة من عظيم
التقوى لا يتم بدونه فهى اذن لا ينفع الا به ثم نبه على ما ينبغي عند ارادة القول من التثبت وتامل ما يراد النطق به
مما لا ينبغي من القول بغير مراجعة الفكر وقرن الاول بالايمان ترغيبا فيه والثاني بالنفاق تنفيرا عنه وقوله لان المؤمن
الى قوله وراء ذلك بيان لمعنى كون اللسان وراء والامام وتلخيص هذا البيان ان الوراء في الموضعين كناية عن التبعية
لان لسان المؤمن تابع لقلبه فلا ينطق الا بعد تقديم الفكر فيما ينبغي ان يقوله وقلب المنافق وفكره متاخر عن نطقه
فكان لفظ الوراء استعارة من المعنى المحسوس للمعقول فاما الخبر النبوي المذكور فهو استشهاد على ان الايمان
لا يتم الا باستقامة اللسان على الحق وخزنه عن الرذائل التي عددناها وذلك تضمن ما ادعاه في قوله ان التقوى لا ينفع العبد
حتى يخزن لسانه واما برهان الخبر فهو ان استقامة القلب عبارة عن التصديق بالله ورسوله واعتقاد حقيقة ما ورد
به الشريعة من المأمورات والمنهيات وذلك عين الايمان وحقيقته فاذن لا يستقيم الايمان حتى يستقيم القلب
واما انه لا يستقيم القلب حتى يستقيم اللسان فلان استقامة اللسان على الاقرار بالشهادتين ولوازمهما وعلى الكف
عما لا ينبغي من الامور المعدودة من لوازم استقامة القلب لحكما على غير القرب بتلك الامور والقائل بها يعدم الايمان الكامل

وذلك معنى كون اهل المروق منقطعا بهم اى لا يصلون بما غايرهم الى المقصد لان ذلك الشرط هو البلاغ الى المقصد
صح

ولا يستقيم امر من دون لازمه وقوله فمن استطاع الى قوله فليفعل امر بالاجتهاد في لقاء الله تعالى على احوال وهي نقاء الراحة
من دماء المسلمين واراد السلامة من قتل النفس واموالهم واراد السلامة من الظلم وان يكون الانسان سليم اللسان من
اعراضهم واراد الكف عن الغيبة والسب وشرط ذلك بالاستطاعة لعسره وشدته وان كان واجبا
كل حال واشدها الكف عن الغيبة فانه يكاد ان لا يستطاع والى نحو هذا اشارة الرسول صلى الله عليه وآله المسلم
من سلم الناس من يده ولسانه فسلامتهم من يده سلامة دمائهم واموالهم وسلامتهم من لسانه سلامة اعراضهم
او اعم من ذلك وقال بعض الحكماء من علم ان لسانه جارحة من جوارحه اقل من اعمالها واستقبح ادامة تحريكه
كما يستقبح ان يحرك راسه او منكبه دائما وقوله واعلموا الى قوله علينا قال بعض الشارحين هو اشارة الى
انما ثبت من طريق النص او العادة التي يشهد بها النص في زمان الرسول صلى الله عليه وآله لا يجوز ان
بالاجتهاد والقياس بل كل ما ورد به النص فيتبع فيه مورد النص ما كان حلالا بمقتضى النص وعمومه في العام
فهو في هذا العام حلال وكذا في الحرام وعموم هذا الكلام يقتضي عدم جواز النص وتخصيصه بالقياس وهو مذهب
الامامية لاعتقادهم بطلان القول بالقياس المتعارف ومذهب جماعة من الاصوليين مع اعترافهم بحجية القياس
ومن يجوز تخصيصه به يحمل هذا الكلام على عدم قبول القياس في نسخ النص من كتاب او سنة وما احدث
اشارة الى القياس وقوله ولكن الحلال ما احل الله والحرام ما حرم الله تاكيد لاتباع النص وما كان عليه الصحابة
من الدين بما هو معلوم بينهم دون ما احدث من الآراء والمذاهب وقوله فقد جربتم الامور وضرستموها الى
الامر الواضح اشارة الى وجوه العلم وما خذه ووجه اتصاله بما قبله انهم اذا كانوا قد احكموا الامور بتجربة من
من كان قبلهم وضرب لهم الامثال ودعوا الى الامر الواضح وهو الدين وطرائقه فلا بد ان يكون نفوسهم قد
بذلك لعلم الاحكام الشرعية ومقاصدها من الكتاب والسنة وعادات الرسول والصحابة فلا يخفى عليهم ما
ابتدع بعدها وان كل بدعة حرام فضلا ان ترفع حكم نص وسنة سبق العلم بها ولا يصم عن هذه المواعظ الا
والدعوة الى الدين الا اصم اي هو شديد الصمم كما يقال ما يجهل هذا الامر الا جاهل اي اشد الناس جهلا
لا يعمى عنه اي لا يعمى عنه بصيره الا بصيرة اشدها عمى وقوله ومن لم ينفعه الى قوله من امامه كلام حق
الانسان في مبدا الفطرة خال من العلوم وانما خلقت له هذه الالات البدنية ليتصفح بها صور المحسوسات
ومعانيها ويتنبه لمشاركات بينها ومباينات فيحصل له التجربة وساير العلوم الضرورية والمكتسبة
ينتفع بالبلاء اي بامتحان الامور وتجاربها وهو اشارة الى اعتبار الامور والتفكر فيها والابتلاء بها كالوقوع
في المكاره ومعاناة الاعمال ولم يستفد منها علما فظاهر انه لا تنفعه العظة لان العظة فرع تصفح الامور
ايات الله منها ومحال ان يحصل فرع من دون اصله وحينئذ ياتيه النقص في كمال نفسه ووجوه مصالحه
ان يريد بالعظة الاتعاظ بالموعظة وظاهر ان الموعظة ايضا لا تنفعه لان البلاء بالمكاره والوقائع
اقوى فعلا في النفس واكثر تاثيرا فاذا لم ينتفع بها ولم يستفد منها علما فبالاولى ان لا ينتفع بالموعظة وقوله من امامه

الكمالات التي يتوجه اليها بتوجيه عقله تفوته لنقصان تجربته ووقوف عقله عنها فاشبه فوتها الرجوع طلبها
ايان النقصان له من امامه وقوله حتى يعرف ما انكر وينكر ما عرف اشارة الى غاية نقصانه وهي الاختلاط والحكم
على غير بصيرة فتارة يتخيل فيما انكره وجهله انه عارف بحقيقته وتارة ينكر ما كان يعرفه ويحكم بصحته
نظرا اليه ثم قسم لهم الناس الى قسمين فقسم متبع شرعة اي طريقه ومنهاجا وهو منهاج الدين وقسم مبتدع
بدعة بغير برهان سنة من الله يعتمد عليه ولا ضياء حجة يقوده في ظلمات الجهل ليخلصوا من ضلال القسمين
الله سبحانه لم يعظ احدا بمثل هذا القرآن رجوع الى مدائح القرآن واستعار له الفاظا الاولى لفظ الحبل
المتين وقد عرفت وجه هذه الاستعارة مرارا الثانية وكذلك سببه الامين الثالثة لفظ الربيع ووجهها
ان القلوب تحيى به كما تحيى الانعام بالربيع الرابعة لفظ الينابيع ووجهها ان العلوم عند تدبره والتفهم عنه
تفيض منه ويتنفع بها كما يفيض الماء عن الينابيع الخامسة لفظ الجلاء ووجهها ان الفهم عنه يكشف عن القلب
صدا الجهل كما يجلو الصيقل المرآة فان قلت فلم قال وليس للقلب جلاء غيره مع ان ساير العلوم جلاء
له فالجواب من وجهين احدهما ان العلوم الجالية للقلب هي المعدة لسلوك سبيل الله والوصول الى الغاية
من الكمال النفساني كالعلوم الالهية وعلم الاخلاق واحوال المعاد ولا علم منها الا وفي القرآن اصله ومادته
وهو مقتبس من القرآن الثاني ان هذا الكلام صدر عنه عليه السلام ولم يكن في ذلك الزمان علم مدون
استفادة المسلمين الا من القرآن فلم يكن اذن جلاء للقلب غيره وقوله مع انه قد ذهب المتذكرون اي المتدبرون
المقاصد وبقي الناسون له والمتناسون المتعمدون للتشاغل والنسيان للجواذب الى الله وهو في معنى
لهم ثم امرهم باعانة من يعمل الخير على فعله ووجوه الاعانة كثيرة ثم بالاعراض عن الشر وانكاره عند مشاهدته
على وجوب عمل الخير والانتهاء عن الشر باستلزام ذلك لكون فاعله جوادا قاصدا واستعار وصفي الجواد
القاصد ووجه المشابهة ان العامل الخير المتقي عن الشر مستقيم على طريق الله فلا تعرج في طريقه ولا
اعوجاج فيكون سيره في سلوك سبيل الله اسرع سير كالجواد من الخيل المستقيم على الطريق ثم قسم عليهم
الظلم الى ثلثة اقسام الاول الظلم الذي لا يغفر اصلا وهو ظلم النفس بالشرك بالله وبرهانه النص والمعقول اما
النص فقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به واما المعقول فلان المغفرة عبارة اما عن محو آثار الجرائم من
النفوس او عما يلزم ذلك من ستر الله على النفوس ان تحترق بنار جهنم والهيئات البدنية التي حجبت نفوس المشركين
عن معرفة الله هيئات متمكنة من تلك النفوس قد صارت ملكات لا يمكن زوالها مع عدم مسكتهم بالمعارف
الالهية فهم في العذاب ماكثون وفي سلاسل تلك الهيئات واغلالها مكبلون فاذن لا تتحقق المغفرة في حقهم
لعدم تخلصهم منها وجاذبهم عنها وهي عصمة المعرفة الثاني ظلم لا يترك اي لا بد من اخذ فاعله بالعقوبة
به وهو ظلم العباد بعضهم بعضا والى الاشارة بقوله يوم تقتص الجماء من القرناء وهذا الظالم ان كانت له ملكة
بعض عصم النجاة من المعارف الالهية وجب خلاصه من العذاب بعد حين لكن يتفاوت مكثه بحسب تفاوت

علامة وجوب امتثال امره بالخير البنوى
وقد نبه الخبر ٣

شده تمكن تلك الهيآت الرديّة من نفسه وضعفها والى اشار الخبر النبوى يخرجون من النار بعدما يصيرون حمما
وفحما والثالث الظلم الذى يغفر ولا يطلب وهو ظلم العبد نفسه عند ارتكاب بعض صغائر الزلات وحيث لا
تكسب النفس هيئة رديّة باقية بل حالا سريع زوالها واليه الاشارة بقوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اى فى حال كونهم ظالمين ثم اخذ فى التحذير من الظلم بذكر شدة القصاص فى الآخرة وصدق انه ليس
جرحا بمدية ولا ضربا بسوط كقصاص الدنيا ولكنه ما يستصغر ذلك معه من العقوبات بالنار المشهور
اوصافها وروى عن الرسول صلى الله عليه وآله انه كان جالسا فى اصحابه فسمع هدّة فقال هذا حجر رمى
الله تعالى به من شفير جهنم فهو يهوى فيها منذ سبعين خريفا حتى بلغ الآن قعرها فهذا بعض اوصافها الخبر
واعلم ان لهذا الخبر تأويلا يكشف سره وهو ان الراوى قال فسمعنا بعد ذلك صيحة وصراخا فقلنا ما هذا فقالوا
فلان المنافق مات وكان عمره يومئذ سبعين سنة قال بعض من تلطف ان المراد بجهنم النار التى هى الدنيا
وبالحجر هو ذلك المنافق استعارة ووجه المشابهة ان ذلك المنافق لم ينتفع بوجوده مدة حياته ولم يكسب
نفسه خيرا فاشبه الحجر فى ذلك وارسال الله تعالى له هويا فاضطراره من اتباع هواه فيها والانهماك فى شهواتها
واليه عن سبيله المشار اليه بقوله يضل من يشاء وشغفها هوا وتعلقها بالنسبة وكذلك حين استعداده
فيها اوائل الامور العامة له فى طريق الضلال من متاعها ولذاتها وهو بين فيها سبعين خريفا هو ايام اكثر فيها مدة
عمره وبلوغه قعرها هو وصوله بموته الى غاية العذاب بسبب ما اكتسب منها من ملكات السوء كما اوما اليه
عبرة ثم نهى عن التلوّن فى دين الله وكنى به عن منافقة بعضهم لبعض فان ذلك يستلزم الفرقة ولذلك
قال فان جماعة فيما تكرهون من الحق خير من فرقة فيما تحبون من الباطل اى فان الاجتماع على الحق المكروه اليكم
مثلا خير لكم من الافتراق فى الباطل المحبوب عندكم كمتاع الدنيا ثم تمم النهى عن الفرقة وقال فان الله لم يعط
احدا بالفرقة خيرا لا من الماضين ولا من الباقين ولما كان الخير فى الاجتماع والالفة والمحبة حتى يصير الناس كرجل واحد
وبه يتم نظام العالم بل كان فى الفرقة اضداد ذلك ولذلك ما روى عن الرسول صلى الله عليه وآله من فارق
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وقد سبق بيان فضيلة الاجتماع ثم اعاد النهى عن الغيبة
بذكر معايبهم ونبه من عساه ان يستحيى من نفسه بان لكل حيا سوى ان يشتغل به وطوبى فعلى من الطيب والواو
منقلبة عن الياء وقيل هى اسم شجرة فى الجنة وعلى التقديرين فهى مبتدأ ثم نبه على فضل العزلة ولزوم البيت
للاشتغال بطاعة الله والبكاء على الخطيئة والندم عليها وقوله وكان من نفسه فى شغل الى آخره ذكر ثمرة العزلة
واعلم ان الناس قد اختلفوا فى ان العزلة افضل ام المخالطة ففضل جماعة من مشاهير الصوفية والعارفين العزلة
منهم ابرهيم بن ادهم وسفين الثورى وداود الطائى والفضيل ابن عياض وسليمن الخواص وبشر الحافى وفضل الاخرون
المخالطة ومنهم الشعبى وابن ابى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وابن عيينة وابن المبارك واحتج الاولون بالنقل
والعقل اما النقل فقوله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عامر الجهنى لما سأله عن طريق النجاة فقال ليسعك بيتك

عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله اى الناس افضل فقال رجل معتزل فى شعب من الشعاب يعبد
ربه ويدع الناس من شره وقال صلى الله عليه وآله ان الله يحب التقى النقى الخفى واما العقل فهو ان فى العزلة فوائد مطلوبة فلا
توجد فى المخالطة فكانت اشرف منها الفراغ لعبادة الله والذكر له والاستيناس بمناجاته والاستكشاف لاسراره فى امور
الدنيا والآخرة من ملكوت السموات والارض ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعبد بجبل حراء ويعتزل حتى اتته
النبوة واحتج الآخرون بالقرآن والسنة اما القرآن فقوله تعالى والّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وقوله ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا ومعلوم ان العزلة تنفى تألف القلوب وتوجب تفرقها واما السنة فقوله صلى الله عليه وآله
من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وما روى ان رجلا اتى جبلا ليتعبد فيه فجاء به اهله الى رسول الله
صلى الله عليه وآله فنهاه عن ذلك وقال له ان صبر المسلم فى بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين
سنة واقول ان كلا الاحتجاجين صحيح لكن ليس افضلية العزلة مطلقا ولا افضلية المخالطة مطلقا بل كان كل فى حق
بعض الناس بحسب مصلحته وفى بعض الاوقات بحسب ما يشتمل عليه من المصلحة واعلم ان من اراد ان يعرف مقاصد
الانبياء عليهم السلم فى اوامرهم وتدبيراتهم فينبغى ان يتعرف طرفا من قوانين الاطباء ومقاصدهم من العلاجات المطلقة
لهم فانه كما ان الاطباء هم المعالجون للابدان بانواع الادوية والعلاجات لغاية بقائها على صلاحها او رجوعها
الى العافية من الامراض البدنية كذلك الانبياء عليهم السلم ومن يقوم مقامهم فانهم اطباء النفوس والمبعوثون
لعلاجها من الامراض النفسانية كالجهل وسائر رذائل الاخلاق بانواع الكلام من الآداب والمواعظ والاوامر
والنواهى والضرب والقتل وكما ان الطبيب قد يقول الدواء الفلانى نافع من المرض الفلانى ولا يعنى به فى
كل الامزجة بل فى بعضها كذلك الانبياء والاولياء اذا اطلقوا القول فى شىء انه نافع كالعزلة مثلا فانهم لا يريدون
انها نافعة لكل انسان وكما ان الطبيب قد يصف لبعض المرضى دواء ويرى شفاءه ويرى ان ذلك الدواء بعينه
لمريض آخر كالسم القاتل ويعالجه بغيره كذلك الانبياء عليهم السلم قد يرون ان بعض الامور دواء لبعض النفوس
فيقتصرون عليه وقد يرون ان بعض الاوامر علاج لبعض النفوس كالامر بالعزلة والحث عليها لبعض الناس وقد
يرون ان ذلك العلاج بعينه مضر لغير تلك النفس فيامرون بضد ذلك كالامر بالمخالطة والمعاشرة واكثر
ما يختارون العزلة لمن بلغ رتبة من الكمال فى قوتيه النظرية والعملية واستغنى عن مخالطة كثير من الناس لان اكثر
الكمالات الانسانية من العلوم والاخلاق انما تحصل بالمخالطة خصوصا اذا كان ذلك الانسان اعنى المامور
بالعزلة خاليا عن عائلة يحتاج ان يكسب لهم واكثر ما يختارون المخالطة والاجتماع لتحصيل الالفة والاتحاد بها
بالمحبة وللاتحاد غايتان كليتان احديهما حفظ اصل الدين وتقويته بالجهاد والثانية تحصيل الكمالات التى
نظام الدارين لان اكثر العلوم والاخلاق تستفاد من العشرة والمخالطة كما بيناه وبالله التوفيق **ومن خطبة**
له عليه السلم فى معنى الحكمين فاجمع راى ملائكم على ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما ان يجعجعا عند القرآن
ولا يجاوزاه وتكون السنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحق وهما يبصرانه وكان الجور هواهما والاعوجاج

كلام

رأيهما وقد سبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجور حكمهما والثقة في أيدينا لأنفسنا
حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم **أقول** هذا الفصل من خطبة خطبها بعد مبلغه
الحكمين والإجماع تصميم العزم وتجعجعا نبّههما على القرآن والخطاب لمن أنكر عليه عدم رضاه بالتحكيم بعد
الرضا به وقد حكى فيه إجماع رأي جماعتهم على اختيار الرجلين وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص وأخذ
عليهما أن يجعجعا نفسيهما على العمل بالقرآن ولا يجاوزاه ويكون ألسنتهما وقلوبهما معه وأطلق لفظ
القلوب على الميول والإرادات مجازا إطلاقا لاسم السبب على المسبب كقوله تعالى فقد صغت قلوبكما
وذلك هو شرط رضاه عليه السلام بالتحكيم ثم حكى خروجهما عما اشترط عليهما وتيههما عن الكتاب وتركهما
الحق مع إبصارهما له وخروجهما عن فضيلة العدل بحسب الهوى إلى رذيلة الجور والاعوجاج عن طريق الحق وقوله
وقد سبق استثناؤنا إعادة لذكر سبق الشرط في الحكم بالعدل وسوء رأيهما منصوب لأنه مفعول سبق وقوله
والثقة في أيدينا لأنفسنا أي أنا على برهان وثقة من أمرنا وليس يلزمنا حكمهما لأنهما خالفا الشرط وأتيا بما
لا يعرف من الحكم المعكوس وقد حكينا فيما سبق طرفا من حال التحكيم وخداع عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري
وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** لا يشغله شأن عن شأن ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان
ولا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوافي الريح في الهواء ولا دبيب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة
الظلماء يعلم مساقط الأوراق وخفي طرف الأحداق وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه ولا مكفور
دينه ولا مجحود تكوينه شهادة من صدقت نيته وصفت دخلته وخلص يقينه وثقلت موازينه وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله المجتبى من خلائقه والمعتام لشرح حقائقه والمختص بعقائل كراماته والمصطفى لكرائم رسالاته والموضحة
به أشراط الهدى والمجلو به غربيب العمى أيها الناس إن الدنيا تغر المؤمل لها والمخلد إليها ولا تنفس بمن نافس فيها وتغلب
من غلب عليها وايم الله ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش فزال عنهم إلا بذنوب اجترحوها لأن الله ليس بظلام
للعبيد ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا إلى ربهم بصدق من نياتهم ووله من قلوبهم لرد
عليهم كل شارد وأصلح لهم كل فاسد وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة
كنتم فيها عندي غير محمودين ولئن رد عليكم أمركم إنكم لسعداء وما علي إلا الجهد ولو أشاء أن أقول لقلت عفا الله
عما سلف **أقول** هذه الخطبة خطب بها بعد مقتل عثمان أول خلافته والدخلة بالكسر والضم باطن الشيء والمعتام
المختار وعقائل الشيء نفائسه وأشراط الهدى علاماته والغربيب الأسود والمخلد إليها المسلم إليها أمره ولا
تنفس لا تضن وتبخل وغض النعمة نضارتها وصدّر الخطبة بالإشارة إلى اعتبارات توحيدية الأول أنه لا
يشغله شأن عن شأن وذلك لأن الشغل عن شيء بشيء إنما لقصور القدرة أو العلم وقدرته تعالى وعلمه المحيطان
بكل مقدور ومعلوم فإذن لا يشغله مقدور عن مقدور ولا معلوم عن معلوم وتقريرها بين المتكلمين في
الكتب الكلامية والحكمية الثاني لا يغيره زمان وإذ ثبت أنه تعالى خالق الزمان ولا زمان لحق بتغير ولا
الوجود

وبيان ما هو وذلك أنه تعالى منزه عن وجوه التراكيب فمحال أن تقع العقول على حقيقته وصفته

الوجود ولا شيء من المتغير في ذاته أو صفاته بواجب الوجود فلا شيء منه يلحقه التغير الثالث ولا يحويه مكان لبراءته
عن الجسمية ولواحقها وكما كان كذلك فهو بريء عن المكان ولواحقه فيمتنع أن يحويه المكان ولواحقه الرابع ولا
يصفه لسان أي لا يعبر اللسان عن حقيقة وصفه فكيف باللسان الذي هو المعبر عنها الخامس ولا يعزب عنه عدد
قطر الماء إلى قوله الأحداق وهو إشارة إلى إحاطة علمه المقدس بكليات الأمور وجزئياتها وهذه مسألة عظيمة حارت
فيها العقول وقد أشرنا إليها في المختصر الموسوم بالقواعد الإلهية ثم عقب هذا التنزيه بالشهادة بكلمة التوحيد وذكر
لله تعالى أحوالا شهد بوحدانيته عليها الأول كونه غير معدول به أي لا عديل له ولا مثل الثاني ولا مشكوك فيه أي في
وجوده فإن ذلك ينافي الشهادة بالوحدانية الثالث ولا مكفور دينه لأن الجحود لدينه يستلزم النقصان في
معرفته فكان الاعتراف به كمال المعرفة والشهادة بوحدانيته الرابع ولا مجحود تكوينه أي إيجاده للموجودات
لما ثم عقب وصف المشهود له بحال تلك الشهادة بأوصاف الشاهد بها باعتبار شهادته وهي كونه صادق
النية في تلك الشهادة أي باعتقاد جازم وصافي الدخلة أي نقي الباطن من الرياء والنفاق وخالص اليقين بوجود
المشهود له وكمال وحدانيته من الشكوك والشبهات فيه وثقيل الموازين بكمال تلك الشهادة والقيام بحقوقها
من سائر الأعمال الصالحات وأرجحها بإخفائها وذكر للمشهود بمحمدية رسالته أوصافا أحدها كونه مجتبى من خلائقه
ومصطفى منهم وذلك يعود إلى كرامته باستعداد نفسه لقبول أنوار النبوة الثاني والمختار لشرح حقائقه أي لإيضاح
ما خفي من الحقائق الإلهية والشرعية التي هي الثالث المختص بعقائل كراماته وهي الكمالات النفسانية من
العلوم ومكارم الأخلاق التي أعدته معها على تكميل الناقصين الرابع والمصطفى لكرائم رسالاته أي لرسالاته
الكريمة وتعديدها باعتبار تعددها وللأوامر عليه فإن كل أمر أمر بتبليغه إلى الخلق رسالة كريمة الخامس الموضحة
به أعلام الهدى وهي قوانين الشريعة ودلالات الكتاب والسنة السادس والمجلو به غربيب العمى واستعار لفظ
الغربيب لشدة ظلمة الجهل ولفظ الجلاء لزوال تلك الظلم بأنوار النبوة ثم أنذر الناس منبها لهم على معايب
الدنيا ومذامها منها أنها تغر المؤمل لها والراكن إليها وذلك أن المؤمل لبعض مطالبها لا يزال يجدد لها أمارات
خالص على مطالب وهمية وأنها ممكنة التحصيل ناجعة فتوجب له مد الأمل وقد يخترم دون بلوغها وقد تنكشف
بطلان تلك الأمارات بعد العناء الطويل ومنها أنها لا تنفس على من نافس فيها وأحبها بل تسمح بها للك وتسلبه
بها يسير من النوائب ومنها أنها تغلب على من غلب عليها أي من ملكها وأخذها بالغلبة فعن قريب تقهره وتهلكه
وللأوصاف المذكورة التي من شأنها أن يكون للعدو القوي الداهي وهي كونها تغر المؤمل لها وتغلب مغالبها
ولا تبقي على محبها استعارة ووجه المشابهة استلزام الكون فيها والاغترار بها ومحبتها والتملك لها الهلاك فيها
ومعها في الآخرة كاستلزام الغرور بالعدو الداهي الذي لا يحب أحدا والركون إليه الهلاك ثم أخذ عليه السلام في التنبيه
على وجوب شكر النعم واستدراكها بالفزع إلى الله وأقسم أن زوالها عنهم ليس إلا بذنوب اجترحوها وذلك أنا
إلى أن الذنوب مقدار لزوال النعم وحلول النقم لأنهم لو استحقوا إفاضة النعم مع الذنوب لكان منعهم إياها منعا للمستحق

المستعد وذلك عين الظلم وهو من الجود الالهي محال كما قال تعالى وما ربك بظلام للعبيد والى هذا المعنى الاشارة
بقوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم اى يستعدوا للتغيير بالمعاصي وقوله ولو ان الناس الى قوله كل فاسد اشارة
الى ان الفزع الى الله بصدق النية وولَه القلب وتحيّره وذهوله عن كل شي سوى الله يعدّ لاعداد الناس لاعظم
المطالب سواء كانت عود نعمة او استعدادها او زوال نقمة او استنزالها على عدو ورد الشارد اى من النعم واصلاح
الفاسد اى من سائر الاحوال وقوله وانى لاخشى ان تكونوا في فترة كنى بالفترة عن امر الجاهلية كناية بالمجاز المطلق
لاسم الظرف على المظروف اى اخشى ان يكون احوالكم احوال الجاهلية في العصبات الباطلة بحسب الاهواء
المختلفة وقوله وقد كانت امور الى قوله محمودين قالت الامامية تلك الامور التي مالوا فيها هي تقديمهم على من
سبق من الائمة وقال غيرهم هي حركاتهم وسليمهم عليه في تقديم عثمان ووقت الشورى واختيارهم له وما جرى
بينهم من الاقوال والافعال وقوله ولئن رد عليكم امركم اى صلاح احوالكم واستقامة سيرتكم التي عليها في زمن
الرسول صلى الله عليه واله انكم لسعداء عند الله وفي الدنيا وما علي الا الجهد اى في عود ذلك الامر عليكم وقوله لو
اشاء ان اقول لقلت يفهم منه انه لو قال لكان مقتضى قوله نسبة من تقدم عليه الى الظلم له وتخطئتهم في التقدم
عليه وذكر معايب تقتضي وجوب تأخرهم في نظره وتقدير الكلام ولكني لا اقول فلم اكن اريد القول وقوله عفا
الله عما سلف اشارة الى مسامحته لهم بما سبق منهم اذ العادة جارية بان يقول الانسان مثل ذلك فيما يسامح
غيره من الذنوب واحسن العبارات في ذلك لفظ القرآن الكريم فيقتبس في الكلام وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلم قاله لذعلب اليماني وقد سأله هل رأيت ربك فقال افاعبد ما لا ارى قال وكيف تراه فقال لا تراه العيون
بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملابس بعيد منها غير مباين متكلم لا
بروية مريد بلا همة صانع بلا جارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة
رحيم لا يوصف بالرقة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته اقول تعنو تخضع وتجب القلوب تخفق
والفصل فصل شريف من التوحيد والتنزيه فقوله عليه السلم افاعبد ما لا ارى استفهام على سبيل الانكار
ما لا يدركه وفيه انه على السائل وقوله لا تدركه العيون الى آخره تنزيه له عن الرؤية بحاسة البصر وشرح لكيفية
الرؤية الممكنة له ولما كان تعالى منزها عن الجسمية ولواحقها من الجهة وتوجيه البصر اليه واراد الكم
ويدركه بحسب ما يمكن لبصيرة العقل لا جرم نزهه عن تلك واثبت له هذه فقال لا تدركه العيون الى قوله بحقائق
الايمان واراد بحقائق الايمان اركانه وهي التصديق بوجود الله ووحدانيته وسائر صفاته واعتبارات اسمائه الحسنى
وعد من جملتها اعتبارات يذكرها احدها كونه قريبا من الاشياء ولما كان المفهوم من القرب المطلق الملاقاة
والالتصاق وهما من عوارض الجسمية نزهه عنها فقال غير ملابس فاخرجت هذه القرينة ذلك اللفظ
عن حقيقته الى مجازه وهو اتصاله بالاشياء وقربه منها بعلمه المحيط وقدرته التامة الثاني كونه بعيدا منها ولما كان
يستلزم المباينة وهي انفصال من لواحق الجسمية نزهه عنها بقوله غير مباين وقد سبق ذلك مرارا فكان بعده عنها اشارة الى

مباينة بذاته الكاملة عن مشابهة شيء منها الثالث وكذلك قوله متكلم بلا روية وكلامه يعود الى علمه بصور الاوامر والنواهي
وسائر انواع الكلام عند قوم والى المعنى النفساني عند الاشعري والى خلقه الكلام في جسم النبي عند المعتزلة
وقوله بلا روية تنزيه له عن كلام الخلق لكونه تابعا للافكار والروي الرابع وكذلك مريد بلا همة تنزيه لارادته
عن شبه ارادتنا في سبق العزم والهمة لها الخامس صانع بلا جارحة وهو تنزيه لصنعه عن صنع المخلوقين لكونه
بالجارحة التي هي من لواحق الجسمية السادس وكذلك لطيف لا يوصف بالخفاء واللطيف يطلق ويراد به
دقيق القوام ويراد به صغير الحجم المستلزم لعين الخفاء وعديم اللون من الاجسام والحكم من الصنعة وهو تعالى
منزه عن اطلاقه باحد هذه المعاني لاستلزامها الجسمية والامكان فبقي اطلاقها عليه باعتبارين احدهما
تصرفه في الذوات والصفات تصرفا خفيا بفعل الاسباب المعدة لها لافاضة كمالاتها والثاني جلالة ذاته
وتنزيهها عن قبول الادراك البصري السابع رحيم لا يوصف بالرقة تنزيه لرحمته عن رحمة احدنا لاستلزامها
رقة الطبع والانفعال النفساني وقد سبق بيان كونه تعالى رحيما الثامن كونه عظيما تخضع الوجوه لعظمته
واذ هو الاله المطلق لكل موجود وممكن فهو العظيم المطلق الذي تفرد باستحقاق ذل الكل وخضوعه له ووجيب
القلوب واضطرابها من هيبته عند ملاحظة كل منهما ما يمكن له من تلك العظمة ومن كلام له عليه السلم
في ذم اصحابه احمد الله على ما قضى من امر وقدر من فعل وعلى ابتلائي بكم ايتها الفرقة التي اذا امرت لم تطع واذا دعوت
لم تجب ان اهملتم خضتم وان حوربتم خرتم وان اجتمع الناس على امام طعنتم وان اجئتم الى مشاقة نكصتم لا ابا لغيركم ما
تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم الموت او الذل لكم فوالله لئن جاء يومي وليأتيني ليفرقن بيني وبينكم وانا لصحبتكم قال
وبكم غير كثير لله انتم اما دين يجمعكم ولا حمية تشحذكم اوليس عجبا ان معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير معونة
ولا عطاء وانا ادعوكم وانتم تريكة الاسلام وبقية الناس الى المعونة او طائفة من العطاء فتفرقون عني وتختلفون
علي انه لا يخرج اليكم من امري رضا فترضونه ولا سخط فتجتمعون عليه وان احب ما انا لاق الى الموت قد دارستكم
الكتاب وفاتحتكم الحجاج وعرفتكم ما انكرتم وسوغتكم ما مججتم لو كان الاعمى يلحظ او النائم يستيقظ واقرب بقوم
من الجهل بالله قائدهم معاوية ومؤدبهم ابن النابغة اقول الخور الضعف ويحتمل ان يكون من الخوار وهو الصياح واجئتم
الجئتم ودعيتم ونكص رجع على عقبيه والقال المبغض والطغام اوغاد الناس والتريكة بيضة النعام ومجه القاه من فيه
وقد حمد الله تعالى على ما قضى وقدر ولما كان القضاء هو حكم العلم الالهي بما يكون قال على ما قضى من امر لان الامر انما يحكم على
ان يكون فعلا ولما كان القدر هو تفصيل القضاء وايجاد الاشياء على وفقه قال وقدر من فعل وقوله وعلى ابتلائي
بكم تخصيص لبعض ما قضى وقدره وقوله اذا امرت الى قوله نكصتم شرح لوجوه الابتلاء بهم وحاصلها يعود الى عدم تفهيم
له في جميع ما يريد منهم مما ينتظم به حالهم وقوله الى مشاقة اي الى مشاقة عدو وقوله لا ابا لغيركم دعا بالذل لغيرهم وفيه
نوع تلطف لهم والاصل لا اب لك والالف مزيدة اما لاستثقال توالي اربع حركات فاشبعوا الفتحة فقلبت الفا واما
لقصد الاضافة واتوا باللام للتأكيد قوله اقسم ان جاء يومه اى وقت موته ليفرقن بينهم وبينه وهو تهديد لهم بفراقه وانتفاء

امورهم بعده وقوله وليأمن حشوه لطيفة في الكلام واتى بهما موكدة لان اتيان الموت امر محقق وكلمة رب بهما ما
ان من الشك فحسنت هذه الحشوة بعدها ثم اخذ في التعجب منهم واخبرهم انه يحبهم مبغض وانه غير كسر بهم لان الكو
انما اراد المنفعة بحيث لا منفعة فكان كالكسر وقوله لله انتم جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك
ولله درك ثم اخذ في استفهامهم عما يدعون انه موجود فيهم وهو الدين والحمية والانفة ومن شان الدين انه يجمع
على انكار المنكر والحمية ان تتحد وتثير القوة الغضبية لمقاومة العدو واستفهامه اما على سبيل العجب والانكار عليهم
وقوله اوليس عجبا الى قوله ويختلفون على استفهام لتقرير التعجب من حاله معهم في تخلفهم عنه حتى عند
الدعوة الى العطاء ومن حال معوية مع قومه في اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهور ان
معوية انما استجلب من العرب بالاموال والرغائب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلت
ان معوية لم يكن يعطي جنده على وجه المعونة والعطاء المتعارف بين الجند وانما كان يعطي روساء القبائل
من اليمن والشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها واولئك الروساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم
فصادق اذن انهم يتبعونه على غير معونة ولا عطاء واما هو عليه السلم فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين
والروساء على وجه الرزق والعطاء ولا يرى لشريف على مشروف فضلا وكان اكثر من يقعد عن نصرته من الروساء
لما يجدونه في انفسهم من امر المساوات بينهم وبين الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لهم
والمعونة هي ما يعطى الجند في وقت الحاجة لمرمة اسلحتهم واصلاح دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض لهم
شهرا واستعار لهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التي تتركها النعام
وقوله انه لا يخرج الى قوله فترضونه اي انه لا يخرج اليكم من امري امر من شانه ان ترضونه او تسخطونه فترضونه
وتجتمعون عليه بل لابد لكم من التفرق والمخالفة على الحالين ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشياء
اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن
امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ارى صديقا فاعيا او عدوا مداجيا وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله مجمع اشارة
وجوه الامتنان عليهم وهي مدارستهم الكتاب اي تعليمه ومفاتحتهم الحجاج اي مجاراتهم وتعريفهم وجوه
الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اي الامور المجهولة وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ اما لاعطا
لهم العطيات والارزاق كانوا يحرمونها لمن يعتريه لو كان كمعوية واما لادخاله العلوم في افواه اذهانهم
وكذلك لفظ المج اما لحرمانهم من يعتريه او لعدم العلوم عن اذهانهم ونبو اذهانهم عنها فكانهم لفظوها
ملوحيا للاسائة ووجه الاستعارة ظاهر وقوله لو كان الاعمى الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم جهال
لا يلحظون باعين بصائرهم ما افادهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم به من
المواعظ وغيرها ولفظ الاعمى والنائم مستعاران والقوم في قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من
قربهم من الجهل بالله اذ كان قائدهم في الطريق معوية ومودبهم ابن النابغة اعني عمرو بن العاص وهو رئيس المنافقين

واهل الغدر والخداع واذا كان الرئيس القائد والمودب في تلك الطريق من الجهل والفجور بحال الرجلين المشار اليهما
فما اقرب اتباعهما من البعد عن الله والجهل به واقرب صيغة التعجب وقائدهم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم
وفصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور كما في قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم وقدحهم
بما وصف التنفير عنهم **ومن كلام له عليه السلم** لرجل من اصحابه وقد ارسله يعلم له علم قوم من جند الكوفة هموا باللحاق
بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلم فلما عاد قال امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال بل ظعنوا يا امير المومنين فقال
بعدا لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا على ما كان منهم ان
الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في
الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم في التيه **اقول** قطنوا اقاموا وبعدت بالكسر هلكت واشرعت الرمح
سددته وصوبته نحوهم تريد ضربه واستفلهم اي طلب منهم التفرق والهزيمة وزينها لهم والفل التفرق في
الانهزام والارتكاس الرجوع في الشي مقلوبا والفصل يشتمل على السؤال عن ظعنهم واقامتهم وعلى تمام ويما الاخر
ثم على الدعاء عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على ما لو فعل لكان سببا لندمهم على ما فعلوا وهو
الهجوم عليهم بالقتل والاذلال على ما كان منهم من اللحوق باولياء الشيطان ثم على علة لحوقهم لهم وهي استفلال الشيطان
لهم وتفريقه لجماعتهم وروي استفزهم اي استخفهم وروى استقبلهم اي تقبلهم ورضي عنهم وهي اقوى
قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اي تارك لهم فان التبري في مقابلة الاستقبال وذلك كقوله تعالى واذ
زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله اني برئ منكم وقوله فحسبهم بخروجهم من الهدى اي يكفيهم ذلك عذابا وشرا
والباء في بخروجهم زائدة كما في قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم في الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال
وعمى الجهل الذي كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم في تيه
الجهل والهوى بعد الاستقرار في مدينة العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى
رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو في طلب الحق الى حد الجور عن الصراط المستقيم وبالله التوفيق **ومن خطبة
له عليه السلم** روي عن نوف البكالي قال خطبنا بهذه امير المومنين وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة
المخزومي وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه من ليف وفي رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير
فقال الحمد لله الذي اليه مصائر الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامي فضله
وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج
لفضله مومل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونومن به ايمان من رجاه موقنا
واناب اليه مومنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز
مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا

امورهم بعده وقوله ولباخی حشوة لطيفة فی الکلام واتی بها موکدة لان اتيان الموت امر محقق وکانه رد بها لما ان من الشك فحسنت هذه الحشوة بعدها ثم اخذ فی التعجب منهم واخبرهم انه لصحبتهم مبغض وانه غير كريم بهم لان الكريم انما اراد المنفعة فحيث لا منفعة فكانه لا كريم وقوله لله انتم جملة اسمية فيها معنى التعجب من حالهم ومثله لله ابوك ولله درك ثم اخذ فی استفهامهم عما يدعون انه موجود فيهم وهو الدين والحمية والانفة ومن شان الدين ان يبعث على انكار المنكر والحمية ان تحمل وتثير القوة الغضبية لمقاومة العدو واستفهامه اما على سبيل العجب والانكار عليهم وقوله اوليس عجبا الى قوله ويختلفون على استفهام تقرير التعجب من حالهم معهم فی تفرقهم عنه حتى عند الدعوة الى العطاء ومن حال معوية مع قومه فی اجتماعهم عليه من غير معونة ولا عطاء فان قلت المشهور ان معوية انما استجلب من العرب بالاموال والرغب فلم قال فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء قلت ان معوية لم يكن يعطی جنده على وجه المعونة والعطاء المتعارف بين الجند وانما كان يعطی روساء القبائل من اليمن والشام الاموال الجليلة ليستعبدهم بها واولئك الروساء يدعون اتباعهم من العرب فيطيعونهم فصادق اذن انهم يتبعونه على غير معونة ولا عطاء واما هو عليه السلم فانه كان يقسم بيوت الاموال بالسوية بين الروساء على وجه الرزق والعطاء ولا يرى لشريف على مشروف فضلا وكان اكبر من يقعده عن نصرته من الروساء لما يجدونه فی انفسهم من امر المساواة بينهم وبين الاتباع واذا احس الاتباع بذلك تخاذلوا ايضا متابعة لهم والمعونة هی ما يطلق للجند فی وقت الحاجة لترميم اسلحتهم واصلاح دوابهم وهو خارج عن العطاء المفروض لهم فی كل شهر او سنة واستعار لهم لفظ التريكة ووجه المشابهة انهم خلف الاسلام وبقية اهله كالبيضة التی تتركها النعامة وقوله انه لا يخرج الى قوله فتسخطونه اى انه لا يخرج اليكم من امرى امر من شانه ان ترضوه او تسخطونه فترضون وتجتمعون عليه بل لابد لكم من التفرق والخلاف على الخائن ثم نبههم على سوء صنيعهم معه بان احب الاشياء اليه الموت وقد لاحظ هذه الحال ابو الطيب فقال كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا تمنيتها لما تمنيت ان ارى صديقا فاعيا او عدوا مداجيا وقوله قد دارستكم الكتاب الى قوله محجة اشارة الى وجوه الامتنان عليهم وهی مدارستهم الكتاب اى تعليمه ومفاتحتهم الحجاج اى مجاراتهم وتعريفهم وجوه الاحتجاج وتعريفهم ما انكروه اى الامور المجهولة وتسويغهم ما مجوه واستعار وصف التسويغ لما اعطاهم من العطيات والارزاق كانوا لجرموها لمن يعزم لو كان كمعوية ولم لا دخال العلوم فی افواه اذهانهم وكذلك لفظ المج استعاره لما انهم من بدعهم او لعدم العلوم عن اذهانهم ونبوا افهامهم عنها فكانهم لفظوها ملوحها للاساغة ووجه الاستعارتين ظاهر وقوله لو كان الاعمى الى قوله يستيقظ اشارة الى انهم جهال لا يلحظون باعين بصائرهم ما افادهم من العلوم وغافلون لا يستيقظون من سنة غفلتهم بما ايقظهم به من المواعظ وغيرها ولفظ الاعمى والنائم مستعاران والقوم فی قوله واقرب بقوم هم اهل الشام وهو تعجب من قربهم من الجهل بالله اذ كان قائدهم فی الطريق معوية ومودبهم ابن النابغة اى عمرو بن العاص وهو يعنی المنافق

واهل العذر والخداع واذا كان الرئيس القائد والمودب فی تلك الطريق من الجهل والفجور بحال الرجلين المشار اليهما فما اقرب اتباعهما من البعد عن الله والجهل به وافرب صيغة التعجب وقايدهم معوية جملة اسمية محلها الجر صفة لقوم وفصل بين الصفة والموصوف بالجار والمجرور كما فی قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فجملة مردوا الرفع صفة لمنافقون وفصل بينهما بقوله ومن اهل المدينة والغرض من ذكرهم وقبح ما وصف التنفير عنهم ومن كلام له عليه السلم لرجل من اصحابه وقد ارسله يعلم له علم قوم من جند الكوفة قد هموا باللحاق بالخوارج وكانوا على خوف منه عليه السلم فلما عاد قال امنوا فقطنوا ام جبنوا فظعنوا فقال بل ظعنوا يا امير المومنين فقال بعدا لهم كما بعدت ثمود اما لو اشرعت الاسنة اليهم وصبت السيوف على هاماتهم لقد ندموا ما كان منهم ان الشيطان اليوم قد استفلهم وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم فی الضلال والعمى وصدهم عن الحق وجماحهم فی التيه اقول قطنوا اقاموا وبعدت بالكسر هلكت واشرعت الاسنة سددت وصوبت نحوهم ثم يروى بالضاد والسين واستفلهم اى طلب منهم التفرق والهزيمة وزينها لهم والفل التفرق فی الجيش عن الانهزام والارتكاس الرجوع فی الشیء مقلوبا والفصل يشتمل على السوال عن ظعنهم واقامتهم وعلى بعدهما وبما الاخبر ثم على الدعاء عليهم بالهلاك وانتصب بعدا على المصدر ثم على ما الوعيد لكان سبب الندم منهم على ما فعلوا وهو الحمل عليهم بالقتل والاذلال على ما كان منهم من اللحوق باولياء الشيطان ثم على علة لحوقهم لهم وهی استفلال الشيطان لهم وتفريقه لجماعتهم وروی استفزهم اى استخفهم وروی استقبلهم اى تقبلهم ورضی عنهم وهی اقوى الفقر من قوله وهو غدا متبرئ منهم ومتخل عنهم اى تارك لهم فان التبری فی مقابلة الاستقبال وذلك كقوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى قوله انی بریء منكم وقوله فحسبهم بخروجهم من الهدى اى يكفيهم ذلك عذابا وشرا والباء فی بخروجهم زايدة كهی فی قوله تعالى وكفى بالله شهيدا وارتكاسهم فی الضلال والعمى رجوعهم الى الضلال القديم وعمى الجهل الذی كانوا عليه بعد خروجهم منه بهدايته وصدهم عن الحق بالخروج عن طاعته وجماحهم فی تيه الجهل والهوى بعد الاستقرار فی مدينة العلم والعقل ولفظ الجماح مستعار لخروجهم عن فضيلة العدل الى رذيلة الافراط منها كما سبق والغلو فی طلب الحق الى حد الجور عن الصراط المستقيم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم روی عن نوف البكالی قال خطبنا بهذه امير المومنين وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومی وعليه مدرعة من صوف وحمائل سيفه من ليف وفی رجليه نعلان من ليف وكان جبينه ثفنة بعير فقال الحمد لله الذی اليه مصاير الخلق وعواقب الامر نحمده على عظيم احسانه ونير برهانه ونوامی فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره اداء والى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مومل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مذعن له بالعمل والقول ونومن به ايمان من رجاه موقنا واناب اليه مومنا وخنع له مذعنا واخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولاذ به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون فی العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما ارانا

من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السموات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند
دعاهن فاجبن طائعات مذعنات غير متلكئات ولا مبطئات ولولا اقرارهن له بالربوبية واذعانهن له
بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا سكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه
جعل نجومها اعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الاقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل
المظلم ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس ان ترد ما شاع في السموات من تلألؤ نور القمر فسبحان من لا
يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الارضين المتطأطئات ولا في يفاع السفع المتجاورات وما
يتجلجل به الرعد في افق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها
عواصف الانواء وانهطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من
قوتها وما تحمل من انثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل ان يكون كرسي او عرش او سماء او ارض او جان او انس لا يدرك
بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا يبصر بعين ولا يحد باين ولا يوصف بالازواج ولا يخلق
بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما واراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا ادوات
ولا نطق ولا لهوات بل ان كنت صادقا ايها المتكلف لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة
المقربين في حجرات القدس مرجحنين متولهة عقولهم ان يحدوا احسن الخالقين وانما يدرك بالصفات ذوو
الهيئات والادوات ومن ينقضي اذا بلغ امد حده بالفناء فلا اله الا هو اضاء بنوره كل ظلام واظلم بظلمته كل نور اوصيكم
عباد الله بتقوى الله الذي البسكم الرياش واسبغ عليكم المعاش فلو ان احدا يجد الى البقاء سلما او لدفع الموت سبيلا
لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلم الذي سخر له ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة فلما استوفى
طعمته واستكمل مدته رمته قسي الفناء بنبال الموت فاصبحت الديار منه خالية والمساكن معطلة وورثها
قوم آخرون وان لكم في القرون السالفة لعبرة اين العمالقة وابناء العمالقة اين الفراعنة وابناء الفراعنة
اين اصحاب مدائن الرس الذين قتلوا النبيين واطفأوا سنن المرسلين واحيوا سنن الجبارين واين الذين ساروا
بالجيوش وهزموا الالوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن اقول نقل الجوهري في الصحاح ان نوفا
البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف كان صاحب علي عليه السلم ونقل عن ثعلب انه منسوب الى بكالة
وقال القطب الراوندي هو منسوب الى بكال وبكيل وبكال شيء واحد وهو اسم حي من همدان قال
وبكيل اكثر وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد والصواب غير ما قالاه وانما هو بكال بكسر الباء من حمير فمنهم
هذا الشخص وهو نوف بن فضالة صاحب علي عليه السلم والاقوال محتملة واما جعدة بن هبيرة فهو ابن اخت امير
المؤمنين عليه السلم ام هاني بنت ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم وابو هبيرة بن ابي وهب بن عمرو بن عائذ
بن عمران بن مخزوم وهو صحابي وثفنة البعير واحدة الثفنات وهي ما يقع على الارض من اعضائه والخنوع
الخضوع ويتمارون يختلفون عليه وموطدات ممهدات والتلكؤ التوقف والطواعية الطاعة والفجاج الطرق

الجبال

الجبال وادلهمام شدة الظلمة والسجف الستور والحندس بكسر الحاء الليل شديد الظلمة والسفع الجبال والسفعة
سواد مشرب بحمرة وهو لون الجبال الاكثر واليفاع المرتفع من الارض والجلجلة صوت الرعد وتلاشى اضمحل والانواء
جمع نوء وهو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته
في كل ليلة الى ثلاثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما ومرجحنين مائلين
بلين الجهة تحت والرياش اللباس والطعمة الماكلة فقوله الحمد لله الى قوله الاشر حمد له باعتبار كونه منتهى جميع اماره في
عالمي الخلق والامر انتهائها في اوليتها بالصنع والابداع وانتهائها في آخريتها لانه غاية مطلوب السالكين وهو الباقي بعد كل
منها باعتبار وجوب وجوده فهو المستحق البقاء لذاته وهي الممكنة والمستحقة للفناء باعتبار كونها ممكنة لها ولما كان
الحمد قد يكون لاداء حق ما سبق من النعمة وقد يكون للاستزادة منها كان قوله نحمده الى قوله اداء نظرا الى ما سبق من
انواع نعم الله وهي عظيم احسانه بالخلق والايجاد على وفق الحكمة والمنفعة ثم بانارة برهانه في متقن صنعه
ومحكمه وعلى السنة رسله لسوقنا في صراطه المستقيم الى جنات النعيم وهدايتنا اليها ثم باضافة نوامي فضله
وامتنانه بكفايتنا في حياتنا الدنيا ثم بافاضة اسباب معاشنا ومعادنا وكان قوله والى ثوابه الى قوله موجبا نظرا
اشارة الى ما يستزاد منها وهو القرب من ثوابه الاخروي لاستكمال النفس بذلك وحسن مزيده من نعمه الحاضرة
كما قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ثم اردف ذلك الشكر بطلب المعونة منه لاستعانته بالصفات المعدودة الى قوله
كان استعانة من هذه صفته تكون اقرب الاستعانات الى الاجابة المستعان بالعون لقوتها باستجماعها قوة الرجاء
والامل له تعالى وحسن اليقين في قدرته على بذل النفع ودفع الضر والشكر والاذعان بالطاعة العملية والقولية
ثم اردف ذلك بالاقرار بالايمان الكامل وهو ايمان من استكمل الاوصاف المعدودة آنفا وهي نتايج المطالب العالية
منه حال اليقين التام باسرارها والرجوع اليه عن جميع الورطات وفي سائر المهمات حال الايمان به والخضوع
انقياده لعزته ثم الاخلاص له حال توحيده ثم تعظيمه حال تمجيده واللوذ به حال الرغبة اليه والاجتهاد فيها وبيان
ان ذلك الايمان كامل ثم اخذ في تنزيهه تعالى باعتبارات سلبية واضافية هي غاية الواصفين فمنها انه لم
لم يولد فيكون له شريك في العزة اذ العادة ان يكون والد العزيز عزيزا ومنها انه لم يلد فيكون موروثا هالكا
تنزيه له عن صفات البشر اذ العادة ان الانسان يهلك فيرثه ولده وبرهانه انهما من لواحق الحيوانية المستلزمة
للجسمية المنزه وقدسه عنها ومنها انه لم يتقدمه وقت ولا زمان والوقت جزء الزمان واذا كان خالق الوقت
والزمان فاحرى ان يتقدمهما ومنها انه لم يتعاوره الزيادة والنقصان لان الزيادة والنقصان من لواحق
الممكنات لاستلزامهما التغير المستلزم للامكان المنزه وقدسه عنه ومنها انه ظاهر للعقول في علامات التدبير
والاحكام والاتقان في مصنوعاته الموجودة على وفق القضاء المحكم فمن جملتها خلق السموات كقوله تعالى ان في خلق السموات
والارض الآية وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وقد بين كونها بلا عمد وقيامها بلا سند في
الاول ودعاؤهن حكم سلطان القدرة الالهية عليهن واجابتهن دخولهن في الوجود عن ذلك الحكم وطوعهن واذعانهن من

غير ملكي ولا نبالي في اجابتهن خضوعهن في رق الحاجة والامكان لواجب الوجود وسلطانه وقوله ولولا اقرارهن له
والعمل الصالح من خلقه كلام حق فان الاقرار بالربوبية لراجع الى شهادة لسان حال الممكن بالحاجة الى الرب و
الانقياد لحكم قدرته وظاهر انه لولا امكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها خير ولم يكن اهلا لقبول
تدبير احوال المملكة وسكانها ولم يكن قابلة لصعود الملائكة بالكلم الطيب والاعمال الصالحة للخلق وقد سبقت الاشارة
الى بيان الصعود بالاعمال وغيرها في الخطبة الاولى بحسب الامكان ولفظ الدعاء والاقرار والاذعان مستعارة ويحتمل
ان يكون حقائق نظرا الى انها اولنا مدبرة عاقلة وقوله وجعل نجومها الى قوله الاقطار اشارة الى بعض غايات خلق
النجوم وقد سبق بيان ذلك وقوله لم يمنع الى قوله والقمر استعار لفظ السجف والجلابيب للساتر من سواد الليل
الاستعارة ظاهر وخصص القمر بالذكر لكونه من الايات العقلية والمقابلة بين الضياء والظلمة مقابلة العدم
وكل منهما يوجد بوجود سببه ويعدم بعدم سببه فلا يكون دفع احدهما بالاخر فظاهر اذن ان نور القمر والنجوم
لا تمنعه من الوجود والتحقق ظلمة ليل بل يتعاقبان بحسب تعاقب اسبابهما المنتهية الى قدرة الصانع الحكيم جلت قدرته
وقوله فسبحان الى قوله في بطنها تنزيه بحسب احاطة علمه بحسب كليات الاشياء وجزئياتها والمتطامنات
بهابط الارض وما يتجلجل به الرعد اشارة الى تسبيحه في قوله تعالى ويسبح الرعد بحمده وذلك التسبيح هو
شهادته بلسان حاله في ذلك الصوت على كمال قدرة مسخر السحاب ومؤلفه والمقدر لتصويبه وقد عرفت سببه وما
تلاشت عنه بروق الغمام اشارة الى ما لم ينكشف للابصار باضائتها وانما خص ذلك دون ما اضاءته لان العلم
هناك اشرف لتعلقه بما لا يدركه ابصار المخلوقين دون ما اضاءته لادراك الكل له وانما اضاف العواصف الى الانواء لان
العرب تضيف الآثار العلوية من الرياح والامطار والحر والبرد اليها ثم عاد الى حمده تعالى باعتبار تقدمه في الوجود
على ما يوجد من مخلوقاته وقد عرفت ما يقال في الكرسي والعرش ثم نزهه تعالى باعتبار سلبيه الاول انه لا يدرك بوهم
انه لا يقدر بفهم اي لا يحد بفهم والفهم من صفات العقل وقد مرت الاشارة الى عجز العقول والاوهام عن وصفه
تعالى الثالث ولا يشغله سائل لاحاطة علمه وقدرته وقد سبق ايضا بيانه الرابع ولا ينقصه نائل لان النقصان من
نحو ذي الحاجة وقد تنزه عنه تعالى الخامس كونه لا يبصر بعين اي ان ادراكه ليس بحاسة البصر
وان كان بصيرا وذلك لتنزهه عن الحواس السادس ولا يحد باين اي لا تحده العقول بالامكنة وتحيط به باعتبار
بل هو منزه عن الحيز وهو نفي الكمية المتصلة عنه السابع ولا يوصف بالازواج وهو نفي الكم المنفصل عنه اي ليس فيه
اثنينية وعدد الثامن ولا يخلق بعلاج تنزيه لصنعه عن وساطة الآلة والحيلة كما اولوا اصحاب الصنائع التاسع
يدرك بالحواس تخصيص ادراكها بالاجسام وكيفياتها وتنزيه له تعالى عن الجسمية ولواحقها العاشر ولا يقاس بالناس
تنزيه له عن التشبيه بخلقه في كمالاتهم كما يتوهمه اهل التجسيم الحادي عشر كونه متكلما بالاجابة نطق ولا لهوات وهو تنزيه
له عن حال البشرية وجلت في المقولات كيفية سماع الانبياء عليهم السلم للوحي فاما قوله واراه من آياته عظيما اقتل على
آياته في كلامه لموسى بين قوله تكليما وقوله بلا جوارح اعتراض غير مناسب والذي رآه من تلك الآيات ما روي انه كان

يسمع

يسمع الصوت من جهاته الست ليس على حد سماع البشر من جهة مخصوصة ولم يكن كوقع السلاسل العظيمة على الصفا
الاصم وفي هذه الكيفية سر لطيف وكونه يسمع من الجهات الست اشارة الى ان الكلام كان يأتيه فيتنقش في
لوح خياله لا من جهة بل نسبة الجهات الست اليه على سواء في عدم سماعه منها فلا جرم قيل يسمع من الجهات
الست وهو اولى من ان يقال يسمع لا من جهة لبعد ذلك عن اوهام الخلق فاما كونه كوقع السلاسل في القوة
فاشار الى عظمته بالنسبة اليه فيشبه باشد الاصوات جرسا وقيل اراد بها الآيات القسم كانشقاق الحجر وقلب العصا
ثعبانا وغيرهما ثم نبه على عجز القوة البشرية عن وصف كماله تعالى بقوله بل ان كنت صادقا الى قوله احسن
الخالقين وهي صورة قياس استثنائي متصل نبه به على عجز من يدعي وصف ربه كما هو وتقديره ان كنت صادقا
ايها المتكلف لوصف ربك في وصفه فصف بعض خلقه وهو جبرئيل وميكائيل وجنود ملائكة المقربين في حجرات
باستثناء نقيض تاليه اي لكنك لا يمكنك وصف هؤلاء بالحقيقة فلا يمكنك وصفه تعالى بيان الملازمة ان
وصفه تعالى اذا كان ممكنا لك فوصف بعض آثاره اسهل عليك واما بطلان التالي فلان حقيقة جبرئيل
وميكائيل وساير الملائكة المقربين غير معلومة لاحد من البشر ومن عجز عن وصف بعض آثاره فهو عن وصفه
اعجز وحجرات القدس مقار الطهارة عن الهيئات البدنية والتعلقات الخالية عن شوائب النفس الامارة بالسوء
واستعار لفظ المرجحنين لخضوعهم تحت سلطان هيبته وعظمته وتوله عقولهم حيرتها وتشتتها عن ادراك
حقيقته بحيث يقف عند عظمته تنبيه على ما يدرك من جهة الوصف وهو ذو الهيآت والادوات التي يجري
بها ويحيط بالافهام من جهتها ومن يلحقه الفناء فينقضي اذا بلغ امد حده وينقض لا فهامه على ذلك الحد
وتحلله الى اجزائه فيطلع على كيفيته منها ثم عقب ذلك التنزيه بتوحيده ونفي الكثرة عنه وقوله اضاء بنوره
كل ظلام فالظلام اما محسوس فاضاءته بانوار الكواكب او معقول وهو ظلام الجهل فاضاءته بانوار العلم
والشرائع وقوله واظلم بنوره كل نور اي جميع الانوار المحسوسة او المعقولة لعدم نسبتها مضمحلة في
نور علمه وظلام بالنسبة الى ضياء براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده وكمال جوده ثم شرع في
الموعظة فبدأ بالوصية بتقوى الله باعتبار سلب امرين هما سبب البقاء في الحياة الدنيا وهما الملبوس والمطعوم
ويحتمل ان يريد بالمعاش سائر اسباب البقاء ونفى بذكرهما السبيل الى البقاء ودفع الموت تخويفا بما يرجع
عليه بقياس استثنائي تلخيصه لو ان احدا يجد سبيلا الى دفع الموت لوجده سليمان عليه السلم
الاستثناء لكنه لم يجد فلن يجد احد بعده اما الملازمة فلان سليمان عليه السلم كان اقوى سلطان
في العالم لاستيلائه على ملك الجن والانس مع النبوة وعظيم الزلفة عند الله فكان اولى بدفعه لو كان
يمكن دفعه واما بطلان التالي فلانه عليه السلم لما استوفى طعمته واستكمل مدته مات فلو وجد له
مدفعا لدفعه عن نفسه فقوله فلو ان الى قوله سبيلا وهو مقدم الشرطية وقوله لكان ذلك الى قوله عليه السلم
هو التالي وقوله الذي الى قوله الزلفة بيان لوجه الملازمة وقوله فلما استوفى الى قوله قوم آخرون هو بيان بطلان

الثانى ولفظ الغنى والبال استعارة لمرامى الامراض واسبابها التى هى نبال الموت ووجهها ظاهر ثم شرع فى التنبيه على
الاعتبار باحوال القرون السالفة واستفهم عن قرن قرن تنبيها على فنائهم واستفهاما على سبيل التقرير والعماليق
اولاد لاوذ بن ارم بن سام بن نوح وكان الملك اليمن والحجاز وما تاخم ذلك من الاقاليم فمن اولاده عملاق وطسم
وكان العز والملك بعد عملاق بن لاوذ فى طسم فلما ملكهم عملاق وتمادى واكثر العيث والفساد فى الارض حتى كانت
العروس ليلة هدائها الى بعلها وان كانت بكرا افتضها قبل وصولها اليه فتفعل ذلك بامراة من جديس فغضب لها
اخوها وتابعه قوم على الفتك بعملاق بن طسم واهل بيته فصنع اخوها طعاما ودخل عملاق الملك اليه ثم وثب
هو وطسم فاتى على رؤساهم وبجانبهم رياح بن ... فصار الى ذى جيشان بن تبع الحميرى ملك اليمن فاستغاث
به واستنجده على جديس واتى ذو جيشان فى حمير بلاد جو وهى قصبة اليمامة فاستاصل جديسا واخرب اليمامة
فلم يبق لجديس باقية ولا لطسم الا اليسير منهم ثم ملك بعد طسم وجديس وبار بن اميم بن لاوذ بن ارم بن
فنزل بارض وبار وهى المعروفة الان برمل عالج فبغوا فى الارض حينا حتى افناهم الله ثم ملك بعد وبار عبد
ضخم بن اسف بن لاوذ فنزلوا بالطايف حينا ثم بادوا واما الفراعنة فهم ملوك مصر فمنهم الوليد بن ريان
فرعون يوسف ومنهم الوليد بن مصعب فرعون موسى ومنهم فرعون الاعرج الذى غزا بنى اسرائيل واخرب
بيت المقدس واما اصحاب مداين الرس فقيل انهم اصحاب شعيب النبى عليه السلم وكانوا عبدة اصنام
ولهم مواش وابار يسقون منها والرس بئر عظيم جدا انخسفت بهم وهم حولها وقيل الرس قرية باليمامة
كان يسكنها قوم من بقايا ثمود فاهلكوا وقيل الرس اصحاب الاخدود وقيل الرس نهر فى اقليم الباب والابواب
من مدينة قطراد وينتهى الى نهر الكر فيختلط به حتى يصب فى بحر الخزر وكان بها الف مدينة او اولى باس وقد بعث
الله بنيهم والله التوفيق منها قد لبس للحكمة جنتها واخذها بجميع ادبها من الاقبال عليها والمعرفة بها والتفرغ
لها فهى عند نفسه ضالته التى يطلبها وحاجته التى يسئل عنها فهو مغترب اذا اغترب الاسلام وضرب
بعسيب ذنبه والصق الارض بجرانه بقية من بقايا حجته خليفة من خلائف انبيائه ثم قال عليه السلم ايها الناس انى قد بثثت
لكم المواعظ التى وعظ بها الانبياء اممهم وادبت اليكم ما ادت الاوصياء الى من بعدهم وادبتكم بسوطى فلم
تستقيموا وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله انتم اتتوقعون اماما غيرى يطا بكم الطريق ويرشدكم السبيل الا انه قد
ادبر من الدنيا ما كان مقبلا واقبل منها ما كان مدبرا وازمع الترحال عباد الله الاخيار وباعوا قليلا من الدنيا لا يبقى
بكثير من الاخرة لا يفنى ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين الا يكونوا اليوم احياء يسيغون الغصص
ويشربون الرنق قد والله لقوا الله فوفاهم اجورهم واحلهم دار الامن بعد خوفهم اين اخوانى الذين ركبوا الطريق ومضوا
على الحق اين عمار واين ابن التيهان واين ذو الشهادتين واين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وابرد برؤسهم
الى الفجرة ثم ضرب بيده الى لحيته فاطال البكاء فقال اوه على اخوانى الذين تلوا القرآن فاحكموه وتدبروا الفرض فاقاموه
احيوا السنة واماتوا البدعة دعوا للجهاد فاجابوا ووثقوا بالقائد فاتبعوه ثم نادى باعلى صوته الجهاد الجهاد عباد الله

مقعوا بسم

الا انى معسكر فى يومى هذا فمن اراد الرواح الى الله فليخرج قال نوف وعقد للحسين عليه السلم فى عشرة الاف ولقيس
بن سعد فى عشرة الاف ولابى ايوب الانصارى ولغيرهم على اعداد اخر وهو يريد الرجعة الى صفين فما دارت الجمعة
حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله فتراجعت العساكر فكنا كاغنام فقدت راعيها تختطفها الذئاب من كل مكان
اقول جرانه صدره وعسيب ذنبه طرفه واستوسق الامر انتظم واجتمع وازمع صمم عزمه والرنق بالتسكين
الكدر وابو داود سلى واوه ساكنة الواو ومكسورة الهاء كلمة توجع والاختطاف والتخطف الاخذ بسرعة
الى العارف مطلقا وقال بعض الامامية الاشارة الى الامام المنتظر وليس بواضح من هذا الكلام ولفظ الجنة
مستعار فى الاستعداد للحكمة بالزهد والعبادة الحقيقيين والمواظبة على العمل باوامر الله ووجه الاستعارة
ان بذلك الاستعداد يامن اصابة سهام الهوى وثوران دواعى الشهوات القائدة الى النار كما يامن لابس الجنة
من اذى الضرب والجرح واخذه لها بجميع ادابها من الاقبال عليها والمعرفة بها اى بقدرها والتفرغ لها من العلائق
الدنيوية بالزهد من جملة الاستعداد لها ايضا واستعار لها لفظ الضالة لمكان انشاده لها وطلبه كما يطلب
الضالة من الابل واليه الاشارة بقوله عليه السلم الحكمة ضالة المؤمن وقوله فهو مغترب اذا اغترب الاسلام اشارة
الى اخفائه نفسه وايثاره العزلة عند غربة الاسلام وضعفه وظهور البدع والمنكرات كما اشار اليه سيد المرسلين
صلى الله عليه وآله بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا واستعار لفظ العسيب والذنب والجران ملاحظة
لشبهه بالبعير البارك وكنى بذلك عن ضعفه وقلة نفعه فان البعير اقل ما يكون نفعه حال بروكه وقوله بقية
من بقايا حجته اى على خلقه اذ العلماء والعارفون حجج الله فى الارض على عباده وظاهر كونه خليفة من خلائف انبيائه
لقوله صلى الله عليه وآله العلماء ورثة الانبياء وقوله ايها الناس الى قوله تستوسقوا تذكير بموعظته لهم
واعذار اليهم باداء ما كلف به فى حقهم مما كلف به الانبياء مع اممهم والاوصياء الى من بعدهم ومعاتبة لهم وتوبيخ
على عدم استقامتهم واجتماعهم على الواجب مع تاديبه لهم بالضرب والتحذير بالزواجر وقوله لله انتم كلمة تعجب
السبيل استفهام لهم عن توقعهم اماما هاديا غيره استفهاما على سبيل الانكار لوجود سبيل بذلك
الامام ويرشد سبيل ذلك الانكار المفهوم من الاستفهام بقوله الا انه قد ادبر من الدنيا ما كان مقبلا اى من الخير
وصلاح اهلها واقبل منها ما كان مدبرا اى من الشرور التى ادبرت بمقدم الرسول صلى الله عليه وآله وظهور
الاسلام وازمع الترحال عباد الله الاخيار المتوقع منهم امام كمثله عليه السلم فى الهداية لسبيل الله وازماع
الترحال كناية عن اقتضاء الزمان لفنائهم من الدنيا والرحيل عنها ثم استعار لفظ البيع لتعويضهم بالقليل
الفانى من متاع الدنيا الكثير الباقى من متاع الاخرة ثم اخذ بالتذكير بنفى ضرر الموت وعدم الحياة عن اخوانه
من الصحابة الذين قتلوا بصفين وزهد فى تلك الحياة بكونها محل تجرع الغصص وشرب الكدر من الالام
والاعراض ومشاهدة المنكرات ولما زهد فى تلك الحياة نبه على ما لهم فى عدمها من الفائدة وهى لقاء الله وتوفيته
اجورهم على الاعمال الصالحة وحلولهم دار الامن اى الجنة بعد خوفهم من فتن اهل الضلال ثم اخذ فى الاستفهام

والكوذلك

ركب طريق الحق ومضى عليه مستصحبا له مستعملا على سبيل التوجع لفقدهم والتوحش لفراقهم ثم عن اعيان
اكابرهم فذكر عمار بن ياسر وفضله في الصحابة مشهور وابوه عربي قحطاني وامه امة لابي حذيفة بن المغيرة
ولدت عمارا فاعتقه ابو حذيفة فمن هنا كان عمار مولى لبني مخزوم واسلم وامه سمية فعذبهما بنو مخزوم
فاعطاهم عمار ما ارادوا بلسانه مع اطمينان قلبه بالايمان فنزلت فيه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وهاجر
ارض الحبشة وصلى القبلتين وهو من المهاجرين الاولين وشهد بدرا والمشاهد كلها وابلى بلاء حسنا ثم
شهد اليمامة فابلى فيها ايضا ويومئذ قطعت اذنه وعن ابن عباس في قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس قال هو عمار بن ياسر وعن عايشة انها قالت ما من احد من اصحاب محمد صلى
الله عليه وآله اشاء ان اقول فيه الا قلت الا عمار بن ياسر فاني سمعته صلى الله عليه وآله يقول انه ملئ ايمانا الى
اخمص قدميه وعنه صلى الله عليه وآله عمار جلدة ما بين عيني تقتله الفئة الباغية لا انالها الله شفاعتي
وعنه صلى الله عليه وآله من ابغض عمارا ابغضه الله • واما ابن التيهان بتاء مشددة مفتوحة بنقطتين من تحت
ويروى مخففة ساكنة فهو من الانصار كنيته ابو الهيثم واسمه مالك بن مالك وقيل اسم ابيه عمرو بن الحرث
وهو التيهان كان احد النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا والمشهور انه ادرك صفين مع علي عليه السلم وقتل
وقيل توفي في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واما ذو الشهادتين فكنيته ابو عمارة واسمه خزيمة بن ثابت
ابن الفاكهة ابن ثعلبة الخطمي الانصاري من الاوس جعل رسول الله صلى الله عليه وآله شهادته شهادة رجلين
لقصة مشهورة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وكانت راية بني خطمة من الاوس يوم الفتح بيده وشهد
صفين مع علي عليه السلم فلما قتل عمار قاتل حتى قتل معه ونظراؤهم من اخوانهم اي الذين قتلوا بصفين معه من
الصحابة كابن بديل وهاشم بن عتبة ونحوهما وتعاقدهم على المنية اتفاقهم على المقاتلة الى غاية ان يقتلوا
تعاهدوا والفجرة الذين حملت رؤسهم اليهم اهل الشام ثم اخذ في التشكي والتوجع على فقدهم ثم اشار الى الفضايل
التي هي غاية الشريعة المطلوبة منهم بها وهي تلاوة القرآن واحكامه بفهم مقاصده ومعانيه والتدبر
للفرض اي فهم ملائه العبادات واقامتها والمواظبة عليها نظرا الى اسرارها واحياء السنن النبوية واماتة
البدع المخالفة لها واجابتهم للدعوة الى الجهاد لاقامة الدين ووثوقهم بقائدهم اليه في سبيل الله يعني نفسه
ثم الرواح الى الله الخروج الى الجهاد الذي هو سبيله الموصلة اليه والى ثوابه وقيس بن سعد الخزرجي
كنيته ابو عبد الملك روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله احاديث وابوه سعد من رؤساء الخزرج وهو
سعد بن عبادة الذي حاولت قومه اقامته خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قيس هذا
كبار شيعة علي ومحبيه وشهد معه حروبه كلها وكان مع الحسن ابنه ونقم عليه صلحه لمعوية واما ابو ايوب
الانصاري فهو خالد بن سعد بن كعب الخزرجي من بني النجار شهد العقبة وبدرا وساير المشاهد وعليه نزل
رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج عن بني عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا فلم يزل عنده حتى بني مسجده ومساكنه

من نون سعها ياء مشددة
مكسورة بنقطتين

ثم استقل اليها وشهد مع علي مشاهده كلها الجمل وصفين وكان على مقدمته يوم النهروان وبالله التوفيق
ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله المعروف من غير رؤية والخالق من غير منصبة خلق الخلايق بقدرته واستعبد
الارباب بعزته وساد العظماء بجوده وهو الذي اسكن الدنيا خلقه وبعث الى الجن والانس رسله ليكشفوا لهم
عن غطائها وليحذروهم من ضرائها وليضربوا لهم امثالها وليبصروهم عيوبها وليهجموا عليهم بمعتبر من تصرف
مصاحها واسقامها وحلالها وحرامها وما اعد الله سبحانه للمطيعين منهم والعصاة من جنة ونار وكرامة وهوان
احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه وجعل لكل شيء قدرا ولكل قدر اجلا ولكل اجل كتابا اقول المنصبة التعب
الله باعتبار كونه خالقا وموجدا للاعداد المنزه عن المتاعب لاستلزامها الآلات المستلزمة للجسمية التي هي
الضعف والنهاية في القوة ثم نبه على استناد الخلايق والنعم الفاضة الى قدرته ليعتبر السامعون نسبتهم اليه
وباعتبار استعباده الارباب على كمال عزه المطلق الواجبي المستلزم لخضوع كل موجود في ذل الامكان له
اليه وسيادته للعظماء على كمال عظمة وجوده الواجبي المطلق المستلزم لفقر كل اليه وتعبده له ثم نسبة اسكان
الدنيا وبعثه رسله الى الجن والانس منهم كما قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي
الآية على كمال لطفه بخلقه وحكمته في ايجادهم في الدنيا وغاية ذلك ان يكشفوا لهم ما غطى بحجب الدنيا عن
اعين بصائرهم من احوال الآخرة التي خلقوا لها وان يحذروهم بالتحذير من ضر الدنيا وعواقبها وضرب الامثال لها
كما في القرآن الكريم انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه الآية وامثالها وان يبصروهم عيوبها وان يهجموا عليهم بما في تصاريفها
من العبرة وهي الصحة والسقم ما احل وحرم على طريق الاستكثار وحلالها عطف على تصرف ويحتمل ان يكون
عطفا على تصرف ويحتمل ان يكون عطفا على اسقامها باعتبار ان الحلال والحرام من تصاريف الدنيا وبيانه
ان كثيرا من المحرمات لنبي كانت حلالا لمن بعده وبالعكس وذلك تابع لمصالح الخلق بمقتضى تصاريف اوقاتها
واحوالهم التي هي تصاريف الدنيا وقوله وما اعد الله اما عطف على معتبر او على عيوبها اي ويبصروهم ما اعد الله
للمطيعين والعصاة في الآخرة وقوله احمده الى نفسه كما استحمد الى خلقه اي احمده حمدا يكون في الكيفية والكمية على
الوجه الذي طلب الحمد لنفسه من خلقه وقوله جعل لكل شيء قدرا كقوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي
من الكمية والكيفية ينتهي اليه وحدا يقف عنده ولكل قدر اجلا اي ولكل مقدار وقت يكون انقضاؤه فيه
وفناؤه ولكل اجل كتابا واراد بالكتاب العلم الالهي المعبر عنه بالكتاب المبين واللوح المحفوظ المحيط بكل شيء
رقم كل شيء وبالله التوفيق منها في ذكر القرآن والقرآن آمر زاجر وصامت ناطق حجة الله على خلقه اخذ عليه
ميثاقهم وارتهن عليه انفسهم اتم نوره واكرم به دينه وقبض نبيه صلى الله عليه وآله وقد فرغ الى الخلق من احكام
الهدى به فعظموا منه سبحانه ما عظم من نفسه فانه لم يخف عنكم شيئا من دينه ولم يترك شيئا رضيه او كرهه
الا وجعل له علما باديا وآية محكمة تزجر عنه او تدعو اليه فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واعلموا انه لن
يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم وانما تسيرون في اثر بين

معروفا بآيات آثاره عند العقول
المعرفة المنزهة عن ادراك البصر
المختص بالاجسام ولواحقها
ثم باعتبار كونه

ويتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم ولن يحبط الله عليكم فقد كفاكم مؤونة دنياكم وحثكم على الشكر وافترض من السنتكم
الذكر واوصاكم بالتقوى وجعلها منتهى رضاه وحاجته من خلقه فاتقوا الله الذي انتم بعينه ونواصيكم بيده وتقلبكم في قبضته
ان اسررتم علمه وان اعلنتم كتبه قد وكل بذلك حفظة كراما لا يسقطون حقا ولا يثبتون باطلا واعلموا انه من يتق
الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم ويخلده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة عنده في دار اصطنعها
لنفسه ظلها عرشه ونورها بهجته وزوارها ملائكته ورفقاؤها رسله فبادروا المعاد وسابقوا الآجال فان الناس يوشك
ان ينقطع بهم الامل ويرهقهم الاجل ويسد عليهم باب التوبة فقد اصبحتم في مثل ما سال اليه الرجعة من كان قبلكم وانتم
بنو سبيل على سفر من دار ليست بداركم وقد اوذنتم بالارتحال وامرتم فيها بالزاد واعلموا انه ليس لهذا الجلد الرقيق صبر على
النار فارحموا نفوسكم فانكم قد جربتموها في مصائب الدنيا افرأيتم جزع احدكم من الشوكة تصيبه والعثرة تدميه
والرمضاء تحرقه فكيف اذا كان بين طابقين من نار ضجيع حجر وقرين شيطان اعلمتم ان مالكا اذا غضب على النار
حطم بعضها بعضا لغضبه واذا زجرها توثبت بين ابوابها جزعا من زجرته ايها اليفن الكبير الذي قد لهزه القتير
كيف انت اذا التحمت اطواق النار بعظام الاعناق ونشبت الجوامع حتى اكلت لحوم السواعد فالله الله معشر العباد وانتم
سالمون في الصحة قبل السقم وفي الفسحة قبل الضيق فاسعوا في فكاك رقابكم من قبل ان تغلق رهائنها اسهروا عيونكم
واضمروا بطونكم واستعملوا اقدامكم وانفقوا اموالكم وخذوا من اجسادكم فجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها عنها فقد
قال الله سبحانه ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله
اجر كريم فلم يستنصركم من ذل ولم يستقرضكم من قل استنصركم وله جنود السموات والارض وهو الغني الحميد
اراد ان يبلوكم ايكم احسن عملا فبادروا باعمالكم تكونوا مع جيران الله في داره رافق بهم رسله وازارهم ملائكته
واكرم اسماعهم عن ان تسمع حسيس نار ابدا وصان اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله
ذو الفضل العظيم اقول ما تسمعون والله المستعان على نفسي وانفسكم وهو حسبنا ونعم الوكيل اقول
اليفن الشيخ الكبير والقتير الشيب ولهزه خالطه والجوامع جمع جامعة وهي الغل لجمعها الايدي الى الاعناق
واللغوب التعب وقد وصف القرآن الكريم بالاضداد المتعادية لاختلاف الاعتبارات فالآمر مع الزاجر
عليه مجاز من باب اطلاق اسم السبب على المسبب اذ الآمر والناهي هو الله تعالى والصامت مع الناطق
لفظ الناطق هو المتكلم به من باب اسم المتعلق على المتعلق وكونه حجة لله على خلقه لاشتماله على وعدهم ووعيدهم
وبيان علة وجودهم والمطلوب منهم والاعذار اليهم ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ولانه [illegible]
ما بعث به الرسول صلى الله عليه وآله على الخلق في صدقه وقوله اخذ عليهم ميثاقه الضمير في اخذه لله وميثاقه
للكتاب وذلك الاخذ هو خلقهم وبعثهم الى الوجود على ان يعملوا بما اشتمل عليه الكتاب من مطالب الله الحقة
وهو ما اشار اليه القرآن الكريم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم الآية والتقدير اخذ عليهم الميثاق
فيه وقوله وارتهن عليها انفسهم اي جعل انفسهم رهنا على العمل بما فيه والوفاء به فمن نكث فانما ينكث على نفسه

وهو العزيز الحكيم واستقرضكم وله خزائن السموات والارض

عليه مجاز اذ الناطق حقيقة

وقد بعث رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولانه اقوى المعجزات التي احتج به الرسول

اوفى

اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما واتم به نوره اي نور هدايته للخلق والنور المتمم هو نور النبوة وهو المشار
اليه بقوله تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره واطفاؤه بما كانوا يقولونه من كونه صلى الله
عليه وآله معلم مجنون وساحر كذاب وكون القرآن اساطير الاولين اكتتبها وكذلك اكرم به دينه وقوله وقبض نبيه
وقد فرغ الى الخلق من احكام الهدى به كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم الآية واحكام الهدى بيان طرقه وكيفية سلوكها وتثبيتها في قلوب المؤمنين ثم اعظموا
الله سبحانه تعالى يقال عظمت من فلان كما يقال عظمته وما مصدرية اي عظموه كتعظيمه لنفسه اي اطلبوا التشبه في
تعظيمكم له لتعظيمه نفسه ثم اشار الى وجه وجوب تعظيمنا له وهو كونه لم يخف عنا شيئا من دينه بل كشفه لنا وعرفه
باجمعه بقدر الامكان ولم يترك شيئا من رضيه ومكارهه الا نصب عليه علما ظاهرا وآية واضحة من كتاب يشتمل
على امر بما يرضيه او زجر عما يكرهه وقوله فرضاه فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اشارة الى ان المرضي له من الاحكام
او المسخوط فيما مضى هو المرضي او المسخوط فيما بقي من الاوقات واستقبل من الزمان وحكمه في كونه مرضيا او
واحد في جميع الاوقات لا يتغير ولا ينتقص وفيه ايماء الى ان رفع شيء من الاحكام الثابتة بالقياس والراي لا يجوز كما
سبق بيان مذهبه عليه السلم في ذلك وقوله فانه لن يرضى عنكم بشيء سخطه على من كان قبلكم الى قوله قبلكم تاكيد
وتقرير لما سبق اي انما سخطه ونهى عنه الصحابة مثلا فلن يرضى عنكم بفعله فليس لكم ان تجوزوه وتحللوا ما حرمها
وكذلك سائر ما رضيه لهم وامرهم به فلن يسخط عليكم بفعله حتى تحرموه باجتهاد منكم ويحتمل ان يريد بقوله فرضاه
فيما بقي واحد وسخطه فيما بقي واحد اي فيما بقي من الاحكام الجزئية التي لم يدل النص عليها بالمطابقة بل يحتاج الى
الحاقها بالمنصوص وادراجها تحت النصوص ومعنى وحدة رضاه وسخطه فيها ان الحكم المطلوب او المكروه
فيها واحد لا يجوز الاختلاف فيه حتى يحكم احد المجتهدين في الشيء الواحد بالحل ويحكم الآخر فيه بالحرمة ويختلف
الحكم في تلك القضية اما مسخوطا او مرضيا ويكون ذلك نهيا منه عليه السلم عن الاختلاف في الفتيا كما
ذكر ذلك فيما سبق كما قررناه وقيل معناه النهي عن الاختلاف في الفتيا ايضا اي انه لن يرضى عنكم بالاختلاف
الذي سخطه ممن كان قبلكم كما اشار اليه تعالى بقوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وكذلك لن
يسخط عليكم بالاتفاق والاجتماع المرضي ممن كان قبلكم وقيل المراد انه لن يرضى عنكم بشيء سخطه ممن كان قبلكم من
الاعتقادات الباطلة في المسائل الالهية ولن يسخط عليكم بشيء رضيه ممن كان قبلكم من الاعتقادات الحقة فيها ويكون
ذلك مخصصا بالاصول دون الفروع وقوله وانما تسيرون في اثر بين الى قوله قبلكم اشارة الى ان الادلة لكم واضحة قد
قالها الاولون قبلكم فانتم تتكلمون بها وترددونها ورجع القول ترديده وقوله قد كفاكم مؤونة دنياكم كقوله تعالى
وآتاكم من كل ما سالتموه وتلك الكفاية اما بخلقها وايجادها واما بتوقيته بكل ما كتب له في اللوح المحفوظ وحثه
على الشكر في تكرار اوامره به ونقل عن الحسن البصري انه قال ان الله تعالى كفانا مؤونة دنيانا وحثنا على القيام بوظائف ديننا
فليته كفانا مؤونة ديننا وحثنا على القيام بوظائف دنيانا وهو اشارة منه الى شدة التحفظ في الدين والاحتراز عليه
وافترض من السنتكم الذكر ولما كان لكل من الجوارح عبادة كانت العبادة المفروضة باعتبار اللسان الذكر وقد علمت

من الفضول لكون قوله واعلموا انه لن يرضى عنكم الامر منكم نهيا عن رفع الاحكام الشرعية بالاجتهاد والقياس

اعظم من ابواب السلوک الی الله بل هو روح العبادات کلها اذ کل عبادة لم یشفع بالذکر فهی خداج ترتبه علی التقوی
تعالی فیها امر بکونها تسمی رضاه وطاعته من خلقه ولفظ الحاجة مستعار اذ تنزه قدسه تعالی عنها ووجه مشابهة
هو الحث والطلب المذکور منه حتی کانه محتاج الی عبادة العباد وتقواهم ولما استلزمت التقوی الحقیقیة الوصول الیه
لا جرم کانت تسمی رضاه من خلقه ثم امرهم بها بعد التنبیه علیها ونبه علی الوجوه التی لاجلها تحصل تقوی الله
وهی کونهم بعینه ای بحیث یعلم ما یعملون ولفظ العین مجاز فی العلم اطلاقا لاسم السبب علی المسبب لاستلزامها
وکون نواصیهم بیده ای فی قدرته وانما خص الناصیة اشارة الی ان اعظمیته للانسان واشرف ما فیه
فی القدرة اطلاقا لاسم السبب القابل علی المسبب وکذلک کون تقلبهم فی قبضته ای تصرفهم فی حرکاتهم وسکناتهم
تصریف قدرته وحکمه لا خروج عنه فی شیء وقوله ان اسررتم علمه کقوله تعالی یعلم ما تسرون وما تعلنون کیه الی قوله
بالطلا وقد سبقت الاشارة الی الکتبة ثم اکد القول فی التقوی بقوله واعلموا الی قوله من الفتن وهو لفظ
وقوله من الفتن تفسیر لقوله مخرجا ونورا من الظلم ای من ظلم الجهل بانوار العلوم الحاصلة عن الاستعداد بالتقوی
وقوله ویخلده فیما اشتهت نفسه کقوله تعالی وهم فیما اشتهت انفسهم خالدون ومنزل الکرامة هو المنزل المبارک
بطلبه فی قوله تعالی وقل رب انزلنی منزلا مبارکا وانت خیر المنزلین والدار التی اصطنعها لنفسه کنایة عن الجنة
نسبها الی نفسه تعظیما لها وترغیبا فیها وظاهر حسن تلک النسبة فان الجنة المحسوسة اشرف دار رتبت
المخلوقات وان المعقول فیعود الی درجات الوصول والاستغراق فی المعارف الالهیة التی بها السعادة والبهجة
التامة وهی جامع الاعتبار العقلی المنازل اولیاء الله وخاصته ومقامات ملائکته ورسله ومن التمار وقال
العظیم اذا صرف عنایته الی بناء دار کیفما هو وخاصته ان یقال انها تختص بالملک وانه بناها لنفسه وظاهر
یدل علی انها فی السموات وان العرش علیها وفی هذه الکلمة لطیفة وذلک انه ثبت ان العرش یطلق ویراد به الفلک
ویطلق ویراد به العقل الاول باعتبار احاطته علمه بجمیع الموجودات وباعتبار حمله لمعرفة صاحبه الاول
ویراد به سلطانه وعظمته واستعار لفظ الظل للعرش والمعنی الاول باعتبار ان حرکة الفلک من الاسباب المعدة
النفوس البشریة والفلکیة الی کمالها بالمعارف الالهیة التی بها الراحة الکبری من حرارة نار الجهل کما ان بالظل
یکون الراحة من حرارة الشمس وبالمعنی الثانی ایضا هو ان المعارف الالهیة الفائضة علی اسرار المستعدین
ذلک الملک المقدس یکون بها الراحة کما یکون بالظل ایضا وبالمعنی الثالث ان سلطانه تعالی وعلوه هو المستولی
علی کل سلطان والعالی علیه العلو المطلق واذ هو مبدء راحة النفوس بجمیع کمالاتها العقلیة ثم وظلها
البرد لطول الالاق لفظ الظل علی النعمة والسلطان فی العرف ظاهر یقال انا فی ظل فلان وفی ظل الملک وصدرک
فی نعمته وعنایته وقوله ونورها بهجته فبهجته تعالی هو جلالها به وجمال المشرق فی اقطار العالمین علی اسرار
وظاهر کونه نور الجنة الذی تعشی فیه ابصار البصائر ویستغرق فی الابتهاج به الملائکة المقربون وقوله وزوارها
ملائکته ورفقاؤها رسله فیه لطیفة وذلک انه لما کانت النفوس البشریة متی کانت متعلقة بالمنازل فی الکمال

لما ان الملک غیر عن الرسل بالرفقاء فی الجنة لسکانها ولما خالفت انواع الملائکة السماویة والمجردین عن علائق الاجسام
الحقائق وتفاوتت فی الکمالات لاجرم خص الملائکة بکونهم زوارها ای نزول ساکنیها اذ کان الرفیق الصق واقرب
الزائر وعبر بذلک الزوار عن حضور الملأ الاعلی عند النفوس الکاملة حین انقطاعها عن العلائق الحسیة والتفاتها
ولما کان ذلک الحضور غیر دائم بل بحسب فلتات النفس اشبه الزیادة فاستعیر له لفظها وانما کان الملک هو الزائر
دون النفس لان صورته وشاله هو الواصل الی النفس عند استعدادها للصور من فیض واهب الصور ثم عاد
الی التذکیر بامر فامر عبادته ای المعاجلة الی ما یصلح به ویخلص من اهوال من سائر القربات الی الله وکذلک
الآجال وقوله فان الناس یوشک ان ینقطع بهم الامل ای امل الدنیا والبقاء فیها فلاجل ذلک الانقطاع وقرب
یلتفت الی صلاح المعاد ویرهقهم الاجل ای یلحقهم فلاجل ذلک اللحوق یجب ان یسارع الی العمل لما بقی ویسد
باب التوبة بادراک الاجل فیجب مبادرتها وقوله فقد اصبحتم الی قوله قبلکم ای اصبحتم فی حال الحیاة والصحة
وسائر الاسباب التی تمنی من کان قبلکم الرجعة الیها ویمکنکم معها العمل وقوله وانتم بنو سبیل الی قوله بالزاد
فی انتم للحال واستعار لهم وصف بنو السبیل لکونهم فی هذه الدار بالعرض تقصد بهم العنایة الالهیة غایة
وتحثهم بالشریعة علی الرحیل عن الدنیا فهم فیها کالمسافرین ابواب مدینتهم جود الله واقرب الابواب الی
الدنیا الارحام التی منها یخرجون الیها وابواب الخروج منها هی الموت ولفظ السفر مستعار مشهور وقریب من الحقیقة
ان دار الابقی للانسان فیها بل یکون من اقل لطریق دار اخری لیست بدار فلذلک الی تلک الدار وبنیه علی ایذانهم
فیها بالرحیل منها تنفیرا عن الرکون الیها واتخاذها وطنا وعلی امرهم باتخاذ الزاد فیها تنبیها علی ان هناک غایة
ان یستعد للسلوک الیها فیها ولفظ الزاد مستعار لتقوی الله وطاعته التی هی زاد النفوس الی حضرة رب
العالمین وقوله واعلموا الی قوله نفوسکم تذکیر بالوعید علی المعاصی وامر لهم برحمة نفوسهم وذلک بالاعمال
الصالحة واتباع اوامر الله وقوله فانکم قد جربتموها الی قوله شیطان فی قوة احتجاج علی وجوب تلک الرحمة وتخصیصه
جربتم انفسکم فی هذه الامور الحقیرة فجزعتم وکل من جزع من امثال هذه فبالاولی ان یجزع من کونه بین طابقین من نار
ضجیع حجر وقرین شیطان وقد علمت فیما سلف ان للنار سبع طبقات وهی درکاتها وضجیع حجر من قوله تعالی وقودها
الناس والحجارة وقرین شیطان من قوله فکبکبوا فیها هم والغاوون وجنود ابلیس اجمعون وهم الشیاطین وقوله
ومن یعش عن ذکر الرحمن نقیض له شیطانا فهو له قرین الی قوله ولن ینفعکم الیوم اذ ظلمتم انکم فی العذاب مشترکون
وقوله اعلمتم ان مالکا الی قوله زجرته من صفات النار المحسوسة ذکرها للتخویف والتحذیر وقوله ایها الیفن الکبیر
قوله الشواهد خطاب الشیخ الکبیر لانه اولی بالاقلاع عن المعصیة لقربه من الآخرة وسوال عن حال الرسول التقریع وتوبیخ
المعصیة واطواق النار المحسوسة ظاهرة واطواقها المعقولة تمکن الهیآت البدنیة من اعناق النفوس واغلالها
ثم اخذ فی التحذیر من الله فی بقیة العمل بعد ان ضیعه حال الصحة والفسحة قبل لحوق ضدیهما ثم فی الامر بالسعی لغایة فکاک
رقابهم من النار قبل ان تغلق رهاینها باثامها وقد علمت وجه الاستعارة للرهن ههنا ثم فی الامر بالسهر وکونه عن قطع الليل

بالسعادة كقوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وانما خص الليل لانه مظنة الخلوة بالله والفراغ من الناس ولان النهار محل عبادة اخرى كالجهاد والكدح للعيال ثم بتضمير البطون وكنى به عن صيام النهار باستعمال اقدامهم كنى به عن القيام في الصلوة ثم بانفاق اموالهم وكنى به عن الصدقات والزكوات في سبيل الله ثم بالاخذ من اجسادهم وكنى به عن اذابتها بالصيام والقيام للصلوات وايثار التقشف المستلزم للاعراض عن تربية هذه الاجساد لا ذلك حب الدنيا والاقبال على لذاتها ولا شك ان الاخذ من الجسد بهذه العبادات تجود على النفس بملكات الخير من الله ولذلك قال تجودوا بها على انفسكم ولا تبخلوا بها وفي ذكران اتعاب الجسد جود على النفس ترغيب فيه ثم استشهد بالآيتين على وعد الله بالنصر لمن نصره ومضاعفة الاجر لمن قرضه بعد امره بنصر الله امتثال الاوامر وبقرضه بالصدقات ووجه استعارة لفظ القرض كون الاوامر الالهية الطالبة للصدقات فاشبهت طلب المحتاج المستقرض وفائدة هذا الاستشهاد الى قوله ايكم احسن عملا اعلامهم بانه الغني المطلق عن عباده فيما طلبه منهم من نصرة وقرض وبيان غاية العناية الالهية منهم بذلك وهو الابتلاء وقد علمت ابتلاء الله تعالى ثم رغب ثم اعاد الامر بالمبادرة الى الاعمال للآخرة لغاية الكون مع جيران الله في جنته مرافقين لرسله كما قال تعالى وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ومرافقة رسله كقوله تعالى اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وتزاورهم الملائكة كقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وتكرمة اسماعهم ان تسمع حسيس نار ابدا كقوله تعالى لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون وصيانة اجسادهم ان تلقى لغوبا ونصبا كقوله تعالى لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب وقوله ذلك فضل الله الآية اقتباس للآية ووجه الاقتباس ظاهر وقوله اقول الى آخره خاتمة الخطبة وفيها الاستعانة بالله على النفوس الامارة بالسوء في قهرها وعلى تطويعها للنفوس المطمئنة فانه نعم المعين ونعم الوكيل

ومن كلام له عليه السلام للبرج بن مسهر الطائي وقد قال بحيث يسمعه لا حكم الا لله وكان من الخوارج اسكت قبحك الله يا اثرم فوالله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلا شخصك خفيا صوتك حتى اذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن الماعز

اقول البرج بالباء المضمومة والجيم وقصد به الخروج عن الحق والاثرم ساقط الثنية والضئيل الصغير الحقير النحيف ونعر صاح ونجم طلع وكان البرج شاعرا مشهورا من شعراء الخوارج نادى بشعارهم بحيث يسمعه عليه السلام فزجره وقبحه ودعا بآفة اهانة له واستصغارا كما هو العادة في اهانة ذوي العاهات بذكر آفاتهم وكنى بضئولة شخصه عند ظهور الحق عن خموله في زمن العدل بين الجماعة وخمول ذكره وظهور الحق زمان قوة الاسلام وقبل ظهور الفتن وقوة الباطل وبخفاء صوته عن عدم الالتفات الى قوله وضعفه واستعار لفظ النعير لظهور الباطل ملاحظة لشبهه في قوته وظهوره بالرجل الشاغل الصائح بكلامه من جرأة وشجاعة وشبه ظهوره بين الناس وارتفاع ذكره عند ظهور الباطل وقوته بظهور قرن الماعز في السرعة اي طلع بلا شرف ولا شجاعة ولا قدم بل على غفلة كنبات قرن الماعز ووجه الملاعبة تشبيه من اراد اهانته بالمهين الحقير ونسبه

بان تعظيمه بما العظيم الخطير والله الموفق

ومن خطبة له عليه السلام روى ان صاحبا لامير المؤمنين عليه السلام يقال له همام كان رجلا عابدا فقال له يا امير المؤمنين صف لي المتقين حتى كاني انظر اليهم فتثاقل عن جوابه ثم قال عليه السلام يا همام اتق الله واحسن فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فلم يقنع همام بذلك حتى عزم عليه فحمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام اما بعد فان الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم آمنا من معصيتهم لانه لا تضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة من اطاعه فقسم بينهم معايشهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم اهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا ابصارهم عما حرم الله تعالى عليهم ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم نزلت انفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء ولولا الاجل الذي كتب الله لهم لم تستقر ارواحهم في اجسادهم طرفة عين شوقا الى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في انفسهم فصغر ما دونه في اعينهم فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وانفسهم عفيفة صبروا اياما قصيرة اعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ارادتهم الدنيا فلم يريدوها واسرتهم ففدوا انفسهم منها اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء القرآن يرتلونها ترتيلا يحزنون به انفسهم ويستثيرون به دواء دائهم فاذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعا وتطلعت نفوسهم اليها شوقا وظنوا انها نصب اعينهم واذا مروا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وظنوا ان زفير جهنم وشهيقها في اصول آذانهم فهم حانون على اوساطهم مفترشون لجباههم واكفهم وركبهم واطراف اقدامهم يطلبون الى الله تعالى في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء ابرار اتقياء قد براهم الخوف بري القداح ينظر اليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم امر عظيم لا يرضون من اعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير فهم لانفسهم متهمون ومن اعمالهم مشفقون اذا زكي احدهم خاف مما يقال له فيقول انا اعلم بنفسي من غيري وربي اعلم بي مني بنفسي اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون فمن علامة احدهم انك ترى له قوة في دين وحزما في لين وايمانا في يقين وحرصا في علم وقصدا في غنى وخشوعا في عبادة وتجملا في فاقة وصبرا في شدة وطلبا في حلال ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع يعمل الاعمال الصالحة وهو على وجل يمسي وهمه الشكر ويصبح فرحا حذرا لما حذر من الغفلة وفرحا بما اصاب من الفضل والرحمة ان استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب قرة عينه فيما لا يزول وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم والقول بالعمل تراه قريبا امله قليلا زلله خاشعا قلبه قانعة نفسه منزورا اكله سهلا امره حريزا دينه ميتة شهوته مكظوما غيظه الخير منه مأمول والشر منه مأمون ان كان في الغافلين كتب في الذاكرين وان كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل من قطعه بعيدا فحشه لينا قوله غائبا منكره حاضرا معروفه مقبلا خيره مدبرا شره في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب يعترف بالحق قبل ان يشهد عليه لا يضيع ما استحفظ ولا ينسى ما ذكر ولا ينابز بالالقاب

ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق ان صمت لم يغمه صمته وان ضحك لم يعل صوته
وان بغي عليه صبر حتى يكون الله تعالى هو الذي ينتقم له نفسه منه في عناء والناس منه في راحة اتعب نفسه لآخرته
واراح الناس من نفسه بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة ليس تباعده بكبر وعظمة
ولا دنوه بمكر وخديعة قال فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها فقال امير المؤمنين عليه السلام اما والله لقد كنت
اخافها عليه ثم قال هكذا تصنع المواعظ البالغة باهلها فقال له قائل فما بالك انت يا امير المؤمنين فقال ويحك ان
لكل اجل وقتا لا يعدوه وسببا لا يتجاوزه فمهلا لا تعد لمثلها فانما نفث الشيطان على لسانك اقول ومن هنا
اختلف نسخ النهج فكثير منها يكون هذه الخطبة فيها اول المجلد الثاني منه بعد الخطبة المسماة بالقاصعة ويكون عقيب
كلامه للبرج بن مسهر الطائي قوله ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
وكثير من النسخ يكون هذه الخطبة فيها متصلة بكلامه عليه السلام للبرج بن مسهر وتتلوها الخطبة فتكون
بعد قوله ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله ويتصل ذلك الى تمام الخطبة المسماة
بالقاصعة ثم يليه قوله باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام ورسائله وعليه جماعة من الشارحين كالامام
ابي الحسن الكيدري والفاضل عبد الحميد بن ابي الحديد ووافقتهم في هذا الترتيب لغلبة الظن باعتمادهم على النسخ
فاما تمام هذا فهو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن عوف الاصهب وكان من شيعة علي عليه السلام واوليائه ناسكا
عابدا وتثاقله عليه السلام عن جوابه لما راى من استعداد نفسه لاثر الموعظة وخوفه عليه ان يخرج به خوف الله الى انزعاج
وصعوقها ثم قوله فاتق الله اي في نفسه ان يصيبها فادح بسبب سؤاله واحسن اي احسن اليها بترك تكليفها فوق
طوقها ولذلك قال عليه السلام حين صعق همام اما والله لقد كنت اخافها عليه بحيث لم يقنع همام بالاجمال وعزم عليه
اي الح عليه في السؤال واقسم اجابه فان قلت كيف جاز منه عليه السلام ان يجيبه مع غلبة ظنه بهلاكه وهو كالطبيب
يعطي كلا من المرضى بحسب احتمال الطبيعة من الدواء قلت انه لم يكن يغلب على ظنه عليه السلام الا الصعقة عن الوجد الشديد
فاما ان تلك الصعقة فيها موته فلم يكن مظنونا له وانما قدم بيان كونه تعالى غنيا عن الخلق في طاعتهم وآمنا منهم في معصيتهم
لانه لما كانت اوامره تعالى باسرها واكثرها يعود الى الامر بتقواه وطاعته وكان اشرف ما يتقرب اليه البشر بالتقوى
في معرض صفة المتقين فربما خطر ببعض اوهام الجاهلين ان الله تعالى في تقواه وطاعته منفعة ولم في معصيته مضرة
فصدر الخطبة بتنزيهه تعالى عن الانتفاع والتضرر وقدم برهان ذلك ثم عقبه وقوله فقسم الى قوله مواضعهم تقرير
وتاكيد لكمال الغناء عنهم لانه اذا كان جوده هو مبدأ خلقهم وقسمة معايشهم ووضعهم من الدنيا في مراتبهم و
منازلهم من غني وفقير وشريف ووضيع فهو الغني المطلق عنهم واليه الاشارة بقوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ثم اخذ في غرض الخطبة وهو وصف المتقين فوصفهم بالو
الجمل فقال فالمتقون فيها هم اهل الفضائل اي الذين استجمعوا الفضائل المتعلقة باصلاح قوتي العلم والعمل ثم شرع
في تفصيل تلك الفضائل وذكر منها الاولى الصواب في القول وهو فضيلة العدل المتعلقة باللسان وحاصله ان لا يسكت

عما ينبغي

عما ينبغي ان يقال فيكون مفرطا ولا يقول ما ينبغي ان يسكت عنه فيكون مفرطا بل يضع كلا من الكلام في موضعه اللائق وهو اخص
من الصدق لان الانسان بما لا ينبغي من القول الثانية وملبسهم الاقتصاد وهو فضيلة العدل في الملبوس فلا يلبسون ما يلحقه با
المترفين ولا ما يلحقه باهل الخسة والدناءة مما يخرج به عن عرف الزاهدين في الدنيا الثالثة مشي التواضع ملكة تحت العفة
تعود الى العدل بين رذيلتي المهانة والكبر ومشي التواضع يعمهم الرابعة غض الابصار عما حرم الله وهو ثمرة العفة الخامسة
ووقفهم اسماعهم على سماع العلم النافع وهو فضيلة العدل في قوة السمع والعلوم النافعة ما هو كمال القوة النظرية
من العلم الالهي وما يناسبه وما هو كمال القوة العملية وهي الحكمة العملية كما هو مستوفى بابها السادسة نزول انفسهم منهم
في البلاء كالتي نزلت في الرخاء اي لا يقنطون من بلاء ينزل بهم ولا يبطرون برخاء يصيبهم بل مقامها في الحالين مقام الشكر والتي
صفة مصدر محذوف والضمير العائد اليه محذوف ايضا والتقدير نزلت كالنزول الذي نزلته في الرخاء ويحتمل
ان يكون المراد بالتي الذين فحذف النون كما في قوله تعالى كالذي خاضوا او يكون المقصود تشبيههم حال نزول انفسهم
منهم في البلاء بالذين نزلت انفسهم منهم في الرخاء والمعنى واحد السابعة غلبة الشوق الى ثواب الله والخوف من عقابه
على نفوسهم الى غاية ان ارواحهم لا تستقر في اجسادهم من ذلك لولا الاجال التي كتبت لهم وهذا الشوق والخوف الى
حد الملكة فانه يستلزم دوام الجد في العمل والاعراض عن الدنيا ومبدأهما تصور عظمة الخالق وبقدر ذلك يكون
تصور عظمة وعده ووعيده وبحسب قوة ذلك التصور يكون قوة الخوف والرجاء وبما بان عظم الخالق في الجنة
الثامنة عظم الخالق في انفسهم وذلك بحسب الجواذب الالهية الى الاستغراق في معرفته ومحبته وبحسب تفاوت
ذلك الاستغراق يكون تفاوت تصور العظمة وبحسب تصور عظمته تعالى يكون تصورهم لاصغرية ما دونه ونسبته
اليه في اعين بصائرهم وقوله فهم والجنة كمن قد رآها الى قوله معذبون اشارة الى ان العارف وان كان في الدنيا بجسده
فهو شاهد بعين بصيرته لاحوال الجنة وسعادتها واحوال النار وشقاوتها فكالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم فتنعموا
فيها وكالذين شاهدوا النار وعذبوا فيها وهي مرتبة عين اليقين فبحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة وشدة
خوفهم من النار التاسعة حزن قلوبهم وذلك ثمرة الخوف الغالب العاشرة كونهم مامونى الشرور وذلك ان مبدأ الشرور
محبة الدنيا واباطيلها والعارفون بمعزل عن ذلك الحادية عشر نحافة اجسادهم ومبدأ ذلك كثرة الصيام والسهر
وخشونة المطعم وخشونة الملبس وهجر الملاذ الدنيوية الثانية عشر خفة حاجتهم وذلك لاقتصارهم من حوائج
الدنيا على القدر الضروري من ملبس ومأكل ولا اخف من هذه الحاجة الثالثة عشر عفة انفسهم وملكة العفة فضيلة القوة
الشهوية وهي الوسط بين رذيلتي خمود الشهوة والفجور الرابعة عشر الصبر على المكاره ايام حيوتهم من ترك الملاذ
واحتمال الاذى للخلق وقد عرفت ان الصبر مقاومة النفس الامارة بالسوء لئلا تنقاد الى قبائح اللذات واما ذكر ثمرة الصبر
واستعقابه الراحة الطويلة ترغيبا فيه وتلك الراحة هي السعادة في الجنة كما قال تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا
الاية وقوله تجارة مربحة واستعار لفظ التجارة لاعمالهم الصالحة وامتثال اوامر الله ووجه المشابهة كونهم
متعوضين بمتاع الدنيا وحركاتهم في العبادة متاع الآخرة ورشح بلفظ الربح لافضلية متاع الآخرة وزيادته في النفا

على ما ذكره وظاهر ان ذلك بتيسير الله لاسبابه واعداده لها بالجواذب الالهية الخامسة عشر عدم ارادتهم الدنيا
وارادتها لهم وهو اشارة الى الزهد الحقيقى وهو ملكة تحت العفة وكون ارادتها لهم عن كونهم اهلا لان يكونوا لها
رؤساء واشرافا كقضاة ووزراء ونحو ذلك وكونها بمعرض ان تصل اليهم لو ارادوها وتحصل لمن يريدها من اهل الدنيا
فحذف المضاف السادسة عشر افداء انفسهم منها وهو اشارة الى من تركها وزهد فيها بعد الانهماك
والاستمتاع بها ففك بذلك الترك والاعراض والتمرن على طاعة الله اغلال الهيآت الرديئة الملتصقة بها عن نفسه
ولفظ الاسر استعارة فى تمكن تلك الهيآت من نفوسهم ولفظ الفدية استعارة لتبديل ذلك الاستمتاع بها والاعراض
عنها والمواظبة على طاعة الله وانما عطف بالواو فى قوله ولم يريدوها وبالفاء فى قوله لان زهد الانسان فى الدنيا
كما يكون متاخرا عن ابتدائها عليه كذلك قد يكون متقدما عليه لقوله صلى الله عليه وآله ومن جعل الاخرة اكبر
همه واتته الدنيا وهى راغمة فلم يحسن العطف هنا بالفاء واما الفدية فلما لم يكن الا بعد الاسر لا جرم عطفها
بالفاء السابعة عشر كونهم صافين اقدامهم بالليل يتلون القرآن ويرتلونه الى قوله آذانهم وذلك اشارة الى تطويع نفوسهم
الامارة بالسوء بالعبادات وشرح لكيفية استمدادهم للقرآن العزيز فى تلاوته وغاية ترتيلهم له تفهيمهم مقاصده
وتحزينهم لانفسهم به عند ذكر الوعيدات من جملة استثارتهم لادواء دائهم ولما كان داؤهم هو الجهل وسائر رذائل
العملية كان دواء الجهل بالعلم ودواء كل رذيلة الحصول على الفضيلة المضادة فهم بتلاوة القرآن يستثيرون بالتحزين
الخوف من وعيد الله المضاد للانهماك فى الدنيا ودواؤه والعلم الذى هو دواء الجهل وكذلك كل فضيلة حث القرآن
عليها فهى دواء لما يضادها من الرذائل وباقى الكلام شرح الكيفية التحزين والتشويق وقوله فهم حانون على اوساطهم
ذكر لكيفية ركوعهم وقوله مفترشون لجباههم الى قوله اقدامهم اشارة الى كيفية سجودهم وذكر الاعظم السبعة
يطلبون الى قوله رقابهم اشارة الى غايتهم من عبادتهم تلك الثامنة عشر من صفات النهار كونهم حكماء والحكمة
الشرعية وما فيها من كمال القوة العلمية والعملية لكونها المتعارفة بين الصحابة والتابعين وكونهم حلماء والحلم
فضيلة تحت ملكة الشجاعة هى الوسط بين رذيلتى المهانة والافراط فى الغضب وانما خص الليل بالصلوة لكونه
اولى بها من النهار كما سبق التاسعة عشر كونهم علماء واراد كمال القوة النظرية وهو معرفة الصانع وصفاته العشرون
كونهم ابرارا والبر يعود الى العفيف لمقابلة الفاجر الحادية والعشرون كونهم اتقياء والمراد بالتقوى ههنا الخوف
من الله وقد مر ذكر العفة والخوف وانما كررها ههنا فى تعداد صفاتهم بالنهار وذكرها هناك فى صفاتهم المطلقة
وقد براهم الخوف الى قوله عظيم شرح لفعل الخوف الغالب بهم وانما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة
للبدن به عن النظر فى صلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والغاذية عن اداء بدل ما يتحلل وشبه برى الخوف لهم
ببرى القداح ووجه التشبيه شدة النحافة ويتبع ذلك تغير السحنات والضعف عن الانفعالات النفسانية
من الخوف والحزن حتى يحسبهم الناظر مرضى وان لم يكن بهم مرض ويقول قد خولطوا وذلك اشارة الى ما يعرض لبعض
العارفين عند اتصال نفسه بالملأ الاعلى واشتغالها عن تدبير البدن وضبط حركاته ان يتكلم بكلام خارج عن المتعارف

مستشنع

مستشنع من اهل الشريعة الظاهرة فينسب ذلك منه الى الاختلاط والجنون تارة والى الكفر والخروج عن الدين كما نقل
عن الحسين بن منصور الحلاج وغيره وقوله ولقد خالطهم امر عظيم وهو اشتغال اسرارهم بملاحظة جلال الله ومطالعة
انوار الملأ الاعلى الثانية والعشرون كونهم لا يرضون القليل الى قوله الكبير وذلك لتصورهم شرف غايتهم المقصودة
باعمالهم وقوله فهم لانفسهم متهمون الى قوله مالا يعلمون فتهمتهم لانفسهم وخوفهم من اعمالهم يعود الى شكهم فيما
يحكم به اوهامهم من حسن عبادتهم وكونها مقبولة او واقعة على الوجه المطلوب للوصل الى الله تعالى فان هذا الوهم يكون
مبدأ للعجب بالعبادة والتقاصر عن الازدياد من العمل والتشكك فى ذلك وتهمة النفس بانقيادها فى ذلك الحكم للامارة
يستلزم خوفها ان يكون تلك الاعمال قاصرة عن الوجه المطلوب وغير واقعة عليه وذلك باعث على العمل وكاسر للعجب
وقد عرفت ان العجب من المهلكات كما قال عليه السلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكذلك
خوفهم من تزكية الناس لهم هو الدواء لما ينشأ عن تلك التزكية من الكبر والعجب بما يزكون به فيكون جواب احدهم عند
تزكيته انا اعلم بنفسى من غيرى الى آخره ثم شرع بعد ذلك فى علاماتهم التى يحملها يعرف احدهم والصفات السابقة وان
كثير منها مما يخص احدهم ويعرف به الا ان بعضها قد يدخله الرياء فلا يدل على التقوى الحقة فجمعها هاهنا ونسقها اولها
القوة فى الدين وذلك ان يقاوم فى دينه الوسواس الخناس ولا يدخل فيه خداع الناس وهذا انما يكون فى الدين العلم اليقين
الحزم فى الامور الدنيوية والدينية والتثبت فيها ممزوجا باللين الخلق وعدم الغضاضة عليهم كما فى المثل لا تكن حلوا فتسترط
ولا مرا فتلفظ وهو فضيلة العدل فى المعاملة مع الخلق وقد علمت ان اللين قد يكون للتواضع المطلوب وهو المقارن
للحزم فى الدين ومصالح النفس والثانى رذيلة ولا يمكن معه الحزم لانفعال المهين عن كل جاذب الثالثة الايمان فى يقين
فلما كان الايمان عبارة عن التصديق بالصانع وما وردت به الشريعة وكان ذلك التصديق قابلا للشدة والضعف فتارة
يكون عن التقليد وهو الاعتقاد المطابق لا لموجب وتارة يكون عن العلم وهو الاعتقاد المطابق لموجب هو الدليل
وتارة عن العلم به مع العلم بانه لا يكون الا كذلك وهو علم اليقين ومحققو السالكين لا يقفون عند هذه المرتبة
بل يطلبون عين اليقين بالمشاهدة بعد طرح حجب الدنيا والاعراض عنها اراد ان علمهم علم يقين لا يتطرق اليه احتمال
الرابعة الحرص فى العلم والازدياد منه الخامسة مزج العلم وهو فضيلة القوة الملكية بالحلم وهو من فضائل القوة
السبعية السادسة القصد فى الغنى وهو فضيلة العدل فى استعمال متاع الدنيا وحذف الفضول عن قدر الضرورة
السابعة الخشوع فى العبادة وهو من ثمرة الفكر فى جلال المعبود وملاحظة عظمته الذى هو روح العبادة الثامنة
التجمل فى الفاقة وذلك بترك الشكوى الى الخلق والطلب منهم واظهار الغنى عنهم وينشأ عن القناعة والرضاء بالقضاء
وعلو الهمة ويعين على ذلك ملاحظة الوعد الآجل وما اعد للمتقين التاسعة وكذلك الصبر فى الشدة العاشرة الطلب فى
الحلال وينشأ عن العفة الحادية عشر النشاط فى الهدى وسلوك سبيل الله وينشأ عن قوة الاعتقاد فيما وعد المعول
وتصور شرف الغاية الثانية عشر عمل الصالحات على وجل من ان يكون على غير الوجه اللائق ولا يقبل كما روى عن زين
العابدين عليه السلم انه كان فى التلبية وهو على راحلته فخر مغشيا عليه فلما افاق قيل له فى ذلك فقال خشيت ان يقول لى

وقهرها ومراقبته اياها والناس من اذاه فى راحة لذلك الثانية والخمسون كون بعده عمن تباعد عنه لزهده فيما
فى ايدى الناس ونزاهته عنه لا عن كبر وتعظم عليهم وكذلك دنوه ممن دنا منه عن لين ورحمة منه لهم لا بمكر
وخديعة لهم من بعض المطالب كما هو عادة الخبيث المكار وهذه الصفات والعلامات قد يدخل بعضها فى بعض
وترد بعبارة اخرى او تذكر مفردة ثم تكون ثانيا مركبة مع غيرها وبالجملة فهذه الخطبة من جليل خطبه وبليغ
ولذلك فعلت بهمام ما فعلت فاما جوابه عليه السلم لمن سأله بقوله ويحك ان لكل اجل وقتا لا يعدوه
اى ينتهى اليه ويكون غاية له لا يجاوزها ولا يتاخر عنها والضمير فى يعدوه للاجل وسببا لا يتجاوزه اى ولذلك
الاجل سبب اى علة فاعلة لا يتعداها الى غيرها من الاسباب فمنها ما يكون موعظة بالغة كهذه فهو جواب
مقنع للسامع مع انه حق وصدق وهو اشارة الى السبب الابعد لبقائه عليه السلم عند سماع المواعظ البالغة
وهو الاجل المحكوم به للقضاء الالهى واما السبب القريب للفرق بينه وبين همام ونحوه فقوة نفسه القدسية
على قبول الواردات الالهية وتعوده بها وبلوغ رياضته حد السكينة عند ورود اكثرها وضعف نفس همام
عما ورد عليه من خوف الله ورجائه ولم يجب عليه السلم بمثل هذا الجواب لاستلزامه تفضيل نفسه او نقص
فهم السائل والتعبير عنه بكونه من نفثات الشيطان لوضعه له فى غير موضعه وهو من آثار الشيطان وبالله
العصمة والتوفيق ومن خطبة له عليه السلم يصف فيها المنافقين نحمده على ما وفق له من الطاعة وذاد
عنه من المعصية ونسأله لمنته تماما ولحبله اعتصاما ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله
خاض الى رضوان الله تعالى كل غمرة وتجرع فيه كل غصة وقد تلون له الادنون وتألب عليه الاقصون وخلعت
اليه العرب اعنتها وضربت الى محاربته بطون رواحلها حتى انزلت بساحته عداوتها من ابعد الدار
واسحق المزار اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم اهل النفاق فانهم الضالون المضلون والزالون المزلون
يتلونون الوانا ويفتنون افتنانا ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم بكل مرصاد قلوبهم دوية وصفاحهم نقية
يمشون الخفاء ويدبون الضراء وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء حسدة الرخاء ومؤكدو
البلاء ومقنطو الرجاء لهم بكل طريق صريع والى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع يتقارضون الثناء ويتراقبون
الجزاء ان سألوا الحفوا وان عذلوا كشفوا وان حكموا اسرفوا قد اعدوا لكل حق باطلا ولكل قائم مائلا ولكل
حى قاتلا ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا يتوصلون الى الطمع باليأس ليقيموا به اسواقهم وينفقوا
به اعلاقهم يقولون فيشبهون ويصفون فيموهون قد هيأوا الطريق واضلعوا المضيق فهم لمة الشيطان
وحمة النيران اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون اقول ذادت طردت والغمرة من كل شىء
معظمه واسحق المزار ابعده والسحق بضم السين البعد وكذلك بضم الحاء ويعمدونكم يهدونكم ويقدحون فيكم
والعماد الامر الفادح ويرصدونكم يقعدون لكم المراصد ينتظرونكم والضراء ما واراك من الشجر الملتف
الاستقصاء فى السؤال والترح الحزن والاعلاق جمع علق وهى السلعة الثمينة والتمويه التزيين والتلبيس

واضلعوا

واضلعوا المضيق اضلاعها الى حيث جوه وامالوه وهو ضلع اى مائل وضلع بفتح اللام اى معوج خلقة واللمة بالتخفيف الجماعة
وحمة النيران بالتشديد معظم حرها وبالتخفيف سم العقرب وقد حمد الله تعالى باعتبارين وبما التوفيق لطاعته
التى هى سبب الفوز الاكبر والطرد عن معصيته التى هى سبب الخسران الاخسر وذلك الذود بما اباه من النواهى
المعاصى وعده الاعداد لها والكل منه سبحانه ثم سأل الدائم من النعم لما شكر من النعمة نظرا الى قوله تعالى ولئن شكرتم
لازيدنكم والاعتصام بحبله المتين وهو الدين القويم العاصم لمن تمسك به عن الهوى فى مهاوى الهلاك
الجحيم واردف ذلك بشهادة الرسالة وشرح حال المرسل صلى الله عليه وآله فى اداء رسالته واستعار لفظ الغمرة
لمعظم الشرور والمكاره المتكاثفة المجتمعة حين بعثته صلى الله عليه وآله ملاحظا لشبهها بغمرة الماء ورشح بذكر
الخوض وكنى به عن مقاساته للمتاعب الكثيرة وملاقاته للنوائب من المشركين فى بدو دعوته وكنى بالغصص عن
الهموم له من ملاقاة تلك المكاره وكنى بتلون الادنين له عن تغير قلوب اقربائه عليه حين دعوته وبتألب
الاقصين عليه اجتماع الاباعد عنه من العرب وانضمامهم من اقصى البلاد الى حربه وقوله وخلعت العرب الى قوله رواحلها
مثلان كنى بهما عن المسارعة الى حربه لان اقوى عدو الخيل اذا خلعت اعنتها واقوى عدو الرواحل اذا ضربت
بطونها وفيه ايماء الى انهم اتوه فرسانا وركبانا متسرعين الى حربه وقوله حتى انزلت بساحته عداوتها اى
حروبها وشرورها التى هى ثمرة العداوة واطلق لفظ العداوة على الحرب مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب
ومن طالع كتب السير علم ما لاقى رسول الله صلى الله عليه وآله فى ذات الله سبحانه من المشاق كاستهزاء قريش به
فى اول الدعوة ورميهم اياه بالحجارة حتى ادموا عقبيه وصياح الصبيان به وفرث الكرش على راسه وفتلهم الثوب
فى عنقه وحصره هو واهله فى شعب بنى هاشم سنين عدة محرمة معاملتهم ومبايعتهم ومناكحتهم وكلامهم حتى
كادوا يهلكون جوعا لولا بعض من كان يحنو عليهم لرحم او لسبب آخر فكان يسرق لهم القليل من الدقيق او التمر
فيلقيه اليهم ثم تعرضهم لاصحابه وتعذيبهم بالجوع والوثاق فى الشمس وطردهم اياهم عن شعاب مكة
حتى خرج بعضهم الى الحبشة وخرج هو عليه السلم مستجيرا منهم تارة بثقيف وتارة ببنى عامر وتارة
بربيعة الفرس وغيرهم ثم اجمعوا على قتله والفتك به ليلا حتى هرب منهم لائذا بالاوس والخزرج تاركا
اولاده واهله ناجيا بحشاشة نفسه حتى وصل الى المدينة فناصبوه الحرب ورموه بالكتائب وضربوا
اليه آباط الابل حتى اكرمه الله تعالى ونصره وايد دينه واظهره ثم عقب عليه السلم بالوصية بتقوى الله
والتحذير من المنافقين وتعديد مذامهم ليعرفوا فيجتنبوا ويحصل النفار عنهم فانهم الضالون اى المنحرفون
عن سبيل الله لعدم الاهتداء اليها المضلون لغيرهم عنها بالشبهات الباطلة وكذلك الزالون المزلون
تلونهم الوانا عن تغيرهم فى اقوالهم وافعالهم من حال الى حال بحسب اغراضهم الفاسدة فيلقون كل احد بوجه
ولسان غير الآخر وكذلك تفننهم اى تشعب اقوالهم وحالاتهم بحسب تشعب اغراضهم واراد بعمدهم لهم قصدهم
بكل مكروه على وجه الحيلة والخديعة وبرصدهم لهم بكل مرصاد تتبع وجوه الحيل فى هلاكهم واذاهم ويكون قلوبهم

لا تلهيك ولا يستعبدك الثالث عشر ان يكون همهم عند المساء الشكر على ما رزقوا بالنهار وما لم يرزقوا او يصبحوا وهمهم الذكر لله
فيرزقهم من الكمالات النفسانية والبدنية كما قال تعالى فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون الرابعة عشر ان
يبيت حزينا ويصبح فرحا وقوله حزنا الى قوله الرحمة تفسير للحزن وما به الفرح وليس مقصوده تخصيص البيات بالحزن
والصباح بالفرح بل يكون كما يقول احدنا يمسي فلان ويصبح حزينا او فرحا وكذلك تخصيصه الشكر بالمساء والذكر بالصباح
يحتمل ان لا يكون مقصودا الخامسة عشر قوله ان استصعبت الى قوله تحب اشارة الى مقاومته لنفسه الامارة
عند استصعابها عليه وقهره لها على ما تكره وعدم مطاوعته لها في ميولها الطبيعية ومحابها السادسة عشر ان
قرة عينه فيما لا يزول اى من الكمالات النفسانية الباقية كالعلم والحكمة ومكارم الاخلاق المستلزمة للذات الباقية
والسعادة الدائمة وقرة عينه كناية عن لذته وابتهاجه لاستلزامها القرار العين وبردها برؤية المطلوب وزهادته
فيما لا يبقى من متاع الدنيا السابعة عشر ان يمزج العلم بالحلم فلا يجهل ولا يطيش والقول بالعمل فلا يقول ما لا يفعل
يامر بمعروف ويقف دونه ولا ينهى عن منكر ثم يفعله ولا يعد فيخلف فيدخل في مقت الله كما قال تعالى كبر مقتا عند الله
ان تقولوا ما لا تفعلون الثامنة عشر قصرا امله وقريبا وذلك لكثرة ذكر الموت والوصول الى الله التاسع عشر
قليلا زلله وقد عرفت ان زلل العارفين يكون من باب ترك الاولى لان صدور الخيرات عنهم صار ملكة وطريق الزلل
فيهم الى الزلل والخطيئات نادرة يكون لضرورة منهم او سهو ولا شك في قلته العشرون خشوع قلبه عن عظمة
المعبود وجلاله الحادية والعشرون قانعة نفسه ويتبع عن ملاحظة حكمة الله في قدرته وقسمته الارزاق بين
عليها تصور فوائد الحاضرة وعاقبتها في الاخرة الثانية والعشرون قليلة اكله وذلك لما يتصور في البطنة من
الفطنة وزوال الرقة وحدوث القسوة والكسل عن العمل الثالثة والعشرون سهولة امره اى لا يتكلف لاحد ولا
يكلف احدا الرابعة والعشرون حريزة دينه فلا يهمل شيئا ولا يطرق اليه خللا الخامسة والعشرون ميتة
شهوته ولفظ الموت مستعار لخمود شهوته عما حرم عليه وعوده الى العفة السادسة والعشرون كظم غيظه وهو
من فضائل القوة الغضبية السابعة والعشرون كون مأمول الخير وذلك لكثرة خيريته مأمون الشر وذلك
لعلم الخلق بعدم صدوره للشر الثامنة والعشرون قوله ان كان من الغافلين ~~اى ان رآه الناس في عداد الغافلين~~
اى ان رآه الناس في عداد الغافلين عن ذكر الله لتركه الذكر باللسان كتب عند الله من الذاكرين لاشتغال قلبه
بالذكر وان ذكر بلسانه وان كان من الذاكرين بلسانه بينهم فظاهر انه لا يكتب من الغافلين ولكون ذكر الله تعالى مفتاح
وهو باب عظيم من ابواب الجنة والاتصال بجناب الله وقد اشرنا الى فضيلته واسراره التاسعة والعشرون عفوه
عمن ظلمه والعفو فضيلة تحت الشجاعة وخص من ظلمه لتحقق عفوه مع قوة الداعي الى الانتقام الثلاثون ان يعطي
من حرمه وهي فضيلة تحت الشجاعة الحادي والثلاثون وصل من قطعه والمواصلة فضيلة تحت العفة الثانية والثلثون
بعد فحشه واراد بعد الفحش عنه انه قلما يخرج في اقواله الى ما لا ينبغي الثالثة والثلثون لين في القول عند محاورة
الناس ووعظهم ومعاملتهم وهو من اجزاء التواضع الرابعة والثلثون غيبة منكره وحضور معروفه وذلك في

حدود

حدود الله الخامسة والثلثون اقبال الخير وادبار شره وهو كقوله الخير منه مأمول والشر منه مأمون ويحتمل ان اقبال
خيره اخذه في الازدياد من الطاعة وتشميره فيها ويقصد ذلك يكون ادباره عن الشر لان من استقبل امرا او
سعى فيه بعد عما يضاده وادبر عنه السادسة والثلثون وقاره في الزلازل وكنى بها عن الامور العظام والفتن
الكبار المستلزمة لاضطراب القلوب واحوال الناس والوقار ملكة تحت الشجاعة السابعة والثلثون كثير صبره
في المكاره وذلك عن ثباته وعلو همته عن احوال الدنيا الثامنة والثلثون كثير شكره في الرخاء وذلك لمحبة المنعم
الاول جلت قدرته فيزداد شكره في رخائه وان قل التاسعة والثلثون كونه لا يحيف على من يبغض وهو سلب
الحيف والظلم مع قيام الداعي اليهما وهو البغض لمن يتمكن من حيفه وظلمه الاربعون كونه لا يأثم فيمن يحب
وهو سلب لرذيلة الفجور عنه باتباع الهوى فيمن يحب اما باعطائه ما لا يستحق او دفع ما يستحق عليه
عنه كما يفعله قضاة السوء وامراء الجور فالمتقي لا يأثم بشيء من ذلك مع قيام الداعي اليه وهو المحبة لمن
يحبه بل يكون على فضيلة العدل في الكل على السواء الحادية والاربعون اعترافه بالحق قبل ان يشهد عليه
لتحرزه في دينه من الكذب اذ الشهادة انما يحتاج اليها مع انكار الحق وذلك كذب الثانية والاربعون كونه لا
يضيع امانته ولا يفرط فيما استحفظه الله من دينه وكتابه وذلك لورعه ولزوم حدود الله الثالثة والاربعون
ولا ينسى ما ذكر من آيات الله وعبره وامثاله ولا يترك العمل بها وذلك لمداومة ملاحظتها وكثرة اخطارها
بالبال والعمل بها الغاية المطلوبة منه الرابعة والاربعون ولا ينابز بالالقاب وذلك لملاحظة النهي والذكر الحكيم
ولا تنابزوا بالالقاب ولسر ذلك النهي وهو كون ذلك مستلزما لاثارة الفتن والتباغض بين الناس والفرقة
المضادة لمطلوب الشارع الخامسة والاربعون ولا يضار بالجار لملاحظة وصية الله تعالى به والجار ذي
القربى والجار الجنب ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله في المرفوع اليه اوصاني ربي بالجار حتى ظننت انه
يورثه ولغاية ذلك وهي الالفة والاتحاد في الدين السادسة والاربعون لا يشمت بالمصائب وذلك لعلمه
باسرار القدر وملاحظته لاسباب المصائب وانه في معرض ان تصيبه فيتصورها في نفسه فلا
يفرح بنزولها على غيره السابعة والاربعون انه لا يدخل في الباطل ولا يخرج عن الحق اى لا يدخل فيما يبعد عن
الله تعالى من باطل الدنيا ولا يخرج عما يقرب اليه من مطالبه الحقة وذلك لتصور شرف غايته الثامنة
والاربعون كونه لا يغمه صمته لو صمته كلا من الصمت والكلام في موضعه وانما يستلزم الغم الصمت عما
ينبغي من القول وهو صمت في غير موضعه التاسعة والاربعون كونه لا يعلو ضحكه وذلك لغلبة ذكر الموت
وما بعده على قلبه ومما نقل من صفات الرسول صلى الله عليه وآله كان اكثر ضحكه التبسم وقد يفتر احيانا
ولم يكن من اهل القهقهة والكركرة وهما كيفيتان للضحك الخمسون صبره في البغي عليه الى غاية انتقام الله له
وذلك منه نظر الى ثمرة الصبر والى الوعد الكريم ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله
الآية وقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين الحادية والخمسون كون نفسه منه في عناء اى نفسه الامارة بالسوء لمقاومته

ودبيب وصفاحهم بقيه اشتمال نفوسهم على الداء العضال من الحسد والحقد والمكر والخديعة واعمال الحيلة مع
اظهار البشاشة والصداقة والمحبة والنصيحة لهم وهذا هو الضابط فى النفاق وهو ان يظهر الانسان خلاف ما
اسر احسنًا محمودًا ويبطن خلافه واراد بصفاحهم وجوههم وبنقائها سلامتها عن شر ظاهر وقوله يمشون الخفاء
كناية عن كون حركاتهم القولية والفعلية فيما يريدون فى خفية عن افهام الناس وكذلك قوله ويدبون الضراء
والخفاء والضراء منصوبان على الظرف وهما مثلان لمن يختل غيره ويخدعه وقوله وصفهم دواء الى قوله
العياء اى اقوالهم اقوال الزاهدين العابدين من الموعظة والامر بالتقوى وطاعة الله الذى هو دواء الغى
والضلال وشفاء منهما وافعالهم افعال الفاسقين الضالين من معصية الله التى هى الداء الاكبر والعياء المعيى
للاطباء وقوله حسدة الرخاء اى ان راوا الامر فى رخاء حسدوه ومؤكدوا البلاء اى ان وقع امر بلاء اكدوه بالاستعانة
والتاليب عليه وقوله ومولدوا وهو ظاهر ومقنطوا الرجاء اى اذا رجا راج امرا فمن طباعهم ان يقنطوه
ويؤيسوه منه وهكذا شان المنافق الكذاب ان يبعد القريب البعيد وقوله لهم بكل طريق صريع كناية عن كثرة
من يقتلونه او يؤذونه بخديعتهم ومكرهم وكنى بالطريق اما عن كل مقصد قصدوه او عن كل حيلة احتالوها
ومكر مكروه فانه لا يخلو ان يستلزم اذى وقوله والى كل قلب شفيع اى ان من شان المنافق ان يجد الى كل قلب
وجها غير الاخر فيكون صديق الكل حتى المتعادين ليتوصل بذلك الى اثارة الفتن وايقاع الشر بينهم وهو
فى نفس الامر عدو الكل وكذلك لهم لكل شجو دموع كناية عن توجعهم لكل شجو وتوصلهم بذلك الى
وان كان اهل الشجو اعداء وقوله يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء اى يثنى احدهم على الاخر ليثنى الاخر عليه
ويترقب كل منهم الجزاء من صاحبه على ثنائه وقوله ان سالوا الحفوا اى الحوا فى السؤال وهو من المذام كما
قال لا يسالون الناس الحافا وقوله وان عذلوا كشفوا اى اذا عذل احدهم كشف لك عيوبك فى ذلك
العذل وجبهك بها وبما ذكرها بحضرة من لا تحب ذكرها معه وليسوا كالناصحين الذين يعرضون بالذم
عند العتاب تعريضا لطيفا دون التصريح واذا حكموا اسرفوا اى اذا ولى احدهم ولاية اسرف فيها بالظلم
والانهماك فى ماكله ومشربه وبهجة ثياب الدنيا الى حد الافراط من فضيلة العدل وذلك لجهله بالعواقب
وتصوره ان لا غاية اشرف مما هو فيه وقد اعدوا لكل حق باطلا اى من الشبه يموهون عليه ويعطون بها
ولكل حى قاتلا اى سببا يميتونه به والحى لهم من الانسان هنا بل كل امر يحيى ويقوم اذا اراد وافساده ولكل
باب مفتاحا من الحيل والخديعة ولفظ المفتاح مستعار ولكل ليل مصباحا ولفظ الليل مستعار لما
اشكل من الامور واظلم وكذلك لفظ المصباح للراى الذى يدخلون به فى ذلك الامر ويهتدون الى وجهه
كراى عمرو بن العاص على معوية ليلة الهرير برفع المصاحف ودعوتهم اهل العراق ان يحاكموهم الى كتاب الله
بكى بذلك المشكل الاذلك الراى الصعب ويتوصلون الى الطمع باليأس اى باظهار اليأس عما فى ايدى الناس
والزهد فيه كما يفعله كثير من زهاد الوقت وصفهم باخذ الشئ بضده ابلغ مما يكون فى وصف النفاق والحيلة

ليقيموا به اسواقهم استعار لفظ الاسواق لاحوالهم فى معاملة الخلق من اخذ واعطاء فان عملهم ذلك يقيم بها
الناس ويروجها عليهم وكذلك ينفقوا به اعلاقهم ولفظ الاعلاق مستعار لما يزعمون انه نفيس من آرائهم و
حركاتهم الخارجة عن اوامر الله وقوله يقولون الى قوله يموهون اى يموهون باقوالهم الشبه فى القلوب ويموهون
عليهم الباطل بصورة الحق وقوله قد هيئوا الطريق اى قد عرفوا كيف يسلكون فى مقاصدهم من الاراء والحيل و
اى عوجوا مضايقها وكنى بمضايقها عن دقائق المداخل فى الامور وبتعويجها عن انهم اذا ارادوا الدخول فى
امر ضيقوا ظهوره وانهم يريدون صرعة على الغير وتكييسا ان يقف على وجه الحيلة فيفسد مقصودهم وقوله
فهم لمة الشيطان اى جماعته واتباعه وحمة النيران مستعار لعظم شرورهم ووجه المشابهة استلزامهما الاذى
البالغ وكذلك حمة بالتخفيف ومن خطبة له عليه السّلم الحمد لله الذى اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه
ما حير مقل العقول من عجائب قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته واشهد ان لا اله الا
الله شهادة ايمان وايقان واخلاص واذعان واشهد ان محمدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ارسله واعلام
الهدى دارسة ومناهج الدين طامسة فصدع بالحق ونصح للخلق وهدى الى الرشد وامر بالقصد صلوات الله
وسلامه عليه اعلموا عباد الله انه لم يخلقكم عبثا ولم يرسلكم هملا علم مبلغ نعمه عليكم واحصى احسانه اليكم
واستفتحوه واستنجحوه واطلبوا اليه واستمنحوه فما قطعكم عنه حجاب ولا اغلق عنكم دونه باب وانه
لبكل مكان وفى كل حين واوان ومع كل انس وجان لا يثلمه العطاء ولا ينقصه الحباء ولا يستنفده
سائل ولا يستقصيه نائل ولا يلويه شخص عن شخص ولا يلهيه صوت عن صوت ولا تحجزه هبة عن سلب ولا يشغله
غضب عن رحمة ولا توله رحمة عن عقاب ولا يجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون قرب فنأى وعلا فدنا و
ظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن لم يذرأ الخلق باحتيال ولا استعان بهم لكلال اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها
الزمام والقوام فتمسكوا بوثائقها واعتصموا بحقائقها تؤل بكم الى اكنان الدعة واوطان السعة ومعاقل الحرز و
منازل العز فى يوم تشخص فيه الابصار وتظلم له الاقطار وتعطل فيه صروم العشار وينفخ فى الصور فتزهق كل مهجة
وتبكم كل لهجة وتذل الشم الشوامخ والصم الرواسخ فيصير صلدها سرابا رقرقا ومعهدها قاعا سملقا فلا شفيع يشفع ولا حميم
ينفع ولا معذرة تدفع اقول مقل العين شحمتها والهمهمة حديث النفس مع صوت خفى لا يفهم والطامسة كالدارسة
والحباء النوال وذرأ خلق والمعقل الملجأ والصروم جمع صرم وصرمة وهى القطعة من الابل نحو الثلثين والعشار
النوق التى عليها بعد طروق الفحل عشرة اشهر والشم الشوامخ الجبال العالية ومعهدها ما كان مسكونا منها
والسملق الصفصف المستوى ليس بعضه ارفع من بعض وقد حمد الله تعالى باعتبار اظهاره من آثار ملكه
وسلطانه ما اظهر من ملكوت السموات والارض وترتيب العالمين على وجه النظام الاتم ما هو محل التحير العجيب الذى
حيرت ابصار البصائر فى كيفية وقوعه من القدرة الالهية وفى ترتيبه على النظام الاكمل بل كل مخلوق منها فهو محل ذلك
التحير ولفظ المقل مستعار ونسبه ذلك الى جلال كبريائه مناسب لما ان السلطان والعظمة والكبرياء اسباب
للاثار العظيمة العجيبة المحكمة وردع خطرات هماهم النفوس اى ما يخطر للنفوس فتهمهم به ووجه ذلك استلزام

كمال المطلق عجزها عن ادراك حقيقته قد سبق ذلك غير مرة ثم شهد بكلمة التوحيد معتبرا فيها اربعة امور احدها كونها
شهادة ايمان اى يطابق القول فيها المعتقد القلبى الثانى وايقان اى يكون اعتقادها يقينيا وهو اعتقاد ان لا اله الا هو
مع اعتقاد ان لا اله الا هو مع اعتقاد انه لا يمكن ان يكون ذلك المعتقد الا كذلك الثالث واخلاص وهو ان يجرد
عن ذلك المعتقد كل امر عن درجة الاعتبار ولا يلاحظ معه غيره الرابع واذعان والاذعان ثمرة ذلك الاخلاص وكماله
ويتفاوت بتفاوته ويعود الى سائر الطاعات والعبادات التى هى حقوق تلك الكلمة وتوابعها ثم اردفها باخبتها
وذكر الاحوال التى كان العالم عليها حين الرسالة مما هى شرور ونبّها على فضيلة الرسول صلى الله عليه واستعار
اعلام الهدى لائمة الدين الهادى الى سبيل الله ولفظ المناهج لقوانين الشريعة التى تسلك فيها جزئيات الاحكام
ولفظ دروسها وطموسها لانمحاء الهاقيل النبوة والوافى واعلام الحال فصدع بما جاء به من الحق مالسلب من الباطل
ونصح الخلق ليردهم عن غوايتهم الى صراط الله وهداهم الى الرشد فى سلوكه وامرهم بالعدل والاستقامة عليه ثم نبّه
السامعين اجمالا على ان خلق الله تعالى لهم ليس خاليا عن غاية وانهم لم يسلوا فى الدنيا مهملين عن امر يراد بهم كما تهمل
البهيمة ثم على علمه بمبلغ نعمه عليهم كمية وكيفية واحصائها لها عددا ليعتهم على شكرها ولذلك قال فاستفتحوه
اى اطلبوا منه ان يفتح عليكم ابواب بركاته ونصره واستنجحوه اى اطلبوا منه نجاح حاجاتكم واطلبوا اليه اى
الهداية الى حضرته ووجوه مرضاته واستمنحوه ان يعطيكم كمالكم كل ذلك بالشكر وسائر العبادات التى بها الاستعداد
لافاضة رحمته وقوله فما يقطعكم عنه حجاب الى قوله كلاله الظهار لوجوه كماله وعظمته وتنزيهه عن صفات
المخلوقين المحدثين وتقريب له من عباده ليطلبوا منه واليه ويستنجحوه ويستمنحوه وسمع اما لحجبه منه فلم
يكن تعالى متحيزا فلا حجاب دونه ولا باب وكان بكل مكان فى حال واحدة اى بعلمه المحيط لاستحالة التحيز
وفى كل حين واوان بمعنى مساوقة وجوده لوجود الزمان لا بمعنى الظرفية لتنزهه تعالى عن لحوق الزمان
المتاخر عنه بمراتب من المعلولات ومع كل انس وجان بعلمه وهو معكم اينما كنتم وقوله لا يثلمه العطاء الى
قوله بل فاستقصاه السائل لبلوغ الجواد منه اقصى مقدوره وبرهان تلك الاحكام ان الثلم والنقصان
والاستنفاد والاستقصاء على المقدور يستلزم النهاية والحاجة المستلزمين للامكان ولا شى من واجب الوجود بممكن
وكل من لحقته هذه الاحوال ممكن فواجب الوجود لا تلحقه هذه الاحوال وكذلك قوله ولا يلويه شخص عن شخص
اى لا يصرفه الى قوله عقاب ورحمة برهان هذه الاحكام ان الصرف واللهو يستلزمان الغفلة عن امر والغفلة نوع
بعد الغفلة عنه وكذلك حجز الهبة ومنعها الحاصل من سلب نعمة اخرى وشغل الغضب له عن الرحمة يستلزمان قصور
القدرة وضعفها او تعلقها بمحل جسمانى وذلك مستلزم للنقصان المستلزم للحاجة والامكان المبرا قدس الله عنه
عنه وكذلك تولية الرحمة عن العقاب يستلزم رقة الطبع ورحمة النفوس البشرية المستلزمة لعوارض الجسم
وجلال الله منزه عنها وقوله ولا تجنه البطون عن الظهور يحتمل وجهين لا يحجبه بطون حقيقته عن العقول
وخفاؤه عن العيون عن ظهوره للبصائر فى صور آثاره وملكوت قدرته الثانى انه ليس فى شى حتى يخفى فيمنع الظهور

عن الظهور على الاشياء والاطلاع عليها ولا يقطعه الظهور عن البطون اى لا يقطعه كونه ظاهرا وعالما بالامور الظاهرة
عن ان يكون باطنا لا يطلع العقل عليه او عن علمه ببواطن الامور وحقائقها وقوله قرب اى بعلمه وقدرته من الاشياء
قرب العلة من معلولها فبان اى بعد بحقيقته عن ادراك العقول والحواس وقوله وعلا فدنا علوه شرفه بالنسبة
الى اثاره شرف العلة على المعلول ودنوه منها قربه وقوله وظهر فبطن وبطن فعلن تاكيد لما قبله وقد سبق بيانه غير مرة
وقوله لم يذرأ الخلق باحتيال الى قوله كلال تنزيه لايجاده لاثاره عن استخراج الحيل واجالة وجوه الاراء فى
استخراجها ثم عن الاستعانة بغيره فى شى من آثاره ثم عن مبدأ الاستعانة وهو الكلال والاعياء لاستلزام ذلك
تناهى القوة المستلزم للجسمية واذ قدم تنزيه الحق سبحانه عما لا ينبغى له ووصفه بما ينبغى له شرع فى الوصية بتقوى الله ثم
فى التنبيه على فضائلها واستعار لفظ الزمام لها باعتبار كونها قائدة للعبد الى طريق الحق ومانعة له عن الجور الى
طرف الباطل كالزمام للناقة واراد بكونها قوام العبد فى سلوك سبيل الله ايضا اقامة للمصدر مقام اسم
الفاعل وقوله فتمسكوا بوثائقها اى بما يربو ثوقها وهو سائر انواع العبادات التى هى اجزاؤها والتمسك بها
الى لزومها والمواظبة عليها واعتصموا بحقائقها اى بالخالص منها دون المشوب بالرياء والنفاق فان الالتجاء
خالصها هو المخلص من عذاب الله وقوله تؤل بكم الجزم تؤول لكونه جواب الامر بالتمسك والاعتصام وكنى بالاكنان الدعة
مواطن الراحة من الالام الحسية والعقلية وهى غرفات الجنة ومنازلها واوطان السعة ايضا من ضيق الالام
وضنك بيوت النيران وهى معاقل الحرز المانعة من عذاب الله وهى منازل العز فى جوار الله وقوله فى يوم تتعلق
بتؤل واليوم يوم القيمة وسائر ما عدده من صفات ذلك اليوم مما نطق به الكتاب الكريم كقوله تعالى انما يؤخرهم ليوم
تشخص فيه الابصار وقوله واذا العشار عطلت وقوله ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض
وقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا الاية وقوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم
وقوله فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم فهذه بعض اهوال القيمة المحسوسة واما المعقولة فقال بعض
السالكين ان الانسان اذا حضرته الوفاة شخص بصر عقله الى ما انكشف له من الاطوار الاخروية وزهقت
نفسه وانبتت الدواعى وبكت لحمة وذلت شوامخ الجبال ورواسيها فى نظره لعظمة الله عند مشاهدة كبريائه
فيصير لا نسبة لها فى نظره الى ما شاهده من عظيم ملكوته فكانها اضمحلت وغابت وصارت فى نظره الى ما شاهده
كالسراب المترقرق الذى لا اصل له بعدما كان يراها عليه من العلو والعظمة وكذلك ينقطع نظره عن عالم الارض
والجسمانيات عند التوجه الى عالم الملكوت وكذلك يرى ما كان معهودا منها كالقاع الصفصف المستوى
سلطان الله وقهره وحينئذ ينقطع عن الشفيع الشافع والصديق الدافع والعذر النافع وبالله التوفيق ومن
خطبة له عليه السلم بعثه حين لا علم قائم ولا منار ساطع ولا منهج واضح اوصيكم عباد الله بتقوى الله واحذركم
الدنيا فانها دار شخوص ومحلة تنغيص ساكنها ظاعن وقاطنها بائن تميد باهلها ميدان السفينة تصفقها
العواصف فى لجج البحار فمنهم الغرق الوبق ومنهم الناجى على متون الامواج تحفزه الرياح باذيالها وتحمله على اهوالها فما غرق منها

فلما كان نهارهم

الكتاب م

وانجلت عنه اقطار الدنيا وغاب عنها ما كان يشاهده وتعطلت عنه عشاره وناداه داعى الاجل الى الاخرة

الوبق م

فليس بمستدرك وما اتيانها الا الى مهلك. اقول: الساطع المرتفع والموبق المهالك واللدب الناعم والارهاق الالحاق وقد ذكر
البعثة حين ظهور الاحوال التي كان العالم عليها ايضا اتيتها على ضلها وفضيلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقوله
لا علم قائم استعار لفظ العلم والمنار للهداة الى الله الداعين اليه وعدم قيامه وسطوعه لعدمهم زمان الفترة وقوله
ولا منهج واضح اي لا طريق الى الله خالص عن شوب الاباطيل ثم عقب بالوصية بتقوى الله ثم بالتحذير من الدنيا
وقربها بذكر عيوبها التنفير عنها وكونها دار شخوص اشارة الى ضرورة الارتحال عنها بالموت ومحلة تنغيص اي
لذاتها بالالام والامراض حتى قيل ان اللذة فيها انما هي الخلاص عن الالم وقوله ساكنها ظاعن وقاطنها باين كما
تقول دار شخوص وقوله تميد باهلها الى قوله بهالك ضرب لها وللاحوال اهلها فيها مثلها بالسفينة عند عصف
الريح ومثل تصرفاتها وتغيراتها بميدان السفينة ورميهم فيها بالامراض والحوادث التي هي مظنة الهلاك بالاحوال
التي تلحق اهل السفينة عند هبوب الريح العاصف حال كونها في لجج البحار ومثل انقسامهم عند بعض تلك
الحوادث ورجوعها بهم الى ميت بها لا يرجى له عودة ولا يستدرك له فارطة بانقسام ركاب السفينة
عند عصف الريح عليها الى غريق هالك والى ناج ومثل الناجي من بعض الامراض الذي تاخر موته الى
مرض آخر فلاقى في اهوال الدنيا في تلك المدة ما لاقى ثم لحقه الموت بالاخرة بالناجي من الغرق الذي تحمله الامواج و
الرياح ويقاسي اهوال البحر وشدائده ثم بعد خلاصه منه لا بد له من وقت هو اجله ومرض هو المهلك الى محل
هلاكه ثم امر بالعمل وذكر الاحوال التي يمكن فيها ومعها العمل تنبيها على انتهاز الفرصة وتلك الاحوال صحة الا
وامكان ذكر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وساير التكاليف المتعلقة بها وكذلك صحة الابدان ولدونة
الاعضاء ومطاوعتها للعمل قبل يبسها بالسقم والامراض وفسح المنقلب وهو محل التصرف والتقلب وكنى
عن وقت الصحة والشبيبة وتقرب منه عرض المجال وذكر ارهاق الاجل وحلول الموت تحذيرا منه وجذبا
الى العمل لما بعده ثم امرهم ان يحققوا نزوله قبل نزوله اي يتذكروه ويخطروا ببالهم حتى يعدوه واسرع
ليكون اكد في العمل ولذلك قال صلى الله عليه اكثروا من ذكر هادم اللذات ونهاهم عن انتظارهم له توهم بعده
عنهم وذلك يوقعهم في التكاسل عن العمل وبالله العصمة. ومن خطبة له عليه السلام ولقد علم المستحفظون
من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله اني لم ارد على الله تعالى ولا على رسوله صلى الله عليه وآله ساعة قط ولقد
واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الابطال وتتاخر الاقدام نجدة اكرمني الله تعالى بها ولقد قبض رسول
الله صلى الله عليه وآله وان راسه لعلى صدري ولقد سالت نفسه في كفي فامررتها على وجهي ولقد وليت غسله
صلى الله عليه والملائكة اعواني فضجت الدار والافنية ملأ يهبط وملأ يعرج وما فارقت سمعي هينمة منهم
يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه فمن ذا احق به مني حيا وميتا فانفذوا على بصائركم ولتصدق نياتكم في جهاد
عدوكم فوالذي لا اله الا هو اني لعلى جادة الحق وانهم لعلى مزلة الباطل اقول ما تسمعون واستغفر الله لي ولكم. اقول
الهينمة صوت خفي يسمع ولا يفهم وحاصل الفصل التنبيه على فضيلته لغاية قبول قوله فيما يامرهم به فذكر منها امور

لم يرد على الله ولا على رسوله في وقت قط فيما اصدره من الامر بهما واستشهد على ذلك بما علمه منه المستحفظون من الصحابة
وهم العلماء واهل الدين الذين استحفظوا كتاب الله ودينه اي جعلوا حفظة له واودعوا اياه قال بعض الشارحين وفيه
ايماء الى ما كان يفعله بعض الصحابة من التسرع بالقول والاعتراض على الرسول صلى الله عليه في مواضع كما نقل عن عمر يوم
الحديبية عند سطر كتاب الصلح انه انكر ذلك وقال لرسول الله السنا على الحق قال بلى قال اوليسوا الكاذبين قال
بلى قال فكيف نعطي الدنية في ديننا فقال صلى الله عليه وآله انما اعمل بما اومر به فقام عمر فقال لقوم من الصحابة الم يكن
قد وعدنا بدخول مكة وها نحن قد صددنا عنها ثم ننصرف بعد ان اعطينا الدنية في ديننا والله لو وجدت اعوانا
لما اعطيت الدنية ابدا فقال له ابو بكر ويحك الزم غرزه فوالله انه لرسول الله وان الله لا يضيعه ثم قال له اقال
لك انه سيدخل مكة هذا العام فقال لا قال فسيدخلها فلما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة واخذ مفاتيح الكعبة دعاه
فقال هذا الذي وعدتم به ومنها مواساته للرسول صلى الله عليه بنفسه وهو مما اختص به عليه السلام وذلك في مواطن منها
ثبت معه يوم احد وفر الناس روى المحدثون ان رسول الله صلى الله عليه لما ارتث يوم احد ونادى الناس قتل
محمد رأته كتيبة من المشركين وهو صريع بين القتلى الا انه حي فصمدت له فقال لعلي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها
وقتل رئيسها ثم صمدت له اخرى فقال يا علي اكفني هذه فحمل عليها فهزمها وقتل رئيسها ثم صمدت له ثالثة فكذلك وهو
كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك يقول قال لي جبرئيل حينئذ يا محمد هذه المواساة فقلت وما يمنعه
مني وانا منه فقال جبرئيل وانا منكما وروى المحدثون ايضا ان المسلمين سمعوا ذلك اليوم هاتفا من قبل السماء
ينادي لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي فقال الرسول الا تسمعون هذا صوت جبرئيل وكذلك ثبت معه يوم
حنين في نفر يسير من بني هاشم بعد ان ولى المسلمون الادبار وحامى عنه وقتل قوما من هوازن بين يديه حتى ثاب
اليه الانصار وانهزمت هوازن وغنموا اموالها واما يوم خيبر فقصته مشهورة وذلك قوله ولقد واسيته الى قوله
الاقدام وقوله نجدة اكرمني الله بها فالنجدة فضيلة تحت الشجاعة وقد يعبر بها عن الشجاعة ومنها حاله عند ما قبض رسول
الله صلى الله عليه وآله من تولي امره ومباشرة ما يختص به من الاحوال حالة وفاته من وضع راسه على صدره وقيل اراد به
ان راسه كان حينئذ على ركبته وعلى ذلك يكون في صدره عند اكبابه عليه والاشبه انه اراد نفسه حين اشتداد
موته ثم سيلان نفسه في كفه وامراره على وجهه واراد بنفسه دمه فقال ان رسول الله صلى الله عليه قاء وقت موته دما
يسيرا وان عليا عليه السلام مسح بذلك الدم وجهه ولا ينافي ذلك نجاسة الدم لجواز ان يخص دم الرسول صلى الله عليه
وآله كما روي ان ابا طيبة الحجام شرب دمه صلى الله عليه حين حجمه فقال له اذن لا يبجع بطنك وكذلك غسله بمعاونة
الملائكة وكان هو الذي يغسله والفضل بن عباس يصب الماء عليه وروي انه عصب عيني الفضل حين صب
الماء وقال عنه صلى الله عليه وآله انه قال لا يبصر احد عورتي غيرك الا عمي وروي انه عليه السلام ما قلب منه عضوا الا
لا اجد له ثقلا كان معي من يساعدني عليه وما ذلك الا الملائكة وحيا وميتا منصوبان على الحال من الضمير المجرور في
واما دفنه فتنازع الصحابة في انه يلحد او يضرح له فارسل العباس الى ابي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لاهل مكة ويضرح لهم على

وقلة العشب فكانها تضرع اليه بالعجيج لكون الانسان اولى بذلك الفزع اليه وعلمه بمعاصي العباد في الخلوات تنفيرا عنها
في الخلوة التي هي مظنتها واختلاف النينان بالمجيء والذهاب وقطع البحار طولا وعرضا ثم عقب بشهادة الرسالة ثم
بالوصية بتقوى الله وقرنها باعتبارات من صفاته تعالى توجب الفزع اليه وهي كونه سبحانه مبدا لخلقهم ومنتهى
لمعادهم الحسي والعقلي كقوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون وقد نبهنا عليه مرارا وان به نجاح طلباتهم
واليه منتهى رغباتهم نحو مقصدهم وسلوكهم فانه تعالى غاية الكل واليه مرامي مفزعهم يقال الى فلان مرمى قصدي
اي اليه مفزعي في المهمات ونحوه قوله تعالى واذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم باعتبارات من صفات التقوى
توجب الفزع اليها ا وهي كونها دواء داء قلوبكم وقد عرفت كونها دواء لادواء الرذائل النفسانية الموبقة
ب وبصر عمى افئدتكم اي ابصار افئدتكم من عمى الجهل ج وشفاء مرض اجسادكم وذلك ان التقوى تستلزم
قلة الاكل والشرب واستعمالها بقدر الحاجة كما قال في صفات المتقين منزورا اكله وقد علمت ما تحدث
البطنة من الامراض البدنية ولذلك قال عليه السلام المعدة بيت الادواء د صلاح فساد صدوركم اي الغل
والحسد والخبث والنيات المخالفة لاوامر الله فان التقوى تستلزم نفي ذلك كله وصلاح الصدور منه
لان مبادي تلك الشرور كلها محبة الدنيا وباطلها والمتقون بمعزل عن ذلك ه وكذلك طهور دنس انفسكم
اي من نجاسات الرذائل المهلكة وهو كقوله دواء داء قلوبكم لكن اعتبار كونها دواء يخالف اعتبار كونها
طهورا اذ في الاول ملاحظة كون الرذائل امراضا تؤدي الى الهلاك السرمدي وفي الثاني اعتبار كونها نجاسة
تمنع من دخول حظيرة القدس ومقعد الصدق و وجلاء عشا ابصاركم وفيه استعارة لفظ العشا
لما يعرض عن ظلمة الجهل وساير الرذائل من عدم ادراك الحقائق ويروى عشا بالعين المعجمة وهو الظلمة
المتوهمة من الجهل التي هي حجاب الغفلة وبهذا الاعتبار ففي التقوى جلاء لتلك الظلمة لما تستلزمه من
اعداد النفس للكمال وكونها نفسها هي الجلاء مجاز اطلاقا لاسم المسبب على السبب ز وامن فزع جاشكم
اذ قد علمت ان بها الامان من عذاب الآخرة وقد يكون بها الامان من فزع الدنيا لان اكثر مخاوف الدنيا
الموت وما يؤدي اليه والمتقون العارفون بمعزل عن تقية الموت بل عساه يكون محبوبا لهم لكونه
وسيلة لهم الى اللقاء الخاص لمحبوبهم الاقصى والاشارة بقوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم
اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين دلت الاية على ان الصادق في دعوى الولاية
يتمنى الموت وكذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت
ان كنتم صادقين ح وضياء سواد ظلمتكم واستعار لفظ الظلمة للجهل وتغطيته للقلب ورشح بذكر السواد
وهو كقوله وجلاء عشا ابصاركم وداعي ... الغرائز كلها المتضادة ثم اكد الوصية بطاعة الله تعالى بامور
احدها ان يجعلوها شعارهم وكنى بذلك عن ملازمتهم لها كما يلزم الشعار الجسد ثم عن كونها في الباطن دون الظاهر
لعله قائمة وهو المشار اليه بقوله دون دثاركم الثاني امرهم بابطانها باتخاذها خلاف الشعار لا سكان

بها دون الشعار المحسوس ثم فسر ذلك فقال ولطيفا بين اضلاعكم وكنى بلطفها عن اعتقادها وتعقلها وكونها
بين اضلاعهم عن ايداعها القلوب الثالث ان يجعلوها اميرا واستعار لها لفظ الامير باعتبار ذكرا منهم لها
وتقديمها على ساير مهماتهم الرابع ان يجعلوها منهلا لحين ورودهم اي يوم القيمة واستعار لفظ المنهل لها
ووجه المشابهة ان التقوى والطاعة لله مظنة الري من شراب الابرار يوم القيمة كما ان موارد الابل
مظنة ريها الخامس ان يجعلوها شفيعا الى الله ووسيلة الى مطالبهم منه وظاهر كون المطيع يستعد بطاعته
لدرك بغيته من الله تعالى ولفظ الشفيع مستعار للوسيلة والقرينة السادس وجنة ليوم فزعهم وظاهر كون
الطاعة ساترا يوم القيمة من الفزع الاكبر من عذاب الله السابع ومصابيح لبطون قبوركم وقد عرفت كيفية
اعداد الطاعة لقبول النفس الانوار العلوية والاسرار الالهية المخلصة من ظلمة القبور والعذاب الاخروي
وفي الخبر ان العمل الصالح يضيء قبر صاحبه كما يضيء المصباح الظلمة واستعار لها لفظ المصابيح لاستلزام
الانارة الثامن وكذلك سكنا لطول الوحشة في القبور فتستانس به النفوس كما روي ان العمل الصالح
الفاضل يراه صاحبه بعد الموت في صورة شاب حسن الصورة والثياب طيب الريح فيسلم عليه فيقول له من انت
فيقول انا خلقك الحسن او عملك الحسن وحاصله يعود الى كون الطاعة سببا للاستيناس من وحشة الآخرة
وذلك ان الوحشة انما تعرض في المكان لمن كان غافلا عنه وغير متوقع له ولا متهيئ للانتقال اليه ومطمئن
بوطنه الاول وباهله وجاعل لهم كل الانس فاما اهل الطاعة فانهم ابدا متفكرون فيما ينتقلون اليه و
لذا يانسون بانس ربهم ويلتفتون اليه فانسهم ابدا وفرحهم دائما بلقائه ولاعتقادهم في الدنيا انهم لاهلها
بابدانهم مجاورون فهم منهم يهربون والى العزلة ينقطعون فبالحري لا تعرض لهم وحشة وان يكون اعمالهم
سببا لعدم الوحشة التي عساها تعرض لهم وحشة وان يكون اعمالهم ولما كان الانسان في الدنيا لا يتصور
ما بعد الموت بالحقيقة لا جرم لا بد له من وحشة ما الا ان الانوار الالهية والانس بالرفيق الاعلى مزيل لها
التاسع وكذلك ونفسا لكرب مواطنكم اي سعة وروحا لما يعرض من كرب منازل الآخرة واهوالها العاشر
كونها حرزا من متالف مكتنفة وتلك المتالف هي الرذائل الموبقة التي هي محال الهلاك والتلف واكتنافها
احاطتها بالنفس بحيث لا يكفها الا طاعة الله وسلوك سبيله والمخاوف المتوقعة مخاوف الآخرة وحر نيرانها
الحادي عشر كون التقوى مستلزمة لبعد الشدائد عن المتقي بعد دنوها منه وكثيرا ما يعبر بالتقوى عن الطاعة
كانت اخص في المواضع اما في بعد شدائد الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلان المتقين هم اسلم الناس من شرور
الناس لبعدهم عن مخالطتهم ومجاذباتهم لمتاع الدنيا وبغضهم لها اذ كانت محبتها والحرص عليها منبعا لجميع الشرور
والشدائد الثاني عشر كونها مستلزمة لحلاوة الامور بعد مرارتها اما امور الآخرة فكالتكاليف الواردة عليهم
لها بالعبادات وظاهر انها عند المتقين احلى والذ من كل شيء بعد مرارتها في ذوقهم في مبدا سلوكهم وثقلها
عليهم وعلى غيرهم من الجاهلين واما المر من امور الدنيا فكالفقر والعري والجوع وكل ذلك شعار المتقين وهو

وادخل الى ابو طلحة الانصارى وكان يلحد لاهل المدينة على عادتهم فقال اللهم اختر لنبيك فجاء ابو طلحة فلحد له
فيمن يدخل القبر معه فقال على عليه السلم لا ينزل معه احد غيرى وغير العباس ثم اذن فى نزول الفضل واسامة بن زيد ثم
ضج الانصار وسالوا ان ينزل منهم رجل فانزلوا اوس بن خولى وكان بدريا وقد يعبر بالضريح عن القبر فيكون اعم من الشق
واللحد فاما ضجيج الدار والافنية باصوات الملائكة فملاء يهبط منهم ~~وملائكة ملاء يهبط منهم~~ وملاء يصعد بحيث
لا يفارق هينمتهم سمعه فى حال الصلاة عليه الى ان واراه فى ضريحه فقد عرفت كيفية سماع البشر لاصوات
الملائكة فى مقدمات الكتاب وكذلك صلاتهم يعود الى وساطتهم فى افاضة الرحمة من الله تعالى على النبى
وكذلك علمت معنى الصعود والهبوط منهم فيما سبق واعلم ان حمل الكلام على ظاهره عند الامكان اولى من
التعسف فى التاويل وذكره لهذه الفضيلة بهذه المقامات يجرى مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول
استدل به على انه لا احق منه به وتقدير كبراه وكل من كان كذلك معه صلى الله عليه وآله فهو احق به وحينئذ
يتبين انه لا احق به منه واراد انه لا احق بالمنزلة والقرب منه فى حياته بالاخوة والوزارة وبعد موته بالوصية والخلافة
اذ لا يريد انه احق بذاته فيحق ان يريد كونه احق به فى المنزلة ولا امر بعده ثم عقب ذكر فضيلته بامرهم ان ينفذوا
فى جهاد عدوهم على بصائرهم اى عقائدهم انهم على الحق وان عدوهم على الباطل واكد تلك العقائد بالقسم البار
فيما امرهم به على طريق الحق وان خصومهم على مزلة الباطل وذكر الجادة للموحد باليد والمزلة للباطل تنفيرا عنه
ولان الباطل لا طريق واضحة له يعلم من او برهان صدق كما عليه طريق الحق وباقى الكلام خاتمة الخطبة وبالله التوفيق

ومن خطبة له عليه السلم يعلم عجيج الوحوش فى الفلوات ومعاصى العباد فى الخلوات واختلاف النينان فى البحار
الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات واشهد ان محمدا صلى الله عليه وآله نجيب الله تعالى وسفير
وحيه ورسول رحمته اما بعد فانى اوصيكم بتقوى الله الذى ابتدا خلقكم واليه يكون معادكم وبه نجاح
طلبتكم واليه منتهى رغبتكم ونحوه قصد سبيلكم واليه مرامى مفزعكم فان تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر
عمى افئدتكم وشفاء مرض اجسادكم وصلاح فساد صدوركم [وطهور دنس انفسكم وجلاء عشا ابصاركم] وامن فزع جاشكم وضياء سواد ظلمتكم فاجعلوا
طاعة الله تعالى شعارا دون دثاركم ودخيلا دون شعاركم ولطيفا بين اضلاعكم واميرا فوق اموركم ومنهلا لحين ورودكم
وشفيعا لدرك طلبتكم وجنة ليوم فزعكم ومصابيح لبطون قبوركم وسكنا لطول وحشتكم ونفسا لكرب مواطنكم
فان طاعة الله تعالى حرز من متالف مكتنفة ومخاوف متوقعة واوار نيران موقدة فمن اخذ بالتقوى عزبت عنه
الشدائد بعد دنوها واحلولت له الامور بعد مرارتها وانفرجت عنه الامواج بعد تراكمها واسهلت له الصعاب
بعد انصابها وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها وتفجرت عليه النعم بعد
نضوبها ووبلت عليه البركة بعد ارذاذها فاتقوا الله الذى نفعكم بموعظته ووعظكم برسالته وامتن عليكم
بنعمته فعبدوا انفسكم لعبادته واخرجوا اليه من حق طاعته ثم ان هذا الاسلام دين الله تعالى الذى اصطفاه
لنفسه واصطنعه على عينه واصفاه خيرة خلقه واقام دعائمه على محبته اذل الاديان بعزه ووضع الملل [برفعه]

واهان اعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم اركان الضلالة بركنه وسقى من عطش من حياضه واتاق
الحياض بمواتحه ثم جعله لا انفصام لعروته ولا فك لحلقته ولا انهدام لاساسه ولا زوال لدعائمه ولا جذ لفروعه
ولا ضنك لطرقه ولا وعوثة لسهولته ولا سواد لوضحه ولا عوج لانتصابه ولا عصل فى عوده ولا وعث لفجه
ولا انطفاء لمصابيحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ فى الحق اسناخها وثبت لها اساسها وينابيع غزرت
عيونها ومصابيح شبت نيرانها ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها ومناهل روى بها ورادها
جعل الله فيه منتهى رضوانه وذروة دعائمه وسنام طاعته فهو عند الله وثيق الاركان رفيع البنيان منير
البرهان مضىء النيران عزيز السلطان مشرف المنار معوذ المثار فشرفوه واتبعوه وادوا اليه حقه وضعوه
مواضعه ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع
واظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت باهلها على ساق وخشن منها مهاد وازف منها قياد فى انقطاع من مدتها
واقتراب من اشراطها وتصرم من اهلها وانفصام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من اعلامها وتكشف
من عوراتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغا لرسالته وكرامة لامته وربيعا لاهل زمانه ورفعة لاعوانه
وشرفا لانصاره ثم انزل عليه الكتاب نورا لا تطفا مصابيحه وسراجا لا يخبو توقده وبحرا [لا يدرك قعره ومنهاجا لا يضل نهجه وشعاعا لا يظلم ضوؤه وفرقانا صح] لا يخمد برهانه وتبيانا
لا تهدم اركانه وشفاء لا تخشى اسقامه وعزا لا تهزم انصاره وحقا لا تخذل اعوانه فهو معدن الايمان وبحبوحته
وينابيع العلم وبحوره ورياض العدل وغدرانه واثافى الاسلام وبنيانه واودية الحق وغيطانه وبحر لا ينزفه
المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ومناهل لا يغيضها الواردون ومنازل لا يضل نهجها المسافرون
واعلام لا يعمى عنها السائرون وآكام لا يجوز عنها القاصدون جعله الله تعالى ريا لعطش العلماء وربيعا
لقلوب الفقهاء ومحاج لطرق الصلحاء ودواء ليس بعده داء ونورا ليس معه ظلمة وحبلا وثيقا عروته و
معقلا منيعا ذروته وعزا لمن تولاه وسلما لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذرا لمن انتحله وبرهانا لمن
تكلم به وشاهدا لمن خاصم به وفلجا لمن حاج به وحاملا لمن حمله ومطية لمن اعمله وآية لمن توسم وجنة
لمن استلام وعلما لمن وعى وحديثا لمن روى وحكما لمن قضى **اقول** العجيج رفع الصوت والنينان جمع نون
وهو الحوت والجاش القلب والاوار حر النار او الشمس عزبت غابت وانصابها اتعابها وتحدبت عطفت
وحنت والرذاذ ضعيف المطر وعبده ذلله والجادة المشتاق واتاق الحياض ملاها والمواتح المستقون و
الوعوثة كون فى السهولة توجب صعوبة المشى كما فى الرمل والوضح البياض والعوج بالفتح فيما له ساق ينتصب
كالنخلة وبالكسر فيما ليس كذلك كالطريق والعصل الاعوجاج وساخ غاص السنخ الاصل وازف دنا
القياد حبلها والغيطان المواضع المطمئنة من الارض والمحاج جمع محجة وهى جادة الطريق والمعقل الملجا
والفلج الفوز والمتوسم المتفرس واستلام لبس لامة الحرب وهى الدرع وصدر الفصل تنبيه على احاطة علمه
تعالى بجزئيات الموجودات على اختلافها وكثرتها وتباينها بعجيج الوحوش على انه تعالى يعلمها حين تجار البرارى

احلى فى نفوسهم وآثر من كل شعار وان كان مرا فى ذوقهم فى مبداء السلوك وقبل وصولهم الى ثمرات التقوى
الثالث عشر وانفراج الامواج عنه بعد تراكمها واستعار لفظ الامواج للهيآت البدنية الردية وملكات
السوء التى اذا تكاثفت وتوالت على النفس اغرقتها فى غمار عذاب الله وظاهر كون لزوم التقوى سببا لنفع
باستعداد النفوس بمحوها تلك الهيات وتنحى من اوجها ولن كثرت الرابع عشر كون لزوم سببا لتسهيل
صعاب الامور على النفس بعد اتعابها لها وذلك ان المتقين عند ملاحظة غاياتهم من تقواهم يسهل
عليهم كل صعب من امور الدنيا مما يشتد على غيرهم كالفقر والمرض وكل شديد وكذلك يسهل عليهم
كل صعب من مطالب الاخرة بعد اتعاب تلك المطالب لهم قبل تصورها التام فى اول التكليف الخامس
عشر كونه سببا لهطل الكرامة تعود الى الكمالات النفسانية الباقية والالتذاذ بها ولاحظ فى افاضتها
عليهم مشابهتها بالغيث فاستعار لها لفظ الهطل واسند اليها وكذلك لفظ القحوط وكنى عن منعهم
اياها قبل استعدادهم بالتقوى لها السادس عشر كونه سببا لتعطف الرحمة الالهية بافاضة الكمالات
عليهم بعد نفورها عنهم لعدم الاستعداد ايضا ولفظ التحدب مستعار للارادة اولا وكذلك
لفظ النفور لعدم اثرها فى حقهم قبل ذلك السابع عشر كونه سببا لتفجر النعم بعد نضوبها ولفظ التفجر
مستعار لانتشار وجوه افاضات النعم الدنيوية والاخروية كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وكذلك لفظ النضوب لعدمها قبل الاستعداد لها ملاحظة لشبه النعم
بالماء فى الاستعارتين الثامن عشر كونه سببا لوبل البركة بعد رذاذها ولفظ الوبل مستعار للفيض الكثير
من البركة بعد الاستعداد بالتقوى ولفظ الرذاذ للقليل قبل ذلك الاستعداد ملاحظة لشبهها بالغيث
وظاهر كون التقوى سببا لمزيد الفيض على كل من كان له بعض الكمالات كمن يستعد بالعلوم دون الزهد
والعبادة ثم سلك بهما اثر بعد الفراغ من فضائلها والترغيب فيها من تلك الجهة اعاد الامر بها ورغب فيها
باعتبارات اخر من اعلام المنعم وهى كونه تعالى نافعا لهم بوعظته اى جاذبا لهم الى جنته ومرغبا لهم فى كرامته
وواعظا لهم برسالته اليهم وممتنا عليهم بنعمته كقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم فى غير موضع من كتابه ثم امرهم
بتعبيد انفسهم وتذليلها لعبادته والخروج اليه من حقه الذى يطلبه منهم وهو طاعته ثم ذكر الاسلام وفضائله
مرغبا فيه وهو كالتفسير لطاعته وعبادته فكانه قال واخرجوا اليه من حق طاعته الذى هو الاسلام فاليه وذكر
له فضائل ا كونه اصطفاه لنفسه اى طريقا الى معرفته ونيل ثوابه ب كونه اصطنعه على عينه وهو كناية
لما يهتم به وكانه المصنعة التى يختارها من عملت له ويشاهدها بعينه ولفظ العين مجاز فى العلم وعلى تفيد
اى على علم منه بشرفه وفضيلته ووجه الحكمة فيه ونحوه قوله تعالى ولتصنع على عينى ج واصفاه خيرة خلقه
اى اصطفى لتبيينه والمراد خيرة خلقه محمد وآله د واقام دعائمه على محبته ولفظ الدعائم مستعار لما لاهل الاسلام
او لاركانه ووجه المشابهة قيامه بها فى الوجود كقيام الشى المدعوم بدعائمه وكلمة على للحال والضمير فى محبته للاسلام

اى اقام دعائمه حال المحبة له وقيل بل لله كما يقول طبع الله قلبى على محبته ه اذل الاديان بعزه وذل الاديان يجوز ان يراد
الالتفات اليها فيكون مجازا من باب اطلاق اسم السبب على المسبب او ذل اهلها فيكون من باب حذف المضاف
وظاهر ان عز الاسلام سبب للاديان وكذلك اطلاق لفظ العز للاسلام و وكذلك اهلها اعدائه وهم المشركون
والمكذبون لرسل الملل السابقة واهانتهم بالقتل واخذ الجزية والصغار لهم كرامته اجلالا او اجلال اهله فى تعظيمهم
النفوس ح وخذل محادته بنصره اهله وفى القران الاربع المتضادة فالعز للذل والرفع للوضع والكرامة للاهانة
والنصر للخذلان ط وهدم اركان الضلالة بركنه وقوته واركان الضلالة تعود الى العقائد المضلة فى الجاهلية
او الى اهل الضلالة وهو مستعار ووجه الاستعارة قيام الضلالة بتلك العقائد او باهلها كقيام ذى الاركان
وكذلك لفظ الهدم لزوال الضلالة بقوة الاسلام واهله ى وسقى من عطش من حياضه فاستعار لفظ السقى
لافاضة علوم الدين على نفوسهم وكمالها بها ولفظ العطش لما كانوا عليه من الجهل البسيط وعدم العلم وكذلك
استعار لفظ الحياض لعلماء الاسلام الذين هم اوعية وحياضه التى ترده العطاش من العلوم والحكم الدينية يا
واتاق الحياض بمواتحه واستعار لفظ المواتح اما للائمة من القرن الاول الاخذين للاسلام عن الرسول صلى الله عليه
وآله الذى هو الينبوع او لافكار العلماء وسوالاتهم وبحثهم عن الدين واحكامه واستفادتهم بها ووجه الاستعارة
كونهم مستخرجين للعلم والدين من مظانه كما يستخرج الماتح من البير ولفظ الحياض المستفيدين يب جعله
بحيث لا ينفصم عروته ولفظ العروة مستعار لما يتمسك الانسان به منه ورشح بذكر الانفصام ولما كان المتمسك
ناجيا من الهلاك الاخروى والشرور اللاحقة للملل السابقة وكان عدم الانفصام ملكا له كناية عن سلامة
المتمسك من الهلاك كنى به عن دوام السلامة به يج ولا فك لحلقته كناية عن عدم انتهار اهله وجماعته يد ولا انهدام
لاساسه استعار لفظ الاساس للكتاب والسنة اللذين هما اساس الاسلام ولفظ الانهدام لانمحالها يه
ولا زوال لدعائمه استعار لفظ الدعائم لعلمائه او للكتاب والسنة وقوانينهما واراد بعدم زوالها عدم انقراض
العلماء او عدم القوانين الشرعية يو ولا انقلاع لشجرته استعار لفظ الشجرة لاصله واركانه وهو كقوله ولا
انهدام لاساسه يز ولا انقطاع لمدته اشارة الى بقائه الى يوم الدين يح ولا عفاء لشرائعه وشرائعه قواعده
واصوله وهو كقوله لا انقلاع لشجرته يط ولا جذ لفروعه اى لا ينقطع التفريع عليه بل كل ذهن سليم فكر فى اصول
الكتاب والسنة استخرج منها ما لم يستخرجه غيره ك ولا ضنك لطرقه وكنى بعدم الضيق عدم صعوبة قوانينه على
التكليف او عن لازم الضيق وهو مشقة السالكين به الى الله كما قال صلى الله عليه وآله بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
كا ولا وعوثة لسهولته كناية عن كونه فى غاية العدل بين الصعوبة وبين السهولة المفرطة كما عليه اكثر الاديان السابقة
من التشبيه والتجسيم فان سلوكها مع ذلك وتصورها فى غاية السهولة لكنها طرق بعد حصول المطالب الحقيقية
والوصول الى التوحيد الخالص منها فكانت فى سهولتها هذه الوعوثة كب ولا سواد لوضحه استعار لفظ الوضح
لصفائه عن كدر الباطل الذى هو سواد الواح نفوس الكافرين والمنافقين كج ولا عوج لانتصابه واستعار لفظ

لعلمائه وحاملى قوانينه ب كونه سراجا لا يخبو توقده واراد انه لا ينقطع هداية الناس بنوره وهو كالاول ج وبحرا لا يدرك
قعره ولفظ البحر مستعار له باعتبارين احدهما عمق اسراره بحيث لا تحيط بها الافهام ولا تصل الى اغوارها العقول
كما لا يدرك الغائص قعر البحر العميق والثانى كونه معدنا لجواهر العلوم النفيسة والفضائل كما ان البحر معدن
للجواهر د ومنهاجا لا يضل نهجه وظاهر كونه طريقا واضحا لمن سلك به الى الله وبعثهم مقاصد لا يضل قصده
ه وشعاعا لا يظلم ضوءه اى لا يغطى الحق الوارد به ظلام شبهة ولا تلبيس باطل ولفظ الشعاع والضوء والظلام
مستعار و وفرقانا لا يخمد برهانه اى فيه براهين تفرق بين الحق والباطل لا تخمد ولفظ الخمود مستعار ملاحظة
لشبه البرهان بالنار فى الاضاءة فنسب اليه وصفها ز وبيانا لا تهدم اركانه واستعار لفظ البنيان لما
انتظم من الكتاب ورسخ فى القلوب ورشح بذكر الاركان لاستلزام البنيان لها ح وشفاء لا تخشى اسقامه
كما قال تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وظاهر كونه شفاء واسرار شفاء للنفوس
من امراض الجهل ورذائل الاخلاق وذلك شفاء لا يخاف استعقابه مرض وذلك ان الفضائل النفسانية
اذا صارت ملكات لم تزل ولم تتبدل باضدادها وان كان ايضا شفاء للابدان كما سبق ط وعزا لا تهزم انصاره
ى وحقا لا تخذل اعوانه هم المسلمون المعززون به والملتجئون اليه العاملون على وفقه السالكون به الى الله
ظاهر ان اولئك الانصار والاعوان لا يهزمهم احد ولا يخذلهم الله ابدا يا فهو معدن الايمان الذى يستثار منه
الايمان الكامل بالله ورسوله وبما جاء به وبحبوحته وظاهر كون اعتقاد حقيته وتفهم مقاصده والعمل
بها واسطة عقد الايمان يب وينابيع العلم وبحوره واللفظان استعارة له باعتبار كونه محل فيض العلوم النفيسة
واستفادتها يج ورياض العدل وغدرانه واللفظان مستعاران ايضا باعتبار كونه موردا يؤخذ عنه العدل
بجليته فهو مورده الذى لا يجوز عن سنن الحق الى ان يبلغ بصاحبه السالك به الى الله تعالى يد واثافى الاسلام
وبنيانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه اصلا للاسلام يبتنى عليه وبه يقوم كما ان الاثافى للقدر والبنيان
لما يحمل عليه كذلك يه واودية الحق وغيطانه واللفظان مستعاران له باعتبار كونه معدنا للحق ومظنة
له كما ان الاودية والغيطان مظان الكلاء والماء يو وبحر لا ينزفه المستنزفون يز وعيون لا ينضبها الماتحون
انما كرر استعارة البحر والعيون له باعتبار آخر وهو كونه لا يفنى فوائده والمقاصد المستنبطة منه يح
وكذلك ومناهل لا يغيضها الواردون وخصص النضوب بالعيون لامكان ذلك فيها دون البحر والورود
بالمناهل لكون النهل وهو الذى غاية ورود الماء يط ومنازل لا يضل نهجها المسافرون اى مقامات من العلوم
اذا نزلتها العقول المسافرة الى الله لا تضل لاستنارتها وشرح اضاءتها ك وكذلك واعلام لا يعمى عنها السائرون
كا وكذلك وآكام لا يجوز عنها القاصدون استعار لفظ الاعلام والآكام للادلة والامارات فيه على طريق
الى معرفته واحكامه باعتبار كونها هادية اليها كما تهدى الاعلام والجبال على الطرق كب جعله الله ريا
لعطش العلماء استعار لفظ الرى له باعتبار كونه دافعا لالم الجهل عن النفوس كما يدفع الماء الم العطش ولفظ

الجهل البسيط والاستعداد الطالبين المعلوم واشتياقهم الى الاستفادة واطلق لفظ الرى على المروى مجازا اطلاقا
لاسم اللازم على ملزومه كج وربيعا لقلوب الفقهاء ولفظ الربيع مستعار له باعتبار كونه مرعى لقلوب الفقهاء يستثمرون
منه الاحكام ويحيى بها كالربيع للحيوان كد ومحاج لطرق الصلحاء وظاهر كونه طريقا واضحا للصالحين الى
الله كه ودواء ليس بعده داء كقوله لا تخشى سقامه كو ونورا ليس معه ظلمة اى لا يبقى مع هدايته الى الاحكام
ظلمة اى لا يبقى مع هدايته الى الاحكام ظلمة على البصيرة وهو كقوله وشعاعا لا يظلم نوره كز وحبلا وثيقا
عروته استعار لفظ الحبل له والعروة لما يتمسك به منه وكنى بوثاقة عروته عن كونه منجيا من الجهل ولوازمه
وهو العذاب ورشح بذكر العروة وكنى بمنعتها عن كونه حرزا يمنع من لجاء اليه كح وعزا لمن تولاه اى اتخذه وليا
يلتجى اليه مقاليد امور ولا يخالفه وظاهر كونه سبب عزة فى الدارين ل وسلما لمن دخله اى امنا ودخول الحرم
فى تدبر مقاصده واقتباسها وبذلك الاعتبار يكون امانا من عذاب الله ومن الوقوع فى الشبهات التى هى مظنة
الهلاك لا وهدى لمن ائتم به وهو ظاهر لب وعذرا لمن انتحله اى من نسبه الى نفسه بدعوى حفظه
او تفسيره ونحو ذلك معتذرا بذلك من تكليف لا يليق به او يشق عليه كان ذلك عذرا منجيا له وهذا
كما يقول لمن يقصد اذى انسان لا ينبغى ان تؤذيه فانه من حملة القران الكريم او ممن يعلم علومه فيكون
ذلك سببا لترك اذاه لج وبرهانا لمن تكلم به لد وشاهدا لمن خاصم به له وفلجا لمن حاج به النفوس
والشاهد والحجة اعم من البرهان به الثلثة متقاربة واطلق لفظ الفلج عليه من جهة ما يحتج به اطلاقا لاسم
الغاية على ذى الغاية اذ غاية الاحتجاج به الفوز والشاهد والحجة اعم من البرهان لو وحاملا لمن حمله
اى يحمل يوم القيمة حملته وحفظته الآن وعبر بحمله لهم عن انجائه لهم من العذاب اطلاقا لاسم السبب
على المسبب لز ومطية لمن اعمله استعار لفظ المطية باعتبار كونه منجيا لهم كقوله حاملا ولفظ الاعمال لتتبع
قوانينه والمواظبة عليها المنجية من العذاب كما يحيى اعمال المطية فى الطريق البعيد لح وآية لمن توسم ذلك باعتبار
تدبر امثاله وقصصه فان فيها آيات وعبرا كما قال تعالى ان فى ذلك لايات للمتوسمين لط وجنة لمن استلام اى
لمن استلامه ولبسه كالدرع واستعار له لفظ الجنة لوقايته من استعد بعلمه من عذاب الله وكنى باستلامه عن ذلك
الاستعداد به م وعلما لمن وعى اى لمن حفظه وفهم مقاصده ما وحديثا لمن روى وذلك باعتبار ما فيه من
القصص واخبار القرون الماضية فان اصدق حديث يروى منها ما اشتمل عليه القران ويحتمل ان يريد بكونه
حديثا كونه قولا وكلاما ليس نقله كما قال تعالى الله الذى نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثانى ويكون فائدة هذا
الوصف ان فيه غنية لمن اراد ان يتحدث بحديث غيره مما لا يفيد فائدته فينبغى ان يعدل اليه ويشتغل بتلاوته
والتحدث به مب وحكما لمن قضى اى فيه الاحكام التى يحتاج اليها القضاة ويروى وحكما اى حاكما ترجع اليه القضاة
ولا يخرجون عن حكمه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم كان يوصى به اصحابه تعاهدوا امر الصلوة
تعاهدوا امر الصلوة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا الا

لانتصاب لاستقامته فى ادابه الى الله تعالى اذ هو الصراط المستقيم فى الدنيا كذ وكذلك لا اصل فى عوده كه
ولا وعث لفجه كو ولا انطفاء لمصابيحه عبر بالمصابيح عن علمائه استعارة وبعدم انطفائها عن عدم خلو الارض
منهم كن ولا مرارة لحلاوته وذلك ان حلاوة الاسلام الحقيقى فى قلوب المتقين لا يشوبها مرارة من شقوة تكلف
ونحوها ما يتصور وثمرة من شرف غاياتهم كح فهو دعائم اى فالاسلام دعائم وذلك اشارة الى تعريفه باجزائه
وهى كالشهادتين والعبادات الخمس كما ورد فى الخبر بنى الاسلام على خمس وقوله اساخ فى الحق اسناخها اشارة
الى كونه تعالى بناها على اسرار من الحق عميقة لا يهتدى اليها الا احاد الخلق وهى اسرار العبادات كط قوله
وينابيع غزرت عيونها اشارة الى تعريفه من قبل مادته وهى الكتاب والسنة واستعار لهما لفظ الينابيع
لفيضان العلوم الاسلامية النقلية والعقلية عنهما كفيضان الماء عن الينابيع ولفظ العيون الماء صدر
عنه وهو علم الله تعالى ونفوس ملائكته ونبيه صلى الله عليه وآله وظاهر غزارة تلك العلوم وكثرتها ل ومصابيح
شبت نيرانها اشارة الى مادته ايضا باعتبار ان فى الكتاب والسنة ادلة احكامه وبراهينها واستعار لها لفظ
المصابيح باعتبار كونها تضيء الطريق لخابطها الى الله ورشح بذكر اضرام نيرانها وعبر به عن غاية اضاءتها لا
ومنار اقتدى بها سفارها واعلام قصد بها فجاجها اشارة الى تلك المادة باعتبار ان فيها امارات على
احكام الله التكليفية يقتدى بها المسافرون السالكون الى قصدها والقاصدون لطرقها التى هى منصوبة
عليها لب روى بها وزادها استعار لفظ المناهل لتلك المواد ايضا باعتبار كونها مشارع من العلم لوارديها
بها ومقتبسيه منها كما تروى وراد الحياض بمائها لج جعل الله فيه منتهى رضوانه وذلك فى نحو قوله
وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا وقوله ان الدين عند الله الاسلام ولان غاية رسالة
الى غاية الكمالات الانسانية التى هى منتهى ما يرضاه الله ويحبه من عباده لد ذروة دعائمه فقدان
الدعائم التى جعلها عمدة له فى اصلاح خلقه وهى الشرايع وقوانينها وظاهر ان الانوار التى جاء بها الاسلام
والهدايات التى جاء بها الاسلام والهداية التى به اشرف واعلى منها فى ساير الشرايع فهو كالذروة لها له و
طاعته ولفظ السنام مستعار لمجموع ما اشتمل عليه من البيانات والهدايات ووجه المشابهة شرفها
ايضا وعلوها بالنسبة الى الطاعات التابعة عليه كشرف السنام بالنسبة الى الطاعات التابعة عليه
باقى الاعضاء لو فهو عند الله وثيق الاركان واركانه اجزاوه ووثاقتها تعود الى بنائها على الاسرار الحقيقية
والعلم التام لواضعها بكيفية وضعها وكمال فائدتها لحث رفيع البنيان اى ما ارتقى اليه اهله من المجد
والفضيلة وظاهر علو قدره وقدر اهله وتعظيمهم فى النفوس على ساير الاديان واهلها لح منير البرهان
لح منير البرهان واراد برهانه الذى دعى الخلق اليه وهو القران وساير المعجزات ولا شك فى انارتها واضاءتها
فى اقطار العالم واهتداء اكثر الخلق بها لط مضى النيران واستعار لفظ النيران لانواره من العلوم والاخلاق
المضيئة عن علمائه وائمته م عزيز السلطان واراد قوته وعزة اهله ودولته ومنعته من المجالبة به ما شرف

المنار وكنى به عن علو قدر علمائه وائمته وانتشار فضلهم والهداية بهم ب معوز المثار اى يعجز الخلق اثارة دفائنه
وما فيه من كنوز الحكمة ولا يمكنهم استقصاء ذلك منه ورفع المثال اى يعجز الناس اما بالاتيان بمثله او باستقصاء
حكمه وثمراته ورفع المثال وهو ظاهر ثم لما بين فضيلته امر بتعظيمه واتباعه واداء حقه وهو العمل به مع
اعتقاد شرفه وكونه مؤديا الى الجنة ثم بوضعه مواضعه وهى القلوب لا الالسن والشعار الظاهر فقط
ثم لما فرغ من ذلك شرع فى فضائل من بعث به لنذكرهم نعمة من الله بعد نعمة الله وقرن ذكره بذكر احوال
الدنيا حين البعثة لتظهر شرفها فا كونها قد دنا انقطاعها واقبال الاخرة واطلاعها وقد بينا ذلك فى قوله
الا وان الدنيا قد ادبرت واذنت بوداع وعلى الجملة فيحتمل ان يريد قرب انقطاع الدنيا وزوالها بالكلية
وحضور الاخرة والقيمة الكبرى كما عليه ظاهر الشريعة ويحتمل ان يريد قرب انقطاع دنيا كل امة
وحضور آخرتهم بموتهم وانقراضهم ولفظ الاطلاع استعارة كما سبق ب كونها قد اظلمت بهجتها بعد اشراق
واراد اشراق بهجتها بانوار الانبياء السابقين وضياء الشرايع واظلامها حين بعثة الرسول صلى الله عليه وآله
باندراس تلك الآثار وفسادها ج قيامها باهلها على ساق كناية عن ظهور شدائدها واثارة الفتن بين اهلها
وما كانت العرب عليه من الخبط والاختلاط فى الحروب والغارات المودية الى الفناء د خشونة المهاد منها
وكنى به عن عدم الاستقرار بها وطيب العيش فان ذلك انما يتم ويعتدل بنظام الشرايع والنواميس
الالهية ه وازف منها انقياد للانقطاع والزوال والانخراط فى سلك التقضى واقتراب علامات
ذلك منها وعلامات زوالها هى علامات الساعة واشراطها وكذلك تصرم اهلها وانفصام حلقتها
وكنى بالحلقة عن نظامها واجتماع اهلها بالنواميس والشرايع وبانفصامها عن فساد ذلك النظام بانقضاء
سببها عن فساد اسباب ذلك النظام فان اسباب التصرف النافع فيها انما يتم بالنواميس الشرعية
وقوانينها واستعار لفظ اعلامها للعلماء والصلحاء بها وكان عليهم العفاء حينئذ وكذلك كنى بعورانها
عن وجوه الفساد فيها وبتكشفها عن ظهورها بعد احتفاء وكذلك القصر من طولها فان الدنيا انما يكون
طولها وقلة مدتها عند صلاحها بالشرايع فاذن قصرها يكون عند فسادها وعدم النظام الشرعى فرجع
الى تعديد وظاهر بعثة الرسول صلى الله عليه وآله فا ان الله جعله بلاغا لرسالته وهو كقوله تعالى يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك ب وكرامة لامته لكونه داعيا لهم الى الكرامة الباقية التامة وسبب الكرامة
ج وربيعا لاهل زمانه واستعار لفظ الربيع له ووجه المشابهة كونه بهجة المسلمين وجمالهم وسبب الخصب من
العلم والحكمة كما ان الربيع سبب بهجة الحيوان بمراعيها وخصبهم وسمنهم د ورفعة لاعوانه اى لاعوانه
وانصاره وهم المسلمون وظاهر كونه صلى الله عليه وآله سبب رفعتهم وشرفهم ثم عقب بذكر بعض الانوار
التى بعث بها صلى الله عليه وآله وهو الكتاب العزيز وعد فضائله فا كونه نورا لا تطفى مصابيحه واراد بنور
العلم والاخلاق المشتمل عليها واستعار لفظ المصابيح اما للائمة من حملته وحكمه فاقتدى بها الناس ولما

لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا
الا تسمعون الى جواب اهل النار حين سئلوا ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين وانها لتحت الذنوب
الورق وتطلقها اطلاق الربق وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة تكون على باب الرجل فهو
يغتسل منها فى اليوم والليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن وقد عرف حقها رجال من المومنين
الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال يقول الله سبحانه رجال لا تلهيهم تجارة ولا
بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا بالصلوة بعد التبشير
له بالجنة لقول الله سبحانه وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها وكان يامر بها اهله ويصبر عليها نفسه ثم ان الزكوة
جعلت مع الصلوة قربانا لاهل الاسلام فمن اعطاها طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة ومن النار حجابا ووقاية
فلا يتبعنها احد نفسه ولا يكثرن عليها لهفه فان من اعطاها غير طيب النفس بها يرجو بها ما هو افضل منها
فهو جاهل بالسنة مغبون الاجر ضال العمل طويل الندم ثم اداء الامانة فقد خاب من ليس من اهلها انها
عرضت على السموات المبنية والارضين المدحوة والجبال ذات الطول المنصوبة فلا اطول ولا اعرض ولا اعلى ولا
اعظم منها ولو امتنع شىء بطول او عرض او قوة او عز لامتنعن ولكن اشفقن من العقوبة وعقلن ما جهل
من هو اضعف منهن وهو الانسان انه كان ظلوما جهولا ان الله سبحانه لا يخفى عليه ما العباد مقترفون
فى ليلهم ونهارهم لطف به خبرا واحاط به علما اعضاؤكم شهوده وجوارحكم جنوده وضمائركم عيونه
وخلواتكم عيانه اقول الربق جمع ربقة وهى الحلقة فى الحبل والحمة بالجيم الحفيرة يجتمع فيها الماء وروى بالحاء
والمعنى واحد والدرن الوسخ والنصب التاعب والاقتراف الاكتساب وحاصل الفصل الوصية بالمحافظة على
امور ثلثة والحث عليها اولها الصلوة فامر بتعاهد امرها والمحافظة عليها وذلك باقبال الانسان بكلية نفسه لا حال
حال الصلوة ومراقبتها حذرا ان يشوبها نزغات الشيطان برياء فيها او التفات عنها ثم بالمحافظة على اوقاتها
واداء اركانها كما هى ثم بالاستكثار منها والتقرب بها الى الله لكونها افضل العبادات والقرب اليه ثم اشار
الى فضيلتها ووجه وجوبها بوجوه احدها قوله فانها كانت على المومنين كتابا موقوتا وهو لفظ القرآن
الكريم وموقوتا مفروضا وقيل منجما فى كل وقت صلاة معينة الثانى التحذير لتاركها بالتنبيه على
تركها الدخول النار بقوله الا تسمعون الى قوله من المصلين الثالث انها تحت الذنوب حت الورق وهو تشبيه
للمعقول بالمحسوس ووجه الشبه ظاهر وكذلك وتطلقها اطلاق الربق اى وتطلق اعناق النفوس من اغلالها
كما تطلق الوثيقة من عنق الشاة الرابع تشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله لها بالحمة تكون على باب الرجل
وصورة الخبر عنه صلى الله عليه وآله ايسر احدكم ان على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى عليه
من درنه شىء فقالوا نعم قال فانها الصلوات الخمس الخامس تنبيهه بذكر عرفان رجال من المومنين وهم
الموصوفون فى الآية بقدرها السادس نصب الرسول صلى الله عليه وآله فيها وامر الله تعالى له بالمواظبة
عليها بعد تبشيره له بالجنة وذلك فى قوله وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها واستال له لك الامر فى نفسه

واهله وروى انه صلى الله عليه وآله قام فى الصلوة حتى تورمت قدماه فقيل له فى ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا
وذلك من اوضح الدلائل على كثرة فوائدها وقوة فضيلتها واعلم انه قد ورد فى فضلها اخبار كثيرة بعد تاكيد
القرآن الكريم للامر بها وقد بينا ذلك واشرنا الى فضيلتها اشارة مستوفاة فى الفصل الذى اوله ان افضل
ما توسل به المتوسلون الى الله سبحانه الايمان به وبرسوله الثانية مما امر بالمحافظة عليه الزكوة وهى قرينة
الصلوة فى الذكر فى الكتاب العزيز وفى الفضيلة ولذلك قال جعلت مع الصلوة ثم اشار الى سرها
وهو كونها قربانا لاهل الاسلام وسنبين ذلك واشار بقوله فمن اعطاها الى قوله طول الامل الى شرط
كونها مقربة الى الله تعالى وبيان كون قبولها مشروطا بطيب النفس وبيان سرها وقد عرفته ايضا فى
ذلك الفصل وعلمت ان من اقسام المستنزلين عن المال من اقتصر منه على اداء الواجب من الزكوة من
غير زيادة ولا نقصان وهم العوام لجهلهم بسر البذل وبخلهم بالمال وميلهم اليه عن ضعف حبهم للآخرة
قال تعالى ان يسالكموها فيحفكم تبخلوا وطهارة الفرقة الذين ذكرناهم ممن استنزل عن المال وبحاسبهم
وقربهم من الله وبعدهم بقدر طيب انفسهم عن بذل المال والاعراض عنه ومحبته وهذه الفرقة اعنى
من اقتصر منهم على اداء الواجب فقط ينقسم الى من يؤدى ذلك الحق بطيب نفس ومسامحة والى من يؤديه
له مع بقاء محبته وتكدير النفس ببذله وتلهف عليه او انتظار جزاء له وباعتبار القسمين الاولين مع
القسم الاول من هذه الفرقة يكون بذل المال والزكوة قربة الى الله تعالى وهو الذى اشار اليه امير المومنين
عليه السلم بقوله ان الزكوة الى قوله ووقاية وان كان قد خصص الزكوة هنا وانما يكون قربة لاستلزامه رفض
هذا المحبوب الذى يتصور باذله ان جميع الكمالات الدنيوية تستفاد منه رغبة عنه ومحبة لله
ورغبة فيما عنده ويكون كفارة ماحية لرذيلة البخل وما يستلزمه من الذنوب ويكون حجابا بين العبد
وبين عذاب الله اذ علمت ان مبدأ العذاب فى الآخرة حب الدنيا واعظمه حب المال فاذا كان بذل
المال مستلزما لزوال حبه كان بذلك الاعتبار حجابا من العذاب ووقاية منه واما ايتاء الزكوة
على الوجه الثانى فهو المذموم والمنهى عنه بقوله ولا يكثرن عليها لهفه بعد امره بها فى قوله فلا يتبعنها
احد نفسه ويلزم باذلها على ذلك الوجه النقايص المذكورة وهى الجهل بالسنة فان السنة فى
ادائها ان تؤدى بطيب نفس ومسامحة وان يكون مغبونا فى الاجر فان اداءها على وجه توقع جزاء
لها لا على وجه القربة الى الله غير مستلزم لرضوانه وذلك هو الغبن وان حصل له جزاء غير رضوان
الله فان الحصول على كل جزاء غير رضوانه جزاء ناقص وغبن فاحش بالنسبة اليه وان يكون ضال العمل
وهو اعطاؤه ذلك المال وبذله على غير وجهه وقصده به على سبيل الهدى الى رضوان الله وان يكون
طويل الامل اى فى محبة المال وفيما يرجوه به من الجزاء الثالثة مما اوصى به اداء الامانة وهى التى اشار القرآن
الكريم اليها بقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الآية وقد بينا فيما سلف انها تعود

الى العبادة والطاعة المطلوبة من الانسان بما هو انسان وظاهر ان تلك العبادة لا يمكن من غيره فاذا تمنا
حملها من حيث خلق مستصلحا للدارين وبيان ذلك ان مخلوقات الله تعالى اما جمادات او ذات حياة
وذوات الحياة اما الملائكة او الحيوان الارضى والحيوان الارضى فالحيوان منها وهو الانسان هو
المتاهل لعمارة الدارين والكون فيهما وهو الواسطة بين خلقين وضيع وهو الحيوان الاعجم وشريف
وهو الملك وقد استجمع قوتى العالمين فهو كالحيوان فى الشهوة والغضب وقوة التناسل وسائر القوى
البدنية المختصة بالحيوان وكالملك فى القوة المجردة والعقل والعلم والعبادة وسائر الكمالات
النفسانية ووجه الحكمة فى ذلك انه تعالى لما اقتضت عنايته ايجاده لهذه العبادة المخصوصة ان
يجعل فى الارض خليفة لعمارتها جمع له بين القوتين فانه لو كان كالبهيمة خاليا عن العقل لم يتاهل
لمعرفته وعبادته الخاصة ولو خلق كالملك معرى عن الشهوة والغضب وسائر القوى البدنية لم
يصلح لعمارة ارضه وخلافته فيها ولذلك قال للملئكة انى اعلم ما لا تعلمون فاذن هذه الخاصة
وهى الامانة المشار اليها لا يصلح لها الا الانسان ولا تمكن من غيره وعلمت ايضا فيما سلف ان اباء
السموات والارض والجبال عن حملها يعود الى امتناع قبولها لها بلسان حال قصورها وعدم صلاحيتها
لها واشفاقها من عقوبة الله على التقصير عن اداء حقوقها كما اشار اليه امير المؤمنين عليه السلم بقوله
اشفقن من العقوبة ولم يكن ذلك اباء استكبار لخضوعها تحت ذل الحاجة اليه ولفظ الاشفاق مجاز
فى ثمرته ولازمه وذلك ان السلطان مثلا اذا كلف بعض رعيته حمل امانة تكليف تخيير فخاف ذلك
المكلف العقوبة على تقصيره فى اداء تلك الامانة فان خوفه يستلزم تركه وامتناعه من حملها
فكان الامتناع من الامانة مسببا عن الاشفاق فاطلق الاشفاق هنا على اباء السموات والارضين
بلسان حالها مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقيل ان ذلك الاباء والاشفاق على وجه التقدير
وانما جى بلفظ الواقع لان الواقع ابلغ من المقدر اى لو كانت هذه الاجرام عاقلة ثم عرضت عليها
وظايف الدين عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر اجسامها وشدتها ولامتنعت من حملها اشفاقا
من القصور عن اداء حقها ثم ان مخاطبة الجماد والاخبار عنها نظرا الى قرينة الحال طريقة مشهورة للعرب
مستحسنة فى اشعارهم كقولهم يا دار ما صنعت بك الايام ونحوه بل مخاطبة بعض الجمادات لبعض على
احوالها كقولهم قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى ونحو ذلك كثير فاما قوله عليه السلم وعقل
من ليس من اهلها فتلك الخيبة تعود الى حرمان ثمرة هذه العبادة وما استلزمه من الحصول على الكمال
اذ ليست من اهلها وذكر كون السموات مبنية والارض مدحوة والجبال باطولها وعرضها وعلوها
وعظمتها تنبيه للانسان على جرأته على المعاصى وتضييع هذه الامانة اذ اهل لها وحملها وتعجب منه فى ذلك
فكانه يقول اذا كانت هذه الاجرام العلوية التى لا اعظم منها قد امتنعت من حمل هذه الامانة حين عرضت

العبادة ٣

عليها

عليها فكيف حملها من هو اضعف منها وقوله ولو امتنع شى الى قوله لامتنعن اشارة الى ان امتناعهن لم
يكن لعزة وعظمة ابساد ولا استكبار عن الطاعة وانه لو كان كذلك لكانت اولى بالمخالفة من كل
شى لاعظمية اجرامها على كل المخلوقات بل انما ذلك عن ضعف واشفاق من خشية الله وعقلهن
ما جهل الانسان قيل ان الله تعالى عند خطابها خلق فيها فهما وعقلا وقيل ان اطلاق العقل مجاز
فى سببه وهو الامتناع عن قبول هذه الامانة كلفظ الاشفاق فان عقليه المكلف العقوبة
على التقصير فى تكليف تخير فيه وخاف التقصير فيه يستلزم تركه لذلك التكليف واستعفا
منه واذا لم يكن لها عقل من جهة ما هى اجرام اطلق لفظ العقل على لازمه وثمرته وهو
والاباء مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب كاطلاق لفظ الارادة على ميل الحائط فى قوله
تعالى جدارا يريد ان ينقض فاقامه واقول يحتمل ان يعود الضمير فى اشفقن وعقلن الى من يعقل
من الملئكة السماوية اذ لكل جرم سماوى ملك يدبره هو كالبدن له لامكان ذلك منهم دون
سائر الاجرام الارضية وما جهله الانسان هو عظمة الله وغاية هذه الامانة وتقصيره فى
ادائها واجابتها المستلزم لعقوبته واستحقاق سخط الله وكونه جهولا اى كثير الجهل باسرار
هذه الامانة والغفلة عما يستلزمه فعلها وتركها وعن الوعيدات الواردة على التقصير فيها
وقوله ان الله لا يخفى عليه الى آخره تنبيه لهذا الظلوم الجهول على احاطة علم الله تعالى بجميع احواله
واكتسابه فى ليله ونهاره وانه لطيف الخبير والمعرفة بما يعتقد عليه فى البواطن كما يقع على الظواهر وقوله
واعضاؤكم شهوده اى شهود له عليكم من قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون وجوارحكم جنوده وذلك باعتبار كونها معينة عليهم وضمائركم عيونه اى طلايعه
وجواسيسه كقوله تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين وتلك الشهادة والاعانة بلسان
الحال وقد عرفت كيفية انطاق الجوارح وشهادة النفوس على انفسها وكنى بالخلوات عما يفعل فيها
من معاصى الله مجازا وانما خصصها لانها مظنة المعصية ويحتمل ان يريد بالخلوة مصدر
خلوت اخلو لا المكان فيكون حقيقة وظاهر كونها عيانا لله اى معاينة له وكل ذلك تحذير
وتنفير عن تحريك الجوارح وتصريفها والخلوة بها فيما لا ينبغى من المعاصى وبالله العصمة
ومن كلام له عليه السلم والله ما معوية بادهى منى ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من
ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة وكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة والله ما استغفل
بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة اقول الدهاء استعمال العقل والراى الجيد فيما يراد فعله
مما لا ينبغى مع اظهار ارادة غيره ويسمى صاحبه داهيا وداهية للمبالغة وخبيثا ومكارا وحيلا
وهو داخل تحت رذيلة الجربزة وهى طرف الافراط من فضيلة الحكمة العملية ويستلزم رذايل كثيرة

له

كالكذب والغدر وهو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود التى هى ملكة تحت العفة والفجور المقابل
لفضيلة العفة فقوله عليه السلم ما معوية بادهى منى اى ليس باقدر منى على حل الدهاء واكد ذلك بالقسم البار
وقوله ولكنه يغدر ويفجر اشارة الى لوازم الدهاء التى لاجلها تركه وهو الغدر وبواسطة الفجور فان الوفاء لما
كان نوعا تحت العفة كان الغدر الذى هو رذيلة نوعا تحت ما يقابل العفة وهو الفجور ولذلك نفى
الدهاء عن نفسه لكراهيته للغدر ونفيه له عن نفسه لان نفى اللازم يستلزم نفى الملزوم ثم جعل الغدر
اوسط فى اثبات الفجور لمعوية بقياس ضمير من الشكل الاول فقوله ولكنه يغدر فى قوة صغرى القياس
وقوله ويفجر فى قوة النتيجة وكانه قال ولكنه يغدر فهو يفجر ونبه على الكبرى بقوله وكل غدرة فجرة فصار
الترتيب هكذا ولكنه يغدر وكل من يغدر يفجر والنتيجة فهو اذن يفجر ثم نبه على لزوم الكفر له بقياس
آخر من الشكل الاول نبه على صغراه بقوله وكل غدرة فجرة وعلى كبراه بقوله وكل فجرة كفرة وانتجت
فى القياس الاول انه فاجر واستلزم قوله وكل فجرة كفرة ان كل فاجر كافر ثم ثبت بهاتين المقدمتين
انه كافر وروى غدرة وفجرة وكفرة وهو كثير الغدر والفجور والكفر وذلك اصرح فى اثبات المطلوب قال
بعض الشارحين ووجه لزوم الكفر هنا ان الغادر على وجه استباحة ذلك واستحلاله كما كان هو المشهور من
حال عمرو بن العاص ومعوية فى استباحة ما علم تحريمه بالضرورة من دين محمد صلى الله عليه وآله وجحده وهو
الكفر ويحتمل انه يريد بكفر نعم الله وسترها باظهار معصيته كما هو المفهوم اللغوى من لفظ الكفر وانما
وحد الكفرة ليعدد الكفر بحسب تعدد الغدر فيكون ادعى الى النفار عن الغدر اذ هو فى معرض التنفير عنه
وقوله ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيمة لفظ الخبر النبوى وفيه تنفير عن رذيلة الغدر وقوله والله ما
استغفل بالمكيدة تقرير وتاكيد لما ذكره من معرفته الاراء وكيفية الدهاء للداهى فان من يكون كذلك لا يطمع فى
تغفيله عما يعمل عليه من الحيلة والمكيدة وقوله ولا استغمز بالشديدة اى لا يطلب غمزى واضعافى ثم
لا اضعف عما ادهى به من الشدايد وروى بالراى اى لا استجهل بشدايد المكايد وهذا القول صدر منه
عليه السلام كالجواب لما كان يسمعه من اقوال الجاهلين بحاله ونسبتهم له الى قلة التدبير وسوء الراى
ونسبة معوية الى استخراج وجوه المصالح والاراء الصحيحة فى الحروب وغيرها واعلم ان الجواب عن هذا
الخيال يستدعى فهم حاله عليه السلم وحال معوية وغيره ممن ينسب الى جودة الراى وبيان التفاوت
بينهم وبينه وذلك راجع الى حرف واحد وهو انه عليه السلم كان ملازما فى جميع حركاته قوانين الشريعة
مدفوعا الى اتباعها ورفض ما العادة ان يستعمل فى الحروب فالتدابير من الدهاء والخبث والمكر والحيلة
والاجتهادات فى النصوص وتخصيص عموماتها بالاراء وغير ذلك مما لم ترخص فيه الشريعة وكان غيره يعتمد
جميع ذلك سواء وافق الشريعة او لم يوافق فكانت وجوه الحيل والتدابير عليهم اوسع وكان مجالها
عليه اضيق ونقل عن ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى هذا المعنى كلام طويل خلاصته ان قال انى ربما

بحث

بوجوه

من يظن بنفسه العقل والعلم وانه من الخاصة وهو من العامة يزعم ان معوية كان ابعد غورا واصح فكرا واجود
مسلكا من على وليس الامر كذلك وسأومى الى موضع غلطه وذلك ان عليا عليه السلم كان لا يستعمل فى حروبه
الا ما يوافق الكتاب والسنة وكان معوية يستعمل ما يخالفهما كما يستعمل ما يوافقهما ويسير فى الحرب بسيرة ملك
الهند اذا لاقى كسرى وكان على يقول لاصحابه لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم ولا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على
جريح ولا تفتحوا بابا مغلقا هذه سيرته فى ذى الكلاع وفى ابى الاعور السلمى وفى عمرو بن العاص وفى حبيب بن
مسلمة وفى جميع الرؤساء كسيرته فى الحاشية والاتباع واصحاب الحروب انما يقصدون الوجه الذى
هلاك الخصم وينتظرون وجه الفرصة سواء كان مخالفا للشريعة كالحريق والغريق ودفق السموم
والتضريب بين الناس بالكذب والقاء الكتب فى العسكر او موافقا لها فمن اقتصر فى التدبير على الكتاب
والسنة فقد منع نفسه الطويل العريض من التدبير وما لا يتناهى من المكايد والصدق والكذب اكثر من
الصدق وحده والحلال والحرام اكثر من الحلال وحده فعلى عليه السلم كان ملجما بلجام الورع عن جميع
القول الا ما فيه لله رضى وممنوع اليدين من كل بطش الا بما دل عليه الكتاب والسنة دون اصحاب
الدهاء والمكر والمكايد فلما رأت العوام نوادر معوية فى المكايد وكثرة معايبه فى الخديعة وما اتفق
له ولم يروا مثل ذلك من على عليه السلم ظنوا لقصور فطنتهم ان ذلك من رجحان عند معوية ونقصان
فى على ثم انظر بعد ذلك كله هل يعد لمعوية من الخداع اكبر من رفع المصاحف ثم انظر هل خدع بها
الا من عصى راى على عليه السلم وخالف امره من اصحابه فان زعمت انه قد نال ما اراد بخدعه من
الاختلاف على على فقد صدقت ولكن ليس ذلك محل النزاع ولم يختلف فى غرارة اصحاب على عليه السلم وعجلتهم
وتسرعهم وتنازعهم وانما كان البحث فى التمييز بينه وبين معوية فى الدهاء والمكر وصحة العقل والراى
هذه خلاصة كلامه ومن تامله بعين الانصاف علم صحته وصدقه ومن هذا تبين لك الجواب عن كل
ما نسب اليه من التقصير فى خلافته كعدم اقراره لمعوية على الولاية فى اول خلافته والى معوية كاخيه
عقيل وساعره والنجاشى ومصقلة بن هبيرة وكتركه لطلحة والزبير حتى فارقاه وخرجا الى مكة واذنه لهما فى
العمرة وذهب عنه الراى فى ارتباطهما عنده ومنعه لهما من البعد عنه وامثال ذلك فان الانسان
عند اعتبار حاله فى جميع ما نسب اليه يقتضى موافقته للشريعة وعدم خروجه عنها وتفصيل الاجوبة
عن ذلك مما يخرج عن الغرض وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلم ايها الناس لا تستوحشوا فى
طريق الهدى لقلة اهله فان الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير وجوعها طويل ايها الناس انما
يجمع الناس الرضا والسخط وانما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضا فقال سبحانه
فعقروها فاصبحوا نادمين فما كان الا ان خارت ارضهم بالخسفة خوار السكة المحماة فى الارض الخوارة ايها
الناس من سلك الطريق الواضح ورد الماء ومن خالف وقع فى التيه اقول السكة الحديدة تكون فى راس

ثم عزلهم بعد ذلك لما يستلزم تقريره له
من الظلم وكشبهة التحكيم وكنسبتهم له
من التوحش بعض الصحابة حتى فارقوه

النفان تشابهها الارض وحوارها صوتها فی الارض کالارض الخوارة الضعیفه وحاصل الفصل ترغیب اصحابه السالکین لطریق الهدی فی البقاء علی ما هم علیه بذکر کون طریق الهدی فی البقاء ومن العادة ان یستوحش الناس من الوحدة وقلة الرفیق فی الطریق الطویل الصعب فنهی عن الاستیحاش فی تلک الطریق وکنی بها عما عساه یعرض لبعضهم من الوسوسة بانهم لیسوا علی حق لقلتهم وکثرة مخالفیهم لان قلة العدد فی الطریق مظنة الهلاک والسلامة مع الکثرة ونحو ذلک فنبههم علی انهم فی طریق الهدی وان کانوا قلیلین وقوله فان الناس اجتمعوا الی قوله طویل تنبیه علی علة قلة اهل الهدی وهو اجتماع الناس علی الدنیا واستعار لها لفظ المائدة ملاحظة لشبهها بها فی کونها مجمع اللذات وکنی عن قصر مدتها بقصر شبعها وعن استعقاب الانهماک فیها للعذاب الطویل فی الاخرة بطول جوعها ولفظ الجوع مستعار للحاجة الطویلة بعد الموت الی المطاعم الحقیقیة الباقیة من الکمالات النفسانیة الفانیة بسبب الغفلة فی الدنیا فلذلک نسب الجوع الیها ویحتمل ان یکون مستعارا لما یتلهف علیه النفس ویتاسف بعد المفارقة من اللذات الدنیویة التی لا تحصل علیها بعد الموت ابدا فیطول جوعها منها وراعی المقابلة فالجوع بازاء الشبع والطول بازاء القصر وقوله ایها الناس الی قوله السخط ای انما یجمع الناس فی عذاب الله رضاهم بالمنکرات ومعاصی الله وان لم یباشرها اکثرهم وسخطهم لما یترک من الاعمال ومصداق ذلک قصة ثمود فی عموم العذاب لهم بفعل عاقر الناقة فانهم باسرهم ما فعلوا ذلک مع نسب الفعل الی جمیعهم کما قال تعالی فعقروها الایة وعمتهم العقوبة لما عموه بالرضی والضمیر فی عموه یعود الی الرجل او الی العقر الذی دل علیه قوله فعقر ای لما عموا اهله برضاهم به والیه الاشارة بقوله تعالی واتقوا فتنة لا تصیبن الذین ظلموا منکم خاصة وظاهر ان الراضی بفعل شریک فاعله وفی قوم وکذلک انما یجمع الله الناس فی رحمته باجتماعهم علی الرضا بما یرضی والسخط لما یکره وقوله فما کان الا ان خارت ارضهم الی قوله الخوارة تفسیر للعذاب اللاحق لهم المشار الیه بقوله فاصبحوا نادمین فاخذهم العذاب وقد فسر القران الکریم ایضا فی قوله فاخذتهم الرجفة تبین علیه السلام کیفیة ذلک وشبه صوت ارضهم فی خسوفها وذهابها فی الارض بصوت السکة المحماة فی الارض عند الحرث بها وانما زاد هاصفة المحماة بینها علی قوة تصویتها وسرعة غوصها لان المحماة یکون لها فی الارض نشیش زائد علی ما یقتضیه حرکتها وغیبها الی علی النفوذ فاما قصة ثمود فالمنقول انهم خلف عاد فی ارضهم بعد هلاکهم عنها فکثروا واعمروا اعمارا طویلة حتی کان الرجل یبنی المسکن المحکم فینهدم فی حیاته فنحتوا البیوت فی الجبال وکانوا فی سعة ورخاء من العیش فعتوا عن امر الله وافسدوا فی الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله الیهم صالحا وکانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الی الله فلم یتبعه الا قلیل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه ایة تریدون فقالوا تخرج معنا الی عیدنا فی یوم معلوم من

السنة فتدعوا الهک وندعوا الهتنا فان استجیب لک اتبعناک وان استجیب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرج معهم ودعوا اربابهم وسالوها فلم تجب فقال کبیرهم واشار الی صخرة منفردة فی ناحیة الجبل یسمونها الکاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناک واجبناک فاخذ علیهم المواثیق بذلک ثم صلی ودعی ربه فتمخضت الصخرة کما تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء کما طلبوا وعظاوهم ینظرون ثم نتجت ولدا مثلها فی العظم فامن به رهطهم ونفر من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسائهم ان یؤمنوا فمکثت الناقة مع ولدها ترعی الشجر وتشرب الماء وکانت ترد غبا فاذا کان یوم شربها وضعت راسها فما ترفعه حتی تشرب کل ما فیها ثم تتفحج فیحلبون ما شاءوا حتی تمتلی اوانیهم فیشربون ویدخرون فاذا وقع الحر تصیفت بظهر الوادی فتهرب منها انعامهم فتهبط الی بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادی فتهرب مواشیهم الی ظهره فشق ذلک علیهم وزینت لهم عقرها امرأتان عنیزة ام غنم وصدقة بنت المختار کانتا کثیرتی المواشی لما اضرت بمواشیهما فعقروها قدار الاحمر واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتی رقا جبلا یقال له قارة فرغا ثلثا وکان صالح قال لهم ادرکوا الفصیل عسی ان یرفع عنکم العذاب فلم یقدروا علیه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهکم مصفرة وبعد غد وهی محمرة والیوم الثالث وهی

مسودة ثم یغشاکم العذاب فلما راوا العلامات هموا

بقتله فانجاه الله الی ارض فلسطین فلما کان الیوم

الرابع وارتفع الضحی تحنطوا بالصبر وتکفنوا

بالانطاع فاتتهم الصیحة وخسف

شدید وزلزال فتقطعت قلوبهم

فهلکوا وبالله

العصمة

والتوفیق

١٢٥٢

[illegible]

[illegible]

المجلد الرابع من كتاب مصباح السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم ومن كلام له عليه السلم روي عنه انه قال
عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلم كالمناجي به رسول الله صلى الله عليه وآله عند قبره السلام عليك عني وعن
ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عنها تجلدي الا ان لي
في التاسي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز فلقد وسدتك في ملحودة قبرك وفاضت بين نحري وصدري
نفسك انا لله وانا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة اما حزني فسرمد واما ليلي فمسهد
الى ان يختار الله لي دارك التي انت بها مقيم وستنبئك ابنتك فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد
ولم يخل الذكر والسلم عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم فان انصرف فلا عن ملالة وان اقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله
الصابرين اقول مستهد مورق واحفها السؤال استقص عليها فيه فاما قول السيد رضي الله عنه سيدة النساء فقد
جاء في الخبر انه صلى الله عليه وآله راها تبكي عند موته فقال لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة وروي
انه قال سادات نساء العالمين اربع خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران
منه عليه السلم على الرسول صلى الله عليه وآله كعادة الزائرين لكن الزيارة هنا قلبية وعنها كالمستاذن لها في
الدخول عليه وجوارها الذي في منازل الجنة واما سرعة لحاقها به فقد من ذكرها التشكي اليه من سرعة نوائب
المصاب عليه بموته وموتها عقيبه والمنقول ان مدة حياتها بعده صلى الله عليه وآله اربعة اشهر وقوله
التشكي اليه كالمخاطب له من قلة صبره ورقة تجلده وتحمله للمصيبة بها وفي قوله صفيتك اشارة الى ما كان لرسول
الله صلى الله عليه وآله في حقها من التبجيل والمحبة والاكرام وقوله الا ان لي الى قوله موضع تعز كالعذر والتسلية له اي
كانت هذه المصيبة عظيمة يقل لها الصبر ويرق لها التجلد فان المصيبة بفراقك اعظم وكما صبرت في تلك
كونها اشد فلان اصبر على هذه اولى والتاسي الاقتداء بالصبر في هذه المصيبة كالصبر في تلك وقوله فلقد
وسدتك الى قوله نفسك كالشرح للمصيبة به صلى الله عليه وآله ومقاساتها عند تلحيده وعند فيضان نفسه
وهي منه بين صدره ونحره وكالتذكير لنفسه بها وقوله انا لله وانا اليه راجعون امتثال لقوله تعالى وبشر
الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقوله فلقد استرجعت الوديعة الى
الرهينة استعار لفظ الوديعة والرهينة لتلك النفس ووجه الاستعارة الاولى ان النفوس في هذه الابدان
تشبه الودايع والامانات في كونها تسترجع الى عالمها وفي وجوب المحافظة عليها من المهلكات ويحتمل ان يريد
ما هو المتعارف بين الناس من كون المراة وديعة الرجل كما يقال النساء ودايع الكرام ووجه الثانية ان كل نفس

على الوفاء

على الوفاء بالميثاق الذي واثقها الله تعالى به والعهد الذي اخذ عليها حين الاهباط الى عالم الحس والخيال ان ترجع اليه
سالمة من سخطه عاملة باوامره غير منحرفة عن صراطه الموضوع على لسان رسوله صلى الله عليه وآله فان وفت
بعهدها خرجت من وثاق الرهن وضوعف لها الاجر كما قال تعالى ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا
عظيما وان نكثت وارتكبت ما نهيت عنه بقيت رهينة بعملها كما قال تعالى كل نفس بما كسبت رهينة والنفس
تصدق على الذكر والانثى وقد سبقت الاشارة الى ذلك وقوله اما حزني الى قوله مقيم صورة حاله بعدهما على
الشكاية وكنى بالدار عن الجنة لانه ممن بشر بها وقوله وستنبئك ابنتك الى قوله الذكر من التشكي الى الرسول صلى
الله عليه وآله من امته بعده فيما كان يعتقده حقا له من الخلافة ونحلة فدك لفاطمة عليها السلم فخرج مخرجا
مع نوع من الاهتضام له والغلظ عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول صلى الله عليه وآله وطراوة الذكر الذي
هو القرآن الآمر بمودة القربى وقوله عليه السلم عليكما الى الآخر وداع المحبين الناصحين بمجاري العادة وقوله وان اقم الى
الصابرين تبرئة لنفسه عما عساه يعرض لبعض من يلازم القبور لشدة الاسف والجزع من توهم انه لا عوض عن ذلك
الفائت ولا جزاء على التقوى والصبر عنه وما وعد الله به الصابرين على نزول المصائب هو صلوات ورحمة في قوله
تعالى قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلم ايها الناس انما الدنيا دار مجاز والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا استاركم
عند من يعلم اسراركم واخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل ان تخرج منها ابدانكم ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم ان المرء اذا هلك
قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله اباؤكم فقدموا بعضا يكن لكم قرضا ولا تخلفوا كلا فيكون عليكم كلا اقول
حاصل الفصل التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة بذكر الغاية من وجودهما فكون الدنيا مجازا اي يسلك بها الى الآخرة
سلوكا اختياريا كسلوك عباد الله الصالحين اليها واضطراريا كعبور الكل الى الآخرة بالموت واراد هنا الاضطراري
وهاتان المقدمتان كالعلة لقوله فخذوا من ممركم لمقركم وقوله ولا تهتكوا الى قوله اسراركم اي تجاهروه بالمعصية فانه
اذا كان يعلم اسراركم فهو بعلم ظواهركم اولى وقوله واخرجوا الى قوله ابدانكم امر لهم بالزهد في الدنيا قبل الموت وكنى
عنه باخراج القلوب منها يقال اخرج فلان عن كذا واخرج نفسه من كذا اذا اعرض عنه وتبرا منه وقوله ففيها اختبرتم
اشارة الى قصد العناية الالهية بها وقد عرفت معنى الاختبار ولغيرها خلقتم اي لنيل السعادة في الآخرة بالذات و
لمن حرثها بالعرض وقوله ان المرء الى قوله قدم اي ما ترك من متاع الدنيا وما قدم من الاعمال الصالحة وكنى عن ذكر الناس
وما يسالون عنه بذكر الملائكة وما يسالون عنه التنبيه على شرف الاعمال المسعدة في الآخرة على متاع الدنيا لكون
مطلوب الملائكة وما يبحثون بالفحص عنه وكون الثاني معنى الناس الغافلين وفي لفظ ما ترك وما قدم لطف تنبيه
على ان متاع الدنيا مفارق متروك والاعمال الصالحة معدة باقية نافعة للمرء في معاده فينبغي ان يكون العناية بها
دون المفارق المتروك وقوله لله اباؤكم كلمة تقولها العرب لتعظيم المخاطب بنسبته او بنسبة ابيه الى الله فيقال لله
انت ولله ابوك وقيل اللام للعاقبة اي الى الله مصير ابائكم لكن بذلك يخرج الكلام عن معنى التعجب والاستعظام

فقدموا بعضا الى الآخرة اى قدموا بعضا من متاع الدنيا كالصدقات ونحوها يكن لكم ثوابها فى الآخرة كقوله صلى الله عليه
وآله يا ابن آدم ليس لك من الدنيا الا ثلث ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت ولا تخلفوا كلها
لغيركم فيكون عليكم وزرها وقد علمت كيفية استلزام الصدقة والزكوة ونحوها للملكات الفاضلة والثواب
الاخروى واستلزام البخل وادخار المال للشقاوة الاخروية وانما خصص البعض بالتقديم لان حرمان الورثة لا
يجوز ونهى عن تخليف الكل لان ترك الزكوة والصدقة لا يجوز وروى يكن لكم قرضا ولا يكن عليكم كلا وهو كقوله
تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا ولفظ القرض مستعار ووجه الاستعارة ان القرض يستلزم فى
العادة الطلب من المقرض وشكره لمقرضه واداءه اليه فاشبه ذلك شكر واوامر الله الطالبة للزكوة والصدقة
وشكر الله للمنفقين فى سبيله وجزاؤه للمتصدقين فى الآخرة باضعاف ما بذلوه وانفس كمية وكيفية والكل الذى
لا منفعة فيه مع وجود مضرته ولما كان حفظ المال وتخليفه بعد الموت لا جرم كان كلا وبالله التوفيق ومن كلام
له عليه السلام كان كثيرا ما ينادى به اصحابه تجهزوا رحمكم الله فقد نودى فيكم بالرحيل واقلوا العرجة على الدنيا وانقلبوا
بصالح ما بحضرتكم من الزاد فان امامكم عقبة كؤودا ومنازل مخوفة مهولة لا بد من الورود عليها والوقوف
عندها واعلموا ان ملاحظ المنية نحوكم دانية وكانكم بمخالبها وقد نشبت فيكم وقد دهمتكم منها مفظعات الامور
ومعضلات المحذور فقطعوا علائق الدنيا واستظهروا بزاد التقوى قال السيد وقد مضى شئ من هذا الكلام
فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اقول العرجة والتعريج الاقامة على المكان والاحتباس به وعقبة كؤود شاقة
المصعد والملاحظ جمع ملحظ وهو مصدر او محل اللحظ وهو النظر بمؤخر العين ودانية قريبة ومفظعات الامور
عظائمها وشدائدها المجاوزة حد المقدار المعتاد ومعضلات المحذور ما ثقل منها واعيا الوصول الى الفصل على
بالتجهيز من الدنيا وهو الاستعداد للسفر الى القبلة بما يحتاج اليه المسافرون الى حضرته من الزاد المبلغ وهو التقوى
والرحيل يحتمل ان يريد به السفر بالموت فيكون المنادى هو حوادث الايام الداعية فى ضرورتها الى الانتهاء
ويحتمل ان يريد به السفر الى القبلة الرياضة الكاملة والمنادى بذلك هو الرسول صلى الله عليه وآله والكتاب العزيز ولما امر
ثم عقب الامر باقلال التعريج على الدنيا اى بقلة الالتفات اليها الا على قدر الضرورى منها وهو الزهد ثم بالانقلاب عنها بصالح
ما بحضرتهم من الزاد اى ما بحضرتهم فى الدنيا ويمكنهم اعداده والاستعداد به وهو الاعمال الصالحة والتقوى وقوله فان امامكم
عقبة كؤودا استعار لفظ العقبة بوصف الكؤود للموت ووجه المشابهة شدة الملاقاة وقطع منازل الى حال النفوس
الى آخر الموت واراد بالمنازل المخوفة المهولة منازل الآخرة بعده من القبر وسائر درجات النفوس فى الشقاوة وكلا
الاخروية وظاهر انه لا بد من ورود تلك المنازل الى حين عبورها خصوصا اصحاب الملكات الردية والعلائق الدنيوية
فان وقوفهم بتلك المنازل اطول وشدائدهم فيها اهول وقوله واعلموا الى قوله فيكم اخذ بعض لوازم المستعار وهو اللحظ
ودنوها وكنى بذلك عن كونها لهم بالرصد لا ينقطع عنهم وروى دانية اى قريبة منهم وكذلك المخالب ونشبها
كناية عن لحوق الآفات والامراض المهلكة لهم ومعنى التشبيه ههنا تشبيه المقدر القريب وقوعه بلحوق الموت

وتشبه مخالب المنية فيهم بوقوع ذلك فى الشريعة والباء فى بمخالبها للالصاق والواو فى قوله وقد للحال وقوله وقد دهمتكم
الى قوله المحذور كناية عن لحوق شدائد الموت ومثقلات الظهور المحذورة وهى الذنوب وقوله وقطعوا علائق الدنيا
امر بالزهد الحقيقى فيها والتحقق منها بترك الفضول والاستكثار من متاعها واستظهروا بزاد التقوى اتخذوه ظهرا
لكم على مشاق السفر الى الآخرة وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا
عليه من ترك مشاورتهما والاستعانة فى الامور بهما لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا تخبرانى اى شئ كان لكما فيه حق
دفعتكما عنه او اى قسم استأثرت عليكما به ام اى حق رفعه الى احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام اخطأت بابه
والله ما كانت لى فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية اربة ولكنكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها فلما افضت الى نظرت الى
كتاب الله تعالى وما وضع لنا وامرنا بالحكم به فاتبعته وما استسن النبى صلى الله عليه وآله فاقتديته فلم احتج فى ذلك
الى رأيكما ولا رأى غيركما ولم يقع حكم جهلته فاستشيركما واخوانى من المسلمين ولو كان ذلك لم ارغب عنكما ولا عن غيركما
ما ذكرتما من امر الاسوة فان ذلك امر لم احكم انا فيه برأيى ولا وليته هوى منى بل وجدت انا وانتما ما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وآله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله تعالى من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندى
ولا لغيركما فى هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق والهمنا واياكم الصبر ثم قال عليه السلام رحم الله رجلا رأى
حقا فاعان عليه او رأى جورا فرده وكان عونا بالحق على صاحبه اقول ارجأتما اخرتما واستأثر استبد والاربة
الحاجة وافضت وصلت والعتبى الرجوع عن الاساءة واعلم ان الرجلين كانا يؤملان الامر لانفسهما فلما صار اليه
عادا الى رجاء ان يداخلهما فى امره وان يرفعهما فى العطاء على غيرهما كما فضل بعض الائمة من قبله وان يشاركهما
اكثر الاراء المصلحية محبة منهما للجاه ونظرا الى محلهما وشرفهما ولكن الرجل لما جعل دليله الكتاب العزيز والسنة
النبوية وكان هو القوى على تفريع الاحكام منهما دون غيره وصاحب سرائرهما كما علمت من رجوع اكابر الصحابة
والخلفاء السابقين اليه فى كثير الاحكام لا جرم لم يكن به حاجة الى الاستشارة فيما يقع اليه من الوقائع واشار باليسير الذى
نقماه الى ترك مشورتهما وتسويته بينهما وبغيرهما فى العطاء فانه وان كان عندهما صعبا فهو لكونه عنده غير حق فى غاية من
السهولة والكثير الذى ارجأه ما اخراه ولم يوفياه اياه اى كثيرا بالنسبة واشار به الى ما يعود الى صلاح المسلمين
الاراء التى ينبغى ان يتحدث فيها ويحتمل ان يريد ان الذى ابدياه ونقماه بعض ما فى انفسهما وقد دل ذلك على ان فى انفسهما اشياء
كثيرة وراء ما ذكراه لم يقولاها وقوله الا تخبرانى الى قوله بابه استفسار عن الحق الذى نقماه تركه واشار الى وجوه الحق وهى
المتعارفة المعتادة وتلخيصه ان الحق الذى نقماه على تركه اما ان يكون متعلقا بهما او بغيرهما من المسلمين والاول اما لكون
فيما استأثرت به او غيره من الحقوق دفعتكما عنه ظلما والثانى اما ان يكون تركى له ضعفا عنه او جهلا به او خطأ
الحكم فيه والاستفهام فى الاقسام كلها استفهام انكار لها ومستنده منعه وانكاره لها ظاهر فان التسوية فى العطاء سنة
الرسول صلى الله عليه وآله ويجب اتباعها والاستشارة فى الحوادث ونحوها انما يجب مع عدم الحكم فى الواضحات ومع جهله
ولم يكن عليه السلام جاهلا لاحكام الوقائع الواردة عليه ولا بابها وكذلك لم يترك حقا لاحد من المسلمين عن ضعف منه

كان خليفة الوقت ولا عن جهل بحكم ولا بدليله لانه كان اعلم الامة باحكام الله ولما كان الذي نقما عليه في تلك الحال من الاقسام المذكورة
هو ترك مشورتهما والتسوية في العطاء بينهما وبين غيرهما اشار الى الجواب عن الاول بقوله والله ما كانت لي الى قوله ولا عن غيركما
والله الى قوله حملتموني عليها كالمقدمة في الجواب الكاسرة من نقمتهما ورغبته في الخلافة ومحبة الملك والسلطان للاستقلال
ويعود ذلك فانه اذا انكسر فلك الوهم لم يبق حظه بطلب الولاية الا نصرة الحق واقامته كما صرح هو به في غير موضع ونبه
عنه وقوله فلما افضت الى قوله فاقتديته وجه الجواب دل به على صغرى القياس فيه وخلاصته اني احكم بالكتاب
واقتدي بالسنة بتقدير الكبرى وكل من هو كذلك فلا حاجة به في الحكم الى الراي وقوله فلم احتج الى قوله غيركما كالنتيجة
ولا وقع حكم جهلته احد الاقسام التي استفهم عنها على سبيل الانكار اولا وقد صرح بانكاره ههنا ومنعه على تقدير
ان يشاورهما تقديم حد لانه لو وقع لم يكن يرغب عنهما ولا عن غيرهما من المسلمين في الاستشارة فيه ثم ذكر الامر الثاني
مما نقماه عليه فقال واما ما ذكرتما من امر الاسوة اي التسوية بينهما في العطاء فاجاب عنه بقوله فان ذلك امر الى قوله
حكمه صولته ولا وليته هوى مني اي لم اجعل الحاكم في ذلك هو رايي وروي ولا وليته هوى مني على ان يكون هوى مفعولا له
وخلاصته ان حكمي بالتسوية في القسمة لم يكن عن راي مني ولا هوى اتبعته ولكن وجدته انا وانتم قد فرغ الله من
القضاء به في اللوح المحفوظ واثر الرسول وقال للامر الثابت الذي لا يحتاج الى اجتهاد وتحكيل مفروغ منه ونسبة الفراغ الى
الله مجاز لمناسبة ما قضاه لعمل العبد الذي فرغ من عمله وقوله فلم احتج اليكما الى قوله حكمه اي لما وجدته كذلك لم احتج الى
ما ترضيانه مع مخالفته لما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وروي فلم احتج اليكما اي في الارشاد الى الحكم الذي قد فرغ الله منه
وقوله فليس لكما الى قوله عتبى لانه نتيجة قياسه في الجوابين فانه لما ثبت انه لا حق لهما فيما نقماه عليه لم يكن عليه ان يعتب
ثم اخذ في الدعاء لهما وله بان ياخذ الله قلوبهم الى الحق والهامهم الصبر عن الميل الى الباطل وعلى الحق ثم دعا بان يرحم الله رجلا
راى حقا وعدلا فاعان على العمل به او راى جورا او ظلما فرده واعان على صاحبه جذبا لهما الى ذلك وبالله التوفيق

وقال عليه السلام وقد راى قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ايام حربهم بصفين * اني اكره لكم ان تكونوا سبابين ولكنكم
لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر وقلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم
واصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به
اقول لهج به اولع وحرص عليه وحاصل الفصل تاديب قومه وارشادهم الى السيرة الحسنة وتبعيدهم عن [illegible]
كلام السفهاء والتعويد لها او تمرينها بكلام الصالحين ونبه بكراهيته للسب والنهي عنه على قبحه ونحوه اشار الرسول
صلى الله عليه وآله بقوله ما بعثت لعانا ولا سبابا وقوله اللهم اني بشر فاذا دعوت على انسان فاجعل دعائي له [illegible]
الصراط المستقيم وقوله لو وصفتم الى قوله في العذر اي لو عدلتم عن السباب الى وصف اعمالهم وتذكيرهم بكونهم [illegible]
لكم وضالين عن السبيل بكراهيتهم وجه النصيحة والهداية لهم ثم قلتم مكان سبكم اياهم هذا الدعاء لكان اصوب في
القول مما ذكرتموه من رذيلة السباب ولان في تذكيرهم باحوالهم ونصيحتهم اياهم فائدة وهي رجاء ان يعودوا الى الحق
فلذلك ابلغ في العذر اليهم من غيره اذ لكم ان تقولوا اعذرنا اليكم بنصحنا لكم وطلبنا منكم العتبى فلم تستعتبوا وقوله وقلتم

عطف

حقنه

على قوله وصفتم ولو مقدرة عطف وجوابها مقدر بعد تمام الدعاء وحذفا لدلالة الاولى عليهما والتقدير لو قلتم هذا الدعاء لكان
اصوب وابلغ في العذر والدعاء الذي علمهم عليه السلام اياه مطابق لصورة حال الحرب واشتمل على طلب حقن الدماء اولا لان
الدماء هو المخوف الحاضر وعلى طلب علته وهي اصلاح ذات البين اي ما بيننا وبينهم من الاحوال الموجبة للافتراق حتى
احوال الالفة والاتفاق ولما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولك اسقني ذا انائك اي من الشراب [illegible]
البين حقيقة الفرقة اي اصلح حقيقة الفرقة بيننا وبينهم وبدلها بالالفة * ثم على طلب العلة الحاسمة للفرقة والموجبة
وهي هداهم من ضلالتهم بمعرفة من جهل الحق له وارعوائه من غوايته وهي طرف التفريط من فضيلة وعدوانهم [illegible]
الافراط من فضيلة العدل وقد كانت الرذيلتان في اصحاب معاوية فانهم لما قصرت فطنتهم عن وجه الحق [illegible]
الشبهة بغوا وتعدوا ولهجوا بعدوانهم وروي عوض الغي العمى وهو عمى البصيرة وغباوتها **وقال عليه السلام** وقد راى
الحسن عليه السلام يتسرع الى الحرب * املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فانني انفس بهذين يعني الحسن والحسين عليهما السلام على الموت لئلا
ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **اقول** املكوا اشدوه واضبطوه ويهدني يكسرني ونفست بالكسر
بالفتح اي اضن وابخل ولما كان وجود الولد المنتفع به مما يشد القوة وتقوى به النفس خصوصا مثل الحسن عليه السلام كنى بقوله لا
يهدني على تقدير هلاكه عن اضعافه لركنه وانكسار نفسه بذلك ثم نبه على علة اخرى لوجوب المحافظة عليه مع اخيه عليهما السلام
وهي المحافظة على نسل الرسول صلى الله عليه وآله **وقال عليه السلام** لما اضطرب عليه اصحابه في امر الحكومة * ايها الناس انه لم
يزل امري معكم على ما احب حتى نهكتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك لقد كنت امس اميرا
فاصبحت اليوم مامورا وكنت امس ناهيا فاصبحت اليوم منهيا وقد احببتم البقاء وليس لي ان احملكم على ما تكرهون **اقول** نهكتكم
بقوله على ما احب اي من الطاعة لي ولفظ النهك واسناده الى الحرب استعارة لاضعافها لهم ملاحظة لشبههم بالثوب
الذي اخلقه اللبس ولشبهها بمستعمله في كونها سببا لذلك الاضعاف اي لم ازل كذلك الى تلك الغاية وقوله وقد
اخذت منكم وتركت كناية عن تصرفها فيهم بوجوه التصرف وهو كالعذر لهم واردفه بقوله وهي لعدوكم انهك [illegible]
جرى بعد ذا انها كهالهم * ثم اخذ في الشكوى منهم اليهم وعتابهم على عصيانهم له وحكمهم عليه بالرجوع الى التحكيم حتى صار
لهم منهيا بعد كونه آمرا لهم وناهيا وذلك من معكوس الحكم ومضاد لما ينبغي لهم وقوله وقد احببتم البقاء اي ترك القتال
وهو كالتوبيخ لهم على ذلك وقوله فليس لي الى آخره اي ليس لي قدرة على ذلك وان كان اراده بحسب المصلحة والشرع وبالله
التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من اصحابه يعوده فلما راى سعة داره قال
ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا اما انت اليها في الآخرة احوج وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقري فيها الضيف
وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو
اليك اخي عاصم بن زياد قال وما له قال لبس العباء وتخلى من الدنيا قال علي به فلما جاء قال يا عدي نفسه لقد استهام بك
الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تاخذها انت اهون على الله من ذلك قال
يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة ماكلك قال ويحك اني لست كانت ان الله تعالى فرض على ائمة

جهام

الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره **أقول** استهام بك اي ذهب بوجهك وزين لك الهيام وهو الدخان
في التيه وخشونة المأكول غلظه وخشونته وقيل الطعام الجشب هو الذي لا ادام معه وجشب جشيب وقد استفهمه عن غرضه في سعة
داره استفهام توبيخ وانكار لما ان ذلك ينافي الزهد في الدنيا والحرص في الآخرة ثم عن كونه احوج اليها في الآخرة منه اليها في الدنيا
وتقرير وارادة انك لو كنت انفقت ما اخرجته على بنائها من المال في سبيل الله كان اولى وكنت اليه احوج منها وفي رواية
اليها في الآخرة احوج وفي رواية باثبات الهمزة مع ما في قوله ما انت وقوله وبلى ان شئت الى آخره هداية الى وجوه استعمالها في
مرضات الله والتقرب بها اليه بعد التفريط في بنائها او عدم وجوه المبار المتعلقة بها ومطالع الحقوق ووجوهها الشرعية
المتعلقة بها كالزكوة والصدقة وغيرهما وظاهر كونها مبلغة الى الآخرة عند اخراج تلك الحقوق منها او فيها او صرفها الى
الله تعالى قوله علي بن سويد ساتب فضل الاخرة اي جواب به وعدي تصغير عدو واصله عديو فحذفوا احدى الواوين وقلبوا
الثانية ياء تخفيفا وادغموا فيها ياء التصغير وانما صغره استصغارا له باعتبار ان شيطانه لم يعده الى كبيرة بل قاده الى
امر وان كان خارجا عن الشريعة الا انه قريب من السلامة ودخل عليه بالخدعة في زي الصالحين فكان شيطانا
بذلك الاعتبار صغيرا بالنسبة الى شيطان آخر وهو باعتبار انقياده لذلك الوسواس عدي نفسه وقيل بل صغره
من جهة حقارة فعله ذلك لكونه عن جهل منه وانما منعه من هذه الطريقة لكونه لم يترك الدنيا على وجه التقرب
بل كان مشاركه هواه لعقله وكان تركه مستلزما لاهمال حقوق تجب عليه في الشريعة وتلزمه فيه بقوله استهام
بك الخبيث على ان فعله ذلك كان بمشاركة الشيطان ولم يكن عن عقلية خالصة وبقوله اما رحمت اهلك وولدك
على الحقوق اللازمة له من قبلهم وقد اهملها بفعله ذلك وبقوله اترى الله الى قوله من ذلك في مقام التوبيخ له على ذلك
وهو كقوله تعالى قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ الآية والحاصل ان ترك الدنيا
بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك الخلق في عمارة
الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يهدم ذلك النظام وينافيه
بل الذي امر به الشريعة القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين التي وردت بها الرسل والوقوف فيها عند الحدود
المضروبة في شرائعهم دون تعديها كما اشار عليه السلم من منع هذا الرجل واما السالكون من الصوفية بعد عصر الصحابة
فهم على الطريقين فمنهم من يختار التقشف وترك الطيبات وهجر اللذات رأسا ومنهم من يوثر الترف والذي عليه
المحققون من السالكين من التقشف فلا ينافي الشريعة لعلمهم باسرارها وطريقتهم تلك اقرب الى السلامة من طريق
المترفين لكون الترف مجال الشيطان وقد كان سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلم وجماعة من اكابر الصحابة
اسبل الطريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير احوال المدن وصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها
ولا معتزلين فاما اعتراض عاصم على علي عليه السلم في نهيه له فحاصله انه قاس نفسه في تركه للدنيا عليه وتقديره
اذا نهيتني عن ذلك فكيف بك اي فكيف بك ما ارى من هذه الحال وانت المقتدى به او فكيف اصنع بك مع
الحال التي انت عليها وانما ينبغي لي ان اقتدي بك فاجابه عليه السلم بجواب اشتمل على بيان الفرق بينه وبينه وهو اني

انما فعلت ذلك لكوني اماما وكل امام فرض الله عليه ان يقدر نفسه بضعفة الناس اي يسويها بهم في حالهم كيلا يتبيغ
بالفقير فقره فيضعف عن حمله فيكفر او يفسق وقد كانت حاله عليه السلم قبل الخلافة كذلك فالجواب الحق هو ما قلناه من
كون هذه الطريق اسلم واما الفرق بينهما فيرجع الى ان عاصما سلك على غير علم بكيفية السلوك مع ترك الحقوق
التي تلزمه لاهله وولده وكانت حاله التي فارقها اولى به وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلم** وقد سأله سائل
عن احاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر ان في ايدي الناس حقا وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا
ومنسوخا وعاما وخاصا ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى
قام خطيبا فقال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وانما اتاك بالحديث اربعة رجال ليس لهم خامس رجل
منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعمدا فلو علم الناس
انه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله رآه وسمع منه ولقف
عنه فياخذون بقوله وقد اخبرك الله عن المنافقين بما اخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم بقوا بعده عليه السلم
فتقربوا الى ائمة الضلالة والدعاة الى النار بالزور والبهتان فولوهم الاعمال وجعلوهم على رقاب الناس واكلوا بهم الدنيا
وانما الناس مع الملوك والدنيا الا من عصم الله فهذا احد الاربعة ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا
لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا فهو في يديه يرويه ويعمل به ويقول انا سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وآله فلو علم المسلمون انه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو انه كذلك لرفضه ورجل ثالث سمع من رسول الله صلى الله
عليه شيئا يامر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم او سمعه ينهى عن شيء ثم امر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ
فلو علم انه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون اذ سمعوه منه انه منسوخ لرفضوه وآخر رابع لم يكذب على الله
ولا على رسوله مبغض للكذب خوفا لله وتعظيما لرسول الله ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه
لم يزد فيه ولم ينقص منه وحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء
موضعه وعرف المتشابه ومحكمه وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الكلام له وجهان فكلام خاص
وكلام عام فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به ولا ما عنى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة
بمعناه وما قصد به وما خرج من اجله وليس كل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله ويستفهمه حتى ان كانوا ليحبون
ان يجيء الاعرابي او الطاري فيسأله عليه السلم حتى يسمعوا وكان لا يمر بي من ذلك شيء الا سألت عنه وحفظته فهذه وجوه
ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم **أقول** احاديث البدع اي الاحاديث المبتدعة بعد الرسول صلى الله عليه
وآله المنقولة عنه وما يبنى عليها من الافعال المبتدعة في الدين بدعة ايضا وتبوأ مقعده نزله واستقر فيه ولقفه تناوله
بسرعة ووهم بالكسر غلط وبالفتح ذهب وهمه الى شيء وهو يريد غيره وجنب عنه اخذ عنه جانبا وقوله ان في ايدي
الناس الى قوله وحفظا ووهما تعديد لانواع الكلام الواقع الى الناس نقلا عن الرسول صلى الله عليه وآله والصدق والكذب
من خواص الخبر والحق والباطل اعم منهما لصدقهما على الافعال وعلى الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه وقد

تفسير هذه المفهومات وأما الحفظ فهو لما حفظ من رسول الله صلى الله عليه وآله على وجهه والوهم ما غلط فيه فتوهم مثلاً عامّ وخاص أو أنه ثابت وهو منسوخ إلى غير ذلك وقوله وقد كذب على رسول الله على عهده إلى قوله النار فذلك الكذب نحو ما روي أن رجلاً سرق رداء النبي صلى الله عليه وآله وخرج إلى قوم وقال هذا رداء محمد أعطانيه لتمكنوني من تلك المرأة ذلك ففعلوا من سأل الرسول صلى الله عليه وآله عن ذلك فقال الرجل الكاذب شرب ماء فلدغته حية فمات وكان النبي حين سمع بتلك الحال قال لعلي خذ السيف وانطلق فإن وجدته وقد كفيت فاحرقه بالنار فجاء وأمر بإحراقه فكان ذلك سبب الخبر المذكور واعلم أن العلماء ذكروا في بيان أنه لا بد أن يكذب عليه دليلاً فقالوا قد نقل عنه صلى الله عليه أنه قال سيكذب علي فإن كان ذلك الخبر صدقاً فلا بد أن يكذب عليه وإن كان كذباً فقد كذب عليه ثم شرع في رجال الحديث وقسمهم أربعة أقسام ودل على الحصر بقوله ليس لهم خامس ووجه الحصر في الأقسام الأربعة أن الناقلين للحديث عنه صلى الله عليه وآله المتسمين بالإسلام إما منافق أو لا والثاني إما أن يكون قد وهم فيه أو لا والثالث إما أن لا يكون قد عرف فيه ما يتعلق به من شرائط الرواية أو يكون عالماً والأول وهو المنافق ينقل كما أراد سواء كان أصل الحديث كذباً أو أن له أصلاً حرّفه وزاد فيه ونقص بحسب هواه فهو ضال مضل عمداً وقصداً والثاني يرويه كما فهم ووهم فيه فهو ضال مضل سهواً والثالث يروي ما سمع فضلاله وإضلاله عرضي والرابع يؤديه كما سمعه وكما هو فهو هاد مهدي فأشار عليه السلام إلى القسم الأول بقوله رجل منافق إلى قوله فهذا أحد الأربعة فقوله متصنع بالإسلام أي يظهر شعار الدين لا يتأثم ولزوم العقاب عليه في الآخرة ولا يحذر منه ووجه دخول الشبهة في قبول قوله كونه ظاهر الإسلام والصحبة للرسول صلى الله عليه وآله وسماع قوله مع كون الناس لا يعلمون باطنه ونفاقه وما أخبر به الله تعالى عن المنافقين كقوله إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار وما وصفهم به كقوله تعالى إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله الآية دل على وصفهم بالكذب في مطابقة عقائدهم لألسنتهم في الشهادة بأنه رسول حق ومن كان يعتقد أنه غير رسول الله مظنة الكذب عليه وأئمة الضلال بنو أمية ودعاتهم إلى النار دعاؤهم إلى اتباعهم فيما يخالف وذلك الاتباع مستلزم لدخول النار والزور والبهتان إشارة إلى ما كانوا يتقربون به إلى بني أمية من وضع الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله في فضائلهم وأخذهم على ذلك الأجر من أولئك الأئمة وتوليتهم الأعمال والإمرة على الناس وقوله وإنما الناس إلى قوله الأمن إشارة إلى علة ميل المنافق لما يفعل وظاهر أن حب الدنيا هو الغالب على الناس من المنافقين وغيرهم لقربهم من المحسوس وجهلهم بأحوال الآخرة من هذه الحياة إلا من هدى الله فعصمه بالجذب في طريق هدايته إليه عن مجرة الأمور وفيه إيماء إلى قلة الصالحين كما قال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله وقليل من عبادي الشكور وإنما قال ثم بقوا بعده عليه السلام ثم حكى حالهم مع أئمة الضلال وإن كانت الأئمة المشار إليهم لم يوجدوا بعد لما لا بد منه من ذلك المعلوم له منزلة الواقع أو أشار إلى من بقي منهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله وتقرب إلى معوية إذ ذاك إمام ضلالة وأشار إلى القسم الثاني بقوله ورجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله كلاماً فيتصور معناه غير ما يريده الرسول ثم لا يحفظ اللفظ بعينه فيورده بعبارته هو الدالة على ما تصوره من المعنى فلا يكون قد حفظه

وتصوره على وجهه المقصود للرسول فوهم فيه ولم يتعمد كذباً والوهم هو في تأويله يرويه ويعمل به على وفق ما تصوره منه ونسبه إلى الرسول صلى الله عليه وآله وعلة دخول الشبهة على المسلمين فيه هي عدم علمهم بوهمه وعلة دخولها عليه في الرواية والعمل هو وهمه حين السماع حتى لو علم ذلك لترك روايته والعمل به وأشار إلى القسم الثالث بقوله ورجل سمع إلى قوله لرفضه وعلة دخول الشبهة على الراوي وعلى المسلمين وأخذه هو عدم علمهم بأنه منسوخ وأشار إلى القسم الرابع بقوله وآخر رابع إلى قوله ومحكمه فقوله وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه أي عمل بالعام فيما عدا صورة التخصيص وبالخاص في موضعه وقد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قوله من أجله تنبيه على صحة القسم الثالث وداخل فيه فإن من كان يسمع الكلام ذا الوجهين منه خاص وعام فلا يعرف أن أحدهما مخصص للآخر أو يسمع العام دون الخاص فينقل العام ويوجهه على غير معرفة بمعناه أو أنه خرج على سبب خاص فهو مقصور عليه ولا ينقل سببه فيعتقده عاماً أو أنه عام فيعتقده مقصوراً على السبب ولا يعمل به فيما عدا صورة السبب فيتبعه الناس في ذلك كما عليه من يعتقد وجوب العمل بمذهب الراوي وإن خالف ما رواه وقوله وليس كل أصحاب رسول الله إلى آخره جواب سؤال مقدر كأن قائلاً يقال فكيف يقع الاشتباه عليهم في قوله مع كثرتهم وتواضعه لهم فلا يسألونه فأجاب أنهم ليسوا بأسرهم كانوا يسألونه لهيبته وتعظيمه في قلوبهم وإنما كان يسأله آحادهم حتى كانوا يحبون أن يجيء الأعرابي أو الطاري فيسأله حتى يسمعوا ونبه على أنه عليه السلام كان يستقصي في سؤاله صلى الله عليه وآله عن كل ما يشتبه ويحفظ جوابه ليرجع الناس إلى فضيلته ولا من أنواره وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** وكان من اقتدار جبروته تعالى وبديع لطائف صنعته أن جعل من ماء اليم الزاخر المتراكم المتقاصف يبساً جامداً ثم فطر منه أطباقاً ففتقها سبع سموات بعد ارتتاقها فاستمسكت بأمره وقامت على حده يحملها الأخضر المثعنجر والقمقام المسخر قد ذل لأمره وأذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها فأرساها في مراسيها وألزمها قرارها فمضت رؤوسها في الهواء ورست أصولها في الماء فأنهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها فأشهق قلالها وأطال أنشازها وجعلها للأرض عماداً وأرزها فيها أوتاداً فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسيخ بحملها أو تزول عن مواضعها فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف إن في ذلك لعبرة لمن يخشى **أقول** المتقاصف المتراكم الذي يكسر بعضها بعضاً والمثعنجر السيال الكثير الماء والقمقام البحر قيل سمي بذلك لاجتماعه وجبل خلق والجلاميد الصخور وأنهد دفع وأساخ أدخل والأنصاب جمع نصب وهو ما انتصب منها والأنشاز جمع نشز وهو العوالي منها وأرزها أثبتها أي ركزها وغرسها وروي وأرزها مخففاً أي أثبتها وعليه نسخة الرضي والأول أصح وأظهر وأكنافها أقطارها وتكركره تردده وتصرفه وقد أشار في هذا الفصل إلى أن أصل الأجرام الأرضية والسماوية ومادتها هو الماء ووصف كيفية خلقها عنه وكيفية خلقة الأرض والسموات والجبال وقد تقدم بيان ذلك مستوفى في الخطبة الأولى وفي هذا الفصل فوائد الأولى أنه لما كانت هذه الأجرام في غاية القوة والعظمة ومع ذلك ففيها من عجائب الصنع وبدائعه ما يبهر

ويعجزها عن كيفية شرحه لا جرم نبّهها الى اقتدار جبروته وعظمته وبديع لطائف صنعه تنبيها بالاعتبار الاوّل على الردّ الاعظم
المطلق وبالثاني على لطفه وحكمته التامّة وكنّى باليبس الجامد عن الارض الثانية الضمير في منه للبحر وفي خلقه لله تعالى
وقيامها على حدّه كناية عن وقوفها على ما حدّ لها من المقدار والشكل والهيئة والنهايات ونحوها وعدم خروجها عن ذلك
وتجاوزها له والضمير المنصوب في يحملها للمعنى اليبس الجامد وهو الارض وكذلك في جلاميدها وما بعدها وفي ارساءها
وما بعده للجبال وفي رجالها وسهولها واقطارها وانصابها للارض وفي قواعدها وقلالها وانشازها للجبال وقد عرفت كيفية
ذلك الخلق فيما حكاه عليه السلم في الخطبة الاولى من ثوران الزبد بالريح وارتفاعه الى الجوّ الواسع وتكوين السموات
عنه الثالثة ذلّة البحر لامره واذعانه لهيبته دخوله تحت ذلّ الامكان والحاجة الى قدرته وتصريفه له وهو من باب
الاستعارة الرابعة قوله على حركتها اي حال حركتها الا على تقيد الحال وقوله ترسيخ تحملها يفهم منه انه لولا الجبال لكانت
للارض لمادت وساخت باهلها فاما كونها مانعا من الميدان فقد عرفت وجهه في الخطبة الاولى واما كونها تسيح او تزول
فلانها اذا مادت انقلبت باهلها فغاص الوجه الذي هم عليه وذلك مراده بسيحها فالمانع لها ان تسيح او تزول عن
موضعها الخامسة اشار باجمادها بعد رطوبة اكنافها الى ان اصلها من زبد الماء كما اشار اليه من قبل ويحتمل ان يشير
بذلك الى ما كان معمورا بالماء منها ثم سال الماء عنه الى مواضع اسفل منه فجلا وجفّ وهي مواضع كثيرة مسكونة
وغير مسكونة السادسة قوله تمخضه الغمام الذرف فاشارة الى ان البحر اذا وقع فيه المطر القوي ترجّج وتمخض
كثيرا وذلك لتحريك وقع المطر له بكثرته وقوّته او لكثرة اقتران المطر بالرياح فتموجه واعليها تحريكا الزوابع
الجنوبية لانكشافها وقد شاهدنا ذلك كثيرا السابعة لما عدّد المخلوقات المذكورة وتصريف القدرة الربانية لها
قال ان في ذلك لعبرة لمن يخشى نبّهها على وجوه الاعتبار بها لمن يخشى الله واراد العلماء لانحصار الخشية فيهم بقوله
تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم اللهم ايما عبد من عبادك سمع مقالتنا
العادلة غير الجائرة والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة فابى بعد سمعه لها الا النكوص عن نصرتك والابطاء عن
اعزاز دينك فانا نستشهدك عليه يا اكبر الشاهدين شهادة ونستشهد عليه جميع من اسكنته ارضك وسمواتك
ثم انت بعد المغني عن نصره والآخذ له بذنبه اقول النكوص الرجوع على الاعقاب وهذا الفصل من خطبة كان يستنهض
بها اصحابه الى جهاد اهل الشام قالها بعد تقاعد اكثرهم عن صوته استشهد فيها الله تعالى وملائكته وعباده على من سمع مقالته
العادلة المستقيمة التي هي طريق الله القائدة للناس الى الرشاد في دينهم ودنياهم المصلحة غير المفسدة لهم وهي دعاؤه
اياهم الى جهاد اعداء الدين والبغاة عليه ثم اعرض عنها وقعد عن نصرته وتباطأ عن اعزاز دينه وابى الا التاخر عن
طاعته وفي ذلك الاستشهاد ترغيب الى الجهاد وتنفير عن التاخر عنه اذ كان اعلامهم الله بحال المتخاذلين عن نصرة
دينه وقعودهم عما امرهم من الذبّ عنه فيه زجر او ارهابهم لذلك بالفزع الى طاعته وكذلك في وصفه لمقالته بالعدل
والاصلاح ترغيب في سماعها وجذب اليها وفي قوله ثم انت بعد اي بعد تلك الشهادة على المغني لنا عن نصرته تنبيه على
عظمة ملك الله وتحقير للنفوس المتخاذلة عن نصرة الدين وفي ذكر الاخذ بالذنب تذكير بوعيد الله وان في تلك الحالة

من المبعدات ...

عظيم يوجبه العدل وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر
بعجائب تدبيره للناظرين الباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدّر لجميع الامور
بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس ادراكه بالابصار ولا علمه بالاخبار
اقول حمد الله تعالى باعتبارات اضافية وسلبية اولها العلي عن شبه المخلوقين اي في ذاته وصفاته وافعاله وقد علمت
كيفية ذلك فيما مر غير مرة الثاني الغالب لمقال الواصفين وغلبه اشارة الى تعاليه عن احاطة الاوصاف به وقصورها
لها وعدم القدرة على ذلك منه وقد اشرنا الى ذلك مرارا الثالث الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين باعين بصائرهم وابصارهم
الرابع الباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين وقد مر بيان هذين الوصفين وفائدة قوله بجلال عزته تبيين بطونه عن
الفكر باعتبار جلالته وعزته عن ان تناله لا باعتبار حقارة وصغر وانما قال فكر المتوهمين لان النفس الانسانية حال
التفاتها الى استلاحة الامور العلوية المجرّدة لابدّ ان تستعين بالقوة المتخيلة بباعث الوهم في ان تصوّر تلك الامور بصور
خيالية مناسبة لتستثبتها وتحطها الى الخيال وقد علمت ان الوهم انما يدرك ما كان متعلقا بمحسوس او متخيل من
المحسوسات فكل امر تصوره الانسان وهو في هذا العالم سواء كان ذات الله سبحانه او صفاته او غير ذلك فلا بد ان
يكون مشوبا بصورة خيالية او متعلقا بها وهو تعالى منزه بجلال عزته عن تكييف تلك الفكر له وباطن عنها الخامس العالم
المنزه في كيفية علمه عن اكتساب له بعد جهل او ازدياد منه بعد نقصان او استفادة له عن غيره كما عليه علم المخلوقين
السادس المقدّر لجميع الامور على وفق قضائه كلا بمقدار معلوم منزه فيه عن التفكر والضمير واراد بالضمير ما اضمر
من الروية السابع الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالانوار لتنزهه عن الجسمية ولواحقها الثامن ولا يرهقه اي يدركه
ليل ولا يجري عليه نهار وذلك لتنزهه عن احاطة الزمان التاسع ليس ادراكه بالابصار لتقدس ذاته عن الحاجة الى الآلة
في الادراك وغيره العاشر ولا علمه بالاخبار اي كما عليه كثير من علومنا لتقدسه عن حاسة السمع وبالله التوفيق ومنها
في ذكر النبي صلى الله عليه وآله ارسله بالضياء وقدّمه في الاصطفاء فرتق به المفاتق وساور به المغالب وذلّل به الصعوبة
وسهّل به الحزونة حتى سرّح الضلال عن يمين وشمال اقول المساورة المواثبة وسرّح فرّق وقد اشار الى بعض فضائل النبي صلى الله
عليه وآله وبعض فوائده فمن فضائله ارساله بالضياء ولفظ الضياء مستعار لانوار الاسلام الهادية في سبيل الله اليه ومنها تقدّمه
على سائر الانبياء في الفضيلة وان كان الكل منهم مصطفى وذكر من فوائده رتق به المفاتق وكنّى بها عن امور العالم المتفرقة وتشتت
مصالحه بزمان الفترة ورتقها به كناية عن نظمها له بعد تفرّقها كناية بالمستعار ومنها كونه ساور به المغالب واسند المساورة
الى الله مجازا باعتبار بعثه للنبي بالدين عن امره لمواثبة مغالبيه من المشركين وغيرهم ومنها كونه ذلّل به الصعوبة اي
صعوبة اهل الجاهلية واعداء دين الله ومنها كونه سهّل به الحزونة اي حزونة طريق الله بهدايته فيها الى غايتها ومنها تسريح الضلال
والجهل عن يمين النفوس وشمالها وهو اشارة الى القائه رذيلتي التفريط والافراط عن ظهور النفوس كتسريح جيش الضلال عن
ظهر الدابة وهو من لطف الاستعارات وابلغها ومن خطبة له عليه السلم واشهد انه عدل عدل وحكم فصل واشهد ان
محمدا عبده ورسوله وسيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر الا ان الله قد جعل

ای الموجد لجمیع الامور

الخير اهلا والحق دعاة وللطاعة عصمة وان لكم عند كل طاعة عونا من الله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة فيه كفاء لمكتف
وشفاء لمشتف واعلموا ان عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ويفجرون عيونه يتواصلون بالولاية ويتلاقون
بالمحبة ويتساقون بكاس روية ويصدرون بريّة لا تشوبهم الريبة ولا تسرع فيهم الغيبة على ذلك عقد خلقهم واخلاقهم
فعليه يتحابون وبه يتواصلون فكانوا كتفاضل البذر ينتقى فيؤخذ منه ويلقى قد ميزه التخليص وهذبه التمحيص فليقبل امرؤ
كرامة بقبولها وليحذر قارعة قبل حلولها ولينظر امرؤ في قصير ايامه وقليل مقامه في منزل حتى يستبدل به منزلا فليصنع
لمتحوله ومعارف منتقله فطوبى لذي قلب سليم اطاع من يهديه وتجنب من يرديه واصاب سبيل السلامة ببصر من
بصّره وطاعة هاد امره وبادر الهدى قبل ان تغلق ابوابه وتقطع اسبابه واستفتح التوبة واماط الحوبة فقد اقيم على الطريق
وهدي نهج السبيل **اقول** النجر الاصل وغيره والعاهر الزاني ويصدق على الذكر والانثى وكذلك الفاجر والكفاء الكفاية و
والروية بالكسر الفعلة من الري وهي الهيئة التي عليها المرتوي والريبة الدخل والغل والتمحيص الابتلاء والاختبار والقارعة
الشديدة من شدايد الدهر ويرديه يوقعه في الردى واماط ازال والحوبة الاثم واطلق لفظ العدل على العادل مجازا اطلاقا
لاسم اللازم على ملزومه والبارى تعالى عادل بالنظر الى علمه وقضائه اي لا يقضي في ملكه بامر الا وهو على وفق النظام
الكلي والحكمة البالغة ويدخل في ذلك جميع اقواله وافعاله فانه لا يصدر منها شيء الا وهو كذلك واما الجزئيات المعدودة
شرورا او صورة جور في هذا العالم فانها اذا اعتبرت كانت شرورا نسبية ومع ذلك فهي من لوازم الخير والعدل
لا بد منها ولا يمكن ان يكون العدل والخير من دونها كما لا يمكن ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو شهوة وغضب
يلزمهما الفساد والشر الجزوي ولما كان الخير اكثر وكان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شرا كثيرا في الجود والحكمة
وجب وجود تلك الشرور الجزئية لوجود ملزوماتها واشار بقوله عدل الى ايجاد العدل بالفعل وبقوله في وصف
الرسول صلى الله عليه وآله سيد عباده لقوله انا سيد ولد آدم ولا فخر وقوله كلما نسخ الله الخلق فرقتين فنسخ الخلق
قسمة كل قرن وفرقة الى اخيار واشرار والقسمة قسمة المقسوم واراد النسخ هنا حال اتخاذه وقوله جعله في خيرهما
الى ما روي عنه صلى الله عليه وآله قال المطلب بن ابي وداعة قال رسول الله صلى الله عليه وآله انا محمد بن عبد الله
بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق فجعلني في خيرهم ثم جعلهم فرقتين فجعلني في خيرهم فانا خيركم بيتا وخيركم نفسا
وقوله لم يسهم فيه عاهر ولا ضرب فيه فاجر اي لم يضرب فيه العاهر بسهم ولم يكن للفجور في اصله شركة يقال
ضرب في كذا بنصيب اذا كان له فيه شركة وهو اشارة الى طهارته من قبل اصليه عن الزنا كما روي عنه صلى الله عليه
وآله لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال صلى الله عليه وآله لما خلق الله آدم
اودع نوري في جبينه فما زال ينقله من الآباء الاخاير الى الامهات الطواهر حتى انتهى الى عبد المطلب وقال صلى
الله عليه وآله ولدت من نكاح لا من سفاح وقوله الا وان الله الى قوله عصما ترغيب للسامعين ان يكونوا اهل الخير
ودعائم الحق وعصم الطاعة وكذلك قوله وان لكم الى قوله من الله تعالى جذب لهم الى الطاعة بذكر العون منه وكنى
عنى بالعون القرآن الكريم وقوله يقول على الالسنة ويثبت الافئدة تفصيل لوجوه منه تعالى وعونه من جهة القول

ثم جعلهم قبايل فجعلني في خيرهم
ثم جعلهم بيوتا فجعلني في خيرهم

على الالسنة

على الالسنة وعد المطيعين بالثواب العظيم على الطاعة ومدحه لهم وتبشيرهم بالجنة والرضوان منه على السنة الرسل
فان كل ذلك مقو على الطاعة ومعين عليها واما تثبيت الافئدة فمن جهة الاستعداد لطاعة الله واستلاحة انوار
من كتابه العزيز واستكشاف اسراره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب وكقوله كذلك لنثبت به فؤادك
ورتلناه ترتيلا ولان في القرآن الكريم من المواعظ والزواجر المخوفة ما يوجب الفزع الى الله ويثبت القلوب على
طاعته والخلاص منها وقوله فيه كفاء لمكتف اي في ذلك العون كفاية لطالبي الاكتفاء اي من الكمالات النفسانية وشفاء
لمن طلب الشفاء من امراض الرذايل الموبقة ثم نبه على عباد الله الصالحين وصفاتهم ليقتفوا آثارهم ويكونوا منهم
فاعلمهم انهم هم الذين استحفظهم علمه واسرار خلقه فمن صفاتهم امور احدها انهم يصونون ما وجب صونه
عن غير اهله ولا يضعون اسراره الا في اهله الثاني ويفجرون عيونه ولفظ العيون مستعار لما للمعادن وهي اذهان
الانبياء والاولياء وائمة العلماء واما للاصول الكلية وجملة التي علموها ويكون لفظ التفجير مستعارا لافادتها ونشرها
وتفصيلها الثالث ويتواصلون بالولاية اي ينصر بعضهم بعضا في دين الله واقامة ناموس شريعته الرابع ويتلاقون
بالمحبة فيه التي هي مطلوب الشارع من شريعته حتى يصير وكنفس واحدة الخامس ويتساقون بكاس روية واستعار
لفظ الكاس للعلم اي يستفيد بعضهم من بعض ورشح بذكر الروية واراد بها تمام الافادة السادس ويصدرون
بريّة اي يصدر كل منهم عن الآخر بفايدة قد ملأت نفسه كمالا ولفظ الرية مستعار السابع كونهم لا تشوبهم الريبة
اي لا يدخل بعضهم شك في بعض ولا تهمة بنفاق او بسوء ما ظن له من غل او حسد الثامن ولا تسرع فيهم الغيبة وانما
نفى عنهم سرعة الغيبة لان فيهم من ليس بمعصوم فلم يمكن نفيها عنهم بالكلية بل استبعد وقوعها منهم ويحتمل
ان يريد انهم لقلة عيوبهم لا يكاد احد يسرع فيهم بغيبة التاسع كونهم على ذلك عقد الله خلقهم اي على تلك الصفات
والكمال قدر خلقهم على وفق قضائه لهم بذلك واوجدهم فعليه اي فعلى ما عقد خلقهم عليه من الكمال يتحابون و
يتواصلون العاشر كونهم في ذلك كتفاضل البذر اي فكانوا في فضلهم بالقياس الى الناس كتفاضل البذر واشار الى
وجه الشبه بقوله ينتقى الى قوله التمحيص ونبه به انهم خلاصة الناس ونقاوتهم الذين اصطفاهم منهم وميزهم عنهم
تخليص عناية الله لهم بافاضة رحمته وهدايته الطريقة وخلصهم ابتلاؤه واختباره باوامره ونواهيه كما تميز جيد
البذر عن غيره ومستقبحه قوله فليقبل امرؤ كرامة بقبولها الى آخره عودا الى النصيحة والموعظة واراد كرامة الله
بطاعته وما يستلزمه من المواهب الجليلة واراد بقبولها قبولها المحصل الثابت على الوجه الذي ينبغي من اعلاء مصلحتها
وبراءتها من آثار النفاق كما قال تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وبالقارعة التي حذر منها قبل حلولها قارعة الموت ثم امر
ان يعتبر المرء قصر ايام حيوته وقلة مقامه في منزل يستلزم الاقامة القليلة فيه وهذه الغاية وهي ان يستبدل به منزلا
آخر اي يحصل بعمره اقامته القصيرة في الدنيا المستلزمة لانتقاله منها الى الآخرة فان في تصوره قلة المقام في هذا المنزل
الى منزل آخر عبرة تامة ويحتمل ان يكون حتى غاية من امره بالنظر والاعتبار اي فلينظر في ذلك المنزل المستبدل به عبرة ولئن
كان كذلك فينبغي ان يعمل لذلك المنزل المتحول اليه ولمعارف منتقله اي المواضع التي يعرف انتقاله اليها وطوبى فعلى من الطيب

باء هاء واو اللقمة تحملها وقيل هي اسم شجرة في الجنة وقلب سليم اي لم يدنس برذيلة الجهل المركب ولا بخساسات الاخلاق الردية
ومن يهدي اشارة الى نفسه عليه السلم وائمة الدين ومن يردي في مهاوي الهلاك المنافقون وائمة الضلال واضيافا
لسبيل السلامة وهو في سبيل الله عند حدوثه بهدايته من هدا ووطاعته الهادي من يسلوكها ومبادرته للهدي
اليه قبل غلق ابوابه واستعار لفظ الابواب لهم ولائمة الذين من قبله ورشح بذكر الغلق واراد بدعهم او موت الطالب
وكذلك استعار لفظ الاسباب لهم ووجه الاستعارة كونهم وصلا الى المراد كالحبال ورشح بذكر القطع واراد به اضا
موتهم واستفتاح التوبة استقبالها والشروع فيها واماطة الحوبة ازالة الاثم عن لوح نفسه بتوبته وقوله فقد
الى اخره استعارته فالمراد اعلام الله وهم العلماء والكتاب المنزل والسنة النبوية والهداية بها الى واضح سبيله ليهتدي
الناس بها ويسلكوا على بصيرة وبالله التوفيق والعصمة ومن دعاء له عليه السلم كان يدعو به كثيرا الحمد لله الذي
لم يصبح بي ميتا ولا سقيما ولا مضروبا على عروقي بسوء ولا ماخوذا باسوء عملي ولا مقطوعا دابري ولا مرتدا عن ديني ولا منكرا
لربي ولا مستوحشا من ايماني ولا ملتبسا عقلي ولا معذبا بعذاب الامم من قبلي اصبحت عبدا مملوكا ظالما لنفسي لك الحجة
علي ولا حجة لي لا استطيع ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم اني اعوذ بك ان افتقر في غناك او اضل في
هداك او اضام في سلطانك او اضطهد والامر لك اللهم اجعل نفسي اول كريمة تنتزعها من كرائمي واول وديعة ترتجعها من
ودائع نعمك عندي اللهم انا نعوذ بك ان نذهب عن قولك او نفتتن عن دينك او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي
جاء من عندك اقول الدابر عقب الرجل من ولد ونسله والدابر الظهر والالتباس الاختلاط والاضطهاد الظلم والتتابع
التهافت في الشر والقاء النفس فيه وقد حمد الله تعالى باعتبار ضروب من النعم اعترف بها وعد منها عشرة وهي الحياة والصحة
والسلامة من آفات العروق وامراضها ومن الاخذ بالجريمة وقطع النسل ويحتمل ان يريد بالدابر الظهر وكنى بالقطع عن
الدواهي العظيمة التي من شانها قصم الظهر وقطع القوة ثم من الارتداد عن الدين ثم عن جحود ربوبية الله ثم عن الاستيحاش
من الايمان واستثقاله والنفرة عنه ثم من اختلاط العقل ثم من التعذيب بعذاب الامم السالفة بالصواعق والخسف
وعقب ذلك الحمد بالاقرار على نفسه بصفات الخضوع والذلة المستلزمة لاستنزال الرحمة وعد منها خمسة وهي كونه
عبدا مملوكا لله ثم كونه ظالما لنفسه ثم كونه محجوجا لله عليه مقطوع الحجة في نفسه ثم كونه معترفا بعدم الاستطاعة
ان ياخذ الا ما قسم الله له وبسببه الوصول اليه وانه لا يقدر ان يتقي من المضار الا ما وقاه الله اياه ثم طلب لنفسه بهذه
الاقرارات قبول الرحمة من فضله فاستعاذ به من امور وهي ان يفتقر في غناه تعالى اي ان يفتقر مع انه الغني المطلق وان يضل
في هداه اي مع انه الهادي الذي لا ضلال معه وان يظلم في سلطانه اي مع ان له السلطان القاهر وان يضطهد
والامر القاهر له ثم ساله ان يجعل نفسه اول كريمة تنتزع منه من كرائمه واراد بكرائمه قواه النفسانية والبدنية واعضاءه
وغرض السؤال ان يمتعه بجميعها سليمة من الآفات الى حين الممات فيكون نفسه اول منتزع من كرائمه قبل ان يفقد شيئا
منها ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني اي اجعلهما باقيين صحيحين
الى حين وفاتي واستعار لفظ الوديعة للنفس باعتبار انها في معرض الاسترجاع كالوديعة ثم استعاذ به من الذهاب

قوله ولا الافتتان عن دينه وقد روي الرضي رحمه الله تفتتن بالتاء للفاعل على ان يكون الفتنة من النفس لا مان وروي
بالباء للمفعول فيكون المستعاذ منه الفتنة بالغير ثم من الانحراط في سلك الاهواء وتتابعها في مرامي الشقاوة دون
الهدى الذي جاءت به الكتب الالهية من عند الله وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلم خطبها بصفين اما بعد فقد
جعل الله لي عليكم حقا بولاية امركم ولكم علي من الحق مثل الذي لي عليكم والحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في
التناصف لا يجري لاحد الا جرى عليه ولا يجري عليه الا جرى له ولو كان لاحد ان يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصا
لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان
يطيعوه وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله ثم جعل سبحانه من حقوقه
حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافا في وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الا ببعض
واعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على
كل فجعلها نظاما لالفتهم وعزا لدينهم فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية فاذا ادت
الرعية الى الوالي حقه وادى اليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن
فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالي برعيته
اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الادغال في الدين وتركت محاج السنن فعمل بالهوى وعطلت الاحكام
وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذل الابرار وتعز الاشرار وتعظم تبعات
الله عند العباد فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه فليس احد وان اشتد على رضا الله حرصه وطال
في العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ما الله اهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق الله على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم
والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته بفوق ان يعان على ما
حمله الله من حقه ولا امرؤ وان صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه فاجابه عليه السلم
رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلم ان من حق من عظم جلال الله
في نفسه وجل موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وان احق من كان كذلك لمن عظمت نعمة الله عليه
ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند صالح
الناس ان يظن بهم حب الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال في ظنكم اني احب الاطراء واستماع الثناء
ولست بحمد الله كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا لله سبحانه عن تناول ما هو احق به من العظمة والكبرياء وربما
استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علي بجميل ثناء لاخراجي نفسي الى الله واليكم من التقية في حقوق لم افرغ من ادائها
وفرائض لا بد من امضائها فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطوني
بالمصانعة ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسي فانه من استثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه
كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان اخطئ ولا آمن ذلك من

الا ان يكون الله من نفسي ما هو املك به مني فانما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منا ما لا نملك من انفسنا
واخرجنا مما كنا فيه الى ما صلحنا عليه فابدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى اقول اذلالها و
وطرقها واجحف بهم ذهب باصلهم والادغال الافساد واقحمته دخلت فيه بالاحتقار والازدراء واجحف اضعف
واصغر والبادرة الحدة وغرض الفصل جمع كلمتهم واتفاقهم على اوامره فاشار اولا الى ان لكل منه ومنهم على الاخر
حق يجب ان يخرج اليه منه فحقه هو عليهم حق ولاية لامرهم وحقهم عليه حق الرعية على الوالي وهو مثله في
وجوب مراعاته وفي استلزامه للوازم التي سنذكرها وقوله فالحق اوسع الى قوله قضائه تقرير لوجوب حقه
عليهم وكالتوبيخ لهم على قلة الانصاف فيه ومعناه ان اذا اخذ الناس في وصف الحق وبيانه كان لهم في ذلك مجال
واسع لسهولته على السنتهم واذا حضر التناصف بينهم وطلب منهم ضاق عليهم المجال لشدة العمل بالحق وصعوبة
الانصاف لاستلزامه ترك بعض المطالب المحبوبة لهم واطلاق السعة والضيق على الحق استعارة ملاحظة
فيما يتوهم فيه من اتساعه للقول وضيقه عن العمل بالمكان الذي يتسع لشيء ويضيق عما هو اعظم منه وقوله
لا يجري لاحد الا جرى عليه تقرير للحق عليهم وتوطين لنفوسهم عليه اذ لا يجري له تمكين لنفوسهم بذكر الحق لهم ثم اعاد
الحق عليهم بحجة في صورة متصلة وهي لو كان لاحد ان يجري له الحق ولا يجري عليه لكان الله تعالى هو الاولى بخلوص
ذلك له دون خلقه ثم بين الملازمة بقوله لقدرته الى قوله صروف قضائه اي لكونه قادرا على عباده وعاليا
منهم مع كونه لا يستحق عليه شيء لعدله فيهم في كل ما جرت به مقاديره التي هي صروف قضائه كان اولى بخلوص
ذلك له دونهم وبين استثناء نقيض التالي باستثناء ملزومه وهو قوله ولكنه تعالى جعل الى قوله اهله وحاصله
لكنه تعالى جعل لنفسه على عباده حقا هو طاعتهم له ليثبت لهم بذلك حقا جزاء طاعتهم له فقد ثبت انه
لم يخلص ذلك لله تعالى بل كما اوجب على عباده حقا له اوجب لهم على نفسه بذلك حقا فاذن لا يجري لاحد
حق الا جرى عليه وهو نقيض المقدم وفي قوله مضاعفة الثواب الى قوله اهله تنبيه لهم على ان الحق الذي
اوجبه على نفسه اعظم مما اوجب لها مع انه ليس بحق وجب عليه بل تفضل منه وتوسعة عليه مما هو اهله
من مزيد النعمة ليتخلقوا باخلاق الله في اداء ما وجب عليهم من الحق بافضل وجوهه ويقابلوا ذلك التفضل
بمزيد الشكر وتلك المضاعفة كما في قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ونحوه وقوله ثم جعل سبحانه
قوله بعض كالمقدمة لما يريد ان يثبته من كون حقه عليهم واجبا من قبل الله تعالى وهو حق من حقوقه ليكون
لهم الى ادائه ادعى وبين فيها ان حقوق الخلق بعضهم على بعض هي من حق الله تعالى من حيث ان حقه على عباده هو
الطاعة واداء تلك الحقوق طاعات لله كحق الوالد على ولده وبالعكس وحق الزوج على الزوجة وحق الوالي على
الرعية وبالعكس وقوله فجعلها تتكافأ في وجوهها اي جعل كل وجه من تلك الحقوق مقابلا بمثله فحق الوالي وهو
الطاعة من الرعية مقابل بمثله منه وهو العدل فيهم وحسن السيرة ولا يستوجب كل من الحقين الا بالاخر
قال واعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي لكون هذين الحقين امرين

كليين يدور عليهما اكثر المصالح في المعاش والمعاد واكد ذلك بقوله فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل اي ذلك فريضة
فريضة وقوله فجعلها نظاما الى قوله عز العباد اشارة الى لوازم حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي الذي
كل الى كل حقه فا ان الله تعالى جعل تلك الحقوق سببا لالفتهم وقد بينا فيما سلف في غير موضع ان الفتهم من اعز مطالب الشارع
وانها مطلوبة من اجتماع الخلق على الصلوة في المساجد في كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد الاعظم وفي
كل سنة مرتين في الاعياد والتناصف والاجتماع في طاعة الامام العادل من موجبات الانس والالفة والمحبة
في الله حتى يكون الناس كلهم كرجل واحد عالم بما يصلحه ويسعى له وبما يفسده ويجتنب عنه ب انه جعل تلك الحقوق
عزا لدينهم وظاهر ان الاجتماع اذا كان سببا للالفة والمحبة كان سببا عظيما للقوة وقهر الاعداء واعزاز الدين
ثم اكد القول في ان اصلاح الرعية منوط بصلاح الولاة وهو امر قد شهدت به العقول وتوافقت عليه الاراء الحقة
واليه اشارة القائل تهدى الرعية ما استقام الرئيس وقول الاخر تهدى الامور باهل الرأي ما صلحت فان تولت
فبالاشرار تنقاد وكذلك صلاح الولاة منوط بصلاح الرعية واستقامتهم في طاعتهم وفساد احوالهم بعصيانهم
وخلافهم ج من لوازم ذلك قيام مناهج الدين وطرقه بالاستقامة على قوانينه والعمل بها د واعتدال معالم العدل ومظانه
بحيث لا جور فيها ه وجريان السنن على وجوهها ومسالكها بحيث لا تغير فيها ولا تبديل و صلاح الزمان بذلك ونسبة
الصلاح اليه مجاز اذ الصلاح في الحقيقة يعود الى حال اهل الزمان وانتظام امورهم في معاشهم ومعادهم وانما يوصف بالصلاح
والفساد باعتبار وقوعهما فيه وكونه من الاسباب المعدة لهما ز من لوازم ذلك الطمع في بقاء الدولة واليأس من مطامع الاعداء
فسادها وهدمها وقوله واذا غلبت الى قوله عند العباد اشارة الى ما يلزم عصيان الرعية للامام او حيفه هو عليهم
من الفساد فا اختلاف الكلمة وكنى به عن اختلاف الاراء والتفرق المسبب ب ظهور معالم الجور وعلاماته وهو لازم
لعدم العدل بعدم اسبابه ج كثرة الفساد في الدين وذلك لشدة الاهواء وتفرقها عن رأي الامام العادل الجامع لها على
كل ما يشتهيه مما هو مفسد للدين ومخالف له د ترك محاج السنن وطرقها اما من الامام لجوره ومن الرعية لشدة
ظلام آرائها ه العمل بالهوى وعلة ما مر و وتعطيل الاحكام الشرعية وهو لازم للعمل بالهوى ز وكثرة علل النفوس في
امراضها بملكات السوء كالغل والحسد والعداوات والعجب والكبر ونحوها وقيل عللها وجوه ارتكابها المنكرات
في كل منكر بوجه وعلة ورأي فاسد ح فلا يستوحش لعظيم حق عطل وذلك للانس بتعطيله ولا لعظيم باطل
فعل وذلك لاعتياده والاتفاق عليه وكونه مقتضى الاهوية ط فهنالك تذل الابرار لذلة الحق المعطل الذي
هم اهله وكان عزهم بعزه ي وتعز الاشرار لعزة الباطل الذي هم عليه بعد ذلتهم بعز الحق يا وتعظم تبعات
الله على العباد اي عقوباته بسبب خروجهم عن طاعته ولما بين لوازم طاعته وعصيانه قال فعليكم بالتناصح في ذلك
اي في ذلك الحق وحسن التعاون عليه وقوله فليس احد الى قوله من الطاعة له تاكيد للامر بالمبالغة في طاعة الله
اي فليس احد من الناس يبلغ بطاعة الله ما هو اهله منها وان اشتد حرصه على ارضائه بالعمل وطال في
اجتهاده ولكن على العباد من ذلك مبلغ جهدهم في النصيحة والتعاون على اقامة حق الله بينهم بقدر الامكان

ما يستحقه هو تعالى فان ذلك غير ممكن وقوله وليس امرؤ وان عظمت الى قوله حمله الله تعالى من حقه اى انه وان
بلغ المرء اى درجة كانت من طاعة الله فهو محتاج الى ان يعان عليها وليس هو بارفع من ان يعان على ما حمله الله
وذلك لان تكليف الله تعالى بطاعته بحسب وسع المكلف والوسع فى بعض العبادات قد يكون مشروطا بمعونة
الغير فيها فلا يستغنى احد عنها وقوله ولا امرؤ وان صغرته النفوس الى قوله يعان عليه اشارة الى انه لا ينبغى ان
احد عن الاستعانة به فى طاعة وان يعان عليها فانه وان احتقرته النفوس فليس بدون ان يعين على طاعة الله
حقه ولو بقبول الصدقات ونحوها او يعانوا عليها باعطاء ما يسد خلتهم او يدفع عنهم ضررا كالجاه ولفظ
الاقتحام استعارة ووجهها ان الذى تحتقره النفوس يجترا عليه وتقتحمه العيون عبور الاحتقار فكانها قد
وغرض هذا الكلام الحث على استعانة بعض ببعض وعلى الالفة والاتحاد فى الدين وان لا يزدرى فقير لفقره ولا
لضعفه وان لا يستغنى غنى عن فقير فلا يلتفت اليه ولا قوى عن ضعيف يحتقره بل ان يكون الكل كنفس واحدة
قوله لمن اكثر عليه الثناء فحاصله التاديب على الاطراء والنهى عن الغلو فى الثناء على الانسان فى وجهه بالفضائل وان
كانت حقه وسره ان ذلك يستلزم فى كثير من الناس الكبر والعجب بالنفس والعمل فقوله ان من حق من عظم الى قوله
اليه مقدمة فى الجواب بين فيها ان من عظمت نعمة الله عليه ولطف احسانه اليه فحقه ان يصغر عنده كل ما سواه
بقياس من الشكل الاول وتقدير صغراه ان من عظمت نعم الله عليه ولطف احسانه اليه فهو احق الناس بتعظيم
جلال الله فى نفسه واجلال موضعه من قلبه وتقدير كبراه وكل من كان احق بذلك فمن حقه ان يصغر كل ما سواه
عنده ودل على الصغرى بقوله فانه لم تعظم نعمة الله على احد الا ازداد حق الله عليه عظما ودل على الكبرى بقوله فان من عظم
الله فى قلبه يجب ان يصغر عنده كل شئ سواه وهذه المقدمة وان كانت عامة الا ان الاشارة الخاصة بها الى نفسه
ان اعظم نعمة الله فى الدنيا خلافة المسلمين وفى الآخرة ما هو عليه من الكمالات النفسانية فكان احق الناس بتعظيم
الله فى نفسه وكان بذلك من حقه ان يصغر كل ما سوى الله فى قلبه * ثم قال ومن اسخف حالات الولاة الى قوله والكبر
فكانه قال ومن كان من حقه ان يصغر كل ما سوى الله فى قلبه فكيف يليق به ان يحب الفخر او يضع امره على الكبر الذى
لا يليق الا بعظمة الله او يظن به ذلك ويعامل بما تعامل به الجبابرة من الخطاب به وصرح بان المراد نفسه فى قوله وقد
كرهت الى آخره وقوله ولو كنت احب ان يقال ذلك الى قوله يجرى مجرى تسليم الجدل اى وهب انى احب ان يقال ذلك
باعتبار ما فيه من اللذة لكنى لو كنت كذلك لتركته باعتبار آخر وهو الانحطاط والتصاغر عن تناول ما الله احق به من
العظمة والكبرياء ونبه فى ذلك على ان الاطراء يستلزم التكبر والتعظم فكان تركه وكراهته لكونه مستلزما لذلك وقوله
وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء يجرى مجرى تمهيد العذر لمن اثنى عليه فكانه يقول وانت معذور فى ذلك حيث
اجاهد فى الله واحث الناس على ذلك ومن عادة الناس ان يستحلوا الثناء عند ان يبلو بلاء حسنا فى جهاد او غيره من
ساير الطاعات ثم اجاب عن هذا العذر فى نفسه بقوله فلا تثنوا على بجميل ثناء الى قوله من امضائها وان الذى لا تثنوا
لاجل ما ترونه من طاعة الله فان ذلك انما هو اخراج لنفسى الى الله من حقوقه الباقية على لم افرغ بعد من ادائها وهى حقوق

ومن فرائضه

ومن فرائضه التى لابد من المضى فيها وكذلك اليكم من الحقوق التى اوجبها الله على لكم من النصيحة فى الدين والارشاد الى الطريق
الاقصد والتعليم لكيفية سلوكه وفى خط الرضى رحمه الله من التقية بالتاء والمعنى ان الذى افعله من طاعة الله انما هو
اخراج لنفسى الى الله واليكم من تقية الخلق فيما يجب على من الحقوق اذ كان عليه السلم انما يعبد الله غير ملتفت فى
شئ من عبادته واداء واجب حقه الى احد سواه خوفا منه او رغبة اليه وكانه قال لم افعل شيئا الا وهو اداء حق وجب على
واذا كان كذلك فكيف استحق ان يثنى على لاجله ثناء جميلا واقابل بهذا التعظيم وهو من باب التواضع لله وتعليم
كيفيته وكسر للنفس عن محبة الباطل والميل اليه * وقوله فلا تكلمونى الى قوله بعدل ارشاد لهم الى ما ينبغى ان يكونوا
عليه من السيرة عنده ونهاهم عن امور ا ان لا يكلموه بكلام الجبابرة لما فيه من اغراء النفس ولانه عليه السلم ليس
بجبار فيكون ذلك منهم وضعا للشئ فى غير موضعه ب ان لا يتحفظوا منه بما يتحفظ به عند اهل البادرة وسرعة الغضب
من الملوك وغيرهم وذلك التحفظ كتكلف ترك المسارة والحديث اجلالا وخوفا منه او كترك مشاورته او اعلامه
الامور او كالقيام بين يديه فان ذلك التحفظ قد يفوت به مصالح كثيرة ولانه مما يغرى النفس بحب الفخر والعجب ولانه وضع
الشئ فى غير موضعه ج ان لا يخالطوه بالمصانعة والنفاق لما فيه من فساد الدين والدنيا د ان لا يظنوا به استثقالا لحق
يقال له وان كان فيه مرارة واستعار لفظ المرارة لشدة الحق وصعوبته فان عدله عليه السلم يستلزم قبول الحق كيف كان
ه ان يظنوا التماسه لاعظام نفسه وذلك لمعرفته بمن هو اهله دونه وهو الله تعالى وقوله فانه من استثقل الى
قوله اثقل قياس ضمير من الشكل الثانى بين فيه انه لا يستثقل قول الحق له وعرض العدل عليه ليزول ظن من ظن ذلك به
والمذكور هو صغرى القياس وتلخيصها ان من استثقل قول الحق له وعرض العدل عليه كان العمل بالحق والعدل عليه
ثقيلا بطريق الاولى وتقدير الكبرى ولا شئ من العمل بهما ثقيل على اما الصغرى فظاهرة لان تكلف فعل الحق اصعب
على النفس من سماع وصفه واما الكبرى فلانه عليه السلم يعمل بهما من غير تكلف ولا استثقال كما هو المعلوم من حاله
فينتج انه لا شئ من قول الحق له وعرض العدل عليه بثقيل و ان لا يكفوا عن قول حق ومشورة بعدل لما فى الكف عن ذلك
من المفسدة وقوله فانى لست الى قوله منى من قبيل التواضع الباعث لهم على الانبساط معه بقول الحق وفى قوله
الا ان يكفى الله من نفسى اى من نفسى الامارة بالسوء ما هو اقوى منى على دفعه وكفايته من شرورها وهواها
العصمة الى الله تعالى وقوله فانما انا وانتم الى آخره تاديب فى الانقياد لله وتذليل لعظمته وظاهر كونه مالك
منا انفسنا ومبوطها وخواطرها اذ الكل منه وهو مبدأ فيضه والاستعداد له وقوله واخرجنا مما كنا فيه اى من
الضلالة فى الجاهلية والعمى والجهل فيها عن ادراك الحق وسلوك سبيل الله الى ما صلحنا عليه اى من الهدى لسبيل
والبصيرة لما ينبغى من مصالح الدارين وذلك ببعثة الرسول صلى الله عليه وآله وظهور نور النبوة * ومن كلام
له عليه السلم اللهم انى استعديك على قريش فانهم قد قطعوا رحمى واكفؤوا انائى واجمعوا على منازعتى حقا كنت اولى
به من غيرى وقالوا الا ان فى الحق ان تاخذه وفى الحق ان تمنعه فاصبر مغموما او مت متاسفا فنظرت فاذا ليس
لى رافد ولا ذاب ولا مساعد الا اهل بيتى فضننت بهم عن المنية فاغضيت على القذى وجرعت ريقى على الشجا وصبرت

من كظم الغيظ على امر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار قال السيد رحمه الله وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته هاهنا لاختلاف الروايتين اقول استعديك استعينك والاسم العدوى وهي الاعانة واكفاؤا الاناء وكفاه شركبته والرافد المعاون والقذى ما يسقط في العين فيوذيها والشجى ما يعرض في الحلق عند الغم والحزن من الامر فيكون للانسان كالمغتص بلقمة ونحوها والعلقم شجر مر والشفار جمع شفرة وهي السكين وغرضه من الفصل التظلم والتشكي والاستعانة بالله على قريش فيما دفعوه عنه من حق الامامة الذي هو اولى به وكنى عن ذلك بقطع الرحم وكنى بقلب الاناء عن اعراضهم وتفرقهم عنه فان ذلك من لوازم قلب الاناء كما ان من لوازم ضيهم له وتعديله اقبالهم واجماعهم عليه وقوله واجمعوا الى قوله غيري قالت الامامية الاشارة بالمجمعين الى قريش حين وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك الغير الذي كان هو اولى منهم هم الخلفاء الثلثة قبله وقال غيرهم بل اشار بالمجمعين اليهم وقت الشورى واتفاقهم بعد التردد الطويل على عثمن فلا يدخل الشيخان الاولان في هذه الشكاية والقول الثاني ضعيف لانه صرح بمثل هذه الشكاية من الايمة الثلثة قبله في الخطبة الشقشقية كما بيناه وبالجملة مراده من هذا الكلام واشباهه اقواله وتصفح احواله لا يخفى على عاقل ويشبه ان يكون صدور هذا الكلام منه حين خروج طلحة والزبير الى البصرة تظلما عليهما فيكون المفهوم من قوله واجمعوا على منازعتي حقا كنت اولى به من غيري انكارا لاجماعهم على منازعته الحق اذا كان اولى به ممن سبق من الايمة على جلالة قدرهم وتقدمهم في الاسلام فكيف بهؤلاء مع كونهم ادون حالا منهم وهو كقوله فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر وقوله وقالوا الا ان في الحق الى قوله متاسفا حكاية لقولهم بلسان حال فعلهم لا انهم قالوا ذلك وقوله فنظرت الى آخره قد مضى تفسيره في الشقشقية وفي فصل بعدها بثلثة وعشرين فصلا وقوله وآلم للقلب من حز الشفار ظاهر وفائدة التنوير بما يفوتها من الكمالات النفسانية لاشد بكثير من الآلام الحسية من حز السكين وغيره ومن طالع الفصلين المتقدمين علم التفاوت في الرواية لهما ولهذا الفصل ومن هذا الكلام في ذكر السائرين الى البصرة لحربه عليه السلم فقدموا على عمالي وخزان مال المسلمين الذي في يدي وعلى اهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا على جماعتهم ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة عضوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين اقول عضوا على اسيافهم اى لزموها واشار بالمصر الى البصرة وبالذين قدموا على عماله اى طلحة والزبير وعائشة واتباعهم فاما حالهم مع عماله وما فعلوا بهم وبخزان بيت المال بالبصرة فقد مر ذكره مستوفى والله الموفق ومن كلام له عليه السلم لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد وهما قتيلان يوم الجمل لقد اصبح ابو محمد بهذا المكان غريبا اما والله لقد كنت اكره ان يكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب ادركت وتري من بني عبد مناف وافلتتني اعيار بني جمح لقد اتلعوا اعناقهم الى امر لم يكونوا اهله فوقصوا دونه اقول هو عبد الرحمن بن عتاب بن اسيد بن العاص بن امية شهد واقعة الجمل وقتل بها وروي ان عقابا احتملت كفه فالقيت باليمامة في ذلك اليوم وعرفت بخاتمه وكان يدعى يعسوب قريش واعيار جمع عير وهم سادات القوم واوتادهم وجمح قبيلة واتلعوا اعناقهم

كالمتطلعين

اعبد الرحمن بن اسيد

كالمتطلعين الى الامر ووقصوا كسرت اعناقهم وابو محمد كنية طلحة وفي الفصل اشارات فالاولى ان قتله عليه السلم لمن قتل من مخالفيه ومن قتل من عسكره لم يكن الا اقامة للدين ونظام العالم فلو قلت ان قتل على كثرتهم فساد حاصل امره وان كان فسادا الا انه جزئي بالنسبة الى صلاح جميع المسلمين في مصر جزئية بالنسبة الى صلاح الكل ولابد من فعل ما هو بصورة جزئية من الفساد لمصلحة كلية واجب في الحكمة وهو كقطع عضو فاسد لاصلاح باقي البدن الثانية ان قوله تحت بطون الكواكب كناية لطيفة عن الفلوات واراد اني كنت اكره ان يكونوا بهذه الحالة في الفلوات بحيث لا كفن ولا ظل الثالثة لقايل ان يقول لم قال عليه السلم ادركت وتري من بني عبد مناف والوتر الحقد وهو رذيلة فكيف يجوز منه عليه السلم ان ينسبه الى نفسه ويقول قد ادركته والجواب ان الحقد يعود حقيقته الى ثبات الغضب وبقائه ببقاء صورة الموذي في الخيال ومن ان ذلك الغضب وثباته بتصور الموذي في الدين لا يكون رذيلة ولا يكون اخذ الحق به وتضرة بكرو الرابعة ان طلحة والزبير كانا من بني عبد مناف من قبل الام دون الاب فان ابا الزبير من بني عبد العزى بن قصي بن كلاب وابا طلحة من بني سعد بن تيم بن مرة وكان في زمن امير المومنين عليه السلم من بني جمح عبد الله بن صفوان وقيل كان مروان بن الحكم منهم اخذ اسيرا يوم الجمل واستشفع بالحسن الى ابيه عليهما السلم وروي عوض اعيار اعيان بني جمح وهم السادات ايضا الخامسة اتلاع رقابهم استعارة كنى بها عن تطاولهم لامر الخلافة مع كونهم ليسوا اهلا لها ووقصهم كناية عن قتلهم دون ذلك الامر وقصورهم عنه ومن كلام له عليه السلم قد احيا عقله وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه بطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه اقول هذا الفصل من اجل كلام له في وصف السالك المحقق الى الله وفي كيفية سلوكه المحقق وافضل رموزه فاشار باحياء عقله الى صرف همته في تحصيل الكمالات العقلية من العلوم والاخلاق واحياء عقله النظري والعملي بها وبعد الرياضة بالزهد والعبادة واشار باماتة نفسه الى قهر نفسه الامارة بالسوء وتطويعها بالعبادة للنفس المطمئنة بحيث لا يكون لها تصرف على حد طباعها الا بارسال العقل وباعثه فكانت في حكم الميت عن الشهوات والميول الطبيعية الذي لا تصرف له من نفسه وقوله حتى دق جليله اي حتى انتهت به اماتته لنفسه الشهوية الى ان دق جليله وكنى بجليله عن بدنه فانه اعظم ما يرى منه ولطف غليظه اشارة الى لطف بدنه ايضا ويحتمل ان يشير به الى لطف قواه النفسانية بتلك الرياضة وكسر الشهوة فان اعطاء القوة الشهوية مقتضى طبعها من الانهماك في الماكل والمشارب مما يثقل البدن ويكدر الحواس ولذلك قيل البطنة تذهب الفطنة وتورث القسوة والغلظة فاذا اقتصرت على حد العقل لها لطفت الحواس عن قلة الابخرة المتولدة عن التملي بالطعام والشراب وفي لطف ذلك ما غلظ من جوهر النفس بالهيات البدنية المكتسبة من متابعة النفس الامارة بالسوء كلطف المراة بالصقال حتى يصير ذلك اللطف سببا لاتصالها بالملأ الاعلى واستشراقها الانوار من الملأ الاعلى وقوله وبرق له لامع كثير البرق واشار باللامع الى ما يعرض للسالك عند بلوغ الارادة والرياضة به حدا ما من الخلسات الى الجناب الاعلى

بن امية ابن خلف عبد الرحمن بن صفوان

فيظهر له منها انوار الهية لذيذة شبيهة بالبرق في سرعة لمعانه واختفائه وتلك اللوامع مسماة عند اهل الطريقة
بالاوقات وكل وقت فانه محفوف بوجدين قبله وبعده لانه لما ذاق تلك اللذة ثم فارقها حصل فيه
حنين وانين الى ما فات منها ثم ان هذه اللوامع في مبدء الامر تعرض له قليلا فاذا امعن في الارتياض كثرت فاشار
باللامع الى نفس ذلك النور وبكثرة برقه الى كثرة عروضه بعد الامعان في الرياضة ويحتمل ان يكون قد استعار
اللامع للعقل الفعال ولمعانه ظهوره للعقل الانساني وكثرة بروقه اشارة الى كثرة فيضان تلك الانوار الشبيهة بالبروق
عنه عند الامعان في الرياضة وقوله فابان له الطريق اي ظهر له بسبب ذلك ان الطريق الحق الى الله هي ما هو عليه من
الرياضة وهي ابواب الجنة اعني تطويع النفس الامارة والزهد الحقيقي والاسباب الموصلة اليهما كالعبادات
وترك الدنيا فان كل تلك ابواب يعبر منها السالك حتى ينتهي الى باب السلامة وهو الباب الذي اذا دخله السالك
يتحقق فيه السلامة من الانحراف عن سلوك سبيل الله بمعرفته ان تلك هي الطريق وذلك الباب هو الوقت
الذي اشرنا اليه وهو اول منزل من منازل الجنة العقلية وقوله وثبتت رجلاه الى قوله والراحة في قرار
الامن متعلق بثبتت وهو اشارة الى الطور الثاني للسالك بعد طور الوقت ويسمى طمانينة وذلك ان السالك
مادام في مرتبة الوقت فانه يعرض لبدنه عند لمعان تلك البروق في سره اضطراب وقلقلة يحس بها لان
النفس اذا فاجاها امر عظيم اضطربت وتقلقلت فاذا كثرت تلك الغواشي الفتها فصارت بحيث لا تنزعج
عنها ولا تضطرب لورودها عليها البدن بل يسكن ويطمئن لثبوت قدم عقله في درجة اعلى من درجات
الجنة التي هي قرار الامن والراحة من عذاب الله وقوله بما استعمل الى آخره فالجار والمجرور متعلق بثبتت ايضا
اي وثبتت رجلاه بسبب استعمال قلبه ونفسه في طاعة الله وارضائه به بذلك الاستعمال وبالله التوفيق

كلام له عليه السلام قاله بعد تلاوته الهيكم التكاثر يا له مراما ما ابعده وزورا ما اغفله وخطرا ما افظعه
لقد استخلوا منهم اي مذكر وتناوشوهم من مكان بعيد افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون
يرتجعون منهم اجسادا خوت وحركات سكنت ولان يكونوا عبرا احق من ان يكونوا مفتخرا ولان يهبطوا بهم
جناب ذلة احجى من ان يقوموا بهم مقام عزة لقد نظروا اليهم بابصار العشوة وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا
عنهم عرصات تلك الديار الخاوية والربوع الخالية لقالت ذهبوا في الارض ضلالا وذهبتم في اعقابهم جهالا
تطؤن في هامهم وتستنبتون في اجسادهم وترتعون فيما لفظوا وتسكنون فيما خربوا وانما الايام بينهم وبينكم
بواك ونوائح عليكم اولئك سلف غايتكم وفراط مناهلكم الذين كانت لهم مقاوم العز وحلبات الفخر ملوكا
وسوقا سلكوا في بطون البرزخ سبيلا سلطت الارض عليهم فيه فاكلت من لحومهم وشربت من دمائهم فاصبحوا
في فجوات قبورهم جمادا لا ينمون وضمارا لا يوجدون لا يفزعهم ورود الاهوال ولا يحزنهم تنكر الاحوال ولا يحفلون
بالرواجف ولا ياذنون للقواصف غيبا لا ينتظرون وشهودا لا يحضرون وانما كانوا جميعا فتشتتوا والافا
فافترقوا وما عن طول عهدهم ولا بعد محلهم عميت اخبارهم وصمت ديارهم ولكنهم سقوا كاسا بدلتهم بالنطق

وسلك السبيل اي كان سببا
لسلوكه سبيل الله وقوله
فتدافعته الابواب اي ابواب
الرياضة

خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا فكانهم في ارتجال الصفة صرعى سبات جيران لا يتانسون واحباء لا يتزاورون
بليت بينهم عرى التعارف وانقطعت منهم اسباب الاخاء فكلهم وحيد وهم جميع وبجانب الهجر وهم اخلاء
لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء اي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمدا شاهدوا من اخطار دارهم
افظع مما خافوا وراوا من آياتها اعظم مما قدروا فكلا الغايتين مدت لهم الى مباءة فاتت مبالغ الخوف والرجاء فلو
كانوا ينطقون بها لعيوا بصفة ما شاهدوا وما عاينوا ولئن عميت آثارهم وانقطعت اخبارهم لقد رجعت فيهم
ابصار العبر وسمعت عنهم آذان العقول وتكلموا من غير جهات النطق فقالوا كلحت الوجوه النواضر وخوت الاجساد
النواعم ولبسنا اهدام البلى وتكاءدنا ضيق المضجع وتوارثنا الوحشة وتهكمت علينا الربوع الصموت فانمحت محاسن
اجسادنا وتنكرت معارف صورنا وطالت في مساكن الوحشة اقامتنا ولم نجد من كرب فرجا ولا من ضيق متسعا فلو مثلتهم
بعقلك او كشف عنهم محجوب الغطاء لك وقد ارتسخت اسماعهم بالهوام فاستكت واكتحلت ابصارهم بالتراب فخسفت
وتقطعت الالسنة في افواههم بعد ذلاقتها وهمدت القلوب في صدورهم بعد يقظتها وعاث في كل جارحة منهم جديد بلى
سمجها وسهل طرق الآفة اليها مستسلمات فلا ايد تدفع ولا قلوب تجزع لرايت اشجان قلوب واقذاء عيون لهم من كل فظاعة صفة
حال لا تنتقل وغمرة لا تنجلي فكم اكلت الارض من عزيز جسد وانيق لون كان في الدنيا غذي ترف وربيب شرف يتعلل بالسرور في
ساعات حزنه ويفزع الى السلوة ان مصيبة نزلت به ضنا بغضارة عيشه وشحاحة بلهوه ولعبه فبينا هو يضحك
الى الدنيا وتضحك اليه في ظل عيش غفول اذ وطئ الدهر به حسكه ونقضت الايام قواه ونظرت اليه الحتوف من
كثب فخالطه بث لا يعرفه ونجي هم ما كان يجده وتولدت فيه فترات علل آنس ما كان بصحته ففزع الى ما كان عوده الاطباء من
تسكين الحار بالقار وتحريك البارد بالحار فلم يطفئ ببارد الا ثور حرارة ولا حرك بحار الا هيج برودة ولا اعتدل بممازج
لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء حتى فتر معلله وذهل ممرضه وتعايا اهله بصفة دائه وخرسوا عن جواب
السائلين عنه وتنازعوا دونه شجي خبر يكتمونه فقائل هو لما به وممن لهم اياب عافيته ومصبر لهم على فقده يذكرهم
اسى الماضين من قبله فبينا هو كذلك على جناح من فراق الدنيا وترك الاحبة اذ عرض له عارض من غصصه فتحيرت
نوافذ فطنته ويبست رطوبة لسانه فكم من مهم من جوابه عرفه فعي عن رده ودعاء مؤلم لقلبه سمعه فتصام عنه من
كبير كان يعظمه او صغير كان يرحمه وان للموت لغمرات هي افظع من ان تستغرق بصفة او تعتدل على عقول اهل
الدنيا **اقول** المرام المطلوب والزور الزائرون والخطر الاشراف على الهلاك والفظيع الشديد الذي جاوز الحد في
شدته واستخلوا اي اتخذوا وخلية الذكر بهم وشانهم وقيل استخلوا اي وجدوه خاليا والتناوش التناول والحجى
الاحجى وهو العقل والعشوة ركوب الامر على جهل به ويرتضون يخطئون ولفظوا رموا وتركوا والفارط السابق الى الماء
وحلبات الفخر جماعته والسوقة جمع سوقة وهي الرعية والبرزخ ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت الى البعث والفجوات
جمع فجوة وهي المتسع من الارض والضمار الغائب الذي لا يرجى ايابه ويحفلون يبالون والرواجف الزلازل وياذنون يسمعون
وارتجال الصفة انشاؤها والسبات النوم واصله الراحة وافظع اشد والمباءة الموضع من الانسان الذي يرجع اليه [illegible]

عجز عنه والكلوح تكشر في عبوس والاهدام جمع هدم وهو الثوب البالي وكادنا شق علينا وصعب وتهكمت تهدمت
وارتسخت ثبتت في قرارها الهوام واسكتت انسدت وذلاقة اللسان حدته وسهولة الكلام به وتهدمت سكنت
ورثاثة فسدت تجهما فتحهما والاشجان الاحزان ولاتنوء التعجب للناظر وغضارة العيش طيبه والكرب
الحال من هم وحزن والقار والقرور الماء البارد وفي الفصل فوائد الاولى اللام في قوله يا لها لام الجر للتعجب كقولهم يا
للجار والمجرور في محل النصب لانه المنادى وروي بامرئه او زورا او خطرا منصوبات على التمييز والمعنى التعجب
ذلك المرام وهو التكاثر فان الغاية المطلوبة لا يدركها الانسان لان كل غاية بلغها فقوتها غاية اخرى وقد ادركها
نفسه تطمح اليها وذلك التعجب من شدة غفلة الزور اى الزائرين للمقابر لان الكلام خرج بسبب الاية وظاهر
ان غفلة الانسان عما يزور اليه ويقدم بعد تلك الزيارة عليه غفلة عظيمة وهي محل التعجب من عظمة الخطر والاشراف
شدائد الاخرة فان كل خطر دنياوي يستحقر في جنبه والضمير في قوله استخلوا للاحياء وفي منهم للاموات وكنى بالمذكر
عما خلفوه من الاثار التي هي محل العبرة وقوله اى مذكرا استفهام على سبيل التعجب من ذلك المذكر في حسن افادته
لاولي الابصار وقوله وتناوشوهم من مكان بعيد اى تركوا منهم ما ينتفعون به وهو المذكور من جهة الاعتبار
وتناولوهم من جهة بعيدة والذي تناولوه هو افتخار كل منهم بابيه وقبيلته ومكاثرة بالماضين من قومه الذين هم بعد
الموت ابعد الناس عنه او الذين كانوا ابعد الكمالات عنه وكنى بالمكان البعيد عن ذلك الاعتبار فان الاموات
في ابعد الاعتبارات عن الاحياء والابناء ولذلك استفهم انكارا وتوبيخا فقال افبمصارع ابائهم يفخرون الى قوله سكنت
لا ارتجاع بالمفاخرة بهم فكانهم يذكرهم لهم في الفخر قد ارتجعوهم بعد موتهم ويحتمل ان يكون ذلك استفهاما عند
على سبيل الانكار لكونه لم يكن حرف الاستفهام والتقدير او يجمعون منهم بفخرهم بهم اجسادا خوت وقوله ولأن يكونوا
عبرا احق ان تكونوا مفتخرا تقرير مؤكد لتوبيخه لهم على ترك العبرة بالمذكر الذي هو وجه النفع واخذهم بالوجه
البعيد وهو الافتخار وكشف لمعناه وكذلك قوله ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة اى بالاعتبار بمصارعهم فانه
يستلزم الخشوع لعزة الله والخشية منه وذلك اولى بالعقل والتدبير من ان يقوموا بهم مقام عزة بالمفاخرة
واضاف الابصار الى العشوة لنسبتها اليها اى نظروا اليها بابصار قلوب غطى عليها الجهل باحوالهم فسادوا في
تلك الاحوال بجهالة غامرة لهم وقوله ولو استنطقوا الى قوله لقالت اى لو طلب منها النطق لقالت بلسان حالها
كذا وكذا الى قوله وتسكنون فيما خربوا ويحتمل ان يكون باقي الفصل كله مقولا بلسان حال تلك الديار والضلال
بالنصب في قوله ضلالا وجهالا على الحال اى ذهبوا في الارض هالكين وذهبتم بعدهم جاهلين باحوالهم
بطون روسهم ويستثبتون الاشجار في اجسادهم وذلك في المواضع التي يلبث فيها الاجساد واستعار لفظ
والنوائح لايام الحيوة ملاحظة لشبهها في مفارقتهم لها بالامهات التي فارقها الاولاد بالموت وقوله اولئك سلف
غايتكم وفرّاط مناهلكم اى السابقون لكم الى غايتكم وهي الموت وما بعده والى مناهلكم وهي تلك الموارد
جمع مقام لان الفرط ... على الحال وبطون البرزخ ما غاب وبطن منه عن علوم ...

وبرانها م
وكذلك التعجب
وكذلك استفهام

فهي سبل القدرة بهم الى غاياتهم الاخروية من سعادة او شقاوة وتفسيره الاكل والشرب الى الارض مجاز يقارب الحقيقة
الاستعمال وانما سلب عنهم التهمم والفزع من ورود اهوال الارض عليهم والحزن من تغير الاحوال بهم والحفلة بزلازل
الارض وسماع الرياح القاصفة والانتظار لكون ذلك من توابع الحيوة وصفاتها فان قلت فهذا ينافي ما نقل
من عذاب القبر فانه يستلزم الفزع والحزن قلت انما سلب عنهم الفزع والحزن من اهوال الدنيا المشاهدة لنا وكذلك
الحفلة باهوالها وسماعها وعذاب ليس من ذلك القبيل بل من احوال الاخرة واهوالها ولا يلزم من سلب الفزع الخاص
سلب العام ونبه على ان غيبتهم وشهودهم ليس كغيبة اهل الدنيا وشهودهم اذ كان الغائب في الدنيا من شانه ان
ينتظر والشاهد فيها حاضر فهم شاهدون بابدانهم مع صدق الغيبة عليهم عنا اى بانفسهم ولما امتنع ذلك
العود لا جرم صدق انهم غيب لا ينتظرون وشهود لا يحضرون وقوله عن طول عهدهم الى قوله سكونا اى عدم
اخبارهم وصمم ديارهم عند ندائنا ليس لاجل طول عهد بيننا وبينهم ولا من بعد محلتهم ومستقرهم فان الميت
موته وهو بعد مطرح الجسد وشاهد لنا انمحى علينا اخباره ولا يسمع ندائنا دياره ولكن ذلك لاجل انهم سقوا
كاس المنية فبدلتهم بالنطق خرسا وبالسمع صمما وبالحركات سكونا واسناد العمى الى الاخبار والصمم الى الديار مجاز
نهاره صائم وليله قائم وقوله فكانهم الى قوله سباتا اى اذا اراد احد حكى صفة حالهم شبههم بالصرعى عن النوم
عدم الحركات والسماع والنطق مع الهيئة الشاهدة من المستغرق في نومه على انهم في احوالهم الاخروية من تجاورهم مع
وتهاجرهم ليس كتلك الاحوال في الدنيا اذ من شان الجيران فيها التآنس بعضهم ببعض والاحباء ان يتزاوروا والوحدان لا يكون
جماعة واشار بالجوار الى تقاربهم ابدانهم في القبور وبالهجر الى ما كانوا عليه من التحابب في الدنيا وهجرهم الى عدم تزاورهم
بحالهم الى ما كانوا عليه من المودة في الدنيا وكونهم لا يتعارفون لليل صباحا ولا لنهار مساء لكون الليل والنهار من لواحق الحركات
الدنيوية الغائبة عنهم فيتساوى الليل والنهار بالنسبة اليهم وكذلك قوله اى الجديدين الى قوله سرمدا والجديدان الليل والنهار
لتجدد كل منهما ابدا واستعار وصف الظعن لانتقالهم الى الدار الاخرة ويكون ذلك الجديد الذي ظعنوا فيه سرمدا عليهم
لعدم عوده عليهم بل اسناد السرمدية اليه كونه جزءا من الزمان الذي لحقه السرمدية لذاته حقيقة وقوله شاهدوا الى قوله
اشارة الى تصوير احوال الاخرة واعظمية احوالها بالنسبة الى ما يخاف منها في الدنيا وذلك امر عرف باخبار الشريعة الحقة
باستقراء اللذات والالام العقلية ونسبتها الى الحسية فان الخوف والرجاء للامور الاخروية انما يحصلان بسبب
تلك الامور وانما يعقل من تلك الاوصاف ما كان فيه مناسبة وتشبيه بالامور المخوفة والمرجوة في الدنيا فحصل
ذلك على قياس هذه فذلك سبب تهويلها علينا وضعف خوفنا منها ورجائنا لها حتى لو شاهدنا خطار تلك الدار لعلمنا
اشد مما نعلمه الان دون تصور مع تعدد مياه وهلنا الاجرم لما وصل السابقون شاهدوا القطع بما خافوا او لو امكنهم النطق
بصفة ما شاهدوا منها وعجزوا عن شرحها وقوله فكلتا الغايتين اى غاية المؤمنين والكافرين من سعادة وشقاوة
اى مدلهم اجل ينتهون فيه الى غاية ومرجع هو الجنة او النار وذلك المرجع بيوت مبالغ خوفنا ورجائنا اى هو اعظم
مخافة ومرجوا واسند المد الى الغاية مجازا وقوله ولو كان عميا الى قوله النطق من افصح الكلام وابلغه وابصار العبر ايضا

التي يضربها واذان العقول مجاز في علمها باحوالهم التي من شانها ان تسمع اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله وكلامهم من غير جهة
النطق اي من غير افواه والسنة لحالية ولكن بالسنة احوالهم وقوله فقالوا الى قوله مفقودا اشارة الى ما تنطق به السنة احوالهم
وتحكيه منها في القبور وروي عوض خلت خوت واستعار لفظ الاهدام للتغير والتفسخ والتمزق العارض لجلد الميت
الثوب البالي ويحتمل ان يريد بها الاكفان والمضجع القبر وتوارث الوحشة اي وحشة القبور واستعار لفظ التوارث لكون
الوحشة ومعارف صورهم ما كان معروفا منها في الدنيا وقوله فلو مثلتهم بعقلك اي تخيلت صورهم واستحضرتها في خيالك
وكشف عنهم محجوب الغطاء اي ما حجب باغطية التراب والثرى من اجسادهم عن بصرك والواو في قوله وقد ارتسخت للحال
قلوبهم استعارة لحياتها وحركاتها واسناد البث الى جديد البلى مجاز وسهلت حال للجوارح والمفاصل وبهل والام
قوله لرايت جواب لو واحسن بقولهم في كل فظاعة منه حال لا يحتمل وعزم لا ينجلي وصفا لجمالها فان الامر بطيه
اللذيذة واراد بالتمرغ من الفظاعة ما يمرهم من الشدائد والقذى فعيل بمعنى مفعول اي مقذي بالترف وقوله وعن
السلوة اي عن المصيبة النازلة الى الملذات والمتنزهات وضحكه الى الدنيا كناية عن ابتهاجه بها وبما فيها من القينات وغايته
اقبال عليها لان غاية المبتهج بالشي ان يضحك له وكذلك ضحك الدنيا مجاز في اقبالها عليه اطلاقا لاسم السبب على
سببه واصل ينادي بمعنى الاعن اشباع الفتحة والعيش والغفول الذي يكثر الغفلة فيه ولطيه استعار لفظ الحسك
للالام والامراض ومصايب الدهر ووجه المشابهة استلزامها للاذى كاستلزام الحسك له ورشح بذكر الوطي
استعار وصفا النظر لاقبال الحتوف اليه لاستعداده لها فتابهت في ذلك الراصد للشي المصوب اليه نظره ليقتنصه
والبث والنجي من الهم الحال التي يجدها الانسان عند وهم الموت من الوسواس والتخيلات والهموم والاحزان التي لم تكن
تعرض له وقوله فتولدت بحسبه فترات علل انس ما كان بصحته واستصحاب انس على الحال وما بعض الزمان وكان تامة
وبصحته متعلق بآنس اي حال ما هو انس زمان من صحته ودليل ما اسند ربه والتقدير انس كونه على احوال صحته
وقوله فلم تطفي ببارد الاقول حرارة الى قوله ذات داء اشارة الى لوازم العلاج عند سقوط القوة من المرض الحار والبارد
الملائم لها وليس العلاج بالبارد وهو المثور للحرارة ولا العكس لان الدواء معين للطبيعة على مقاومة المرض فلا يكون مثيرا
له ولكن لما كان مع ذلك العلاج وتلك الاعانة غلب الحرارة او البرودة وتظهر بسبب ذلك الى الدواء وكذلك قوله ولا
اعتدل بممازج لتلك الطبائع الا امد منها كل ذات داء اي ولا اعتدل المريض في علاج نفسه بما يمازج تلك الطبائع من الحرارة
والبرودة والرطوبة واليبوسة الا كان مادة لدائه منها وليس مادة على الحقيقة ولكن لما كان يغلب معه المرض على القوة فكانه
مادة له فنسب اليه وهي امور عرفية قالا كثيرا والكلام فيها على المتعارف وقوله حتى فتر معلله الى قوله وتعالى الطبيب
وخرس اهله عن جواب السائل اشارة الى سكوتهم عند السؤال عن حاله وذلك انهم لا يخبرون عن حقيقته لشدتها ويكرهون
الاخبار عنه بما هو عليه من الحال لشدتها عليهم فيكون شانهم في ذلك السكوت عن حاله فشبه بالخرس في قوته فلذلك
استعاره وقوله وتنازعوا الى قوله من قبله اشارة الى ما يتحاوره اهل المريض المشرف على الموت من احوال المرضى مما العادة
ان يقولوه وقوله فبينا كذلك الى اخره صفة حال الاحتضار في الموت المعتادة للناس وقوله وان للموت الى اخره تلك الغمرات

وكونها

وكونها اقطع من ان يحيط بها وصف الانسان او يستقيم شرحها على الانسان كما اخبر عليه السلام ويحمل ذلك على سبيل الجملة
بالحدس والقياس الى الامراض الصعبة التي يمارسها الناس ويشتد عليهم فيعرف عند مقاساتها وعما لاشد ايذها وكان صلى
الله عليه وآله يقول في سكرات موته اللهم اعني على سكرات الموت وما يستعين عليه الرسول صلى الله عليه وآله مع كمال اتصاله
بالعالم الاعلى فلا شك في شدته وبالله التوفيق وهو المستعان ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله ان الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة وما برح لله عزت
آلاؤه في البرهة بعد البرهة وفي ازمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلمهم في ذات عقولهم فاستصبحوا بنور يقظة في الاسماع
والابصار والافئدة يذكرون بايام الله ويخوفون مقامه بمنزلة الادلة في الفلوات من اخذ القصد حمدوا اليه طريقه وبشروه بالنجاة ومن
اخذ يمينا وشمالا ذموا اليه الطريق وحذروه من الهلكة وكانوا كذلك مصابيح تلك الظلمات وادلة تلك الشبهات وان
للذكر لاهلا اخذوه من الدنيا بدلا فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه يقطعون به ايام الحيوة ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في
اسماع الغافلين ويامرون بالقسط وياتمرون به وينهون عن المنكر ويتناهون عنه فكانما قطعوا الدنيا الى الآخرة وهم
فيها فشاهدوا ما وراء ذلك وكانما اطلعوا غيوب اهل البرزخ في طول الاقامة فيه وحققت القيمة عليهم عداتها فكشفوا
غطاء ذلك لاهل الدنيا حتى كانهم يرون ما لا يرى الناس ويسمعون ما لا يسمعون فلو مثلتهم لعقلك في مقاومهم المحمودة
ومجالسهم المشهودة وقد نشروا دواوين اعمالهم وفرغوا لمحاسبة انفسهم على كل صغيرة وكبيرة امروا بها فقصروا عنها
او نهوا عنها ففرطوا فيها وحملوا ثقل اوزارهم ظهورهم فضعفوا عن الاستقلال بها فنشجوا نشيجا وتجاوبوا نحيبا يعجون
الى ربهم من مقام ندم واعتراف لرايت اعلام هدى ومصابيح دجى قد حفت بهم الملائكة وتنزلت عليهم السكينة وفتحت
لهم ابواب السماء واعدت لهم مقاعد الكرامات في مقعد اطلع الله عليهم فيه فرضي سعيهم وحمد مقامهم يتنسمون
بدعائه روح التجاوز رهائن فاقة الى فضله واسارى ذلة لعظمته جرح طول الاسى قلوبهم وطول البكاء عيونهم لكل باب رغبة
الى الله منهم يد قارعة يسالون من لا تضيق لديه المنادح ولا يخيب عليه الراغبون فحاسب نفسك لنفسك فان غيرها
من الانفس لها حسيب غيرك اقول الوقرة الثقل من الوقر وهو الصمم والعشوة الفعلة من العشا وهو ظلمة العين
بالليل دون النهار والبرهة المدة الطويلة من الزمان ويهتفون يصيحون والبرزخ ما بعد الموت من مكان وزمان
والنشيج الصوت في ترديد النفس عند البكاء والمنادح جمع مندح وهو المتسع فقوله ان الله سبحانه الى قوله بعد المعاندة
انما يتضح بالاشارة الى الذكر وفضيلته وفائدته فالذكر هو القرآن الكريم لقوله تعالى وهذا ذكر مبارك انزلناه ونحوه وقيل
هو اشارة الى تمجيده تعالى وتسبيحه وتكبيره وتهليله والثناء عليه ونحو ذلك واما فضيلته فمن القرآن قوله تعالى
فاذكروني اذكركم وقوله اذكروا الله ذكرا كثيرا وقوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله الاية وقوله فاذا قضيتم مناسككم
فاذكروا الله الاية واما من الاخبار فقوله صلى الله عليه وآله ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل في الفارين وقوله صلى الله عليه وآله
يقول الله انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه وقوله ما عمل ابن آدم من عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول
الله ولا الجهاد في سبيل الله قال الا ان تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثلثا وقوله من احب ان يرتع في رياض

فليكثر من ذكر الله ونحو ذلك فاما فائدته فاعلم ان الموثر من الذكر والنافع منه ما كان على الدوام او في اكثر الاوقات مع حضور
القلب وبدونهما فهو قليل الجدوي وبذينك الاعتبارين هو المقدم على سائر العبادات بل هو روح العبادات العملية و
ثمرتها وله اول يوجب الانس بالله وآخر يوجبه الانس بالله وذلك ان المريد في مبدا امره قد يكون متكلفا الذكر الله ليصرف
اليه قلبه ولسانه عن الوسواس فان وفق للمداومة انس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومما يدل على ذلك ان احدنا يمدح
بين يديه شخص ويذكر بحميد الخصال فيحبه ويعشقه بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر اضطر الى كثرة
الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من احب شيئا اكثر من ذكره ومن اكثر ذكر شيء وان كان متكلفا احبه وقد شاهد
ذلك كثير اكذلك اول ذكر الله متكلفا الى ان يثمر الانس به والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الثمرة مثمرا ولذلك
قال بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم الا عن الانس والحب ولا يصدر
الانس الا من المداومة على المكابدة حتى يصير التكلف طبعا ثم اذا حصل الانس بالله انقطع عن غير الله وما سوى الله
هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر اهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى الا المحبوب المذكور فيتمتع
به ويتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه من اسباب الدنيا ومحبوباتها اذا عرفت ذلك فقوله جعله
اشارة الى فائدته وهي استعداد النفوس بمداومته على الوجه الذي ذكرناه لمحبة المذكور والاعراض
عما سواه واستعار لفظ الجلاء لازالة كل ما سوى المذكور عن لوح القلب بالذكر كما يزال خبث المرآة بالصقال
ويجوز بلفظ السمع في اقبالها على ما ينبغي ان يسمع من اوامر الله ونواهيه وسائر كلامه والوقوع لاعراضها
عنها وكذلك بلفظ البصر في ادراكها للحقائق وما ينبغي لها ولفظ العشوة لعدم ذلك الادراك الطلاق في
المجازات الاربعة لاسم السبب على المسبب وانقيادها الراي الحق وسلوك طريقه بعد المعاندة فيه والاعراض
عنه وقوله وما برح الى قوله عقولهم اشارة الى انه لم يخل المدد والزمان الفترات قط من عباد لله واولياء الهمهم
معرفته وافاض على افكارهم وعقولهم صور الحق وكيفية الهداية اليه مكاشفة وتلك الافاضة والالهام هو
المراد بالمناجاة والتكليم منه وقوله فاستصبحوا الى قوله والافئدة اي استضاؤا بمصباح نور اليقظة في
في الافئدة فطانتها واستعدادها الكامل لما ينبغي لها من الكمالات العقلية ونور تلك اليقظة هو ما يفاض على
استعدادها بتلك الفطانة ويقظة الابصار والاسماع بتتبعها الابصار الامور النافعة المحصلة منها عبرة
وكمالا نفسانيا وسماع النافع من الكلام وانوار اليقظة فيهما ما يحصل بسبب ذلك الابصار والسماع من
انوار الكمالات النفسانية ثم شرع في وصف حالهم في هديهم لسبيل الله بالتذكير بايامه وهي كناية عن شدائده
النازلة بالماضين من الامم واصلها انها تقع في الايام ويحتمل ان يكون مجازا اطلاقا لاسم المحل على الحال وتقلم
كناية عن عظمته وجلالته المستلزمة للهيبة والخوف وشبههم بالادلة في الفلوات ووجه الشبه كونهم
هادين لسبيل الله كما تهدي الادلة وكما ان الادلة تحمد الى من اخذ القصد في الطريق طريقه وتحذره من الهلكة
كذلك الهداة الى الله من سلك سبيل العدل اليه وقصد فيه لحمدوا اليه طريقه وبشروه النجاة من المهالك ومن

وحشروه بالنجاة ومن الخوف منها تلك شمالا ذموا اليه طريقه

انحرف

انحرف عنها يمينا وشمالا اي سلك احد طرفي الافراط والتفريط ذموا اليه مسلكه وحذروه من الهلاك الابدي
وقوله فكانوا كذلك اي كما وصفناهم واستعار لهم لفظ المصابيح باعتبار اضاءتهم بكمالاتهم لطريق الله و لفظ
الادلة باعتبار هدايتهم الى الحق وتنزهه عن شبهات الباطلة وقوله ان للذكر لاهلا الى قوله في ايام الحياة فاهله
هو من ذكرنا انهم استغلوا به حتى احبوا المذكور ونسوا ما عداه من المحبوبات الدنيوية واوجبت محبة الذكر
محبة ذكره وملازمته حتى اتخذوه بدلا من متاع الدنيا وطيباتها ولم يشغلهم عنه تجارة ولا بيع وقطعوا لما
حبوهم الدنيا وقوله يهتفون الى قوله ويتناهون عنه اشارة الى وجوه طاعتهم لله وعبادتهم له وهي من ثمرات
الذكر ومحبة المذكور لان من احب محبوبا سلك مسلكه ولم يخالف رسمه وكان له في ذلك الابتهاج واللذة
وقوله فكانما قطعوا الى قوله عدلها تشبيه لهم في تيقنهم بالله وبما جاءت به كتبه ورسله وتحققهم لاحوال
القيمة ووعدها ووعيدها بعين اليقين بمن قطع الدنيا الى الآخرة مع كونه فيها وبمن اطلع على ما غاب عن
الدنيا من اهوال اهل البرزخ وطول اقامتهم فيه فكشفوا غطاء تلك الاحوال لاهل الدنيا بالعبارات الواضحة
اللائحة حتى كانهم في وصفهم لها عن صفاء سرائرهم وصقال جواهر نفوسهم بالرياضة التامة يرون بابصارهم ما لا
يرى الناس ويسمعون باذانهم ما لا يسمع الناس ولما كان السبب في قصور النفوس عن ادراك احوال الآخرة هو علاقتهم
بهذه الابدان واشتغالها بتدبيرها والانغماس في الهيات الدنيوية المكتسبة عنها وكان هؤلاء الموصوفون قوما قد
غسلوا درن تلك الهيات عن الواح نفوسهم بمداومة ذكر الله وملازمة الرياضة التامة حتى صارت نفوسهم كمرآي
مجلوة حوذي شطر الحقائق الالهية فتجلت فيها وانتقشت بها لا جرم شاهدوا بعين اليقين سبيل النجاة وسبيل الهلاك
وما بينهما فسلكوا على بصيرة وهدوا الناس على يقين واخبروا من امور شاهدوها باعين بصائرهم وسمعوها باذان
عقولهم فكانهم في وضوح ذلك لهم وظهوره واخبارهم عنه قد شاهدوا ما شاهده الناس بحواسهم فشاهدوا ما لا
الناس وسمعوا ما لم يسمعوه وقوله فلو مثلتهم لعقلك اي استحضرت صورهم واعمالهم في مقاومهم المحمودة ومجالسهم
وهي مقامات العبادة ومجالسها ودواوين اعمالهم اذ هانتهم وما نجت فيها من اعمالهم ونشرها تبع نفوسهم بالمحاسبة
وتخيلاتها الصور تلك الاعمال وتصحيحها لها التشبيه لتصفح الاوراق وفي قوله وقد الحال وقوله وفرغوا المحاسبة
على كل صغيرة وكبيرة تستدعي بيان معنى المحاسبة ولما كان معناها تستدعي محاسبا حتى يكون النظر معه في
المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة والنقصان فان كان من فضل حاصل استوفاه وان كان من خسران طالبه
بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك العبد معاملة نفسه الامارة بالسوء وراس ماله الفرائض وربحه النوافل و
والخسران المعاصي وموسمها هذه الفتاح جملة النهار فينبغي ان يكون للعبد في آخر ساعة يطالب بها نفسه ويحاسبها
على جميع حركاتها وسكناتها فان كان قد ادى الفرائض على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وان فوتها
من اصلها طالبها بالقضاء وان اداها ناقصة كلفها بالجبران بالنوافل وان ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها
ومعاتبها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرطها كما يصنع التاجر بشريكه وكما انه يتفتش في حساب الدنيا عن الحبة و

فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان وكذلك ينبغي ان يتقي خيانة النفس ومكرها فانها خادعة مكارة فليطالبها الانسان بالجواب
عما تكلم به طول نهاره وليتولى من حسابها بنفسه ما سيتولاه غيره في محل القيمة وكذلك عن نظره وخواطره وافكاره
وقيامه وقعوده واكله وشربه وحتى عن سكوته وسكونه فاذا عرف النفس انها ادت الحق في الجميع كان ذلك القدر محسوبا لها
لها الباقي ويمر به عليها ويكتبه على صحيفة قلبه ثم النفس غريم يمكن ان يستوفي منه الديون اما بعضها فالغرامة والضمان
وبعضها برد عينها وبعضها بالعقوبة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك الا بعد تحقيق الحساب وتميز باقي الحق الواجب
عليه ثم يشتغل بعده بالمطالبة وينبغي ان يحاسب الانسان النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الاعضاء
الظاهرة والباطنة كما نقل عن توبة بن الصمة وكان بالرقة وكان محاسبا لنفسه فحسب يوما فاذا هو ابن ستين سنة
فحسب ايامها فاذا هي احد وعشرون الف يوم وخمسمائة يوم فصرخ وقال يا ويلتي القى الملك باحد وعشرين الف
ذنب ثم خر مغشيا عليه فاذا هو ميت فسمعوا قائلا يقول يا لك ركضة الى الفردوس الاعلى فهكذا ينبغي ان يكون
المحاسبة ولو رمى العبد بكل معصية حصاة في داره لامتلأت داره في مدة يسيرة من عمره ولكنه يتساهل في حفظها
والملكان يحفظان عليه كما قال تعالى احصاه الله ونسوه اذا عرفت ذلك فقوله ومرغوا المحاسبة انفسهم الى قوله
والاعتراف اشارة الى حال وجدانهم عند محاسبتهم لتقصيرها والخسران في رؤوس اموالهم التي هي الطاعات وتبجيجهم
وعجيجهم في الندم والاعتراف بالذنب اشارة الى حالهم في تدارك ذلك الخسران بالشروع في الجبران واول مقامات
التوبة ولوازمها المذكورة ثم العمل وقوله ابوابا الى قوله الراغبون صفات احوالهم المحمودة واللام في قوله ابوابا
لو في قوله فلو مثلتهم واستعار لهم لفظ الاعلام والمصابيح باعتبار كونهم ادلاء الى طريق الله وذوي انوار يستضاء بها
وحفوف الملائكة بهم كناية عن احاطة عنايتهم وذلك لكمال استعدادهم لقبول الانوار عن الله بواسطة ملائكة الكرام
ووجوب فيضها عليهم عنهم وفي ذلك الاشارة الى اكرامهم بذلك وقوله وتنزلت عليهم السكينة اشارة الى رجوع
نفوسهم لافاضة السكينة عليها وهي المرتبة الثالثة من احوال السالك بعد الطمانينة وذلك ان تكثر تلك البروق و
اللوامع التي كانت تغشاه حتى يصير ما كان مخطوفا منها مألوفا وكانت تحصل لا بمشية السالك فيصير حصولها
بمشيته وارادته وفتح ابواب السماء لهم اشارة الى فتح ابواب سماء الجود الالهي بافاضة الكمالات عليهم كما قال
ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ومقاعد الكرامات مراتب الوصول اليه وتلك المقاعد هي التي اطلع الله تعالى عليهم
فيها فرضي سعيهم بالاعمال الصالحة المبلغة اليها وحمد مقامهم فيها وقوله يتنسمون بدعائه روح التجاوز اي
يدعونه ويتوقعون بدعائه تجاوزه عن ذنوبهم وان لا يعجل بتقصيرهم فيما عساهم قصروا فيه بسبب الاقتضاء
فيضه وقد علمت سيئات هؤلاء تعود الى ترك الاولى بهم ثم استعار لهم لفظ الرهائن لكونهم في محل الحاجة الى
فضله لا يستقلون ولا يجدون عنه كالرهائن في يد المرتهن وكذلك لفظ الاسارى ووجه المشابهة كونهم
مقام الاذلة تحت عظمته كالاسير بالنظر الى عظمة من اسره وقوله قد جرح الى قوله عيونهم فذلك الجرح من طول
الالام على خيانة انفسهم وخسرانهم في معاملتهم لها بعد محاسبتها وقوله لكل باب الى قوله بقارع اشار بقوله

لكل

لكل باب من ابواب الرغبة الى الله الى توجيه اسرارهم وعقولهم الى القبلة الحقيقية استنزالا لانوار القدس واستمطارا لجوده
وقوله السالون الى قوله المادح اشارة الى سعة جوده وفضله وانه اكرم الاكرمين ليتبين انه احق مسؤول باعطاء سؤل
واولى مرغوب اليه باسداء مرغوب وقوله فحاسب نفسك الى آخره اي تولى انت حساب نفسك فان حساب غيرها
من النفوس وهي التي ما يحاسبها صاحبها يتولاه غيرك وهو اسرع الحاسبين وذلك في معنى تهديد الانسان
على ترك محاسبة نفسه وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم ادحض مسؤول حجة واقطع مغتر معذرة لقد ابرح جهالة بنفسه يا ايها الانسان ما جرأك على ذنبك
وما غرك بربك وما انسك بهلكة نفسك اما من دائك بلول ام ليس من نومتك يقظة اما ترحم من نفسك ما
ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحي لحر الشمس فتظله او ترى المبتلى بالم يمض جسده فتبكي رحمة له فما صبرك على دائك
وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهي اعز الانفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيات
نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداو من داء الفترة في قلبك بعزيمة ومن كرى الغفلة في ناظرك
بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل في حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله
وانت متول عنه الى غيره فتعالى من قوي ما اكرمه وتواضعت من ضعيف ما اجرأك على معصيته وانت في كنف ستره مقيم
وفي سعة فضله متقلب فلم يمنعك فضله ولم يهتك عنك ستره بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة
يحدثها لك او سيئة يسترها عليك او بلية يصرفها عنك فما ظنك به لو اطعته وايم الله لو ان هذه الصفة كانت
في متفقين في القوة متوازيين في القدرة لكنت اول حاكم على نفسك بذميم الاخلاق ومساوي الاعمال وحقا اقول
ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت ولقد كاشفتك العظات وآذنتك على سواء ولهي بما تعدك من نزول البلاء
بجسمك والنقص في قوتك اصدق واوفى من ان تكذبك او تغرك ولرب ناصح لها عندك متهم وصادق من
خبرها مكذب ولئن تعرفتها في الديار الخاوية والربوع الخالية لتجدنها من حسن تذكيرك وبلاغ موعظتك بمحلة
الشفيق عليك والشحيح بك ولنعم دار من لم يرض بها دارا ومحل من لم يوطنها محلا وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون
منها اليوم اذا رجفت الراجفة وحقت بجلائلها القيامة ولحق بكل منسك اهله وبكل معبود عبدته وبكل مطاع
اهل طاعته فلم يجز في عدله وقسطه يومئذ خرق بصر في الهواء ولا همس قدم في الارض الا بحقه فكم حجة يوم ذاك
داحضة وعلائق عذر منقطعة فتحر من امرك ما يقوم به عذرك وتثبت به حجتك وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له وتيسر لسفرك
وشم برق النجاة وارحل مطايا التشمير اقول ادحض ازلق وابرح جهالة بنفسه اي بالغ في تحصيل جهالتها والحجة
والبلول الصحة والضاحي البارز للشمس والمض الولم والورطة الهلاك والسطوة البطش والقهر والسطوة المرة من
السطوات وتغمدك تسترك والتجافي التقوي والتصبر والكنف الجانب وآذنتك اعلمتك والمنسك
موضع العبادة واصله كل موضع يتردد اليه ويقصد والتحري طلب الاحرى والاولى وشم برق النجاة اي انظر اليه
ادحض خبر مبتدأ محذوف والتقدير الانسان عند سؤال الله له ما غرك بربك الكريم ادحض مسؤول حجة واشد

كينه

انقطاعًا في جذبه ومبالغته في تحميل نفسه كثيرًا مما لها في متابعة هواها وتركها من الاصلاح والتصويبات المستقيمة
وقوله يا ايها الانسان الى قوله بهلاك نفسك استفهامات عن اسباب جرأته على الذنوب واسباب غرته بربه وغفلته
عن سلوك باسه وعن اسباب انسه بهلاكه نفسه بتورطها في المعاصي والقوامعها استفهاما على سبيل التقريع
والتوبيخ ويحتمل ان يكون قوله ما انسك قحيا وكذلك الاستفهام عن بلولم من داء الجهل ويقظته من نوم
الغفلة ورحمته لنفسه كما يرحم غيرها الا ان الاستفهامات الثلثة الاولى يطلب فيها تصور تلك الاسباب
وفهم حقيقتها على سبيل تجاهل العارف وفي هذه الثلثة الاخيرة فيها التصديق ثم نبهه على وجوب رحمته
لنفسه كما يرحم غيرها بقوله فلربما ترى الضاحي الى قوله رحمة له وهي في قوة صغرى قياس احتج به ووجه ذلك
انك قد ترحم من تراه في حر الشمس فتظلله او مبتلى بالم فتبكي رحمة له وكل من كذلك فاولى ان يرحم نفسه
من بلاء يقع فيه مع التساوي ان ترحم نفسك من دائها وقوله فما صبرك الى قوله الانفس عليك استفهام عن
اسباب صبره على دائه وجلده على مصابه التي تلحقه بسبب ذلك الداء وتعزيه عن البكاء على اعز الانفس عليه
استفهام توبيخ ولائمة حسنها بعد ذلك الاحتجاج ظاهر ونبهه بقوله وكيف لا يوقظك الى قوله سطواته
على بعض اسباب اليقظه لعظمة الله عن الغفلة عنها وهي خوف بيات نقمة ان يوقعها به ليلا كقوله
تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون ومدارج سطواته مجاري بطشه وهي المعاصي
واسبابها والتورط فيها الحصول فيها المستلزم للهلاك الاخروي وقوله فتداو الى قوله سطوة
على الدواء من الفترة في القلب عن ذكر الله وهو العزيمة على طاعته والاجماع على ملازمة ذكره ومن نوم الغفلة
تخلو القلب عن ذلك باليقظة له ثم امر بما ينبغي ان يكون تلك العزيمة عليه وتلك اليقظة له وهما طاعة
وتحصيل الانس بدوام ذكره وقوله فتمثل الى قوله نصر فيها عنك تنبيه له على ضروب نعم الله عليه ومقابلته
بالكفران والمعصية لعله يتذكر او يخشى فامره ان يتمثل في ذهنه في حال اعراضه عن ربه وانهماكه في معصيته
اقباله عليه بضروب نعمه من دعوته له بكلامه على السنة خواص رسله الى عفوه وتغمده اياه بفضله واقامته
في كنف ستره وتقلبه في سعة فضله لم يمنعه فضله ولا هتك عنه ستره لمقابلة تلك النعم بالكفران
والمعصية بل لم يخل من لطفه مقدار طرفة عين وذلك اللطف في نعمة يحدثها له او سيئة يسترها عليه
او بلية يصرفها عنه فلحسن بهذا التنبيه فان استحضار ذهن العاقل لضروب هذه النعم في حال الاقبال على
المعصية من اقوى الجواذب الى الله عنها وانما قال وتمثل لان الحاصل في الذهن ليس هو نفس اقبال الله على العبد
بل مثاله ورسالة ويدعوه في موضع الحال وكذلك الواو في قوله وانت في الموضعين وقوله فما ظنك لو اطعته
صورة احتجاج للترغيب في الطاعة بعد التوبيخ على تركها وتخصيصه انك لو اطعته لكان تفضله عليك اكثر
واقر وظنك به اقوى بيان الملازمة ان فضله كان عليك حال معصيتك له كبيرا كما تقدم بيانه فبطريق
الاولى ان يتم فضله عليك حال طاعتك اياه ويحسن ظنك به وقوله وايم الله الى قوله الاعمال اي لو كان هذا

الوصف

الوصف الذي ذكرناه من اقبال الله عليك بضروب نعمه ومقابلتك له بالاعراض عنه والاقبال على معاصيه وصف
مثلين من الناس في القوة والقدرة والمنزلة وكنت انت المسيء منهما الكان فيما ينبغي لك من الجهاد والانفة ان
تكون اول حاكم على نفسك بتقصيرها وذميم اخلاقها ومقابح اعمالها وهو صورة احتجاج تقريره على فرضه ساوي
اعماله ونحن نبرفه بذلك الى تبديلها بمحاسنها في قياس ضمير من الشكل الاول ذكر في الكلام صغراه وتقديرها
انك اول حاكم على نفسك بتقصيرها على تقدير ان يكون سواك هذه النعم مثلا لك وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فاولى به ان يكون اول حاكم عليها بتقصيرها على تقدير ان يكون مولى تلك النعم خالقك ومالكك وقوله
وحقا اقول ما الدنيا غرتك ولكن بها اغتررت تقديره منع لما عساه ان يجيب به الناس سؤال الله تعالى اياهم بقوله ما غرك
بربك الكريم وهو كثير في كلامهم ان الدنيا هي الغارة لاهلها وكما نسب القرآن الكريم اليها ذلك بقوله وغرتكم
الحيوة الدنيا وكلامه عليه السلم حق من وجهين احدهما ان الاستغرار من لواحق العقل وليست الدنيا ذات عقل
والثاني انها لم تخلو كان يستغر بها اذ كان مقصد العناية الالهية بوجود الانسان فيها تحصيل الكمالات
منها وفيها فلا يجوز ان ينسب اليها الاستغرار حقيقة لكن لما كانت سببا ماديا للاغترار بها جاز ان
ينسب اليها الاستغرار مجازا وصدق قوله ايضا ولكن بها اغتررت وقوله ولقد كاشفتك العظات تقرير لمنع نسبة الاستغرار
اليها بنسبة ضده اليها وهو النصيحة له بمكاشفته بالمواعظ وهي مجال الاتعاظ من تصاريفها وعبرها ومجاهرتها
وباعلامها له على عدل منها اذ خلقت لذلك التنبيه والاعلام وعلى ذلك التصريف ولم يمكن ان يكون الا كذلك فلم
يكن تصاريفها جورا عليك وقوله ولهي بما تعدك الى قوله تغرك زيادة تاكيد لنصحها وتخويفها واستعار لفظ
الوعد لاشعارها في تغيراتها بما يتوقع من مصائبها كما ان الوعد اشعار باعطاء مطلوب واستعمل الوعد في مكان الوعيد
مجازا اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر كتسمية السيئة جزاء وكذلك استعار لها لفظ الصدق والوفاء ملاحظة
بالصادق الوفي في انه لا بد له من ايقاع ما وعدت به وقوله اصدق وعدا واوفى مع قوله من ان يكذبك او يغرك من باب التفعيل
وخير المقابلة وقوله ولرب الى قوله بكذب تقرير لبعض لوازم الغفلة عليه وهو تهمة للناصح منها وتكذيبه في
خبرها واطلق لفظ التهمة والتكذيب مجازا في عدم الالتفات الى نصحها بتصاريفها وما يعلم من صادق تغيراتها
وعدم اعتبار ذلك منها اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت غاية التهمة والتكذيب عدم الالتفات الى المتهم
والمكذب والاعراض عنهما وقوله ولئن تعرفتها الى قوله الشحيح بك صورة احتجاج نبه فيه على صدقها في نصيحتها
كي يستفيق ولا يتهم وهو قياس شرطي متصل تقريره ولئن عرفتها اي طلبت معرفة حالها في نصيحتها او نفسها من الديار
الخاوية والربوع الخالية للامم السالفة والقرون الماضية بمنزلة الشفيق عليك والشحيح بك ووجه شبهها بذلك حسن
تذكيرها لك وبلاغ موعظتك وعبرتك منها كما ان الناصح الشفيق عليك كذلك وبيان الملازمة حال على الوجدان
بعد تعرفها والاستثناء في هذه المتصلة بعين المقدم لينتج عين التالي وقوله ولنعم الى قوله محلا مدح للدنيا باعتبارها
على الوجه المقصود بالعناية الالهية وهو الاعتبار بها دون الركون اليها لذاتها واتخاذها وطنا ودار اقامة واسم نعم هو دار

لم يرض والمخصوص بالمدح هو الدنيا ودارا ومحلا منصوبان على التمييز يقومان مقام اسم الجنس الذي هو اسم نعم
اذا حذف وهاهنا مسئلتان احدٰهما ان اسم الجنس الذي هو اسم نعم وبئس يضاف في العادة الى ما فيه الالف
واللام كقولك نعم صاحب القوم وقد اضافه هاهنا الى ما ليس فيه الالف واللام وقد جاء مثله في الشعر كقوله فنعم صاحب
قوم لا سلاح لهم الثانية انه جمع بين اسم الجنس والنكرة التي تبدل منه وقد جاء مثله في قوله فنعم الزاد زاد ابيك زادا
وانما اضاف دارا الى من لم يرض بها ومحلا الى من لم يوطنها لان الدنيا انما تكون دارا ممدوحة باعتبار كونها لمن لم يرض
بها ولم يوطنها لاستلزام عدم رضاهم بها الانتفاع بالعبرة بها واتخاذ زاد التقوى واولئك هم المتقون السعداء ويحتمل
ان يكون دارا ومحلا منصوبين على التمييز عن قوله لم يرض بها ولم يوطنها وقوله وان السعداء بالدنيا غدا هم الهاربون
منها اليوم فوجه سعادتهم استثمارهم للكمالات المسعدة في الآخرة منها ولن يحصل ذلك الا بالهرب منها اليوم وكنى بالهرب
منها عن الاعراض الحقيقي عن لذاتها والتباعد عن اقتنائها لذاتها لاستلزام الهرب عن الشيء التباعد عنه والزهد فيه
والظاهر ان التباعد منها بالقلوب الا ما دعت الضرورة اليه واتخاذها مع ذلك سببا الى الآخرة من اسباب السعادة
ومستلزماتها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله من حاله فيها بقوله ما انا والدنيا انما مثلي فيها كمثل راكب
يوم صائف رفعت له شجرة فنزل فقعد في ظلها ساعة ثم راح وتركها ودل بقوله اذا رجفت على الوقت المدلول عليه
بقوله غدا وهو يوم القيمة كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة قال المفسرون الراجفة هي النفخة الاولى في الصور
وهي صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد تصعق فيها الخلائق وتتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية
الاولى وجلائل القيمة محنها الجليلة العظيمة وقوله ولحق بكل منسك اهله اشارة الى لحوق كل نفس يوم القيمة
ومطاعها واما القتدة واجته من امر دنيوي او اخروي فاقبلت عليه وعملت له ونحوه اشارة الرسول صلى الله
وآله يحشر المرء مع من احب ولو احب احدكم حجرا لحشر معه وقوله ولم يجر الى قوله بحقه تفريع لعدله تعالى في ذلك
اليوم والمعنى ان كل حركة ولو طرفة عين في الهواء او همس قدم في الارض فانها لا تجري في عدله الا بعقها الا زادت عليه
ولا ينقص عنه ثم اشار الى كثرة الحجج الباطلة يومئذ والاعذار المنقطعة ترغيبا في تحصيل الكمالات البرهانية و
آثار المرسلين والاولياء الابرار في سلوك سبيل الله وانما ذكر تخاويف ذلك اليوم واهواله بعد ذكر السعداء فنبه
انهم هم الهاربون من الدنيا اليوم ليرغب الى الاقتداء بهم في ذلك الهرب لغاية تلك السعادة ثم امر ان يطلب الانسان
من امورها واحوالها واهوالها ما يقوم به عذره في ذلك اليوم ويثبت به في محفل القيمة وذلك الامر هو ما ثبت
اليه من البرهان واقتفاء اثر المرسلين وكذلك امر ان ياخذ ما يبقى له من الكمالات المسعدة في الآخرة مما لا يبقى له من
الدنيا ومتاعها وقد بينا كيفية ذلك الاخذ غير مرة وان يتيسر لسفره اي يستعد لسفره الى الله بالرياضة بالزهد
والعبادة وان يشيم برق النجاة اي يوجه سره الى الله بعد الزهد الحقيقي والعبادة الكاسرة للنفس الامارة بالسوء
ليستشرف لوامع الانوار الالهية وبروقها التي هي بروق النجاة وابواب السلامة كما اشار اليه فيما قبل هذا الفصل
بفصلين بقوله وتدافعته الابواب الى باب السلامة وان يرحل مطايا التشمير وهو اشارة الى الجد في سلوك سبيل

الله

الله والاجتهاد في العمل الماسد للموت واستعار لفظ المطايا للآلات العمل ولفظ الارحال لاعمالها وبالله التوفيق ومن كلام له
عليه السلام والله لان ابيت على حسك السعدان مسهدا واجر في الاغلال مصفدا احب الي من ان القى الله ورسوله يوم
القيمة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشيء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى
حلولها والله لقد رايت عقيلا وقد املق حتى استماحني من بركم صاعا ورايت صبيانه شعث الالوان من فقرهم كانما
سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع
قياده مفارقا طريقي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق
من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها انسانها للعبه وتجرني الى نار سجرها جبارها لغضبه
اتئن من الاذى ولا ائن من لظى واعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها ومعجونة شنئتها كانما عجنت
بريق حية او قيئها فقلت اصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرم علينا اهل البيت فقال لا ذا ولا ذاك ولكنها هدية فقلت
هبلتك الهبول اعن دين الله اتيتني لتخدعني امختبط ام ذو جنة ام تهجر والله لو اعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها
على ان اعصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ما
لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين اقول السعدان نبت شوك ذو حسك
لها ثلث اروس محدودة على اي وجه وقعت من الارض كان لها راسان قائمان والمصفد الموثوق شدا بالغل والصفد
والقفول الرجوع من السفر والاملاق الافتقار والاستماحة طلب المنح وهو العطاء والعظلم بالعربية هو النيل
وقيل نبت آخر يصبغ به والدنف شدة المرض والميسم المكواة وبحرها وقدها واحماها وشنئتها ابغضتها وجبلته
الهبول ثكلته الثواكل والخابط من كالجنون وليس به والمختبط الذي يطلب معروفك من غير سبب سابق بينكما
من رحم او معرفة سابقة او سابقة معروف لك عنده والجنة الجنون والهجر الهذيان وجلب الشعير قشرها
الفصل التبري من الظلم وذلك ان احدهم كان ياتيه يسال العطاء وهو عليه السلم لم يكن يستبيح لنفسه
ولا يرى ان يعطي من بيت المال احدا دون غيره فيحرمه وربما كان في غاية الحاجة فينسبه الى الظلم والتخصيص بالمال
دون غيره فتبرا بهذا الكلام مما نسب اليه من ذلك فقوله والله الى قوله الحطام بيان لمقدار نفرته عن الظلم و
وعلة ترجيحه واختيار لاحد الامرين المذكورين على الظلم مع ما يستلزمان من الالم والعذاب انما يستلزم
الظلم من عذاب الله اشد خصوصا في حق من نظر بعين بصيرته تفاوت العذابين مؤكدا ذلك بالقسم
النار ولفظ الحطام مستعار لمتاع الدنيا باعتبار حقارته واصله ما تكسر من نبت الارض وظلم الملك
وقوله وكيف الى قوله حلولها استفهام عن وجه ظلمه لاحد استفهام انكار على من نسب اليه ذلك مع ذكر
منافاة العاقل من الظلم وهما الرجوع الى البلى من السفر في الدنيا وطول الحلول في الثرى وقوله والله لقد استماحني
والطف تنبيه على نفي الظلم عنه بلوغه في المحافظة على بيت المال ومراعاة العدل الى الحد الذي فعله مع اخيه
عقيل على شدة فاقته وفاقة عياله وكونه ذا حق في بيت المال ومعلوم ان لم يدعه هذه الاسباب الثلث وهي الاخوة

والفاقة والحق الموجود لذي الفاقة الآن يدفعه اليه او بعضه ثم قال من شبهة الظلم صوابه ان الناس ان يظلم او يجور على
الظلم بوجه واستعار لفظ البيع لما يتوهم من استعاضة لذة العطاء للاخ الفقير بما يفوت من الدين بسبب الظلم
في عطيته على غير الوجه الشرعي وقياده ما يقوده به من الاستعطاف والرحم وطريقة العدل وانما احمى الحديدة
لينبهه بها على النار الاخروية ولذلك احتج عليه عند انينه من حرها بقوله اتئن من حديدة الى قوله غضبه ووجه الاحتجاج
انه اذا كنت تئن من هذه فالاولى ان تئن من تلك النار وغاية ذلك ان يترك الظلم بطلب ما لا يستحقه لاستلزامه الاذى
من نار الله ترك الظلم ولما اثبت عليه وجوب ترك الظلم بذلك الطلب اعقبه بالاحتجاج لنفسه على وجوب تركه
للظلم باعطائه بقوله اتئن من الاذى ولا ائن من لظى وانما قال ولا ائن من لظى مع ان لظى غير حاصلة الآن تنزيلا
للمتوقع الذي لا بد منه بسبب الظلم منزلة الواقع ليكون ابلغ في الموعظة وانما اضاف الانسان الى الحديدة لانه
انسانا خاصا هو المتولي لامر تلك الحديدة قد قبضه باضافتها اليه وكذلك الاضافة في جبارها وانما قال لعبه لتشبيهها
وتحقير الفاعل لغرض ان يكبر فعل الجبار من سجر النار وكذلك حمل الغضب الحامل على سجر النار هو غضب الجبار
تعظيما للنار وقوله واعجب من ذلك الى قوله تجرأى والعجب من عقيل وطارق وطرقنا والطارق الآتي ليلا وكنى
بالملفوفة في وعائها عن الهدية قيل كانت شيئا من الحلوا كالفالوذج او الخبيص ونحوه وبه يقوله شبيهها على بغضه
للامور اللذيذة الدنيوية ونفرته عنها زهدا فيها ووجه تشبيهها بما عجن بريق الحية او قيئها هو ما تصور في قربها
من الفساد وما قصد بها مهديها من طلب الميل اليه المستلزم للظلم والجور عن سبيل الله فان القصد الذي اشتملت عليه
كالسم المهلك وانما وجه كون هذا المهدي اعجب من عقيل فلان عقيلا جاء بشكوى سائلا لكل منهما يستلزم العاطفة عليه
الاخوة والفاقة وكونه ذا حق في بيت المال وهذا المهدي انما ادلى بهديته فاما قوله في جوابه فقلت له الى قوله الثكل
فانه اراد به حصر وجوه البر في العرف لان التقرب الى الله ببذل المال لعباده اما صلة رحم او لا والثاني فاما على وجه
الصدقة او الزكوة الواجبة ولم يذكر الهدية لانه لم يكن في وهم عاقل قبول علي لها خصوصا زمان خلافته وذلك لان
مطلوب العاقل منه بالهدية اما حق او باطل والحق لا يحتاج فيه الى الهدية والباطل لا يفعله بوجه ولذلك لما
قال الطارق انها هدية دعا عليه ونسبه الى الجنون والهذيان ولما قسم على وجوه البر ابطل قسمين منها بقوله فذلك محرم
علينا اهل البيت واراد الصدقة والزكوة واما صلة الرحم فلم يحتج الى ابطالها لان الطارق لم يكن ذا رحم له وقول الطارق لا
ولا ذاك يجري مجرى ابطال الحصر بان قسما رابعا هو الهدية وقوله عليه السلام هبلتك الهبول الى قوله تجر جواب لقوله
هدية فقرعه عليه بما فهمه من غرضه بالهدية وهو خداعه عن دينه اذ الهدية لغرض حرام صورة استدراج وخداع
عن الدين بتغيير الصاحب الهدية عن فعله ذلك ولما كان ذلك الامر لو تم للعوض به استلزم نقصان الدين كان
عن الدين فاطلق عليه لفظ الخداع استعارة وقوله امختبط ام ذو جنة ام تهجر استفهام على سبيل الانكار والتوبيخ
على ذلك الخداع بعد تقريره اذ كان الخادع لمثله عليه السلام عن دينه لا يكون الا على احد الوجوه المذكورة قالا
ولا يتصور ان يصدر منه ذلك الخداع عن روية صحيحة وقد ذكر وجوه الخروج عن الصواب ما يتعلق بالعقل واللسان

والله الى قوله ما فعلته يحتمل ان يكون رد الوهم الطارق وفيه اثر فضل مطلوبه الحرام بتلك الهدية وابطالا لذلك الوهم عليه
وللاقاليم السبعة اقسام الارض وهو دليل على غاية العدل وقوله وان دنياكم الى قوله تقضمها دليل على غاية الزهد منه في الدنيا
كقوله في الشقشقية ولالفيتم دنياكم هذه اهون عندي من عفطة عنز وقوله ما لعلي ولنعيم يفنى ولذة لا تبقى استفهام انكار
لملابسته نعيم الدنيا ولذاتها الفانية والمعنى ان حال علي ينافي ذلك النعيم واختياره يضاد تلك اللذة نعوذ بالله
من سبات العقل وهو اختياره لتلك اللذات ولذلك النعيم وميله في مطاوعة النفس الامارة بالسوء ومن
قبح الزلل وهو تفاحش الانحراف عن سبيل الله الموقع في مهاوي الهلاك واستعان به على دفع ما تعوذ منه وبالله التوفيق
ومن دعاء له عليه السلام اللهم صن وجهي باليسار ولا تبذل جاهي بالاقتار فاسترزق طالبي رزقك واستعطف شرار
خلقك وابتلى بحمد من اعطاني وافتتن بذم من منعني وانت من وراء ذلك كله ولي الاعطاء والمنع انك على كل شيء قدير
اقول اليسار الغنى والاقتار ضيق الرزق والفقر وحاصل الفصل الالتجاء الى الله في طلب الغنى وعدم الابتلاء بالفقر
ولوازمه واعلم ان الغنى المطلوب له عليه السلام هو ما يدفع ضرورة حاجته بحسب الاقتصاد والقناعة لا المفهوم
المتعارف بين ارباب الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع به فوق الحاجة وطلب الغنى على ذلك الوجه محمود وعلى
الوجه الثاني هو المذموم والفقر هو ما احتاج معه الى سؤال الخلق ويلزمه بذلك الاعتبار لوازم تصد عن وجه الله
وعبادته اولها ابتذال الجاه ونقصان الحرمة ولما كان الجاه والغنى كالمتلازمين لا يليق احدهما الا بالآخر جعل بذل
الجاه لازما للفقر بل الغنى والى وجوب تلازمهما اشار ابو الطيب فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن
قل مجده والجاه ايضا له اعتبارات فما اريد لله منه وكان شرفا بين والعزة بدينه واريد للاستعانة به على اداء حقوق
الله وطاعته فهو الجاه المحمود الذي سال الله حفظه عليه بالغنى عن الناس وهو الذي امتن الله تعالى به على الابرار
في قوله يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة وما اريد به الفخر والترأس
في الدنيا فهو المذموم الثاني من لوازمه التماس رزق الخلق الذين من شانهم ان يسألوا الرزق لا ان يطلب منهم
وفي ذلك من الذل والخضوع للمطلوب منه ومهانة النفس واشتغالها عن التوجه الى المعبود ما يجب الاستعاذة
بالله منه ومن ادعية زين العابدين عليه السلام تمدحت بالغنى عن خلقك وانت اهل الغنى عنهم ونسبتهم الى الفقر
وهم اهل الفقر اليك فمن حاول سد خلته من عندك ورام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته من
مظانها واتى طلبته من وجهها ومن توجه بحاجته الى احد من خلقك او جعله سبب نجحها دونك فقد تعرض
للحرمان واستحق من عندك فوت الاحسان وانما حكم عليه باستحقاق فوت الاحسان لعدم استعداده لفيض الله
بالتوجه الى غيره واستغاله نفسه بذلك الغير وبه يقول طالبي رزقك على عدم اهليتهم لان يطلب منهم الثالث
استعطاف شرار خلقه وظاهر ان الحاجة قد تدعو الى ذلك والتجربة تقضي بان طلب الحاجة من الاشرار ذوي الحاجة اليهم يستلذ معه
المروة طعم العلقم ويستحلي مذاق الصبر الرابع الابتلاء والافتتان بذم المانع وذلك مستلزم للصرف عن الله والتوجه
الى القبلة الحقيقية والواو في قوله وانت للحال اى لا تبذل جاهي بالاقتار فيلحقني بسببه ما يلحقني من المكاره المعدودة

من وراء ذلك كلّه اولى من اعطى ومنع بان يعطى ويمنع لقدرته على كلّ شيء وسعة جوده وكونه وراء ذلك كلّه احاطته وكونه مستند الغنى
واهله المحتاج اليهم من الخلق واولى بالقهر ولوازمه لقدرته على ضدّه والاستغناء عن الخلق لكن كونه محيطا وكونه مستند السلام
للورائية فالمستند والوراء المعقول المعقول والمحسوس المحسوس وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام دار بالبلاء محفوفة
وبالغدر معروفة لا تدوم احوالها ولا تسلم نزّالها احوال مختلفة وتارات متصرّفة العيش فيها مذموم والامان منها معدوم
وانّما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم بسهامها وتفنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انّكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على
سبيل من قد مضى قبلكم ممّن كان اطول منكم اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اصبحت اصواتهم هامدة ورياحهم راكدة واجسادهم
بالية وديارهم خالية وآثارهم عافية فاستبدلوا بالقصور المشيّدة والنمارق الممهّدة الصخور والاحجار المسنّدة والقبور اللاطئة
الملحدة التي قد بني على الخراب فناؤها وشيّد بالتراب بناؤها فمحلّها مقترب وساكنها مغترب بين اهل محلّة موحشين
واهل فراغ متشاغلين لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدار وكيف
يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البلى واكلتهم الجنادل والثرى وكأن قد صرتم الى ما صاروا اليه وارتهنكم ذلك المضجع وضمّكم
ذلك المستودع فكيف بكم لو تناهت بكم الامور وبعثرت القبور هنالك تبلو كلّ نفس ما اسلفت وردّوا الى الله مولاهم الحقّ
وضلّ عنهم ما كانوا يفترون اقول التارة المرّة والمستهدفة التي جعلت هدفا ونصبت لترمى وعفت الآثار انمحت والنمارق
جمع نمرق ونمرقة وهي وسادة صغيرة والكلكل الصدر وبعثرة القبور وبحثرتها اخراج ما فيها وبحثها يقال بعثر
متاعه اذا فرّقه وقلب اعلاه اسفله وغرض الفصل التنفير من الدنيا والاشتغال بها عن الله والتنفير عن ذلك بذكر معايبها
والجذب الى استعمالها على الوجه المطلوب الذي لاجله وجدت فقوله دار خبر مبتدأ هو الدنيا وذكر من معايبها
عدّة احدها كونها معروفة بالبلاء وتلازمه لها فكنّى عن ذلك بالحفوف الذي هو الاحاطة من الجوانب لانّه ابلغ الثاني
كونها معروفة بالغدر واستعار لفظ الغدر لتغيّرها عمّا يتوهّم الانسان دوامها عليه في حقّه من احوالها اللذيذة كالملك
والصحة والشباب كأنّه في مدّة بقاء تلك الاحوال عليه قد اخذ منها عهدا فكان التغيّر العارض لها المستلزم لزوال تلك
الاحوال عنه اشبه شيء بالغدر ولمّا كان ذلك كثيرا صارت معروفة به الثالث كونها لا تدوم احوالها والرابع لا تسلم
نزّالها اي من آفاتها والخامس اختلاف احوالها واحوال خبر مبتدأ محذوف تقديره احوالها احوال كذلك والسادس
تصرّف تاراتها وهو تغيّر احوالها تارة بعد اخرى والسابع كون العيش فيها مذموما ولمّا كان العيش فيها كناية
عن الالتذاذ بها والتنعّم فيها واستلزم ذلك العاقبة المهلكة لا جرم لزمه الذمّ ولانّه مشوب بتكدير الامراض والاعراض
والزوال مذموما اي مستحقّ في لسان صاحبه والشرع للذمّ عند ما يعرض بنوائب الكدر والثامن عدم الامان منها
اي من نجاتها وما يلزمه من مضرّاتها من البلاء فكلّ ذلك من تصرّفها واختلاف استعدادات القوابل فيها من حركات
وكواكبها وكون المبادي المفارقة مفيضة على كلّ قابل فيها ما استعدّ له والتاسع كون اهلها فيها اغراضا مستهدفة واستعار
لفظ الاغراض ورشّح بذكر الاستهداف وكذلك استعار لفظ الرمي لايقاع المصائب بهم ورشّح بذكر السهام والعاشر كونهم
معهم على سبيل من قد مضى من القرون الخالية ممّن كان اطول اعمارا واعمر ديارا وابعد آثارا اي كانت آثارهم لا يعتدّ عليها

تال العظما

تال العظمها لكونها معهم على ذلك السبيل اشارة الى افنائها لهم كافناء اولئك والحاقهم باحوالهم وقوله اصبحت ديارهم
قوله والثرى تفصيل لاحوال اولئك ووعيد للسامعين بلحوقها لهم اذ كان سبيل الدنيا مع الجميع واحدا وركود رياحهم
كناية عن سكون احوالهم وخمول ذكرهم بعد العظمة في الصدور وقوله قد بني على الخراب فناؤها اي على خراب ما كان
معمورا من الابدان والمساكن وظاهر انّ القبور اسّست على ذلك وبنيت عليه وراعى في قوله فناؤها وبناؤها ومقترب
ومغترب التسجيع المتوازي مع المطابقة في القرينتين الاخيرتين واراد انّ ساكنها وان قرب محلّه فهو غريب عن اهله وقوله
قوله موحشين ومتشاغلين وكونهم لا يستانسون بالاوطان ولا يتواصلون تواصل الجيران على انّ احوالهم من تجاورهم
وفراغهم ليس كاحوال اهل الدنيا المألوفة لهم لتعرف بها ومقرعنها ثمّ اشار الى علّة عدم المزاورة واستعار لفظ الطحن
لافساد البلى لاجسادهم ورشّح بلفظ الكلكل وكذلك استعار لفظ الاكل لافنائها وقوله وكان قد صرتم الى قوله
وكان المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن والتقدير فيشبه انّكم قد صرتم الى مصيرهم واحوالهم وقريب من ذلك
مشابهة الاحوال لسكان قرب بعضها من بعض وارتهنكم ذلك المضجع اي صار لكم دار اقامة واتخذكم سكانه
المقيمين به واطلق عليه لفظ المستودع باعتبار كونهم سيخرجون منه يوم القيمة وقوله فكيف بكم الى قوله القبور
سؤال لهم عن كيفية حالهم عند تناهي امورهم واحوالهم في يوم البعث سؤالا على سبيل التذكير بتلك الاحوال
بتلك الاهوال ليذكروا اشدّتها فيفزعوا الى العمل لها وذكر منها امرا واحدا وهو اطلاع على ما قدّمت واسلفت في
الدنيا من خير وشرّ والردّ الى المولى الحقّ الذي ضلّ مع الرجوع اليه كلّ ما كان يفترى من دعوى حقّية سائر الاباطيل
وبالله التوفيق ومن دعاء له عليه السلام اللهم انّك آنس الآنسين لاوليائك واحضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليك تشاهدهم
في سرائرهم وتطّلع عليهم في ضمائرهم وتعلم مبلغ بصائرهم فاسرارهم لك مكشوفة وقلوبهم اليك ملهوفة ان
اوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك وان صبّت عليهم المصائب لجأوا الى الاستجارة بك علما بانّ ازمّة الامور بيدك
ومصادرها عن قضائك اللهم ان فههت عن مسألتي او عميت عن طلبتي فدلّني على مصالحي وخذ بقلبي الى مراشدي
فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك اللهم احملني على عفوك ولا تحملني على عدلك اقول الفهاهة العيّ
والحصر وقد تضرّع الى الله تعالى باعتبارات من الصفات الاضافية والحقيقية الاوّل كونه آنس الآنسين لاوليائه وقد علمت انّ
السالكين لطريقه عن المحبّة الصادقة له والرغبة التامّة فيما عداه ولمّا كان الانيس هو الذي يرفع الوحشة ويسكن اليه
في الوحدة والغربة وكانت اولياء الله في الحياة الدنيا غرباء في ابنائها متفرّدين عنهم في سلوك سبيل مولاهم ووجوههم شطر
وجوب وجوده متمتّعين بمطالعة انوار كبريائه لا جرم كان آنس الآنسين لهم انسا الزم من حيث تعبد لغيرهم القربات
بركاته الدبولية وبالعكس لانّ كان لكلّ منهما من صاحبه نفرة من وجه واستيحاش باعتبار بل لم يكن لهم انيس في
الاعداد كانوا في الالتفات اليه منقطعين عمّا عداه مستوحشين الثاني كونه تعالى احضرهم بالكفاية للمتوكّلين عليه
كان تعالى هو الغنيّ المطلق والجواد الذي لا بخل من جهته ولا منع والعالم المطلق بحاجة المتوكّلين وحسن استعدادهم
فاذا استعدّ المتوكّلون عليه بحسن توكّلهم لقبول رحمته افاض على كلّ منهم قدر كفايته من الكمالات النفسانية

بلا تعويق عائق من رزق في استحقاق مستحق او مقدار كفاية او حاجة الى تفصيل ذلك المقدار الى غير ذلك مما هو منسوب الى
غيره تعالى من ملوك الدنيا فلا جرم كان اقوى من توكل عليه بكفاية المتوكلين واسرعهم احضارا لما استعد كل منهم له من
الثالث كونه تعالى يشاهدهم الى قوله مكشوفة اشارة الى علمه تعالى باحوالهم الباطنة الذي هو من لوازم كونه احضرهم كما
كما بيناه واطلاعه عليهم في ضمايرهم اعتبار لكمال علمه تعالى وبراءته عن النقصان وكذلك علمه بمبلغ بصايرهم اي بمقادير
عقولهم وتفاوت استعدادات نفوسهم لدرك الكمالات واكد بقوله فاسرارهم لك مكشوفة ما سبق من الاشارة الى احاطة
علمه تعالى باحوالهم الباطنة في معرض الاقرار بكمال العبودية والخضوع له والاعتراف بانه لا يخفى عليه منهم شيء ولهف
قلوبهم اليه تحسرها على الوصول اليه والحضور بين يديه وهو اعتبار لكمال محبتهم له ورغبتهم فيما عنده وقوله ان اوحشتهم
الغربة آنسهم ذكرك اي الغربة في هذه الدار كما بيناه وهو اعتبار لحصول الاستيناس من جهتهم به والاول اعتبار لكونه
تعالى انيسا لهم وقوله وان صبت الى قوله بك اعتبار لحسن توكلهم عليه تعالى في دفع ما يكرهون من مصايب الدنيا لجا
بهم اذ سبق اعتبار كونه تعالى احضر من توكل عليه لكفاية المتوكلين ولجاؤهم الى الاستجارة به يعود الى توجههم وجوه نفوسهم
اليه تعالى في دفع ذلك المكروه دون غيره وهو التوكل الخالص وقوله علما الى قوله قضائك فعلا مفعول له اي لاجل علمهم
بان الامور كلها منوطة باسبابها تحت تصريف قدرتك وان مصادرها وهي اسبابها القريبة منتهية الى قضائك وهو
حكمك علمك الازلي ومنه كانت اسبابها ومصادرها تلك المصايب كان لجاؤهم في الاستجارة بك ويحتمل ان يكون علما مصدرا
سد الحال وهو بيان لكونهم في عباداتهم واحوالهم منقطعين النظر عن غيره تعالى ولفظ الازمة مستعار لاسباب الامور
المشابهة لكونها ضابطة لها وبها يكون نظام وجودها كالازمة وكذلك لفظ اليد مجاز في القدرة وقوله اللهم الى آخره
شروع في المطلوب على وجه كلي وهو طلب دلالته على مصلحته في اي امر كان وجذب قلبه بالهداية الى مواضع رشده
العقلية والآراء الصحيحة التامة على تقدير ان عمي عن مسئلته وتحير في وجه معرفة مصلحته وقوله فليس ذلك الى قوله
كفاياتك اي لمستعطف بما في العادة ان يستعطف به اهل العواطف والرحمة من الكلام اي ان هدايتك لخلقك الى
وجوه مصالحهم وكفاياتك لهم ما يحتاجون اليه امور متعارفة جرت عادتك بها وانما هي عادات عبادك وقوله اللهم
احملني الى آخره سؤال ان يحمله تعالى على عفوه فيما عساه صدر عنه من ذنب ولا يحمله على عدله فيجزيه بما فعل مما
وهو من لطيف ما يقدح به النفس لاستنزال الرحمة الالهية وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** لله بلاد فلان فلقد
قوم الاود وداوى العمد اقام السنة وخلف الفتنة ذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب خيرها وسبق شرها ادى الى الله
طاعته واتقاه بحقه رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي فيها الضال ولا يستيقن المهتدي **اقول** الاود العوج
والعمد مرض وهو انفضاخ داخل سنام البعير من الحمل ونحوه مع صحة ظاهره وقوله لله بلاد فلان لفظ يقال في معرض
المدح كقولهم لله دره ولله ابوه واصله ان العرب اذا ارادوا مدح شيء وتعظيمه نسبوه الى الله تعالى بهذا اللفظ
وروي لله بلاء فلان اي عمله الحسن في سبيل الله والمنقول ان المراد بفلان عمر وعن القطب الراوندي انه اراد بعض اصحابه
في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ممن مات قبل وقوع الفتن وانتشارها وقال ابن ابي الحديد رحمه الله ان ظاهر الاوصاف

المذكور

المذكور في الكلام يدل على انه اراد رجلا ولي امر الخلافة قبله كقوله قوم الاود وداوى العمد ولم يرد عثمن لوقوعه في الفتنة و
تسببه ولا ابا بكر لقصر مدة خلافته وبعد عهده عن الفتن فكان الاظهر انه اراد عمر واقول انه انما اراد ابا بكر لشبهه من ارائهم
انهم لما ذكره في كلام عمر وذمهما في خطبته المعروفة بالشقشقية كما سبقت الاشارة اليه وقد وصفه بامور احدها تقويمه للاود
وهو كناية عن تقويمه لاعوجاج الخلق عن سبيل الله الى الاستقامة وثانيها الثاني مداواته العمد واستعار لفظ العمد للامراض النفسانية
باعتبار استلزامها للاذى كالعمد ووصف المداواة لمعالجته تلك الامراض بالمواعظ البالغة والزواجر القولية والفعلية
الثالث اقامته للسنة ولزومها الرابع وتخليفه للفتنة اي موته قبلها ووجه كون ذلك مدحا له هو اعتبار عدم وقوعها
بسببه وفي زمانه لحسن تدبيره الخامس ذهابه نقي الثوب واستعار لفظ الثوب لعرضه ونقاءه لسلامته عن دنس الذام
السادس قلة عيوبه السابع اصابته خيرها وسبق شرها والضمير في الموضعين يشبه ان يرجع الى المعهود له مما هو فيه
من الخلافة اي اصاب ما فيها من الخير المطلوب وهو العدل واقامة دين الله الذي به يكون الثواب الجزيل في الآخرة و
الجليل في الدنيا وسبق شرها اي مات قبل وقوع الفتنة فيها وسفك الدماء لاجلها الثامن اداؤه الى الله طاعته التاسع اتقاؤه
لربه اي اداء بحقه خوفا من عقوبته العاشر رحيله الى الآخرة تاركا للناس بعده في طرق متشعبة من الجهالات لا يهتدي
فيها من ضل عن سبيل الله ولا يستيقن المهتدي في سبيل الله انه على سبيله لاختلاف طرق الضلال وكثرة المخالف له
في فكره وتركهم للحال واعلم ان الشيعة قد اوردوا هاهنا سوالا فقالوا ان هذه الممادح التي ذكرها عليه السلم في حق احد هذين
ينافي ما اجمعنا عليه من تخطئتهما واخذهما لمنصب الخلافة فاما ان لا يكون هذا الكلام من كلامه عليه السلام وان يكون
خطا ثم اجابوا من وجهين احدهما الاسلم انه الثاني المذكور فانه جاز ان يكون ذلك المدح منه عليه السلم على وجه استصلاح
من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام الثاني انه جاز ان يكون مدحه ذلك لاحدهما في معرض
التوبيخ لعثمن بوقوع الفتنة في خلافته واضطراب الامر عليه واستيثاره ببيت مال المسلمين هو وبنو ابيه حتى كان ذلك
سببا لثوران المسلمين من الامصار اليه وقتلهم له وبخه على ذلك بقوله وخلف الفتنة وذهب نقي الثوب قليل العيب اصاب
خيرها وسبق شرها وقوله وتركهم في طرق متشعبة الى آخره فان مفهوم ذلك يستلزم ان الوالي بعد هذا الموصوف قد
اتصف باضداد هذه الصفات والله اعلم **ومن كلام له عليه السلم** في وصف بيعته وقد تقدم مثله بالفاظ مختلفة
وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علي تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى انقطع النعل وسقط
الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم اياي ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت
عن ساقها الكعاب **اقول** التداك الازدحام القوي والهيم العطاش والتحامل تكلف المشي مع مشقة والكعاب الجارية
ثديها وحسرت كشفت وجهها وحاصل الفصل الاحتجاج على من خالفه من اهل البغي فذكر حال الناس في بيعتهم له وكيفيتها
الدالة على شدة حرصهم عليه واجتماعهم عن رضى واختيار على تسليم الامر اليه وشبه ازدحامهم عليه ازدحام الابل
يوم ورودها على الحياض ووجه الشبه شدة الازدحام ويمكن ان يلاحظ في وجه هذا التشبيه كون ما عنده من الفضائل
الجمة العلمية والعملية يشبه الماء وكون المزدحمين عليه في حاجتهم وعطشهم الى استفادة تلك الفضائل النافعة لعليلهم

كالعطاش من الابل حين ورودها وقوله حتى الى قوله ووطي الضعيف كقوله في الشقشقية حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاي
وباقي الفصل ظاهر وهو في قوة صغرى قياس من الشكل الاول وتلخيصها انكم بلغتم في طلبكم لي وحرصكم على بيعتي الى
هذه الغاية حتى اجبتكم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان ينكث ويغدر وبالله التوفيق ومن خطبة
له عليه السلام فان تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة بها ينجح الطالب وينجو الهارب
وتنال الرغائب فاعملوا والعمل يرفع والتوبة تنفع والدعاء يسمع والحال هادية والاقلام جارية وبادروا بالاعمال عمرا ناكسا
او مرضا حابسا او موتا خالسا فان الموت هادم لذاتكم ومكدر شهواتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وقرن غير مغلوب غير
وواتر غير مطلوب قد اعلقتكم حبائله وتكنفتكم غوائله واقصدتكم معابله وعظمت فيكم سطوته وتتابعت عليكم عدوته وقلت
عنكم نبوته فيوشك ان تغشاكم دواجي ظلله واحتدام علله وحنادس غمراته وغواشي سكراته واليم ارهاقه ودجو
اطباقه وجشوبة مذاقه فكان قد اتاكم بغتة فاسكت نجيكم وفرق نديكم وعفى آثاركم وعطل دياركم وبعث وراثكم
يقتسمون تراثكم بين حميم خاص لم ينفع وقريب محزون لم يمنع وآخر شامت لم يجزع فعليكم بالجد والاجتهاد والتاهب
والاستعداد والتزود في منزل الزاد ولا تغرنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الامم الماضية والقرون الخالية الذين
احتلبوا درتها واصابوا غرتها واخلقوا جدتها اصبحت مساكنهم اجداثا واموالهم ميراثا لا يعرفون من اتاهم ولا غرتها وافنوا
يحفلون من بكاهم ولا يجيبون من دعاهم فاحذروا الدنيا فانها غرارة خدوع معطية منوع ملبسة نزوع لا يدوم
رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها اقول الحابس المانع والخالس المختطف والتكنف الاحاطة والطيات جمع
طية بالكسر وهي منزل السفر والواتر الذي يوجب لغيره الوتر وهو الذحل والحقد والغوائل المصائب تاتي على
غرة جمع غائلة والمعابل جمع معبلة بكسر الميم وهي نصل طويل عريض وعدوته بفتح العين ظلمه ونبا السيف اذا لم يؤثر
في الضريبة والظلل جمع ظلة وهو السحاب والاحتدام شدة الحرارة والغيظ والارهاق الاعجال ويروى بالزاي والجشوبة ظلة
بالجيم غلظ الطعام والنجي القوم يتناجون والندي القوم يجتمعون في النادي وهو المجمع ولا يحفلون لا يبالون
والاحتفال المبالاة التي لا اعتنا به وفي الفصل مقاصد الاول التنبيه على فضيلة تقوى الله تعالى باوصاف احدها كونها
مفتاح سداد ولما كان السداد هو الصواب والعدل في القول والعمل وكان هو غاية الدين والطريق المسلوك الى ذكر
الله تعالى وكانت تقوى الله هو دال الخشية المستلزمة للاعراض عن مناهيه استعار لها لفظ المفتاح باعتبار كونها
سببا للاستقامة على الصواب والقصد في صراط الله المستقيم الى غاية القيم الذي هو افضل المطالب كما ان المفتاح
سبب للوصول الى ما يحرز من الامور النفيسة الثاني كونها ذخيرة معاد وظاهر ان الاستعداد بالخشية التقوى بما
يستلزم من الكمالات النفسانية من انفس الذخائر المنتفع بها في المعاد الثالث كونها عتقا من كل ملكة استعار لفظ
العتق لخلاص النفس العاقلة من استيلاء حكم شياطينها المطيعة بها كخلاص العبد من استيلاء سيده فسمى خلاص التقوى
عنها عتقا اطلاقا لاسم السبب على المسبب اذ كانت التقوى سببا لذلك الخلاص المستعار لفظ العتق الرابع كونها نجاة
من كل هلكة اطلق عليها لفظ النجاة مجازا كالعتق لكونها سببا لنجاة النفس من المهلكات الاخروية وعقوبات الآثام ورذائل

كان

كانت التقوى النجاة من مخاوف ديونها ولاحقة الخامس بها ينجح الطالب اما الفوز بالله في الآخرة فظاهر واما في الدنيا فلما
نشاهده من اتخاذ كثير من الناس شعار المتقين ذريعة الى مطالبها ونجاح مساعيهم واقبال الدنيا عليهم السادس ينجو
الهارب اي من عذاب الله وهو ظاهر السابع وتنال الرغائب وهو كقوله ينجح الطالب وفي كل قرينتين من القرائن الست الى
الفصل السجع المتوازي المقصد الثاني التنبيه على وجوب العمل وامكان رفعه الصالح المطلوب لله ومبادرته باعتبارات
الاول انهم في وقت العمل وامكان رفعه الى الله دون ما بعد الموت والواو في قوله والعمل للحال الثاني وفي وقت قبول
التوبة منهم والاقلاع عن موبقات الآثام الثالث ووقت سماع الدعاء وقبوله فان شيئا من ذلك لا ينفع بعد الموت بل لا يمكن
الموت الرابع والحال هادية اي حال الانسان في الدنيا فان حال حين الموت وما بعده في غاية الاضطراب الخامس والاقلام
جارية اي اقلام الحفظة وفائدة الاعلام بالعمل في حال جريان الاقلام التنبيه على وقت الاعمال الخيرية وامكانها
حين يكتب ويرفع الى الله فاعملوا في الحال المذكورة ما دامت اقلام الكرام الكاتبين جارية لتكتب اعمالكم المقصد الثالث
حثهم على المبادرة الى الاعمال الخيرية باعتبارات احدها ان اعمارهم التي هي محل الاعمال في معرض الانتكاس والرجوع الى
الحالة المنافية للتكليف وهي الهرم المستلزم لضعف العقل والبنية ونقصانهما والرجوع الى حال الطفل في ذلك كقوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق فينبغي ان يبادر ذلك بالاعمال الصالحة الممكنة قبل انتكاسه الثاني ان ابدانهم في معرض التغير
والتبديل بالصحة التي هي مظنة العمل مرضا وهو مظنة بطلان العمل واستاعه فينبغي ان يبادر الصحة بالعمل قبل
عنه بالمرض الثالث ان يبادر ما هو اعظم من ذلك وهو الموت الذي لا بد منه واستعار لفظ الخالس له باعتبار
اخذه للاعمار على غرة وغفلة من اهلها كالمختلس الشيء من يد غيره ثم نبه على وجوب العمل للموت ولما بعده باوصاف
المخوفة احدها كونه هادم لذاتهم الدنيوية وهو ظاهر ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اكثروا من ذكر هادم اللذات
الثاني كونه مكدر شهواتهم الثالث كونه مباعد طياتهم واستعار لفظ الطيات لمنازل السفر الى الآخرة بالموت
عن الدنيا واهلها فان الآخرة ابعد منزل عن الدنيا الرابع استعار لفظ الزائر باعتبار هجومه على الانسان ولما كان من
شان الزائر ان يكون محبوبا ميزه بكونه غير محبوب لحصول النفرة عنه وعدم الميل اليه الخامس استعار له لفظ
القرن بوصف كونه غير مغلوب لهم ثم لا يستعدوا له السادس استعار لفظ الواتر بوصف كونه غير مطلوب اي من
شانه ان يوتر القلوب ولا يمكن ان يطلب بوتره ولا ينتصف منه ملاحظة لتشبيهه بالرجل البالغ في الشجاعة بحيث لا يطلب
السابع استعار لفظ الحبائل للاوصاف والامراض البدنية التي هي داعية الموت وموديه اليه كحبائل الصائد ورشح
بالاعلاق الثامن وتكنفتكم غوائله اي احاطت بكم مصائبه التاسع استعار لفظ المعابل للآفات الداعية الى الموت
ايضا باعتبار كونها موذية او قاتلة كالنصال ورشح بذكر الاقصاد العاشر استعار لفظ السطوة له ملاحظة لتشبيهه
بالسلطان القاهر او السبع الضاري في قوة اخذه وشدة بطشه الحادي عشر وكذلك لفظ العدوة له باعتبار كونه اخذا
على غير حق كالظالم فان قلت اذا كانت حقيقة الظلم هي الاخذ بغير حق وهذا الحد صادق في فعل الموت فوجب ان يكون
الاطلاق لفظه هنا حقيقة لا استعارة قلت لفظ الاخذ انما يصدق حقيقة على ذي الحياة وان سلمنا صدقه على غيره لكن

العدوة ظ

لاحد بغير حق ايد وهو حقيقة الظلم بل الاخذ بغير حق لمن يكون من شانه ان يكون له حق وذلك مخصوص بالعقلاء فسلب
الحق عن من له الحق حقيقة هو سلب الملكة وعدم اللفظ مستعارا هو السلب المطلق الثاني عشر وكذلك لفظ
النبوة لعدم تاثيره ملاحظة لشبهه بالسيف القاطع ووصفها بالقلة وراعي في كل ثلث قراين من هذه القسم
السجع المتوازي الثالث عشر استعار لفظ الظلل للامراض والعلل الداعية الى الموت استعارة لفظ المحسوس بالمعقول
للمعقول ملاحظة لشبهها بالسحاب المظل واصفا لها بالدواجي اذ كان الكلام في معرض التخويف والسحاب المظلم
اشد دهشة في القلوب ويقرب منه قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله وهو شروع في التخويف بذكر
الموت الرابع عشر وكذلك استعار وصف الاحتدام لعلله ملاحظة لشبهها في تزودها بالرجل المستشيط
غضبا في قوة الاخذ الخامس عشر استعار لفظ الحنادس لما يتوهمه الانسان من الظلم في غمرات الموت وسكراته
السادس عشر وكذلك لفظ الغواشي لما يعرض عنه سكرات الموت من العوارض المانعة من الادراك المدهشة
للآلات السابع عشر والبم ارهاقه اي اعجال المولم الثامن عشر ودجوا طباقه استعار لفظ الاطباق لحالات المترادفة
وسكراته المتضاعفة التي يتضاعفها يزداد الآلات ادراكه بعدا وانقطاعا عن المدركات الدنيوية وباعتبار انقطاع
الادراك بسبب تلك الحالات وصفها بالدجو وشدة الظلمة ويحتمل ان يريد باطباقه اطباق القبور الحاصلة
بسببه التاسع عشر استعار لفظ مذاقه لوجدان باعتبار المشاركة في الادراك وباعتبار شدة ايلامه وصفه
بالجشوبة العشرون التخويف باتيانه بغتة وكان هي المخففة من كان والاسم ضمير الشان ولما كانت كان للتشبيه
يستلزم المقاربة بين المشبه والمشبه به في وصف ما هو وجه الشبه كان المشبه هنا هو حال الموت من جهة ما هو   وكان للتشبيه
منتظر لا بد منه والمشبه به هو باعتبار اتيانه وموافاته لهم ووجه الشبه هو القرب اي قرب المنتظر الذي لا بد
منه من الواقع الموجود اذ كل ما هو آت قريب ثم اردف التخويف منه بذكر لوازمه المخوفة وهي اسكات الناجين وتفرق
المجتمعين وتعفية الآثار وتعطيل الديار وبعث الوراث لاقتسام التراث واسند اليه البعث باعتبار سببيه بلزمه
انبعاث الدواعي الورثة الى اقتسام التراث لزوما عرضيا وقوله بين حميم متعلق بما ذكر بغتة مع ما بعده من الافعال اي كانه
قد اتاكم بغتة ففعل بكم ما فعل من اسكات المتناجين وغيره بين صديق خاص لاحدكم لا ينفع صداقته حينئذ
محزون لا ينفع حزنه ولا يقدر على المنع عنه واخو عدو شامت لا يجزع عليه ثم اردف ذكر الموت ولوازمه بالحث على
العمل والجد فيه والتاهب والاستعداد لنزول الموت وما بعده والتزود اي والتقوى في منزل الزاد وهو الدنيا
لانها المنزل الذي لا يمكن تحصيل الزاد الى الآخرة الا فيه ولذلك اضاف اليه التذكير بالنهي عن الانخداع بغرور الدنيا كما خدعت
السابقين والقرون الماضين واستعار لفظ الدرة لمنافع الدنيا وخيراتها ولفظ الاحتلاب لجمعها واقتنائها
اي الذين فازوا بخيراتها وحصلوا عليها وكذلك استعار الغرة لعدم وصول حوادثها اليهم في مدة استمتاعهم بها
فكانها غافلة عنهم لا ترميهم بشيء من المصائب فلما وجدوا ذلك منها اخذوا وحصلوا على ما حصلوا واقتادهم   نقادهم
لما اقتدوا فيها من ماكول وملبوس وغيرهما مما يستمتع به فيفني وكذلك اخلاقهم لجدتها كناية عن استمتاعهم بما اخذوا

منها

منها من صحة ومال وغيرهما الى غاية انقضائها وانتهاء مدتها حتى كانهم لم يبقوا من محاسنها شيئا الا اخلقوه ولما وصف حالهم الاول
بما وصف اردف ذلك بذكر غايتهم منها وهي الاحوال المذكورة بقوله اسكنهم اجداثا الى قوله رماهم وخلاصة الكلام
انكم لا تغتروا بالدنيا كما اغتر بها من كان قبلكم فان اولئك مع انهم قد صادفوا غرتها وحصلوا منها على ما حصلوا من خيراتها
كانت غايتهم منها ان وصلوا الى ما وصلوا من العدم فكذلك انتم بطريق الاولى ثم اكد التحذير منها بذكر اوصافها المنفرة عنها
فاستعار لها لفظ الغرارة باعتبار كونها سببا ماديا للاغترار كما سبق ولما كان الخداع هو المشورة بامر ظاهره مصلحة
وباطنه مفسدة وكان ظهور زينة الحيوة الدنيا للناس يشبه الراي المحمود في الظاهر باتباعها وكانت تلك الزينة
واتباعها سببا للفتنة بها عن سبيل الله الذي هو عين المفسدة يشبه المفسدة في باطن الراي لا جرم اشبه ظهور
زينتها الخداع فاستعار لها لفظ الخدوع بذلك الاعتبار وكذلك لفظ المنوع باعتبار كونها سببا ماديا للانتفاع   لفظ الملبسة
بها من خيراتها وسببا ماديا لمنعه وكذلك لفظي الملبسة النزوع وراعي فيهما بين القرينتين المقابلة وفائدتها هنا
التنفير عما يتوهم فيها خيرا مما تعطيه وتلبسه بذكر استعقابها المقابلهما من منعها لما تعطيه ونزعها لما تلبسه و
اكده بقوله لا يدوم رخاؤها الى آخره ولما كان رخاؤها من صحة وشباب ومال وجاه ونحوها من ساير اللذات البدنية
حوادث مشروطة باستعدادات سابقة عليها ومعدات غير مضبوطة لكنه حادثة وغير حادثة سريعة التغير او
بطيئة لا جرم كان من شان ذلك الرخاء التغير والانقطاع وظاهر ان انقطاع رخائها حالا فحالا مستلزم لعدم انقضاء
عنائها ومتاعبها وتواتر بلائها واستعار لبلاء الدنيا وصف عدم الركود ملاحظة لشبهه بالريح دائمة الحركة
دائما وبالله التوفيق منها في صفة الزهاد كانوا قوما من اهل الدنيا وليسوا من اهلها فكانوا فيها كمن ليس منها عملوا فيها
بما يبصرون وبادروا فيها ما يحذرون تقلب ابدانهم بين ظهراني اهل الآخرة ويرون اهل الدنيا يعظمون موت اجسادهم وهم   اشده
اعظم الموت قلوب احيائهم اقول ظهراني بفتح النون والاشارة الى بعض اصحابه الذين هم هؤلاء وقوله كانوا قوما
الى قوله اهلها قضيتان ظاهرهما التناقض لكن قد علمت ان المطلقتين لا يتناقضان واختلافهما يحتمل ان يكون في الكم
او بالاضافة فانهم من اهل الدنيا بابدانهم ومشاركاتهم الضرورية لاهلها في الحاجة اليها وليسوا من اهلها بقلوبهم
اذ خرجوا عن ملاذها ونعيمها واستغرقوا في محبة الله وما اعد لاولياءه الابرار في دار القرار فهم ابدا يطلعون اليه
ويشاهدون لاحوال الآخرة بعيون بصائرهم كما قال عليه السلام فيما قبل فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون
وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون ومن كان كذلك فحضوره القلبي انما هو في تلك الدار فكان بالحقيقة من
اهلها وقوله عملوا فيها بما يبصرون اي كان سعيهم وحركاتهم البدنية والنفسانية في سبيل الله بصيرة ومشاهدة
لاحوال تلك الطريق وما يفضي اليه من السعادة الباقية وعلم بما يستلزمه الاعراض عنها من الشقاوة اللازمة الدائمة
والباء للسبب وما مصدرية ويحتمل ان يكون بمعنى الذي اي بالذي يبصرونه ويشاهدونه من تلك الاحوال فان
علمهم اليقين بها هو السبب القايد والحامل لهم في تلك الطريق وعلى سلوكها وقوله وبادروا فيها ما يحذرون فالبادرة
المسابقة والمعاجلة وهي مفاعلة من الطرفين والمراد انهم سابقوا ما يحذرون من عذاب الله الموعدين به في الآخرة

كان سابق لهم الى نعيمهم وهم سابقوه الى خلاصهما فسبقوه الى النجاة اذ كانوا راكبين لمطاياها ومتمسكين بعصمها من
اوامر الله وحدوده وقوله تقلب الى قوله الآخرة اي تتقلب فحذف احدى التائين تخفيفا والمعنى ان ابدانهم بين ظهراني اهل
الآخرة والعاملين لها دون اهل الدنيا وقيل يحتمل ان يريد باهل الآخرة سائر الناس لان مستقرهم الاصلي ودار قرارهم
الآخرة كما قال تعالى وان الآخرة هي دار القرار والمعنى على هذا الوجه انهم مع الناس بابدانهم فقط وتتقلب ابدانهم وارواحهم
في مقام آخر وقوله يرون الى آخره الغرض الفرق بينهم وبين اهل الدنيا اذ كان اهل الدنيا لا يرون ان وراء ابدانهم كمالا
آخر وكانوا غافلين عن احوال الآخرة من سعادة او شقاوة فكان اعظم محبوباتهم بقاء اجسادهم وتكميلها
واعظم منفور عنه لهم هو نقصانها وموتها اما المتقون فهم وان كانوا يرونهم بتلك الحال الا انهم يرون لهم
افضل مما يرون وهو ان موت قلوبهم وفقدانها الحياة بالعلم والحكمة اعظم من موت اجسادهم وذلك لعلمهم
بفساد الحياة البدنية وانقطاعها وكدرها بعوارض الامراض والغموم وسائر المنغصات الدنيوية وبقاء الحياة
النفسانية وشرف كمالها وصفائها لذاتها عن الاقذاء والاكدار وانما قال قلوب احيائهم ولم يقل قلوبهم لان موت القلوب
قد يكون حقيقة بموت الاجساد وقد يكون مجازا وهو موتها بفقدان العلم ونور الحكمة مع حياة اجسادها فكان
ذكر الاحياء كالقرينة المعينة لمراده بذلك الموت مجازه والضمير في قوله احيائهم يعود الى اهل الدنيا لان موت القلوب
هو الواقع بهم حال حيوة ابدانهم ويحتمل عوده الى قوله وهم الذي هو ضمير المتقين وبالله التوفيق ومن خطبة
له عليه السلام خطبها بذي قار وهو متوجه الى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل: فصدع بما امر به وبلغ رسالات ربه فلم الله
به الصدع ورتق به الفتق والف بين ذوي الارحام بعد العداوة الواغرة في الصدور والضغائن القادحة في القلوب
اقول ذو قار اسم موضع قريب من البصرة وفيه كانت وقعة العرب مع الفرس قبل الاسلام والصدع الشق والواغرة
وهي شدة توقد الحر وفي صدره وغر اي عداوة وضغن ويتوقد من الغيظ وعداوة واغرة شديدة والضغائن والاحقاد ثم اشار
الى اوصاف الرسول صلى الله عليه وآله فالاول استعار له لفظ الصدع بما امر به من تبليغ الوحي ووجه المشابهة انه شق بما
جاء به من الرسالة عصا الكفر وكلمة اهله وفرق ما اتصل من اغشية الجهل على نفوس الكافرين وحجب الضلال التي
رانت على قلوبهم كما يصدع الحجر بالمعول ونحوه الثاني ذكر تبليغه لرسالات ربه في معرض مدحه لكونه اداء امانة عظم
تبليغها وقدرها وذلك فضيلة عن ملكة العفة الثالث كونه قد لم الله به الصدع ورتق به الفتق واستعار لفظي الشق
والفتق لما كان بين العرب من الافتراق وتشتت الاهواء واختلاف الكلمة والعداوات والاحقاد حتى ان احدهم كان
يقتل اباه وابنه وذوي رحمه لهوى يعوده او ضغن يحمله فجمع الله بمقدمه صلى الله عليه وآله اسبابهم والف بين قلوبهم
حتى جعل ذلك في معرض امتنانه عليه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن
الله الف بينهم وكذلك استعار وصف القادحة للضغائن لاستلزامها اثارة الغضب والشرور كما يثير القادح النار
وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته: ان هذا المال ليس لي ولا لك وانما هو
فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم والا فجناة ايديهم لا تكون لغير افواههم اقول هو عبد الله

بن زمعة بفتح الميم بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد العزى بن قصي وكان من اصحاب علي وشيعته والجلب المال المجلوب ويكتب
بالحاء وجناة الثمر ما يجنى منه وظاهر الكلام يقتضي انه استماحه عليه السلام مالا فاعتذر اليه ووجه العذر انه لم يكن يجمع لنفسه
مالا يخصه وانما يجتمع معه ما كان لبيت مال المسلمين من فيئهم وهو ما جلبته اسيافهم من مال الكفار غنيمة ونظيره في القرآن
قسمه خمسه بين من ذكر في قوله واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل والاقسام الاربعة الباقية للغانمين الذين باشروا القتال فعند الشافعي للفارس ثلاثة اسهم وللراجل
سهم وعند ابي حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم وهو مذهب اهل البيت عليهم السلام ويحمل منعه عليه السلام
له من الخمس على انه طلب من مال المقاتلة او على ان الخمس كان قد قسم او على انه لم يكن من المساكين وهم اهل الفاقة والفقر
ولا ابن السبيل وهو المنقطع في سفره واما سهم الله فاجمع المفسرون على ان ذكر الله هنا للتعظيم وان اختلفوا في
قسمة الخمس فمنهم من قال يقسم خمسة اقسام لان سهم الله وسهم الرسول للرسول فهو قسم واحد وهو المروي عن ابن
عباس وقتادة وجماعة من اهل التفسير ومنهم من قال يقسم اربعة اقسام ومنهم من قال ثلاثة اقسام والمروي عن اهل
البيت عليهم السلام انه يقسم ستة اقسام فسهم الله وسهم رسوله للرسول عليه السلام وهما بعده مع سهم ذوي القربى
للقائم مقامه ينفقها على نفسه واهل بيته من بني هاشم والثلاثة الاسهم الباقية لليتامى والمساكين وابناء السبيل
من اهل بيت الرسول لا يشركهم فيها باقي الناس عوضا لهم عن الصدقات المحرمة عليهم والائمة الاربعة على ان سهم الرسول
عليه السلام كان يصرف بعد عهده الى ما اهم من مصالح المسلمين من السلاح والكراع فاذن لم يكن له ان يعطيه
من سهم الرسول عليه السلام وظاهر انه ليس من اولي القربى ولا اليتامى واما منعه من الاخماس الاربعة فلانها كانت للمقاتلة
خاصة ولم يكن هو منهم ولذلك قال انه فيء للمسلمين وجلب اسيافهم فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وفي
نطق كلامه عليه السلام هيهنا بان الفيء والغنيمة واحد وان كان قد يخص الفيء عند بعضهم بما اخذ من مال الكفار بغير قتال
وهو قول الشافعي والمروي في اخبار الامامية وقوله والا اي وان لا تكن قد شركتهم واستعار لفظ الجناة لما اكتسبوه بايديهم
من ذلك المال ملاحظة لمشابهته باقتطاف الثمر واجتنائها وهو من افصح الاستعارات ويجري مجرى المثل بين
لمن يطلب مشاركة غيره في ثمرة عمل عمله ذلك الغير وتعب فيه ولما كان قوله والا دالا على مقدم شرطية متصلة تقديره
والا تكن قد شركتهم في حربهم نبه بقوله فجناة ايديهم الى آخره على تاليها اذ كان مفهوم هذا القول دالا على عدم
استحقاق غير الجاني نصيبا مما جناه بيد الجاني فكانه قال ولا شركتهم في حربهم فلا يكون لك نصيب فيما كسبته ايديهم
والفاء لجواب الشرط المقدر ومن كلام له عليه السلام الا وان اللسان بضعة من الانسان فلا يسعده القول اذا امتنع
ولا يمهله النطق اذا اتسع وانا لامراء الكلام وفينا تنشبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا رحمكم الله انكم في زمان
القائل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على
الادهان فتاهم عارم وشائبهم آثم وعالمهم منافق وقارئهم مماذق لا يعظم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم اقول
روي ان امير المؤمنين عليه السلام قال هذا الكلام في واقعة اقتضت ذلك وهي انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي

الصان م

يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فحصر فلم يستطع الكلام فقام عليه السلام ونسيم نوره ثم خطب خطبة طويلة ذكر الرضي رحمه الله
منها هذا الفصل والبضعة القطعة وتشبث تعلقت وتهدلت تدلت والعادم الشرس سيء الاخلاق والماذق الذي يمذق الود
ولا يخلصه وهو نوع من النفاق والضمير في بعد في يمهله للسان وفي امتنع واتسع للانسان والمعنى ان الانسان لما كان آلة لما
يتصرف فيتصرف فيها اياما فاذا امتنع الانسان عن الكلام لشاغل او صارف لم يسعد اللسان القول ولم يواته واذا اوعاه الداعي الى الكلام
وحضره واتسع الانسان له لم يمهله النطق بل سارع اليه ويحتمل ان يعود الضمير في امتنع الى القول وفي اتسع الى النطق اي فلا يسعف
اللسان اذا امتنع القول من الانسان ولم يحضره لوهم ونحوه اوجب حصره وعيه ولم يمهله النطق اذا اتسع عليه
وقالوا وانا لامراء الكلام استعار لفظ الامراء لنفسه واهل بيته ملاحظة لكونهم مالكين لازمة الكلام يتصرفون فيه تصرف
الامراء في ممالكهم واستعار لفظ العروق لمواد الكلام واصوله وملكاته المتمكنة من قلوبهم ورشح بذكر التنشب
استعار لفظ الغصون لما امكنهم من تناوله وقوله ورشح بذكر التهدل لان من شان الغصن ذلك ثم عقب بذكر
الزمان واهله ويشبه ان يكون هذا فصلا منقطعا عما قبله وذكر اوصافا احدها اقلال القائلين فيه بالحق وذلك من
الشرور اللاحقة لاهل الزمان فيه وقد علمت ما قلناه في كون الزمان سببا للشر والخير عند قوله ايها الناس انا قد
اصبحنا في دهر عنود وزمن كنود الثاني كون اللسان فيه كليلا عن الصدق والسبب القريب للوصفين استيلاء الجهل
والظلم على الكل واهل الدنيا فيه الثالث ذكر اللازم من الحق فيه وهو لازم عن قلتهم وضعفهم بالنسبة الى الباقي
الرابع كون اهله معتكفين على العصيان واراد الاكثرين من الناس الخامس كونهم مصطلحين على الادهان اي
المصانعة باللسان دون الاتفاق بالقلوب ويحتمل ان يريد بالادهان الغش وهو لغة فيه السادس ذم شبانهم بحسب
فتاهم شرس الاخلاق لنشوه على غير ادب وشابهم آثم لجهله وغفلته عن امر دينه وعالمهم منافق لاستعماله
في طرق الشر واعراضه عن اوامر الله وطريق الآخرة وقاربهم مماذق يظهر التودد الى الناس وليس به السابع كونهم
لا يعظم صغيرهم كبيرهم وذلك لنشوهم على قلة الآداب الشرعية وعدم التفاتهم اليها الثامن ولا يعول غنيهم فقيرهم
وصف لهم بالجفاء والبخل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** روى ابو محمد اليماني عن احمد بن قتيبة عن عبد الله بن
يزيد عن مالك بن دحية قال كنا عند امير المؤمنين عليه السلام فقال وقد ذكر عنده اختلاف الناس انما فرق بينهم مبادي
طينهم وذلك انهم كانوا فلقة من سبخ ارض وعذبها وحزن تربة وسهلها فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون وعلى قدر
اختلافها يتفاوتون فتام الرواء ناقص العقل وماد القامة قصير الهمة وزاكي العمل قبيح المنظر وقريب القعر بعيد السبر
ومعروف الضريبة منكر الجليبة وتائه القلب متفرق اللب وطليق اللسان حديد الجنان **اقول** دحية بالكسر اسم رجل
وعبد الله ومالك من رجال الشيعة ومحدثيهم والفلقة القطعة والشق من الشيء والرواء المنظر الجميل والسبر
الخبرة بالشيء وغوره والضريبة الخلق والطبيعة والجليبة ما يجلبه الانسان ويتكلفه والكلام اشارة الى
المبادي لاختلاف الناس في الصور والاخلاق فقوله انما فرق بينهم الى قوله يتفاوتون خطبتهم اشارة الى الاصل
التي اشار الى جمع الله لها في الخطبة الاولى في قوله ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها الى قوله

اسم م

حتى

حتى استمسكت والمعنى ان تقاربهم في الصور والاخلاق تابع لتقارب طينهم وتقارب مباديه وهي السهل والحزن والسبخ والعذب
وتفاوتهم فيها لتفاوت طينهم ومباديه المذكورة قال اهل التاويل اضافة المبادي هنا الى الطين اضافة بمعنى اللام
اي المبادي لطينهم والاشارة بطينهم الى اصولهم وهي الممتزجات المتنقلة في اطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من
موادها وما بعدها من العلقة والمضغة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس المدبرة قالوا ولما كانت مبادي
الطين في ظاهر كلامه عليه السلام هي السبخ والعذب والسهل والحزن كان ذلك كناية عن الاجزاء العنصرية التي
هي مبادي المركبات ذوات الامزجة كالنبات والغذاء والنطفة وما بعدها اذ كل ممتزج منها لابد فيه من اجزاء متفاعلة
يحصل بواسطة استعداداتها وتفاعلها ذو مزاج هو نطفة وغيرها فتلك الاجزاء المتفاعلة المستعدة لمزاج مزاج
هي مبادي تلك الامزجة والممتزجات وملكات السبخية والعذوبة والسهولة والحزونة امورا تلحق الممتزجات الارضية
التي هي مبادي الطين ولها اثر في اختلاف امزجة وسائر الامزجة المتركبة عنه وكان اختلاف استعدادات تلك الامور
الممتزجة لقبول الامزجة التي هي السبب في اختلاف الامزجة وكذلك اختلاف الامزجة واستعداداتها لقبول الاخلاق
والصور هو السبب في اختلاف الاخلاق والصور لاجرم كان السبب في تفرق الناس في اخلاقهم وخلقهم انما هو اختلاف
مبادي طينهم وقد علمت فيما سلف في الخطبة الاولى لمية تخصيصه عليه السلام بعض الاجزاء العنصرية بالتركيب عنها
ويحتمل ان يشير بالسبخ والعذب والحزن الى الاجزاء الارضية من حيث هي ذوات امزجة متعادلة الكيفيات فالسبخ كناية
عن الحار اليابس منها والعذب كناية عن الحار الرطب والسهل كناية عن البارد الرطب والحزن كناية عن البارد اليابس قالوا
وعلى هذا يحمل قول الرسول صلى الله عليه وآله ان الله سبحانه لما اراد خلق آدم امر ان يؤخذ قبضة من كل ارض فجاء بنو آدم على
طينها الاحمر والابيض والسهل والحزن والطيب والخبيث والقبضة من كل ارض اشارة الى الاجزاء الارضية المذكورة وكون
الناس مختلفين عنها بالابيض والاحمر اشارة الى اختلاف خلقهم وكونهم مختلفين بالسهولة والحزونة والطيب
اشارة الى اختلاف اخلاقهم عن اختلاف تلك الاستعدادات التابعة لكل مزاج في اطوار خلقهم قالوا وقد
بان بذلك معنى قوله فهم على حسب قرب ارضهم يتقاربون اي على حسب قرب مبادي طينهم المذكورة وتشابهها
في استعداداتها واعدادها يتقاربون ويتشابهون في الصور والاخلاق وعلى قدر اختلاف تلك المبادي وتباينها
في ذلك يتفاوتون ويتضاد اخلاقهم ويتباين خلقهم قالوا ويجب التاويل هنا لان حمل الكلام على ظاهره لا يقتضي ان
كلا منهم قد خلق من الطين وقوله فتام الرواء الى آخره تفصيل لهم في تفاوتهم وذكر اقساما تسعة وبدا بالاقسام الاربعة
خلقها لاختلافها ومضادة بعض احوالها لبعض وهي خمسة من استعد مزاجه لقبول صورة كاملة حسنة وعقل ناقص فهو
داخل في رذيلة الغباوة الثاني المستعد لامتداد القامة وحسنها ايضا لكنه ناقص في همته فهو داخل في رذيلة
الجبن وكلاهما يشتركان في مخالفة ظاهرهما لباطنهما ويتقاربان في الاستعداد الباطن الثالث المستعد لقبح
الظاهر وحسن باطنه باعتدال المزاج وهذا المستلزم للاعمال الزكية الرابع قريب القعر اي قصيره بعيد السبر اي داهية
يبعد اختبار باطنه والوقوف على اسراره ومخالفة ظاهر هذين القسمين لباطنهما ظاهر الخامس معروف الضريبة منكر

الاول م

الجلية اي يكون له خلق معروف فيتكلف ضده فيستنكر منه ويظهر عليه تكلفه كان يكون مستعدا للجبن فيتكلف الشجاعة
او بخيلا فيتكلف السخاوة فيستنكر منه ما لم يكن معروفا منه فهذه هي الاقسام الخمسة والقسم الاول والثالث اطلقان على
المستعد لحسن الصورة وجمالها واعتدال الخلقة ان يكون فطنا ذكيا لدلالة تلك العوارض على استواء التركيب واعتدال
المزاج والاغلب على المستعد لقبح الصورة عكس ذلك واما القسم الثاني والرابع فهو كثير فان الاغلب على الطويل القامة
نقصان العقل والبلادة ويتبع ذلك فتور العزم وقصور الهمة وعلى القصير الفطنة والذكاء وحسن الاراء والتدابير
وقد نبه بعض الحكماء على علة ذلك فقال حين سئل ما بال القصار من الناس ادهى واحذق قال لقرب قلوبهم من
ادمغتهم ومراده ان القلب لما كان مبدأ الحار الغريزي وكانت الاعراض النفسانية من الفطنة والفهم والاقدام والوفاء
وحسن الظن وجودة الراي والرجاء والنشاط وحولية الاخلاق وقلة الكسل وقلة الانفعال عن الاشياء كل ذلك يدل
على الحرارة وتوفرها واضداد هذه الامور تدل على البرودة لا جرم كان قرب القلب من الدماغ في القصير لكونه سببا
لتوفر الحرارة في الدماغ وجودة استعداد القوى النفسانية فيه للاعراض المذكورة وكان بعده منه في الطويل سبب القلة
الحرارة فيه وضعف استعداد القوى النفسانية لتلك الاعراض واستعدادها لاضدادها وان كانت الحرارة ليست هي
كمال السبب المادي والقسم الخامس اكثري وذلك لمحبة النفوس للكمالات فيرى البخيل يحب ان يذكر بما فيتكلف الكرم
والجبان يحب ان يعد شجاعا فيتكلف الشجاعة وقد راعى في هذه القرائن المطابقة فالتام بازاء الناقص والهامة
بازاء القصير والزكي بازاء القبيح والقريب بازاء البعيد والمعروف بازاء المنكر واما القسمان الباقيان فاحدهما ايه
القلب متفرق اللب وهم العوام فالفاعة اتباع كل ناعق التائهون في تيه الجهل المتفرقة اهواؤهم بحسب كل سانح
من المطالب الدنيوية والخواطر الشيطانية والثاني طليق اللسان حديد الجنان وهو اللسن الزكي وهذان القسمان يخالفان
للاقسام الاولى في مناسبة ظاهرهما لباطنهما وراعى في كل قرينتين من هذين القسمين التسجيع المتوازي وبالله التوفيق

ومن كلام له عليه السلام وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله بابي انت وامي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع
بموت غيرك من النبوة والانباء واخبار السماء خصصت حتى صرت مسليا عمن سواك وعممت حتى صار الناس
فيك سواء ولولا انك امرت بالصبر ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلا والكمد محالفا
وقلا لك ولكنه ما لا يملك رده ولا يستطاع دفعه بابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك **اقول** روي
الانباء الابناء وهي الاخبار والشؤون مواصل قطع الراس المشعوب بعضها مع بعض وملتقاها والعرب تقول ان
الدموع تجري منها وقال ابن السكيت الشأنان عرقان ينحدران من الراس الى الحاجبين ثم الى العينين والكمد الحزن المكتوم
والمحالف الملازم والبال القلب وقوله بابي انت وامي يتعلق بمحذوف تقديره افديك وانما قال لقد انقطع بموتك
الى قوله السماء لانه صلى الله عليه وآله خاتم الانبياء والمراد باخبار السماء الوحي قال اهل التاويل ولفظ السماء مستعار
للعلو في المعنى من سماء عالم الغيب ومقامات الملا الاعلى وقوله خصصت الى قوله سواء اي خصصت في مصيبتك
من حيث انها مصيبة خاصة عظيمة لا يصاب الناس في الحقيقة بمثلها فلذلك كانت مسلية لهم عن المصيبة

سواك

سواك وعممتهم بمصيبتك حتى استووا فيها واضاف الخصوص والعموم اليه وانما المصيبة لكونها بسببه وقوله ولولا
الى قوله وقلا لك اشارة الى العذر في ترك البكاء الكثير ومماطلة الداء وملازمة الحزن وهو امره عليه السلام بالصبر في
مواطن المكروه والنهي عن الجزع عند نزول الشدائد وكنى عن كثرة البكاء بانفاد ماء الشؤون وبالداء عن الم الحزن بفقده
صلى الله عليه وآله واستعار له لفظ المماطلة لكون الحزن والمه لثباته وتمكنه لا يكاد يفارق مع ان من عادته ان يفارق
فهو كالمماطل بالمفارقة والضمير في قوله وقلا لك يعود الى انفاد ماء الشؤون الذي دل عليه انفدنا والى الكمد المحالف
ولما كان هو والداء المماطل في تضمير الاثنين ويحتمل ان يعود الى الداء المماطل والحزن الملازم ترجيحا للقرب والضمير
في قوله ولكنه ما لا يملك يعود الى الموت في قوله بموتك وتقديره ولكن الموت الذي لاجله البكاء والحزن ما لا يملك
رده ولا يستطاع دفعه فلم يكن في البكاء والجزع فائدة وكان لزوم الصبر اولى ثم عاد الى التفدية وهي كلمة تستعملها
العرب يقال لمن يعز عليهم فداك فان قلت كيف يحسن التفدية هنا بعد الموت وهي غير ممكنة قلت انه لا يشترط في اطلاقها في
عرفهم امكان التفدية اذ ليس الغرض منها تحقيق التفدية بل تخييل التفدية وايهامها للانسان فانه يخيل للمقول له ان عزه عند
نفس القائل الى غاية انه ارجح من ابيه وامه بحيث يفديه بهما وظاهر انها مما يفعل في الطبع ميلا من المقول له الى القائل
يذكره عنده وان يجعله من باله اذ هو السابق الى جمع كونه رئيس الخلق ومقدمهم فكان اللطف من سبيل ذلك منه واراد ان
اذكرنا عنده بما نحن عليه من طاعته فهو كامير بعثه الملك الى اهل مدينة ليصلح حالهم وينظمهم في سلك طاعة الملك
بالترهيب من وعيده والترغيب فيما عنده من الكرامة فلا بد ان يحمله طاعة المطيع وعصيان العاصي حتى اذا حان
الى خدمة الملك احب عقلاؤهم واهل الطاعة منهم ان يذكر طاعتهم للملك بين يديه فيتقربون الى قلبه
ان يجعلهم من بالك اي من همته يقال هذا من بال فلان اي مما يباليه ويهتم به ويحتمل ان يريد من مهمات بالك
بحذف المضاف وقبض صلى الله عليه وآله بعد الهجرة بعشر سنين وكان مولده عام الفيل وبعث وهو ابن اربعين سنة
ببطن الكعبة وهاجر الى المدينة وهو ابن ثلث وخمسين سنة فكان سنه يوم قبض ثلثا وستين سنة ويقال انه
يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين ودفن ليلة الاربعاء بحجرة عائشة وفيها قبض وتولى
علي عليه السلام والعباس ابن عبد المطلب وولده الفضل وقد اشرنا الى ذلك في كيفية دفنه صلى الله عليه وآله في قوله
ولقد علم المستحفظون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد
ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتباههم على
ان لا شبه له الذي صدق في ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد
بحدوث الاشياء على ازليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد
ودائم لا بامد وقائم لا بعمد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة وتشهد له المرائي لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها
بها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته
تجسيدا بل كبر شأنا وعظم سلطانا واشهد ان محمدا عبده الصفي صلى الله عليه وآله وسلم ارسله بوجوب الحجج وظهور الفلج

وايضاح المنهج وفتح الرسالة مصادعا بها وحمل على المحجة دلالة عليها واقام اعلام الاهتداء ومنار الضياء وجعل امراس الاسلام
متينة وعرى الايمان وثيقة اقول المشاهد المحاضر والمجالس والمرائي جمع مراة بفتح الميم وهي المنظر يقال فلان حسن في
مراة العين وفي راي العين اي في المنظر والقرع الظفر واصله السكون والامراس جمع مرس بفتح الراء جمع مرسة وهي
الحبل وقد حمد الله باعتبارات من التنزيه الاول كونه لا تدركه الشواهد واراد الحواس وسماها شواهد لكونها تشهد ما تدركه
وتحضر معه وقد علمت تنزيهه تعالى عن ادراك الحواس غير مرة الثاني ولا تحويه المشاهد وقد علمت تنزيهه تعالى
عن الامكنة والاحياز الثالث ولا تراه النواظر اي نواظر الابصار وانما خصص البصر بالذكر بعد ذكر الشواهد لظهور
تنزيهه تعالى عن ساير الحواس ووقوع الشبهة وقوتها في اذهان كثير من الخلق في جواز ادراكه تعالى بهذه الحاسة
حتى ان مذهب كثير من العلماء ان تنزيهه تعالى عن ذلك ضلال بل كفر تعالى الله عما يقول العادلون الرابع ولا
تحجبه السواتر وقد علمت ان السواتر الجسمانية انما يعرض للاجسام وعوارضها وعلمت تنزيهه تعالى عن ذلك
الخامس كونه دالا على قدمه بحدوث خلقه واعلم انه عليه السلم جعل حدوث خلقه هنا دالا على امرين احدهما قدمه
تعالى والثاني وجوده وقد سبق تقرير ذلك في قوله عليه السلم الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه
على ازليته غير انه جعل هناك الدليل على الوجود هو نفس الخلق وجعله هنا هو الحدوث والمكان تجرها الوجود
للممكنات وخلقها يدل على وجود صانع لها واولى ان يدل حدوثها عليه وقدمه وازليته مولحد السادس وكذلك
من تفريق قوله واشتباههم على ان لا شبيه له في الفصل المذكور السابع الذي صدق في ميعاده وصدقه تعالى
الى مطابقة ما نطقت به كتبه على السنة رسله الصادقين عليهم السلام للواقع في الوجود مما وعد به اما في الدنيا
كما وعد رسوله والمؤمنين بالنصر والاستخلاف في الارض كقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها الاية
وقوله وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض واما في الاخرة كما وعد عباده الصالحين
بما اعد لهم في الجنة من الثواب الجزيل والخلف في الوعد كذب وهو على الله سبحانه محال وهو كقوله تعالى ان الله
لا يخلف الميعاد الثامن وارتفع عن ظلم عباده وهو تنزيه له عن حال ملوك الارض الذين من شانهم ظلم رعيتهم اذا
راوا ان ذلك اولى بهم وان فيه منفعة ولذة او في تركه ضرر وتالم وكل ذلك من توابع الامزجة وعوارض الفرح
الحاجة الى تحصيل الكمال الحقيقي او الوهمي وجناب الحق تعالى منزه عن ذلك التاسع وقام بالقسط في خلقه فقيامه
بالقسط وهو العدل فيهم اجراؤه لاحكامه في مخلوقاته على وفق الحكمة والنظام الاكمل الكلي وهو امر ظاهر وكذلك عدله
عليهم في حكمه العاشر كونه يستشهد بحدوث الاشياء على ازليته الاستشهاد الاستدلال وكرره هنا تاكيدا باختلاف العبارة
الحادي عشر وعلوه بها عن العجز على قدرته والعجز عبارة عن عدم القدرة عما من شانه ان يقدر اذ لا يقال للجدار مثلا انه عاجز
وقد علمت ان كل موجود سواه فهو موصوف وموسوم بعدم القدرة على ما يختص قدرته تعالى من الموجودات بل
بعدم القدرة على شيء اصلا اذ كل موجود فهو منته في سلسلة الحاجة اليه وهو تعالى مبدا وجوده ووجود
ما يعد سببا له فانما هو واسطة معدة كما علم تحقيقه في موضع آخر فاذن لا قدرة في الحقيقة الا له وعجز الكل

انه لو كان موسوما بالعجز عن شيء لما كان مبدا لكنه مبدا الكل موجود فهو ثابت القدرة تامها الثاني عشر وبما اضطرها اليه
من الفناء على دوامه فاضطرارها الى الفناء حكم قدرته القاهرة على ما استعد منها للعدم بافاضة صورة العدم
عليه حين استعداده لذلك على وفق قضائه تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ووجه الاستدلال انه تعالى لو كان مضطرا الى الفناء كساير الاشياء لكان جاير الفناء فكان ممكنا لكن التالي باطل لكونه
واجب الوجود دايمه الثالث عشر كونه تعالى واحدا لا بعدد اي انه ليس واحدا بمعنى انه مبدا لكثرة يكون عادا لها
ومكيالا وقد سبق بيان ذلك وبيان وجه اطلاق الوحدة عليه وباي معنى هو غير مرة فلا وجه لاعادته الرابع
عشر كونه دايما لا بامد وقد سبق ايضا بيان ان كونه دايما بمعنى ان وجوده مساوق لوجود الزمان اذ كان تعالى
هو موجد الزمان بعد مراتب من خلقه ومساوقة الزمان لا يقتضي الكون في الزمان ولما كان الامد هو الغاية
من الزمان ومنتهى المدة المضروبة لذي الزمان من زمانه وثبت انه تعالى ليس بذي زمان يعرض له الامد ثبت انه
دايم لا امد له الخامس عشر كونه تعالى قايما لا بعمد اي ثابت الوجود من غير استناد الى سبب يعتمد عليه ويقيمه في
الوجود كساير الموجودات الممكنة وذلك هو معنى كونه واجب الوجود وقد اشرنا الى برهان ذلك في قوله الحمد لله
الدال على وجوده بخلقه وكثير من قراين هذا الفصل موجود هناك السادس عشر كونه تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة في
الاذهان له يعود الى استقبالها وتقبلها لما يمكنها ان تتصور به من صفاته السلبية والاضافية وكون ذلك لا بمشاعرة
اي ليس تلقيها لتلك التصورات من طريق المشاعر وهي الحواس ولا على وجه شعورها بما تشعر به منها بل تلقاها
على وجه اعلى واشرف بتعقل صرف بريء عن علايق المواد مجرد عن ادراك الحواس وتوابع ادراكها من الوضع
والاين والمقدار واللون وغير ذلك السابع عشر وتشهد له المرائي لا بمحاضرة اشارة الى كون المرائي والمنظورات
للعقول الى الشهادة بوجوده تعالى في اثار قدرته ولطايف صنعته وما يدرك بحس البصر منها او بوضوح العلم
به تعالى وشهادة العقول بوجوده في المدركات بهذه الابصار كانه تعالى مشاهد مري فيها وان لم يكن
هذه الاثار حاضرة له ولا متعلق ادراكها به ويحتمل ان يريد بالمرائي المرئيات التي هي محال ابصار الناظرين ومواقعها
وذلك ان وجودها وما اشتملت عليه من الحكمة شاهد بوجود الصانع سبحانه من غير حضوره ومحاضرته حسية
كما عليه الصناع في صنايعهم من محاضرتها ومباشرتها الثامن عشر كونه تعالى لم تحط به الاوهام لما كان تعالى
غير مركب لم يمكن الاحاطة به لعقل او وهم البتة والاوهام اولى بذلك اذ كانت انما تتعلق بالمعاني الجزئية المتعلقة
بالمحسوسات والمواد الجسمانية فيترتب في تنزيهه تعالى عن احاطة الاوهام به قياس هكذا لا شيء من مدرك الوهم بواجب
الوجود متعلق بمادة ووضع وكل مدرك للوهم فهو متعلق بذي مادة ووضع ينتج لا شيء مما هو واجب الوجود
مدرك للاوهام اصلا فضلا ان تحيط به وتطلع على حقيقته وقد مر ذلك مرارا التاسع عشر كونه تعالى
لما بها ولما ثبت انها لا تدرك الا ما كان معنى جزئيا في محسوس بمعنى تجليه لها هو ظهوره لها في صورة وجودها
ووجود ساير مدركاتها من جهة ما هو صانعها وموجدها اذ كانت الاوهام عند اعتبارها لاحوال انفسها

بملك هو المشار اليه بقوله تعالى

وجوداتها وعوارض وجوداتها والتغيرات اللاحقة لها شاهدة لحاجتها الى موجد مقيم ومغير وساعد
للعقول على ذلك وان ادراكها لذلك في انفسها على وجه جزئي مخالف لادراك العقول فكانت شاهدة له بحسب ما
طبعت عليه من تقدير امكانها وهو متجلي لها كذلك والباء في بها للسببية اذ وجودها هو السبب المادي في تجليه
لها ويحتمل ان يكون بمعنى في اي تجلى لها في وجودها وبل هنا للاضراب عما امتنع منها من الاحاطة به والاثبات لما
امكن او وجب من تجليه لها العشرون وبها امتنع منها اي المخلوقات عاجزة عن ادراك المعاني الكلية وعن التعلق
بالمجردات كانت بذلك مبدأ لامتناعه عن ادراكها له وان كان لذلك الامتناع اسباب اخر واولاها كونه تعالى بريا
عن انحاء التراكيب ويحتمل ان يريد بقوله بها اي انها لما خلقت على ذلك القصور وكان هو تعالى ممتنع الادراك
بالكنه اعترفت عند توجهها اليه وطلبها المعرفة بالعجز عن ادراكه ولزم ممتنع عنها بها اي باعترافها الممتنع منها الحادي
والعشرون وكونه اليها حاكمها اي جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من توجهها في طلبه مخذولة خلف العقل
حسيرة معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا يخطر ببال اولي الرويات خاطر من تقدير جلال عزه
بحاجتها واستغنائه ونقصانها وكماله ومخلوقيتها وخالقيته الى غير ذلك مما لها من صفات المصنوعية وله من
صفات الصانعية موافقة للعقول في تلك الاحكام واسناد المحاكمة اليها مجاز لمناسبة ما ذكرناه قال بعض الشارحين
اراد بالاوهام ههنا العقول وظاهر انها لا تحيط به لكونه غير مركب محدود وتجليه لها هو كشف ما يمكن ان يصل
اليه العقول من صفاته الاضافية والسلبية وقوله وبها امتنع منها اي بالعقول ونظرها علم انه لا تدركه وقوله الى
حاكمها اي جعل العقول المدعية انها احاطت به وادركته كالخصوم له سبحانه ثم حاكمها الى العقول السليمة الصحيحة
فحكمت له العقول السليمة على المدعية لما ليست اهلا له وما ذكره هذا الفاضل يحتمل الا ان اطلاق لفظ الاوهام
على العقول ان صح فمجاز بغير قرينة وعدول عن الحقيقة من غير ضرورة وقال غيره اراد لم تحط به اهل الاوهام
المضاف وعند تامل ما بيناه يلوح انه هو مراده عليه السلام او قريب منه وهذه الالفاظ التي من لطائف
اشاراته عليه السلام والملازمة على اسرار الحكمة الثاني والعشرون كونه تعالى ليس بذي كبر الى قوله تجسيما الكبير يقال للعظيم
الجسم والمقدار ويقال لعالي السن من الحيوان ويقال لعظيم القدر رفيعه ومراده نفي الكبر عنه بالمعنى الاول الذي من
لوازم ذلك كون الكبير ممتدا في الجهات الثلث طولا وعرضا وعمقا فيحصل التكبير الجسمي وقد تقدس تعالى عن ذلك
وتقدسه عن الكبر بالمعنى الثاني ظاهر وتجسيما مصدر في موضع الحال اي فكبيرته مجسما او مجسمة له واعلم ان اسناد
الامتداد الى النهايات لانها غاية للطبيعة بالامتداد يقف عندها وينتهي بها فكانت من الاسباب الغائية
فلذلك اسند اليها وكذلك اسناد التكبير اليها اذ كان التكبير من لوازم الامتداد اليها الثالث والعشرون كونه لا يقال عنه
عظم الى قوله تجسيدا والعظيم يقال على ما يقال عليه الكبير بالمعنى الاول والثالث دون الثاني ومراده سلب العظيم
بالمعنى الاول المادي واسناد التناهي الى الغايات ظاهر اذ كانت سببا الوقوف بها تنقطع واليها تبلغ وكذلك اسناد
اليها كاسناد التكبير وان اسند التناهي اليه بها جاز الرابع والعشرون كونه كبيرا شانا الخامس والعشرون وكونه عظيم سلطانا

لما سلب الكبر والعظم عنه بالمعنيين الاولين اشار الى ان اطلاقهما عليه بالمعنى الثالث ونصب شانا وسلطانا على التمييز
فهو الكبير شانا اذ لا شان اعلى من شانه والعظيم سلطانا اذ لا سلطان ارفع من سلطانه وهو مبدأ شان كل ذي شان
ومنتهى سلطان كل ذي سلطان لا اله الا هو الكبير المتعال ذو الكبرياء والعظمة والجلال ثم اردف تمجيده تعالى بما هو
اهله بالكلمة المتممة لكلمة الاخلاص والشهادة التي هي مبدأ لكمال القوة العملية من النفوس البشرية بعد كمال
قوتها النظرية بالشهادة الاولى وظاهر كونه صلى الله عليه وآله صفيا لله وامينا على وحيه ومرتضى لذلك ثم
اردف ذلك بالاشارة الى كونه رسولا والى وجوه ما ارسل به وهو وجوب الحجج والادلة بها اما المعجزات او ما هو اعم من
ذلك وهو ما يكون حجة الله على خلقه في تكليفهم ان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ويدخل في
ذلك دلايل الاحكام وطرق الدين التفصيلية وكونه ارسل بوجوبها اي وجوب قبولها على الخلق ووجوب العمل
على وفقها وظهور الفلج وهو الظهور على ساير الاديان والظفر باهلها وبالعادلين بالله الجاحدين له وايضاح
المنهج وهي طريق الله وشريعته وظاهر كونه موضحا لها ومبينا والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله فالهدى هو ايضاح المنهج وقوله ليظهره على الدين كله اشارة الى بعض غايات بعثته وهي
المراد بظهور الفلج وروي بضم الفاء واللام وهو بضم الفاء وسكون اللام اسم للفوز ويجوز ضم اللام للتبعية الظاهر
والخطيب وقوله فبلغ الرسالة الى اخره اشارة الى اداء الامانة فيما حمل من الوحي وصدعه بالرسالة اظهاره لها
بها وقد علمت ان اصل الصدع الشق وكانه شق بالمجاهرة بها عصا المشركين وفرق ما اجتمع من تملئهم على
المحجة وهي طريق الله الواضحة وشريعته دعوته اليها وجذبه الخلق الى سلوكها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال
بالتي هي احسن ثم بالسيف لمن لم تنفعه المجادلة واراد باعلام الاهتداء ادلته وهي المعجزات وقوانين الدين الكلية
وكذلك منار الضياء واقامتها اظهارها والقاؤها الى الخلق ولفظ المحجة والاعلام والمنار مستعارة كما سبق غير
مرة وصاد عاود انتصب على الحال واستعار لفظ الامراس والعرى لما يتمسك به من الدين والايمان ووصفه بكون
المتانة والوثاقة واشار بجعله لها كذلك الى تثبيت قواعد الاسلام وغرسها في قلوب الخلق واضحة جلية بحيث يكون
عصمة للمتمسك بها في طلب النجاة من مخاوف الدارين وسببا لا ينقطع دون الغاية القصوى وبالله التوفيق **منها في**
صفة عجيب خلق اصناف من الحيوان ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا الى الطريق وخافوا
عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والابصار مدخولة الا ينظرون الى صغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه
وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر
ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها
لبردها وفي ورودها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس
والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري اكلها وفي علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس من عينها
واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها

فاطر ولم يعنه في خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة الا على ان فاطر النملة هو فاطر النخلة
لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه الا سواء
كذلك السماء والهواء والرياح والماء فانظر الى الشمس والقمر والنبات والشجر والماء والحجر واختلاف هذا الليل والنهار وتفجر
هذه البحار وكثرة هذه الجبال وطول هذه القلال وتفرق هذه اللغات والالسن المختلفات فالويل لمن جحد المقدر
وانكر المدبر زعموا انهم كالنبات ما لهم زارع ولا لاختلاف صورهم صانع ولم يلجؤوا الى حجة فيما ادعوا ولا تحقيق لما اوعوا
وهل يكون بناء من غير بان او جناية من غير جان وان شئت قلت في الجرادة اذ خلق لها عينين حمراوين واسرج لها حدقتين
قمراوين وجعل لها السمع الخفي وفتح لها الفم السوي وجعل لها الحس القوي ونابين بهما تقرض ومنجلين بهما تقبض يرهبها
الزراع في زرعهم ولا يستطيعون ذبها ولو اجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها وتقضي منه شهواتها وخلقها كله
لا يكون اصبعا مستدقة فتبارك الذي يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها ويعفر له خدا ووجها ويلقي بالطاعة
اليه سلما وضعفا ويعطي القياد رهبة وخوفا فالطير مسخرة لامره احصى عدد الريش منها والنفس وارسى قوائمها
على الندى واليبس وقدر اقواتها واحصى اجناسها فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام دعا كل طائر باسمه
وكفل له برزقه وانشأ السحاب الثقال فاهطل ديمها وعدد قسمها فبل الارض بعد جفوفها واخرج نبتها بعد جدوبها
اقول الدخل العيب والبشرة ظاهر الجلد والهامس الجامد والشراسيف اطراف الاضلاع المشرفة على البطن والضحى
في الارض السائحة فيها والحدقة سواد العين والقمرة بياضها وضياؤها يقال ليلة قمراء اي مضيئة والجلب الجمع
والنزوات الوثبات والتعفير التمريغ في العفر وهو التراب وقوله ولو فكروا الى قوله مدخولة وشبع لو ليدل على امتناع
لامتناع غيره لكن الاغلب عليه ان يستعمل للدلالة على امتناع اللازم لامتناع ملزومه وذلك على وجهين احدهما ان
يكون ذلك اللازم مساويا للملزوم اما حقيقة او وضعا والثاني ان يكون الملزوم علة لذلك فيلزم من رفع الملزوم
رفع اللازم ويمكن الاستدلال به فاما اذا لم يكونا كذلك جاز ان يدل به على امتناع الملزوم لامتناع لازمه كما في قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقد استعمله عليه السلم هاهنا الوجه الثاني من الوجهين الاولين واستدل على ان الخلق لم
يرجعوا الى الطريق الحق عن غيهم وجهالاتهم ولم يخافوا من وعيد بعذاب الحريق في الاخرة لانهم لم يفكروا فيما عظم من قدرته
في خلق مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وما جسم من نعمته على عباده ويحتمل ان يريد بالقدرة المقدور مجازا اطلاقا لاسم المتعلق
على المتعلق فكان ذلك من باب الاستدلال بعدم العلة على عدم المعلول اذ كان الفكر في ذلك سببا عظيما في الجذب لهم الى
اتباع شريعته وسلوك سبيله واليه الاشارة بقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله
من شيء وقوله اولم يروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الاية وقوله ولكن القلوب الى قوله مدخولة بيان لعدم العلة
المذكورة منهم وهو الفكر واشار الى عدمها بوجود ما ينافي وجود شرطها اذ كان كون القلوب عليلة وكون الابصار معيبة
ينافيان صحتها وسلامتها اللذين هما شرطان في وجود الفكر الصحيح ومع وجود المنافي لصحة قلوبهم وسلامة
بصائرهم لا تحصل القصد التي هي شرط الفكر فلا يحصل معلوله وهو الرجوع الى الله وعلل القلوب و

ابصار البصائر من العيوب يعود الى الجهل واغشية الهيئات البدنية والاخلاق الردية الدنية المكتسبة من جواذب الشهوات
الى خسائس اللذات المخطية لانوار البصائر الحاجبة لها عن ادراك واضح الطريق الحق وقوله الا ينظرون الى قوله البشر تنبيه لهم
على بعض مخلوقاته تعالى ومقدوراته التي اشار الى عظمة القدرة فيها واحسن بهذا الترتيب والتدريج الحسن فانك علمت
من اداب الخطيب اذا اراد القول في امر نبه عليه اولا على سبيل الاجمال بقول كلي ليستعد السامعون بذلك لما يريد قوله
وبيانه ثم شرع في تفصيله ولما اراد عليه السلم ان ينبه على عظمة الله سبحانه بتفصيل بعض مخلوقاته كالنمل والنحل
والجراد ونحوه اشار اولا الى عظيم القدرة وهيج السامعين على اعمالهم الفكر فيها ليعلم انه يريد ان ينبه على تفصيل
امر ثم تلاه بالتنبيه على لطيف الصنع في صغير ما خلق وكيف احكم خلقه واتقن تركيبه على صغره وفلق له السمع والبصر وسوى
له العظم والبشر ولم يعين الى ان استعدت بذلك لتعظيم الله القلوب واقبلت بافهامها النفوس تلاه بذكر النملة في
قوله انظروا الى النملة الى قوله غيرها وهيبتها كيفيتها التي عليها وصور اعضائها وظاهر ان الانسان يكاد لا يدركها بلحظ
البصر الا ان يعيد النظر اليها بعناية ولا يكاد عند مراجعة فكره يستدرك اولا دوادها يستعان فيه وتدقيق في علم حقيقتها
وكيفية خلقتها وتشريح اعضائها ينظر في ذلك والاتي قوله بمستدرك يتعلق بينال ولا ينبغي ان يفهم من قوله ولا
ينال بمستدرك الفكر اي في صورتها الظاهرة التي يدركها البصر فربما يسبق ذلك الى بعض الافهام لمكان العطف
بل ما ذكرناه من شرح حقيقتها فانه ليس حظ الفكر ان يدرك صورتها المحسوسة بالبصر بل ان يبحث عن عجائب
صنعتها ليستدل بذلك على حكمة صانعها وجلالة عظمته ومحل قوله لا تكاد تنال يحتمل ان يكون نصبا على الحال
والعامل انظروا ويحتمل ان يكون مستانفا وكيف في محل الجر بدلا من النملة ويحتمل ان يكون كلاما مستانفا
وفيه معنى التعجب وكيف صبت اي القت على رزقها وبعث عليه بهداية والهام وقيل ذلك على العكس اي صبت
عليها رزقها ولفظ الصب مستعار لحركتها في طلبه ملاحظة لشبهها بالماء المصبوب فان قلت كيف جعل دبيبها
على الارض محل التعجب والفكر مع سهولته ووجوده لسائر الحيوان قلت لم يجعل محل التعجب هو دبيبها من حيث هو
دبيب فقط بل مع الاعتبارات الاخرى المذكورة فانك اذا اعتبرتها من حيث هي في غاية اللطافة ثم اعتبرت
قوائمها وحركات مفاصلها وخفتها ورفعها ووضعها وبعد ذلك من استثبات الحس له ونسبتها الى جرمها والى الحركات
التي تقطعها بكل جزء من حركتها وكذلك انصبابها على رزقها بهداية تامة اليه ونقلها اياه الى جحرها وغير ذلك من الاعتبارات
المذكورة فانك اذا اعتبرت ذلك منها وجدت لنفسك منه تعجبا وتفكرا في لطف جزئيات صنعتها وحكمة
مدبرها وقوله تجمع في حرها لبردها اي في الصيف للشتاء وفي ورودها لصدرها اي في ايام ورودها وتمكنها من
الحركة لايام صدورها ورجوعها عن الحركة للعجز فانها تعجز في ايام الشتاء عن ملاقاة البرد فتطلب بطن الارض لكمون الحرارة
فيه ومن العجائب التي حكاها اهل التجارب من افعال النمل والهاماتها ما حكاه ابو عثمان بن بحر الجاحظ في كتاب الحيوان وصحح
عبارته قال ان النملة تدخر في الصيف للشتاء فتقدم في حال المهلة ولا تضيع اوقات امكان الحزم ثم يبلغ من تفقدها وحسن
تمييزها والنظر في عواقب امورها انها تخاف على الحبوب التي ادخرتها للشتاء ان تعفن وتسوس في بطن الارض فتخرجها الى

لبذرها ويعيد اليها جفافها او يضربها النسيم فينفي عنها العفن والفساد قال وربما تختار في الاكثر ان يكون ذلك العمل
ليلا ليكون اخفى وفي القمر لانها فيه ابصر فان كان مسكانها نديا وخافت ان تنبت الحبة نقرت موضع القطمير من
وسطها لعلمها انها من ذلك الموضع تنبت وربما فلقت الحبة بنصفين فاما ان كان الحب من الكزبرة فانها
تفلقه اربا لان انصاف حب الكزبرة تنبت من بين جميع الحب فهي بهذا الاعتبار مجاوزة لفطنة جميع الحيوان
قال ونقل الي بعض من اثق به انه احتفر بيتا للنمل فوجد الحبوب التي جمعتها كل نوع وحده قال ووجدنا في بعضها
ان بعض الحبوب فوق بعض وبينها فواصل بما لها من التبن ونحوه ثم ان لها مع لطافة شخصها وخفة جسمها في الشم
والاسترواح ما ليس لسائر الحيوان وذلك انه ربما سقط من يد الانسان جرادة او عضو منها مثلا في موضع ليس
بقربه ذرة ولا عهد لذلك المنزل به فلا يلبث ان تقبل ذرة قاصدة الى تلك الجرادة فترو حملها فاذا عجزت بعد
ان تبلي عذرا مضت الى جحرها راجعة فلا يلبث الانسان ان يجدها وقد اقبلت وخلفها كالخيط الاسود من اخواتها
حتى يتعاون عليها فيحملنها فاعجب من صدق شمها ما لا يشمه الانسان الجائع ثم انظر الى بعد همتها في ذلك وجراتها
على محاولة نقل شيء في وزن جسمها مائة مرة او اضعافها وليس من الحيوان ما يحمل اضعاف وزنه مرارا كثيرة كالنملة
قال والذي ينبه على اصلاحها لاخواتها واشعارها بمثل ما اشرنا اليه قصة سليمن عليه السلام مع النملة حيث حكي
القران الكريم عنها قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم
ضاحكا من قولها فان القول المشار اليه منها وان لم يحمل على حقيقته فهو محمول على مجازه وهو اشعارها اخواتها
بالحال المخوفة للنمل من سليمن وجنوده قال ومن عجائب النمل ما حكي عن بعض من يعمل الاصطرلاب انه اخرج
طوقا من صفر من الكير بحرارته فرمي به على الارض ليبرد فاشتمل على نملة فكانت كلما طلبت جانبا منه لتخرج منها
الحرارة فكان مقتضى هربها من الجوانب ان استقرت ثم ماتت فوجدها قد استقرت في موضع رجل البركار من نقطة
المركز وما ذاك الا للطف حسها او قوة وهمها ان ذلك الموضع هو ابعد الاماكن عن الخط المحيط قال ومن عجائبها انها
انها لا تعرض لجعل ولا جرادة ولا خنفساء ولا نحوها ما لم يكن بها خبل او عقر او قطع يدا او رجل فاذا وجدت شيئا من ذلك
وثبت عليها حتى لو ان حية بها ضربة او خدش ثم كانت من ثعابين مصر لو ثبت عليها الذرة حتى تاكلها ولا تكاد الحية تسلم
من الذر اذا كان بها ادنى عقر وكل ذلك من الالهامات التي اذا فكر اللبيب فيها كاد ان يحكم بكونها العلم بقوانين معاشها وقف
احوال وجودها من كثير من الناس فان الانسان قد يهمل ذلك التدبير ولا ينضبط وجوده ويستمر فيه على قانون واحد في
سكوله [illegible] بحسب الحال وقوله رزقها [illegible] اي يوافق ويطابق لقوتها وعلى قدر كفايتها او يروي مكفول رزقها
مرزوقة بوضعها ثم ذكر نسبة ذلك الى ربها فاشار الى انه لا يغفلها اي لا يتركها من لطفه وعنايته فانه باعتبار ما هو
منان على خلقه لا يجوز في حكمته اهمال بعضهم من رزق يقوم به في الوجود وكذلك لا يحرمها باعتبار كونه ديانا اي
مجازيا ووجه ذكر المجازاة هنا انها حيث دخلت في الوجود طائعة لامره وقامت فيه منقادة لتسخيره وجب في الحكمة
الالهية جزاؤها ومقابلتها بما يقوم بوجودها فلا تكون محرومة من مادة بقائها على وفق تدبيره ولو كانت في الصفا اليابس

والحجر الجامس بل يفتح لها ابواب معاشها في كل مكان ثم نبه على محال اخرى للفكر في النملة فمنها مجاري اكلها واكلها ما تأكله
وتلك المجاري كالحلقوم والامعاء ومنها علوها وسفلها وعلوها بسكون اللام بعض سفلها وهو راسها وما يليه الى الجزء
المتوسط منها وسفلها هو ما جاوز الجزء من طرفها الاخر ومنها ما اشتمل عليه جوفها من شراسيف بطنها والمراد بها ما يقوم
مقامه فاطلق عليه اسم الشراسيف بالمجاز ومنها ما في راسها من عينها واذنها وهي محل القوة السامعة منها فان كل ذلك
على غاية صغره ولطافته محل العجب العجيب ومحال النظر اللطيف المستلزم للشهادة بحكمة الصانع ولطف تدبيره
الذي يقضي الانسان من تامله عجبا والقضاء هنا بمعنى الاداء اي لاديت عجبا ويحتمل ان يكون الموت اي لقضيت نحبك
من شدة تعجبك ويكون عجبا نصب على المفعول له ثم لما نبه على محال الفكر ووجوه الحكمة فيها اردف ذلك بتنزيه
صانعها وتعظيمه تعالى وقرن ذلك التعظيم والتنزيه بنسبة الى بعض صنعه بها وهو اقامته لها على قوائمها وبنائها
على دعائمها والدعائم هاهنا ما يقوم بدنها من الامور التي تقوم مقام العظام والعصب والاوتار ونحوها في تحصيل
التنبيه على عظمته من لطف تلك القوائم واعتبار ضعف تلك الدعائم مع ما ركب فيها من لطائف الصنعة قوله
من عجائب الحكمة من غير ان يشركه في تلك الفطرة فاطر او يعينه على لطيف خلقها قادر فسبحانه ما اعظم شانه قوله
وقوله ولو ضربت الى قوله النخلة اي لو سارت عقلك في طرق فكرها ومذاهب نظرها وهي الادلة واجزاء الادلة من
المقدمات واجزائها المستنبطة من عالم الخلق والامر لتصل الى غايات فكرك في الموجودات لم يمكن ان يدلك دليل
الا على ان خالق النملة على غاية صغرها وخالق النخلة على عظمها وطولها واحد وهو المدبر الحكيم وقوله الا بدقيق تفصيل كل
الى قوله هي اشارة الى اوسط الحجة على المدعاة من اشتراك النملة والنخلة في الاستناد الى صانع واحد مدبر حكيم ومعنى ذلك ان
لكل شيء من الموجودات الممكنة تفصيل لطيف دقيق واختلاف شكل وهيئة ولون ومقدار ووجوده من الحكمة مما يدل على صانع
حكيم خصصه بها دون غيره وتقرير الحجة ان وجود النملة والنخلة اشتمل كل منهما على دقيق تفصيل الخلقة وغامض اختلاف
شكل وهيئة وكل ما اشتمل على ذلك فله صانع مدبر حكيم خصصه بذلك فينتج انهما اشتركا في الحاجة الى صانع مدبر
حكيم خص كلا منهما بما اشتمل عليه وهذه الحجة هي المسماة في عرف المتكلمين بالاستدلال بامكان الصفات كما بيناه قبل في
قوله الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وقوله وما الجليل واللطيف الى قوله سواء تاكيد لما سبق من الدعوى وكاسر لما عساه
يعرض لبعض الاوهام من استبعاد نسبة الخلقة العظيمة والخلقة اللطيفة الحقيرة كالنملة الى صانع واحد فنبه
الى ان كل المخلوقات وان تباينت اوصافها وتضادت صورها واشكالها فانه لا تفاوت بالنظر الى قدرته وكمالها من ان يعجز
عنه صورة النخلة او صورة الذرة وليس بعضها بالنسبة اليه اقرب واولى من بعض ولا هو اقوى على بعضها من بعض
والا لكان ناقصا في ذاته وكان بما هو اولى به مستفيدا كمالا يعوزه وهو منزه عن ذلك حسب ما تقرر من حال المقدس عن ذلك في
مظانه من الكتب الحكمية والكلامية بل ان كان فيها تفاوت واختلاف فمن جانب القابل واختلاف استعدادات المواد
بالشدة والضعف ولا اقدامه لا تسبب على ما اشرنا اليه غيره واللطيف كما ان صغير الخلقة كذلك حقير ادبر دقيق
الصنعة ويقابله الثقل كالطول والاول هو مراده والثاني جعله مقابلا للجليل وقوله وكذلك السماء الى قوله والملائكة

والقادر

بما هو الامور المتضادة السابقة والمشبه هو السماء والهواء والرياح ووجه الشبه هو حاجتها في خلقها وتركيبها واحوالها المختلفة
والمتفقة الى صانع حكيم واشار الى الامور الاولى المتضادة اولا ونسبه الى قدرته تعالى باعتبار كليهما او من جهة تضادها لما
ما اشتمل عليه كل منهما من الحكمة والمنفعة وكونهما مواد الاجسام المركبات والهواء اعم من الرياح لتخصص متى الرياح بالحركة
دون الهواء وقوله فانظر الى قوله المختلفات امر باعتبار حال ما عدده من المخلوقات وما اختص به كل منها من الصفات كالاشكال
والمقادير والاضواء والالوان والمنافع الى غير ذلك مما يدل على حاجة كل منها الى مخصص حكيم يخصصه بما هو اليق
به واوفق للحاجة اللائقة به وانسب الى استعداده بعد اشتراك جميعها في الجسمية وهو امر يتقرر بالجهة التي ذكرناها
في كل واحد من الامور المذكورة ولما كان حال اكثر هذه الاجسام المذكورة مفتقرا الى تقديم النظر البصري لغاية التفكر
والاعتبار فيها [illegible] واما وجوه الاعتبارات فاكثر من ان تحصى وانك اذا اعتبرت حال الشمس والقمر في عظم جرمهما
والضياء الصادر عنهما وحركاتهما وتنقلهما في منازلهما وما تستلزمه تلك الحركات من التاثيرات والاعدادات لوجود
المركبات العنصرية من المعدن والنبات والحيوان ثم اعتبرت ما ينفصل به احدهما عن الآخر من الجرم وزمان السير وكون
القمر مستفيدا للنور من الشمس وغير ذلك مما لا يعلم تفصيله الا الله سبحانه وكذلك اذا نظرت الى النبات والشجر
واشكالها واختلاف اجزائهما في الالوان والمقادير والثمار وما يستلزمه من المنفعة لوجود الحيوان والمضرة لبعضها
الى غير ذلك مما سلف وكذلك الماء في كونه على غاية من الرقة واللطافة وكون الحجر بعكس الوصفين مع ان الماء
انما ينبع من الاحجار ثم نظرت الى المنافع الموجودة فيهما والمضار العارضة عنهما وكذلك النظر الى هذا الليل والنهار واختلافهما
في العالم وتعاقبهما وما يستلزمانه من المنفعة المختصة بكل منهما مما امتن الله تعالى على عباده به حيث قال هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ينبت لكم به الزرع والزيتون الآية وقال فلينظر
الانسان [illegible] الى قوله متاعا لكم ولانعامكم الى غير ذلك من الآيات وقال انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض
وقال وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا الى قوله الفافا وكذلك اذا اعتبرت تفجر هذه البحار وما يستلزمه من المنفعة
كما قال تعالى مرج البحرين يلتقيان وقال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وكذلك اذا اعتبرت كثرة الجبال وقلالها
وطولها وما اشتملت عليه من معادن الجواهر وغيرها وكذلك تفرق اللغات واختلاف الالسنة وجدت ذلك التكثر
والاختلاف شاهدا بوجود صانع حكيم وتقريرها كما علمت ان تقول ان هذه الاجسام كلها مشتركة في الجسمية فاختصاص كل
منها بما تميز به من الصفات المتعددة ليس للجسمية ولوازمها والا لوجب لكل منها ما وجب للآخر ضرورة اشتراكها [illegible]
الاختصاص فلا بد من [illegible] ولا لشيء من عوارض الجسمية لان الكلام في اختصاص كل منها بذلك العارض كالكلام في الاول
ويلزم التسلسل فبقي ان يكون لامر خارج عنها هو الفاعل الحكيم المختص لكل منها بما هو من الحكمة والمصلحة وقد مر تقرير هذه الحجة
مرارا ثم انه على وجود الصانع سبحانه [illegible] في ذلك بالويل على من جحده او الاخبار عن لحوق الويل لمن [illegible]
بين الدعاء والخبر ونقل عن عطاء بن يسار ان الويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره [illegible]
والمدبر هو العالم بما قدر الامر وما يشتمل عليه من المصلحة ووجود الى القضاء والمقدر هو الموجد على وفق ذلك العلم كما سيأتي [illegible]

هذا م

الوجه

الدعاء على الجاحدين بعد ايضاح الحجة عليهم هو الترتيب الطبيعي والاشارة بالجاحدين الى صنف من العرب انكروا الخالق والبعث
وقالوا بالدهر المفني كما حكيناه عنهم في الخطبة الاولى وهم الذين اخبر القرآن المجيد عنهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى
وما يهلكنا الا الدهر وقوله زعموا الى قوله صانع اشارة الى شبهتهم وهي من باب التمثيل والاصل فيها هو النبات والفرع القسيم
والحكم هو ما توهموه من كونهم بلا صانع كما ان النبات بلا زارع ولعل الجامع في اعتبارهم [illegible] اختلاف
الحياة والموت عليهم كما اشار اليه القرآن الكريم حكاية عنهم نموت ونحيى او نحوه من الامور المشتركة لانهم كانوا لا يلتفتون الى
ادنى علاقة من الامور ويحقق اجزاء التمثيل من شانه [illegible] بعد تمام اجزائه انما يفيد ظنا
يختلف بالشدة والضعف [illegible] وجوه الفساد فيه وقوله لم يلجؤوا الى قوله جان انكار [illegible] لما ادعوه وانهم لم ياتوا فيه
بحجة ولا تحقيق برهان [illegible] ان يكون قوله جان تنبيها على وجود نقيض الحكم المدعى وهو كون خلقهم وخلق النبات شاهدة
بوجود صانع لها وذلك تنبيه بالاشارة الى اوسط قياس من الشكل الاول وكبراه في صورة الاستفهام وتقرير القياس انهم
صنعه ولا شيء مما هو صنعه بلا صانع [illegible] فلا شيء منها بلا صانع وهو نقيض المدعى ولما كانت الكبرى ضرورية افصح على
التنبيه عليها بامتناع وجود البناء من غير بان والجناية من غير جان لان ترجيح احد طرفي الممكن على الآخر من غير مرجح محال بالبديهة
ويمتنع في فطر الصبيان والبهائم اذ كان الحمار [illegible] صوت الخشبة بعد [illegible] من الضرب وذلك لما تقرر في فطرتها ان صوت
الخشبة بدون ضاربها محال ثم لو سلم لهم ثبوت الحكم في الاصل وهو كون النبات بلا زارع فلم كان عدم الزارع يدل على عدم
الفاعل [illegible] لو كان الفاعل انما هو الزارع وذلك من الاوهام الظاهر كذبها بادنى تامل اذا استعمل النظر
اذ كان الزارع ليس له الا اعداد ما للارض والبذر واما وجود الزرع والنبات فمستند الى مدبر حكيم متعال عن الحس والجس
لا يدركه الابصار ولا تكيفه الاوهام والافكار سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقوله وان شئت قلت في الجرادة
الى قوله مستدقة تنبيه آخر على وجود الصانع الحكيم جلت عظمته في وجود بعض جزئيات مخلوقاته وصغيرها وهي
الجرادة وان شئت قلت فيها كما قلت في النملة وغيرها ولا سيما كاشفا عن وجوه الحكمة فيها بحيث يتنبه ذلك بوجود صانع
حكيم لها فنبه على بعض دقائق الحكمة في خلقها وهي خلق العينين الحمراوين مع كون حدقتيهما قمراوين واستعار لفظ
السراج للحدقتين باعتبار الجرم النارية والاضاءة ثم خلق السمع الخفي اي عن اعين الناظرين وقيل اراد الخفي اللطيف
السامع لخفي الاصوات فوصفه بالخفاء مجازا اطلاقا لاسم المقبول على قابله ثم فتح الفم السوي فعيل بمعنى مفعول
اي المستوى والتسوية التعديل بحسب المنفعة الخاصة بها ثم خلق الحس القوي واراد بحسها قوتها الوهمية [illegible]
حذقها بما الهمه اياه من وجوه معاشها وتصرفاتها [illegible] لفلان حس خارق اذا كان ذكيا فطنا ثم ذكر ان خلق النابين
لقطع المنجلين [illegible] وجه المشابهة تعوجهما وخشونتهما وقرن بذكر النابين والمنجلين ذكر غايتهما وهما القرض والقبض
ومن لطيف حكمته تعالى في الرجلين ان جعل بعضهما اللذين يقع عليهما اعتمادها وجلوسها شوكا كالمنشار ليكون لها
[illegible] على النهوض وقايا لها عند جلوسها وعونا لها عند الطيران وقوله يرهبها الزراع الى قوله [illegible]
[illegible] من [illegible] واشجارها [illegible] ولم يستطع احد منهما حتى لو ان [illegible]

اجلب عليها بخيله ورجله ليحمي بلاده منها لم يتمكن من ذلك وفي ذلك تنبيه على عظمة الخالق سبحانه وتدبير حكمته اذ كان
بعث اضعف خلقه وهيئ للضعيف من اسباب الغلبة ما لا يستطيع دفعه معها حتى يرد ما يريد وروده ويقضي منه
شهواته فيحل باختياره ويرحل باختياره ومن عجائب الخواص المودعة في الجراد انها تلتمس لبيضها الموضع الصلد والصخور
الملس ثقة بانها اذا ضربت فيها باذنابها انفرجت لها ومعلوم ان ذلك ليس بقوة اذ ليس في ذنب الجرادة من القوة ان يخرق
الحجر الذي يعجز عنه المعول بمجرده فلولا خاصية لها هناك ثم اذا ضربت في تلك البقاع والقت بيضها وانضمت عليها
تلك الاخاديد التي احدثتها وصارت لها كالافاحيص صارت خاصة لها ومربية وحافظة وواقية حتى اذا جاء وقت
الروح خرجت من البيض نحيفا الى البياض ثم تصفر وتتلون فيه خطوط الى السواد ثم تصير فيه خطوط سود وبيض
ثم يبدو حجم جناحه ثم يستقل فيموج بعضه في بعض وقيل ان الجراد اذا اراد الخضرة ودونه نهر جار صار بعضه جسرا
لبعض ليعبر اليها فمن الناس من جعل ذلك حيلة لها الهمها اياها واباه قوم وقالوا بل الزحف الاول من الدبا اذا اراد الخضرة
ولا يقدر عليها الا بالعبور اليها عبر فاذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافية صارت للزحف الثاني الذي يريد الخضرة
كالارض وربما نقل لها خواص اخرى لا اعلق لها بما نحن بصدده وقوله وخلقها كله لا يكون اصبعا مستدقة الواو للحال اي
انه تعالى خلقها على ما وصف واودعها من عجائب الصنع ما ذكرت بحيث يخاف منها الزارع مع ان خلقها كله دون الاصبع
المستدقة وهذه الكلمة مستلزمة لتمام التعجب من خلق الله فيها الامور المذكورة حتى لو قدرنا انها وصفت لمن لم يرها
ثم ما اعتقد ان لها خلقا عظيما يستند اليه هذه الاوصاف ولم يكن عنده عجب حتى يتبين مقدار خلقها وصغر صورتها ثم
لما بين بعض مبدعاته ومكوناته نوه بزيادة عظمته تعالى وبركته باعتبار كونه معبودا لمن في السموات ومن في الارض فله
يسجدون طوعا وكرها كل بعبادة مخصوصة وسجود لا يمكن من غيره مع اشتراك الكل في الدخول تحت ذل الحاجة الى كمال
قدرته وخضوع الامكان بين يدي رحمته واليه الاشارة بقوله تعالى ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها
وكذلك قوله ويعفر له خدا ووجها فان كان ذا وجه وخد حقيقة فلفظ التعفير صادق عليه حقيقة وما لم يكن
فلفظ السجود صادق عليه استعارة لخضوعه الخاص به ولفظ التعفير والخد والوجه ترشيحات على ان موضوع السجود
في اللغة هو الخضوع وكذلك الطلاق اعطاء القياد ووصف الرهبة والخوف ونصبهما على المفعول له وقوله والطير
مسخرة لامره كقوله تعالى والطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله وكونها مسخرة يعود الى دخولها تحت حكم
تصرفه العام بجملة تعالى وارساؤها اي تثبيتها على قوائمها في الندى كطير الماء واليبس كطير البر باعتبار دخولها تحت
قدرته وخلقها كذلك وتقديره لاقواتها وما يصلح لكل منها وما يكفيه باعتبار دخولها تحت قدرته وعلمه معا اذ كان
التقدير هو ان النطاق المقادير وتعدادها على وفق العلم الالهي واحصاء اجناسها باعتبار علمه تعالى وقوله فهذا غراب الى
قوله تفصيل لانواعها ولم يرد الجنس بالاصطلاح الخاص بل اللغوي وهو النوع في المصطلح العلمي وداعي في كل موضع من
الاربع السبع المتوازي وقوله دعا كل طائر باسمه فالدعاء استعارة في امر كل نوع بالدخول في الوجود وقد عرفت ان ذلك
الامر يعود الى الحكم القدري الالهي عليه بالدخول ووجه الاستعارة ما ذكرناه في معنى الدعاء والامر من طلب دخول الماهية

اقوى خلقه م

بنيها قدرة وعلما والخاص مخصصا وتعيينا
واحصاء الى شيء منها والتفنن باعتبار
مخبر ما تحت تعريفه العام م م م

في الوجود م

المطلوب

المطلوب بالدعاء والامر في الوجود وهو كقوله تعالى لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن الاية
ولما استعار لفظ الدعاء رشح بذكر الاسم لان الشيء انما يدعى باسمه ويحتمل ان يريد الاسم اللغوي وهو العلامة فان
لكل نوع من الطير خاصة وسمة ليست للاخر ويكون المعنى انه تعالى اجرى عليها حكم القدرة بما لها من السمات والخواص
في العلم الالهي واللوح المحفوظ وقال بعض الشارحين اراد اسماء الاجناس وذلك ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ كل
لغة تواضع عليها العباد في المستقبل وذكر الاسماء التي يتواضعون عليها وذكر لكل اسم مسماه فعند ارادة خلقها
نادى كل نوع باسمه فاجاب داعيه واسرع في اجابته واعلم انك اذا تاملت حكمة الصانع الحكيم في خلق الطائر رايت
عجبا فانه حين اقتضت الحكمة الالهية ان يكون طائرا في الجو خفف جسمه وادمج خلقه فاقتصر من القوائم على الاثنين
ومن الاصابع على اربع ومن منفذين للزبل والبول على منفذ ثم خلقه تعالى على جؤجؤ محدب ليسهل عليه خرق الهواء
كما يجعل صدر السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وخلق في جناحيه وذنبه ريشات طوالا لينهض بها الى الطيران
وكسى جسمه كله ريشا ليداخله الهواء فيقله ولما كان طعامه الحب واللحم يبلعه بلعا من غير مضغ نقص من خلقه
الاسنان وخلق له منقارا صلبا ليعانه بفضل حرارة في جوفه يستغني بها عن المضغ ثم خلقه تعالى يبيض
ولا يلد لكيلا يثقل بكون الفراخ في جوفه عن الطيران ثم جعل عوض استعداد الولد في البطن استعداده في البيضة
الحضن يشارك من الذكر والانثى في ذلك ومن العناية الالهية بدوام نسله وبقائه ان الهم العطف على فراخه فيلتقط
الحب فيغذوها من فراخه بعد استقراره في حوصلته ليلين واذا اتكون في الحوصلة وجعلها كالمخلاة المعلقة امامه فهو
يعي فيها ما ازدرده من الطعم بسرعة ثم ينفذ الى القانصة على مهل وذلك ان مسلك الطعم الى القانصة ضيق لا ينفذ
فيه الطعم الا قليلا قليلا فلو كان هذا الطائر لا يلتقط حبة ثانية حتى يصير الاولى الى القانصة لطال ذلك عليه
فجعل له تعالى الحوصلة لذلك ثم انظر الى الريش الذي تراه في الطواويس والدراريج وغيرها على استواء ومقابلة على
نحو ما يخط بالاقلام وكذلك انظر الى العمود الجامع للريشة الذي يجري مجرى الجدول اللحمة للريشة والمغذي لها
وخلق عصبي الجوهر صلبا ليحفظ الريش ويمسكه بصلابته فسبحان الذي خلق الازواج كلها واحصى كل شيء
عددا واحاط بكل شيء علما وقوله وانشا السحاب الى اخره اشارة الى كمال قدرته باعتبار خلقه السحاب الثقال بالماء
وارساله ديمها وهي امطارها وتعديد قسمها وهي ما نصيب كل بلد وارض منها من القسم وظاهر انه تعالى يعد الارض
البلد بعد الجفاف لان يخرج النبات بعد الجدب واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل
منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في التوحيد قال السيد رحمه الله وتجمع
هذه الخطبة من اصول العلم ما لا تجمعه خطبة ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه
ولا صمده من اشار اليه وتوهمه كل معروف بنفسه مصنوع وكل قائم في سواه معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا
بجول فكرة غني لا باستفادة لا تصحبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازله
بتشعيره المشاعر عرف ان لا مشعر له وبمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له

كلام

النور بالظلمة والوضوح بالبهمة والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها مفرق بين متدانياتها مقرب بين
متباعداتها مقارن بين متبايناتها لا يشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحد الادوات انفسها وتشير الآلات الى نظائرها
منعتها منذ القدمة وحمتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون لا يجري
عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو اجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو احدثه اذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ
كنهه ولامتنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولالتمس التمام اذ لزمه النقصان واذن لقامت آية المصنوع
فيه ولتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وخرج بسلطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره الذي لا يحول
ولا يزول ولا يجوز عليه الافول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة
النساء لا تناله الاوهام فتقدره ولا تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدي فتمسه ولا
يتغير بحال ولا يتبدل في الاحوال ولا تبليه الليالي والايام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الاجزاء ولا
بالجوارح والاعضاء ولا بعرض من الاعراض ولا بالغيرية والابعاض ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية ولا ان
الاشياء تحويه فتقله او تهويه او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات
ويسمع لا بخروق وادوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب
من غير مشقة يقول لمن اراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وانما كلامه سبحانه فعل منه انشأه ومثله لم يكن من قبل
ذلك كائنا ولو كان قديما لكان الها ثانيا لا يقال كان بعد ان لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه
فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم
يستعن على خلقها باحد من خلقه وانشأ الارض فامسكها من غير اشتغال وارساها على غير قرار واقامها بغير قوائم ورفعها
بغير دعائم وحصنها من الاود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج ارسى اوتادها وضرب اسدادها واستفاض
عيونها وخد اوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته
والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج
الى ذي مال فيرزقه خضعت الاشياء له وذلت مستكينة لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه الى غيره فتمتنع من نفعه
وضره ولا كفء له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المفني لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد
ابتداعها باعجب من انشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها
واصناف اسناخها واجناسها ومتبلدة اممها واكياسها على احداث بعوضة ما قدرت على احداثها ولا عرفت كيف السبيل
الى ايجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بانها مقهورة
مقرة بالعجز عن انشائها مذعنة بالضعف عن افنائها وان الله سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها
كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والاوقات وزالت السنون والساعات
فلا شيء الا الواحد القهار الذي اليه مصير جميع الامور بلا قدرة منه كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منه كان فناؤها

ولو قدرت

ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاءده صنع شيء منها اذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقه ولم يكونها
لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاثر ولا للاحتراز بها من ضد مثاور ولا
للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فاراد ان يستأنس اليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها
لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها ولا لراحة واصلة اليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه
الى سرعة افنائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وامسكها بامره واتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة
منه اليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة الى حال استئناس ولا من حال جهل وعمى الى علم والتماس
ولا من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة الى عز وقدرة اقول صمده اي قصده وترقه نقبه والوضوح والوضح
البياض والبهمة السواد والحرور هنا الحرارة والصرد البرد والافول الغيبة والوالج الداخل وخلا مضى وسبق والاود
الاعوجاج والتهافت التساقط والاسداد جمع سد وقد يضم وهو كل ما حال وحجز بين شيئين وخد شق والمراح
ما يراح منها في مرابطها ومعاطنها وسائمها ما ارسل منها للرعي واسناخها اصولها والمتبلدة ذوو البلادة وهي ضد
الذكاء والاكياس ذوو الذكاء والفهم وتكاءده الامر شق عليه وصعب وآده اثقله والمثاور المواثب واعلم ان مدار
الخطبة على التوحيد المطلق والتنزيه المحقق وقد اشار الى توحيده تعالى وتنزيهه باعتبارات من الصفات الاضافية
والسلبية فالاول قوله ما وحده من كيفه دلت هذه الكلمة بالمطابقة على سلب التوحيد لله تعالى عمن وصفه بكيفية
وبالالتزام على انه لا يجوز تكييفه لمنافاة ذلك التوحيد الواجب له تعالى ولنشر الى معنى الكيفية ليتبين انه لا يجوز وصفه
بها فنقول اما رسمها فقيل انها هيئة قارة في المحل لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه ولا قسمة
في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه وبهذه القيود تفارق سائر الاعراض واما اقسامها فانها اما ان تكون مختصة
بالكم من جهة ما هو كم كالمثلثية والمربعية وغيرها من الاشكال للسطوح وكالاستقامة والانحناء للخطوط وكالفردية
والزوجية للاعداد وهذا قسم اول واما ان لا تكون مختصة به وهي اما ان تكون محسوسة كالالوان والطعوم والروائح
والحرارة والبرودة وهذه تنقسم الى راسخة كصفرة الذهب وحلاوة العسل وتسمى كيفيات انفعالية اما لانفعال الحواس
عنها واما لانها انفعالات حصلت في الموضوعات عنها او غير راسخة كحمرة الخجل وتسمى انفعالات لكثرة انفعالات
موضوعاتها لسرعة زوالها وهذا قسم ثان واما ان لا تكون محسوسة وهي اما استعدادات اما للكمالات كالاستعداد
للمقاومة واللاانفعال وتسمى قوة طبيعية كالمصحاحية والصلابة او للنقايص مثل الاستعداد الشديد للانفعال
والانفعال وتسمى ضعفا ولا قوة طبيعية كالممراضية واما ان لا تكون استعدادات الكمالات او نقايص بل تكون في انفسها
كمالات او نقايص وهي مع ذلك غير محسوسة بذواتها فما كان منها ثابتا سمي ملكة كالعلم والعفة والشجاعة وما كان سريع
الزوال سمي حالا كغضب الحليم ومرض المصحاح فهذه اقسام الكيف اذا عرفت ذلك فنقول انما قلنا انه يلزم من وصفه
بالكيفية عدم توحيده لما بيناه في الخطبة الاولى من قوله عليه السلام فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد
ثناه كما سبق تقريره فيجب ان من وصف الله سبحانه فقد ثناه وحينئذ يتبين ان من كيفه لم يوحده لان توحيده عن تثنيته ملاحظة

الثاني ولا حقيقته اصاب من مثله اي جعل له مثلا وذلك لان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته لان المثلية تماثل
يتحقق من كل وجه فلا تعدد اذن لان التعدد يقتضي المغايرة بامر ما وذلك ينافي الاتحاد والمثلية من كل وجه هذا خلف
واما ان يتحقق من بعض الوجوه وحينئذ ما به التماثل اما الحقيقة او جزؤها او امر خارج عنها فان كان الاول كان
الاول كان ما به الامتياز عرضيا للحقيقة لازما او زائلا لكن ذلك باطل لان المقتضي لذلك العرضي اما الماهية فيلزم
ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى الماهية الواحدة لا يختلف فما به الامتياز لاحد المثلين عن الآخر حاصل
للآخر هذا خلف او غيرها فيكون ذات واجب الوجود مفتقرة في تحصيل ما يميزها عن غيرها الى غير خارجي هذا محال
واما ان كان ما به التماثل والاتحاد جزءا من المثلين لزم كون كل منهما مركبا فكل منهما ممكن هذا خلف فبقي ان يكون التماثل
بامر خارج عن حقيقتهما مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع وصف واجب الوجود بامر خارج
عن حقيقته لاستلزام اثبات الصفة لتثنيته وتركبه على ما مر واما ثانيا فلان ذلك الامر الخارجي المشترك ان كان
كمالا للذات واجب الوجود فواجب الوجود لذاته مستفيد للكمال من غيره هذا خلف وان لم يكن كمالا كان اثباته له
نقصانا لان الزيادة على الكمال نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود لذاته فالطالب لمعرفته
اذا اصاب ما له مثل فقد اصاب ما ليس بواجب الوجود لذاته فلم يصب صانع العالم ومقصود الكلمة تنزيه الله
تعالى في مقام التوجه اليه والنظر لطلب معرفته الثالث ولا اياه عنى من شبهه ومعنى هذه القرينة كما
قبله الرابع ولا صمده من اشار اليه وتوهمه وذلك لان الاشارة اليه اما حسية او عقلية والاولى مستلزمة للتحيز
والجهة والشكل والتحيز كما علم في غير هذا الموضع وذلك كله على واجب الوجود محال واما الثانية فقد علمت ان النفس
الانسانية مادامت في عالم الغربة اذا توجهت لاقتناص امر معقول من عالم الغيب فلا بد ان تستتبع القوة
الخيالية والوهمية للاستعانة بهما على استثبات المعنى المعقول وضبطه فاذن يستحيل ان يجرد العقل الانساني المعنى
من المعاني الالهية لا بمشاركة من الوهم والخيال واستثباته حدا وكيفية يكون عليها لكن قد علمت تنزيهه تعالى
عن الكيفيات والصفات والحدود والهيئات فكان المشير اليه والمدعي لاصابة حقيقته قاصدا في تلك الاشارة الى
ذي كيفية وحال ليس هو واجب الوجود فلم يكن قاصدا الواجب الوجود وقد بينا فيما سلف امتناع الاشارة عليه
الخامس قوله كل معروف بنفسه مصنوع صغرى ضمير من الشكل الاول المستغني بها عن ذكر الدعوى وهي انه
وهي انه تعالى ليس معلوما بنفسه اي ليس معلوم الحقيقة بالكنه وتقدير الكبرى ولا شيء مما هو مصنوع بالاله العالم
واجب الوجود لذاته دائما ينتج انه لا شيء من المعلوم بنفسه بواجب الوجود والاله العالم دائما وينعكس لا شيء من واجب الوجود
معلوم بنفسه او من الشكل الثاني ويكون تقدير الكبرى ولا شيء مما هو واجب الوجود بمصنوع وينتج النتيجة المذكورة
وينعكس ويحتمل ان تكون المقدمة المذكورة هي الكبرى من الشكل الثاني ولا حاجة الى العكس المذكور ويحتمل
بيّن المطلوب المذكور بقياس استثنائي متصل ويكون المقدمة المذكورة تنبيها على ملازمة المتصلة وبيانها او
تقديرها لو كان تعالى معلوما بنفسه لكان مصنوعا لان كل معلوم بنفسه مصنوع لكن التالي باطل فالمقدم كذ

فاما بيان

فاما بيان ان كل معلوم بنفسه مصنوع فهو ان كل معلوم بحقيقته فانما يعلم من جهة اجزائه وكل ذي جزء فهو مركب وكل
معلوم الحقيقة مركب فيحتاج الى مركب يركبه وصانع يصنعه فاذن كل معلوم الحقيقة فهو مصنوع واما بطلان
التالي فلانه تعالى لو كان مصنوعا لكان ممكنا مفتقرا الى الغير فلا يكون واجب الوجود لذاته هذا خلف السادس
وكل قائم في سواه معلول كالمقدمة التي قبلها في انها يحتمل ان تكون صغرى قياس ضمير من الشكل الاول او
الثاني دل به على انه تعالى ليس بقائم في سواه اي ليس بعرض فيحتاج الى محل يقوم به وتقدير ان كل قائم في سواه
فهو معلول ولا شيء من المعلول بواجب الوجود او لا شيء من واجب الوجود بمعلول فينتج انه لا شيء من القائم في
سواه بواجب الوجود وينعكس كنفسها لا شيء من واجب الوجود بقائم في سواه ويحتمل ان تكون كبرى القياس ولا حاجة
الى عكس النتيجة ويحتمل ان يكون ذكرها تنبيها على ملازمة قياس استثنائي اي لو كان قائما في سواه لكان معلولا لكن
التالي باطل فالمقدم كذلك وبيان الملازمة ان القائم بغيره مفتقر الى محل وكل مفتقر الى غيره ممكن وكل ممكن معلول
في وجوده وعدمه واما بطلان التالي فلانه لو كان معلولا لما كان واجب الوجود السابع فاعل لا باضطراب آلة اما
انه فاعل فلانه موجد العالم واما انه منزه في فاعليته عن اضطراب الآلة فلتنزهه عن الآلات التي هي من عوارض الاجسام
وقد سبق بيانه الثامن مقدر لا بجول فكرة ومعنى كونه مقدرا كونه معطيا لكل موجود المقدار الذي يستحقه
من الكمال من الوجود ولواحق الوجود كالاجل والرزق ونحوهما على وفق القضاء الالهي وكون ذلك لا بجول فكرة
لان الفكر من لواحق النفوس البشرية بالتردد فيه وقد نزه قدسه تعالى عن ذلك التاسع كونه غنيا لا باستفادة
وكونه غنيا يعود الى عدم حاجته في شيء ما الى شيء ما اذ لو حصل له شيء ما استفاده من خارج كسائر الاغنياء لكان
كونه ناقصا بذاته مفتقرا الى ذلك المستفاد موقوفا على حصول سببه فكان ممكنا هذا خلف وهو تنزيه له
عن الغنى المشهور المتعارف العاشر كونه لا تصحبه الاوقات وذلك ان الصحبة الحقيقية تستدعي المعية والتقارن
اللذين هما من لواحق الزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم المتأخر وجوده عن وجود بعض
الملائكة المتأخر وجوده عن وجود الصانع الاول جلت عظمته فكان وجود الزمان والوقت متأخرا عن وجوده
تعالى بمراتب من الوجود فلم يصدق صحبة الاوقات لوجوده ولا كونها ظرفا له والا لكان مفتقرا الى وجود الزمان
فكان يمتنع استغناؤه عنه لكنه سابق عليه فوجب استغناؤه عنه نعم قد يحكم الوهم بصحبة الزمان المجردات
ومعيته لها حيث يقيسها الى الزمانيات اذ كان لا يعقل المجردات الا كذلك الحادي عشر كونه لا يرفده الادوات
وظاهر ان المفتقر الى المعونة باداة وغيرها ممكن لذاته فلا يكون واجب الوجود ولانه تعالى خالق الادوات
سابقا عليها في تأثيره فكان غنيا عنها فيمتنع عليه الحاجة الى الاستعانة بها الثاني عشر سبق الاوقات كونه
اي وجوده وقد مر بيانه الثالث عشر والعدم وجوده اي وسبق وجوده العدم وبيانه انه تعالى خالق
الموجودات الممكنة فانها محدثة فيكون عدمها سابقا على وجودها وان لم يكن كذلك فوجودها وعدمها
الى ذواتها على سواء كما بين في مظانه وظاهر ان ذواتها لها لا تستحق وجودا او عدما الا زوالها وذلك عدم سابق على ذواتها

فعلى كل تقدير موجودها يكون مسبوقا بعدم بخلاف الوجود الأول فانه جلت عظمته فلما كان واجب الوجود لذاته
كان بما هو هو موجودا فكان لحوق العدم له محالا فكان وجوده سابقا على العدم المعتبر لغيره من الممكنات ولان عدم العالم
قبل وجوده كان مستندا الى عدم الداعي الى ايجاده المستند الى وجوده وكان وجوده تعالى سابقا على عدم العالم الرابع
عشر والابتداء ازله وذلك لان الازل عبارة عن عدم الاولية والابتداء وذلك امر لحق واجب الوجود لما هو هو
لا اعتبار العقل وهو ينافي لحوق الابتداء والاولية لوجوده فاستحال ان يكون له ابتداء لامتناع اجتماع النقيضين
بل سبق في الازلية ابتداء ما كان له ابتداء وجود من الممكنات اذ هو مبداها ومصدرها الخامس عشر تشعيره المشاعر عرف
ان لا شعور له وذلك انه تعالى لما خلق المشاعر واوجدها وهو المراد بتشعيره لها امتنع ان يكون له مشعر وحاسة والا
لكان وجودها له اما من غيره وهو محال اما اولا فلانه مشعر المشاعر واما ثانيا فلانه يكون محتاجا في كماله الى غيره فهو
ناقص بذاته هذا محال واما منه وهو ايضا محال لانها ان كانت من كمالات الوهية كان موجدها من حيث فاقد لها
فكان ناقصا بذاته هذا محال وان لم يكن كمالا كان اثباتها له نقصا لان الزيادة على الكمال نقصان فكان ايجاده
لها مستلزما لنقصانه وهو محال السادس عشر بمضادته بين الامور عرف ان لا ضد له لانه لما كان خالق الاضداد فلو
كان له ضد لكان خالقا لنفسه ولضده وذلك محال ولانك لما علمت ان المضادة من باب المضاف وعلمت ان
المضاف ينقسم الى حقيقي وغير حقيقي فالحقيقي هو الذي لا يعقل ماهيته الا بالقياس الى غيره وغير الحقيقي هو الذي
له في ذاته ماهية غير الاضافة تعرض لها الاضافة وكيف كان لا بد من وجود الغير حتى يوجد المضاف من حيث
هو مضاف فيكون وجود احد المتضايفين متعلقا بوجود الآخر فلو كان لواجب الوجود ضد لكان متعلق الوجود
بالغير فلم يكن واجب الوجود لذاته هذا خلف ولان الضدين هما الامران الثبوتيان اللذان يتعاقبان على محل واحد
ويمتنع اجتماعهما فيه فلو كان بينه وبين غيره مضادة لكان محتاجا الى محل يعاقب ضده عليه وقد ثبت انه تعالى
غني في كل شيء عن كل شيء السابع عشر بمقارنته بين الاشياء عرف ان لا قرين له وبرهانه اما اولا فلانه تعالى خالق
المقترنات ومبدا المقارنة بينها فلو كان تعالى مقارنا لغيره لكان خالقا لنفسه ولقرينه وذلك محال ولان المقارنة
من باب المضاف ويمتنع ان يلحقه على ما تقدم الثامن عشر كونه تعالى مضادا بين الامور المتضادة تاكيدا
لقوله وبمضادته للاشياء فمنها النور والظلمة وفي كونهما ضدين خلاف بين العلماء مبني على كون الظلمة امرا
وجوديا او عدميا والاقرب انها امر وجودي مضاد للنور وقال بعضهم انها عبارة عن عدم الضوء عما
من شانه ان يضيء وليست على هذا القول عدما صرفا فجاز ان يطلق انها ضد مجازا ومنها البياض والسواد
والجمود والبلل اي اليبوسة والرطوبة والحرارة والبرودة ومضادته بينها خلقه لها على ما هي عليه من الطباع المتضادة
التاسع عشر كونه مؤلفا بين متعادياتها اي امزجة المركبات من العناصر الاربعة فانه جمع بينها على وجه الامتزاج
حتى حصل بينها كيفية متوسطة هي المزاج على ما مر بيانه في الخطبة الاولى العشرون كونه مفرقا
بين متدانياتها اي بالموت والفناء لهذه المركبات وبطلان تركيبها ولما اشار الى استناد كون هذه المركبات في

هذا العالم اشار الى استناد فسادها اليه ايضا اذ هو مسبب الاسباب وقد طاوعته عليه ائمة المطالعة في هذه القرائن
قال البعد بازاء المعاداة والمقارنة بازاء المباينة والقرب بازاء البعد والتفريق بازاء التداني الثالث والعشرون كونه تعالى
لا يشمله حد والمراد اما الحد الاصطلاحي وظاهر كونه تعالى لا حد له اذ لا اجزاء له فلا تركيب ولا تحاط حقيقته بحد واما الحد
اللغوي وهو النهاية التي تحيط بالجسم مثلا فيقف عندها وينتهي بها وذلك من لواحق الكم المتصل والمنفصل وهما
من الاعراض ولا شيء من واجب الوجود بجسم بعرض او محل له فامتنع ان يوصف بالنهاية واما وصفه باللانهاية فعلى سبيل
سلب النهاية عنه مطلقا السلب معروضها كالمقدار مثلا لا على سبيل العدول بمعنى ان له معروض النهاية واللا
لكن ليست النهاية حاصلة له الرابع والعشرون كونه لا يحسب بعد اي لا يدخل الحساب والعد فيدخل في جملة المحسوب
المعدودة وذلك لان العد من لواحق الكم المنفصل الذي هو العدد كما هو معلوم في مظانه والكم عرض وقد ثبت انه تعالى
ليس بعرض ولا محل له فاستحال ان يكون معدودا وقوله وانما تحد الادوات انفسها فالادوات اشارة الى الالات
البدنية والقوى الجسمانية وظاهر انها لا تتعلق ادراكها الا بما كان جسما او جسمانيا على ما علم في موضعه فيعني
قوله وانما تحد الادوات انفسها اي انما تدرك الاجسام والجسمانيات ما هو مثلها من الاجسام والجسمانيات ومثل
الشيء هو هو في النوع او الجنس ويحتمل ان يدخل في ذلك العقل والفكر لامتناع انفكاكه عن الوهم والخيال حين
توجهه الى المعقولات لما بيناه من حاجته اليهما في التصوير والتشبيه فكان لا يتعلق الا بما مثاله ممكن ولا يحيط الا
بما هو في صورة جسم او جسماني وكذلك قوله وتشير الالات الى نظائرها وقوله منعتها منذ القدمية وحمتها
قد الازلية وجنبتها لولا التكملة الضماير المتصلة بالافعال الثلثة تعود الى الالات والادوات وهي مفعولات
اولى والقدمية والازلية والتكملة مفعولات ثانية ومنذ وقد ولولا محلها الرفع بالفاعلية ومعنى الكلام
الاولى ان اطلاق لفظة منذ على الالات والادوات في مثل قولنا هذه الالات وجدت منذ كذا يمنع كونها قديمة
اذ كان وضعها لابتداء الزمان فكانت لاطلاقها عليها متعينة الابتداء ولا شيء من القديم بمتعين الابتداء فينتج
انه لا شيء من هذه الادوات والالات بقديم وكذلك اطلاق لفظ قد عليها يحميها ويمنعها من كونها ازلية اذ كانت
قد تفيد تقريب الماضي من الحال فاطلاقها عليها كما في قولك قد وجدت هذه الالة وقت كذا يحكم بتقريبها من
الحال فلا شيء من هذه الالات بازلي وكذلك اطلاق لفظة لولا على هذه الالات يجنبها التكملة اذ كان وضع لولا
دالا على امتناع الشيء لوجود غيره فاطلاقها عليها في مثل قولك عند نظرك الى بعض الالات المستحسنة في الخلقة
العجيبة والاذهان المتوقدة ما احسنها واكملها لولا ان فيها كذا دليلا على امتناع كمالها لوجود نقصان فيها
فهي ناقصة لما من الكمال المطلق والى ما اشار اليه حدوثها ونقصانها بالتركيب كونها متعلقة بحد مد سبحانه وانها
في بعد بعيد عن تقديم والاشارة اليه اذ كان القديم الكامل في ذاته التام في صفاته ابعد الاشياء عن مناسبة
المحدث الناقص في ذاته فكيف يمكن ان يدركه او يبلغ ان يطمع في ذلك وقال بعض الشارحين المراد بالادوات
والالات اهلها وقد روي برفع القدمية والازلية والتكملة على الفاعلية والضماير المتصلة بالافعال مفعولات

اولي وسند وقد ولولا معقولات ثانيه ويكون المعنى ان قدمه تعالى وازليته وكماله منعت الادوات والآلات من الحاق
سند وقد ولولا عليه سبحانه لدلالتها على الحدوث والابتداء المنافيين لقدمه وازليته وكما للعوارض الاولي او لي
في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وقوله بها تجلى صانعها للعقول اي بوجود هذه الآلات ظهر وجوده تعالى للعقول
اذ كان وجودها مستلزما لوجود صانعها بالضرورة واحكامها واتقانها شاهد بعلمه وحكمته شهادة يضطر
الى الحكم بها العقول وكذلك تخصصها بما تخصصت به من الكمالات شاهد بارادته وكمال عنايته فيكون ما يشهد
وجودها من وجود صانعها اجلى واوضح من ان يقع فيه شك او يلحقه شبهة ويتفاوت ذلك الظهور والتجلي بحسب تفاوت
صفاء النفوس وجلائها فمنها من يراه بعده ومنها من يراه معه ومنها من يراه قبل ومنها من يراه لا شيء معه اولئك
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقوله وبها امتنع عن نظر العيون اي بايجادها
وخلقها بحيث تدرك بحاسة البصر علم انه تعالى يمتنع ان يكون من مشاكلها ومباينه ان تلك الآلات انما كانت
متعلق بحس البصر باعتبار انها ذات وضع وجهة ولون وغيرها من شرائط الرؤية ولما كانت هذه الامور ممتنعة
في حقه تعالى لا جرم امتنع ان يكون محلا لنظر العيون وقال بعض الشارحين في بيان اشتراكها بالمشاعر والحواس
التي هي الآلات المشار اليها اكملت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدليل على انه لا يصح رؤيته فاذن بخلق هذه الآلات
والآلات لنا عرفناه عقلا وعرفنا انه يستحيل ان يعرف حسا الفصل الخامس والعشرون كونه تعالى ممتنعا ان يجري
عليه السكون والحركة وقد اشار عليه السلم الى بيان امتناعهما عليه من وجه احدها قوله وكيف يجري عليه
الى قوله احدثه وهو استفهام على سبيل الاستنكار لجريان ما اجراه عليه وعود ما ابداه وانشائه اليه وحدوث
ما احدثه فيه وبيان ذلك ان الحركة والسكون من اثاره سبحانه في الاجسام وكل ما كان من اثاره فيستحيل ان يجري عليه ويكون
من صفاته اما المقدمة الاولى فظاهرة واما الثانية فلان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر فذلك الاثر اما ان
يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم ان يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له ومؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا
بذلك الاثر والنقص عليه تعالى محال وان لم يكن معتبرا في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الاثر فكان
اثباته صفة له نقصا في حقه لان الزيادة على الكمال المطلق نقصان وهو عليه تعالى محال الثاني لو كان كذلك للزم
التغير في ذاته تعالى ولحوق الامكان له ودل على ذلك بقوله اذن لتفاوتت ذاته اي تغيرت بطريان الحركة عليها تارة
والسكون اخرى لان الحركة والسكون من الحوادث المتغيرة فيكون تعالى بقبوله لتعاقبهما محلا للحوادث والتغيرات
فكان متغيرا لكن التغير مستلزم للامكان فالواجب لذاته هذا خلف الثالث لو كان كذلك للزم حقيقته التجزي
والتركيب لكن التالي باطل فالمقدم كذلك اما الملازمة فلان الحركة والسكون من عوارض الجسم الخاصة به فلو
اتصف تعالى بهما لكان جسما وكل جسم فهو مركب قابل للتجزية واما بطلان التالي فلان كل مركب مفتقر الى الجزء
وممكن فالواجب ممكن هذا خلف الرابع انه لو كان كذلك للزم ان يبطل من الازل معناه اما على طريق المتكلمين فظاهر لان
الحركة والسكون من خواص الاجسام الحادثة الموصوف بهما حادثا فلو كان تعالى موصوفا بهما لبطل من الازل معناه ولم يكن ازليا

واما على راي الحكماء فلانه تعالى لكونه واجب الوجود لذاته يستحق الازلية بذاته ولكون الممكن ممكنا بذاته فهو انما يستحق الازلية
لا لذاته بل لازلية علته وتمامها الا انه لو توقفت علته على امر ثاني مؤثر فيها لزم حدوث الممكن ولم يكن له من ذاته
الا كونه لا يستحق لذاته وجودا ولا عدما وهو معنى الحدوث الذاتي عندهم فعلى هذا لو كان تعالى قابلا للحركة والسكون
لكان جسما ممكنا لذاته فكان مستحقا للحدوث الذاتي بذاته فلم يكن مستحقا للازلية بذاته فبطل من الازلية معناه
وهو استحقاقه للازلية بذاته لكن التالي باطل لما مر الخامس انه لو كان كذلك ان يكون له وراء اذ وجد له امام وجه
الملازمة انه لو جرت عليه الحركة لكان له امام يتحرك اليه وحينئذ يلزم ان يكون له وراء اذ له امام لانهما اضافيان
لا ينفك احدهما عن الاخرى لكن ذلك محال لان كل ذي جهتين فهو منقسم وكل منقسم ممكن على ما مر السادس لو
كان كذلك لالتمس التمام اذ لزمه النقصان وبيان الملازمة انه لو جرت الحركة عليه مستلزمة لتوجهه الى غاية اما جلب منفعة
او دفع مضرة اذ من لوازم حركات العقلاء ذلك وعلى التقديرين فهما كمال مطلوب له والنقصان لازم لذاته لكن
النقصان بالذات والاستكمال بالغير مستلزم للامكان فالواجب ممكن هذا خلف السابع لو كان كذلك
لقامت اية المصنوع فيه وبيان الملازمة انه حينئذ يكون قادرا على الحركة والسكون فقدرته عليهما ليست من
والا افتقر ايجادها الى قدرة اخرى سابقة عليها ولزم التسلسل وكان قادرا قبل ان كان قادرا وهما محالان فهي اذن من
غيره فهو اذن مفتقر في كماله الى غيره فهو مصنوع وفيه ايات الصنع وعلامات التاثير فليس هو واجب الوجود
هذا خلف الثامن لو كان كذلك لتحول دليلا بعد ان كان مدلولا عليه وذلك لانه يكون مصنوعا على ما مر وكل مصنوع فيكون
فيستدل به على صانعه كما هو المشهور في الاستدلال بوجود العالم وحدوثه على وجود صانعه ولانه يكون جسما
مصنوعا فكان الدليل على الصانع الاول الكل وهو المدلول عليه فاستحال ان يكون دليلا من جهة اثار الصنع فيه
فاستحال ان يكون قابلا للحركة والسكون فاستحال ان يجريا عليه فانظر الى هذه النفس الملكية انه عليه السلم كيف
تفيض عنها هذه الاسرار الالهية فيضا من غير تعلم من اوائل الصنائع العقلية وممارسة البحث في هذه الدقائق الالهية
واما قوله وخرج بسلطان الامتناع الى قوله غيره فقد يسبق الى الوهم عطفه على الادلة المذكورة وظاهر انه ليس كذلك
بل هو عطف على قوله امتنع اي بها امتنع عن نظر العيون وخرج بسلطان ذلك الامتناع اي امتناع ان يكون مثلها
في كونها مرئية للعيون ومحلا للنظر اليها عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المرئيات وهي الاجسام والجسمانيات وظاهر
انه تعالى لما امتنع عن نظر العيون لم يكن جسما ولا قائما بجسم فخرج بسلطان ذلك الامتناع عن ان يؤثر فيه ما يؤثر في غيره
من الاجسام والجسمانيات وعن قبول ذلك وقال بعض الشارحين انه عطف على قوله تجلى اي بها تجلى للعقول وخرج بسلطان
امتناع كونه مثلها اي بكونه واجب الوجود ممتنع العدم عن ان يكون ممكنا فيقبل اثرا كما تقبله الممكنات السادس
والعشرون كونه تعالى لا يحول اي لا ينتقل ويتغير من حال الى حال لما علمت من استلزام التغير للامكان الممتنع عليه السابع
والعشرون وكذلك لا يجوز عليه الافول اي الغيبة بعد الظهور لما يستلزمه من التغير ايضا التاسع والعشرون كونه لم يلد فيكون
مولودا ولم يولد فيكون محدودا وكلا الجملة الاولى تشتمل على دعوى والاشارة الى البرهان وهو في صورة قياس استثنائي تقديره

لو كان له ولد لكان مولودا وحينئذ يكون الجملة الثانية وهي قوله ولم يولد في قوة استثناء نقيض التالي وقوله فيكون محدودا
في قوة قياس آخر استثنائي يدل على بطلان التالي وتقديره لانه لو كان مولودا لكان محدودا واعلم انه يحتمل ان يريد
بكونه مولودا ما هو المتعارف ويكون قد سلك في ذلك مسلك المعتاد الظاهر في بادي النظر وبحسب الاستقراء
ان كل ما له ولد فانه يكون مولودا وان لم يجب ذلك في العقل وقد علمت ان الاستقراء مما يستعمل في الخطابة ويحتج
بها فيكون مقنعا اذ كانت غايتها الاقناع ويحتمل ان يريد به ما هو اعم من المفهوم المتعارف اعني التولد عن آخر
مثله من نوعه فان ذلك غير واجب كما في اصول انواع الحيوان الحادثة وحينئذ يكون بيان الملازمة الاولى على الاحتمال
الاول ظاهرا واما على التقدير الثاني فنقول في بيانها ان مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن آخر مثله من
نوعه لكن اشخاص النوع الواحد لا تتعين في الوجود ولا تتشخص الا بواسطة المادة وعلائقها على ما علم ذلك في مظانه
من الحكمة وكل ما كان ماديا وله علاقة بالمادة كان متولدا عن غيره وهو مادته وصورته واسباب وجوده وتركيبه واما
بيان الملازمة الثانية في برهان بطلان التالي فلانه لما لزم من كونه ذا ولد ان يكون مشاركا في النوع لغيره ثبت انه
متولد من مادة وصورة ومركب عنهما وعن جزئين باحدهما يشارك ابناء نوعه وينفصل بالآخر فهو اذن متناه
الى حدوده وهي اجزاؤه التي يقف عندها وينتهي في التحليل اليها فثبت انه تعالى لو كان مولودا لكان محدودا واذ انه
لو كان مولودا لكان متناهيا ومحدودا بالحدود المتولد منه لكن كل محدود على الاعتبارين مركب وكل مركب ممكن وهذا
خلف فاذن ليس هو بمحدود فليس هو بمولود فليس هو بذي ولد وان شئت ان تجعل المقدمتين في قوة قياس حملي
من شرطيتين متصلتين والتركيب بينهما في جزء تام وتقديره لو كان تعالى ذا ولد لكان مولودا ولو كان مولودا لكان
محدودا فالنتيجة لو كان تعالى ذا ولد لكان محدودا ثم يستنتج من استثناء نقيض تالي هذه النتيجة عين المطلوب
الملازمتين ونقيض تالي النتيجة ما سبق الثلاثون كونه جل عن اتخاذ الابناء اي علا وتقدس عن ذلك وهو تأكيد لما
وبيانه انه يستلزم لحوق مرتبته بمراتب الاجسام التي هي في معرض الزوال وقبول التغير والاضمحلال الحادي والثلاثون
كونه طهر عن ملامسة النساء وذلك لما تستلزمه الملامسة من الجسمية والتركيب الذي تنزه وتقدس عنه وطهارة
تعود الى تقدسه عن المواد وعلائقها من الملامسة والمماسة وغيرهما الثاني والثلاثون كونه لا تناله الاوهام فتقدره
اي لو نالته الاوهام لقدرته لكن التالي باطل فالمقدم كذلك بيان الملازمة انك علمت ان الوهم انما يدرك المعاني المتعلقة
بالمادة ولا يتجرد ادراكه عن المعاني المتعلقة بالمحسوسات وشانه فيما يدركه ان يستعمل المتخيلة في تقديره بمقدار مخصوص
وكيفية معينة ويحكم بانها مبلغه ونهايته فلو ادركته الاوهام لقدرته بمقدار معين وفي محل معين واما بطلان التالي
فلان المقدر محدود ومركب ومحتاج الى المادة والتعلق بالغير وقد سبق بيان امتناعه الثالث والثلاثون كونه لا تتوهمه
الفطن فتصوره وفطن العقول سرعة حركتها في تحصيل الوسط في المطالب وانما قال لا تتوهمه الفطن لان الفطنة
عند توجهها في تحصيل المطالب العقلية المجردة لا بد لها من استتباع الوهم والمتخيلة والاستعانة بهما في استثباتها
والتصوير بصورة تحطها الى الخيال على ما علم ذلك في موضعه ولذلك ما كانت رؤية جبرائيل في صورة دحية الكلبي وكذلك

المعاني

المعاني المدركة للنفوس في النوم من الحوادث فانها لا تتمكن من استثباتها عند اقتناصها من عالم التجريد وبقائها الى حال
اليقظة الا في صور خيالية مشاهدة كما علمت ذلك في صدر الكتاب فظهر اذن معنى قوله لا تتوهمه الفطن فتصوره اي
لو ادركته لكان ذلك بمشاركة الوهم فكان يلزم ان تصوره خيالية لكنه تعالى منزه عن الصورة فكان منزها عن ادراكها
الرابع والثلاثون كونه لا تدركه الحواس فتحسه واراد لو ادركته الحواس لصدق عليه انها تحسه ولزم كونه محسوسا وبيان
ذلك ان الادراك وان كان اعم من الاحساس لكن باضافته الى الحواس صار مساويا له لانها اذا قلت انه لا معنى للادراك
الا ادراك الحواس فيكون كانه قال لا تحسه الحواس فتحسه وذلك تكرار غير مفيد قلت ليس مقصوده انه يلزم من معنى
الادراك معنى الاحساس بل مراده ان الذي يصدق عليه انه ادراك الحواس هو المسمى بالاحساس فيكون التقدير ان
الحواس لو ادركته لصدق انها احسته اي لصدق هذا الاسم ولزم من صدقه عليها ان يصدق عليه كونه محسوسا
واما لزوم ذلك لكون الاحساس اشهر وابين في الاستحالة عليه تعالى من الادراك فجعله كالاوسط في نفي ادراكها عنه
لشنعته واما بيان انه تعالى ليس بمحسوس فلانه تعالى ليس بجسم ولا جسماني وكل محسوس فاما جسم او جسماني
انه تعالى ليس بمحسوس الخامس والثلاثون كونه لا تلمسه الايدي فتمسه اي لو صدق انها تلمسه لصدق انها تمسه وهو
ظاهر اذ كان المس اعم من اللمس وكلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية الممتنعة عليه تعالى السادس والثلاثون
كونه لا يتغير بحال اي ابدا والبتة وعلى وجه من الوجوه السابع والثلاثون ولا يتبدل في الاحوال اي ينتقل من حال الى
حال وقد سبق بيان ذلك الثامن والثلاثون كونه لا تبليه الليالي والايام اما اولا فلانه تعالى ليس بزماني يحتمل
تصرف الزمان حتى يبليه واما ثانيا فلان لحوق الابلاء له تغير في ذاته وقد علمت امتناع التغير عليه واما الثاني
فلان البلى من الامور المادية وكل ذي مادة فهو مركب على ما مر التاسع والثلاثون كونه لا يغيره الضياء والظلام
لامتناع التغير عليه الاربعون كونه لا يوصف بشيء من الاجزاء لان كل ذي جزء مفتقر الى جزئه الذي هو غيره فكان
مفتقرا الى غيره فكان ممكنا في ذاته هذا خلف الحادي والاربعون ولا بالجوارح والاعضاء لما يلزم من الجسمية
والتركيب والتجزية الثاني والاربعون ولا بعرض من الاعراض اول الاعراض تحصر في تسعة اجناس كما هو معلوم في
مظانه وذلك ان كل الموجودات سوى الله تعالى مقسوم بعشرة اقسام واحد منها جوهر والتسعة الباقية
اعراض ويظهر تقسيم هكذا كل ما عداه سبحانه فوجوده زائد على ماهيته بالبراهين القاطعة فماهيته اما
ان يكون بحيث اذا وجدت كان وجودها لا في موضوع وهو المعني بالجوهر او يكون وجودها في موضوع وهو
بالعرض ونعني بالموضوع المحل الذي لا يتقوم بما حل فيه بل يبقى حقيقته كما كانت قبل حلوله كالجسم الذي يحله
السواد ثم العرض ينقسم الى اقسامه التسعة وهي الكم والكيف والمضاف والاين ومتى والوضع والملك وان يفعل
وان ينفعل وتسمى هذه الاقسام مع القسم العاشر وهو الجوهر المقولات العشر والاجناس العالية وانه يتم كل واحد منها
انه تعالى منزه عن الوصف بشيء منها فنقول اما الجوهر فقد عرفت رسمه واما الكم فرسمه بانه العرض الذي يقبل لذاته المساواة
واللامساواة والتجزي ويقبل الجوهر بسببه هذه الصفات واما الكيف فقد عرفته وعرفت اقسامه واما الاين

بصورة

فهي حالة للجوهر تعرض بسبب كون غيره في مقابلته ولا يعقل وجودها الا بالقياس الى ذلك الغير كالابوة والبنوة وقد عرفتها
وعرفت ايضا اقسامها من قبل واما الاين فهي حالة وهيئة تعرض للجسم بسبب نسبته الى المكان وكونه فيه وليست مجرد النسبة
اليه واما متى فهي حالة تعرض للشيء بسبب نسبته الى زمانه وكونه فيه او في طرفه وهو الآن واما الوضع فهو هيئة تعرض
للجسم بسبب نسبة اجزائه بعضها الى بعض ونسبة تختلف الاجزاء لاجلها بالقياس الى سائر الجهات كالقيام والقعود
واما الملك فقد عرفت بانه نسبة الى ملاصق ينتقل بانتقال ما هو منسوب اليه كالتسلح والتقمص واما ان يفعل فهو كون
الشيء بحيث يؤثر في غيره ما دام يؤثر فيه كالتقطيع حالة التأثير واما ان ينفعل وهو كون الشيء متأثرا كالتقطع اذا عرفت ذلك
فنقول اما البرهان الجلي على امتناع اتصافه تعالى بهذه الاعراض واستحالة كونه موضوعا لها فيما سبق بيانه عليه السلام بقوله من
وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه وكذلك ما بيناه من استلزام وصفه بشيء حصول التغير في ذاته وامتناع
التغير عليه واما التفصيل فاما امتناع وصفه بالكم فلانه لو صدق عليه الكم لصدق عليه قبول المساواة والمفاوتة والتجزي
وكلما قبل التجزي كان متكثرا او قابلا للكثرة وقد ثبت انه تعالى واحد من كل وجه فيمتنع عليه الكم واما امتناع وصفه بالكيف
فقد علمته في اول هذه الخطبة وكذلك امتناع وصفه بالمضاف واما وصفه بالاين فلانه يستلزم ان يكون متحيزا لكن
كونه كذلك محال فكونه في المكان محال واما وصفه بمتى فقد عرفت انه تعالى ليس بزماني فاستحال ان يوصف بالنسبة
الى زمان يكون له واما وصفه بالوضع فلان الوضع من خواص المتحيزات فان الجسم المتناهي يحيط به سطح لا محالة او
ينتهي عندها فتكيفه حدا وحدودا ونهايات ويكون له شكل وهيئة لكنه تعالى ليس بمتحيز فاستحال ان يكون ذا وضع
واما الملك فلانه ايضا من خواص الاجسام المحاط بها اذ ما ليس بجسم لا يحاط به شيء ينتقل بانتقاله وقد تنزه تعالى عن الجسمية
وان يحيط به شيء واما ان يفعل فلان الفعل لا يصدق عليه الا بطريق الابداع ومحض الاختراع والابداع هو ان يكون
للشيء وجود من غيره متعلق به فقط دون توسط مادة او آلة او زمان والفعل اعم من الابداع اذ المفهوم من الفعل هو
ان يوجد بسبب وجوده وجود شيء آخر سواء كان ذلك بسبب حركة من الفاعل او آلة او مادة او زمان او قصد اختيار
فيقال للنجار انه فاعل وللسرير انه فعله ويقال لما لا يتوسط شيء من ذلك بل بطبع وتولد كالشمس فانها فاعلة للنور والنور فعلها
فالفعل الذي ينقسم الى ما يكون بقصد واختيار والى ما لا يكون كذلك بل يصدر عنه لامر ذاتي فيفيض عنها ذلك الشيء
ثم ان كان عالما بفيضان الشيء عنه سميت تلك الافاضة جودا والفاعل بذلك الاعتبار جوادا وان لم يكن عالما بذلك سمي
تلك الافاضة طبعا وتولدا كفيضان النور عن الشمس فالفاعل اما ان يفعل بالقصد والغرض او بالجود المحض والباري
تعالى لا يجوز ان يفعل لغرض لان الغرض والقصد ان كان اولى به لذاته كانت ذاته مستكملة بتلك الاولوية ناقصة بعدمها
هذا محال وان لم يكن اولى به فترجيحه من غير مرجح فلا يجوز ان يكون اولى بالنظر الى تلك الاولوية وعدمها ان كانتا
بالنسبة اليه على سواء فلا ترجيح او لا على سواء فيعود حديث النقصان والكمال فكان تعالى منزها عن الفعل على هذا
الوجه بل انما يصدر منه على وجه الابداع بجوده المحض وفي هذه المسألة بحث طويل ليس هذا موضعه واما وصفه
بان ينفعل فلان الانفعال يستلزم التغير في ذاته المستلزم للامكان وقد تنزه قدسه عنه الثالث والاربعون ولا ابعاض

ولا ابعاض

والابعاض اي ليس له ابعاض يعني ويعضها بعضا لان ذلك مستلزم للتجزية والتركيب الممتنعين عليه وامتناع اللازم يستلزم
امتناع الملزوم الرابع والاربعون ولا يقال له حد ولا نهاية لان الحدود والنهايات من عوارض الاجسام ذوات الاوضاع
ولواحقها على ما سبق الخامس والاربعون ولا انقطاع ولا غاية اي لا انقطاع لوجوده ولا غاية له وذلك
لان الانقطاع عند الغايات من لواحق الامور الزمانية المحدثة الكائنة الفاسدة وقد بينا امتناع كونه تعالى زمانيا
وكونه ماديا ولانه تعالى واجب الوجود فيستحيل ان يلحقه العدم او يتناهى وجوده وينقطع عند غاية السادس والاربعون
ولا ان الاشياء تحويه فتقله او تهويه روي ما بعد الفاء منصوبا وعليه نسخة الرضي رحمه الله وذلك باضمار ان عقيبها
في جواب النفي وروي مرفوعا على العطف والمعنى انه ليس بذي مكان يحويه فيرفعه بارتفاعه ويخفضه بانخفاضه لما
ان ذلك من لواحق الجسمية وكذلك او ان شيئا يحمله فيميله او يعدله السابع والاربعون ليس في الاشياء بوالج ولا عنها بخارج
لان الدخول والخروج من لواحق الاجسام ايضا فما ليس بجسم ولا جسماني فهما مسلوبان عنه سلبا مطلقا الا السلب المقابل
للملكة الثامن والاربعون كونه يخبر بلا لسان ولهوات لان اللسان واللهوات من لواحق الاجسام الحيوانية فالمنزه عنها
او السلب هنا كالذي قبله والاخبار هو النوع الاكثر من الكلام فلذلك خصه هنا بالذكر وزعمت الاشعرية ان الخبر
هو اصل الكلام كله واليه ترجع انواعه كالامر والنهي والاستفهام والتمني والترجي وغيرها ثم اختلف المتكلمون في
حقيقة الكلام فاتفقت المعتزلة على انه المركب من الحروف والصوت وجمهور الاشعرية على ان وراء الكلام اللساني معنى
قائما بالنفس يعبر عنه بالكلام النفساني ولفظ الكلام حقيقة فيه وفي اللساني مجاز ومنهم من جعله حقيقة
في اللساني مجازا في النفساني ومنهم من جعله مشتركا فيهما فكون الله تعالى متكلما يعود الى خلقه الكلام في جسم عند
المعتزلة وعند الاشعرية انه معنى قائم بذاته وهذه الاصوات والحروف المسموعة دالات عليه وسيفسره عليه السلام
كلامه تعالى التاسع والاربعون يسمع بلا خروق وادوات اي ليس سمعه باداة هي الاذنان والصماخان كالانسان
لتنزهه تعالى عن الالات الجسمانية وقد كان هذا البرهان كافيا في منع اطلاق السميع عليه تعالى لكن لما ورد الاذن
الشرعي باطلاقه عليه ولم يمكن حمله على ظاهره وحقيقته وجب صرفه الى مجازه وهو العلم بالمسموعات اطلاقا لاسم
السبب على المسبب اذ كان السمع من اسباب العلم فاذن كونه تعالى سميعا يعود الى علمه بالمسموعات الخمسون يقول
ولا يتلفظ واطلاق لفظ القول كاطلاق الكلام فاما التلفظ فلما كان عبارة عن اخراج الحروف من آلة النطق وهي اللسان
والشفة لا جرم لم يصدق في حقه لعدم الالات هناك وكان الشارع لم ياذن في اطلاقه عليه تعالى لما ان دلالته على
الالة المذكورة اقوى من الكلام والقول الحادي والخمسون كونه يحفظ ولا يتحفظ وحفظه يعود الى علمه بالاشياء وكان
المعروف من العادة ان الحفظ يكون بسبب التحفظ وكان ذلك في حقه تعالى محالا لاستلزامه الالات الجسمانية لا جرم
احترز عنه وقال بعض الشارحين لم يرد بالحفظ انه يحفظ عباده ويحرسهم ولا يتحفظ منهم اي لا يحتاج الى حراسة
منهم وهذا بعيد الارادة ههنا الثاني والخمسون يريد ولا يضمر فارادته تعالى تعود الى علمه بما في الفعل من الحكمة
والمصلحة الذي هو سبب داع الى فعله ولا فرق في حقه تعالى بين الارادة والداعي ولما كان المتعارف من الارادة انها ميل القلب

مايتصور كونه نافعا والتذ به او للميل من المضرات المستكرهة في القلب لا جرم كان اطلاق الارادة في حقه تعالى يستلزم تصوّر
الانتفاع والمتنزه سبحانه عن الانتفاع لا جرم احترز عنه في اطلاق المريد عليه تعالى بل كان ذلك الاحتراز كالقرينة الصارفة
للفظ عن حقيقته الى مجازه وهو الاعتبار المذكور الثالث والخمسون كونه يحب ويرضى من غير رقة ظاهرة منه تعالى الارادة
هي مبدأ فعل ما تحبه للعبد ارادة ثوابه وتكميله وما هو خير له واما من العبد فهي ارادة تقوى وتضعف بحسب تصور
المنفعة واللذة واعتقاد كمالها ونقصانها ومحبة الله هي ارادة طاعته واما الرضا فضرب من المحبة ويشبه ان يكون
اعم منها لان كل محب راض عما احبه ولا ينعكس ورضاه تعالى عن العبد يعود الى علمه بموافقته لامره وطاعته له والمفهوم
منه في حق العبد هو سكون نفسه بالنسبة الى موافقه وملايمه عند تصور كونه موافقا وملايما ولما كان الرضا
والمحبة من الانسان تعرض يستلزم الرقة القلبية لدى الانفعال النفساني عن تصور المعنى الذي لاجله حصلت المحبة
والميل اليه والداعي الى الرضا عنه وكان الباري سبحانه منزها عن الرقة والانفعالات لتنزهه عن توابعها لا جرم احترز
عنه بقوله من غير رقة الرابع والخمسون ويبغض ويغضب من غير مشقة فالبغض منه تعالى للعبد يضاد محبته
له ويعود الى كراهته لثوابه وكراهته تعود الى علمه بعدم استحقاقه للثواب وانه لا مصلحة في ثوابه ويلزمها ارادة
اهانته وتعذيبه والبغض من العبد وهو كراهته للغير وميل نفسه عنه لتصور كونه مضرا او مولما ويلزمه ذلك
النفرة الطبيعية منه وثوران القوة الغضبية عليه وارادة اهانته واما الغضب فيعود من الله تعالى الى علمه
بمخالفة اوامره وعدم طاعته له والمفهوم منه في حق العبد ثوران النفس وحركة قوتها الغضبية عن تصور المؤذي
والضار لارادة مقاومته ودفعه ولما كان البغض والغضب يستلزمان ثوران دم القلب وكان اذى النفس يستلزم
مشقة وكلفة لا جرم احترز عنها في اطلاق لفظ البغض والغضب عليه تعالى من غير مشقة واعلم ان اطلاق لفظ
المحبة والرضا على ما ذكرناه من الاعتبارات في حقه مجاز اذ كانت حقيقة الرضا هي سكون النفس الانسانية في المحبة
ميلها الى النافع فاطلاقهما على العلم اطلاق لاسم اللازم على الملزوم وكذلك اطلاق لفظي البغض والغضب في حقه تعالى على علمه
المخصوص الخامس والخمسون يقول لما اراد كونه كن فيكون تعالى ارادته لكونه هو علمه بما في وجوده من الحكمة وقوله كن اشارة
الى حكم قدرته الازلية عليه بالايجاد ووجوب الصدور عن تمام مؤثريته وقوله فيكون اشارة الى وجوده ودل على اللزوم
وعدم التاخير والتراخي بالفاء المقتضية للتعقيب بلا مهلة السادس والخمسون لا بصوت يقرع اي ليس بذي حاسة السمع
فيقرعها الصوت وذلك ان الصوت كيفية تحدث في الهواء عن قلع او قرع وقرعه لما اتصل اليه من الصماخ او جسم آخر وهو
عليه بشدة ومنفعة ذلك محال بعرض للاجسام فلو كانت له تعالى الة سمع لكان جسما لكن التالي باطل فالمقدم كذلك السابع
والخمسون ولا بنداء يسمع اي لما بين في الغريبة الاولى انه لا يسمع له بصوت في الثانية انه لا يخرج منه الصوت لان النداء صوت
مخصوص والصوت مستلزم لمصوت هو جسم لما مر من استلزام الصوت القرع او القلع المستلزمين الجسمية وقوله وانما كلامه
عليه السلام الى قوله كاينا فاعلم ان هذا الكلام مما استفادت المعتزلة منه كون كلامه تعالى محدثا وفيه تصريح بين بما ذهبوا اليه
فمعنى قوله فعل منه انشاه اي اوجده في لسان النبي واما قوله ومثله فاراد صورة في لسان النبي وسوى مثاله في ذهنه وقال البعض

مثله لم يكن بل في اللوح المحفوظ حتى بعث محمدا او سائر الرسل صلى الله عليهم ودل بقوله لم يكن من قبل ذلك كاينا على انه محدث
مسبوق الوجود بالعدم واشار بقوله ولو كان الى قوله الها ثانيا الى برهان حدوثه وهو قياس استثنائي وتقريره لو كان كلامه
قديما لكان كلامه الها ثانيا لكن التالي باطل فالمقدم كذلك فلبيان الملازمة فلانه لو كان قديما لكان اما واجب الوجود
واما ممكن الوجود والثاني باطل لانه لو كان ممكنا مع انه موجود في الازل لكان وجوده مفتقرا الى مؤثر فذلك المؤثر
ان كان غيره تعالى فهو محال لوجهين احدهما انه يلزم افتقاره تعالى في تحصيل صفته الى غيره وهو محال الثاني انه
يلزم ان يكون في الازل مع الله غيره فيكون مستندا اليه في حصول تلك الصفة فيكون الها ثانيا بل هو اولى بالالهية وهذا
محال وان كان المؤثر في كلامه ذاته فهو محال ايضا لان المؤثر واجب التقدم بالوجود على الاثر والكلام اما ان يكون من
صفات كماله او لا يكون فان كان والاول فتاثيره فيه ان كان وكل كمال له حاصلا له بالفعل فقد كان وصف الكلام حاصلا له قبل
ان كان حاصلا هذا خلف وان كان تاثيره في حال ما هو خال عن صفة الكلام فقد كان خاليا عن صفة كماله فكان ناقصا
بذاته هذا محال واما ان لم يكن الكلام من صفات كماله كان اثباته له في الازل اثباتا لصفة زائدة على كماله والزيادة على الكمال
نقصان فتعين انه لو كان قديما لكان واجب الوجود لذاته فكان الها ثانيا اما بطلان التالي فلما ثبت من كونه تعالى
واحدا فثبت بهذا الدليل الواضح انه لا يجوز ان يكون كلامه قديما الثامن والخمسون لا يقال الى قوله لم يكن اشارة الى
انه ليس بمحدث لان كون الشيء بعد ان لم يكن هو معنى حدوثه وقوله فتجري عليه الصفات المحدثات والفاء في جواب النفي
تقدير الشرط اي لو صدق عليه انه محدث لحقته الصفات المحدثة والا لكانت صفاته قديمة فكان الموصوف بها
قديما هذا خلف والتقدير لكن لحوق الصفات المحدثة له باطل واشار الى بطلان التالي بقوله ولا يكون بينها وبينه فصل
الى قوله والبديع التقدير انه لو لحقته الصفات المحدثات وجرت على تقدير كونه محدثا لكان ذاته مساوية لها في الحدوث
المستلزم للامكان المستلزم للحاجة الى الصانع فلم يكن بينها وبينه فصل في ذلك ولا له عليها فضل لاشتراكهما في
الحاجة وقوله فيستوي الى قوله المبدع اشارة الى ما يلزم تلك المساواة من المحال اذ كان استواء الصانع والمصنوع
ظاهر الفساد واصل البديع من الفعل ما لم يسبق فاعله الى مثله ويسمى الفعل الحسن بديعا لمشابهته ما لم يسبق اليه
في كونه محل التعجب منه والمبدع هو فاعل البديع والمصدر الابداع وقد عرفت معناه فيما قبل وفي نسخة الرضي المبدع
بفتح الدال وهو البديع بالمعنى الذي ذكرناه ويكون مراده بالبديع الصانع وهو فعيل بمعنى فاعل كقوله تعالى بديع
السموات والارض واذا ثبت انه لا يجري عليه الصفات المحدثات ثبت انه ليس بمحدث وروي صفات المحدثات
اي لو كان محدثا لجرت عليه صفات الامور المحدثة ولواحق الحدوث من سبق العدم والتغير والامكان والحاجة
الى المؤثر وغير ذلك ويلزم المحال المذكور اولا والنسخة الاولى بخط الرضي رحمه الله التاسع والخمسون كونه
خلق الخلق الى غيره وقد سبق بيانه في الخطبة الاولى وهو تنزيه له عن صفات الصانعين من البشر فان صانعهم
يحذو احذوا امثلة سبقت من غيرهم او حصلت في اذهانهم الستون كونه لم يستعن على خلق ما خلق باحد من
خلقه والا لكان ناقصا بذاته مفتقرا الى ما كان هو مفتقرا اليه وهو محال الحادي والستون كونه انشا الارض فامسكها

تكو نه محدثا باطل

اي اوجدها فقامت في حيزها بامساك قدرته لما كان شان من يمسك شيئا ويحفظه من سائر الفاعلين لا يخلو عن كلفة
ومشقة في حفظه واشتغال بحفظه عن غيره من الافعال نزه حفظه تعالى لها عما يلزم حفظ غيره لما يحفظه من تلك
الكلفة والاشتغال بحفظها الثاني والستون كونه ارساها اي اثبتها في حيزها على غير قرار اعتمدت عليه كما
وكذلك رفعه لها بغير دعائم بل بحسب قدرته وايده الثالث والستون كونه حصنها من الاود والاعوجاج اي من
الميل الى احد جوانب العالم عن المركز الحقيقي وذلك مما ثبت في موضعه من الحكمة الرابع والستون كونه منعها من
التهافت والانفراج اي جعلها كرة واحدة ثابتة في حيزها ومنعها ان تساقط قطعا او يفرج بعضها عن بعض الخامس
والستون كونه ارسى اوتادها اي اثبتها فيها واوتادها جبالها وقد بينا في الخطبة الاولى معنى كونها اوتادا لها السادس
والستون كونه ضرب اسدادها واراد باسدادها ما احاط بها من الجبال او التي تحجز بين بقاعها وبلادها السابع والستون
كونه استفاض عيونها واستفاض بمعنى افاض كما قال تعالى وفجرنا الارض عيونا وقد سبقت الاشارة الى ذلك الثامن والستون
كونه خد اوديتها اي شقها بين جبالها وتلالها وقوله فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه بعد تعديد ما عدده من الآثار العظيمة
اشارة الى هذه المخلوقات وقوتها ليبين عظمة الله سبحانه بالقياس اليها التاسع والستون كونه هو الظاهر عليها بسلطانه
وعظمته واشار بقوله هو الى هويته التي هي محض الوجود الحق الواجب ولما لم يمكن تعريف تلك الهوية الا باعتبارات
الخارجة عنها اشار الى تعريفها بكونه ظاهرا عليها اي غالبا قاهرا لها ولما كان الظهور يحتمل الظهور الحسي لاجرم قيده
بسلطانه وعظمته اذ كان ظهوره عليها ليس ظهورا مكانيا حسيا بل بحرمة (?) ملكه واستيلاء قدرته وعظم سلطانه
السبعون قوله وهو الباطن لها اي الداخل في بواطنها بعلمه ولما كان البطون يحتمل البطون الحسي قيده بعلمه تنزيها له
عن سوء الاوهام واحكام الافهام والضمائر في قوله عليها ولها تعود الى الارض وما فيها مما بناه وسواه الحادي والسبعون
كونه عاليا على كل شيء منها اي من الارض وسائر مخلوقاته بما يجلاله وعزته فجلاله وعزته بالنسبة اليها هو اعتبار
كونه منزها عن كل ما لها من الصفات المحدثة والكمالات المستفادة من الغير المستلزمة للنقصان الذاتي ولما كانت هذه
الاعتبارات التي نزه عنها في حضيض النقصان كان هو باعتبار تنزيهه عنها في اوج الكمال الاعلى فكان عاليا عليها
بذلك الاعتبار ولا نسبة الى خالقها وموجدها فعلوه عليها بجلال سلطانه وعزته عن خضوع الحاجة وذلتها الثاني والسبعون
كونه لا يعجزه شيء منها طلبه الى قوله فيسبقه وذلك لكونه تعالى واجب الوجود تام العلم والقدرة لا نقصان فيه باعتبار
وكون كل ما عداه في وجوده وجميع احوال وجوده اليه فلا جرم لم يتصور ان يعجزه شيء طلبه او يمتنع عليه شيء بقوة فيغلبه
او يفوته سريع بحركته فيسبقه لما يستلزمه ذلك العجز من الحاجة والامكان الممتنعين عليه الثالث والسبعون وكذلك
كونه لا يحتاج الى ذي المال فيرزقه لما يستلزمه الحاجة من الامكان وكل ذلك نفي لاحوال البشر عنه الرابع والسبعون
خضعت له الاشياء الى قوله لعظمته فخضوعها وذلها يعود الى دخولها في ذل الامكان تحت سلطانه وانقيادها في الحاجة
الى كمال قدرته وبذلك الاعتبار لم تستطع الهرب من سلطانه للزوم الحاجة لذواتها اليه واستنادها الى جوده فهو
لها باعاضة كمالاتها الى جوده فهو النافع لها والضار لها بمنع ذلك فان قلت ان النفع لا يهرب منه ولا يمتنع فكيف ذكر هنا

المراد منه سلب قدرته عليها على تقدير امتناعها منه وهذا كما تقول لمن عجز عنك ان فلانا لا يقدر لي على نفع ولا ضر ولان النفع
جاز ان يمتنع منه لانفة واستغناء بالغير ولا شيء من الموجودات يمتنع من سلطانه ونفعه باستغناء عنه وانفة ونحوها الخامس
والسبعون كونه لا كفو له فيكافيه اي ليس له مثل فيقابله ويفعل بازائه مثله وقد علمت تنزيهه تعالى عن المثل وكذلك لا
نظير له فيساويه السادس والسبعون هو المفني لها الى قوله كمفقودها عرف هويته باعتبار كونه معدما للاشياء بعد وجودها وقد
ورد في القرآن اشارات الى ذلك كقوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدانا اول خلق نعيده ومعلوم ان الاعادة انما
بعد العدم وقوله اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت وامثالها وقد اجمعت الانبياء على ذلك وعلم التصريح به من دين محمد عليه
السلام بانه سيكون وهو الذي عليه جمهور المتكلمين والخلاف في جواز خراب العالم مع الحكماء فانهم اتفقوا على ان الاجرام العلوية
والعقول والنفوس الفلكية وكذلك هيولى العالم العنصري والاجرام العناصر وما ثبت قدمه امتنع عدمه لا لذاته بل لدوام
علة وجوده وما عدا ذلك فهو حادث وليس كله مما يعاد بالاتفاق بل الخلاف في المعاد الانساني البدني فانكره بعضهم واما الاسلاميون
منهم فقالوا ليس للعقل في الحكم بوجوده او لا وجوده مجال بل انا نعلم بالسمع هذا مع اتفاقهم على القول بامتناع اعادة المعدوم فان
امكن الجمع بين القول بجواز المعاد الجسماني مع القول بامتناع اعادة المعدوم فليكن على ما ذهب اليه ابو الحسين البصري من
المعتزلة وهو قوله ان الاجزاء تتشذب وتتفرق بحيث تخرج عن حد الانتفاع بها ولا تدخل في العدم الصرف لكن في ذلك نظر
لان بدن زيد مثلا ليس عبارة عن تلك الاجزاء المتشذبة المتفرقة فقط فان القول بذلك مكابرة للعقل بل عنها مع سائر
الاعراض والتاليفات المخصوصة والاوضاع فاذا تشذب البدن وتفرق فلا بد ان تعدم تلك الاعراض وحينئذ يلزم
فناء البدن من حيث هو ذلك البدن فعند الاعادة ان اعيد بعينه وجب اعادة تلك الاعراض بعينها فلزم منه اعادة المعدوم
وان لم يعد بعينه عاد غيره فيكون الثواب والعقاب على غيره وذلك مكذب للقرآن الكريم في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
اللهم الا ان يقال ان الانسان المثاب والمعاقب انما هو النفس الناطقة وهذا البدن كالآلة فاذا عدم لم يلزم عوده بعينه
بل جاز عود مثله لكن هذا انما يستقيم على مذهب الحكماء القائلين بالنفس الناطقة واما على راي ابي الحسين البصري فلا
ومذهب اكثر المحققين من علماء الاسلام يؤول الى هذا القول وقوله وليس فناء الدنيا الى قوله واختراعها دفع لما يعرض في
الاذهان من التعجب بفناء هذا العالم بعد ابتداعه وخلقه بالتنبيه على حال انشائه واختراعه اي ليس صيرورة ما خلق الى
العدم بعد ترفها بعد الوجود باعجب من صيرورتها الى الوجود بعد العدم عنها اذ كانت كلها ممكنة قابلة للوجود والعدم لذاتها
بل صيرورتها الى الوجود المشتمل على عجائب الخلقة واسرار الحكمة التي لا تهتدي لها ولا تقدر على شيء منها اعجب واغرب من
عدمها الذي لا كلفة فيه وقوله ولو اجتمع الى قوله اماتتها تاكيد لنفي كون عدمها بعد وجودها اعجب من ايجادها بالتنبيه على عظم
مخلوقاته تعالى ومكوناته وما اشتملت عليه من اسرار الحكمة المنسوبة الى قدرته والعجز وكيف يكون عدمها اعجب وفي الخلق
اضعف حيوان واصغره مما خلق كالبعوضة ومن العجائب والغرائب والاعجاز ما يعجز عن تكوينه واحداثه قدرة كل من سواه
الى القدرة (?) ويقصر عن معرفة الطريق الى ايجادها الباب الالباء وتحير في كيفية خلقها حكمة الحكماء ويقف دون علم الرب
وتتناهى عقول العقلاء وترجع خاسئة حسيرة فهي (?) معترفة بالعجز عن الاطلاع على كنه صنعه في انشائها مقرة بالضعف

اقتناها فان قلت كيف تقر العقول بالضعف عن افناء البعوضة مع امكان ذلك وسهولته قلت ان المراد ان النظر الى نفسه بالنسبة الى قدرة الصانع الاول جلت عظمته وجد نفسه عاجزة عن كل شيء الا باذن الهي واستعداد لا عداد حدوث ما يكتسب اليه من الاثار فاما نفس وجود الاثر عن واهب الكل عز سلطانه فالعبد العاقل لما قلناه يعترف بالضعف عن البعوضة واعدامها وما هو ايسر من ذلك عند مقايسة نفسه الى موجده وواهب كماله كما عرفت ذلك في موضعه فان الله سبحانه كما خلق للعبد قدرة على القتل والترشش (?) والايذاء والاضرار بغيره كذلك خلق للبعوضة قدرة على الاحتراز والهرب من ضربه بالطيران وغيره بل على ان تؤذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه فكيف يستسهل العاقل افناها من غير معونة (?) ... وقوله وانه سبحانه يعود الى قوله الامور اشارة الى كونه تعالى باقيا ابدا فيبقى بعد فناء الاشياء وحده لا شيء معه منها كما كان قبل وجودها كذلك بريا عن لحوق الوقت والمكان والحين والزمان وقوله فبذلك تغير من حال الى حال سبقت الى حالة تحت (?) ومما يعودان الى ما غيره ... حال لم تقدم على وجودها وحال تاخر عنها بعد عدمها ومما اعتباران ذهنيان يلحقانه بالقياس الى مخلوقاته وقوله عدمت عند ذلك الى قوله الساعات ظاهر لان كل ذلك اجزاء الزمان الذي هو من لواحق الحركة التي هي من لواحق الجسم فيلزم من عدم الاجسام عدمها وقوله فلا شيء الى قوله للامور اي لا يبقى بعد فناء العالم الا هو وذكر الواحد لقهار كذلك والقهار باعتبار كونه قاهرا لها بالعدم والفناء وكونه اليه مصير جميع الامور فمعنى مصيرها اليه اخذه لها بعد هبته لوجودها وقوله بلا قدرة الى قوله وفنائها اشارة الى انه لا قدرة لشيء منها على ايجاد نفسه ولا على الامتناع من لحوق الفناء له وقوله ولو قدرت الى قوله بقاؤها السابق بقياس شرطي متصل على عدم قدرة شيء منها على الامتناع من الفناء وانما خص الحكم بالاستدلال دون الاول لكون الاول ضروريا وبيان الملازمة ان الفناء مهروب منه لكل موجود فلو كان الامتناع منه مستلزما للداعي الى الامتناع المستلزم للامتناع منه المستلزم للبقاء واما بطلان التالي فلما ثبت انه تعالى يفنيها فلزم ان لا يكون لها قدرة على الامتناع وقوله لم يتكاده الى قوله خلقها ظاهر لان المشقة في الفعل وثقله انما يعرض لذي القدرة الضعيفة من نقصانها وقدرته تعالى بريئة عن انحاء النقصان لاستلزامه الامكان والحاجة الى الغير وقوله ولم يكونها الى آخره اشارة الى تعديد وجوه الاغراض المتعارفة للفاعلين في ايجاد ما يوجدونه واعدامه ونفي تلك الاغراض عن فعله في ايجاده ما اوجده واعدامه ما اعدمه من الاشياء اما الاغراض المتعلقة بالايجاد فهو اما جلب منفعة كتشديد السلطان وجمع الاموال والقنيات وتكثير الجنود والعدة والازدياد في الملك باخذ الحصون والقلاع ومكاثرة الشريك في الملك كما يكاثر الانسان غيره ممن يشاركه في الاموال والاولاد او دفع مضرة كالتخوف من العدم فلعلها يتحصن بها من ذلك او خوف النقصان فلعلها يستكمل بها او خوف الضعف عن مثل مكاثر فخلقها ليستعين بها عليه او خوف ضد يقاومه فاوجدها ليحترز بها منه ويدفع مضرته او لوحشة كانت له قبل فاوجدها ليدفع ضرر استيحاشه بالانس بها وكذلك الاغراض المتعلقة بعدمها اما الى دفع المضرة كدفع السامة اللاحقة له من تصريفها وتدبيرها والثقل في شيء منها عليه او الملال من طول بقائها فيدعوه ذلك الى افنائها

جلب المنفعة كالراحة الواصلة اليه فان جلب المنفعة ودفع المضرة من لواحق الامكان الذي تنزه قدسه عنه وقوله ولكنه سبحانه الى قوله بقدرته فدبرها بلطفه اشارة الى ايجاده لها على وجه الحكمة والنظام الاتم الاكمل الذي ليس في الامكان ان يكون جلبها على اتم منه ولا الطف وامساكه لها بامره قيامها في الوجود بحكم سلطانه وابقاؤها بقدرته احكامها على وفق منفعتها وان كان عن قدرته فعلى وفق علمه بوجوه الحكمة كل ذلك بمحض الجود من غير غرض من الاغراض المذكورة يعود اليه وقوله ثم يعيدها بعد الفناء تصريح باعادة الاشياء بعد فنائها وفناؤها ابتداء عنها كما هو مذهب من جوز اعادة المعدوم او تشتيتها وتفرقها وخروجها عن حد الانتفاع بها كما هو مذهب ابي الحسين البصري من المعتزلة وقوله من غير حاجة الى آخره ذكر وجوه الاغراض الصالحة في الاعادة والاشارة الى نفيها عنه تعالى وهي ايضا كالحاجة اليها او الاستعانة ببعضها على بعض او للانصراف من حال وحشة الى حال استيناس او انصراف من حال الجهل وعمى فيه الى حال علم والتماسه وكذلك من فقر وحاجة الى غنى وكثرة ومن ذل وضعة الى عز وقدرة وقد عرفت ان كل هذه الاغراض من باب دفع المضرة المنزه قدسه تعالى عنها وقد بينا فيما سلف البرهان الاجمالي على تنزيهه تعالى في افعاله من الاغراض بل ايجاده لما يوجده بمحض الجود الالهي الذي لا بخل فيه ولا منع من جهته فهو الجواد المطلق والملك المطلق الذي ما ينبغي لا لعوض ويوجد ما يوجده لا لفائدة تعود اليه ولا غرض وهو مذهب جمهور اهل السنة والفلاسفة والخلاف فيه مع المعتزلة فان قلت ظاهر كلامه عليه السلام مشعر بان الدنيا كما تفنى تعاد والذي وردت به الشريعة وموضع الخلاف بين جمهور المتكلمين والحكماء هو اعادة الابدان البشرية قلت الضمير في قوله يعيدها سواء كان راجعا الى الدنيا او الى الامور في قوله مصير جميع الامور فانه مهمل كما يرجع الى الكل جاز ان يرجع الى البعض وهي الابدان البشرية وقال بعضهم ان للسالكين في هذا الكلام تاويلا عقليا وان جوزوا ان يكون مراده عليه السلام هو ما ذكرناه من الظاهر فانهم قالوا يحتمل ان يشار بقوله وانه يعود سبحانه الى قوله الامور الى حال العارف اذا حق له الوصول التام حتى غاب عن نفسه ملاحظا جناب الحق سبحانه بعد حذف كل قيد دنياوي او اخروي عن درجة الاعتبار فانه حينئذ كما فني هو عن كل شيء كذلك فني عنه كل شيء حتى نفسه فلا يبقى بعد فنائها عنه الا وجه الله ذو الجلال والاكرام فكما كانت الاشياء عند اعتبار ذواتها غير مستحقة للوجود ولواحقه كذلك يكون عند حذفها عن درجة الاعتبار وملاحظة جلال الواحد القهار ليس الا هو وقوله ثم يعيدها بعد الفناء فذلك عودها الى اعتبار اذهان العارفين عند عودهم من الجناب المقدس الى الجنبة السافلة واشتغالهم بمصالح ابدانهم والكل منسوب الى تصريف قدرته تعالى بحسب استعداد الاذهان لقبولها وحذفها وقد علمت من بيانات هذه الخطبة صدق كلام الرضي رضي الله عنه في مدحها حيث قال وتجمع هذه الخطبة من اصول العلوم ما لا يجمعه خطبة غيرها فانها بالغة في علم التوحيد كماله في علم التنزيه والتقديس لجلال الواحد الحق جلت عظمته وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** تختص بذكر الملاحم الا بابي وامي هم من عدة اسماؤهم في السماء معروفة وفي الارض مجهولة الا فتوقعوا ما يكون من ادبار اموركم وانقطاع وصلكم واستعمال صغاركم ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن اهون من الدرهم من حله ذاك حيث يكون المعطى اعظم

اجرا من المعطي ذا ت حيث تسكرون من غير شراب بل من النعمة والنعيم وتحلفون من غير اضطرار وتكذبون من غير
احراج ذلك اذا عضكم البلاء كما يعض القتب غارب البعير ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء ايها الناس
القوا هذه الازمة التي تحمل ظهورها الاثقال من ايديكم ولا تصدعوا على سلطانكم فتذموا غب فعالكم ولا تقتحموا
ما استقبلتم من فور نار الفتنة واميطوا عن سننها وخلوا قصد السبيل لها فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن
ويسلم فيها غير المسلم انما مثلي بينكم كمثل السراج في الظلمة يستضيء به من ولجها فاسمعوا ايها الناس وعوا واحضروا
آذان قلوبكم تفهموا القول الخرجيه الجاه وضيق عليه وتصدعوا اتفرقوا وغب كل شيء عاقبته وفور النار غليانها
وشدة حرها واميطوا عن كذا وسطوا تنحيت عنه والسنن القصد والاقتحام الدخول في الشيء بشدة وقوله
بابي وامي جمعي البابات والجار والمجرور في تقدير خبر المبتدا وهو قولهم وقد سبقت الاشارة الى مثله في قوله مخاطبا
للرسول عليه السلام عند توليه غسله والضمير اشارة الى اولياء الله فيما يستقبل من الزمان بالنسبة الى زمانه عليه السلام
وقالت الشيعة اشار به الى الائمة من ولده عليهم السلام وقوله اسماؤهم في السماء معروفة اشارة الى علو درجتهم في الملا
الاعلى واثبات اسمائهم وصفاتهم الفاضلة في ديوان الصديقين وفي الارض مجهولون بين اهل الدنيا الذين يرون
ليس وراءها كمالا ومن سيماء الصالحين بجري العادة التقشف والاعراض عن الدنيا وذلك يستلزم قلة مخالطة اهلها
ومكاثرتهم وهو مستلزم لجهلهم بهم وعدم معرفتهم لهم ثم شرع في التنبيه على الاحوال الردية المستقبلة المضادة لمصالح
العالم التي يجمعها سوء التدبير وتفرق الكلمة وهي ادبار ما اقبل من امورهم وانقطاع ما اتصل من وصلهم والوصل والاسباب
جمع وصلة وهي الانتظامات الحاصلة لاسبابهم في المعاش والمعاد بوجود الرسول صلى الله عليه وآله وتدبيره ثم استعمل
صغارهم وارذالهم فانه من جملة اسباب الفساد ومن اسباب صلاح العالم استعمال اهل الشرف واكابر الناس على الاعمال
ومن كلامه عليه السلام في ذلك قوله لمالك الاشتر في عهده اليه حين سيره الى العمال وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات
الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اسرافا وابلغ في عواقب الامور نظرا
وصغار الناس مظنة اضداد الامور المذكورة مما يكون خراب العالم وفساد نظامه ثم اشار الى اوقاتها وعلاماتها ووقوعها
فمنها حيث يكون ضربة السيف على المؤمن اهون واقل عنده مشقة من الشقة الحاصلة له في اكتساب درهم حلال لذلك
لان المكاسب حينئذ تكون قد اختلطت وغلب الحرام الحلال فيها واراد بقوله من الدرهم اي من كسب الدرهم فحذف المضاف
ومنها حيث يكون المعطى وذلك لان اكثر من يعطي حينئذ ويتصدق يكون ماله مشوبا بالحرام فيقل اجره ولان اكثرهم قصد
باعطائه الرياء والسمعة او لهوى نفسه او لخطرة من خطرات وسواسه من غير خلوص لله سبحانه في ذلك واما المعطى
فقد يكون فقيرا مستحقا للزكوة ذا عيال لا يلزمه ان يبحث عن اصل ما يعطاه فاذا اخذه لسد خلته كان في ذلك اعظم اجرا ممن
يعطيه ولان المعطي يكون اكثر ما ينفق من ماله في غير طاعة الله وفي الوجوه المحظورة فاذا اخذ الفقير منه على وجه الصدقة
فوت على المعطي صرف ماله في تلك الوجوه وكان للفقير بذلك المنع لعطيه اذ كان سببا في منعه عن صرف ماله فيها لا جرم
كان اعظم اجرا منه ومنها حيث تسكرون من غير شراب فاستعار وصف السكر لهم باعتبار غفلتهم عما ينبغي لهم اللازمة عن

بعضهم اجر المعطى

انصابهم

انصبابهم واستغراقهم في اللذات الحاضرة كما يلزم السكر العقل عن المصالح وقرينة الاستعارة قوله من غير شراب بل من النعمة وان السكر
حقيقة انما يكون عن الشراب ومنها حيث تحلفون من غير اضطرار الى اليمين بل تهاونا عن عظمة الله سبحانه حتى يتوصلوا باليمين
الى اخس المطالب ومنها حيث تكذبون من غير احراج اي من غير ان يلجئكم الى الكذب ضرورة بل يصير الكذب ملكة وخلقا
ومنها اذا عضكم واستعار لفظ العض لايلام البلاء الذي ينزل بقلوبهم وشبهه بعض القتب لغارب البعير ووجه المشابهة هو
شدة الايلام وهذا التشبيه هو وجه استعارة العض للبلاء وقوله ما اطول هذا العناء وابعد هذا الرجاء كلام منقطع عما قبله
كما هو عادة الرضي رضي الله عنه في التقاط الفصول والحاق بعضها ببعض ووجدت هذا الفصل بخطه في حاشية نسخة
الاصل وظاهره يقتضي انه ذكر فيما كان متصلا به من الكلام ما ينال شيعته من البؤس والقنوط ومشقة انتظار
الفرج وان قوله ما اطول الى قوله الرجاء كلام شيعته فعلى هذا يكون المعنى انهم يصابون بالبلاء حتى يقولوا ما اطول
التعب الذي نحن فيه وما ابعد رجاءنا الخلاص منه بقيام القائم المنتظر ويحتمل ان يكون الكلام متصلا ويكون قوله
ما اطول هذا العناء كلاما مستأنفا في معنى التوبيخ لهم على اعراضهم عنه واقبالهم على الدنيا واتعابهم انفسهم في
طلبها وتنفير لهم عنها بذكر طول العناء في طلبها وبعد الرجاء لما يرجى منها اي ما اطول هذا العناء اللاحق لكم في
الدنيا وما ابعد هذا الرجاء الذي ترجونه منها وظاهر ان متاعب الدنيا لطالبها طول المتاعب ومطالبها لا يحصلها
الطالب كما قال عليه السلام فيما قيل من ساعاها فاتته وكما قال الرسول صلى الله عليه وآله من جعل الدنيا اكبر همه فرق الله عليه همه
وجعل فقره بين عينيه ولم يأته منها الا ما كتب له وهذا الكلام يقتضي ان التجرد لطلب الدنيا لا بد له من ملاحظة الفقر وعظيم
لم فهو حامل له على التعب في تحصيلها والكدح لها ويحتمل ان يريد بالعناء المشار اليه عناءه في جذبهم الى الله ودعوتهم الى الآخرة
واكثر وقته ثم لا يرجعون الى دعوته ولا يتفقون على كلمته وظاهر ان عناء طويل وتعب عظيم والرجاء المشار اليه رجاؤه صلاحهم
واستبعد ترائيه بهم واستعار لفظ الازمة للاراء الفاسدة المتبعة وللاهواء القائدين لهم الى المآثم ووجه المشابهة كونها
قائدة لهم كما تقود الازمة الجمال ولفظ الالقاء للاعراض عن تلك الاراء الباطلة وترك العمل بها ولفظ الظهور لانفسهم ولفظ
الاثقال المعمول من اثقال الذنوب ووجه المشابهة الاولى كونها حاملة لاثقال الخطايا والاوزار كما تحمل الظهور الاثقال المحسوسة
كما قال تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ووجه الاستعارة الثانية ان الملكات
الردية الحاصلة من اقتراف المآثم تثقل النفوس عن النهوض الى حظائر القدس ومنازل الابرار كما تثقل الاثقال المحسوسة
الظهور الحاملة لها واستعار لفظ الالقاء والازمة اللذين من شانهما ان يكونا باليد في الحقيقة بذكر الايدي فقال من
ايديكم والحاصل انه امرهم بترك الاراء الفاسدة ونهاهم عن متابعتها ونبه على وجوب تركها بانهم اذا اتبعوها حملوا على
قادتهم الى حمل اثقال الخطايا ثم اردف ذلك بالنهي عن التفرق عنه بعد تقديم النهي عن اتباع الاراء الفاسدة المستلزمة
للهلاك تنبيها على ان اراءهم في التصدع عنه من تلك الاراء غير المحمودة وقوله فتذموا غب فعالكم تنفير عن التفرق عنه
بذكر ما يلزمه من العاقبة المذمومة وهي غلبة العدو عليهم واستيلاؤه على اموالهم وتعرضهم ذلا ونحوها
وما ونقة والفاء هي التي في جواب النهي اي ان تصدعتم عن سلطانكم ذممتم غب فعالكم ثم اردف النهي عن التفرق عنه بالنهي عن

الشرع عنه بالنهي عن اقتحام السبيل وامن الفتنة المنتظرة تنبيها على ان الشرع قد نصب للدخول في بلد الفتنة وتعبيرا عن
مخالفته بكونها اقتحاما لنار الفتنة وتسرعا الى دخولها ولفظ النار مستعار لاحوال الفتنة من الحروب والقتل والظلم ووجه
المشابهة كونها مستلزمة للاذى كالنار ووصف الاقتحام لمخالفته والتعرض عنه ووجه الاستعارة اسراع تعرضهم بمخالفته الى
الوقوع الى الفتنة كاسراع المقتحم ورشح استعارة النار بالقوة مبالغة في التنفير ثم امرهم بالتنحي عن قصدها وسلوكها او
قصد السبيل لها اى خلوها القصد سبيلها ولا يتعرضون لها وقحموها فيكونوا حطبا لنارها ثم اقسم ليهلك في لهبها المؤمن
ويسلم فيها غير المسلم وذلك ظاهر الصدق وهو من كراماته عليه السلم واخباره عما سيكون فان الدائرة في دولة بني
امية كانت على من لزم دينه واشتغل بعبادة ربه دون من وافقهم على باطلهم واجاب دعوتهم وتقرب الى قلوبهم بالكذب
على رسول الله صلى الله عليه وآله وظلم العباد كما نشف عليه من اخبارهم في قتل كثير من اولياء الله وذرية رسوله وصحابته رضي
الله عنهم وتقريبهم المنافقين وتوليتهم للاعمال واعلم انه ليس مراده انه يهلك فيها كل مؤمن ولا يهلك الا غير مسلم بل
القضيتان مهملتان والغرض منهما ان اكثر من يهلك فيها المؤمنون واكثر من يسلم فيها المنافقون ومن ليس له قوة في
الاسلام ولفظ اللهب ترشيح لاستعارة لفظ النار ثم مثل نفسه بينهم بالسراج في الظلمة واشار الى وجه مشابهته
للسراج بقوله فيستضئ به من ولجها وتقريره ان الطالبين للهداية منه عليه السلم المتبعين لاثره يستضيئون بنور علومه
ويهتدون الى الطريق الارشد كما يهتدي السالك في الظلمة بالسراج وهذا التمثيل يستلزم تشبيه احوالهم بالظلمة
المغمورين فيها لولا وجوده عليه السلم فيهم وقد علمت في المقدمات حقيقة التمثيل لما تقدم فضيلة في التمثيل المذكور ثم
امرهم بسماع قوله وان يعوه ويحضروا قلوبهم ليفهموا ما يلقيه اليهم من الحكمة والموعظة الحسنة كما هو المعلوم
من حال الخطيب واستعار لفظ الآذان هنا للقلوب ووجه الاستعارة ان الاذن لما كانت سببا للادراك
انها القلوب المدركة لاقواله وطلب احضارها اذ كان هو المستمع بدون احضار الاذان المحسوسة وظاهر ان احضار
العقول وتوجيهها الى الفكر في المسموع مستلزم لحصول الفهم وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلم** اوصيكم
ايها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه اليكم ونعمائه عليكم وبلائه لديكم فكم خصكم بنعمة وتدارككم برحمة اعورتم
له فستركم وتعرضتم لاخذه فامهلكم واوصيكم بذكر الموت واقلال الغفلة عنه وكيف غفلتكم عما ليس يغفلكم وطمعكم
فيمن ليس يمهلكم فكفى واعظا بموتى عاينتموهم حملوا الى قبورهم غير راكبين وانزلوا فيها غير نازلين كانهم لم يكونوا
للدنيا عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا اوحشوا ما كانوا يوطنون واوطنوا ما كانوا يوحشون واشتغلوا بما
فارقوا واضاعوا ما اليه انتقلوا لا عن قبيح يستطيعون انتقالا ولا في حسن يستطيعون ازديادا انسوا بالدنيا فغرتهم
ووثقوا بها فصرعتهم فسابقوا رحمكم الله الى منازلكم التي امرتم ان تعمروها والتي رغبتم فيها ودعيتم اليها
واستتموا نعم الله عليكم بالصبر على طاعته والمجانبة لمعصيته فان غدا من اليوم قريب ما اسرع الساعات
في اليوم واسرع الايام في الشهر واسرع الشهور في السنة واسرع السنين في العمر **اقول** العورة الخلل
والعورة السوءة وكل ما يستحيى منه والفصل يشتمل على الوصية بامور اولها تقوى الله تعالى فانها العون الكبير

فيما اوصى به ثم بكثرة حمده تعالى على آلائه اليهم ونعمائه عليهم وبلائه لديهم وقد علمت معنى بلائه وانه يكون بالخير والشر كما
قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة واردف ذلك بتنبيههم بتخصيصهم بنعمه تعالى عليهم وتذكيرهم برحمته والرحمة كما
يراد بها صفة الله تعالى كذلك يراد بها آثاره الحسنة الخيرية كما هو مراده هنا في حق عباده واتى بلفظ التكثير ثم زاد في
تذكيرهم وصف الرحمة والنعمة فيها ستره عليهم حيث جاهروه بالمعصية التي ينبغي ان يستحيى منها وهو اقبحهم لها
بمرأى منه ومسمع ومنها امهاله لهم ان يبادرهم بالنقمة ويعاجلهم بالعقوبة حيث تعرضوا لاخذه بارتكاب
ومخالفة اوامره الثاني مما اوصاهم به ذكر الموت واقلال الغفلة عنه وذلك لما يستلزمه ذكره من الانزجار عن المعاصي
وذكر المعاد الى الله سبحانه ووعده ووعيده والرغبة عن الدنيا وتنغيص لذاتها كما قال الرسول صلى الله عليه وآله
اكثروا من ذكر هادم اللذات وانما استلزم ذلك لكونه مما يساعد العقل فيه الوهم على ضرورة وقوعه مع
على ما فيه من المشقة الشاقة ثم استفهمهم على غفلتهم عنه وطمعهم فيه مع كونه لا يغفلهم ولا يمهلهم استفهام توبيخ
ذلك ولاجل ما فيه من شدة الاعتبار قال فكفى بموتى عاينتموهم الى قوله صرعتهم وفي هذا القول زيادة موعظة على
ذكر الموت وهي شرح احوال من عاينوه من الموتى وذكر منها احوالا احدها كيفية حملهم الى قبورهم غير راكبين مع كونهم في
صورة ركوب منفور عنه الثانية انزالهم الى القبور على غير عادة النزول المتعارف المقصود كانهم في تلك الحال مع طول
مدتهم في الدنيا وعمارتهم لها وركونهم اليها لم يكونوا عمارا وكان الآخرة لم تزل لهم دارا ووجه التشبيه الاول انقطاعهم عنها
بالكلية وعدم خبرتهم فيها فاشبهوا من لم يكن فيها ووجه الثاني كون الآخرة هي مستقرهم الدائم الذي لا معدل لهم
عنه فاشبهت في ذلك المنزل الذي لهم دار الثالث ايحاشهم ما كانوا يوطنون من منازل الدنيا وساكنيها الرابعة ايطانهم
ما كانوا يوحشون من القبور التي اول منازل الآخرة الخامسة اشتغالهم بما فارقوا وذلك ان النفوس الراكنة الى الدنيا شغفا
لها المقبلة على الاشتغال بلذاتها يتمكن في جواهرها ذلك العشق لها وتصير محبتها ملكة متمكنة فيحصل لها بعد المفارقة لما احبته
من العذاب به والشقاء الاشقى بالنزاع اليه وعدم التمكن من الحصول عليه اعظم شغل واقوى شاغل واصعب بلاء وكل
بلاء تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد
السادسة اضاعتهم ما اليه انتقلوا وهو دار الآخرة ومعنى اضاعتهم لها تركهم للاسباب الموصلة الى ثوابها والمبعدة من
عقابها السابعة كونهم لا يستطيعون الانتقال عما حصلوا عليه من الاعمال القبيحة التي الزمتهم العذاب واكسبت نفوسهم
ملكات السوء وذلك ظاهر لان الانتقال عن ذلك لا يمكن الا في دار العمل وهي الدنيا الثامنة وكذلك لا من حسن يستطيعون
ازديادا اي من الاعمال الحسنة الموجبة للملكات الخيرية والثواب الدائم كما قال تعالى حكاية عنهم قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا
فيما تركت كلا الآية التاسعة انهم انسوا بالدنيا حتى غرتهم العاشرة كونهم وثقوا بها حتى صرعتهم والسبب في الاغترار بها
لهم حضور لذاتها المحسوسة مع قربهم من المحسوس وهو مستلزم للانس بها المستلزم للغرور بها والغفلة عما وراءها وهو مستلزم
للوثوق بها وهو مستلزم لصرعتهم في مهاوي الهلاك حيث لا تقال عثرة ولا تنفع ندامة واعلم ان ذكر الموت وان كان يستلزم
الاتعاظ والانزجار الا ان شرح الاحوال التي تعرض للانسان في موته ابلغ في ذلك لان كل حال منها منفور عنها طبعا وان كانت انما

النفرة عنها لكونها حالا تعرض للميت والمقرون بالمولم والمكروه مكروه ومولم ومنفور عنه طبعا الثالثة مما امرهم به على سبيل الوصية ان يسابقوا الى منازلهم التي امروا ان يعمروها والتي رغبوا فيها ودعوا اليها وهي منازل الجنة ومراتب الابرار فيها وعمارتها بالاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى النواميس الالهية وتحصيل الكمالات النفسانية عنها والمعنى ليسابق بعضكم بعضا الى منازلكم ومراتب درجاتكم من الجنة وعمارتها بتحصيل الكمالات النفسانية وموافقة الشرايع الالهية والامر بالمسابقة كقوله تعالى سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ والترغيب فيها كقوله تعالى وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون ونحوها الرابعة مما امرهم بالصبر على طاعة الله وعلى مجانبة المعصية ورغب فيه بكونه سببا لتمتيعهم بنعمة الله عليهم ولما كان استلزامه لها كالثمرة له وكانت ثمرة الصبر حلاوة فذكرها ليحلوا الصبر بذكرها وقوله فان غدا من اليوم قريب تخويف من الساعة وقربها ولم يرد بغد ولا اليوم حقيقتهما بل اراد بالغد القيمة وباليوم مدة الحياة كقوله فيما سبق الا وان اليوم المضمار وغدا السباق وهو يجري مجرى المثل كقولهم ما غد ما اقرب اليوم من غد وقوله ما اسرع الساعات في اليوم الى آخره بيان لقرب الغد الذي كنى به عن القيمة من اليوم فان الساعة سريعة الاتيان والانقضاء وسرعتهما مستلزمة لسرعة مجيء اليوم وانقضائه وسرعتهما مستلزمة لسرعة مجيء الشهر وانقضائه المستلزمين لسرعة مجيء السنة وانقضائها المستلزمين لسرعة انقضاء العمر العاملين فيه لكن انقضاؤه بالقيمة فاذن الساعات مستلزمة لسرعة انقضاء العمر وقرب غد من يومهم والتي في الكل للتعجب تاكيدا لبيان تلك السرعة وهو كلام شريف بالغ في الفصاحة والموعظة وبالله التوفيق ومن خطبة له

عليه السلم فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور الى اجل معلوم فاذا كانت لكم براءة من احد فقفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة لان الهجرة قائمة على حدها الاول ما كان لله في اهل الارض حاجة من مستسر الامة ومعلنها لا يقع اسم الهجرة على احد الا بمعرفة الحجة في الارض فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة فسمعتها اذنه ووعاها قلبه ان امرنا صعب مستصعب لا يحمله الا عبد امتحن الله قلبه للايمان ولا يعي حديثنا الا صدور امينة واحلام رزينة ايها الناس سلوني قبل ان تفقدوني فلانا بطرق السماء اعلم مني بطرق الارض قبل ان تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب باحلام قومها اقول العواري بالتشديد جمع عارية قيل كانها منسوبة الى العار اذ في طلبها عار والبراءة التبري وتشغر البلاد اذا خلت من مدبرها وفي الفصل مسائل الاولى قوله فمن الايمان الى قوله اجل معلوم قسمة للايمان الى قسمين ووجه الحصر فيهما ان الايمان لما كان عبارة عن التصديق بوجود الصانع سبحانه وماله من صفات الكمال ونعوت الجلال والاعتراف بصدق الرسول صلى الله عليه وآله وما جاء به فذلك الاعتقاد ان بلغت حد الملكات في النفوس فهي الايمان الثابت المستقر في القلب وان لم يبلغ حد الملكة بل كانت بعد حالات في معرض التغير والانتقال فهي العواري المتزلزلة واستعار لها لفظ العواري باعتبار كونها في معرض الزوال كما ان العواري في معرض الاسترجاع والرد وكنى بكونها بين القلوب والصدور عن كونها غير مستقرة في القلوب ولا متمكنة من جواهر النفوس وقال بعض الشارحين اراد ان من الايمان ما يكون على سبيل الاخلاص ومنه ما يكون على سبيل النفاق وقوله الى اجل

معلوم ترشيح لاستعارة العواري اذ كانت من شانها ان تستعار الى وقت معلوم ثم ترد فكذلك ما كان بمعرض الزوال والتغير من الايمان وهذه القسمة الى هذين القسمين هي الموجودة في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه وفي نسخ كثيرة من الشارحين ونسخ كثيرة معتبرة ونقل الشارح عبد الحميد ابن ابي الحديد رحمه الله في النسخة التي شرح الكتاب عليها انه ثلثة اقسام هكذا فمن الايمان ما يكون ثابتا مستقرا في القلوب ومنه ما يكون عواري في القلوب والصدور الى اجل معلوم قال في بيانها ما هذه خلاصته ان الايمان اما ان يكون ثابتا مستقرا في القلوب بالبرهان وهو الايمان الحقيقي او ليس بثابت بالبرهان بل بالدليل الجدلي كايمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ويعتقد ما يعتقده عن اقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان وقد سماه عليه السلم عواري في القلوب اي انه وان كان في القلب الذي هو محل الايمان الحقيقي الا ان حكمه حكم العارية في البيت فانها بعرضية الخروج منه واما ان لا يكون مستندا الى برهان ولا الى قياس جدلي بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالاسلاف او بامام يحسن الظن به وقد جعله عليه السلم عواري بين القلوب والصدور لانه دون الثاني فلم يجعله حالا في القلب لكونه اضعف مما قبله واقرب الى الزوال ثم رده قوله الى اجل معلوم الى القسمين الاخيرين لان من ثبت ايمانه بالقياس الجدلي قد يبلغ الى درجة البرهان اذا انعم النظر ورتب المقدمات اليقينية ترتيبا منتجا وقد تضعف مقدماته في نظره فيخط الى درجة المقلد فيكون ايمان كل منهما الى اجل معلوم لكونه في معرض الزوال واقول ان صحت هذه فالمعنى يعود الى ما قلناه من القسمة فان العلم بما يشتمل عليه البرهان من الايمان ان بلغ الى حد الملكة فهو الثابت المستقر والا فهو العارية والذي اراه ان القسم الثاني مكرر وقع من قلم الناسخ سهوا والله اعلم الثانية قوله فاذا كانت لكم براءة الى قوله حد البراءة معناه انكم اذا اردتم التبري من احد من اهل الكبائر فقفوه اي اجعلوه موقوفا الى حال الموت ولا تسارعوا الى البراءة منه قبل الموت فان اشد الكبائر واعظمها الكفر وجائز من الكافر ان يسلم فاذا بلغ منتهى الحياة وحدها ولم يقلع عن كبيرته فذلك الحد هو حد البراءة الذي يجوز ان توقعوها معه اذ ليس بعد الموت حال ترتجى وتنتظر قال بعض الشارحين والبراءة التي اشار عليه السلم اليها هي البراءة المطلقة لا كل براءة اذ يجوز لنا ان نتبرأ من الفاسق وصاحب الكبيرة في حياته براءة مشروطة اي ما دام مصرا على كبيرته الثالثة قوله والهجرة قائمة على حدها الاول لما كانت حقيقة الهجرة ترك منزل الى منزل آخر لم يكن تخصيصها عرفا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله ومن تبعه وهاجر اليه من مكة الى المدينة مخرجا لها عن حقيقتها وحدها اللغوي اذ كان ايضا كل من ترك منزله الى منزل آخر مهاجرا اذا عرفت ذلك فنقول ان مراده عليه السلم من بقاء الهجرة على حدها الاول بقاء صدقها على من هاجر اليه والى الائمة من اهل بيته في طلب دين الله وتعرف كيفية سلوك الصراط المستقيم كصدقها على من هاجر الى الرسول صلى الله عليه وآله وفي معناها ترك الباطل الى الحق وبيان هذا الحكم بالمنقول والمعقول اما المنقول فمن وجهين احدهما قوله تعالى وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كثيرا وسعة فقد سمى من فارق وطنه وعشيرته في طلب دين الله وطاعته مهاجرا وقد علمت في اصول الفقه ان من للعموم فوجب ان يكون كل من سافر لطلب دين الله من معادنه مهاجرا الثاني قول الرسول صلى الله عليه وآله المهاجر من هجر

في القلوب ومنه ما يكون عواري

ما حرم الله عليه وظاهر ان من هاجر معصية الائمة الى طاعتهم والاقتداء بهم فقد هاجر ما حرم الله عليه فكان اسم المهاجر صادقا عليه واما المعقول فلان المفارق لوطنه الى الرسول عليه السلم مهاجر فوجب ان يكون المفارق لوطنه الى من يقوم مقامه من ذريته الطاهرين مهاجرا لصدق حد الهجرة في الموضعين ولان المقصود ليس الا اقتباس الدين وتعرف كيفية سبيل الله وهذا المقصود حاصل ممن يقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله من الائمة الطاهرين بحيث لا فرق الا النبوة والامامة ولا مدخل لاحد هذين الوصفين في تخصيص مسمى الهجرة بمن قصد الرسول صلى الله عليه وآله دون من قصد الائمة فوجب عموم صدقه على من قصدهم فان قلت هذا معارض بقوله صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح حتى شفع عمه العباس في نعيم بن مسعود الاشجعي ان يستثنيه فاستثناه قلت يحمل ذلك على انه لا هجرة من مكة بعد فتحها الى المدينة توفيقا بين الدليلين وسلب الخاص لا يستلزم سلب العام واعلم ان فائدة هذا القول الى الدين واقتباسه منه ومن اهل بيته عليهم السلم بذكر الهجرة والتنبيه بها وما اشتملت عليه من الفضيلة على ان الترك لاهله ووطنه اليهم طلبا للدين منهم يلحق بالمهاجرين الاولين في مراتبهم وثوابهم الرابعة قوله ما كان لله في الارض حاجة الى قوله ومعلنها قال قطب الدين الراوندي رحمه الله ما ههنا نافية اي لم يكن في اهل الارض ممن استسر دينه او اعلنه والظهر حاجة ومن هنا البيان الحسن وانكر الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كون ما نافية وقال يلزم منه كون الكلام منقطعا بين كلامين متواصلين وجعلها هو بمعنى المدة اي والهجرة قائمة على حدها ما دام لله في اهل الارض من استسر دينه او اعلنه حاجة اي ما دامت العبادة مطلوبة لله تعالى من اهل الارض بالتكليف وهو كقولك في الدعاء اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي ويكون لفظ الحاجة مستعارا في حقه تعالى باعتبار طلبه للعبادة بالاوامر وغيرها كطلب ذي الحاجة لها واقول انه غير بعيد ان تكون نافية مع اتصال الكلام بما قبله ووجهه انه لما رغب الناس في طلب الدين والهجرة فكانه اراد ان يرفع حكم الوهم بما عساه يحكم به عند تكرار طلب الله للدين والعبادة من حاجته تعالى اليهما من خلقه كتكرر طلبه لهما بتواتر الرسل والاوامر الشرعية ويصير معنى الكلام ان الهجرة باقية على حدها الاول في صدقها على الساعي لطلب الدين فينبغي للناس ان يهاجروا في طلبه الى ائمة الحق وليس ذلك لان لله تعالى الى اهل الارض ممن استسر دينه او اظهره حاجة فانه تعالى الغني المطلق الذي لا حاجة به الى شيء الخامسة قوله لا يقع اسم الهجرة الى قوله قلبه اشار بالحجة في الارض الى امام الوقت لانه حجة في ارضه على عباده يوم القيمة وشاهد عليهم وهذا الكلام تفسير لمواقع اسم الهجرة وبيان لمن تصدق عليه فشرط صدقها على الانسان بمعرفته لامام وقته وذلك لان الامام هو الحافظ للدين ومعدنه الذي يجب اخذه عنه فيكون قصده لذلك مشروطا بمعرفته فاذن اطلاق اسم الهجرة عليه مشروط بمعرفة امام الوقت فلذلك قال لا يقع اسم الهجرة على احد الا بعد معرفة الحجة في الارض وقوله فمن عرفها واقر بها فهو مهاجر يحتمل ان يريد به ان شرط اطلاق اسم المهاجر على الانسان مشروط بمعرفة امام الوقت بالمشاهدة للسفر اليه كما هو الظاهر من لفظ المهاجر ويحتمل ان يريد ان مجرد معرفة الامام والاقرار بوجوب اتباعه والاخذ عنه وان كان بالاخبار عنه دون المشاهدة كاف في اطلاق اسم الهجرة على من عرفه كذلك دون السفر اليه كما يكفي في اطلاقه على

تارك ما حرم الله بمقتضى قول الرسول صلى الله عليه وآله والمهاجر من ترك ما حرم الله عليه وقوله ولا يصدق اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة اي اخبار الحجة فحذف المضاف ويحتمل ان يريد بالحجة نفس الاخبار التي تنقل عن الامام وتجب العمل بها قال قطب الدين الراوندي يمكن ان يشير بهذا الكلام الى احد آيتين احداهما قوله تعالى ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم فيكون مراده عليه السلام على هذا انه لا يصدق اسم الاستضعاف على من عرف الامام وبلغته احكامه ووعاها قلبه وان بقي في وطنه لم يتجشم السفر الى الامام كما صدق على هؤلاء المذكورين في الآية والثانية قوله تعالى بعد ذلك الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اولئك عسى الله ان يعفو عنهم فيكون مراده على هذا ان من عرف الامام وسمع مقالته ووعاها قلبه لا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما صدق على هؤلاء اذ كان المراد بهم الموجودين في عصر الرسول صلى الله عليه وآله والمهاجرين بالابدان دون من بعدهم بل ينبغي منه بمعرفته والعمل بقوله بدون المهاجرة اليه بالبدن واقول يحتمل ان يريد بقوله ذلك انه لا عذر لمن بلغته دعوة الحجة فسمعها في تأخره عن النهوض والمهاجرة اليه مع قدرته على ذلك ولا يصدق عليه اسم الاستضعاف كما صدق على المستضعفين من الرجال والنساء والولدان حتى يكون ذلك عذرا له بل يكون في تأخره مستحقا للعقاب كالذين قالوا كنا مستضعفين في الارض ويكون مخصوصا بالقادرين على النهوض كما قلناه دون العاجزين فان اسم الاستضعاف صادق عليهم وهذا الاحتمال انما يكون جائز الارادة من هذا الكلام على تقدير ان يكون اطلاق اسم المهاجر على الانسان في المتقدم مشروطا بمعرفة الامام بالمشاهدة والسفر اليه اذ لو جاز ان يطلق عليه المهاجرة مع عدم السفر الى الامام لما كان في تأخره عنه السادسة قوله ان امرنا صعب مستصعب فامرهم شأنهم وما هم عليه من الكمال الخارج عن كمالات من عداهم من الانام والاطوار التي تختص بها نفوسهم وراء عقول غيرهم من الخلق فيكون لهم عن ذلك القدرة على ما لا يقدر عليه غيرهم ولا ادراكا للامور الغيبية بالنسبة الى غيرهم والاخبار عنها كالوقائع التي يحكى عنها عليه السلم انه وقعت على وفق قوله وكالاحكام والفضائل التي اختص بها ونقلت عنه فان هذا الشأن صعب في نفسه لا يقدر عليه الا الانبياء واوصياء الانبياء ومستصعب الفهم على الخلق يعجز عن احتمال ما يلقى منه من الاشارات والاخبارات عما سيكون والقدرة على ما يخرج عن وسع مثلهم ولا يحتمله ويصدقه الا نفس عبد امتحنها الله للايمان كقوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي اعدها للايمان والابتلاء بالتكاليف العقلية والنقلية لحصول الايمان الكامل اليقيني بالله ورسوله وكيفية سلوك سبيله وتحلت بالكمالات العلمية والفضائل الخلقية حتى عرفت مبادي كلامهم ومقاديرها وكيفية صدور مثل هذه الغرائب عنها فلا تستنكر ما يأتون به من قول او فعل وتلقاه بالتكذيب كما كانت جماعة من اصحابه عليه السلم يقولون ذلك معه فيما كان يخبر به عن الغيب حتى اتهموه فقال يقولون يكذب قاتلهم الله فعلى من اكذب اعلى الله وانا اول من آمن به او على رسوله وانا اول من صدقه كما حكيناه ذلك فيما سبق بل يحمل كل ما يأتون به على وجهه ويسند الى مبدأه ويفرح بوصول ما يرد عليها من اسرارهم الالهية واما انهم هم اصحاب الصدور الامينة التي تعي ما يلقى اليها من تلك الاسرار وتصونها عن الاذاعة الى من لا يحتمل بها

باهل لها فهي مأمونة عليها واولوا الاحلام الرزينة التي لا يستفزها سماع تلك الغرائب ومشاهدتها فتهم بجحدها لذلك على انها
واستنكارها بل يحملها على الصواب ما وجدت له محملا فاذا عجزت عن معرفتها اختبت فيها وامنت بها على سبيل الاجمال
وفوضت علم كنهها الى الله سبحانه واراد قلوب صدور رابية او اصحاب صدور رابية واصحاب احلام رزينة فحذف
المضاف ويحتمل ان يكون قد اطلق اسم الصدور والاحلام مجازا عن اهلها اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق وقد نقل عنه
عليه السلام مثل هذا الكلام في غير هذا الموضع من جملة خطبة له ان قريشا طلبت السعادة فشقيت وطلبت النجاة فهلكت
وطلبت الهدى فضلت الم يسمعوا ويحهم قوله تعالى الذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم فاين
المعدل والمنزع من ذرية الرسول الذين شيد الله بنيانهم فوق البنيان واعلى رؤسهم فوق رؤسهم واختارهم
عليهم الا ان الذرية افنان انا شجرتها ودوحة انا ساقها واني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء كنا ظلالا تحت العرش
قبل خلق البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر اشباحا عالية لا اجساما نامية ان امرنا صعب مستصعب
لا يعرف كنهه الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للايمان فاذا انكشف لكم سر او وضح لكم امر فاقبلوه والا
فاسكتوا تسلموا وردوا علمه الى الله فانكم في اوسع مما بين السماء والارض وفي قوله واني من احمد بمنزلة الضوء من الضوء
وقوله كنا ظلالا الى قوله نامية اشارة لطيفة اما الاول فاشارة الى ان الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية
بواسطة كمالات نفس النبي صلى الله عليه وآله اشبه الاشياء بصدور الضوء كشعلة مصباح اقتبست من شعلة
مصباح اكبر واعلى ومن العادة في عرف المجردين واولياء الله وكلامهم تمثيل النفوس الشريفة والعلوم بالانوار
لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنهما مع لطفها وصفائها واما الثاني فيحتمل ان يكون قد اشار بكونهم ظلالا
تحت العرش قبل خلق البشر اشباحا بلا اجسام الى وجودهم في العلم الالهي فانه قد يعبر عنه في بعض المواضع بالعرش
واستعار لفظ الاظلال لهم باعتبار كونهم مرجعا للخلق وملجأ كالاظلال وقد سبقت الاشارة الى ذلك او قريب منه
اوضح في الخطبة الاولى السابقة ايها الناس وقال سلوني قبل ان تفقدوني الى قوله الارض واجمع الناس على انه
لم يقل احد من الصحابة واهل العلم سلوني غير علي عليه السلام ذكره الشيخ ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب واراد بطرق السماء
الهداية الى معرفة سكان السموات من الملأ الاعلى ومراتبهم من حضرة الربوبية ومقامات انبياء الله وخلفائه من حظائر
القدس وانتقاش نفسه القدسية عنهم باحوال الافلاك ومدبراتها والامور الغيبية مما يتعلق بالفتن والوقائع
اذ كان له عليه السلام الاتصال التام بتلك المبادي فبالحري ان يكون عالما بها اعلم منه بطرق الارض
الى منازلها وقد سبق مثله كقوله سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن فئة تضل مائة وتهدي مائة الا انبأتكم بناعقها
وقائدها وقد حمله قوم على وجه اخر وقالوا اراد بطرق السماء الاحكام الشرعية والفتاوى الفقهية اي انه اعلم بها من
الدنيوية فعبر عن تلك بطرق السماء لكونها احكاما الهية وعبر عن هذه بطرق الارض لانها من الارضية ونحو ما نقل
عن الامام الوبري انه قال اراد ان علمه بالدين اوفر من علمه بالدنيا وقوله قبل ان تشغر برجلها فتنة الى المراد فتنة
امية واحكامهم الهادلهم عن العدل وما لحق الناس في دولتهم من البلاء وكنى بتشغر برجلها عن خلوها من مدبر

ويردها

ويردها بعد الامور وينظم الدين حين وقوع الجور وقوله تطأ في خطامها استعارة لوصف الناقة التي ارسل خطامها وخلت
عن القائد في طرقها فهي تخبط في خطامها وتعثر فيه وتطأ من يقرب من الناس على غير نظام من حطامها وهذا هو وجه الاستعارة
اذ كانت هذه الفتنة تقع في الناس على غير قانون شرعي ولا طريق مرضي ولا قائد ينظم امور الخلق فيها وقوله وتذهب باحلام
قومها قال بعض الشارحين اي تحير اهل زمانها وتذهلهم بشدتها حتى لا يهتدون فيها بل تطيش الالبابهم فلا يهتدون الى
الخلاص منها ووجه السلامة منها ويحتمل ان يريد بذلك انها تستخف اهل زمانها فيأتون اليها مسرعين ويجيبون الناعق بها
والداعي اليها رغبة ورهبة فلا يتأنون في ذلك ولا يتحصنون عن كونها فتنة لغفلتهم عن وجه الحق فيها وشدة وقعها
على الناس ومن خطبة له عليه السلام احمده شكرا لانعامه واستعينه على وظائف حقوقه عزيز الجند عظيم المجد واشهد ان
محمدا عبده ورسوله دعا الى طاعته وقاهر اعداءه جهادا عن دينه لا يثنيه عن ذلك اجتماع على تكذيبه والتماس لاطفاء
نوره فاعتصموا بتقوى الله فان لها حبلا وثيقا عروته ومعقلا منيعا ذروته وبادروا الموت وغمراته وامهدوا له قبل
حلوله واعدوا له قبل نزوله فان الغاية القيامة وكفى بذلك واعظا لمن عقل ومعتبرا لمن جهل وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون
من ضيق الارماس وشدة الابلاس وهول المطلع وروعات الفزع واختلاف الاضلاع واستكاك الاسماع وظلمة اللحد
وخيفة الوعد وغم الضريح وردم الصفيح فالله الله عباد الله فان الدنيا ماضية بكم على سنن وانتم والساعة في قرن وكانها قد
جاءت باشراطها وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها وكانها قد اشرفت بزلازلها واناخت بكلاكلها وانصرفت الدنيا
باهلها واخرجتهم من حضنها فكانت كيوم مضى او شهر انقضى وصار جديدها رثا وسمينها غثا في موقف ضنك المقام
وامور مشتبهة عظام ونار شديد كلبها عال لجبها ساطع لهبها متغيظ زفيرها متأجج سعيرها بعيد خمودها ذاك وقودها
مخوف وعيدها عم قرارها مظلمة اقطارها حامية قدورها فظيعة امورها وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة
زمرا قد امنوا العذاب وانقطع العتاب وزحزحوا عن النار واطمأنت بهم الدار ورضوا المثوى والقرار الذين كانت
اعمالهم في الدنيا زاكية واعينهم باكية وكان ليلهم في دنياهم نهارا تخشعا واستغفارا وكان نهارهم ليلا توحشا
وانقطاعا فجعل الله لهم الجنة مآبا والجزاء ثوابا وكانوا احق بها واهلها في ملك دائم ونعيم قائم فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز
فائزكم وباضاعته يخسر مبطلكم وبادروا آجالكم باعمالكم فانكم مرتهنون بما اسلفتم ومدينون بما قدمتم وكان قد نزل
بكم المخوف فلا رجعة تنالون ولا عثرة تقالون استعملنا الله واياكم بطاعته وطاعة رسوله وعفا عنا وعنكم بفضل رحمته
الزموا الارض واصبروا على البلاء ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم فانه من مات منكم
على فراشه وهو على معرفة حق ربه وحق رسوله واهل بيته مات شهيدا ووقع اجره على الله واستوجب ثواب ما نوى
من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته لسيفه فان لكل شيء مدة واجلا اقول الوظيفة ما تقدر للانسان في كل وقت
من طعام او رزق او عمل والحبة بعض في المعقل الملجأ والذروة اعلاه والمهد له اي اتخذوا له مهادا وهو الفراش والارماس
جمع رمس وهو القبر والابلاس الانكسار والحزن والمطلع الاطلاع من اشراف الى سفل وهوله خوفه وفزعه والروعة
الفزعة واستكاك الاسماع صممها والصفيح الحجارة العراض وردمها سد القبر بها والسنن الطريقة والقرن الحبل يقرن به

ولتركها لها اعلاما نهاوازفت دنت وافراطها سعد ما بعدها ومنه افراط الصبح اوايل تباشيره والرث الخلق والغث المهزول
الضبو والكلب الشره والجلب الصوت والشاطع المرتفع وسعيرها لهبها وناجمة الشدة اوحرها ووقودها بفتح الواو وهو
وتكلب معضود الشعلة ووفاعة الامر شدته ومجاوزة المقدار والزمر الجماعات واحدها زمرة وزجر حوا بعدوا والحلق
سكت والمثوي المقام والكلب المرج ومدينون مجزيون واصلا ثم يشبه بجرحه به واعلم انه عليه السلم اثنا حمد الله
نعمايه ونصب شكرا على المصدر عن قوله احمد من غير لفظه اذ المراد بالحمد هنا الشكر بقرينة ذكر الانعام ثم اردفه بطلب
المعونة على ما وظف عليه من حقوقه من واجباتها ونوافلها كالصلوات والعبادات التي ارتضاها منهم شكرا للنعماء ولما اعترت
كانت مما يستحق الشكر لما استلزمته الموافقة عليها من السعادة الحقيقية الباقية كما سبق بيانه وقوله عزيز الجند نصب على الحال
والاضافة غير محضة والعامل استعينه وكذلك قوله عظيم المجد اي استعينه على اداء حقوقه حال ما هو بتلك الاعتبارات
باعتبار ما هو عزيز الجند عظيم المجد يكون سائلا للملك قديرا على ما يسأله فكان مبدأ للاستعانة على اداء وظايف حقوقه ثم اردفه
بشهادة برسالة محمد صلى الله عليه وآله وذكر احواله التي كانت مبادي لظهور الدين الحق ليقتدي السامعون صلى الله عليه
في تلك الاحوال وهي دعوته الى الدين ومقاهرة الاعداء وهم الكفار على اديانهم ونصب جهادا على انه مصدر سد مسد
الحال او نصب المصادر عن قوله قاهر من غير لفظه اذ في قاهر معنى جاهد وعن دينه متعلق بجهادا الا لا الاقرب يحتمل
التعلق بقاهر وقوله لا يثنيه اي لا يصرفه عن دعوته ومقاهرته لاعدائه اجتماع الخلق على تكذيبه والتماسهم لاطفاء نوره ولفظ
النور مستعار لما جاء به من الكمالات الهادية الى سبيل الله ثم نبههم على تلك الاحوال التي مبدأها تقوى الله فقال امرهم بلا
بها اي فاعتصموا بتقوى الله كما اعتصم نبيكم بها في اظهار دينه وسلوك سبيله على ذلك ولا تخافوا من عدو مع كثرتكم كما لم يخف
مع وحدته فان للتقوى حبلا وثيقا عروته من تمسك به واعتصم لم يضره عدو ومعقلا منيعا ذروته من لجأ اليه لم يصل
سوء ولفظ الحبل والمعقل مستعاران للتقوى وقد سبق بيان هذه الاستعارات ثم اكد ذلك الامر بالامر بمبادرة الموت
ومعنى مبادرته مسابقته الى الاستعداد بالاعمال الصالحات كانهم يسابقون الموت حذرا ان يلحقهم من العذاب قبل وصفها
بعدة الى الاستعداد بالاعمال الصالحة فيحصلوا ملكات صالحة تكون مهادا لهم قبل حلوله بهم كيلا يفجئهم قبل ان يمهدوا
عدة لانفسهم قبل نزوله عليهم بالتقوى بها كيلا يوثر في نفوسهم كثيرا اثر كاشر ساقهم الى انفسهم ليقطعهم عن ذلك الاستعداد
فيكون سببا لوقوع العذاب بهم وقوله فان الغاية القيامة تحذير بذكر الغاية وتذكير باهوالها الموعودة اي فان غايتكم القيامة
لابد لكم منها ولكلكم تلك الغاية هي لازم الموت كما قال عليه السلم من مات فقد قامت قيامته كان امره بالاستعداد للموت
امرا بالاستعداد لها وذلك الثاني بعد الامر بالاستعداد بقوله فان فيها على وجوب ذلك الاستعداد ضمير ثم كرر صغرى قياس
الكبرى وكل من كانت غايته القيمة فواجب ان يستعد لها وقوله وكفى بذلك اي بذكر الموت وغمراته والقيمة واهوالها
من عقل لكون المقصود بالخطاب الشرعي ومعتبرا اي محلا للاعتبار والعلم وظاهر كون الموت عظة ولهذه البنية التامة
التي احكم بنيانها ووضعت بالوضع العجيب والترتيب اللطيف وهدمه لها واعظا لمستبصر النفوس عن متابعة هواها
تعف منه على ان وراء هذا الوجود وجودا اعلى واشرف منه لولاه لما عطلت هذه البنية المحكمة المتقنة وكان ذلك بعد احكامها

وانقاضها

وانقاضها سفها ينافي الحكمة كما ان الانسان اذا بنى دارا واحكمها وزينها بزينة الالوان البهية فلما تمت وحصلت غايتها هدمها
فانه يعد في العرف سفيها عابثا اللهم الا وكان غرضه من ذلك الوصول الى غاية يحصل بوجودها وقتا ما ثم يستغني عنها بان هدمها
فكذلك هذه البنية لما كان الغرض منها استكمال النفوس البشرية الكمالات التي يستفاد من جهتها من العلوم ومكارم
الاخلاق ثم الانتقال منها الى عالمها جاز لذلك خرابها وفسادها بعد حصول ذلك الغرض منها وقوله وقبل بلوغ ما تعلمون
ثم قبل بلوغ ما تعلمون ~~سلف على قوله~~ تروله وقوله من ضيق الارماس الى قوله الفضيع تفصيل لما تعلمون من احوال الموت
وظاهر ان القبور ضيقة بالقياس الى مواطن الدنيا وان النفوس عند مفارقتها اياها شديد الوحشة فيها على ما فارقته وما
لاقت من الاهوال التي كانت غافلة عنها وان لما اشرفت عليه من احوال الاخرة هولا وفزعا تطير منه الالباب وفي المروع
بك من هول المطلع وانما حسن اضافة روعات الى الفزع وان كان الروع هو الفزع باعتبار تعددها وهي من حيث هي كذلك مجموع
اوراد ماهية الفزع فجاز اضافتها اليه واختلاف الاضلاع كناية عن ضغطة القبر اذ يحصل بسببها تداخل الاضلاع
واختلافها واستكاك الاسماع ذهابها بشدة الاصوات الهايلة ويحتمل ان يريد ذهابها بالموت وانما قال خيفة
لان الوعد قد يستعمل في الشر والخير عند ذكرهما قال ولا بعد في الشر والخير مهمل فاذا سقطوا ذكرهما الا ان قوله خيفة
على وجود الشر وكان كالقرينة وغم الضريح الغم الحاصل والوحشة المتوهمة فيه اذا كان النفوس من الهيات المتوهمة كونها
مقبورة مضيقا عليها بعد فسحة المنازل الدنيوية وسائر ما ذكره عليه السلم من الاهوال وانما عدد هذه الاحوال الكاينة
في معرض الوعظ والتخويف وكون هذه الامور مخوفة مستوحشا منها طبعا ثم اكد ذلك التخويف بالتحذير من الله وعلل
ذلك التحذير بكون الدنيا ماضية على سنن اي على طريقة واحدة لا يختلف حكمها فكما كان من شانها ان اهلكت القرون
الماضية وفعلت بهم وبآثارهم ما فعلت وصيرتهم الى الاحوال التي عددناها فكذلك فعلها بكم وقوله وانتم والساعة في
كناية عن قربها القريب منهم حتى كانهم معها في قرن واحد وقوله وكانها قد جاءت باشراطها تشبيه لها في سرعة مجيئها
جاءت وحضرت واكد ذلك التشبيه بعد الميدة لضيق المجيء وعلاماتها كظهور الدجال ودابة الارض وظهور المهدي
وعيسى عليهما السلم الى غير ذلك وكذلك قوله وازفت بافراطها ووقفت بكم على صراطها الى قوله وسمينها غثا اي ونحن
ووقوفها بكم على صراطها وهو الصراط المعهود فيها وكانها اي اشبهت فيما يتوقع منها من هذه الاحوال في حكم حلولها في
ايقافها بكم وتحقيقها فيكم واستعار لفظ الكلاكل لاهوالها الثقيلة ووصف الاناخة لحلول تلك الاهوال عليهم لاحظا في
تشبيهها بالناقة وانما حسن جمع الكلاكل لها باعتبار تعدد اهوالها الثقيلة النازلة بهم وكذلك الاهوال من قوله وانا خرجت
الى قوله وصار سمينها غثا معطوفا بعضها على بعض داخلة في حكم التشبيه اي وكان الدنيا قد انصرفت باهلها وكانهم قد
اخرجتهم من حضنها الى اخر الاحوال والمشبه الاول هو الدنيا باعتبار حالها الحاضرة والمشبه به انصرافها باهلها وزوالها
الشبه سرعة المضي اي كانها من سرعة تحولها الحاضرة كالتي وقع انصرافها وكذلك الوجه في باقي التشبيهات واستعار لفظ
لها ملاحظة لتشبيهها بالام التي تحضن ولدها فينزع من حضنها والسمين والغث يحتمل ان يريد بهما الحقيقة ويحتمل ان يكني
عن ما كثر من لذاتها وخيراتها وتغير ذلك بالموت وزواله وقوله في موقف يتعلق بصار والموقف هو موقف القيمة وظاهر ان

جديد الدنيا يوم تذهب كل نفس تحت ضيق الموقف لما لكثرة الخلق يومئذ وازدحامهم او لقصور الوقوف به وطول مدته مما
يتوقع الظالمون لانفسهم من نيل المكروه بهم والامور المشتبهة العظام احوال الآخرة واشتباهها كونها مشتبهة بحيث
في وجه الخلاص منها والاعتبار بحكم بكونها عظيمة وظاهر كون النار شديدة الشرور وقد نطق القرآن الكريم بالكثرة او صعوبها
عليه السلام بعينها من علو اصواتها وسطوع لهيبها وتغيظ زفيرها كقوله تعالى اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا وهي تفور
تكاد تميز من الغيظ وقوله سمعوا لها تغيظا وزفيرا ولفظ التغيظ مستعار للنار باعتبار حركتها الشديدة وخفقها
او باعتبار استلزام حركتها للاذى والشرور وقوله عم قرارها اسند العمى الى قرارها مجازا باعتبار انه لا يهتدى فيه لظلمته
او لان عمقه لا يوقف عليه لبعده ولما استعار لفظ الحمى رشح بذكر القدور وظاهر فظاعة تلك الامور وشدتها وكل تلك الامور
عددها في معرض التخويف لكونها مخوفة تنفيرا عما يلزم عنه من ترك التقوى واتباع الهوى ثم ساق الآية اقتباسا ونسق
احوال المتقين في الآخرة اللازمة عن تقواهم وهي امنهم من العذاب وانقطاع العقاب عنهم وابعادهم عن النار ولطيبا
الدار التي هي الجنة بهم ورضاهم بها مثوى وقرارا ترغيبا في التقوى بذكر لوازمها ثم اردف ذلك بصفات المتقين
ايضا لمن عسى ان لا يعرفها فقال هم الذين كانت اعمالهم في الدنيا زاكية اي طاهرة من الرياء والشرك الخفي واعينهم باكية
اي من خشية الله وخوف عقابه وحرمانه وكان ليلهم في دنياهم نهارا اي جعلوا ليلهم نهارا في كونه محل حركاتهم في عبادة
ربهم وتخشعهم لدوام استغفارهم اياه فاشبه النهار الذي هو محل حركات الخلق ولهذا الشبه استعار لفظ النهار لليل
وكذلك استعار لفظ الليل للنهار ووجه الاستعارة كون النهار محلا لتوحشهم من الخلق وانقطاعهم عنهم واعتزالهم
اياهم كالليل الذي هو محل انقطاع الناس بعضهم عن بعض وافتراقهم وفي نسخة الرضي رحمه الله بخطه كان الليل
نهارا في القرينة الاولى ورفع ليل في الثانية ووجه التشبيه هو ما ذكرناه وكانه يقول فلما استعدوا واشتدت الصفات
على الفضائل والكمالات واستوجبوا رضا الله تعالى عنهم جعل الله لهم الجنة مرجعا ومآبا وما اعد فيها من جزاء النعيم فلما
وكانوا احق بها واهلها وهو اقتباس وقوله في تلك الى قوله قائم اي مقيم تفسير للجزاء ثم اكد الامر بالتقوى بعناية في عبادة
اخرى نبه فيها على بعض لوازمها وذلك ان فوز الفائزين انما يكون بالتقوى ولزوم الاعمال الصالحات والمبطلون هم
الذين لا حق معهم فهم الخارجون عن التقوى الحق فوا بما لحقهم الخسران بالخروج عنها وقوله وبادروا الموت اي في
اجالكم بالاعمال الصالحة التي الاستعداد بها قبل ان يسبقكم الى انفسكم فيقطعكم عن الاستعداد بتحصيل الازواد ليوم المعاد
ونبههم بقوله طلبكم الى قوله قد مثم على ارتهانهم بذنوبهم السالفة والجزاء عليها في القيمة ليبادروا الى فكاكها بالاعمال الصالحة
والسلامة من الجزاء عليها ولفظ المرتهن مستعار للنفوس الاثمة باعتبار تقيدها بالسيئة والملازمة بالحسنة كتقيد
الرهن المتعارف بما عليه من المال وافتكاكه بادائه واطلاق لفظ الجزاء على العقاب مجاز اطلاقا لاسم احد الضدين
على الآخر وقوله وكان قد نزل هي المخففة من كان للتشبيه واسمها ضمير الشان والمقصود تشبيه حالهم وقتئذ بحال
نزول المخوف وهو الموت بهم وتحققه في حقه الذي يلزمه ويترتب عليه عدم سؤالهم الرجعة والقاتهم العثرة
ثم عقب بالدعاء لنفسه ولهم باستعمال الله اياهم في طاعته وطاعة رسوله وذلك الاستعمال بتوفيقهم لاسباب الطاعة

وعدادهم لها وافاضة صورة الطاعة على قواهم العقلية والبدنية وجوارحهم التي بسببها يكون السعادة القصوى ثم ما
يلزم ذلك الاستعمال من العفو عن جرائمهم وانما نسبها الى فضل رحمته لكونه مبدأ للعفو والمسامحة من جهة ما هو رحيم
وذلك من الاعتبارات التي تحدثها عقولنا الضعيفة وتجعلها من صفات الكمال كما سبق بيانه في الخطبة الاولى ثم عقب
وعظهم وتحذيرهم والدعاء لهم بامرهم ان يلزموا الارض ويصبروا على ما يلحقهم من بلاء اعدائهم ومخالفيهم في
العقيدة كالخوارج والبغاة على الامام بعده من ولده والخطاب خاص بمن يكون بعده بدلالة سياق الكلام ولزوم
الارض كناية عن الصبر في مواطنهم وقعودهم عن النهوض لجهاد الظالمين في زمن عدم قيام الامام الحق بعده عليه السلام
وقوله ولا تحركوا بايديكم وسيوفكم وهوى السنتكم نهي عن الجهاد من غير امر احد من الائمة من ولده بعده وذلك عند
عدم قيام من يقوم منهم لطلب الامر فانه لا يجوز اجراء هذه الحركات الا باشارة من امام الوقت وهوى السنتهم ميلها
الى السب والشتم موافقة لهوى النفوس والباء في بايديكم زائدة ويحتمل ان يكون مفعول تحركوا محذوفا وتقديره شيئا
لا تحركوا بهوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم من ذلك الجهاد وقوله فانه من مات منكم الى قوله بسيفه بيان
لحكمهم في زمان عدم قيام الامام الحق بعده لطلب الامر وتنبيه لهم على ثمرة الصبر وهو ان من مات منهم على معرفة
حق ربه وحق رسوله واهل بيته والاعتراف بكونهم ائمة الحق والاقتداء بهم لحق بدرجة الشهداء ووقع اجره على الله
واستحق الثواب منه على ما اتى به من الاعمال والصبر على المكاره من الاعداء وقامت نيته مقام نصرة الامام لو قام لطلب
الامر ولزم معيته مقام تجريده لسيفه معه في استحقاق الاجر وقوله فان لكل شيء مدة واجلا تنبيه على ان لكل من دولة
العدو الباطل ودولة الحق العادل مدة تنقضي بانقضائها واجلا ينتهي به فاذا حضرت مدة دولة عدوكم وظهر زوال
قيامكم في دفعها فلا تستعجلوا به هذا هو المتبادر الى الفهم من هذا الكلام والخطبة من فصيح خطبه كقوله
على اهلها ساطع لهيبها متغيظ زفيرها متاجج سعيرها الى قوله فظيعة امورها وكقوله هول المطلع وروعات الفزع الى
قوله وردم الصفيح فانه اخذ كل هذه الالفاظ ورصع بها كلامه وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام الحمد لله الفاشي
حمده والغالب جنده والمتعالي جده احمده على نعمه التوام والائه العظام الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى
وعلم ما يمضي وما مضى مبتدع الخلائق بعلمه ومنشئهم بحكمه بلا اقتداء ولا تعليم ولا احتذاء لمثال صانع حكيم ولا اصابة
خطا ولا حضرة ملاء واشهد ان محمدا صلى الله عليه عبده ورسوله ابتعثه والناس يضربون في غمرة ويموجون في حيرة
قد قادتهم ازمة الحين واستغلقت على افئدتهم اقفال الرين عباد الله اوصيكم بتقوى الله فانها حق الله عليكم و
على الله حقكم وان تستعينوا عليها بالله وتستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز والجنة وفي غد الطريق الى الجنة
مسلكها واضح وسالكها رابح ومستودعها حافظ لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم اليها
غدا اذا اعاد الله ما ابدى واخذ ما اعطى وسال عما اسدى فما اقل من قبلها وحملها حق حملها اولئك الاقلون عددا وهم
اهل صفة الله سبحانه اذ يقول وقليل من عبادي الشكور فاهطعوا باسماعكم اليها وكظوا بجدكم عليها واعتاضوها من
كل سلف خلفا ومن كل مخالف موافقا ايقظوا بها نومكم واقطعوا بها يومكم واشعروها قلوبكم وارحضوا بها ذنوبكم

وداووا بها الأسقام وبادروا بها الحمام واعتبروا بمن أضاعها ولا يعتبرن بكم من أطاعها ألا فصونوها وتصونوا بها وكونوا
عن الدنيا نزّاها وإلى الآخرة ولّاها ولا تضعوا من رفعته التقوى ولا ترفعوا من رفعته الدنيا ولا تشيموا بارقها ولا تسمعوا
ناطقها ولا تجيبوا ناعقها ولا تستضيئوا بإشراقها ولا تفتنوا بأعلاقها فإن برقها خالب ونطقها كاذب وأموالها محروبة
وأعلاقها مسلوبة ألا وهي المتصدية العنون والجامحة الحرون والمائنة الخؤون والجحود الكنود والعنود الصدود والحيود الميود حالها
انتقال ووطأتها زلزال وعزها ذل وجدها هزل وعلوها سفل دار حرب وسلب ونهب وعطب أهلها على ساق وسياق
ولحاق وفراق قد تحيرت مذاهبها وأعجزت مهاربها وخابت مطالبها فأسلمتهم المعاقل ولفظتهم المنازل وأعيتهم المحاول
فمن ناج معقور ولحم مجزور وشلو مذبوح ودم مسفوح وعاض على يديه وصافق بكفيه ومرتفق بخديه وزار على رأيه وراجع عن عزمه
وقد أدبرت الحيلة وأقبلت الغيلة ولات حين مناص هيهات هيهات قد فات ما فات وذهب ما ذهب ومضت الدنيا لحال بالها فما
بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين أقول القانتي الدائم والمنتشر والجد ههنا العظمة ومنه حديث أنس
كان أحدنا إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا أي عظم والتوائم جمع توأم وحقيقة الولد يقارنه ولد آخر في بطن واحد
قال الخليل أصله وولأم على وزن فوعل فأبدلوا من إحدى الواوين تاء كما قالوا تولج من ولج والآلاء النعم واحدها ألى
وقد يكسر أوله والحز والضرب الستر والغمرة ما يغمر العقل من الجهل والغمرة الشدة أيضا والحين الهلاك والرين
وعلبة الذنوب حتى تغطي عين البصيرة والغابر الباقي والماضي أيضا والسدى إرسال معروفه وقطع أسرح
على كذا واظب عليه وداوم والمواكظة المداومة وروي والظوا أي الزموا ولزوم الشيء في معنى المداومة عليه
ما يلي الجسد تحت الدثار وهو العلامة أيضا والرحض الغسل والترح جمع ترحة وهو المباعدة عما يوجب الذم والوله
وهو المتحير من شدة الوجد والشيم النظر إلى البرق أن يمطر سحابه والناعق الصائح وأعلاقها نفائسها جمع علق وهو
الشيء النفيس وبرق خالب وخلب لا مطر معه ومال محروب مأخوذ بكليته والمتصدية المتعرضة والعنون كثير
العنن وهو الاعتراض والعنون أيضا الدابة المتقدمة في السير والجموح الدابة التي تغلب الفارس فلا يملكها والحرون
الذي إذا اشتد به السوق وقف والمائنة الكاذبة والكنود الكفور للنعمة والعنود المائل عن الطريق والصدود
المعرض والحيود أيضا المائل والميود المتمائل والحرب بفتح الراء سلب المال والسلب ما يسلب من درع ونحوه
والعطب الهلاك والساق الشدة والسياق نزع الروح والسياق مصدر ساقه سوقا وسياقا والمعاقل الحصون ولفظتها
رمته والمحاول جمع محالة وهي الحيلة ومعقور مجروح والمجزور المقطوع والشلو العضو من اللحم بعد
الذبح وأشلاء الإنسان أعضاؤه المتفرقة في البلى ومسفوح مسفوك والغيلة الأخذ على غرة والمناص مصدر
ناص ينوص نوصا أي فرّ وراغ ولات حرف سلب قال الأخفش شبهوها بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل قال ولا يكون لات
إلا مع حين وقد يحذف حين كما حذف في قول مازن بن مالك حنت ولات حنت أي حذف حين وهو يريده وقال
بعضهم ولات حين مناص بنصب حين وإضمار الخبر وقال أبو عبيدة هي لا والتاء إنما زيدت في حين وإن كتبت مفردة كما
قال أبو وجزة العاطفون تحين ما من عاطف وقال المؤرج زيدت التاء في لات كما زيدت في ثمت وربت والبال الحال

من ذهب

والشأن

والشأن والأمر والبال أيضا القلب وقد حمد الله سبحانه باعتبارات لا ينفع إلا أحدها القانتي حمده أي في جميع خلقه
ومخلوقاته إذ كان شيء منها لا يخلو من نعمة لو أظهرها وجوده فلا يخلو من حمد بلسان الحال أو المقال وله الحمد في السموات
والأرض وعشيا وحين تظهرون الثاني الغالب جنده وجند الله ملائكته وأعوان دينه من أهل الأرض كقوله تعالى ولله
جنود السموات والأرض وقوله وأيده بجنود لم تروها وظاهر كونهم غالبا لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون وقوله فإن
حزب الله هم الغالبون وفي هذه القرينة جذب للسامعين إلى نصر الله ليكونوا من جنده تنبيههم على ذلك الثالث
المتعالي جده أي جلاله وعظمته كقوله تعالى وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وهذه القرينة تناسب ما قبلها
لما في تلك من إيهام الحاجة إلى الجند والنصرة وفي الثانية تعاليه وعظمته عن كل حال يحكم بها في حقه الرابع لذلك الإلهام
ثم عقب بذكر سبب الحمد وهو نعمه التوائم والآلاء العظام ومعنى كونها توائم أنها ترادفها على العبد وتواترها فإنه ما من وقت
يمر عليه إلا وعنده أنواع من نعمة الله تعالى لا تكاد تحصى الخامس من الاعتبارات الذي عظم حلمه فعفا فالحلم في الإنسان
فضيلة تحت الشجاعة يعتبر معها انفعال النفس عن الواردات المكروهة المؤذية له وأما في حق الله تعالى فيعود إلى
اعتبار عدم انفعاله عن مخالفة عبيده لأوامره ونواهيه وكونه لا يستفزه عند مشاهدة المنكرات منهم غضب ولا
يحمله على المسارعة إلى الانتقام منهم مع قدرته التامة على كل مقدور غيظ ولا طيش والفرق بينه تعالى وبين العبد في هذا
الوصف أن سلب الانفعال عنه سلب مطلق وسلبه عن العبد عما من شأنه أن يكون له ذلك الشيء وكان عدم الانفعال
عنه تعالى أبلغ وأتم من عدمه عن العبد وبذلك الاعتبار كان أعظم ولما كان الحلم مستلزما العفو عن الجرائم والصفح عنها
التي يستحق بها الانتقام للعبد وعدم مؤاخذته بجرائمه عفوا فلذلك أردف وصفه بعظمة الحلم بذكر العفو وعظمته
لاستعقاب الملزوم ولازمه بلا مهلة السادس وعدل في كل ما قضى ولما كان العدل عبارة عن التوسط في الأفعال
بين طرفي التفريط والإفراط وكل ما قضاه تعالى وحكم عليه بوقوعه أو عدم وقوعه جاريا على وفق الحكمة والنظام
الأكمل كما بين ذلك في مظانه من العلم الإلهي لا جرم لم يمكن أن يقع في الوجود شيء من أفعاله وأقواله منسوبا إلى أحد طرفي التفريط
والإفراط بل كان على حاق الوسط منهما وهو العدل له وقيل قضى بمعنى أمر كقوله تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وهو
داخل فيما قلناه فإن ما أمر بإيجاده أو نهى عنه داخل فيما حكم عليه بوقوعه أو عدمه وقوله السادس وعلم ما يمضي وما
مضى إشارة إلى إحاطة علمه بكل الأمور مستقبلها وماضيها وكليها وجزئيها وقد أشرنا إلى ذلك فيما قبل السابع مبتدع
الخلائق بعلمه ظاهر كلامه عليه السلام ناطق بأن العلم ههنا سبب لما أبدع من خلقه ولا شك أن السبب متقدم على المسبب من
جهة ما هو سبب وهذا هو مذهب جمهور الحكماء والخلاف فيه مع المتكلمين إذ قالوا إن العلم تابع للمعلوم والتابع يمتنع
أن يكون سببا فالكلام على رأيهم إذن للاستصحاب وعلى الرأي الأول للتسبيب ونحن إذا حققنا القول وقلنا إن الصفة
له تعالى زائدة على ذاته كانت ذاته وعلمه وقدرته وإرادته شيئا واحدا وإنما يختلف بحسب اعتبارات يحدثها عقولنا
إما بالقياس إلى مخلوقاته كما سبق بيانه في الخطبة الأولى لم يتفاوت في أن نسند المخلوقات إلى ذاته أو إلى علمه أو إلى قدرته
أو غيرهما وأما بيان أن العلم تابع للمعلوم حتى يمتنع أن يكون سببا له أو متبوعا حتى لا يمتنع ذلك فيما حقق في مظانه

كانه

مما طال الخبط فيها بينهم ويحتمل ان يريد بلا ابداع احكام الاشياء واتقانها بحيث يكون محل التعجب فالهذا اهل بديع منظر
بديع اي معجب حسن والظاهر ان ذلك منسوب الى العلم ولذلك يستدل باحكام الفعل واتقانه على علم فاعله الناس
ومثنيهم بحكاية بحكمه وهو قريب من الذي ثم يحتمل ان يريد بحكم قدرته على الموجودات بالوجود وهو ظاهر وقوله
اقتدا ولا تعليم اي لم يكن ابداعه وانشاؤه للخلق على وجه اقتدا بغيره ممن سبقه الى ذلك ولا على وجه التعلم
والاقتدا اعم من التعلم وقوله ولا اصابة خطا اي ولم يكن انشاؤه الخلق اولا على سبيل الاضطراب والخطا من غير علم
منه ثم علمه بعد ذلك فاستدرك فعل واحكمه فاصاب وجه المصلحة فيه والاصابة بمعنى اللازم لما ان الاصابة من
ذلك الخطا ومثل هذا التعرض المتكلمون على انفسهم حيث استدلوا على كونه تعالى عالما بكل معلوم فقالوا انه تعالى عالم
بالاشياء الا من طريق اصلا لا من حس ولا نظر واستدلال فوجب ان يعلم سايرها كذلك الا لا تخصيص ثم سالوا انفسهم
فقالوا لم زعمتم ذلك ولم لا يجوز ان يكون قد فعل افعاله مضطربة ثم ادركها فعلم كيفية صنعها بطريق كونه مدركا لها
بعد اختلالها واضطرابها ثم اجابوا عن ذلك بانه لا بد ان يكون قبل ذلك عالما بمفرداتها من غير طريق فوجب ان يعلمها
باسرها كذلك لعدم التخصيص وهذا الجواب فاسد لان مفرداتها ان لم يكن من فعله كالاجزاء التي لا تتجزى على راي المثبتين
فليس كلامنا في علمه بها بل فيما كان من فعله ولا يلزم من العلم بمفردات الفعل العلم بالفعل وان كانت من فعله فقولكم لا بد ان
يكون عالما بمفرداتها قبل فعلها مصادرة على المطلوب والجواب الحق انه لو علمها بعد ان لم يعلمها لكان محلا لها فلا يكون
مكان تحلله الحوادث وهو محال لما سبق وقوله ولا حضره ملأ اي ولم يكن خلقه لما خلق بحضور جماعة فيرشده احد
بل انه تصدر عنه الامور لا بحضرة احد ولانه لا يستلزم حاجته الى المعين والظهير والحاجة تستلزم الامكان المنزه
عنه واليه الاشارة بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا
ذلك تنزيه الفعل من كيفيات افعال عباده ثم اردف ذلك باقتصاص احوال الخلق حال البعثة ورسول الله صلى الله عليه
وآله والواو في قوله والناس للحال اي والناس حينئذ سيرون في جهالة وهو كناية عن تصرفاتهم على جهل منهم بما
لهم من وجوه التصرف ويحتمل ان يريد يسيرون في شدة وذلك ان العرب كانت حينئذ في شدائد من ضيق المعاش
والغارات وسفك الدما كما قال عليه السلم فيما قبل ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين وامينا على التنزيل
وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار الفصل وكذلك قوله ويموجون في حيرة كناية عن ترددهم في حيرة الضلال
والجهل او في حيرة من الشدائد المذكورة وقوله قد قادتهم ازمة الحين اي قد تداعوا الموت والفناء من كثرة الغارات وشدائد
سوء المعاش وظلم بعضهم لبعض لان الناس اذا لم يكن بينهم نظام عدلي ولم يجر في امورهم قانون شرعي اسرع ما بهم الظلم
بعضهم لبعض واستلزم ذلك تخاذلهم ولما استعار لفظ الازمة رشح بذكر القود وقوله استغلقت الى قوله الرين اراد بها
وقعطية لقلوبهم عن انوار الله تعالى والاستضاءة باضواء الشريعة واستعار لفظ الاقفال العوائق الجهل والهيئات الردية
المكتسبة من الاقبال على الدنيا ووجه المشابهة ان تلك مانعة للقلب وحاجبة له عن قبول الحق والاهتداء به كما تمنع الا
قفال ما اشتملت عليه من التصرف ورشح بذكر الاستغلاق واتى بلفظ الاستفعال لان ذلك الرين كان اخذا في الزيادة

من حال الى حال كان فيه معنى الطلب للتمام ثم عقب الوصية بتقوى الله جاري عادته لانها راس كل مطلوب ورغب فيها بكونها
حق الله عليهم اي الامر المطلوب له المستحق عليهم وبكونها موجبة على الله حقهم وهو جزاء طاعتهم له الذي اوجبه على
ولزم من كمال ذاته الفياضة بالخيرات بحسب استعدادهم له بالتقوى ثم اشار الى ما ينبغي المتصدي للتقوى وهو ان
على ضع عنها بالله والانقطاع اليه ان يعينه عليها ويوفقه لها لان الانقطاع الى معونته والالتفات اليه مادة كل مطلوب
ثم الى فايدتها وهي الاستعانة بها على الله تعالى ولما كان المطلوب منه الوصول الى ساحل عزته والنظر الى وجهه الكريم
والسلامة من غضبه ونقاش حسابه اذ هو تعالى الحاكم الاول كانت التقوى اجل ما يستعد به لحصول تلك المطالب وكان
السعيد من استعان بها على يوم شدايده تعالى في الآخرة فانه لا خلاص منها الا بها ثم عقب ذكرها ببيان ما يستلزم من
المرغوب فيه فمنها كونها في اليوم اي في مدة الحياة حرزا وجنة اي من المكاره الدنيوية لقوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وفي غد اي في يوم القيمة الطريق الى الجنة وهو
ظاهر ومنها كون مسلكها واضحا وهو ظاهر ان الشارع صلى الله عليه وآله اوضح طرق التقوى وكشف سبيلها حتى لا يجهلها
الا جاهل ومنها كون سالكها رابحا واستعار لفظ الربح لما يحصل عليه المتقي من ثمرات التقوى في الدنيا والآخرة ووجه الاستعارة
انه يجري كالتجارة والتقوى التي تشبه راس مال يستفيد الثواب كما يستفيد التاجر مكاسبه ومنها كون مستودعها حافظا
بالفتح قابل الوديعة وبكسرها فاعلها والمراد على الرواية بالفتح كون قابلها حافظا النفسه بها من عذاب الله او كون حافظ
بمعنى محفوظ وعلى الثانية فالمستودع لها اما الله سبحانه اذ هي الامانة التي عرضها على السموات والارض فابين
ان يحملنها وحملها الانسان وكونه تعالى حافظا على العبد المستودع احوالها من تفريطه وتقصيره او امانته ومحافظته
عليها واما الملائكة التي هي وسائط بين الله تعالى وبين خلقه وظاهر كونهم حفظة كما قال تعالى ويرسل عليكم
حفظة وقوله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله لم تبرح عارضة نفسها الى قوله الغابرين
كلام لطيف واستعار وصف كونها عارضة نفسها ووجه الاستعارة كونها مهيئة لان تقبل وتقصد وان ينتفع بها كالمراة
الصالحة التي تعرض نفسها للتزويج والاستمتاع بها ثم علل كونها لم تبرح كذلك بحاجة الخلق اليها غدا اي يوم القيمة
ورغبا فيها بكونها محتاجا اليها ويحتمل ان يدخل ذلك في وجه الشبه وقوله اذا اعاد الى قوله اسدى كالقرينة الجرمية
لعدول حقيقته الى مجازه وهو يوم القيمة وتعيين له بانه الوقت الذي يعيد الله فيه ما كان ابداه من الخلق ويأخذ
ما كان اعطاهم من الوجود الدنيوي ولواحقه ويقول لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي الحديث ان الله تعالى
يجمع كل ما كان في الدنيا من الذهب والفضة فيجعله امثال الجبال ثم يقول هذا فتنة بني آدم ثم يسوقه الى جهنم
مكاوي لجباه المجرمين ويسئلهم فيه عما اسدى اليهم فيه من نعمة فيسال من ادخرها ولم ينفقها في وجوهها المطلوب
من انفقها في غير وجهها فيقول اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ويجازي الاولين بادخارها كما قال والذين يكنزون الذهب
والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم الآية ويجازي الآخرين بصرفها في غير
كما قال فاليوم تجزون بما كنتم تعملون وقوله فما اقل من قبلها تعجب من قلة من قبل التقوى منهم وحملها اي اخذها

ثم ابطلوا لتستعذبنها اليوم لما ثبتت فيها الذي لا بد له المعروضة ثم حكم بكون قابليها وحامليها هم اقل الناس عددا او هم
اهل صفة التقوى الذين وصفهم الله تعالى بقوله وقليل من عبادي الشكور ثم امرهم فيها باوامر احدها ان يصغوا لكم
اليها اي يسرعوا الى سماع وصفها وشرحها ليعرفوها فيعملوا على بصيرة الثاني ان يوكلوا عليها بجدهم اي يداوموا عليها
ويلازموها باجتهاد منهم وروي وانقطعوا لها اسماعكم اليها اي انقطعوا عن علائق الدنيا واستصغوا اسماعكم الى سماع
وصفها وكان احدى الروايتين تصحيف الاخرى لان النون والقاف اذا تقاربا اشبها القاف في الكتابة الثالث ان يعتاضوها
من كل محبوب في الدنيا سلف لهم ونعم الخلف مما سلف اذ كانت المطالب الحاصلة بها انفس المطالب وهي السعادة الابدية
وخلفا مسد وسد مسد الكمال الرابع ان يعتاضوها من كل مخالف لهم موافقا والمراد ان كل من كان موافقا لك ثم خالفك
في امر من الامور فينبغي ان يكون على طريق الحق والتقوى في ذلك الامر ولا تميل بميل مخالفك فان التقوى نعم العوض من خالفك
ونحوه ما قال افلاطون الحكيم سقراط والحق حبيبان واذا اختلفا كان الحق احب الينا الخامس ان يوقظوا بها نومهم قال
الشارح ان اراد ايقظوا بها نومكم فاقام المصدر مقام اسم الفاعل مجازا لما فيه من التضاد في القرينة قلت ويحتمل ان
يريد بقوله ايقظوا اي اطردوا بتقوى الله وعبادته نومكم في ليلكم واحيوه بها فاستعمل لفظ الايقاظ لافادته ذلك المعنى
اذ كان الامر بايقاع احد الضدين في محل يستلزم الامر بنفي الضد الآخر عن ذلك المحل مجازا من باب اطلاق اسم الملزوم
على لازمه ولما فيه من التضاد ويحتمل ان يريد بالنوم نوم الغفلة والجهل وبايقاظ النائمين منهم بها تنبيههم بها من مراقد
الطبيعة واعدادهم باجزاء العبادة وفوائدها لحصول الكمالات العلمية والعملية على سبيل الاستعارة ووجهها ظاهر
مما سبق السادس وان يقطعوا بها يومهم اي يقطعوا الا في الاشتغال بها نهارهم السابع ان يشعروها قلوبهم اي يجعلوها
شعارا لقلوبهم ويلبسوها اياها كما يلبس الشعار ولفظ الشعار مستعار لها ووجه الاستعارة كون التقوى الحقيقة ملازمة
النفس ومتصلا بالقلب كما يتصل الشعار بالجسد ويحتمل ان يريد اجعلوها الامر لقلوبكم لتتميز بها عن قلوب الطالبين
ويحتمل ان يريد اشعروها قلوبكم اي اعلموها بها واجعلوها شاعرة بتفاصيلها ولوازمها الثامن ان يرحضوا بها ذنوبهم
اي يغسلوها بالاشتغال بالتقوى ولفظ الرحض مستعار لاعتبار كون التقوى ماحية لدرن الذنوب والهيئات الردية
عن الواح النفوس كما يمحوا الغسل درن الثوب واوساخه التاسع ان يداووا بها الاسقام اي اسقام الذنوب وامراض القلوب
كالجهل والشك والنفاق والرياء والحسد والكبر والبخل وجميع رذائل الاخلاق التي هي في الحقيقة الاسقام المهلكة ولاشتمال
التقوى على جميع الاعمال الجميلة والملكات الفاضلة كانت دواء لهذه الاسقام وشفاء لا يعقبه داء العاشر وان يبادروا
بها الحمام اي يسارعوا ويسابقوا بها وقد سبق بيانه في الخطبة السابقة الحادي عشر ان يعتبروا بمن اضاعها اي يتعظوا
الامر السابق قبلهم ممن اضاع التقوى ويفكروا في حال كيف اضاعها الامر لم يبق لهم ثمرة الطلب ولم يدركوا ما فيه ثم
ثم حصل بعد الهلاك على سوء المنقلب فيحصلوا من ذلك عبرة لانفسهم فيحملوها على التقوى خوفا مما نزل بمن اضاعها
من الخيبة والحرمان والرجوع الى المكروه الثاني عشر ان لا يجعلوا انفسهم عبرة لمن اطاعها اي انقاد للتقوى ودخل فيها
او اطاع موجبها بحذف المضاف والمراد نهيهم ان يدخلوا في زمرة من اضاعها فيكونوا عبرة لمن اطاعها فنهى عن لازم

لاضاعة

الاضاعة وهو اعتبار غيرهم بهم وصورة ذلك النهي وان كانت متعلقة بغيرهم الا انه كناية عن نهيهم عما يستلزم عبرة الغير لهم
وهو اضاعة التقوى لان النهي عن اللازم يستلزم النهي عن الملزوم وهذا كما يقول لمن تنصحه لا يضحك الناس منك اي لا تفعل
ما يستلزم ذلك ويوجبه منهم الثالث عشر ان يصونوها وصيانتها ان يحفظوها من خلطها برياء او سمعة او شيء
من الرذائل والمعاصي الرابع عشر ان يتحفظوا بها من الذنوب والرذائل ويتنزهوا بها عن الاستعداد بها من لحوق العذاب
في الآخرة الخامس عشر ان يكونوا عن الدنيا نزاها اي متنزهين عما حرم الله عليهم وكرهه منها مما يوجب لهم الذم عاجلا
وآجلا وهو امر بالتقوى ايضا السادس عشر ان يكونوا الى الآخرة ولاها اي متحرقين من شدة الشوق اليها وذلك مستلزم
للامر بالتقوى والانقطاع عن الدنيا الى الاعمال الصالحة لانها هي السبب في محبة الآخرة والرغبة التامة فيها السابع
عشر وان لا تضعوا من رفعته التقوى ووضعه انما يكون بكثرة الاستهزاء به وتفضيل غيره او فعل ما يستلزم اهانته
او ترك قول او ترك فعل يستلزم ذلك ولما كان كل ذلك منافيا للتقوى وداخلا في ابواب الرذائل لاجرم نهى عن كل ذلك وهو
وضع من رفعته التقوى لاستلزامه رفع اللازم رفع الملزوم الثامن عشر ان لا يرفعوا من رفعته الدنيا والمراد من كان
ارتفاعه ووجاهته عند الخلق بسبب الدنيا واقتنائه منها والمعدود من رفعة اهل الدنيا بحذف المضاف او اسند الرفع
الى الدنيا مجازا لانها الرافع والمعظم لهم الناس ولما كان من رفعته الدنيا غافلا عن التقوى كان الميل اليه واحترامه
مستلزم المحبة للدنيا والميل اليها فكان منهيا عنه وكان الاعراض عنه وعدم توقيره زهدا في الدنيا واهلها وهو من
جملة التقوى فكان مامورا به التاسع عشر ان لا يشيموا بارقها استعار البارق لما يلوح للناس في الدنيا من مطامعها
ومطالبها ووصف الشيم لتوقع تلك المطالب وانتظارها والتطلع اليها على سبيل الكناية عن كونها كالسحاب التي يلوح
بارقها فيتوقع منه المطر العشرون وعن سماع ناطقها وكنى بناطقها عن مادحها وما كشف وصفها وزينها من قول
او عمل او زينة او متاع وبسماعه عن الاصغاء والميل اليه وتصديق مقالته وتصويب شهادته فانها هي التي ينبغي ان
تدعو وتشوق بها الى غير ذلك فان كل ذلك سبب للعدول عن التقوى وطريق الآخرة الى طريق الهلاك الحادي والعشرون
وعن اجابة ناعقها وكنى بناعقها عن الداعي اليها والجاذب مما ذكرنا وباجابته عن موافقته ومتابعته الثاني والعشرون
ولا تستضيئوا باشراقها واستعار لفظ الاشراق لوجوه المصالح الداعية اليها والآراء الهادية الى طرق تحصيلها وكيفية التمتع
بها ووصف الاستضاءة للاهتداء بتلك الآراء في طلبها ووجه المشابهة ان تلك الآراء يهتدي بها في تحصيلها كما يهتدي
بالاشراق المحسوس وهذه القرينة قريبة المعنى من التي قبلها ويحتمل ان يريد باشراقها ما يبتهج به من زينتها وانوارها
والاستضاءة ذلك الابتهاج والالتذاذ على سبيل الاستعارة ووجهها ما ذكرنا في القرينة في كونه سببا مهلكا الرابع
الثالث والعشرون وعن الفتنة باعلاقها [illegible] من نفائسها ومتاعها وهو مستلزم للنهي عن محبة الدنيا
والانهماك في لذاتها لان ذلك هو المانع لهم والصد عن سبيل الله وهو سبب بلائهم ومحنتهم واليه الاشارة بقوله انما اموالكم
واولادكم فتنة قال المفسرون بلاء ومحنة وشغل عن الآخرة والانسان بسبب المال والولد يقع في العظائم ويتناول الحرام الا من
عصمه الله وعن ابي بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطبنا اذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما

احران يمشيان ويعثران تعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم
واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى نزلت اليهما ورفعتهما ثم اردف ذلك بعدد من
لما تنفر منها معللا بها ما لبس من مواهبه عنها بقوله فان برقها خالب تعليل لنهيه عن تيمم بارقها واستعار وصف الخالب
للامع من مطامعها ووجه المشابهة كون مطامعها او امالها غير مدركة او ادراك بعضها في معرض الزوال كان لم يحصل
البرق الذي لا ماء معه وان حصل منه ضعيف غير منتفع به فلذلك لا ينبغي ان يشام بارقها وقوله ونطقها كاذب تعليل لنهيه عن
سماع نطقها اي النطق الحاصل في معناها من مدحها وانها مما ينبغي ان يطلب ويرغب ووصف نفسها او لسان حالها الذي
تغر به الاوهام الفاسدة وكونه كاذبا ظاهر من عدم مطابقة ذلك الوصف لحالها في نفس الامر وقوله واموالها محروبة كالتعليل
لنهيه عن الاستنصاح باشراف اهلها اي لا ينبغي ان يستعمل الاراء الحسنة والحيل في تحصيل اموالها ولا ينبغي ان يحب ويرغب في
يتمتع بها فانها محروبة وقوله واعلاقها مسلوبة تعليل لنهيه عن الافتنان باعلاقها ويحتمل ان يكون بحذف القرينة مع
قبلها تعليل للنهي عن الثقة باعلاقها ثم اردف تلك الاوصاف بالثلاثة على اوصاف اخرى وتعليلها [illegible] لها فاستعار
منها احدها انها المتصدية العنون قال بعض الشارحين هو استعارة وصف المراة الفاجرة التي من شانها التعرض للرجال
لتخدعهم عن انفسهم ويحتمل ان يكون استعارة لوصف الفرس او الناقة التي في الطريق معترضة خابطا وقوله الحرون
استعارة لوصف الدابة المتقدمة في السير [illegible] عن لحوق الدنيا بالدابة ان تكون كذلك ووجه المشابهة في الوصف الاول
ان الدنيا في تغير احوالها وحركاتها واحوالها غير مضبوطة ولا جارية مع الانسان على حال واحد فاشبهت الناقة التي تعترض في
طريقها وتمشي على غير استقامة ووجهها في الثاني ان مدة الحياة الدنيا في غاية الاسراع وشدة السير باهلها الى الآخرة
فاشبهت السريعة من الرواحل المتقدمة في سيرها الثاني والجامحة الحرون استعار وصف الجماح لها باعتبار كونها لا
لاهلها ولا انقيادهم كما لا انقياد الحرون لراكبها وكذلك وصف الحرون باعتبار عدم انقيادها لاهلها وعدم قدرتهم على
تصريفها الى حيث ما يكون الثالث المائنة الخؤون فاستعار وصف الكاذبة لها باعتبار عدم مطابقة اقرارها
للناس بزينتها ومتاعها وتوهمهم عن ذلك بقاءها ونفعها المطابقة للامر في نفسه اذ كان عن قليل ينكشف كذبها
بر وكذب اوهامهم فيها وكذلك وصف الخؤون باعتبار عدم وفائها لمن غرته وخدعته عن نفسه [illegible] كانها التي
اعطته عهدا بدوامها له فخانته بزوالها عنه ولم تف بعهده الرابع والجحود الكنود واستعار لها هذين الوصفين
لتشبيهها بالمراة التي تكفر نعمة زوجها وتنكر صنيعه ويكون من شانها الغدر ووجه ذلك ان الدنيا من شانها ان تنفر عمن
وسعى لها واجتهد في عمارتها واظهار زينتها ويكون سبب هلاكه ثم تنتقل عنه الى غيره الخامس والعنود الصدود
فاستعار وصف العنود لها باعتبار عدولها عن حال استقامتها على الاحوال المطلوبة للناس وانحرافها عمن [illegible]
منها كالناقة التي تنحرف عن المرعى المعتاد للابل وترعى جانبا وكذلك الصدود باعتبار كثرة اعراضها عن طالبها
فيها السادس والحيود الميود فاستعار وصف الحيود ظاهر واما وصف الميود فباعتبار ترددها في ميلها لها الناس الى
اشخاص الناس من حال الى حال فتارة لهم وتارة عليهم ويحتمل ان لا يكون قد اعتبر قيد التردد بل اراد مطلق الحركة استعار

تيرها واستقلالها السابع حالها انتقال اخبار عن حالها بانها انتقال اي من شخص الى آخر ومن حال الى حال وظاهر انها كذلك قال بعض
الشارحين يجوز ان يريد بان سميتها وبحيثها الانتقال والتغير ويحتمل ان يريد الحال الحاضر من الزمان وهو الآن ويكون مراده
ان الذي يحكم عليه العقلاء بالحضور منها ليس بحاضر بل هو سيال متغير لا ثبوت له في الحقيقة كما لا ثبوت للماضي والمستقبل
الثامن ووطأها زلزال استعار لفظ الوطاء لاصابتها بعض شدائدها ووجه الاستعارة استلزام اصابتها بتلك الاحوال
من اصابته والثقل كما تستلزم وطأة الثقيل من الحيوان ذلك واستعار لفظ الزلزال لاضطراب احوال من يصيبه بمكروهها
كاضطراب الارض بالزلزال التاسع وعزها ذل اي العز الحاصل منها لاهلها بسبب كثرة قنياتها وكثرة ملوكها ومتعتهم
في الآخرة والمطلوب عليه لفظ الذل اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه او تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه اذ كان العز بالدنيا والحطام
مستلزما للاعراض عن الدين والتقوى الحقة مستلزم للذل الاكبر عند لقاء الله واليه الاشارة بقوله تعالى حكاية عن المنافقين
لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ونقل المفسرون ان القائل
لذلك عبد الله بن ابي والاعز يعني نفسه والاذل يعني رسول الله صلى الله عليه وآله فرد الله تعالى عليه بقوله فلله العزة
ولرسوله الآية العاشر وجدها هزل استعار لفظ الجد وهو القيام في الامر بعناية واجتهاد لاقبالها على بعض اهلها بخيراتها
كالصديق المعتني بحال صديقه ولادبارها عن بعضهم واصابتها اياهم بمكروهها كالعدو والقاصد لهلاك عدوه واستعار
لفظ الهزل الذي هو ضده ووجه الاستعارة كونها عند اقبالها على الانسان كالمعتني بحاله وعند اعراضها عنه
بالمصائب كالقاصدة لذلك ثم تسرع انتقالها من تلك الحال الى ضدها فهي في ذلك كالهازل اللاعب ويحتمل ان يريد جد
اهلها هزل اي عنايتهم بها واجتهادهم في تحصيلها يشبه الهزل واللعب في سرعة تغيره والانتقال عنه وزواله فاستعار
لفظه الحادي عشر وعلوها سفل اي العلو الحاصل بسببها او علو اهلها على تقدير حذف المضاف والخبر عنه باسم السفل
لاستلزامه التسفل وانحطاط المرتبة في الآخرة بين اهلها وهو كقوله وعزها ذل الثاني عشر كونها دار حرب كقوله اموالها
محروبة واراد كونها سلطنة ان تسلب قنياتها عن اهلها بالموت وغيره واستعار لفظ السلب لما فيها من القنيات ووجه
المشابهة كون ما فيها يسلب عن اهلها في كل زمان ويصير الى من بعدهم كدار الحرب وكذلك ونهب وعطب الثالث عشر
كون اهلها على ساق اي على شدة وهو ظاهر اذ كل ما عدد من اوصافها من الحرب والسلب والعطب شدائد على اهلها
وقال قطب الدين الراوندي اراد بكونهم على ساق ان بعضهم يتبع اثر بعض الى الآخرة فاشبه ذلك قولهم ولدت فلانة
ثلاثة بنين على ساق اي ليس بينهم انثى وانكره ابن ابي الحديد وكنى بالساق عن الامر الشديد قال بعض الشارحين ويحتمل
ان يكون مصدرا لقولك ساقه سياقا اي انهم يساقون الى الآخرة ولحاق بفتح اللام اي يلحق بعضهم بعضا في الوجود والعدم
وفراق يفارق بعضهم بعضا وهو كقولهم الدنيا مولود يولد ومفقود يفقد ويحتمل ان يريد باللحاق لحاق الاحياء بالموتى
في العدم الرابع عشر كونها قد تحيرت مذاهبها ولم يرد بمذاهبها طرقها المحسوسة ولا الاعتقادات بل الطرق العقلية
في تحصيل خيرها ودفع شرها واسند الحيرة الى المذاهب مجازا اقامة للعلة القابلة مقام العلة الفاعلة اذ الاصل تحير اهلها
في مذاهبها الخامس عشر واعجزت مهاربها اي واعجزت من طلبها لحذف المفعول لان الغرض ذكر الاعجاز ومهاربها

المرب من شرورها الثامن عشر وخابت مطالبها استعار وصف الخائب المطالب ووجه المشابهة عدم حصول المقصود
للاوهام وضلوا الامال بها فاشبهت من وعد بحصول شيء ثم لم يف به وقرن عقب بذكر ضلوا لوازم خائب المطالب وهي اسلاك الكل
لهم واستعار لها لفظ الاسلام باعتبار كونها لا تحفظهم من الرزايا ولا تحصنهم من سهام المنايا فاشبهت في ذلك من
اسلم الملتجئ اليه وخلى عنه لعدوه ولكون ذلك لازما عطفه بالفاء وكذلك لفظ النار لهم مستعار باعتبار خروجهم منها
بالموت حتى كالافظة الملفية لهم ترفيهم باعتبار لحوق شرها الاحياء بهم واموالهم الى الاصناف احدها ناج معقور
الباقين فيها وكنى بالمعقور عن من رمته بالمصائب فيها تشبيه للمعقور الثاني ولحم مجزور واراد منهم من صار كاللحم المجزور
وشلو مذبوح واراد ذي شلو مذبوح اى قد صار بعد الذبح اشلاء متفرقة ويحتمل ان يكون مذبوح صفة للشلو واراد
بالذبح مطلق الشق كما هو في اصل اللغة الرابع ودم مسفوح اى وذي دم مسفوح الخامس وعاض على يديه وهو كناية عن ندم
الظالمين بعد الموت على التفريط والتقصير اذ كان من شان النادم ذلك السادس وصافق بكفيه اى ضارب احديهما
الاخرى ندما السابع ولذلك مرتفق بخديه اى جاعل مرفقيه تحت خديه مثل النادم الثامن وكذلك وزار على رأيه الذي
اقتضى له السعي في جمع الدنيا والالتفات اليها بكليته حتى لزم من ذلك اعراضه عن الآخرة فحاق به سيئ ما كسب فلما
انكشف له بعد الموت لزوم العقاب وظهرت سلاسل الهيئات البدنية واغلالها في عنقه علم ان كل ذلك ثمرة ذلك
الرأي الفاسد فازرا عليه وعابه وانكره التاسع وراجع عن عزمه اى ما كان عزم عليه من عمارة الدنيا والسعي في تحصيلها
والموت يحل تلك العزوم ويرجع عنها وقوله وقد ادبرت الحيلة الواو للحال من الضمير في راجع وراجع عن عزمه حال ما
ادبرت حيلته وهذه الحال مبينة لمثلها من الضمائر المرفوعة في عاض وصافق ومرتفق وزار وقوله واقبلت الغيلة اى
اخذهم الى جهنم واهلاكهم فيها على غرة منهم بتلك الاخذة وقال بعض الشارحين يحتمل ان يريد بالغيلة الشر
وقوله ولات حين مناص في موضع الحال والعامل اقبلت اى واقبل الهلاك والشر حال ما ليس لهم وقت فرار ولا ملجأ
كقوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص اي نادوا واستغاثوا حال ما ليس الوقت وقت
ومفر وقوله هيهات هيهات اى بعد الخلاص والفرار واتى به مكررا للتاكيد وهو في مقابلة قول الكفار المنكرين
المعاد هيهات هيهات لما توعدون كالجزاء بعد الموت وقوله قد فات ما فات الى قوله بذهبها اى فات ما كنتم فيه من
احوال الدنيا التي تمنون الرجعة اليها فلا رجوع لها ونحوه قوله تعالى قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا الآية وقوله
ومضت الدنيا لحال بالها يخبر بها عمن مضى او يومي بالمضي اى ومضت عنهم الدنيا لحال بالها ونحوه قوله
حتى اذا امضى الاول لسبيله وقوله لحال والضمير للدنيا واللام للغرض استعار لها لفظ البال بمعنى القلب ما الخاطر
بمعنى امرها شانه وما يهواه قلبه ويحتمل ان يريد بالبال الحال ايضا ويجوز الاضافة لاختلاف اللفظين وقال
بعض الشارحين اراد بالحال ما كانت عليه من رخائها وبهجتها على اهلها وقوله واقبلت الآخرة اى بشدتها
وصعوبتها ثم ختم بالآية اقتباسا والمعنى انهم لما تركوا الدنيا ضلت بهم ما ضلت وحصلوا على ما حصلوا عليه من
البلاء ... عنهم لشانها فما بكت عليهم السماء والارض قال بعض المفسرين اراد اهل السماء وهم الملائكة واهل

تحذف المضاف وهو كناية عن كونهم لا يستحقون ان يأسف عليهم ولا ان يبكى ويقول اراد المبالغة في تحقير شانهم لان العرب كانت
تقول في عظيم القدر يموت بكته السماء والارض فنفى عنهم ذلك واراد انهم ليسوا ممن يقال فيهم مثل هذا القول وعن ابن عباس رضي
الله عنه انه قيل له اتبكي السماء والارض على احد فقال يبكيه مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء فيكون نفي البكاء عنهم
عن انه لم يكن لهم في الارض موضع عمل صالح حتى يكون له مصعد في السماء فلم تبك عليهم ونحوه عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله ما من مسلم الا وله بابان باب يصعد فيه عمله وباب ينزل منه رزقه الى الارض فاذا مات بكيا عليه
قوله عز وجل فما بكت عليهم السماء والارض واعلم ان اطلاق لفظ البكاء على السماء والارض مجاز في فقدهما ما كان
ان يكون فيهما من مساجد المؤمنين ومصاعد اعمالهم تشبيها في ذلك بمن فقد شيئا يحبه ويبكي له فاطلقه عليه اطلاقا
لاسم الملزوم على لازمه وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** ومن الناس من يسمي هذه الخطبة القاصعة وهي تتضمن
ذم ابليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام وانه اول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك
طريقته وفيها فصول **الفصل الاول في صدر الخطبة قوله** الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون
خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده ثم اختبر بذلك ملائكته
المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب اني خالق
بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس اعترضته
الحمية فافتخر على آدم بخلقه وتعصب عليه لاصله فعدو الله امام المتعصبين وسلف المستكبرين الذي وضع اساس
العصبية ونازع الله رداء الجبرية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل الا ترون كيف صغره الله بتكبره ووضعه بترفعه
فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الآخرة سعيرا ولو اراد سبحانه ان يخلق آدم من نور يخطف الابصار ضياؤه ويبهر
العقول رواؤه وطيب يأخذ الانفاس عرفه لفعل ولو فعل لظلت له الاعناق خاضعة ولخفت البلوى فيه على الملائكة
ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون اصله تمييزا بالاختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وابعادا للخيلاء منهم
اقول نقل في سبب هذه الخطبة ان اهل الكوفة كانوا في آخر خلافته عليه السلام قد فسدوا وكانوا قبائل فكان
الرجل يخرج من منازل قبيلته فيمر بمنازل قبيلة اخرى فيقع به ادنى مكروه فيعتزي الى قبيلته وينادي باسمها
مثلا يا للنخع او يا لكندة نداء عاليا يقصد به الفتنة واثارة الشر فتتالب عليه فتيان القبيلة التي مر بها وينادون
يا لتميم يا لربيعة فيضربونه فيمضي الى قبيلته ويستصرخ بها وتسل بينهم السيوف وتثور الفتنة ولا يكون لها اصل
في الحقيقة ولا سبب يعرف وكثر ذلك منهم فخرج عليه السلام على ناقة له فخطبهم هذه الخطبة اذا عرفت ذلك فنقول
القصع ابتلاع الماء والجرة وقصعت الرجل قصعا صغرته وحقرته وقصعت هامته اذا ضربتها ببسط كفك وقصع الله
شبابه اذا بقي قميئا فهو مقصوع لا يزداد واصل هذه الكلمة للتصغير والتحقير والجبرية والجبروت الكبر والادراع لبس
الدرع والدرع الطول وخطف بالكسر يخطف اخذ البصر بسرعة استلابا وبهر العقول اى غلب
فيه والرواء المنظر الحسن والعرف الرائحة الطيبة والخيلاء الكبر والاحباط الابطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والموادة التلطخ

ذكر الشارحون في تسمية هذه الخطبة القاصعة وجوها احدها وهو اقربها انه عليه السلم كان يخطبها على ناقته وهي تجتر بها فجاز ان يقال ان هذه الحال المنقولة عنه في اسناد هذه الخطبة نسبت الخطبة الى الناقة القاصعة فقيل خطبة القاصعة ثم كثر استعمالها فجعلت وصفا للخطبة نفسها او لان الخطبة عرفت بهذه النسبة فلا نهى قصع الناقة والعرب تسمي الشيء باسم لازمه الثاني انما سميت بذلك لان المواعظ والزواجر فيها متتابعة فاشبهت جرات الناقة وتتابعها الثالث سميت بذلك لانها هاشمة كاسرة لابليس ومصغرة له ومحقرة لكل جبار وهو وجه حسن ايضا الرابع ولانها تسكن نخوة المتكبرين وكبرهم فاشبهت الماء الذي يسكن العطش فيكون من قولهم قصع الماء عطشه اذا سكنه واذهبه واعلم ان مدار هذه الخطبة على النهي عن الكبر والتوبيخ عليه وعلى ما يلزمه من الحمية والعصبية لغير الله تعالى ليكون الناس على ضد ذلك من التواضع والرفق وقد علمت في المقدمات ان من شان الخطيب ان يورد في صدر الخطبة ما ينبه على المطلوب الذي يريد ان يقول لكي يتنبه السامعون لما يريده اجمالا فلذلك صدر عليه السلم الخطبة بنسبة العز والكبرياء والعظمة الى من هو اولى به وهو الله تعالى واشار الى ان ذلك خاصة له وحرام على غيره وذكر ابليس وقصته مع آدم عليه السلم في معرض الذم بتكبره عليه ليترتب على ذكره وذمه بتلك الرذيلة النهي والتحذير عن ارتكابها وتحصيل السعي بها اذ كان بذلك ملعونا مسطورا على السنة الانبياء باسرهم واذ كان مدار الخطبة على ذم الكبر والنهي عنه فلنشر الى حقيقته في الانسان اولا ثم الى ما يلزمه من الآفات ثم الى الذمام الواردة فيه فنقول اما حقيقته فهي هيئة نفسانية تنشأ عن تصور الانسان نفسه اكمل من غيره واعلى رتبة وتلك الهيئة تعود الى ما يحصل للنفس عن ذلك التصور من النفخ والهزة والتعظم والركون الى ما تصورته من كمالها وشرفها على الغير ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعوذ بك من نفخة الكبر وهي رذيلة تحت الفجور تقابل فضيلة التواضع وما يلزم عن ذلك التصور اعني تصور الانسان فضيلته على الغير ان قطع النظر فيه عن قياسه الى متكبر عليه وعن اضافته الى الله تعالى باعتبار انه منه ولم يكن خائفا من فوت تلك الفضيلة بل كان ساكنا اليها مطمئنا فذلك هو العجب فان العجب هيئة تلزم من تصور الكمال في النفس واستعظامه مع نسيان المنعم به والركون اليه والفرح به مع الغفلة عن قياس النفس الى الغير بكونها افضل منه وبهذا القيد الاخير ينفصل عن الكبر اذ كان لابد في الكبر من ان يرى الانسان لنفسه مرتبة وللغير مرتبة ثم يرى مرتبته فوق مرتبته واما آفاته فهي ثمرات ما يلزم عنه من الاعمال والتروك فان هذا الخلق يوجب اعمالا اذا ظهرت على الجوارح قد تسمى كبرا ايضا كتحقير الغير واعتقاد انه ليس اهلا للمجالسة والمواكلة والانفة من ذلك واعتقاد انه يصلح ان يكون ماثلا بين يديه قائما بل قد يعتقد من هو اشد كبرا ان ذلك لا يصلح للمثول بين يديه وكحسده والحقد عليه وكنظر العالم المتكبر الى الجاهل العامي بعين الاستحقار والاستجهال واما الظاهرة فكالتقدم عليه في الطرق والارتفاع عليه في المجالس وكابعاده عن مجالسته ومواكلته وكالتجهم والغضب عند رد قوله والغلظة على المتعلمين واذلالهم واستخدامهم والخيلاء والتطاول بالقول واما التروك فكترك التواضع والاستنكاف عن مجالسة من دونه ومعاشرته وعدم الرفق بذوي الحاجات ونحو ذلك مما لا يحصى من الرذائل واما الذمام الواردة فيه فهي كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية كقوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار

وقوله واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقول الرسول صلى الله عليه وآله يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وقوله عليه السلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق المؤمنين التي هي ابواب الجنة فالكبر والعجب يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العزة ولا يتمكن من ترك هذه الرذائل وفعل اضدادها من الفضائل كالتواضع وكظم الغيظ وقبول النصح والرفق في القول وغيرها وفيه شيء من العزة والكبر وما من خلق ذميم الا وصاحب العزة والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من خلق فاضل الا وهو عاجز عنه خوفا ان يفوته عزه فلذلك لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من كبر وبعض الاخلاق الذميمة مستلزم للبعض وشر انواع الكبر ما منع العلم واستعماله وقبول قول الحق والانقياد له اذا عرفت ذلك فقوله عليه السلم حمد الله تعالى باعتبارات احدها لبسه للعز والكبرياء ولما علمت ان الكبرياء لابد فيه من امرين احدهما العلم بكمال الذات والثاني اعتبار الشرف والعلو على الغير وكان هذان الاعتباران صادقين عليه تعالى اتم من صدقهما على كل موجود لا جرم كان بالكبرياء والعظمة احق من كل موجود اما الاول فلانه لما كان كمال الذات من الوجود وكماله وكان وجوده تعالى اتم الوجودات بحيث لم يفته من كماله شيء بل كل ما ينبغي له فهو حاصل له بالفعل صدق عليه هذا الاعتبار اتم صدق واما الثاني فلان وجوده تعالى هو الوجود الذي صدر عنه وجود كل موجود عداه وهو تعالى عالم بجميع المعلومات كليها وجزئيها واذن علمه بكماله وشرفه على عبيده واستعار اللبس باعتبار احاطته كماله بكل اعتبار له كما يحيط القميص والرداء بجسد لابسه الثاني كونه تعالى اختارهما لنفسه دون خلقه ومعنى اختيارهما تفرده باستحقاقهما لذاته فان المستحق للعز والكبرياء بالذات ليس الا هو ودل على ذلك المنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعالى الا هو الكبير المتعال والالف واللام هنا يفيد حصر الكبرياء والعلو فيه واما المعقول فلانه تعالى لما استحق ذلك الاعتبار لذاته لا لامر خارج والا لكان مفتقرا الى الغير فرد به المتكبرين وتوعدهم في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه عليه السلم حيث قال حكاية عنه الكبرياء ردائي الخبر علمنا انه قد اختار الاختصاص بهما دون خلقه الثالث جعلهما حمى وحرما على غيره استعار لفظ الحمى والحرم باعتبار اختياره لهما وتحريمهما على خلقه كما يحمي الملك المرعى والحرم الرابع واصطفاهما لجلاله اي لتقدسه وعلوه عن شبه مخلوقاته استعار الاصطفاء بهذين الوصفين لتفرده بهما وهو معنى لما الخامس جعله اللعنة على من نازعه فيهما من عباده اشارة الى قوله في الخبر المذكور فمن نازعني فيهما القيته في جهنم ولا شك ان الملقى في جهنم مبعد مطرود عن الخير والرحمة ولفظ المنازعة في الخبر مجاز في معاندة المتكبرين ومجانبتهم لامره في الاتصاف بالكبر فكانهم يجاذبونه ما اختص به من لوازم المجاذبة المنازعة القولية فاطلقت هنا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه السادس اختباره بذلك ملائكته المقربين الى قوله ساجدين اي ابتلاهم بالتكبر وعدمه وقد علمت معنى ابتلائه واختباره تعالى لخلقه فيما سبق ونعيده ههنا فنقول لما كانت حقيقة الاختبار طلب الخبر بالشيء ومعرفته لمن لا يكون عارفا به وكان هو تعالى عالما بمضمرات القلوب وخفيات الغيوب فتميز المطيعين من عبيده من العصاة لم يكن اطلاق هذا اللفظ في حقه حقيقة بل على وجه الاستعارة باعتبار انه لما كان ثوابه وعقابه للخلق موقوفا على تكليفهم بما كلفهم به فان اطاعوه فيما امرهم اثابهم وان عصوه عاقبهم اشبه ذلك اختبار الانسان لعبيده وتمييز المطيع منهم

من عصاه فالطلوع عليه لفظه وقوله لتميز المتواضعين منهم من المتكبرين ترشيح لاستعارة الاختبار لان التمييز من
لوازمه واعراضه ويحتمل ان يريد لتمييز المطيعين عن العصاة باعطاء الثواب لهم دونهم فلا يكون التمييز بمعنى العلم بل
الانفصال الخارجي لكل من المطيعين والعصاة بما يستحقه من ثواب وعقاب وقوله وهو العالم الى قوله الغيوب قرينة
مخرجة للاختبار عن حقيقته وهي جملة معترضة بين القول والمقول للملائكة وهو قوله تعالى اني خالق الى آخره والخبر
به هو قوله فقعوا له ساجدين وقال بعض الشارحين انما اختبرهم مع علمه بمضمراتهم لان اختباره تعالى ليس ليعلم بل
ليعلم غيره من خلقه طاعة من يطيع وعصيان من يعصى قال وقوله تعالى لنعلم اي الحزبين وقوله لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه اي لتعلم انت وغيرك كما انا عالم وفيه بعد وقد شرحنا قصة الملائكة وابليس وآدم في الخطبة
الاولى بقدر الوسع فلا حاجة الى التطويل بالاعادة غير ان هاهنا الفاظا قد تحتاج الى الايضاح فافتخار ابليس وتعصبه
وتكبره على آدم في قوله خلقتني من نار وخلقته من طين وقوله ءاسجد لمن خلقت طينا لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال
من حما مسنون فكان تعصبه عليه واستكباره نظرا الى اصله بما كونه امام المتعصبين باعتبار كونه المقتدى له في
العصبية في غير الحق والمقتدى به فيها وانما العصبية في الحق فهي محمودة كما جاء في الخبر العصبية في الله تورث الجنة
والعصبية في الشيطان تورث النار وكذلك كونه سلف المتكبرين باعتبار تقدمه المتكبرين بالاستكبار على آدم الذي
هو المتقدم وقوله ووضع اساس العصبية اذ كانت عصبيته لاصله كالاساس يبنى عليه الحادث من العصبيات بعده
برفعها وقوله ونازع الله رداء الجبرية اي تجبره وتكبره وقد عرفت وجه الاستعارة في المنازعة والرداء وكذلك قوله وادرع
لباس التعزز لما استعار لفظ الادراع لابليس من جهة اشتماله وتلبسه بالتعزز رشح بذكر اللباس وكذلك قوله وخلع قناع
التذلل استعارة لفظ الخلع وترشيح بذكر القناع وقوله الا ترون الى قوله برغمه تنبيه على كيفية تصغير الله اياه ووضعه
بسبب تكبره وتعظمه وذلك التصغير والوضع هو جعله في الدنيا مدحورا بعد اخراجه من الجنة بقوله تعالى اخرج منها
مذموما مدحورا واعداده في الآخرة سعيرا بقوله تعالى لاملان جهنم منهم اجمعين ونحوه وقوله ولو اراد الله الى
على الملائكة في صورة قياس اقتراني مركب من متصلين صغراهما قوله لو شاء الله الى قوله لفعل وكبراهما قوله ولو فعل
الى آخره وتالي الكبرى مركب من جملتين عطفت احداهما على الاخرى ومعنى الصغرى انه تعالى لو اراد ان يخلق آدم
من نور شفاف لطيف يخطف الابصار ويبهر العقول حسنه وطيب يأخذ الانفاس رائحته ولم يخلقه من طين ظلماني
لفعل لان ذلك امر ممكن مقدور له ويحتمل ان يريد بخلقه من النور خلقه روحانيا مجردا عن علاقة المواد المظلمة وقد يوصف
المجردات بالنور فيقال انوار الله وانوار جلاله وانوار حضرته وقد اضاف النور على ما يوصف بالرائحة ايضا فيقال فلان لم
رائحة العلم والطعم فيقال فلان لم يذق حلاوة العلم وكل ذلك استعارة لفظ المحسوس للمعقول تقريبا للافهام ومعنى
انه لو فعل خلقه كذلك لظلت اعناق الملائكة وابليس خاضعة له وذلك لشرف جوهره على الطين وفضل خلقته على ما
منه ولم يكن من يفسد في الارض ويسفك الدماء حتى تقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولا ان
يفخر عليه ابليس باصله ويقول انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين واسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون

ولخفت البلوى فيه على الملائكة وبيان الخفة من وجهين احدهما انه شرف جوهره فان من العادة ان يستنكف الشريف من الخضوع لمن هو
دونه في اصله ويشق عليه التكليف بذلك في حقه فاما اذا كان اصله مناسبا لاصله ومقاربا في الشرف فلا شك ان تكليفه
يكون عليه اسهل واخف والثاني انهم ما كانوا عالمين بالسر الذي خلق له آدم وهو كونه صالحا لخلافة الله سبحانه في عمارة الارض واصلاح
ابناء نوعه واعدادهم للكمالات وغير ذلك مما لا يعلمون كما قال تعالى في جواب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها اني اعلم ما لا تعلمون
وكما علمه الاسماء ولما عرضها عليهم فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا
ان تكليف النفس بما تطلع على سره وتعلم وجه الحكمة فيه اسهل عليها من تكليفها بما تجهله فلو خلقه تعالى من نور مناسبا
لعلموا نوعيته وسر خلقته فلم يشق عليهم التكليف بالسجود له ويؤيد هذا التوجيه قوله ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما
يجهلون اصله وفي هذا الاستثناء تنبيه على عدم ارادته خلق آدم من نور وذلك العدم هو نقيض مقدم نتيجة القياس المذكور
عن استثناء نقيض تاليها وتقدير النتيجة انه لو اراد خلقه من نور لظلت الاعناق له خاضعة ولخفت البلوى على الملائكة لكن لم
يكن الامر كذلك فاستلزم انه لم يرد خلقه من نور فكان معنى قوله ولكن يبتلي خلقه انه لم يرد خلقه من نور بل اراد ان يبتلي خلقه
ببعض ما يجهلون اصله وهو تكليفهم بالسجود لآدم مع جهلهم باصل ذلك التكليف والغرض منه او جهلهم بآدم وسر خلقته
الذي هو اصل لذلك التكليف ونصب قوله تمييزا او نفيا او ابعادا على المفعول له اي ليميز بذلك التكليف وما يستلزم من الآثار
والاختبار والخضوع المطيع من العاصي وينفي رذيلة الكبر والخيلاء عنهم وبالله التوفيق **الفصل الثاني** في امر السامعين
بالاعتبار بحال ابليس وما لزمه من اللعنة وبطلان اعماله الصالحة في المدة المتطاولة بسبب التكبر والعصبية الفاسدة
والتحذير من سلوك طريقته واتباعه اياه في الكبر ولوازمه من الرذائل التي عدها اهل ذلك قوله فاعتبروا بما كان من فعل الله
بابليس اذ احبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدرى امن سني الدنيا ام من سني الآخرة عن كبر
ساعة واحدة فمن بعد ابليس يسلم على الله بمثل معصيته كلا ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشرا بامر اخرج به منها ملكا ان
حكمه في اهل السماء واهل الارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرمه على العالمين فاحذروا
عدو الله ان يعديكم بدائه وان يستفزكم بخيله ورجله فلعمري لقد فوق لكم سهم الوعيد واغرق لكم بالنزع الشديد ورماكم
من مكان قريب فقال رب بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين قذفا بغيب بعيد ورجما بظن غير
مصيب صدقه به ابناء الحمية واخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهلية حتى اذا انقادت له الجامحة منكم واستحكمت
الطماعية منه فيكم فنجمت الحال من السر الخفي الى الامر الجلي استفحل سلطانه عليكم ودلف بجنوده نحوكم فاقحموكم ولجات
الذل واحلوكم ورطات القتل واوطؤوكم اثخان الجراحة طعنا في عيونكم وحزا في حلوقكم ودقا لمناخركم وقصدا لمقاتلكم وسوقا
بخزائم القهر الى النار المعدة لكم فاصبح اعظم في دينكم جرحا واورى في دنياكم قدحا من الذين اصبحتم لهم مناصبين وعليهم
متألبين فاجعلوا عليه حدكم وله جدكم فلعمر الله لقد فخر على اصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم واجلب بخيله عليكم
وقصد برجله سبيلكم يقتنصونكم بكل مكان ويضربون منكم كل بنان لا تمتنعون بحيلة ولا تدفعون بعزيمة في حومة ذل و
ضيق وعرصة موت وجولة بلاء فاطفئوا ما كمن في قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهلية وانما تلك الحمية تكون في

عدو كرم

السلم من خطرات الشيطان ونخواته ونزغاته ونفثاته واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم والقاء التعزز تحت اقدامكم وخلع التكبر
من اعناقكم واتخذوا التواضع مسلحة بينكم وبين ابليس وجنوده فان له من كل امة جنودا واعوانا ورجلا وفرسانا ولا تكونوا
كالمتكبر على ابن امه من غير ما فضل جعله الله فيه سوى ما الحقت العظمة بنفسه من عداوة الحسب وقدحت الحمية في قلبه
من نار الغضب ونفخ الشيطان في انفه من ريح الكبر الذي اعقبه الله به الندامة والزمه آثام القاتلين الى يوم القيمة
الا وقد امعنتم في البغي وافسدتم في الارض مصارحة لله بالمناصبة ومبارزة للمؤمنين بالمحاربة فالله الله في كبر الحمية وفخر
الجاهلية فانه ملاقح الشنآن ومنافخ الشيطان اللاتي خدع بها الامم الماضية والقرون الخالية حتى اعنقوا في حنادس جهالته
ومهاوي ضلالته ذللا عن سياقه سلسا في قياده امرا تشابهت القلوب فيه وتتابعت القرون عليه وكبرا تضايقت
الصدور به الا فالحذر الحذر من طاعة ساداتكم وكبرائكم الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم والقوا الهجينة على ربهم
وجاحدوا الله ما صنع بهم مكابرة لقضائه ومغالبة لالائه فانهم قواعد اساس العصبية ودعائم اركان الفتنة وسيوف اعتزاء
الجاهلية فاتقوا الله ولا تكونوا لنعمه عليكم اضدادا ولا لفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا الادعياء الذين شربتم بصفوكم كدرهم
وخلطتم بصحتكم مرضهم وادخلتم في حقكم باطلهم وهم اساس الفسوق واحلاس العقوق اتخذهم ابليس مطايا ضلال
بهم يصول على الناس وتراجمة ينطق على السنتهم استراقا لعقولكم ودخولا في عيونكم ونفثا في اسماعكم فجعلكم مرمى نبله
قدمه ومأخذ يده اقول الاحباط الابطال والجهد بفتح الجيم الاجتهاد والهوادة الصلح واستفرغ ما استطاعه وازعجه ووقى
السهم جعل له فوقا وهو موضع الوتر منه ونزع في القوس نزعا اي مدها والاغراق في النزع استيفاؤه واستيعابه والقذف
الرمي والطماعية الطمع وبحث ظهرت ودلف مشى ودنا واقحموكم ادخلوكم قهرا والولجات جمع ولجة بفتح الجيم وهي الموضع
كالكهف ونحوه ويستتر به المارة من المطر وغيره والورطات جمع ورطة وهي الارض المطمئنة لا طريق فيها والورطة الهلاك
والحز القطع والخزائم جمع خزامة بكسر الخاء وهي حلقة من شعر في انف البعير يشد فيها الزمام واروى اشعل من الورى وهو
اظهار النار والمناصبة المعاداة والمقابلة في الحرب لان كلا ينصب نفسه وشره للاخر والتالب الاجتماع وحب الرجل ما
من مفاخر اباير والحب حلبه جمع واصل الجلبة الاصوات في الحرب والغارة وحومة الشي معظمه وما السد ارسته على كثيرة
وكذلك الحلقة للقوم وعرصته موضع اي معرض له وبصدده والجولة الحلقة والنخوة الكبر والترح الافساد والشف
اقل من القليل والمسلحة قوم ذو سلاح يحفظون الثغور والمراقب وقد يطلق على تلك الاماكن انفسها والامعان في الشي
فيه ولا فضل والمصارحة المكاشفة والمجاهرة والملاقح الفحول واحدها ملقح بفتح الميم ويحتمل ان يكون مصدرا او الشنآن
النون وسكونها البغضة واعنق الجمل في السير مد عنقه وخطوه والحنادس جمع حندس بكسر الحاء والدال الليل شديد الظلمة
والذلل جمع ذليل ضد الصعب بمعنى مفعول والسلس جمع سلسة وهي سهلة القياد والهجينة الفعل القبيح فعيلة بمعنى مفعول
الابهام والانتساب الى اب او قبيلة والادعياء جمع دعي وهو الذي يدعي لغير ابيه وينسب اليه والحلس ما يلزم الشي واصله
حلس البعير وهو كساء رقيق يجعل تحت بردعته وكاية عن ظهره والعقوق مشاقة الوالد وذي الرحم ومنع برهما فاعتبر والهم
للسامعين باعتبار حال ابليس في الكبر بعد شرح حاله في طاعته لله وطول مدة عبادته له وما انتهى بسبب كبر ساعة واحدة من احبط

عمله

عمله والبعد عن رحمة الله لينبهوا اللطف عن هذه الرذيلة ووجه الاعتبار ان يقال اذا كان حال من يكون من الملائكة بعد عبادة ستة الاف سنة
كذلك فكيف بالمتكبر من البشر على قصر مدة عبادتهم وكونهم بشرا فيطرق الاحتمال ان يكونوا كذلك وجهده الجهيد اي اجتهاده الذي
وشق عليه وقوله وكان قد عبد الله الى قوله الاخرة فيشبه ان يكون قد اشار بسني الاخرة الى السني الموهومة عن مثل اليوم المشار
اليه بقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون وقوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ونحوه من الايام
في الاخرة لا يمكن حملها على حقائقها لان اليوم المعهود عبارة عن زمان طلوع الشمس الى مغيبها وبعد خراب العالم على ما نطقت
الشريعة لا يبقى ذلك الزمان وعلى راي من اثبت بقاء الفلك تكون القيمة عبارة عن مفارقة النفوس لابدانها او عن احوال
لها بعد المفارقة والمجردات المفارقات لا يكون لاحوالها زمان ولا مكان حتى يجري في يوم او سنة فتعين حمل اليوم على ما
وهو الزمان المقدر بحسب الوهم القايس لاحوال الاخرة الى احوال الدنيا وايامها القايم لها بالقوة مقاما لها بالفعل وكذلك السنة
وهذه الازمنة هي التي اشار الى مثلها المتكلمون بقولهم ان تقدم الباري تعالى على وجود العالم بتقدير ازمنة لا نهاية لها اذا
ذلك فاعلم ان قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفي موضع مقداره الف سنة اشارة الى تفاوت تلك الازمنة
الموهومة بشدة اهوال احوال اهل الاخرة وضعفها وطولها وقصرها وسرعة حساب بعضهم وخفة ظهره وثقل اوزار قوم
آخرين وطول حسابهم كما روي عن ابن عباس في قوله كان مقداره خمسين الف سنة قال هو يوم القيمة جعله الله على الكافرين
مقدار خمسين الف سنة واراد ان اهل الموقف لشدة اهوالهم يستطيلون بقاءهم فيها وشدتها عليهم حتى يكون في قوة ذلك
المقدار وعن ابي سعيد الخدري قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم كان مقداره خمسين الف سنة ما اطول هذا اليوم
والذي نفسي بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وهذا يدل على انه يوم موهوم والا
لما تفاوت في الطول والقصر لهذه الغاية اذا ثبت هذا فنقول يحتمل ان يكون مراده عليه السلم ان عبادة ابليس والملئكة
الذين مثلنا في الخبر في الخطبة الاولى انهم اهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى البحار ورؤوس الجبال وعبدوا الله في الارض زمانا
كانت عبادة روحانية لا يستدعي زمانا موجودا بل احوالا موهومة تشبه الزمان وان ابليس عبد الله في تقدير ازمنة مثلها
الاف سنة قبل خلق آدم ويحتمل ان يقال انها كانت جسمانية في زمان من ازمنة الدنيا ولكن تكون في كمية كمقدار خمسين الف
سنة من سني الدنيا فاما قوله لا يدرى فهي نسخة السيد الرضي بالبناء للفاعل وفي غيرها من النسخ بالبناء للمفعول والرواية الاولى
تستلزم انه عليه السلم ممن لا يدري ان تلك السنين من اي السنين والثانية يحتمل فيها كونه ممن يدري ذلك وبالجملة فلما كانت
ابليس قبل آدم يحتمل ان تكون روحانية وان تكون جسمانية ويحتمل ان تكون بحسب ذلك في زمان موهوم او موجود على
تقدير ان يكون موجودا يحتمل ان تكون ستة آلاف سنة من السني المعهودة المتعارفة لنا ويحتمل ان يكون من سني
قبل ذلك مشتملا على تقدير كل منها الف سنة او خمسين الف سنة من سني الاخرة لم يكن الجزم بواحد من هذه الاحتمالات
فلذلك قال لا يدرى قال بعض الشارحين ويفهم من تقدير عليه السلم تلك المدة بستة الاف سنة لا يدرى من اي السنين هي انه سمع
فيه نصا من رسول الله صلى الله عليه وآله مجملا ولم يفسر له او انه سمعه ولم يفصله لحكمة لم يفصله للناس بل ابهم القول عليهم
تفنيه لهم بان تعيين سني الاخرة مما يستعظمونه ولا يحتمله اذهانهم فان حملت ان كانت ستة الاف سنة كل يوم منها خمسين

الف سنة من سني الدنيا كان مبلغ ذلك ما يخرج من ضرب ستة آلاف سنة في ثمانية وستين مضروبين في خمسين الفا وهو ماية
وثمانية الف الف الف بتكرير لفظ الالف ثلث مرات وعلى تقدير ان يكون مقدار كل يوم الف سنة يكون مبلغها ما يخرج من ضرب
ستة آلاف في ثمانية وستين الفا وهو الفا الف الف سنة بتكرير الالف ثلث مرات وتثنية الاول ومايتا الف الف بلفظين
وستون الف الف بلفظين ايضا وذلك مما لا يحتمله اذهان السامعين فلذلك ابهم القول فيه وقوله فمن ذا الى قوله
استفهام انكار لوجود من يسلم من لعنة الله وعقوبته ممن يكون فيه رذيلة الكبر وقوله ليسلم على الله في معنى يرجع اليه سالما
من طرده ولعنته وهذا كقولهم سلم على هذا الشيء اذا رجع اليك سالما ولم يلحقه تلف والباء في قوله بمثل معصية للاستصحاب
اي فمن يرجع الى الله سالما من عذابه وقد استصحب مثل معصية ابليس اي تكبر كتكبره وخالف امر ربه وقوله كلا رد لما عساه
من تلك السلامة التي استنكر وقوعها بالاستفهام وقرر ذلك الرد بقوله ما كان الله الى قوله ملكا والباء في قوله بامر للاستصحاب ايضا
اي ما كان ليدخل الجنة بشرا مستصحبا لامر اخرج به منها ملكا وذلك الامر هو رذيلة الكبر التي يستصحبها الانسان بعد الموت
وخلقا في جوهر نفسه والقضية سالبة عرفية اي لا يدخل الجنة بشر بوصف الكبر ما دام له ذلك الوصف فان زال ذلك الوصف
كما في حق الكافر لم يدخل الجنة ابدا وان كان لا يلزم جواز ان يدخل بعده وبالجملة فلا دلالة للوعيدية القائلين بتخليد الفاسق من
اهل القبلة في هذا الكلام وأما حديث الاحباط فنقول انما سببه الكفر كما قال تعالى الا ابليس استكبر وكان من الكافرين فان ظاهر
الكلام يقتضي ان احباط عمله واخراجه من الجنة كان بسبب تكبره لا بسبب كفره قلت الاصل هو الكبر لان تكبره كان على
الله واباه لطاعته واستصغار لآدم حيث قال أأسجد لبشر خلقته من صلصال أأسجد لمن خلقت طينا ولذلك
محادة لله وكفر به مصارحة فكان ذلك مستلزما الكفر ولا شك ان الكفر يستلزم احباط العمل واللعن والخروج من الجنة
ان حكمه في اهل السماء الى قوله لواحد اي في افاضته للخير والشر على من يستعد لاحدهما فمن استعد من اهل السماء او اهل
الارض لخير او شر فحكمه فيه ان يفيض عليه ما استعد له وذلك حكم لا يختلف اعتباره من جهته تعالى وقوله وليس بين الله
الى قوله العالمين اي ليس بينه وبين احد من خلقه صلح فيخصصه باباحة حكم حرمه على سائر خلقه فيختلف بذلك حكمه فيهم
لان الصلح من عوارض الحاجة او الخوف المحالين عليه تعالى وقال بعض الشارحين كل ما جاء من الاحباط في القرآن او الاخبار
فمحمول على ان ذلك الفعل المحبط قد اخل فاعله ببعض شرائطه اللازمة اذ لم يوقعه على الوجه المأمور به المرضي او فعله
لا على بصيرة ويقين بل على ظن وتخمين وبالجملة فحيث وقع لا على وجه يستحق به ثوابا لا انه استحق به شيئا ثم احبط فان ذلك
مما قام البرهان على استحالته فحذرهم من ابليس باعتبار كونه عدو الله بعد ان حذرهم باعتبار حاله وما لزمه من الشقاوة بسبب
معصيته له ان يعديهم بدائه وهو الكبر الذي بسببه لزمته تلك الشقاوة ومعنى عدواه لهم مجانبته لاوامر الله ومجاوزته
الطاعة الى المعصية وهو مستعار ولفظ الداء مستعار للكبر يقرب من الحقيقة فان ادواء النفوس اشد من ادواء الابدان
ومحل ان يعديكم نصب على البدل من عدو ونقل عن القطب الراوندي رحمه الله انه مفعول ثان عن احذروه وهو
اذ هذا الفعل لا يتعدى الى مفعولين وقوله بخيله ورجله كناية عن اعوانه من الضالين المضلين الذين يستفزون الناس
بالوسوسة والدعوة الى طرق الضلال وقوله فلعمري الى قوله الشديد استعار لفظ السهم لوساوسه وترشيحا [illegible] في الوجه

عنه بقوله تعالى لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين ووجه الاستعارة كون رمي تلك الوساوس وجوه نفوسهم فيكون سببا
لهلاكهما في الآخرة كما يكون السهم سببا للقتل ورشح بذكر التفويق والنزع والاغراق والرمي وأما مكانه القريب فكما نطق به الخبر النبوي
في قوله ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقوله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات
وقرب من كان كذلك ظاهر والكلام في قوله فلعمري في معرض الاغراء بروقي الشياطين بعداوته والتنفير عنه وقوله وقال رب بما
اغويتني اقتباس للآية وهو من جملة الاغراء به وفي الباء وما يتعلق به وجوه احدها قال ابو عبيدة معناها القسم فان قلت كيف
الاغواء اليه تعالى وكيف يصح الاغواء مقسما به قلت على الاول لما كان تعالى خالق اسباب الغواية كالقدرة والعلم وغيرهما كانت
له تعالى سببية في ايجاد الغواية وان كانت بعيدة فلذلك صح اسناد فعلها اليه تعالى وعلى الثاني انه يجوز ان يكون ما بمعنى الذي
والعائد من الصلة محذوف وتقديره بالذي اغويتني به لأزينن لهم وذلك هو الامر بالسجود لآدم اذ كان بسببه استكبر فعصى
فغوي والقسم جائز بامره تعالى وتكليفه ومن جعل ما مصدرية قال انه يقول ان ابليس اطلق على الامر والتكليف الذي حصل
له بسببهما الغواية لفظ الاغواء فجعل الاسم المسبب على السبب ثم اقسم به باعتبار ما هو امر وتكليف لا باعتبار ما هو غواية
الثاني قال غيره هي للسببية اي بكوني غاويا لأزينن كما يقول بطاعته ليدخلن الجنة وبمعصيته ليدخلن النار ومفعول التزيين
محذوف اي لأزينن لهم الباطل حتى يقعوا فيه الثالث قال بعضهم يجوز ان يكون الباء للسببية ويقدر قسم محذوف والمعنى
ما كلفتني فاستلزم غوايتي اقسم لأزينن لهم وقوله قذفا بغيب بعيد كقوله تعالى ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وهو مصدر
حذف فعله وسد مسده الحال قال المفسرون والغيب هنا بمعنى الظن وفيه نظر لان اطلاق لفظ الغيب على الظن مجاز والعدول
عن الحقيقة انما يكون بعد تعذر حمل اللفظ عليها ولا تعذر ههنا وذلك لان مفهوم الغيب هو ما غاب عن الخلق فلم يعلموه فكان
القذف بكل ما لا يعلم والحكم به قذفا بالغيب وحكما به ولما كان ابليس لا يعلم ما حكم به من ضلال الخلق من التزيين والاغواء وهو
بعيد عن علمه ثم حكم به كان حاكما بما هو غائب عن علمه وعازب عنه وهو معنى قذفه بالغيب البعيد وفي نسخة الرضي
رحمه الله بظن مصيب وفي اكثر النسخ غير مصيب وهو المناسب لقوله بغيب بعيد لان ما يقال عن غيب بعيد فانما
ظنه فان قلت فلم قال غير مصيب مع ان ابليس صدق ظنه في اغواء الناس وتم له ما ظن كما قال تعالى ولقد صدق عليهم
ابليس ظنه فاتبعوه الا قلت الجواب عنه من وجوه احدها انه يريد بالظن المصيب العلم لان المصيب الحق فكانه قال
بظن ليس بعلم الثاني قال بعض الشارحين انما كان غير مصيب لانه ظن ان اغواءهم يكون منه فلا اغويهم وهذا الظن فاسد لان
اغواءهم كان منهم اختيارا لانهم اختاروا العمى على الهدى فغووا عن طريق الله بتصديق اسباب الحجة له في ذلك يعود الى
منهم وحقق ظنه لا انه الخالق لاغوائهم فهو ظن ان الغواية تحصل منه فصدق قوم في الغواية واخطأ ظنه في نسبتها اليه الثالث
ان الكلام لما كان في معرض ذم ابليس واغراء الخلق بعداوته وقف عليه السلام على قوله اجمعين فيكون المعنى ان ابليس ظن انه
يغوي جميع الخلق واما الاستثناء لعباد الله المخلصين فذلك ليس بحسب ظنه بل تصديقا لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان ومعلوم ان ذلك الظن فاسد وغير مصيب اذ كان انما وقع على اغواء البعض الرابع قال بعض الشارحين يحتمل ان يكون
اراد بالاغواء الذي ظن انه يفعله بالخلق هو اغواء الشرك وبالاخلاص في قوله الا عبادك منهم المخلصين العصمة من المعاصي

فيكون الناس اذن في ظلمة انما معصوم او مشرك وهذا الظن غير مصيب اذ قد يوجد من ليس بمشرك ولا مصيب وقوله صدقة به اباه
الحمية فالحمية لازم من لوازم الكبر لانها ماخوذة من قولك حميت اذا غضبت فكانت حقيقتها ثوران الغضب عن تصور
مع الترفع على فاعله واعتقاد الشرف عليه واستعار لفظ الابناء لاصحاب هذه الرذيلة واهل الكبر من الناس ووجه الاستعارة
ملازمتهم لها كما يلازم الولد اباه حتى صار وكانهم خلقوا منها او هي اصل لهم وقصد تنبيههم بذلك انهم اعوان كابليس
والمعاصي ابناء الروح واتهم بها عن سبيل الله قال بعض الشارحين والباء في قوله يعني في اي صدقة غير وصدقة في موضع
صفة للشيء وقوله واخوان العصبية يحتمل ان يريد اخوانها فيكون قد جعل لها اخوانا على سبيل الاستعارة وجه ملازمتهم لها
كما جعل للحمية ابناء ويحتمل ان يريد بالاخوان فيها اي الذين عقدوا الاخوة بينهم على العصبية الباطلة بينهم وكذلك فرسان الكبر
والجاهلية يحتمل ان يكون قد استعار لفظ الفرسان لمركبي الكبر والافعال الجاهلية ووجه الاستعارة ظاهر ويحتمل ان يريد
الجاهلية الموصوفين بالكبر وقوله حتى الى قوله الجلي نهاية من قوله نوقد والغرق ورماكم واستعار لفظ الجامحة للنفوس التي كانت
عاصية لابليس ابية عن الانقياد له وقوله فنجمت الحال اي ظهرت الحال التي كان يرومها منكم وظنها فيكم وهي الغواية
والضلال من السر الخفي الى الامر الجلي اي من القوة فيكم الى الفعل وقوله استفحل جواب الشرط واستعار الاستفحال لشدة
وسلطانه اشارة الى كمال قدرته على تطويع النفوس وقهرها وجنوده كناية عن اهل الفساد في الارض كما علمت فيما سبق وقوله
بهم دخولهم بالفساد على الناس وترتيبهم لهم رذايل الاخلاق واغوائهم اياهم ومن لوازم ذلك التحاسد والتباغض
والتقاطع والتدابر وتفرق الكلمة ومن لوازم تفرق الكلمة ان تقحمهم العدو ولجات الذل وتحلهم ورطات القتل وتوطئهم
اثخان الجراحة ويحتمل ان يريد بسلطانه الذي استفحل عليهم هو سلطان عدوهم ومن خالفهم كمعوية وغيره وفوقهم
عليهم بعد تفرق كلمتهم وقلة طاعتهم له عليه السلم واضافة ذلك السلطان وجنوده الى الشيطان ظاهر لان سلطان
الحق وجنوده يقال له سلطان الله وجنود الله وسلطان الباطل يقال له سلطان الشيطان وجنوده جنود الشيطان واوليائه
واعوانه وظاهر انهم عند تفرق كلمتهم قد استفحل عليهم سلطان ابليس ودلف بجنوده اليهم وهم مخالفوه عليه السلم
اثخان الجراحة على انه مفعول ثان لاوطأوكم ولفظ الولجات والورطات مستعاران للاحوال التي هي مظان الذل و
القتل كالاماكن التي يعبرون اليها من عدوهم ذلا والمواطن التي قتلوا فيها او لطاعتهم والاستسلام لهم والجائهم و
اياها الجائهم لهم الى تلك الاحوال والاماكن وكذلك استعار وصف ايطائهم اثخان الجراحة ملاحظة لشبهة وقوعها
بهم بالموطئ فاستلزمه الاذى وكنى بذلك المستعار عن ايقاعهم في جراحات الجراح اثخان مصدر قولك اثخن في الجراح اذا
اكثر فيه وبالغ حتى فشا كما انه تحن وقوله طعنا الى قوله لمقاتلكم جعل محل الطعن العيون والحز الحلوق والدق والمناخر والقصد
المقاتل لانها محالها المتعارفة بعد ارادة الاذلال والاهانة والاهلاك لان الطعن وان كان قد يقع في ساير البدن الا انه ابلغ في
والفحش وكذلك في باقيها قال بعض الشارحين انتصب طعنا وحزا ودقا وقصدا وسوقا على المصادر من افعال مقدرة يعني
روي لاثخان الجراحة بوجود اللام فيحتمل ان يجعل طعنا مفعولا ثانيا لاوطأكم ويكون اللام في لاثخان لام الغرض اي اوطأكم
طعنا وحزا ودقا ليحصل الجراحة فيكم قال ويكون قصدا وسوقا خالصين للمصدرية لبعدهما عن المفعول به والاظهر هو الحق

كلا

الاول المعنى كون كل منهما مصدر الفعل ولما كان الفاعل بهم هذه الافعال كلها هو ابليس وجنوده فان كان المراد بجنوده الساعين بين الناس
بالوسوسة حتى الفساد في الارض فمعنى فعلهم بهم بهذه الافعال كونهم اسبابا معدة لهم بالوسوسة المستلزمة لتفريق الكلمة ومخالفة
الامام لوقوع هذه الافعال بهم من اعدائهم ومحاربيهم ثم تشبيه فعل العدو بهم ان يسوقوهم الى النار بخزائم القهر ولفظ الخزائم
مستعار لما يمكن في جواهر نفوسهم من الرذايل الموبقة وملكات الشرور التي لا محيص لهم عن النار بسببها لمشابهتها الخزائم
التي يقاد بها الابل في كونها لا خلاص لها عما يقاد اليه بسببها ولفظ السوق ترشيح للاستعارة وان كان المراد بجنوده هم
المخالفون له عليه السلم والمحاربون لاصحابه ففعلهم بهم تلك الافعال ظاهر واما السابق لهم الى النار فيحتمل ان يكون هو ابليس
وذلك باذلالهم لهم وادخالهم في باطلهم عن قهر وغلبة ولا شك ان الدخول في باطلهم سبب جاذب الى النار ولفظ الخزائم
اذن لما يتمكن من باطلهم ويجب في النفوس واتباع الاوامر بهم بالباطل وحملهم على ارتكاب المنكر ويحتمل ان يكون السايق هو
ابليس وجنوده من اهل الوسوسة ثم رجع الى افراده بالفعل نظرا الى قوله ودلف بجنوده فقال بعد فاصبح اعظم في دينكم حرجا
فاستعار لفظ الجرح للفساد المعقول الحاصل بسبب ابليس في دينهم ووجه المشابهة كون الجرح فسادا في العضو ايضا
استعار لفظ القدح لوساوس ابليس المستلزمة لوجود الاحن والتباغض والتحاسد بينهم الموجب لتفريق كلمتهم المستلزم
لتشتت سلطانهم وفساد نظامهم وما هم عليه من الابهة واستقامة المعاش في الدنيا ووجه المشابهة افساد تلك الوساوس
لاحوال معاشهم كافساد قدح النار لما يقدح فيه وجعله في جرح دينهم وافساد دنياهم اشد من اعدائهم الذين هم مناصبون لهم
ظاهر الصدق اذ كانت فتنة ابليس لهم في دينهم ودنياهم اصلا لكل فتنة تلحقهم من اعدائهم باعتبار انها سبب تفرقهم كما سبق
امرهم ان يجعلوا عليه حدهم اي باسهم وسطوتهم لان حد الرجل باسه وسطوته او منعهم ودفعهم وان يجعلوا له جدهم اي جهدهم
للخلاص من فتنته بمقاومته وقهره وقوله فلعمر الله الى قوله بلا عدد الى الاعراض بعد امره بذكر اسباب العداوة المتقررة وهي كونه فخر
على اصلهم وذلك قوله تعالى حكاية عنه انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ووقع في حسبهم ودفع في نسبهم
قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون فنبه بذكر اصلهم وهو الصلصال والحماء المسنون التي وقع
منه انه ساقط عن درجة الاعتبار وخيله ورجله كناية عن جنوده من اهل الباطل واجلب بخيله عليهم جمعه لجنوده على
محاربتهم او على الوسوسة لهم والاضلال وقصد لسبيلهم اي السبيل الحق الذي هم سالكوه الى الله كقوله تعالى حكاية عنه
لاقعدن لهم صراطك المستقيم وهو كناية عن جذبه لهم الى طرف الباطل عند توجههم الى طرف الحق ويسد الذين
لهم بكل مكان كقوله فلاتينهم من بين ايديهم الاية وهو كناية عن اخذه بوسوسته لهم من كل وجه واغوائه لهم عن كل سبيل حق
ويضربهم منهم كل بنان كناية عن ايضاعه كونه هو وجنوده اسبابا معدة لقتالهم وقطعهم بايدي اعدائهم وعلى احتمال ان يريد
بجنوده هم مخالفوه عليه السلم من اهل الضلال فمعنى قصدهم لسبيلهم ابتلاؤهم بالفتن والقتل ومنعهم لهم بذلك عن
اقامة حدود الله والاستقامة على سبيله واقتناصهم لهم بكل مكان وضربهم منهم كل بنان كناية عن استقصائهم وقتلهم و
ولفظ الاقتناص مستعار وظاهر انهم لا يمتنعون من افعاله بعد استحكام طمعه فيهم واستيلاء سلطانه عليهم بحيله لا
يدفعون عن انفسهم بعزيمة اي جد واجتهاد وصرامة في امر لما سبق منهم من التخاذل والانفعال والحمية والحلقة والعرضة

والجوارح الفاظ كنى بها عن الدنيا اذ كانت محل فخرهم والضيق عليهم وعرصة سوقهم ومظنة بلائهم والاضافات لادنى ملابسة
ثم عاد الى امرهم بتطهير قلوبهم من رذيلة العصبية واحقاد الجاهلية واستعار لفظ النيران لما يثور من حرارة الغضب عند
وقد علمت ان مبدا تلك الحرارة القلب ورشح بذكر الاطفاء ولما كان منشأ تلك النيران حمية فلذلك قرنها بها فقال وانما
تلك الحمية ويفهم من الحمية انها خبر المبتدا وقوله تكون خبر بعد خبر ويحتمل ان تكون صفة لتلك والخبر تكون
ان الحمية والعصبية الباطلة من خطرات الشيطان التي يخطرها النفوس ونخواته التي يجد فيها بتحسينه الغلبة
والاستعلاء والترفع والتكبر على الخلق ومن نزغاته التي يفسد بها الناس ونفثاته التي يلقيها الى اذهانهم لغرض الافساد والاضلال
واراد باضافتها الى الشيطان التنفير عنها ثم اردفه بالامر بالتذلل واردية التواضع وامرهم ان يعتمدوا وضعه على رؤسهم
وهو كناية عن اعزازهم والعناية به لكونه فضيلة وان يلقوا التعزز تحت اقدامهم وهو كناية عن اطراحه وعدم العناية به لكونه
وان يخلعوا التكبر من اعناقهم واستعار لفظ الخلع لطرح التكبر ونسبه الى الاعناق ملاحظة لتشبيهه بما يلبس من قميص
او طوق خاص ثم يخلعه اذ ليسوا اهلا له ولبس ما يخفى لهم وان يلزموا التواضع واستعار له لفظ المسلحة ووجه المشابهة
انه لما كان المتواضعون بسبب تواضعهم وتخلقهم به حافظين لدينهم وانفسهم من دخول ابليس وجنوده عليهم
برذيلة الكبر وما يلزمها من سائر الرذائل المعدودة المهلكة اشبه تواضعهم المسلحة التي هي محل الحفظ بها من غارة
العدو ولما علمت ما يلزم الكبر من الرذائل فلا يخفى عليك ما يلزم التواضع من اضدادها ونقائضها وقوله فان لكل
امة الى قوله فرسانا بيان لجنوده واشارة الى ان له من هذه الامة جنودا واعوانا ورجالا وفرسانا اتصفوا بصفته و
شعاره وهو الكبر فينبغي ان يجتنبوهم ويطرحوا اشعارهم وقوله ولا تكونوا في ذلك كالمتكبر على ابن امه الى قوله من غير ما
فضل جعله الله فيه اراد بذلك المتكبر قابيل حين قتل اخاه هابيل عن كبر وحسد وهو نهي عن الكبر ايضا من بعضهم على
بعض والى قصة قابيل وهابيل اشار القران الكريم بقوله واتل عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا الى قوله جزاء
الظالمين والمنقول في السبب ان حواء كانت تلد في كل بطن اثنين ذكرا وانثى فولدت في اول بطن قابيل واخته ثم
مكثت سنين فولدت هابيل واخته فلما ادركوا امر الله ادم ان ينكح قابيل اخت هابيل وينكح هابيل اخت قابيل فرضي
هابيل بذلك ولم يرض قابيل لان اخته كانت احسنهما فقال ادم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه زوجتها منه وقيل
بل قال ادم لهابيل وقابيل ان ربي عهد الي انه يكون من ذريتي من يقرب القربان فقربا قربانا حتى تقر عيني اذا تقبل
قربانكما وكان قابيل صاحب زرع وهابيل صاحب ضرع فقرب قابيل باردا من قمح عنده وقرب هابيل باجود جمل عنده
ووضعا قربانهما على الجبل فدعا ادم فنزلت نار بيضاء من السماء فرفعت قربان هابيل دون قابيل لان نيته لم تكن خالصة
في قربانه وقيل لانه قرب باخس ما عنده وقيل لانه كان مصرا على كبيرة لا يقبل الله معها طاعة وذلك قوله تعالى
عليهم نبأ ابني ادم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر فحسده قابيل وكان اكبر منه سنا فقال
لاقتلنك قال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك الاية الى قوله فاصبح من الخاسرين اي لاخيه في
الدنيا والجنة في الاخرة وروي انه بقي زمانا يحمله على ظهره لا يدري ماذا يصنع به حتى بعث الله غرابا يبحث في الارض

ليريه كيف يواري سوأة اخيه وروي انه كان غرابان قتل احدهما الاخر واحتفر له ودفنه فقال قابيل يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل
هذا الغراب الاية اذا عرفت ذلك فنقول قال الثعلبي انما اضافه الى الام دون الاب لان الولد في الحقيقة من الام اي الولادة
بالفعل فان النطفة في الحقيقة ليست بولد بل جزء مادي له ونسبة الولد اليه في الحكم دون الحقيقة وقيل لان قابيل قتله
لهابيل كانه قطع نسبه من ابيه كما قال تعالى في ولد نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وقيل لان شفقة الاخ من الام ازيد
من شفقة الاخ من الاب لزيادة شفقة الام والاول اليق وقد اشار بهذه الاضافة الى جهة مساواته له في كونهما من محل واحد
ليبين قبح تكبره وليتنبه السامعون لنهي الانسان عن التكبر على غيره من ابناء نوعه واكد ذلك بقوله من غير ما فضل جعله الله
فيه وقوله سوى ما الحقت العظمة الى قوله ريح الكبر اشارة الى جهات تكبره عليه واسبابه وهي العداوة عن حسد وجعل تلك
العداوة مسببة عن العظمة وهو ظاهر كما علمت فان المتعظم معتقد لكمال نفسه وانه اولى بكل كمال يليق به من غيره وانه لا ينبغي
ان يشاركه فيه احد وذلك يستلزم حسده للغير على ما يعتقده كمالا يصل اليه كاعتقاد قابيل انه اولى بالاخت الحسناء
من اخيه لكونه اكبر سنا فاسنده الى غير ذلك من الاسباب وعن ذلك الحسد تكون الحمية وفوران نار الغضب والعصبية
ولفظ النار مستعار كما سبق ولفظ القدح ترشيح وكذلك لفظ الريح مستعار لتلك الوساوس والخطرات التي نفخها الشيطان في
روع المتكبر من كونه اولى واحق بذلك الكمال ونحوه وكذلك لفظ الالقاء لتلك الخطرات ونفثها وقوله الذي اعقب الله به الندامة
المشار اليها كما ذكرناه والزمه اثام القاتلين الى يوم القيمة اشارة الى مقتضى قوله تعالى من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه
من قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا اي يكون معاقبا في الغلظ والشدة والتأبيد كعقاب قاتل الناس جميعا كما قال
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا الاية وكذلك مقتضى قول الرسول صلى الله عليه واله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيمة وقابيل اول من سن القتل فلا جرم لزمه اثام القاتلين الى يوم القيمة وكذلك قوله صلى الله عليه واله
ما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منها ذلك بانه اول من سن القتل ثم نزع في تنبيههم على اعمالهم ونهيهم
في البغي والافساد في الارض واعلامهم بذلك من انفسهم والخطاب يشبه ان يكون للبغاة من اصحاب معاوية ومن الذين
كاشفوا الله تعالى بمحادة اوليائه ومعاداة دينه وبارزوا المؤمنين بالمحاربة ومصارحة ومبارزة مقصود ان سبيلا
الحال ثم كرر التحذير من الله تعالى في الكبر واضافه الى الحمية ليميز من الكبر المحمود وكذلك اضافة الفخر الى الجاهلية فان منه
والفخر ما هو محمود كتكبر الفقراء على اهل الدنيا وفخرهم كما ورد في الخبر مرفوعا ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء واحسن منه
تكبر الفقراء على الاغنياء ثم اخذ في ذكر ما يتفرع عنه من الاوصاف وهو كونه ملاقح الشنآن وهو البغض والعداوة ولفظ
الملاقح مستعار من الفحول للكبر والفخر ووجه المشابهة كونهما مظنة وجود البغضاء بين الناس وسببه كما ان الفحول
سبب الالقاح واما على تقدير كونه مصدرا فاستعارة لاثمار الفخر للبغضاء المشابهة المذكورة ثم اخبر بذلك المصدر عنه
عن الفخر حيث جعله خبرا فكانه قال فان الفخر لقح الشنآن ولقح الشنآن نفسه ليس عين الفخر بل من ثماره ولوازمه فكان
اطلاقا لاسم السبب على المسبب وهو في الدرجة الثانية وانما ذكره بلفظ الجمع نظرا الى كثرة معنى الفخر في موارده وهي اذهان
المتكبرين ومنافخ الشيطان جمع منفخ مصدر نفخ وظاهر ان لوازم ماهية الفخر المنتشرة في الادمغة نفخات ونفثات

ابليس ويقال للعرف المتكبر والمترفع من مدح ومن نفخ الشيطان في انفه ووصف تلك المناخر بانها اللاتي نفخ بها الاثم
والقرون الخالية ضروب الخداع ههنا كونهم اراهم الباطل في صورة الحق كتزيينه الكبر وتحسينه للحمية ويحتمل ان يكون
الاسلح والانفع مع انه في نفس الامر ليس بحق وكان ذلك سببا لارتباكهم في ظلمات الجهالات ومهاوي الضلالات فاستعار
الاعناق لما يتوهم من شدة دخولهم في ظلمات الجهالات وتوغلهم فيها وكذلك لفظ الحنادس مستعار لما يتخيل من ظلم
الجهل ولفظ المهاوي مستعار لما يتخيل من كون الضلالات مواطن انحطاط للهوى عن افق الكمال ومدارج للشقاوة وانما
الجهالة والضلالة اليه اضافة المسبب الى السبب وسلس جمع سلس ونصبهما على الحال اي انقيادهم وانصبابهم على الحال من الضمير في
اعنقوا اي اسرعوا اليه على الانقياد لسوقه وقوله امرا منصوب بفعل مضمر تقديره فاعتمدوا امرا تشابهت قلوبهم فيه وتتابعت
القرون الماضية منهم على اعتماده وهو الفخر ونفخ الشيطان والاعناق في جهالته وضلالته وكبرا عطف عليه وكنى
بتضايق الصدور به عن كثرته وعظمته ثم عقب بالتحذير من طاعة ساداتهم وكبرائهم تذكيرا بما نبه عليه القرآن الكريم
من ذم المطيعين لساداتهم وكبرائهم على طاعتهم فيما حرم الله عليهم وخروجهم بذلك عن سبيل الله وذلك قوله
حكاية لما يقولونه يوم القيمة قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ربنا آتهم ضعفين من العذاب
والعنهم لعنا كبيرا وبذم التابعين على متابعة متبوعيهم في قوله حكاية عنهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم
برب العالمين وقوله الذين تكبروا عن حسبهم وترفعوا فوق نسبهم قبحهم اشارة الى الطين والصلصال
من الحماء المسنون والماء المهين الذي هو اصلهم ولما كان من شان ان لا يفتخر به ولا يتكبر لمن هو اصله الذي تكبروا عنه تكبروا
ذلك الاصل وترفعوا عليه وتركوا ما ينبغي لهم من النظر اليه والتواضع بحسبه والى ما قال القايل ما لمن اوله نطفة وجيفة
آخره يفخر صح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر وقوله والقوا الهجينة على ربهم اي نسبوا ما في الانسان من القبائح
بزعمهم الى ربهم قال بعض الشارحين كان يقول احدهم في الافتخار على غيره انا عربي وانت عجمي فان ذلك عيب وازراء للخلق
فهو عيب على الله ونسبة للقبيح اليه وهم في ذلك مقتدون لابليس حيث قال أأسجد لبشر خلقته من صلصال اذ كان
عيبا للخلق الله ونسبة للفعل القبيح اليه وقوله وجاحدوا الله ما صنع بهم وجه المجاحدة هنا انهم لما غفلوا عن الله تعالى في
حقه لم يشكروه على نعمه وصنيعه بهم ولما كان الشكر يعود الى الاعتراف بالنعمة كان الجحود والانكار منهم عبارة عن عدم ذلك
لغفلتهم وايضا فان الشكر كما يكون بالاعتراف بالنعمة كذلك يكون بالاتيان بما يوافق ذلك الاعتراف ويدل عليه من الاقوال
والافعال الصالحة المطلوبة للمنعم والموافقة لاوامره ونواهيه ولما كان شكرا ايضا كان الاصرار على تركها وعدم الاتيان
بها جحدا للنعمة فذلك هو مجاحدتهم لله ولما كانت مجاحدة الله تعالى تعود الى ما يحصل من انكارهم عليهم جحدهم وتعريض عليهم
صنعه بهم وتذكيرهم نعمة في حقهم وما مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي والعايد من الصلة محذوف اي ما صنعه
وقوله مكابرة لقضائه اي مقابلة لحكمه عليهم بوجوب شكره ولزوم طاعته برد ذلك الحكم وانكاره وعدم الانقياد له
المكابرة تعود الى المقابلة بالقول في الامر والمنازعة فيه على وجه المغالبة والتكبر من الطرفين وهي هنا ترشيح لاستعارة
المجاحدة وكذلك المغالبة لآلائه والنصب فيهما على المفعول له والمغالبة هنا تشبيه القائلين من المجاحدة وليست غالبة على

وبيان ذلك انه لما كان من لوازم المجاحدة وكفران النعمة زوالها وانقطاعها كانوا بفعلهم ذلك كالمحاربين بذلك الكفر
للنعم والقاصدين لزوالها وعدمها اذ كان زوالها لازما لفعلهم وقوله فانهم الى قوله الجاهلية تنبيه على ما يلزم رؤساءهم
من الرذائل المنفرة واستعار لفظ الاساس للكبر اذ كان مبدأ للعصبية واصلا لها ولفظ القواعد لهم باعتبار قيام الكبر
وثباته فيهم كما يقوم الاساس بقواعده وهي الصخور العظيمة ونحوها وكذلك استعار لفظ الاركان لاجزاء الفتنة واثباتها
ولفظ الدعائم لهم باعتبار قيام الفتن بهم واعتمادها عليهم كما يعتمد اركان البيت وجوانبه بدعائمه واستعار لفظ
السيوف وصرامتها في مضاربها قال بعض الشارحين ويحتمل ان يريد واصحاب سيوف اعتزاء الجاهلية وذلك عند قولهم
يال فلان كما نقل في سبب الخطبة والاعتزاء منهي عنه لكونه مبدأ الفتن روي ان ابي بن كعب سمع رجلا يقول يال فلان فقال
عضضت بهن ابيك فقيل له يا ابا المنذر ما كنت فاحشا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من تعزى بعزاء الجاهلية
فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا والعزاء الاسم من الاعتزاء ثم عاد الى الامر بتقوى الله وقوله ولا تكونوا لنعمه اضدادا نهي لهم عن
ما تزول به نعمة الله عنهم وتضادها فلا يجامعها من كفرانها ومقابلتها بسائر المعاصي التي تستلزم بدل النعمة نقمة وكذلك قوله
ولا لفضله عندكم حسادا استعار لفظ الحساد هنا باعتبار كفرهم للنعم المزيل لها كما يكون الحاسد للنعمة باعتبار حسده المزيل لها
وقوله ولا تطيعوا الادعياء قال بعض الشارحين مراده بالادعياء الذين ينتسبون الى الاسلام ظاهرا وهم منافقون قلبا
ويحتمل ان يريد حقيقة الادعياء وهم الذين ينتسبون الى غير آبائهم ممن لا دين له وقد تراس في قبيلته التي انتسب اليها
ثم وصفهم فقال الذين شربتم بصفوكم كدرهم فاستعار لفظ الصفو وهو خالص الشراب اما لخالص دينهم وايمانهم او
لخالص دنياهم وصافيها ولفظ الكدر للنفاق وسائر الرذائل النفسانية التي تخالط ايمان المرء كالحسد ونحوه فتكدره او
بسبب ذلك ما صفا من دنياه بسبب ثوران الفتنة عنها ورشح بذكر الشرب والمعنى انكم مزجتم بايمانكم نفاقهم فشربتم
كما يمزج بالماء الشراب فيصلح برواتها قال شربتم بصفوكم كدرهم ولم يقل بكدرهم صفوكم لان غرضه ان يقرعهم بشرب
الكدر بالقصد الاول ولا يتم ذلك الغرض الا بايصال ترتيب السلم والباء هنا للمصاحبة وكذلك قوله وخلطتم بصحتكم
مرضهم واراد بمرضهم نفاقهم وكبرهم وسائر الرذائل النفسانية فيهم وبالصحة سلامة نفوس المؤمنين بايمانهم من
تلك الرذائل ووبخهم بخلطهم ايمانهم بها وكذلك قوله وادخلتم في حقكم باطلهم اراد بالحق الايمان والجد في العمل
او ما يستحقونه من الملك والخلافة في الارض وبباطلهم اولئك الكذب والنفاق واللعب وسائر الرذائل او ما لا
لهم من امر الدنيا وذلك الخلط والادخال بسبب تخاذلهم عن حقهم وتخاذلهم عن نصرته عليه السلام وعدم اجتماعهم على
ما ينبغي لهم من طاعته ثم عاد الى وصف اولئك الكبراء باوصاف الاول استعار لهم لفظ الاساس كونهم اصلا للفسوق
يقوم بهم كما يقوم البناء باساسه الثاني لفظ الاحلاس باعتبار ملازمتهم للعقوق وقطع الرحم كما يلازم الحلس ظهر البعير
ظهره وروي اساس بسكون السين بوزن احلاس وهو جمع اس كحمل واحمال وهو الاشبه الثالث كون ابليس اتخذهم
مطايا ضلال فاستعار لهم لفظ المطايا باعتبار كونهم اسبابا موصلة الى الضلال لمن اتبعهم واعتمد اغواءهم
عن ابليس وكانوا في ذلك كالمطايا التي يركبها الناس ويقودها بهم في طرق الضلال الرابع كونهم جندا به يصول

على الناس وذلك باعتبار كونهم حادين من الخلق الى طريقته داعين لهم الى الهلاك الابدى من جهة الخامس كونهم تراجمة منطق
على السنتهم ولفظ التراجمة مستعار لهم باعتبار نطقهم بما يريده ابليس من الوساوس للناس فاشبهوا التراجمة لذلك
الى كيفيات اتخاذهم مطايا وجندا وتراجمة فمنها استراق لعقول الناس بالاقوال الكاذبة والافعال الباطلة والعقايد
المضلة جذبا الى محبة الدنيا وباطلها والقاءا لهم البهايم الاجل خلقوا والبدع دعوا ومنها دخولهم في عيونهم
الحيوة الدنيا ايضا وساير ما يجذب اليها من جهة حس البصر ومنها النفث في اسماعهم والقاء الوساوس
الواصفة للدنيا وباطلها والمنفرة عن الاخرة وساير ما يجذب عن الافق الاعلى من الجوانب السمعية وانتصاب اسم
دخولا ونفثا على المصدر كل عن فعله اى يسترق عقولكم استراقا وكذلك الاخوان وقوله جعلكم مرمى نبله اى غرضا
واستعار لفظ النبل لجزئيات وساوسه المردية لكل من اصابته الى مهاوى الهلاك كما يردى النبل من رمى به
المرمى باعتبار كونهم مقصدا لوساوسه كالهدف وكذلك استعار لهم لفظ الموطا باعتبار كونهم مظنة
اذلاله والاهانة منه ورشح بذكر القدم اذ الموطى يستدعى موطوءا به هو القدم وكذلك لفظ الماخذ باعتبار كونهم
مقتنصين في حبايل وساوسه ورشح بذكر اليد اذ من شان الماخوذ ان يكون اخذه باليد **الفصل الثالث** في
الاعتبار بحال الماضين وما اصاب الامم المستكبرين منهم من باس الله وصولاته وعقوباته ومصارعهم ومحال الا
على جلالة قدرهم في التواضع من ارسلوا اليه من المتكبرين وحال اختبار الله تعالى خلقه باحجار نصبها بيتا للعبادة ثم اختبار
المتواضعين لدى تميزهم من المستكبرين عن عبادة الله ضرب ذلك وذلك قوله فاعتبروا بما اصاب الامم المستكبرين من
قبلكم من باس الله وصولاته ووقايعه ومثلاته واتعظوا بمثاوى خدودهم ومصارع جنوبهم واستعيذوا بالله من لواقح
الكبر كما تستعيذونه من طوارق الدهر فلو رخص الله في الكبر لاحد من عباده لرخص فيه لخاصة انبيائه ورسله ولكنه سبحانه كره اليهم
التكابر ورضى لهم التواضع فالصقوا بالارض خدودهم وعفروا في التراب وجوههم وخفضوا اجنحتهم للمؤمنين
وكانوا قوما مستضعفين قد اختبرهم الله بالمخمصة وابتلاهم بالمجهدة وامتحنهم بالمخاوف ومحصهم بالمكاره فلا
يعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلا بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغنى والاقتار فقد قال سبحانه وتعالى
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين
في انفسهم باوليائه المستضعفين في اعينهم ولقد دخل موسى بن عمران ومعه اخوه هرون صلى الله عليهما على فرعون
وعليهما مدارع الصوف وبايديهما العصى فشرطا له ان اسلم بقاء ملكه ودوام عزه فقال الا تعجبون من هذين
يشرطان لى دوام العز وبقاء الملك وهما بما ترون من حال الفقر والذل فهلا القى عليهما اساورة من ذهب
للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه ولو اراد الله سبحانه لانبيائه حيث بعثهم ان يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن
العقيان ومغارس الجنان وان يحشر معهم طير السماء ووحوش الارضين لفعل ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء
الانباء ولما وجب للقابلين اجور المبتلين ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين ولا لزمت الاسماء معانيها ولكن الله سبحانه جعل
رسله اولى قوة في عزائمهم وضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم مع قناعة تملأ القلوب والعيون غنى وخصاصة

القلوب

الابصار والاسماع اذى ولو كانت الانبياء عليهم السلام اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه اعناق الرجال وتشد اليه
عقد الرحال لكان ذلك اهون على الخلق في الاعتبار وابعد لهم من الاستكبار ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم او رغبة مائلة بهم
وكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة ولكن الله سبحانه اراد ان يكون الاتباع لرسله والتصديق بكتبه والخشوع لوجهه
والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا له خاصة لا تشوبها من غيرها شائبة وكلما كانت البلوى والاختبار اعظم
كانت المثوبة والجزاء اجزل الا ترون ان الله سبحانه قد اختبر الاولين من لدن آدم عليه السلام الى الاخرين من هذا العالم
باحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياما ثم وضعه باوعر بقاع الارض حجرا واقل
نتائق الدنيا مدرا واضيق بطون الاودية قطرا بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو بها خف
ولا حافر ولا ظلف ثم امر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فصار مثابة لمنتجع اسفارهم وغاية لملقى رحالهم تهوى اليه ثمار
الافئدة من مفاوز قفار سحيقة ومهاوى فجاج عميقة وجزائر بحار منقطعة حتى يهزوا مناكبهم ذللا يهللون لله حوله
ويرملون على اقدامهم شعثا غبرا له قد نبذوا السرابيل وراء ظهورهم وشوهوا باعفاء الشعور محاسن خلقهم ابتلاء عظيما
وامتحانا شديدا واختبارا مبينا وتمحيصا بليغا جعله الله سببا لرحمته ووصلة الى جنته ولو اراد الله سبحانه ان يضع بيته
الحرام ومشاعره العظام بين جنات وانهار وسهل وقرار جم الاشجار داني الثمار ملتف البنى متصل القرى بين برة
سمراء وروضة خضراء وارياف محدقة وعراص مغدقة وزروع ناضرة وطرق عامرة لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف
البلاء ولو كانت الاساس المحمول عليها والاحجار المرفوع بها بين زمردة خضراء وياقوتة حمراء ونور وضياء لخفف ذلك
مصارعة الشك في الصدور ولوضع مجاهدة ابليس عن القلوب ولنفى معتلج الريب من الناس ولكن الله سبحانه يختبر عباده
بانواع الشدائد ويتعبدهم بالوان المجاهد ويبتليهم بضروب المكاره اخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم
وليجعل ذلك ابوابا فتحا الى فضله واسبابا ذللا لعفوه فالله الله في عاجل البغى وآجل وخامة الظلم وسوء عاقبة الكبر فانها
مصيدة ابليس العظمى ومكيدته الكبرى التى تساور قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة فما تكدى ابدا ولا تشوى
احدا لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره وعن ذلك ما حرس الله عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات
تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم وتذليلا لنفوسهم وتخفيضا لقلوبهم واذهابا للخيلاء عنهم لما في ذلك من تعفير
عتاق الوجوه بالتراب تواضعا والتصاق كرائم الجوارح بالارض تصاغرا ولحوق البطون بالمتون من الصيام تذللا مع ما في
الزكوة من صرف ثمرات الارض وغير ذلك الى اهل المسكنة والفقر انظروا الى ما في هذه الافعال من قمع نواجم الفخر وقدع
طوالع الكبر **اقول** المثلات العقوبات والمثاوى جمع مثوى وهو المقام والتكابر التعاظم والتعفير الصاق الخدود بالعفر وهو
التراب والمخمصة المجاعة والمجهدة المشقة والاقتار الفقر والاساورة جمع اسورة جمع سوار ويجوز ان يكون جمع اساور قال
ابو عمرو بن العلاء هو جمع اسوار وهو السوار والذهبان جمع ذهب كخرب لذكر الحبارى وخربان والعقيان خالص الذهب
قيل والانباء الاخبار والخصاصة الجوع والشوب الخلط والوعر المشكل الصعب والنتايق جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعول
الجذب من حيث الدين والاماكن المشهورة المرتفعة سميت لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها عن غيرها من الارض كانها جذبت

ورضت والقطر الجانب والدمثة اللينة والوسلة قليلة الملد والمثابة المرجع والمنتجع اسم المفعول من الانتجاع وهو طلب الكلا
والمدو والمفاوز الفلوات الواسعة والقفار جمع قفر وهي المفازة التي لا نبت بها ولا ماء وسحيقة بعيدة والفجاج جمع فج وهو
الطريق الواسع بين الجبلين ويهلون يرفعون اصواتهم بالتلبية والاهلال الصوت والرمل التحريك الهرولة والاشعث
اغبر الراس متفرق الحال والتبذل الالقاء والسرابيل القمصان والتشويه تقبيح الخلقة والتمحيص الابتلاء والاختبار واصله التخليص
والتمييز والمشاعر مواضع المناسك والقرار المستقر من الارض واليم الكثير والبنى جمع بنية بالضم والارياف جمع ريف بالكسر
وهي الارض الزرع والخصب والحدقة المحيطة والغدق كثيرة الماء والخصب والمعتلج اسم المفعول من الاعتلاج وهو التقاء
والاضطراب يقال الامواج اي تلاطمت واضطربت وفاصل بمعنى مفعول اي مفتوح اسوسه وكذلك فلا اضطهار
وركاسة القلم وباء وسوء عاقبته والمصيدة بكسر الميم الشبكة وما يصاد به والمساورة المواثبة والكدية الحافر اذا بلغ في
الى موضع صلب لا يمكنه حفره واكدت المطالب اذا صعبت في وجه طالبها فعجز عنها والشوب الصب يرتشوي اذا لم
تنسب المقتل يقال اشواه يشويه اذا رماه فلم يصب مقتله والطمر الثوب الخلق وعتائق جمع عتيقة وهي كرايم الوجوه
وحسانها والقمع الرد والتولج الطواح جمع ناجمة والفدع الكف واعلم انه عليه السلم امرهم بالاعتبار واحدها الاثر بلا
بما اصاب المتكبرين من سابق الامم من عقوبات الله ووجه الاعتبار ان تفكر العاقل في حال اولئك فيرى ما اصابهم انما
هو بسبب استعدادهم له بالاستكبار عن طاعة الله والترفع على عباده كما اشار اليه تعالى قال الذين استكبروا والذين
استضعفوا لمن امن منهم الى قوله واخذتهم الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ونحوه في القران كثير فينتقل ذهنه منهم
الى نفسه ويقيس حال استكباره على استكبارهم فيما يلزمه من امثال العقوبات التي نزلت بهم الذي ان يخطوا امثال
خدودهم ومصارع جنوبهم اي يحفظوا مقاماتهم من التراب ومحال انصراعهم في القبور ليحصل لهم بذلك الانزجار
الكبر اذ كانت عاقبته وغايته ذلك الهوان والذل في تلك المثاوي والمصارع الثالثان يستعيذوا بالله من لواقح الكبر
واستعار اللواقح لما يستلزم الكبر من اسبابه واستعاذه كمن خالصة كاستعاذتكم من طوارق الدهر وآفاته وقوله فلو رخص
الله الى قوله التواضع اسند الى الحلية عن الكبر مطلقا وانه لا رخصة فيه لاحد من خلق الله بقياس شرطي متصل وجه الملازمة
فيه ان الانبياء خواص الله واحباؤه واهل طاعته فلو كان فيه رخصة لم يجعلها الا لهم وتقدير الاستثناء فيه لنقيض التالي
لكنه لم يرخص فيه لهم فينتج انه لم يرخص فيه لاحد من عباده لكنه حذف هنا استثناء النقيض واستغنى بعض لوازمه
وهو تكريهه التكابر اليهم وذلك بوعيده المستكبرين على الكبر ثم رضي التواضع لهم وذلك بامره لهم كما قال تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين ونحوه وقوله فالصقوا الى قوله مستضعفين اشارة الى امتثالهم لما امرهم به من التواضع وعوارضه لهم
فيما رضيه لهم فالصاق خدودهم بالارض وتعفير وجوههم اشارة الى معاملتهم له في عبادته مع انفسهم وخفض اجنحتهم
وكونهم اقواما مستضعفين اشارة الى امتثالهم ومعاملتهم له في خلقه ولفظ الاجنحة مستعار من الطاير لبدء الانسان وجانبه
باعتبار ما هو محل البطش والنفرة وخفض الجناح كناية عن لين الجانب وقال ابن عباس في قوله تعالى واخفض جناحك
للمؤمنين اي ارفق بهم ولا تغلظ عليهم قال والعرب تقول لمن كان ساكنا وقورا انه خافض الجناح وقوله وقد اختبرهم الى قوله

بالمكاره اشارة الى امتحانهم بانواع الشقاوة الدنيوية من الجوع والمشاق والمخاوف والمكاره والتنفير بها عن الدنيا واللاقبال
عليه تعالى ومحبة ما عنده من الثواب الجزيل وقد علمت معنى ابتلائه تعالى لعباده واختباره لهم غير مرة وقوله فلا تعتبروا
الرضا والسخط بالمال والولد الى قوله الا ماثرا اي لا تعتبروا رضاه تعالى عن عباده باعطائه لهم المال والولد ومنعه عليهم
بمنعه لهم ذلك وكان جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال فاذا كان هؤلاء خواصه واهل طاعته ورضاه فلم امتحنهم بالشدا
وابتلاهم بالمخاوف والمكاره ولم يعطهم الاموال والاولاد كما قال فرعون لموسى عليه السلم فلولا القي عليه اساورة من ذهب كما
قرين او يلقى اليه كنز او يكون له جنة ياكل منها فاجاب عليه السلم بان ذلك الوهم الجهل بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى
والاقتار اي ان الاختبار كما يكون بالفقر والمشاق والمكاره كذلك يكون بالمال والولد وليس المال والولد من الخيرات التي
تعجل في الدنيا لمن يعطي اياهما كما يزعمون واستشهد على ذلك بقوله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون اي ايحسبون انا نتعجل في تقديم ثواب اعمالهم لرضانا عنهم حين بسطنا
لهم الرزق واكثرنا لهم اولادهم بل لا يعلمون ان ذلك استدراج لهم من الله ومحنة وابتلاء وجهلا نصب على المفعول
له وقوله فان الله سبحانه يختبر عباده المستكبرين الى قوله في اعينهم كلام منقطع يستدعي ابتداء يكون معللا وقد فصل
الرضي رحمه الله بينه وبين ما قبله بصفر ليكن بيانا لنوع آخر من ابتلاء الله تعالى عباده المستكبرين في انفسهم والخاء وهم
باوليائه المستضعفين وهم الانبياء في اعينهم اي في اعين المتكبرين فهو في معنى ما قبله وفيه تنبيه على بعض اسرار الحكمة
في خلقه لسائر انبيائه مستضعفين وهو ان يبتلي بهم المستكبرين من عباده في ارضه كما سيشير اليه عليه السلم من الحكمة
في خلقهم كذلك ثم ضرب مثال ذلك الابتلاء في موسى وهرون عليهما السلم حين دخلا على فرعون بن موسى الى الله
وذلك قوله ولقد دخل وروى الطبري في تاريخه ان موسى وهرون بعد ما قصرا حين بعثهما الله الى فرعون مكثا سنين
يغدوان على بابه ويروحان يلتمسان الاذن عليه فلا يعلم بهما ولا يجترئ احد ان يخبره بشانهما وكانا يقولان انا
انا رسول رب العالمين الى فرعون حتى دخل عليه بطال له يلاعبه ويضحكه فقال انها الملك ان ببابك رجلا يقول
قولا عظيما عجيبا ويزعم ان له الها غيرك فقال ادخلوه فدخل وبيده عصاه ومعه اخوه هرون فقال انا رسول رب
العالمين وذكر تمام الخبر وصريح قصتهما ومحاورتهما مستوفى في القران الكريم كسورة الشعراء والقصص وغيرها
والذي ذكره عليه السلم منها واضح بين وقال كعب كان موسى عليه السلم من رجال شنوءة وكان آدم طوالا وكان اخوه هرون
اطول منه واكثر لحما واشد بياضا واغلظ الواحا واسن من موسى بثلث سنين وكانت في جبهة هرون شامة
وفي طرف ارنبة موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم يعرف احد قبله ولا بعده كذلك قال وهي العقدة التي
ذكرها الله تعالى قال وفرعون موسى هو فرعون يوسف عليه السلم عمر اكثر من اربعمائة سنة واسمه الوليد بن
مصعب ولكن عمر ذلك هو قالوا هو عيون وقبض هرون قبل موسى وهو ابن مائة وسبع عشرة سنة وبقي موسى بعده
ثلث سنين ومات في سنة يوم مات فاما شرطهما الرقاء ملكه باسلامه فلما علمه من كون النواميس الشرعية
والتمسك بها والعمل بقوانينها انما هو الحال ابناء النوع الانساني وسبب الصلاح معاشهم ومعادهم وبانتظام شمل مصلحتهم

قالت م

واوليائهم

والقدوة حتى الى قوله م

باستعمال تلك القوانين يكون بقاؤهم وثبات دولهم وملكهم ودوام غيرهم فاما الاستنكاف لشرطيهم الى دوام العز و
بالسلام وتحببه سيهما في ذلك فسيتدرج اعتقاده الجهل الى سداد التمكن من ذلك الشرط والقدرة على الوفاء به هو
وجمع المال فلذا لما احتقرهما من حيث كانا يري الفقر والذل ولبس الصوف ولبس عليهما آثار الغنى والمال وهو التحلي بأساور
الذهب ولبسه الذي هو شعار الغنى واحتقار الصوف ولبسه مما هو شعار الفقر سببا على ذلك الاستكبار والتجبر وقوله
ولو اراد الله سبحانه بانبيائه الى قوله معانيها قياس استثنائي من الشكل الاول من متصلتين احديهما قوله ولو اراد الله الى قوله
والثانية قوله ولو فعل لسقط البلاء الى آخره والنتيجة لو اراد الله بانبيائه ذلك لزم الحالات المذكورة وبيان الملازمة في
ان الامور المعدودة وهي فتح كنوز الذهب ومعادنه ومغارس الجنان وحشر الطير والوحش امور ممكنة في انفسها والله
سبحانه قادر على جميع الممكنات وعالم بها فلو حصل مع قدرته عليها الارادة لوقوعها عن قدرته كان مجموعها استلزاما
عنها واما الكبرى فلانه جعل مقدمها وهو فعله لتلك الامور ملزوما لامور خمسة احدها انه كان يسقط البلاء اي
ذلك البلاء المشار اليه وهو بلاء المتكبرين بالمستضعفين من اولياء الله وهو ظاهر اذ لا مستضعف يبتلون به اذن
وذلك ان الانبياء عليهم السلام كانوا ينقطعون الى الدنيا حينئذ عن جناب الله فينقطع عنهم الوحي كما سيشير اليه عليه
السلام وحينئذ ينقطع الابتلاء بهم وبما اتوا من التكليف وكذلك يسقط بلاء الانبياء بالفقر والصبر على الاذى
من المكذبين لهم بالضرب والقتل الثاني وكان يبطل الجزاء اي جزاء العبادات والطاعات اما لسقوط البلاء بها او لان الطاعات
اذن يكون من رهبة او رغبة فيسقط الجزاء الاخروي عليها وكذلك يبطل جزاء الانبياء الذي كانوا يستحقونه
وصبرهم عليه الثالث وكان يضمحل الانباء اي الاخبار الوارد من قبل الله تعالى على السنة رسله والوحي اليهم
لما علمت ان الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما يقرب من احديهما يبعد من الاخرى والانبياء عليهم السلام وان كانوا
الخلق نفوسا واقواهم استعدادا لقبول الكمالات النفسانية كما اشرنا اليه الا انهم محتاجون ايضا الى الرياضة التامة
عن الدنيا وطيباتها وهو الزهد الحقيقي والى تطويع نفوسهم الامارة بالسوء لنفوسهم المطمئنة بالعبادة التامة كما هو
المشهور من احوالهم صلى الله عليهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يربط على بطنه الحجر من الجوع ويمنعه الشبع
الاسكان لا يعتمد على شيء ياكله وكان يرقع ثوبه بالمدرع ويقدر على ثوب يلبسه وكان يركب الحمار العاري ويردف خلفه
لمجرع من شر بر كبير وغلام يمشي معه وكيف وقد توفي وبين هذه القصة العظيمة من المعمور بل ذلك وامثاله
سيحكيه عنه عليه السلام في آخر هذه الخطبة زهادة في الدنيا واعراضا عن متاعها وزينتها لان صلى الله عليه وآله الكمالات
العقلية والموجودة ما هو اشرف واعلى من هذه الكمالات الحسية الفانية وعلم ان الوصول الى تلك الكمالات لا يتم ولا
يتحقق الا بالاعراض عن هذه ورفض ما هو اخس في جنب ما هو اشرف وكذلك قام صلى الله عليه وآله في العبادة حتى تورمت
قدماه فقيل له يا رسول الله اليس قد بشرك الله بالجنة فلم تفعل ذلك فقال افلا اكون عبدا شكورا وذلك لعلمه ان
بالشكر يستعد لكمال اعلى وازيد مما اوتي واذا كان حال اشرف الانبياء واكملهم كذلك فما ظنك بسائرهم وحينئذ
للدنيا وعدم اشتغالهم بها شرط في بلوغهم درجات الوحي والرسالة وتلقي اخبار السماء وانهم لو عطفوا الى

وفتحت عليهم ابوابها فاشتغلوا بها لانقطعوا اليها عن حضرة جلال الله واضمحل بسبب ذلك عنهم الانباء وانقطع عنهم
الوحي وانحطوا عن مراتب الرسالة وقال بعض الشارحين اراد باضمحلال الانباء سقوط الوعد والوعيد والاخبار عن احوال
الناس واحوال القيامة وهو لازم من لوازم سقوط النبوة فيكون الى ما قلناه الرابع ولكان لا يجب للقابلين اجور المبتلين اي
لقابلي كلام الانبياء لانا اذا اسقط البلاء عنهم لم يكن لهم اجر المبتلين وكذلك لا يجب لقابلي النبوة منهم اجور المبتلين بالتكذيب
والاذى الخامس لا يستحق المؤمنون ثواب المحسنين بمجاهدة الشيطان عنها وتطهيرها عن الرذائل وتحليتها بالفضائل وكان لهم
وذلك لان ايمانهم بهم يكون عن رغبة او رهبة كما علمته لا عن حقيقة واخلاص لله السادس ولا لزمت الاسماء معانيها
روي بنصب الاسماء على ان يكون هي المفعول ومعانيها الفاعل والمعنى انه لم تكن المعاني لازمة للاسماء فمن سمي بها مثلا
من سمي مؤمنا لا يكون معنى الايمان الحق لازما لاسمه فيه اذ كان ايمانه ربما ينقطع عن رغبة او رهبة وكذلك من سمي
مسلما او زاهدا بل من سمي نبيا او رسولا لا يكون في الحقيقة كذلك لانقطاع النبوة والرسالة عنه وفي نسخة الرضي رحمه
الله برفع الاسماء والمراد انها كانت تنفك عنها فتصدق الاسماء بدون مسمياتها وهو كالاول وبيان هذه اللوازم ظاهر
كبري القياس والنتيجة اذن متصلة مقدمها قوله لو اراد الله الى قوله الارضين وتاليها قوله لسقط البلاء الى قوله معانيها
وحاصل النتيجة انه كان يلزم من ارادته تعالى بانبيائه تلك الامور وقوع جميع هذه المفاسد ثم رجع البيان الى
استثناء نقيض تالي هذه النتيجة لاستثناء نقيض مقدمها وهو ان هذه المفاسد لم توجد ولا يستحق ما ينبغي ان توجد فلازم
لم يرد بهم تلك الامور وقوله ولكن الله سبحانه جعل رسله الى قوله الاذى كالاستثناء لنقيض مقدم النتيجة المذكورة ذكر بيانه
اذ كان الله تعالى لما لم يرد بعث انبيائه على ذلك الوجه اراد بعثهم على هذا الوجه وهو ان جعلهم اصحاب قوة في عزائمهم واجماع على
ما امروا به وتبليغ رسالات ربهم ولذلك سموا اولوا العزم لمضاء عزائمهم وقوتهم في دين الله بالقتال والمجاهدة والصبر
على الاذى وجعلهم مع ذلك ضعفة فيما ترى الاعين من حالاتهم من المسكنة والذلة والفقر والقناعة والصبر على
الجوع واستعار وصف الملاء للقناعة باعتبار استلزامها القوة غناءهم وقلة حاجتهم الى شيء من متاع الدنيا بحيث
لا تمتد نفوسهم ولا عيونهم الى شيء من زينتها وقنياتها فكانها قد امتلات فلا تتسع لشيء من ذلك فتطلبه وكذلك الخصاصة
باعتبار استلزامها القوة الاذى في اسماعهم وابصارهم اذ الجوع المفرط مستلزم للاذى هلاك القوى من تحلل الارواح الحاملة
لها وضعفها فكان الاذى حشو ابصارهم واسماعهم بحيث لا يتسع لغيره كل ذلك طلب لكمال الاستعداد لما علمت ان
تذهب الفطنة وتورث القسوة وتزيل الرقة وتستلزم رذائل كثيرة لا دواء لها الا الخصاصة والقناعة فضيلة تحت العفة
وقوله ولو كانت الانبياء مقدمة متصلة اخرى هي كبرى قياس من الشكل الاول ايضا من متصلتين مقدم الصغرى
منهما هو مقدم كبرى القياس الاول وهو قوله ولو فعل وتنبيه على تاليهما بمقدم هذه الكبرى وتقدير الكلام ولا شك انها
لو فعل بانبيائه ما ذكرناه لكانوا اهل قوة لا ترام وعزة لا تضام وملك تمد نحوه الاعناق ولو كانوا كذلك لكان في
كذلك مفاسد اخرى فينتج انه لو فعل بانبيائه ما ذكرناه للزمت مفاسد اخرى احدها ان يكون ذلك اي ما حصلوا عليه
من العز والملك اهون على الخلق واسهل من حيث ان اعتبارهم لما يدعونهم اليه اسهل واجابتهم الى دعوتهم اسرع اذ كا

الملوك في اعتبار الخلق اهلا لان يطاعوا فلا تصعب عليهم اجابتهم كما تصعب اجابة الفقراء على من يدعوهم من المتكبرين
الثاني وابعد لهم عن الاستكبار وهو ظاهر لان الملوك ابعد من ان يتكبر عليهم الناس ويانفوا من طاعتهم وحينئذ يكون
للخلق ثواب من ترك رذيلة الكبر عن مجاهدة نفسه في ترك تلك الرذيلة الثالث ولامنوا عن رهبة قاهرة لهم اي على الايمان
او رغبة مائلة بهم اليه فلم يكن نياتهم في ايمانهم ولا حسناتهم خالصة لله بل مشتركة ومقسمة بعضها للرغبة وبعضها
للرهبة وحينئذ لا يكون لهم ثواب من جاهد ابليس فقهره وقمع نوازعه ووسوسته الحاثة عن سبيل الله فاستحق بذلك الجزاء
الباقية وقوله وملك تمد نحوه اعناق الرجال او تشد اليه عقد الرجال كان ذلك من قوته وعظمته لان الملك اذا كان عظيما
قويا لامال فيه وتوجهت نحوه وامتدت اعناق الرجال اليه بالرجاء وشدت عقد الرجال اليه وقوله ولكن الله سبحانه الى
قوله شائبة كالمقدمة الصغرى في بيان ان القسم الاخير من التالي ليس مما ينبغي ان يكون ويريده الله تعالى كانه قال لو جعل الله
الانبياء اهل الملك والعز كان ايمان الخلق بهم لما الرهبة او الرغبة فكانت النيات والايمان والعبادة منهم مشتركة غير
خالصة لله وذلك مفسدة ليس مما ينبغي ان يكون ولا ان يريد الله تعالى انما اراد ان يكون ايمانهم بالرسل واتباعهم لهم وتصديقهم
لما جاؤا به من كتبه وامره ونهيه من الخشوع لوجهه والاستكانة لامره والاستسلام لطاعته امورا خاصة لا يشوبها من
شائبة رغبة او رهبة وتقدير الكبرى وكل ما اراد الله اخلاصه له فليس مما ينبغي ان يكون مشتركا بينه وبين غيره
مشوبا بشائبة غيره فعلم ان ايمانهم باقسامه ليس مما ينبغي ان يكون مشتركا او مشوبا بشائبة رغبة او رهبة وقوله
وكلما كانت البلوى الى قوله اجزل يحتمل ان يكون كبرى قياس بين به ان الاجزاء الثلثة للتالي وهو قوله كان ذلك اهون
الى آخره ليس مما ينبغي ان يكون وتقدير البيان ان ذلك يستلزم كون الاعتبار معه اهون على الخلق وقربهم من الاستكبار
وان يؤمنوا عن رهبة او رغبة وهذه الامور ليس مما ينبغي ان يكون وانما قلنا ذلك لان نقائضها وهي مشقة الاختبار
على الخلق وبعدهم من الاستكبار وخلوص ايمانهم لله مما ينبغي ان يكون وبيان ذلك ان مع هذه الامور يكون البلوى
والاختبار عليهم اعظم وذلك هو صغرى القياس ثم نقول وكلما كانت البلوى والاختبار لهم اعظم كانت المثوبة
والجزاء على الايمان والطاعة من افضل لذلك البلوى اجزل فينتج ان مع مشقة الاختبار والقرب من الاستكبار واخلاص
الايمان يكون المثوبة لهم والجزاء على الايمان والطاعة اجزل ويحتمل ان يكون من تمام البيان الاول كانه قال ولكنه تعالى
اراد ان يكون هذه الامور خالصة له لا يشوبها شائبة وذلك الاخلاص وان كلفت فيه مشقة وكانت البلوى
فيه عظيمة الا انه كلما كانت البلوى اعظم كان الثواب فيها اجزل ثم اردف ذلك بالتنبيه على صدق هذه القضية
بالمثال وذلك قوله الا ترون الى قوله ووصل الى جبة واراد بالاحجار التي بني بها البيت الحرام وقوله جعله للناس قياما
اي معتمدا لاحوالهم في الآخرة يقال فلان قيام اهله وقوله ربية اذ كان به استقامة احوالهم وكون مكة اقل بقاع الارض
مدرا لان الحجر اغلب عليها وانما اتى بالرمال اللينة في معرض الذم لانها ايضا مما لا تزكو بها الدواب لان دواب الحامل
يتعب فيها وتتعب في المشي بها قال الشارحون واراد بالخف والحافر والظلف دوابها وهي الجمال والخيل والغنم والبقر
مجازا اطلاقا لاسم الجزء على الكل او على تقدير ارادة المضاف واقامة المضاف اليه مقامه واراد بكونها لا تزكو اي لا

لانه تعالى

وديار الجدبة وخشونة الارض والضمير في به راجع الى ما دل عليه او عين الموصوف والمراد بواد اوعر بقاع الارض حجرا
كما قال اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم وقوله امر آدم وولده ان يثنوا اعطافهم نحوه فدل
كلامه عليه السلام ان البيت الحرام كان منذ آدم عليه السلام والتواريخ شاهدة بذلك قال الطبري روي عن ابن عباس ان
الله تعالى اوحى الى آدم لما اهبطه الى الارض ان لي حرما حيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم طف به كما رايت ملائكتي
تحف بعرشي فهنالك استجيب دعاءك ودعاء من يحف به من ذريتك فقال آدم اني لست اقوى على بنائه ولا اهتدي
اليه فبعث الله تعالى ملكا فانطلق به نحو مكة وكان آدم كلما راى روضة او مكانا يعجبه سال الملك ان ينزل به هناك
ليبني فيقول له الملك ليس هاهنا حتى اقدمه مكة فبنا البيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتون ولبنان والجودي وبنى قواعده من حراء فلما فرغ من بنائه خرج به الملك
الى عرفات واراه المناسك كلها التي تفعلها الناس اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت اسبوعا ثم رجع الى ارض الهند
وقيل انه حج على رجليه الى الكعبة اربعين حجة وروي عن وهب ابن منبه ان آدم دعا ربه فقال يا رب اما لارضك
هذه عامر يسبحك فيها ويقدسك غيري فقال الله تعالى اني ساجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وساجعل
فيها بيوتا ترفع لذكري يسبحني فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وساجعل من تلك البيوت بيتا اخصه بكرامتي واوثره
باسمي فاسميه بيتي وعليه وضعت جلالتي وخصصته بعظمتي وانا مع ذلك في كل شيء ومع كل شيء اجعل ذلك البيت حرما
آمنا يحرم بحرمته من حوله وما حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي استوجب كرامتي ومن اخاف اهله فقد اباح
حرمتي واستحق سخطي واجعله بيتا مباركا ياتيه بنوك شعثا غبرا على كل ضامر من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويعجون
بالتكبير عجيجا من اعتمده لا يريد غيري ووفد الي وزارني واستضاف بي اسعفته بحاجته وحق على الكريم ان يكرم وفده
واضيافه تعمره يا آدم ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك امة بعد امة وقرنا بعد قرن ثم امر آدم ان
ياتي البيت الحرام فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول العرش وبقي اساسه بعد طوفان نوح فبواه الله لابرهيم فبناه
الى الشق وقوله اركن بيتي اعطافهم نحوه عن التفاتهم اليه وقصدهم له وقوله فصار مثابة لمنتجع اسفارهم اي مرجعا لما
ينتجع من اسفارهم اي يطلب منه النجعة والخصب كما قال تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا وكقوله تعالى ليشهدوا
منافع لهم وذلك انه مجمع الخلق ومقام المواسم ايام الحج فتكون فيه التجارات والارباح كما اشرنا اليه في الخطبة الاولى
وكذلك كونه غاية لملقى رحالهم اي مقصدا لقصد وقوله يهوي اليه ثمار الافئدة اي تميل وتسقط وهوى الافئدة
ومحبتها الا انه لما كان الذي يميل الى الشيء ويحبه كانه يسقط اليه ولا يملك نفسه استعير لفظ الهوي الحركة الى المحبوب
والسعي اليه وانما ثمار الافئدة فقال بعض الشارحين ثمرة الفؤاد سويداء القلب ولذلك يقال للولد ثمرة الفؤاد واقول يحتمل
ان يكون لفظ الثمار مستعارا للخلق باعتبار ان كلا منهم محبوب لاهله وآبائه فهو كالثمرة الحاصلة لافئدتهم من حيث
هو محبوب لهم كان افئدتهم ومحبتهم له قد اثمرته من حيث انها افادت تربيته والعناية حتى استوى انسانا كاملا ويحتمل
ان يريد بثمار الافئدة الاشياء المحبة من كل شيء كما قال تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء ووجه اضافتها الى الافئدة انها لما كانت
محبوبة مطلوبة للافئدة التي عن محبتها تحصل كما تحصل الثمرة عن اصلها اضيفت اليها والاضافة يكفي فيها ادنى سبب ويحتمل

قوله تعالى واجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات ولما استعار لفظ الهوي رشح بذكر الهاوي لانه من شان الهوي
ان يكون له موضع عميق وصفة الفجاج كما قال تعالى ياتين من كل فج عميق ووصف العمق له باعتبار طوله والانحدار فيه من
اعالي البلاد الى مكة ووصف الجزاير بالانقطاع لان البحر يقطعها عن سائر الارض والبحار محيط بها وحتى غاية من قوله يعني
بمعنى اللام وكنى بهز مناكبهم عن حركاتهم في الطواف بالبيت اذ كان ذلك من شان المتحرك بسرعة وقوله ذللا جمع ذلول والنصب
على الحال من الضمير في يهزوا وقال بعضهم يحتمل ان يكون من مناكبهم وكذلك موضع يهلون النصب على الحال وكذلك
شعثا وغبرا من الضمير في يهلون وكنى بنبذهم للسرابيل وراء ظهورهم عن طرحها وعدم لبسها وتشويههم باعفاء الشعور
محاسن خلقهم لان حلق شعر المحرم او نتفه والنتف منه حرام يجب فيه الفدية وظاهر ان اعفاء الشعور يستلزم تقبيح
الخلقة وتشويهها وتغيير ماهو معتاد من تحسينها ... وقوله ابتلاء وامتحانا واختبارا وتمحيصا منصوب
على المفعول له والعامل قوله امر الله آدم ويحتمل ان يكون على المصدر كل عن فعله وتعدد هذه الالفاظ وان كانت
مترادفة على معنى واحد تاكيدا وتقريرا لكون الله تعالى شدد عليهم في البلوى بذلك ليكون استعدادهم بتلك
العظيمة للثواب اتم واشد فيكون الجزاء لهم افضل واجزل فلذلك قال جعله سببا لرحمته ووصلة الى جنته اي
معدا لافاضة رحمته يستلزم الوصول الى جنته وقد تاكد بهذا المثال صدق قوله وكلما كانت البلوى والاختبار
اعظم كان الثواب اجزل لان الله سبحانه لما اختبر عباده بامر الحج ومناسكه التي تستلزم شقاء الابدان واحتمال
الكثيرة المتعبة في الاسفار من المسافات البعيدة وترك مفاخر الدنيا عنده ونزع التكبر حتى كان لم يوضع الاخلع
من الاعناق مع ما في جزئيات مناسكه ومباشرته من المشاق المتكلفة ومع كونه كما ذكر احجارا لا تضر ولا تنفع ولا
تسمع ولا تبصر لا جرم كان الاستعداد بها لقبول آثار الله وافاضة رحمته اتم من اكثر وجود الاستعدادات لسائر العبا
فكان الثواب عليه والرحمة التابعة لترتيبه اتم واجزل وقوله ولو اراد الله الى قوله ضعف البلاء صغرى قياس ضمير
استثنائي حذف استثناؤه وهو نتيجة قياس آخر من متصلتين تقدير صغرى اسمه انه لو اراد ان يضع بيته الحرام
بين هذه المواضع الحسنة البهيجة لفعل وتقدير الكبرى ولو فعل لكان يجب منه تصغير قدر الجزاء على قدر ضعف
البلاء وتقدير استثناء هذه المتصلة لكنه لا يجب منه ذلك ولا يجوز لان مراد العناية الالهية مضاعفة الثواب
وبلوغ كل نفس غايته كما لها وذلك لا يتم الا بكمال الاستعداد بالشدايد والمشاق فلذلك لم يرد ان يجعل بيته الحرام
في تلك المواضع لاستلزامها ضعف البلاء وكنى بدنو الثمار عن سهولة تناولها وحضورها وبالتفاف البنى عن
بعضها ببعض والبر واحدة البرة وقد يقام مقام اسم الجنس فيقال هذه برة حسنة ولا يراد بها الحبة الواحدة و
الثمرة الطلان ووصفها بالخضرة الثمرة وقوله ولو كانت الاساس الى قوله من الناس في تقدير قياس ضمير آخر استثنائه
كالذي قبله وتلخيصه انه تعالى لو جعل الاساس المحمول عليها بيته الحرام من هذه الاحجار المنيرة المضيئة الثمينة
لخفف ذلك مصارعة الشك في الصدور ولو اراد شك الخلق في صدق الانبياء وعدم صدقهم وشكهم في كون البيت
الله وليس كذلك فانه على تقدير كون الانبياء عليهم السلام بالحال المشهورة من الفقر والذل وكون البيت الحرام من هذه الاحجار

المعادة يقوي الشك في كونهم رسلا من عند الله وفي كون البيت بيت الله وعلى تقدير كونهم في الذل والفقر وكون البيت من الاحجار
المبنية المذكورة ينتفي ذلك الشك اذ يكون ملكهم ونفاسة تلك الاحجار من الامور الجاذبة اليهم والراغبة الى محبتهم
والمسارعة الى تصديقهم والحكم بكون البيت بيت الله لمناسبته في كماله ما تنسبه الانبياء الى الله سبحانه من الوصف بكل
طرفي النقيض ولكون الخلق اميل الى المحسوس واستعار لفظ المصارعة هنا للمبالغة بين الشك في صدق الانبياء والشك
في كذبهم فان كلا منهما يترجح على الآخر وكذلك لفظ مجاهدة ابليس عن القلوب لان الايمان بكون بيت الله ينبغي جهة والقصد اليه
لا يكون عن مجاهدة ابليس في تصديق الانبياء في ذلك وفي وجوب عبادة الله بل لعزة البيت وحسن بنائه وميل النفوس
الى شريف جواهره لكن هذه الامور وهي مصارعة الشك ومجاهدة ابليس ومعالج الريب لا يخفى ولا ينبغي لكونها
من الحكمة الالهية لاعداد النفوس بها لتدرك الكمالات الباقية والسعادات الدائمة فلذلك لم يجعل تعالى بنيان بيته من
تلك الاحجار النفيسة وقوله ولكن الله يختبر عباده الى قوله المكاره استثناء اهل النقائض المذكورة فيقوم مقام
مصارعة الشك ومجاهدة ابليس من جملة انواع الشدائد والوان المجاهدة والمشاق واختبار العباد بها اعلام الوجه
وقوله اخراجا للتكبر الى قوله لعفوه اشارة الى كونها اسبابا غائية من العناية الالهية لاعداد النفوس لاخراج الكبر
وافاضة ضده وهو التذلل والتواضع عليها والى كونها اسبابا معدة لفضله وعفوه واستعار لفظ الابواب لها
باعتبار الدخول منها الى رضوان الله وثوابه ولفظ الذلل لكون الدخول منها الى ذلك سهلا للمستعدين بها ثم عاد
الى التحذير من الله تعالى في البغي والظلم وعاقبته وحاصل الكلام انه جعل عاجل البغي وآجل الهلاك الحاصل عنه
عاقبة الكبر محلا للحذر من الله وذلك باعتبار وعيده تعالى عند التلبس بالبغي والنظر في تلك الحال الى ما يستلزمه من
الهلاك في الآخرة وما يستلزمه الكبر من سوء العاقبة والضمير في قوله فانها قال السيد فضل الله الراوندي رحمه
الله يعود الى الجحد من البغي والظلم والكبر وان لم يجر لها ذكر وقال غيره الضمير للكبر وانما انثه باعتبار جعله مصيدة
للكبر باعتبار انه يصير الداخل فيه من حزب ابليس وفي قبضته كالشبكة وحبائل الصائد ووصفها بالعظمى باعتبار
قوته وكثرة ما يستلزمه من الرذائل وكذلك استعار له لفظ المكيدة الكبرى باعتبار ما هو سبب قوي في جذب
الخلق الى الباطل وضلالهم عن طريق الله كالحيلة والخدعة واستعار وصف المساورة له باعتبار مواثبة النفوس
ومغالبته لها بالكبر وذلك انه تارة يلقي اليها تحسين الكبر وترغيبه فتنفعل عنه وتقبل الكبر وتلك هي الوثبة من
جانبه وتارة يقوي النفس عليه بوسوسته ويقهرها وتلك هي الوثبة من قبلها فتثبت مساورته للقلوب بالكبر
بمساورة السموم القاتلة للطبيعة البدنية وكنى عن وجه الشبه بقوله فما يكدي ابدا ولا يشوي احدا اي انه مساورة
بالكبر لا يكاد يغالبها ما يغالبه ويهلك العقول ويمنع تاثيرها في النفوس كما لا يكاد يقاوم مواثبة السموم القاتلة شيء من
طبايع الحيوان ولا يكاد يخطئ المقاتل كما لا يخطئ السموم وحركاتها في الابدان مقاتلها ويحتمل ان يكون وجه الشبه
مساورته غالبة مهلكة كمساورة السموم للابدان ويكون قوله ولا يكدي ابدا ولا يشوي احدا استعارتين لوصفي السهم
الذي لا يكاد يقف دون المقاتل ولا يخطيها الشك المساورة باعتبار انها لا يخطى بها القلوب بسهام الكبر والبغي

وساير ما يلقى من الوساوس المهلكة وقوله لا عالما لعلمه ولا مقلا في طمره اى ان هذه الرذيلة تؤثر في نفس العالم على علمه والفقير في طمره
فلا يردها العالم بعلمه انها رذيلة ولا المقل المستتر في طمره لمنافاة حال الفقر في قلته وضره الكبر وهواه وعن ذلك ما حرس الله
الى قوله لذلك تنبيه على الامور التي حرس الله تعالى بها عباده من هذه الرذيلة وجعلها اسبابا للتحرز من نزغات الشيطان
بها واشار الى ثلثة منها وهى الصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الايام المفروضات اما الصلوات فلكونها
باجزائها واوضاعها منافية للتكبر اذ كان مدارها على تضرع وخشوع وسجود وركوع وكل واحد من هذه الاجزاء
بكيفيته وهيئته موضوع على المذلة والتواضع والاستسلام لعزة الله وعظمته وتصور كماله وتذكر وعده ووعيده
واهوال الموقف بين يديه وكل ذلك ينافي التكبر والتعظم والى ذلك اشار بقوله تسكينا لاطرافهم وتخشيعا لابصارهم
الى قوله تصاغرا وتصيب تسكينا وتخشيعا وتذليلا وتخفيضا واذهابا على المفعول له والعامل ما دل عليه قوله حرس من
معنى الامر اى حرسهم بهذه وامرهم بكذا وكذا وكذلك انتصب تواضعا وتصاغرا والعامل فيه المصدر ان تعفير الوجوه
واما الزكوات فوجه منفعتها في دفع هذه الرذيلة امران احدهما انها شكر النعم المالية كما ان العبادات البدنية شكر
للنعمة البدنية وظاهر ان شكر النعمة مناف للتكبر على المنعم والاستنكاف عن عبادته الثاني ان اوجبت عليه الزكوة
يتصور قدرة موجبها وسلطانه وقهره على اخراجها فينفعل عن حكمه ويتعفر بها وامره مع تصور الضاير المطلق
وذلك مناف لتكبره واستنكافه عن عبادته واما مجاهدة الصيام فلما فيها من المشقة الشاقة ومكابدة الجوع والعطش
في الايام الصيفية كما حكى عليه السلام عنه بقوله والصاق البطون بالمتون من الصيام والانسان في كل تلك الاحوال متصور
لجلال الله وعظمته وانه انما يفعل ذلك امتثالا لواجب امره وخضوعا تحت عز سلطانه وذلك مناف للكبر
والترفع وقد علمت ما في الصوم من كسر النفس الامارة بالسوء كما قال صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجري من ابن آدم
مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك ان وسيلة الشيطان هي الشهوات ومبدأ الشهوات وقوتها هو الاكل
والشرب وتضييق مجاريه تنقص وتكسر قواها وسوسته بالرذايل عن العبد وتسكن حركات الاطراف التي هي مبدأ
تلك الوساوس وتخشع الابصار وتذل النفوس وتخفض القلوب وقوله مع ما في الزكوة الى قوله الفقير اشارة الى سر آخر
من اسرار الزكوة وهو ظاهر وقد ذكرنا اسرارها واستقصاه في الفصل الذي اوله ان افضل ما توسل به المتوسلون الى الله
امر باعتبار ما في هذه الافعال اى التي تقع في الصلوة والزكوة والصيام من تعفير عتايق الوجوه والصاق كرايم الجوارح
وهي الايدي والارجل ولحوق البطون بالمتون الى غير ذلك من الافعال المستلزمة للتواضع والتذلل تاكيدا لما مر من ان
هذه العبادات حارسة لعباد الله عن رذيلة الكبر وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في توبيخهم على العصبية من غير سبب
ارجح يقبلها عقل وامرهم بالتعصب لمحامد الاخلاق ومكارمها وتحذيرهم من العقوبات النازلة بمن قبلهم من الامم
والنظر في عاقبة امرهم وغير ذلك من الامور الواعظة وذلك قوله ولقد نظرت فما وجدت احدا من العالمين يتعصب
لشيء من الاشياء الا عن علة تحتمل تمويه الجهلاء او حجة تليط بعقول السفهاء غيركم فانكم تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا
علة اما ابليس فتعصب على آدم عليه السلام لاصله وطعن عليه في خلقته فقال انا ناري وانت طيني واما الاغنياء من مترفة الامم

فتعصبوا لآثار مواقع النعم فقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فان كان ولا بد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم
الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب ويعاسيب القبائل
بالاخلاق الرغيبة والاحلام العظيمة والاخطار الجليلة والآثار المحمودة فتعصبوا لخلال الحمد من الحفظ للجوار والوفاء بالذمام
والطاعة للبر والمعصية للكبر والاخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والكظم للغيظ واجتناب
الفساد في الارض واحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكروا في الخير والشر احوالهم واحذروا
ان تكونوا امثالهم فاذا تفكرتم في تفاوت حاليهم فالزموا كل امر لزمت العزة به حالهم وزاحت الاعداء له عنهم ومدت
العافية فيه بهم وانقادت النعمة له معهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم من الاجتناب للفرقة واللزوم للالفة والتحاض
عليها والتواصي بها واجتنبوا كل امر كسر فقرتهم واوهن منتهم من تضاغن القلوب وتشاحن الصدور وتدابر النفوس
وتخاذل الايدي وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء الم يكونوا اثقل الخلايق اعباء
واجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالا اتخذتهم الفراعنة عبيدا فساموهم سوء العذاب وجرعوهم جرع المرار فلم
تبرح بهم الحال في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا راى الله سبحانه جد الصبر منهم
على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم العز مكان الذل والامن مكان
الخوف فصاروا ملوكا حكاما وائمة اعلاما وبلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الآمال اليه بهم فانظروا كيف كانوا
حيث كانت الاملاء مجتمعة والاهواء مؤتلفة والقلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر
نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا اربابا في اقطار الارضين وملوكا على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه في آخر امورهم
حين وقعت الفرقة وتشتت الالفة واختلفت الكلمة والافئدة وتشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس
كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرا للمعتبرين منكم فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني اسحق وبني اسرائيل
عليهم السلام فما اشد اعتدال الاحوال واقرب اشتباه الامثال تاملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الاكاسرة
والقياصرة اربابا لهم يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيح ومهافي الريح ونكد المعاش
فتركوهم عالة مساكين اخوان دبر ووبر اذل الامم دارا واجدبهم قرارا لا ياوون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل
الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفة والكثرة متفرقة في بلاء ازل واطباق جهل من بنات موؤدة
واصنام معبودة وارحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله سبحانه عليهم حين بعث اليهم رسولا
فعقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها واسالت لهم جداول نعيمها والتفت الملة
بهم في عوائد بركتها فاصبحوا في نعمتها غرقين وفي خضرة عيشها فكهين قد تربعت بهم في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال
الى كنف عز غالب وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون
الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم لا تغمز لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة الا وانكم قد نفضتم
ايديكم من حبل الطاعة وثلمتم حصن الله المضروب عليكم باحكام الجاهلية وان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة

والكظم

عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي يتقلبون في ظلها ويأوون الى كنفها بنعمة لا يعرف احد من المخلوقين لها قيمة لانها ارجح من كل
ثمن واجل من كل خطر واعلموا انكم صرتم بعد الهجرة اعرابا وبعد الموالاة احزابا ما تتعلقون من الاسلام الا باسمه ولا تعرفون
من الايمان الا رسمه تقولون النار ولا العار كأنكم تريدون ان تكفئوا الاسلام على وجهه انتهاكا لحريمه ونقضا لميثاقه
الذي وضعه الله لكم حرما في ارضه وامنا بين خلقه وانكم ان لجأتم الى غيره حاربكم اهل الكفر ثم لا جبرئيل ولا ميكائيل ولا
مهاجرون ولا انصار ينصرونكم الا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم وان عندكم الامثال من بأس الله تعالى وقوارعه
وايامه ووقائعه فلا تستبطئوا وعيده جهلا بأخذه وتهاونا ببطشه ويأسا من بأسه فان الله سبحانه لم يلعن القرن
الماضي بين ايديكم الا لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلعن السفهاء لركوب المعاصي والحكماء لترك التناهي وقد قطعتم
قيد الاسلام وعطلتم حدوده وامتم احكامه اقول التمويه التلبيس وتبطن تلصق وتخالط والسفه خفة والمجد جمع ماجد
وهو كريم الاباء شريفهم والنجدا جمع نجيد وهو ذو النجدة وهي فضيلة تحت الشجاعة ويعاسيب القبائل ساداتها ورؤساؤها
والتحاض التحاث والفقرة الواحدة من خرزات الظهر وذوي تعرهم جمع ضرع والمنة القوة والتضافر التعاقد والتناصر
التعادي والتدابر التقاطع والتخاذل عدم التناصر والعباء الحمل والجهد المشقة وبينه اولية ايام المرأ بضم الميم اذا
اكلت منه الابل فلم يصب عنه المهمل فرعها والترافد التعاضد والتعاون وغضارة النعمة طيبها والاختيار الاقتطاع
والاخذ عنه والريف الارض ذات الزرع والخصب ومهافي الريح جمع مهفاة وهي محل هفو الريح اي حركتها وهبوبها
ونكد المعاش قلته وشدته والعالة جمع عائل وهو ذو العيلة وهي الفقر والوبر الحقد وفي بعض النسخ دبر ودبر والدبر
الجرح في ظهر البعير والازل الضيق والموؤدة البنت تدفن في التراب حية وشن الغارة فرقها من كل جانب والفكه
النفس المسرور والفكه الاشر البطر وتربعت اقامت واصله الاقامة في الربيع ويحتمل ان يريد بمكث كالمتربع
المخصوصة لكونها ذات تمكن والذرى جمع ذروة وهي اعلى الجبل وعطف عليه مو تعطف اذا اشفق عليه والتفت
اليه باحسانه والحظر المنع والمدر والاعراب سكان البادية وكفأت الاناء قلبته لوجهه وانتهاك الحرمة اخذها بما
لا يحل والمقارعة المضاربة تقول ولقد نظرت الى قوله بعد من في معرض التوبيخ لهم على تعصبهم الباطل الذي
تثور به الفتن مع انه ليس لامر يعرف من وجه المنفعة والمصلحة الحاملة عليه ولفظ الا يقتضي حصر وجدانه لمن
لشيء في وجدانه متعصبا عن علة يحتمل تشبيه الامر على اهل الجهل بحيث تظن سببا صحيحا للتعصب او عن حجة
يلتصق بعقول السفهاء فتقبلها وهذا هو مقتضى العقل اذ كان الترجيح من غير مرجح محالا في بداية العقول وتقدير
الكلام فلو وجدت احدا متعصبا الا وجدته متعصبا عن علة وقوله غيركم استثناء من معنى الاثبات في الجملة المقيدة
للحصر كانه قال وجدت كل احد متعصبا عن علة الا انتم وقوله تتعصبون لامر ما يعرف له سبب ولا علة اي سبب
يحمل التمويه على الجهلاء وعلة تلتصق بعقول السفهاء ولم يرد نفي مطلق السبب اذ سبب تعصبهم وثوران الفتنة
هو الاعتزاء الذي كان بينهم وكان يقع من جهلهم كما ذكرناه في سبب الخطبة لكنه ترك الوصف هنا لتقدمه في فصل
وجوه العصبية واسبابها فابتدأ بذكر مبدأ العصبية لابليس وسبب عصبيته لاصله اعتقاده لطف جوهره وشرفه

اشرف من الطين مع جهله بسر البشرية ووضع آدم على هذه الخلقة وخلقته هيئة التي وقع عليها خلقه فلذلك فضل فيه
الفرع على الاصل في الشرف والخسة فقال انا ناري وانت طيني ولذلك قيل انا اول من قاس ابليس ثم عصبية الاغنياء
والجهال من مترفة الامم لكونهم تلامذة ابليس في العصبية واشار الى علة تعصبهم وهي آثار مواقع النعم ومواقعها هي
الاموال والاولاد وساير ما ينتفع به كما قال تعالى حكاية عنهم نحن اكثر اموالا واولادا وآثار تلك المواقع هي الغنى والترفه
والنعم والالتذاذ وكان تعصبهم لذلك وفخرهم به ويجب ان تعلم ان الاموال والاولاد انفسها ليست نعما مطلقا لانها
من الامور الاضافية انما تقال بالنسبة الى منعم ومنعم عليه وليس المال مطلقا كذلك ولا الولد باعتبار ذاته انما
يطلق عليها لفظ النعم باعتبار انتفاع الانسان بهما حتى لو كانا سببا لهلاكه او اذاه لم يكونا بذلك الاعتبار نعمة عليه
وتسميته فلذلك جعلها مواقع النعم اي محال قابلة لكونها نعما ويحتمل ان يريد بالنعم الاموال والاولاد ومواقعها
فانه كثير ما يريد بمثل المصدر والآثار هاهنا الغنى والترفه كما فسرناه ثم لما دخلهم على التعصبات الباطلة نبههم على
العصبية وما ينبغي ان يكون له وهي مكارم الاخلاق ومحامد الافعال ومحاسن الامور التي تفاضلت فيها اهل المجد
والنجدة من بيوتات العرب وسادات القبائل والمراد في قوله بالاخلاق متعلقة بتفاضلت فان المذكورين تفاضلوا في
محاسن الامور والاخلاق الرغيبة اي المرغوب فيها وقد علمت فيما سبق اصول الاخلاق الفاضلة وملخصها من انواع
والحلم ملكة تحت الشجاعة وهي الاناة والرزانة عند الغضب وموجبات الفاضلة بالاخطار الجليلة مراعاة المراتب
المحمودة ومنازل الشرف بالمحافظة على تلك الاخلاق المحمودة وملازمتها او كذلك المفاضلة بالاعمال المحمودة وهي
ملازمة الافعال الجميلة المواضعة للاخلاق النفسانية كفعل البذل من السخاوة وكمثل القرب مثلا مراعاة للبلد
والوفاء ثم امرهم بعد التنبيه على تلك المكارم بالعصبية لها فقال فتعصبوا لخلال الحمد فاشار الى تفصيلها فمنها
حفظ الجوار وهي فضيلة تتشعب عن فضيلتين لان حفظه يكون بالكف عن اذاه وذلك فضيلة تحت العدالة ويكون
بالاحسان اليه ومصادقته ومسامحته ومساواته ومواساته وتلك امور تحت العفة ومنها الوفاء بالذمام وهو تحت العفة ومنها
الطاعة للبر والاولى ان يريد بالبر هنا ما اراد به القرآن الكريم وهو ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن
البر من آمن بالله الى قوله واولئك هم المتقون ولكن البر من اتقى فان المراد في هاتين الموضعين بالبر كمال الايمان والتقوى
والاعمال الجميلة ومعنى طاعة البر التلبس بهذه الاعمال وملازمتها واعتقاد وجوبها ويحتمل ان يريد بالطاعة للامر
بالبر وحذف الامر للعلم به وقد يطلق البر ويراد به العفة وبذلك الاعتبار يقابله الفجور ويحتمل ان يريد هنا ما يقابل العقوق
وهو الشفقة على ذوي الرحم والاحسان الى الوالدين وهو داخل تحت العفة ومنها المعصية للكبر والمراد بمعصيته
مجانبته مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب او معصية الامر بالكبر وهي كناية عن التواضع وهو فضيلة تحت العفة
والمعصية هنا في مقابلة الطاعة ومنها الاخذ بالفضل والمراد استكمال الفضيلة ولزومها ويحتمل ان يريد بالفضل
على الغير والاحسان اليه والاخذ به فيكون امرا بالاحسان والجود وهو فضيلة تحت العفة ومنها الكف عن البغي وهو تحت
فضيلة العدل ومنها اعظام القتل وهو كناية عن ترك ما يستلزمه من رذيلة الظلم ثم الوعيد عليه في الآخرة ووجود الضد في الغضب

ومواساته

ايضا وكذلك الانصاف للخلق هو لزوم العدل في معاملاتهم ومنها كظم الغيظ وهو فضيلة تحت فضيلة الشجاعة ومنها
اجتناب الفساد في الارض وهو من لوازم فضيلة العدل ثم لما امر بلزوم مكارم الاخلاق والاعمال الجميلة اردفه بالتنفير
الكون على ضد ذلك من رذائلها ودنائتها وذلك التنفير بتذكير السامعين حال الامم الماضين وما اصابهم
من عقوبات الله بسبب افعالهم وذميم اعمالهم وتحذيرهم ان يرتكبوا تلك الرذائل فيصيبهم ما اصاب اولئك
باس الله وامرهم ان يتذكروا احوالهم في الخير والحسن كانوا في طاعة انبيائهم والالفة الجامعة بينهم وحالهم في
التي انقلبوا اليها عن تلك الحال حين خالفوا صالح الاعمال وخالفوا ذميم الافعال وحذرهم ان يكونوا امثالهم في ذلك
الانقلاب واستبدال الشر بالخير وان يلزموا عند تفكرهم في تفاوت حالتيهم كل امر لزمت العزة بسبب حالهم وازالت الا
عنهم ومدت العافية بهم والباء للاستصحاب اي مدة مستصحبة لهم وفي نسخة الرضي رحمه الله ومدت على
البناء للفاعل كقولك مد الماء اي جرى وسال وكذلك اتصلت النعم لهم لذلك الامر معهم اي بسببه اذ كان سببا
لافاضة النعم عليهم ووصلت الكرامة عليه حبلهم واستعار لفظ الوصل لاجتماعهم عن كرامة الله لهم حال كونهم
على ذلك الامر ورشح بذكر الحبل وقوله من الاجتناب الى قوله والتواصي بها وظاهر ان لزوم الامر تسبيب للامور التي
وقوله واجتنبوا الى قوله وتخاذل الايدي اي واجتنبوا كل امر اسند لو امر تلك الامور التي اوجبت لهم العز والكرامة
فكان سببا لكسر فقرتهم ووهن قوتهم وهو التضاغن والتنافس والتقاطع والتخاذل لانها امور تضاد الالفة وتنا
فكانت مضادة لما تستلزمه الالفة وارادة التخاذل المطلق واضافه الى الايدي كناية لان الاغلب ان يكون التناصر
بالايدي وهولاء الذين امر باعتبار حالهم لا يريد بهم امة معينة بل الحال اعلم في كل امة سبقت كان كل امة وافق
وتعاونوا وتناصروا وكان ذلك سببا لعزة حالهم ودفع الاعداء عنهم وكل قوم افترقوا وتقاطعوا استلزم ذلك ذلهم
الاعداء لهم وقوله وتدبروا احوال الماضين من المومنين الى قوله البيهم امرهم باعتبار هذه الاحوال فيمن هو اخص
وهم المومنون من الماضين في ازمان الانبياء السابقين فانهم حيث كانوا مع كل نبي في مبدا امرهم في حال التمحيص
والاستخلاص لقلوبهم بالبلاء اثقل اهل الارض اعباء قد اتخذتهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب وهولاء كبني
عليه السلم مع فرعون زمانه وكبني هرون ومن آمن معهما من بني اسرائيل في مبدا امرهم فانهم كانوا لحال التمحيص
الصفات التي ذكرها عليه السلم قد اتخذهم الفراعنة عبيدا يسومونهم سوء العذاب ويجرعونهم المرار فلم يزالوا كذلك
حتى اذا راى استعدادهم بالصبر على دينه لافاضة رحمته عليهم وجعل لهم من مضايق البلاء فرجا فابدلهم بالعز مكان
والامن مكان الخوف كما امتن تعالى عليهم في كتابه حيث قال وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ الاية وقيل ذلك ما كان للمومنين
مع نوح وابرهيم عليهما السلم وغيرهما فانا كونهم ملوكا وحكاما وائمة اعلاما وبلوغهم الكرامة من الله لهم فلم
آتاهم اليه فان موسى وهرون عليهما السلم بعد هلاك فرعون ورثا مصر واستقر لهما الملك والدين وكذلك
وداود بعد مجاهدته لجالوت وقتله وذلك ان طالوت لما جاوز النهر هو ومن معه لقتال جالوت كان معهم داود

والقلبة لطالوت واصحابه وكان للكفار [illegible]

عليه السلم فرماه من مقلاعه بحجر فقتله وانكسرت اصحابه وكان الملك بعده لداود عليه السلم كما قال تعالى وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
وَالْحِكْمَةَ وكذلك لم يزل الملك والنبوة في سليمان وولده واولادهم الى الاعرج من ولده خطمت الملوك في بيت المقدس
لضعفه وزمنه وانه لم يكن نبيا فسار اليه ملك الجزيرة وكان يسكن بيرة سنجار وكان بخت نصر كاتبه فارسل الله تعالى
عليه ريحا فاهلكت جيشه وافلت هو وكاتبه فقتله ابنه فغضب لذلك بخت نصر فاعتزله حتى قتله وملك بعده
ذلك اول ملك بخت نصر وقوله فانظروا حيث كانوا الى قوله للمعتبرين منكم امرهم باعتبار حالهم في الفتهم واجتماعهم
واشارة الى ان المستلزم لتلك الخيرات كلها انما كان هو الالفة والاجتماع وباعتبار ما صاروا اليه في اخر امورهم حين وقعت
الفرقة بينهم وتشتت الفتهم واختلفت كلمتهم وافئدتهم فخلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص
اخبارهم عبرة للمعتبرين وهو اشارة الى ان المستلزم لتلك الشرور هو ما حصلوا عليه من تفرق الكلمة وذلك صادق
على كل قرن قرن وامة امة آمنوا ولحقهم الجهاد من الفراعنة والجبابرة ثم صبروا فانتصروا على اعدائهم وان اختلفت
القلوب استقامتها على الحق وقوله والسيوف متناصرة قال بعضهم اراد اهل السيوف فحذف المضاف ويحتمل ان
يكون تجوزا استعارة وصف التناصر لها باعتبار كونها اسبابا يقوي بعضها بعضا فصارت كالجماعة التي ينصر
بعضها وقوة البصائر نفوذها حجب الشبهات عن الحق واتحاد العزائم اتفاق الارادات الجازمة على طلب الحق
ومتحابين منصوبان على الحال وكذلك موضع قوله فخلع وكذا قصصا وقوله فاعتبروا بحال ولد اسمعيل وبني
واسرائيل الى قوله صفاه امرهم باعتبار اخص وولد اسمعيل اشارة الى العرب من آل معد ومن بني اسحق اولاد روم بن عيص
بن اسحق وبنو اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق فاما حال تشتتهم وتفرقهم واستيلاء الاكاسرة والقياصرة عليهم
بهم فتفرق كلمة العرب قبل ظهور محمد عليه السلم امر ظاهر معلوم لكل من طالع كتب السير وبسبب ذلك كانت الاكاسرة
تحاربهم ويبعدونهم عن ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى البادية واما حال بني اسحق واسرائيل في ذلك
فهو ما جرى لاولاد روم بن عيص من اختلاف النسطورية واليعقوبية والملكانية حتى كان ذلك سببا لضعفهم في
القياصرة عليهم في الروم وعلى بني اسرائيل في الشام وازعاج بخت نصر لهم عن بيت المقدس حتى غزاه المرة الثانية
اشار اليه القران بقوله فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ الاية وقد كان غزاهم مرة اولى حين
وغيرها وفرضوا الى الله تعالى وتابوا فرده عنهم وهي المرة الاولى التي حكى الله تعالى عنها بقوله فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا الاية
احدثوا بعد ذلك فبعث الله ارميا فقام فيهم بوحي الله فضربوه وقيدوه وسجنوه فغضب الله عليهم فبعث اليهم بعد
ذلك بخت نصر فقتل منهم وصلب واحرق وجدع وباع ذراريهم ونساءهم وصارت منهم طائفة الى مصر ولجاوا
الى ملكها فسار اليه بخت نصر فاسره واسر بني اسرائيل والذين هربوا منهم انتقلوا الى حدود المدينة كيهود خيبر وبني قريظة
والنضير ووادي القرى وغيرها اذا عرفت ذلك فقوله امر عليه السلم باعتبار حالهم وتامل امرهم في حال تشتتهم
قبل بعثة الرسول صلى الله عليه واله وفضل الاعداء بهم ما كانوا يفعلون كيف فرج الله عنهم من تلك الشدائد بظهور محمد
صلى الله عليه واله لهم نبيا واعلم ان حاصله عليه السلم من امره باعتبار حال المومنين من الامم الماضية قبلهم الاقتداء بهم في

الحق

من آل قحطان [illegible]

المكاره ولزوم الالفة والاجتماع مع ذلك وانتظار الفرج بروقوله فالشد اعتدال الاحوال الى تساويها واراد ان احوالكم الى
والمساواة لاحوالهم وكذلك ما الوقت اشتباه الامثال اي لان احوالكم شديدة المماثلة لاحوالهم لانكم امثالهم وهو اشارة
الى وجه علة الاعتبار فانهم اذا كانوا امثالهم واعتدلت احوالهم وتشابهت امورهم وجب اعتبار حالهم بحالهم
ولذلك اتى بالفاء للتعليل وقوله تاملوا امرهم في حال تشتتهم الى آخر الكلام اشارة الى حال شدتهم ورخائهم لينتقل
اذهان السامعين الى اثبات تلك الحال لانفسهم فالماضون اصل ذلك الاعتبار والسامعون فرعه وحكم الاصل [احوالهم]
الجبرية والشر بير وعلة ذلك الحكم كونهم امثالهم وقوله ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة اربابا لهم اي مالكون لامورهم
يحتازونهم اي كانت القياصرة يحتازون بني اسرائيل وبني اسحق والاكاسرة يحتازون بني اسمعيل ويمنعونهم من اعمال
العراق فصار الجميع مطرودا للجميع عن حضرة الآفاق وحيازات الشام وبحر العراق واراد دجلة والفرات وقوله الى منابت
الشيح ومهافي الريح كناية عن البرية وظاهر انها محل نكد العيش وضيقه كما وصفهم عليه السلام بوصف معاشهم في الفصل
السابقة ويختص الاكاسرة وهو جمع كسرى بملوك الفرس والقياصرة بملوك الروم وهو جمع على غير قياس وكنى بالدم
والوبر عن الجمال وفيه ايماء الى فقرهم وضيق معاشهم لان دبر الجمال واستعمال الوبر واكله بالدم من لوازم الفقر وضيق الحال
وعلى الرواية الثانية فالدبر كناية عن الفقر ايضا وظاهر انهم اذل الامم دارا لان اهل البادية ليسوا اصحاب حصون
يعتصمون بها وان كان لبعضهم حصن فضلا عجيبهم عن امثالهم فيما يجري بينهم من الغارات وليس في ذلك ما يدفع عنا
ناقوة او يحتمل حصارا وقوله واجدبهم قرارا اي مستقرا اذ كانت البادية لا تقاس الى المدن في الخصب واستعار لفظ
الجناح لما ينهض بدعوتهم ويقوى اذا دعوا وكنى بذلك عن كونهم لا يأوون الى من يجيب دعوتهم فيبعث همومه
وكذلك استعار لفظ الظل لما يستلزمه الالفة من التعاون والتعاضد والتناصر ووجه المشابهة هو ما يستلزمه هذه
الامور من الراحة والسلامة من حرارة نار العدو والحرب كما يستلزمه الظل من الراحة عن حر الشمس وقوله فالاحوال
مضطربة شرح حالهم بوسند وكونها على غير نظام وكنى باختلاف ايديهم عن عدم اتفاقهم على التناصر وبتفرق كلمتهم
عن عدم الفتهم واجتماعهم على مصالحهم واضافة بلاء الى الازل بمعنى من وكذلك اضافة اطباق وقد جعلت انواع
الجهل صفات مركبات متراكم بعضها فوق بعض اولها عدم العلم بالحق وثانيها الاعتقاد لغير الحق وفوقها الاعتقاد
شبهة تقوي ذلك وتعضده مع تجرئه وتعصبه وفوقها اعتقاد تلك الشبهة جزما وفي نسخة الرضي بعد الذي
بكسر الهمزة على انه مصدر والمعنى وجهل مطبق عليهم وقوله من بنات تفصيل للوازم ذلك الجهل وذكر منها اربعة انواع
احدها وأد البنات واشار اليه القرآن الكريم وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ قيل كان ذلك في بني تميم وقيس
واسد وهذيل وبكر بن وائل قالوا والسبب في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاجدبوا سبع سنين حتى اكلوا الوبر بالدم وكانوا يسمونه العلهز
والبنات لاملاقهم وفقرهم ويؤيد ذلك قوله تعالى وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ وقال قوم بل كان
للبنات انفة وذلك ان تميما منعت النعمن الاتاوة سنة من السنين فوجه اليهم اخاه الريان بن المنذر وجل من معه

بكر بن وائل فاستاق النعم وسبى الذراري فوفدت بنو تميم الى النعمن واستعطفوه فرق لهم واعاد عليهم السبي وقال كل امرأة اختارت
اباها ردت اليه وان اختارت صاحبها تركت عليه فكلهن اخترن اباهن الا ابنة قيس بن عاصم فانها اختارت من
فنذر قيس بن عاصم التميمي ان لا يولد له بنت الا واراها ففعل ذلك ثم اقتدى به كثير من بني تميم الثاني عبادة الاصنام
وقد كان لكل قبيلة صنم يعبدونه فكان لهذيل سواع ولبني كلب وُدّ ولمذحج يغوث وكان لرؤس الجبال والقرى
نسر ولهمدان ولثقيف اللات والعزى ولقريش وبني كنانة والاوس والخزرج مناة وكان هبل على الكعبة واساف ونائلة
كانا على الصفا والمروة ومن نوادر جهلهم المشهورة ان بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا
طويلا ثم اصابتهم مجاعة فاكلوه فقال بعضهم في ذلك اكلت حنيفة ربها من التقحم والمجاعة لم يحذروا من ربهم
سوء العواقب والتباعة الثالث قطع ارحامهم وقد كان احدهم يقتل اباه واخاه عند الحمية لادنى سبب كما هو
معلوم من حالهم الرابع وشن الغارات والحروب كيوم ذي قار وكايام حرب بكر وتغلب بني وائل وكحرب داحس
والغبراء الى غير ذلك من الايام المشهورة المشهودة ومقاماتهم في الحروب والغارات اكثر من ان تحصى وكل ذلك من
لوازم الجهل وقوله فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم اي اعتبروا حالهم عند مقدم محمد صلى الله عليه وآله وبعثته فيهم
بعد تلك الاحوال الشرية والضمير في عقد وجمع راجعان الى الله تعالى لشهادة القرآن الكريم ونسبة الالفة بينهم اليه في
قوله لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ومعنى عقده الطاعة
بملته جمعها بعد الانتشار ونظمها بعد التفرق اذ كانت طاعاتهم في الجاهلية موافقة لاهوائهم المختلفة ومنتشرة
بحسب اختلافها واستعار لفظ الجناح لما اسبغت عليهم رحمة الله من النعمة وعنى به من الكرامة ورشح بذكر النشر
وكنى به عن عموم بها وكذلك استعار لفظ الجداول وهي الانهار لانواع نعيمها وسيول الخيرات التي جرت عليهم من
الكمالات النفسانية والبدنية ملاحظة لشبه تلك الطرق والاسباب بالجداول في جريان اللذة بها ورشح بذكر الاسالة
وقوله والتفت الملة بهم في عوائد بركتها اي اجتمعت بهم والفتهم في منافعها التي حصلت من بركتها يقال الفت بفلان
في موضع كذا اي لقيته وقيل موضع قوله في عوائد نصب على الحال اي حال كونها كذلك ولفظ الالتفاف كناية عن ورود
الدين عليهم وتلبسهم به وكذلك استعار لفظ الغرقى ملاحظة لشبههم بالغرقى في شمول نعمة الدين لهم وغمرها
الاسلام اياهم حتى كانهم لاستيلائها عليهم كالغرقى واستلزم ذلك ملاحظة تشبيهها بالبحر الزاخر وكنى بخضرتها
عن سعة المعاش بسبب اللذة وطيبه واراد بالسلطان هنا اما الحجة والبرهان والاقتدار والغلبة والدولة واستعار
لفظ الظل لما يستلزم ذلك السلطان من النعمة اي وتمكنت بهم الامور والاسباب التي اعدتهم لنعمة الله في ذلك
الظل وكذلك قوله واوتهم الحال الى كنف عز غالب وهو عز الاسلام ودولته وملاذ خطر
لشبهه باعالي الجبل المنيع في علوه ومنعته وكذلك استعار لفظ التعطف لاقبال السعادات الدنيوية والاخروية عليهم
بالاسلام وهي التي عنى بالامور ولاحظ في ذلك مشابهة تلك الاقبال بتعطف ذي الرحمة والشفقة على غيره وقوله فهم
حكام الى قوله مصيبا بهم ظاهر وكنى بكونهم لا تغمز قناتهم عن قوتهم وعدم انقهارهم للغير وكذلك بكونهم لا تقرع لهم

سفاهة ويجري مجرى المثل ثم عقب بتوبيخهم على قلة طاعتهم له واستعار لفظ الحبل لما انتظم بينهم من طاعتهم لله ورسوله
وكنى بوصف نفض الايدي عن خروجهم من الطاعة وشدة اطراحهم لها بكثير من افعالهم وكذلك استعار لفظ الحصن
للاسلام ووجه المشابهة كونه حافظا لهم من اعدائهم الظاهرة والباطنة كالحصن المضروب على اهله ورشح بذكر
وكذلك استعار لفظ الثلم لكسرهم الاسلام باحكامهم الجاهلية ومخالفتهم لكثير من احكامه وتفرقهم عن تلك الحال مما
يستلزمه من ذلك الثلم وقوله وان الله سبحانه قد امتن الى قوله لكل خطر ترغيب في لزوم حبل الالفة والتمسك به
التي امتن الله بها في عقد حبل الالفة والتي لا يعرف احد لها قيمة هي الالفة نفسها باعتبار ما تستلزمه من المنافع العظيمة
ودفع المضار وعلل عدم معرفة الخلق بقيمتها بكونها اربح من كل ثمن واجل من كل خطر وهي صغرى قياس ضمير تقدير كبراه
وكل ما كان كذلك لم يعرف احد قيمته وصدق الصغرى ظاهر اذ كانت تلك الالفة والاجتماع على الدين سببا عظيما
استعدادهم لسعادة الدنيا والآخرة وقوله واعلموا الى قوله بين خلقه توبيخ لهم باستقالهم عن الاحوال والاقوال الاسلامية
الى الاحوال الجاهلية اي قد صرتم بعد كونكم مهاجرين اعرابا ولما كانت الاعراب انقص رتبة من المهاجرين واهل المدن
لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن الفضائل النفسانية وجهلهم وبعدهم من سماع الفاظ الرسول صلى الله عليه وآله ومحاسن
الآداب من اهل الحضارة كما قال تعالى الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر وبخهم بصيرورتهم كذلك وليس كل الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الآخر الآية وكونهم بعد الموالاة احزابا فالاحزاب الفرق التي تفترق لمحاربة الرسل واوصيائهم
لمخالفتهم وظاهر ان هؤلاء كذلك لانقسامهم وتشعبهم الى ناكثين ومارقين وقاسطين ومنافقين ومحاربتهم له حتى ليس
لهم اذن جامع في الاسلام يتعلقون من الاسلام الا بالاسم ولا يعرفون من الايمان الا رسمه واثره وشعاره الظاهر كالاقرار بالشهادتين
وحضور الصلاة دون الشرائط الحقة وما ينبغي له وقولهم النار ولا العار كلمة يقولها اهل الكبر والانفة من احتمال
والضيم لانفسهم او لقومهم في الاستنهاض الى الفتنة والنار والعار منصوبان بفعلين مضمرين تقديره ادخلوا النار
ولا تحتملوا العار فشبههم في حالهم وقولهم ذلك بمن يقصد ان يقلب الاسلام على وجهه وكنى بذلك عن افساده كالاناء
بالمستعار ملاحظة لشبهه بالاناء تقلب فيخرج ما فيه عن الانتفاع به ووجه التشبيه المذكور ان افعالهم المذكورة كافعال
من يقصده لذلك من اعداء الاسلام لارادة افساده وقوله انتهاكا ونقضا منصوبان على المفعول له والفاعل قوله ويكفئوا
ويحتمل ان غايتين عقيب كل ... اليهم يفسر ما ذكر ههنا وميثاقه ما اخذ عليهم فيه واشتملوا عليه من جزئياته
وهو الايمان الصادق بالله ورسوله وما جاء به من القوانين الشرعية ثم وصف ذلك الميثاق بكون الله تعالى قد وضعه
لهم حرما في ارضه يمنعهم من كل عدو وامنا بين خلقه لمن دخله والحرم محل الامن فتجوز في اطلاق او تجوز بلفظ الامن في
الناس لاطلاق اسم الحال على المحل وقوله وانكم الى قوله بينكم تحذير عن الاعتماد على غير الاسلام والالتجاء اليه من حمية
او كثرة في قبيلة مع الخروج عن طاعة سلطان الاسلام والتفرق فيه فان ذلك يستلزم طمع الكفار فيهم وعدم نصرة الملائكة
والمهاجرين والانصار حينئذ لهم اما الان فلان تلك النصرة كانت مخصوصة بوجود الرسول صلى الله عليه وآله والاجتماع على طاعته
وعلى ذلك تقدير او لانها مشروطة بالاجتماع على الدين والانتصار به والذب عنه فاذا لجاؤا الى غيره وحاربهم الكفار لم يكن لهم

من الملائكة لعدم اجتماعهم على الدين ولا من المهاجرين والانصار لفقدهم وهذا الكلام مخوف ينبغي ان يحذر منه والظن لزوم هو الالتجاء
الى غير الاسلام يجب ان يكون كذلك والضمير المضاف اليه في حريمه وميثاقه وعزه يعود الى الاسلام وقال بعض الشارحين الضمير
في غيره يعود الى الله والاول اليق بسياق الكلام والنصب في جبرئيل وميكائيل على انهما اسمان لا بدلان لاحظ فيهما التنكير وانما
عقيبهما بعد الا بالكرتين ونصر ونكرهم خبرها مقدر المثله عقيب ما ذكر منها وقوله الا المقارعة بالسيف استثناء منقطع
الله الذي جعله غاية للمقارعة هو اقامة صورة النصر على احد الفريقين والانتصار على الآخر وقوله وان عندكم الامثال
الى قوله ووقائعه تذكير لهم بما ضرب الله لهم من الامثال بالقرون الماضية وما اصابهم من بأس الله وقوارعه وهي الدواهي
العظام وايامه وهي كناية عن الايام التي اوقع لهم فيها عقوبة باسه حين استعدوا لذلك بمعصيته وتهديد
ان مثالهم امر وقوله فلا تستبطئوا الى قوله باسه تهديد لهم ايضا وتوعد بقرب العقوبة على المعصية والطلاق لفظ الاستبطاء
للشيء استبعاد لوقوعه مع انتظار وتوقعه المستلزم لطلبه وطلب تحقق الوعيد ليس من مقاصد العقلاء حتى ينهون عنه
لكن لما كان الانسان اذا هم بالمعصية قد يستبعد تحقق الوعيد وقربه عليها فيكون ذلك مما يقوي معه داعيته الى
فعلها كان لذلك الاستبعاد سببية توجبها المعصية ولما كان ذلك الاستبطاء اطلق عليه اطلاقا لاسم الجزء على الكل
فيكون التهديد والتوبيخ عليه ابلغ ولان الذي يقدم على المعصية مع علمه بما يستلزمه من الاعداد لنزول العذاب
في الحقيقة من يستبطئ العقوبة ويطلب تعجيلها بفعله وكانوا بمعصيتهم كالمستبطئين للوعيد فاطلق في حقهم لفظة
الاستبطاء ونهاهم عنه ونصب جهلا وتهاونا وياسا على المفعول له لصلوح الثلاثة علة غائية للاستبطاء الذي
بمعنى استبعاد ملابسة جهل العبد بكيفية اخذه تعالى له بالموت واخر الدار الاخرة مما يستبعد معه وقوع ذلك
في حقه كما هو وكذلك تهاونه ببطشه واملائه له وعدم علمه بما في ذلك البطش من الاستدراج مما يحمله على استبعاده
وعيده وعقوبته بالمعصية وكذلك ياسه من باسه بسبب ذلك الجهل وذلك البسط مما يحمله على ذلك الاستبعاد ايضا
وقوله وان الله الى قوله التناهي تنبيه لهم على ان لعنة الله للقرن الماضي بين ايديهم قبل الاسلام كان لازما ساويا
لتركهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وخص اية فكانت لعنة لسفهائهم ... لركوبهم المعاصي المنكرة
واما الحكماء منهم ولذوي العقول فلعدم انكارهم وتناهيهم عما يشاهدونه من ذلك المنكر وذلك اللعن في قوله تعالى
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه ونبههم بقوله الا وقد قطعتم قيد الاسلام الى قوله احكامه على انهم من جملة من اتصف بذلك الملزوم اعني ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وركوب المعاصي فلزمهم الدخول في زمرة من لعنه الله بذلك الترك وغاية هذا التنبيه الجذب
ركوب المعاصي الى الانتهاء والتناهي عنها واستعار لفظ قيد الاسلام للالفة والاجتماع عليه وعلى امتثال اوامر الله باعتبار ما
كون ذلك حافظا للاسلام عليهم ومانعا لهم من التشرد والذهاب كما يمنع الجمل قيده من الشرود والتشتت وحدود الله احكامه
التي حدها للناس ومنعهم من تجاوزها وتعطيلهم لها باطراحها وتجاوزها وكذلك اماتة احكامه وعدم العمل بها
مستعار لتركها واهمالها باعتبار انهم اخرجوها بذلك الاهمال عن استفادتهم بها كما ان الميت الذي عجز بجسده عن حد الانتفاع به

الفصل الخامس في اقتصاصه عليه السلام حاله في كلفه وموافقته لاوامر الله تعالى من الحسن في صباه مع شرح حاله مع رسول الله صلى الله عليه وآله والتنبيه على موضعه منه وكيفية تربيته له من اول عمره والاشارة الى قوته في دين الله وذلك قوله الا وقد امرني الله بقتال اهل البغي والنكث والفساد في الارض فاما الناكثون فقد قاتلت واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت واما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره وبقيت بقية من اهل البغي ولئن اذن الله في الكرة عليهم لاديلن منهم الا ما يتشذر في اطراف الارض تشذرا انا وضعت بكلاكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة وضعني في حجره وانا وليد يضمني الى صدره ويكنفني في فراشه ويمسني جسده ويشمني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ولقد قرن الله تعالى به صلى الله عليه وآله من لدن ان كان فطيما اعظم ملك من ملائكته يسلك به سبيل المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع الفصيل اثر امه يرفع لي في كل يوم علما من اخلاقه ويأمرني بالاقتداء به ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة عليها السلام وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي ولكنك وزير وانك لعلى خير ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما اتاه الملأ من قريش فقالوا له يا محمد انك قد ادعيت عظيما لم يدعه اباؤك ولا احد من بيتك ونحن نسألك امرا ان اجبتنا اليه واريتناه علمنا انك نبي ورسول وان لم تفعل علمنا انك ساحر كذاب فقال صلى الله عليه وآله وما تسألون قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك فقال صلى الله عليه وآله ان الله على كل شيء قدير فان فعل الله لكم ذلك اتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قال فاني سأريكم ما تطلبون واني لاعلم انكم لا تفيئون الى خير وان منكم من يطرح في القليب ومن يحزب الاحزاب ثم قال عليه السلام يا ايتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي باذن الله والذي بعثه بالحق نبيا لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوي شديد وقصف كقصف اجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة والقت بغصنها الاعلى على رسول الله صلى الله عليه وآله وببعض اغصانها على منكبي وكنت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها فامرها بذلك فاقبل اليه نصفها كاعجب اقبال واشده دويا فكادت تلتف برسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا كفرا وعتوا فمر هذا النصف فليرجع الى نصفه كما كان فامره عليه السلام فرجع فقلت انا لا اله الا الله اني اول مؤمن بك يا رسول الله واول من اقر بان الشجرة فعلت ما فعلت بامر الله تعالى تصديقا بنبوتك واجلالا لكلمتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل يصدقك في امرك الا مثل هذا يعنوني واني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم سيما الصديقين وكلامهم كلام الابرار عمار الليل ومنار النهار متمسكون بحبل الله القرآن يحيون سنن الله وسنن رسوله عليه السلام لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان واجسادهم في العمل اللغة

النكث

النكث نقض العهد والقسوط الجور ودوخت القوم غلبتهم وقهرتهم والردهة نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء والصعقة الغشية من صيحة ونحوها والوجبة واحدة الوجيب وهو اضطراب القلب والرجة واحدة الرج وهي الحركة والزلزلة والكرة الرجعة ولاديلن منهم اي لاقهرنهم ولاكونن ذا الدولة منهم وغلبة عليهم والتشذر التفرق والكلكل الصدر والنواجم جمع ناجم وهو الطالع الخارج ويكنفني في فراشه اي يحفظني فيه ويحوطني ويلفني وعرفه رائحته والخطل السيئة والخطلة من قول او فعل والفطيم المفطوم وحراء بالكسر والمد جبل يذكر ويؤنث ويصرف ولا يصرف والرنة صوت يصدر عند حصول المكاره كالحزن ونحوه والقليب البئر قبل ان تطوى يذكر ويؤنث وقال ابو عبيد هي البئر القديمة العادية والدوي صوت حفيف الريح والنحل والقصف صوت جناح الطير واصطفاقه في الهواء والسيماء مقصورا او ممدودا العلامة والاثر في الشيء يعرف به والمنار الاعلام وغل من المغنم يغل بالضم اذا خان فيه قال ابو عبيد يقال منه يغل بالضم ومن الحقد يغل بالكسر وقيل المطلقة اغل يغل واعلم انه عليه السلام نبه في هذا الفصل على ان قتال هؤلاء الفرق كان بامر الله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك الامر اما من القرآن الكريم في قوله تعالى فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ او من السنة بامر خاص وهو من اوامر الله ايضا وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الناكثون اصحاب الجمل لنكثهم بيعته عليه السلام وكان القاسطون اهل الشام والمارقون هم الخوارج بالنهروان والفرق الثلاث يصدق عليهم انهم اهل البغي والقاسطون لخروجهم عن سواء العدل الى طرف الظلم والجور وتخصيص كل فرقة منهم بما سميت به عرف شرعي فاما وصف الخوارج بالمارقين فمستنده قول الرسول صلى الله عليه وآله لذي الثدية يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد ذكرناه قبل والضئضئ الاصل وهذا الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله وقوله عليه السلام واما القاسطون فقد جاهدت واما المارقة فقد دوخت يدل على ان هذه الخطبة كانت في آخر خلافته بعد وقايع صفين والنهروان واما شيطان الردهة فالاشبه ان المراد به ذو الثدية من الخوارج لما ورد في الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله ذكره فقال شيطان الردهة يحتدره رجل من بجيلة فاما كونه شيطانا فلكونه ضالا مضلا واما نسبته الى الردهة فيشبه ان يكون لما روي انه حين طلبه عليه السلام في القتلى وجده في حفرة بها جزر الماء فنسبه رسول الله صلى الله عليه وآله اليها لما كان يعلم من كيفية حاله في مقتله وروي عن ربيع بن خثيم قال لما قتل عليه السلام في ذلك اليوم اربعة آلاف من الخوارج احدهم ذو الثدية فلما نظر القوم ورام استخراج ذي الثدية فاتبعه امرني ان اقطع اربعة آلاف قصبة وركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم امرني ان اضع على كل رجل منهم قصبة فلم ازل كذلك وهو راكب خلفي والناس حوله حتى بقيت في يدي واحدة فنظرت اليه واذا اربد وجهه وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت فاذا خرير الماء في حفرة عند موضع دالية فقال لي فتش هذا ففتشته فاذا قتيل قد صار في الماء واذا رجله في يدي فجذبتها وقلت هذه رجل انسان فنزل عن البغلة مسرعا فجذب الرجل الاخرى وجررناه حتى صار على الصعيد فكبر عليه السلام ثم سجد وكبر الناس باجمعهم واما الصعقة التي اشار اليها فهي ما اصاب ذا الثدية من الغشي والموت بضربته عليه السلام حتى استلزم ذلك ما حكاه من سماعه لرجة صدره ووجيب قلبه وقال بعضهم المراد بالصعقة هنا

الصاعقة وهي صيحة العذاب وذلك انه روي ان عليا عليه السلم لما قابل القوم صاح في القوم فكان ذو الثدية ممن هرب من
صيحته حتى وجد قتيلا في الحفرة المذكورة وقال بعضهم يحتمل ان يشير بالشيطان الى ابليس المتعارف كما اشير اليه في الخبر
الاولى وهو القوة الوهمية واستعار لفظ الردهة وهي النقرة في الجبل للبطن الاوسط من الدماغ الذي هو محل هذه
القوة لمكان المشابهة وقد يعبر بالجبل عن الدماغ في عرف المجردين وعن القوى فيه بالجن والشياطين تارة وبالملائكة
اخرى ولما كانت الانبياء عليهم السلم والاولياء قد يشاهدون الامور المجردة والمعاني المعقولة كالملائكة والجن والشياطين
في صورة محسوسة باستعانة من القوة المتخيلة كما علمت في المقدمات وكما سنشير اليه عن قريب احتمل ان يقال انه عليه السلم
راى الشيطان المذكور بصورة محسوسة ذات صدر وقلب وانه عليه السلم لما كان في مقام العصمة وملكة النصر على الشيطان
وقهره واهلاكه سمع من الجانب الحق صيحة العذاب ارسلت على الشيطان فسمع لها وجبة قلبه ورجة صدره كما سمع
فيما يحكيه في باقي الكلام والقاسطون ولما البقية من اهل البغي فمعاوية ومن بقي من جند الشام حيث وقعت الحرب بينهم وحيلة
التحكيم وحكمه عليه السلم بانه ان اذن الله سبحانه في الرجوع اليهم ليغلبنهم وليكونن الدولة عليهم ثقة بجمهور توعده تعالى في قوله ومن
بغى عليه لينصرنه الله وقوله تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وقوله ان تنصروا الله ينصركم وامثاله وكنى باذن الله عن
اسباب العود اليهم واتمامها من الفسحة في الاجل وغيرها واستعمل ما هاهنا بمعنى من اطلاقا للاسم العام على الخاص او يكون
وقوله انا وضعت بكلكل العرب الى آخره تنبيه على فضيلته في الشجاعة والنجدة بما اراد ان يخافه اعداؤه ويقوى به قلوب اوليائه
لا على سبيل الفخر المجرد فان ذلك رذيلة قد نهى الخطيب على النهي عنها واستعار لفظ الكلكل للجماعة من اكابر العرب الذين قتلهم
في صدر الاسلام وفرق جمعهم ووجه المشابهة كونهم محل قوة العرب ومقدمهم كما ان الصدر من الحيوان كذلك
ومن روى كلاكل بلفظ الجمع فهو ايضا استعارة لساداتهم واشرافهم من قاتلهم ووجه الاستعارة ما ذكرناه ويحتمل
ان يكون مجازا من باب اطلاق اسم الجزء على الكل والباء في قوله بكلكل زائدة والمراد بوضعهم اذلالهم واهانتهم
يقال وضعه فاتضع اذا غض منه وحط منزلته ويحتمل ان يكون للالصاق اي فعلت بهم الوضع والاهانة و
استعار لفظ القرون لاكابر ربيعة ومضر ممن قاتلهم وقتلهم ووجه الاستعارة كون كل منهم لقبيلته كالقرن
يظهر فيها فضول به ويمنع من عدوها كذي القرون من الحيوان بقرنه واراد بالنواجم من ظهر منهم وظهر امره ورشح
بذكر الكسر وكنى به عن قتلهم وقتله للاكابر من مضر معلوم في بدو الاسلام فاما القرون من ربيعة فاشار الى
من قتله منهم في وقايع الجمل وصفين بنفسه وجيشه كما يقف على اسمائهم من يقف على تلك الوقايع وقوله وقد
علمتم موضعي الى آخره شرح لتربية الرسول صلى الله عليه وآله له من اول عمره واعداده بتلك التربية للكمالات النفسانية
من العلوم والاخلاق الفاضلة وعد احوالا هي وجوه ذلك الاستعداد واسبابه احدها القرابة القريبة واشار بها
الى نسبه القريب منه وكان عليه السلم ابن عمه دنيا وابواهما اخوان لاب وام دون غيرهما من بني عبد المطلب الا الزبير الثانية
منزلة الخصيصة به واشار بها الى ما اشتهر من فعله به صلى الله عليه وآله وهو وضعه له في حجره وليدا وساير ما ذكره ومن
ذلك ما روي عن مجاهد قال كان من نعمة الله على علي عليه السلم وما صنعه الله له واراده به من الخير ان قريشا اصابتهم ازمة

الجمع
وتقلّم

وكان

وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال
وقد ترى ما اصاب الناس من هذه الازمة فانطلق بنا نخفف عنه من عياله آخذ واحدا من بنيه وتاخذ واحدا فنكفيهما عنه
فانطلقا اليه وقالا له فقال ان تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلم واخذ العباس
جعفرا فكفلاهما وقد كان ابو طالب كفل رسول الله صلى الله عليه وآله دون غيره من اعمامه ورباه في حجره ثم جاءت من
في مبدا امره ونصره عند ظهور دعوته وذلك مما يؤكد اختصاصه منه عليه السلم وعنه ومن منزلته الخصيصة
ما كان بينهما من المصاهرة التي افضت الى النسل الاطهر دون غيره من الاصهار وفي معنى قوله وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه
ما رواه الحسن ابن زيد بن علي ابن الحسين عليهما السلام قال سمعت زيدا ابي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وآله
يمضغ اللحمة والتمرة حتى تلين ويجعلها في فم علي عليه السلم وهو صغير في حجره الثالثة انه لم يجد له كذبة في قول ولا
خطلة في فعل وذلك لما استعد به من تربيته صلى الله عليه وآله وساير متممات الرياضة واغراضها لاستيلاء قوته
العاقلة على قوتي شهوته وغضبه وقهر نفسه الامارة التي هي مبدا خطأ الاقوال وخطل الافعال حتى حصلت له عن ذلك
ملكة في ترك الرذائل واجتناب المآثم والمعاصي فصار له ذلك خلقا وطبعا واذا حققت معنى العصمة في حقه عليه السلم
وحق من ادعيت له العصمة من اولاده يعود الى هذه الملكة فليس لاستنكارها في حقهم عليهم السلم معنى واشار بالملك الذي
قرنه الله به الى جبرئيل وهو العقل الفعال في عرف قوم واقترانه به اشارة الى توليه تربية نفسه القدسية بافاضة العلوم
والاخلاق وساير الطرق المؤدية الى الله سبحانه من حين فطم صلى الله عليه وآله على حسب حسن استعداد مزاجه ووقوع عقله الكلي
ثم اشار في معرض ذكر احواله معه الى تربية الملك له صلى الله عليه وآله ليعلم انه حصل بتبعيته له على تلك المكارم ومما روي في حال
الملك وعصمته به ما روي عن الباقر محمد بن علي عليهما السلم انه قال وكل الله بمحمد صلى الله عليه وآله ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع
يرشده الى الخيرات ومكارم الاخلاق ويصده عن الشر ومساوي الاخلاق وهو الذي كان يناديه السلم عليك يا محمد يا رسول
الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد فيظن ان ذلك من الحجر والارض فيتامل ولا يرى شيئا وروي انه صلى الله عليه وآله
قال اذكر واني ابن سبع سنين وقد بنى ابن جدعان دارا بمكة فجئت مع الغلمان ناخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله
فملأت حجري ترابا فانكشفت عورتي فسمعت نداء من فوق راسي يا محمد ارخ ازارك فجعلت ارفع راسي فلا ارى شيئا الا اني
اسمع الصوت فتماسكت ولم ارخه فكان انسانا ضربني على ظهري فخررت لوجهي فانحل ازاري فسترني وسقط التراب
الى الارض فقمت الى دار عمي ابي طالب ولم اعد الرابعة اشار الى اتباعه له وملازمته اياه بقوله ولقد كنت اتبعه اتباع
الفصيل اثر امه ووجه الشبه في اتباعه كونه لا ينفك عنه كالفصيل لامه الخامسة اشار الى ثمرة ذلك الاتباع بقوله يرفع
في كل يوم علما من اخلاقه ويامرني بالاقتداء به واستعار لفظ العلم لكل من اخلاقه باعتبار كونه هاديا الى سبيل الله كما
يهدي العلم السادسة انه كان يجاور معه في كل سنة بحراء فيراه دون غيره وروي في الصحاح انه كان صلى الله عليه وآله يجاور بحراء
في كل سنة شهرا وكان يطعم في ذلك الشهر من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره وانصرف الى مكة وطاف بها سبعا قبل ان
يدخل بيته حتى جاءت السنة التي اكرمه الله فيها بالرسالة فجاور في حراء في شهر رمضان ومعه اهله خديجة وعلي وخادم

عليه وآله

الطبري وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل بعثه كان اذا حضرت الصلوة يخرج الى شعاب مكة ويخرج معه
علي عليه السلم مستخفيين من ابي طالب ومن سائر اعمامه وقومه يصليان الصلوات فاذا امسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء
الله ثم ان ابا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا ابن اخي ما هذا الذي اراك
تدين به فقال يا عم هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين ابينا ابرهيم بعثني الله رسولا الى العباد وانت يا عم احق من
بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابني اليه واعانني عليه فقال ابو طالب يا ابن اخي اني لا استطيع ان افارق
ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت وروي انه قال لعلي يا بني ما هذا الذي
تدين به فقال يا ابه اني آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت لله معه قال فقال له اما انه لا يدعو الا الى خير
فالزمه السابعة اشارة الى كونه اول من الذكور بقوله ولم يجمع بيت واحد الى قوله وانا ثالثهما وقد مضى منه عليه السلم
مثل ذلك حيث قال انا اكذب على الله وانا اول من آمن به وقوله فلا تبرؤوا مني فاني ولدت على الفطرة وسبقت الى
الاسلام والهجرة وروى الطبري في تاريخه عن عباد بن عبد الله قال سمعت عليا عليه السلم يقول انا عبد الله واخو
رسول الله وانا الصديق الاكبر لا يقولها بعدي الا كاذب مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي رواية اخرى انا الصديق
الاكبر والفاروق الاول اسلمت قبل اسلام ابي بكر وصليت قبل صلاته بسبع سنين وروى ذلك ايضا من وجوه احدها
عن ابن مسعود قال قدمت الى مكة فانتهيت الى العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ عطار جالس الى زمزم ونحن عنده اذ
اقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان ابيضان عليه وفرة جعدة الى انصاف اذنيه اشم اقنى ادعج العينين كث اللحية
ابلج براق الثنايا ابيض تعلوه حمرة وعلى يمينه غلام مراهق او محتلم حسن الوجه يقفوهم امرأة قد سترت محاسنها حتى قصدوا
نحو الحجر فاستلم الرجل ثم الغلام ثم المرأة ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا الحجر وقام الغلام الى جانب الرجل والمرأة خلفهما
فاتوا باركان الصلوة مستوفاة فلما رأينا ما لا نعرفه بمكة قلنا للعباس انا لا نعرف هذا الدين فيكم فقال اجل والله
فسألناه عن هؤلاء فعرفنا اياهم ثم قال والله ما على وجه الارض احد يدين بهذا الدين الا هؤلاء الثلثة وروي مثله
عن عفيف بن قيس الثاني روي عن معقل بن يسار قال كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فقال لي هل لك ان نعود
فاطمة قلت نعم يا رسول الله فقمنا فدخلنا عليها فقال لها صلى الله عليه وآله كيف تجدينك قالت والله لقد طال سقمي واشتد
حزني وقال لي النساء زوجك ابوك فقيرا لا مال له فقال لها اما ترضين اني زوجتك اقدم امتي سلما واكثرهم علما و
افضلهم حلما قالت بلى يا رسول الله وروى هذا الخبر عن ابي ايوب الانصاري وعن الصادق ابي جعفر عن محمد عليهما
السلم والسدي وابن عباس وجابر بن عبد الله الانصاري واسماء بنت عميس وام ايمن الثالث روى عن ابي رافع قال اتيت
اباذر بالربذة اودعه فقال لي ستكون فتنة فاتقوا الله وعليكم بالشيخ علي بن ابي طالب فاتبعوه فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول انت اول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيمة وانت الصديق الاكبر وانت الفاروق الذي
يفرق بين الحق والباطل وانت يعسوب المؤمنين الرابع عن ابي ايوب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال
لقد صلت الملائكة علي وعلى علي سبع سنين وذلك انه لم يصل معي رجل فيها غيره واعلم انه تمام التعريض ببعض الجهال القا

ان اسلامه

٣١١

ان اسلامه عليه السلم بعينه الكويه كان دون البلوغ فيجوابه من وجوه احدها انا لا نسلم انه كان دون البلوغ ونستند هذا
المنع وجوه احدها رواه شداد بن اوس قال سألت خباب بن الارت عن سن علي يوم اسلم وهو ابن خمس عشرة سنة وهو مدرك
بالغ مستحكم البلوغ الثاني ما رواه ابو قتادة عن الحسن ان اول من اسلم علي ابن ابي طالب وهو ابن خمس عشرة سنة الثالث
عن حذيفة بن اليمان قال كنا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعلي من ابناء اربع عشرة سنة يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله
ليلا ونهارا وقريش يومئذ تسافهه ما يذب عنه الا علي الثاني ان المتبادر الى الفهم من اطلاق لفظ المسلم والكافر
انما هو البالغ دون الصبي والمبادرة الى الذهن دليل الحقيقة فالواجب اذن ان يرجع الى الاطلاق في قولهم اسلم علي فان
ذلك يشهد بكونه كان بالغا عاقلا لما يفعله خصوصا في البلاد الحارة مثل مكة فان العادة في المزاج الصحيح فيها
ان يبلغ صاحبه فيما دون خمس عشرة سنة وربما احتلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة الثالث وهو الحاسم لمادة
الاشكال انه عليه السلم اما ان يكون اسلم وهو بالغ او لم يكن فان كان الاول فقد حصل الغرض وان لم يكن فلا للكفر في
حقه اذ كان عليه السلم مولودا على الفطرة بمعنى الاسلام في حقه اذن دخوله في طاعة الله ورسوله والاستسلام
لاوامرهما فله اذن الاسلام الفطري والايمان الخالص الوارد على نفس قدسية لم يتدنس بادناس الجاهلية و
الاصنام والاعتقادات الباطلة المضادة للحق التي صارت ملكات في نفس من اسلم بعد علو السن فكان ايمانه
بالله ورسوله واردا على نفس صافية لوحها عن كدر الباطل فهي منتقشة بالحق متمثلة به وكانت غاية اسلام غيره
ان يمحو على طول الرياضة من نفوسهم الآثار الباطلة وملكات السوء فاين احدهما من الآخر الثامنة كونه عليه السلم
يرى نور الوحي والرسالة ويشم ريح النبوة وسماعه لرنة الشيطان وهذه اعلى مراتب الاولياء واستعار لفظ النور لما
يشاهده بعين بصيرته الباقية من اسرار الوحي والرسالة وعلوم التنزيل ودقائق التأويل واشراقها على لوح نفسه
القدسية ووجه الاستعارة كون هذه العلوم والاسرار هادية في سبيل الله الى من ظلمات الجهل كما يهدي
النور في الطرق المحسوسة ورشح تلك الاستعارة بذكر الرؤية لان النور حظ البصر وكذلك استعار لفظ الريح
لما ادركه من مقام النبوة واسرارها ورشح بذكر الشم لان الريح حظ القوة الشامة واما سماعه لرنة الشيطان
فقد علمت كيفية سماع الانسان لصوت الملك والشيطان وكيفية رؤيته لصورته وان ذلك باستعانة من
النفس بالقوة المتخيلة في اقتناص المعاني المعقولة وحطها الى لوح الخيال مشاهدة للحس المشترك مسموعة
واستلزمت هذه الاشارة انه عليه السلم استعد لسماع صوت الشيطان في حين يأس من اتباع الخلق له في
الامر وهو معنى عبادته اذ اصل العبادة الخضوع وكيفية ذلك ان نفسه القدسية اخذت معنى الشيطان
مقرونا بمعنى اليأس والحزن وكسته المتخيلة صورة حزين صارخ وحطته الى لوح الخيال فصار مسموعا
له ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله حين سأله عن ذلك انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبي
فانه شهد له في ذلك بالوصول الى مقام سماع الوحي وكلام الملك وصوت الشيطان وسائر ما يراه صلى الله عليه وآله
وسمعه مما قويت عليه نفسه القدسية الا كونه نبيا فان مقام النبوة لا يتحقق للانسان الا بالشرط الذي اشرنا اليه في المقدمة

بلغ

وفرقا بين النبي وغيره من ساير النفوس الكاملة وهو كون الانسان مخاطبا من السماء باصلاح احوال ابناء نوعه في معاشهم
ومعادهم وذلك مقام اعلى واكمل من كل مقام يبلغه انسان بقوته وروي عن الصادق عليه السلم قال كان علي عليه
السلم يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت وقال الرسول صلى الله عليه وآله
لولا اني خاتم الانبياء لكنت شريكا في النبوة فان لا تكن نبيا فانك وصي نبي ووارثه بل انت سيد الاوصياء وامام
الاتقياء ثم لما نفى عنه مقام النبوة جبره بمقام الوزارة اشارة الى انه الصالح لتدبير احوال الخلق في معاشهم
ومعادهم من ورائه صلى الله عليه وآله وبعده والمعين له على ذلك ثم شهد له بانه على خير واشار به الى ما هو عليه
من الطريقة المحمودة واستقامة السيرة في خدمته وتربيته وذلك الخبر كثير وفي مسند احمد بن حنبل رحمه الله عن
علي عليه السلام قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي اسري به فيها وهو بالحجر يصلي فلما
قضى صلاته وقضيت صلاتي سمعت رنة شديدة فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة قال الشيطان علم اني اسري
بي الليلة الى السماء فايس من ان يعبد في هذه الارض واما حديث الوزارة فروي انه لما نزلت قوله وانذر عشيرتك
الاقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وامرني ان اصنع صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا له
عسا من لبن ففعلت ما امرني به ثم امرني بجمع بني عبد المطلب فجمعتهم يومئذ وهم اربعون رجلا فيهم اعمامه ابو
طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا دعا بالطعام الذي صنعته فوضعته ثم تناول مضغة من لحم
فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة وقال كلوا باسم الله فاكلوا حتى ما لهم الى شيء من حاجة والذي نفس
علي بيده ان كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمته لجميعهم ثم قال اسق القوم يا علي فجيتهم بذلك العس فشربوا منه
حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد ليشرب مثله ثم قال لهم يا بني عبد المطلب اني والله ما اعلم شابا
في العرب جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرني
على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي فيكم فاحجم القوم عنها جميعا فقلت انا واني لاحدثهم سنا وارمصهم عينا
واعظمهم بطنا واحمشهم ساقا انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاعاد القول فامسكوا واعدت ما قلت فاخذ
برقبتي ثم قال لهم هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب
قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع التاسعة كونه سمعه صلى الله عليه وآله حين اتاه الملا من قريش وسالوه ما سالوه
من دعوة الشجرة وتصديقه عليه السلم له في ذلك وايمانه به وقد علمت فيما سلف ان نفوس الانبياء عليهم السلم لها
تصرف في هيولي عالم الكون والفساد فتستعد نفوسهم لقبول الامور الخارقة للعادات الخارجة عن وسع غيرهم من
ابناء نوعهم وصورة الحال في سوالهم وكيفية دعوته صلى الله عليه وآله للشجرة واجابتها وتكذيبهم بذلك وتصديقه
عليه السلم له مستوفى في كلامه وذلك من قوله ولقد كنت الى قوله يعصوني فاما حكمه صلى الله عليه وآله بانهم لا يفيئون
الى خير وان منهم من يطرح في القليب ومنهم من يحزب الاحزاب فمن غيب الله الذي اطلعه عليه وارتضاه له فضيلة
قوته الحدسية القدسية والقليب هو قليب بدر وممن طرح فيه عتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية بن عبد شمس وابي

جهل

جهل والوليد بن عتبة وغيرهم طرحوا فيه بعد انقضاء الحرب فكان ذلك الخبر من اعلام نبوته صلى الله عليه وآله ومحزب
الاحزاب هو ابو سفيان وعمرو بن ود وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وغيرهم واما حديث الشجرة
فمشهور مستفاض رواه المحدثون في كتبهم وذكره المتكلمون في معجزاته صلى الله عليه وآله ومنهم من روى ذلك مختصرا انه
دعا شجرة فاقبلت تخد الارض خدا ونقله البيهقي في كتاب دلائل النبوة فاما نداؤه عليه السلم للشجرة وقوله لها ان
كنت تؤمنين الى قوله باذن الله فقد علمت ان الخطاب مخصوص في عرف العقلاء بمن يعقل لكنه صلى الله عليه وآله
لما وجه نفسه القدسية من اعداد الشجرة لما يروم منها وعلم انها واجبة الاستعداد بذلك لقبول امر الله بما اراد
منها خاطبها خطاب من يعقل استعارة ملاحظة لشبهها بمن يعقل في اجابة ندائه وايتمامه وفائدة ذلك الخطاب
ان يكون وجود ما رام منها عقيب خطابه اغرب وفي نفوس الحاضرين ابلغ واعجب فاذا كان وقوع تلك الحال بها
غريبا كان كونها على تلك الحال عقيب خطابه ودعائه لها اغرب لزيادة ايهام كونها سمعت ذلك النداء وعقلت
الخطاب مع انها ليس من شانها ذلك والعجب في نفوس السامعين ولذلك خرج هذا عن كونه سفها وعبثا قال
الامام الوبري رحمه الله ونحوه قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ويا سماء اقلعي واعلم ان ذلك على راي الاشعري ايضا
ظاهر لان البنية المخصوصة ليست شرطا في حصول الحياة وما يكون مشروطا بها من السمع والفهم فلذلك
جاز ان يكون الله تعالى خلق في الشجرة علما وسمعا قبلت بهما خطابه عليه السلم وقال الامام الوبري الخطاب في الحقيقة لله
تعالى فكانه قال اللهم ان كانت هذه الشجرة من امارات الشاهدة بوجودك وانت مرسلي فاجعل ما سالتك
شاهدا على صدق دعواي ولما كانت الشجرة محل ما سال من الله خاطبها لذلك فعلى هذا يكون مجازا من اقامة
المسبب مقام السبب قال ويحتمل ان يكون الخطاب في الاصل للملائكة الموكلين بالشجرة قوله واني لمن قوم الى قوله كلام
كناية عن بلوغه في طاعة الله الغاية المطلوبة منه فانه عليه السلم لم يقف دون غاية منها حتى يلام على التقصير فيها
وقوله سيماهم سيماء الصديقين الى آخر الصفات فالقوم هم المتقون الذين ساله همام عن صفتهم والصفات التي
بعض صفاتهم وقد سبقت مستوفاة في خطبة مفردة وذكر منها ههنا عشرا احدها ان علاماتهم علامات الصديقين
وهم الملازمون للصدق في اقوالهم وافعالهم طاعة لله وقد عرفت علاماتهم في خطبة همام الثانية وكذلك كلامهم
الابرار من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر الدائم لمعبودهم الحق الثالثة كونهم عمار الليل وكنى بعمارتهم له عن قيامهم فيه
بالعبادة روي ان احدهم اذا كسل عن العمل علق نفسه بحبل حتى يصبح فقوله منار الارض الرابعة استعار لفظ المنار لهم بالنهار
باعتبار كونهم يهدون الخلق الى طريق الله كالمنار على الطريق المحسوس وكذلك لفظ الحبل للقرآن باعتبار كونه سببا
لمتعلمه ومتدبره الى التروي من ماء الحياة الباقية كالعلوم والاخلاق الفاضلة كالحبل الذي هو سبب للارتقاء
والاستقاء من الماء او باعتبار كونه لمن تمسك به صاعدا من دركات الجهل الى اقصى درجات العقل كالحبل يصعد فيه من السفل
الى العلو ولفظ القرآن مجرور عطف البيان الخامسة وكذلك استعار وصف احياء السنن لهم باعتبار اقامتها والعمل
بها السادسة عدم الاستكبار في الانسان رذيلة كان عدمه عنه فضيلة السابعة عدم الغلول وهو فضيلة لكون الغلول

مستلزمة الرذائل كالشره والخيانة والحرص والدناءة وغيرها فكان عدمه كمالا الثامنة كونهم لا يفسدون ولما كان كل فساد يستلزم رذيلة او رذائل كالزنا المستلزم لرذيلة الفجور وكالقتل المستلزم لرذيلة الظلم وكذلك سائرها كان عدمه كمالا التاسعة كون قلوبهم في الجنان وذلك لملاحظتهم ان اعلى غرفات الجنان ودرجاتها هو المعارف والقعود في مقاعد الصدق عند المليك المقتدر وذلك من مقامات العارفين واولياء الله الصديقين العاشرة كون اجسادهم في العمل والواو في قوله واجسادهم يحتمل ان يكون للحال اي انهم قلوبهم في الجنان حال ما يكون اجسادهم مستغرقة الحركات والسكنات في الاعمال الصالحات اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن العباس وقد جاءه برسالة من عثمن وهو محصور يسأله الخروج الى ماله بينبع ليقل هتف الناس باسمه بالخلافة بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل فقال عليه السلام يا ابن عباس ما يريد عثمن ان يجعلني الا جملا ناضحا بالغرب اقبل وادبر بعث الي ان اقدم ثم هو الان يبعث الي ان اخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت ان اكون آثما اقول ينبع قرية صغيرة من اعمال المدينة وهتف الناس صياحهم ودعاؤهم باسمه والناضح الجمل يستقى عليه والغرب الدلو العظيمة وسبب الرسالة ان القوم الذين حصروه كانوا يكثرون نداءه والصياح به وتوبيخه على الاحداث من تفريق المال على غير مستحقه ووضعه في غير مواضعه وساير الاحداث التي ذكرنا انها نسبت اليه واستعار لفظ الجمل الناضح ورشح بذكر الغرب واشار الى وجه المشابهة بقوله اقبل وادبر وقوله بعث الى قوله اخرج شرح لكيفية تصريفه له في حال حصره ومصانعة الناس له وبعثه اليه وامره كما اشرنا اليه من قبل وقد كان قصده بتلك الرسالة من بين سائر الصحابة لاحد امرين احدهما اعتقاده انه اشرف الجماعة والناس له اطوع وان قلوب الجماعة معه حينئذ والثاني انه كان يعتقد ان له شركة مع الناس في فعلهم به وكانت بينهما هناة فكان بعثه له من بين الجماعة متعينا لانهم ان رجعوا بواسطته فهو الغرض وان لم يرجعوا حصلت بعض المقاصد ايضا وهو تاكيد ما نسبه اليه من المشاركة في امره ويقاد التهمة عليه لمن بعده ممن يطلب بدمه حتى كان بسبب هذا الغرض الثاني ما كان من الوقايع بالبصرة وصفين وغيرهما وقوله والله الى اخره يحتمل وجوها احدها قال بعض الشارحين اي بالغت في الذب عنه حتى خشيت لكثرة احداثه ان اكون اثما في الذب عنه والاعانة له في ذلك الثاني يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم في تعريض نفسي للخوف لان دفع الجمع العظيم في هذا الامر العظيم مظنة خطر على النفس فيكون الاقدام مظنة اثم الثالث يحتمل ان يريد اني خشيت الاثم من الافراط في حقهم كان يضرب احدهم بسوطه ويغلظ له في القول والشتم وبالله التوفيق ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به فجعلت اتبع ماخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فاطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج في كلام طويل قال السيد الرضي رحمه الله قوله فاطأ ذكره من الكلام الذي رمي به الى غاية الايجاز والفصاحة واراد اني كنت اعطى خبره عليه السلام من بدء خروجي الى ان انتهيت الى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة اقول هذا الفصل من كلام يحكي فيه عليه السلام ما كان جرى من حاله في خروجه من مكة الى المدينة بعد ان هاجر اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه صلى الله عليه وآله لما عزم على الهجرة اعلم عليا عليه السلام بخروجه وامره ان يبيت على فراشه

خدعة للمشركين الذين كانوا عزموا على قتله في تلك الليلة وايهاما لهم انه لم يبرح فلا يطلبونه حتى تبعد مسافته عنهم وان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس فان جماعة من اهل مكة استودعوه ودائع لما راوا من امانته وكانوا قد اجمعوا على ان يضربوه باسيافهم من ايدي جماعة من بطون مختلفة ليضيع دمه في بطون قريش فلا يطلبه بنو عبد مناف وكان ممن اجمع على ذلك النضر بن الحارث من بني عبد الدار وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب الثلثة من بني اسد بن عبد العزى وابو جهل بن هشام واخوه الحرث وخالد بن الوليد بن المغيرة الثلثة من بني مخزوم ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن العاص الثلثة من بني سهم وامية ابن خلف واخوه ابي من بني جمح فنما هذا الخبر من الليل الى عتبة بن ربيعة فلقي قوما منهم ونهاهم عن ذلك وقال ان بني عبد مناف لا تسكت عن دمه ولكن صفدوه في الحديد واحبسوه في دار من دوركم وتربصوا به ان يصيبه من الموت ما اصاب امثاله من الشعراء وكان عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس فاحجم ابو جهل واصحابه تلك الليلة عن قتله احجاما ما ثم تسوروا عليه وهم يظنونه في الدار فراوا انسانا مسجى بالبرد الحضرمي فلم يشكوا انه هو فكانوا يهمون بقتله ثم يحجمون لما يريد الله من سلامة علي عليه السلام ثم قال بعضهم لبعض ارموه بالحجارة فرموه فجعل علي يتضور منها ويتاوه تاوها خفيا لا يعلمهم بحاله خوفا على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يطلب فيدرك فلم يزالوا كذلك حتى الصباح فوجدوه عليا ثم تخلف عنه عليه السلام بمكة ثلثا فقضى ما امره به ثم لحق به ماشيا الى المدينة راجلا قد تورمت قدماه فصادف رسول الله صلى الله عليه وآله نازلا بقبا على كلثوم بن الهدم فنزل معه في منزله ثم خرج معه من قبا حتى نزلا بالمدينة على ابي ايوب الانصاري فقوله عليه السلام فجعلت اتبع ماخذ رسول الله اي الجهة والطريق التي اخذ فيها وسار حتى انتهيت الى الموضع المعروف بالعرج وقوله فاطأ ذكره استعار وصف الوطي لوقوع فكره على ذكره صلى الله عليه وآله وخبره من الناس في تلك الطريق كوقع القدم على الارض ووجه المشابهة ان الحس بخبره صلى الله عليه وآله وذكره طريق لحركات قدم عقله الى معرفة حاله صلى الله عليه وآله كما ان الطريق المحسوس طريق لحركات قدمه الى الوصول اليه وقيل اراد بذكره ما ذكره لي ووصفه لي من حال الطريق والاول اسبق الى الفهم وبالله التوفيق ومن خطبة له عليه السلام فاعملوا وانتم في نفس البقاء والصحف منشورة والتوبة مبسوطة والمدبر يدعى والمسيء يرجى قبل ان يخمد العمل وينقطع المهل وينقضي المدة ويسد باب التوبة وتصعد الملائكة فاخذ امرؤ من نفسه لنفسه واخذ من حي لميت ومن فان لباق ومن ذاهب لدائم امرؤ خاف الله وهو معمر الى اجله ومنظور الى عمله امرؤ الجم نفسه بلجامها وزمها بزمامها فامسكها بلجامها عن معاصي الله وقادها بزمامها الى طاعة الله تعالى اقول يقال فلان في نفس من امره اي في سعة والفصل في غاية الفصاحة وقد امرهم بالعمل حال ما هم في مهلة على الاحوال التي اشار اليها احدها كونهم في نفس البقاء وسعته فان الموت مستلزم لانقطاع العمل وعدم امكانه الثاني كون الصحف منشورة اي صحف الاعمال فانها انما تطوى بانقطاع الاعمال بالموت وقد عرفت وجه الاشارة الى الصحف ونشرها الثالث كون التوبة مبسوطة واستعار لفظ البسط ملاحظة لشبهها بالبساط في كونها ممدودة القبول غير ممنوع منها في مدة العمر

كالبسائط وانما طوي بالموت كما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال
اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار الرابع حال كون المدبر بعدي اي حال كون المدبر عن طاعة الله المعرض
بمنعي الهدى من الانبياء والرسل والنواميس الشرعية وذلك منقطع بالموت الخامس حال كون المسيء يرجى
صلاحه وعوده وذلك حال البقاء في الدنيا ولما ذكر هذه الاحوال للترغيب في العمل عليها والتذكير بكونها احوال
يمكن معها العمل اردفها بالاحوال يمتنع معها العمل بتغيرها وهي جمود العمل واستعار لفظ الجمود لوقوفه ملاحظة
في جموده عن الجريان وكذلك انقطاع المهل في انقضاء المدة اي مدة البقاء وسد ابواب التوبة ولفظ الابواب مستعار
لطرق الاعتبار التي يرجع منها الى الله تعالى وكذلك صعود الملائكة اي الكرام الكاتبين فان الملائكة الموكلين بضبط
اعمال كل شخص يصعدون الى السماء بعد بطلان الاعمال وقوله فاخذ امرؤ من نفسه امر في صورة الخبر اي فليأخذ المرء
نفسه اي بعض نفسه بالاجتهاد والتعب في العبادة فانما يهزل البدن ويلحقان من النفس لذاتها وشهواتها
البدنية ويجوز ان يريد بالنفس هنا الشخص والاخذ منه ظاهر وقوله لنفسه اي ليكون ذلك كمالا لنفسه وذخرا لها
في معادها وقوله فاخذ من حي لميت الى قوله امرؤ امر ايضا في صورة الخبر وفاعل اخذ هو قوله امرؤ والحي والميت هو
نفسه فليأخذ امرؤ من نفسه باعتبار ما هو حي لنفسه باعتبار ما يصير اليه من حال الموت وقوله ومن فان لباق اي
فليأخذ من الامر الفاني وهو دنياه ومتاعها للامر الباقي وهو النعيم الباقي الابدي في الآخرة ومعنى ذلك الاخذ ان
الانسان يكتسب من الدنيا ومتاعها الفاني كمالا باقيا يوصل الى نعيم دائم وذلك بالصدقات والزكوات والانفاق في
البر والقربات وكذلك قوله ومن ذاهب لدائم ثم اخذ في وصف ذلك المرء كانه سئل عنه فقال امرؤ خاف الله
حال ما هو معمر الى اجله ومنظور الى عمله ومنه بقاية اجله وكون عمله منظورا اليه اي منظور لله ومرئي له وخوفا
من هجوم الاجل وجيء بالى صالح الاعمال لله بذكر اطلاعه عليها وعلمه بها وقوله امرؤ الجم نفسه بدل من امرئ
الاول واستعار لفظ اللجام للزهد الحقيقي والعفة ووجه المشابهة كونهما مانعين للنفس الامارة من جماحها
في تيه الهوى ومعاصي الله كما يمنع اللجام الدابة عن الجماح ورشح بذكر الالجام وكنى به عن ردع النفس بالزهد ولما
الى ذلك الوجه من المشابهة بقوله فامسكها بلجامها عن معاصي الله وكذلك استعار لفظ الزمام للعبادة باعتبار
ما هي قائدة للنفس الامارة بالسوء الى موافقة النفس المطمئنة في طاعة الله كما تقاد الناقة بزمامها الى [illegible]
العبادة انما وضعت لتطويع النفس الامارة للعقل وانقيادها تحت اسره وانجذابها خلفه عند توجهه في
القدسية الى حضرة ذي الجلال والاكرام والى ذلك الوجه من المشابهة اشار بقوله وقادها بزمامها ورشح
الذم والقود وكنى به عن ايقاع العبادة وتطويع النفس بها وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** في شأن
الحكمين وذم اهل الشام جفاة طغام وعبيد اقزام جمعوا من كل اوب وتلقطوا من كل شوب ممن ينبغي ان يفقه ويؤدب
ويعلم ويدرب ويولى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا الذين تبوؤا الدار الا وان القوم اختاروا
لانفسهم اقرب القوم مما يحبون وانكم اخترتم لانفسكم اقرب القوم مما تكرهون وانما عهدكم بعبد الله بن قيس بالامس

يقول

يقول انها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته
التهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس وخذوا مهل الايام وحوطوا قواصي الاسلام الا ترون الى بلادكم
تغزى والى صفاتكم ترمى **اقول** جفاة جمع جاف وهو غليظ الطبع والطغام اوغاد الناس واراذلهم والاقزام جمع قزم بفتح
الزاء وهو الرذل الدني من الناس ويطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى ويقال جاؤا من كل اوب اي من كل ناحية
والشوب الخلط ويدرب يعود بالعادات الجميلة ويجرب في الامور وتبوؤا الدار نزلوها وشمت السيف غمدته وهو من
الفصل ذكر مذام اهل الشام منفرا عنهم ووصفهم بكونهم عبيدا اما لانهم عبيد الدنيا واهلها او لان منهم عبيدا او
مهمل بصدق بالبعض والمرفوعات الاربعة الاولى اخبار لمبتدأ محذوف اي هم جفاة ومحل قوله جمعوا الرفع صفة لاقزام
ويحتمل ان يكون خبرا خامسا وكذلك قوله ممن ينبغي وقوله وليسوا وقوله يولى عليه ويؤخذ على يديه كناية عن كونهم سفهاء
لا يصلحون لان يلوا امرا او يفوض اليهم بل ينبغي ان يحجر عليهم ويمنعوا من التصرف لعبادتهم وسفههم وذكر كونهم ليسوا من
المهاجرين والانصار في معرض الذم لهم لكون ذلك نقصا لهم من تلك الجهة بالنسبة الى المهاجرين والانصار و
نفى كونهم ليسوا من الذين تبوؤا الدار واراد بالدار مدينة الرسول صلى الله عليه وآله والذين تبوؤها هم الانصار
الذين اسلموا بها قبل هجرة الرسول اليهم بسنتين وابتنوا بها المساجد واليهم اشار تعالى في كتابه العزيز واثنى عليهم فقال
والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم اي من قبل المهاجرين يحبون من هاجر اليهم الآية الى قوله اولئك هم المفلحون وفي
نسخة الرضي رحمه الله تبوؤا الدار فقط وفي سائر النسخ والايمان ووصف الايمان بكونه متبوأ لهم مستعار ملاحظة
لشبهه بالمنزل باعتبار انهم ثبتوا عليه واطمأنت قلوبهم به ويحتمل ان يكون نصب الايمان هنا كما في قوله ورأيت
زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا اي لزموا الايمان كما اراد القائل ومعتقلا رمحا وقوله الا وان القوم الى قوله تكرهون
فالقوم هم اهل الشام والذي اختاروه لانفسهم وكان اقرب القوم مما يحبون هو عمرو بن العاص فانهم اختاروه للحكومة
وعينوا عليه من قبلهم وكونه اقرب القوم مما يحبون لكثرة مخادعته ودهائه وميله الى معوية وعطائه والذي يحبون
مما هو اقرب اليه هو الانتصار على اهل العراق وصيرورة الامر الى معوية والذي اختاره اهل العراق للحكومة هو ابو موسى
الاشعري وكان اقرب القوم مما يكرهون من صرف الامر عنهم وكونه اقرب الى ذلك لما تغفله وبلاهته او لانه كان
منحرفا عن علي عليه السلام وذلك انه كان في زمن الرسول صلى الله عليه وآله واليا من قبله على زبيد من اعمال اليمن ثم ولاه
عمر البصرة لما عزل المغيرة عنها فلما عزله عثمن سكن بالكوفة فلما كره اهلها سعيد بن العاص ودفعوه عنها ولوا ابا موسى
الى عثمن [illegible] فاقره على الكوفة فلما قتل عثمن عزله علي عليه السلام فلم يزل واجدا لذلك عليه حتى كان منه ما كان
في الحكومة وانما عهدكم بعبد الله الى آخره احتجاج عليهم في اختيارهم لعبد الله بن قيس وهو ابو موسى الاشعري للحكومة ووجه
الاحتجاج ان ابا موسى كان يقول لكم يا اهل الكوفة عند مسيري الى اهل البصرة انها فتنة من الفتن التي وعدنا بها فاحرموا
باعتزالها فقطعوا اوتار قسيكم واغمدوا سيوفكم فلا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك الحكم او كاذبا فان كان صادقا فالزمه الخطأ
بمسيره معنا غير مستكره الى فتنة امر بالاعتزال عنها وحضوره صفوف العراق وتكثير سوادهم وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة

وصار فاسقا بكذبه وعلى التقديرين لا ينبغي ان يعتمد عليه في هذا الامر الجليل واقول مما يناسب هذا الاحتجاج ما روي عن سويد بن غفلة قال كنت مع ابي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبرا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ان بني اسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا واضلا من اتبعهما ولا ينفك امر امتي يختلف حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من اتبعهما فقلت له احذر يا ابا موسى ان تكون احدهما قال فخلع قميصه وقال ابرأ الى الله من ذلك كما ابرأ من قميصي هذا فنقول لا يخلو اما ان يكون صادقا في ذلك الخبر او كاذبا فان كان صادقا فقد اخطأ في دخوله في الحكومة وشهد على نفسه بالضلال والاضلال وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فلا ينبغي ان يعتمد عليه في مثل هذا الامر وقوله فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن عباس كناية عن جعله مقابلا له في الحكومة دافعا له عما يريده لما قدح في ابي موسى واشار الى عدم صلاحيته لهذا الامر كان رأيه ان يبعث الحكم من قبله عبد الله بن عباس فابى قومه عليه وروي بعبارة اخرى انه قال لهم لما الحوا في بعث ابي موسى وتعيينه حكما ان معوية لم يكن ليختار لهذا الامر احدا هو اوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وانه لا يصلح للقرشي الا القرشي وهذا عبد الله بن عباس فارموه به فان عمرا لا يعقد عقدة الا حلها ولا يبرم امرا الا نقضه ولا ينقض امرا الا ابرمه فقال الاشعث ومن معه لا والله لا يحكم فيها مضريان ابدا حتى تقوم الساعة ولكن يكون رجل من مضر ورجل من اليمن فقال عليه السلام اخاف ان يخدع يمانيكم فان عمرو بن العاص ليس والله في شيء فقال الاشعث والله لان يحكما ببعض ما نكره واحدهما من اليمن احب الينا من ان يكون ما نحب وهما مضريان فقال عليه السلام واذا ابيتم الا ابا موسى فاصنعوا ما شئتم اللهم اني ابرأ اليك من صنيعهم وقوله وخذوا مهل الايام اي امرهم باغتنام مهل الايام عنهم وفسحتها لما ينبغي ان يعملوا فيها ويجب في احوالهم على وفق الآراء الصالحة وكذلك امرهم بحياطة قواصي الاسلام وهي اطراف العراق والحجاز والجزيرة وما كان في يده عليه السلام من البلاد ثم استثار طباعهم وحفيظتهم الى ذلك بتنبيههم على ان بلادهم تغزى وصفاتهم ترمى وكنى بصفاتهم عن حوزتهم التي استقروا عليها من بلاد الاسلام واصل الصفاة الحجر الاملس لا تثبت فيها بل يكسر ويدفعه فاشبهتها الحوزة في منعتها فيقال لا ترمى صفاتهم ولا تقرع صفاتهم ويكنى بذلك عن منعتهم وقوتهم فلذلك كنى عن رمي صفاتهم بالطمع فيهم وقصد العدو لبلادهم ورميها بالكتائب وبالله التوفيق **ومن خطبة له عليه السلام** يذكر فيها آل محمد عليهم السلام هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكم منطقهم لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الاسلام وولائج الاعتصام بهم عاد الحق في نصابه وانزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه عن منبته عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل **اقول** الولائج جمع وليجة فعيلة بمعنى مفعولة وهي الموضع يعتصم به والنصاب الاصل وذكرهم اوصافا احدها عيش العلم اي حياته وقد جعل لحياة ملاحظة لشبهه بالحي في وجود نفعه بهم ثم اطلق عليهم لفظ الحياة مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب الثاني وكذلك كونهم موت الجهل جعل الجهل موتا باعتبار عدمه بهم واطلق عليه لفظ مجازا ايضا كالذي قبله الثالث كونهم يخبر حلمهم عن علمهم لعلمهم بمواضع الحلم وفيه اشارة الى تلازم فضيلتي الحلم والعلم فيهم فهم لا يحلمون الا عن علم بمواضع الحلم الرابع كونهم يخبر صمتهم عن حكم منطقهم

ان سكوتهم يكون في مواضع السكوت وعما ينبغي السكوت عنه وذلك يستلزم حكمة نفوسهم في منطقهم اذ لا يتكلم الا من يعلم مواقع السكوت وما ينبغي ان يسكت عنه علم مواقع النطق وما ينبغي ان يتكلم به ولو لم يعلم ذلك لجاز ان يتكلم بما لا ينبغي وفي غير مواضع السكوت فلا يكون عالما بمواضع السكوت وقد فرض كذلك هذا خلف الرابع كونهم لا يخالفون الحق اي لعلمهم به وبطرقه وذوقهم له فلا يتجاوزونه الى رذيلة الافراط ولا يقفون دونه في مقام رذيلة التفريط الخامس وكذلك لا يختلفون فيه لعلمهم بحقيقته السادس كونهم دعائم الاسلام واستعار لهم لفظ الدعائم باعتبار حفظهم له وحمله وحراسته في الوجود بهم كما يحفظ البيت بالدعائم ويقوم بها السابع استعار لهم لفظ الولائج باعتبار كونهم مرجعا للخلق بعلمهم وهدايتهم وانقاذهم من الجهل ولواحقه وعذاب الله في الآخرة كما يعتصم بالوليجة من دخلها الثامن كونهم بهم عاد الحق الى نصابه اي بولايته عليه السلام وخلافته عاد الحق الى اهله وانزاح الباطل عن مقامه وهو اشارة الى ان الاحكام كانت جارية في ايام عثمان رحمه الله بناء على غير قانون شرعي لما نقل عنه من الاحداث واستيلاء بني امية في زمانه على بيت مال المسلمين واكلهم له بغير حق كما سبق شرحه فعاد بولايته عليه السلام كل حق الى اهله واصله ومستقره هو الحق اذا كان في غير اهله فهو الباطل ومقامه غير اهله فبولايته عليه السلام انزاح الباطل عن مقامه وانقطع لسانه اي اللسان الناصر للباطل والناطق به واستعار وصف الانقطاع له باعتبار سكوته ملاحظة لشبهه بالمنقطع في عدم القول ورشح بقوله من منبته تاكيدا لذلك الانقطاع التاسع كونهم عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية لا عقل سماع ورواية وذلك انك علمت ان للادراك ثلث مراتب ادناها تصوره بحسب اسمه واعلاها تصوره بحسب حقيقته وكنهه واوسطها تعقله بحسب صفاته ولوازمه الخاصة به ونبه بعض اجزاء المركب عقلهم للدين وعلمهم به على اكمل المراتب وهو معنى الوعاية ورعايتهم له بدراسته وتذكره والاحتياط عليه وليس علمهم به اسمه وسماع الفاظه فقط وقوله فان رواة العلم كثير الى آخره اي ليس كل من روى العلم وسمعه كان عالما به ومن اهل الوعاية له انهم من العلماء به والعاملين لا يسكن الخاص وفيه بذلك على قلة مثلهم في رعاية العلم واستجماع الفضائل وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** حث فيه اصحابه على الجهاد • والله مستاديكم شكره ومورثكم امره وممهلكم في مضمار ممدود لتتنازعوا سبقه فشدوا عقد المآزر واطووا فضول الخواصر لا تجتمع عزيمة ووليمة ما انقض النوم لعزائم اليوم وامحى الظلم لتذاكير الهمم **اقول** المضمار المدة تضمر فيها الخيل قيل انها اربعون يوما وقد سبق بيانه والتنازع التجاذب في الخصومة والمآزر جمع ميزر والفصل في غاية من الفصاحة والجزالة والحث على الاستعداد ليوم المعاد فقوله والله مستاديكم شكره اي طالب منكم اداء شكره على نعمه وذلك في اوامر القرآن كثير كقوله تعالى واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واشكروا لي ولا تكفرون ومورثكم امره اي سلطانه في الارض الذي كان فيمن سلف من اهل طاعته من الامم السابقة لقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وقوله واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم الآية وقوله وممهلكم الى قوله سبقه استعار لفظ المضمار لمدة الحياة الدنيا ووجه المشابهة ان الناس يستعدون في مدة حياتهم بالرياضات والمجاهدات في سبيل الله وتحصيل الكمالات النفسانية للسبق

الى حضرة جلال الله كما تضمر الخيل لغاية السبق واشار الى علة ذلك الامهال وهي تنازع السبق اليه تعالى واراد بتنازع السبق
في حال العدادهم لانفسهم بالرياضات وجدهم وتشميرهم في طاعة الله من منافسة بعضهم ببعض في التقدم
وسبقه بذلك وحرص كل امرى منهم على ان يكون هو الاكمل الفوز بقصب السبق الى حضرة قدسه تعالى
والمنافسة في الفضايل والغبطة بها محمودة لادايها بالغابط الى كماله وذلك هو اقصى مطلوب الشارع
ويحتمل ان يريد بالسبق اليه من الفضيلة او الجنة كما سبقت الاشارة الى مثل ذلك ولفظ التنازع ترشيح
المضمار والسابقة لان من شان ذلك التنازع على السبق والجهاد بين على الفوز بالسبقة وخلاصة المعنى انه
تعالى امهلكم في الدنيا للاستعداد فيها وتجاذب السبق اليه وقوله فشدوا عقد المازر كناية عن الامر بالتشمير
والاجتهاد في طاعة الله والاستعداد بها بعد ان بين ان ذلك هو الغاية من الامهال في الدنيا اذ كان من شان
من يهتم بالامر ويتحرك فيه ان يشد عقدة مئزره كيلا يشغله عما هو بصدده وقوله واطووا فضول الخواصر
كناية عن الامر بترك ما يفضل من متاع الدنيا على قدر الحاجة من الوان الطعوم والملابس وساير قينات الدنيا
ان الخواصر والبطون احتمال ان يتسع لما فوق قدر الحاجة من الماكول فذلك القدر المتسع لما فوق الحاجة هو
فضول الخواصر وكنى بطيها عما ذكرناه اذ كان من لوازم ذلك الطي ترك تلك الفضول وقوله لا يجتمع عزيمة ووليمة
العزيمة على اقتناء الفضايل واكتسابها والعزيمة هي الارادة الجازمة للامر بعد اختياره وكنى بالوليمة وهي طعام العرس
ونحوه عن خفض العيش والدعة لاستلزام الوليمة ذلك والمعنى ان العزيمة على تحصيل المطالب الشريفة وكرائم الامور
تنافي الدعة وخفض العيش ولا تحصل مع الهوينا لما يستلزمه تحصيل تلك المطالب والعزم عليها من المشاق واتعاب النفس
البدن بالرياضات والمجاهدات المنافية للدعة والراحة ويقرب منه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ثم اكد ذلك بقوله ما انقض النوم لعزايم اليوم واصله ان الانسان يعزم في النهار على المسير بالليل ليتقرب المنزل
فاذا جاء الليل نام الى الصباح فانتقض بذلك عزمه فضربه مثلا لمن يعزم على تحصيل الامور الكبار والسعي فيها
ثم يلزم للاناة والدعة ومراده انكم مع هذه الدعة وحب الراحة من المتاعب والجهاد لا يتم لكم ما تريدونه
عليه من تحصيل السعادة في دنيا او اخرى وكذلك قوله وامحى الظلم لتذاكير الهمم واصله ان الرجل يبعث همته في
مطالبه على المسير بالليل فاذا جن الظلام ادركه الكسل وغلبه حب النوم عن تذكار مطالبه وصرفه عنها فكان
سببا لمحو ذلك التذكار من لوح الذكر فضربه مثلا لمن يدعوه الداعي الى امر ويهتم به ثم يعرض له ادنى امر
يصرفه عنه وهو كالذي قبله وبالله التوفيق ه وهذا آخر الخطب والاوامر ويتلوه المختار من الكتب والرسائل
انشاء الله تعالى بعونه وعصمته وتوفيقه وهدايته ه باب المختار من كتب امير المؤمنين عليه السلام
الى اعدايه وامراء بلاده ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده ووصاياه لاهله واصحابه ومن كتاب له عليه السلام
الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة من عبد الله علي امير المؤمنين الى اهل الكوفة جبهة الانصار
وسنام العرب اما بعد فاني اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين

اكثر استعتابه واقل عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف وارفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه
فلتة غضب فاتيح له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيرين واعلموا ان دار الهجرة
قد قلعت باهلها وقلعوا بها وجاشت جيش المرجل وقامت الفتنة على القطب فاسرعوا الى اميركم وبادروا جهاد
عدوكم ان شاء الله اقول كتب هذا الكتاب حين نزل ماء العذيب متوجها الى البصرة وبعثه مع الحسن عليه السلام وعمار
ياسر رحمه الله وعياناته رؤيته والوجيف ضرب من السير فيه سرعة واضطراب والعنف ضد الرفق والفلتة البغتة
من غير تروّ ورويّة وقلع المنزل باهله اذا نبا بهم فلم يصلح لاستيطانهم وقلعوا به اذا لم يستقروا فيه ولم يثبتوا
وجاشت القدر غلت والمرجل القدر من نحاس واعلم انه صدر الفصل بمدحهم جذبا لهم الى ما يريده من
نصرته على اهل البصرة واستعار لهم لفظ الجبهة باعتبار انهم بالنسبة الى الانصار كالجبهة بالنسبة الى
الوجوه في العزة والشرف والعلو وكذلك استعار لفظ السنام لهم باعتبار علوهم وشرفهم في العرب كالاسلام
والقوة في الدين كشرف السنام وعلوه في الجمل وقال قطب الدين الراوندي المراد بجبهة الانصار جماعتهم وسنام
مجدهم ومن ارتفع منهم حقيقة في الموضعين والمعنى قريب مما قلناه الا ان اللفظين فيها حقيقة لان من علامات
الحقيقة السبق الى الفهم ولا واحد من المعنيين المذكورين يسبق من هذين اللفظين الى الفهم ثم ثنى بذكر الشبهة
التي جعلها اصحاب الجمل واهل الشام ومن اراد الفساد في الارض حجة له حتى كانت مبدا لكل فتنة نشات في
الاسلام وهي شبهة قتل عثمان مع الجواب عنها وهو قوله اما بعد الى قوله عيانه وامر عثمان شانه وحاله التي جرت
له وقوله حتى يكون سمعه كعيانه كناية عن تمام ايضاح ذلك الامر لمن لم يشهده من اهل الكوفة وقوله ان الناس
طعنوا الشارة الى مبدا قتله وهو طعن الناس عليه بالاحداث التي نقموها منه يقال طعن فيه بالقول وطعن عليه
اذا ذكر له عيبا وقد ذكرنا تلك المطاعن وهذا القول كالمقدمة للجواب عن نسبته الى قتله وكذلك قوله
فكنت رجلا الى قوله عتابه كصغرى قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه اراد الناس من دم عثمان ومعنى
قوله اكثر استعتابه اي اكثر طلب العتبى منه والرجوع الى ما يرضي به القوم منه واقل عتابه اي ذكر ما اجن منه وقال الخليل
العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة وانما كان يقل عتابه لانه عليه السلام كان يخاطبه فيما هو اهم من ذلك
ارضاؤه للقوم واستعتابه لهم ليدفعوا عنه وليطفئوا نار الفتنة اولان حوله جماعة تكره ذلك وقيل انه كان عليه السلام
عاتبه وصفا ما بينهما اكدت تلك الجماعة وقيل اراد اني كنت اكثر طلب رضاه واقل لائمته وتقدير الكبرى وكل
من كان من المهاجرين بالصفة المذكورة معه فهو ابرا الناس من دمه واقواهم عذرا في البعد عن قتله وقوله وكان طلحة
والزبير الى قوله غضب كصغرى قياس ضمير ايضا من الاول انتج فيه ان القوم السائرين الى حربه وهم طلحة والزبير وعائشة
عين ما انسبوه اليه من الدخول في دم عثمان وكنى بقوله اهون سيرهما فيه الوجيف الى قوله العنيف عن قوة سعيهما في
قتله وشدة تلبسهما بذلك وقد ذكرنا طرفا من حال طلحة معه وجمعه للناس في داره ومنعه من دفنه وروي ان عثمان
قال وهو محصور ويلي على ابن الحضرمية يعني طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمي ويحرض على اللهم

بروافقه عواقب بغيه وروى انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار بعض الانصار
فاصعدهم الى سطحها وتسوروا منها عليه وروى ان مروان قال يوم الجمل والله لا اترك ثاري من طلحة وانما الهوا قتله
بعثمان فرماه بسهم فقتله واما الزبير فروى انه كان يقول اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا ان ابنك يحامي عنه بالباب فقال
ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بابني وحالهما في التحريض مشهور واما عائشة فروى انها كانت تقول اقتلوا
نعثلا قتل الله نعثلا واما الغضب الذي وقع منها فانه في حقه فالسبب الظاهر فيه هو اختصاصه بمال المسلمين
قرابته وبني ابيه وهو السبب العام في قيام الناس عليه ونقمتهم منه وسائر الاحداث مقويات لذلك وروى انه
صعد المنبر يوما وقد غص المسجد باهله فمدت يدها من وراء ستر فيها نعلان وقميص وقالت هذان نعلا
رسول الله صلى الله عليه وآله وقميصه بعد لم تبل وقد بدلت دينه وغيرت سنته واغلظت له في القول فغلظ
لها وكان ذلك القول منها من اشد ما حرض الناس على قتله وبالجملة فحال هؤلاء الثلثة في التحريض على قتله كان
اشهر من ان يحتاج الى ذكر وتقدير كبرى القياس وكل من كان كذلك كان اولى بالدخول في دمه والانب الى التحريض عليه
وقوله فاتبع له قوم فقتلوه منهم منه نسبته لاجتماع الناس على قتله الى التعدي الالهي لينصرف اذهان الناس عن
بهذه النسبة الصادقة عن نسبة ذلك اليه عليه السلم وافاد القطب الراوندي انه عليه السلم انما نفى الفعل
ولم يقل امح القول ايح الشيطان ليرضى بذلك الفريقان وقوله ويا عجبي للعوام حين لم يصغوا بين
فيه خروج اصحاب الجمل عن طاعة الله ودخولهم في رذيلة الغدر ونكث العهد المستلزم لدخولهم في عموم قوله تعالى
وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ الاية
وقوله فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الاية وتقدير الكبرى وكل من بايعه الناس طائعين مخيرين فلا يجوز
ان ينكثوا بيعته ويحاربوه للايتين المذكورتين وفي نسخة الرضي رحمه الله مستكرهين بكسر الراء بمعنى كارهين يقال
استكرهت الشيء اي كرهته وقوله واعلموا الى قوله الرجل اعلام لاهل الكوفة باضطراب حال المدينة واهلها
بمسير القوم الى البصرة للفتنة وغرض ذلك الاعلام ان يهتموا بامر اخوانهم المؤمنين وقيل يحتمل ان يريد بدار
الهجرة دار الاسلام وبلادها وكنى بقلعها وقلعهم بها عن اضطراب امورهم بها وعدم استقرار قلوبهم من خوف
هذه الفتنة واستعار لفظ الجيش ملاحظة لشبهها بالقدر في حال غليانها فان اضطراب الناس وحركاتهم في هذه
الفتنة يشبه ذلك وكذلك نبههم بذكر الفتنة والحرب وقيامها على قطبها ليستعدوا لها ويفزعوا اليها ولذلك امر
بالاسراع اليه بسرعة السير الى اميرهم يعني نفسه وان يبادروا جهاد عدوهم وذكر لفظ القطب وقيامها عليه تنبيها على
المقصود وعلمت ان وجه استعارة الرحى للحرب هو مشابهتها في دورانها على من يدور عليه من الناس كما يشتمل دوران
الرحى على الحب وطحنه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** بعد فتح البصرة ✱ وجزاكم الله من اهل مصر عن اهل
بيتكم احسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم واطعتم ودعيتم فاجبتم **اقول** يشبه ان
يكون الخطاب لاهل الكوفة ومن ههنا لبيان الجنس من الضمير المنصوب في جزاكم وقد دعا الله لهم ان يجزيهم عن

بيته احسن الجزاء وشكرهم لنعمته من جهة عملهم بطاعته وانما حذف المفعولات هنا لان الغرض ذكر الافعال دون نسبتها
الى مفعولاتها او العلم بها **ومن كتاب له عليه السلم** لشريح بن الحارث قاضيه روي ان شريح بن الحارث قاضي امير المؤمنين
عليه السلم اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا فبلغه عليه السلم ذلك فاستدعى شريحا وقال له ✱ بلغني انك ابتعت
دارا بثمانين دينارا وكتبت كتابا واشهدت فيه شهودا فقال شريح قد كان ذلك يا امير المؤمنين قال فنظر اليه
عليه السلم نظر مغضب ثم قال له يا شريح اما انه سياتيك من لا ينظر في كتابك ولا يسالك عن بينتك حتى
يخرجك منها شاخصا ويسلمك الى قبرك خالصا فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك او نقدت
الثمن من غير حلالك فاذا انت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة اما انك لو كنت اتيتني عند شرائك ما اشتريت
لكتبت لك كتابا على هذه النسخة فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوقه والنسخة هذا ما اشترى عبد ذليل
من ميت قد ازعج للرحيل اشترى منه دارا من دار الغرور من جانب الفانين وخطة الهالكين ويجمع هذه الدار حدود اربعة
الحد الاول ينتهي الى دواعي الآفات والحد الثاني ينتهي الى دواعي المصيبات والحد الثالث ينتهي الى الهوى المردي والحد الرابع
ينتهي الى الشيطان المغوي وفيه يشرع باب هذه الدار اشترى هذا المغتر بالامل من هذا المزعج بالاجل هذه الدار
بالخروج من عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة فما ادرك هذا المشتري فيما اشترى من درك
فعلى مبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل ملك الفراعنة مثل كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن
جمع المال على المال فاكثر ومن بنى وشيد وزخرف ونجد وادخر واعتقد ونظر بزعمه للولد اشخاصهم جميعا الى موقف
العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب اذا وقع الامر بفصل القضاء وخسر هنالك المبطلون شهد على
ذلك العقل اذا خرج من اسر الهوى وسلم من علائق الدنيا **اقول** هو شريح بن الحارث الكندي استقضاه عمر على الكوفة
ولم يزل بها بعد ذلك قاضيا خمسا وسبعين سنة لم يتعطل فيها الا سنتين وقيل اربع سنين استعفى الحجاج فيها
من القضاء في فتنة ابن الزبير فاعفاه والبينة الحجة وشخص من البلد رحل عنها والخطة بالكسر الارض يختطها
الرجل ويعلمها بخط ليبني بها دارا ومنه خطط الكوفة والبصرة والمردي المهلك والضراعة مصدر قولك ضرع
ضراعة اى ذل وخضع والدرك التبعة واصل البلبلة الاضطراب والاختلاط وافساد الشيء بحيث يخرج عن حد
الانتفاع به وكسرى لقب ملك الفرس كاسم الجنس لكل ملك منهم وكذلك قيصر لملوك الروم وتبع لملوك اليمن وحمير
ابو قبيلة من اليمن وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وشيد رفع البناء وزخرف زين بالزخرف ونجد
زين بيته والتنجيد التزيين بالفرش والبسط ونحوها واعتقد المال والضيعة اقتناها وغرض الفصل التنفير عن
متاع الدنيا وعن الركون الى قيناتها وبدا بتوبيخه باستثبات الامر منه بقوله بلغني الى قوله شهودا وكان في
قول شريح قد كان ذلك تمامه ثم اخذ في تنفيره عن محبة هذه الدار واقتنائها بتذكير الموت ووعد باتيان
قاد يخرجه منها ويشخصه فيسلمه الى قبره خالصا مجردا من تلك الدار وعن كل قنية اقتناها من الدنيا او زخرف
من دخيلة فيها وان يكون فيه شائبة حرام واوقفه على الاحكام بما يستلزمه ذلك من خسران الدنيا بالموت

وخسران الآخرة وغيهما باعتبار ما لزمه من الآثام بأكل الحرام وابتغائه واشتريته بمعنى وروى انما حققه فان قلت فكيف
قال فما فوقه ومعلوم انه اذا لم يرغب فيها بدرهم فبالاولى ان لا يرغب فيها بما فوقه قلت لما كان الدرهم هنا اقل
يحسن التمثيل به في القلة وكان الغرض انك لو اتيتني عند شرائك هذه الدار لما اشتريتها بشيء اصلا لم يحسن ان
يذكر وراء الدرهم الا ما فوقه ونحوه قول المتنبي ومن جسدي لم يترك السقم شعرة فما فوقها الا وفيها له فعل وكان
ان يقول فما دونها واعلم ان في النسخة نكتا الاول منها انه خص المشتري بصفة العبودية والذل تكسيرا لما عساه يعرض
لنفسه من العجب والفخر بشرائها هذه الدار الثاني اطلق لفظ الميت على من سيموت اعني البائع مجاز اطلاقا لما
بالفعل على ما بالقوة وتنزيلا للمقضي منزلة الواقع لغرض التحذير من الموت وازعاجه للرحيل الى الآخرة اما
للاستعارة او اشارة الى ايقاظه وتنبيهه بالاعراض وكل مذكوله من العيب الثالث كنى بدار الغرور عن الدنيا لغلبة
غرور الخلق بها وغفلتهم بما فيها عما وراءها او قوله من جانب الفانين اخص من دار الغرور وكذلك خطة الهالكين
اخص من جانب الفانين على ما جرت العادة به في كتب البيع من الابتداء بالاعم والانتهاء الى تخصيص المبيع
تعينه وان لم يكن هنا ذكر التخصيص بل في ذكر الفانين والهالكين والتذكير بحالهم وان هذه الدار من جانب
يسكنون وخطة كانت لهم الرابع اشار الى حدودها الاربعة وجعلها كنايات عما يلزمها من الامور المستقرة
عنها وينتهي اليه منها فجعل الحد الاول ينتهي الى دواعي الآفات واشار بها الى تلك الدار لما كانت تلزمها كما
لابد منها وعلامات كالمرأة والخادم والدابة وما يلزم اولئك ويكون نسبتهم من الاولاد والاتباع والخيانات وسائر
فضول الدنيا التي يعد بعضها المحاجة الى بعض حتى يكون اغنى الناس فيها اكثرهم حاجة وفقرا وكان كل واحد من
هذه الامور في معرض الآفات كالامراض والموت كانت تلك الامور هي دواعي الآفات التي تقود اليها وتسكن
وهي مما ينتهي اليه الدار وتستلزمه وانما جعله حدا اول لانها اول اللوازم التي تحتاج اليها الدار وتقود اليها
والحد الثاني ما ينتهي اليه وتلزمها من دواعي المصيبات واشار بها الى الامور الاولى التي تحتاج الدار اليها وتستلزمها
لكن باعتبار كونها مستلزمة بما يعرض لها من الآفات لما يلحق بسبب ذلك من المصيبات فان كل واحد منها
لما كان في معرض الآفة كان المقتني له في معرض نزول المصيبات به وكان داعيا له وقائدا اليها والاستلزام
دواعي الآفات لدواعي المصيبات اردفها بها وجعلها حدا ثانيا منها ويحتمل ان يكون تسميتها في الموضعين
دواعي باعتبار ان شهواتها تدعو الى فعلها وايجادها وذلك الايجاد تلزمه الآفات والمصيبات والحد الثالث
ما ينتهي اليه ويلزمها الهوى المردي وانما صح اذ كان اقتناء الدار في الدنيا مستلزما لمحبتها ومحبة كمالاتها
ومتابعة الميول الشهوية بغير هدى من الله وهو المراد بالهوى وظاهر كونه مرديا في حضيض جهنم ومهلكا
وجعل الهوى هو الحد الثالث لكون تلك الدار وكمالاتها وما تدعو اليه كلها امورا مستلزمة للهوى والميول الطبيعية
المهلكة التي لا تزال يتأكد بعضها بالبعض ويدعو بعضها الى البعض والحد الرابع ما ينتهي به الى الشيطان المغوي وانما
جعله هو الحد الاخير لانه الحد الابعد الذي ينتهي اليه تلك الحدود والدواعي وهو بعد الحد الثالث اذ كان الشيطان

والامراض حو

جهة الفوائد

جهة الفوائد مبدأ لميل النفس الى الدنيا وبعثها على متابعة هواها واغواؤه يعود الى الغاية الى النفس ان الاصل فيها كلما
تماهو جاذب عن سبيل الله واشار بقوله ومنه شروع باب هذه الدار الى كونه سببا باغوائه للدواعي الباعثة لها المستلزمة
للدخول في شرائها واقتنائها واقتناء ما تستلزمه وتدعو اليه والدخول في متاع الدنيا وباطلها فان الشيطان كالحاجز صد
عنه وانفتح بسببه من الدخول في امر الدار وشرائها كالباب فانظر الى ما اشتمل عليه هذا الترتيب في كلام علم الاسلام
من الحكمة التي بها يتميز عن كلام من سواه وهو في غاية التنفير عن الدنيا وسد ابواب طلبها والجذب الى الله تعالى والارشاد
الى لزوم الزهد الحقيقي الخامسة وصف المشتري بالمغتر بالامل باعتبار ان نظره الى امله في الدنيا هو الذي استلزم
غفلته عن الآخرة وما خلق لاجله وكان ذلك الاغترار سببا لشرائه لتلك الدار وجعل الثمن هو الخروج من عز القناعة
والدخول في ذل الطلب والضراعة باعتبار استلزام شرائه لذلك كما يستلزمه الثمن ووجه استلزامه لما ذكر ان تلك
الدار كانت بالنسبة الى حال شريح فضلة زائدة على قدر الحاجة وكل فضل اقتناه الانسان على قدر ضرورته فقد خرج
به عن حد القناعة اذ القناعة هي الرضا والاقتصار على مقدار الحاجة من المال وما يحتاج اليه وعلمت ان القناعة
مستلزمة لقلة الاحتياج الى الخلق والغنى عنهم وبحسب الغنى عنهم واقلية الحاجة يكون عز القناعة والخارج
عن القناعة خارج عن عزها وداخل في ذل الطلب والضراعة للخلق لا باعتبار ما هو خارج عن القناعة يكون
الى الخلق باعتبار ذلك يكون داخلا في الذل والضراعة اليهم وغاية ذلك التنفير عن اقتناء فضول الدنيا بما يستلزمه من
ذل الحاجة الى الخلق السادسة علو الدرك والتبعة اللازمة في هذا البيع بملك الموت قطعا لامل الدرك وتذكيرا له
لغاية العمل له والاقتصار على قدر الحاجة من متاع الدنيا وكنى عنه بمبلبل اجسام الملوك وسالب نفوس الجبابرة ومزيل
ملك الفراعنة بسلبه نفوسهم وفي تخصيص مثل هؤلاء الملوك باخذ الموت لهم في معرض تعلق الدرك به تنبيه لهذا
المشتري على وجوب تقصير الامل بمثل هذا الدرك ونحوه من الآمال المتعلقة بالمطالب المنقطعة بالموت فانه اذا كان
قد قطع آمال مثل هؤلاء ولم يدع لهم مع سعتها فبالاولى ان يأتيها القاضي السامع قوله ونظره بزعمه للولد اي نظر في جمع
المال للولد ورآه مصلحة لتربيته وزعمه والبادة للسنة اذ كان ظن وجود الراي الاصلح سببا له السابعة ذكر اشخاص
ومنتهاه وهو موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب ترهيبا من تلك الامور والمقامات وترغيبا في العمل
للآخرة والامن من شرورها الثامنة قوله اذا وقع الامر بفصل القضاء اي اذا وقع امر الله في محفل القيامة بفصل القضاء
وقطع الحكم بين اهل الحق والباطل منهم وربح المحقون وخسر هنالك المبطلون وهذا الختام مقتبس من القرآن الكريم
العاشرة قوله في الشهادة على ذلك العقل الى آخره في غاية الشرف وذلك ان الشاهد بما ذكره في هذا الكتاب من
اوصاف المتبايعين وحدود المبيع ومن يلحقه دركه وغير ذلك مما عدده ليس الا صرف العقل المبرأ عن خطأ الوهم
المطلق من اسر الهوى السالم من محبة الدنيا وما يتعلق بها اذ كان بتجرده عن هذه العلائق وصفائه من كدر الباطل
يرى الحق كما هو ويحكم به فاما اذا كان اسيرا في يد الهوى مقهورا تحت سلطان النفس الامارة لم يكن ناظرا الى الحق
بعين صحيحة بل بعين غشت ظلمات الباطل انوارها فلذلك لم يشهد بمحض الحق اذ لم يره من حيث هو حق فالشاهد

بالباطل في صورة الحق كشهادته بالمصلحة في اقتناء الدنيا لنظر العاقبة الولد او خوف الفقر ونحوه مما يباح لاجله الطلب في
ظاهر الشرع ولو نظر الى الحق بعين الصدق لعلم ان الجمع للولد ليس تكليفا له لان رازق الولد هو خالقه وان الجمع خوف
الفقر تعجيل فقر واشتغال عن الواجب عليه بغيره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى بعض امراء جيشه فان عادوا
الى ظل الطاعة فذاك الذي نحب وان توافت الامور بالقوم الى الشقاق والعصيان فانهد بمن اطاعك الى من عصاك
واستغن بمن انقاد معك عمن تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه **اقول**
روي ان الامير الذي كتب اليه هو عثمن بن حنيف عامله على البصرة وذلك حين انتهت اصحاب الجمل اليها وعزموا
على الحرب فكتب عثمن اليه عليه السلم يخبره بحالهم فكتب عليه السلم اليه كتابا فيه الفصل المذكور وقوله انهد اي انهض
والمتقاعس المتاخر والقعود واستعار لفظ الظل لما تستلزمه الطاعة من السلامة والراحة عن حرارة الحرب
ومتاعبها التي هي ثمرات الشقاق كما يستلزم الظل الراحة من حر الشمس وقوله وان توافت بهم الامور اي تتابعت
بهم المقادير واسباب الشقاق والعصيان اليهما واعلم انه لما كان مقصوده عليه السلم ليس الا احتجاج الخلق
على طاعته ليسلك بهم سبل الحق كما هو مقصود الشارع صلى الله عليه وآله نبه على ذلك بقوله فان عادوا الى قوله
نحب وقوله ذلك يعود الى المصدر الذي دل عليه عادوا ويفهم من قوله فذاك الذي نحب حصر محبوبه في عودهم
اي لا نحب الا ذلك ولذلك امر بمحاربة العصاة والاستعانة بمن اطاعه عليهم على تقدير شقاقهم وعصيانهم
وعلل تعيين النهوض بالمطيعين دون المكارهين وبالمنقادين دون المتقاعسين بان المتكاره في ذلك مغيبه
خير من مشهده وقعوده اغنى من نهوضه وذلك لما يقع بسبب المتكاره من تخاذل الناس عند رؤيته اياه
واقتدائهم به الحق ربما لا يكتفي بعدم منفعته بل يذكر المفاسد في الحرب وما يستلزمه من هلاك المسلمين ويكون
ذلك منه ونحوه كما وقع بسببه كثير من الصحابة والتابعين عن وقائع الجمل وصفين والنهروان فيكون في
حضوره عدم المنفعة ومفسدة هي تخاذل الناس بسببه بخلاف مغيبه اذ ليس فيه الا عدم الانتفاع به
خير من شهوده وكلاهما مصدر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى الاشعث بن قيس وهو عامله على اذربيجان
وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك امانة وانت مسترعى لمن فوقك ليس لك ان تفتات في رعية ولا
تخاطر الا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عز وجل وانت من خزانه حتى تسلمه الي ولعلي الا اكون شر ولاتك
لك والسلم **اقول** روي عن الشعبي ان عليا عليه السلم لما قدم الكوفة وكان الاشعث بن قيس على ثغر اذربيجان من قبل
عثمن بن عفان فكتب اليه بالبيعة وطالبه بمال اذربيجان مع زياد بن مرحب الهمداني وصورة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المومنين الى الاشعث بن قيس اما بعد فلولا هنات كن
كنت المقدم في هذا الامر قبل الناس ولعل اخر امرك يحمل اوله وبعضه بعضا ان اتقيت الله انه قد كان من بيعة
الناس اياي ما قد بلغك وكان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي عن غير حدث واخرجا عائشة
بها الى البصرة فسرت اليهم في المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهم الى ان يرجعوا الى ما خرجوا منه فابوا

في الدعاء واحسنت في البقية واعلم ان عملك الى اخر الفصل وكتب عبد الله بن رافع في شعبان سنة ست وثلثين
من جملة رعاياه والطعمة الماكلة والرعية فعيلة بمعنى مفعول والافتيات افتات بالحزم اذا استبد بالامر والمخاطرة التقدم
في الامور العظام والاشراف فيها على الهلاك والوثيقة ما يوثق به في الدين وقوله وان عملك الى قوله بوثيقة اشارة الى
قياس ضمير من الشكل الاول بين فيه انه ليس له ان يستبد في رعيته بامر من الامور دون من استرعاه ولا ان يخاطر في شي
من امور ولايته من مال وغيره الا بوثيقة ممن ائتمنه على البلاد واسترعاه العباد ودل على الصغرى بقوله وان عملك الى
قوله لمن فوقك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يستبد بامر دون من ائتمنه واسترعاه ولا يخاطر الا
بوثيقة تخلصه ويوثق بها ثم بين له بعض ما لا يجوز له الاستبداد والمخاطرة فيه وهو مال تلك البلاد ونبه على
حفظه بامرين احدهما انه مال الله الذي افاءه الله على عباده المومنين والثاني انه من خزانه عليه الى ان
يحمله اليه ومن شان الخازن وعدم التصرف فيها بحرية الا باذن وامر ووثوق لمن يريد وقد كان للاشعث تخوفا
من علي عليه السلم حين ولي الامر وجاز مما بانه لا يبقي العمل في يده لهنات سبقت منه في الدين وفي حقه عليه
السلم قد اشرنا الى بعضها فيما سبق في قوله وما يدريك ما علي مما لي ثم اراد عليه السلم تسكينه فقال ولعلي لا
اكون شر ولاتك لك اي شر من ولي عليك واتى بلفظ الترجي ليقيمه بين طوري الخوف والرجاء وانما يكون
شرا لانه عليه لو خالف الدين والاشعث يعلم ذلك منه وكان ذلك جاذبا له الى لزوم الدين وروي انه لما
اتاه كتاب علي عليه السلم دعا بثقاته وقال لهم ان علي بن ابي طالب قد اوحشني وهو اخذي بمال اذربيجان على كل حال
وانا لاحق بمعوية فقال له اصحابه الموت خير لك من ذلك تدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام
فاستحيا من ذلك وبلغ قوله اهل الكوفة فكتب اليه عليه السلم كتابا يوبخه ويامره بالقدوم عليه وبعث بحجر بن
عدي الكندي فلامه حجر على ذلك وناشده الله وقال له اتدع قومك واهل مصرك وامير المومنين وتلحق باهل
الشام ولم يزل به حتى اقدمه الى الكوفة فعرض عليه السلم اثقاله فوجد فيها مائة الف درهم وروي اربعمائة الف
فاخذها وكان ذلك بالنخيلة فاستشفع الاشعث بالحسن والحسين عليهما السلم وبعبد الله بن جعفر فاطلق له
منها ثلثين الفا فقال لا يكفيني فقال لست بزائدك درهما واحدا وايم الله لو تركتها لكان خيرا لك وما اظنها
لك ولو تيقنت ذلك لما بلغتها من عندي فقال الاشعث خذ من خدعك ما اعطاك **ومن كتاب له عليه السلم**
الى معوية انه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمن على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان
يرد وانما الشورى للمهاجرين والانصار فان اجتمعوا على رجل وسموه اماما كان ذلك لله رضا فان خرج عن امرهم خارج بطعن او بدعة
ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المومنين وولاه الله ما تولى ولعمري يا معوية لئن نظرت
بعقلك دون هواك لتجدني ابرا الناس من دم عثمن ولتعلمن اني كنت في عزلة عنه الا ان تتجنى فتجن ما بدا لك والسلم
اقول هذا الفصل من كتاب كتبه الى معوية مع جرير بن عبد الله البجلي حين نزعه من همدان وصدره اما بعد فان
بيعتي يا معوية لزمتك وانت بالشام لانه بايعني القوم ثم يتلو الى قوله وولاه الله ما تولى تمام الامر ويتصل بها ان قال

طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون
فادخل يا معوية فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور الي فيك العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك
واستعنت بالله عليك وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم الي احملك واياهم
على كتاب الله واما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ثم يتصل به قوله ولعمري الى قوله ما
بدا لك ثم يتصل به واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعرض فيهم الشورى وقد ارسلت
اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة الا بالله العزال الاسم
من الاعتزال والتجني ان يدعى عليك ذنب لم تفعله فقوله اما بعد الى قوله الشام صورة الدعوى وقوله
لانه بايعني الى قوله على صورة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستنتج منه ملزوم تلك الدعوى لان
صدقها بصدق ملزومها وتقدير الكبرى وكل من بايعه هولاء القوم فليس لمن شهد بيعتهم ان يختار غير
من بايعوه ولا للغائب عنها ان يردها ينتج انه ليس لاحد ممن حضر او غاب ان يرد بيعتهم له وذلك يستلزم
كونها لازمة لمن حضر او غاب وهذه النتيجة هي قوله فلم يكن الى قوله يرد وقوله وانما الى قوله تقوية لكبرى
القياس وحصر للشورى والاجماع في المهاجرين والانصار لانهم اهل الحل والعقد من امة محمد صلى الله عليه
وآله فاذا اتفقت كلمتهم على حكم من الاحكام كاجتماعهم على بيعته وتسميته اماما كان ذلك اجماعا حقا
رضى الله اي يرضى له وسبيل المومنين الذي يجب اتباعه فان خالف امرهم وخرج عنه بطعن فيهم او
اجمعوا عليه كخلاف معوية وطعنه فيه عليه السلم بقتل عثمن ونحوه او بدعة كخلاف اصحاب الجمل
وبدعتهم في نكث بيعته ردوه الى ما خرج عنه فان ابا قاتلوه على اتباعه غير سبيل المومنين حتى يرجع
وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا ثم اقسم انه على تقدير نظره بعقله دون هواه يجد
ابرا الناس من دم عثمن وانه كان حين قتله في عزلة عنه والملازمة واضحة فان القتل اما بفعل او قول ولم
ينقل عن علي عليه السلم في امر عثمن الا انه لزم بيته واعتزل عنه بعد ان دافع عنه طويلا بيده ولسانه فلم يمكن
الدفع وقوله الا ان تتجنى الى آخره استثناء منقطع اي لكن ان تدعي علي ذنبا لم افعله فادع ما بدا لك اي ما ظهر لك في
خيالك من الذنوب والجنايات فان ذلك باب مفتوح لكل احد ومحل ما النصب بالمفعولية وانما احتج
بالاجماع والاختيار هنا على حسب اعتقاد القوم انه المعتبر في نصب الامام اذ لم يكن عندهم انه منصوص عليه
ولو ادعى ذلك لم يسلم له وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم اليه ايضا** اما بعد فقد اتتني منك موعظة موصلة
ورسالة محبرة نمقتها بضلالك وامضيتها بسوء رايك وكتاب امرئ ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده قد دعاه الهوى
فاجابه وقاده الضلال فاتبعه فهجر لاغطا وضل خابطا ومن هذا الكتاب لانها بيعة واحدة لا يثنى فيها النظر ولا
يستانف فيها الخيار الخارج منها طاعن والمروي فيها مداهن **اقول** هذا جواب كتاب معوية المذكور من معوية بن ابي سفيان
الى علي بن ابي طالب اما بعد فلو كنت على ما كان عليه ابو بكر وعمر اذن ما قاتلتك ولا استحللت ذلك ولكنه انما افسد عليك بيعتي

خطيئتك في عثمان بن عفان وانما كان اهل الحجاز الحكام على الناس حين كان الحق فيهم فلما تركوه صار اهل الشام كحجتك على
اهل البصرة ولا حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة قد كانوا بايعوك ولم يبايعك اهل الشام وطلحة
والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك في الاسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله وموضعك من بني هاشم
فلست ادفعه والسلم فكتب عليه السلم جوابه من عبد الله علي امير المومنين الى معوية بن صخر اما بعد فانه اتاني كتابك كتاب امرئ
خابط ثم يتصل به ان قال زعمت انه انما افسد علي بيعتك خطيئتي في عثمان ولعمري ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما
اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمى واما ما زعمت ان اهل الشام الحكام على اهل الحجاز
فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى او تحل لهما الخلافة فان زعمت ذلك كذبك المهاجرون والانصار والا
اتيتك بهما من قريش واما ما ميزت بين اهل الشام واهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير فلعمري ما الامر في ذلك الا
واحد ثم يتصل به قوله لانها بيعة عامة الى آخره ثم يتصل به واما فضلي في الاسلام وقرابتي من الرسول وشرفي في بني
هاشم فلو استطعت دفعه لفعلت والسلم واما قوله فقد اتتني الى قوله سوء رايك فهو صدر كتاب آخر اجاب به معوية
عن كتاب كتبه اليه غير الكتاب الذي ذكرناه وذلك انه لما وصل اليه هذا الكتاب من علي عليه السلم كتب اليه كتابا فيه موعظة
وصورته اما بعد فاتق الله يا علي ودع الحسد فانه طالما لم ينتفع به اهله ولا تفسد سابقة قديمك بشره من حديثك فان الاعمال
بخواتيمها ولا تلحدن بباطل في حق من لا حق لك في حقه فانك ان تفعل ذلك لا تضل الا نفسك ولا تمحق الا عملك ولعمري ان
ما مضى لك من السوابق الحسنة لحقيقة ان تردك وتردعك عما اجترأت عليه من سفك الدماء واجلاء اهل الحق عن
الحل والحرام فاقرأ سورة الفلق وتعوذ بالله من شر ما خلق ومن شر حاسد اذا حسد قفل الله بقلبك واخذنا
وعجل توفيقك فاني اسعد الناس بذلك والسلم فكتب اليه عليه السلم اما بعد فقد اتتني منك موعظة الى قوله سوء رايك
ثم يتصل به وكتاب ليس ببعيد الشبه منك حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق ولولا علمي بك وما قد سبق من
رسول الله صلى الله عليه وآله فيك مما لا مرد له دون انفاذه اذن لوعظتك ولكن عظتي لا تنفع من حقت عليه كلمة
العذاب ولم يخف العقاب ولا يرجو لله وقارا ولم يخف له حذارا فشانك وما انت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة
تجد الله في ذلك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الاباطيل وقد علمت ما قال النبي عليه السلم فيك وفي امك
وابيك والسلم وهو ينبه على ان هذا الفصل المذكور ليس من الكتاب الاول لان الاول لم يكن فيه ذكر موعظة حتى يذكرها عليه
السلم في جوابه غير ان السيد رحمه الله اضافه الى هذا الكتاب كما هو عادته في عدم مراعاة ذلك ولنشر الى تفسير الالفاظ
فنقول المحبرة المزينة والتنميق التزيين بالكتابة والهجر الهذيان اذا هذى او الفحش في منطقه واللغط الجلبة واهل الخبط الحركة على غير
نظام ومنه خبط عشواء الناقة التي تضعف بصرها والمروي المفكر والمداهنة المصانعة والظهار الرضي بالامر مع اضمار خلافه
من باب المنافقة واراد بكونها موصلة اي ملتقطة من كلام الناس ملفقة وقد نبه بالكتابة ونسب تنميقها الى ضلاله لكون
موعظته وتكلفه اياها المذكور عليه السلم عن اعتقاد منه انه على طرف الحق وان عليا مخطئ كما زعم وظاهر ان ذلك الاعتقاد ضلال
عن سبيل الله اوجب له تكلف تلك الموعظة اذ لا شك انه كان جاهلا بسياق الكلام ووضعه مواضعه وحاله نمقه

ذلك الجهل ظهر عليها اثر الكلفة في التميز فاستدل به على ضلاله واستعار لفظ البصر للعقل باعتبار ان له نورا يدرك به صور
المعقولات كما يدرك البصر بنوره صور المحسوسات ثم سلب عنه البصر الذي يهتدي به في سبيل الله اذ كان عقله قد قصر عن
ادراك حقائق الدين ومقاصده ووجوه المصالح الكلية المطلوبة للشارع فلم يكن لعقله بصر يهديه الى تلك الامور ولا
له قايد من امام حق او راي صالح يرشده الى سبيل الله فلاجرم كان تبعا لهواه اذ دعاه وساقه الضلال لدواعيه الجايرة
المخطية لوجه المصلحة المطلوبة لله تعالى فاتبعها واستلزم ذلك ان يهجر فيقول ما لا ينبغي من القول لاغطا
وان يضل عن سبيل الله خابطا في التيه لا يهتدي مصالح الحق في دين الله ولاغطا وخابطا حالان وقوله لانها الضمير
المذكور ضمير البيعة كقوله تعالى فانها لا تعمى الابصار ويحتمل ان يرجع الى ما علم من حالها في قوله فلم ير بها الامر في ذلك
الا واحدا اي ما شان اهل البصرة وشان اهل الشام وشان طلحة والزبير في بيعتي الا واحدا والمعنى انها كما لزمت اولئك
فقد لزمتكم ايضا ثم اشار الى الحجة في ذلك بقياس ضمير من الشكل الاول صغراه هي كونها بيعة واحدة باتفاق اهل
كالانصار الذين هم اهل الحل والعقد من امة محمد عليه السلم وتقدير كبراه وكل بيعة وقعت كذلك فلا يثنى فيها نظر ولا
يستانف فيها خيار وبيان الكبرى ما سبق من حال الائمة الثلثة قبله عليه السلم اذ لم يكن لاحد ان يستثني في بيعتهم
ولا يستانف خيارا بعد ان عقدها المهاجرون والانصار لاحدهم ثم اشار الى حكم من لم يدخل في بيعته وبيعتهم
لان من لم يدخل فيها اما ان يخرج عنها او يقف فيها فحكم الخارج عنها ان يكون طاعنا في صحتها وانعقادها
ان يجاهد ويقاتل حتى يرجع اليها اذ هي سبيل المؤمنين كما سبق وحكم الواقف فيها والمتروي في صحتها انه
مداهن وهو نوع من النفاق ويستلزم الشك في سبيل المؤمنين ووجوب اتباعه وبالله التوفيق ومن كتاب
له عليه السلم الى جرير بن عبد الله البجلي لما ارسله الى معوية • اما بعد فاذا اتاك كتابي فاحمل معوية على الفصل وخذه
بالامر الجزم ثم خيره بين حرب مجلية او سلم مخزية فان اختار الحرب فانبذ اليه وان اختار السلم فخذ بيعته والسلم اقول روي ان جريرا
اقام عند معوية حين ارسله عليه السلم اليه حتى اتهمه الناس وقال علي قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده الا مخدوعا او عاصيا
وابطا حتى ايس منه فكتب اليه بعد ذلك هذا الكتاب فلما انتهى اليه اتى معوية فاقراه اياه وقال يا معوية انه لا يطبع على
قلب الا بذنب ولا يشرح الا بتوبة ولا اظن قلبك الا مطبوعا اراك قد وقفت بين الحق والباطل كانك تنتظر شيئا في يد غيرك
فقال معوية القاك بالفصل في اول مجلس ان شاء الله ثم اخذ في بيعة اهل الشام فلما انتظم امره لقي جريرا وقال الحق بصاحبك
واعلمه بالحرب فقدم جرير الى علي عليه السلم والبجلي منسوب الى بجيلة قبيلة والمجلية من الاجلاء وهو الاخراج من الوطن
والمخزية المهينة المذلة وروي مجزية بالجيم اي كافية والحرب والسلم مونثان لكونهما في معنى المحاربة والمسالمة والنبذ
الالقاء والرمي وحاصل امره جريرا بحمل معوية على فصل الامر وقطعه وجزم الحال معه بتخييره في احد امرين اما حرب
يكون معها الجلاء واما سلم يكون فيها ذليلا لانها تامة مقهورا وفي ذكر الاجلاء والاهانة على التقديرين تخويف وتهديد
واشعار بانه عليه السلم في الامرين ظاهر ظافر وله غالب قاهر لعله يتذكر او يخشى ثم امره على تقدير اختيار الحرب ان
يرميه بالاعلام بها ويلقي الوعيد اليه بايقاعها من قبله عليه السلم ويجهر له بذلك من غير مداهنة ومداراة كقوله

تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء وعلى تقدير اختياره السلم باخذ بيعته ومن كتاب له عليه السلم
الى معوية • فاراد قومنا قتل نبينا واجتياح اصلنا وهموا بنا الهموم وفعلوا بنا الافاعيل ومنعونا العذب واحلسونا الخوف
واضطرونا الى جبل وعر واوقدوا لنا نار الحرب فعزم الله لنا على الذب عن حوزته والرمي من وراء حرمته مؤمننا يبغي بذلك
الاجر وكافرنا يحامي عن الاصل ومن اسلم من قريش خلو مما نحن فيه بحلف يمنعه او عشيرة تقوم دونه فهم من القتل بمكان
امن وكان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا احمر الباس واحجم الناس قدم اهل بيته فوقى بهم اصحابه حر السيوف والاسنة
فقتل عبيدة بن الحرث يوم بدر وقتل حمزة يوم احد وقتل جعفر يوم موتة واراد من لو شئت ذكرت اسمه مثل الذي ارادوا
من الشهادة ولكن آجالهم عجلت ومنيته اخرت فيا عجبا للدهر اذ صرت يقرن بي من لم يسع بقدمي ولم يكن له كسابقتي التي لا
يدلي احد بمثلها الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال واما ما سالت من دفع قتلة عثمان اليك
فاني نظرت في هذا الامر فلم اره يسعني دفعهم اليك ولا الى غيرك ولعمري لئن لم تنزع عن غيك وشقاقك لتعرفنهم
عن قليل يطلبونك لا يكلفونك طلبهم في بر ولا بحر ولا جبل ولا سهل الا انه طلب يسوءك وجدانه وزور لا يسرك لقيانه
والسلام لاهله اقول هذا الفصل ملتقط من كتاب كتبه الى معوية وصورة كتاب معوية من معوية بن ابي سفيان الى
علي بن ابي طالب سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فان الله اصطفى محمدا بعلمه وجعله الامين
على وحيه والرسول الى خلقه واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الاسلام
فكان افضلهم في الاسلام وانصحهم لله ولرسوله الخليفة من بعده وخليفة الخليفة من بعد خليفته والثالث الخليفة
عثمان المظلوم فكلهم حسدت وعلى كلهم بغيت عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك الهجر وفي تنفسك الصعداء
وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع وانت كاره ثم لم تكن لاحد منهم باحسد
منك لابن عمك عثمان وكان احقهم ان لا تفعل ذلك به في قرابته وصهره فقطعت رحمه وقبحت محاسنه والبت
عليه الناس وبطنت وظهرت حتى ضربت اليه آباط الابل وقيدت اليه الخيل العتاق وحمل عليه السلاح في حرم رسول
الله صلى الله عليه وآله فقتل معك في المحلة وانت تسمع في داره الهائعة لا تردع عن نفسك فيه بقول ولا فعل
واقسم قسما صادقا لو قمت فيما كان من امره مقاما واحدا تنهنه الناس عنه ما عدل بك من قبلنا من الناس احدا
ولمحا ذلك عندهم ما كانوا يعرفونك به من المجانبة لعثمان والبغي عليه واخرى انت بها عند انصار عثمان ظنين
ايواؤك قتلة عثمان فهم عضدك وانصارك ويدك وبطانتك وقد ذكر لي انك تنتصل من دمه فان كنت صادقا
فامكنا من قتلة عثمان نقتلهم به ونحن من اسرع الناس اليك والا فانه ليس لك ولاصحابك الا السيف والذي لا اله
غيره لنطلبن قتلة عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى يقتلهم الله او لتلحقن ارواحنا بالله والسلم ثم دفع الكتاب الى
ابي مسلم الخولاني فقدم به الكوفة فكتب عليه السلم جوابه من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما
بعد فان اخا خولان قدم علي بكتاب منك تذكر فيه محمدا صلى الله عليه وآله وما انعم الله عليه من الهدى والوحي فالحمد لله
الذي صدقه الوعد وتمم له النصر ومكن له في البلاد واظهره على اهل العداوة والشنآن من قومه الذين وثبوا به وشنفوا له

واظهروا له التكذيب وبارزوه بالعداوة وظاهروا على اخراجه وعلى اخراج اصحابه والبوا عليه العرب وجامعوه على حربه
وجهدوا عليه وعلى اصحابه كل الجهد وقلبوا له الامور حتى ظهر امر الله وهم كارهون وكان اشد الناس عليه اسرته والادنى
فالادنى من قومه الا من عصم الله منهم يابن هند فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا ولقد اقدمت فاتحت اذ طفقت تخبرنا
عن بلاء الله تبارك وتعالى في نبيه محمد صلى الله عليه وآله وفينا فكنت في ذلك كجالب التمر الى هجر او كداعي مسدده الى
النضال وذكرت ان الله تعالى اجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم وكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في
الاسلام وكان افضلهم في الاسلام كما زعمت وانصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق وخليفة الخليفة الفاروق
ولعمري ان مكانهما في الاسلام لعظيم وان المصاب بهما لجرح في الاسلام شديد يرحمهما الله وجزاهما باحسن ما عملا
انك من صدق يعنا وابطل باطل جدونا وما انت والفاروق فالفاروق من فرق بين اعدائنا وذكرت ان عثمان
كان في الفضل ثالثا فان يك عثمان محسنا فسيلقى ربا شكورا لا يتعاظمه ذنب يغفره ولعمري اني لارجو اذا اعطى الله
الناس على قدر فضائلهم في الاسلام ونصيحتهم لله ولرسوله ان يكون نصيبنا في ذلك الاوفر ان محمدا صلى الله عليه وآله
لما دعا الى الايمان بالله والتوحيد كنا اهل البيت اول من آمن به وصدق فيما جاء به فلبثنا احوالا مجرمة وما يعبد الله في
ربع ساكن من العرب غيرنا ثم يتصل به قوله فاراد قومنا الى قوله نار الحرب ثم يتصل به ان قال وكتبوا علينا بينهم كتابا
لا يشاربوننا ولا يناكحوننا ولا يبايعوننا ولا نامن فيهم حتى ندفع اليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلوه ويمثلوا به
فلم نكن نامن فيهم الا من موسم الى موسم ثم يتصل به قوله ضوعف الله الى قوله بمكان امن ثم يتصل به ان قال وكان ذلك
ما شاء الله ان يكون ثم امر الله رسوله صلى الله عليه وآله بالهجرة ثم امره بعد ذلك بقتال المشركين ثم يتصل به قوله
فكان صلى الله عليه وآله اذا احمر البأس الى قوله لحرب ويتصل به ان قال والله ولي الاحسان اليهم والاثابة لهم بما
قد اسلفوا من الصالحات فما سمعت باحد هو انصح لله في طاعة رسوله ولا اطوع لرسول الله صلى الله عليه وآله في
طاعة ربه ولا اصبر على الاذى والضراء وحين البأس ومواطن المكروه مع النبي صلى الله عليه وآله من هؤلاء النفر الذين
سميت لك وفي المهاجرين خير كثير نعرفه جزاهم الله باحسن اعمالهم ثم قالت والتمييز بين المهاجرين وترتيب
درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على
ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب
في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ثم يتصل به اول الكلام المذكور في كتابه الى معاوية حين
مجلس الكتاب الى قوله عليه توكلت ثم يتصل به قوله من ذلك الكتاب وذكرت انه ليس لي ولاصحابي الا السيف ثم يتصل به قوله
ولعمري الكثير وهذا خبط عجيب من السيد رحمه الله مع وجود كتبه عليه السلام في كثير من التواريخ ولنرجع الى الشرح فنقول
الاجتياح الاستئصال والهموم القصود والحلس كساء رقيق يجعل تحت قتب البعير والوعر الصعب المرتقى والحوزة الناحية
وحوزة الملك بيضته والحلف العهد بين القوم والاحجام التأخر عن الامر واحد جبل بالمدينة ومؤتة بالضم اسم ارض بادنى
البلقاء دون دمشق والادلاء التقرب به وتزع عن الامر اي نهى عنه والغي الضلال والشقاق الخلاف والزور والاعلم

كتابهم

انه عليه السلام اجاب عن كل فصل من كلام معوية بفصل وهذا الفصل يشتمل على ذكر بلائه وبلاء من عرفه الله من بني هاشم
وفضيلتهم في الاسلام والكفر في جواب تفضيل معوية لغيره عليه حيث قال في صدد كتابه في ذكر محمد صلى الله عليه وآله
واجتبى له من المسلمين اعوانا ايده بهم الى قوله والثالث الخليفة المظلوم عثمان وصدر هذا الفصل من قوله ولعمري الى آخره
وفيه الى قوله الاوفر ايماء الى انه افضل الجماعة لان النصيب الاوفر من الثواب اذا كان على قدر الفضيلة كان سهمنا الاوفر فضيلة
وقوله ان محمدا الى قوله ومنيته اخرى شرح لفضيلته وفضيلة اهل بيته وتقرير لما اشار اليه من دعوى الافضلية وهو يجري
مجرى صغرى قياس ضمير من الشكل الاول وتقريرها ان هذه الحال المشروحة من كوننا اول من آمن بالله وصدق بما جاء
وعبد وصبر على بلائه وجاهد اعداءه مع رسوله صلى الله عليه وآله الصبر المشروح الى الغاية المذكورة وقد سبقت منا
الاشارة الى انه عليه السلام اول من عبد الله تعالى مع الرسول صلى الله عليه وآله وهو وخديجة ومن لحق بهم من المسلمين وانهم بقوا على ذلك
عدة سنين يتعبدون بشعاب مكة وغيرها سرا وكانت المشركون يبالغون في اذاهم وقيل ان المشركين بعد ظهور النبي
صلى الله عليه وآله بالنبوة لم ينكر عليه قريش حتى سب الهتهم فانكروا عليه وبالغوا في اذاه واغروا به صبيانهم فرموه بالحجارة
حتى ادموا عقبه وبالغوا في اذى المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالخروج الى الحبشة فخرج في الهجرة اليها احد
عشر رجلا منهم عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وخرجت قريش في طلبهم ففاتوهم
فخرجوا في طلبهم الى النجاشي فلم يمكنهم منهم ولم يزالوا يبالغون في اذى الرسول صلى الله عليه وآله ويعملون الحيلة في هلاكه حتى
روى احمد في مسنده عن ابن عباس قال ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
لو قد راينا محمدا قمنا اليه قيام رجل واحد فلا نفارقه حتى نقتله قال فاقبلت فاطمة عليها السلام تبكي حتى دخلت على النبي صلى
الله عليه وآله فاخبرته بقولهم وقالت لو قد راوك لقتلوك وليس منهم رجل الا وقد عرف نصيبه من دمك فقال
يا بنية ارني وضوءا فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد فلما راوه خفضوا ابصارهم ثم قالوا ها هو ذا ها هو ذا ثم لم يقم اليه منهم احد
فاقبل صلى الله عليه وآله حتى قام على رؤسهم فاخذ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شاهت الوجوه فما اصاب رجلا
منهم شيء منه الا قتل يوم بدر كافرا فذلك معنى قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا واجتياح اصلنا الى قوله نار الحرب وقوله
هموا بنا الهموم اي ارادوا بنا الارادات والافاعيل ارادات ايقاع الشر بنا والافعال القبيحة وقيل اراد بالهموم الحزن
اي هموا ان يفعلوا بنا ما يوجب الاحزان وقوله ومنعونا العذب اي طيب العيش واستعار لفظ الاحلاس لالزامهم لنا الخوف
واشعارهم اياه ملاحظة لمشابهته بالحلس في لزومه لهم وكذلك استعار لفظ النار للحرب ملاحظة لشبهها بها في
الاذى واقتباس ما يقع فيها ورشح بذكر الايقاد فاما قوله واضطرونا الى جبل وعر وقوله وكتبوا علينا بينهم كتابا فروي انه
لما اسلم حمزة وعمر والنجاشي ومن عنده من المسلمين وحامى ابو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وفشا الاسلام في القبائل
فاجتهد المشركون في اطفاء نور الله واجتمعت قريش وائتمروا بينهم ان يكتبوا كتابا يتعاهدون فيه على ان لا ينكحوا الى
بني هاشم وبني عبد المطلب ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا عليها وعلقوها
جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم فلما فعلوا ذلك انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى ابي طالب فدخلوا معه

في شعبه وخرج من بني هاشم ابو لهب فظاهروا المشركين وقطعوا عنهم الميرة والمارة وحصروهم في ذلك الشعب في اول
سنة سبع من النبوة وكانوا لا يخرجون الا من موسم الى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع صوت صبيانهم من وراء الشعب من
الجوع فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه فاقاموا على ذلك ثلث سنين حتى اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وآله
ان الارضة قد اكلت صحيفتهم ومحت منها ما كان فيه ظلم وجور وبقي فيها ما كان فيه ذكر الله فاخبر بذلك عمه ابا طالب
فامره ان يأتي قريشا فيعلمها بذلك فجاء اليهم وقال ان ابن اخي اخبرني بكذا وكذا فان كان صادقا نزعتم عن سوء رأيكم
وان كان كاذبا دفعته اليكم فقتلتموه او استحييتموه فقالوا قد انصفتنا فارسلوا الى الصحيفة فوجدوها كما اخبر صلى الله
عليه وآله فسقط في ايديهم وعرفوا انهم بالظلم والقطيعة فذلك معنى قوله واضطرونا الى جبل وعر الخ وقوله
فعزم الله لنا اي اراد لنا الارادة الجازمة واختار لنا ان نذب عن حوزة الاسلام ونحمي حوزته ان ينتهك وكنى عن حمايتها
بالرمي من ورائها وقوله مؤمننا الى قوله عن الاصل فكما اجمعنا نذب عن دين الله ونحمي رسوله وكان من آمن منا يرجو
بذلك الاجر من الله ومن كان حينئذ على كفره كالعباس وحمزة وابي طالب على قول فانهم كانوا يمنعون حوزة رسول
الله صلى الله عليه وآله مراعاة لاصلهم وقوله ومن اسلم من قريش الى قوله الحال الواو في قوله ومن الحال اي كانوا على تلك
الحال من الذب عن دين الله حال ما كان من اسلم من قريش عدا بني هاشم وعبد المطلب خالين مما نحن فيه من البلاء
آمنين من الخوف والقتل فمنهم من كان له حلف وعهد مع المشركين يمنعه ومنهم من كان له عشيرة تحفظه ولم
يظهر فضله عليه السلم وفضل بني هاشم وبني المطلب وبلاءهم في حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله ثم امره
الله بقتال المشركين كان يقدم اهل بيته فيقي بهم اصحابه حر السيوف واسنة الرماح وكنى باحمرار الباس عن شدة الحرب اذ
الباس فيها مستلزم لظهور حمرة الدماء وان كان استعمال هذا اللفظ لتلك الملاحظة في الكناية عن شدة الحرب
احمرار عن شدته وذلك في الحرب مما يستلزم ظهور الدماء وبدأ باسم من سميت بحاضرها اما عبيدة بن الحرث بن عبد
المطلب فقتله عتبة بن ربيعة وذلك انه لما التقى المسلمون والمشركون ببدر برز عتبة بن ربيعة واخوه شيبة
وابنه الوليد وطلبوا المبارزة فخرج اليهم رهط من الانصار فقالوا انما نريد اكفاءنا من المهاجرين فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله قم يا حمزة قم يا عبيدة قم يا علي فبارز عبيدة وهو اسن القوم عتبة بن ربيعة وبارز حمزة شيبة وبارز
علي الوليد فقتل علي وحمزة قرنيهما واختلف عبيدة وعتبة بضربتين فكلاهما اثبت صاحبه واجهز حمزة وعلي
باسيافهما على عتبة فقتلاه واحتملا عبيدة فجاءا به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قطعت رجله ومخها يسيل
فقال يا رسول الله الست شهيدا قال بلى فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم اني احق بما قال حيث يقول ونسلمه حتى
نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل واما حمزة بن عبد المطلب فقتله وحشي في وقعة احد بعد وقعة بدر
في سنة ثلث من الهجرة وكان سببها انه لما رجع من حضر بدرا من المشركين الى مكة وجدوا العير التي قدم فيها ابو
سفيان موقوفة في دار الندوة فمشى اشراف قريش الى ابي سفيان فقالوا نحن طيبوا الانفس ان تجهز بربح هذه العير جيشا
الى محمد فقال ابو سفيان انا اول من اجاب الى ذلك ومعي بنو عبد مناف فباعوها وكانت الف بعير وكان المال خمسين الف

دينار

دينار فضل الى اهل العير رؤسهم وحركت الارحام وبعثوا الرسل الى العرب يستنفرونهم فاجتمعوا في ثلاثة آلاف فيهم سبعمائة
دارع ومائتا فرس وثلثة آلاف بعير وبات بجماعته باب رسول الله صلى الله عليه وآله ورأى في نومه كانه في درع حصينة
وكان سيفه ذا الفقار قد انفصم وكان بقرا تذبح وكانه مردف كبشا فقال اما الدرع فالمدينة واما البقر فقتل بعض اصحابي
وانفصام سيفه مصيبة في نفسه والكبش كبش الكتيبة يقتله الله فكان المصيبة ان رماه عتبة بن ابي وقاص
بحجر فقذف رباعيته وهشم انفه وكلم وجهه وقيل الذي فعل ذلك عمرو بن قمية وكان ذلك اليوم صعبا على المسلمين
وروي ان هندا قامت في ذلك اليوم في نسوة معها تمثل بقتلى المسلمين وتجدع الآذان والانوف حتى اتخذت منها قلائد
وبقرت عن كبد حمزة ولاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها ومنه سمي معوية ابن آكلة الاكباد واما جعفر بن ابي طالب فقتل
في وقعة مؤتة وكانت هذه الوقعة في جمادي الاول سنة ثمان من الهجرة وكان من سببها ان رسول الله صلى الله عليه وآله
بعث الحرث بن عمير الازدي الى ملك بصرى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل لرسول الله
قبل ذلك غيره فشق عليه صلى الله عليه وآله ذلك فندب المسلمين وعسكر في ثلثة آلاف وقال اميركم زيد بن حارثة
فان قتل فجعفر بن ابي طالب فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا وامرهم ان يأتوا مقتل الحرث
بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان اجابوا والا قاتلوهم فسمع العدو بهم فجمعوا لهم وجمع لهم شرحبيل اكثر من مائة
الف فمضوا الى مؤتة فوافاهم المشركون فاخذ اللواء زيد فقاتل حتى قتل ثم اخذ جعفر فقاتل حتى قطعت يداه وقتل
ضربه رجل من الروم فقطعه نصفين فوجد في احد نصفيه احد وثلثون جرحا وسماه رسول الله
صلى الله عليه وآله ذا الجناحين يطير بهما في الجنة لقطع يديه يومئذ وقوله واراد من لو شئت ذكرت اسمه الى
قوله [illegible] اشارة الى نفسه اذ كان لكل امة اجل مربوطة به فاذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون ولما اشار الى دليل افضليته واهل بيته اردفه بالتعجب من الدهر حيث انتهى في اعداده له وتعلله
الى ان صار بحيث يقرن بي في الذكر والرتبة من لم يسع له مثل سابقته في الفضيلة التي لا يقرب احد الى الله سبحانه الا بها
وقوله الا ان يدعي مدع ما لا اعرفه اراد بالمدعي معوية وبما لا يعرفه ما عساه يدعيه من الفضيلة في الدين وسابقة
في الاسلام وقوله ولا اظن الله يعرفه نفي لعلم معرفة الله لذلك المدعى لاستلزامه نفي ان يكون لذلك المدعي فضيلة يعرفها
نفي ايضا عن نفسه علم معرفتها وهو اشارة الى انه لا وجود لتلك الفضيلة وما لا وجود له امتنع ان يعرفه الله تعالى
ولما اشار الى افضليته وعدم الفضيلة لمنازعه حمد الله تعالى على كل حال والاستثناء منقطع لان الدعوى
ليست من جنس السابقة واما جوابه لسؤاله قتلة عثمان فحاصله يعود الى انه عليه السلم فكر في امرهم فرأى انه لا يسعه
تسليم المعترفين بقتله الى معوية ولا الى غيره وذلك من وجوه احدها ان تسليم الحق الى ذي الحق عند المنازعة انما يكون بعد
تعيين المدعى عليه وثبوت الحق عليه وانما يكون ذلك بعد رفع الخصمين الى الحاكم واقامة البينة بالدعوى او الاقرار
من المدعى عليه ومعلوم ان معوية ومن طلب بدم عثمان لم يفعل شيئا من ذلك ولذلك قال عليه السلم لمعوية في موضع اخر واما
طلبك الي قتلة عثمان فادخل فيما دخل الناس فيه ثم حاكمهم الي احملك واياهم على الحق الثاني ان القوم الذين نضوا بقتله او قدروا في

بلغ

ذلك كانوا على حد من الكثرة وفيهم المهاجرون والانصار كما روي ان ابا هريرة وابا الدرداء اتيا معوية فقالا له علام تقاتل عليا
وهو احق بالامر منك لفضله وسابقته فقال لست اقاتله لاني افضل منه ولكن ليدفع الي قتلة عثمن فخرجا من عنده
واتيا عليا فقالا له ان معوية يزعم ان قتلة عثمان عندك وفي عسكرك فادفعهم اليه فان قاتلك بعدها علمنا انه
ظالم لك فقال علي اني لم احضر قتل عثمن يوم قتل ولكن هل تعرفان من قتله فقالا بلغنا ان محمد ابن ابي بكر وعمارا والاشتر
وعدي بن حاتم وعمرو بن الحمق وفلانا وفلانا ممن دخل عليه فقال علي فامضيا اليهم فخذوهم فاقبلا الى هولاء
النفر وقالا لهم انتم من قتل عثمان وقد امر امير المومنين باخذكم قال فوقعت الصيحة في العسكر بهذا الخبر فوثب من
عسكر علي اكثر من عشرة آلاف رجل في ايديهم السيوف وهم يقولون كلنا قتله فبهت ابو هريرة وابو الدرداء ثم رجعا
الى معوية وهما يقولان لا يتم هذا الامر ابدا فاخبراه بالخبر واذا كان القاتلون والمتعصبون لهم بهذه الكثرة فكيف يمكنه
عليه السلم تسليمهم وتمكين احد منهم الثالث انه كان في جماعة الصحابة المشهود لهم بالجنة من يرى ان عثمن كان يستحق
القتل باحداثه كما روي نصر بن مزاحم ان عمارا قام في بعض ايام صفين قائما في اصحابه وقال انهضوا معي عباد الله الى
قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم انما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الامرون بالاحسان فقال هولاء الذين
لا يبالون لو سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لاحداثه فقالوا انه ما احدث شيئا وذلك لانه مكنهم
من الدنيا فهم ياكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدمت عليهم الجبال واذا اعترف مثل هذا الرجل على جلالته
بالمشاركة في قتله وعلل ذلك باحداثه احتمل ان يقال انه عليه السلم فكر في هذا الامر وراى ان هذا الجمع العظيم
من المهاجرين والانصار والتابعين لا يجوز ان يقتلوا رجلا واحدا احدث احداثا نقموها عليه جملة المسلمين وقد
استعتب فلم يرجع فادى ذلك الى قتله ولم يسعه تسليمهم الى من يطلب بدمه لما يستلزمه ذلك من ضعف
الدين وهدمه ثم اقسم عليه السلم بهذا الدم ان طلب من القوم ان لم يرجع عن ضلاله الى الطريق الحق عن طرق الباطل
وترك الخلاف ليكونن من الطالبين له ومحل يطلبونك النصب مفعولا ثانيا للتعرف بمعنى تعلم وباقي الكلام من تمام
التهديد ويريد بالزور المصدر ولذلك افرد ضميره في القيامة ويحتمل ان يريد الزائرين وافرد الضمير نظرا الى اللفظ
وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى معوية وكيف انت صانع اذا تكشفت عنك جلابيب ما انت فيه من
دنيا قد تبهجت بزينتها وخدعت بلذتها دعتك فاجبتها وقادتك فاتبعتها وامرتك فاطعتها وانه يوشك ان يقفك
واقف على ما لا ينجيك منه مجن فاقعس عن هذا الامر وخذ اهبة الحساب وشمر لما قد نزل بك ولا تمكن الغواة من سمعك
والا تفعل اعلمك ما اغفلت من نفسك فانك مترف قد اخذ الشيطان منك ماخذه وبلغ فيك امله وجرى منك
مجرى الروح والدم ومتى كنتم يا معوية ساسة الرعية وولاة امر الامة بغير قدم سابق ولا شرف باسق ونعوذ بالله من لزوم
سوابق الشقاء واحذرك ان تكون متماديا في غرة الامنية مختلف العلانية والسريرة وقد دعوت الى الحرب فدع الناس
جانبا واخرج الي واعف الفريقين من القتال لتعلم اينا المرين على قلبه والمغطى على بصره فانا ابو حسن قاتل جدك واخيك
وخالك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب القى عدوي ما استبدلت دينا ولا استحدثت نبيا واني لعلى

المنهاج الذي تركتموه طائعين ودخلتم فيه مكرهين وزعمت انك جئت ثائرا بدم عثمان ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك ان كنت طالبا فكاني
قد رايتك تضج من الحرب اذا عضتك ضجيج الجمال بالاثقال وكاني بجماعتك تدعوني جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع
ومصارع بعد مصارع الى كتاب الله وهي كافرة جاحدة او مبايعة حائدة اقول اول هذا الكتاب من عبد الله امير المومنين
الى معوية بن ابي سفيان سلام على من اتبع الهدى فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فانك قد رايت من الدنيا وتصرفها
باهلها فيما مضى منها وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ومن نسي الدنيا نسيان
الاخرة يجد بينهما بونا بعيدا واعلم يا معوية انك قد ادعيت امرا لست من اهله لا في القدم ولا في البقية ولا في الولاية
ولست تقول فيه بامر بين يعرف لك فيه اثرة ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ولا عهد تدعيه من رسول الله صلى الله عليه وآله فصل
فكيف انت الفصل والجلباب الملحفة وتبهجت تحسنت وتزينت ويوشك بالكسر يقرب ووقفه على ينه اي اطلعه عليه
والمجن الترس ويروى منج واقعس اي تاخر والاهبة العدة وهو ما يهيا للامر وشمر … والاغفال الاهمال
والترف والمترف الذي اطغته النعمة والباسق الطائل والتمادي في الامر طول المدة فيه والغرة الغفلة والامنية ما يتمنى والرين
الغلبة والتغطية والمرين على قلبه من غلبت عليه الذنوب وغطت عين بصيرته الملكات الرديئة والشدخ كسر الشيء الاجوف
والثائر الطالب بالدم والضجيج الصياح والحائد العادل وقد استفهم عن كيفية صنعه عند مفارقته لدنياه استفهاما
تنبيه له على غفلته عما وراءه من احوال الاخرة وتذكيرا له بها واستعار لفظ الجلابيب للذات الحاصلة له في الدنيا
بمتاعها وزينتها ووجه الاستعارة كون تلك اللذات ومتعلقاتها احوالا حائلة بينه وبين ادراك ما وراءه من احوال
الاخرة مانعة له من ذلك كما يستر الجلباب ما وراءه ورشح الاستعارة بذكر التكشف ولفظ ما يحول بينه … دنيا
مع سائر صفاتها وهي تحسنها وزينتها واسند اليها التبهج مجازا اذ الحاصل لها ذلك بجعل ناسها بل الله تعالى وفي قوله
وخدعت مجاز في الافراد والتركيب اما في الافراد فلان حقيقة الخديعة ان يكون من انسان لغيره فاستعملها هنا
كون الدنيا بسبب ما فيها من اللذات موهمة لكونها مقصودة بالذات وانها كمال حقيقي مع انها ليست كذلك
يشبه الخدعة واما في التركيب فلان كونها موهمة لذلك ليس من فعلها بل من اسباب اخرى منتهى الى الله سبحانه وكذلك
التجوز في قوله دعتك وقادتك وامرتك فان الدعاء والقود والامر لها حقا معلومة لكن لما كانت تصوراتها
اسبابا لها اشبهت تلك التصورات الدعاء في كونه سببا جاذبا الى الداعي فاطلق عليها لفظ الدعاء وكذلك اطلق
على تلك التصورات لفظ القود والامر باعتبار كونهما اسبابا مستلزمة لاتباعها كما ان الامر والقود يوجبان الاتباع
في التركيب فلان تلك التصورات التي اطلق عليها لفظ الدعاء والقود والامر مجازا ليس فاعلها وموجبها هو الدنيا بل
العلم ولما كانت الجاذبة للدنيا واتباعها وطاعتها معاصي يخرج الانسان بها عن حدود الله ذكرها في توبيخه وذمه
ولما يوشك بذكر يقرب لاطلاعه على من يخاف من احوال الاخرة والوصول اليها اللازم عن لزوم المعاصي …
لم … عن اصرار على معصية الله بما عاشه الناس لراى يقرب ان يطلعه مطلع على الابد … منه مما يخاف من …
وما استلزمه معاصيه من لحوق العذاب وظاهر ان تلك امور غفلت عنها العصاة في الدنيا ما داموا في حجب الابدان …

وقد مرت الاشارة الى ذلك غير مرة
منه

نزعت عنهم تلك الحجب اطلعوا على ما قدموا من خير او شر وما اعد لهم بسبب ذلك من سعادة او شقاوة كما اشار اليه سبحانه
بقوله يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ الآية وذلك المطلع والموقف هو الله سبحانه ويحتمل ان يريد به نفسه عليه السلم على
سبيل التوعد له والتهديد بالقتل المستلزم لذلك الاطلاع اذ دام على غيه وظاهر ان تلك الامور التي يقف عليها
لا نصيب منها منج ثم اردف ذلك التوبيخ والتهديد بالعرض لهما وهو امره بالتاخر عن امر الخلافة ثم اردف ذلك بما
يستلزم التخويف والتهديد وهو امره باخذ الاهبة للحساب والاستعداد له بعدته وهي طاعة الله وتقواه ومجانبة
معاصيه وبالتشمير لما قد نزل به وكنى بالتشمير عن الاستعداد ايضا وما نزل به اما الموت او القتل وما بعدهما ثم نزل
ما لا بد من وقوعه او هو في مظنة الوقوع منزلة الواقع ويحتمل ان يريد به الحرب التي يريد ان يوقعها به ثم نهاه عن
تمكين الغواة من سمعه وكنى به عن اصغائه اليهم فيما يشيرون به عليه من الآراء المستلزمة للبعد عن الله المعصية ادنى
شان الغاوي الاغواء والغواة كعمرو بن العاص ومروان ومن كان يعتضد به في الراي وقوله والا تفعل اي ان لم تفعل ما
امرتك به اعلمك ما تركته من نفسك ومفعول تركت ضميرها وقوله من نفسك بيان لذلك الضمير وتفسير له
واغفال النفس ترك اصلاحها بما يخلصها من اهوال الحرب وعذاب الآخرة وهو ملازمة طاعة الله واقتناء
الفضائل النفسانية ثم فهم من ذلك الاعلام الذي توعده به الاعلام بالفعل فان مضايقته بالحرب والقتال
يستلزم اعلامه ما اغفل من نفسه من طاعة الله المستلزمة للراحة وقوله فانك الى قوله العزيز وصف له
بمذام يستلزم اعلامه بالقول ما اغفل من نفسه فالترف مستلزم لتجاوز الحد الذي ينبغي من شكر ذلك
الحد فضيلة تحت العفة وكون الشيطان قد اخذ منه ماخذه وبلغ فيه امله وجرى منه مجرى الروح والدم
في القرب يستلزم وصفه بكل الرذائل المستلزمة لاضدادها من الفضائل ثم اخذ في استفهامه عن وقت كون
بني امية ساسة الرعية وولاة امر الامة استفهاما على سبيل الانكار لذلك والتقريع بالخمول والقصور عن رتبة
الملوك والولاة والقدم السابق كناية عن التقدم في الامور والاهلية لذلك دينه بقوله بغير قدم سابق على ان
الشرف والتقدم في الامور شرط لتلك الاهلية في التعارف وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول تقديرها انتم
بغير قدم سابق وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس باهل السياسة الرعية وولاة امر الامة ينتج انكم لستم اهلا
لذلك وهو عين ما استنكره بعينه وظاهر انهم لم يكن فيهم من اهل الشرف اهل لذلك ثم استعاذ من لزوم ما سبق في القضاء
الالهي من الشقاء تنبيها على ان معوية في مرض وصدوده لما هو عليه من المعصية وتغيير الاعراض عنها ثم حذره من امرين
احدهما تماديه في غفلة الاطماع والاماني الدنيوية والثاني كونه مختلف العلانية والسريرة وكنى بذلك عن النفاق ووجه التحذير
ما يستلزمانه من لزوم الشقاء في الآخرة وقد كان معوية دعاه الى الحرب فاجابه بجواب مسكت وهو قوله فدع الناس جانبا الخ
وبين عثمان وانتصب جانبا على الظرف والتاجيل مبارزة الرسيا العطيه بانه مغطى على قلبه وبصيرته بحجب الدنيا
وجلابيبها ثم مثال من لوازم العلم باحوال الآخرة وفضلها على الدنيا الثبات عند المبارزة في طلبها ولا الذي الى الاهل
حتى ربما يكون بحيث القتل من لوازم ذلك العلم ايضا وقد كان عليه السلم يعلم من حاله انه لا يثبت له ويعرف منه محبة البقاء

في الدنيا

في الدنيا فلذلك دعاه الى المبارزة ليعلمه بالقدر اما عليه من قراره منه انه ليس طالب الله وطريق الآخرة في قتاله وان حجب الشهوات الدنيا
قد غطت عين بصيرته عن احوال الآخرة وطلبها وكان فراره منه مستلزما لعدم علمه بالآخرة المستلزم للرين على قلبه
دالا عليه وفي ذلك تهديد وتخويف وكذلك في اعترافه وانتسابه وتذكيره بكونه قاتل من قتل من اهله شدخا يوم بدر
في معرض التخويف والتحذير له ان يصيبه ما اصابهم ان اصر على المعصية وجده المقتول هو جده لامه عتبة بن ربيعة فانه
كان ابا هند وخاله الوليد بن عتبة واخوه هو حنظلة بن ابي سفيان قتلهم جميعا عليه السلم يوم بدر وكذلك تذكيره
بقاء ذلك السيف والقلب معه يلقى بهما عدوه وبكونه لم يستبدل دينا ولا نبيا وانه على المنهاج الذي تركوه طائعين
ودخلوه مكرهين وهو طريق الاسلام الواضحة كل ذلك في معرض التحذير والتوبيخ بالنفاق ثم اشار الى الشبهة التي
كانت سببا لثوران الفتن العظيمة وانشعاب امر الدين وهي شبهة الطلب بدم عثمان التي كانت عمدة ثم في عصيانه
وخلافه واشار الى الجواب عنها من وجهين احدهما انه عليه السلم ليس من قتلة عثمان فلا مطالبة عليه وانما يتوجه
المطالبة على قاتله وهو يعلمهم والثاني المنع لما زعم من كونه طالبا بدم عثمان وانما مطلوبه امر اخر ونبه على ذلك المنع
بقوله ان كنت طالبا فان ايقاع الشك هنا بان يستلزم عدم تسليم كونه طالبا بدم عثمان ثم عقب بتخويفه بالحرب
وما يستلزمه من الثقل الى الغاية المذكورة وههنا ثلث تشبيهات احدها المدلول عليه بقوله فكاني قد رايتك
والمشبه ههنا نفسه عليه السلم في حال كلامه هذا والمشبه به هو ايضا نفسه لكن من حيث هي رائية رؤية
محققة وتحقيق ذلك ان نفسه لكمالها واطلاعها على الامور التي ستكون كانها مشاهدة لها ووجه التشبيه
بينهما القياس الى حالتيها حالة المعلوم وظهوره لها في الحالتين الثاني قوله تضج ضجيج الجمال بالاثقال ووجه الشبه شدة
تبرمه وضجره من ثقلها كثرة تبرم الجمل المثقل بالحمل وضجيجه كناية عن تبرمه واستعار لفظ العض لفعلها ملاحظة
لشبهها بالسبع العقور ووجه المشابهة استلزام ذلك الاثقال للالم كاستلزام العض له الثالث قوله وكاني بجماعتك
والمشبه هنا ايضا نفسه والمشبه به ما دلت عليه باء الالصاق وكانه قال كاني متصل او ملتصق بجماعتك حاضر
معهم ومحل يدعونني النصب على الحال والعامل ما في كان من معنى الفعل اي اشبه نفسي الحاضر حال دعائهم لي وجزعا
مفعول له ويجوز بلفظ القضاء في المقضي من الامور التي توجد عن القضاء الالهي اطلاقا لاسم السبب على المسبب وقوله
ومصارع بعد مصارع والمصرع هنا مصدر اي جزعا من مصارع يلحق بعضهم بعد بعض او يلحقهم بعد مصارعهم
السابقة وقد كان اطلاعه عليه السلم على دعائهم له الى كتاب الله قبل وقوعه من آيات البلغة والواو في قوله وهي للحال
والعامل فيه يدعونني والكافرة الجاحدة للحق من جماعته اشارة الى المنافقين منهم وقد كان فيهم جماعة كذلك والمبايعة الحائدة
الذين بايعوه وعدلوا عن بيعته الى معوية **ومن وصية له عليه السلم** وصى بها جيشا بعثه الى العدو فاذا نزلتم بعدو
او نزل بكم فليكن معسكركم من قبل الاشراف او سفاح الجبال او اثناء الانهار كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا ولتكن
مقاتلتكم من وجه او اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلا ياتيكم العدو من مكان مخافة
او امن واعلموا ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا واذا ارتحلتم

فارتحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفة ولا تذوقوا النوم الا غرارا او مضمضة اقول هذا الفصل ملتقط
من كتاب كتبه عليه السلم الى زياد بن النضر الحارثي حين سرحه على مقدمته الى الشام من النخيلة لما اراد الخروج من الكوفة
اليها وكان قد بعث معه شريح بن هاني فاختلفا فكتب كل منهما اليه يشكوا من صاحبه فكتب عليه السلم اليهما اما بعد
فاني وليت زياد بن النضر مقدمتي وامرته عليها وشريح على طليعة منها امير فان جمعكما باس فزياد على الناس وان افترقتما
فكل واحد منكما امير على الطائفة التي وليته عليها واعلما ان مقدمة القوم عيونهم وعيون المقدمة طلائعهم فاذا انتما
خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض الشعاب والشجر والخمر في كل جانب كيلا
يغتركما عدو او يكون لهم كمين ولا تسيرن الكتائب الا من لدن الصباح الى المساء الا على تعبية فان دهمكم داهم او غشيكم مكروه
قد تقدمتم في التعبية ثم يتصل بقوله فاذا نزلتم الى قوله واياكم والتفرق فاذا نزلتم فانزلوا جميعا
واذا رحلتم فارحلوا جميعا واذا غشيكم الليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم
وما اقمتم فكذلك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة ولا تلفى لكم غرة فما من قوم يحفون عسكرهم برماحهم وترسهم
من ليل او نهار الا كانهم في حصون واحرسا عسكركما بانفسكما واياكما ان تذوقا نوما حتى تصبحا الا غرارا او مضمضة
ليكن ذلك شانكما ودأبكما حتى تنتهيا الى عدوكما وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما فاني ولا شيء الا ما شاء الله
حثيث السير في آثاركما عليكما في حربكما بالتؤدة واياكما والعجلة الا ان تمكنكما فرصة بعد الاعذار والحجة واياكما ان
تقاتلا حتى اقدم عليكما الا ان تبدءا او ياتيكما امري ان شاء الله ولنرجع الى الشرح فنقول العين الجاسوس وطليعة الجيش
الذي يبعث ليطلع على حال العدو ونفض الشعاب استقراؤها والخمر ما واراك من شجر او جبل ونحوهما والكمين الواحد
او الجمع يستخفون في الحرب حيلة للايقاع بالعدو والكتيبة الجيش وتعبيته جمعه واعداده والزحم العدد الكثير و
بفتح الكاف موضع العسكر والاشراف جمع شرف بفتح الراء وهو المكان العالي وقبلها بضمتين او ضمه وسكون ما قبالتها
وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء واثناء الانهار جمع ثني وهو منعطفها والردء العون في المقاتلة والرقباء الحفظة
صياصي الجبال وهي اعاليها واطرافها والهضاب جمع هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الارض وكفة الكف مستديرة
والغرار النوم القليل والمضمضة حركة النعاس في العين وهو كناية عن قلة النوم ايضا والترسة جمع ترس واعلم ان مقصد
الكتاب ظاهر الا ان فيه نكتة وهي انه كرر لفظ الا عقيب النهي عن تسيير الكتائب ومما يفيد ان الحصر اما الاول فيفيد
حصر التسيير في الوقت المشار اليه واما الثانية فتفيد حصره في حال التعبية وفي هذا الكتاب من تعليم كيفية الحرب
قوانين كلية عظيمة النفع يستلزم استعمالها الظفر بالعدو وتفصح عن تكذيب من ادعى انه لا علم له بالحرب كما حكاه
عليه السلم عن قريش فيما مضى وفي هذا الفصل جملة منها الاول ان يجعلوا المعسكر عند منازلة العدو قدام الاماكن
العالية وسفاح الجبال واثناء الانهار وكشف عن العلة في ذلك ووجه المصلحة فيه بقوله كيما يكون ردءا لهم اي
هذه الاماكن حافظة لكم من ورائكم مما تخشون العدو ان ياتيكم من تلك الجهة وبذلك كانت منه الثاني ان تكون مقاتلتهم
من وجه واحد فان لم يكن فمن وجهين حيث يحفظ بعضهم ظهر بعض وسر انه يستلزم الثقة على الجمعية واما المقاتلة

من وجوه كثيرة فتسلم من التفرق والضعف الثالث ان يجعلوا لهم حفظة في الاماكن العالية وعلة ما ذكر وهو ان لا ياتيهم العدو
من مكان يخافون منه او يامنون على غرة وغفلة من الاستعداد له الرابع ان يعلموا ان مقدمة القوم عيون لهم وعيون
المقدمة طلائعهم فلا يهملوا التاهب عند ورود المقدمة او الطليعة وان قل عددهم لان رؤيتهم مما يشعر بحضور العدو
وقربه الخامس التحذير من التفرق ورضي لوازمه الامر بالاجتماع حالتي النزول والارتحال وسره ظاهر السادس ان يحفوا
الرماح مستديرة عليهم وان لا يستغرقوا في النوم كما يفعله الغافل المطمئن وسرها الحراسة والتحفظ خوف هجوم العدو
على الغرة وحال النوم وبالله التوفيق ومن وصية له عليه السلم لمعقل بن قيس الرياحي حين انفذه الى الشام في ثلثة آلاف
مقدمة له اتق الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه ولا تقاتلن الا من قاتلك وسر البردين وغور بالناس ورفه
في السير ولا تسر اول الليل فان الله تعالى جعله سكنا وقدره مقاما لا ظعنا فارح فيه بدنك وروح ظهرك فاذا وقفت حين
ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر فسر على بركة الله فاذا لقيت العدو فقف من اصحابك وسطا ولا تدن من القوم دنو من يريد ان ينشب
الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الباس حتى ياتيك امري ولا يحملنكم شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم اقول
روي انه عليه السلم بعثه من المداين في ثلثة آلاف وقال له امض على الموصل ثم انفذ حتى توافيني بالرقة ثم قال له اتق الله فذكر
حتى اتى الحديث وهي اذا الناس اتى بالموصل محمد بن مروان ثم مضوا حتى لحقوه عليه السلم بالرقة
والبردان الغداة والعشي وكذلك الابردان والتغوير القيلولة وغور اي نزل في القائرة وهي القائلة ونصف النهار والترفيه
الاراحة والسكن ما يسكن فيه واليه والظعن الارتحال والانبطاح الاتساع والانبساط وانبت الشيء بالشيء علقه به والشنآن
البغض والعداوة ولما كان معقل بن قيس متوجه السفر الى الله تعالى في جهاد اعدائه امره بتقواه الذي هو خير زاد في
السفر وفي قوله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه فوائد احدها جذبه الى التقوى بالتخويف من لقاء الله الثانية
تسهيل الجهاد عليه فانه لما كان معتقدا ان الجهاد طاعة مقربة الى الله تعالى استشعر بوجوب لقائه ليستعد بتلك الطاعة
التي هو بصددها لما يضطر اليه من لقائه الثالثة امره بتقوى الله خوفا من ضرورة لقائه تعالى ليكون اسرع الى ما يامره به
وينهاه عنه من الامور المذكورة في وصيته فمنها ان لا يقاتل الا من قاتله فان قتال غير المقاتل ظلم ومنها ان يسير طرفي
النهار لبردهما وغور في وسطه لما تستلزمه القائلة من شدة الحر والمتاعب فيه وان يرفه في السير بالضعيف
القوي ولا يظهر التعب على الناس لحاجتهم الى فضل القوة واستبقائها وان لا يسير في اول الليل لان الله جعله سكنا
ومقاما يستراح فيه من المتاعب ويسكن اليه بعد التعب حتما ولم يجعله محل الظعن وامره ان يريح فيه بدنه و
ظهره اي خيله واطلق عليه لفظ الظهر مجازا اطلاقا لاسم المظروف على الظرف وان يفصل بين بعد توقفه
في ليله حين ينبطح السحر او حين ينفجر الفجر لانهما مظنة طيب السير وان يقف من اصحابه عند لقاء العدو وسطا
ليكون نسبة الطرفين في الرجوع اليه والاستمداد منه على سواء ومن النواهي ان لا يدنو من القوم دنو
من يشعرهم بارادة ايقاع الفتنة ليكون اعذر عند الله والى القوم في دعائهم الى الحق ولا يتباعد عنهم تباعدا يشعر
بخوفه ورهبته من عدوه لئلا يطمع فيه العدو وضرب له في هذين النهيين غاية هي ورود امره عليه باحد ماوك

لا يحملنهم بغضهم وعداوتهم على قتالهم قبل دعائهم الى الاسلام الحق والاعذار اليهم بذلك فيكون قتالهم على ذلك الوجه لغير الله بل بمجرد الهوى والعداوة فيخرج عن كونه طاعة وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم الى اميرين من امراء جيشه وقد امرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحرث الاشتر فاسمعا له واطيعا واجعلاه درعا ومجنا فانه ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ولا اسراعه عما البطؤ عنه امثل اقول الاميران المشار اليهما هما زياد بن النضر وشريح بن هانی وذلك انه حين بعثهما على مقدمته في اثنى عشر الفا لقيا ابا الاعور السلمى في جند من اهل الشام فكتبا اليه يعلمانه بذلك فارسل الى الاشتر فقال له ان زيادا بن النضر وشريحا ارسلا الي يعلماني انهما لقيا ابا الاعور في جند من اهل الشام بسور الروم فنبأني الرسول انه تركهم متوافقين فالنجاء الى اصحابك النجاء فاذا اتيتهم فانت عليهم واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبدؤك حتى تلقاهم وتسمع منهم ولا يجرمنك شنآنهم على قتالهم قبل دعائهم والاعذار اليهم مرة بعد مرة واجعل على ميمنتك زيادا وعلى ميسرتك شريحا وقف من اصحابك وسطا ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا تباعد منهم تباعد من يهاب الناس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير اليك ان شاء الله وكتب اليهما عليه السلم اما بعد فاني امرت عليكما الفصل والسقطة الزلة والحزم ضبط الرجل امره واخذه باولى الاراء واقربها الى الصواب والامثل الاقرب الى الخير وقد امرهما باوامر منها ان يسمعا امر اميرهما فيما يراه اصلح ويطيعاه في ذلك ليكون به نظام امورهم في لقاء عدوهم المستلزم لظفرهم وان يجعلاه درعا ومجنا في الحرب والراي فانه ممن لا يخاف ضعفه في حرب ولا زلته في راي ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم واولى بالراي من الافعال ولا اسراعه فيما البطؤ عنه اولى بالتدبير واقرب الى الخير بل يضع كل شيء موضعه ولفظ الدرع والمجن مستعاران باعتبار وقايته لهم من شر عدوهم كما يقي الدرع والمجن صاحبهما وبالله التوفيق ومن وصية له عليه السلم لعسكره بصفين قبل لقاء العدو لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة وترككم اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة باذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء باذى وان شتمن اعراضكم وسببن امراءكم فانهن ضعيفات القوى والانفس والعقول ان كنا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المراة في الجاهلية بالفهر او الهراوة فيعير بها وعقبه من بعده اقول روي انه عليه السلم كان يوصي اصحابه في كل موطن يلقون العدو فيه بهذه الوصية المعور المريب واعور الصيد امكن من نفسه واعور الفارس ظهر فيه موضع خلل للضرب فهو معور واجهز على الجريح قتله واهجت الشيء اثرته والفهر الحجر المستطيل الاملس والهراوة كالدبوس والعقب الولد وولد الولد وقد وصى في هذا الفصل باموره منها ان لا يقاتلوهم الى ان يبدؤهم بالقتال واشار الى ان ذلك يكون حجة ثانية عليهم واومى بالحجة الاولى الى قوله تعالى فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ وظاهر ان هؤلاء بغاة على الامام الحق فوجب قتالهم واما الثانية فهي تركهم حتى يبدؤا بالحرب وبيان هذه الحجة من وجهين احدهما انهم اذا بدؤا بالحرب فقد تحقق دخولهم في حرب الله وحرب رسوله لقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي وتحقق سعيهم في الارض بالفساد بقتلهم النفس التي حرم الله ابتداء بغير حق وكل من تحقق دخوله في ذلك دخل في عموم قوله تعالى إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ الاية الثاني ان البادي بالحرب معتد ابتداء وكل معتد كذلك فهو يعتدى عليه لقوله

تعالى

تعالى فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ الاية فوجب الاعتداء عليهم اذا بدؤا بالحرب الثاني ووصاهم على تقدير وقوع الهزيمة فيهم باذن الله ان لا يقتلوا مدبرا اي موليا هاربا ولا تصيبوا معورا وهو الذي امكنتهم الفرصة في قتله بعد انكسار العدو كالمعور من الفصل وقيل اراد بالمعور المريب وهو الذي وقع فيه الشك انه محارب ام لا اي لا تقتلوا الا من علمتم انه محارب لكم الثالث ان لا تجهزوا على جريح وهذه الامور الاربعة المنهي عنها ههنا هي من احكام الكفار حال الحرب ففرق عليه السلم بين هؤلاء البغاة وبينهم فيها وان اوجب قتالهم وقتلهم ويلوح بذلك من احكامهم ما نقل نصر بن مزاحم تماما لهذا الفصل بعد قوله ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل واذا وصلتم الى رجال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيئا من اموالهم ثم يتصل بقوله ولا تهيجوا النساء والمراد بذلك ان لا تثيروا شرورهن باذى وان بلغن الغاية المذكورة من شتم الاعراض وسب الامراء وعلل اولوية الكف عنهن بكونهن ضعيفات القدرة عن مقاومات الرجال وحربهم وسلاح الضعيف والعاجز لسانه وبكونهن ضعيفات الانفس اي لا صبر لنفوسهن على البلاء فيجتهدن في دفعه بما امكن من سب وغيره وبكونهن ضعيفات العقول اي لا قوة لعقولهن ان ترى عدم الفائدة في السب والشتم وانه من رذائل الاخلاق وانه يستلزم زيادة الشرور واثارة الطباع التي يراد تسكينها وكفها وقوله ان كنا الى اخره تنبيه على الامر بالكف عنهن لانه اذا امر بالكف عنهن حال كونهن مشركات ففي حال اظهارهن للاسلام اولى والواو في وانهن للحال وقوله وان كان الرجل الى اخره تنبيه على ما في اذاهن من المفسدة وهي السبة اللازمة لفاعله في حال حياته وبعد وفاته وذلك تنفير عن اذاهن في معرض النهي عنه وتناولها بالفهر والهراوة كناية عن ضربها بهما وان في قوله وان كنا وفي قوله وان كان هي المخففة من الثقيلة وتلزم اللام خبرها فرقا بينها وبين ان النافية وكان يقول عليه السلم اذا لقي العدو محاربا اللهم اليك افضت القلوب ومدت الاعناق وشخصت الابصار ونقلت الاقدام وانضيت الابدان اللهم قد صرح مكنون الشنآن وجاشت مراجل الاضغان اللهم انا نشكو اليك غيبة نبينا وكثرة عدونا وتشتت اهوائنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين اقول روي انه كان عليه السلم اذا اشتد القتال ذكر اسم الله حين يركب ثم يقول الحمد لله على نعمه علينا وفضله العميم سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يستقبل القبلة ويرفع يديه ويقول اللهم اليك نقلت الاقدام الفصل الى قوله خير الفاتحين ثم يقول سيروا على بركة الله ثم يقول الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر يا الله يا احد يا صمد يا رب محمد بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم اياك نعبد واياك نستعين اللهم كف عنا ايدي الظالمين وكان هذا شعاره بصفين وافضت خرجت اليه عن كل شيء ووصلت اليه خالصة بسرها وشخوص البصر ارتفاعه نحو الشيء بحيث لا يطرف وانضاء الابدان هزالها وصرح ظهر وهو فعل لازم والشنآن العداوة والبغضاء ومكنونه المستور منه والمراجل القدور وجيشانها غليانها والفتح الحكم والفاتح الحاكم ولما كان مراده عليه السلم جهادا خالصا لله وعبادة له ومن كمال العبادة التضرع الى الله وتوجيه السر اليه اذ كان ذلك هو سر العبادة وفائدتها الاجرية كان دابه في جهاده التضرع والالتفات الى الله بهذا الفصل وامثاله مع ما يستلزمه من طلب النصر والاعداد له فاشار بافضاء القلوب الى الاخلاص له في تلك الحال

الاعناق وشخوص الابصار الى ما يستلزمه الاخلاص من الهيآت البدنية ونقل الاقدام وانضاء الابدان الى آخر تلك السفر وما
يستلزمه من المتاعب انما هو لوجهه وغاية الوصول الى رضاه ثم اشار الى علة قتالهم في معرض الشكاية الى الله تعالى
وهي تحريضهم بما كان مستقرا في صدورهم في حياة الرسول صلى الله عليه وآله من العداوة والبغضاء وحيث استعانهم الى
ما فعل بهم بيده واخرج ضغائنهم من المواطن ولفظ المراجل مستعار ووجه المشابهة غليان دماء قلوبهم عن الاحقاد كغليان
المراجل ولفظ الجيش ترشيح ثم لما كانت غيبة النبي صلى الله عليه وآله وفقده هو السبب الذي استلزم تصرع الشنآن
وظهور الاضغان وكثرة العدو وتفرق الاهواء لاجرم شكا الى الله من تحققها وما يستلزمه من هذه الشرور ثم سال الله ان يحكم
بينه وبينهم بالحق اقتباسا من القرآن الكريم لما ان ايقاع الحكم الحق بينهم يستلزم نصرته عليهم وتظفره بهم اذ كان هو المحق في
جهاده وبالله التوفيق **وكان عليه السلام** يقول لاصحابه عند الحرب لا تشتدن عليكم فرة بعدها كرة ولا جولة بعدها حملة واعطوا
السيوف حقوقها ووطنوا للجنوب مصارعها واذمروا انفسكم على الطعن الدعسي والضرب الطلحفي واميتوا الاصوات
فانه اطرد للفشل والذي فلق الحبة وبرا النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه
اقول الفرة المرة من الفرار والكرة الفعلة من الكر وهو الرجوع على العدو والجولة الدورة والمصارع مواضع الصرع
للقتلى وذمرته اذمره اي حثثته والدعسي منسوب الى الدعس وهو الاثر والطلحفي الشديد والياء للمبالغة
الخلق وقوله لا تشتدن عليكم الى قوله حملة اي اذا رايتم في فراركم مصلحة في خدعة العدو وكالجذب له بذلك الى حيث
يتمكن منه ويقع الفرصة فكروا عليه حينئذ فلا تشتدن عليكم الفرة ووجه الشدة هنا ان الفرار من الحرب
صعب شديد لما يستلزمه من العار والسبة فاشار الى وجه تسهيله عليهم بانه اذا كان بعده كرة فلا باس به لما فيه
من المصلحة ويحتمل ان يريد انكم اذا اتفق لكم ان فررتم فرة عقبتموها بكرة فلا تشتدن عليكم تلك الفرة فتفشلوا
وتستحيوا فان تلك الكرة كالماحية لها وفيه تنبيه على الامر بالكرة على تقدير الفرة وكذلك قوله ولا جولة بعدها
حملة ويحتمل ان يريد فلا تشتدن عليكم فرة من عدوكم بعدها كرة منه عليكم فان تلك الكرة لما كانت عقيب
الفرة لم تكن الا عن قلوب مدخولة وثبات غير صحيح وانما قدم الفرة في هذا الاحتمال لان مقصوده تحقير
تلك الكرة بذكر الفرة فكان ذكرها اهم فلذلك قدمت وكذلك ولا جولة بعدها حملة ثم امرهم باوامر احدها ان يعطوا
السيوف حقوقها وهو كناية عن الامر بفعل ما ينبغي ان يفعل ولفظ العطاء مستعار لما يتصل الى السيوف من الافعال
التي ينبغي ان تفعل بها الثاني ان يوطنوا الجنوب مصارعها اي يجعلوا مصارع جنوبهم اوطانا لها وهو كناية عن
الامر بالعزم الجازم على القتل في سبيل الله والاقدام على اهوال الحرب اذ كان اتخاذ المصارع اوطانا للجنوب مستلزما
لذلك العزم والاقدام وروي ووطئوا بالياء الثالث ان يحثوا انفسهم على الطعن الذي يظهر اثره والضرب الشديد
ويحملوها على ذلك ويبعثوها بالدواعي الصادقة التي تبعثها وهي من تذكر ما وعد الله عباده الصالحين الرابع ان
يميتوا الاصوات اي لا يكثروا الصياح فانه من علامات الفشل وعدمه يكون علامة للثبات المنافي للجبن وقد سبقت
الاشارة الى ذلك ثم اقسم بما يعتاده من القسم البار ان القوم لم يسلموا بقلوبهم حين اظهروا الاسلام في زمن رسول الله

صلى الله عليه وآله بالسنتهم ولكنهم استسلموا خوفا من القتل واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه وحوشي
المنافقين من بني امية كعمرو بن العاص ومروان ومعوية واشباههم وروي مثل هذا الكلام لعمار بن ياسر رضي الله عنه
ومن كتاب له عليه السلام الى معوية جوابا عن كتاب منه اليه واما طلبك الي الشام فاني لم اكن لاعطيك اليوم ما منعتك
امس واما قولك ان الحرب قد اكلت العرب الا حشاشات انفس بقيت الا ومن اكله الحق فالى الجنة ومن اكله الباطل فالى النار واما استواؤنا في الحرب
والرجال فلست بامضى على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص على الدنيا من اهل العراق على الآخرة واما قولك
انا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابو سفيان كابي طالب ولا المهاجر
كالطليق ولا الصريح كاللصيق ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفا هوى في نار جهنم
وفي ايدينا بعد فضل النبوة التي اذللنا بها العزيز ونعشنا بها الذليل ولما ادخل الله العرب في دينه افواجا واسلمت
له هذه الامة طوعا وكرها كنتم ممن دخل في الدين اما رغبة واما رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم وذهب المهاجرون
الاولون بفضلهم فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا ولا على نفسك سبيلا والسلام **اقول** ان معوية استشار عمرو
بن العاص في ان يكتب الى علي كتابا يسأله فيه الشام فضحك عمرو وقال اين انت يا معوية من خدعة علي قال السنا
بني عبد مناف قال بلى ولكن لهم النبوة دونك وان شئت ان تكتب فاكتب فكتب معوية اليه مع رجل من السكاسك
يقال له عبد الله بن عقبة اما بعد فاني اظنك لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعض على بعض
وانا وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم به على ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سالتك الشام على
ان لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك علي فاعطاني الله ما منعت وانا ادعوك اليوم الى ما دعوتك
اليه امس فانك لا ترجو الا ما ارجو ولا اخاف من القتل الا ما تخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال واكلت
الحرب العرب الا حشاشات نفس بقيت وانا في الحرب والرجال سواء ونحن بنو عبد مناف وليس لبعضنا على بعض فضل
الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر والسلام فلما قرا علي عليه السلام كتابه تعجب منه ومن كتابه ثم دعا عبد الله بن
ابي رافع كاتبه وقال له اكتب اليه اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم
يجنها بعض على بعض وانا واياك في غاية لم يبلغها بعد واما طلبك الى الشام الفصل الحشاشة بقية الروح والطليق
الاسير الذي اطلق من اسره وخلي سبيله والصريح الرجل خالص النسب واللصيق الدعي الملصق بغير ابيه والمدغل
الذي يشتمل باطنه على فساد كنفاق ونحوه وسلف الرجل آباؤه المتقدمون وخلفه من يجيء بعده ونعشنا رفعنا والفوج
الجماعة الكثيرة وقد اجاب عليه السلام عن امور اربعة تضمنها كتاب معوية احدها انه استعطفه الى البقية
واستدرجه لوضع الحرب بقوله انك لو علمت الى قوله ما بقي وفيه اشعار بالجزع والخوف من دوامها فاجاب عليه السلام
بقوله وانا واياك في غاية لم يبلغها بعد ويفهم منه التهديد ببقاء الحرب الى الغاية منها وهي الظفر به وهلاكه
وهو مستلزم لتخويفه والتهويل عليه ومنع ما طلب من البقية ووضع الحرب الثاني انه سال القرآن على الشام مع
نوع من التشجيع الموهم لعدم الانفعال والضراعة وذلك في قوله وقد كنت سالتك الشام الى قوله امس وقوله فاني

لا ترجوا الى قوله لمخافة اشارة الى كونهما سواء في رجاء البقاء والخوف من القتل ومقصود ذلك ان يوهم انه لا انفعال له عن
تلك الحرب ايضا وقوله وانا ادعوك الى ما دعوتك امس اي من طلب اقرارك على الشام وذلك انه عليه السلام حين بويع
بالخلافة كان معوية سأل منه اقراره على امرة الشام ونقل عن ابن عباس انه قال له عليه السلام وله شهرا واعزله دهرا
بعد ان يبايعك لا تقدر على ان تعزله في امرته ولا بد ان يجوز فيعزله بذلك السبب فقال عليه السلام كلا وما كنت متخذ
المضلين عضدا وروي ان المغيرة بن شعبة قال له عليه السلام ان لك حق الطاعة والنصيحة واقرر معوية على عمله
على العمل حتى اذا اتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت او تركت فقال عليه السلام حتى انظر فخرج من عنده ثم
عاد اليه من الغد فقال اني اشرت عليك امس برأي وان الرأي ان تعاجلهم بالنزع فيعلم السامع من غيره ويستقبل
امرك ثم خرج من عنده فجاء ابن عباس فاخبره بما اشار عليه المغيرة من الرأيين فقال له اما امس فقد نصحك واما اليوم
فقد غشك وقد كان الرأي الدنياوي الخالص في حفظ الملك ذلك لكنه عليه السلام لما لم يكن ليداهن في شيء
من امر الدين اصلا وان قل وكان اقرار معوية واشباهه على الاعمال يستلزم الجور في كثير من تصرفاتهم عن سبيل الله
لم ير اقراره على العمل ومنعه ما سأل ولما كان منعه له اولا مما سأل منعا خالصا لله عن مشاركة الهوى والميول الطبيعية
لم يكن لسؤاله الآن تأثير واستعطافه اياه مغيرا له الى اجابته خصوصا وقد احدثت تلك الحرب الشديدة من العرب ما
احدثت وقتل من المهاجرين والانصار وسائر العرب من قتل بل الجابر الا من الردة والمنع في قوله فلم اكن لاعطيك اليوم
ما منعتك امس اذ العلة في المنع قائمة في كل حين وزمان وهي المحافظة على دين الله الثالث حفظ الرجال في الفيه
على الاجناد لحفظ الاسلام وتقويته امر واجب فلا جرم استعطفه واستدرجه الى النقمة عليهم ببقية
بقوله وقد والله الى قوله بقيت فاجاب عليه السلام بقوله الا ومن اكله الحق فالى النار وهو كبرى قياس حذف صغراه
للعلم بها وتقديرها ان هؤلاء الاجناد الذين قتلناهم انما قتلهم الحق الذي كان قتلهم بحق لبغيهم وتقدير هذه الكبرى
وكل من قتله الحق فمصيره الى النار فينتج ان مصير من قتل من هؤلاء الى النار ثم هذه النتيجة تنبيه على الجواب وهي في
قوة صغرى قياس ضمير تقدير كبراه وكل من كان من اهل النار فلا يجوز التعب عليه ولا الاسف على فقده الرابع قوله انهم
بقوله وانا في الحرب والرجال سواء على انه ممن لا ينفعل عن هذه الحروب وان اشتدت وان الضعف والهلاك اتى
على العسكرين وفيه نوع تخويف وتهويل فاجاب عليه السلام بقوله فلست بامضى الى قوله الاخرة ووجه كون الاول
جوابا انه يقول انك في طلبك لما انت طالب له على شك من استحقاقه وانا على يقين في ذلك وكل من كان في شك
من امر فليس بامضى في حوبه وقياسه عليه ممن هو على يقين في امره فينتج انك لست بامضى في امرك على الشك مني على
اليقين في امري ويفهم من ذلك انه يقول بل انا امضى في امري واولى بالغلبة لكوني على بصيرة ويقين وحينئذ تكذب
المساواة بينهما لكون المتيقن ارجح في فضله من الشاك ووجه كون الثاني جوابا انه يقول ان اهل الشام يطلبون
الدنيا واهل العراق يطلبون بقتالهم الاخرة وليس اهل الشام باحرص على مطلوبهم من الدنيا من اهل العراق على مطلوبهم
من الاخرة ويفهم من ذلك انه يقول بل اهل العراق احرص على الاخرة من اهل الشام على الدنيا لشرف الاخرة وابتغائهم حصولها

الدنيا وشك اهل الشام في حصولها كما قال تعالى فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وحينئذ يكذب الحكم
في الحرب والرجال لشرف اهل الاخرة على اهل الدنيا ولكون الاحرص اولى بالغلبة والقهر الخامس انه نبه بقوله ونحن بنو عبد مناف
الى آخره على مساواته له في الشرف والفضيلة وهو في قوة صغرى قياس ضمير من الاول وتقدير كبراه وكل قوم كانوا من بيت واحد
فلا فضل لبعضهم على بعض ولا فخر فاجاب عليه السلام بالفرق بينهما بعد ان سلم الاشتراك بينهما في كونهما من بني عبد مناف
وذكر الفرق من وجوه خمسة بدأ فيها بالامور الخارجية اولا من كمالاته وفضائله ورذائل خصمه متدرجا منها الى الاقرب
فالاقرب فالاول شرفه من جهة الاباء المنتهين الى عبد مناف وذلك ان سلسلة آبائه عليه السلام ابو طالب بن عبد المطلب
بن هاشم بن عبد مناف وسلسلة آباء معوية ابو سفيان بن حرب بن امية بن عبد مناف وظاهر ان كل واحد من اولاد
السلسلة اشرف ممن هو في درجته من آباء معوية وقد ذكرنا طرفا من فضائلهم على غيرهم الثاني شرفه من جهة الهجرة مع
الرسول صلى الله عليه وآله وخسة خصمه من جهة كونه طليقا وابن طليق وهذه فضيلة وان كانت خارجية الا انها
تستلزم فضيلة نفسانية وهي حسن الاسلام والنية الصادقة الحقة وكذلك ما ذكر من رذيلة خصمه بنية خبيثة الا
ان هذه الفضيلة والرذيلة اقرب من الاعتبار الاول لكونهما حقيقتين بالاباء او بهما دون الاباء الثالث
وكذلك شرفه من جهة صحة النسب وخسة خصمه من جهة كونه دعيا وهذان الاعتباران اقرب مما قبلهما لكونهما
لازمين لهما دون الاول الرابع شرفه من جهة كونه محقا فيما يقول ويعتقد ورذيلة خصمه من جهة كونه مبطلا وهذا
الاعتبار اقرب لكونهما من الكمالات والرذائل الذاتية دون ما قبلها الخامس شرفه من جهة كونه مؤمنا والمؤمن الحق هو
المستكمل الكمالات الدينية النفسانية وخسة خصمه من جهة كونه مدغلا اي خبيث الباطن مشتملا على النفاق والرذائل
الموبقة وظاهر ان هذين الاعتبارين اقرب الكمالات والرذائل الى العبد وانما بدأ بذكر الكمالات والرذائل الخارجية لانها
مسلمة عند الخصم واظهر له وللخلق من الامور الداخلية ثم لما ذكر الرذائل المتعلقة بخصمه اشار الى كونه في ضلاله ورذائله
خلفا لسلف هوى في نار جهنم ثم رتب ذمه على ذلك وقوله ولبئس الخلف الى قوله جهنم في قوة كبرى قياس استغنى بها
عن صغراه وتقديرها فانت خلف يتبع سلفا وكل خلف يتبع في ضلاله ورذائله سلفا هوى في نار جهنم فكل من كان كذلك
فبئس به السادس ان معوية لما ادعى المساواة في الفضل بقوله وليس لبعض على بعض فضل واستثنى من ذلك فضل
الا فضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر اشار عليه السلام الى فضله كبرى لهم هي كالجواب لذلك وهو قوله وفي ايدينا
بعد فضل النبوة الى قوله الذليل وظاهر ان هذا الفضل الذي حصل في هذا البطن من هاشم هو سبب اذلال الاعزاء
وتقوية الاذلاء واسترقاقهم الاحرار وذلك فضل غربت عنه بنو امية وغيرهم فاذن قوله وليس لبعضنا على
بعض فضل الا فضل لا يستذل به عزيز الى آخره قول باطل ثم اردف هذه الفضيلة بذكر رذيلة لخصمه بالنسبة الى
فضيلة شملت كثيرا من العرب وتلك دخولهم في الاسلام لا لله بل اما رغبة او رهبة على حين فاز اهل السبق بسبقهم
الى الله وحصل المهاجرون والانصار على ما حصلوا عليه من الفضائل المسعدة ثم لما اظهر هذه الفروق من فضائله ورذائل
خصمه نهاه عن امرين احدهما ان لا يجعل للشيطان في نفسه نصيبا وهو كناية عن النهي عن اتباعه للهوى والثاني ان لا

يجعل له عليه سبيلا وهو كالبرء من التهمة من انفعالاته وفتح باب الوسوسة عليه وهذا التي يتهم منه انه جعل للشيطان في نفسه نصيبا وله عليه سبيلا وان ذلك التي هي موضع التوبيخ له على ذلك وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة** واعلم ان البصرة مهبط ابليس ومغرس الفتن فحادث اهلها بالاحسان اليهم واحلل عقدة الخوف عن قلوبهم وقد بلغني تنمرك لبني تميم وغلظتك عليهم وان بني تميم لم يغب لهم نجم الا طلع لهم آخر وانهم لم يسبقوا بوغم في جاهلية ولا اسلام وان لهم بنا رحما ماسة وقرابة خاصة نحن مأجورون على صلتها ومأزورون على قطيعتها فاربع ابا العباس رحمك الله فيما جرى على يدك ولسانك من خير وشر فانا شريكان في ذلك وكن عند صالح ظني بك ولا يفيلن رأيي فيك والسلام

اقول روي ان ابن عباس كان قد اضر ببني تميم حين ولي امر البصرة من قبل علي عليه السلم للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة فحمل عليهم ابن عباس فاقصاهم وتنكر عليهم وعيرهم بالجمل حتى كان يسميهم شيعة الجمل وانصار عسكر وهو اسم جمل عائشة وحزب الشيطان فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلم من بني تميم منهم حارثة بن قدامة وغيره فكتب بذلك حارثة الى علي عليه السلم يشكو اليه ابن عباس فكتب عليه السلم الى ابن عباس اما بعد فان خير الناس عند الله غدا اعلمهم بطاعته فيما عليه وله واقواهم بالحق وان كان مرا الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد فلتكن سريرتك فعلا وليكن حكمك واحدا وطريقك مستقيما واعلم ان البصرة مهبط ابليس الفصل والتنمر تنكر الاخلاق وتغيرها والوغم الحقد والماسة القريبة ومأزورون اي بحوبا الوزر وهو الاثم واربع اي توقف وتثبت ويفيل الراي يضل اذا ضعف واخطأ واعلم انه عليه السلم كنى بكون البصرة مهبط ابليس عن كونها مبدأ للآراء الباطلة والاهواء الفاسدة الصادرة عن ابليس المستلزمة لاثارة الفتن وكونها محلا لابليس ومستقره محل آدم لما اراد هبوطه من الجنة واستعار لفظ المغرس للبصرة ايضا باعتبار كونها محلا لنبات الفتن الكثيرة كما ان مغرس الشجر من الارض محل النشوء ونمائه قال بعضهم وفي قوله مهبط ابليس نوع لطف فان الوهم الذي هو ابليس النفس العاقلة اذا انفرد بحكمه عن تدبير العقل وخرج عن موافقة العقل العملي ايراده وحكم بضده هبط من الكمال وموافقة العقل ونفي اوامره العالية التي هي ابواب الجنة الى الجنبة السافلة ومشاركة الشهوة والغضب في حكمهم باستيلاء الآراء الفاسدة ولما احاط القضاء الالهي بما يجري من اهل البصرة من نكث بيعته عليه السلم ومخالفته ممن عزلوا عقولهم عن الآراء المصلحية ارشادا وهبط ابليس وجنوده بارضهم فاروهم الآراء الباطلة في صورة الحق فظهروا بهم فكان منهم ما كان ونزل بهم ما نزل من سوء القضاء ودرك الشقاء فكانت بلدتهم لذلك مهبط ابليس ومغرس الفتن الناشئة عن وسوسته والآراء الفاسدة ثم امره ان يحادثهم بالاحسان اليهم اي يجددهم بذلك وان يحل عقدة الخوف عن قلوبهم واستعار لفظ العقدة لما الزمهم به من المخافة والغلظة عليهم وكثرة الاذى لهم ووجه المشابهة كون الخوف ملازما لهم معقودا بقلوبهم كالعقدة للحبل ونحوه ورشح بلفظ الحل وكنى به عن ازالة الخوف عنهم وغرض هذه الاوامر ان لا تنفر قلوبهم منه وتثور ضغائنهم فيعاودوا الخروج عن طاعته واثارة الفتنة ثم اعلمه بما بلغه من تنمره لهم وارادف ذلك بذكر احوالهم بحسب مراقبتهم وحفظ قلوبهم لاجلها احدها انه لهم

سيد الا قام لهم آخر مقامه واستعار له لفظ النجم ووجه المشابهة كون سيد الجماعة وكبيرهم قدوة يهتدون به بارا ... في الطرق المصلحية كالنجم ورشح بذكر المغيب والطلوع الثاني انهم لم يسبقوه ويحتمل وجهين احدهما انهم لم يسبقهم احد الى التراث والاحقاد حيث كانوا في جاهلية او اسلام لشرف نفوسهم وقلة احتمالهم للاذى وذلك ان المهين الحقير في نفسه لا يكاد يغضب ويحقد مما يفعل به من الاذى وان غضب في الحال لا يدوم ذلك الغضب بصيرحقدا الثاني يحتمل ان يريد انهم لم يسبقوا ... حقد من عدو وذلك لعزتهم ونجدتهم فحذف المضاف الثالث ان لهم ببني هاشم قرابة قريبة الى الآخر وقيل تلك القرابة لاتصالهم عند الياس بن مضر لان هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر وتميم ابن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر وزاد ترغيبا في مواصلتهم ومداراتهم بكون صلة الرحم سببا للاجر في الآخرة وتركها مستلزما للوزر وقال مأزورون والاصل موزورون لتغليب ليزاوج قوله مأجورون وفي الحديث ارجعن مأزورات غير مأجورات ثم اردف ذكر تلك الاحوال التي تقتضي الرفق بهم بالامر بالتوقف والتثبت فيما يجري على يده ولسانه من فعل وقول هو خير او شر لان التثبت في الامور اولى باصابة وجه المصلحة واراد بالشر ما يجري على رعيته من عقوبة فعلية او قولية فانا شريكان في ذلك كالتعليل لحسن امره بالتثبت في ذلك لانه لما كان والياً من قبله فكل حسنة او سيئة يحدثها في ولايته فله عليه السلم شركة في احداثها اذ هو السبب البعيد لسببها القريب وابو العباس كنية عبد الله بن العباس والعرب تدعو من تكرمه بالكنى قال اكنيه حين اناديه لاكرمه ولما كان عليه السلم قد استصلحه للولاية ورآه اهلا لها امره ان يلازم ظنه الصالح فيه ونهاه عن ضعف ذلك الراي وعدم مطابقته فيه بسوء صنيعه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم الى بعض عماله** اما بعد فان دهاقين اهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقارا وجفوة ونظرت فلم ارهم اهلا لان يدنوا لشركهم ولا ان يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء **اقول** الدهقان معرب يحتمل الصرف ان كانت نونه اصلية والا فلا ينصرف للوصف والالف والنون الزائدتين والقسوة غلظ القلب وشدته واقصاه ابعده والجفاء ضد البر والجلباب الملحفة والمداولة تغليب كل واحد من القسوة والرأفة على الآخر والاخذ بكل منهما مرة من الادالة وهي الادارة والمنقول ان هؤلاء الدهاقين كانوا مجوسا شكوا اليه غلظة عامله فكر في امورهم فلم يرهم اهلا للادناء لانهم كونهم مشركين ولا اقصاءهم لكونهم معاهدين فان ادناءهم واكرامهم مما يضاهيه ونقيصة في الدين واقصاءهم بالكلية ينافي معاهدتهم فامر بالعدل فيهم ومعاملتهم باللين المشوب ببعض الشدة في كل موضعه وكذلك استعمال القسوة مرة والرأفة اخرى والمزج بين التقريب والابعاد لما في طرفي اللين والرأفة والتقريب من استقرار قلوبهم في اعمالهم التي بها صلاح المعاش ولما في مزجها بالشدة والقسوة والابعاد من كسر عاديتهم ودفع شرورهم واهانتهم المطلوب

في الدين واستلزم ذلك نهيه عن استعمال الشدة والقسوة والابعاد في حقهم دائما واللين والرافة والادناء خالصا لفظ الجلباب لما امره بالاتصاف به وهو ملكة الحلية المتوسطة بين اللين الخالص والشدة الصرفة ورشح بذكر اللبس وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى زياد بن ابيه وهو خليفة عامله عبد الله بن العباس رحمه الله على البصرة وعبد الله عامل له يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان واني اقسم بالله قسما صادقا لئن بلغني انك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا او كبيرا لاشدن عليك شدة تدعك قليل الوفر ثقيل الظهر ضئيل الامر والسلام **اقول** زياد هذا هو زياد بن سمية ام ابي بكرة دعي ابي سفيان قد يعد في ولادة من لم يصرح بنوه وروي ان اول من دعاه ابن ابيه عائشة حين سئلت لمن يدعى وكان كاتب المغيرة بن شعبة ثم كتب لابي موسى ثم كتب لابن عامر ثم كتب لابن عباس وكان مع علي عليه السلام فولاه فارس فكتب اليه معوية يهدده فكتب اليه اتتوعدني وبيني وبينك ابن ابي طالب اما والله لئن وصلت الي لتجدني احمر ضرابا بالسيف ثم ادعاه معوية اخا له وولاه بعد علي عليه السلام البصرة واعمالها وجمع له بعد المغيرة بن شعبة العراقين وكان اول من جمعا له والشدة الحملة والوفر المال والضئيل الحقير وحاصل الفصل تحذير زياد من خيانة ما اليه من مال المسلمين ووعيده ان وقعت منه بالعقوبة عليها وكنى عنها بالشدة ووصف شدة تلك الشدة باستلزامها امورا ثلثة فيها سلب الكمالات الدنيوية والاخروية احدها نقصان ماله وقلته الثاني نقصان جاهه وكنى عنه بقوله ضئيل الامر وهما سالبان للكمال الدنيوي الثالث ثقل ظهره بالاوزار والتبعات وهو دال على سلب كماله الاخروي فان قلت كيف يريد ثقل الظهر بالاوزار وليس ذلك بسبب شدته عليه السلام وانما الاوزار من الكتاب قلت يريد ان مجموع هذه الامور الثلثة وهي سلب ماله وجاهه مع ثقل ظهره بالاوزار حال يدعه عليها وهي حالة مخوفة مكروهة تخوفه بها ولا شك ان تلك الحال من فعله وان لم يكن بعض اجزائها من فعله او نقول الثلثة احوال متعددة والحال لا يلزم ان يكون من فعل ذي الحال ويحتمل ان يكون ثقل الظهر كناية عن الضعف وعدم النهوض بما يحتاج اليه بهمة اي يدعك ضعيف الحركة في الامور والله اعلم **ومن كتاب له عليه السلام** اليه ايضا فدع الاسراف مقتصدا واذكر في اليوم غدا وامسك من المال بقدر ضرورتك وقدم الفضل ليوم حاجتك اترجو ان يعطيك الله اجر المتواضعين وانت عنده من المتكبرين وتطمع وانت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والارملة ان يوجب لك ثواب المتصدقين وانما المرء مجزي بما اسلف وقادم على ما قدم **اقول** التمرغ التمعك في النعيم وقد امر في هذا الفصل باوامر احدها ترك الاسراف وهو رذيلة الافراط من فضيلة الاقتصاد المتوسط بين الاجحاف بالنفس والاسراف بها وهو طرف التفريط من هذه الفضيلة والامر بترك الاسراف مستلزم للامر بهذه الفضيلة لان الامر بالشيء على حال امر بتلك الحال ايضا الثاني ان يذكر في اليوم غدا اي يذكر في حاضر وقته مستقبلها من يوم القيمة فان في ذلك زجر النفس وانكسارها عن الاسراف في الدنيا والاشتغال بها الثالث ان يمسك من المال بقدر ضرورته وهو تفسير للاقتصاد في تناول الدنيا وحفظها الرابع ان يقدم الفضل منها ليوم

حاجته وهو يوم القيمة وما بعد الموت وقد استدرج لانفاق المال في سبيل الله فان كل عاقل يعلم ان الانسان لا يحتاج اليه من فضول المال وتقديمه لما يحتاج اليه في وقت حاجته من اكثر المصالح المهمة ثم استفهم الانكار عن رجائه ان يؤتيه الله ثواب المتواضعين حال ما هو مكتوب في علمه من المتكبرين تنبيها له على ان ثواب كل فضيلة انما باكتسابها والتخلق بها لا بالكون على ضدها فمن الواجب اذن التخلق بفضيلة التواضع لينال ثوابها ولن يحصل التخلق بها الا بعد الانحطاط عن درجات المتكبرين فهو اذن من الواجبات وكذلك استفهمه عن طمعه في ثواب المتصدقين حال اقامته المال وتنعمه به ومنعه الضعيف والارملة استفهام منكر لذلك الطمع على تلك الحال فان ثواب كل حسنة بعدها ومن لوازمها وجزاء كل سيئة تجنبها ومن لوازمها ونبه على ذلك بقوله وانما المرء مجزي بما اسلف الى اخره وفي قوله وقادم على ما قدم من محاسن الكلام وفيه الاشتقاق **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن عباس رحمه الله وكان عبد الله يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام اما بعد فان المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من اخرتك وليكن اسفك على ما فاتك منها وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا وما فاتك منها فلا تاس عليه جزعا وليكن همك فيما بعد الموت **اقول** الدرك اللحوق ولا تاس لا تحزن وحاصل الفصل النهي عن شدة الفرح بما يحصل من المطالب الدنيوية وشدة الاسف على ما يفوت منها وبيان ما ينبغي للانسان ان يسر بحصوله ويأسف لفقده مما لا ينبغي له فاشار الى الاول بقوله فان المرء الى قوله ليدركه وهو خبر في معنى النهي ولفظ ما في الموضعين مهمل يراد به المطالب الدنيوية ونبه بقوله ما لم يكن ليفوته على ان ما يحصل من مطالب الدنيا امر واجب في القضاء الالهي وصوله الى من يحصل له فهو كالحاصل فلا ينبغي ان يشتد فرحه عند حصوله وبقوله ما لم يكن ليدركه على ان ما يفوت منها فهو امر واجب فوته فلا اسف عليه مما لا يجدي نفعا بل هو ضرر عاجل ثم خصصه بالخطاب على سبيل الوصية والموعظة وفصل له ما ينبغي ان يسر به ويأسف عليه مما لا ينبغي ان يسر به فهو ما ناله من الاخرة وما ينبغي ان يأسف عليه فهو ما فاته منها واما ما ينبغي ان لا يفرح به فما ناله من دنياه لما عرفت من وجوب فنائها وكون القرب منها مستلزما للبعد عن الاخرة وما ينبغي ان لا يأسف عليه فما لم ينله منها لكون البعد عنها مستلزما للقرب من الاخرة فان قلت كيف قال ما نلت من اخرتك ومعلوم انه لا ينال من الاخرة شيء الا بعد الموت قلت يحتمل وجهين احدهما لا نسلم ان مطالب الاخرة لا تحصل الا بعد الموت فان الكمالات النفسانية من العلوم والاخلاق الفاضلة والفرح بها من الكمالات الاخروية وان كان الانسان في الدنيا الثاني يحتمل ان يريد فليكن سرورك بما نلت من اسباب اخرتك فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وكذلك بين له ما ينبغي ان يكون همه متوجها نحوه وقصده متعلقا به وهو ما بعد الموت من احوال الاخرة من سعادة دائمة يسعى في تحصيلها او شقاوة لازمة يعمل الخلاص منها وبالله التوفيق **ومن كلام له عليه السلام** قاله قبل موته لما ضربه ابن ملجم لعنه الله وصية وصيتي لكم ان لا تشركوا بالله شيئا ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته اقيموا هذين العمودين وخلاكم ذم انا بالامس صاحبكم واليوم عبرة لكم وغدا مفارقكم ان ابق فانا ولي دمي وان افن فالفناء ميعادي وان اعف فالعفو لي قربة وهو لكم

فاعفوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله ما فجأني من الموت وارد كرهته ولا طالع انكرته وما كنت الا كقارب ورد وطالب
وجد وما عند الله خير للابرار وقد مضى بعض هذا الكلام فيما مضى من الخطب الا ان فيه ههنا زيادة اوجبت
تكريره اقول هذا الفصل قاله عليه السلام في بعض ايام مرضه قبل موته وسياتي شرح حال مقتله ووصيته في فصل
اطول من هذا والتي يذكر الحال عنده ان شاء الله تعالى وفجأه الامر اتاه بغتة والقارب طالب الماء وقيل هو الذي
يكون بينه وبين الماء ليلة ولا تشركوا الامرين وحدوهما لعنتها وقد وصى عليه السلام بامرين هما عمود الاسلام ومعاقده
احدهما ان لا تشركوا بالله شيئا وهو التوحيد الخالص والشهادة به اول مطلوب بلسان الشريعة كما سبق بيانه والثاني
بامر النبي صلى الله عليه وآله والمحافظة على سنته وقد علمت ان من سنته وجوب اتباع كل ما جاء به والمحافظة عليه فادخل
على كتاب الله تعالى من الواجبات المامور بها بالالتزام وظاهر ان اقامة هذين الامرين مستلزمة للخلوص عن الذم ولفظ العمود
مستعار لهما ملاحظة لشبههما بعمودي البيت في كونهما سببين لقيام الاسلام وعليهما مداره كالبيت على عمده وقوله
وخلاكم ذم كالمثل يقال افعل كذا وخلاك ذم اي وقد اعذرت وسقط عنك الذم ثم نعى نفسه اليهم واشار الى
وجه العبرة بحاله بذكر تنقلها وتغيرها في الازمان الثلثة ففي الماضي كان صاحبهم الذي يعرفونه بالقوة و
وقهر الاعداء وعليه مدار امور الدنيا والدين وفي الحاضر صار عبرة اي محل عبرة فحذف المضاف او معتبرا فاطلق
اسم المتعلق على المتعلق مجازا وفي المستقبل مفارق لهم ثم اردف ذلك ببيان ان امره مع قاتله على تقدير فنائه
وبقائه ويشبه ان يكون في الكلام تقديم وتاخير والتقدير فان ابق فانا ولي دمي وروي اولى بدمي فان شئت
اقتصصت القصاص وان شئت عفوت فان اعف فالعفو لي قربة وان افن فالفناء ميعادي فان شئتم فاعفوا
فالى ان شئتم ان تعفوا فالعفو لكم حسنة فاعفوا لكنه ذكر فني بقائه وفنائه ثم عقبهما بذكر حكميهما مقترنين واثنى
في معرض الندب الى العفو ترغيبا فيه ثم اقسم انه ما اتاه من بغتة الموت وارد كرهه ولا طالع انكره وصدقه عليه السلام
في ذلك ظاهر فانه عليه السلام كان سيد الاولياء بعد سيد الانبياء ومن خواص اولياء الله شدة محبة الله والشوق التام الى ما اعد
لاولياء في جنات عدن ومن كان كذلك كيف يكره وارد الموت الذي هو باب وصوله الى محبوبه واشرف مطالبه وقطع
وقته في السعي لها وهي المطالب الحقة الباقية وكيف يكره وهو دائم الترصد والاستعداد والذكر له ثم شبه نفسه في
هجوم الموت عليه ووصوله بسببه الى ما اعد له من الخيرات الباقية بالقارب الذي ورد الماء ووجه الشبه استقرار
لتلك الخيرات وتوقعها واستبعاد الرديه بها آفات الدنيا وشدائد الموت كما يستسهل القارب عند وروده الماء
ما كان يجده من شدة العطش وتعب الطريق وفيه ايماء الى تشبيه تلك الخيرات بالماء وكذلك شبه نفسه بالطالب
الواجد لما يطلبه ووجه الشبه كونه قرير عينا بما ظفر به من مطالبه الاخروية كما تطيب نفس الطالب للشيء به اذا
وجده وظاهر ان طيب النفس وبهجتها بما تصيبه من مطالبها بما يتفاوت المطالب في العزة والنفاسة ولما كانت
المطالب الاخروية اهم المطالب واعظمها قدرا واعزها جوهرا وجب ان يكون بهجة نفسه بها وقرة عينه بما
اصاب منها اتم كل بهجة بمطلوب ثم اقتبس الاية في سياق اشعاره بوجدان مطلوبه منبها بها على ان مطلوبه في

الدنيا لم يكن الا ما عند الله الذي هو خير لاوليائه الابرار من كل مطلوب يطلب وبالله التوفيق ومن وصية له عليه السلام
بما يعمل في امواله كتبها بعد منصرفه من صفين هذا ما امر به عبد الله علي بن ابي طالب امير المؤمنين في ماله ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ويعطيه به
الامنة منها وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفق منه في المعروف فان حدث بحسن حدث وحسين
حي قام بالامر بعده واصدره مصدره وان لابني فاطمة من صدقة علي مثل الذي لبني علي واني انما جعلت القيام بذلك
الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله وقربة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وتكريما لحرمته وتشريفا لوصلته ويشترط على
الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امر به وهدي له وان لا يبيع من اولاد نخيل هذه القرى
ودية حتى تشكل ارضها غراسا ومن كان من امائي اللاتي اطوف عليهن لها ولد او هي حامل فتمسك على ولدها وهي من
حظه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيقة قد افرج عنها الرق وحررها العتق قال السيد قوله عليه السلام في هذه الوصية ولا
يبيع من نخلها ودية فان الودية الفسيلة وجمعها ودي وقوله عليه السلام حتى تشكل ارضها غراسا فهو من افصح الكلام
والمراد به ان الارض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه امرها ويحسبها
غيرها اقول رويت هذه الوصية بروايات مختلفة بالزيادة والنقصان وقد حذف السيد منها فصولا ولنوردها
بعينها على [illegible] عن عبد الرحمن بن الحجاج قال بعث الي بهذه الوصية ابو ابراهيم عليه السلام هذا ما اوصى به وقضى
في ماله عبد الله علي ابتغاء وجه الله ليولجني به الجنة ويصرفني به عن النار يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ان ما كان لي
بينبع من مال يعرف لي فيها وما حولها صدقة ورقيقها غير ابي رباح وابي نيزر وجبير عتقاء ليس لاحد عليهم سبيل
موالي يعملون في المال خمس حجج وفيه نفقتهم ورزقهم وارزاق اهاليهم ومع ذلك ما كان لي بوادي القرى كله مال بني
فاطمة ورقيقها صدقة وما كان لي ببرعة واهلها صدقة غير ان رقيقها لهم مثل ما كتبت لاصحابهم وما كان لي باذينة واهلها
صدقة والفقير كما قد علمتم صدقة في سبيل الله وان الذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة حيا انا
كنت او ميتا ينفق في كل نفقة ابتغي بها وجه الله في سبيل الله ووجهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب والقريب والبعيد
وانه يقوم بذلك الحسن بن علي ياكل منه بالمعروف وينفقه حيث يريه الله في كل محلل لا حرج عليه فيه وان اراد
ان يبيع نصيبا من المال فيقضي به الدين فليفعل ان شاء لا حرج عليه فيه وان شاء جعله شروى الملك وان ولد علي
اموالهم الى الحسن بن علي وان كانت دار الحسن غير دار الصدقة فبدا له ان يبيعها فليبعها ان شاء لا حرج عليه فيه فان
باع فانه يقسمها ثلاثة اثلاث فيجعل ثلثا في سبيل الله ويجعل ثلثا في بني هاشم وبني المطلب ويجعل الثلث في آل ابي
طالب وانه يضعهم حيث يريه الله ثم يتصل قوله وان حدث بحسن حدث وحسين حي وان حسينا يفعل فيه مثل
الذي كتبت على مثل الذي على الحسن ثم يتصل قوله وان الذي لبني فاطمة الى قوله وتشريفا لوصلته ثم قوله وان حدث بحسن
وحسين حدث فان الآخر منهما ان ينظر في بني علي فان وجد فيهم من يرضى بهديه واسلامه وامانته فانه يجعله اليه ان شاء
وان لم ير فيهم بعض الذي يريد فانه يجعله في بني ابي فاطمة ويجعله الى من يرضى بهديه واسلامه وامانته منهم وانه يشترط على
الذي يجعله اليه ان يترك المال على اصوله وينفق من ثمره حيث امرته به من سبيل الله ووجوهه وذوي الرحم من بني هاشم وبني المطلب

حي فانه الى حسين [illegible]
امرت به حسنا مثل الذي

والبعيد وان لا يبيع من اولاد هذه القرى الى آخره ثم يقول انه ليس لاحد عليها سبيل هذا ما قضى علي في اموال هذه يوم قدم مسكن
ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا يباع منه شيء ولا يوهب ولا يورث والله المستعان على كل حال ولا يحل لامرئ مسلم يؤمن بالله
واليوم الآخر ان يغير شيئا مما اوصيت به في مالي ولا يخالف فيه امري من قريب ولا بعيد وشهد بهذا ابو سمر ابن ابرهة
وصعصعة بن صوحان وسعيد بن قيس وهياج ابن ابي الهياج وكتب علي ابن ابي طالب بيده لعشر خلون من جمادى
الاولى سنة سبع وثلثين • يولجني يدخلني والامنة الامن وحرجها جعلها حرجا واكثر هذه الوصية واضح غني عن الشرح
غير ان فيها نكتا الاولى جواز الوصية والوقف على هذا الوجه وتعليم الناس كيفية ذلك الثانية قوله يأكل منه بالمعروف
اي على وجه الاقتصاد الذي يحل له من غير اسراف وتبذير ولا بخل وتقتير وينفق منه في المعروف اي في وجوه البر
المتعارفة غير المنكرة في الدين الثالثة قوله فان حدث بحسن حدث كناية عن الموت والامر يحتمل ان يريد به امره عليه
السلم بما امر به وقيامه بتنفيذه واجرائه في موارده ويحتمل ان يريد به جنس الامور التي امر بالتصرف فيها وبها الرابعة
الضمير في قوله بعده للحسن وفي اصدره للامر الذي يقوم به فاما الضمير الذي في مصدره فيحتمل وجهين احدهما عوده
الى الحسن وتقديره واصدره الحسين كاصدار الحسن له ورضي في المال كتصرفه والمصدر بمعنى الاصدار كقوله والله
انبتكم من الارض نباتا اي انباتا ويحتمل ان يكون المصدر بمعنى محل الاصدار اي واصدره في محال اصداره الثاني ويحتمل
عوده الى الامر الذي وصى به عليه السلم ويكون المعنى ووضع كل شيء موضعه الخامسة قوله ان يترك المال على اصوله كناية
عن عدم اخراجه ببيع او هبة او نحوه من وجوه التمليكات السادسة قوله وان لا يبيع من اولاد نخل هذه القرى ودية حتى
تشكل ارضها غراسا والحكمة في ذلك وجهان احدهما ان الارض قبل ان تشكل غراسا ربما يموت فيها ما يحتاج الى عوضه
فينبغي ان لا يباع من فسيلها شيء حتى يكمل غراسها ويثبت بحيث لا يحتاج الى شيء الثاني ان النخلة قبل ان تشكل ارضها
يكون بعد غير مستحكمة الجذع ولا شديدة فلو قلع فسيلها من تحتها ضعفت جدا حتى لا تكاد تثبت فاما اذا قويت
واشتدت لم يكن عليها بقلع فسيلها كثير مضرة وذلك حين تشكل ارضها ويتكامل غراسها ويلتبس على الناظر
حسب ما فسره السيد رحمه الله السابعة كنى بالطواف على امائه عن نكاحهن وكن يومئذ سبع عشرة منهن امهات الاولاد
احياء معهن اولادهن ومنهن حبالى ومنهن من لا ولد لها فقضى فيهن ان حدث حادث الموت ان من كانت منهن ليس
لها ولد ولا حبلى فهي عتيق لوجه الله لا سبيل لاحد عليها ومن كان منهن لها ولد او هي حبلى فتمسك على ولدها وهي من حظه
اي يلزمه ويحتسب ثمنها من حصته وتعتق عليه فان مات ولدها وهي حية فهي عتيق لا سبيل لاحد عليها
وقضاؤه عليه السلم بكون ام الولد الحي بعده محسوبة من حظ ولدها وبعتق من مات ولدها من امائه بعد موته بناء
على مذهبه عليه السلم في بقاء ام الولد على الرق بعد موت سيدها المستولد وصحة بيعها وهو مذهب الامامية وقول قديم
للشافعي وفي الجديد انها تعتق بموت سيدها المستولد ولا يجوز بيعها وعليه اتفق فقهاء الجمهور حتى لو بيعت وقضى
قاض بصحة بيعها فالمختار من مذاهب اصحاب الشافعي انه ينقض قضاؤه وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلم** كان
يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا منها جملا ليعلم بها انه عليه السلم كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الامور

وكبيرها ودقيقها وجليلها • انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروعن مسلما ولا تجتازن عليه كارها ولا تأخذن منه اكثر من حق الله
في ماله فاذا قدمت على الحي فانزل بمائهم من غير ان تخالط ابياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم
ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق
فتؤدوه الى وليه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه او توعده او تعسفه او ترهقه
فخذ ما اعطاك من ذهب او فضة فان كانت له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فان اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها
دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة ولا تفزعنها ولا تسوءن صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم
خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ولا تزال كذلك
حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله فاقبض حق الله منه فان استقالك فاقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت
اولا حتى تأخذ حق الله في ماله ولا تأخذن عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمنن عليها الا من تثق
بدينه رافقا بمال المسلمين حتى توصله الى وليهم فتقسمه بينهم ولا توكل بها الا ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا
مجحف ولا ملغب ولا متعب • ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيره حيث امر الله به فاذا اخذها امينك فاوعز اليه
ان لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصر لبنها فيضر ذلك بولدها ولا يجهدنها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها
وليرفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمر به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الارض الى جواد الطرق
وليروحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والاعشاب حتى تأتينا باذن الله بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات
لنقسمها على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله فان ذلك اعظم لاجرك واقرب لرشدك **اقول** روعه افزعه ولا
تخدج التحية اي لا تنقصها وروي تحدج بالتحية من اخدجت السحابة اذا قل قطرها وانعم له اي قال نعم والعسف
الشدة على غير وجه والارهاق تكليف العسر والماشية الغنم والبقر والعنيف الذي لا رفق له وصدع المال صدعين
قسمه بقسمين والعود المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل والمخلف والهرمة العالية السن والمكسورة التي انكسر
احدى قوائمها والمهلوسة التي بها الهلاس وهو السل والعوار بالفتح العيب وقد يضم والمجحف الذي يسوق المال
عنيفا فيذهب بلحمه والملغب المتعب واللغوب الاعياء واحدر اليه كذا اي امره به وحال بين الشيئين حجز والمصر
حلب كل ما في الضرع من اللبن والتمصر حلب بقايا اللبن فيه والترفيه الاراحة واستأنى اي ارفق والنقب البعير الذي
رقت اخفافه والغدر جمع غدير الماء والنطاف المياه القليلة والاعشاب جمع عشب وهو النبات والبدن السمان
الواحد بادن والمنقيات التي صارت من سمنها ذات نقي وهو مخ العظم وشحم العين والنقو كل عظم ذي مخ وهذا الفصل
مشتمل على تعليم عامله على جباية الصدقات قوانين العدل في اخذها من اهلها ومدار الامر له على الشفقة عليهم والرفق
بهم واعلم ان الرفق بالرعية وان كان من اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله لاستلزامه تألف قلوبهم واجتماعها
عليه وعلى ما جاء به من الحق الا انه هنا اهم والحاجة اليه اشد وذلك ان الغرض هنا اخذ بعض ما هو اعز المطالب
عند الناس من ايديهم وهو المال ومشاركتهم فيه فتلويهم هنا اقرب الى النفار مما يدعون اليه من سائر التكاليف وهم

الى المداراة والرفق اشد حاجة فلذلك اكد عليه السلم وصية العامل بالرفق بهم والمساهلة معهم حفظا لقلوبهم وفي الخبر
مواضع الاول امره بالانطلاق معتمدا على تقوى الله غير مشرك في تقواه غيره ولا موجها نحوه في انطلاقه الى سواه لان حركة
هذه حركة دينية من جملة العبادات فيجب توجيهها الى الله بالاخلاص الثاني ان لا يروع مسلما كما هو عادة الولاة الظلمة
وان لا يجتازن عليه كارها اي لا يختار شيئا من ابله او ماشيته وكاره لاختياره وروي ولا يجتازن بالجيم اي لا يمرن على
ارض انسان ومواشيه وهو كاره لمروره عليها وبها وتنتصب كارها على الحال من الضمير المجرور الثالث امره اذا نزل الحي
ان ينزل بمائهم لان من عادة العرب ان تكون مياههم بارزة عن بيوتهم وان لا يخالط بيوتهم لما في ذلك من المشقة عليهم
الرابع قوله ثم امض اليهم الى قوله ولا تسوءن صاحبها فيها تاديب له بما ينبغي ان يفعله في حقهم مما يستلزم المصلحة
وهذه الاسباب الشفقة عليهم من الافعال كالسكينة والوقار والقيام فيهم ومن الاقوال كالسلام واداء الرسالة ومن الاحوال
الاقوال كاتمام التحية والرفق في القول ومن التروك كان لا يخيف المسلم ولا يتوعده ولا يعسفه ولا يرهقه عسرا ولا
تدخل ابله او ماشيته من غير اذنه ولا يدخلها دخول متسلط ولا جبار ولا عنيف وان لا ينفر بهيمة ولا يفزعها ولا
صاحبها فيها بضرب ونحوه لما في ذلك كله من اذى صاحبها وتغيير قلبه المضاد لمطلوب الشارع الخامس انه علل
عن دخولها بغير اذن صاحبها بان اكثرها له والكلام في قوة صغرى قياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن هذا
النهي وتقدير كبراه وكل من كان اكثر المال له فهو اولى بالتصرف والحكم في المال فلا يجوز ان لا يصح تصرف غيره فيه
دون الا باذنه السادس قوله واصدع المال الى قوله في مال الله كيفية استخراج الصدقة التي في الابل والماشية وهو ان
الابل والماشية عند اختلاط الكل فرقتين ثم يخيره فاذا اختار قسما فلا يعارضه فيه وليس له ان يتناقض في نظره آخر وكذلك
يقسم الصدع الباقي صدعين ولا يزال يفعل كذلك حتى ينتهي احد الصدعين الى مقدار الواجب من حق الله تعالى في
المال او فوقه بقليل فيوخذ منه مقدار الواجب او دونه بيسير فيتم ويحصل لرب المال اختيار احد الصدعين ولا
ان استقال من احد تلك القسم لشك في قلبه من تعيين ماله السابع نهاه ان ياخذ في مال الله ما كان بالحال الصفات
المذكورة كالعودة والهرمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة بعوار ونحوه مراعاة لحق الله تعالى في جبر الحال صارفه في جهة
الاصناف الثمانية الذين حددهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم قال قطب الدين الراوندي
الظاهر من كلامه عليه السلم انه كان يامر باخراج كل واحد من هذه الاصناف المعيبة من المال قبل ان يصدع
الثامن انه نهاه ان يامن عليها ويوكل بحفظها وسوقها الا من يثق بدينه وامانته وانقاسه نفسه يحفظه حتى يوصله الى
وليهم يعني نفسه عليه السلم ويكون ناصحا اي لله ولرسوله شفيقا اي على ما يقوم عليه وامينا حفيظا عليه ضعيف
ولا مجحف ولا متعب لوروده ذلك من الامور اللازمة في حفظ الواجب من حق الله تعالى التاسع امره ان يحمل اليه ما اجتمع
معه ولا يوخره لامرين احدهما الحاجة الى صرفه في مصارفه الثاني الخوف من تلفه باحد اسباب التلف قبل
العاشر انه عاد الى الوصية بحال البهائم وهو ان يامر امينه عند تسليم المال ان لا يحول بين ناقة وفصيلها ولا
جمع بينهما لان الامرين يضران بالولد ولا يجهدنها ركوبا ويخصصها بدون صواحبها لان ذلك مما يضر بها

جنبها في ذلك مما يقل معه ضرر الركوب وهو ايضا من الشفقة الطبيعية وكذلك امره في اللاغب والثاني بالتعب والظالع
وكذلك ان يوردها ما تمر به من الماء والكلاء وان يروحها في ساعات الرواح للغاية التي ذكرها وهي ان ماتي عالم السمن
وانما قال لقسمها على كتاب الله وسنة نبيه وان كان ذلك امرا معلوما من حاله عليه السلم لانه لما بالغ في الوصية بحالها
فربما سبق الى بعض الاوهام الفاسدة ان ذلك لغرض خاص من خلاف الكتاب والسنة ثم رغبه في ذلك بكونه
اعظم لاجره عند الله واقرب لهدى او رشده لطريق الله وهو ظاهر اما انه اعظم لاجره فلكونه اكثر مشقة
واكثر المشقة واما انه اقرب لرشده فلكونه في ذلك على اثره عليه السلم واقتدائه بهداه الذي لم يكن غايته
وبالله التوفيق **ومن عهد له عليه السلم** الى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة امره بتقوى الله في سرائر اموره وخفيات اعماله
حيث لا شهيد غيره ولا وكيل دونه وامره ان لا يعمل بشيء من طاعة الله فيما ظهر فيخالف الى غيره فيما اسر ومن لم
يختلف سره وعلانيته وفعله ومقالته فقد ادى الامانة واخلص العبادة وامره ان لا يجبههم ولا يعضههم ولا يرغب عنهم تفضلا
بالامارة عليهم فانهم الاخوان في الدين والاعوان على استخراج الحقوق وان لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا وحقا
معلوما وشركاء اهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم والا فانك من اكثر الناس
خصوما يوم القيمة وبؤسا لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون والغارم وابن السبيل ومن
استهان بالامانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد احل بنفسه في الدنيا وهو في الاخرة اذل واخزى وان اعظم
الخيانة خيانة الامة وافظع الغش غش الائمة والسلم **اقول** يقال جبهته بالمكروه اذا استقبلته به وعضهته عضها
رميته بالبهتان والكذب والفاقة والبوس والشدة والفظع الشنع وقد امره عليه السلم باوامر بعضها يتعلق بامر الله
تعالى وبعضها يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم لغاية نظام حالهم وتدبير امورهم فالذي يتعلق بحق الله تعالى
امران احدهما ان يتقيه فيما يسر من اموره ويخفى من اعماله وهي التقوى الحقة المنتفع بها وقوله حيث لا شاهد
الى موضع اسرار العمل واخفاء الامور واتى بقوله ولا شهيد غيره ولا وكيل دونه في معرض الوعيد له والتخويف
باطلاعه تعالى على سرائر العباد وخفيات اعمالهم وتوليه لها دون غيره وبه يكون هو الشهيد دون غيره على
عظمته مع الرد لما عسى ان يحكم به الوهم مطلقا من ان السرائر والامور الخفية لا يطلع عليها غيره من هي له
الثاني ان يوافق في طاعة الله تعالى بين ما ظهر منها وما بطن ويخلص اعماله الظاهرة من الرياء والسمعة
وذلك قوله وامره ان لا يعمل الى قوله فيما اسر وما في قوله فيما بمعنى الذي ويحتمل ان يكون مصدرية وفيما ظهر اي
للناس من طاعة الله وقوله ومن لم يختلف الى قوله العبادة ترغيب له فيما امره من عدم اختلاف السر والعلانية
والفعل والقول بكون ذلك مستلزما للاخلاص عبادة الله ولاداء امانته التي كلفها عباده على السنة واتيه ومنافع
كون ذلك مستلزما لثواب الله والامن من سخطه واما ما يتعلق باحوال الرعية والشفقة عليهم فمنها ما يتعلق بحال
ارباب الاموال التي يستحق عليهم الصدقة ومنها ما يتعلق بارباب الصدقة المستحقين لها اما الاول فان لا يلقاهم
بمكروه وان لا يرميهم ببهتان وكذب وان لا ينقبض عنهم ويترفع عليهم تفضلا لنفسه بالامارة واقتصر تفضيلا على

لدوقوله فانهم الاعوان الى قوله الحقوق اشارة الى احتجاج بقياس ضمير من الشكل الاول يستلزم حسن الاستبداد عما امر الا
عنه ووجوبه والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكل من كان اخا في الدين وعونا على استخراج الحقوق فحسن ان
لا يفعل في حقه شيء مما امرت بالاستبداد عنه واما انهم الاعوان على استخراج الحقوق المطلوبة منهم فانما تحصل
بواسطتهم وحصولها منهم انما يتم بالشفقة عليهم وان لا يفعل معهم شيء مما نهى عليه السلم عنه فان كل ذلك
مما ينفر طباعهم ويشتت نظام شملهم ومن يكون عاملا مال الصدقة والمستحقه عليهم ويحتمل ان يدخل في ذلك
الجند ايضا وانما تعلق بالمستحقين للصدقة فان توفيهم حقوقهم منها واشار الى الحجة على وجوب ذلك عليه بقوله
وان لك الى قوله وانا موفوك حقك وهو في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول وتقدير كبراه وكل من كان له نصيب
مفروض وحق معلوم في شيء وله شركاء فيه بصفة الفقر والمسكنة وهو مستوف لحقه منه فواجب عليه ان
يوفي شركاءه حقوقهم اما الصغرى فظاهرة واما الكبرى فاشار الى بيانها بقياس لخر من الشكل الاول من كبرى
من متصلتين فاشار الى الصغرى بقوله والا الى قوله يوم القيمة ونبه على الكبرى بقوله وبؤسا الى قوله وابن السبيل
وهي في قوتها اذ الاصناف المذكورون من مستحقي الصدقة هم الخصوم وهم اكثر الناس وكان الاوسط اتحادا
وصار تقدير القياس والا توفهم حقوقهم فانك من خصوم اكثر الناس اي الفقراء والمساكين وسائر الاصناف يوم
القيمة وكل من كان خصوم اكثر الناس وهم الاصناف المذكورة عند الله يوم القيمة فبؤسا له عند الله يوم القيمة
وينتج متصلة مركبة من مقدم الصغرى وتالي الكبرى وهي الا توفهم حقوقهم فبؤسا لك وهو في معرض التهديد والتنفير
له عن ظلمهم والاستبداد عليهم بشيء من الصدقة وشركاء عطف على قوله حقا معلوما واهل المسكنة نصب فقرا او بؤسا
على المصدر فاما الاصناف المستحقين للصدقات فهم الثمانية المعدودة في القرآن الكريم بقوله انما الصدقات للفقراء
الى قوله وابن السبيل فاما الفقير فقال ابن عباس وجماعة من المفسرين انه المتعفف الذي لا يسأل والمسكين هو الذي يسأل
وعن الاصمعي ان الفقير هو الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له واما العاملون عليها فهم السعاة في جباية الصدقات
ويعطيهم الامام منها بقدر اجور امثالهم واما المؤلفة قلوبهم فكانوا قوما من اشراف العرب تألفهم رسول الله صلى الله
عليه وآله في مبدأ الاسلام ويعطيهم سهما من الزكوة ليدعو اتباعه قومهم ويعينوه على العدو كالعباس بن مرداس وعيينة
وغيرهما ثم استغنى المسلمون عن ذلك فسقط سهمهم واما في الرقاب اي في فك الرقاب فقال ابن عباس يريد المكاتبين كانوا
يعطون سهما ليعتقوا به واما الغارمون فهم الذين لزمتهم الديون في غير معصية ولا اسراف واما في سبيل الله
فهم الغزاة والمرابطون واما ابن السبيل فهو المنقطع به في السفر ويعطى من الصدقة وان كان غنيا في بلده وقد ذكر
عليه السلم ههنا في معرض ايجاب الشفقة والرحمة لهم خمسة وهم الفقراء والمساكين ويدخل فيهم السائلون ثم
المدفوعون ويشبه ان يريد بهم العاملين عليها وسماهم مدفوعين باعتبار انهم يدفعون لجباية الصدقات وقوله
اذا اذا العوالي من لا زكاة عليه فسألوه هل عليه زكاة ام لا دفع عن نفسه وذكرهم هنا بهذا الوصف لكونه
ذل والقهار وكونه عليه السلم في معرض الامر بالشفقة عليهم وقال بعض الشارحين اراد بهم الفقراء السائلين لكونهم

يدفعون عند السؤال ثم الغارم وابن السبيل وانما ذكر هؤلاء الخمسة او الاربعة لكونهم اضعف حالا من الباقين وقوله ومن
الى قوله واخزى يحتمل ان يكون كبرى قياس احتج به في معرض الوعيد والتخويف من الخيانة على لزوم الذل والخزي
على تقدير ان لا يوفيهم حقوقهم وتقدير القياس والا توفهم حقوقهم تكن مستهينا بالامانة راتعا في الخيانة غير منزه نفسك
عنها وكل من كان كذلك فقد احل بنفسه في الدنيا الذل وهو في الآخرة اذل واخزى وروي احل نفسه اي انزلها منازل
لها وروي احل بنفسه اي اباحها والذل على الروايتين مبتدأ خبره في الدنيا والخيانة اعم من الغش وهو رذيلة
التفريط من فضيلة الامانة والغش رذيلة تقابل فضيلة النصيحة ويضاد الخيانة تحت رذيلة الفجور وقوله وان اعظم
الخيانة الى آخره تنبيه على عظم الخيانة هاهنا اذ كانت خيانة كلية لجملة الامة لاكثر المسلمين وتستلزم غش الامام الذي
هو افضل الناس واولاهم بالنصيحة فاذا كان مطلق الخيانة ولو في حق اقل الخلق واحقر الاشياء منهيا عنها وتستحق فاعلها
الخزي عليها فبالاولى مثل هذه الخيانة العظيمة وكل ذلك في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالامانة
وبالله التوفيق **ومن عهد له عليه السلم** الى محمد ابن ابي بكر رحمه الله لما قلده مصر فاخفض لهم جناحك والن لهم
جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء
من عدلك عليهم فان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من اعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة فان يعذب
فانتم اظلم وان يعف فهو اكرم واعلموا عباد الله ان المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا اهل الدنيا في دنياهم
ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم سكنوا الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت فحظوا من الدنيا بما حظي
به المترفون واخذوا منها ما اخذه الجبابرة المتكبرون ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح اصابوا لذة زهد
الدنيا في دنياهم وتيقنوا انهم جيران الله غدا في آخرتهم لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة فاحذروا عباد الله
الموت وقربه واعدوا له عدته فانه يأتي بامر عظيم وخطب جليل بخير لا يكون بعده شر ابدا او شر لا يكون معه خير ابدا
فمن اقرب الى الجنة من عاملها ومن اقرب الى النار من عاملها وانتم طرداء الموت ان اقمتم له اخذكم وان فررتم منه ادرككم
وهو الزم لكم من ظلكم الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم فاحذروا نارا قعرها بعيد وحرها شديد
وعذابها جديد دار ليس فيها رحمة ولا تسمع فيها دعوة ولا تفرج فيها كربة وان استطعتم ان يشتد خوفكم من الله وان
يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما فان العبد انما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وان احسن الناس ظنا بالله اشدهم خوفا لله
واعلم يا محمد بن ابي بكر اني قد وليتك اعظم اجنادي في نفسي اهل مصر فانت محقوق ان تخالف على نفسك وان تنافح
عن دينك ولو لم يكن لك الا ساعة من الدهر ولا تسخط الله برضا احد من خلقه فان في الله خلفا من غيره وليس من الله
خلف في غيره صل الصلوة لوقتها الموقت لها ولا تعجل وقتها لفراغ ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك
اقول قلده الامر جعله في عنقه كالقلادة وهو لفظ مستعار وحظي من كذا اي صار له منه حظوة وهي المنزلة والحظ
الوافر والجبار البالغ في التكبر والطرداء جمع طريد وهو ما يطرده من صيد ونحوه والخلف العوض وهذا الفصل ملتقط
من كلام طويل ومداره على امور الاول وصيته محمد رضي الله عنه بمكارم الاخلاق في حق رعيته وذكر اوامر احدها الامر

الجناح قيل واصله ان الطاير يمد جناحيه ويخفضهما للجمع فواخذ منهما الفاء الشفقة عليهم فاستعمل كناية عن التواضع
الكناية عن الرحمة والشفقة كما قال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين وقد بينا ان التواضع ملكة تحت فضيلة
العفة الثاني امره بالاستجابة كناية عن الرفق بهم في الاقوال والافعال وعدم الغلظة عليهم والجفاء في حقهم وكلي الاحوال
وهو قريب من التواضع ومن لوازمه الثالث امره ان يبسط لهم وجهه وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والطلاقة
من غير تقطيب وعبوس وهو من لوازم التواضع ايضا الرابع ان يواسي بينهم في النظرة واللحظة وهي اخص من
النظرة وهو كناية عن الاستقصاء في العدل بينهم في جليل الامور وحقيرها وقليلها وكثيرها وقوله حتى لا يطمع الى
قوله عليهم بيان وجه الحكمة في امره بالمساواة بينهم في اللحظة والنظرة على حقارتهما فان قلت فلم خصص العظماء
بالطمع في الحيف والضعفاء باليأس من العدل قلت لان العادة ان الولاة والامراء انما يخصصون بالنظر والاقبال عليها
الاغنياء والعظماء دون الضعفاء وذلك التخصيص مستلزم لطمعهم ان يحافوهم والاعراض عن الضعفاء مستلزم لليأس
من العدل في حقهم والضمير في قوله عليهم يرجع الى العظماء الثاني الوعيد للعباد بسوال الله لهم عن صغير اعمالهم
وكبيرها وظاهرها ومستورها والاعلام بانهم مظنة عذاب لبداءتهم بمعصيته والبادي اظلم قال الراوندي رحمه الله
المراد بالظلم الظالم قلت ويحتمل ان يكون قد سمى ما يجازيهم به من العذاب ظلما مجازا لمشابهة الظلم في الصورة
كما سمي في القصاص اعتداء في قوله فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وترتيب اليه ظلمهم فضل وان كان افعل
التفضيل باعتبار كونهم بداءوا بالمعصية وكذلك الاعلام بانه تعالى مظنة الكرم بالعفو عنهم الثالث اعلامهم بما
لهم من استعمال الدنيا والتنبيه على كيفية استعمالها الواجب بوصف حال المتقين فيها ليقتدوا بحالهم وهي ما
اخبر عنه بقوله ذهبوا بعاجل الدنيا الى قوله ولا تنقص لهم نصيب من لذة وخلاصة حالهم المذكورة انهم اكثر فائدة
من اهل الدنيا اذ حصلوا من اللذة في دنياهم على افضل ما حصل لاهلها من لذاتهم بها مع زيادة الفوز الاكبر في الاخرة بما
وعد فيها المتقون واعلم ان الذي خبر اليه من عاجل الدنيا في حق المتقين الذين شاركوا اهلها بها وحظوا بما
تماحظي به المترفون واخذوه الجبابرة المتكبرون هو ما حصلوا عليه من لذات الدنيا المباحة لهم بقدر ضرورتهم
وحاجتهم كما روي عنه في صفتهم بلفظ آخر شاركوا اهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم اهل الدنيا في آخرتهم اباحهم الله
في الدنيا ما كفاهم وبه اغناهم قال الله عز اسمه قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
الاية سكنوا من الدنيا بافضل ما سكنت واكلوها بافضل ما اكلت شاركوا اهل الدنيا في دنياهم فاكلوا معهم من
طيبات ما ياكلون وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا بافضل ما يلبسون وتزوجوا من افضل ما يزوجون
اصابوا لذة الدنيا مع اهل الدنيا وهم فيها جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم
نصيبا من لذة واما وجه كونهم اكلوها على افضل ما اكلت وسكنوها بافضل ما سكنت فلانهم استعملوها على الوجه
الذي ينبغي لهم وقد امروا باستعمالها عليه وظاهر ان ذلك الوجه افضل الوجوه واما انهم شاركوا اهل الدنيا في
طيباتها فظاهر بل نقول ان لذتهم بما استعملوا منها اتم واكمل وذلك لان كل ما استعملوه منها من ماكول ومشروب ومنكوح

ما ايثر وجوده وبكو الافضل صح

انما كان

انما كان عند الحاجة والضرورة اليه وقد علمت ان الحاجة الى الملذ كلما كانت اشد واقوى كانت اللذة به عند حصوله اتم
واعلى وذلك من الامور الوجدانية فيثبت اذن انهم حظوا منها بما حظي به المترفون واخذوا منها ما اخذ الجبابرة
المتكبرون مع ما فضلوا به من الحصول على الاجل الاخروي الذي لم يشاركهم اهل الدنيا فيه لقوله تعالى ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب واما الزاد المبلغ لهم الى ساحل العزة وحضرة الجلال فهو
التقوى الذي اتصفوا به كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى وقد علمت معنى كونه زادا غير مرة واستعار
للتقوى والطاعة لفظ المتجر باعتبار كون الغاية المقصودة منها استفاضة ثواب الله المشبه للثمن ورشح
بذكر الربح اي المكتسب للربح وذلك باعتبار زيادة فضل ثواب الله في الاخرة على ما بذله العبد من نفسه من العمل وقوله
اصابوا لذة زهد الدنيا في الدنيا اشارة الى بعض ما تزودوا به من اللذات في الدنيا وهو لذة الزهد اذ كان لهم بطرح الدنيا
عن اعناق نفوسهم ووصولهم بسببه الى ما وصلوا اليه من الكمالات العالية ابتهاجات عظيمة اجل واعلى مما يجده المترفون
والمتكبرون الذين لم يحل لهم ان يتكبروا على المتكبرين اذ كان الكمال الذي به تكبر المتكبرون امرا خياليا ضعيفا
بالقياس الى الكمال الحق الذي حصل عليه هولاء وقوله وتيقنوا انهم جيران الله غدا الى يوم القيمة وهو اشارة الى جهة فرحهم بجوار
الله والتذاذهم به المضاف الى ما اصابوه من لذة زهد الدنيا وتلك الجهة هي ما حصلوا عليه من اليقين بالقرب الى
الله بعد مفارقة الابدان وذلك معنى جواره وقوله لا ترد لهم دعوة اشارة الى بعض فضائلهم التي انفردوا بها
ايضا المتفرعة على كمال نفوسهم وكرامتهم عند الله اللازمة عن لزوم طاعته وهو كونهم مجابي الدعوة مع ما شاركوا
غيرهم فيه من كمال اللذة في الدنيا وانفردوا به من تمامها في الاخرة الرابع تحذيرهم من الموت وقربه وتنبيههم على ما يأتيهم
من ذلك التحذير وهو ان يعدوا الرحلة التي يلحق بها فلا يكون له كثير ضرر وقد علمت ان التقوى والعمل الصالح واكد
الامر باعداد عدته بالتنبيه على عظيم ما ياتي به من الامر والخطب الجليل واشار الى ان ذلك الامر قد يكون خيرا لا شر معه ابدا
لمن سدد الرغبة وتقوى في اكمال العدة المستلزمة لتحصيل ذلك الخير وقد نبه على ان ذلك الخير الذي ياتي به الموت هو الجنة وذلك
الشر هو النار وان المقرب الى كل منهما والمستلزم للحصول عليه هو العمل له بقوله فمن اقرب الى الجنة من عاملها الى قوله وانتم
طرداء الموت الى قوله خلفكم على ان هذا الامر المستعقب لاحدى الحالتين العظيمتين وهو الموت لا بد من لقائه لكن الامر حاصل لا محالة
ثم استعار لهم لفظ الطرداء ملاحظة لشبههم بما يطرد من صيد ونحوه ولشبهه بالفارس الجد في الطلب الذي لا بد
من ادراكه الطريدة وظاهر انه الزم من كل امرئ من ظله اذ كان ظل المرء قد ينفك عنه حيث لا ضوء والموت امر لازم لا ينفك
منه وقوله والموت معقود بنواصيكم كناية عن لزومه وكونه لا بد منه ايضا اي مشدود مربوط بنواصيكم وذلك
الربط اشارة الى حكم القضاء الالهي به وكونه ضروريا للحيوان وانما خص الناصية لانها اشرف ما في الانسان واشرف ما
لها املك لها واقدر على ضبطه ونحوه قوله تعالى فيؤخذ بالنواصي والاقدام واستعار لفظ الطي لتقضي احوال
الدنيا وايامها التي تعظم الانسان وتقادمها ملاحظة لشبه احوالها بما يطوى من بساط ونحوه وظاهر ان ذلك
الطي من خلفكم اي فيما بالنسبة الى ما يستقبلونه من احوالها بوجوه هممهم ثم لما كرر ذكر الموت والكلام ومرحلي

الدنيا يرجع الى التحذير من غايته وهي النار ووصفها باوصافها ليشتد الحذر منها وهي بعد قعرها وما ينبه عليه ما روي
ان النبي صلى الله عليه وآله سمع هدة فقال للاصحاب هذا حجر القي من شفير جهنم فهو يهوي فيها منذ سبعين خريفا
والآن حين وصل الى قعرها وكان ذلك اشارة منه الى منافق مات في ذلك الوقت وعمره سبعون سنة وقد
اشير الى ذلك من قبل وشدة حرها كقوله تعالى قل نار جهنم اشد حرا وجدة عذابها كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها ليذوقوا العذاب وكونها ليست بدار رحمة ولا يسمع لها دعوة لقوله تعالى ربنا اخرجنا منها الآية الى
تكلمون وكونها لا تفرج فيها كربة لقوله تعالى في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وقوله ونادوا يا مالك
الى قوله ماكثون الخامس قوله وان استطعتم الى قوله جعلهما امرهم بالجمع بين شدة الخوف من الله وحسن الظن به وهما
بابان عظيمان من ابواب الجنة كما علمت فيما سلف ثم اشار الى انهما متلازمان بقوله فان العبد الى قوله خوفا فان مقدار
حسن ظن العبد بربه مطابق وملازم لمقدار خوفه منه وان زيادته مع زيادته ونقصانه مع نقصانه واعلم انه عليه السلام
لم يجعل احدهما علة للآخر بل جعلهما معلولا علة واحدة فسا وبابهما وهي معرفة الله ثم لما كانت معرفة الله تعالى مقولة
الشدة والضعف كان حسن الظن به ورجاؤه وشدة الخوف منه ايضا مما يشتد ويضعف بحسب قوة المعرفة
وضعفها الا ان كل واحد منهما ليستند الى صنف من المعرفة واعتبار خاص يكون هو مبدأه والقريب لما في حسن الظن
والرجاء فان يلحظ العبد من ربه وعنايته جميع اسباب نعمه على خلقه حتى اذا علم لطائفها في خلقهم مما هو ضروري لهم
كآلات الغذاء وما هم اليه محتاجة كالاظفار وما هو زينة كتقويس الحاجبين واختلاف الوان العينين وعلم انه ليس
بضروري علم ان العناية الالهية اذا لم تقصر عن عباده في امثال هذه الدقائق حتى لم يرض لعباده ان تفوتهم المزايا
والمزايا في الزينة والحاجة كيف يرضى بسياقهم الى الهلاك الابدي بل اذا زاد اعتبارا في هذا الباب علم انه تعالى هيأ
لاكثر الخلق اسباب السعادة في الدنيا حتى كان الغالب على اكثرهم الخير والسلامة سنة الله التي قد خلت في عباده
علم ان الغالب في امر الآخرة ذلك ايضا لان مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو لطيف بعباده وهو الغفور الرحيم
فيكون هذه الملاحظات والاعتبارات مستلزمة لحسن الظن وباعثة على الرجاء من هذه الاعتبارات النظر في
الشريعة وسننها وفي مصالح الدنيا ووجه الرحمة على العباد بها وبالجملة ان يعتبر صفات الرحمة واللطف واما في الخوف
فاقوى اسبابه ان يعرف الله تعالى وصفات جلاله وعظمته وتعاليه وسطوته واستغنائه وانه لو اهلك العالمين
لم يبال ولم يمنعه مانع وكذلك سائر اعتبارات الصفات التي تقتضي العنف وايقاع المكاره كالسخط والغضب
قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وآله انا اخوفكم لله وبحسب اشتداد المعرفة تشتد الاعتبارات
يكون حال الخوف واحتراق القلب ثم يفيض اثر ذلك على البدن فيحصل الذبول والصفار والغشية والرعدة والزعقة
على الجوارح فيكفها عن المعاصي ويقيدها بالطاعات استدراكا لما فرط وفي الصفات فيقمع الشهوات
اللذات ولاحتراق القلب بالخوف يحصل له ذبول وذلة يفارقه معها كثير من الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل
وغيرها ثم ان الجمع بينهما يستلزم كثيرا من الفضائل وذلك ان معرفة الله تعالى واليقين به اذا حصل هيج الخوف من عظمته

لتوابع الضرورة ومما يفيد ان الصبر حفت الجنة بالمكاره فلا صبر على تحملها الا بقوة الرجاء وحفت النار بالشهوات فلا صبر على
تركها الا بقوة الخوف ولذلك قال علي عليه السلام من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ثم يؤدي
مقام الصبر الى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله ودوام الفكر فيه وهي مؤدية الى كمال المعرفة المؤدية الى الانس المؤدي الى
المحبة المستلزمة لمقام الرضا والتوكل اذ من ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته ولما ثبت انهما معلولا علة
واحدة ثبت انهما متلازمان وليسا متضادين وان ظن ذلك في ظاهر الامر بل ربما غلب احدهما على الآخر بحسب غلبة
اسبابه فيشتغل القلب به ويغفل عن الآخر فيظن انه يعدمه ومن ثم لذلك اتى عليه السلام هنا بان المقتضية للشك في
استطاعتهم الجمع بينهما ثم نبهه على الحاسة التي يتولاه اعظم اجناده ليبقى على التذكير بتلك النعمة ما يريد ان يوصيه
السادس نبهه على ما ينبغي له وهو اولى به وذلك ان يخالف على نفسه الامارة فيما تامر به من السوء والفحشاء وسائر مناهي الله
الى ما يحكم به العقل والشرع من طاعته وان ينافح عن دينه ويجاهد شياطين الانس والجن فيه ولو لم يكن له من الدهر الا
ساعة فينبغي ان لا يشغلها الا بالمجاهدة عن دينه وان لا يسخط الله برضا احد من خلقه اي بمتابعة احد من خلق الله
فيما يسخط الله وقوله فان في الله الى قوله في غيره احتجاج على وجوب مراعاة رضاه تعالى دون غيره بقياس ضمير من
الاول والمذكور في قوة صغرى وتقدير الكبرى وكلما كان في الله خلف عن غيره وليس في غيره خلف منه فالواجب
رضاه وان لا يسخط برضا غيره ثم امره ان يصلي الصلاة لوقتها الموقت لها اي المعين واللام للتخصيص والتمليك
وان لا يعجلها على وقتها لفراغه في ذلك الوقت ولا يؤخرها عن وقتها لشغله عنها بغيرها فانها اهم من كل شغل واولى ثم اعلمه
ان كل شيء من الاعمال الصالحة تبع للصلاة والمراد ان الانسان اذا حافظ على صلاته واتى بوظائفها في اوقاتها فيوشك ان
يكون على غيرها اولى بالمحافظة واذا تساهل فيها فهو في غيرها اكثر تساهلا وذلك لانها عمود الدين وافضل العبادات
كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقد سئل عن افضل الاعمال فقال الصلاة لاول وقتها وقال صلى الله عليه
وآله اول ما يحاسب به العبد الصلاة فمن تمت صلاته سهل عليه غيرها من العبادات ومن نقصت صلاته
فانه يحاسب عليها وعلى غيرها واعلم انه ذكر امر الصلاة في هذا العهد بكلام طويل تركه السيد رحمه الله وفيه بيان حال
الصلاة ولواحقها واوله ان قال فانظر الى صلاتك كيف هي فانك امام القوم ان تتمها او تخففها فليس من امام
يصلي بقوم يكون في صلاتهم نقصان الا كان عليه لا ينقص من صلاتهم شيء وان يتمها ويحفظ فيها يكن لك
مثل اجورهم ولا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وانظر الى الوضوء فانه من تمام الصلاة تمضمض ثلثا واستنشق
ثلثا واغسل وجهك ثم يدك اليمنى ثم اليسرى ثم امسح راسك ورجليك فاني رايت رسول الله صلى الله عليه
وآله يصنع ذلك واعلم ان الوضوء نصف الايمان ثم ارتقب وقت الصلوة فصلها لوقتها ولا تعجل بها قبل الوقت لفراغ
ولا تؤخرها عنه لشغل فان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وآله عن اوقات الصلوة فقال صلى الله عليه وآله اتاني جبرئيل فاراني وقت الصلاة الظهر
حين زالت الشمس وكانت على حاجبه الايمن ثم اراني وقت العصر وكان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين
غربت الشمس ثم صلى العشاء الآخرة حين غاب الشفق ثم صلى الصبح فاغلس بها والنجوم مشتبكة فصل لهذه الاوقات

والوزر السنة المعروفة والطريق الواضح ثم انظر ركوعك وسجودك فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اتم الناس صلاة واحفظهم عملا فيها واعلم ان كل شيء من عملك تبع لصلاتك فمن ضيع الصلاة فانه لغيرها اضيع اسال الله الذي يرى ولا يرى وهو بالمنظر الاعلى ان يجعلنا واياك ممن يحب ويرضى حتى يعيننا واياك على شكره وذكره وحسن عبادته واداء حقه وعلى كل شيء اختاره لنا في ديننا ودنيانا واخرتنا **ومن هذا العهد** فانه لا سواء امام الهدى وامام الردى وولي النبي وعدو النبي ولقد قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله اني لا اخاف على امتي مؤمنا ولا مشركا اما المؤمن فيمنعه الله بايمانه واما المشرك فيقمعه الله بشركه ولكني اخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان يقول ما تعرفون ويفعل ما تنكرون **اقول** هذا الفصل متصل بقوله واخرتنا من فصل الصلاة واوله وانتم يا اهل مصر فليصدق قولكم فعلكم وسركم علانيتكم ولا تخالف السنتكم قلوبكم انه لا يستوي الى قوله تنكرون ثم فصل يا محمد بن ابي بكر اعلم ان افضل العفة الورع في دين الله والعمل بطاعته واني اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيتك وعلى اي حال كنت عليه الدنيا دار بلاء ودار فناء والاخرة دار الجزاء ودار البقاء فاعمل لما يبقى واعدل عما يفنى ولا تنس نصيبك من الدنيا اني اوصيك بسبع هي جوامع الاسلام اخش الله عز وجل في الناس ولا تخش الناس في الله وخير القول ما صدقه العمل ولا تقض في امر واحد بقضاءين مختلفين فيختلف امرك وتزيغ عن الحق واحب لعامة رعيتك ما تحب لنفسك واهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك واهل بيتك فان ذلك اوجب للحجة واصلح للرعية وخض الغمرات الى الحق ولا تخف في الله لومة لائم وانصح المرء اذا استشارك واجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين وبعيدهم جعل الله مودتنا في الدين وحلتنا واياكم حلة المتقين وابقى لكم طاعتكم حتى يجعلنا بها اخوانا على سرر متقابلين احسنوا اهل مصر موازرة اميركم واثبتوا على طاعتكم تردوا حوض نبيكم صلى الله عليه وآله اعاننا الله واياكم على ما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والقمع القهر والادلال واعلم انه لما امرهم بترك النفاق وسوء الفعل الجميل استدرجهم الى ذلك وجذبهم اليه بالفرق بينه وبين غيره من الائمة فاشار بامام الهدى وولي النبي الى نفسه وبامام الردى وعدو النبي الى معوية واسند الخبر المشهور الى النبي عليه السلم واراد بمنافق الجنان عالم اللسان معوية واصحابه كل ذلك ليبعثوا الى طاعته عليه السلم وينفروا عن خصمه واما سر الخبر فظاهر ان المؤمن لايمانه لا يخاف منه على المسلمين واما المشرك فان الله يقمعه ويذله بشركه ما دام مشركا متظاهرا بالشرك لظهور الاسلام وغلبة المسلمين واتفاقهم على مجاهدته ومعاداته وعدم الاصغاء الى ما يقول واما خوف المنافق الذي من شانه اسرار الكفر واظهار الاسلام وتعلم احكامه وخالط اهله فهو يقول بلسانه ما يقولون ويفعل ما ينكرون ووجه المخافة منه ان مخالطته لاهل الاسلام مع اظهاره له يكون سببا لاصغائهم اليه ومجالستهم له والاغترار بما يكيد به من صداقة وصدق وعلمه اللساني وقدرته على الشبه المضلة وتمويهها بالاقوال الحلوة قد يكون سببا لانفعال كثير من عوام المسلمين وفتنتهم عن الدين وقوله ان افضل العفة الورع فالورع هو لزوم الاعمال الجميلة وهو ملكة تحت فضيلة العفة وظاهر انها جماع الفضائل التي تحت العفة فيكون افضل من كل منها وقوله واخش الله

الناس اي خف منه فيما يفعله بهم من شر بمعصيته وقوله ولا تخش الناس في الله اي لا تخف احدا منهم ولا تراقبه فيما يفعله من طاعة الله فتعدل عن طاعته لخوفك منهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية جوابا وهو من محاسن الكتب **اما بعد** فقد اتاني كتابك تذكر اصطفاء الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لدينه وتاييده اياه بمن ايده من اصحابه فلقد خبا لنا الدهر منك عجبا اذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ونعمته علينا في نبينا فكنت في ذلك كناقل التمر الى هجر او داعي مسدده الى النضال وزعمت ان افضل الناس في الاسلام فلان وفلان فذكرت امرا ان تم اعتزلك كله وان نقص لم يلحقك ثلمه وما انت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وابناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الاولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم هيهات لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها الا تربع ايها الانسان على ظلعك وتعرف قصور ذرعك وتتاخر حيث اخرك القدر فما عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر وانك لذهاب في التيه رواغ عن القصد الا ترى غير مخبر لك لكن بنعمة الله احدث ان قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ولكل فضل حتى اذا استشهد شهيدنا قيل سيد الشهداء وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه اولا ترى ان قوما قطعت ايديهم في سبيل الله ولكل فضل حتى اذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل الطيار في الجنة وذو الجناحين ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذان السامعين فدع عنك من مالت به الرمية فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا لم يمنعنا قديم عزنا وعادي طولنا على قومك ان خلطناكم بانفسنا فنكحنا وانكحنا فعل الاكفاء ولستم هناك واني يكون ذلك كذلك ومنا النبي ومنكم المكذب ومنا اسد الله ومنكم اسد الاحلاف ومنا سيدا شباب اهل الجنة ومنكم صبية النار ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب في كثير مما لنا وعليكم فاسلامنا ما قد سمع وجاهليتكم لا تدفع وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله سبحانه واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين فنحن مرة اولى بالقرابة وتارة اولى بالطاعة ولما احتج المهاجرون على الانصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلجوا عليهم فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وان يكن بغيره فالانصار على دعواهم وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت وعلى كلهم بغيت فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع ولعمر الله لقد اردت ان تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه وهذه حجتي الى غيرك قصدها ولكني اطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها ثم ذكرت ما كان من امري وامر عثمان فلك ان تجاب عن هذه لرحمك منه فاينا كان اعدى له واهدى الى مقاتله امن بذل له نصرته فاستقعده واستكفه ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه حتى اتى قدره عليه كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم

والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا ياتون الباس الا قليلا وما كنت لاعتذر من اني كنت انقم عليه احداثا فان كان الذنب
اليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له وقد يستفيد الظنة المتنصح وما اردت الا الاصلاح ما استطعت وما
توفيقي الا بالله عليه توكلت وذكرت انه ليس لي ولاصحابي عندك الا السيف فلقد اضحكت بعد استعبار متى الفيت بني
عبد المطلب عن الاعداء ناكلين وبالسيوف مخوفين فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلبك من تطلب ويقرب منك
ما تستبعد وانا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان شديد زحامهم ساطع قتامهم
متسربلين سرابيل الموت احب اللقاء اليهم لقاء ربهم قد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع
نصالها في اخيك وخالك وجدك واهلك وما هي من الظالمين ببعيد اقول هذا الكتاب ملتقط من كتاب كتبه
السيد منه فصلا لما قاله وهو قوله فاراد قومنا اهلاك نبينا وقد ذكرنا كتاب معوية الذي هذا الكتاب جواب
له وذكرنا الكتاب باسره هناك وان كان فيه اختلاف الفاظ بسبب تبين الروايات وخبأت الشي سترته وطفق
مثل اخذ وجعل وهجر مدينة من بلاد البحرين والنصال الرامات والمسدد الذي يقوم غيره لامر وتهديد اليد واعتزالك
تباعدك عنك والثلم الكسر والطليق من اطلق بعد الاسر والربع الوقوف والظلع العرج والذرع بسط اليد والتيه
الضلال والتحير في المفاوز والرواغ كثير الميل عن القصد والجهة الكثيرة وجح المكان من فيه القاء والرمية
يرمي والصنيعة الحسنة والفلج الفوز والشكاة والشكية والشكاية ظاهرها والظاهر الزائل والمخشوش الذي
جعل في انفه خشاش وهو خشبة تدخل في انف البعير ليقاد بها والغضاضة الذلة والمنقصة وجمع اعرض
واعدي اشد عدوانا والمعوقين المثبطين والظنة التهمة والمتنصح المبالغ في النصيحة والاستعبار البكاء
واللبث كذا وجدته والنكول التاخر جبنا والارقال ضرب من السير السريع والجحفل الجيش العظيم والساطع
المرتفع والقتام الغبار والسرابيل القمصان والنصال السيوف وقد اجاب عليه السلام عن كل فصل من كتاب
معوية بفصل والكتاب افصح ما اختار السيد رحمه الله من الكتب وفيه نكت الاولى انه استعار لفظ الخبء
لما ستره الدهر في وجود معوية من العجب فقال اذ طفقت الى قوله النصال ووجه العجب هنا
اخبار اهل بيت النبي بحال النبي وما انعم الله به عليه من اصطفائه له لدينه وتاييده باصحابه مع علمهم
البالغ بحاله وكونهم اولى بالاخبار عنها وضرب له في ذلك مثلين احدهما قوله كناقل التمر الى هجر واصل
هذا المثل ان رجلا قدم من هجر الى البصرة بمال اشتري به شيئا للربح فلم يجد فيها اكسد من التمر فاشترى بماله
تمرا وحمله الى هجر وادخره في البيوت ينتظر به السعر فلم يزدد الا رخصا حتى فسد جميعه وتلف ماله
فضرب مثلا لمن يحمل الشي الى معدنه لينتفع به فيه ووجه مطابقة المثل هنا ان معوية حمل الخبر بما اخبر به
الى معدنه الذي هو اولى به منه كحامل التمر الى معدنه الذي هو اولى به منه كحامل التمر الى هجر وهجر معروفة بكثرة
التمر حتى انه ربما بلغ سعره خمسين جلة بدينار ووزن الجلة مائة رطل فذلك خمسة الاف رطل ولم يسمع
مثل ذلك في بلاد اخرى وهجر اسم قد يذكر لقصد الموضع ولذلك صرفها شاعرهم حيث يقول خطها

الخطارة الاولى قال اول الاثاد ما واهجر قري هجر الثاني انه شبهه بداعي مسدده الى النضال ووجه التشبيه
ايضا انه حمل الخبر الى من هو اولى به منه كما يدعو الانسان مسدده واستاده في الرمي الى المراماة ومسدده
اولى بان يدعوه الى ذلك الثانية ان معوية لما اقتص حال الصحابة وذكر الافضل فالافضل منهم معرضا بالقدح
عليه بعد مشاركتهم في الفضل اجابه بان ذلك التفضيل والترتيب اما ان يتم او لا فان تم فهو بمعزل عنك
اذ ليس لك نصيب ولا شرك في درجاتهم ومراتبهم وسابقتهم في الاسلام فيكون اذن خوضك فيه خوضا
فيما لا يعنيك وان نقص فليس عليك من نقصانه عار ولا يلحقك منه وهن فخوضك فيه ايضا فضول وقوله
وما انت وما الطلقاء استفهام على سبيل الاستحقار والانكار عليه ان يخوض على صغر شانه وحقارته
في هذه الامور الكبار والمنقول ان ابا سفيان كان من الطلقاء وكذلك معوية فهو طليق وابن طليق وتمثل
عمر حين قال الوليد بن عقبة بن ابي معيط اقتل من دون قريش فقال عمر حن قدح ليس منها وقوله هيهات استبعاد
لاهليته لمثل هذا الحكم وترتيب طبقات المهاجرين في الفضل ثم ضرب له في حكمه ذلك مثلين آخرين احدهما
قوله لقد حن قدح ليس منها واصله ان احد قداح الميسر اذا كان ليس من جوهر باقي القداح ثم احاله المفيض
له صوت يخالف اصواتها فعرف به انه ليس من جملتها فضرب مثلا لمن يمدح قوما ويطريهم ويفتخر بهم مع انه
ليس منهم الثاني قوله وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها فضرب لمن يحكم على قوم وفيهم وهو من اراذلهم وليس
للحكم باهل بل هم اولى منه به اذ شان الاشراف ان يكونوا حكاما ومراده ان معوية ليس من القوم الذين حكم بتفضيل
بعضهم على بعض في شي وليس اهلا للحكم فيهم الثالث قوله الا تربع ايها الانسان على ظلعك استفهام على
سبيل التنبيه له على قصوره عن درجة السابقين والتقريع له على ادعاء علو لها اي لم تترفق بنفسك ولا تكلفها
عنه ويعف بها عن مجاراة اهل الفضل حال ظلعك واستعار لفظ الظلع لقصوره ووجه المشابهة قصوره
عن لحوق رتبة السابقين في الفضل كقصور الظالع عن شاو الضليع وكذلك قوله وتعرف قصور ذرعك
وقصور ذرعه كناية عن قصور قوته وعجزه عن تناول تلك الرتبة وحيث اخره القدر اشارة الى مرتبته التي
التي جرى القدر بها ان يكون نازلا عن مراتب السابقين وقد امره بالتاخر فيها والوقوف عندها تقريعا وتوبيخا له
وقوله فما عليك الى قوله الظافر في قوة احتجاج على وجوب تاخره بحيث حده المرتبة بقياس ضمير من الشكل الاول
والمذكور في قوة صغرى وتقديرها فلست المغلوب في هذا الامر الكبير ليس عليك منه شي وظفر الظافر
ليس عليك منه شي وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب تاخره عنه واعتزاله ايام ولا كان سعيها بد
فيما لا يعنيه الرابعة قوله وانك لذهاب في التيه اي كثير الذهاب والتوغل في الضلال عن معرفة الحق كثير
العدول عن العدل والصراط المستقيم في حقنا وعن الفرق بيننا وبينكم ومعرفة فضائلنا وردنا الكلام
بنبهه على وجه الفرق بينهم وبين من عداهم من المهاجرين والانصار بذكر افضلية منه التي انفردوا بها دونهم في
الحياة وبعد الممات بعد ان قرر ان لكل من الصحابة فضلا لتثبت الافضلية لهم بالقياس اليهم وذلك قوله

الا ترى الى قوله الجناحين فمن ذلك افضليتهم في الشهادة وشهيدهم الذي اشار عليه عمه حمزة بن عبد المطلب
رضي الله عنه واشار الى وجه افضليته بالنسبة الى ساير الشهداء من وجهين احدهما قولي وهو تسمية الرسول
صلى الله عليه وآله سيد الشهداء والثاني فعلي وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله خصه بسبعين تكبيرة
عند صلاته عليه في اربع عشرة صلاة وذلك انه كان كلما اكبر عليه خمسا حضرت جماعة اخرى من الملائكة
فصلى بهم عليه ايضا وذلك من خصائص حمزة رضي الله عنه وشرف بني هاشم في حياتهم وموتهم ومنه
افضليتهم فيما فضل بعضهم من التمثيل به كما فضل اخيه جعفر بن ابي طالب من قطع يديه فسماه رسول الله
صلى الله عليه وآله بذلك الاعتبار ذا الجناحين والطيار في الجنة ومن المنقول عن علي عليه السلام من
الشعر فيه والفخر به الى معوية وجعفر الذي يضحي ويمسي يطير مع الملائكة ابن امي وقد ذكرنا
مقتلهما وقاتليهما من قبل ثم اشار الى ان له فضايل جمة تعرفها قلوب المؤمنين ولا تمجها اذانهم وانما
ترك تعديدها وذكرها في معرض الفخر بها لنهي الله سبحانه عن تزكية المرء نفسه والذاكر يعني نفسه وانما
نكره ولم يات بالالف واللام ولم ينسبه الى نفسه لان في ذلك صريح الدلالة على تزكيته لنفسه واستعار
لفظ المج لكراهية النفس لبعض ما تكره سماعه واعراضها عنه فانها تصير كالقاذف له من الاذن كما
يقذف الماج الماء وقوله فدع عنك من مالت به الرمية اي فدع عنك اصحاب الاغراض والمقاصد
الفاسدة ولا تلتفت الى ما يقولون في حقنا كعمرو بن العاص ويحتمل ان تكون الاشارة اليه بنفسه
على طريقة قولهم اياك اعني واسمعي يا جارة واستعار لفظ الرمية وكنى بها عن الامور التي تقصدها
النفوس وترميها بقصودها ونسب الميل اليها لانها هي الجاذبة للانسان والمائلة به الى الحاملة له على
الفعل وقوله فانا صنايع ربنا الى قوله لنا تنبيه من وجه اخر على افضليتهم من جهة اختصاص الله سبحانه
اياهم بالنعمة الجزيلة وهي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كان الناس عيالا لهم فيها
اذ كانت تلك النعمة ولوازمها انما وصلت الى الناس بواسطتهم ومنهم واكرم بها فضيلة وشرفا على
ساير الخلق وهذا التنبيه في قوة صغرى ضمير من الشكل الاول في معرض الافتخار والاحتجاج على انه لا ينبغي
لاحد ان يعارضهم في شرف او يفاخرهم وينافسهم في فضيلة وتقدير الكبرى وكل من كان مصطنعا له
ربه بلا واسطة والناس بعد صنايع له وبواسطته فلا ينبغي لاحد من الناس ان يعارضه في فضل
او يجاريه في شرف ويجوز بلفظ الصنايع في الموضعين اطلاقا لاسم المفعول على القابل والحال
على المحل ثم كثر ذلك المجاز يقال فلان صنيعة فلان اذا اخصه لموضع نعمته كقوله تعالى
واصطنعتك لنفسي وقوله لم يمنعنا الى قوله هنالك امتنان في معرض الافتخار ايضا وعادي منسوب
الى عاد قوم هود والنسبة اليه كناية عن القدم ووجه الامتنان هو انهم لم يمنعوا على فضلهم عليهم
خلطهم اياهم بانفسهم في مناكحتهم وفعل الاكفاء منصوب على المصدر عن فعل مضمر وقوله هنالك كفاية

عن

عن رتبة الكفاءة في النكاح اي ولستم اهلا لتلك الرتبة والواو في ولستم للحال والعامل خلطناكم ثم اشار الى ابطال
ما ادعاه من نفي كونهم اهلا لمخالطتهم بالمقابلة بين حال بني هاشم وحال بني امية لتظهر من تلك المقابلة رذيلة
كل واحد ممن ذكر من بني امية بازاء فضيلة كل واحد ممن ذكر من بني هاشم وبظهور فضايل الافراد ورذايلهم يتبين
نسبة البيتين في الشرف والخسة فذكر النبي عليه السلام وقابله بالمكذب له من بني امية وهو ابو جهل ابن هشام
واليه الاشارة بقوله وذرني والمكذبين قيل نزلت في المطعمين ببدر وكانوا عشرة وهم ابو جهل وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري ابن هشام والنضر بن الحرث
والحرث بن عامر وابي ابن خلف وزمعة بن الاسود فذكر النبي صلى الله عليه وآله بفضيلته وهي النبوة وذكر
ابا جهل برذيلته وهي تكذيبه ثم اسد الله وهو حمزة بن عبد المطلب وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله
بذلك لشجاعته وذبه عن دين الله وقابله باسد الاحلاف وهو اسد بن عبد العزى والاحلاف هم عبد مناف وزهرة
واسد وتيم والحرث بن فهر وسموا الاحلاف لان بني قصي ارادوا ان ينتزعوا بعض ما كان بايدي بني عبد الدار من اللواء
والندوة والحجابة والرفادة وهي كل شي كان فرضه قصي على قريش لطعام الحاج في كل سنة ولم يكن لهم الا السقاية فتحالفوا
على حربهم واعدوا للقتال ثم رجعوا عن ذلك ناكثين واقروا ما كان بايديهم ثم سيدا شباب اهل الجنة وهما الحسن والحسين
عليهما السلام وقابلهما بصبية النار قيل هم صبية عقبة بن ابي معيط حيث قال له لك ولهم النار وقيل هم ولد
مروان بن الحكم الذين صاروا اهل النار عند البلوغ وكانوا صبية حين اخبر عليه السلام بذلك ثم خير نساء العالمين
واراد فاطمة عليها السلام وقابلها بحمالة الحطب وهي ام جميل اخت حرب عمة معوية كانت تحمل حزم الشوك
فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله ليعقره وعن قتادة انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس
فتلقي بينهم العداوة وتهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة للمشابهة المذكورة الحطب
ومنه قولهم فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقوله في كثير الى قوله عليكم اي وهذا الذي ذكرناه من
فضايلنا ورذايلكم قليل في كثير مما لنا من الفضايل وعليكم من الرذايل وانما قال عليكم لان الامور ثمرتها
وما يستلزمه وثمرة الرذايل على الشخص مضراتها وتبعاتها وقوله فاسلامنا الى قوله تدفع اشارة الى ان شرف
بيته على غيرهم لا يختص به في الاسلام فقط فان شرف بني هاشم في الجاهلية ايضا مشهور ومكارم اخلاقهم
لا يدفعها وقد نبهنا على ذلك في المقدمات وكما نقل عن جعفر بن ابي طالب لما اسلم قال له النبي عليه السلام
ان الله شكر لك ثلث خصال في الجاهلية فما هي قال يا رسول الله ما زنيت قط لاني قلت في نفسي ان
ما لا يرضاه العاقل لنفسه لا ينبغي ان يرضاه لغيره تكرما ولا كذبت كذبة قط تاثما ولا شربت الخمر قط
تذمما لانه يذهب العقول وقوله وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا اي يوجب لنا بصريح حكمه ويجمع لنا ما
شذ عنا من هذا الامر وسلبناه وهو شروع في الاحتجاج على اولويته من غيره بهذا الامر من الخلفاء ومن
يطمع في الخلافة وبين ذلك من وجوه احدها قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله

وجه الاستدلال انه عليه السلم من اخص اولي الارحام بالرسول عليه السلم وكل من كان كذلك فهو اولى به وبالقيام
مقامه مع كمال استعداده لذلك اما الصغرى فظاهر واما الكبرى فللآية الثاني قوله تعالى ان اولى
الناس بابرهيم للذين اتبعوه الآية وجه الاستدلال انه عليه السلم كان اقرب الخلق الى اتباع الرسول صلى الله عليه وآله
واولى من آمن به وصدقه وافضل من اخذ عنه الحكمة وفصل الخطاب كما بيناه وكل من كان كذلك فهو اولى بخلافته
والقيام مقامه فيما جاء به للآية فظهر اذن انه عليه السلم اولى برسول الله صلى الله عليه وآله وبمنصبه تارة من جهة
قرابته وتارة من جهة طاعته واتباعه الثالث قوله ولما احتج الى قوله دعواهم وهو الزام لهم وصورته ان الانصار
لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين منا امير ومنكم امير احتجت المهاجرون عليهم برسول الله
صلى الله عليه وآله وانهم من شجرته التي اشار الى كون الائمة منها بما روي عنه من قوله الائمة من قريش فسلموا
لهم ذلك وغلبوا عليهم فلا يخلو اذ لك الغلب اما ان يكون لكونهم اقرب اليه صلى الله عليه وآله من الانصار او
لغير ذلك فان كان الاول فاهل بيته اولى بذلك الحق لانهم اقرب اليه صلى الله عليه وآله ممن عداهم وهم
ثمرة تلك الشجرة وغايتها وان كان بغير حجة الانصار قائمة ودعواهم للامامة باقية اذ لم يكن ما روي من الخبر
دافعا لقولهم الا من جهة كونهم من قريش الموجب لقربهم وبعد الانصار عنه وقد فرض ان جهة الاقربية غير
معتبرة هاهنا السادس جوابه عما ادعاه بزعمه من حسده عليه السلم لسائر الخلفاء وبغيه عليهم وتقرير الجواب انه لا
يخلو اما ان تكون هذه الدعوى صادقة او كاذبة فان كانت صادقة كما زعمت فليست جنايتي عليك حتى يكون
عذري عنها اليك بل ذلك فضول منك وخوض فيما لا يعنيك واكد ذلك بالمثل والبيت لابي ذؤيب واوله
وعيرها الواشون اني احبها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ويضرب لمن تنكر امرا ليس منه في شيء ولا
يلزمه انكاره السابع جوابه عما ادعاه توبيخا له وغضا من منصبه وهو قوده الى البيعة للخلفاء قبله كما يقاد
الجمل المخشوش قهرا وكرها واذلالا وهو وجه التشبيه فقلب عليه السلم تلك الدعوى وبين ان ذلك ليس ذما
له بل مدحا ولا فضيحة عليه بل على مدعيها واشار الى كونها مدحا وليست ذما بقوله وما على المسلم الى قوله
ووجه ذلك انه عليه السلم لما كان ثابتا على اليقين التام في علومه مبرا عن الريب والشبهة في دينه وكان
ذلك هو الكمال الحق والفضل المبين الذي لا نقصان معه لم يكن عليه غضاضة في ظلم غيره له ولم يلحقه
بذلك نقصان ولا ذم بل كان انفراده بالثبات على الدين الخالص مع الاجماع على ظلمه فضيلة تخصه
فيكون ذكرها مستلزما لمدحه وتعظيمه وكذلك ليس في ذكرها فضيحة عليه اذ الفضيحة هي اظهار العيب
الانسان ونقصه وحيث لا عيب فلا فضيحة واما انها فضيحة لمعوية فلظهور نقصانه في عدم الفرق بين
ما يمدح به ويذم وقوله وهذه حجتي الى قوله ذكرها اي ان حجتي هذه على كوني مظلوما في اخذي لبيعة غيري
لست انت المقصود بها اذ لست من هذا الامر في شيء فتخاطب فيه بل القصد بها غيرك واراد الذين
ظلموا وانما ذكرت لك منها بقدر ما دعت الحاجة اليه وسنح لي ان اذكره في جوابك الثامن جوابه عما ادعاه

عليه في امر عثمان وتاليبه وخذلانه وذلك قوله فلك ان تجاب عن هذا لرحمك منه مع انكاره عليه ما
سبق من الكلام فان فيه ارشادا عظيما لوضع الكلام مواضعه وتنبيه على انه لا يجوز ان يخوض الانسان
فيما لا يعنيه وقرب رحمه منه لكونه من بني امية وحاصل جوابه له انه عكس عليه ما ادعاه وبين انه هو الذي
كان عدوه وخاذله وانه عليه السلام كان ناصحه ومعرضا نفسه للذب عنه فاستفهم عن اينا كان اعدى
عليه واهدى لمقاتله اي لوجوه قتله ومواضعه من الاراء والحيل استفهام توبيخ له واراد بقوله من بذل له نصرته
الى قوله فاستقعده واستكفه نفسه عليه السلم وذلك ان عثمن كان متهما له عليه السلم بالدخول في امره فلما اشتد
عليه الحصار بعث اليه وعرض عليه نصرته فقال لا احتاج الى نصرتك لكن اقعد وكف شرك وذكر نفسه بصفة
بذل النصح ليظهر خروجه مما نسب اليه من دمه وهو في قوة صغرى قياس ضمير تقديرها اني بذلت له نصحي
وتقدير كبراه وكل من بذل لغيره نصرته فليس من شانه ان يتهم بخذلانه وينسب الى المشاركة في دمه واشار
الى دخول معوية في دمه بقوله ام من استنصره فتراخى عنه وبث المنون اليه وذلك انه بعث حال الحصار
الى الشام مستصرخا بمعوية فلم يزل يعده ويتراخى عنه لطمعه في الامر الى ان قتل وذكر القدر ونسبة القتل
اليه هاهنا مناسب لتبريه من دمه والكلام ايضا في قوة صغرى قياس ضمير احتج به على ان معوية هو الساعي
في قتله وتقديرها انك ممن استنصره واستعان به فسوفه وقعد عنه وبث المنون اليه وخوف عنه
وثبط عن نصرته واشار الى ذلك بقوله لقد علم الله الآية بعد ان رد دعواه عن نفسه بقوله كلا اي كلا
لم اكن انا اعدى عليه ولا اهدى لمقاتله منك وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى بالنسبة الى
دمه والسعي في قتله والآية نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يثبطون اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله عنه التاسع قوله وما كنت اعتذر اشارة الى ما عساه كان سببا لتوهم كثير من الجهال انه
دخل في دمه وهو انكاره عليه ما كان نقمه الناس عليه من احداثه التي اشرنا اليها قبل وبيان ان ذلك
ليس مما يعتذر عنه لان ذلك كان ارشادا له وهداية فان يكن ذلك هو الذي توهمه ذنبا اليه
فلا معنى عليه فرب ملوم لا ذنب له وانا ذلك الملوم اذ لم يكن ما فعله ذنبا وقد يستفيد الظنة المتنصح
وانا ذلك المتنصح اذ لم يكن قصدي الا اصلاح ذات البين بقدر الاستطاعة وقوله فرب ملوم لا ذنب
له مثل لاكثم بن صيفي ويضرب لمن قد ظهر للناس منه امر انكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره
فيه وكذلك قوله وقد يستفيد الظنة المتنصح يضرب مثلا لمن يبالغ في النصيحة حتى يتهم انه غاش
وصدر البيت وكم سقت في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح العاشر جوابه عن
وعيده له بالحرب التي كنى بالسيف عنها فقوله فلقد اضحكت بعد استعبار كناية عن ان وعيده لمثله
عليه السلم من ابلغ الاسباب المستلزمة لابلغ عجب اذ كان الضحك بعد البكاء انما يكون لتعجب بالغ غريب
وهو كالمثل في معرض الاستهزاء به وقيل معناه لقد اضحكت من سمع منك هذا تعجبا بعد بكائه على الدين

لتصرفك فيه وقوله متى الفيت الى آخره استفهام له عن وقت وجدانه لبني عبد المطلب بصفة النكول عن الحرب
والخوف من السيف استفهام انكار لوقت وجدانهم كذلك في معرض التنزيه لهم عن الجبن والفشل وقوله
فلبث قليلا يلحق الهيجا حمل مثل يضرب للوعيد بالحرب واصله ان حمل بن بدر رجل من قشير اغير على ابل
له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء فاستنقذها وقال لبث قليلا يلحق الهيجا حمل ما احسن الموت اذ
الموت نزل وقيل اصله ان مالك بن زهير توعد حمل بن بدر فقال حمل لبث قليلا يلحق الهيجا
حمل البيت فارسل مثلا ثم اتى وقتل مالكا فظفر اخوه قيس بن زهير به وباخيه حذيفه
فقتلهما وقال شفيت النفس من حمل ابن بدر وسيفي من حذيفه قد شفاني وقوله فسيطلبك
الى آخره شروع في المقابلة بالوعيد بالسير السريع اليه في الجيش العظيم ووصفه باوصاف تزلزل
اركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام الى آخره وشديدا وشبه ملبس نصب على الحال او على
مفعول به لمتسربلين وسرابيل الموت كناية اما عن الدروع والعدة التي يلقون بها الموت و
يخوضون في غمراته واما عن ملابسهم من الثياب او الهيآت والاحوال التي وطنوا انفسهم على القتل
فيها فهي كالاكفان لهم وانما كان احب اللقاء اليهم لقاء ربهم لكمال يقينهم بما هم عليه من الدين
الحق وثقتهم بالوعد الالهي الصادق والذرية البدرية التي صحبتهم اشارة الى اولاد من كان من
المسلمين مع النبي عليه السلم يوم بدر وقد ذكرنا ان اخاه المقتول حنظله بن ابي سفيان وخاله
الوليد بن عتبه وجده عتبه بن ربيعه اذ هو ابو هند ام معويه وكنى بالظالمين في الآخر عن
معويه واصحابه وجميع ما ذكره من اوصاف الجحفل وما يصحبه من الذرية البدرية والسيوف
الهاشمية والتذكير بمواقعها بمن وقعت به من اهله ووعيده ان يصيبه منها ما اصابهم من
ابلغ ما يعتد به الخطيب للانفعال والخوف وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم
الى اهل البصرة • وقد كان من انتشار حبلكم وشقاقكم ما لم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم
ورفعت السيف عن مدبركم وقبلت من مقبلكم فان خطت بكم الامور المردية وسفه الآراء
الجايرة الى منابذتي وخلافي فها انا ذا قد قربت جيادي ورحلت ركابي ولئن الجاتموني الى المسير
اليكم لاوقعن بكم وقعة لا يكون يوم الجمل اليها الا كلعقة لاعق مع اني عارف لذي الطاعة منكم
فضله ولذي النصيحة حقه غير متجاوز متهما الى بري ولا ناكثا الى وفي اقول غبيت عن
الشي وغبيته اذا لم تفطن له والمردية المهلكة والجايرة المنحرفة عن الصواب والمنابذة المخالفة
والمراماة بالعهد والبيعة وقد بدا في هذا الفصل بوضع ذنوبهم وتقريرها عليهم ليحسن عقيبها
العفو او المواخذة واستعار لفظ الحبل لبيعتهم اياه ولفظ الانتشار لنكثهم ووجه الاستعارة
الاولى كون البيعة سببا جامعا لهم وناظما لامورهم ومتمسكا يوصل الى رضاء الله كالحبل الناظم

للزبير

لما برطبر ووجه الثانية ظاهر وبنه بقوله ما لم تغبوا عنه على علمهم بما فعلوه وتعهدهم لفعله لتاكد
عليهم الحجة ثم لما قرر ذنوبهم ارد فها بذكر امور قابلها بها كرما وهي العفو عن مجرمهم ورفع السيف
عن مدبرهم وقبول من اقبل اليه منهم والرضا عنه ثم اردف ذلك بوعيدهم بكونه مستعدا للقتال
وايقاعه بهم وقعة تستصغر معها وقعة الجمل ان لو عادوا الى الفتنة ثانيا واستعار لفظ الخطو لسوق
الامور المهلكة وسفه آرائهم الجايرة بهم الى منابذته ومحاربته ثانيا ووجه المشابهة تاديها
بهم الى خلافه كتادي القدم بصاحبها الى غايته وتقدير الشرط فان عدتم الى خلافي فها انا مستعد
لكم وكنى بتقريب جياده وترحيل ركابه عن كونه مستعدا للكرة عليهم ورحلتها شددت الرحال
على ظهورها ويكفي ذلك في وعيدهم على خلافه لان مجرد خلافهم عليه لا يستلزم وجوب ايقاع
الوقعة بهم لاحتمال ان يرجعوا ويتوبوا بوعيده او بعلمهم ببقايه على الاستعداد لحربهم والايقاع
بهم فلذلك جعل الشرط في وعيده بالايقاع بهم ان يلجئوه الى المسير اليهم ومحاربتهم وذلك
بان يعلم ان الامر لا يستقيم الا بالايقاع بهم فتحمله ضرورة حفظ الدين على ذلك وقوله في وصف
تلك الوقعة لا يكون يوم الجمل الى قوله لاعق كناية عن غاية شدة ايقاعه بهم ووجه تشبيه وقعة
الجمل بالنسبة اليها باللعقة هو الحقارة والصغر ثم لما توعدهم بما يخشى من الوعيد اردفه بما يرجى
معه من ذكر اعترافه بفضل ذي الطاعة وبحق ذي النصيحة منهم وانه غير متجاوز بهما بعقوبته الى
بري ولا ناكثا لعهده الى وفي به لئلا تشتد عليهم وطاته فييئسوا من رحمته فيشتد نفارهم منه
ويكون ذلك داعية فسادهم ومن كتاب له عليه السلم الى معويه • فاتق الله فيما لديك
وانظر في حقه عليك وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته فان للطاعة اعلاما واضحة وسبلا نيرة
ومحجة نهجة وغاية مطلبة تردها الاكياس وتخالفها الانكاس من نكب عنها جار عن الحق وخبط في
التيه وغير الله نعمته واحل به نقمته فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك وحيث تناهت
بك امورك فقد اجريت الى غاية خسر ومحلة كفر وان نفسك قد اولجتك شرا واقحمتك غيا
واوردتك المهالك واوعرت عليك المسالك اقول اول هذا الكتاب اما بعد فقد بلغني
كتابك تذكر مشاغبتي وتستقبح موازرتي وتزعمني متجبرا وعن حق الله مقصرا فسبحان الله كيف تستجيز
الغيبة وتستحسن العضيهة اني لم اشاغب الا في امر بمعروف او نهي عن منكر ولم اتجبر الا على باغ
او ملحد او منافق ولم اخذ في ذلك الا بقول الله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم ولما
التقصير في حق الله فمعاذ الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المذكورة وركن الى الاهواء المبتدعة
واخلد الى الضلالة المحيرة ومن العجب ان تصف يا معويه الاحسان وتخالف البرهان وتنكث الوثائق
التي هي لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة مع نبذ الاسلام وتضييع الاحكام وطمس الاعلام والجري في الهوى

النهي

والنهوس في الردي ثم يتصل بقوله فاتقوا الله الفصل المذكور ومن هذا الكتاب ايضا وان للناس جماعة يد الله
عليها وغضب الله على من خالفها فنفسك نفسك قبل حلول رمسك فانك الى الله راجع والى حشره مهطع
وسينهضك كربه ويحل بك غمه في يوم لا يغني النادم ندمه ولا يقبل من المعتذر عذره يوم لا يغني مولى
عن مولى شيئا ولا هم ينصرون والعضيهة الافك والبهتان والطمس اخفاء الاثر ومحية واضحة
ومطلبه بتشديد الطاء وفتح اللام اى مطلوبة جدا منهم والاكياس العقلاء والانكاس جمع نكس
وهو الدني من الرجال ونكب عدل والخبط المشي على غير استقامة والخسر الخسران والاقحام الدخول
في الامر بشدة والوعر الشديد والمهطع المسرع وبهضه الامر اثقله والفصل موعظة فاشار عليه
السلم عليه بتقوى الله فيما لديه من مال المسلمين وفهم ان يرجع الى معرفة ما لا عذر له في ان يجهله
من وجوب طاعة الله ورسوله والامام الحق وقوله فان للطاعة اعلاما واضحة اى لطاعة الله
واستعار لفظ الاعلام لما يدل على الطريق الى الله من الكتاب والسنة القولية والفعلية ومن
جملتها ائمة الحق والهدى فانهم اصل تلك الاعلام وحاملوها وعنى بالسبل النيرة والمحجة النهجة
الطرق الى الله المدلول عليها باعلامها المذكورة وبالغاية المطلوبة من الخلق ووصولهم الى حضرة قدس
الله طاهرين مجردين عن الهيآت البدنية الدنية مستجمعين للكمالات الانسانية النفسانية واعلم
ان الطاعة اسم لقصد تلك الاعلام وسلوك تلك المحجة طلبا لتلك الغاية والضمير في قوله يردها
ويخالفها وعنها راجع الى المحجة والاعلام الواضحة وظاهر ان العقلاء هم الذين يختارون ورود تلك
المحجة وقصد اعلامها وان ادنياء الهمم يخالفون الى غيرها فيعدلون عن صراط الله الحق ويخبطون
في تيه الجهل ويغير الله بذلك نعمته عليهم ويبدلهم بها نقمته في دار الجزاء ثم لما اشار عليه بما اشار
واوضح له سبيل السلامة وما يلزم مخالفها من تغيير نعم الله وحلول نقمته امره ان يحفظ نفسه بسلوك
تلك السبيل عما يلزم مخالفها والعدول عنها من الامور المذكورة ثم اعلمه بان الله بين له سبيله واراد
طاعته المامور بسلوكها وهو في قوة صغرى قياس ضميره من الشكل الاول اوجب عليه سلوك تلك
السبيل وتقدير الكبرى وكل من بين الله له سبيله التي اوجب عليه سلوكها فقد وجب عليه حفظ نفسه
بسلوكها وقوله وحيث تناهت بك امورك فحيث ما تناهت بك اليه ثم فسر ذلك الحيث الذي يلزم
بالوقوف عنده وهو غاية الخسر اي الغاية السافلة للخسر والتي هي منزل من منازل الكفر واخبره انه قد اجرى
اليها وكنى بها غاية شر والجراه الى تلك الغاية كناية عن سعيه وعمله المستلزم لوصوله اليها يقال اجرى فلان
الى غاية كذا اي قصدها بفعله واصله من اجراء الخيل للسباق ولفظ الخسر مستعار لفقدان رضوان الله والكمال
الموصل اليه وانما جعل تلك الغاية التي اجرى اليها منزلا لكفر لان الغايات الشريرة المنهي عن قصدها من منازل الكفار
ومقاماتهم فمن سلك اليها قصدا وبلغها اختيارا فقد حل بمنازل الكفر ومحاله وقوله وان نفسك قد اولجك

شرا اي ادخلتك في شر الدنيا والاخرة واراد نفسه الامارة بالسوء بما سولت له من معصية الله ومخالفة امام
الحق ويروى قد اوحلتك اى القتك في الوحل وهو مستعار لما وقع فيه من المعصية والاختلاط عن
الجهل واقحمتك غيا اي ادخلتك في الغي والضلال عنفا واوردتك المهالك اى الموارد المهلكة
من الشبهات والمعاصي واوعرت عليك المسالك اى مسالك الهدى وطرق الخير لان النفس الامارة

اذا اوردت الانسان سبل الضلالة وسهلت
عليه سلوكها بوسوستها وتحسينها للغايات
الباطلة لزمه بسبب ذلك البعد عن طرق
الهدى ومسالك الخير واستصعاب
سلوكها والله التوفيق
والعصمة وبه الحول
والقوة والعون
والقدرة

ك

بلغ مقابلة

المجلد الخامس من مصباح السالكين

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ ومن وصية له عليه السلام

للحسن بن علي عليهما السلام كتبها بحاضرين عند انصرافه من صفين روى جعفر بن بابويه القمي رحمه الله ان هذه الوصية كتبها عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية رضي الله عنه وهي من افصح الكلام وابلغه واشمله لدقائق الحكمة ولطائفها واكمل عبارة يجذب بها الى سبيل الله وحاضرين اسم موضع بالشام وفيها فصول الفصل الاول قوله من الوالد الفان المقر للزمان المدبر العمر المستسلم للدهر الذام للدنيا الساكن مساكن الموتى الظاعن عنها غدا الى المولود المؤمل ما لا يدرك السالك سبيل من قد هلك غرض الاسقام ورهينة الايام ورمية المصائب وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا واسير الموت وحليف الهموم وقرين الاحزان ونصب الآفات وصريع الشهوات وخليفة الاموات اقول الرهينة ما يرهن والرمية الهدف والتاء لنقل الاسم من الوصفية الى الاسمية الصرفة والحليف المحالف والنصب الشيء المنصوب وهذا الفصل كالعنوان للوصية وقد ذكر لنفسه اوصافا سبعة ولولده اربعة عشر في معرض الوعظ والتنفير عن الدنيا والركون اليها وضاعف الاوصاف لولده لانه المقصود بالوصية والموعظة فالاول من الفان واللفظ هنا مجاز تسمية له باسم غايته ووقف على المنقوص بحذف الياء لمراعاة القرينة الثانية وقد علمت جوازه الثاني المقر للزمان اي بالغلبة والقهر المعترف بالعجز في يد تصريفاته كانه قدره خصما اذ ايس من الاقران له الثالث المدبر العمر وذلك انه كان عليه السلام قد ذرف على الستين الرابع المستسلم للدهر وهو المسلم من المقر للزمان الخامس الذام للدنيا ولم يزل عليه السلام ذاما لها ومنفرا بذكر معايبها السادس الساكن مساكن الموتى وهو تنفير عن الركون الى الدنيا والمقام بها بتذكيره بها مساكن الموتى اذ من كان في مساكنهم يوشك ان يلحقه ما نزل بهم ونحوه في التنفير من قوله تعالى وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ الآية السابع الظاعن عنها غدا وهو تذكير بالمفارقة وغد كناية عن وقتها ولفظ الظاعن مستعار له واما اوصاف المولود فالاول المؤمل ما لا يدرك وفيه تنفير عن طول الامل اذ كان ينسي الآخرة وجعل وجه التنفير تاميله ما لا يدرك وظاهر ان الانسان ما دام في هذه الدار وجد امله يتوسط اليها كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله يشيب ابن آدم وتشب فيه خصلتان الحرص والامل وذلك يستلزم انقضاء مدته دون بلوغها الثاني السالك سبيل من قد هلك وسبيلهم سفرهم في الدنيا الى الآخرة وقطعهم لمنازل الاعمار واضافها الى من هلك تذكيرا بالموت الثالث غرض الاسقام واستعار لفظ الغرض له باعتبار كونه مرمى لسهام الامراض كالغرض الرابع رهينة الايام واستعار

لفظ الرهينة له باعتبار ان وجوده مربوط بالاوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه الخامس رمية المصائب وهو كقوله غرض الاسقام السادس وعبد الدنيا ولفظ العبد مستعار باعتبار ان طالب الدنيا منقاد لشهوته اليها وعامل لها كما ينقاد العبد لسيده ويعمل له السابع وتاجر الغرور اي تجارته لها غرور وغفلة عن المكاسب الباقية ولفظ التاجر مستعار له باعتبار بذله ماله واعماله في شر الدنيا على وهم انها هي المطالب الحقة المربحة الثامن وغريم المنايا ولفظ الغريم مستعار له باعتبار طلب الموت له كالمتقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم التاسع استعار له لفظ الاسير باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص العاشر وحليف الهموم الحادي عشر وقرين الاحزان واستعار لفظي الحليف والقرين له باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والاحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه الثاني عشر ونصب الآفات كقوله ورمية المصائب الثالث عشر وصريع الشهوات ولفظ الصريع مستعار له باعتبار كونه مغلوبا لشهوته ومقهورا لها كالقتيل الرابع عشر وخليفة الاموات وفيه تنفير عن الدنيا بتذكير الموت لان خليفة الاموات في معرض اللحوق بهم ونحوه قول بعض الحكماء ان امرأ ليس بينه وبين آدم الا اب ميت لمعرق له في الموت الفصل الثاني قوله اما بعد فان فيما تبينت من ادبار الدنيا عني وجموح الدهر علي واقبال الآخرة الي ما يزعني عن ذكر من سواي والاهتمام بما ورائي غير اني حيث تفرد بي دون هموم الناس هم نفسي فصدقني رايي وصرفني عن هواي وصرح لي محض امري فافضى بي الى جد لا يكون فيه لعب وصدق لا يشوبه كذب ووجدتك بعضي بل وجدتك كلي حتى كان شيئا لو اصابك اصابني وكان الموت لو اتاك اتاني فعناني من امرك ما يعنيني من امر نفسي فكتبت اليك كتابي هذا مستظهرا به ان انا بقيت لك او فنيت اقول جمح الفرس اذا غلب صاحبه فلم يملكه ويزعني يمنعني والمحض الخالص [illegible] والشوب المزج والخلط وقابل في لفظه بين الاقبال والادبار والآخرة والدنيا وقد اشار الى معنى ادبار الدنيا واقبال الآخرة في قوله الا وان الدنيا قد ادبرت وآذنت واستعار لفظ الجموح للدهر باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصريفاته الخارجة عن اختياره كالجموح من الخيل وما الاولى بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية وعلى المعنى الاول يكون من للتبيين وعلى الثاني لابتداء الغاية وما الثانية بمعنى الذي ومحلها الرفع بالابتداء وفيما تبينت خبره ومستظهرا حال ومدار الفصل على اعلامه اياه انه في معرض الرحيل عنه وان ذلك الوقت هو وقت الاهتمام بحال نفسه وبحاله لينزله منزلة نفسه وانه شديد الاهتمام بحاله ليكون ذلك ادعى لقبول وصيته وهو كالتوطية والتمهيد لها واعلم ان فيما تبين له عليه السلام من الامور المذكورة قرب رحيله الى الله وذلك هو الذي وزعه ومنعه عن ذكر ما سواه والاهتمام بما وراءه من المصالح المتعلقة بصلاح الخلق ونظام العالم اذ كان ذلك هو وقت التضييق على الانسان فيما هو اهم عليه من استكمال بالفضائل والاستعداد للقاء الله دون ما سبق من اوقات الشبيبة واستقبال العمر لاتساعها لصلاح الغير والاشتغال بالامور المباحة وانه حيث تبين له ذلك وتفرد به هم نفسه دون غيرها وصدقه رايه

بكشفه له عما ينبغي ان يكون اشتغاله به من امر نفسه ووجوب العمل لما فيما يهمها وصرفه عن هواه فيما يخرج عنها
اذ كان اجود الاراء واصدقها في الامر عند شدة الاهتمام به وصرح له خالص امره وما ينبغي له وانتهى به الى الجد
وصدق خالصين من شائبة اللعب والكذب وجده عليه السلام بعضا منه وهو كناية عن شدة اتصاله به
وقربه منه ومحبته له كما قال وانما اولادنا بيننا اكبادنا تمشي على الارض بل وجده كله اي عبارة عن كله اذ
كان هو الخليفة له والقائم مقامه ووارث علمه وفضائله ودل على شدة قربه منه وانه بمنزلة نفسه
بذكر الغايتين في قوله اتاني ووجه التشبيه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء وان لم يصبه عليه السلام شدة
تألمه به واعلم ان ذلك الوجدان وان كان له طبعا كما يحصل للوالد في امر ولده لكنه مما لا يثمر الشطن له في آخر العمر عند
تذكيره انقطاع الدنيا لما في طبعه من محبة بقاء الذكر الجميل والحرص على دوام الخير والاثار الصالحة في العالم ولذلك جعله
لازما لتفرد همه نفسه به وصدق رايه له في النصيحة وروى محض مرفوعا على الفاعلية ومنصوبا باسقاط حرف الجر
والتقدير عن محض امري شريته على ان من لوازم وجدانه او وجده من امره ان عناه واهمه منه ما يهمه من امر
نفسه فكتب اليه هذه الوصية ليكون له ظهرا ومستندا يرجع الى العمل بها في حالتي بقائه له وفنائه عنه اذ كان ما اشتملت
عليه هذه الوصية من الحكم والاداب ومكارم الاخلاق وتعريف سلوك سبيل الله فما ارتضى به نفسه في مدة عمره
افضل الاثر الرسول صلى الله عليه واله واقتدائه به فاقتضت عنايته به ان يحثه على العمل بها وبالله التوفيق الفصل
الثالث قوله فاني اوصيك بتقوى الله اي بني ولزوم امره وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله واي سبب
اوثق من سبب بينك وبين الله ان انت اخذت به احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة وقوه باليقين
ونوره بالحكمة وذلله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي
والايام واعرض عليه اخبار الماضين وذكره بما اصاب من كان قبلك من الاولين وسر في ديارهم واثارهم
فانظر ما فعلوا وعما انتقلوا واين حلوا ونزلوا فانك تجدهم انتقلوا عن الاحبة وحلوا دار الغربة وكانك عن قليل
قد صرت كاحدهم فاصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرف والخطاب فيما لم تكلف
وامسك عن طريق اذا خفت ضلالته فان الكف عند حيرة الضلال خير من ركوب الاهوال وامر بالمعروف تكن
من اهله وانكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تاخذك في الله
لومة لائم وخض الغمرات الى الحق حيث كان وتفقه في الدين وعود نفسك الصبر على المكروه ونعم الخلق
التصبر والجئ نفسك في الامور كلها الى الهك فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واخلص في المسألة لربك
فان بيده العطاء والحرمان واكثر الاستخارة وتفهم وصيتي ولا تذهبن صفحا فان خير القول ما نفع واعلم انه لا خير في
علم لا ينفع ولا ينتفع بعلم لا يحق تعلمه اقول الغمرات الشدائد والمثوى محل الثواء والاقامة وهذا حين افتتح ما يريد ان
يوصيه به واشتمل هذا الفصل من ذلك على امور احدها تقوى الله وقد علمت حقيقتها فيما سلف وشبه ان يكون المراد
بها هنا الخوف منه تعالى الثاني لزوم امره وهو من لوازم تقواه الثالث عمارة قلبه بذكره واستعار لفظ العمارة

لتكميل قلبه بذكر الله واكثاره منه لانه روح العبادات وكمال النفس كما ان العمارة كمال الدار وهو داخل في لزوم ذكره لقوله تعالى
واذكروا الله ~~وكثار منه~~ كثيرا لعلكم تفلحون الرابع الاعتصام بحبله واستعار لفظ الحبل لما يوصل اليه من دينه فيكون
التمسك به سببا للنجاة كالحبل واراد بالاعتصام الامتناع بالتمسك به من عذاب الله ثم استفهم عن سبب اوثق منه
استفهام انكار وتعجب من وثاقته ويدخل في لزوم امره لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا الخامس ان يحيي قلبه
بالموعظة واستعار وصف الاحياء له باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتبار الحاصل عن الموعظة كما يكمل الحي بالحياة
السادس ان يميته بالزهادة واستعار وصف الاماتة لقطع القلب عن متاع الدنيا واعراضه عن طيباتها فهو كالميت
له وقابل بين قوله احي قلبك وبين قوله امته السابع ان يقويه باليقين اي من ضعف الجهل للصعود الى افق عليين
والنهوض الى مقام الابرار ولما كان اليقين درجة استعداد وقوة في العلم ناسب ان يجعله تقوية للقلب الثامن ان
ينوره بالحكمة واستعار لفظ التنوير بالحكمة المجلية لها باعتبار ان ذلك سبب هدايته لسبيل الله في ظلمات
الجهل كحامل النار وقد عرفت الحكمة واقسامها التاسع ان يذلله بذكر الموت وذلك لان كثرة اخطاره بالبال
يستلزم الخوف ويسكن القلب عن جماحه في ميدان الشهوات ويذله من عزة الكبر وهزة العجب وحمية الغضب
العاشر ان يقرره بالفناء اي يحمله على الاقرار به ويديم ذكره له لتتاكد علمه به الحادي عشر ان يبصره فجائع الدنيا اي
يحمله على النظر بعين البصيرة والاعتبار برزايا الدنيا وآفاتها الثاني عشر ان يحذره صولة الدهر وفحش تقلب الليالي
والايام ولفظ الصولة مستعار له ملاحظة لشبهه بالسبع في اخذه وما يكون بسببه من الاذى الثالث عشر
ان يعرض عليه اخبار الماضين ويذكره ما اصابهم لينظر ما فعلوا وعما انتقلوا من الاثار العظيمة والملك الجسيم
ويحصل من ذلك عبرة وقياسا لحاله بحالهم ويستقرب لحاقه بهم وصيرورته كاحدهم فيما صاروا اليه في
التشبيه قرب حاله من حال احدهم واليه الاشارة بقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا الاية الرابع عشر
ان يصلح مثواه وهو الدار الاخرة بلزوم الاعمال الصالحة ولا يبيع اخرته وما وعد فيها من الخيرات الباقية بما
في دنياه من اللذات الوهمية الفانية ولفظ البيع مستعار الخامس عشر ان يترك القول فيما لا يعرفه اذ
القول بغير علم يستلزم رذيلتي الكذب والجهل ويلحق به الذم ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله لبعض اصحابه
كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم واماناتهم وصاروا هكذا وشبك بين اصابعه قال
فقلت مرني يا رسول الله فقال خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف وعليك بخويصة نفسك وكذلك قوله والخطاب
فيما لا تكلف كقوله صلى الله عليه وآله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه السادس عشر ان يمسك عن طريق اذا
خاف ضلالته والمراد التوقف عند الشبهات وعدم التسرع الى سلوك طريق يشك في ادائه الى الحق فان توقفه
وتثبته عند طلب الحق الى ان يتضح له طريقه خير له من التعسف وركوب ما يخاف الضلال به من الطرق السابع
عشر ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فعلا وقولا ويباين من فعله بقدر الامكان وهو من فروض الكفايات
مدار نظام العالم ولذلك كان القرآن الكريم والسنة النبوية مشحونين بهما واستدرجه الى ذلك بقوله تكن من اهله

لانهم اولياء الله الابرار المرغوب في الكون معهم الثامن عشر ان يجاهد في الله اعدا دينه الجهاد الحق وجهاد حق
جهاده اضافة الصفة الى الموصوف لان الصفة من باب الاهم التاسع عشر ان لا ياخذه في الله لومة لائم وهو كناية عن
نهيه عن التقصير في طاعة الله اذ كان من لوازم المقصر استحقاق لوم اللائمين العشرون ان يخوض الغمرات الى الحق حيث
كان ولفظ الخوض مستعار لملاقاة الشدائد والدخول فيها لطلبه الحق الحادي والعشرون ان يتفقه في الدين بتعلم
الاحكام الشرعية ومباديها الثاني والعشرون ان يعود نفسه الصبر على المكروه وقد علمت ان احتمال المكروه فضيلة
تحت الشجاعة وهو من مكارم الاخلاق الثالث والعشرون ان يلجئ نفسه في اموره كلها الى الله وهو امر بالتوكل على
الله والانابة اليه في كل مرغوب ومرهوب وقد علمت حقيقة التوكل وما يستلزمه واستدرجه الى ذلك بقوله
فانك تلجئها الى كهف حريز ومانع عزيز واستعار لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف
كما يمنع الكهف من لجئ اليه الرابع والعشرون ان يخلص في دعائه ومسئلته لربه اذ كان ذلك من شرائط الاجابة
واستدرجه الى الاخلاص بقوله فان بيده العطاء والحرمان ليشتد الانجذاب اليه والاعراض عن غيره والالتفات
معه وقوله فانك وقوله فان بيده جواب الاوامر الثلثة الخامس والعشرون ان يكثر الاستخارة اي الطلب الى الله
ان يخير له فيما ياتي ويذر السادس والعشرون ان يتفهم وصيته ولا يعرض عنها وكنى عن الاعراض وترك العمل بها
بالذهاب صفحا وانتصب صفحا على الحال ولا يذهبن معرضا واستدرجه للاقناع بها بقوله فان خير القول ما نفع
والتقدير فان وصيتي نافعة وما نفع فهو خير القول فاذن وصيتي خير القول ثم نبهه بقوله واعلم الى قوله
على ان من العلوم ما لا خير فيه لئلا يتشوق الى معرفته فيصده ذلك عن سلوك سبيل الله والعلم الموصوف بذلك
هي العلوم التي نهت الشريعة عن تعلمها كالسحر والكهانة والنجوم والنيرنجات ونحوها مما لا يكون سببا الى
المقاصد الحقيقية الثامن وتقدير الكلام واعلم ان كل علم لا يحق تعلمه اي لا يثبت في الشريعة نقله وجوبا ولا ندبا
علم لا ينتفع به في طريق الاخرة فلا خير فيه لان الخير الحقيقي هو المنفعة الباقية عند الله فما لا منفعة فيه لا خير فيه ولذلك
استعاذ الرسول صلى الله عليه وآله منه فقال واعوذ بك من علم لا ينفع فنبه ان كل علم لا يحق تعلمه فلا خير فيه وبالله
التوفيق الفصل الرابع قوله اي بني اني لما رايتني قد بلغت سنا ورايتني ازداد وهنا بادرت بوصيتي اليك خصالا منها
ان يعجل بي اجلي دون ان افضي اليك بما في نفسي او ان انقص في رايي كما نقصت في جسمي او يسبقني اليك بعض غلبات الهوى
وفتن الدنيا فيكون كالصعب النفور وانما قلب الحدث كالارض الخالية ما القي فيها من شيء قبلته فبادرتك بالادب قبل ان
يقسو قلبك ويشتغل لبك لتستقبل بجد رايك من الامر ما قد كفاك اهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد كفيت
مؤنة الطلب وعوفيت من علاج التجربة فاتاك من ذلك ما قد كنا ناتيه واستبان لك ما ربما اظلم علينا منه اي
بني اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كاحدهم
بل كاني بما انتهى الي من امورهم قد عمرت مع اولهم الى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره فاستخلصت
لك من كل امر نخيله وتوخيت لك جميله وصرفت عنك مجهوله ورايت حيث عناني من امرك ما يعني الوالد الشفيق

جميله

واجمعت

واجمعت عليه من ادبك ان يكون ذلك وانت مقبل العمر ومقتبل الدهر ذو نية سليمة ونفس صافية وان ابتدئك بتعليم كتاب
الله عز وجل وتاويله وشرائع الاسلام واحكامه وحلاله وحرامه لا اجاوز ذلك بك الى غيره ثم اشفقت ان يلتبس عليك ما
اختلف الناس فيه من اهوائهم وارائهم مثل الذي التبس عليهم فكان احكام ذلك على ما كرهت من تنبيهك له احب الي
من اسلامك الى امر لا آمن عليك فيه الهلكة ورجوت ان يوفقك الله تعالى لرشدك وان يهديك لقصدك فعهدت
اليك وصيتي هذه واعلم يا بني ان احب ما انت آخذ به الي من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله عليك
والاخذ بما مضى عليه الاولون من آبائك والصالحون من اهل بيتك فانهم لم يدعوا ان نظروا لانفسهم كما انت
ناظر وفكروا كما انت مفكر ثم ردهم آخر ذلك الى الاخذ بما عرفوا والامساك عما لم يكلفوا فان ابت نفسك ان تقبل
ذلك دون ان تعلم كما علموا فليكن طلبك ذلك بتفهم وتعلم لا بتورط الشبهات وعلو الخصومات وابدا قبل نظرك
في ذلك بالاستعانة عليه بالهك والرغبة اليه في توفيقك وترك كل شائبة اولجتك في شبهة او اسلمتك الى
ضلالة فاذا ايقنت ان قد صفا قلبك فخشع وتم رايك فاجتمع وكان همك في ذلك هما واحدا فانظر فيما فسرت
لك وان انت لم يجتمع لك ما تحب من نفسك وفراغ نظرك وفكرك فاعلم انك انما تخبط العشواء وتتورط الظلماء
وليس طالب الدين من خبط او خلط والامساك عن ذلك امثل فتفهم يا بني وصيتي واعلم ان مالك الموت هو مالك
الحياة وان الخالق هو المميت وان المفني هو المعيد وان المبتلي هو المعافي وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله
عليه من النعماء والابتلاء والجزاء في المعاد او ما شاء مما لا نعلم فان اشكل عليك شيء من ذلك فاحمله على جهالتك به فانك
اول ما خلقت جاهلا ثم علمت وما اكثر ما تجهل من الامر ويتحير فيه رايك ويضل فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك
فاعتصم بالذي خلقك ورزقك وسواك وليكن له تعبدك واليه رغبتك ومنه شفقتك واعلم يا بني ان احدا لم ينبئ
عن الله سبحانه كما انبا عنه نبينا صلى الله عليه وآله فارض به رائدا والى النجاة قائدا فاني لم آلك نصيحة وانك
لن تبلغ في النظر لنفسك وان اجتهدت مبلغ نظري لك اقول الوهن الضعف والبادرة المسارعة وقوله لما بعده
وافضى وصل والبغية الطلبة والتوخي القصد واجمعت صممت العزم واسلمته الى كذا خليت بينه وبينه وامثل
اقرب الى الخير وفي هذا الفصل مقاصد الاول اشار الى بعض الاسباب الحاملة له على هذه الوصية وهي كونه قد بلغ سنا
واخذ في التناهي في الضعف وذلك انه كان قد جاوز الستين فلزم من ذلك خوفه لاحد الخصال المذكورة فبادر بها وسماها
اليه وخصالا مفعول به وحذف من تلك الخصال ثلثا الاولى ان يعجل به اجله الى الاخرة قبل ان يوصل اليه ما في نفسه من
الحكمة الثانية ان ينقص في رايه وذلك ان القوى النفسانية تضعف عند طول السن لضعف الارواح الحاملة لها فيقتضي
ذلك قصورا في العقل وتحصيله للاراء الصالحة الثالثة ان يسبقه اليه بعض غلبات الهوى على الصبي اذ لم يوجد للآداب
في حد الشرع ولم يرض هواه لمطاوعة العقل وموافقته كان بصدد ان يميل به القوى الحيوانية الى شهواتها ويجذب في زمام
هواه الى الاستعمال بما فيه وينصرف عن الوجهة الحقيقية وما ينبغي له فيكون حينئذ كالصعب النفور من الابل ووجه
التشبيه انه يعسر حمله على الحق وجذبه اليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور بحسب المنفعة ثم نبه على وجوب المبادرة اليه بالاداب

وزرعه في قلبه بضمير صغراه قوله وانما قلب الحدث الى قوله قبلته واشار الى وجه التشبيه بقوله بما القي فيها من شي قبلة
وذلك لان قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش بالعقايد وغيرها كونه قابلا لما يلقى اليه من خير او شر فينتقش به كما مع م
الارض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذر وتقدير الكبرى وكل قلب كان كذلك فيجب ان
يسبق اليه بهذه الاداب وغرر من الحكم فلذلك بادر بالادب قبل ان يقسو قلبه عن الانقياد للحق والاشتغال بالاراء
الباطلة ثم اشار الى علة اخرى من العلل الغائية للمبادرة بالادب وهي ان يستقبل بجد رايه وقوة فكره ما قد
كفاه اهل التجارب بغيته من العلوم وعوفي فيه من علاج التجربة ومعاناتها فاتاه من ذلك العلم الذي قد كان
اهل التجربة يأتونه ويطلبونه واستبان له ما ربما اظلم عليهم منه وفرق بين مرتبته العلم صفوا ويلقى اليه
بيانا واضحا وقد كفي فيه مؤنة الاكتساب وبين من سعى اليه وشقي في تحصيله وخاض اليه غمرات الشكوك وظلمات
الشبهات وكل ذلك من الامور المقنعة له في قبول الوصية والعمل بما اشتملت عليه من الحكم والاداب لان
اهل التجارب اذا كانوا قد جدوا في تحصيله مع ما وجدوا فيه من المشقة فلان يجد هو ويقبله خالصا من
الكلفة اولى المقصود الثاني اشار الى فضيلة نفسه واستكمالها بالعلوم ثم الى كونه في غاية العناية والشفقة
عليه والى ما راه اصلح في تعليمه اياه من العلوم الى غير ذلك وغايته من الجميع استدراجه لقبول قوله كما هو
من غرض الخطيب في ذكر فضيلته وما يستدرج به للانفعال عما يريد ان يقنع به من الاراء وغيرها فنبه على
فضيلته بقوله اي بني الى قوله مجهوله وقوله وان لم اكن في قوة جواب اعتراض مقدر كان قائلا قال له
فكيف حصلت العلوم عن تجارب الامور مع حاجة التجربة الى عمر طويل يشاهد فيه الانسان تغيرات الامور في
الدهور فقال اني وان لم اكن عمرت عمر من كان قبلي وشاهدت احوالهم لكني نظرت في اعمالهم وفكرت في اخبارهم
المأثورة وسرت في اثارهم سيرا محسوسا ومعقولا حتى صرت كاحدهم في عيان امورهم وقوله فعرفت عطف على
قوله فسرت وقوله ذلك اشارة الى ما انتهى اليه من امورهم وكنى بالصفو عن الخير وبالكدر عن الشر اي عرفت
خير امورهم من شرها ونفعها من ضرها واستخلصت لك من كل امر جليله وهو خيره وما ينتفع به عند الله
من العلوم والعبر النوافع وروى نخيلة اي خلاصته وقصدت لك جميله اي الامر الحسن منه دون قبيحه
وصرفت عنك مجهوله اي ما اشتبه عليك امره والتبس الحق فيه وقوله ورايت حيث عناني الى قوله شان
كمال عنايته وشفقته عليه ووجوه اختياره له ما هو الاولى به من العلوم واجمعت عطف على عني وان
يكون في محل النصب على انه مفعول اول لرايت وتكون هنا تامة والواو في قوله وانت للحال وان ابتديك عطف
على ان يكون والمفعول الثاني لرايت محذوف تقديره انفع واصلح وتقدير الكلام ورايت حيث عناني من امرك
ما يعنى الوالد الشفيق من امر ولده من النظر في مصالحه والاهتمام باحواله وما صممت عزمي عليه من ادبك
ان يكون ذلك التاديب حال اقبال عمرك وحال كونك ذا نية سليمة من الامراض النفسانية والاخلاق الذميمة
وكونك ذا نفس صافية من كدر الباطل وان ابتديك بتعليم كتاب الله وتأويله وما يشتمل عليه من شرايع الاسلام اي

اي لكن رايت م
فوائده واحكامه وحلاله وحرامه واقتصرت بك على ذلك كما اقتصر عليه كثير من السلف وقوله ثم اشفقت عطف على رايت ان اقتصر
على ذلك ولا اتجاوز بك الى غيره من العلوم العقلية ثم خفت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وارائهم مثل ما
التبس عليهم اي التباسا مثل الالتباس عليهم فكان احكام ذلك اي ما اختلف الناس فيه على ما كرهت من تنبيهك له احب الي من اسلامك
الى امر لا امن عليك به الهلكة في الدين وذلك الامر هو ما اختلف الناس فيه من المسائل العقلية الالهية التي يكثر التباس الحق فيها
بالباطل وتكثر فيها الشبهات المغالطة التي هي مظنة الخطر والانحراف بها عن طريق الحق الى سبيل الهلاك واحكام ذلك الامر
بيان وجه البرهان فيه وكيفية الخلاص من شبهة الباطل ومرايبه وقوله ورجوت ان يوفقك عطف على اشفقت
والضمير المجرور في به يعود الى ما اختلف الناس فيه المقصود الثالث الاشارة الى بيان ما هو الاحب اليه ان ياخذ به من
وصيته والارشاد الى كيفية اخذه وما ينبغي ان يبدا قبل الشروع من الاستعانة بالله والرغبة اليه في التوفيق الى
غير ذلك من الاداب التي يتم بها الاستعداد للبحث والتعلم فمن الاحب اليه تقوى الله الذي هو الزاد المبلغ اليه ثم
الاقتصار على ما افترضه الله عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات مما لم يكلف به اخذا
بما مضى عليه الصالحون من اهل بيته كحمزة وجعفر والعباس وعبيدة بن الحرث وغيرهم من بني هاشم وقوله فانهم الى اخر
بكلفوا ترغيب له في الاخذ بما اخذوا به وتنفير له عن التوغل والتعمق وهو ضمير صغرى مما ذكر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك
فينبغي الاقتداء به في الاخذ بما عرف والامساك عما لم يكلف وقوله فان ابت الى اخره بيان للكيفية التي ينبغي ان يكون عليها
طلبه للعلوم العقلية والتدقيق فيها ان ابت نفسه الاقتصار على ما افترضه الله عليه اي فليكن طلبك لما انت طالبه
من ذلك على وجوه احدها التفهم للمقاصد والتعلم للحق من الطلب لا على وجه تعلم الشبهات والتورط فيها والمشاغبة بها
فان ذلك مما يصد عن علم الحق ويمنع من قبوله الثاني ان يبدا قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في
توفيقه لاصابة طريق الحق والوصول اليه الثالث ان يترك كل شايبة او لجته في شبهة كالعادات وعصبية المذاهب الباطلة
بحب اتباع الهوى والاراء التي يطلب بها الرياسات فان النفس اذا كانت فيها شايبة محبة لامر جسماني لم تنتفع بها
طريق الحق بل كانت الى الانحراف في طرق الضلال والشبه المناسبة لمطالبها الباطلة اقرب وتلك الطرق اعرق عند
لمكان تلك الشائبة فينبغي للسالك ان يجرد عن نفسه كل شبهة تعود الى ضلالة ولفظ الاسلام مستعار لاهماله
وعدم جذبه عما يورطه فيه من الامور المضلة ثم قال اذا ايقنت الى اخره اي فاذا اعددت نفسك للطلب والنظر بما
ذكرت لك وتحققت ان قد صفا قلبك من كل شائبة تنافي النظر فخشع من خشية الله ان يوآخذه بتركه وتم رايك
وعزمك عليه فاجتمع متفرقه حتى لم يبق لك الى ترك الالتفات وكان همك فيه هما واحدا لا ينقسم الى غيره فانظر
حينئذ فيما فسرت لك وبينت عليه من المسائل العقلية الالهية كما سياتي وان انت لم يجتمع لك ما تحب من
نفسك وفراغ نظرها وفكرها عن الشواغل المنافية للعلم وطلبه ونظرت فاعلم انك في خوضك وطلبك له
انما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء وكل من كان كذلك فليس اهلا لطلب الدين من اصوله وحذف المضاف
الى العشواء واقام المضاف اليه مقامه واستعار وصف الخبط له باعتبار الطالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب

وعلى غير وجهه فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ الظلماء للشبه باعتبار ان
الذهن لا يهتدي فيها الطلب الحق كالماشي في الظلماء المقصود الرابع امره بتفهم وصيته وتنبيهه على جملة من صفات الله
وافعاله التي قد يتوهم التضاد والتناهي في استنادها الى مبدأ واحد واشار الى انها ليست بمتضادة وان مبداها
واحد فاما الصفات فهو ان القادر على الموت ومن له ان يميت هو القادر على الحياة وله ان يحيي باعتبار ان اسباب الموت
والحيوة تنتهي اليه وكذلك الخالق هو المميت فان فاعل الخلق هو مقدر الموت الذي تنتهي اليه اسبابهما والى هذين الاعتبارين
الاشارة بقوله تعالى يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين يحيي ويميت باعتبار انه الفاعل الاول لهما وباعتبار انه الرب المطلق
هو المالك الاول لهما وكذلك المفني هو المعيد والمبتلي هو المعافي باعتبار انتهاء اسباب الفناء والاعادة والابتلاء والمعافاة اليه
وقد علمت ان كل هذه الامور اعتبارات عقلية تلحق معقولية الواجب سبحانه بالقياس الى مخلوقاته وآثاره كما استقصيناه
في الخطبة الاولى واما الافعال فهو انه تعالى لما خلق الدنيا لم يمكن خلقها واستقرار وجودها الا على ما خلقها الله عليه
من افاضة ما يعد نعمة في حق بعض العبيد من مال وصحة ونحوهما والابتلاء بما يعد بلاء من الفقر والمرض ونحوهما وان
كانت النعماء ايضا ابتلاء كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ثم لزوم الجزاء في المعاد للنفوس المبتلين
والمنعم عليهم بحسب طاعتهم ومعصيتهم في النعمة والابتلاء وكذلك خلقه لها على ما شاء مما لا نعلم وجه الحكمة فيه
واعلم انه قد ثبت في اصول الحكمة ان المقصود من العناية الالهية بالذات انما هو الخير واما الشرور الواقعة في الوجود
فكائنة بالعرض من حيث انه لا يمكن نزع الخير وتجريده عنها ولما كان الخير اغلب في الوجود وكانت الشرور اللا
لازمة اقلية لم يمكن ترك الخير الكثير لاجلها لان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير في الجود والحكمة وذلك معنى
قوله عليه السلم وان الدنيا لم تكن لتستقر الا على ما جعلها الله عليه مما عدده مما نعلم كونه خيرا او شرا او لا نعلم
اي لم يمكن خلقها الا على ما فيهما من خير مراد بالذات وشر مراد بالعرض ولزوم الجزاء على السيئة وعقاب النفوس في المعاد
عليها من الشرور اللازمة لما حصلت عليه من الهيئات البدنية والملكات الردية في الدنيا كما علم ذلك في موضعه وقوله
فان اشكل الى آخره اي فان اشكل عليك شيء من اسرار القدر وخفي عليك وجه الحكمة فيه فلا تتوهم خلوه عن حكمة
بل احمله على جهالتك به فانك اول ما خلقت جاهلا ثم علمت كما قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون
شيئا الآية ونصب اول على الظرف وجاهلا على الحال وروي اول مرفوعا بالابتداء وجاهل بالرفع خبر المبتدأ ثم نبهه على
اكثر ما يسبق جهله به من الامور ثم يدرك علمه بعد ليحمل ما لا يدرك وجه الحكمة فيه من ذلك القبيل ثم امره بالاعتصام
بالله والالتجاء اليه في امره وان يجعل له تعبده والرغبة ورهبته وشفقته لانه تعالى احق موجود بذلك واولى بالامور
المذكورة المقصود الخامس الاشارة الى فضيلة الرسول صلى الله عليه وآله على سائر الانبياء لو باد امره عليهم في انباء
الخبر عن الله تعالى وبيان المطالب الحقيقية التي اشتمل عليها الكتاب العزيز من اسرار التوحيد والقضاء والقدر
وامر المعاد فان احدا من الانبياء السابقين عليهم السلم لم يفصح عن هذه الامور كافصاحه ولذلك كانت هداية هذه
الامة بما جاء به صلى الله عليه واله اتم واكمل من هداية سائر الامم السابقة بما جاءت به انبياؤها وكانت عيون بصائرهم ابسط

انوار

انوار او اكثر انتشارا او غاية ذكر فضيلته صلى الله عليه وآله هنا انه رضي به رايدا ودالا له على طريق النجاة في الآخرة واستعار لفظ
الرايد باعتبار انه قد اختبر ما في الآخرة من الثواب المقيم والسعادة الباقية وبشر به امته كما يبشر الرايد اهله بوجود
الكلاء والماء بعد ارتياده في ذلك وبيان انه لم يزل ناصحا له وانه لم يبلغ نظر لنفسه وان اجتهد في ذلك مبلغ
نظره له ليتاكد الاقتداء برايه ومشورته عليه فيما يراه له ونصيحة نصب على التمييز **الفصل الخامس** قوله واعلم يا بني انه
لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد كما وصف نفسه
لا يضاده في ملكه احد ولا يزول ابدا ولم يزل اول قبل الاشياء بلا اولية وآخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم عن ان تثبت ربوبيته
باحاطة قلب او بصر فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي لمثلك ان يفعله في صغر خطره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظيم
حاجته الى ربه في طلب طاعته والرهبة من عقوبته والشفقة من سخطه فانه لم يامرك الا بحسن ولم ينهك الا عن
قبيح **اقول** اشار في هذا الفصل الى الحجة على وحدانية الصانع سبحانه وعلى جملة من صفاته ثم الى ما ينبغي ان يفعله
من يلاحظ عظمته تعالى من الصفات المذكورة فاذن هيهنا ابحاث **البحث الاول** الحجة على وحدة الصانع وهي
شرطية متصلة مقدمها قوله لو كان لربك شريك وتاليها لاتتك رسله الى قوله ولعرفت افعاله وصفاته ويستنتج
منها استثناء نقيض اقسام التالي نقيض المقدم بيان الملازمة انه لو كان له شريك لكان شريكه الها مستجمعا
بجميع شرائط الالهية والا لم يصلح للشركة لكن من لوازم الالهية امور احدها الحكمة في وجوب بعثة الرسل الى
الخلق ووصولهم اليه لما علمت من برهان وجوب البعثة في موضعه الثاني يلزم ان يكون آثار ملكه وسلطانه
وصفات افعاله ظاهرة مشاهدة الثالث ان يعرف افعاله وصفات ذاته لكن هذه اللوازم كلها باطلة اما
الاول فلانه لم يات رسول ذو معجز يدل لنا على الثاني ويخبر لنا عنه واما الثاني فهو ان آثار الملك والسلطان و
عظمة الفعل واحكامه انما يدل على حكيم قادر فاما على التعدد فلا واما الثالث فلان مجرد الافعال التي شاهدها
انما تدل على فاعل فاما على التعدد فلا وكذلك صفات الالهية المكتسبة بواسطة الافعال من العلم والقدرة
والارادة وغيرها انما تدل على صانع موصوف بها فاما على صانعين او اكثر فكذلك فلا فاذن القول بان لربنا
شريك قول باطل لا برهان عليه كما قال تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به الآية وقوله اله واحد كما وصف
نفسه من لوازم النتيجة لانه اذا بطل القول بثان لا اله الا اله واحد كما وصف هو نفسه بقوله قل هو الله احد
وهو الله الواحد القهار وانه لا يضاده في ملكه احد اي يعانده في افعاله وينازعه في ملكه كما هو عادة الملوك
واعلم ان هذه الحجة اقناعية كما هو غاية الخطيب من الخطابة وليست برهانية لانا ان اريد في الشرطية ان وجود
الثاني يستلزم وجود آثار وافعال وصفات تخصه ويعلم اختصاصها به فالملازمة ممنوعة لان الالهين سواء
كانا متفقي الحقيقة او مختلفي الحقيقة لا يلزم ان يختلف افعالهما ولوازمهما بالنوع ويخص كل منهما بلازم
وفعل خاص لا يوجد للآخر بل جاز ان يتفقا في اللوازم والآثار وان اريد ان وجوده يستلزم ان يعرف له آثار وافعال ما
لا تخصه بل جاز ان يشاركه فيها الاله الآخر فهذا مسلم لكن لا يمكن الاستدلال ببطلان التالي هيهنا وهو ظاهر لانا نرى

اما رسالت وافعال وانوار صفات لا تدل على احدية فاعلها والموصوف بها ولا على اجنبية، وانما تدل على مطلق فاعل وملزوم
ما فلا يمكن بطلانها ورفعها لان رفعها يستلزم رفع وجود الاله المطلق ولا يستلزم عدم اللازم عدم الملزوم ولا
الثاني خاصة **البحث الثاني** كونه تعالى لا يزال ابدا وانه لم يزل وهو اشارة الى دوام وجوده وثباته ازلا وابدا وبرهانه انه
تعالى واجب الوجود لذاته وكل واجب الوجود لذاته فهو دائم الوجود وثابته ازلا وابدا اما الصغرى فقد مر برهانها واما
الكبرى فلانه لو جاز عليه الزوال والعدم لما كان واجب الوجود لذاته وفساد التالي يستلزم فساد المقدم فاذن هو دائم الوجود
ازلا وابدا **البحث الثالث** كونه اولا قبل الاشياء بلا اولية لوجوده وكونه آخرا بعد الاشياء بلا نهاية لوجوده اما الاول فلانه
لو كان لوجوده اولية لكان مسبوقا بالعدم فكان محدثا فكان ممكنا هذا خلف واما الثاني فلانه لو كانت لوجوده منقطعة
نهاية لكان ملحوقا بالعدم فلم يكن واجب الوجود لذاته هذا خلف **البحث الرابع** كونه اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة
قلب او بصر اي هو اعظم ان يطلع احد بعقله او بصره على كمال صفات ربوبيته والاعتبارات المعتبرة فيها ووجه
التنبيه على ذلك انك علمت ان صفة الربوبية وسائر صفات الالهية باعتبار الخارج نفس حقيقته تعالى وباعتبار
العقل امور يعتبرها المعقولية ذاته بالقياس الى مخلوقاته وآثاره وعلى الوجهين فهو اعظم ان تثبت ربوبيته باحاطة
قلب او بصر اما في الخارج فلان صفة ربوبيته هي نفس ذاته فكانت احاطة العلم بها موقوفة على الاحاطة بكنه
ذاته وقد علمت انها برية عن وجوه التركيب فيمتنع الاحاطة بها لغيرها واما في العقل فلان اعتبار صفة الربوبية
واحاطة العقول بها موقوفة على الاحاطة بجميع اعتبارات صفات الكمال ونعوت الجلال اذ اعتبار ربوبيته المطلقة
مستلزم لاعتبار الالهية المطلقة المستلزمة لاعتبار جميع ما لها من صفات الالهية وقد علمت ان تلك الاعتبارات
غير متناهية فهي اعظم ان يحيط بها عقل بشري فضلا ان يتعلق بها ادراك بصري **البحث الخامس** اعلم انه لما
نبه على عظمة الله سبحانه وكمال ذاته في الاعتبارات المذكورة امر ان يفعل كما ينبغي ان يفعله من هو مثله في
النقصان بالنسبة الى عظمة الله سبحانه فيطيعه حق طاعته ويعبده بكمال عبادته وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله
وعدد لزوجوه النقصان ليعتبر حاله في كل منها بالقياس الى كمال ذاته تعالى فضعف منزلته بالنسبة الى عظمته تعالى
وقلة مقدرته وكثرة عجزه بالنسبة الى كمال قدرته وكذلك عظم حاجته الى ربه في كل حال من طلب توفيقه واعداده لطاعته
والرهبة من عقوبته والاشفاق من سخطه كل ذلك بالنسبة الى غناه المطلق في كل شيء عن كل شيء وقوله فاذا اتى التنبيه
تنبيه اجمالي على وجوب طاعته تعالى في كل ما امر به ونهى عنه وجذب الى فعل كل مامور به لكونه حسنا والى الانتهاء
عن كل منهي لكونه قبيحا وقد علمت ان الغاية من بعثة الرسل ووضع الشرايع والسنن هي نظام احوال الخلق في معاشهم ومعادهم
فلا بد اذن في كل امر ونهي من سر وحكمة يوجب حسن المامور به وقبح المنهي عنه ولهذا الكلام ونحوه تعلقت المعتزلة
بمسألة الحسن والقبح العقليين وبالله التوفيق **الفصل السادس** يا بني اني قد انبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها
وانتقالها وانبأتك عن الآخرة وما اعد لاهلها فيها وضربت لك فيهما الامثال لتعتبر بها وتحذو عليها انما مثل من
خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فاموا منزلا خصيبا وجنابا مريعا فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق

وخشونة

وخشونة السفر وجشوبة المطعم لياتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ولا
شيء احب اليهم مما قربهم من منزلهم وادناهم من محلهم ومثل من اغتر بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم الى منزل
جديب فليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه الى ما يهجمون عليه ويصيرون اليه يا بني اجعل
نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك فاحبب لغيرك ما تحب لنفسك واكره له ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم
واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك
ولا تقل ما لا تعلم وان قل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك واعلم ان الاعجاب ضد الصواب وآفة الالباب فاسع في كدحك
ولا تكن خازنا لغيرك واذا انت هديت لقصدك فكن اخشع ما تكون لربك **اقول** يجزوا يتعدى والسفر المسافرون واموا
قصدوا والجناب الفناء والمنزل والمريع ذو الكلاء والخصب ووعثاء السفر مشقته وجشوبة المطعم غلظته
وعدم هنيئه والكدح الكسب وفي الفصل مطلوبان احدهما التنبيه على حالتي الدنيا والآخرة وذكر ما اخبره به عنهما من
ضرورة زوال الدنيا وانتقالها وبقاء الآخرة وما اعد لاهليهما فيهما من السعادة الباقية التي اشتمل على تفاصيل انواعها
الكتاب العزيز والسنة الكريمة وضرب لطالبيهما مثلين ليكون ممن اعرض عن الدنيا واقبل على الآخرة فالمثل الاول مثل من
خبر الدنيا وعرف زوالها وانتقالها ونعيم الآخرة وبقاءها وما اعد فيها لاهلها ومثلهم بقوم مسافرين فارقوا منزلا
جديبا الى منزل خصيب ووجه مطابقة هذا المثل ان النفوس البشرية لما كانت من عالم المجردات وكانت الحكمة في
هبوطها الى هذا العالم ومقارنتها لهذه الهياكل الجسمانية الكثيفة في دار الغربة ومحل الوحشة من عالمها ان تحصل
بواسطتها الكمالات العقلية التي انما تمكن لها بواسطتها ثم ترجع لاستكمالها الى عالمها الاعلى طاهرة عن علايق تلك
الهياكل وحياتها الردية كما اخذ عليها في العهد القديم كانت كل نفس حفظت عهد ربها وبقيت على صراطه المستقيم فهي في
المدة المضروبة لها ناظرة بعين الاعتبار الى ان الدنيا كالمنزل الجديب خال عن المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة الهنية
فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة وان عالم الآخرة كالمنزل الخصيب والجناب المريع من وصل اليه مستقيما
على اوامر الله ونواهيه فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية وكانت ابدا في طريق السفر في منازل طريق الله والاستعداد
للوصول الى تلك الحضرة الشريفة محتملة لمشقة ذلك السفر من معاناة الجوع والظماء ومقاساة السهر قصدا الى
الدار ومنزل القرار لا تجد من ذلك الما ولا تعد ما تنفقه من المال والعمر فيه مغرما ولا شيء احب اليها من وسيلة تقربها الى
ذلك المنزل الذي امته والجناب الذي قصدته فاشبهت في ذلك من وصل الى منزل جديب ثم علم ان امامه منزلا خصيبا
فاقتضى راي الحسن ان يحتمل وعثاء السفر ومشقته اليه ليحصل على الراحة الكبرى واما **المثل الثاني** فهو مثل اهل الدنيا
الذين خادعتهم نفوسهم الامارة بالسوء اليها فغفلوا فيها عما وراءها ونسوا عهد ربهم واعرضوا عما ذكروا به من آيات ربهم
وشبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم الى منزل جديب فالمنزل الخصيب في هذا المثل هو الدنيا لانها محل سعادة
اهلها وفيها ومنزل الجديب هو الآخرة اذ لم يكونوا استعدوا لادراك السعادة فيها ووجه تشبيههم بالقوم هو ما
ذكره من انه ليس شيء اكره اليهم الى الآخرة اي ليس شيء اكره اليهم ولا افظع عندهم من مفارقة ما هم فيه من الدنيا الى ما يهجمون

علیه بغتةً من الاهوال ویصیرون الیه من مقاساة السلاسل والاغلال کما انه لیس شی اکره الی القوم من مفارقة
منزل خصیب کانوا فیه الی منزل جدیب یقدمون علیه والی هذین المثلین اشارة الرسول صلی الله علیه وآله
بجنة المومن وجنة الکافر المطلوب الثانی الوصیة باصلاح معاملته مع الخلق فاشار علیه ان یجعل نفسه میزانا
بینه وبین غیره ووجه استعارة لفظ المیزان له انه یکون ذا عدل بین نفسه وبین الناس کالمیزان ثم شرح وجوه
العدل والتسویة التی امر ان یکون میزانا باعتبارها فمنها امور ثبوتیة ومنها امور سلبیة فالاول ان یحب لغیره
ما یحب لنفسه ویکره له ما یکره لها وفی الحدیث المرفوع لا یکمل ایمان عبد حتی یحب لاخیه ما یحب لنفسه
ویکره له ما یکره لنفسه وسر الحدیث ان ذلک من کمال فضیلة العدالة التی هی من کمال الایمان الثانی ان
لا یظلم کما لا یحب ان یظلم فیسلم من رذیلة الظلم والانظلام الثالث ان یحسن الی الغیر کما یحب ان یحسن الیه
والاحسان فضیلة تحت العفة الرابع ان یستقبح من غیره فینزجر عن جمیع مناهی الله وهو من لوازم المروة من نفسه ما یستقبح من غیره
ولذلک قال الاحنف لما سئل عن المروة هی ان تستقبح من نفسک ما تستقبح من غیرک الخامس ان یرضی من الناس
ما یرضاه لهم من نفسه ای کل ما رضی ان یفعله بهم من خیر او شر ان فعله فینبغی ان یرضی بمثله منهم وفیه
تنبیه علی انه لا یجوز ان یفعل الشر لعدم لازمه وهو الرضا منهم به السادس ان لا یقول ما لا یعلم وان قل ما تعلم
وانما قال وان قل ما تعلم لان تصور قلة العلم قد یکون داعیة لبعض الناس الی ان یقول بغیر علم لیلا ینسب
الی الجهل فیضل ویضل کما قال تعالی وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ الایة السابع
ان لا یقول لاحد ما لا یحب ان یقال له کالمواجهة بالعیوب والالقاب المکروهة وکل کلام موذ الثامن نهیه
علی وجوب ترک الاعجاب بانه ضد الصواب ولما کان الصواب هو سلوک طریق الله باستجماع مکارم الاخلاق
وکان الاعجاب من رذایل الاخلاق کان مضادا للصواب مضادة الرذیلة للفضیلة وبانه افة العقل
انه من اکبر امراض العقل وافاته المهلکة له کما اشار الیه الرسول صلی الله علیه وآله ثلث مهلکات الی ان قال واعجاب المرء
بنفسه العاشر ان یسعی فی کدحه ای فیما ینبغی له من کسب الطاعات وقیل اراد بالکدح ما اکتسبه من المال و
ینبغی فیه انفاقه فی سبیل الله الحادی عشر ان یکون عند هدایة الله ایاه لرشده اخشع ما یکون لربه وذلک لان
الهدایة للرشد هی العلم بالطریق الی الله تعالی فی جمیع ما عدد من مکارم الاخلاق والعلم بالطریق الموصل الیه
حین سلوکها یستلزم حسن ملاحظة جلاله وعظمته وهناک یکون الخشوع له والخشیة التامة لقوله
تعالی انما یخشی الله من عباده العلماء **الفصل السابع** قوله واعلم ان امامک طریقا ذا مسافة بعیدة ومشقة شدیدة
وانه لا غنی بک فیه عن حسن الارتیاد وقدر بلاغک من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن علی ظهرک فوق طاقتک فیکون
ثقل ذلک وبالا علیک واذا وجدت من اهل الفاقة من یحمل لک زادک الی یوم القیمة فیوافیک به غدا حیث تحتاج
الیه فاغتنمه وحمله ایاه واکثر من تزویده وانت قادر علیه فلعلک تطلبه فلا تجده واغتنم من استقرضک فی حال
غناک لیجعل قضاءه فی یوم عسرتک واعلم ان امامک عقبة کؤدا المخف فیها احسن حالا من المثقل والمبطی علیها اقبح امرا من المسرع

من نفسه ما یستقبح

وان مهبطها بک لا محالة علی جنة او نار فارتد لنفسک قبل نزولک ووطی المنزل قبل حلولک فلیس بعد الموت مستعتب ولا الی
الدنیا منصرف واعلم ان الذی بیده خزائن السموات والارض قد اذن لک فی الدعاء وتکفل لک بالاجابة وامرک ان
تسأله لیعطیک وتسترحمه لیرحمک ولم یجعل بینک وبینه من یحجبه عنک ولم یلجئک الی من یشفع لک الیه ولم یمنعک ان اسأت من التوبة ولم یعیرک
بالانابة ولم یعاجلک بالنقمة ولم یفضحک حیث تعرضت للفضیحة ولم یشدد علیک فی قبول الانابة ولم یناقشک بالجریمة
ولم یویسک من الرحمة بل جعل نزوعک عن الذنب حسنة وحسب سیئتک واحدة وحسب حسنتک عشرا وفتح
لک باب المتاب وباب الاستعتاب فاذا نادیته سمع نداک واذا ناجیته علم نجواک فافضیت الیه بحاجتک وابثثته
ذات نفسک وشکوت الیه همومک واستکشفته کروبک واستعنته علی امورک وسألته من خزائن رحمته
ما لا یقدر علی اعطائه غیره من زیادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق ثم جعل فی یدیک مفاتیح خزائنه بما
اذن لک فیه من مسألته فمتی شئت استفتحت ابواب نعمته واستمطرت شآبیب رحمته ولا یقنطنک ابطاء بالدعاء
اجابته فان العطیة علی قدر النیة وربما اخرت عنک الاجابة لیکون ذلک اعظم لاجر السائل واجزل لعطاء الامل
وربما سألت الشی فلا تؤتاه واوتیت خیرا منه عاجلا او آجلا او صرف عنک لما هو خیر لک فلرب امر قد طلبته فیه
هلاک دینک لو اوتیته فلتکن مسألتک فیما یبقی لک جماله وینفی عنک وباله فالمال لا یبقی لک ولا تبقی له اقول
الارتیاد الطلب والطوق والطاقة ما یتسع له قدرتک والوبال الهلاک والکؤد شاقة المصعد والمنزع عنه الیاس
الخروج منه والافضاء الوصول والبث النشر والکشف والشآبیب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والقنوط
والاستعتاب طلب العتبی وهی الرجوع الی الرضا فی الفصل مطالب احدها الوصیة بالسعی فی تحصیل الکمالات
النفسانیة الباقیة والثانی طرح الرذائل المنقصة فنبهه علی الاول بان امامه ای فی سفره الی الله طریقا طویلا
شدیدا وظاهر ان الطریق التی یکون کذلک لا بد لسالکه من حسن طلب القصد فیه الی مطلوبه ومن قدر مبلغ
له من الزاد واستعار له لفظ الطریق لما یسیر فیه الانسان من احوال الدنیا ویعبر منها الی الاخرة واشار بطولها وشدتها
الی عسر النجاة فیها والسلامة من خطرها اذ کان ذلک انما یکون بلزوم القصد والثبات علی سنن العدل والاستقامة
علی حاق الوسط من مکارم الاخلاق اذ علمت ان لکل من القوة التمییزیة والشهویة والغضبیة حدا یجب الوقوف
عنده وهو العدل وعلمت ان ادق الحدود واضیقها الا هو محفوف بطرفی تفریط او افراط قل ما یسلم الانسان من الوقوع فی احدهما
وهما طریقان الی جهنم فبالحری ان یکون طریقا ذا مسافة لا یصل الانسان منها الی غایته الا علی بعد بعید ولا یحصل منها علی
الا بجهد جهید واستعار لفظ الزاد للتقوی والکمالات التی بها بلاغ الانسان فی تلک الطریق الی الله تعالی وبها
یکون النجاة فیها والخلاص من مهالکها ونبهه علی الثانی بقوله مع خفة الظهر الی قوله وبالا علیک واستعار لفظ
الخفة لتقلیل اکتساب الاثام وحملها علی النفس ولفظ الحمل لاکتسابها ووجه الاستعارة الاولی ان مقلل الاثام سریع
القطع لتلک الطریق قریب الی النجاة فیها من مخاوفها کما قال علیه السلام تخففوا تلحقوا وکما اشار الیه الرسول صلی الله
علیه وآله نجا المخففون ووجه الثانیة ان مکتسب الاثام مثقل بها وبطی عن لحوق المخفین ویهلک بها فی طریقه

وكثرة مخافة تابعة لكثرة الكتابة كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب الثالث التنبيه
على وجوب انفاق المال في وجوه الصدقة والبر لمن يحتاج اليه من اهل الفاقة وذلك قوله واذا وجدت الى قوله
عسرتك وجذبه واحد لذلك بشارين احدهما كون ذلك زادا يحمله ذو الفاقة الى يوم القيمة وتلقاه به هناك في
موضع الحاجة اليه واستعار لفظ الزاد هنا لما يحصل من فضيلة السخاء والكرم بالانفاق ووجه الاستعارة كونه
سببا لسلامة النفس من الهلاك في طريق الاخرة ووسيلة الى السعادة الباقية كالزاد المخلص للمسافر في طريقه
والمبلغ له الى مطالبه واستعار للمتصدق عليه وصف الحامل لذلك الزاد باعتبار انه سبب لحصول الفضيلة
الصدقة ووصول ثوابها الى المتصدق يوم القيمة فوجدانه لتلك الفضيلة وظهورها في صحيفة اعمال المتصدق
يوم القيمة هو المشار اليه بالموافاة بها غدا الثاني امره ان يغتنم ذا الفاقة عند وجدانه وان يحمله ذلك الزاد ويكثر من
تزويده وتحميله للزاد حال ما هو قادر على تحصيله وجذب الى ذلك الاغتنام والمسارعة الى الصدقة بقوله فلعلك تطلبه فلا
لان الوسيلة الى امر عظيم اذا كانت في معرض ان تطلب فلا توجد ثم وجدت في وقت من الاوقات وجب ان يغتنم تحصيلها
ولا يهمل الثالث كون الصدقة على ذي الفاقة قرضا للمتصدق على ذي الفاقة قرضا المتصدق في حال غناه بالمال ليقضي له
يوم عسرته وفقره واستعار وصف المستقرض هنا لله باعتبار انه هو المجازي بالثواب من انفق ماله في طاعته
واليه الاشارة بقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وبه يكون القرض في حال الغناء
والقضاء في حال العسرة ليكون القضاء افضل فيرغب في القرض لغاية النفع المطلوب الرابع التنبيه على شدة
الاخرة وعلى وجوب الاستعداد لها بالخفة من حمل الاثام والسرعة فيها قبل انقضاء الايام واستعار لفظ العقبة لما
فيها من الصعود والارتقاء في درجات الكمال بالفضائل عن مهابط الرذائل ووصفها بشدة الصعود باعتبار ما في
ذلك الارتقاء من التعثر وكثرة الموانع وجذب الى الاستعداد بامور ثلثة احدها كون المخف فيها احسن حالا
من المثقل وهو ظاهر كما قدمناه الثاني كون المبطئ فيها اقبح حالا من المسرع وهو ايضا ظاهر اذ كان المبطئ فيها
واقفا على طرفي الافراط والتفريط مشغولا بما يلهيه ملتفتا عما يعنيه حتى اذا انقضى اجله بقي في مهاوي الهلاك
لسيره او على ما فاته من سرعة السير حسيرا الثالث ذكر الغايتين منها وهي الجنة والنار وانه لا بد من تاديتها او هبوطها
بسالكها على احديهما وهو ظاهر ايضا فان خوض الانسان في احوال الدنيا والتصرف فيها الى غاية انقطاعها
الاخرة اما ان يكون على وجه القصد ولزوم سمت القبلة الحقيقية وتجنب طريقي الافراط والتفريط
وبذلك يكون هجوم تلك الطريق وهبوطها بسالكها على الجنة واما ان يكون على وجه الانحراف عن ذلك القصد
والتعريج عنه الى ما في تلك الطريق من مناهي الله وابواب محارمه وبذلك يكون هبوطها بسالكها على النار
ونسبة الهبوط اليها مجاز باعتبار تاديتها الى احدى الغايتين كالحائط الشيء ليوصله الى قراره ثم امره ان يرتاد لنفسه
ويطلب ما يكون سببا لتهيئة وحسن حاله قبل نزوله احد المنزلين الذين هما غايتاها ما يكون هبوطها به على الجنة
يوطئ للمنزل الذي يريد سكناه بالاستعداد له ويروى يوطن بالنون اي يهيئ وطنا المطلوب الخامس التنبيه على الدعاء

فيسترده او ما لاحظه بجلاله والانقطاع اليه اذ هو مبدأ كل محبوب ومعطي كل مطلوب ورغب في ذلك بامور احدها ان بيده
تعالى خزائن السموات والارض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك كان احق بالرغبة اليه من كل احد الثاني
انه تعالى اذن في الدعاء وتكفل بالاجابة فقال ادعوني استجب لكم وتقدير الكبرى كالاول الثالث انه امر الخلق ان يسألوه ليعطيهم
في قوله تعالى واسألوا الله من فضله وكذلك ان يطلبوا منه الرحمة ليرحمهم وذلك ان افاضة الرزق والرحمة وكل فضل منه انما يوجد
بعد الاستعداد له بالاخلاص في الطلب والاسترحام وحين ما هو في مظانه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فواجب ان يسال
ويسترحم الرابع انه لم يجعل بينه وبين الراغب اليه حجابا ولا بوابا لتقدسه سبحانه عن الجسمية والجهة وصفات المحدثات
بل تجلى في كل شيء لكل من فتح عين بصيرته ووجهها الى مطالعة كبريائه وعظمته وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فهو اولى
من ان يسال ويسترحم الخامس انه لم يلجئه الى من يشفع اليه والشفيع انما يضطر اليه عند تعذر المطلوب من جهة المرغوب
اليه اما لبخل او حاجة او جهله باستحقاق الطالب والبارى تعالى لا بخل فيه ولا منع من جهته وانما يتوقف فيضه على
استعداد الطالب له ولم يجعل سبحانه للراغبين اليه ضرورة الى الشفعاء اذ مكنهم من الاستعداد لنيل مطلوباتهم منه وهيأ
لهم اسبابها وفتح لهم ابواب رحمته فان عرضت لهم حاجة الى شفيع فليس ذلك عن ضرورة والحاجة اليه الى ذلك السادس
انه لم يمنعه ان اساء من التوبة بل امره بها وحث عليها فقال يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم الجنة وقال بعد ان عدد الكبائر وتوعد عليها الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الاية السابع انه لم يعاجله بالنقمة مع اطلاعه عليه حين معصيته ولم يفضحه
في مقامه الذي تعرض فيه للفضيحة بل امهله على ظلمه واسبل عليه ستر كرمه وحلمه الثامن انه لم يشدد عليه في قبول
الانابة والرجوع اليه كما يفعله الملوك في حق من اساء وطلب الاقالة ولم يناقشه بجريمته وذنبه فيستقصي في حسابه بل سهل
عليه في ذلك وقبل توبته متى شاء لانه تعالى لا مضرة عليه باساءة مسيء ولا نفع يصل اليه من انابة منيب اذ هو الغني المطلق
التاسع انه لم يؤيسه من الرحمة حيث قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية العاشر انه جعل
نزوعه عن ذنبه وتوبته منه حسنة حيث قال بعد ذكر التوبة فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وحسب سيئته
واحدة وحسنته عشرا حيث قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها الحادي عشر انه
فتح له باب المتاب حيث قال غافر الذنب وقابل التوب وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات وباب
الاستعتاب حيث امره وارشده الى طلب الرضا عنه بعد توبته الثاني عشر كونه اذا ناداه سمع نداه لقوله تعالى انّ
ربي لسميع الدعاء واذا ناجاه علم نجواه لقوله تعالى يعلم السر واخفى فاوصل اليه حاجته ان شاء سرا وان شاء جهرا
وطلب منه اعانته على اموره ونشر له ما كان في نفسه من مهماته وسأله كشف كربه فوهب له من خزائن رحمته ما لا يقدر
على اعطائه غيره من زيادة الاعمار وصحة الابدان وسعة الارزاق الثالث عشر انه جعل في يديه مفاتيح خزائنه بما اذن
له من مسئلته واستعار لفظ المفاتيح للادعية باعتبار انها اسباب لتحصيل النعمة وكمال الرحمة متى شاء استفتح بها ابواب
خزائنه وكذلك استعار لفظ الابواب لاسباب جزئيات النعم الواصلة الى العبد وخزائن نعمه هي خزائن السموات والارض اذا

اذ الكل منه وبيده ويحتمل ان يشير بها الى المعقول من نعماء جوده وما تحويه قدرته من الخيرات الممكنة واستعار وصف
الاستمطار لطلب نعم الله ملاحظة لشبهها بالمطر في كونهما سببين للحياة وصلاح الحال في الدنيا ولشبه طالبها بالمستمطر
ورشح بذكر الشآبيب وتقدير الكبرى في كل واحد من هذه الضماير وكل من كان كذلك فهو احق ان يرغب اليه ويتوجه
الطلب نحوه واعلم انه لما رغبه في الدعاء بهذه الجواذب نبهه على ان الاجابة في الدعاء قد تبطئ وتتاخر عن وقت الطلب
اسبابا للتاخر لئلا يقنط عند تاخرها فلا يقنط منها احدها ان العطية على قدر النية اي ان الاجابة موقوفة على الا
بخلاص النية فاذا تاخرت الاجابة فلعل تاخرها لان النية لم تكن خالصة الثاني انه ربما اخرت لعلم الله تعالى ان تاخيرها
من اسباب استعداد السائل والموصل لاستعداد اعلى لعطاء ما هو اعلى واشرف مما سال فيعطيه عند كمال الاستعداد لاجر
اهل العزم تأتي العزائم وبعد الكد يكتسب المعالي الثالث ان المطلوب قد لا يكون فيه مصلحة للعبد لعلم الله على تقدير انه
لو اعطي اياه كالغنى والجاه مثلا وسائر المطالب الدنيوية الخالصة فلا يجيبه الله سؤاله بل يعطيه خيرا منه اما في عاجل
او في آجل اخراه ويصرف ذلك الامر عنه لما هو مصلحة له ثم ختم ذلك بتعريفه مواقع سؤاله فقوله فيما ينبغي ان
يسال به العلماء وهو ما يبقى له جماله وينفي عنه وباله من التوفيق لاسباب السعادة الباقية وجميل الاحدوثة في الاعقاب دون
المال الذي يبقى عليه وباله ولا يبقى لصاحبه ولا يبقى صاحبه له وتعريفه ذلك عن سؤاله واقتنائه وبالله التوفيق الفصل الثامن

قوله واعلم انك انما خلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحيوة وانك في منزل قلعة ودار بلغة وطريق الى
الآخرة وانك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه فكن منه على حذر ان يدركك وانت على حال سيئة قد
كنت تحدث نفسك منها بالتوبة فيحول بينك وبين ذلك فاذا انت قد اهلكت نفسك يا بني اكثر من ذكر الموت وذكر ما
تهجم عليه وتفضي بعد الموت اليه حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك ولا ياتيك بغتة فيبهرك واياك
ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا اليها وتكالبهم عليها فقد نباك الله عنها ونعت لك نفسها وتكشفت لك عن مساويها
فانما اهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهر بعضها بعضا وياكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها نعم معقلة
واخرى مهملة قد اضلت عقولها وركبت مجهولها سروح عاهة بواد وعث ليس لها راع يقيمها ولا مسيم يسيمها سلكت بهم الدنيا
طريق العمى واخذت بابصارهم عن منار الهدى فتاهوا في حيرتها وغرقوا في نعمتها واتخذوها ربا فلعبت بهم ولعبوا بها
ونسوا ما وراءها رويدا يسفر الظلام كان قد وردت الاظعان يوشك من اسرع ان يلحق اقول منزل قلعة لا يصلح للاستيطان
والبلغة ما يتبلغ به من العيش والازر القوة وبهره غلبه واتعبه واصل البهر تتابع النفس من التعب والاخلاد الى كذا السكون
اليه والتكالب التواثب والمساوي المعايب والضراوة تعود الصيد والجراة عليه والمعقلة المقيدة بالعقال والمجهول
المفازة التي لا اعلام فيها والوادي الوعث لا يثبت به خف ولا حافر لكثرة سهولته والمسيم الراعي وقد نبهه في هذا
الفصل على امور احدها ان العلة الغائية من خلقه ووجوده هي الآخرة دون الدنيا والموت والفناء دون الحياة والبقاء وهذه
الامور علل عرضية من وجود الانسان لكونها من ضروريات وجوده واما العلة الحقيقية الاولية فهي من وجوده هي استكمال
ووصوله الى حضرة ربه طاهرا عن علائق الدنيا وذكر بهذه الغايات التي يجب الوصول اليها ليعمل لها ولما بعد الموت و

توقف سروح عاهة

العرضية

العرضية على الدنيا وعمارتها ولا يركن الى البقاء فيها لكونها امورا عرضية زائلة الثاني نبهه بكون الدنيا منزل قلعة على انها منزل عبور لم
تخلق للاستيطان والاقامة وبكونها دار بلغة على انها انما خلقت ليتبلغ فيها الانسان بلاغا للوصول الى الآخرة وزاد لكونها طريقا
اليها الثالث نبهه على انه طريد الموت واستعار له لفظ الطريد ملاحظة لشبهه بالصيد يطرده السبع ونحوه ثم وصف الموت
بكونه لا ينجو منه هاربه ولا بد انه مدركه تحذيرا منه وجذبا الى الاستعداد له بطاعة المقاومة لاهواله وشدائده ولذلك
فكن منه على حذر الى قوله نفسك اي يقابلك على الحال السيئة قد حدثت نفسك فيها بالتوبة الى ان يدركك ويحول عطف على يدركك
واذا للمفاجاة الرابع امره بالاكثار من ذكر الموت وما يهجم عليه فان ذلك يستلزم العبرة والاعتبار والاخذ في الاهبة والاستعداد
له ولما بعده ولذلك قال حتى ياتيك وقد اخذت منه حذرك وشددت له ازرك اي بالكمالات التي استعددت بها ولا ياتيك بغتة
فيبهرك وقوله ولا ياتيك عطف على قوله حتى ياتيك والواو في قوله وقد للحال وكذلك بغتة حال وفيبهرك منصوب لانه
ان عقيب الفاء في جواب النفي الخامس نهاه ان يغتر باخلاد اهل الدنيا اليها وتواثبهم عليها ونبهه على انه لا ينبغي
ذلك الاغترار بقياسات ضمير فقوله فقد نباك الله الى قوله عن مساويها هو صغرى القياس الاول كقوله تعالى وما الحيوة الدنيا
الا لعب ولهو في مواضع كثيرة من كتابه العزيز وقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء الاية ونعت الله وتعرف
لك نفسها صغرى القياس الثاني وروي ونعت وروي ونعت بمعنى ان الله وصفها له ومعنى نعتها نفسها وصفها
حالها نفسها وبيان انها محل الهموم والغموم والاعراض والامراض ودار كل بلاء ومنزل كل فتنة وقوله وانما اهلها الى
آخره صغرى القياس الثالث وتقدير الكبرى في القياس الاول وكل من اخبر الله تعالى عنه بذلك فلا ينبغي ان يغتر به
وتقديرها في الثاني وكل من وصف نفسه كذلك فلا ينبغي ان يغتر به وتقديرها في الثالث وكل من كان كذلك فلا ينبغي
ان يغتر بفعله واعلم انه اشار في هذين المثلين الى قسمة اهل الدنيا الى قسمين بحسب اعتبار قواهم الغضبية والشهوية
واتباعهم لها اي منهم من اتبع قوته الغضبية واعطاها مقتضاها ومنهم من اتبع قوته الشهوية واسترسل في قيادها
وغفل عما خلق لاجله وضرب المثل للاولين بالكلاب العاوية او العادية والسباع الضارية واشار الى وجه مطابقة المثل
بقوله يهر الى قوله صغيرها ووصف الهرير مستعار لتشاجرهم عليها وكذلك لفظ الاكل لغلبة بعضهم على بعض وضرب للآخرين
مثل النعم باعتبار غفلتهم عما يراد بهم كالبهائم ثم قسم هؤلاء الى قسمين معقلة ومهملة واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا
بظواهر الشريعة واتبعوا الامام العادل فقيدهم الدين عن الاسترسال في اتباع الشهوات والانهماك فيها وان لم يعقلوا اسرار
الشريعة فهم كالنعم التي عقلها راعيها واشار بالمهملة الى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا عن طاعة امامهم ولم
يتقيدوا باوامره فهم كالبهائم المرسلة واشار الى وجه المشابهة بقوله التي اضلت عقولها الى آخره ويحتمل ان يريد بعقولها
عقلها جمع عقال فاشبع الضمة وقلبها واوا اما تبعا لقوله مجهولها او يحتمل ان يريد به جمع عقل وهو الحجا اي انها من
من يلي امرها وهو امامها ووجه مطابقة هذا المثل ان هؤلاء في عدم انتفاعهم بعقولهم وركوبهم لاهوائهم الفاسدة و
سروحهم في شهواتهم الدنيوية مكتسبين للرذائل والعاهات النفسانية ليس لهم امام يبعثهم على طاعة الله وطرق الهدى
مكارم الاخلاق فاشبهوا النعم المهملة التي اضلت عقالها وركبت المفازة فهي سروح مترددة متحيرة بواد وعث ليس لها

رائع برعاها ووجهتها الى المراعي وروي تروح عاهة اي هي سارحة عن امر قد حجبت بما عن الاسماع والرواية الاولى اقرب الى الفهم
واراد بطرق العمى طرق الجهل ومسالك الباطل التي لا يهتدى فيها الشيء كما لا يهتدي الاعمى الطريق ونسبة السلوك بهم اليها
باعتبار انها سبب غرورهم وغفلتهم عما وراءهم وكذلك اخذها بابصارهم اى بابصار عقولهم عن منار الهدى وهي
آيات الله ومنار الطريق اليه واشارتهم بهم في حيرتها الى ضلالهم عن طرق الحق واستعار لفظ الغرق باعتبار استيلاء
نعيمها على عقولهم وتملكها كما يستولي الماء على الغريق واتخاذهم لها ربا باعتبار خدمتهم لها فلعبت بهم اذ كانوا
عبيدا لها واحبوا لها اذ اشتغلوا بها غير منتفعين ونسوا ما الاولى بهم فعله ونسوا ما وراءها مما خلقوا لاجله **الفصل
التاسع** قوله واعلم يا بني ان من كانت مطيته الليل والنهار فانه يسار به وان كان واقفا ويقطع المسافة وان كان
مقيما وادعا واعلم يقينا انك لن تبلغ املك ولن تعدو اجلك وانك في سبيل من كان قبلك فخفض في الطلب
واجمل في المكتسب فانه رب طلب قد جر الى حرب وليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم واكرم نفسك عن كل دنية
وان ساقتك الى الرغائب فانك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضا ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا وما
خير لا يوجد الا بشر ولا ينال الا بعسر واياك ان توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الهلكة وان استطعت ان
لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك فان اليسير من الله سبحانه اكرم واعظم
من خلقه وان كان كل منه وتلافيك ما فرط من صمتك ايسر من ادراكك ما فات من منطقك وحفظ ما في الوعاء
بشد الوكاء وحفظ ما في يدك احب الي من طلب ما في يد غيرك ومرارة اليأس خير من الطلب الى الناس والحرفة مع العفة
خير من الغنى مع الفجور والمرء احفظ لسره ورب ساع فيما يضره من اكثر اهجر ومن تفكر ابصر قارن اهل الخير تكن منهم
وباين اهل الشر تبن منهم بئس الطعام الحرام وظلم الضعيف افحش الظلم اذا كان الرفق خرقا كان الخرق رفقا ربما كان
الدواء داء والداء دواء وربما نصح غير الناصح وغش المستنصح واياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى والعقل حفظ
التجارب وخير ما جربت ما وعظك بادر الفرصة قبل ان تكون غصة ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب
ومن الفساد اضاعة الزاد ومفسدة المعاد ولكل امر عاقبة سوف ياتيك ما قدر لك التاجر مخاطر ورب يسير
انمى من كثير لا خير في معين مهين ولا صديق ظنين ساهل الدهر ما ذل لك قعوده ولا تخاطر بشيء رجاء اكثر منه واياك
ان تجمح بك مطية اللجاج احمل نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة وعند صدوده على اللطف والمقاربة
وعند جموده على البذل وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين وعند جرمه على العذر حتى كانك له
عبد وكانه ذو نعمة عليك واياك ان تضع ذلك في غير موضعه او ان تفعله بغير اهله لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك
وامحض اخاك النصيحة حسنة كانت او قبيحة وتجرع الغيظ فاني لم ار جرعة احلى منها عاقبة ولا الذ مغبة ولن لمن
غالظك فانه يوشك ان يلين لك وخذ على عدوك بالفضل فانه احد الظفرين وان اردت قطيعة اخيك
فاستبق له من نفسك بقية يرجع اليها ان بدا له ذلك يوما ما ومن ظن بك خيرا فصدق ظنه ولا تضيعن
حق اخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس لك باخ من اضعت حقه ولا يكن اهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبن فيمن زهد عنك

ولا يكون

ولا يكون اخوك اقوى على قطيعتك منك على صلته ولا يكونن على الاساءة اقوى منك على الاحسان ولا يكبرن عليك
ظلم من ظلمك فانه يسعى في مضرته ونفعك وليس جزاء من سرك ان تسوءه **اقول** تعدوه تجاوزه والخفض التسهيل على
النفس والحرب سلب المال والاجمال في الطلب التسهيل فيه حتى يكون جميلا واوجفت اسرعت والمناهل المشارب
والحرفة الضيق في الرزق والحرمان واهجر الرجل اذا افحش في منطقه والرفق اللين وضده الخرق والنوكى الحمقى جمع انوك
والفرصة وقت الامكان والظنين المتهم والصرم القطع ومحضه النصيحة اخلصها له والمغبة العاقبة وقد اشتمل
هذا الفصل على الوصية بلطائف من الحكمة العملية ومكارم الاخلاق التي ينتظم بها امر المعاش والمعاد وصدره
بالتنبيه على ضرورة الموت ليبني عليه ما يريد ان يوصيه به من مفردات الحكم وذلك التنبيه بامرين احدهما ان
الانسان في مدة عمره مسافر الى الآخرة وان ذلك السفر ليس على مطايا محسوسة ولا في طرق محسوسة بل المطية فيه الليل
والنهار واستعار لفظ المطية لهما باعتبار انهما اجزاء اعتبارية للزمان يعقب بعضها بعضا وينقضي بانقضائها الزمان
فينتقل الشخص بحسبها في منازل مدته المضروبة المقدرة له منه الى ان تفنى مدته ويتم سفره الى الآخرة كما ينتقل في منازل
طريقه المحسوسة الى ان يتم سفره فيها وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدته المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا
اعتباريا وان كان واقفا وقوفه المتعارف وقطع مسافة اجله ركبا لتلك المطايا وان كان وادعا قارا الثاني
امره ان يعلم يقينا انه لن يبلغ امله وذلك ان الانسان ابدا في توجيه امله في المطالب كلما حصل مطلوب منها والتذ به
امله فيه وجهه الى مطلوب آخر وان اختلفت تلك المطالب فالامل ابدا متوجه الى مطلوب ما ليس بمدرك في الحال
والاحالة في ذلك على الوجدان فاذن ليس كل امل بمدرك وكذلك لا يمكن ان يتجاوز الانسان اجله المضروب له والا
لما كان اجلا له وهذان الامران في قوة صغريين لقياسين ضمير من الشكل الاول وتقدير كبرى الاول وكل من يسير
كذلك فيوشك ان ينقطع مدته ويصل الى الآخرة وتقدير الكبرى الثاني وكل من لا يبلغ امله ولا يجاوز اجله وهو سالك
لطريق من كان قبله فيوشك ان يلحق بهم ولما نبه على ضرورة مفارقة الدنيا والوصول الى الآخرة رتب على ذلك الوصية
بالحكم المذكورة وذكر منها جملة الاولى ان يخفض في طلب الدنيا ولا يحرص عليها بل يجمل طلبه لها بقدر حاجته اليها الثانية
ان يفعل الجميل فيما يكتسبه منها وذلك ان يضع كل شيء منه موضعه فيمسك منه قدر ضرورته وينفق فاضله في
وجوه البر ومصارف القربة ويحتمل ان يريد بالمكتسب الاكتساب فاطلق اسم المفعول على المصدر مجازا او نحوه قول
الرسول صلى الله عليه وآله ان روح القدس نفث في روعي انه لن يموت نفس حتى تستكمل رزقها فاجملوا في الطلب
وقوله فانه رب طلب الى قوله محروم تنفير عن الخوض في الطلب بامور ثلاثة احدها انه قد يجر الى الحرب وذلك كما
روي ان تاجرا كان له من المال سبعة عشر دينارا فاوى بها الى الهند مرارا حتى بلغت سبعة عشر القناطر وهم بعد على
ترك السفر والاكتفاء بما رزقه الله فسولت له نفسه الامارة بالسوء العود وحببت اليه الزيادة فعاود السفر فلم يلبث
ان خرجت عليه السراق في البحر فاخذوا جميع ما كان معه فرجع وقد خرب ماله وذلك ثمرة الحرص المذموم وهو في
تقدير صغرى ضمير وتقدير كبراه وكل ما جر الى الحرب فينبغي ان لا يحرص عليه الثاني قوله وليس كل طالب بمرزوق وهو

تمثيل نبه فيه على ان الطلب علة الحرمان في بعض الطالبين حتى تغيض نفسه عليه فلا يحرص في الطلب الثالث قوله وكم من
مجمل لمجرور تنبيه على تمثيل آخر كذلك نبه فيه على ان الاجمال علة للرزق في بعض الناس لتغيض نفسه عليه فيجمل في الطلب الرابع
اكرم نفسه عن كل دنية وان استلزمت وصوله الى ما يرغب فيه ويتنافس عليه ومن ذلك كان يكذب مثلا او يعد او يحصل
المال ونحوه والاكرام لها عن ذلك يستلزم فضايل كالسخاء والمروة وكبر الهمة اذ كل واحد من رذيلة البخل والذل وصغر الهمة
يستلزم مفارقة الدنايا فاكرام النفس عنها يستلزم الامر بالحصول على فضايلها ونفره عن مفارقة الدنية بقوله فانك
الى قوله عوضا اي ان ما تبذله من نفسك من الفضيلة وتعدل عنه الى الرذيلة لا يقاومه عند الله وعند اهل الفضل
من خلقه شيء وان اجل ولا يكون لك عنه عوض وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا يحصل له عوض
يقابله ويساويه فلا ينبغي ان يبذل في مفارقة الدنايا الخامس ان لا يكون عبد غيره اي لا يجعل لغيره عليه فضل
يساله اياه فيسترقه به ويستوجب بذلك على نفسه خدمته والاشتغال بشكره عن الله وقوله وقد جعلك الله حرا
في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من جعله الله حرا فقبيح ان يجعل نفسه عبد الغير وكذلك قوله وما خير خير لا
قوله الا بعسر استفهام في معنى الاستنكار اي لا خير في خير لا يوجد الا بشر ويسر لا ينال الا بعسر وكنى بذلك الخير
واليسر عما يطلب في مفارقة الدنايا ويصير الانسان بسببه عبدا للغير كالمال ونحوه وبالشر والعسر المقارن لكل ذلك
ماء الوجه في السؤال والذلة ونحوها من الدنايا وهو ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما لا خير فيه فلا ينبغي ان
يطلب ويتعبد الغير من اجله السادس حذره من الطمع واستعار لفظ المطايا للقوة الامارة بالسوء كالوهمية و
والشهوية والغضبية ووجه المشابهة كونها حاملة للنفس العاقلة وموصلة لها الى المشتهيات وما يطمع فيه
من مطامع الدنيا كالمطايا الموصلة لراكبها الى اغراضه وكذلك وصف الوجيف لسرعة انقياده معها الى المطامع
الرديئة وقوله فتوردك مناهل الهلكة فاستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك في الآخرة كنار الجحيم ووجه
المشابهة كونها موارد شراب اهل النار المهلك كما قال الله تعالى فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم
والفاء في جواب النهي اللازم للتحذير المذكور وهو في قوة متصلة هي صغرى ضمير تقديرها انك ان اوجفت
بك مطايا الطمع اوردتك مناهل الهلكة وتقدير الكبرى وكل مطية كذلك فيحرم ركوبها السابع نهاه ان يجعل
بينه وبين الله واسطة في وصول نعمته اليه ان استطاع ذلك وهو نهي عن مسألة الغير والتعرض لنواله بل ينتظر
من رزق الله المفروض له من غير سؤال في نعمة يكون فيه بذل الوجه والذلة والمنة ان اعطى وبذله والحرمان ان
اخره ورغبه في ذلك بضميرين احدهما قوله فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك الخ رزق الله وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجعل بينه وبين الله واسطة يطلب منه رزقه الثاني قوله وان اليسير الى قوله
خلقه اي ما حصل من جهة يحمد حصوله منها وهي الجهة التي امر الله بطلب الرزق منها وان كان يسيرا اكرم عند الله
من الكثير من غير تلك الجهة كسؤال الغير والتعرض له وتقدير الكبرى وكل ما كان اعظم فينبغي ان يكون هو المطلوب وقوله
وان كان الكل منه اي وان كان الرزق من الخلق ايضا من الله الا انه ينبغي ان يوجه الرغبة اليه ابتداء دون غيره اذ هو

وعنايته بالجميع واحدة الثامن قوله وتلافيك الى قوله منطقك تنبيه على وجوب ترجيح الصمت وتفضيله على كثرة الكلام بضمير
هذه صغراه وتقريرها ان التدارك لما فرط من الصمت وان استلزم الخطأ كالسكوت عما ينبغي ان يقال من الحكم او ما يترتب عليه
بعض المصالح الا انه يمكن استدراكه غالبا بما ينبغي من القول واما فارط القول فان الخطأ فيه قد لا يمكن استدراكه
وان امكن فعلى غاية من العسر فلذلك كان تلافي فارط الصمت بالقول اسهل من تدارك فارط القول ولقوة الخطأ
في القول اكثر الناس في ذم الاكثار ومدح الصمت والمنطق هنا يحتمل ان يريد به المصدر فيكون من لبيان الجنس او
محل النطق فتكون لابتداء الغاية وتقدير كبرى الضمير وكلما كان ايسر فهو اولى بك فتلافي فارط الصمت اولى
بك وذلك يستلزم رجحان الصمت التاسع نبهه على حفظ ما في يده من المال الحفظ الذي ينبغي وهو الواسطة بين
التبذير والبخل والكلام في قوة صغرى ضمير ايضا وتقدير كبراه وكل ما كان احب الي من طلبك ما في يدي غيرك فهو اولى
بك العاشر نبهه على فضيلة قطع الطمع واليأس عما في ايدي الناس بضمير ايضا صغراه قوله ومرارة اليأس الى
قوله الناس وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا فهو اولى ان يلزم ويكرم النفس به واطلق لفظ المرارة على الالم الذي يجده النفس
بسبب اليأس من المطالب لملائمة الاسم السبب وكونه خيرا لما يستلزم من اكرام النفس عن ذل السؤال وعند ذلك الطمع
واليه اشار الشاعر بقوله وان كان طعم اليأس مرا فانه الذ واحلى من سؤال الاراذل الحادي عشر نبهه على وجوب الصبر على
ضيق الرزق والحرمان اذا كان مع فضيلة العفة وان لزومه اولى من طلب الغنى المستلزم للفجور بضمير ايضا صغراه
وتقدير كبراه وكل ما كان خيرا من الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك الغنى مع الفجور فلزومه اولى من طلب ذلك
الغنى وانما كان كذلك لاستلزام تلك الحرفة الفضيلة واستلزام ذلك الغنى الرذيلة وقد علمت ان العفة فضيلة القوة الشهوية
وانها بين رذيلتي تفريط هي خمود الشهوة وافراط هي فجور الثاني عشر نبهه على انه لا يجوز افشاء سر بتمثيل اصله
المرء والفرع هو والحكم كونه احفظ لسره والعلة كونه اكثر عناية بنفسه من غيره الثالث عشر نبهه بطريق التمثيل ايضا
على الحرص في السعي والتثبت في ارتياد المصالح بقوله رب ساع فيما يضره فالاصل هو الساعي والفرع هو المخاطب والعلة
هي السعي والحكم هو الضرر الرابع عشر نبهه على وجوب ترك الاكثار في القول بتمثيل ايضا اصله المكثر وفرعه المخاطب
وعلة الاكثار وحكمه الهجر والغرض ان يعتبر نفسه في لحوقها بالمكثرين في لزوم الهجر لهم فيترك الاكثار لما يلزمه من
لحوق الذم به الخامس عشر على فضيلة التفكر في الامور بقوله من تفكر ابصر اي ادرك بعين بصيرته حقايق الامور
وعواقبها السادس عشر امره بمقاربة اهل الخير بضمير دل على صغراه بقوله تكن منهم وتقديرها ان مقاربتهم تستلزم
الكون منهم وتقدير الكبرى وكلما استلزم الكون منهم فواجب ان يفعل السابع عشر وكذلك الثامن عشر بمباينة اهل الشر
ومفارقتهم لما تستلزم المباينة لهم من عدم العداد في جملتهم في الدنيا والآخرة ووجه الحجة كالذي قبله التاسع عشر
نبهه على قبح اكل الحرام الغليظ اجتنابه بضمير تقدير صغراه الطعام الحرام مذموم وتقدير كبراه وكل مذموم فينبغي
ان يجتنب التاسع عشر نبهه على وجوب ترك الظلم بضمير صغراه ما ذكره وانما كان اقبح الظلم لكون الضعيف في محل الرحمة
فظلمه لا يصدر الا عن قلب قاس ونفس بعيدة من الرقة والرحمة والعدل ولانه غير مقابل من الضعيف بمدافعة وممانعة

ابعد عن العدل وتعذر كبراه وكل ما كان افحش الظلم كان اولى باتصاف الظلم بالزيادة والاجتناب العشرون نبهه على ان الرفق في
بعض المواضع انفع من الرفق فينبغي ان يستعمل كل في موضعه بضمير صغراه متصلة تقريرها انه اذا كان استعمال الرفق
في بعض المواضع كالحرق في كونه مخلا بالمصلحة غالبا او مفوتا للغرض كان استعمال الحرق في ذلك الموضع كاستعمال الرفق في
استلزامه المصلحة وحصول الغرض غالبا فكان اولى من الرفق في ذلك الموضع ولفظا الحرق الاول والرفق الثاني مستعاران
للرفق الاول والحرق الثاني لما ذكرناه من المشابهة والى هذا المعنى اشار ابو الطيب ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع
السيف في موضع الندى الحادي والعشرون نبهه على ان بعض ما فيه مصلحة ظاهرة قد يشتمل على مفسدة بقوله ربما كان
الدواء داء وعلى ان بعض ما هو مفسدة في الظاهر قد يستلزم مصلحة بقوله والداء دواء ولفظ الدواء مستعار لما فيه المصلحة
ولفظ الداء للمفسدة ووجه الاستعارة ان المصلحة من شانها انتظام حال الانسان ومن شان المفسدة فساده كالدواء
والداء والى هذا المعنى اشار المتنبي ربما صحت الاجساد بالعلل الثاني والعشرون نبهه على انه لا ينبغي ان يعرض عن مشورة
احد عليه بامر هو مظنة مصلحة وان كان من شانه انه غير ناصح له بل ينظر في رايه ومشورته فربما كان نصيحة وكذلك
لا ينبغي ان يركن الى قول من يعتقد ناصحا مطلقا اذ من الجائز ان يغشه الثالث والعشرون نهاه عن الاتكال على المنى وهي
بضمير صغراه قوله انها بضائع النوكى واستعار لفظ البضائع لها باعتبار ان الاحمق يحصل منها على لذة خيالية من الاموال
المتمناة في زعمه كما يحصل من البضاعة الربح واضافها الى النوكى لعدم الفائدة في المنى كعدم الربح من بضائع النوكى الرابع
والعشرون رسم العقل بانه حفظ التجارب والاشارة الى العقل العملي وهو القوة التي للنفس بحسب حاجتها الى تدبير
الموضوع لتصرفها وتكميله وهي التي بها تستنبط الآراء المصلحية مما يجب ان يفعل من الامور اذ كان الشروع في العمل
الاختياري المختص بالانسان انما ياتي بادراك ما ينبغي ان يعمل في كل باب وهو ادراك راي كلي او جزئي يستنبط من
مقدمات بعضها جزئية محسوسة وبعضها كلية اولية او تجربية او ذائعة او ظنية يحكم بها العقل النظري من غير
ان يختص بجزئي دون غيره والعقل العملي يستعين بالنظري في ذلك ثم ينتقل منها باستعمال مقدمات جزئية الى
الراي الجزئي الحاصل فيعمل بحسبه ويحصل بعمله مقاصده في معاشه ومعاده واراد بهذا العقل ما يظهر لاثر المتعارف
في معرض الامر بتحصيل مكارم الاخلاق التي هي كمال هذه القوة وحفظ التجارب اشارة الى ضبط هذه العلوم المنتزعة من
مشاهدات متكررة من الامور جزئية تكرر وتقيد حكما كليا الكون السقمونيا مثلا من شانه الاسهال وعرف العقل بذلك
لكونه من خواصه وكماله الخامس والعشرون نبهه على انه ينبغي ان يقتصر من التجارب على ما وعظه اي من شانه ان
موعظة واعتبار كالنظر في حال من بكر بظلمه فاسرعت عقوبة الله اليه او تكرر كذبه فادركه المقت بضمير صغراه
وتقدير هما ما وعظك فهو خير التجارب وتقدير الكبرى وخير التجارب اولى بان يحفظ فما وعظك من التجارب اولى بان
قولا فلا تطمن اذ لم يعظك القوم تجربة بل انت ساذج كما كنت السادس والعشرون امره باغتنام الفرصة فيما ينبغي
ويقرعن تركها بما يستلزم من الاسف المنفي واطلق اسم الغصة على الفرصة مجاز تسمية للشي باسم ما يؤول اليه السابع
نبه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب بضمير صغراه ما في قوله هذه السلب من الايجاب وتقدير بعض الطالب ان

مطلوبه وتقدير الكبرى وكل من لا يصيب مطلوبه فلا ينبغي ان ياسف على فوات العقد التاسع نفعا من ذلك البعض فلا اسف
على فايت وكذلك قوله وكل طالب بثوب الثامن والعشرون نبه على لزوم التقوى بضمير تقدير صغراه اضاعة الزاد ومفسدة
المعاد من الفساد وتقدير الكبرى وكل ما كان من الفساد وجب تركه ولفظ الزاد مستعار للتقوى كما سبق التاسع والعشرون نبه على
وجوب النظر في عواقب الامور واختيار احسنها بضمير ذكر ما هو في قوة صغراه وتقديرها كل امر له عاقبة كذلك فينبغي ان يلحظ
ما يوصل اليها او يجتنب الثلثون نبه على وجوب ترك الحرص وكذا النفس في طلب المال ونحوه بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه وكل
ما سوف ياتيك فينبغي ان لا تحرص في طلبه الحادي والثلثون نبه على وجوب الاحتراز في المعاش كالبيع والشراء ونحوه بضمير
ما ذكر ووجه كون التاجر مخاطرا انه لما كان محبا للمال ومتوجها الى اكتسابه كان حال البيع في مظنة ان يحيف فيأخذ ازيد او يعطي انقص
مع ان تكليفه لزوم العدل والاستقامة على سواء الصراط فلا جرم كان على خطر من وقوعه في طرف التفريط والتقصير عن سواء
السبيل وتقدير الكبرى والمخاطر ان يحترز في فعله المخاطر فيه الثاني والثلثون لما نبه على وجوب الاحتراز في التجارة والتحفظ
من الظلم وكان ذلك الظلم انما هو لغرض كثرة المال نبه في هذه الكلمة على ان من المال اليسير ما هو انمى من الكثير فيقتصر عليه
واراد اليسير الحلال خاصة اذ هو المقابل من الكثير الحرام في الآخرة لاستلزامه زيادة الثواب وهي في قوة صغرى ضمير تقديرها
اليسير الحلال انمى من الكثير الحرام وتقدير الكبرى وكل ما كان انمى من الكثير الحرام فيجب ان يقتصر عليه الثالث والثلثون
على ترك الاستعانة في المهمات بالمهين من الناس بضمير تقدير صغراه المهين لا خير في الاستعانة به وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فالاولى اجتناب الاستعانة به والخير المنفي عنه هو النافع في الاستعانة به ومعلوم انه ينتفع عنه لما ان مهانته
تضاد النهوض في مهمات الامور وعليه بها ولان ذلك يستلزم ضعفه عن المقاومة ونحوه قولهم اذا كنت بغير كاف
فلهمة غير شاف الرابع والثلثون نبه على مجانبة الصديق المتهم بضمير تقدير صغراه كالتي قبلها واراد انه لا خير في الصديق
اذ كان من جهة الباطن مظنة الشر له الخامس والثلثون امره ان يصبر على ما يقتضيه الدهر ولا يتسخط من ذلك وان كان
دون رضاه اذ كان ذلك هو الممكن في الطبيعة وما بمعنى المدة واستعار لفظ القعود للزمان الذي تيسر فيه رزق
فيه بعض مهماته ووجه المشابهة ان ذلك الزمان مكنه من بعض مهماته وحوائجه وطلب ما لا يمكن فيه وما لم يعطه
من المطالب ربما يستلزم بعض مواساتها ما كان ممكنا فيه كما ان القعود من شانه ان يمكن من تمهيد واقتعاده وهو معرض
ان ينفر بركبه اذا استشد عليه ولفظ الاذى مستعار لسكون الزمان وامكان المطلوب فيه واراد بمساهلة الحزم
معه بقدر مقتضاه من دون تشدد وتسخط عليه فان ذلك يستلزم تعب النفس من غير فائدة والى مثله اشار القائل اذا الدهر
اعطاك العنان فسر به رويدا ولا تعنف فيصبح شاسا السادس والثلثون نهاه ان يخاطر بما يملكه رجاء اكثر منه اذ كان في
ان لا يعود فيوشك ان يضيع الاصل ويحمل ذلك على كون الانسان يلقي ما في يده للغرض المذكور مع شكه في سلامة ما يخاطر
فلا خطر ونحوه قولهم من طلب الفضل حرم الاصل السابع والثلثون حذره من اللجاج في طلب الامر عند تعسره ونهى عنه
استعار لفظ المطية اللجوج ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه الى غاية محمودة كالجموح من المطايا الثامن والثلثون امره
بلزوم نفسه وحملها في حق صديقه الحق على ان يقابله ويجازيه بردائه فضائل كالقطيعة بالصلة وسائر ما ذكره بسوء الظن وبعدم المودة

وحده ان يضع ذلك في غير موضعه او يضله بغير اهله من الكيد لان ذلك وضع الشيء في غير موضعه وهو خروج
العقل وقد علمت ان الامور المذكورة من لوازم الصداقة الحقة والى نحوه اشار الشاعر بقوله : وان الذي بيني وبين بني ابي
وبين بني عمي لمختلف جدا : فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا : وان زجروا طيرا بنحس تمر بي زجرت
لهم طيرا تمر بهم سعدا : ولا احمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا : التاسع والثلثون نهاه ان يتخذ
عدو صديقه صديقا ونبه على قبح ذلك بضمير استثنائي تقديره فانك ان فعلت ذلك عاديت صديقك وينبه
فيه قبح اللازم على قبح ملزومه اي لكن معاداة الصديق قبيحة منهي عنها فاتخاذ عدوه صديقا كذلك ووجه الملازمة
ان مصادقة عدو الصديق تستلزم نفرة الصديق عمن يصادق عدوه لنفرته عن عدوه لان مصادقة عدوه
توجب مشاركة العدو وموافقته في جميع احواله ومن جملة احوال العداوة فهي اذن توجب الموافقة على عداوته
لزم التفرق والمجانبة واليه اشار القائل : تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ان الراي عنك لعازب : الاربعون ان يخلص
نصيحته لاخيه في جميع احواله سواء كانت النصيحة حسنة او قبيحة اي مستقبحة في نظر المنصوح ضارة له في العاجل
استحيائه والنفار من المواجهة بها ونحوه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فقدها بالنسبة اليهم سيئة
الحادي والاربعون امره بفضيلة كظم الغيظ وقد رسمت بانها الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب ممن يجني عليه
جناية يصل مكروهها اليه وقد ترادفه الحلم والكرم والصفح والثبت والعفو والتجاوز والاحتمال وربما فرق بعضهم بين
المفهومات واستعار وصف التجرع للتصبر على مضض الالم الموجود منه ملاحظة لما يشرب من دواء مر ثم نبه على فضيلته
بضمير صغراه قوله فاني لم ار الخ قوله مغبة واستعار لفظ الحلاوة لما يستلزمه من العاقبة الحسنة ووجه المشابهة ما يستلزمه
من اللذة والضمير في قوله منها يعود الى ما دل عليه قوله تجرع من المصدر وتقدير الكبرى وكل ما لا يرى من التجرع احلى
فينبغي ان يتجرع وعن زين العابدين وصية لابنه الباقر عليهما السلام يا بني عليك بتجرع الغيظ من الرجال فان اباك لا يسره
بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم الثاني والاربعون امره ان يلين لمن غالظه وخاشنه ونبه على حسن ذلك
بصغراه قوله فانه يوشك ان يلين لك اي بسبب لينك له حال غلظته وتقدير كبراه وكل من قارب ان يلين لك بسبب لينك
له فالاولى بك ان تلين له ونحوه قولهم اذا عز اخوك فهن واصله قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم الثالث والاربعون امره ان ياخذ على عدوه بالفضل من عوارفه ونبه على حسنه باستلزامه لاحد
الظفرين فان الظفر ظفران احدهما الزهية بالقوة والغلبة وهو الاظهر والثاني الرغبة بالافضال عليه بحيث يسترق
بروية حلى في الطاعة بسببه وقوله فانه احد الظفرين صغرى ضمير وتقدير الكبرى وكل ما صدق عليه انه احد الظفرين
فينبغي ان يفعل الرابع والاربعون امره ان اراد مقاطعة اخيه ان يبقي له من نفسه بقية من صداقته ولا يفارقه مفارقة كلية
ونبه على ذلك بضمير اشار الى صغراه بقوله يرجع اليها اي فانه يرجع اليها يوما ما الرجوع وتقدير الكبرى وكل ما
فواجب ان يبقيه له ونحوه قولهم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى
ان يكون حبيبك يوما ما وقولهم اذا هويت فلا تكن غاليا واذا تركت فلا تكن قاليا الخامس والاربعون ان يصدق من ظن

به خيرا في ظنه وذلك التصديق بفعل ما ظنه فيه من الخير كان يظن به الجود فيتفضل عليه السادس والاربعون نهى ان يطمع
باهله شرا ونفره بضمير تقدير صغراه فان اهلك حينئذ يكونون اسعى الخلق بك وذلك لملازمته لهم وقربه منهم وتقدير
كبراه وكل من كان كذلك فهو مذموم السابع والاربعون ان لا يضيع حق اخيه اعتمادا على ما بينهما من الاخوة ونبه على
ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله حقه والمعنى ان من اضعت حقه لابد ان يفارقك لتضييعك حقه فلا يكون اخا لك
وتقدير كبراه وكل اخ يفارقك لتضييع حقه فلا ينبغي ان تضيع حقه لتسلم لك مودته واخوته ونحوه قولهم اضاعة
الحقوق داعية العقوق الثامن والاربعون نهاه عن الرغبة فيمن زهد فيه واراد بمن زهد فيه من ليس للصحبة موضعا ولا
للمودة اهلا اي ليس باخ قديم والا لناقض ما قبله وما بعده من الامر بصلة من قطعه والدنو ممن تباعد عنه والاحسان الى
من اساء اليه التاسع والاربعون نبهه على وجوب صلة من قطعه من اخوانه والاحسان الى من اساء اليه واشار الى وجوب ذلك
بالتنفير عن نقيضه بضمير صغراه شرطية متصلة تقديرها فانك ان لا تفعل ذلك يكن اخوك اقوى على فعل الاحسان وبيان الملازمة
ان الاساءة والشر لصوارف كثيرة تصرف عنه والاحسان وفعل الخير لبواعث كثيرة تبعث عليه فاذا لم تفعل الاحسان
مع كثرة البواعث عليه واساء اخوك مع كثرة صوارفه عن الاساءة كان هو اقوى على الاساءة منك على الاحسان وتقدير كبراه
وكل من كان كذلك فهو عاجز مذموم الخمسون نهاه عن استعظام ظلم الظالمين في حقه وهونه عنده بضمير صغراه قوله
فانه يسعى في مضرته ونفعك اي ان سعيه في ظلمه يستلزم مضرته في الاخرة بما توعد الله به الظالمين ونفعك بما وعد الله
به الصابرين على بلائهم وتقدير الكبرى وكل من سعى في مضرته ونفعك فلا ينبغي ان يكبر عليك صنيعه في حقك الحادي
والخمسون نبهه على وجوب مقابلة الاحسان بمثله دون الكفران بقوله ليس جزاء من سرك ان تسوءه وهو في قوة صغرى
ضمير تقديرها من سرك فليس جزاؤه ان تسوءه وتقدير كبراه وكل من لم يكن جزاؤه ذلك فينبغي ان لا تسوءه وقيل ان هذه
الكلمة من تمام التي قبلها والتقدير لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فقابله بسوء فانه يسعى في مضرته ونفعك وكل من كان
كذلك فليس جزاؤه ان تقابله بالاساءة **الفصل العاشر** قوله واعلم يا بني ان الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان
انت لم تاته اتاك ما اقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى انما لك من دنياك ما اصلحت به مثواك وان كنت
جازعا على ما تفلت من يديك فاجزع على كل ما لم يصل اليك استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور اشباه ولا تكونن
ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهائم لا تتعظ الا بالضرب اطرح عنك واردات
الهموم بعزائم الصبر وحسن اليقين من ترك القصد جار الصاحب مناسب والصديق من صدق غيبه والهوى
شريك العمى رب بعيد اقرب من قريب وقريب ابعد من بعيد والغريب من لم يكن له حبيب من تعدى الحق ضاق مذهبه ومن اقتصر
على قدره كان ابقى له واوثق سبب اخذت به سبب بينك وبين الله تعالى ومن لم يبالك فهو عدوك قد يكون الياس ادراكا
اذا كان الطمع هلاكا ليس كل عورة تظهر ولا كل فرصة تصاب ربما اخطا البصير قصده واصاب الاعمى رشده اخر الشر فانك اذا
شئت تعجلته وقطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل من امن الزمان خانه ومن اعظمه اهانه ليس كل من رمى اصاب اذا تغير السلطان تغير
الزمان سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار اياك ان تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وان حكيت ذلك عن غيرك واياك ومشاورة النساء

فضل الاساءة منك

بابهن الى الغير وعرّضهن الى وهن واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن فان شدة الحجاب ابقى عليهن وان استطعت ان لا
يعرفن غيرك فافعل ولا تملك المراة من امرها ما جاوز نفسها فان المراة ريحانة وليست بقهرمانة ولا تعد بكرامتها نفسها ولا تطمعها
في ان تشفع لغيرها واياك والتغاير في غير موضع غيرة فان ذلك يدعو الصحيحة الى السقم والبريئة الى الريب واجعل لكل انسان من خدمك
عملا تاخذه به فانه احرى ان لا يتواكلوا في خدمتك واكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي به تطير واصلك الذي اليه تصير ويدك التي بها تصول استودع
الله دينك ودنياك واسأله خير القضاء لك في العاجلة والآجلة والدنيا والآخرة ان شاء الله تعالى اقول المثوى المقام
تخلّص وعزائم الصبر ما جزمت به منه ولزمته والعورة هنا الاسم من اعور الصيد اذا امكنك من نفسه واعور الفارس
اذا بدا منه موضع خلل للضرب والافن الضعف والقهرمان فارسي معرب وفي الفصل تنبيهات على لطائف من الحكم و
مكارم الاخلاق الاولى انه قسم مطلق الرزق الى قسمين مطلوب وطالب واراد بالرزق المطلوب ما لم يجر في القضاء الا
كونه رزقا وبالطالب ما علم الله انه رزقه وانه لابد من وصوله اليه وترك بيان احكام القسمين للعلم بها اجمالا والمقدر فاما
الذي تطلبه فانك لا تدركه لكون القضاء الالهي لم يجر به وكل ما لا تدركه فينبغي ان لا تحرص عليه واما الذي يطلبك فانه لا
محالة ياتيك وان لم تأته وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان ياتيك لا محالة فينبغي ان لا تحرص في طلبه الثانية
نبه على فضيلة عزة النفس عند الحاجة وعلى مواصلة الاخوان في الغنى بالتعجب من قبح ضديهما وهما الخضوع
الحاجة والجفاء في الغنى المستفيد منهما الذكاء بذلتين وهي في قوة ضمير تقديرها ان الذل في الحاجة وجفاء الاخوان
في الغنى قبيحان جدا وتقدير كبراه وكلما كان كذلك وجب اجتنابه الثالثة نبه على بذل المال في وجوه البر والقربات لما
اصلاح آخرته بقوله انما لك الى قوله مثواك واراد بما لك من دنياه ما يملك فيصرفه اما ولد لك حصره بانما لامر العقد المستقيم
الحقيقة والذي يبقى ثمرته لا محالة بذله تحصيل الملكات الفاضلة المستلزمة للثواب الدائم والنعيم المقيم في الآخرة
وهو صغرى ضمير تقديرها ان الحق بما لك من دنياك هو الذي يبقى لك منها وتقدير الكبرى وكل ما هو الباقي
لك منها فينبغي ان تخصه بعنايتك ويحتمل ان يكون هذه الكلمة تنبيها على ما قبلها من المواصلة في الغنى
اصلاح المثوى بالمال المنبه عليه هيهنا الرابعة نبه على ترك الاسف والجزع على ما يخرج من يده من المال بقياس
استثنائي وذلك قوله فان جزعت الى قوله اليك وبيان الملازمة ان الذي خرج من يده كالذي لم يصل اليه في انه
ليس برزق له وليس مما اقتضى القضاء بوصوله وتقدير الاستثناء لكن الجزع هناك قبيح وغير مستحق فينبغي ان لا يحصل الجزع هيهنا
الخامسة امره ان يستدل بقياس ما لم يكن اي يحدث من امور الدنيا واحوالها ويقيس انها على ما كان ويحدث منها
ان يقيس نفسه وما يتوقعه من متاع الدنيا على ما سبق من اهلها ومتاعهما فيجده مثله فحكمه في لحوق حكمه
والزوال فيستلزم ذلك الاعتبار الرغبة عن الدنيا ومتاعها وتنبيه على امكان ذلك بضمير صغراه قوله فان الامور اشباه
وتقدير الكبرى وكل ما هو متشابه فيمكن قياس بعضه على البعض وكان يقال اذا اردت ان تنظر الدنيا بعدك فانظرها بعد
غيرك السادسة حذره ان يكون ممن لا تنفعه النصيحة فيما ينفع به من الرأي الا اذا بالغ في النصيحة والتوبيخ في ايلامه
وبكثير بالغت بالذات المخاطب في ايلامه بالقول وغيره وضرب له العاقل مثلا في اتعاظه بالادب وتذكيره بالنصيحة

ليغني

لتقيس نفسه عليه فيتعظ بالادب والبهايم مثلا في عدم اتعاظها وتذكرها الا بالضرب ليعتبر نفسه بالقياس اليها ويرفعه
الله عنها بالعقل فيجب ان ينزه نفسه عن لازمها فلا يحتاج الى الايلام بقول او فعل وكان يقال اللئيم كالعبد والعبد كالبهيمة
عينيها بضربها السابعة ان يحذف عن نفسه ما يرد عليها من الهموم والغموم ومصائب الدنيا بالصبر الجاري الناشئ
عن حسن اليقين بالله تعالى وباسرار حكمته وقضائه وقدره وذلك ان يعلم يقينا ان كل امر صدر عن الله تعالى الى
بر عباده من تضييق رزق او سعته وكل امر مرهوب او مرغوب فعلى وفق الحكمة والمصلحة بالذات وما عرض في ذلك
مما يعد شرا فامر عرضي لا يمكن نزع الخير المقصود منه فان ذلك اذا كان متيقنا استعدت النفس بعلمه للصبر في
الهوى في الغم والجزع ونحوه والغرض من الكلمة الامر بالصبر وهي في قوة صغرى تقديرها ان عزائم الصبر وحسن اليقين
بالله يستلزمان طرح واردات الهموم وحذفها عن النفس وتقدير الكبرى وكل ما استلزم ذلك فينبغي ان تستعد به
من نفسك الثامنة نبه على لزوم القصد والعدل في افعاله واقواله بضمير ذكر صغراه وتقدير كبراه ومن جار هلك التاسعة
على حفظ الصاحب الحق والرغبة فيه بضمير ذكر صغراه واستعار له لفظ النسيب باعتبار مودته وحسن معاضدته كالنسيب
وتقدير كبراه والمناسب ينبغي ان يحمى عليه ويصطنع عنده العاشرة عرف الصديق الحق بعلامته ليعرف بها فيصادق
وان يصدقه في غيبه صدقه في ضميره وما غاب من باطنه عن غيره الحادية عشرة نبه على مجانبة الهوى والميول
الطبيعية بضمير صغراه قوله الهوى شريك العمى ووجه كونه شريكا له استلزامه للضلال وترك القصد كالعمى
الكبرى وكل ما هو شريك العمى فينبغي ان يجتنب ونحوه قولهم حبك للشيء يعمي ويصم الثانية عشرة نبه على ان في الاباعد
هو اقرب وانفع من النسيب وفي الاقرباء من هو ابعد من البعيد وهو مشهور والمعنى الثاني في القرآن الكريم بقوله تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الثالثة عشرة نبه على ان الحقيق باسم الغريب هو من لم يكن له نسيب اي
محب والى هذا اشار القائل اسوة المرء والداه وفيما بين حضنيهما الحياة تطيب فاذا وليا عن المرء يوما فهو في الناس اجنبي غريب
وذلك باعتبار محبة الوالدين له الرابعة عشرة نبه على لزوم الحق مما يلزم يقتضيه وهو تقديره ويجاوز ما الى الباطل
ضيق المذهب ووعاوة المسلك وذلك ان طريق الحق واضح مامور باتباعه وقد نصبت عليه اعلام الهدى واما طريق
الباطل ففي ضيقه وعرة على سالكيه لما فيها من التحير والخبط وعدم الهداية الى المصلحة والمنفعة مع كونه ممنوعا عن
طريق الحق من خلال الباطل عنه احدوا عليه مذهبه وضيقوا عليه مسلكه حتى يعود الى طريق الحق وهو صغرى ضمير تقديره
كبراه كما في قوله من ترك القصد جار الخامسة عشرة نبه على وجوب الاقتصار على قدره وهو مقداره ومحله في خلق الله
والاقتصار عليه مبني على معرفته به وهو ان يعلم الفطرة التي فطر الانسان عليها من الضعف والجور والنقص فيعلم
انه كذلك فيمنع نفسه حينئذ عن الترفع على ابناء نوعه والاستطالة على احد منهم بفضل قوة او اعجاب بقنية جسمانية
او نفسانية ويقتصر على ما دون ذلك من التواضع ولين الجانب والاعتراف بما جبل عليه من العجز والنقص وهو
في قوة صغرى ضمير تقديرها من اقتصر على قدره كان اقتصاره ابقى له وذلك ان المتطاول الى قدر غيره والمتجاوز
لقدره في مظنة ان يهلك لقصد الناس اياه بالمكاره والنكير فبل من جهل قدره قبل نفسه والاقتصار على القدر يستلزم

عدم هذه الامور فكان ابقى على صاحبه واسلم وتقدير الكبرى وكل من كان اقتصاره على قدر ما يبقى له فهو احب ان يقتصر عليه
السادسة عشر نبه على ان وسيلة المرء الى الله تعالى وهو كل ما قرب اليه من علم او قول او عمل ولفظ السبب مستعار لها باعتبار
ايصاله الى الله والقرب منه كالحبل الذي يتوصل به الى المقصود وظاهر انها اوثق الاسباب لثباتها ودوامها وبقائها للتمسك به في الدنيا
والآخرة والكلمة صغرى ضمير تقديرها السبب بينك وبين الله تعالى هو اوثق الاسباب الملحوظة وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك
فينبغي ان يتمسك به ونحوه قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها السابعة عشر نبه
على مجانبة من لا يبالي بك بضمير ذكر صغراه وتقديرها من لا يبالي بك وقت حاجتك اليه وقدرته على نفعك فهو عدوك ولفظ
العدو مستعار له باعتبار ان عدم المبالاة من لوازم العدو وتقدير الكبرى وكل عدو ينبغي مجانبته الثامنة عشر نبه على ان الياس
من بعض مطالب الدنيا قد يكون سببا للسلامة من الهلاك وبلوغ النجاة منه وذلك عند ما يكون الطمع في ذلك المطلوب
مستلزما للهلاك كالطمع في نيل ملك ونحوه التاسعة عشر نبه بقوله ليس كل عورة الى قوله رشده على ان من الامور الممكنة
والفرص ما يغفل الطالب البصير عن وجه طلبه فلا يصيبه ويهتدي له ويظفر به الاعمى واستعار لفظ البصير للعاقل
الذكي والاعمى للجاهل الغبي وغرض الكلمة التسلية عن الاسف والجزع على ما يفوت من المطالب بعد امكانها العشرون امره
بتاخير الشر وعدم الاستعجال فيه ونبه عليه بضمير ذكر صغراه ومعناها انك قادر على تعجيله اي وقت شئت وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا تعجل فيه اذ لا تعوتك ونحوه من الحكمة قولهم ابداء بالحسنة قبل السيئة فلست مستطيعا
للحسنة في كل وقت وانت على الاساءة متى شئت قادر الحادية والعشرون نبه على وجوب قطيعة الجاهل بضمير ذكر صغراه
وتقدير كبراه وكل ما يعدل صلة العاقل فينبغي ان يرغب فيها ويفعلها وانما كانت تعدلها باعتبار استلزامها المنفعة
قطيعة الجاهل بالقياس الى ما في صحبته من المضرة الثانية والعشرون نبه على وجوب الحذر من الزمان ودوام ملاحظة
تغيراته والاستعداد لحوادثه قبل نزولها بالاعمال الصالحة واستعار لفظ الخيانة باعتبار تغيره عند الغفلة عنه والامن
من فيه والركون اليه فهو في ذلك كالصديق الخائن والكلمة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من خان الزمان فينبغي ان يكون
منه على حذر وفي الحكمة من امن الزمان ضيع ثغرا مخوفا الثالثة والعشرون نبه بقوله من اعظمه اهانه على وجوب ترك
اعظامه ولم يرد الزمان المجرد بل من حيث هو مشتمل على خيرات الدنيا ولذاتها وسعة لطيب العيش بالصحة
والامن ونحوها وبذلك الاعتبار يكبر ويستعظم فيقال في العرف زمان طيب وزمان عظيم واما استلزام اهانته
من يستعظمه لان اعظامه له يستلزم استنامته اليه واشتغاله بما فيه من الملذات الدنيوية فيغفل بسببه عن
الاستعداد لما وراءه ثم ان الزمان يكر عليه بمقتضى طباعه فيفرق بينه وبين ما كان يعتز به من مال او جاه او ولد
فيصبح حقيرا بعد ان كان خطيرا وصغيرا بعد ان كان كبيرا وقليلا بعد ان كان كثيرا والكلمة في قوة صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل من اهانه الزمان فينبغي له ان يستهين به ولا يعظمه الرابعة والعشرون قوله ليس كل من رمى اصاب وقد سبق مثله
في قوله ليس كل طالب يصيب وغرضه التنبيه على ما ينبغي من ترك الاسف على ما يفوت من المطالب والفشل عن
طلبه او توبيخ الغير وتبكيته بانه ليس باهل لذلك المطلوب وان له قوما آخرين والى نحوه اشار ابو الطيب ما كل من طلب المعالي

نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا الخامسة والعشرون نبه على ان تغير السلطان في رايه ونيته وقصده في رعيته من العدل الى الجور يستلزم تغير
الزمان عليهم اذ تغير من الاعداد للعدل الى الاعداد للجور وروي ان كسرى انوشروان جمع عمال السواد وبيده درة يقلبها اي شيء اضر
بارتفاع الاعمال وادعى الى محقه ومن اجابني بما في نفسي جعلت هذه الدرة في فيه فقال كل منهم قولا من احتباس المطر والجراد
واختلاف الهواء فقال لوزيره قل انت فاني اظن عقلك يعادل عقول الرعية او يزيد عليها فقال انما يضر بارتفاعها تغير راي السلطان
في رعيته واضمار الحيف لهم والجور عليهم فقال لله ابوك لهذا العقل اهلك الملوك لما اهلوك له ودفع اليه الدرة فجعلها في فيه السادسة
والعشرون امره بالسؤال عند ارادة سلوك طريق عن الرفيق فيها وغايته ان يجتنبه ان كان شريرا ويرافقه ان كان خيرا لان الرفيق
حريق وكذلك عن الجار عند ارادة سكنى الدار للغاية المذكورة وروي هذا الكلام مرفوعا السابعة والعشرون حذره ان يذكر من الكلام
ما كان مضحكا سواء كان من نفسه او عن غيره لما يستلزم ذلك من الهوان وقلة الهيبة في النفوس الثامنة والعشرون وصاه في النساء
بامور احدها الحذر من مشاورتهن ونبه على وجوب الحذر بضمير صغراه قوله فان رايهن الى قوله وهن وذلك لنقصان عقولهن
وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يحذر من استشارته لما ان ضعف الراي مظنة الخطا وعدم اصابة وجه المصلحة
فيما يستشار فيه الثاني ان يكف عليهن من ابصارهن بحجابه اياهن وهو من افصح الكنايات عن الحجب ومن زائدة ويحتمل ان
يكون للتبعيض ونبه على وجوب حجبهن بضمير صغراه قوله فان شدة الحجاب ابقى عليهن اي ابقى للستر والعفة من الخروج
والتبرج وادوم لحفظهن وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك وجب فعله الثالث نبه على انه لا يجوز ان يرخص في ادخال من
لا يوثق به عليهن وهو اعم من الرجال والنساء والكلام في قوة صغرى ضمير دل به على ذلك المنع وتقديرها ان ادخال من لا يوثق
به عليهن اما مساو لخروجهن في المفسدة او اشد وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يجوز الرخصة فيه وانما كان اشد في
بعض الصور لان دخول من لا يوثق به عليهن امكن لخلوته بهن والحديث معهن فيما يراد من الفساد الرابع امره ان يحسم اسباب
المعرفة بينهن وبين غيره لكون معرفتهن بغيره مظنة المفسدة وقرينة الحال تخرج غيرا ولي الامر كالوالد والمحرم ...
في ذلك الاستطاعة لانه قد لا يمكن الانسان دفع معرفتهن بغيره مطلقا الخامس نهاه ان يملك المراة من امرها ما خرج عن
حد نفسها من ماكول وملبوس ونحوه وما جاوز ذلك كالشفاعات ونبه على عدم صلوحها لذلك بضمير صغراه قوله فان
المراة ريحانة وليست بقهرمانة واستعار لها لفظ الريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها ولعل تخصيص الريحانة لان
شان نساء العرب استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها غير قهرمانة عن كونها لم تخلق لكونها حاكمة متسلطة بل من شانها ان يكون
محكوما عليها وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان يجاوز به امر نفسه ويمكن من التصرف في امر غيره السادس
وكذلك نهيه ان يجاوز بكرامتها نفسها اي يكرمها بكرامة متعدية صلاح نفسها وهو كقوله ولا يملك المراة الى آخره
وكذلك نهيه ان يطمعها في الشفاعة لغيرها لان ذلك مجاوزة منها لحد نفسها وقد نبه على انها ليست باهل لذلك ...
من نقصان العقل وضعف الراي السابع نهاه عن التغاير في غير موضع الغير ونبه على ما في ذلك من المفسدة بضمير صغراه قوله
فان ذلك الى قوله السقم وكنى بالصحيحة عن البريئة من الخيانة والفساد وبالسقم عنهما وانما كان كذلك لان المراة البريئة من
الفساد تستقبح ذلك وتستنكره والمواجهة وتستشعر خوف الفضيحة والعقاب فاذا انبسط الى ذلك مع براءتها

عليها في اول الامر فاذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها امره وصار لومه لها في قوة الاغراء لها بذلك وقد علمت ما في الطبع البشري
من الحرص على الامر الممنوع منه فكانت الغيرة في غير موضعها والملامة بسبب التخيل الفاسد على ما لم يفعل امرا داعيا لها الى
قوله وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فالاولى تركه الثامن والعشرون امره ان يجعل لكل انسان من خدمه شغلا يختصه
بفعله ويواخذه على تركه وذلك من الحكمة المنزلية ونبه على سر ذلك بضمير صغراه قوله فانه احرى الى قوله خدمتك
انهم اذا اشتركوا في التكليف بفعل واحد يقوم به كل واحد منهم فالغالب عليهم ان يكل كل واحد منهم فعله الى الاخر فيترك
ذلك ان لا يفعل قال كسرى انوشروان لولده شيرويه وانظر الى كتابك فمن كان منهم ذا ضياع فاحسن عمارتها فوله الخراج
ومن كان منهم ذا عبيد فوله الجند ومن كان منهم ذا سراري قد احسن القيام عليهن فوله النفقات والقهرمة وهكذا
فاصنع في خدم دارك ولا تجعل امرك فوضى بين خدمك فيفسد عليك ملكك التاسع والثلثون امره باكرام عشيرته ونبه
على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم الى قوله تصول واستعار لهم لفظ الجناح باعتبار كونهم سبب نهوضه
على الحركة الى المطالب كجناح الطائر ورشح بذكر الطيران وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدو وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك وجب عليك اكرامه ثم ختم الوصية بوداعه واستيدع الله دينه ودنياه وسال الله خير القضاء
له في عاجلته وآجلته ودارية دنياه وآخرته حسب اراده الله تعالى ومشيته ولفظ الاستيداع مجاز في طلب الحفظ من الله
لما استودعه اياه وبالله التوفيق والعصمة ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وارديت جيلا من الناس كثيرا خدعتهم
بغيك والقيتهم في موج بحرك تغشاهم الظلمات وتتلاطم بهم الشبهات فجاروا عن وجهتهم ونكصوا على اعقابهم وتولوا
على ادبارهم وعولوا على احسابهم الا من فاء من اهل البصاير فانهم فارقوك بعد معرفتك وهربوا الى الله من موازرتك اذ
حملتهم على الصعب وعدلت بهم عن القصد فاتق الله يا معوية في نفسك وجاذب الشيطان قيادك فان الدنيا منقطعة عنك
والآخرة قريبة منك والسلام اقول اول هذا الكتاب من عبد الله على امير المومنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فان الدنيا
دار تجارة ربحها الآخرة فالسعيد من كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ومن راى الدنيا بعينها وقدرها بقدرها وانى
لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك مما لا مرد له دون نفاذه ولكن الله تعالى اخذ على العلماء ان يردوا الامانة وان ينصحوا الغوي
والرشيد فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو الله وقارا ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله بالمرصاد وان دنياك ستدبر
عنك وستعود حسرة عليك فانتبه من الغي والضلال على كبر سنك وفناء عمرك فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل
الذي لا يصلح من جانب الا فسد من آخر وقد ارديت الفصل والمهيل المتداعي في التمزق ومنه رمل مهيل
بهال ويسيل وارديت اهلكت والجيل الصنف وروي جيلا وهو الخلق وجاروا عدلوا والوجهة القصد والنكوص
الرجوع وعول على كذا اعتمد عليه وفاء رجع والموازرة المعاونة وفي الكتاب مقاصد الاول موعظته وتذكيره بحال
الدنيا وكونها دار تجارة والغابن من التجار فيها اما ربح الآخرة بصلاح البضاعة وهي الاعمال واما خسران الآخرة
بفسادها الثاني تنبيهه على ان يرى الدنيا بعينها اي يبصرها بحقيقتها او يراها بالعين التي بها تعرف وهي عين البصيرة
ويعلم ما هي عليه من التغير والزوال وانها خلقت لغيرها ليقدرها بمقدارها او يجعلها في نظره لما خلقت له الثالث تنبيهه

ان الله تعالى علم الابد من معاده فيه فان ما علم الله تعالى وقوعه لا بد من وقوعه وانما وعظه اتباعا لامر الله وقيامه بعهده على العلماء
ان يردوا اماناته ويبلغوا احكامه الى خلقه وان ينصحوا لهم ويرشدوهم الرابع امره بتقوى الله ونهاه ان يكون ممن لا يرجو لله
وقارا اي لا يتوقع لله عظمة فيعبده ويطيعه والوقار الاسم من التوقير وهو التعظيم وقيل الرجاء هنا بمعنى الخوف فيكون مجازا
اطلاقا لاسم احد الضدين على الآخر وان يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب وقوله فان الله بالمرصاد تنبيه له على اطلاعه
عليه بما يفعل ليرتدع عن معصيته الخامس نبهه على ادبار الدنيا وعودها حسرة عليه يوم القيمة عند فقدها مع عشقه لها
وعدم تمسكه في الآخرة بعصم النجاة وفناء زاده اليها السادس امره بالانتباه من رقدة الجهل والضلال على حال كبر سنه
وفناء عمره فان تلك الحال اولى الاحوال بالانتباه منها ونبهه على انه غير قابل للاصلاح في ذلك السن بعد استحكام
جهله وتمكن الهيات البدنية من جوهر نفسه وتهلكها له فهو كالثوب الخلق لا يمكن اصلاحه بالخياطة بل كلما خيط
من جانب تمزق من آخر السابع لخبره في معرض التوبيخ على ما فعل باهل الشام من خدعه لهم والقائهم في بحره ولما كان
ضلاله عن دين الله وجهله بما ينبغي هو سبب خدعته لهم نسبها اليه واستعار لفظ البحر لاحواله واراءه في طلب الدنيا
والانحراف عن طريق الله باعتبار كثرتها وبعدها بها ولفظ الموج للشبه التي القاها اليهم وغرقهم بها فيما يريد من الاغراض
الباطلة وشابهها للموج في تلعبها باذهانهم واضطراب احوالهم بسببها ظاهرا وكذلك استعار لفظ الظلمات لها
باعتبار حجب ابصار بصايرهم عن ادراك الحق من تلك الشبهات ولفظ الغشيان لطريانها على قلوبهم وحجبها لها وجعل تغشاهم
الحال وكذلك لفظ التلاطم لتغلب تلك الشبهات بعقولهم وقوله فجاروا واعطف على القيتهم واراد انهم عدلوا عن الحق
بسبب ما القاه اليهم من الشبه واعتمدوا في ما لهم على احسابهم حمية الجاهلية في الذب عن اصولهم وتفاخرهم دون
مراعاة الدين والذب عنه الا من رجع الى الحق من اهل العقول فانهم عرفوك وما انت عليه من الضلال فارقوك
وهربوا الى الله من موازرتك فيما يريد من هدم الدين حين حملتهم عن الامور الصعبة الهادمة له وعدلت بهم
عن قصد الحق وقد كان استغوى العرب بشبهة قتل عثمن والطلب بدمه فلما عرف عقلاؤهم والمتمسكون بالدين
ان ذلك خدعة منه لارادة الملك فارقوه واعتزلوه وقوله على اعقابهم وعلى ادبارهم ترشيح لاستعارة لفظي النكوص والتولي
من المحسوسين المعقولين ولا ستغنائهما من الجيل الذين خدعهم ولفظ الصعب مستعار لما حملهم عليه من الامور
المستصعبة في الدين باعتبار ان ركوبهم لها يستلزم عدولهم عن صراط الله ووقوعهم في مهاوي الهلاك كما
يستلزم ركوب الجمل الصعب النفور العدول براكبه عن الطريق وتقحم المهالك وكذلك لفظ مستعار للطريق المعقول
الى الحق من الطريق المحسوس ثم كرر عليه الامر بتقوى الله وان يجاذب الشيطان قياده واستعار لفظ المجاذبة لممانعته
ولفظ القياد لما يقوده به من الاراء الباطلة وكواذب الآمال وممانعة الشيطان لذلك القياد بتكذيب النفس الامارة فيما تامر
به من تلك الاراء وقوله فان الدنيا الى الآخرة تنبيه له على وجوب قطع الامال الدنيوية لانقطاع الدنيا وعلى العمل للآخرة تنبيه
على وجوب قطع الامال الدنيوية لانقطاع الدنيا وعلى العمل للآخرة لقربها وهو في قوة صغرى ضمير من تقدير كبرى الاول وكل
ما كان منقطعا زائلا وجب ان يقطع الامل فيه لانقطاعه ويجاذب الشيطان في دعوته اليه وتقدير كبرى الثاني وكل ما كان قريبا

فينبغي ان يستعدّ لوصوله بالعمل له وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة اما بعد
فان عيني بالمغرب كتب الي يعلمني انه وُجّه الى الموسم اناس من اهل الشام العمي القلوب الصم الاسماع الكمه الابصار الذين يلبسون
الحق بالباطل ويطيعون المخلوق في معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الابرار
المتقين ولن يفوز بالخير الا عامله ولا يجزى جزاء الشر الا فاعله فاقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب
التابع لسلطانه المطيع لامامه واياك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا **اقول** هو قثم بن العباس
بن عبد المطلب لم يزل واليا لعلي عليه السلام على مكة حتى قتل عليه السلام واستشهد بسمرقند في زمن معوية وسبب هذا
الكتاب ان معوية كان قد بعث الى مكة في موسم الحج واجتماع العرب بها دعاة يدعون الى طاعته ويثبطون العرب عن
نصر علي عليه السلام ويلقون في انفسهم انه اما قاتل عثمن او خاذله وعلى التقديرين فلا يصلح للامامة ويشيرون محاسن
معوية بزعمهم واخلاقه وسيرته في العطاء فكتب عليه السلام هذا الكتاب الى عامله بمكة ينبهه على ذلك ليعتمد فيه ما
تقتضيه السياسة وقيل ان الذين بعثهم بعض السرايا التي كان يبعثها للغارة على عمال علي عليه السلام والعين الجاسوس
والموسم مجمع الحاج والاكمه الاعمى خلقة والبطر شدة المرح وكثرة النشاط والبأساء الشدة بني على فعلاء لا افعل له لانه اسم
غير صفة والفشل الجبن والضعف وحاصل الكتاب اعلامه اولا بما كتب اليه عينه بالمغرب واراد الشام لانها من البلاد
المغربية وقد كان له عليه السلام في البلاد جواسيس تخبره بما يتجدد من الامور عند معوية ولمعوية عنده كذلك كما هي
عادة الملوك بمثله ثم وصف اهل الشام باوصاف تستلزم البعد عن الله لغرض التنفير عنهم احدها شمول العمه لهم
من كل وجه عما خلقوا لاجله واستعار لقلوبهم لفظ العمى باعتبار عدم عقليتهم للحق وادراكهم لما ينبغي من طريق الآخرة
كما لا يدرك الاعمى قصده ولفظ الصم لاسماعهم والكمه لابصارهم باعتبار عدم انتفاعهم من جهة الاسماع بالمواعظ والتذكير
ومن جهة الابصار بتحصيل العبرة بما من آثار الله سبحانه كما لا ينتفع بذلك فاقدها بين الانس الثاني كونهم يلبسون الحق
بالباطل اي يخلطونه به ويموهونه والمراد انهم يعلمون انه على الحق وان معوية على الباطل ثم يكتمون ذلك ويلفقون
بشبهة قتل عثمن والطلب بدمه الى غير ذلك من اباطيلهم وروي يلتمسون الحق بالباطل اي كانوا يطلبون حقا
بحركاتهم الباطلة الثالث كونهم يطيعون المخلوق اي معوية في معصية خالقهم الرابع كونهم يحتلبون الدنيا درّها بالدين
واستعار لفظ الدرّ لمتاع الدنيا وطيباتها ولفظ الاحتلاب لاستخراج متاعها بوجوه الطلب من مظانه ملاحظا
لشبهها بالناقة ودرّها منصوب بدلا من الدنيا وانما كان ذلك بالدين لان اظهارهم شعاره وتمسكهم بظواهره لغرض تحصيل
الدنيا واخذهم ما لا يستحقونه منها فان محاربتهم له عليه السلام انما كانت كما زعموا للاخذ بثار الخليفة عثمن والانكار
على قاتليه وخاذليه وكذلك تمكنوا من تألف قلوب العرب واكثر جهال المسلمين على حربه عليه السلام واخذ البلاد
الخامس شراؤهم عاجل الدنيا بآجل الابرار وهو ثواب الآخرة ولفظ الشراء مستعار لاستعاضتهم ذلك الاجل والمكانة
في شعار الاسلام هو الحسن ان الذين ذكره في معرض ذمهم ثم ذكر في مقام الوعد والوعيد لهم اختصاص الفوز بالخير من عامله
ترغيبا فيه والمجازاة بالشر في فاعله تنفيرا عنه ثم ختم بامر وتحذير اما الامر فان يقيم على ما في يديه من العمل مقام من هو اهله

وهو الحازم المثبت في امر الصليب في طاعة الله الناصح اللبيب له ولاوليائه التابع لسلطانه المطيع لامامه وامّا تحذيره فمما
يعتذر منه وهو كل امر عدّ في الشرع معصية وتقصيرا عن اداء حقه ويروى الكلمات بوجه ثم من البطر في النعمة
والفشل والضعف عند البأساء والشدة لكون ذلك بعد زوال النعمة وحلول النقمة والبطر رذيلة تستلزم رذيلتي الكبر
والعجب ويقابل فضيلة التواضع والفشل رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة وبالله التوفيق **ومن كتاب**
له عليه السلام الى محمد بن ابي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالاشتر عن مصر ثم توفي الاشتر في توجهه الى مصر قبل
وصوله اليها وقد بلغني موجدتك من تسريح الاشتر الى عملك واني لم افعل ذلك استبطاء لك في الجهد ولا ازديادا
لك في الجد ولو نزعت ما تحت يدك من سلطانك لوليتك ما هو ايسر عليك مؤونة واعجب اليك ولاية ان الرجل الذي
كنت وليته امر مصر كان رجلا لنا ناصحا وعلى عدونا شديدا ناقما فرحمه الله فلقد استكمل ايامه ولاقى حمامه ونحن
عنه راضون اولاه الله رضوانه وضاعف الثواب له فاصحر لعدوك وامض على بصيرتك وشمّر لحرب من حاربك
وادع الى سبيل ربك واكثر الاستعانة بالله يكفك ما اهمك ويعنك على ما نزل بك والسلام **اقول** السبب ان محمد بن ابي بكر كان
ضعف عن لقاء العدو ولم يكن في اصحاب علي عليه السلام اقوى باسا في الحرب من الاشتر رحمه الله وكان معوية بعد وقائع
صفين قد تجرّد للاغارة على اطراف بلاد المسلمين وقد كانت مصر جعلت طعمة لعمرو بن العاص وعلم عليه السلام انها لا تحفظ
الا بالاشتر فكتب له العهد الذي يأتي ذكره ووجهه اليها فبلغه ان محمدا تألم من ذلك ثم ان الاشتر مات قبل وصوله اليها فكتب
عليه السلام الى محمد هذا الكتاب وهو يؤذن باقراره على عمله واسترضائه وتعريفه وجه عذره في تولية الاشتر لعمله
وانه لم يكن ذلك لموجدة عليه ولا تقصير منه والموجدة ما يجده الانسان من الغضب والتألم عنه والتسريح الارسال
واصحر اي اخرج له الى الصحراء والبصيرة هنا الحجة والهدى في الدين وحاصل الفصل امور الاول قوله فقد بلغني الى
٢١١ قوله لك كالاعتراف له بما يشبه الاساءة في حقه ليرتب عليه ما يشبه الاعتذار اليه الثاني قوله واني لم افعل ذلك قوله
نا فما اخذه بما يشبه العذر فنفى عنه التقصير والاستبطاء في الجهاد ونحوه مما عساه يتوهمه سببا لعزله ثم وعده على تقدير
ما عزله بولاية امر هو اسهل عليه كلفة واحب اليه ولاية تسكينا لقلبه عن حزن الترغيب فيما يعوض منها ثم اشار الى وجه بعث الاشتر في
ذلك الثناء عليه بما استجمعه من الخصال الحميدة المذكورة وهي كونه لامامه ناصحا وعلى عدوه شديدا ناقما اي منكرا وبعيدا ومحمد وان كان لا
الاول الا انه في الثاني ضعيف الثالث قوله فرحمه الله الى قوله الثواب له اعلام بانه مات وهو عنه راض ليلا يظهر به شماتة الرابع قوله فاصحر
الى آخره امره بالاستعداد للعدو والبروز له والاصحار كناية بالقوة دون الاستتار في المدينة المشعر بالضعف وان يمضي في محاربته على
جهة من الحق واستبصار فيه وكنى بوصف التشمير عن الاستعداد للحرب وان يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي
هي احسن وان يكثر الاستعانة بالله فان الرغبة اليه والاستعانة به يقتضيان افاضة النصر وكفاية ما اهم من امر العدو وصعوبته على ما نزل به من
الشدائد وبالله التوفيق والعصمة **ومن كتاب له عليه السلام** الى عبد الله بن عباس رحمه الله بعد مقتل محمد بن ابي بكر رضي الله عنه
بمصر اما بعد فان مصر قد افتتحت ومحمد بن ابي بكر رحمه الله قد استشهد فعند الله نحتسبه ولدا ناصحا وعاملا كادحا وسيفا قاطعا
وركنا دافعا وقد كنت حثثت الناس على لحاقه وامرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهرا وعودا وبدءا فمنهم الآتي كارها ومنهم المعتل كاذبا

القاعد خلافاً لما اسال الله ان يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً فوالله لولا طمعي عند لقاي عدوي في الشهادة وتوطيني نفسي على المنية لاحببت ان
لا ابقى مع هولاء يوماً واحداً ولا التقي بهم ابداً اقول احتسب كذا عند الله اي طلبت به الحسبة بكسر الحا وهي الاجر والشهادة
القتل في سبيل الله واستشهد كانه استحضر الى الله ومدار الكتاب على امور احدها اعلامه بفتح مصر وقتل محمد بن ابي بكر
في الحم بهذه المصيبة الثاني تسليم الامر الى الله وطلب الاجر منه في الرزية تعليماً لما ينبغي عند نزول قضاء الله بالمصيبة
ومدحه في معرض التفجع عليه والتوجع له ولداً وعاملاً وسيفاً وركناً كالحوال وتسميته ولداً مجاز باعتبار تربيته في حجره
وذلك انه كان ربيبه وامه اسماء بنت عميس الخثعمية كانت تحت جعفر بن ابي طالب وهاجرت معه الى الحبشة ولما قتل
جعفر تزوجها ابو بكر فولدت له محمداً هذا فلما توفي عنها تزوجها علي عليه السلام فولدت له يحيى بن علي واستعار
لفظ السيف باعتبار كونه يقمع به العدو ويصال به عليه ورشح بذكر القاطع وكذلك لفظ الركن باعتبار كونه يستند اليه
في الحوادث فيدفع به ورشح بقوله دافعاً الثالث اعلامهم بحاله مع الناس في معرض التشكي منهم وانه قد حثهم على لحاقه
فلم يسمعوا قوله واشار الى وجه تقصير كل منهم وقد كان حاله عليه السلام مع الناس كحال رسول الله صلى الله عليه وآله مع قوم
فالاتون كارهين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون والمعتلون كذباً كالذين قالوا لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون
انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون ومن تأمل حالهما وسيرتهما الى ان قبض تحقق وجه الشبه بينهما في اكثر الاحوال وهذه
لهم بحسب ما وجد منهم الرابع سواله الله تعالى ان يجعل له منهم الفرج وهو في معرض التشكي منهم ايضاً الاشارة الى وجه عذره
في المقام بينهم على هذه الحال وهو طلبه للشهادة وتوطينه نفسه على الموت عند لقاء العدو ولولا ذلك لفارقهم وبالله
التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** في ذكر جيش انفذه الى بعض الاعداء وهو جواب كتاب كتبه اليه اخوه عقيل
ابن ابي طالب فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً ونكص نادماً فلحقوه ببعض الطريق وقد
طفلت الشمس للاياب فاقتتلوا شيئاً كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة حتى نجا جريضاً بعد ما اخذ منه بالمخنق ولم
يبق معه غير الرمق فلأياً بلأي ما نجا فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه
فانهم قد اجمعوا على حربي كاجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي فجزت قريشاً عني الجوازي فقد قطعوا رحمي
وسلبوني سلطان ابن امي واما ما سالت عنه من رايي في القتال فان رايي قتال المحلين حتى القى الله لا يزيدني كثرة الناس
حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة ولا تحسبن ابن ابيك ولو اسلمه الناس متضرعاً متخشعاً ولا مقراً للضيم واهناً ولا سلس الزمام
للقائد ولا وطيء الظهر للراكب المقتعد ولكنه كما قال اخو بني سليم فان تسأليني كيف انت فانني صبور على ريب الزمان صليب
ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب اقول طفلت الشمس دنت للغيب والاياب لغة في غيبت والجريض المغموم
المهموم الذي يبتلع ريقه على هم وحزن بالجهد ويكاد يموت لذلك والمخنق بالتشديد هو من العنق موضع الخنق بكسر النون
بقية النفس واللأي الشدة والعسر والاجماع تصميم العزم والجوازي جمع جازية وهي النفوس تجزي بالسيئة والمحلين من نقض
البيعة يقال لمن نقض البيعة يقال لمن نقض عهده وبيعته محل ولمن حفظه محرم والمقتعد الراكب لاقتعاده ظهر البعير وحاصل
الفصل امور احدها قوله فسرحت الى قوله ما نجا حكاية حال عدوه وقد اغار على بعض اعماله فنفذ اليه جيشاً من المسلمين فمر

على توجيههم نحوه شمر لحقوه فقاتلوه قليلاً ثم انقلب منهم على شدة وعسر من الخلاص والفاظه عليه السلام افصح العبارات عما ذكره
وهارباً ونادماً وجريضاً احوال وقوله كلا ولا تشبيه بالقليل السريع والفناء وذلك لان لا ولا لفظان قصيران سريعا الانقضاء
قليلان في السمع من المتخاطبين فشبه بهما ما كان من محاربة العدو والجيش الذي نفذه ونحوه قول ابن هاني المغربي واسرع في العين
من لحظة بل اصرى في السمع من لا ولا وموقف مصدر اي ما كان ذلك القتال الا كوقوف ساعة وروي لأواً ولأياً مصدر الفاعل
محذوف وما مصدرية في موضع الفاعل والتقدير فلأي لأي نجاؤه اي عسر وابطاء وقوله بلأي كأي لأي مقروناً بلأي
قوله فدع عنك الى قوله ابن امي كالجواب لكلام ذكر فيه قريشاً ومن انضم منهم الى معوية فامر عليه السلام بالاضراب عن ذكرهم على
سبيل الغضب منهم والواو في قوله وتركاضهم يشبه ان يكون بمعنى مع ويحتمل ان يكون عاطفة واستعار لهم لفظ التركاض
باعتبار خبط اذهانهم في الضلال عن سبيل الله وخوضهم في الباطل بسرعة فيه من غير توقف وكذلك لفظ التجوال
الجماح باعتبار كثرة تنقلهم في الحق وحركاتهم في تيه الجهل والخروج عن طريق العدل كالفرس يجمح ويجول وقوله فانهم الى قوله
الله عليه وآله في قوة صغرى ضمير نبه به على انه لا خير فيهم وانه يجب الاعراض عنهم وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي
الاعراض عنه اذ لا خير فيه واما حجة الصغرى فظاهرة لان قريشاً صمم عزمهم على حربه منذ بويع بغضاً له وحسداً
عليه واتفقوا على شقاقه كما كانت حالهم في بدء الاسلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله لم تفترق الحالان في شيء من ذلك
وقوله فجزت قريشاً عني الجوازي دعاء عليهم بان يجازوا بمثل فعلهم به من قطيعة الرحم وسلبه سلطان الاسلام والخلافة
التي هو اولى بها وهي تجري مجرى المثل وقوله فقد قطعوا رحمي كالتعليل لحسن الدعاء عليهم وهو في قوة صغرى ضمير ايضاً
وتقدير كبراه وكل من فعل ذلك فحقيق بالدعاء عليه واراد بابن امه رسول الله صلى الله عليه وآله لانهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن
عمران بن عايذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب ولم يقل ابن ابي لان غير ابي طالب من الاعمام يشركه في النسب الى عبد المطلب
لان امه فاطمة بنت اسد كانت تربي رسول الله صلى الله عليه وآله حين كفله ابو طالب يتيماً فهي كالام له فاطلق عليها
لفظ الام الثالث قوله واما ما سالت عنه الى آخره فهو تقرير لسواله والجواب عنه وفيه تنبيه على فضيلته من وجوه الاول
قوته في الدين على من احل ذمة الله ونقض عهداً من عهوده الثاني شجاعته التي لا تزيده معها كثرة الناس حوله عزة ولا تفرقهم
عنه وحشة ولا توجد معها الصفات المذكورة من الجبن والعجز والانقياد للعدو ولكنه معها كالقائل والشعر ينسب الى
العباس بن مرداس السلمي وهو في قوة تمثيل اصله القائل وفرعه هو عليه السلام وعلته ما ذكر من الاوصاف والحكم
شجاعته الحذر من صولته وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى معوية فسبحان الله ما اشد لزومك
للاهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج
في عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له اقول هذا الكتاب لما بعد فان الدنيا
خضرة ذات زينة وبهجة لم يصب اليها احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها وبالآخرة امرنا وعليها حثثنا فدع يا معوية
ما يفنى واعمل لما يبقى واحذر الموت الذي اليه مصيرك والحساب الذي اليه مآلك واعلم ان الله اذا اراد بعبد خيراً حال بينه وبين
ما يكره ووفقه لطاعته واذا اراد بعبد شراً اغراه بالدنيا وانساه الآخرة وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه وقد وصلني كتابك

فوجدتك ترمي غير غرضك وتنشد غير ضالتك وتخبط في عماية وتتيه في ضلالة وتعتصم بغير حجة وتلوذ بأضعف شبهة
الى المشاركة والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا لذلك اليوم لفعلته امس واما قولك ان عمر ولاكها فقد عزل عمر من كان ولاه صاحبه
وعزل عثمن من كان عمر ولاه ولم ينصب للناس امام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن كان قبله او خفي عنهم عيبه
والامر يحدث بعده الامر ولكل وال رأي واجتهاد ثم يتصل بقوله فسبحان الله الفصل الى آخره والفصل يشتمل على
احدهما التعجب من شدة لزومه للاهواء التي يبتدعها والتحير فيها عن قصد الحق وذلك انه كان في كل وقت يوقع شبهة
ويبتدع رأيا يغوي به اصحابه ويغرر في اذهانهم به ان عليا عليه السلم لا يصلح للامامة فتارة يقول انه قتل عثمن وتارة
يزعم انه خذله وتارة انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة وتارة يصفه بالعطلة وتغرير مال المسلمين على غير الوجه الشرعي
وتارة يعترف بكونه صالحا للامامة ويطلب اليه الاقرار على الشام الى غير ذلك مما يبتدعه في الدين من الاباطيل وجمع الجهل
فيها مع تضييعه لحقائق الامور التي حق ان يعتقدها من كونه عليه السلم الاحق بهذا الامر واطراحه لوثائق الله وعهوده
المطلوبة المرضية له وهي على عباده حجة يوم القيمة كما قال تعالى واذ اخذ ربك الاية الثاني جوابه عن خطابه في امر عثمن
بنصرته وتبكيته له عليه السلم بخذلانه اياه وقوله فانك الى آخره في قوة صغرى ضمير بيانها ان معوية لما استصرخه عثمن
تثاقل عنه وهو في ذلك يعده حتى اذا اشتد به الحصار بعث اليه يزيد بن اسد القسري وقال له اذا اتيت ذا خشب
فأقم بها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فاني انا الشاهد وانت الغائب قال فاقام يزيد بذي خشب حتى قتل عثمن فاستقدمه
حينئذ معوية فعاد الى الشام بالجيش الذي كان معه فكان نصره له حيث بعث لنصرته انما كان على سبيل التعذير
عنه ليقتل فيدعوا هو الى نفسه فكان ذلك النصر في الحقيقة لمعوية اذ كان خاذلا لذلك سببا للقتل وانتصاره هو على مطلق
من هذا الامر وكان خذلانه له حيث كان محتاجا الى النصر وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فليس له ان يتخير بنصرته
الحذلانه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله من عبد الله علي امير المؤمنين
الى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في ارضه وذهب بحقه فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر والمقيم
والظاعن فلا معروف يستراح اليه ولا منكر يتناهى عنه اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف
ولا ينكل عن الاعداء ساعات الروع اشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث اخو مذحج فاسمعوا له واطيعوا
امره فيما طابق الحق فانه سيف من سيوف الله لا كليل الظبة ولا نابي الضريبة فان امركم ان تنفروا فانفروا وان امركم
ان تقيموا فاقيموا فانه لا يقدم ولا يحجم ولا يؤخر ولا يقدم الا عن امري وقد آثرتكم به على نفسي لنصيحته لكم وشدة شكيمته
على عدوكم **اقول** السرادق البيت من القطن والنكول الرجوع والظبة بالتخفيف حد السيف ونبا السيف اذا لم يقطع والضريبة
المضروب وفلان شديد الشكيمة اذا كان ابيا قوي النفس واصل الشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس وفي الكتاب
مقاصد الاول قوله من عبد الله الى قوله يتناهى عنه صورة عنوانه ووصفه اهل مصر بالغضب لله استجلابا لطباعهم
واشارة الى انكارهم للاحداث التي نسبت الى عثمن وسيرهم لذلك الى المدينة غضبا لحدود الله ان تعطل فان قيل فلم
يكن عليه السلم راضيا بقتل عثمن اذ مدح قاتليه على المسير بقتله قلت لا يلزم ذلك لجواز ان يكون مسيرهم انما كان للتشكي

دون غرض قتله فمدحهم على ذلك التنكير لا يجب مدح قاتليه والذين تسوروا عليه الدار وكانوا قوما قليلين ولعله انما عنى من
اهل مصر اقل النادر وليس في كلامه عليه السلم ما يقتضي مدح اولئك باعتبار كونهم قتلوه واستعار لفظ السرادق للظلم
للجور البر والفاجر والمقيم والمسافر كالسرادق الحاوي لاهله وقابل بين المعروف والمنكر ولم يرد نفي المنكر بل نفي
الثاني قوله اما بعد الى قوله مذحج صدر الكتاب اعلمهم فيه ببعث الاشتر اليهم ووصفه باوصاف تستلزم رغبتهم فيه
وكنى بكونه لا ينام ايام الخوف عن علو همته وتعلقها حين الخوف بتدبير الحرب والاستعداد للقاء العدو وبكونه لا ينكل
عن الاعداء عن شجاعته وشدة باسه واكد ذلك بوصف كونه اشد على الفجار من حريق النار وهو وصف صادق
مع المبالغة فيه اذ كان لقاؤه للفجار يستلزم غلبة ظنونهم بالهلاك معه وعدم السلامة ولا كذلك وجوه الحريق
لطمعهم في الفرار من النار واطفائها ثم ذكره بعد تعديد اوصافه الحميدة وهو ابلغ لان الغرض الاهم وصفه لا ذكره
ومذحج بفتح الميم كمسجد ابو قبيلة من اليمن وهو مذحج بن جابر بن مالك بن نهلان بن سبا والنخع قبيلة من هذه القبيلة
والاشتر منهم الثالث امرهم بالمقصود وهو السمع له والطاعة لامره لا مطلقا بل فيما يطابق الحق ويوافقه من الاوامر
واشار الى حسن امتثال امره بضمير صغراه قوله فانه سيف الى قوله الضريبة واستعار له لفظ السيف باعتبار كونه ماضيا
بر على العدو فيهلكه كالسيف ورشح بذكر الظبة وكنى بكونه غير كليلها وغير نابي الضريبة عن كونه ماضيا في الحق
غير واقف فيها ولا راجع عنها والاضافة الى الضريبة اضافة اسم الفاعل الى المفعول اي ولا نابي عن الضريبة وتقدير
الكبرى وكل من كان كذلك فيجب ان يقدم ويمتثل امره فيما يشير به من الحرب وغيرها الرابع امرهم ان يكونوا
تبعا له في نفارهم الى الحرب واحجامهم عنها على وفق امره ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانه الى قوله امري وكنى بذلك عن
كونه لا يأمر في الحرب وغيرها بامر الا وهو في موضعه لان اوامره عليه السلام كانت كذلك فمن كان على وفقها كان
ايضا كذلك ولم يرد عليه السلام بالتعيين والتفصيل بل اراد انه قد علم بقواعد كلية للسياسات وتدابير المدن
والحروب واعد لذلك بحيث يمكنه ان يجتهد فيها ويستخرج جزئياتها الخامس اعلمهم انه قد آثرهم به على نفسه مع حاجته
اليه في الراي والتدبير في معرض الامتنان عليهم بذلك ليشكروه واشار الى علة ايثاره لهم به وهي كونه ناصحا لهم
قوي النفس شديد الوطاءة على عدوهم وكنى بشدة الشكيمة عن ذلك فاما مصلحته عليه السلم في ذلك الايثار فهو
استقامة الامر لصلاح حالهم وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى عمرو بن العاص فانك قد جعلت دينك
تبعا لدنيا امرئ ظاهر غيه مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فاتبعت اثره وطلبت فضله
اتباع الكلب للضرغام يلوذ الى مخالبه وينتظر ما يلقى اليه من فضل فريسته فاذهبت دنياك وآخرتك ولو بالحق
اخذت ادركت ما طلبت فان يمكن الله منك ومن ابن ابي سفيان اجزكما بما قدمتما وان تعجزا وتبقيا فما امامكما شر
اقول قد ذكر هذا الكتاب برواية تزيد على هذه واوله من عبد الله علي امير المؤمنين الى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانئ
محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانك تركت مروتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين
الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما وافق شن طبقه فسلبك دينك ودنياك

وكان علم الله بالعاقبة ضرب كالذئب يتبع الضرغام اذا ما الليل دجى يلتمس ان يلاوسه وكيف يتحرز من الغدر والمواثيق طلب ادرك ما
وقد يرشده من كان الحق قائده فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله
صلى الله عليه وآله وان تعجزا وتبقيا بعدي فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاما وبعقابه عقابا ومدار الكتاب على
توبيخ عمرو بمتابعته معوية في باطله وتنفيره عما هو عليه ووعيدهما على ذلك ومعنى جعله دينه تبعا لدنيا معوية
بصرفه في مرضاته بحسب ما يتصور حصوله عليه من دنياه كما اشرنا اليه قبل من بيعه دينه في المظاهرة على حربه عليه السلام
مصر ثم ذم معوية باوصاف اربعة لغاية التنفير عنه احدها كونه ظاهر الغي وضلال معوية عن طريق الله واضح لذوي
الثاني كونه مهتوكا ستره ومن المشهور عنه انكارها عمر رضي الله عنه فانه كان كثير الخلاعة والهزل صاحب
لهو ومتاع وشرب وسماع وقد كان يستتر بذلك في زمان عمر خوفا منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج ويشرب في
آنية الذهب والفضة فاما في ايام عثمن فكان شديد التهتك وانما قارب الوقار حيث خرج علي عليه السلام واحتاج
الى استغواء الناس بظاهر الدين الثالث يشين الكريم بمجلسه وذلك ان الكريم هو الذي يضبط نفسه وينزهها
يشين العرض من الرذائل وقد كان مجلس معوية مشحونا ببني امية وارذالهم ومجالسة الكريم لهم تستلزم نسبته
ولحاقه بهم وذلك مشين لعرضه ومقبح لذكره الرابع كونه يسفه الحليم بخلطته وذلك انه كان دأبه هو وبني امية شتم بني
هاشم وقذفهم والتعرض بذكر الاسلام والطعن عليه وان اظهروا الانتماء اليه وذلك مما يستفز الحليم ويسفهه زايلا
عند مخالطتهم وسماعه منهم وكنى باتباعه لاثره عن متابعته له فيما فعله واشار بقوله وطلبت فضله الى غرضه باتباعه
وشبه اتباعه له باتباع الكلب للاسد تحقيرا وتنفيرا ونبه على وجه الشبه بقوله يلوذ الى قوله فريسته واراد ان اتباعه له على
وجه الذلة والحقارة ودناءة الهمة للطمع فيما يعطيه من فضل ماله وانتظار ذلك منه كاتباع الكلب للاسد وفي مثل هذا
بلاغ لعمرو في التنفير لو كان له كرم نفس ثم نبهه على لازم اتباعه له بقوله فاذهبت دنياك وآخرتك واراد بدنياه ما كان يعيش
من الرزق والعطاء الحلال على وجه يلتذ به في طيب نفس وامن من الحروب التي قبلها بصفين والاهوال التي باشرها في
معوية وتلك هي الدنيا الحقة اذ الدنيا انما تراد للذة بها والاستمتاع وذلك مما لم يحصل عليه عمرو واما ذهاب آخرته
فظاهر وقوله ولو بالحق اخذت الى قوله طلبت جذب له الى لزوم الحق وترغيب فيه بذكر لازمه وهو ادراك ما طلب من دنياه
وآخرته وظاهر انه لو لزم الحق لوصلت اليه دنيا كاملة وآخرة بالمعالي كافلة وقوله فان يمكن الله الى آخره وعيد بعذابين
على تقدير كل واحد من النقيضين وذلك العذاب اما بسلطنه في الدنيا بتقدير تمكين الله منهما وهو لحوقهما بما قدما
من معصية الله واما من الله في الآخرة على تقدير ان يعجزاه ويبقيا بعده وهو عذاب النار ونبه عليه بقوله فما امامكما شر
لقوله تعالى ولعذاب الآخرة اشد وابقى واستعار لفظ الامام للآخرة باعتبار استقبال النفوس لها وتوجهها نحوها وبالله
التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى بعض عماله اما بعد فاني كنت اشركتك في امانتي وجعلتك شعاري وبطانتي ولم يكن
في اهلي رجل اوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي واداء الامانة الي فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب والعدو قد حرب وامانة
الناس قد خزيت وهذه الامة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته

مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الامانة اديت وكانك لم تكن الله تريد بجهادك وكانك لم تكن على بينة من ربك وكانك انما كنت تكيد
هذه الامة عن دنياهم وتنوي غرتهم فلما امكنتك الشدة في خيانة الامة اسرعت الكرة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه
من اموالهم المصونة لاراملهم وايتامهم اختطاف الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير
متأثم من اخذه كانك لا ابا لغيرك حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامك فسبحان الله اما تؤمن بالمعاد او ما تخاف من نقاش
الحساب ايها المعدود كان عندنا من ذوي الالباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تاكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الاماء
وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين افاء الله عليهم هذه الاموال واحرز بهم هذه البلاد فاتق
الله واردد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لاعذرن الى الله فيك ولاضربنك بسيفي الذي ما ضربت
به احدا الا دخل النار والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هوادة ولا ظفرا مني بارادة
حتى آخذ الحق منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما اخذته من اموالهم حلال لي اتركه ميراثا
لمن بعدي فضح رويدا فكانك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك اعمالك بالمحل الذي ينادي الظالم فيه
بالحسرة ويتمنى المضيع الرجعة ولات حين مناص **اقول** المشهور ان هذا الكتاب الى عبد الله بن عباس حين كان واليا له عليه السلام
على البصرة والفاظ الكتاب تنبه على ذلك كقوله قلبت لابن عمك ظهر المجن وقوله فلا ابن عمك آسيت وكذلك ما روي
ان ابن عباس كتب اليه جوابا عن هذا الكتاب اما بعد فقد اتاني كتابك تعظم فيه ما اصبت من بيت مال البصرة ولعمري
ان حقي في بيت المال لاكثر مما اخذت والسلام جوابه فلك اما بعد فان من العجب ان تزين لك نفسك ان لك في بيت المال من
الحق اكثر مما لرجل من المسلمين فقد افلحت ان كان تمنيك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من المأثم ويحل لك المحارم
لانت المهدي السعيد اذن وقد بلغني انك اتخذت مكة وطنا وضربت بها عطنا تشتري بها مولدات مكة والمدينة والطائف
تختارهن على عينك وتعطي فيهن مال غيرك فارجع هداك الله الى رشدك وتب الى الله ربك واخرج الى المسلمين من اموالهم
فعما قليل تفارق من الفت وتترك ما جمعت وتغيب في صدع من الارض غير موسد ولا ممهد قد فارقت الاحباب
وسكنت التراب وواجهت الحساب غنيا عما خلفت فقيرا الى ما قدمت والسلام وانكر قوم ذلك وقالوا ان عبد الله بن عباس لم
يفارق عليا عليه السلام قط ولا يجوز ان يقول في حقه ما قال وقال القطب الراوندي رحمه الله يكون المكتوب اليه هو عبيد الله
بن عباس لا عبد الله قال وحمله على ذلك اشبه وهو من التوهم واعلم ان هذين القولين لا مستند لهما اما الاول فهو مجرد استبعاد
ان يفعل ابن عباس ما نسب اليه ومعلوم ان ابن عباس لم يكن معصوما وعلي عليه السلام لم يكن ممن يراقب في الحق احدا ولو كان اعز
اولاده كما تمثل بالحسن والحسين عليهما السلام في ذلك فكيف بابن عمه بل يجب ان يكون الغلظة على الاقرباء في هذا الامر اشد ثم
ان غلظته عليه وعتابه لا يوجب مفارقته اياه لانه عليه السلام كان اذا فعل احد من اصحابه ما يستحق به المواخذة اخذه سواء
كان عزيزا او ذليلا قريبا منه او بعيدا فاذا استوفى حق الله منه او تاب اليه مما فعل عاد في حقه الى ما كان عليه كما قال العزيز
عندي ذليل حتى آخذ الحق منه والذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له فلا يلزم اذن من غلظته على ابن عباس ومقاله
له ان يكون مفارقته له وشقاقه على ما بينهما من المحبة الوكيدة والقرابة واما القول الثاني فان عبيد الله كان عاملا له عليه السلام

بالبين والمنقل عنه مثل ذلك ولنرجع الى المتن فنقول الشعار ما يلي الجسد من الثياب وشعار الرجل خاصته وكلب الزمان
شدته وحرب العدو اشتد غضبه والفتك القتل على غرة وشغرت تفرقت والمجن الترس والازل خفيف الوركين والحوزة
المصالحة والصافقة وضح رويدا كلمة يقال لمن يؤمر بالتؤدة واصلها الرجل يطعم ابله ضحى ويسيرها مسرعا ليسير فلا
يشبعها فيقال له ضح رويدا والمناص المهرب والمخلص والنوص الهرب والتخلص وفي الكتاب مقاصد الاول انه ذكره ما
اليه في معرض الامتنان عليه من وجوه الاول اشراكه اياه في امانته التي ائتمنه الله عليها وهي ولاية امر الرعية والقيام
باصلاح امورهم في معاشهم ومعادهم الثاني جعله من خاصته وملازميه واستعار له بذلك الاعتبار لفظ الشعار
لمباشرته وملازمته الجسد الثالث كونه اوثق اهله في نفسه وادناهم منه لمواساته ومؤازرته واداء الامانة اليه المقصود
الثاني انه بعد تذكيره باحسانه اليه ذكره مقابلته لذلك بالاساءة اليه في مفارقته اياه وخذلانه له وخيانته المانع له
من الامانة عند رؤيته شدة الزمان عليه وقيام العدو في وجهه وتفرق كلمة الامة عن الحق ليتبين انه قابل احسانه
اليه بالكفران ليحسن ذمه على ذلك وتوبيخه فذمه وتوبيخه وارادة مفارقته له في الطريقة ولزوم محل الامانة وقوله قلبت
لابن عمك ظهر المجن فضرب مثلا لمن يكون مع اخيه فيتغير عليه ويصير خصما له واصله ان الرجل اذا كان
لاخيه يكون بطن ترسه اليه فاذا فارقه وصار حربا له قلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه منه فجعل
ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة وضرب مثلا لمن فعل ذلك الثالث الاخذ في تعنيفه وتوبيخه وحكاية حاله
في خيانته في معرض التوبيخ وذلك قوله فلا ابن عمك الى قوله هذه البلاد وشبهه بمن لم يرد الله بجهاده بل الدنيا واني
لم يكن على بينة من ربه بل هو جاهل به وبوعده ووعيده ووجه الشبه مشاركته لطالبي غير الله والجاهلين به في
غيره والاعراض عنه وكذلك شبهه بمن لم يكن له غرض من عبادته الا خدعة المسلمين عن دنياهم واشار الى وجه الشبه
فلما امكنتك الشدة الى قوله الكسيرة اي فكان غرض الذي يكيد غيره عن شيء ان يترصد الفرصة في اخذه
منهم فاذا وجدها فكذلك انت في اسراعك بالوثوب على الخيانة وشبه اختطافه لما اخذه من المال بما يختطف
الذئب الازل دامية المعزى الكسيرة ووجه الشبه سرعة اخذه له وخفته في ذلك وخص الذئب الازل لكونه خفيف
الوركين بعينه على سرعة الوثبة والاختطاف ودامية المعزى الكسيرة لانها امكن للاختطاف لعدم الممانعة ثم
اخبر في معرض التوبيخ انه حمله الى وطنه بمكة وكنى بكونه رحب الصدر اما عن سروره وفرحه به او عن كثرة ما حمل
منه لان من العادة اذا اراد الانسان حمل شيء في صدره فتح صدره وباعه وحوى منه ما امكن حمله ونصب رحب على
الحال واضافة رحب في تقدير الانفصال ثم شبهه في معرض التوبيخ والتقريع في حمله بمن حمل تراثه الى اهله من والديه ثم استفهم
على سبيل التعجب من حاله والانكار عليه عن امرين احدهما عن ايمانه بالمعاد وخوفه من مناقشة الله في الحساب ثم ذكره
ونبهه على انه كان معدودا في نظره من ذوي العقول وادخله في حيز كان تنبيها له على انه لم يبق عنده كذلك الثاني عن كيفية
اساغته للشراب والطعام مع علمه انه ما ياكله ويشربه ويتمتع به من هذا المال حرام لكونه مال المسلمين اليتامى منهم
والمجاهدين افاءه الله عليهم ليحرز بهم عباده وبلاده استفهام انكار وتقريع بذكر معصية الله المقصود الرابع امره بعد التوبيخ

بتقوى

بتقوى المقصود رد اموال المسلمين اليهم وتوعده ان لم يفعل ثم امكن الله منه ان يعذر الى الله فيه اي يبلغ اليه العذر فيه وقتله او ذكر
الضرب بالسيف الموصوف بالصفة المذكورة اغلظ في الوعيد وابلغ في الزجر المقصود الخامس اقسم انه لو ان الحسن والحسين على ما بهما
وكرامتهما عليه لو فعلا كفعله من الخيانة لم يراقبهما في ذلك حتى ياخذ الحق منهما ويزيح الباطل عن ظلمهما اي محل ظلمهما
من مال لو غيرهم ومراده ان غيرهم بطريق الاولى في عدم المراقبة له ثم اقسم القسم البار انه ما يسره ان يكون ما اخذه ابن عباس
من اموال المسلمين حلالا له يخلفه ميراثا لمن بعده لما علمت ان جمع المال وادخاره سبب للعذاب في الآخرة كما قال تعالى
والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وقسمه الاول كالعذر له في شدة انكاره عليه والثاني لتحقير ما اخذه وبيان
انه لو كان اخذه على وجه حلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام وذلك ليتركه ويخرج عنه الى اهله السادس
امره بالامهال على سبيل التهديد بقرب الوصول الى الغاية التي هي الموت والدفن وعرض اعماله عليه بالمحل الذي ينادي فيه الظالم
بالحسرة ويتمنى فيه مضيعو امر الله والعمل الصالح الرجعة الى الدنيا حين لا مخلص لهم مما هم فيه وذلك المحل هو عرصة
القيامة وذكر النداء بالحسرة حين لا رجعة لتاكيد التخويف والتهديد بعد اداء الامور المنفرة واما قوله ولات حين مناص
فانهم شبهوا لات بليس واضمروا فيها اسم الفاعل ولا تستعمل لات الا مع حين وقد جاءت حين مرفوعة بانها اسم لات
وقيل ان التاء زائدة كهي في ثمت وربت وقد مر ذلك قبل **ومن كتاب له عليه السلم** الى عمر بن ابي سلمة المخزومي
وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمن بن عجلان الزرقي مكانه اما بعد فاني قد وليت النعمان بن عجلان الزرقي
على البحرين ونزعت يدك بلا ذم لك ولا تثريب عليك فقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل غير ظنين ولا ملوم
ولا متهم ولا ماثوم فقد اردت المسير الى ظلمة اهل الشام واحببت ان تشهد معي فانك ممن استظهر به على جهاد العدو واقامة
عمود الدين ان شاء الله **اقول** عمر هذا هو ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وامه ام سلمة وابوه ابو سلمة بن عبد الاسد
بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واما النعمان بن عجلان فمن سادات الانصار من بني زريق والتثريب التعنيف
واستقصاء اللوم والظنين المتهم واستظهرت بفلان اتخذته ظهيرا وصدر الكتاب على اعلام عمر بن ابي سلمة بانفاذ
النعمن عوضا منه ثم اعلمه بان ذلك لم يكن عن ذنب حصل منه يستحق به الذم والعزل ثم شكر له حسن ولايته
واداء امانته ثم اعلمه بغرضه من عزله واستدعائه وهو الاستعانة به على عدوه وكل ذلك ليطيب قلبه ويفارق الولاية
عن طيب نفس ونبهه على وجه رغبته في حضوره معه بقوله فانك الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من استظهر به على العدو واقامة عمود الدين فاحب ان ارغب في حضوره وان يشهد معي ولفظ العمود مستعار
للاصول التي يحفظها وقيامها يقوم كالعمود للبيت وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى مصقلة بن هبيرة الشيباني
وهو عامله على اردشير خره بلغني عنك امر ان كنت فعلته فقد اسخطت الهك واغضبت امامك انك تقسم
فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم واريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من اعراب قومك فوالذي فلق الحبة وبرأ
النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدن لك علي هوانا ولتخفن عندي ميزانا فلا تستهن بحق ربك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الاخسرين

الا وان حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء يردون عندي عليه ويصدرون عنه والسلم اقول
اعتامك اختارك من بين الناس وقد علمه بما بلغه من الامر المضاد رعيته لمجرد الاتبيعه واشعره انه ليس مكروه بما يلزمه وهو
آلهه وغضب امامه وضبقوله ان كنت فعلته على عدم تحققه لذلك ثم بين انه ذلك وجود عطاء مال المسلمين لمن اختاره رغبا
من اعراب قومه ووصف ذلك الفيء بكونه حيازة رماحهم وخيولهم وعليه اريقت دماؤهم ليتاكد في النفوس وتبين وجه استحقاقهم
له ويعتقد ذلك بتاكيد قسمته في غيرهم ثم اقسم قسمه المضاد في معرض الوعيد له بكان ذلك منه حقا ان يلحقه به هوان
عنده ويخف وزنه في اعتباره وكنى به عن صغر منزلته عنده ميزانا نصب على التمييز ثم نهاه عن استهانته بحق ربه وعن اصلاح
دنياه بفساد دينه منبها على عظمة الله ووجوب المحافظة على طاعته ونبهه على ما يلزم من ذلك من دخوله في زمرة الاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ثم نبهه على قبح ما فعل من تخصيص قومه
بذلك المال بقوله الا وان الى قوله سواء وهو في قوة صغرى ضمير وقوله يردون اليه ويصدرون عنه تاكيد التساوي في
الاستحقاق وانهم كالشريعة المشتركة وتقدير الكبرى وكل حق سواء بين المسلمين فلا يجوز تخصيص بعضهم به وقد
حال مصقلة من قبل وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى زياد بن ابيه وقد بلغه ان معوية كتب اليه يريد خديعته
باستلحاقه وقد عرفت ان معوية كتب اليك يستزل لبك ويستفل غربك فاحذره فانما هو الشيطان ياتي المرء
من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته ويستلب غرته وقد كان من ابي سفين في زمن عمر بن الخطاب
فلتة من حديث النفس ونزغة من نزغات الشيطان لا يثبت بها نسب ولا يستحق بها ارث والمتعلق بها كالواغل المدفع
والنوط المذبذب قال السيد فلما قرا زياد الكتاب قال شهد بها ورب الكعبة ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معوية قوله عليه
السلم كالواغل المدفع الواغل هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم وليس منهم فلا يزال مدفعا محاجزا والنوط المذبذب
هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح وما اشبه ذلك فهو ابدا يتقلقل اذا حث ظهره واستعجل سيره **اقول** زياد هذا
هو دعي ابي سفين ويقال زياد بن عبيد فمن الناس من يقول عبيد بن فلان الثقفي والاكثرون على انه كان عبدا
ابا زياد فابتاعه واعتقه واما الحاق ابي سفين له فروي انه تكلم يوما بحضرة عمر فاعجب الحاضرين كلامه فقال عمرو بن العاص لله
كان ابوه لو كان قرشيا لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان اما والله انه لقرشي ولو عرفته لعرفت انه من خير اهلك فقال ومن ابوه فقال انا والله وضعته
في رحم امه فقال فهلا تستلحقه قال اخاف هذا العير الجالس ان يخرق على اهابي يعني عمر فلما ولي علي عليه السلم الخلافة ولى زيادا فارس فضبطها
ضبطا صالحا وحماها فكتب اليه معوية يحذره باستلحاقه اخا من امير المؤمنين معوية بن ابي سفيان اما بعد فان المرء ليطرحه الهوى
في مطارح العطب وانك للمرء المضروب به المثل قاطع الرحم وواصل العدو وحملك سوء ظنك بي وبغضك لي على ان عققت قرابتي
وقطعت رحمي وبتت نسبي وحرمتي كانك لست اخي وليس صخر بن حرب اباك وابي وشتان بيني وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص
وانت تقاتلني ولكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء فكنت كتاركة بيضها بالعراء وملحفة بيض اخرى جناحا وقد رايت ان اعطف
عليك ولا اواخذك بسوء سعيك وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك واعلم ابا المغيرة انك لو خضت البحر في طاعة القوم

بالسيف حتى تنتهي ما ازددت منهم الا بعدا فان بني عبد شمس بغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد اوثق الذبح
بحبل الله الى الصلة واتصل بقومك لا تكن كالموصول يطير بريش غيره فقد اصبحت ضال النسب ولعمري ما فعل ذلك الا
اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ووضوح من حجتك فان احببت جانبي ووثقت بي فامرة بامرة وان كرهت
جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلام وحمل الكتاب مع المغيرة بن شعبة اليه وكان ذلك سبب فساده على
الحسن بعد علي عليهما السلم وانضيافه الى معوية ولما بلغ عليا عليه السلم ذلك كتب اليه اما بعد فاني وليتك ما وليتك
وانا اراك لذلك اهلا وقد عرفت ان معوية الى اخر الكتاب ولنرجع الى المتن فنقول غرب السيف حده والاستفلال طلب
الفل وهو ثلم الحد ومدار الكتاب على اعلامه بما عليه من كتاب معوية اليه ثم تنبيهه على قصده من ذلك الكتاب وهو ان
يستزل عقله ويستفله عما هو عليه من الراي الصحيح في نصرة الحق وولايته له عليه السلم ويكسر حدته في ذلك واستعار
لفظ الغرب لعقله ورايه ولفظ الاستفلال لطلبه صرفه عن ذلك الراي الصالح ملاحظة لشبهها بالسيف ثم حذره منه
بقوله فانما هو الشيطان باعتبار وسوسته وصده عن الحق على وجه التشبيه بقوله ياتي الانسان الى قوله شماله وهو كقوله تعالى ثم لاتينهم من
بين ايديهم الى قوله شمائلهم اي انه ياتي الانسان من كل جهة كما ياتي الشيطان وخص الجهات الاربع لانها الجهات التي يعتاد الاتيان
منها وقال بعض المفسرين من بين ايديهم يطمعهم في العفو ويغريهم بالعصيان ومن خلفهم يذكرهم مخلفيهم ويحسن لهم جمع المال
وتركه لهم وعن ايمانهم يحسن لهم الرياسة والثناء وعن شمائلهم اللهو واللذات وعن شقيق قال ما من صباح الا ويقعد لي الشيطان
على اربعة مراصد من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا اني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى واما
من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من جهة الثناء
والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ثم نبهه على وجه فساد راي
معوية وذلك ان معوية انما اراد استغفاله باستلحاقه اياه اخا فنبهه عليه السلم على ان ذلك الاستلحاق انما تم بدعوة
ابي سفين له ابنا ولم يصح تلك الدعوى وانما كان قوله انه كذا وكذا فلتة من حديث النفس وقعت منه من غير تثبت ولا
روية واقرار بالزنا في قوله انا وضعته في رحم امه وذلك نزغة من نزغات الشيطان القاها على لسانه فلا يثبت بها
نسب ولا يستحق بها ارث لقوله صلى الله عليه واله الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم شبه المتعلق في نسبه بتلك الفلتة
والنزغة بالواغل المدفع ووجه الشبه كونه لا يزال مدفعا وبالنوط المذبذب ووجه الشبه اضطرابه وعدم لحوقه بنسب
معين واستقراره كما يضطرب النوط ولا يستقر وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى عثمن بن حنيف الانصاري
وكان عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي الى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها اما بعد يا ابن حنيف فقد بلغني
ان رجلا من فتية اهل البصرة دعاك الى مادبة فاسرعت اليها تستطاب لك الالوان وتنقل اليك الجفان وما
ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو وغنيهم مدعو فانظر الى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه
عليك علمه فالفظه وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه الا وان لكل ماموم اماما يقتدي به ويستضيء بنور علمه
الا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه الا وانكم لا تقدرون على ذلك ولكن اعينوني بورع واجتهاد

وعفة وسداد فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ولا ادخرت من غنائمها وفرا ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا بلى قد كانت في ايدينا
فدك من كل ما اظلته السماء فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين ونعم الحكم الله وما اصنع بفدك وغير فدك
والنفس مظانها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها وتغيب اخبارها وحفرة لو زيد في فسحتها واوسعت يدا حافرها لاضغطها
الحجر والمدر وسد فرجها التراب المتراكم وانما هي نفسي اروضها بالتقوى لتاتي آمنة يوم الخوف الاكبر وتثبت على جوانب المزلق
ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز ولكن هيهات ان يغلبني هواي ويقودني
جشعي الى تخير الاطعمة ولعل بالحجاز او اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع او ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى واكباد
حرى او اكون كما قال القائل وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد أاقنع من نفسي بان يقال امير المؤمنين
ولا اشاركهم في مكاره الدهر او اكون اسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني اكل الطيبات كالبهيمة المربوطة
همها علفها او المرسلة شغلها تقممها تكترش من اعلافها وتلهو عما يراد بها او اترك سدى او اهمل عابثا او اجر حبل الضلالة
او اعتسف طريق المتاهة وكاني بقائلكم يقول اذا كان هذا قوت ابن ابي طالب فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران ومنازلة
الشجعان الا وان الشجرة البرية اصلب عودا والروائع الخضرة ارق جلودا والنابتات العذية اقوى وقودا وابطا خمودا
وانا من رسول الله صلى الله عليه وآله كالصنو من الصنو والذراع من العضد والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها
ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت اليها وساجهد في ان اطهر الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس حتى
يخرج المدرة من بين حب الحصيد اليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وافلت من حبائلك
واجتنبت الذهاب في مداحضك اين القوم الذين غررتهم بمداعبك اين الامم الذين فتنتهم بزخارفك ها هم
رهائن القبور ومضامين اللحود والله لو كنت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقمت عليك حدود الله في عباد غررتهم
بالاماني وامم القيتهم في المهاوي وملوك اسلمتهم الى التلف واوردتهم موارد البلاء اذ لا ورد ولا صدر هيهات
من وطئ دحضك زلق ومن ركب لججك غرق ومن ازور عن حبائلك وفق والسالم منك لا يبالي ان ضاق به مناخه
والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه اعزبي عني فوالله لا اذل لك فتستذليني ولا اسلس لك فتقوديني وايم الله يمينا استثني
فيها بمشية الله تعالى لاروضن نفسي رياضة تهش معها الى القرص اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح مادوما
ولادعن مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها اتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها
فتربض وياكل علي من زاده فيهجع قرت اذن عينه اذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية طوبى
لنفس ادت الى ربها فرضها وعركت بجنبها بؤسها وهجرت في الليل غمضها حتى اذا غلب الكرى عليها افترشت ارضها وتوسدت
كفها في معشر اسهر عيونهم خوف معادهم وتجافت عن مضاجعهم جنوبهم وهمهمت بذكر ربهم شفاههم وتقشعت بطول
استغفارهم ذنوبهم اللغة المادبة بالفتح الطعام يدعى اليه والعائل الفقير والقضم الاكل بادنى الفم والطمر الثوب الخلق والوفر
المال الكثير والقرص الرغيف وفدك اسم قرية كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله والجدث القبر واضغطها ضيقها والقمح الحنطة
والنسائج جمع نسيجة بمعنى منسوجة والجشع اشد الحرص على الطعام والمبطان عظيم البطن لكثرة الاكل وغرثى جائعة

الكظة وهي الامتلاء من الطعام والتقمم تتبع القمامة وهي الكناسة وتكترش تملأ كرشها والسدى الملقى المهمل والروائع الاشجار التي
تروع بنضارتها والعذية التي لا يسقيها الا ماء المطر والمركوس المردود مقلوبا كالمنكوس والمداحض المزالق وازور اعوج جانبا
اعزبي ابعدي يقال عزب الرجل بالفتح اذا بعد وسلس الرجل يسلس بكسر اللام في المستقبل سهل قياده والرياضة التاديب
والتعويد والربيضة الجماعة الرابضة من الغنم وتهش اي تخف وارتاحت والهمهمة الصوت الخفي وفي الكتاب مقاصد الاول
اشار الى ما ينبغي ان يعاتب عليه وهو اجابته الى المادبة مع ما يستطاب له الالوان وتنقل اليه الجفان وعلمه انه لا يعتذر لك من ارباب
توبيخه عليه وذلك في قوله اما بعد الى قوله الجفان الثاني اشار على وجه المعاتبة الى تخطئته في ذلك بقوله وما ظننت انك تجيب الى
كذا اي كان ظني فيك من الورع انك تترفع عن الاجابة الى طعام قوم لا يلتفتون الى فقرائهم ويقتصرون بالدعوة والكرامة على
اغنيائهم وامرائهم ووجه الخطاء في اجابته داعي هؤلاء ان تخصيصهم الاغنياء دون الفقراء بالكرامة والدعوة دليل واضح على انهم انما
يريدون بذلك الدنيا والسمعة والرياء دون وجه الله تعالى ومن كان كذلك فاجابته موافقة على ذلك ورضى بفعله وذلك
خطأ كبير خصوصا من امراء الدين المتمكنين من انكار المنكرات الثالث امره ان ينظر فيما يتفق له ان يقع فيه من ذلك الطعام
الى ما يحضره من الطعام فما وجد فيه شبهة حرام ولم يتحقق حاله فليتركه وما تيقن حله وطيب وجه اكتسابه بريا عن الشبهة
فنال منه وكنى عنه بالمقضم تحقيرا له وتقليلا وبين امره منه بحسب التاديب الاولى ان التنزه عن هذه المباح افضل الرابع
الرابع نبهه بقوله الا وان لكل ماموم الى قوله علمه على ان له اماما يجب ان يقتدي به وهو تمثيل في قوة قياس كامل حذفت صغراه
التمثيل مطلق الامام والماموم وعلته كونهما اماما وماموما وفرعه هو عليه السلم وعامله وحكمه وجوب الاقتداء وتقدير
القياس انك ماموم لامام وكل ماموم لامام فيجب عليه ان يقتدي بامامه فيجب عليك ان تقتدي بامامك ويستضيء
بنور علمه الخامس اردف ذلك بالتنبيه على ما يجب ان يقتدي به فيه من حاله في دنياه وهو اكتفاؤه من ملبوسها بطمرين
بدله من طمريه ومن مطعومها بما يسد به فورة جوعه من قرصيه غير ملتفت فيما لبسه الى زينته فان طمريه كانا خلقا
وسد به جوعته استحياء من زمانها ولا مكترث فيما طعمه بلذة وطيب فان قرصيه كانا من شعير غير منخول والحد بالجد
بالغنى السادس نبه اصحابه على ان رياضته تلك لا استطاع لهم فانها فوق مشروطة باستعداد لم يصلوا اليه ولم يدركوا
الحال كذلك ان يقتصروا في معونته على انفسهم برياضتها بالورع والاديب بها الكف عن المحارم ثم الاجتهاد في الطاعة ويحتمل
ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة ثم الاجتهاد في الطاعة ويحتمل ان يريد بالورع لزوم الاعمال الجميلة منها السابع نبه بالقسم البار
على رد ما عساه يعرض لبعض الاذهان الفاسدة في حقه عليه السلم ان زهده في الدنيا مشوب برياء وسمعة وان تركه لمحبتها
وجمعها وادخارها خصوصا وهو امام الوقت وخليفة الارض بعدد انواع ما افاء الله على المسلمين منها ان اقسم انه لو ادخر
منها لا قوتا وشبهه في القلة والحقارة بقوت الاتان الدبرة وخصها لان ضعفها بالدبر وشغلها بالمتعلل قوتها ثم بالغ في
حقارة دنياهم عنده فاخبر انها في نظره واعتباره اهون من عفصة مرة وظاهر ان من كان كذلك كيف يتصور محبته للدنيا
وعلى الثامن لما قال فيما اقسم عليه من الدنيا ولا حزت من ارضها شبرا استثنى من ذلك فدك بقوله بلى قد كانت لنا فدك من
كل ما اظلته السماء وذكرها في معرض حكاية حاله وحال القوم معه على سبيل التشكي والتظلم ممن اخذها منهم الى الله سبحانه وتسليم

الامر او الرضا بكونه حكما واعلم ان فدك كانت خاصة لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك انه لما فتح خيبر وقذف الله
في قلوب اهل فدك الرعب فبعثوا اليه صلى الله عليه وآله فصالحوه على النصف فقبل ذلك منهم فكانت له خالصة لانهم لم
يوجف عليها بخيل ولا ركاب وروى انه صالحهم على كلها وانه المشهور بين الشيعة والمتفق عليه عندهم ان رسول الله صلى
الله عليه وآله اعطاها فاطمة عليها السلم في حيوته وروى ذلك من طرق مخالفيه ايضا عن ابي سعيد الخدري قال لما
انزلت وآت ذا القربى حقه اعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلم فدك فلما تولى ابو بكر الخلافة عزم
على اخذها منها فارسلت اليه تطالبه بميراثها من رسول الله وتقول انه اعطاني فدكا في حيوته واستشهدت على ذلك
عليا عليه السلام وام ايمن فشهدا لها بها فمنعها عن الميراث بخبر رواه وهو نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وفي
دعوى فدك انها لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وانما كانت مالا للمسلمين في يده يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله
وانا اليه كما كان يليه فلما بلغها ذلك لاثت خمارها واقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها تطأ في ذيولها حتى دخلت عليه
ومعه جل المهاجرين والانصار فضربت بينها وبينهم قبطية ثم انت انة اجهش لها القوم بالبكاء ثم امهلت طويلا حتى
سكنوا من فورتهم وقالت ابتدئ بحمد من هو اولى بالحمد والطول والمجد الحمد لله على ما انعم وله الشكر بما الهم ثم خطبت
خطبة طويلة قالت في آخرها فاتقوا الله حق تقاته واطيعوه فيما امركم فانما يخشى الله من عباده العلماء واحمدوا الله الذي
بعظمته ونوره يبتغي من في السموات ومن في الارض اليه الوسيلة ونحن وسيلته في خلقه ونحن خاصته ومحل قدسه ونحن
حجته في غيبه ونحن ورثة انبيائه ثم قالت انا فاطمة بنت محمد اقول عودا على بدء ما اقول ذلك سرفا ولا شططا فاسمعوا باسماع
واعية وقلوب راعية ثم قالت لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف
رحيم فان تعزوه تجدوه ابي دون آبائكم واخا ابن عمي دون رجالكم ثم قالت ثم انتم تزعمون ان لا ارث لي افحكم الجاهلية
تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون ايها معشر المهاجرة ابتز ارث ابيه الله ان ترث يا ابن ابي قحافة اباك ولا
ارث ابي لقد جئت شيئا فريا فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك فنعم الحكم الله والزعيم محمد والموعد القيمة وعند الساعة
يخسر المبطلون ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم قال ثم التفتت الى قبر ابيها
فتمثلت بقول هند بنت اثاثة قد كان بعدك انباء وهنبثة لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب ابدت رجال لنا نجوى صدورهم
لما مضيت وحالت دونك الكتب تجهمتنا رجال واستخف بنا اذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب قال فلم ير الناس اكثر
باك ولا باكية منهم يومئذ ثم عدلت الى مسجد الانصار وقالت يا معشر النقيبة واعضاد الملة وحضنة الاسلام ما هذه
الفترة عن نصرتي والونية عن معونتي والغميزة في حقي والسنة عن ظلامتي اما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول المرء
يحفظ في ولده سرعان ما احدثتم وعجلان ما اتيتم الآن مات رسول الله امتم دينه ها ان موته لعمري خطب جليل استوسع
وهيه واستنهر فتقه وفقد راتقه واظلمت الارض له وخشعت الجبال واكدت الآمال اضيع بعده الحريم وهتكت الحرمة
واذيلت المصونة وتلك نازلة اعلن بها كتاب الله قبل موته وانبأكم بها قبل وفاته فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله
الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين ايها بني

قيلة اهتضم تراث ابيه وانتم بمرأى ومسمع تبلغكم الدعوة ويشملكم الصوت وفيكم العدة والعدد ولكم الدار والجنن وانتم
نخبة الله التي انتخب وخيرته التي اختار فباديتم العرب وبادهتم الامور وكافحتم البهم حتى دارت بكم رحى الاسلام و
در حلبه وخبت نيران الحرب وسكنت فورة الشرك وهدأت دعوة الهرج واستوسق نظام الدين افتأخرتم بعد
الاقدام ونكصتم بعد الشدة وجبنتم بعد الشجاعة عن قوم نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا
ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا وقد ارى ان قد اخلدتم الى الخفض وركنتم الى الدعة وجحدتم الذي
وعيتم ودسعتم الذي سوغتم وان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله غني حميد الا وقد قلت ما قلت على معرفة مني
بالخذلة التي خامرتكم وخور القناة وضعف اليقين فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر ناقبة الخف باقية العار موسومة
الشنار موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فبعين الله ما تعملون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
ثم رجعت الى بيتها واقسمت ان لا تكلم ابا بكر ولتدعون الله عليه ولم تزل كذلك حتى حضرتها الوفاة فاوصت ان لا
يصلي عليها فصلى عليها العباس ودفنت ليلا وروى انه لما سمع كلامها حمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال يا
خيرة النساء وابنة خير الآباء والله ما عدوت رأي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا عملت الا بامره وان الرائد لا يكذب اهله
وقد قلت فابلغت واغلظت فاهجرت فغفر الله لنا ولك اما بعد فقد دفعت آلة رسول الله صلى الله عليه وآله ودابته وحذاءه
الى علي واما ما سوى ذلك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول انا معاشر الانبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا ارضا
ولا عقارا ولا دارا ولكنا نورث الايمان والحكمة والعلم والسنة وقد عملت بما امرني ونصحت فقالت ان رسول الله قد
وهبها لي قال فمن يشهد بذلك فجاء علي بن ابي طالب وام ايمن فشهدا لها بذلك فجاء عمر بن الخطاب وعبد الرحمن
بن عوف فشهدا ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقسمها فقال ابو بكر صدقت يا ابنة رسول الله وصدق علي
وصدقت ام ايمن وصدق عمر وصدق عبد الرحمن وذلك ان مالك لابيك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ من فدك
قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله ولك على الله ان اصنع بها كما كان يصنع فرضيت بذلك واخذت العهد
عليه به وكان يأخذ غلتها فيدفع اليهم منها ما يكفيهم ثم فعلت الخلفاء بعده كذلك الى ان ولي معوية فاقطع مروان ثلثها
بعد الحسن عليه السلم ثم خلصت له في خلافته وتداولها اولاده الى ان انتهت الى عمر بن عبد العزيز فردها في خلافته على
اولاد فاطمة عليها السلم قالت الشيعة وكانت اول ظلامة ردها وقالت السنة بل استخلصها في ملكه ثم وهبها لهم ثم
اخذت منهم بعده الى ان انقضت دولة بني امية فردها عليهم ابو العباس السفاح ثم قبضها المنصور فردها ابنه المهدي
ثم قبضها ولداه موسى وهرون فلم تزل في ايدي بني العباس الى زمن المامون فردها اليهم وبقيت الى عهد المتوكل فاقطعها عبد الله
بن عمر البازيار وروى انه كان فيها احدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه وآله بيده فكانت بنو فاطمة يهدون ثمرها
الى الحاج فيصلونهم من ذلك بمال جليل فبعث البازيار رجلا فصرمها وعاد الى البصرة ففلج وفي هذه القصة خبط كثير من الشيعة
ومخالفيهم ولكل من الفريقين كلام طويل لا يسع المتن نقله اشار بالنفوس التي شحت بها الى ابي بكر وعمر واتباعهما وبالنفوس التي
سخت بها الى وجوه بني هاشم ومن مال اليهم الناس ثم استفهم عما يصنع بفدك وغيرها من القنيات الدنيوية استفهام انكار

حاجته اليها وتسليه لنفسه عنها وجذبا لها عن الدنيا الى الاعمال الصالحة بذكر عليه النفوس منها وهي مصيرورتها الى الجنة تلك الغليظة لانقطاع الاثار وغيبة الاخبار فيها وسائر ما عدده من صفات الجنة وانما عدد هذه الامور لان الاوهام تنفر عنها وتخشع القلوب لذكرها فتفزع الى الله تعالى وتنجذب الى الاعمال الصالحة التي بها الخلاص من اهوال الموت وما بعده والواو في قوله والنفس للحال وفيه تنبيه على ان غذاءك وغيرها من قينات الدنيا لا حاجة اليها اشار الى حصر حاجته لنفسه وهي رياضتها بالتقوى والضمير كهو في قوله فيما سبق وانما هي الكوفة والتقدير وانما همتي وحاجتي رياضتها بالتقوى واعلم ان رياضة النفس تعود الى نهيها عن هواها وامرها بطاعة مولاها وهي ماخوذة من رياضة البهيمة منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها والزامها لما يراده وتمرينها على ما يوافق مراده من الحركات التي هي مبدأ الادراكات والافاعيل الحيوانية في الانسان اذا لم يكن لها طاعة القوة العاقلة ملكة كانت بمنزلة بهيمة لم ترض تتبع الشهوة تارة والغضب اخرى وغالب احوالها ان تخرج في حركاتها عن العدل الى احد طرفي الافراط والتفريط بحسب الدواعي المختلفة المتخيلة والمتوهمة وتستخدم القوة العاقلة في تحصيل مراداتها فتكون هي امارة والعاقلة مؤتمرة لها اما اذا راضتها القوة العاقلة ومنعتها عن التخيلات والتوهمات والاحساسات والافاعيل المثيرة للشهوة والغضب وبيّنتها على ما يقتضيه العقل العملي وادبتها على طاعته بحيث تأتمر بامرها وتنتهي لها كانت العقلية مطمئنة لا تنفعل انفعالات مخالفة لها وكانت باقي القوى مؤتمرة مسالمة لها اذا عرفت ذلك فنقول لما كان الغرض الاقصى من الرياضة انما هو نيل الكمال الحقيقي وكان ذلك موقوفا على الاستعداد له وكان حصول ذلك الاستعداد موقوفا على زوال الموانع الخارجية والداخلة كان للرياضة اغراض ثلاثة احدها حذف كل محبوب ومرغوب عدا الحق الاول سبحانه عن درجة الاعتبار وسبق الاشارة وهي الموانع الخارجية والثاني تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ليتجرد التخيل والتوهم عن الجانب السفلي الى العلوي ويتبعهما سائر القوى بزوال الدواعي الحيوانية المذكورة وهي الموانع الداخلية الثالث تنبيه السر وتوجيهه الى الجهة العالية لتلقي السوانح الالهية وحصولها ويعين على الغرض الاول الزهد الحقيقي وهو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها بالقلب وعلى الثاني العبادة المشفوعة بالفكر في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وعظمة الخالق سبحانه والاعمال الصالحة المنوية لوجهه تعالى فاشار عليه السلام بالتقوى التي يروض بها نفسه عن هذه الامور المعينة والاسباب المعدة وبيّن غرضه الاقصى من الرياضة وهو الكمال الحقيقي واللذة بذكر بعض لوازمه وهو ان يأتي نفسه آمنة من الفزع يوم الخوف الاكبر وهو يوم القيمة وان تثبت على جوانب المزلق وهو الصراط المستقيم فلا تميل بها الدواعي المختلفة عنه الى هاوية جهنم ومهاوي الهلاك واستعار لفظ المزالق لمظان زلل اقدام العقول في الطريق الى الله وجذب الميول الشهوية والغضبية عنها الى الرذائل الموبقة العاشرة تنبيه على ان زهده في الدنيا واقتصاره منها على الطمرين والقرصين وتركه ما سوى ذلك ليس عن عجز عن تحصيل طيبات مطعوماتها وملبوساتها ولو شاء لاهتدى الى تحصيل مال الطيبات ولباب القمح ومصفى العسل لان الطريق والعمل من اشتهى الطيبات ممكن والمجاز فانما تركه مع القدرة عليه رياضة لنفسه واعدادا لها لتحصيل الكمالات الباقية واستثنى هنا بنقيض اللازم وهو عدم غلبة هواه لعقله وعدم قود جشعه له الى تخير الاطعمة

على ذلك العدم بقوله هيهات فانما استبعده وقوعه من نفسه وانكره فعدم غلبة هواه عليه وحكم بعدمه ولان ذلك العدم هو نقيض الملزوم فان الملزوم هنا هو المشية لتخير الطيبات وغلبة الهوى العقل على مقتضى رايه في تركها والتنزه عنها وقود الشهوة الى الواقعة على استعمالها والمستثنى هو عدم ذلك بعينه واما جواز استثناء نقيض المقدم فلان مشيئة تلك شرط ساد والتخير ولا اهتداء اليها وكان عدمه مستلزما لعدم شرطه واكثر استعمال لو في لغة العرب على وجه ان الملزوم علة للازمه او شرط سابق له ويستثنى نقيض الملزوم والواو في قوله ولعل الحال اي هيهات ان يغلبني هواي ولا تخير الاطعمة والحال انه ما يحتمل ان يكون بالحجاز واليمامة من هو بصفته كذا وقوله او ابيت عطف على يقودني داخل فيما استبعده من نفسه والواو في قوله وحولي الحال والعامل ابيت وكذا قوله او ان اكون عطف على ابيت وهما لازمان من لوازم نتيجة القياس الاستثنائي فان عدم ارادته لتخير الطيبات ملزوم عدم تناولها واستمتاعه بها المستلزم لذلك ان لا يبيت مبطانا وحوله اكباد جائعة وان لا يلحقه عار بذلك والبيت يمثل غرضه التنفير عن العار اللازم عن الاستمتاع بالطيبات مع وجود ذوي الحاجة الى يسير الطعام ونبه على حسن هذه اللوازم بما قارن هذه منها من الاحوال المذكورة والبيت لحاتم بن عبد الله الطائي من قطعة اولها ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس النهد اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست آكله وحدي قصيا بعيدا فاني اخاف مذمات الاحاديث من بعدي كفى بك عارا ان تبيت ببطنة وحولك اكباد تحن الى القد واني لعبد الضيف ما دام ثاويا وما في الا هذه شيمة العبد ويروى حسبك داء واطلق عليه اسم الداء باعتبار انه رذيلة تنفر اعنقوا قوله اواحب وقوله او اكون مرفوعين والوجه فيه ان لا يكون او حرف عطف بل تكون الهمزة للاستفهام والواو بعدها كالفاء في قوله تعالى أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ ويكون استفهاما انكاريا لما سبق ما لو كون كما قال القائل وكذلك في قوله اقنع من نفسي في معرض الانكار لرضاه نفسه بان يدعى امير المؤمنين ولا يشاركهم في مكاره الدهر وجشوبة والواو في قوله ولا الحال او اكون عطف على اشاركهم في حكم النفي الحادي عشر تنبيه على بعض العلل الحاملة له على ترك الطيبات والزهد في الدنيا وهو كونه لم يخلق ليشغله اكل الطيبات عما اراد منه وذلك في قوله فما خلقت الى قوله وتغرض الاشتغال باكل الطيبات بذكر ما يلزم المشتغل بذلك من مشابهة البهيمة واشار الى وجه الشبه بقوله همها علفها الى قوله يراد بها وذلك ان المشتغل بها لا يكون غنيا الشبه البهيمة المعلوفة في اهتمامه بما يعتلفه من طعام الخاص وكذلك من كان اهتمامه بما يكتسبه ويقمه من حطام الدنيا ثم يعتلفه ويملأ به كرشه مع غفلته عما اريد منه كالسائمة التي همها الا تقممه من الكناسات مع غفلتها عما يراد بها من ذبح واستخدام واستعار لفظ الحبل وحسن وكنى بذلك عن الاهمال والارسال كما ترسل البهيمة الثاني عشر اشار الى بعض ما عساه يعرض للاذهان الضعيفة من الشبهة وهي اعتقاد ضعف عن قتال الاقران بسبب ذلك القوت المزهود فيه بقوله وكاني الى قوله الشجعان ثم نبه على الجواب عن ذلك من خمسة اوجه الاول التمثيل الشجرة والفرع هو عليه السلام والشرك الجامع بينهما هو قلة الغذاء وجشوبة المطعم كقلة غذاء الشجرة البرية وسور عيشها والحكم عن ظاهر هو صلابة اغصانه وقوته كصلابة عود الشجرة البرية وقوتها اذ ذلك دائم الشبهة المذكورة الثاني تمثيل خصومه واقرانه كصور الخضرة وهي الاصل في هذا التمثيل والفرع هو خصومه واقرانه والشرك الجامع بينهما هو الخضرة والنضارة الحاصلة عن الترفه في

والحكم اللازم عن ذلك هو رقة الجلود ولينها او الضعف عن المقاومة وقلة الصبر على المنازلة والميل الى الدعة والرفاهية والغرض
ان يعلم كون اقرانه اضعف منه فيندفع الشبهة الثالث تمثيله بالنابتات العذية وهو كتمثيله بالشجرة البرية والحكم هاهنا هو
كونه اقوى على سعير نار الحرب واصبر على وقدها وابطأ فتورا فيها وخمودا كالنابتات العذية في النار الرابع تمثيله
من رسول الله صلى الله عليه وآله بالضوء من الضوء واصل هذا التمثيل هو الضوء وفرعه نسبة نفسه من رسول الله
صلى الله عليه وآله وعلته الجامعة هي كون علومه وكمالاته النفسانية المشرقة مستفادة ومقتبسة من مصباح
علم النبوة وكمالاتها كالمعلول من العلة والمصباح من الشعلة الخامس تمثيله منه صلى الله عليه وآله بالذراع من العضد
والاصل فيه الذراع مع نسبته الى العضد والفرع هو عليه السلام منسوبا الى رسول الله والعلة الجامعة هي قرب رتبته
به وكونه ظهيرا له ووسيلة الى حصول مقصوده من تمام الدين وكماله وكون الرسول صلى الله عليه وآله اصلا في ذلك كالذراع
الذراع من العضد وكون العضد اصلا له وكون الذراع وسيلة الى التصرف والبطش بالعضد والحكم في هذين التمثيلين
واحد وهو كونه عليه السلام لا يضعف عن قتال الاقران ومنازلة الشجعان ووجه لزوم هذا الحكم عن المشترك الاول انه لما
كانت علومه اليقينية وبصيرته في الدين يناسب بصيرة رسول الله صلى الله عليه وآله كان ذلك اعظم اسباب شجاعته
ويقوى على قتال الاقران حمية للدين وكذلك عن المشترك والثاني انه لما ثبت ذلك الحكم ونفى عنه الضعف المتوهم فيه اكد ذلك
البيان انه لو تظاهرت على قتاله العرب لما ولى عنها ولو امكنت الفرصة من رقابها لسارع اليها اي حين القتال واستحقاقهم
المعهود منهم ملاحظة الشبه برسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك في مبدء الاسلام فانه لم يكن ليمنع العفو الا في
في يوم واحد من بني قريظة الف انسان صبرا في مقام واحد لما رأى في ذلك من مصلحة الدين الثالث عشر قوله وان يجتهد في تطهير
الارض من هذا الشخص المعكوس والجسم المركوس واراد معوية وانما قال شخصا وجسما ترجيحا لجانب البدن على النفس اعتبارا
عليه بكمال بدنه دون كمال نفسه فكانه جسم وشخص فقط واشار بكونه معكوسا ومركوسا الى انعكاسه عن الجهة العالية
وانتكاسه عن تلقي الكمالات الروحانية الى الجهة السافلة وارتكاسه في الدنيا وانعكاس وجه عقله الى تحصيلها ولذاتها
والاعتناء بجمعها فان غرض العناية الالهية من خلق الانسان ان يترقى في مدارج الكمال بعد حفظ فطرته الاصلية عن الرذائل
ورذائل الاخلاق فاذا اجتذبته دواعي النفس الامارة الى الدنيا وغرته بزهرتها حتى التفت اليها لم يزل ينحط في دركات محبتها
وبحسب ذلك يكون انتكاسه عن مراتب الكمال وارتكاسه في الرذائل ومهاوي الضلال ويعبر عنها بالسلاسل والاغلال
وقوله حتى يخرج المدرة من بين حب الحصيد استعار لفظ المدرة لمعوية وحب الحصيد للمؤمنين ووجه المشابهة ان تخلص
من وجود معوية بينهم ان يكون ايمانهم ويستقيم دينهم اذ كان وجوده فيهم سببا عظيما لفساد عقائدهم وهلاك دينهم كما
يفعل اهل البيادر من تصفية الغلال واخراج ما يشوبها ويفسدها من المدر وغيره وقال الشارح عبد الحميد بن ابي الحديد كان
لان الزراع يجتهدون في اخراج المدر والحجر والشوك ونحوه من بين الزرع كيلا يفسد منابته فيفسد ثمرته وقد غلط لانه ليس
لاخراج الطين من الزرع ولان لفظ حب الحصيد لا يفهم منه ذلك الرابع عشر تمثيل الدنيا بصورة من يعقل وخاطبها بخطاب
العقلاء ليكون ذلك اوقع في النفوس لغرابته ثم امرها بالتنحي والبعد عنه كالمطلق لها وجعل حبلها على غاربها كناية عن الطلاق

ان الناقة اذا اريد اهمالها للرعي وضع حبلها على غاربها فضرب مثلا لكل من اهمل واطلق عن الحكم ثم جعلها ذات مخالب
بالكناية عن كونها كالاسد يفترس بها الانسان بما فيها من الشهوات والقينات الى الهلاك الابدي كما يجر الاسد فريسته
وكذلك جعلها ذات حبائل وكنى بهذا الوصف المستعار عن كونها تصيد قلوب الرجال بشهواتها الوهمية بواسطة تلك الحبائل
الصائد واستعار لفظ مداحض لشهواتها ولذاتها ايضا باعتبار كونها من الزلل بها والعدول عن طريق الله ومصارع
وعبر بجميع ذلك عن زهده فيها وابعادها عن نفسه ثم اخذ في سؤالها عن القوم الذين غرتهم بمداعبها والامم الذين فتنتهم بزخارفها
سؤالا على سبيل التوبيخ لها والذم على فعلها اذ ذلك منه في معرض التنفير عنها وهو من قبيل تجاهل العارف واستعار لها
لفظ المداعب جمع مدعبة بمعنى دعابة ووجه المشابهة انها عند صفائها ولذاتها للخلق واغرائهم بها ثم كرها عليهم بعد ذلك
بالامر الجد تشبه من يمزح مع غيره وينبسط معه بالاقوال والافعال اللينة ليغتر به ثم ياتيه بعد ذلك بالامر الجد فيؤذيه
او يهلكه كما بما انسا الغرور اليها الكون تاسيا مابينا الذلك وفي نسخة الرضي رحمه الله غررتيهم باثبات الياء ووجهها انها
حدثت من اشباع الكسرة الخامس عشر اشار الى غايتهم التي صاروا اليها وهي كونهم رهائن القبور ومضامين اللحود
في ذلك على ان غرورهم وفتنتهم بها لم يخلصهم من هذه الغاية كل ذلك لغرض التنفير عنها وهاء للتنبيه واستعار لفظ
الرهاين لهم باعتبار كونهم موثقين في القبور باعمالهم كالرهن ويحتمل ان يكون حقيقة ويكون رهينة بمعنى راهنة
وهي الاشخاص المقيمة بقبورها السادس عشر اقسم انها لو كانت شخصا مرئيا وقالبا حسيا لاقام عليها حدود الله في
عباد غرتهم بالاماني واوردتهم موارد البلاء حيث لا ورد ولا صدر اي ان تلك الموارد ليس من شانها ان يكون لها
ورود وصدور منها اصدره ثم لما كان في هذا الخطاب كالمعلم للسامع فبان اطلع على خداعها وغرورها قال كالمؤيس لها من نفسه
اي بعدا عني اغربي بك وركوني اليك غرضه على بعض اهل الجاهلية للبعد عنها والنفرة عن قربها وهي ماتلين من
دحضها من الزلق وركوب لججها من الغرق والازورار عن حبائلها من التوفيق للسلامة وما يلزم السالم منها من عدم
لضيق مناخه وكل مناخ اناخ به من قصر وعي وبرص وبلاء بعيد السلامة منها فهو فسيح رحب بالقياس الى مابين
النفس فسعتها والجرى في ميادين شهواتها من العذاب الاليم في الاخرة ومن عدم في القصر وعدم الالتفات اليها
كونه حال انسلاخه والفاظ المداحض واللجج والحبائل مستعار لشهواتها ولذاتها فالاول باعتبار كون شهواتها مظنة
ان يعثر الانسان عند استعمالها الى الاستكثار منها وتجاوز القدر المعتدل الى المحرم فمن اقدم نفسه عن صراط
الله فيقع في مهاوي الهلاك والمآثم والثاني باعتبار ان مطالبها والامال فيها غير متناهية فمن لوازم المشتغل بها و
المنهمك في لذاتها ان تغرق نفسه في بحر لا ساحل له فينقطع عن وصوله حينئذ الى الهلاك الابدي كالملقي نفسه في
بحر لجي والثالث باعتبار ان الانسان اذا اغتر بها وحصل في حبائلها عاقته على النهوض والتخلص الى جناب
ومنعه ان يطير بجناحي قوته العقلية في حضرة قدس الله ومنازل الاولياء الابرار كما يعوق حبائل الصائد جناح الطائر
ولفظ الوطي والركوب والزلق والغرق ترشيح ثم كرر الامر لها بالبعد عنه واقسم انه لا يذل لها فتذله ولا يسلس لها قيادا
فتقوده وفيه تنبيه على انه لا يذل لها الا من اذل نفسه وعبدها لها ولا يملك الانقياد من سلس لها قياده وهو حال الانسان

مادام قلعة القوة الحيوانية متصرفا بها بل زمام عقله فانه من المحال ان يزول الدنيا ويستعبد اهلها ومهما اتبع شهوته فيما
تمثل اليه فانها تمزقه اشد تمزيق وتستعبده اقوى استعباد كما قال عليه السلام عبد الشهوة اذل من عبد الرق واستعار
وصف السلاس القياد للتسهيل في متابعة النفس الملائمة للنفس الامارة وعدم التشدد في ضبطها باستعمال العقل
عن متابعتها التاسع عشر اقسم ليروضن ما يهتم عزمه عليه وهو بصدده من رياضة نفسه ووصف تلك الرياضة في
قوتها باستلزام امرين احدهما كون نفسه تهش معها الى القرص وترضى به اذا قدرت عليه مطعوما وتقنع بالملح
مادوما وتلك رياضة القوة الشهوية ولما كانت اكبر عدو للنفس واكثر الفساد يظهر بسببها خصها بالذكر وقوى العزم
ويحتمل ان يريد رياضة جميع القوى وانما وصفها بكون النفس تهش معها الى القرص لان ضبط الشهوة اعظم من ضبط
ساير القوى واصعب وكانت الاشارة الى ضبطها الى الحد المذكور ابلغ في وصف الرياضة بالشدة واستثنى في يمينه
المشية ادبا لقوله تعالى وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وتنبيها على استناد جميع الامور في سلسلة الحاجة
الى الله تعالى الثاني كونه يدع مقلته في تلك الرياضة كعين ماء نضب ماؤها ووجه الشبه ان يفني دموعها ويستفرغها بالبكاء شوقا
الى الملا الاعلى وما اعده لاولياء الله من السعادة الابدية وخوفا من حرمانها ومن كان في مقام الغربة ومحل الوحشة كيف لا يشتاق
الى وطنه الاصلي ومقام انسه الاول ومطعوما ومادوما ومستقرعه احوال ثم اخذ في تمثيل نفسه بالسائمة والربيضة على
تقدير ان يرضى بمثل حالها وغايتها من الدنيا في معرض الانكار لذلك الرضا من نفسه والاصل في التمثيل البهيمة والفرع هو عليه
السلام والمشترك الجامع هو الرعي والشبع والحكم هو البروك والنوم والراحة ولما كان الاصل المقيس عليه في غاية من الخسة
بالقياس الى الانسان الكامل استلزم ذلك التشبيه برتبة النفس عما يستلزم التشبيه به من الصفات وقوله قرت اذن عينه
اخبار في معرض الانكار والاستهزاء باللذة كقوله تعالى ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ الثامن عشر تنبيه على ان النفس اذا كانت بالصفات
المذكورة فلها استحقاق طوبى وجمع في تلك الصفات اكثر مكارم الاخلاق فالاول القيام بواجب طاعة الله وما افترضه
عليها اقوله وعركت بجنبها بؤسها كناية عن الصبر على نزول المصائب يقال عرك فلان بجنبه الاذى اذا اغضى عنه
وصبر على فعله ويستلزم ذلك عدة فضائل كالحلم والكرم والعفو والصفح والتجاوز وكظم الغيظ واحتمال المكروه في
ويحوها الثالث ان تهجر بالليل غمضها وهو كناية عن احياء ليلها بعبادة ربها واشتغالها بذكره حتى اذا غلب النوم عليها
افترشت ارضها وتوسدت كفها اي لم يكن لها كلفة في تهيئة فراش وطيب وسادة وكانت بريئة من كل كلفة خارجة عن كل قيد مترهة
تركت وقوله في معشر يصلح تعلقه بكل من افعال النفس المذكورة اي فعلت هذه الافعال في جملة معشر من شانهم كذا ثم وصفهم بصفات
اربع احدها كونهم اسهر عيونهم خوف معادهم الثاني وتجافت جنوبهم عن مضاجعهم وهو كناية عن اشتغالهم بليلا بعبادة ربهم
تعالى تجافي جنوبهم عن المضاجع الثالث همهمت بذكر ربهم شفاههم كقوله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا الرابع وتقشعت
استغفارهم ذنوبهم وهو لازم من الثلثة الاولى وثمرتها واستعار لفظ التقشع لانمحاء ذنوبهم ووجه المشابهة ان الذنوب الهيئات
البدنية في تسويدها الالواح النفوس وتغطيتها وحجبها عن قبول انوار الله تعالى تشبه السحاب المترتبة الحاجبة لوجه الارض من قبول
الشمس والاستعداد بها للنبات بشره فاستعار لزوالها وانمحائها من الواح النفوس لفظ التقشع كل ذلك للترغيب في طاعة الله

الى الدخول في زمرة اوليائه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى بعض عماله اما بعد فانك ممن استظهر به على اقامة الدين واقمع به
نخوة الاثيم واسد به لهاة الثغر المخوف فاستعن بالله على ما اهمك واخلط الشدة بضغث من اللين وارفق ما كان الرفق ارفق واعتزم بالشدة
حين لا تغني عنك الا الشدة واخفض للرعية جناحك والن لهم جانبك واس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحية حتى لا يطمع العظماء
في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلم **اقول** النخوة الكبر والاثيم الاثم والضغث النصيب من الشيء المختلط بغيره واصله
القبضة من الحشيش المختلط رطبه ويابسه واعتزم ركبه اي لزمه واخذ به وقد استمال الاولا باشور ثلثة اطمعه بها ان
نفسه واعده لقبول الاوامر وهي كونه ممن يستظهر به على اقامة الدين وتقمع به نخوة الاثيم وتسد به الثغر المخوف واستعار لفظ اللهاة
لما عساه يلج من مفاسد الثغر فيحتاج الى سده بالعسكر والسلاح ملاحظة لشبهه بالاسد الفاتح فاه للافتراس ثم ارشده بعد ذلك
امور من مكارم الاخلاق اولها ان يستعين بالله على ما اهمه من امور فان الفزع اليه والاستعانة به افضل على ما اعان على حصول المهمات
الثاني ان يمزج الشدة بضرب من اللين ويضع كلا موضعه فيرفق ويلين ما كان الرفق اولى به واوفق له ويلزم الشدة حين لا يغني الا
الشدة الثالث ان يخفض جناحه لرعيته وهو كناية عن لقائهم بالبشاشة والبشر وترك العبوس والتقطيب الخامس ان يلين لهم جانبه
وهو كناية عن المساهلة معهم وعدم التشدد عليهم السادس ان يواسي بينهم في اللحظة والنظر والاشارة والتحية حتى
النظرة وهو امر بفضيلة العدل بين الرعية لئلا يطمع عظيمهم في حيفه على الضعيف فيتسلط عليه ولا ييأس الضعيف من عدله
على القوي فيضعف نفسه وبكل ما هو بصدده من الاعمال المصلحة وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلام** للحسن والحسين عليهما
السلم لما ضربه ابن ملجم لعنه الله اوصيكما بتقوى الله وان لا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تاسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا بالحق
واعملا للاجر وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا اوصيكما وجميع ولدي واهلي ومن بلغه كتابي هذا بتقوى الله ونظم امركم
وصلاح ذات بينكم فاني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله يقول صلاح ذات البين افضل من عامة الصلوة والصيام
الله الله في الايتام فلا تغبوا افواههم ولا يضيعوا بحضرتكم والله الله في جيرانكم فانهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا انه
سيورثهم والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم والله الله في الصلوة فانها عمود دينكم والله الله في بيت ربكم لا تخلوه
ما بقيتم فانه ان ترك لم تناظروا والله الله في الجهاد باموالكم وانفسكم والسنتكم في سبيل الله وعليكم بالتواصل والتباذل واياكم
والتدابر والتقاطع لا تتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم اشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم ثم قال عليه السلم يا بني
عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين الا لا تقتلن بي الا قاتلي انظروا اذا انا مت من ضربته
هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا يمثل بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور
اقول غب كذا اذا ورد واغباب افواههم ان يطعموهم يوما ويتركوهم يوما والمناظرة المحافظة والمراقبة والتدابر التقاطع والتقاطع و
والمثلة التنكيل وقد اوصاهما بامور اولها تقوى الله التي هي راس كل خير الثاني الزهد في الدنيا وان لا يريداها وان ارادتهما اي
طلبتهما بما يعديهما خيرا واستعار لفظ البغي لها باعتبار كونها طالبة لهما من توافق اسباب خيرها لهما ووجه ذلك الاعتبار كالطالب
لهما الثالث ان لا ياسفا على ما قبض وغيب عنهما من خيراتها وهو من لوازم الزهد الحقيقي فيها الرابع ان يقولا الحق وهو ما ينبغي قوله
من اوامر الله ونواهيه وان يعملا للاجر الاخرة اي يكون اقوالهما واعمالهما مقصورة على هذين الخامس ان يكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا

عن التواضع الرابع انه يبسط لهم وجهه
وهو كناية عن لقائهم بوجهه

بلغ

وذلك من لوازم قول الحق والعمل به اذ من كان على جادة العدل فلا بد ان يجانب الظالم المنحرف الى طرف الجور ويخاصمه ليرده الى فضيلة العدل فيكون
حينئذ عدوا للظالم وعونا للمظلوم ثم عاد موكدا الوصية بهما لجميع ولده واهله ومن بلغه كتابه من عباد الله بتقوى الله ونظم امرهم واصلاح ذات البين
صلاح ذات البين وذات كناية عن الحالة الموجبة للبين والافتراق وقيل هي الحالة بين الرجلين والقبيلتين او الرجل واهله اي اصلاح ما
من فساد وقيل يحتمل ان يريد بالبين هنا الوصل وبالذات النفس اي اصلحوا انفس وصلكم من فساد يقع فيه وقيل ان ذات هنا بمعنى
زائد ونحوه قوله تعالى فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وصلاح ذات البين من لوازم الالفة والمحبة في الله وهي فضيلة تحت العفة ثم اكد
في ذلك بما رواه سماعا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله صلاح ذات البين افضل من عامة الصلوة والصيام ووجه الافضلية
هنا انك علمت فيما سلف ان اهم المطالب للشارع صلى الله عليه وآله جمع الخلق على سلوك سبيل الله وانتظامهم في سلك دينه ولن يتم
مع تنازعهم وتنافر طباعهم وثوران الفتنة بينهم وكان صلاح ذات بينهم مما لا يتم اهم مطالب الشارع الا به وهذا المعنى غير موجود
في الصلوة والصيام لامكان المطلوب المذكور بدونهما فتحققت افضليته من هذه الجهة وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما
كان كذلك فهو اولى بان يفعل الثاني حذره من الله تعالى في الايتام ونهى عن اضاعتهم وكنى عنها باغباب افواههم اذ هو مظنة جوعهم
عن اضاعتهم ويستلزم ذلك النهي الامر بمراعاتهم والاحسان اليهم وهو فضيلة تحت العفة الثالث الوصية في الجيران والتحذير من الله
فيهم ونبه على حفظ قلوبهم واكرامهم بوصية الرسول صلى الله عليه وآله في حقهم وجعلهم نفس الوصية تاكيدا لها فقط حتى جعلهم
كالمحافظة على وصية الرسول صلى الله عليه وآله والمجاز من باب اطلاق اسم المتعلق وقوله ما زال الى قوله سيورثهم تفسير للوصية
المذكورة وهي ايضا في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من اوصى النبي في حقه كذلك فهو اولى ان يحفظ الرابع الوصية بما اشتمل
عليه القرآن الكريم من القوانين والقواعد والتحذير من الله سبحانه في تركه والنهي عن ان يسبقهم بذلك غيرهم المستلزم
للامر بالمسارعة والسبق اليه الخامس الوصية بامر الصلوة والتحذير من الله في امرها ونبه على فضيلتها بضمير صغراه قوله فانها
عمود الدين وهو خبر رويناه من الحديث قبل وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فهو احرى ان يعمر الدين باقامته السادس
الوصية ببيت ربهم والنهي عن تركه [illegible] ونبه على فضيلة المحوي له بوجوب ملازمته وهو ما
تركه من عدم مناظرة الله لتاركيه وترك محافظته عليهم ومراقبته لان من لا يحفظ الله في بيته ويراقبه في مراعاة جانبه
لم يحفظه الله ولم يراقبه ويحتمل ان يريد لم يناظركم الاعداء ولم يراقبوكم اذ في الاجتماع على بيت الله والمحافظة عليه
والاعتصام به موجب مراقبة الخالق للمعتصمين به وانفعال القلوب عنهم وعن كثرتهم ومناظرتهم السابع الوصية بالجهاد
في سبيل الله بالمال والنفس واللسان والتحذير من الله في تركه وهو فيما علمت فضيلة [illegible] الثامن الوصية بالتواصل
اي يبذل كل منهم النصرة لصاحبه في سبيل الله التاسع التحذير من التقاطع والتدابر وسره ظاهر العاشر النهي عن ترك
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر المستلزم للامر بهما ونفر عن ذلك الترك بما يستلزمه من تولي الاشرار عليهم وعدم استجابة دعاء
الداعين منهم ووجه استلزامه لذلك ان ترك الاجماع على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يستلزم ثوران المنكر وقلة المعروف
الاشرار ويعد لاستيلائهم وغلبتهم وولاية اهلها وذلك يستلزم كثرة الشر والاشرار وقلة الصالحين وضعف هممهم عن استنزال رحمة الله
تعالى بادعيتهم فيدعون فلا يستجاب لهم ثم عقب ذلك بوصية اهل بيته من بني عبد المطلب بما يخصه من امر دمه والوصية بامور

نهاهم عن مثل الفتن بسبب قتله فقال لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون قتل امير المؤمنين حكاية لمن يتبع الجهالة
ان يقول لطالب الثارات هياجه لاظهار الحقد وطلب السبب للقتل ثم اكد النهي الثاني نهاهم ان يقتلوا الا قاتله اذ ذلك هو مقتضى العدل
الثالث نبههم بقوله انظروا الى قوله ضربة بضربة على انه لا يجوز قتله بمجرد ضربه ان لو حصل الموت بسبب غيرها الا ان يعلم انه هو كان
بسببها الرابع امرهم ان يضربوه ضربة بضربة وذلك مقتضى عدله عليه السلام ايضا الخامس نهى عن التمثيل به معللا بما رواه
سماعا من رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك لما في المثلة من تعدي الواجب وقسوة القلب وشفاء الغيظ وكل ذلك رذائل يجب
الانتهاء عنها وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عنه فهو احرى ان لا يفعل وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى معوية وان البغي والزور يوتغان المرء في دينه ودنياه ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت انك
غير مدرك ما قضي فواته وقد رام اقوام امرا بغير الحق فتاولوا على الله فاكذبهم فاحذر يوما يغتبط فيه من احمد عاقبة عمله
ويندم من امكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه وقد دعوتنا الى حكم القرآن ولست من اهله ولسنا اياك اجبنا ولكنا اجبنا القرآن

اقول هذا الفصل من كتاب له اليه بعد التحكيم وتمسك معوية بحكم الحكمين ويحتمل ان يكون عند طلبه التحكيم والوتغ
بالتحريك الهلاك واوتغ فلان دينه بالاثم اهلكه وافسده وفي نسخة الرضي رحمه الله يذيعان اي يظهران والغبطة السرور
تمني مثل حال الغير وصدر الفصل بذكر الظلم والكذب والتنفير عنهما بما يلزمهما من اهلاك دين المرء ودنياه وابداء خلله
وعيبه لمن يعيبه اما دينه فلكونهما رذيلتين مضادتين للعدل والعفة ومجانبتين للايمان والدين واما في دنياه فلان
اعظم مطالب الدنيا للعقلاء الذكر الجميل وانما يحصل بظهور مكارم الاخلاق دون رذائلها واراد بما قضى فواته امر
شبهه له في محاربته وهو الطلب بدم عثمن وهو في قوة صغرى ضمير احتج به على وجوب ترك المنافرة وتقدير كبراه وكل من كان كذلك
تعين عليه ان يترك ذلك الطلب ثم اعلمه بحال من طلب امرا باطلا وتاول على الله وذلك للاشارة الى اصحاب الجمل حيث كان طلبهم للامر
فتاولوا على التعدي على سلطان الله وهي الخلافة الحقة فجعلوا الحرب حجتهم وجنيهم عليها تاويلا وهو الطلب بدم عثمن ونحوه من
الشبه الباطلة فاكذبهم الله بنصره عليهم ورد مقتضى شبههم والاكذاب كما يكون بالقول كذلك يكون
بالفعل وقال القطب الراوندي رحمه الله معناه وقد طلب قوم امر هذه الامة فتاولوا القرآن كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولي الامر منكم فسموا من نصبوه من الامراء اولي الامر متحكمين على الله فاكذبهم الله بكونهم ظالمين بغاة ولا يكون
الوالي من قبل الله كذلك ثم حذره يوم القيمة منبها له على ما فيه من سرور الذين حمدوا عاقبة اعمالهم بما حصلوا عليه
من السعادة الباقية او اغتباط غيرهم لهم وتمني مثل مراتبهم وندم من امكن الشيطان من قياده فصرفه كيف شاء ولم
يجاذبه واستعار لفظ التمكين من القياد لمطاوعة النفس الامارة وغرض التحذير ان لا يكون ممن سول له الشيطان هذا الامر على
الله وقوله دعوتنا الى آخره جواب سؤال والجواب عنه وكونه ليس من اهله لكونه ليس اهلا للامامة كما سبق بيانه مرارا وحيث لم يكن
اهلا لان يجاب الى الرضى بالتحكيم اجابه بذلك وانما اجاب القرآن الى حكمه وذلك في قوله تعالى في حق الزوجين وان خفتم
شقاق بينهما الآية فجعل عليه السلام هذا اصلا وقاس عليه بطريق الاولى حال الامة عند وقوع الشقاق بينهم وبعين ذلك
احتج ابن عباس رضي الله عنه على الخوارج حيث انكروا التحكيم فقالوا كيف يجوز لعلي ان يحكم في دين الله الرجال فقال لهم ان الله تعالى

بامر علي وانما هو بامر من الله تعالى في كتابه اذ يقول في حق الزوجين وان خفتم الآية فمن الله تعالى امر بذلك في حق الرجل والمرأة
مراعاة لمصلحتهما ولا بأس بذلك في حق الامة رعاية لمصلحتهم فرجع كثير منهم الى قوله وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم**
الى غيره ◦ اما بعد فان الدنيا مشغلة عن غيرها ولم يصب صاحبها منها شيئا الا فتحت له حرصا عليها ولهجا بها ولن يستغني (معويه)
صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما ابرم ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي والسلم
اقول اللهج الحرص الشديد وصدر الكتاب بالتنبيه على معايب الدنيا لتقل الرغبة فيها وذكر منها امورا الاول كونها مشغلة
عن غيرها اي عن الآخرة وهو ظاهر الثاني كونها لم يصب صاحبها منها شيئا الا كان ذلك معدا للحرص عليها واللهج
بها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله لو كان لابن آدم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب
الثالث كونها لا يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها وذلك من لوازم العيب الثاني فان حصول بعضها لما كان
معدا للنفس اليها لم يستغن طالبها ابدا منها ثم اردف ذلك بذكر امور للتنفير عنها ايضا احدها استعقابها الفراق لما جمع
منها الثاني نقض ما احكم من امورها ثم نبه على وجوب الاعتبار بما مضى من العمر او من احوال الدنيا والقرون الماضية
لغاية حفظ ما بقي من العمر ان يضيع في الباطل او حفظ ما بقي من السعادة الاخروية بالسعي في تحصيلها وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلم الى امرائه على الجيوش ◦ من عبد الله علي امير المؤمنين الى اصحاب المسالح ◦ اما بعد فان حقا على
الوالي ان لا يغيره على رعيته فضل ناله ولا طول خص به وان يزيده ما قسم الله له من نعمه دنوا من عباده وعطفا على
اخوانه الا وان لكم عندي الا احتجز دونكم سرا الا في حرب ولا اطوي دونكم امرا الا في حكم ولا اؤخر لكم حقا عن محله ولا
اقف به دون مقطعه وان تكونوا عندي في الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة وان
لا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وان تخوضوا الغمرات الى الحق فان انتم لم تستقيموا لي على ذلك لم يكن احد اهون علي (انهم)
ممن اعوج منكم ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة فخذوا هذا من امرائكم واعطوهم من انفسكم ما يصلح
الله به امركم والسلم **اقول** احتجز امتنع والنكوص الرجوع على الاعقاب والغمرة الشدة واعلم انه قدم هاهنا ما يجب على
المطلق لرعيته توجيه كلي كما هو عادة الخطيب ثم ثنى ببيان ما يجب عليه لهم تفصيلا لذلك الكلي ثم ما يجب عليهم
له ثم امرهم بلزوم ما وجب عليهم اما الاول فقوله اما بعد الى قوله اخوانه واشار فيه الى امرين احدهما ان لا يغيره
ما اختص به من الفضل والطول لان تغيره عنهم خروج عن شرائط الولاية الثاني ان تزيده تلك النعم من الله دنوا
من عباده وعطفا على اخوانه لان ذلك من تمام شكر النعمة واما الثاني فاشترط على نفسه لهم خمسة امور احدها ان لا يحتجز
دونهم سرا في الامور المصلحية الا في الحرب ويحتمل ترك مشورتهم هناك لامرين احدهما ان اكثرهم لا يحب الحرب
فلو توقف على المشورة فيه لما استقام امرها ولذلك كان عليه السلم كثيرا ما يحملهم على الجهاد ويتضجر من تثاقلهم عنه
وهم له كارهون كما سبق الثاني ان يكتم ذلك خوف انتشاره الى العدو فيكون سبب استعداده وتأهبه للحرب ولذلك
كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا اراد سفرا الى الحرب ورى بغيره كما روي انه لما نوى غزاة بدر كتب للسرية كتابا
وامرهم ان يخرجوا من المدينة الى صوب مكة يومين او ثلثة ثم ينظروا في الكتاب ويعملوا بما فيه فلما ساروا المدة نظروا

فيه

فيه فاذا هو يأمرهم فيه بالخروج الى نخلة محمود وان يفعلوا كذا وكذا ففعلوا وخرج النبي عليه السلم خلفهم الى بدر وكان الظفر لهم
ولو اعلمهم عليه السلم حين امرهم بالخروج انه يسير الى قريش لانتشر ذلك الى قريش وكان استعدادهم لهم اقوى وجاز ان يكون ذلك ايضا
لتثاقل بعض الصحابة عن النهوض خوفا من اهل مكة وشوكتهم الثاني انه لا يطوي دونهم امرا الا في حكم استعار لفظ الطي لكتمان الامر اي لا يخفي
عنكم امرا الا ان يكون حكما من احكام الله فاني اقضيه دونكم من غير مراقبة ومشاورة فيه كالحدود ونحوها الثالث ان لا يؤخر
لهم حقا عن محله كالعطاء وسائر الحقوق اللازمة له ولا يقف به دون مقطعه كالاحكام المتعلقة بالمتخاصمين المحتاجة الى
الفصل الرابع ان يسوي بينهم في الحق والاولان مقتضى فضيلة الحكمة والثالث والرابع مقتضى فضيلة العدل واما الامر
الثالث مما يستحقه عليهم فبدأ بوجوب حق الله تعالى لانه لولا تكامل حكم قضائه بنصبه لهم اماما وفعله بهم ما ذكر من اتمام نعمته
عليهم ثم ثنى بما يجب له وذكر امورا احدها بذل طاعته اذ لا حجة لهم عليه فيكون سبب العصيان ثم الثاني ان لا ينكصوا عن دعوة
لما اداه عليهم وهو من تمام الطاعة الثالث ان لا يقفوا في حيز التفريط في مصلحة يراها او يبديها لهم الرابع ان يخوضوا الغمرات
ويركبوا الشدائد في نصرة الحق وطلبه ثم اردف ذلك بالوعيد لهم ان لم يستقيموا له على ما اوجب له عليهم مما عدده بوعيدين
بامرين احدهما هوان المعوج منهم عن طاعته عليه وسقوطه من عينه والثاني اعظام العقوبة له وعدم الرخصة فيها عنده
ثم بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان يأخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله
به امورهم من الطاعة وفضل المروة وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى عماله على الخراج ◦ من عبد الله علي امير المؤمنين الى
اصحاب الخراج ◦ اما بعد فان من لم يحذر ما هو صائر اليه لم يقدم لنفسه ما يحرزها واعلموا ان ما كلفتم يسير وان ثوابه كثير ولو لم يكن فيما نهى
الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه فانصفوا الناس من انفسكم واصبروا
لحوائجهم فانكم خزان الرعية ووكلاء الامة وسفراء الائمة ولا تحشموا احدا عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته ولا تبيعن للناس
في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبدا ولا تضربن احدا سوطا لمكان درهم ولا تمسن مال احد من
الناس مصل ولا معاهد الا ان تجدوا فرسا او سلاحا يعدى به على اهل الاسلام فانه لا ينبغي للمسلم ان يدع ذلك في ايدي اعداء
الاسلام فيكون شوكة عليه ولا تدخروا انفسكم نصيحة ولا الجند حسن سيرة ولا الرعية معونة ولا دين الله قوة وابلوا
في سبيله ما استوجب عليكم فان الله سبحانه قد اصطنع عندنا وعندكم ان نشكره بجهدنا وان ننصره بما بلغت قوتنا ولا قوة
الا بالله العلي العظيم **اقول** التغير الرسول وحشمه واحتشمه بمعنى اي اغضبه واخجله والشوكة القوة وابليته معروفا
اي اعطيته وصدر الكتاب بتقديم كلية وهو ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه استعدادا
يحرزها منها فان الانسان انما يستعد للامر المرغوب او المرهوب اذا رغب فيه او خافه وهي في معرض التوبيخ على ترك الحذر
لغرض تقديم طاعة وما يستعد به الانسان مما يحرز نفسه من عذاب الله ثم اعلمهم بكون التكليف لهم يسيرا تسهيلا له وكون ثوابه
كثيرا ترغيبا فيه وهو في قوة صغرى ضمير رغبهم به في القيام بالامور المكلف بها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب القيام
والاجتهاد فيه ثم اردفه بالتنبيه على وجوب ترك البغي والظلم بما يلزم فعله من العقاب الاليم وتركه من الثواب العظيم الذي لا عذر
في ترك الطلب له لو لم يكن في فعله عقاب والمعنى انه لو لم يكن فيه عقاب يخاف في تركه لاجله لكان في تركه ثواب يجب لاجله فكيف

فهذه المقاصد الاربعة الاولى ان يجب ذكره وهو من افصح الكلام والغرض التحذير من الوقوع في رذيلة الظلم ثم اردف ذلك بالامر بوصايا
امران احدهما انصاف الرعية من انفسهم وصبرهم الثاني ان يصبروا لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية
على بيت المال وسفراء الائمة اليهم وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراها وكل من كان كذلك فعليه النصفة في حقهم والصبر على
حوائجهم ومن النواهي ستة احدها ان لا يغضبوا احدا ولا يحبسوه فيستحي عن حاجته الثاني ان لا يمنعوا احدا عن حاجة
ويحبسوا دونها الثالث ان لا يحوجوا احدا في طلب الخراج الى بيع ما يضطر اليه من كسوة او دابة ينتفع بها في عمل ولا عبد الرابع ان لا
يضربوا احدا سوطا لمكان درهم فانه ليس من السنة استخراج ما يستحق من الاموال الشرعية بالضرب الخامس ان لا ياخذوا من
مال احد من اهل القبلة او المعاهدين من اهل الكتاب شيئا الا ان يكون فرسا او سلاحا يعدى به على المسلمين والاسلام فانه
اخذ من ايدي اعداء الله لئلا يكون شوكة عليهم وعونا السادس ان لا يدخروا انفسهم نصيحة بل نصح بعضهم لبعض ولا عن الجند
سيرة ولا عن الرعية معونة ولا عن دين الله قوة ثم امرهم ان يبلوا في سبيله ويعطوا ما استوجب عليهم من شكر نعمه وطاعته
ثم علل وجوب ذلك بقوله فان الله الخ وهو في قوة صغرى ضمير والمعنى انه تعالى جعل شكره بجهدنا ونصرته بما بلغت قوتنا
فيجب عندنا ذلك شكره ونصرته من اعظم نعمه علينا كما سبق وقيل اراد لان نشكره وتقدير الكبرى وكل من اصطنع عندكم
شكره وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** كتبه الى امراء البلاد في معنى الصلوة اما بعد فصلوا بالناس الظهر حتى تفيء الشمس
من مربض العنز وصلوا بهم العصر والشمس بيضاء حية في عضو من النهار حين يسار فيها فرسخان وصلوا بهم المغرب حين يفطر
الصائم ويدفع الحاج وصلوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق الى ثلث الليل وصلوا بهم الغداة والرجل يعرف وجه صاحبه وصلوا
بهم صلوة اضعفهم ولا تكونوا فتانين **اقول** بين في هذا الكتاب اوقات الصلوات المفروضة فالاول وقت الظهر وحده بوقت فيء
الشمس اي رجوعها وميلها الى المغرب ثم بينه بتقديره بمربض العنز وهو اول وقت الظهر وذلك مما يختلف باختلاف البلاد الثاني
وقت العصر وقدره ببقاء الشمس بيضاء لم يصفر للمغيب وحية واستعار لفظ الحياة لظهورها على الارض كما لو كان لها
وفي عضو من النهار واراد القسم والقطعة منه ثم قدر ذلك العضو بمقدار ان يسار فيه فرسخان السير المعتاد الثالث وقت المغرب
وعرفه بامرين احدهما حين يفطر الصائم وذلك عند سقوط القرص والثاني حين يدفع الحاج ويفيض من عرفات وذلك
العلامتين وتعارفهما مع المخاطبين عرفهم بهما الرابع وقت العشاء الاخرة وعرفه بتواري الشفق وذلك من ناحية المغرب
آخره بثلث الليل وانما حد آخر هذا الوقت دون اوقات سائر الفرائض لتعيين آخر كل وقت منها ببيان اول وقت الآخر ولا
كذلك آخر وقت العشاء الاخرة لاتصاله بالليل الخالي عن الفرائض واما آخر وقت الصبح فحده بطلوع الشمس ايضا الخامس
وقت صلوة الغداة وحده بحين يعرف الرجل وجه صاحبه وذلك حين طلوع الفجر الثاني وهو الحمرة المعترضة من ناحية المشرق
والعلامة التي ذكرها اوضح لسائر الناس ثم اوصاهم بعمل وترك اما العمل فان يصلوا بالناس صلوة اضعفهم وهو ان لا
في القراءة في الفرائض كقراءة البقرة والسور الطوال لان ذلك لا يستطيع القيام به كل الناس فيؤدي ذلك الى المشقة
الفريضة في الجماعة وهو ضرر منفي في الدين واما الترك فان لا يكونوا فتانين باطالة الصلوة وبه التنبيه انهم يكونون سادين
عن الانفاق والتساعد على صلوة الجماعة باطالتها المستلزم لتخلف الضعفاء والله اعلم **ومن عهد له عليه السلام** كتبه للاشتر

رحمه الله على مصر واعمالها حين اضطرب امر محمد بن ابي بكر رحمه الله وهو اطول عهد كتبه واجمعه للمحاسن **اقول** هو مالك بن الحرث
الاشتر النخعي من اليمن وكان من اكابر اصحابه عليه السلام صحابة ذوي النجدة والشجاعة الذين عليهم عمدته في الحروب وروي ان الطرماح
لما دخل على معوية قال له قل لابن ابي طالب اني جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفة وها انا قاصده فقال له الطرماح ان لعلي
ديكا اشتر يلتقط جميع ذلك فانكسر معوية من قوله [illegible] في العهد فصول **الفصل الاول** قوله بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به عبد الله
علي امير المؤمنين مالك بن الحرث الاشتر في عهده اليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها
وعمارة بلادها امره بتقوى الله وايثار طاعته واتباع ما امر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد احد الا باتباعها ولا
يشقى الا مع جحودها واضاعتها وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره واعزاز من اعزه و
ان يكسر من نفسه عند الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امارة بالسوء الا ما رحم الله **اقول** يزعها يكفها وصدر عليه السلام
هذا العهد بذكر امور هي غرض الولاية وبها يكون نظام الامر فمنها ما يعود الى منفعة الوالي وهو جبوة الخراج ومنها ما
يعود الى الرعية وهي جهاد عدوهم واستصلاحهم بالسياسة وحسن الرعي ومنها ما يعود اليهما وهو عمارة البلاد ولو
ثم امره باوامر جزئية يعود الى اصلاح نفسه اولا احدها تقوى الله وخشيته وقد سبق بيان كونها اصلا لكل فضيلة الثاني
اتباع اوامره في كتابه من فرائضه وسننه ورغب في ذلك بقوله لا يسعد الى قوله اضاعتها وذكر بيان ذلك الثالث ان
ينصر الله بيده وقلبه ولسانه في جهاد العدو وانكار المنكرات ورغب في ذلك بقوله وقد تكفل الى قوله اعزه كقوله تعالى ان
تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم الرابع ان يكسر من نفسه عند الشهوات وهو امر بفضيلة العفة الخامس ان يكفها ويقاومها عند
الجمحات وهو امر بفضيلة الصبر عن اتباع الهوى وهو فضيلة تحت العفة ثم حذر من النفس بقوله فان النفس الخ وهو
من قوله ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وما بمعنى من وهي نصب على الاستثناء الانصار رحمها الله **الفصل الثاني** فيما امره
بالاعمال الصالحة المتعلقة باحوال الولاية وتدبير الملك والمدينة وذلك قوله ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت
عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك في مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك
ما كنت تقول فيهم وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك
هواك وشح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الانصاف منها فيما احبت وكرهت واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف
بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين واما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل
وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطاء فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه وصفحه
فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق من ولاك وقد استكفاك امرهم وابتلاك بهم ولا تنصبن نفسك لحرب الله
فانه لا يدي لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن بعقوبة ولا تسرعن الى بادرة وجدت منها مندوحة
ولا تقولن اني مؤمر آمر فاطاع فان ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير واذا احدث لك ما انت فيه من سلطانك
ابهة او مخيلة فانظر الى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك
ويكف عنك من غربك ويفيء اليك بما عزب عنك من عقلك اياك ومساماة الله في عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل

كلّ

تظلم. انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الا تفعل تظلم
ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ومن خاصمه الله ادحض حجته وكان لله حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء
ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المظلومين وهو للظالمين بالمرصاد وليكن احب
الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضاء الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة
يغتفر مع رضاء العامة وليس احد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء واقل معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل
بالالحاف واقل شكرا عند الاعطاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمات الدهر من اهل الخاصة وانما عمود الدين
وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامة من الامة فليكن صغوك لهم وميلك معهم وليكن ابعد رعيتك منك واشنأهم
عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوبا الوالي احق من سترها فلا تكشفن عما غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما
ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك اطلق عن الناس عقدة
كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يضح لك ولا تعجلن الى تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين
ولا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر ولا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره
بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم
في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم
واوزارهم ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخف عليك مؤونة واحسن لك معونة واحنى عليك عطفا واقل
لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق لك واقلهم مساعدة فيما يكون
منك مما كره الله لاوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق باهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك
ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزة ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء
فان في ذلك تزهيدا لاهل الاحسان في الاحسان وتدريبا لاهل الاساءة على الاساءة والزم كلا منهم ما الزم نفسه واعلم انه
ليس شيء بادعى الى حسن ظن وال برعيته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه اياهم على ما ليس له قبلهم فليكن
منك في ذلك امر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك فان حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك
عنده وان احق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة
وصلحت عليها الرعية ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الاجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر
مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك اقول
للعبد الجري عليه والصفح الاعراض عن الذنب والتبجح بكون الحمد الفرح والسرور والبادرة الحدة والمندوحة السعة
ادخال الفساد في الاصل والنهك الضعف والابهة والمخيلة الكبر وطماح النفس جماحها وطمح البصر ارتفع
وغرب الفرس حدته واول جريه والمساماة مفاعلة من السمو والجبروت الكبر العظيم وادحض حجته ابطلها ونزع رجع
برد ذهب والالحاف شدة السؤال وملمات الدهر ما يلم من خطوبه وجماع المسلمين جمعهم والصغو الميل واشنأهم ابغضهم

والحقد والتغابي التجاهل والتغافل وبطانة الرجل خاصته والآصار الآثام وحفلاتك اي جلساتك في المحافل والمجامع والاطراء المدح
والزهو الكبر والتدريب التعويد والمنافثة المحادثة واعلم ان مدار هذا الفصل لما كان على امره بالعمل الصالح في البلاد والعباد
اولا على عرض العلل الغائية من ذلك وهو ذكر الجميل في العقبى والكون من الصالحين ليعمل له فذلك بقوله اني قد وجهتك الى قوله
يقولونه فيهم وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها انك موجه الى بلاد حالها كذا وحال الناس في ملك بها كذا وتقدير الكبرى وكل من
وجه الى بلاد كذلك وكان الناس ينظرون من امره مثل ما كان ينظر قبله من امر الولاة ويقولون فيه مثل ما كان يقول فيهم
يجب عليه ان يكون احب الامور اليه العمل الصالح ليحصل منه الذكر الجميل بين الناس الدال على كون المذكور عند الله من
الصالحين ونبه على تلك الدلالة بقوله وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده وفي نسبة اجراء القول
الى الله ترغيب عظيم في تحصيل الذكر الجميل ثم اعقب ذلك بامره ان يجعل العمل الصالح احب الذخائر اليه واستعار لفظ الذخيرة
باعتبار ان تحصيله في الدنيا الغاية الانتفاع به في العقبى كالذخيرة ولما امره بالعمل الصالح اجمالا شرع في تفصيله وذكر منه
احدها ان يملك هواه في شهوته وغضبه فلا يتبعهما وشح بنفسه عما لا يحل لها من المحرمات وقوله فان الشح الى قوله كرهت
تفسير لذلك الشح بما يلازمه وهو الانصاف والوقوف على حد العدل في المحبوب فلا تقود شهوته الى حد الافراط فتقع في
رذيلة الفجور ولا في المكروه فلا يقود غضبه الى طرف الافراط من فضيلة العدل فتقع في رذيلة الظلم والتهور وظاهر ان
ذلك الشح بالنفس ونحل بها عن القائها في مهاوي الهلاك الثاني ان يشعر قلبه الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم وفي
نعت ملكه العفة اي اجعل هذه الفضائل شعار القلب ولفظ الشعار والسبع مستعاران واشار الى وجه استعارة
السبع بقوله تغتنم اكلهم الثالث ان يعفو ويصفح عنهم وهو ضد الشجاعة وقوله فانهم الى قوله في الخلق بيان لسببين
من اسباب الرحمة لهم واللطف بهم وقوله يفرط منهم الزلل الى قوله الخطاء تفسير للمثلية وهي السبب الثاني والكلام في قوة صغرى
ضمير في حسن العفو والصفح واراد بالعلل التي تعرض لهم الامور المشغلة الصارفة لهم عما ينبغي من اجراء اوامر الوالي على وجهها
وقوله يؤتى على ايديهم كناية عن كونهم غير معصومين بانهم ممن يؤتون من قبل العمد والخطاء ويأتي على ايديهم اوامر الولاة والمراد
فيما يقع منهم من عمد او خطاء وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فينبغي ان يرحم ويشمل بالمحبة واللطف ويقابل خطاؤه بالعفو
والصفح وفي امره باعطاء العفو مثل الذي يحب ان يعطيه الله من عفوه ترغيب في العفو وقوي جاذب اليه وكذلك قوله
فوقهم الى قوله وابتلاك بهم تخويف من الله في معرض الامر بالعفو واللطف وهو صغرى ضمير آخر في ذلك الرابع نهاه ان
ينصب نفسه لحرب الله وكنى بحربه عن المغالبة على عباده وظلمهم ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية وقوله فانه لا يدي لك الى قوله
صغرى ضمير نبه بها على انه لا يجوز ظلم عباد الله ومحاربته وكنى بعدم اليدين عن عدم القدرة تعالى ما لي بهذا الامر يد اذا كان
لا يطاق وحذفت النون من يدين لمضارعته المضاف وقيل لكثرة الاستعمال وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا ينبغي ان
ينتصب لحرب الله بظلم عباده الخامس نهاه عن الندم على العفو وعن التبجح بعقوبة الغير والتسرع الى الغضب الذي يجد عنه
مندوحة فان ذلك كله من لوازم اعطاء القوة الغضبية قيادها وقد علمت انها شيطان يقود الى النار السادس نهاه عن قوله
لا ينبغي الامر ... الدين وكنى عما يعرض في النفس من وجوب طاعة الخلق لامره وان عليهم ان يسمعوا ويطيعوا

بامر فان ذلك مفسد للعباد والبلد والدين واشار الى ذلك الفساد بقوله فانه تعالى الى قوله الغير وهو من وجوه ثلثة احدها ان ارادة تعالى في
له من دين الله وهو معنى اضافته الثاني ان ذلك منهك للدين واضعاف له الثالث انه مقرب من الغير لكون الظلم من اقوى الاسباب
المعدة باجتماع همم الخلق على زوال دولة الظالم والى الاشارة بقوله تعالى ان الله تعالى لا يغير ما بقوم الآية والكلام في قوة ثلث صغريات ثلث قياسات
وتقدير الكبريات فيها وكل ما كان كذلك فلا يجوز ارتكابه السابع ارشد الى دواء داء الابهة والكبر الذي عساه يعرض له في سلطانه
وهو ان يشتد لذلك ان ينظر الى عظمة الله تعالى فوقه وقدرته على ما لا يملكه من نفسه ولا يستطيعه فيطامن منها فان ذلك
يسكن داء الكبر الذي يحدث له فيطامنه ويكسر حدة غضبه ويرد اليه ما قهرته قوته الغضبية من عقله بعزوب عنه جماحها
وهذه ايضا صغريات ثلث اقيسة ضمائر نبه فيها على وجوب فعل ما ارشد اليه من الدواء وتقدير الكبريات فيه وكل ما كان
كذلك فيجب عليك فعله الثامن حذره عن التعاظم والتجبر وتعرض من ذلك بكونهما مساماة لله وتشبها به وبان التكبر يستلزم
ان يذله الله صاحبه ويهينه وتقدير الاحتجاج فانك ان تجبرت واختلت يذلك الله ويهينك وهو في قوة صغرى ضمير
ايضا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب ان يحذر من الله بترك التجبر التاسع امره بانصاف الله وانصاف الناس من نفسه ولا اهل
هواه من رعيته فانصاف الله العمل باوامره والانتهاء عن زواجره مقابلا بذلك نعمه وانصاف الناس العدل فيهم والخروج الى
حقوقهم اللازمة لنفسه ولاهل خاصته واحتج على وجوب ذلك الانصاف بقياس مفصول صغرى الاول قوله فانك ان
لا تفعل تظلم عباد الله وكبراه ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل كان الله خصمك دون
عباده وهي صغرى لقياس آخر كبراه قوله ومن خاصمه الله الى قوله ويتوب وتقدير نتيجته فانك ان لا تفعل ادحض الله
عند مخاصمته وكنت له حربا الى ان تنزع وتتوب من ظلمك وقوله وليس شيء الى قوله على ظلم تنبيه على الاقرار آخر لعدم الانصاف
والاقامة على الظلم وهي كونه ادعى الى تغيير نعم الله وتعجيل نقمته من كل شيء وقوله فان الله الى قوله بالمرصاد بيان اللزوم
المذكور وذلك لان الله سبحانه اذا كان يسمع دعوة المظلوم ويطلع على فعل الظالم فانه يسرع الى تغيير نعمته وتعجيل نقمته لا
لذلك العاشر امره ان يكون احب الامور اليه اقربها الى الحاق الوسط من طرفي الافراط والتفريط وهو الحق واعمها للعدل
واجمعها لرضا الرعية فان العدل قد يوقع على وجه لا يعم العامة بل يقع فيه رضا الخاصة ونبه على لزوم العمل للرعية و حفظ
قلوب العامة وطلب رضاهم بوجهين احدهما ان سخط العامة لكثرتهم لا يقاومه رضا الخاصة لقلتهم بل يجحف به ولا ينفع
عند سخط العامة وذلك يودي الى وهن الدين وضعفه اما سخط الخاصة فانه مغتفر ومستور عند رضا العامة فكان
رضاهم اولى الثاني انه وصف الخاصة بصفات مذمومة تستلزم قلة الاهتمام بهم بالنسبة الى العامة وبصفات محمودة في
توجب العناية بهم اما صفات الخاصة فاحدها كونهم اثقل مؤونة على الوالي في الرخاء لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم الثاني
وكونهم اقل معونة له في البلاء لمحبتهم الدنيا وعزة جانبهم الثالث وكونهم اكره للانصاف لزيادة اطماعهم في الدنيا على الحاجة
الرابع وكونهم اسأل بالالحاف لانهم عند الحاجة الى السؤال اشد جرأة على الوالي والطمع في الاستجابة الخامس كونهم اقل
شكرا عند الاعطاء لاعتقادهم زيادة فضلهم على العامة وانهم احق بما يعطونه ولاعتقادهم حاجة الوالي اليهم وتخوفه منهم
السادس كونهم ابطأ عذرا للوالي اذا منعهم اي انهم اقل مسامحة له اذا اعتذر اليهم في المنع لاعتقادهم فضيلة انفسهم وكونهم

ضنا

ضناء الحقوق السابع كونهم اضعف صبرا عند ملمات الدهر لتعودهم الترفه وحرصهم على ما في ايديهم من الدنيا واما صفات العامة
فاحدها كونهم عمود الدين واستعار لهم لفظ العمود باعتبار قيام الدين بهم كقيام البيت بعموده الثاني كونهم جماع المسلمين لكونهم
الاغلب والاكثر والسواد الاعظم الثالث كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ايضا ولانهم كانوا اهل الحرب في ذلك الزمان وهذه الصفات
للفريقين تستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة فلهذا امره ان يكون صغوه وميله الى
العامة الحادي عشر امره ان يكون ابعد رعيته منه وابغضهم اليه اطلبهم لمعائب الناس ونبهه على وجوب ذلك بقوله فان
في الناس الى قوله سترها واذا كان الوالي احق من سترها لزمه ان لا يكشف عما غاب عنه منها وذلك منع اهل النميمة وابعادهم
وان يلزم ما يجب عليه وهو تطهير الخلق مما ظهر له من ذنوبهم دون ما غاب عنه واكد ذلك بالامر بستر العورة من الغير بقدر
الاستطاعة فان كل عيب عورة ونبه على الرغبة في ذلك بما يستلزمه من امداده لستر الله منه ما يحب ان يستر هو
على رعيته من الذنوب والعيوب الثاني عشر امره بنزع الحقد وعقد ما عقد في قلبه منه لكونه من الرذائل الموبقة وان يقطع
اسبابه من قبول السعاية واهل النميمة الثالث عشر امره ان يتغافل عن كل امر لا يتضح له ولا يقوم به برهان ونهاه ان يعجل
الى تصديق من سعى به ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان الساعي الى قوله الناصحين ووجه غشه كونه يثير الاحقاد
والضغائن بين الناس ويذيع الفاحشة والفساد في الارض وتقدير كبراه وكل من كان غاشا وجب ان لا يلتفت اليه
الرابع عشر نهاه ان يدخل في مشورته ثلثة البخيل والجبان والحريص ونبه على وجه المفسدة في استشارة كل واحد من
الثلثة بضمير صغرى الاول قوله يعدل بك الى قوله الفقر وذلك ان البخيل لا يشير الا بما يراه مصلحة عنده وهو التحرز وما
يستلزمه من التخويف بالفقر وهو يعدل بها المستشير عن الفضل وصغرى الثاني قوله يضعفك عن الامور لان الجبان لا يشير الا
بوجوب حفظ النفس والتخويف من العدو وهو المصلحة التي يراها وكل ذلك مضعف عن الحرب ومقاومة العدو وصغرى
الثالث قوله يزين لك الشره بالجور وذلك ان المصلحة عنده جمع المال وحفظه وهو مستلزم للحريص فضيلة العدل والقصد
وتقدير الكبرى في الثلثة وكل من كان كذلك فلا يجوز استشارته ثم نفر عن الثلثة بضمير آخر نبه بصغراه على مبدأ هذه الرذائل
الثلثة وهي البخل والجبن والحرص ليعرف فيجتنب ويعرض عن اهلها فذكر انها غرائز اي اخلاق متفرقة تحصل للنفس عن اصل
واحد يجمع اليه وهو سوء الظن بالله وبيان ذلك ان مبدأ سوء الظن بالله عدم معرفته تعالى فالجاهل به لا يعرفه من
جهة ما هو جواد فياض بالخيرات لمن استعد لطلبها فيسوء ظنه به وبانه لا يخلف عليه عوض ما يبذله في سعة
مع ملاحظة الفقر عن البذل وتلزمه رذيلة البخل وكذلك الجبان جاهل به تعالى من جهة لطفه بعباده وعنايته بوجودهم على
عالم بسر قدره فيسوء ظنه بانه لا يحفظه من التلف ويتصور الهلاك فيمنعه ذلك عن الاقدام في الحرب ونحوها فتلزمه
رذيلة الجبن وكذلك الحريص يجهل به تعالى من الوجهين المذكورين فيسوء ظنه ويعتقد انه ان لم يحرص لم يحصل له
لما لا يصلح حاله بما يسعى فيه ويحرص عليه فيبعثه ذلك على الحرص وكذا النفس فكانت هذه الاخلاق الثلثة اللذ[illegible] راجعة الى
ما ذكره عليه السلام الخامس عشر لما كان من الاعمال الصالحة اختيار الوزراء والاعوان نبهه على من لا ينبغي استصلاحه للوزارة
ومن ينبغي ان يرغب فيه ممن لا ينبغي هو من كان للاشرار من الولاة قبله وزيرا وشاركهم في الآثام ونهاه عن اتخاذه بطانة وخاصة

بوصل ح

لم وفرعنهم ضمير صغراه قوله فانهم الى قوله الخلف وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز ان يكون بطانة وقوله ممن له مثل
لمن هو خير الخلف من الاشرار وهم الذين ينبغي ان يستعان بهم وبيان لوجه خيريتهم بالنسبة الى الاشرار وهو ان يكون لهم مثل
ارائهم ونفاذهم في الامور وليس عليهم مثل اصارهم ولم يعاونوا ظالما على ظلمه فقد رغب في اتخاذ هؤلاء اصولا بضمير صغراه قوله
اولئك اخف الى قوله الفا اما انهم اخف مؤونة فلانهم لطهارة انفسهم مما لا ينبغي لهم من مال او حال فلا يحتاج في ارضائهم مما
ينبغي لهم او ردعهم عما لا ينبغي الى مزيد كلفة بخلاف الاشرار والطامعين فيما لا ينبغي وبحسب قربهم الى الحق ومجانبتهم للاثم
كانوا احسن معونة وانت عنده قلوبا واشد حنوا عليه وعطفا واقل لغيره الفا وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان
يتخذ عونا ووزيرا ولذلك قال فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ميز من ينبغي ان يكون اقرب هؤلاء اليه واولاهم
في الاعتماد عليه باوصاف لخص احدها ان يكون اقولهم بمر الحق له الثاني ان يكون اقلهم مساعدة له فيما يكون منه مع
من الامور التي يكرهها الله لاوليائه وانتصب قوله واقعا على الحال اي في حال وقوع ذلك القول منه والنصيحة وقلة المساعدة
حيث وقع من هواك سواء كان في هوى عظيم او يسير او حيث وقع هواك اي سواء كان ما تهواه عظيما او يسيرا ويحتمل
ان يريد واقعا ذلك الناصح من هواك ومحبتك حيث وقع اي يجب ان يكون له من هواك موقعا ثم امره في اعتبارهم
واختيارهم باوامر احدها ان يلازم اهل الورع منهم والاعمال الجميلة واهل الصدق وهما فضيلتان تحت العفة الثاني
ان يروضهم ويعودهم بالنهي عن الاطراء له او توجيه السرور والتبجح بباطل ينسبونه اليه من فعل ما لم يفعله فيدخلون في
ذم قوله تعالى وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ونفر عن كثرة الاطراء بضمير صغراه قوله فان كثرة الاطراء الى قوله
العزة واستلزام الاطراء للرذيلتين المذكورتين ظاهر وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث نهاه
ان يكون المحسن والمسيء عنده بمنزلة سواء ونفر عن ذلك ببيان وجه المفسدة في ضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله
الاساءة وسره ان اكثر فعل الاحسان انما يكون طلبا للمجازاة بمثله خصوصا من الولاة وطلبا لزيادة الرتبة على
الغير وزيادة الذكر الجميل مع انواع من الكلفة في ذلك فاذا راى المحسن مساواة منزلته لمنزلة المسيء كان ذلك صارفا
عن الاحسان وداعيا الى الراحة من كلفته وكذلك اكثر التاركين للاساءة انما يتركون خوفا من الولاة واشفاقا من نقصان
الرتبة عن النظراء فاذا راى المسيء مساواة رتبته مع مرتبة المحسنين كان التقصير اولى وتقدير وكل ما كان فيه تزهيد
للاحسان وتدريب على الاساءة فينبغي ان يجتنب ثم اكد ذلك بامره ان يلزم كلا من اهل الاحسان والاساءة ما الزم
نفسه من الاستعداد بالاحسان والاساءة فيجازي المحسن بمنزلة الاحسان ويلزم المسيء منزلة الاساءة السادس عشر
نبهه على الاحسان الى رعيته وتخفيف المؤونات عنهم وترك استكراههم على ما ليس له قبلهم بما يستلزم ذلك من حسن
ظنه بهم المستلزم لقطع النصب عنه من قبلهم والاستراحة اليهم وذلك ان الوالي اذا احسن الى رعيته وثق عنهم
فيه واقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه بهم فلا يحتاج معهم الى الكلفة في جميع اهوائهم
من تزويرهم والكيد له السابع عشر نهاه ان ينقض سنة صالحة عمل بها
الصلاح من صدور هذه الامة واجتمعت بها الالفة وصلحت الرعية وذلك مفسدة ظاهرة الثامن عشر نهاه ان يحدث

سنة تضر بشيء من ماضي السنن واشار الى وجه الفساد فيها بضمير صغراه قوله فيكون الى قوله منها ويعود الى السنن التي دخل عليها
الضرر فيكون الاجر لمن سن السنن الماضية التي اضرت بها سنتك الحادثة والوزر عليك بما نقضت منها وتقدير كبراه وكل
ما كان كذلك فينبغي ان يجتنب وتفرعه التاسع عشر امره ان يكثر مدارسة العلماء اي باحكام الشريعة وقوانين الدين
ومناقشة الحكماء اي العارفين بالله واسراره في عباده وبلاده العاملين بالقوانين الحكمية العملية التجربية والا
وتصفح انواع الاخبار في تثبيت القواعد والقوانين التي تصلح عليها امر بلاده واقامة ما استقام به الناس قبله منها وبالله
التوفيق الفصل الثالث في التنبيه على طبقات الناس الذين ينتظم بهم امر المدينة ووضع كل على حده وطبقته التي
يقتضي الحكمة النبوية وضعه فيها والاشارة الى تعلق كل طبقة بالاخرى بحيث لا اصلاح لبعضهم الا بالبعض وبذلك يكون قوام
المدينة ثم الاشارة الى من يستصلح من كل صنف وطبقة ويكون اهلا لتلك المرتبة والوصية في كل ما يليق به وذلك
قوله واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله ومنها كتاب العامة والخاصة
ومنها قضاة العدل ومنها عمال الانصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمة ومسلمة الناس ومنها التجار واهل الصناعات
ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكل قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضته في كتابه او سنة نبيه محمد صلى الله
عليه وآله عهدا منه عندنا محفوظا فالجنود باذن الله حصون الرعية وزين الولاة وعز الدين وسبل الامن وليس تقوم الرعية
الا بهم ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه فيما اصلحهم ويكون من وراء
حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين الا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب لما يحكمون به من المعاقد ويجمعون من
المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامها ولا قوام لهم جميعا الا بالتجار وذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من
مرافقهم ويقيمون من اسواقهم ويكفونهم من الترفق بايديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة
والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه فول من جنودك انصحهم في
نفسك لله ولرسوله ولامامك انقاهم جيبا وافضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء
وينبو عن الاقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف ثم الصق بذوي الاحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق
الحسنة واهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقد من امورهم ما يتفقد
الوالدان من ولدهما ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به ولا تحقرن لطفا تعاهدتهم به وان قل فانه داعية لهم الى بذل
النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا
ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم في معونته وافضل عليهم من
جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف
قلوبهم عليك ولا تصح نصيحتهم الا بحيطتهم على ولاة امورهم وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدتهم
فافسح في آمالهم وواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع
وتحرض الناكل ان شاء الله ثم اعرف لكل امرئ منهم ما ابلى ولا تضمن بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرن به دون غاية بلائه

ولا يدعونك شرف امرئ الى ان تعظم من بلائه ما كان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ما كان عظيما واردد الى
الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الامور فقد قال الله سبحانه لقوم احب ارشادهم يا ايها الذين
آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول فالراد الى الله الآخذ
بمحكم كتابه والراد الى الرسول الآخذ بسنته الجامعة غير المفرقة ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق
به الامور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلة ولا يحصر من الفيء الى الحق اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بادنى
فهم دون اقصاه واوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج واقلهم تبرما بمراجعة الخصم واصبرهم على تكشف الامور واصرمهم
عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ثم اكثر تعاهد قضائه وافسح له في البذل ما يزيح علته
وتقل معه حاجته الى الناس واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليامن بذلك اغتيال الرجال له عندك
وانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان اسيرا في ايدي الاشرار يعمل فيه بالهوى ويطلب به الدنيا ثم انظر في امور
عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهما جماع من شعب الجور والخيانة وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من
اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم اكرم اخلاقا واصح اعراضا واقل في المطامع اسرافا وابلغ في
عواقب الامور نظرا ثم اسبغ عليهم الارزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح انفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم
وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في
السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية وتحفظ من الاعوان فان احد منهم بسط يده الى خيانة
اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه واخذته بما اصاب من عمله
ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم
صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك
في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره
الا قليلا فان شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالة او احالة ارض اغتمرها غرق او اجحف بها عطش خففت عنهم بما
ترجو ان يصلح به امرهم ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين
ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك
لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم فربما حدث من الامور ما اذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه
طيبة انفسهم به فان العمران محتمل ما حملته وانما يؤتى خراب الارض من اعواز اهلها وانما يعوز اهلها لاشراف انفس
الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر ثم انظر في حال كتابك فول على امورك خيرهم واخصص رسائلك
التي تدخل فيها مكائدك واسرارك باجمعهم لوجوه صالح الاخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك في خلاف
لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك وفيما يأخذ لك
ويعطي منك ولا يضعف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق ما عقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فان

ابلغ من نظرك مو

الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك اياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك فان الرجال
يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم ليس وراء ذلك من النصيحة والامانة شيء ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين
قبلك فاعمد لاحسنهم كان في العامة اثرا واعرفهم بالامانة وجها فان ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت امره واجعل لراس كل
امر من امورك راسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ثم استوص
بالتجار وذوي الصناعات واوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانهم مواد المنافع واسباب المرافق
وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها فانهم
سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم مع ذلك ان في كثير منهم
ضيقا فاحشا وشحا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة فامنع
من الاحتكار فان رسول الله صلى الله عليه وآله منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل واسعار لا تجحف بالفريقين
من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقب في غير اسراف ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين
لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين واهل البؤسى والزمنى فان في هذه الطبقة قانعا ومعترا فاحفظ لله ما استحفظك
من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلات صوافي الاسلام من كل بلد فان للاقصى منهم مثل
الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لاحكامك الكثير المهم فلا
تشخص همك عنهم ولا تصعر خدك لهم وتفقد امور من لا يصل اليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرغ لاولئك ثقتك
من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية
احوج الى الانصاف من غيرهم وكل فاعذر الى الله في تادية حقه اليه وتعهد اهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة
له ولا ينصب للمسالة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل وقد يخففه الله على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا انفسهم
ووثقوا بصدق موعود الله لهم **اقول** المعاقد جمع معقد مصدرا والمرافق المنافع وتفاقم الامر عظم والخالف المتخلف
جمع خلف بالفتح والحيطة الشفقة ويضلعك يثقلك والمحك اللجاج والحصر العي والبرم والتبرم التضجر والازدهاء
افتعال من الزهو وهو الكبر والاطراء كثرة المدح والاغتيال الاخذ على غرة والمحاباة المعاطاة والمقاربة فيها والاثرة الاستئثار
والجماع الجمع والتوخي التقصد والحدوة الحث والشرب النصيب من الماء والبالة القليل من الماء يبل به الارض واحالة الارض
تغيرها عما كانت عليه من الاستواء فلم ينجب زرعها ولا اثمر نخلها والاجمام الاراحة ومعتمدا قاصدا والاعواز الفقر واستنام
الى كذا سكن اليه والمترفق طالب الرفق من التجارة والمطارح جمع مطرح وهي الارض البعيدة والبائقة الداهية والغائلة الشر
والاحتكار حبس المنافع عن الناس عند الحاجة اليها والبؤسى الشدة والقانع السائل والمعتر الذي يتعرض للعطاء
من غير سؤال والصوافي جمع صافية وهي ارض الغنيمة والتافه الحقير واشخصه حمله [illegible] وتصعير الخد امالته تكبرا و
تزدريه وتعدو في الامر صار فاعلا فيه واعلم ان في الفصل ابحاثا **البحث الاول** انه قسم اهل البلدين الى سبع طبقات وحكم
بانه لا يصلح بعضها على ما بينته وهو من اهل الذمة وسلم الناس تفضيل الاهل الاول فاهل الذمة تفسير لاهل الجزية

الرجال م

وسلم الناس تفسير لاهل الخراج ويحتمل ان يكون تفسيرا لاهل الجزية مو

والخراج لان للامام ان يقبل ارض الخراج من سائر المسلمين واهل الذمة واراد بالسهم الذي سماه الله لكل منهم الاستحقاق
في كتابه اجمالا من الصدقات كالفقراء والمساكين وعمال الخراج والصدقة وفصله في سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم
الذي وضع الله عليه عهدا انه عند اهل بيت نبيه هو برهانه ومنزلتهم من اهل المدينة الذين لا يقوم الا بهم فان الجند
منزلة واحدة محدودة الا يجوز لهم تعديه وفريضته موقوفة عنده والعمل بما يليق بتلك الرتبة وكذلك الكتاب والعمال والقضاة
وغيرهم فان لكل منهم حدا يقف عنده وفريضته يلزمها عليها عهد من الله محفوظ عند نبيه واهل بيته عليهم السلم
عليها الشريعة **البحث الثاني** انه قوله فالجنود باذن الله الى قوله معونتهم على ان لكل من الاصناف المذكورة تعلق بالآخر
بحيث لا يقوم الا به والحاجة اليه ضرورية وبمجموعهم تقوم صورة المدينة فبدأ بالجنود لانهم الاصل وذكر وجه الحاجة اليهم
في اربعة اوصاف احدها كونهم حصون الرعية واستعار لهم لفظ الحصون باعتبار حفظهم للرعية وحمايتهم
لهم كالحصن الثاني انهم زين الولاة فان الوالي بلا جند كاحد الرعية لا يبالي به ولا يطاع له امر والمفسدة فيه ظاهرة الثالث
كونهم عز الدين واطلق لفظ العز عليهم اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان العز للدين لازما لوجودهم الرابع
استعار لفظ الامن لهم باعتبار لزوم الامن لوجود الجند في الطرق ونحوها والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل من كان كذلك فليس تقوم الرعية الا به وقوله وليس تقوم الرعية الا بهم نتيجة القياس المذكور وقال باذن الله
لينبه على ان ارادة الجنود لحق الذي هو مقتضى الحكمة لا مطلق الجنود الثاني اهل الخراج ومن يوخذ منهم واشار الى
استلزام الحاجة الى الجند الحاجة اليهم بقوله ثم لا قوام للجنود الى قوله حاجتهم فقوله لا قوام الى قوله الخراج دعوى ثم قوله
الذي يقوون الى قوله حاجتهم في قوة صغرى ضمير نبه بها عليها وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قوام للجند الا بخروج
امر لا قوام للجند الا بما يخرج لهم من الخراج ولما كان الخراج انما يحصل من جماعة من الرعية ولا يقوم الجند الا بهم
القضاة والعمال والكتاب وجمعهم لان وجه الحاجة اليهم واحد واشار اليه بقوله لما يحكمون به الى قوله وعوامها فانهم
الوالي والرعية على ما بينهم من الامور ويحفظ كلا منهم وعلى ايديهم تكون احكام العقود وجمع المنافع وهو في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا بد للجند والرعية منهم الرابع التجار وذوي الصناعات وادعى انه لا قوام لهم
السابقة الا بهم ونبه على ذلك بقوله فيما يجتمعون عليه من مرافقهم فان كل ما يفعله التجار من جلب الامتعة وبيعها ونشرها
ويقيمون من الاسواق بذلك وما يفعله الصناع من المنفعة بايديهم مما لا يحصل من غيرهم الانتفاع به في رفق ومنافع ترتفع
في قضاء حاجتهم ضرورة لهم وهو في قوة صغرى ضمير كبراه ما سبق الخامس الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة
على وجه الحاجة اليهم بقوله الذين يحق رفدهم ومعونتهم وبيان ذلك ان رفد هولاء ومعونتهم يستلزم اجتماع هممهم
ودواعيهم لرافدهم ومعينهم بهم تنزل الرحمة وتستدر البركة من الله تعالى لاهل المدينة ويدرك الثواب الاخروي فكانت
الحاجة اليهم داعية لذلك ولما اشار الى وجه الحاجة الى جميعهم قال وفي الله لكل سعة اي في جود الله وعنايته ليعتمد
الله في تدبير امورهم اذ هو تعالى رب العناية الاولى وقال ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه ليعلم ان من اعانة كل منهم حقا
عليه فيشتمل عليها وبالله التوفيق **البحث الثالث** في امره باستصلاح كل صنف باوصاف يجب ان يكون عليها وتوصية

مقالة

مقالة في الصنف الاول الجند واشار الى تعيين من يصلح لهذه المرتبة باوصاف ولمن هو موليه فيهم باوامر ونواهي اما الاوصاف
فاحدها من كان انصح في نفسه لله ولرسوله ولامامه جيبا اي اكثرهم امانة في العمل باوامر الله ورسوله وامامه وتنزه الجيب
كناية عن الامين الثاني افضلهم حلما ثم وصف ذلك الافضل فقال ممن يبطي عن الغضب ويستريح الى العذر ويقبله
وحده ويروف بالضعفاء فلا يغلظ عليهم وينبو على الاقوياء اي يعلوا عليهم ويتخب اليهم على من دونهم ممن
لا يثيره العنف اي لا يكون له عنف فيثيره كقوله ولا ارى الغضب بها بمحرم وقيل لا يهيجه العنف ولا يزعجه اذا
ولا تقعد به الضعف عن اقامة حدود الله واخذ الحقوق من الظالمين اي لا يكون له ضعف فيقعده عن ذلك الثالث من كان
من اهل الاحساب والبيوتات الصالحة والسوابق الحسنة من الاحوال والافعال والاقوال الحميدة الرابع من يكون من اهل
النجدة والشجاعة الخامس من يكون من اهل السخاء والسماحة واما الاوامر فاحدها ان يولي من الجند من كان بهذه الصفات الثاني
ان يلصق بمن ذكره منهم اي يلزمهم في هذه المرتبة ورغب فيهم بقوله فانهم الى قوله العرف ووصفهم بكونهم جمع من الكرم وشعب
من المعروف اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه اذ كان الجمع من الكرم وهو الفضائل المذكورة لان منها الحلم والامانة والسخاء
والسماحة فضائل تحت العفة والحلم والنجدة فضيلتان تحت الشجاعة ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فانهم عائدا الى الفضائل
المذكورة كقوله تعالى فانهن جمع وهي تشير الى الاقسام الثالث ان يتفقد من امورهم ومصالحهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما
عن نهاية الشفقة عليهم الرابع نهاه ان يعظم في نفسه شي يقويهم به من مال او نفع فيدعوه الى التقاصر في حقهم الخامس ولا
لا يحتقر لطفا يتعاهدهم به فيحمله احتقاره على تركه واحتج بالاولوية فانه وان قل يقودهم داعية الى بذل الطاعة وتقدير كبرى
هذا الضمير وكل ما كان كذلك فالاولى بك فعله السادس نهاه ان يدع تفقد الصغير من امورهم اعتمادا على تفقد عظيمها
لا ولوية فعل بقوله فان اليسير الى قوله موقعا يستغنون عنه والمعنى ظاهر فان موضع اليسير المنتفع به يستغني فيه عن الجسيم
وتقدير كبرى هذا الضمير وكل ما كان له موضعا ينتفع به فالاولى فعله في موضعه لينتفع به السابع امره ان يكون آثر رؤوس جنده
عنده من كان بالصفات المذكورة وهو الذي يواسي من تحت يده من الجند فيما يحصل له من المعونة ويفضل عليهم مما
في يده بما يسعهم ويسع من وراءهم من ضعفاء اهليهم وخلوفهم حتى يكون بذلك همهم واحدا فيكون بواعثهم الى رجل واحد
في جهاد العدو ثم رغب في العطف عليهم بما يستلزمه من عطف قلوبهم عليه وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل ما كان مستلزما لعطف قلوبهم فيفعله واجب ومصلحة وايضا لما كانت صحة محبتهم من اهم المطالب بين انها لا
تتم الا بامور ثلثة احدها حيطتهم ومحافظتهم ولاة امورهم الثاني قلة استثقال دولهم الثالث ان يتركوا استبطاء انقطاع
مدة دولهم وذلك في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وما لا يتم اهم المطالب الا به كان من اهم المطالب الثامن امره ان يفسح في
امالهم اي يحصل لهم من نفسه طمعا فسيحا بما املوه فيه لان ذلك مما لا يتم الامور الثلثة المذكورة الا به ولذلك رتب هذا الامر
عليها بالفاء التاسع امره ان يواصل من حسن الثناء عليهم وتعديد ما ابلى ذوو البلاء منهم واحتج لوجوب ذلك بقوله
فان كثرة الذكر الى قوله ان شاء الله وهو ظاهر والقضية في قوة صغرى ضمير كبراه وكل ما كان كذلك كان واجبا العاشر امره ان
يعرف لكل امري ما ابلى ونبه به على ان يهز الشجاع ويشجع الجبان الحادي عشر نهاه ان يضم بلاء امري الى غيره الثاني عشر

كثرة

يقصر به دون غايته لا يعد كبر بعضه او يحقره الثالث عشر وان لا يدعوه شرف امرئ الى ان يعظم صغير بلائه او ضعة
امرئ الى ان يستصغر كثير بلائه فان كل ذلك داعية الكسل والفتور عن الجهاد الرابع عشر ان يرد الى الله ورسوله
ما يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الامور محتجا بالاية وفسر الرد الى الله بالاخذ بمحكم كتابه والرد الى الرسول
بالاخذ بسنته ووصف السنة بكونها جامعة لان مدارها على وجوب الالفة واجتماع الخلق على طاعة الله وسلوك
سبيله **الصنف الثاني** قضاة العدل وعينهم له باوصاف وامره فيهم باوامر اما التعيين فاوجب ان يكون افضل
رعيته في نفسه وميز ذلك الافضل بصفات احدها ان يكون ممن لا تضيق به الامور فيحار فيها حين تورد عليه
الثاني وممن لا يمحكه الخصوم اي يغلبه على الحق باللجاج وقيل ذلك كناية عن كونه ممن يرضيه الخصوم فلا تمحكهم
باول قول الثالث ان لا يتمادى في زلته اذا زل فان الرجوع الى الحق خير من التمادي في الضلال الرابع ان لا يحصر من الرجوع
الى الحق اذا عرفه كما يفعله قضاة السوء حفظا للجاه وخوفا من شناعة الغلط الخامس ان لا تشرف نفسه على طمع
فان الطمع في الناس داعية الحاجة اليهم والميل عن الحق السادس ان لا يكتفي بادنى فهم دون اقصاه لان ذلك مظنة الغلط
السابع ان يكون اوقف الناس عند الشبهات لانها مظنة الوقوع في المأثم الثامن واخذهم بالحجج التاسع واقلهم تبرما بمراجعة
الخصم لما يستلزمه التبرم من تضييع الحقوق العاشر وكذلك واصبرهم على تكشف الامور الحادي عشر واصرمهم عند اتضاح
الحق فان في التاخير آفات الثاني عشر وممن لا يحدث له كثرة المدح كبرا الثالث عشر وممن لا يستميله الى غير الحق اغراء ثم
حكم بقلة من يجتمع فيه هذه الصفات تنبيها على انها مهما امكن اولى دون ان يكون شرطا في القضاء واما الاوامر فاحدها ان
يختار من كان بالصفات المذكورة الثاني ان يكثر تعاهد قضاياه ليقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله الثالث ان
يفسح له من البذل ما يزيح علته وهو كناية عما يكفيه وتقل معه حاجته الى الناس فلا يميل اليهم ويحتمل ان يكون بدلا من
البذل وان يكون مفعول الفسح محذوف ودل عليه البذل كانه قال افسح له ما يزيح علته وان يكون مفعول الفسح اي يوسع له
ما يكفيه من المال ويحتمل ان يكون في معنى مصدر يفسح اي يفسح له فسحا يزيح علته الرابع ان يعطيه من المنزلة عنده ما لا
يطمع فيه غيره من خاصته ليامن بذلك اغتيال الاعداء وتقدير كبرى هذا الضمير وكل ما كان كذلك فهو خير له
للقاضي الخامس ان ينظر في اختيار من كان بهذه الصفات وفيما امره به نظرا بالغا يعمل باقصاه وعلل ذلك بقوله فان هذا الدين
الى قوله الدنيا واستعار لفظ الاسير باعتبار تصرف منهم فيه كالاسير والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب النظر في
اختيار من يعمل فيه بالحق ويخرجه من اسر الاشرار وبالله التوفيق **الصنف الثالث** العمال وعينهم ايضا باوصاف وامر فيهم باوامر
مصلحية اما الاوصاف فاحدها ان يكون العامل من اهل التجربة للاعمال والولايات ليعمل على علم بعواقبها وبداياتها لان ذلك هو
الاصل الاكبر للعمل الثاني ان يكون من اهل الحياء فلا ينتهي في الانفعال الى حد الاستحياء وهو طرف التفريط فيضيع الحقوق
والمصالح ولا يتجاوز الى حد الوقاحة في طرف الافراط وما يلزمه من الجفاوة وتنفر القلوب عنه الثالث ان يكون من اهل البيوت
الصالحة والقدم السابقة في الاسلام وهي كناية عن البيوت المتقدمة في الدين والخير وطهر في ذلك اصل مرقوم واشار الى وجه الحكمة
في توليه من كان بهذه الصفات الثلث بقوله فانهم الى قوله نظرا وذلك ان الحياء وصلاح البيوت والقدم في الاسلام يبعثهم على كرم الا

والمحافظة

وحافظهم

على الاعراض من المطاعن وقلة الاشراف والتطلع الى المطامع الدنية والتجربة تفيدهم بلاغة النظر في عواقب الامور والكلام في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو اولى ان يقصد بالتولية والعمل واما الاوامر فاولها ان ينظر في امورهم فيستعملهم بعد
التجربة والاختبار ولا يولهم محاباة واثرة فكان يعطونه شيئا على الولاية فيوليهم ويستاثر بذلك دون مشاورة فيه فانهما اي المحاباة
والاثرة كما هو مصرح به في بعض النسخ عوض الضمير جمع من شعب الجور والخيانة اما الجور فللخروج بهما عن واجب العدل المأمور
به شرعا واما الخيانة فلان المتحري في اختيارهم من الدين وهو امانة في يد الناصب لهم فكان نصبهم من دون ذلك تحرج الخيانة
والاثرة نحو وجها عن الامانة ونوعا من الخيانة وثانيها ان يقصد بالعمل من كان بالصفات المذكورة للعمل المذكورة الثالث ان
يسبغ عليهم الارزاق وبين المصلحة في ذلك من ثلثة اوجه احدها ان عمومهم بالارزاق يكون قوة لهم على استصلاح انفسهم
الذي لا بد منه الثاني انه غنى لهم عن تناول ما تحت ايديهم من مال المسلمين الثالث انه يكون حجة لهم عليهم ان خالفوا امره او
ثلموا امانته واستعار لفظ الثلم للخيانة والوجوه الثلثة صغريات ضماير تقدير كبرياتها وكل ما كان كذلك كان فعله مصلحة
واجبة الرابع ان يتفقد اعمالهم ويبعث العيون والجواسيس من اهل الصدق والوفاء عليهم واشار الى وجه المصلحة في
ذلك بقوله فان تعاهدك الى قوله بالرعية فان تعهده لامورهم مع علمهم بذلك منه يبعثهم على اداء الامانة فيها ولزوم
الاعمال وعلى الرفق بالرعية والمذكور صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب فعله الخامس ان يتحفظ من خيانة
الاعوان من العمال وارشده بقوله فان احد منهم بسط الى قوله التهمة الى ما ينبغي من آدابهم ولقا حسنه الله فيهم واستعار
لفظ التقليد لتعليق نسبة التهمة اليه ملاحظة لشبهها بما يقلد به من الشعار المحسوس واللفظ في غاية الفصاحة وهذه
العقوبة مقدرة بحسب العرف وراي الامام او من ارتضاه **الصنف الرابع** اهل الخراج وامره فيهم باوامر احدها ان يتفقد
امر خراجهم ويفعل فيه ما اصلح اهله بما سنشرحه ثم اشار الى وجه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان صلاحه الى
الابهم ونبه بقوله لا صلاح لمن سواهم الا بهم على حصر صلاح الغير فيهم تاكيدا وتقدير الكبرى وكل من كان لا صلاح للناس
الا به فيجب مراعاة اموره وتفقد احواله ثم بين الصغرى بقوله لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وهو ظاهر
الوقت الثاني ان يكون نظره في عمارة الارض ابلغ من نظره في طلب الخراج واستجلابه ونبه على وجه الحكمة فيه بقوله لان ذلك
اي الخراج لا يدرك الا بالعمارة وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها بقوله ومن طلب الى قوله قليلا وهو اشارة الى ما يلزم تضييع
المدعي وهي مفاسد ثلث احدها خراب البلاد لعدم العمارة والثاني اهلاك العباد لتكليفهم ما ليس في وسعهم والثالث
عدم استقامة امر الطالب للخراج والوالي على اهله وهو لازم عن الاولين وتقدير الكبرى وكل ما لا يدرك الا بالعمارة فيجب ان
يكون النظر فيها ابلغ من النظر فيه فينتج ان النظر في العمارة يجب ان يكون ابلغ من النظر في الخراج الثالث ان يخفف عنهم
من خراجهم ما يرجو ان يصلح به امرهم على تقدير ان يشكوا من حالهم ما ساء وطحنهم من ثقل خراج او علة سماوية
او انقطاع شرب كان لهم من الماء او تغير ارض وفسادها بسبب غرق او عطش ثم نهاه ان يستثقل ما يخفف عنهم من المؤونة واشار
الى وجه الحكمة فيه بقوله فانه ذخر الى قوله العدل فيهم ومعنا مظاهر ومعتمدا نصب على الحال والعامل خففت وفضل نصب على المفعول
عن معتمدا او قوله والثقة عطف على المفعول المذكور ونبه على وجه المصلحة في اعتماد فضل قوتهم بادخارهم والثقة منهم بما عودهم

من عدله بقوله ونعم الحدث الى قوله انفسهم وتقدير الكلام خفف عنهم معتمدا افضل قوتهم فان ذلك يستلزم احتمالهم الما
عسا ما يحدث من الامور فيحملونه اذا عولت عليهم فيه بطيب نفس وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان
كذلك فواجب ان يخفف عنهم ويعتمد فضل قوتهم وفي قوله فان العمران محتمل ما حملته بيان الصغرى لان التخفيف عنهم
يستلزم عمران ارضهم وهو يستلزم احتمالهم لما يرد عليهم من حوادث الامور ثم نبه بقوله وانما يؤتى خراب الارض
الى قوله اهلها على سبب الخراب وبقوله وانما يعوز الى قوله بالعبر على ذلك السبب وهو مركب من ثلثة اجزاء احدها اشراف
نفوس الولاة على الجمع والثاني سوء ظن احدهم انه لا يبقى في العمل والثالث عدم انتفاعهم بالعبر لقلة التفاتهم اليها وظاهر ان
هذه الامور اذا اجتمعت في الوالي استلزمت جمعه المال واستقصاءه على الرعية واستلزم ذلك اعوازهم وفقرهم واستلزم
ذلك خراب ارضهم وتعطيل عمارتها الصنف الخامس الكتاب وامره فيهم باوامر احدها ان يولي اموره خيرهم وفسر الخير
هنا هو من كان تقيا قيما بما يرادمنه من مصالح العمل الثاني ان يخص رسائله واسراره ومكائده باجمعهم لصالح الاخلاق
وقد علمت اصولها غير مرة ومن العلم بوجوه الاراء المصلحية والتهدي الى وضع كل شيء موضعه ثم العفة والشجاعة والعدالة
مع ملكة الاربعة من الفضائل الخلقية ثم فسر بعض الفضائل التي عساها ان تخفى وذكر منها خمسا احداها عدم البطر
وهي فضيلة يلزم الشكر وهو فضيلة تحت العفة وعبر عن صاحب البطر بقوله فيجترئ الى قوله ملا وهو في قوة صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل من يجترئ عليك كذلك فمن صالح الولاية امرك الثانية الفطنة والذكاء فيما هو بصدده من
الامور المذكورة وكنى عن ذلك بقوله ممن لا تقصر به الغفلة الى قوله منك والذكاء فضيلة تحت الحكمة الثالثة ان لا
يكون ممن يضعف عقدا يعقده لك من الامور بل يجعل محكما الرابعة ان لا يعجز عن اطلاق ما عقده عليك وخصومك
من الامور بالحيلة والخديعة وهذان لازمان لاصالة الراي وهي فضيلة تحت الحكمة الخامسة ايضا وبنبه على الجاهل
الجاهل بذلك بقوله فان الجاهل الى قوله اجهل وهي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب اجتنابه الثالث
ان يكون اختياره للعمال تفرسا منه وسكونا وحسن ظن باحدهم واشار الى وجه المفسدة في ذلك بقوله فان الرجال
الى قوله شيء والمعنى ان الرجال قد يتصنعون بحسن الخدمة ويتعرضون لان تتفرس فيهم الولاة فيعرفونهم بذلك مع انه
ليس وراء ذلك التصنع من النصيحة والامانة شيء وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان لا يعتمد على
اختياره بحسب الفراسة الرابع لما نهاه ان يوقع اختيارهم كذلك امره ان يختبرهم بولايتهم لمن كان قبله من الصالحين
ارشادا الى وجه الاختيار ويقصد الى من كان بالصفات المذكورة وهو ان يكون احسن اثرا في العامة واعرفهم بوجه الامانة
في الدين ورغبه في ذلك بضمير صغراه قوله فان ذلك الى قوله امره وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك وجب فعله الخامس
امره ان يجعل لراس كل امر من اموره راسا من الكتاب الموصوفين يكون مناسبا له بحيث لا يكبر عليه كبيره فيقهره ولا
عليه كثيره فيتشتت عن ضبطه ويقصر دونه السادس نهاه ان يتغافل عما يكون في كتابه من عيب ونبهه على ذلك
بقوله ومهما الى قوله الزمته وهو صغرى ضمير تقديرها فان كل ما يتغافل عنه من ذلك يلزم به وتقدير كبراه وكل ما
يلزم به فلا يجوز ان يتغافل عنه الصنف السادس التجار وذوو الصناعات وامره فيهم باوامر اولها ان يستوصي بهم

قعبرة

للخاصة ان لا يجهل سليم قدر نفسه في الامور فيترفعها الى فوق محلها ومرتبتها وهي فضيلة تحت الحكمة الخلقية
صح

عليها والضمير في قوله لم اشعها

خيرا الثاني ان يوصي بهم كذلك باصنافهم المقيم منهم والمضطرب في تجارته بماله والمترفق ببدنه وهم اهل الصنائع واشار
الى وجه الحكمة في الوصية بهم والعناية بحالهم من وجهين احدهما منفعتهم وذلك قوله فانهم الى قوله سواحلها وعليهما
الى المنافع وقوله وحيث اي ومن مكان لا يجتمع الناس لمواضع تلك المنافع منه ولا يجترئون عليها فيه وذلك كالجبث
كالبحار والجبال ونحوها الثاني انه لا مضرة فيهم وذلك قوله فانهم سلم الى قوله غائلته وتقدير كبرى الضميرين وكل من
كان كذلك فيجب الاستيصاء به والوصية بالخير في حقه الثالث ان يتفقد امورهم بحضرته وفي حواشي بلاده وما عساه
يعرض لهم من المظالم والموانع لمن يليها عنهم الرابع ان يعلم ما فيهم من المعايب المعدودة وهي الضيق الفاحش والشح
والضيق هنا البخل ثم الاحتكار للمنافع التي يعم نفعها وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والملح ثم التحكم
في البياعات وهو عبارة عن البيع على حكمه بالهوى المطلق من غير تقييد بشريعة او عرف فان ذلك عدول عن العدل
الى رذيلة الجور ثم نبه على وجه المفسدة اللازمة لتلك المعايب بقوله وذلك الى قوله الولاة اما انه مضرة فظاهر واما
انه عيب على الولاة فلان قانون العدل بايديهم فاذا اهملوا ذلك زهولا عن طرق الجور توجهت اللائمة نحوهم والعيب
عليهم وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب انكاره ودفعه الخامس لما بين له وجه المفسدة في تلك
المعايب امره بمنع الاحتكار واحتج بمنع الرسول صلى الله عليه وآله السادس امره ان يكون البيع سهلا سمحا وان يكون بموازين
عدل واسعار لا تجحف بالبايع فيذهب اصل بيعه ولا بالمشتري فيذهب راس ماله السابع امره بايقاع النكال على من احتكر بعد
نهيه عن ذلك وان يعاقبه من غير اسراف الصنف السابع الطبقة السفلى وميزهم باوصافه وامر فيهم باوامر ونواهي اما تمييزهم
فالعاجزون عن الحيلة في الاكتساب والمساكين والمحتاجون واهل البؤسى والزمنى وهؤلاء كلهم وان دخل بعضهم في بعض
الا ان عدده لهم بحسب تعدد صفاتهم لمزيد العناية بهم كيلا يتغافل عن احدهم ويتناول فيه واما الاوامر فاحدها التحذير
من الله فيهم واشار الى وجه الحكمة في ذلك التحذير بقوله فان فيهم قانعا ومعترا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل
من كان كذلك فيجب ان يحذر الله فيه ويحفظ له ما استحفظ من حقه فيه الثاني ان يجعل لهم قسما من بيت مال الله
صوافي الاسلام في كل بلد واضاف بيت المال اليه واراد الذي يليه ونبهه على ذلك بقوله فان للاقصى الى قوله حقه
وتقدير كبرى هذا الضمير وكل من كان كذلك وجب ان تحسن الرعاية في حقه باداء اليه الثالث نهاه ان يشغله عنهم بطر
ويقرع عن الاشتغال عنهم بقوله فانك لا تعذر الى قوله المهم واراد بالتافه القليل من امورهم واحوالهم وهو ضمير تقدير كبراه
وكل من لا يعذر بذلك فلا يجوز له التشاغل عنه الرابع نهاه ان يشخص همه عنهم اي يرفعه حتى لا يعتني بهم الخامس نهاه
ان تصعر خده لهم وهو كناية عن التكبر عليهم السادس امره ان يتفقد امور من لا يمكنه الوصول اليه منهم لتحقير وحقارة
في عيون الاعوان والجند وان يفرغ لهؤلاء ثقته من اهل الخشية والتواضع ومصيبة لهم ليرفع اليه امورهم السابع امره
فيهم بالاعذار الى الله سبحانه يوم يلقاه اي يعمل في حقهم ما امر الله به بحيث يعذره اي يكون ذا عذر عنده اذا سأله عن
ضلاله بهم ونبه على وجه الحكمة في ذلك بقوله فان هؤلاء الى قوله غيرهم الثامن اكد الامر بالاعذار الى الله في اداء حق
كل واحد من المذكورين اليه التاسع امره ان يتعهد الايتام وذوي الرقة في السن اي الذين بلغوا في الشيخوخة الى ان رقت حالهم

وضعف حالهم عن النهوض فلا حيلة لهم ممن لا ينصب نفسه لمسألته الترحيب مع حاجته وفقره ثم اشار الى ثقل التكليف بمجموع الاوامر السابقة بقوله وذلك على الولاة ثقيل وبقوله والحق كله ثقيل توطينا لنفسه على ذلك ثم رغب فيه بقوله وقد يخففه الله الى قوله لهم فنسب تخفيفه الى الله ليرغب اليه فيه ويحمده على فضله واستثنى العبد بذكر صفات الصالحين وهم الذين طلبوا العاقبة من بلاء الله في الآخرة فاستسهلوا ما صعب من التكاليف الدنيوية بالقياس اليه ووثقوا بصدق موعود الله في دار القرار وبالله التوفيق **الفصل الرابع** في اوامر ونواهي مصلحية وآداب خلقية وسياسية بعضها عامة وبعضها خاصة بعمال الدين بخاصته وبطانته وبنفسه واحوال عبادته الى غير ذلك وهو قوله واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن لن تقدس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنك الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته واعط ما اعطيت هنيئا وامنع في اجمال واعذار ثم امور من امورك لا بد لك من مباشرتها منها اجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك ومنها اصدار حاجات الناس عند ورودها عليك مما تحرج به صدور اعوانك وامض لكل يوم عمله فان لكل يوم ما فيه واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله افضل تلك المواقيت واجزل تلك الاقسام وان كانت كلها لله اذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية وليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك اقامة فرائضه التي هي له خاصة فاعط الله من بدنك في ليلك ونهارك ووف ما تقربت به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ فاذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا ولا مضيعا فان في الناس من به العلة وله الحاجة وقد سالت رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجهني الى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما واما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالامور والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الامور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانما انت احد رجلين اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما اسرع كف الناس عن مسألتك اذا ايسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف في معاملة ثم ان للوالي خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلة انصاف فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الاحوال ولا تقطعن لاحد من حاشيتك وحامتك قطيعة ولا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب او عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك وعيبه عليك في الدنيا والآخرة والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبة ذلك محمودة وان ظنت

الرعية

الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك اعذارا تبلغ فيه حاجتك من تقويمهم على الحق ولا تدفعن صلحا دعاك اليه عدوك لله فيه رضا فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتهم في ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوك عقدة او البسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالامانة واجعل نفسك جنة دون ما اعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله الا جاهل شقي وقد جعل الله عهده وذمته امنا افضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولا خداع فيه ولا تعقد عقدا تجوز فيه العلل ولا تعولن على لحن قول بعد التاكيد والتوثقة ولا يدعونك ضيق امر لزمك فيه عهد الله الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك فيه من الله طلبة لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك اياك والدماء وسفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا احرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن وان ابتليت بخطا وافرط عليك سوطك او يدك بعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تؤدي الى اولياء المقتول حقهم واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين واياك والمن على رعيتك باحسانك او التزيد فيما كان من فعلك او ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الاحسان والتزيد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند الله والناس فان الله سبحانه يقول كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون اياك والعجلة بالامور قبل اوانها والتساقط فيها عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه واياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه ماخوذ منك لغيرك وعما قليل تنكشف عنك اغطية الامور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكف البادرة وتاخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة او اثر عن نبينا صلى الله عليه وآله او فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك الى هواها **اقول** الشرط قوم يعلمون انفسهم بعلامات الخدمة يعرفون بها والخرق ضد الرفق والانف الانفة وهي خصلة تلازم الكبر والاكناف الجوانب والاسداء الاعطاء والحامة القرابة والعقدة الضيعة والعقدة ايضا المكان كثير

الشجر والنحل واعتقل الضيعة اقتناها والمغبة العاقبة واصحر اي اظهر والدعة الراحة واستوبلوا الامر استثقلوه والوبال الثقل
يقال استوبلت البلاد اذا استوخمت فلم يوافق ساكنها وخاس بالعهد نقضه والختل الخداع واغضاه بسطه واستفاض
سال والادغال الافساد والدغل الفساد والمدالسة مفاعلة من التدليس في البيع وغيره كالمخادعة ولحن القول كالتورية
والتعريض من الامر والركوك الضرورة والدهية وقيل هي تجمع اليد على الذقن والفرصة النوبة والتمكن من الامر وسورة الرجل
سطوته وحد باسه وغرب اللسان حدته والبادرة سرعة السطوة والعقوبة اما الامور التي تعم مصلحتها فاحدها ان
يجعل لذوي الحاجات نصيبا من نفسه يفرغ لهم فيه مدة عن كل شاغل ويجلس لهم مجلسا عاما في الاسبوع او دونه
او فوقه حسب ما يمكن الثاني ان يتواضع فيه لله ورغبه في التواضع بنسبته الى الله باعتبار انه خالقه الذي ينبغي
ان يكون له التواضع الثالث ان يقعد عنهم جنده واعوانه وابان وجه المصلحة في ذلك بقوله حتى يكلمك متكلمهم
غير متعتع واشار الى علته وجوبه بقوله فاني سمعت الى قوله القوي ووجه الدليل من هذا الخبر انه دل بالمطابقة
على وعيد الامة التي لا ينتصف فيها من قوي بعدم طهارتها المستلزم لعذابها الاخروي دل بالالتزام على وجوب ان يكون
فيها ذلك ثم لما كانت الامور المامور بها مما لا يتم ذلك الواجب الا بها كانت باسرها واجبة الرابع امور تلزمه مباشرتها
عمت مصلحتها وامور يجب لحرفة حرج اي وهنا الامور ونحوه منها اجابته عماله بما يرى المصلحة في الجواب بعد
الكتاب عن كثير من ذلك ومنها اصدار حوائج الناس التي يضيق منها صدور اعوانه عند ورودها عليه ولا ينبغي ان
يكلها اليهم فان غاية قضائهم لها اذا قضيت ان يكون على غير الوجه المرضي الخامس ان يمضي لكل يوم عمله ونبه على ان ذلك لازم
فان لكل يوم ما فيه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه واذا كان لكل يوم ما فيه وجب ان يمضي فيه السادس ان يجعل لنفسه في
معاملته لله افضل تلك المواقيت اي الاوقات المفروضة للافعال واجزل اقسام الافعال الموقتة فافضلها ابعدها عن الشواغل
واقربها الى الخلوة بالله سبحانه ونبه بقوله وان كانت الى قوله الرعية على ان اصح الاعمال اخلصها لله السابع ان يكون في خاصة
ما يخلصه لله في دينه اقامة فرائضه يخصها بمزيد عنايته ورعايته الثامن ان يعطي الله من بدنه في ليله ونهاره اي طاعة
وعبادة في زمان المفعول الثاني للعلم به والقرينة كون الليل والنهار محلين للافعال والقرينة ذكر البدن التاسع ان يوفي
ما يتقرب به الى الله من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص وما انتصب على المصدر بقوله بالغا من بدنك ما بلغ من القوة
على الطاعة العاشر من الاداب الراجعة الى حال الامامة بالناس في الصلوة ان يكون متوسطا في صلاته بين المطول التام
بتطويله وبين المقصر المضيع لاركان الصلوة وضبطها واحتج لنفي التنفير والتطويل بالمعقول والمنقول اما المعقول
فضمير صغراه قوله فان في الناس العليل والحاجة وتقدير كبراه وكل من كان فيه من ذكر فيجب ان يرفق ويخفف عنه واما
المنقول فما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الخبر ووجه التشبيه بصلوة الاضعف تخفيف الصلوة
حفظ اركانها ولبابها الحادي عشر من الاداب المصلحة لتدبير المدينة النهي عن طول الاحتجاب عن الرعية ورغب في
الانتهاء عنه من وجوه احدها انه نوع من انواع الضيق على الرعية اذ كانت مشاهدتهم للوالي تفرج عنهم ما يكرهونه
من الامور المهمة لهم الثاني انه قلة علم بالامور اي بين سبب قلة فاطلق اسم اللازم على ملزومه واكد ذلك بقوله والاحتجاب

ای بالناس

المعقول

المنقول

يقطع منهم اي من الولاة علم ما احتجبوا دونه من امور الرعية ثم اشار الى ما يلزم عدم علمهم من المفاسد وهو ان يصغر كبير الامور عنده
كان يظلم حاشية الامير فيصغر الاعوان جريمته عنده فيصغر وكذلك يعظم صغيرها او وقع من ضعيف صغير ذنب
كبير وكذلك يقبح عنده الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل ويلبس به وذلك قوله فيصغر الى قوله بالباطل ثم نبه على
وجه لزوم قطع العلم بالامور لطول الاحتجاب بقوله وانما الوالي بشر الى قوله الصدق والكذب والتقدير انه بشر والبشر
من خاصته انه لا يعرف ذلك الا بعلامة وليس على الحق علامات يعرف بها ضروب صدق القول من كذبه الثالث انه رغب
في الانتهاء عنه بضمير صغراه شرطية منفصلة وهي قوله وانما انت الى قوله ببذل ذلك وتلخيصها انك اما ان تكون مطبوعا
على السخاء بالبذل في الحق او مبتلى بالمنع منه وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا يجوز له الاحتجاب بيان الكبرى اما ان كان
سخيا ببذل الحق فانه عند الطلب منه اما ان يعطي حقا يجب عليه او يفعل فعل الكرماء وذلك لا يجوز الاحتجاب منه واما ان
كان مبتلى بالمنع فان الناس ييأسون الكف عن مسألته اذا ايسوا من بذله وحينئذ لا معنى للاحتجاب عنهم الرابع قوله مع
ان اكثر الى قوله معاملة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكثر حاجات الناس اليه مما لا مؤونة عليه فيه من الامور
المذكورة فلا معنى للاحتجاب عنهم الثاني عشر من الامور المصلحية المتعلقة بخاصته ان يحسم مؤونتهم عن الرعية فقوله فاحسم مادة
المؤونة ارشاد الى سبب قطعها واشار الى وجه ذلك بذكر ما فيهم من الاستيثار على الرعية بالمنافع والتطاول عليهم بالاذى وقلة
الانصاف وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان كذلك فيجب قطع مؤونته عنهم والاحوال التي امر بقطع اسبابها هي
وجوه المؤونة المذكورة من الاستيثار والتطاول وقلة الانصاف وقوله ولا تقطعن الى قوله مشترك تفصيل لوجوه قطع الاسباب
المذكورة فان اقطاع احدهم قطيعة وطمعه في اقتناء ضيعة يضر بمن يليها من الناس في ماء او عمل مشترك يحملون مؤونته على الناس
كعمارة ونحوها هي اسباب الاحوال المذكورة من وجوه المؤونة وقطع تلك الاحوال بقطع اسبابها ثم نفر عن اسباب المؤونة
الناس بما يلزم تلك الاسباب من المفسدة في حقه وهي كون مهناة ذلك لهم دونه وعيبه عليه في الدنيا والاخرة وهو في
قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان مهناه للغير وعيبه عليك فلا يجوز فعله الثالث عشر ان يلزم الحق من يلزمه الحق
القريب والبعيد ويكون في ذلك الالزام صابرا محتسبا واقعا ذلك بحق اقاربه من حيث الرأي مدخله في حساب ما يقربه الى
الله تعالى ويعده خالصا لوجهه واقعا ذلك الالزام من قرابته وخواصه حيث اتفق وقعه بمقتضى الشريعة والواو في قوله وواقعا
للحال وواقعا ايضا حال والعامل قوله والزم الرابع عشر ان يبتغي عاقبة ذلك الالزام بما يثقل عليه من فعله بخاصته كان يستخفي
بفعله ما يلزمه في العاقبة من العافية من عيب الدنيا وعذاب الآخرة ورغب في ذلك بقوله فان مغبة ذلك محمودة وهي
تلك العافية وما يلزمها من السعادة الباقية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كانت مغبته محمودة وجب الرغبة
في فعله الخامس عشر على تقدير ان تظن الرعية فيه حيفا ان يظهر لهم عذره بما ظنوا فيه الحيف ويعدل عنه ظنونهم بالاصحار
ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فان في ذلك الى قوله الحق اي فان في اظهار عذرك لهم ان تصير فاعلا رياضة منك بنفسك على الحق
ان فعلك حق لا حيف فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي فعله السادس عشر نهاه ان يدفع صلحا دعاه اليه عدوه ولله فيه رضى
الله ونبه على وجوه المصلحة فيه بضمير صغراه قوله فان في الصلح الى قوله بلادك وهي ثلث مصالح ظاهرة اللزوم لصلح العدو وتقدير

بعضهم

وكل ما كان فيه هذه المصالح فواجب قبوله السابع عشر انه في تحذيره من العدو بعد صلحه ولمن ان يأخذ بالحزم ويتهم في ذلك
حسن ظنه الذي عساه ينشأ عن صلحه ونبه على وجوب ذلك الحذر بضمير صغراه قوله فان العدو ربما قارب ليتغفل اي
عدوه بصلحه ليطلب غفلته فيظفر به واراد عليه السلام في ذلك شواهد التجربة وحذف المفعولين للعلم بهما وتقدير كبراه وكل من
كان كذلك فواجب ان يحذر منه الثامن عشر امره على تقدير ان يعقد بينه وبين عدوه عهدا ان يحوطه بالوفاء ويرعى
ذمته بالامانة ويجعل نفسه جنة دون ما اعطى منهما اي يحفظ ذلك بنفسه ولو ادى الى ضررها واستعار لفظ اللبس
لادخاله في امان الذمة ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه وكذلك لفظ الجنة لنفسه ملاحظة لشبهها في الحفظ بالترس
ونحوه ورغب في ذلك بوجهين اشتمل عليهما قوله فانه الى قوله الغدر احدهما ان الناس اشد اجتماعا على ذلك من فرائض
الله الواجبة عليهم مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم الثاني ان المشركين لزموا ذلك فيما بينهم واستثقلوا الغدر لما فيه من
سوء العاقبة والمذكوران صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك يجب لزومه والمحافظة عليه ثم اكد ذلك بالنهي
عن الغدر في العهد ونقض الذمة وخدع العدو بما هو به ثم الغدر به وتفرع عن ذلك بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله
الاشقى وهو صغرى ضمير تخصيصها فانه لا يجترئ على الله الا شقي وتقدير كبراه وناقض العهد والمدخل فيه مجترئ على الله [illegible] الرابع
فالشقي هو ناقض والمدخل فيه ويجوز ان يكون تقدير الصغرى فان ذلك جرأة على الله تستلزم الشقاوة وتقدير الكبرى وكل
ما كان كذلك وجب اجتنابه لينتج من الاول المطلوب الثاني قوله وقد جعل الى قوله جواره وامنا اي مأمنا واستعار لفظ
للعهد ورشح بذكر السكون الى منعته والاستفاضة الى جواره ونبه بذلك على وجه الاستعارة وهو الاطمئنان اليه والامن
الفتنة بسببه فاشبه الحريز المانع والكلام ضمير صغرى تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا يجوز نقضه ولا ادغال التاسع عشر نهاه
ان يعقد عقدا تجوز فيه العلل الى الاحوال المفسدة له وهو كناية عن امره باحكام ما يعقد من الامور العشرون نهاه ان
على لحن القول في الايمان والعهود بعد ان يؤكدها ويستوثق من غيره فيها او يستوثق غيره منه فيها ومثال لحن القول ما ادعاه
طلحة والزبير من الوليجة والتورية في بيعتهما له عليه السلام اي لا تعتمد على ذلك من نفسك ولا تلتفت اليه من غيرك لو ادعاه
الحادي والعشرون نهاه ان يدعوه ضيق امر لزمه فيه عهد الله الى ان يطلب ابطاله بغير حق ورغب في الصبر عليه بقوله فان
صبرك الى قوله آخرتك وهو ضمير صغرى واراد بتبعته ما يتبعه من العقوبة والطلبة بما يطالب به يوم القيمة من لزوم العهد
بركنا به عن لزومها له ووصف الطلبة بقوله لا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك واراد انه لا يكون لك معها دنيا تستقيلها
وتنتظر خيرها لعدم الدنيا هناك ولا آخرة تستقبلها اذ لا تستقبل في الآخرة الا الامور الخيرية ومن لحقته طلبة من الله فلا
له في الآخرة ما يستقبله وروي تستقيل بالياء اي لا يكون لك من تلك الطلبة والتبعة اقالة في الدنيا ولا في الآخرة الثاني
حذره من الدخول في الدماء وسفكها بغير حق وهو كناية عن القتل ونفر عنه بوجهين احدهما قوله فانه الى قوله حينها وهي صغرى
ضمير تقديرها فان سفك الدماء بغير حق ادعى الاشياء لحلول النقمة واعظمها في لحوق التبعة منه واولاها بزوال النعمة وانقطاع
مدة الدولة والعمر وظاهر انها اقوى المعدات للامور الثلثة لما يستلزمه من تطابق همم الخلق ودواعيهم على زوال القاتل واستنزال
غضب الله عليه لكون القتل اعظم المعاصي المنهي عنها وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فيجب ان يحذر فعله الثاني قوله

الى قوله القيمة ونبه بابتداء الله تعالى بالحكم بين العباد في القتل على انه اعظم عنده تعالى من سائر الكبائر وهو صغرى ضمير تقدير كبراه
وكل ما ابتدأ الله بالحكم فيه فيجب التحري فيه واجتناب ما يكره منه الثالث والعشرون نهاه ان يقوي سلطانه بسفك
الدم الحرام ونفر عنه بقوله فان ذلك الى قوله وينقله وهي صغرى ضمير بيانها ما سبق فان سفك الدم الحرام لما استلزم
الامور الثلثة المذكورة كان ذلك مضعفا للسلطان ومزيلا له وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه
الرابع والعشرون نهاه عن قتل العمد حراما ونفر عنه بامرين احدهما انه لا عذر فيه عند الله ولا عندي والثاني ان فيه
قود البدن وهما صغريا ضمير تقدير الكبرى فيهما وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه الخامس والعشرون نهاه ان يرتكب
رذيلة الكبر عند ان يبتلى بقتل خطاء او افراط سوط او يد عليه في عقوبة فيأخذه عزة الملك والكبر على اداء
المقتول فلا يؤدي اليهم حقهم ونبه بقوله فان الى قوله مقتلة على ان الضرب باليد المسمى وكزا قد يكون فيه القتل وهو مظنة
له السادس والعشرون حذره الاعجاب بنفسه والثقة بما يعجبه منها وحب الاطراء والاخبار ببيان لوازم الاعجاب وبين ان
وتفرع عن الثلثة بقوله فان ذلك الى قوله المحسن وفي نفسه متعلق باوثق وقوله ليمحق احسان المحسن يحتمل وجهين احدهما ان الشيطان لما كان
من المهلكات لم ينفع معه احسان المحسن فاذا تمكن الشيطان من الفرصة وزين الاعجاب للانسان وارتكبه محق ما
له من الاحسان الثاني ان المعجب بنفسه لا يرى لاحد عنده احسانا فيكون اعجابه ماحقا لاحسان من احسن اليه ولما كان مبدأ
الاعجاب هو الشيطان كان الماحق لاحسان المحسن ايضا هو الشيطان فلذلك نسبه اليه والكلام في قوة صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل ما كان اوثق فرص الشيطان في نفسه وجب الاحتراز عنه السابع والعشرون حذره رذائل ثلثا احدها المن على
رعيته باحسانه اليهم الثانية التزيد فيما فعله في حقهم وهو ان ينسب الى نفسه من الاحسان اليهم ازيد مما فعل الثالث
ان يخلف موعوده لهم ثم نفر عن المن بقوله فان المن يبطل الاحسان وذلك اشارة الى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى وعن التزيد بقوله فان التزيد يذهب بنور الحق واراد بالحق هنا الاحسان اليهم او الصدق في ذكره في
موضع يحتاج اليه فان على ذلك نورا عقليا ترتاح له النفوس وتبتهج به ولما كان التزيد نوعا من الكذب وهو رذيلة عظيمة
لا جرم كان مما يذهب نور ذلك الحق ويطفئه فلا يكون له وقع في نفوس الخلق ونفر عن الخلف بقوله يوجب المقت عند الله
والناس اما عند الناس فظاهر واما عند الله فلقوله تعالى كبر مقتا عند الله الآية والثلثة صغريات ضمائر تقدير كبرياتها
وكل ما كان كذلك وجب اجتنابه الثامن والعشرون حذره من ايقاع الامور على احد طرفي التفريط والافراط فطرف الافراط في
الطلب العجلة بها قبل اوانها او اللجاجة فيها عند تنكرها وتغير وجوه مأخذها وعدم اتضاحها وتسهلها وطرف التفريط
التساقط فيها والقعود عنها اذا امكنت وهو يقابل العجلة فيها او الضعف عنها اذا استوضحت وهو يقابل اللجاجة فيها عند
تنكرها واستلزم النهي عن هذين الطرفين الامر بايقاعها على نقطة العدل وهي الحد الاوسط من الطرفين وموضعها اللائق
فلذلك قال فضع كل امر موضعه واوقع كل عمل موقعه التاسع والعشرون حذره من الاستيثار بما يجب تساوي الناس
فيه كالذي يستحق من مال المسلمين ونحوه الثلثون وعن التغافل عما يجب العلم والعناية به من حقوق الناس المأخوذة ظلما مما قد
وضح للعيون اهمالك له ونفر عن ذلك بقوله الى قوله للمظلوم واراد ما يستأثر به من حقوق الناس ويتغافل عنها وما في قوله

عمار لبيته وزادة بالقليل مدة الحياة الدنيا واشار باغطية الامور الى الهيات البدنية الحاجبة لحقايق الامور من ان يرى بها تبصر
وقد علمت ان انكشاف تلك الاغطية عنه بطرح بدنه وحينئذ يشاهد ما اعد له من خير او شر كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما
عملت من خير محضرا الآية الحادي والثلثون امره بملك حميه انفه اى انفته مما يقع من الامور المكروهة وسورة حده وحد لسانه
وملك هذه الامور انما يكون بالاحتراس عن تعديه قوته الغضبية ووقوفه في فعلها على حاق الوسط بحيث لا يعبر فيها
الى حد الافراط فيقع في رذيله التهور ويلزمه في تلك الرذيله الى الظلم الثاني والثلثون امره بالاحتراس من تلك الامور
الى السابه وهو كف البادرة وتاخير السطوة الى حين سكون الغضب ليحصل له بذلك الاختيار في الفعل والترك الذي هو
مصلحة واشار الى وجه احكام تلك الاسباب بقوله ولن تحكم ذلك الى قوله عليك وذلك ان كثرة الهم عن ذكر المعاد
في امور الاخرة ماح للرغبة في الامور الدنيوية التي هي السائح او وثوران الغضب الثالث والثلثون اوجب عليه ان
يجمع ما اوصاه به في هذا العهد اجمالا احدهما ان يتذكر ما مضى لمن تقدمه من الحكومات العادلة للولاة قبله او
الآثار المنقولة عن نبينا صلى الله عليه وآله او من فرايض الله ليقتدي بما شاهد من عمله عليه السلم فيها الثاني ان يجتهد
في اتباع ما عهد اليه في عهده هذا واستوثق به من الحجة لنفسه عليه وبين الموعظة والتذكير باوامر الله لكيلا يكون له علة
بها عند تسرع نفسه الى هواها كما قال تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل **ومن هذا العهد** وهو آخره وانا اسأل الله
سبحانه بسعة رحمته وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ان يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح اليه والى
خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الاثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة انا اليه
راغبون والسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسليما كثيرا **اقول** ختم هذا العهد بسوال الله ان يوفقهما لما فيه رضاه
واقسم عليه في اجابة سواله برحمته التي وسعت كل شيء بقدرته العظيمة على اعطاء كل رغبة وظاهر كونهما سببين لاجابة
السائلين ثم فصل ما ساله مما فيه رضاء الله وهي امور احدها الاقامة على العذر الواضح الى الله والى خلقه فان قلت العذر
يكون عن ذنب فمن اقام على طاعة الله كيف يكون له عذر قلت يحتمل ان يكون العذر اسما من الاعذار الى الله
وهو المبالغة في الاتيان باوامره فكانه قال من الاقامة على المبالغة اليه في اداء اوامره الثاني حسن الثناء في العباد وجميل
الاثر وهو ما يورث من الافعال الحميدة في البلاد وذلك مما ساله الانبياء كابراهيم عليه السلم واجعل لي لسان صدق في الاخرين
هو الذكر الجميل في الناس الثالث ان يتم نعمته عليهما الرابع تضعيف كرامته لهما الخامس الخاتمة الحسنة بالسعادة
وما يوصل اليها من الشهادة ونبه بقوله انا اليه راغبون على صدق نيته في سواله ثم ختم بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله **ومن كتاب له عليه السلم** الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي وذكر هذا الكتاب ابو جعفر الاسكافي في
كتاب المقامات اما بعد فقد علمتما وان كتمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتى بايعوني وانكما ممن اراداني
وبايعني وان العامة لم تبايعني لسلطان غاصب ولا لحرص حاضر فان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وتوبا الى الله من قريب وان كنتما بايعتماني
كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمري ما كنتما باحق المهاجرين بالتقية
والكتمان وان دفعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني

عنّي فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل فارجعا ايها الشيخان عن رايكما فان الآن
اعظم امركما العار من قبل ان يجتمع العار والنار **اقول** عمران بن حصين من الازد وقيل الاسكافي منسوب الى اسكاف رستاق كبير
كان بين النهروان والبصرة وكتاب المقامات الذي صنفه الشيخ المذكور في مناقب امير المؤمنين عليه السلم وقد احتج
عليهما في نكث بيعته بحجتين احداهما قوله اما بعد الى قوله حاضر وهو في قوة صغرى ضمير تقديرها وكل من طلبتماه حتى
ذلك فليس لكما ان تنكثا بيعته وتخرجا عليه وقوله وان كتمتما اشارة الى انهما بعد نكث بيعته كتما ارادتهما البيعة وارادة
كثير من الناس وزعما انه انما حملهما عليها اكراهها الحجة الثانية قوله فان كنتما الى قوله اقراركما به وهي شرطية منفصلة تقديرها
انه لا يخلوا ان تكونا بايعتماني طائعين او كارهين والاول هو المطلوب ويلزمكما ارتكاب المعصية والرجوع الى الله بالتوبة
الى الله من قريب قبل استحكام المعصية في نفسيكما والثاني باطل من ثلثة اوجه احدها انه يلزمكما النفاق حيث اظهرتما
لي الطاعة واضمرتما المعصية فجعلتما لي بذلك السبيل عليكما في القول والفعل الثاني انكما ما كنتما بالتقية من الكتمان
لعصيانكما احق من المهاجرين وذلك لانهما كانا اقوى الجماعة واعظمهم شانا فكان غيرهما من المهاجرين اولى منهما بالتقية
عند البيعة وكتمها بعد ذلك الثالث ان دفعهما البيعة قبل الدخول فيها اوسع لعذرهما من خروجهما بعد اقرارهما
وهذه الامور الثلثة صغريات ضمير تقدير الكبرى في الاول وكل ما جعلتما لي عليكما به السبيل فيحرم عليكما اضلاله
لكما ان تدعياه وفي الثاني وكل من لا يكون احق من المهاجرين بدعواه فليس له ان يدعيه اذا لم يدعوه وفي الثالث وكلما كان ادفع
لعذرهما فليس لهما العذر واعنه الى ما هو اضيق وقوله وقد زعمتما الى قوله عثمان اشارة الى شبهتهما المشهورة في خروجهما عليه
احتمل جوابها اي حاكماني الى من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة ثم يلزم كل منا من اللائمة والعقوبة بقدر ما احتمل من
الاثم والبغي ثم بعد ان اقام الحجة عليهما امرهما بالرجوع عن رايهما الفاسد في اختيارهما البيعة ورغب في الرجوع عن الراي
بقوله فان الآن الى آخره وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه والعار اسهل من اجتماع العار والنار في الآخرة واراد العار بالنكث
والآن ظرف انتصب باعظم الذي هو اسم ان ويجوز ان يكون هو اسمها واعظم مبتدأ خبره العار والجملة خبران في المعنى
الى اسمها محذوف تقديره فان الآن اعظم امركما فيه العار **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية اما بعد فان الله سبحانه جعل الدنيا
لما بعدها وابتلى فيها اهلها ليعلم ايهم احسن عملا ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها امرنا وانما وضعنا فيها لنبتلى بها
وقد ابتلاني بك وابتلاك بي فجعل احدنا حجة على الآخر فعدوت على طلب الدنيا بتاويل القران وطلبتني بما لم تجن
يدي ولا لساني وعصبته انت واهل الشام بي والب عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان
قيادك واصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك واحذر ان يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمس الاصل وتقطع
الدابر فاني اولي لك بالله الية غير فاجرة لئن جمعتني واياك جوامع الاقدار لا ازال بباحتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير
الحاكمين **اقول** عصبه علقه به والتاليب التحريض والقارعة الداهية والدابر الآخر من النسل والالية اليمين فقوله اما بعد الى
قوله لنبتلى بها اشارة الى الغرض من الدنيا وغايتها المقصودة بالعناية الالهية لذلك وحمل لهم اراد بالسعي فيها الذي لم يؤمر به اكتسابها لها دون غيره مما
يكون للضرورة فان ذلك مامور به في قوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وقوله وقد ابتلاني الى قوله الآخر تعين

فيبني الى قوله ثم

لبعض اغراضهما وقد علمت كيفية ابتلائه لخلقه فيما قبل ووجه ابتلائه عليه السلام بمعوية عصيانه له ومحاربته اياه حتى لو
في مقاومته ولم يقم في وجهه كان ملوما وكان معوية حجة الله عليه ووجه ابتلاء معوية به عليه السلام دعوته له الى الحق
تحذيره اياه من عواقب المعصية حتى اذا لم يجب داعي الله لحقه الذم والعقاب وكان عليه السلام هو حجة الله عليه وذلك معنى
قوله فجعل احدنا حجة على الاخر وقوله فعدوت الى قوله ظالما كذلك اشارة الى بعض وجوه ابتلائه عليه السلام به ومعنى ذلك انه انما
طلب بخروجه عليه الدنيا وجعل السبب الى ذلك تاويل القران كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى
وغيره من الايات الدالة على وجوب القصاص فتاولها بادخال نفسه فيها وطلب القصاص لعثمان بما كان دخوله في ذلك
بالتاويل لان الخطاب بمن قتل وقتل منه ومعوية بمعزل عن ذلك اذ لم يكن من اولياء دم عثمان تفسير الاية بالعموم ليدخل فيها
والذي لم تجنه يدي ولسانه عليه السلام هو ما نسبوه اليه والب بعضهم بعضا عليه فيه وهو قتل عثمان واراد والب
عالمكم بجاهلكم بره وقائمكم في حربي واحدكم عنه ثم لما نبهه على خليقة الدنيا وجعل الله سبحانه كلا منهما حجة على
الاخر ليعلم ايهم احسن عملا رجع الى موعظته وتحذيره فامره بتقوى الله في نفسه ان يهلكها بعصيانه ومخالفة امره
وان ينازع الشيطان قياده واستعار لفظ القياد للميول الطبيعية ووجه الاستعارة كونها زمام الانسان الى اللذات الحسية
اذا اسلمها بيد الشيطان وانهمك بها في اللذات الموبقة ومنازعته للشيطان مقاومته لنفسه الامارة عن طرف
الافراط الى حاق الوسط في الشهوة والغضب وان يصرف الى الاخرة وجهه اي يولي وجهه شطر الاخرة مطالعا
فيها من خير وشر وسعادة وشقاوة بعين بصيرته ليعمل لها وقوله فهي طريقنا وطريقك صغرى ضمير تنبيه على وجوب
صرف وجهه الى الاخرة وتقدير كبراه وكل ما كان طريق الانسان فواجب ان يصرف اليها وجهه ويجعلها طريقا
عن خليقة الطريق لاطلاق الاسم ذي الغاية عليها ثم حذره من ان يصيبه بداهية تصيب اصله وتقطع نسله واراد
ما قواه له من نهوضه اليه وحربه اياه ولذلك اقسم على تقدير ان تجمعهما جوامع الاقدار ان لا يزال بناحيته حتى يحكم
الله بينهما وفي ذلك غليظ الوعيد بعذاب شديد **ومن كلام له عليه السلام** وصى به شريح بن هاني لما جعله على
الى الشام اتق الله في كل صباح ومساء وخف على نفسك الدنيا الغرور ولا تامنها على حال واعلم انك ان لم تردع نفسك
عن كثير مما تحب مخافة مكروهه سمت بك الاهواء الى كثير من الضرر فكن لنفسك مانعا رادعا ولنزوتك عند الحفيظة
واقما قامعا **اقول** قد ذكرنا طرفا من حال انفاذه شريح بن هاني مع زياد بن النضر على مقدمته بالشام في اثني عشر الفا
والنزوة الوثبة والحفيظة الغضب والواقم الذي يرد الشيء اقبح الرد يقال وقمه اي رده اقبح الرد وعنف والقمع القهر
والاذلال وكذلك القمع وقد امره بتقوى الله دائما ولما كانت مستلزمة للاعمال الجميلة اردف ذلك بتفصيلها فامره ان
يحذر على نفسه الدنيا ونسب الغرور اليها لانها سبب مادي له وان لا يامنها على حال لما يستلزمه ذلك من الغفلة عن الاخرة
ثم اعلمه انه ان لم يردع نفسه الامارة بالسوء عن الانهماك في كثير من شهواتها التي يخاف مكروهها في العاقبة ويقف بها عند حد
ويسلك بها صراطه المستقيم لم تسم ابدا اهواؤها وميولها حتى تورده موارد الهلكة ثم اكد وصيته بمنعها وقهرها عند
وثوبها في الغضب وقد عرفت ان اهمالها مبدا لكل شر يلحق في الدنيا والاخرة **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل الكوفة عند

مسيره من المدينة الى البصرة اما بعد فاني خرجت من حيي هذا اما ظالما واما مظلوما واما باغيا واما مبغيا عليه وانا
اذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر الي فان كنت محسنا اعانني وان كنت مسيئا استعتبني **اقول** غرض الكتاب اعلام اهل الكوفة
بخروجه من المدينة لقتال اهل البصرة واستنفارهم اليه وقد مر مثل ذلك وحيه قبيلة وقوله اما ظالما الى قوله عليه
تجاهل العارف ولان القضية لم تكن بعد ظهرت لاهل الكوفة وغيرهم ليعرفوا اهو مظلوم او غيره ولذلك ذكرهم الله
لينفروا اليه فيحكموا بينه وبين خصومه فيعينوه او يطلبوا منه العتبى وهي الرجوع واذكر يتعدى الى مفعول اول
هو المذكر وثان هو المذكر به وهو الله تعالى وقد قدمه لكونه هو المقصود من التذكير ولما مشددة بمعنى الا
هي ما زائدة دخل عليها لام التاكيد اي لينفرن الي والله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلام** الى اهل الامصار يقتص فيه
ما جرى بينه وبين اهل صفين وكان بدء امرنا انا التقينا والقوم من اهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد
ودعوتنا في الاسلام واحدة لا نستزيدهم في الايمان بالله والتصديق برسوله صلى الله عليه وآله ولا يستزيدوننا الامر
واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك اليوم باطفاء النائرة وتسكين العامة
حتى يشتد الامر ويستجمع فنقوى على وضع الحق في مواضعه فقالوا بل نداويه بالمكابرة فابوا حتى جنحت الحرب وركدت
ووقدت نيرانها وحمست فلما ضرستنا واياهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم اجابوا عند ذلك الى الذي دعوناهم
فاجبناهم الى ما دعوا وسارعناهم الى ما طلبوا حتى استبانت عليهم الحجة وانقطعت منهم المعذرة فمن تم على ذلك
منهم فهو الذي انقذه الله من الهلكة ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء
على راسه **اقول** وبدء الامر اوله ويروى بدي فعيل بمعنى مبتدا والنائرة العداوة وجنحت مالت وركدت ثبتت
وحمست اشتدت وروي بالشين المعجمة اي التهبت غضبا واستقدح خلصه والتمادي في الشيء الاقامة عليه
[illegible] والركس رد الشيء مقلوبا وارتكسهم اي ردهم الى عقوبة كفرهم والرين التغطية والدائرة الهزيمة
عليهم الدائرة ويؤكد شنعتها بالاضافة الى السوء والفصل من حكاية حاله مع اهل الشام وحالهم والقوم عطف
على الضمير في التقينا وفي قوله الظاهر ايماء الى تهمته لهم بصدق ذلك كما صرح به هو وعمار في صفين فانه كان يقول
والله ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر فلما وجدوا عليه اعوانا اظهروه والواو للحال وقوله لا نستزيدهم
لا نطلب منهم زيادة في الايمان لتمامه منهم في الظاهر وقد بين في حكاية الحال الاتحاد الذي بينهم في الامور
التي لا يجوز الاختلاف معها الظاهر الجهة واستثنى من ذلك ما وقع الاختلاف فيه وهو الشبهة بدم عثمان والجواب
عنها اجمالا ثم حكى وجه الراي الاصلح في نظام امر الاسلام وسلامة اهله وشوره عليهم وابائهم عن قبوله الى الغاية
والباء في قوله باطفاء النائرة متعلق بقوله نداو وما لا يدرك اي ما لا يمكن تلافيه بعد وقوع الحرب ويستحكم من
القتل وهلاك المسلمين وقوله فقالوا بل نداويه بالمكابرة حكاية قولهم بلسان حالهم حين دعاهم الى نظام امر الدين
بالرجوع عما هم عليه فكابروه واصروا على الحرب وتجوز باسم الجنوح اطلاقا لاسم المضاف الى المضاف اليه واستعار لفظ
النيران للحركات في الحرب لمشابهتهما في استلزام الاذى والهلاك ورشح بذكر الوقود وكذلك لفظ الحمس والضرس

الخالب ثم حكى لجاجهم ورجوعهم الى امير الذي رآه لهم وذلك انهم صبيحة ليلة الهرير حين حملوا المصاحف على الارماح كانوا يقولون
لاصحابه عليه السلم معاشر المسلمين نحن اخوانكم في الدين الله الله في البنات والنساء كما حكيناه اولا وذلك حين ما كان يذكرهم به رحمة
من حفظ دماء المسلمين وذريتهم واما اجابته لهم الى ما دعوا فاجابته الى تحكيم كتاب الله حين دعوا اليه وظهور الحجة عليهم
الى حين ما كان يدعوهم اليه من حقن الدماء وفي ذلك انقطاع عذرهم في المطالبة بدم عثمان اذ كان سكوتهم عن تمام حجاجهم
لاحق لهم فيه اسهل من سفك دماء سبعين الفا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان وقوله فمن تم على ذلك
اي على الرضاء بالصلح وتحكيم كتاب الله وهم اكثر اهل الشام واكثر اصحابه عليه السلم والذين لجوا في التمادي فهم الخوارج الذين
لجوا في الحرب واعترضوا عليه السلم بسبب التحكيم كانت قلوبهم في اغشية من الشبهات الباطلة حتى صارت دائرة السوء
على رؤسهم فقتلوا الا اقلهم ومن كتاب له عليه السلم الى الاسود بن قطبة صاحب جند حلوان اما بعد فان الوالي اذا اختلف
هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواء فانه ليس في الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله
وابتذل نفسك فيما افترض الله عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط ساعة الا كانت
فرغته عليه حسرة يوم القيمة وانه لن يغنيك عن الحق شيء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعية بجهدك
فان الذي يصل اليك من ذلك افضل من الذي يصل بك والسلم اقول في الفصل لطايف احدها انه نبهه على وجوب ترك متنوع
الاهوية والاعراض عن اتباع مختلفاتها بما يستلزمه من المفسدة وهي الامتناع عن كثير من العدل ووجه الاستلزام ظاهر لان
اتباع الاهوية المختلفة يوجب الانحراف عن حاق الوسط في المطالب ولما نبهه على مفسدة الجور امره ببسط العدل والتسوية
بين الخلق في الحق ونبه على فضيلته بضمير صغراه قوله فانه الى قوله العدل وتقديرها ان العدل ليس في الجور عوض عنه وتقدير
الكبرى وكل ما لم يكن في الجور عوض عنه فيجب لزومه واتباعه الثانية لما كان اتباع مختلف الاهوية مما ينكر مثله عنده في
في حقه او حق من يلزمه امره كالاذى اللاحق له امره باجتنابه وان لا يقع منه في حق غيره ما ينكر وقوع مثله في حقه فهو
واجبة بهذا المعنى والعرض المنفر عنه الثالثة امره بعد ذلك ان يبتذل نفسه فيما افترض الله عليه حال رجائه لثوابه وخوفه
من عقابه لتكون تمام اعني العمل الرابعة نبهه على ان الدنيا دار ابتلاء بالعمل كما قال تعالى الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم
احسن عملا ولما كان العمل الصالح فيها هو سبب الاستعداد للسعادة الباقية لا جرم كان الفراغ من العمل فيها تركا لسببها
لا تحصل يوم القيمة الابد فكان من لوازم فرغته منه في الدنيا الحسرة على المرء يوم القيمة الخامسة نبهه على ضرورة لزوم
عمل الحق بانه لا يغنيه عنه شيء غيره لان كل ما عدا الحق باطل والباطل سبب للعقوبة في الآخرة فلا يغني عن الحق السادسة
على ان من الحقوق الواجبة عليه حفظ نفسه اي من زلة القدم عن الصراط المستقيم والوقوع في سواء الجحيم ثم الاحتساب
على رعيته بجهده وطاقته والاخذ على ايديهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقدم حفظ النفس لانه الاهم ونبه
على وجوب الامرين بقوله فان الذي الى آخره واراد ان الذي يصل الى نفسك من الكمالات والثواب اللازم عنها في الآخرة
بسبب لزومك للامرين المذكورين افضل مما يصل بعدلك واحسانك الى الخلق من النفع ودفع الضرر والظلم في
ومن كتاب له عليه السلم الى العمال الذين يطأ عملهم الجيش من عبد الله علي امير المؤمنين الى من مر به الجيش من جباة الخراج وعمال

البلاد

البلاد اما بعد فاني قد سيرت جنودا هي مارة بكم ان شاء الله وقد اوصيتهم بما يجب لله عليهم من كف الاذى وصرف الشذى واما
ابرأ اليكم والى ذمتكم من معرة الجيش الا من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكلوا من تناول منهم ظلما عن ظلمهم
وكفوا ايدي سفهائكم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الي مظالمكم وما عراكم
مما يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الا بالله وبي فانا اغيره بمعونة الله تعالى ان شاء الله اقول الشذى الاذى والمعرة الجيش
الواصل منه وعره معرة اي ساءه ونكل به نكل بالضم جبن ونكلوا خوفوا وجبنوا وعراه الامر غشيه وحاصل الكتاب اعلام على
من طريق الجيش من الجباة وعمال البلاد بسيره عليهم ليفهموا ويحترزوا منه ثم وصية الجيش بما ينبغي لهم ويجب لله عليهم
من كف الاذى عمن يمرون به ليعرفوا عموم عدله ويتأدبوا بآدابه ثم اعلامهم انه بريء اليهم والى ذمتهم التي اخذها منهم من اساءة
الجيش فانه ليس بآمر من ذلك الا معرة جوعة المضطر التي لا يجد عنها الى شبعه مذهبا وتقدير الكلام فاني ابرأ اليكم من معرة
الجيش الا من معرة جوعة المضطر منهم فاقام المضاف اليه مقامه واطلقه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ثم امرهم ان يخوفوا
ويجبنوا من تناول من الجيش شيئا عن ظلمه ويدفعوه الدفع الممكن لهم لئلا يكون بسطوتهم خراب الاعمال ثم ان يكفوا ايدي
سفهائهم عن مضادتهم والتعرض لهم فيما استثناه من المعرة الضرورية لئلا تثور بذلك الفتنة بينهم وبين الجيش ثم
اعلمهم انه بين اظهر الجيش كناية عن كونه مرجع امرهم ليرفعوا اليه مظالمهم وما غشيهم من امر يغلب عليهم من الجيش ولا يطيقون
دفعه الا بالله وبه فيغيره بمعونة الله وخشيته ومن كتاب له عليه السلم الى كميل ابن زياد النخعي وهو عامله على هيت ينكر
عليه ترك دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة اما بعد فان تضييع المرء ما ولي وتكلفه ما كفي لعجز حاضر ورأي متبر
وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التي وليناك ليس بها من يمنعها ولا يرد الجيش عنها لرأي
شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا ساد ثغرة ولا كاسر
شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجز عن اميره والسلم اقول المتبر الهالك والفاسد والشعاع المتفرق وقوله اما بعد الى
قوله متبر صدر الكتاب علم فيما جاء الا كما جرت عادة الخطيب بان يذكر ويجعله من قاطيه امر امع اسما الى ما هو الاهم منه
ثم ذكر غرضه من الكتاب مفصلا بقوله وان تعاطيك الى قوله شعاع ثم نفض عن ذلك الرأي بما فيه من القبائح والرذائل
احدها كونه جسرا واستعار لفظ الجسر له باعتبار عبور العدو عليه الى غرضه وروي حسيرا وهو ايضا مجاز باعتبار
خلو مسالحه عن العسكر الذي يحمي به العدو فهو كالحاسر عليهم اللامة الثاني كونه غير شديد المنكب وكنى بذلك عن
ضعفه وكذلك كونه غير مهيب الجانب الثالث كونه غير ساد ثغرة الرابع ولا كاسر شوكة عدو الخامس ولا مغن عن
اهل مصره في دفع عدوهم السادس ولا مجز عن اميره فيما يريد منه ومن كتاب له عليه السلم الى اهل مصر مع مالك
الاشتر رحمه الله لما ولاه امارتها اما بعد فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين
فلما مضى صلى الله عليه وآله تنازع المسلمون الامر من بعده فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي ان العرب تزعج
هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن اهل بيته ولا انهم منحوه عني من بعده فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه
فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمد صلى الله عليه وآله فخشيت ان لم

مقام المضاف ح

انصر الاسلام واهله ان ارى فيه هدما او ثلما تكون المصيبة به على اعظم من فوت ولايتكم التى انما هى متاع ايام قلائل
يزول منها ما كان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت فى تلك الاحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمان
الدين وتنهنه ومن هذا الكتاب انى والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الارض كلها ما باليت ولا استوحشت وانى
من ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذى انا عليه لعلى بصيرة من نفسى ويقين من ربى وانى الى لقاء الله لمشتاق وحسن ثوابه
لمنتظر راج ولكننى آسى ان يلى هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والفاسقين
حزبا فان منهم الذى شرب فيكم الحرام وجلد حدا فى الاسلام وان منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ فلولا ذلك
ما اكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ ابيتم وونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم
تزوى والى بلادكم تغزى انفروا رحمكم الله الى قتال عدوكم ولا تثاقلوا الى الارض فتقروا بالخسف وتبوؤا بالذل ويكون نصيبكم
الاخس ان اخا الحرب الارق ومن نام لم ينم عنه والسلام اقول المهيمن الشاهد والروع القلب والانثيال الانصباب وراجعة
وزهق زال واضمحل وتنهنه انتسع وطلاع الارض ملاؤها واسى احزن والدولة فى المال بالضم ان يكون مرة لهذا ومرة لذاك
والخول العبيد والرضخ الرشوة واصله الرمى والتأليب التحريض والتأنيب اللوم والونى وتزوى تقبض وتقروا
ترجعوا والخسف النقيصة وصدر الكتاب باقتصاص حال النبى صلى الله عليه وآله باعتبار كونه نذيرا للعالمين بعذاب اليم وشاهدا
على المرسلين بكونهم مبعوثين ومصدقا لهم فى ذلك ثم اقتصاص حال المسلمين بعده فى تنازع امر الخلافة مسندا
ذلك الى شرح حاله معهم فى معرض الشكاية من ازالة امر الخلافة عنه مع كونه احق بها وانصبابهم على بيعة فلان
وهو كناية عن ابى بكر واستمساكه عن القيام فى ذلك والطلب للامر الى غاية ارتداد الناس فى زمن ابى بكر عن الاسلام
وطمعهم فى محو الدين ثم شرح حاله من الخوف على الاسلام واهله ان ينثلم او ينهدم فتكون المصيبة عليه فى هدم
الدين اعظم من فوت الولاية القصيرة الامد التى غايتها اصلاح فروع الدين وتتماته وشبه زوالها بزوال السراب و
تقشع السحاب ووجه الشبه سرعة الزوال وكونها لا اصل لثباتها كما لا ثبات لحقيقة السراب ووجود السحاب وقد
ذكر الارتداد لغرض بيان فضيلته فى الاسلام ولذلك عقبه باقتصاص حال نهوضه فى تلك الاحداث التى وقعت الى
الغاية زهوق الباطل واستقرار الدين وانتشاره ثم اقسم انه لو لقيهم وحده وهم ملاء الارض لم يكترث بهم ولم يستوحش
منهم لامرين احدهما علمه اليقين بانهم على الضلالة وانه على الهدى الثانى اشتياقه الى لقاء ربه ورجاؤه وانتظاره لثوابه
وهما يجريان مجرى ضميرين تقدير كبراهما وكل من كان كذلك فلا يبالى بهم ولا يستوحش منهم وقوله ولكنى يجرى مجرى
سؤال مقدر كانه قيل فاذا كنت تعلم انك واياهم على الحالين المذكورين فلم تحزن من ضلالهم فكانه قال انى لا احزن لقائهم
وحربهم ولكن احزن ان يلى امر هذه الامة سفهاؤها وفجارها الى قوله حزبا وعنى بالسفهاء بنى امية واشياعهم ثم نبه على انهم
مظنة ان يفعلوا ذلك لو ولوا هذا الامر بقوله فان منهم الى قوله الرضائخ والذى شرب منهم فى المسلمين الحرام اشارة الى المغيرة
بن شعبة لما شرب الخمر فى عهد عمر حين كان واليا من قبله على الكوفة فصلى بالناس سكران وزاد فى الركعات وقاء الخمر فشهدوا
وجلد الحد وكذلك عتبة بن ابى سفيان حده فى الخمر خالد بن عبد الله بالطايف والذى لم يسلم حتى رضخت له الرضائخ هو

ابو سفيان وابنه معوية وذلك لانهما كانا من المؤلفة قلوبهم الذين يستمالون الى الدين وجهاد عدوه بالعطاء وقيل هو عمرو بن العاص
ولم يشتهر عنه مثل ذلك الا ما حكاه عليه السلم عنه من اشتراطه على معوية طعمة مصر فى مساعدته بصفين كما مر ذكره ثم
نبههم على انما ذكره من الاسى هو السبب التام لتوبيخهم وتحريضهم على الجهاد ولولا ذلك لتركهم اذ ابوا وضعفوا ثم نبههم على
تسلط عدوهم بهم وافتتاحه لامصارهم وغزوه بهم ليستثير بذلك حمية طباعهم ولذلك امرهم بعده بالنفور الى قتال
عدوهم ونهاهم عن التثاقل فى ذلك ونفرهم عنه بما يلزمه من الاقرار بالخسف والرجوع الى الذلة وخسة النصيب
ثم نبههم على ان يكون اهلا للحرب وهو الارق وكنى به عن كبر الهمة اذ كان من لوازمه قلة النوم ونفرهم عن ضعف الهمة
والتوانى فى الجهاد بما يلزم ذلك من طمع العدو فيهم بسكونهم عنه والرقدة عن مقاومته ومن كتاب له عليه السلم
الى ابى موسى الاشعرى وهو عامله على الكوفة وقد بلغه تثبيطه الناس عن الخروج اليه لحرب اصحاب الجمل من عبد الله امير
المؤمنين الى عبد الله بن قيس اما بعد فقد بلغنى عنك قول هو لك وعليك فاذا قدم رسولى عليك فارفع ذيلك واشدد
مئزرك واخرج من جحرك واندب من معك فان حققت فانفذ وان تفشلت فابعد وايم الله لتؤتين من حيث انت ولا تترك
حتى يخلط زبدك بخاثرك وذائبك بجامدك وحتى تعجل عن قعدتك وتحذر من امامك كحذرك من خلفك وما هى
بالهوينا التى ترجو ولكنها الداهية الكبرى يركب جملها ويذل صعبها ويسهل جبلها فاعقل عقلك واملك امرك
وخذ نصيبك وحظك فان كرهت فتنح الى غير رحب ولا فى نجاة فبالحرى لتكفين وانت نائم حتى لا يقال اين فلان والله
انه لحق مع محق وما ابالى ما صنع الملحدون اقول روى عن ابى موسى انه كان حين سار على عليه السلم الى البصرة
واستنفر اهل الكوفة الى نصرته يثبط الناس عنه ويقول انها فتنة فلا يجوز القيام فيها ويروى عن النبى صلى
الله عليه وآله اخبارا تتضمن وجوب القعود عن الفتنة والاعتزال فيها فكتب اليه مع ابنه الحسن عليهما السلم هذا الكتاب
والقول الذى بلغه عنه هو نهى الناس وتثبيطهم عن النهوض اليه وذلك قول هو له باعتبار ظاهر الدين ونهيه عن
الخوض فى الفتن وهو عليه من وجوه الاول انه كان متهما بانه لم يقصد بذلك الا قعود الناس عنه ونهيهم [illegible]
وهو خذلان للدين فى الحقيقة وهو عائد عليه بمضرة العقوبة منه عليه السلم ومن الله فى الآخرة الثانى انه لما كان
عليه السلم على الحق فى حربه كان تثبيط ابى موسى عنه جهلا بحاله وما يجب من نصرته والقول بالجهل عائد على القائل
بالمضرة الثالث انه فى ذلك القول مناقض لغرضه لانه نهى عن الدخول مع الناس ومشاركتهم فى زمن الفتنة وروى خبرا
يقتضى انه يجب القعود عنهم حينئذ مع انه كان اميرا لهم ثابتا على الولاية وذلك متناقض فكان عليه لا له ثم امر عند قدوم
رسوله عليه باوامر على سبيل الوعيد والتهديد احدها ان يرفع ذيله ويشد مئزره وهما كنايتان عن الاستعداد للقتال
والجد فيه والمسارعة الى ذلك الثانى ان يخرج من جحره واراد خروجه من الكوفة واستعار لفظ الجحر ملاحظة لشبهه بالثعلب
الثالث ان يندب اى يبعث من معه من العسكر ويدعوهم الى الخروج وقوله فان حققت اى عرفت حقيقة امرى وانى على الحق فانفذ
اى فامض فيما امرتك به وان تفشلت اى جبنت وضعفت عن هذا الامر ومعرفته فابعد عنه ثم توعده على تقدير قعوده واقسم
بالمكان الذى هو به من لا يترك حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهما مثلان كنى بهما عن خلط احواله الصافية

بالتكدير كعين ترنق لمتوسر ورح بغمه هو بسهوله امره بصعوبته وحتى فيجلد عن قعدته وهي هيئة قعوده واراد غاية الاتعاب
وحتى يكون حذره من امامه كحذره من خلفه وهو كناية عن غاية الخوف وانما جعل الحذر من خلف اصلا في التشبيه لكون
الانسان من ورائه اشد خوفا وقيل اراد حتى يخاف من الدنيا كما يخاف من الاخرة وقوله وما هي بالهوينا اي وما القضية
المعهودة لك بالهينة السهلة التي ترجوا ان يكون فيها على اختيارك ولكنها الداهية الكبرى من دواهي الدهر
وقوله يركب جملها اي يركب فيها ويذل صعبها اي يسهل الامور الصعاب فيها وهو كناية عن شدتها وصعوبتها ثم اردف
وتحذيره بنصيحته وامره بامور احدها ان يعقل عقله وعقله يحتمل النصب على المصدر وهو امره ان يلجم عقله ويحبسه
الحال العظيمة دون هواه وقيل هو مفعول به اي اضبط عقلك واحبسه على معرفة الحق من الباطل ولا تفرقه فيما لا
الثاني ان يملك امره اي شانه وطريقته ويصرفها على قانون العدل والحق دون الباطل الثالث ان ياخذ نصيبه
من طاعته والقيام بامره في نصرته والذب عن دين الله وقيل اراد خذ ما قسم لك من الحظ ولا تتجاوز الى ما ليس لك
ثم اردف ذلك بامره بالتنحي عن الولاية على تقدير كراهته لما ذكر وعدم امتثاله لما امر وقوله فبالحري لتكونن اي
فالحذر ان يكون هذه الموثرة وانت نائم عن طاعة الله حتى لا تفتقد ولا يسال عنك لعدم المبالاة بك ثم اقسم انه
حق اي ان المعهود الذي فضله من حريم البصرة مع محق اي صاحب حق لما يدعيه عالم به لا يكترث بما صنع المخذول
في دين الله من مخالفته لمعرفته انه على الحق دونهم **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية جوابا عن كتاب منه
بعد فانا كنا نحن وانتم على ما ذكرت من الالفة والجماعة ففرق بيننا وبينكم امس انا امنا وكفرتم واليوم انا استقمنا
وما اسلم مسلمكم الا كرها وبعد ان كان انف الاسلام كله لرسول الله صلى الله عليه وآله حربا وذكرت اني قتلت طلحة
والزبير وشردت بعائشة ونزلت بين المصرين وذلك امر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه اليك وذكرت
زائري في المهاجرين والانصار وقد انقطعت الهجرة يوم اسر ابوك فان كان فيك عجل فاسترفه فاني ان ازرك فذلك جدير
ان يكون الله انما بعثني للنقمة منك وان تزرني فكما قال اخو بني اسد مستقبلين رياح الصيف تضربهم بحاصب بين اغوار
وجلمود وعندي السيف الذي اعضضته بجدك وخالك واخيك في مقام واحد فانك والله ما علمت الاغلف القلب
المقارب العقل والاولى ان يقال لك انك رقيت سلما اطلعك مطلع سوء عليك لا لك لانك نشدت غير ضالتك
ورعيت غير سائمتك وطلبت امرا لست من اهله ولا في معدنه فما ابعد قولك من فعلك وقريب ما اشبهت من اعمام
واخوال حملتهم الشقاوة وتمني الباطل على الجحود بمحمد صلى الله عليه وآله فصرعوا مصارعهم حيث علمت لم يدفعوا عظيما
ولم يمنعوا حريما بوقع سيوف ما خلا منها الوغا ولم تماشها الهوينا وقد اكثرت في قتلة عثمن فادخل فيما دخل فيه الناس
ثم حاكم القوم الي احملك واياهم على كتاب الله واما تلك التي تريد فانها خدعة الصبي عن اللبن في اول الفصال والسلم **اقول** امالا
اوله هو التشديد الابعاد واسترفه اي نفس عنك من الرفاهية وهي السعة والاغوار المنخفضة من الارض واعضضت السيف فلانا اي
جعلته يعض به وهو من المقلوب لان المضروب هو الذي يعض بالسيف اي لا يكاد يبعده ويروى بالضاد المعجمة اي جعلته ناصا
والزمته بهم والمقارب بالكسر الذي ليس بالتام وقد كان معوية كتب اليه عليه السلم يذكر ما كانوا عليه قديما من الالفة الجماعة

وينسب اليه بعد ذلك قتل طلحة والزبير والتشريد بعائشة ويتوعده بالحرب ويطلب منه قتلة عثمان فاجابه عليه السلم عن كل
من ذلك بجواب اما الاول فسلم انه دعوا من الالفة المشترك بينهم وهو الالفة والجماعة قبل الاسلام ولكنه ذكر الفارق من وجوه
احدها انه عليه السلم في اول الاسلام آمن في جملة من اهل بيته ومعوية واهل بيته حينئذ كانوا كفارا الثاني انه عليه السلم
واهل بيته في آخر الاسلام استقاموا على الدين ومعوية واهل بيته مفتونين به الثالث ان من اسلم من
اهل بيته عليه السلم اسلم طوعا واسلم اهل معوية لم يسلم الا كرها بعد ان اشتد الاسلام وصار للرسول عليه السلم
قوة من اشراف العرب واستعار لفظ انف الاسلام لهم باعتبار كونهم اعزاء اهله وممن اسلم كرها ابو سفين وذلك انه لما
اتى رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة في غزوة الفتح اتى ليلا فنزل بالبطحاء وما حولها فخرج العباس بن عبد المطلب على
بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وحول مكة في طلب من يبعثه الى قريش ليخرجوا الى رسول الله ويعتذروا اليه فلقى ابا سفيان فقال له
ردفني امضي الى رسول الله وناخذ لك امانا منه فلما دخلا على رسول الله عرض عليه الاسلام فابى فقال عمر ايذن لي يا رسول الله
لاضرب عنقه وكان العباس يحامي عنه للقرابة فقال يا رسول الله انه يسلم غدا فلما جاء الغد دخل به على رسول الله فعرض
عليه الاسلام فابى فقال له العباس في السر يا ابا سفين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وان لم تقل ذلك في قلبك
فاني امر بالان يقتلك ان لم تقل فشهد الشهادتين على كره لخوف القتل وقد راى اكثر من عشرة الاف رجل حول رسول الله صلى الله عليه وآله
قد تحزبوا معه واجتمعوا اليه فذلك معنى قوله اما بعد الى قوله حربا الثاني ما ادعاه عليه من قتل طلحة والزبير وتشريد عائشة
والنزول بين المصرين البصرة والكوفة فاجاب عنه بقوله وذلك الى قوله اليك وهو في صورة ضمير تقديره كبراه وكل من غاب
عن امر ولم يكن له فيه مدخل فليس تكليفه عليه ولا العذر من التقصير والتفريط فيه اليه الثالث ما توعده به من
زيارته في المهاجرين والانصار فاجابه بوجهين احدهما انه اوهمه في كلامه انه من المهاجرين فاكذبه بقوله وقد انقطعت
الهجرة يوم اسر ابوك اي حين الفتح وذلك ان معوية واباه وجماعة من اهله انما اظهروا الاسلام بعد الفتح وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وآله لا هجرة بعد الفتح فلا يصدق عليهم اذن اسم المهاجرين وسمى عليه السلم اخذ العباس لابي سفيان الى رسول
الله غير مختار وعرضه على القتل اسرا وروى يوم اسر اخوك وقد كان اسر اخوه عمرو بن ابي سفيان يوم بدر فعلى هذه
الرواية يكون الكلام في معرض التذكرة له بان من شانه وشان اهله ان يوسروا ولا يسلموا فكيف يدعون مع ذلك الهجرة
فان الهجرة بهذا الاعتبار منقطعة عنهم ولا يكون يوم اسر ظرفا لانقطاع الهجرة لان الهجرة انما انقطعت بعد الفتح الثاني مقابلة
وعيده بوعيد مثله وهو قوله فان كان الى قوله مقام واحد واراد ان كنت مستعجلا في مسيرك الي فاطلب الرفاهية على
نفسك في ذلك فانك انما تستعجل الى ما تضرك ونبه على ذلك بقوله فاني الى قوله واحد وهو في قوة صغرى ضمير ووجه التمثيل بالبيت
شبه استقبال معوية في جمعه له باستقبالهم رياح الصيف وشدة نفسه برياح الصيف وجعل وجه المشابهة كونه عليه
السلم يضرب وجوههم في الحرب بالسيوف والرماح كما تضرب رياح الصيف وجوه مستقبليها بالحصباء وقد قتل
عليه السلم اخا معوية وجده عتبة وخاله الوليد بن عتبة واخاه حنظلة بن ابي سفيان وتقدير الكبرى وكل من كان
كذلك فمن الواجب ان يحذر منه ولا يتوعد بحربه وقتاله وقوله وانك والله الى قوله الهوينا توبيخ مشوب بتهديد وماتى

ما علمت موصول واستعار لفظ الاغلاف لقلبه ووجه الاستعارة انه محجوب بالهيئات البدنية او اغشية الباطل عن قبول الحق
وفهمه فكانه في غلاف منها ووصف المقاربة في عقله لاختياره الباطل ثم اعلمه على سبيل التوبيخ بالاولى ان يقال في
واستعار لفظ السلم للاحوال التي ركبها او المنزلة التي طلبها ورشح بذكر الارتقاء والاطلاع والمطلع مصدر ويجوز ان يكون اسم
الموضع احيج لطلبه قوله بقوله الا تنال الى قوله عده واستعار الضالة والسائمة لمرتبته التي ينبغي له ان يطلبها ويقف عندها وما
غيرها هو امر الخلافة اذ ليس من اهلها ورشح بذكر النشيد والرعي ثم تعجب من بعد ما بين قوله وفعله وذلك ان مدار قوله في
على طلب قتلة عثمن وانكار المنكر كما ادعاه ومدار فعله وحركاته على التغلب في الملك والبغي على الامام العادل وسيان ما
ثم حكم بقرب شبهه باعمامه واخواله وما مصدرية والمصدر مبتدأ خبره قريب فمن اهل الشقاوة من جهة عمومته حمالة الحطب
ومن جهة خؤولته الوليد بن عتبة وانما نكر الاعمام والاخوال لانه لم يكن له اعمام واخوال كثيرون والجمع المنكر جاز ان يعبر به عن
الواحد والاثنين للمبالغة مجازا في معرض الشناعة ولا كذلك الجمع المعرف واشار الى وجه الشبه بقوله حملتهم الى قوله المهوي
قوله حملتهم الجر صفة للاخوال واراد الشقاوة المكتوبة عليهم في الدنيا والآخرة التي استعدوا لها بجحود محمد صلى الله عليه وآله
الباطل هو ما كانوا يتمنونه ويبذلون انفسهم واموالهم فيه من قهر الرسول صلى الله عليه وآله واطفاء نور النبوة واقامة امر الشرك
وقوله بوقع متعلق بقوله فصرعوا والخلاصة صفة للسيوف ولفظ المماشاة مستعار والمراد ان تلك السيوف لم تخرج بها ودعها
هون ولا سهو له وعلم يجر معها وروي لم تماسها بالسين المهملة من المماسة اي لم تخالطها شيء من ذلك الرابع طلبه لقتلة عثمن والحكم
فادخل الى آخره واراد فيما دخل فيه الناس من الطاعة والبيعة وصدق الجواب ظاهر لانه لابد للحاكمين من حاكم وهو عليه السلم
الحق فليس لمعوية ان يطلب منه اذى قوما منهم المهاجرون والانصار ليسلمهم اليه حتى يقتلهم من غير محاكمة بل يجب ان يدخل في
طاعته ويجري عليه احكامه ثم يحاكم القوم اليه فاما ما وانما عليه وقوله واما تلك التي تريد اي الخدعة عن الشام لغرض ازاحة علي
امارتها ووجه مشابهتها بخدعة الصبي ضعفها او ظهور كونها خدعة لكل احد وانما قال والسلم لا هلها لان معوية لم يكن في نظره
من اهله لان معوية لم يكن في نظره والله الموفق **ومن كتاب له عليه السلم** ايضا اليه اما بعد فقد آن لك ان تنتفع باللمح
الباصر من عيان الامور ولقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الاباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب وبانتحالك
ما قد علا عنك وابتزازك لما اختزن دونك فرارا من الحق وجحودا لما هو الزم لك من لحمك ودمك مما قد وعاه سمعك وملئ به
صدرك فماذا بعد الحق الا الضلال وبعد البيان الا اللبس فاحذر الشبهة واشتمالها على لبستها فان الفتنة طالما اغدفت جلابيبها
واغشت الابصار ظلمتها وقد اتاني منك كتاب ذو افانين من القول ضعفت قواها عن السلم واساطير لم يحكها منك علم ولا حلم اصبحت منها
كالخائض في الدهاس والخابط في الديماس وترقيت الى مرقبة بعيدة المرام نازحة الاعلام يقصر دونها الانوق ويحاذى بها
العيوق وحاش لله ان تلي بعدي للمسلمين صدرا او وردا او اجري لك على احد منهم عقدا او عهدا فمن الآن فتدارك نفسك وانظر
لها فانك ان فرطت حتى ينهد اليك عباد الله ارتجت عليك الامور ومنعت امرا هو منك اليوم مقبول **اقول** المدارج السبل
والمذاهب جمع مدرجة والاقتحام الدخول في الشيء بسرعة من غير روية وانتحال الكلام ادعاه لنفسه وليس له والابتزاز الاستلاب
المرأة جلابيبها ارسلتها على وجهها والغدف الضبط او التوسيع والسلم الصلح والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم واسطارة بالكسر

والدهاس

والدهاس المكان السهل اللين دون الرمل والديماس المكان شديد الظلمة كالسرب ونحوه والمرقبة موضع مشرف يقعد عليه الراصد
والانوق الرخمة والعيوق نجم معروف وينهد ينهض وارتجت اغلقت والكتاب جواب ايضا فقوله اما بعد الى قوله الامور تنبيه له على
الاغاليط والانتحال دعوى ما ليس له والمراد انه قد حضر وقت انتفاعك من عيان الامور ومشاهدتها بلمحها الباصر ولفظ اللمح
مستعار لادراك الامور الواضحة الخفيفة وسرعة ورؤية عيون الامور اي اشباهها وحقائقها التي هي موارد اللمح والاعيان وصفه
بالباصر مبالغة في الابصار كقولهم ليل اليل وقوله فقد سلكت الى قوله اللبس اشارة الى سبب حاجته الى التنبيه المذكور وهو
سلوكه طرق اسلافه بالامور الاربعة المذكورة فادعاء الاباطيل ادعاوه ما ليس بحق حقا من دم عثمن وطلحة والزبير وغيرهم
واقتحامه غرور الاكاذيب دخوله في الغفلة عن سوء عاقبتها والاكاذيب في دعاويه ظاهرة وما قد علا عنه هو امر الخلافة وما
اختزن دونه ما بين هو مال المسلمين وبلادهم التي تغلب عليها والانتحال والابتزاز بلا استحقاق من الله وقرار وجحود اسند الى ما
سبك الحال وما هو الزم له من لحمه ودمه مما قد وعاه سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله واسلافه من صدق علي في مواطن
كغدير خم وغيره وهو وجوب طاعته وانما كان الزم له من لحمه ودمه لانهما دائما في التغير والتبدل ووجوب طاعته اي
لا انه لنفسه لا يجوز تغير ولا تبدل ويجوز بلفظ الصدر في القلب اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق واشار بالآية الى ان الحق
الذي علته اللبس وراء لمن تعداه الا الضلال والهلاك لان الحق حد من تجاوزه وقع في احد طرفي الافراط والتفريط وكذلك
ليس بعد البيان الذي يتبين للشيء امري الا اللبس ثم حذره الشبهة واشتمالها على لبستها والشبهة كشبهة دم عثمن ولفظ اللبسة مستعار
للداخلين فيها ملاحظة لشبهها بالقميص ونحوه مما يحتوي على لابسه ووجوب وتوقفه دونها بقوله فان الفتنة الى قوله ظلمتها وهو
صغرى ضمير واستعار لفظ الجلابيب لامورها المغطية لبصائر اهلها عن الحق كالاشياء المرأة عند ارسال جلبابها على وجهها
وكذلك استعار لفظ الظلمة باعتبار تباين الامور فيها وعدم التهدي الى الحق كالظلمة التي لا يهتدى فيها ورشح بذكر الاغداف
والاغشاء ثم شرع في احوال الكتاب فذابه ولما كان مداره على اللفظ والمعنى اشار الى ذم اللفظ بانه ذو افانين من القول اي انواع
ملفقة لا يناسب بعضها بعضا او قوله ضعفت قواها عن السلم اي ليس لها قوة ان توجب صلحا واشار الى ذم المعنى بانه اساطير
غير محكمة النسج لا من جهة العلم اذ لا علم له ولا من جهة الحلم لان الكتاب كان فيه خشونة وتهور وذلك ينافي الحلم ورشح بذكر
الصلح ولفظ الحوك مستعار لسبك الكلام وقوله اصبحت منها صفة للاساطير ووجه تشبيهه بالخائض والخابط ضلاله وعدم هداية
الى وجه الحق كما لا يهتدي خائض الدهاس وخابط الديماس فيهما ثم شرع في جوابه وكان مقصوده في كتابه ان ينص عليه
بعده ليبايعه فوبخه اولا على طلبه امرا ليس من اهله بقوله وترقيت الى قوله العيوق ولفظ المرقبة مستعار لامر الخلافة ورشح
بلفظ الترقي والاوصاف الاربعة بعدها لانها من شأن المرتبة التامة وانما خص الانوق لانها تقصد الاماكن العالية الصعبة
من رؤوس الجبال التي يبعد الوصول اليها وكلها هناك ثم صرفه عن المطلوب بتنزيه الله سبحانه ان يلي من بعده المسلمين خروجا او دخولا في امر من
امورهم او ان يجري على احد منهم له عقدا او عهدا والعقد كالنكاح والبيع والاجارة والعهد كالبيعة والامان واليمين والذمة
لا يمكنه من ذلك ولما آيسه من المطلوب امره بتدارك نفسه بالنظر لها فيما هو مصلحتها من طاعته وتوعده على تقصيره في ذلك
بما يلزم تقصيره من نهوض عباد الله اليه وانغلاق الامور حينئذ عليه ومنعه العذر الذي هو منه الآن مقبول وبالله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى عبد الله بن العباس رحمه الله وقد مضى هذا الكتاب فيما تقدم بخلاف هذه الرواية اما بعد
فان العبد ليفرح بالشيء الذي لم يكن ليفوته ويحزن على الشيء الذي لم يكن ليصيبه فلا يكن افضل ما نلت في نفسك من دنياك
بلوغ لذة او شفاء غيظ ولكن اطفاء باطل واحياء حق وليكن سرورك بما قدمت واسفك على ما خلفت وهمك فيما بعد الموت

اقول قد سبق ترجمة الكلمات بين فيه منها التنبيه على لزوم فضيلتي العفة والحلم بالنهي عن ان يجعل بلوغ لذة من دنياه او
شفاء غيظه اللذين هما طرفا الافراط والتفريط من الفضيلتين المذكورتين افضل ما نال منهما في نفسه. ثم نبهه على ما ينبغي ان يكون
افضل في نفسه من دنياه وهو اطفاء الباطل واحياء الحق واطفاء الباطل تجيء على وجه استعمال قوتي الشهوة والغضب
وهو ان يكون الغرض من فعلها دفع الضرورة وبقدر الحاجة ومنها انه امر في الرواية الاولى ان يكون فرحه بما نال من
آخرته وامر هنا ان يكون سروره بما قدم لنفسه من زاد التقوى وهو امر بمقدمة الآخرة وامر في الرواية الاولى ان يكون
اسفه على ما فات من آخرته وامر هنا ان يكون اسفه على ما خلفه اي تركه من العمل لها والله التوفيق

ومن كتاب له عليه السلام الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة. اما بعد فاقم للناس الحج وذكرهم بايام الله واجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلم
الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك الى الناس سفير الا لسانك ولا حاجب الا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذيدت عن
ابوابك في اول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها وانظر الى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه الى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة
مصيبا به مواضع المفاقر والخلات وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا ومر اهل مكة الا يأخذوا من ساكن اجرا فان
الله سبحانه يقول سواء العاكف فيه والباد فالعاكف المقيم به والبادي الذي يحج اليه من غير اهله وفقنا الله واياكم لمحابه والسلام

اقول ذيدت ردت والخلة الحاجة وفيه مقاصد احدها امره باقامة الحج للناس واقامة القيام باعماله وتعليم الجاهلين كيفيته
وجمعهم عليه الثاني ان يذكرهم بايام الله اي عقوباته التي وقعت بمن سلف من المستحقين لها كي يحذروا ويطيعوه من سلطانها
وعبر عنها بالايام مجازا اطلاقا لاسم المتعلق على المتعلق الثالث ان يجلس لهم العصرين اي الغداة والعشي لكونهما اطيب الاوقات
بالحجاز واشار الى اعظم فوائد جلوسه في الوقتين وهي فائدة العلم وحصر وجوه حاجة اهلها اليها ولم يسند ذلك الوجوه وجه
الحصر ان الناس اما غير عالم او عالم وغير عالم اما مقلد او متعلم طالب والعالم اما هو او غيره فهذه اقسام اربعة فوظيفة
القسم الاول وهو الجاهل المقلد ان يستفتي فامر ان يفتيه ووظيفة الثاني وهو المتعلم الجاهل ان يتعلم فامر ان يعلمه
ووظيفته هو مع الرابع وهو العالم ان يتذاكرا فامر بالمذاكرة الرابع نهاه ان يجعل له الى الناس سفيرا يعبر عنه الا
لسانه ولا حاجبا الا وجهه لان ذلك مظنة الكبر والجهل باحوال الناس التي يجب على الوالي الاحاطة بها ولفظ الا
والا للحصر وما بعدها خبر كان الخامس نهاه ان يحجب احدا عن لقائه بحاجته مؤكدا للسابق ورغبه في ملاقاة ذي الحاجة
صغراه قوله فانها الى قوله قضائها اي لم تحمد فيما بعد وان قضيتها وتقدير الكبرى وكل امر كان كذلك فلا ينبغي ان تحجب
عن لقائك بها ويذاد عن ابوابك في اول ورده السادس امره ان يصرف مال بيت المسلمين ويصرفه في مصارفه من ذوي العيال
الاحوج فالاحوج ويحمل الباقي اليه ومصيبا حال واضاف مواضع المفاقر لتغاير اللفظين السابع امره بنهي اهل مكة عن اخذ الاجرة
ممن يسكن بيوتهم بها واحتج لذلك بالآية في قياس الحاوي صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما قال الله فيه ذلك لم يجز اخذ الاجرة ثم

٢٩١

لنفسه ولها ان يوافقهم المجانسة وبه التوفيق لذلك. ومن كتاب له عليه السلام الى سلمان الفارسي رضي الله عنه قبل ايام خلافته اما
بعد فان مثل الدنيا مثل الحية لين مسها قاتل سمها فاعرض عما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها وضع عنك همومها لما ايقنت
به من فراقها وكن آنس ما تكون بها احذر ما تكون منها فان صاحبها كلما اطمأن فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور.

اقول اشخصته اذهبته ومدار الفصل على الموعظة وذم الدنيا وضرب لها مثلا وذكر من وجوه الشبه من جانب المثل
امرين احدهما لين المس ويماثله من جانب الدنيا فاكهة العيش ولذاتها والثاني قتل سمها ويماثله من الدنيا هلاك
المنهمكين في لذاتها يوم القيامة. ثم امره في مقابلة بها بامور احدها ان يعرض عما يعجبه منها وعلل وجوب اعراضه
بقوله لقلة ما يصحبك منها وهي صغرى ضمير تقديرها ما يصحبك منها قليل وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك
فينبغي ان يعرض عنه الثاني ان يضع عنه هموم طلبها وعلل وجوب ذلك بضمير صغراه قوله لما ايقنت من فراقها
اي لانك متيقن لفراقها وتقدير كبراه وكل ما تيقنت فراقه فواجب ان تضع همك عن طلبه الثالث ان يكون آنس ما
يكون بها احذر ما يكون منها وما مصدرية وآنس نصب على الحال واحذر خبر كان اي في حال كونك آنس بها كن احذر
ما يكون منها والغرض ان يحذر منها بقدر جهده ولا يانس بها وعلل وجوب الحذر منها بقوله فان صاحبها الى آخره
وهو صغرى ضمير تقديرها فانها كلما اطمأن صاحبها فيها الى آخره وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب ان يحذر
صاحبه منه ولا يانس اليه ينتج فالدنيا يجب ان يحذر صاحبها منها.

ومن كتاب له عليه السلام الى الحرث الهمداني وتمسك
بحبل القرآن وانتصحه واحل حلاله وحرم حرامه وصدق بما سلف من الحق واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها فان بعضها يشبه
بعضا وآخرها لاحق باولها وكلها حائل مفارق وعظم اسم الله ان تذكره الا على حق واكثر ذكر الموت وما بعد الموت ولا تتمن الموت
الا بشرط وثيق واحذر كل عمل يعمل به في السر ويستحيى منه في العلانية واحذر كل عمل اذا سئل عنه صاحبه انكره او اعتذر
منه ولا تجعل عرضك غرضا لنبال القول ولا تحدث الناس بكل ما سمعت فكفى بذلك كذبا ولا ترد على الناس كل ما حدثوك به
فكفى بذلك جهلا واكظم الغيظ واحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة واصفح مع الدولة تكن لك العاقبة واستصلح
كل نعمة انعمها الله عليك ولا تضيعن نعمة من نعم الله عندك ولير عليك اثر ما انعم الله به عليك واعلم ان افضل المؤمنين
افضلهم تقدمة من نفسه واهله وماله فانك ما تقدم من خير يبق لك ذخره وما تؤخره يكن لغيرك خيره واحذر صحابة من يفيل
رايه وينكر عمله فان الصاحب معتبر بصاحبه واسكن الامصار العظام فانها جماع المسلمين واحذر منازل الغفلة
والجفاء وقلة الاعوان على طاعة الله واقصر رايك على ما يعنيك واياك ومقاعد الاسواق فانها محاضر الشيطان
ومعاريض الفتن واكثر ان تنظر الى من فضلت عليه فان ذلك من ابواب الشكر ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة
الا فاصلا في سبيل الله او في امر تعذر به واطع الله في جمل امورك فان طاعة الله فاضلة على ما سواها وخادع نفسك
في العبادة وارفق بها ولا تقهرها وخذ عفوها ونشاطها الا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فانه لا بد من قضائها
وتعاهدها عند محلها واياك ان ينزل بك الموت وانت آبق من ربك في طلب الدنيا واياك ومصاحبة الفساق فان الشر
بالشر ملحق ووقر الله واحبب احباءه واحذر الغضب فانه جند عظيم من جنود ابليس.

اقول هذا الفصل من كتاب طويل اليه وقد امره فيه باوامر

بلغ

وزجر بزواجره ومدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب احدها ان يتمسك بحبل القرآن ولفظ الحبل مستعار كما سبق
واراد لزوم العمل به الثاني ان ينتصحه اي يتخذه ناصحا لانه يحث بقبل امره ونهيه لانه يهدي الى الحق والى صراط مستقيم
الثالث ان يحل حلاله ويحرم حرامه وذلك ان يعتقد ما فيه من الحلال والحرام حلالا وحراما ويقف عند اعتقاده ويعمل
بمقتضاه الرابع ان يصدق بما سلف من الحق مما حكاه القرآن الكريم من احوال القرون الماضية واحوال الانبياء عليهم السلام
ليحصل منه الاعتبار الخامس ان يعتبر بما مضى الدنيا بما فيها ويقيسه به فيحصل ما مضى اصلا وما بقي فرعا ويجعل القدر المشترك
بينهما من العلة هو كونها مظنة التغير والزوال فيحكم في الفرع بحكم الاصل من هو وجوب الزوال وقد نبه على المشترك بقوله
بعضها يشبه بعضا وعلى ما يلزم ذلك في الفرع بقوله وآخرها لاحق باولها وكلها حايل اي زايل مفارق السادس ان يعظم اسم الله
ويكرمه [illegible] الا على حق السابع ان يكثر ذكر الموت وما بعده فان في ذكرهما اعظم واعظ واشد زاجر عن الدنيا الثامن
ان لا يتمنى الموت الا بشرط وثيق من نفسه بطاعته اليه في طاعة الله ولا يتم فان تمنيه بدون ذلك سفه وحمق التاسع ان
يحذر كل عمل يرضاه لنفسه ويكره للمسلمين وهو في المعنى نهي عن الاستيثار عليهم بالخيرات وهو كقوله رد للناس ما ترضاه
لنفسك واكره لهم ما تكره لها العاشر ان يحذر ما يعمله في السر ويستحيي منه في العلانية والاشارة الى معاصي الله وما
الدنيا من المباحات وكذلك كل عمل من شانه ان ينكر اذا سئل عنه ويعتذر منه الحادي عشر ان يحفظ عرضه و
ان يجعله غرضا واستعار لفظ الغرض والنبال لما يرمي به من القول وقد سبق وجه الاستعارة الثاني عشر ان يحدث
الناس بكل ما سمع على وجه ان يقول كان كذا وكذا دون ان يقول سمعت فلانا يقول كذا فان بينهما فرقا وقوله
وكفى بذلك كذبا لاستحالة ان يكون ما سمع في نفس الامر كذبا فيكون قد كذب في قوله كان كذا وقوله سمعت كذا لا
كذبا الا على وجه آخر الثالث عشر ان لا يرد كل ما تحدث به الناس ويقابله بالتكذيب والانكار لاستحالة ان يكون حقا فيحصل
من انكاره جهل [illegible] وقوله فكفى في الموضعين صغرى ضمير تقدير كبرى الاول وكلما كفى به كذبا فينبغي ان لا يحدث به
كبرى الثاني وكل ما كفى برده جهلا وجب ان لا يرد الرابع عشر امره بكظم الغيظ والحلم والتجاوز والصفح وهي فضائل تحت
الشجاعة وشرطها بوجود الغضب والقدرة والدولة ليتحقق حلما وتجاوزا وصفحا والا لم يصدق عليها الاسم وقوله تكن
العاقبة اي العاقبة الحسنة من ذلك وهي صغرى ضمير تقديرها فان فاعل هذه الخصال يكون له العاقبة [illegible]
الكبرى وكل ما كانت له العاقبة الحسنة منها فيجب ان يفعلها الخامس عشر ان يستصلح كل نعمة لله تعالى عليه اي بعدلها
السادس عشر ان لا يضيع من نعمة الله تعالى نعمة اي بالقصور عن الشكر والغفلة عنه السابع عشر ان يظهر اثر نعمة الله
عليه بحيث يراها الناس وظهور اثرها عليه باظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها الى اهل الاستحقاق
بدليل وجوب ذلك من وجهين احدهما قوله ان افضل المؤمنين افضلهم تقدمة اي صدقة يقدمها من نفسه
واهله وماله والدون من اهله كذلك وهو جذب له ان يجعل نفسه من افضل المؤمنين بالصدقة الثاني قوله وانك ما تقدم من
خير اي ما تقدمه وتخرجه من المال وتخلفه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما انت مذخره كان لك نفعا واذا اخرته
لغيرك خيره فواجب عليك تقديمه الثامن عشر ان يحذر صحابة من يفيل رايه اي يضعف وينكر عمله السوء [illegible]

ان يذكرهم

الثاني

الحذر بقوله فان الى قوله بصاحبه اي فانه تعالى يقاس به ويحسب فعله الى فعله ولان الطبع مع الصحبة الطوع للتعلم منه للخلق
فلو صحبه لتابعه فعله فعله التاسع عشر ان يسكن الامصار العظام والغرض الجمعية على دين الله كقوله صلى الله عليه وآله
عليكم بالسواد الاعظم ولذلك علل بكونها جماع المسلمين اي مجمعهم واطلق اسم المصدر على المكان مجازا وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان يختص بالسكنى العشرون ان يحذر منازل الغفلة والجفاء وقلة الاعوان
على طاعة الله وتلك هي منازل الملذات والاستغراق في طلب الدنيا والغفلة والجفاء لاهل طاعة الله الحادي والعشرون
ان يقصر رايه على ما يعنيه فان فيه شغلا عما لا يعنيه فيجاوزه الى سفه الثاني والعشرون ان يحذر مقاعد الاسواق وارشد
الى وجه المفسدة بقوله فانها الى قوله الفتن ومعنى كونها محاضر الشيطان كونها مجمع الشهوات ومحل الخصومات التي
سداها الشيطان ومعاريض جمع معرض وهو محل عروض الفتن والكلام صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك
فلا يجوز القعود فيه الثالث والعشرون ان يكثر نظره الى من هو دونه ممن فضل عليه في النعم وعلل ذلك بقوله فان ذلك من
الشكر ووجه كونه بابا للشكر انه يكون سببا للدخول اليه منه وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان من ابواب الشكر
فواجب ملازمته الرابع والعشرون ان لا يسافر في يوم الجمعة الا ان يكون في جهاد او عذر [illegible] وسر ان صلاة
الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التاهب لها والعبادة فوضعه للسفر وضع للشيء في غير موضعه الخامس والعشرون
ان يطيع الله في جميع اموره ورغب فيها بضمير صغراه قوله فان الى قوله سواها وتقدير كبراه وكلما افضل ما سواه فالاولى
لزومه وايثاره على ما سواه السادس والعشرون ان يخادع نفسه في العبادة فانه لما كان شان النفس اتباع الهوى ومحل
الطبيعة فبالحري ان تخادع عن مالوفها الى ضرها تارة بان يذكر الوعد وتارة الوعيد وتارة بالاستشهاد بمن دونها ممن
تميز في عبادة الله وتارة باللوم لها على التفريط في جنب الله فاذا اسلكت بها فينبغي ان يكون بالرفق من غير قهرها على العبادة
لكون ذلك داعية الملال والانقطاع كما اشار اليه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل
فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى بل تاخذ منها عفوها ونشاطها
في العبادة الا الفريضة فانه لا يجوز المساهلة فيها السابع والعشرون تحذيره ان ينزل به الموت حال ما هو آبق من
ربه واستعار له الاباق باعتبار خروجه عن امره ونهيه عن طلب الدنيا الثامن والعشرون ان يحذر صحبة الفساق ونفر
عن ذلك بضمير صغراه قوله فان الشر بالشر ملحق اي فانه يصير لك شريكا [illegible] لان القرين بالمقارن يقتدي وتقدير كبراه
وكل ما يصير لك شريكا كذلك فلا يجوز فعله التاسع والعشرون ان يجمع بين توقير الله وتعظيمه وبين محبة احبائه وكل
وهما اصلان متلازمان الثلثون ان يحذر الغضب ونفر عنه بقوله فانه الى آخره ومعنى كونه جندا انه من اعظم ما يستعين
به على الانسان فيملكه ويصير في تصريفه كالملك الداخل بالجند العظيم على المدينة وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكلما كان
كذلك فواجب ان يحذر منه وبالله التوفيق **ومن كتاب له عليه السلم** الى سهل بن حنيف الانصاري وهو عامله على المدينة
في معنى قوم من اهلها لحقوا بمعوية اما بعد فقد بلغني ان رجالا ممن قبلك يتسللون الى معوية فلا تاسف على ما يفوتك من
عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل وانما هم اهل الدنيا

مقبلون اليه مهطعون فيها قد عرفوا العدل وراوه وسمعوه ووعوه وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا الى الاثرة فبعدا لهم
وسحقا انهم والله لم يفروا من جور ولم يلحقوا بعدل وانا لنطمع في هذا الامر ان يذلل الله لنا صعبه ويسهل لنا حزنه ان شاء الله
والسلم اقول المستذل الذاهب واحدا بعد واحد والايضاع الاسراع وكذلك الاهطاع والاثرة الاستبداد فقوله اما بعد الى قوله
معوية اعلام له عليه بحالهم وقوله فلا تاسف الى قوله مددهم تسلية له عما فاته من عددهم ومددهم وقوله فكفى لهم غيا الى قوله
لدعى الاسف على فرارهم بذكر معايبهم في ضميرين صغرى الاول منهما قوله فكفى الى قوله الجهل وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا
الاسف عليه وفرارهم فاعل كفى وغيا وشافيا تمييز وصغرى الثاني قوله وانما هم اهل الدنيا الى لما كان شانهم ذلك وعرفوا العدل
عندنا وعلموا تساوي الناس عندنا في الحق هربوا الى الاستيثار والاستبداد عند معوية وتقدير كبراه وكل من كان بهذه الحال فلا
الاسف عليه ولذلك دعا عليهم بالبعد والسحق وهما مصدران وضعا للدعاء ثم اقسم انهم لم يفروا من جور منه ولم يلحقوا
بعدل من معوية ليتاكد حصر احوالهم التي هربوا لاجلها ثم وعد بما يطمع فيه من الله تعالى من تذليل ما صعب من
الخلافة لهم وتسهيل حزنها بمشيته سبحانه ومن كتاب له عليه السلم الى المنذر بن الجارود العبدي وقد كان استعمله
على بعض النواحي فخان الامانة اما بعد فان صلاح ابيك غرني منك فظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا
انت فيما رقي الي عنك لا تدع لهواك انقيادا ولا تبقي لاخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب اخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك
ولئن كان ما بلغني عنك حقا لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك ومن كان بصفتك فليس باهل ان يسد به ثغر او ينفذ به
امر او يعلى له قدر او يشرك في امانة او يؤمن على خيانة فاقبل الي حين يصل اليك كتابي هذا ان شاء الله والمنذر بن الجارود هذا
الذي قال فيه امير المؤمنين انه لنظار في عطفيه مختال في برديه تفال في شراكيه يعني انه ينفض التراب عن شراكيه لانه
العثار اقول العتاد العدة والشسع سير بين الاصبعين في النعل العربي ومدار الفصل على توبيخه بسبب خيانته وذكر
سبب غروره وهو قياسه في الصلاح على ابيه الجارود العبدي في انه يتبع ما كان عليه من الهدي ثم ذكر ما رقي اليه عنه
من الفارق من اربعة اوجه احدها انقياده لهواه في كل ما يقوده اليه الثاني اعراضه عما يعده لاخرته من صالح الاعمال
الثالث كونه يعمر دنياه بما يستلزم خراب آخرته من تناول الحرام الرابع كونه يصل عشيرته بما يقطع دينه من ذلك
المتجمع في قرينتين ثم اخذ في توبيخه والحكم بنقصانه وحقارته ان صح ما نسب اليه وذلك بتفضيل جمل اهله وشسع نعله
عليه وجمل الاهل مما يتمثل به في الهوان واصله فيما قيل ان الجمل يكون لاب القبيلة فيصير ميراثا لهم يسوقه كل منهم
في حاجته فهو ذليل حقير بينهم ثم حكم في معرض توبيخه على من كان بصفته انه لا يصلح لولاية عمل من الاعمال الداخلة
في القراين الاربع المتجمع المتوازي فالعدد بازاء الامر والخيانة بازاء الامانة وانما قال او يشرك في امانة لان الخلفاء امناء الله في
بلاده ومن ولوه من قبلهم فقد اشركوه في اماناتهم وقوله او يؤمن على خيانة اي حال خيانته لان كلمة على تفيد الحال
توبيخه استقدمه عليه لعزله والذي حكاه السيد رحمه الله من وصف امير المؤمنين عليه السلم له فكناية عن تكبره
في التراب نفخ الغبار عنه والحكاية مناسبة للكتاب لاشتمالها على الذم وبالله التوفيق ومن كتاب له عليه السلم
الى عبد الله بن العباس رحمه الله اما بعد فانك لست بسابق اجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بان الدهر يومان يوم لك ويوم

عليك وان الدنيا دار دول فما كان منها لك اتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك اقول الفصل موعظة نبهه فيها على
دقائق احدها انه لا يسبق اجله ولما كان الاجل هو الوقت الذي علم الله ان زيدا يموت فيه لم يمكن ان يموت زيد دونه لان ذلك
يستلزم انقلاب علم الله جهلا وانه محال الثانية ولا مرزوق ما ليس له اي ما علم الله انه ليس رزقا له فمحال ان يرزق اياه لما قلناه
الثالثة اعلمه ان الدهر يومان يوم له وهو اليوم الذي يكون فيه المنافع له كاللذة وكمالاتها ويوم عليه وهو ما يكون فيه المضرة
كالالم وما يستلزمه وذلك معنى كون الدنيا دار دول كما قال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس الرابعة اعلمه بان ما كان من
خير الدنيا اتاه على ضعفه وان كان امرا كبيرا لعلم الله سبحانه بانه يصل اليه وكذلك ما كان عليه من شرها لم يتمكن من دفعه
وان كان قويا وذكر الضعف والقوة ليعلم استناد الامور والارزاق الى مدبر حكيم هو مفيضها ومبدا اسبابها وناظم
ومقسم كمالاتها ومعطي كل منها ما استعد له من خير او شر فقد يحصل الضعف للحيوان ويرزق رزقا واسعا ويكون ضعفه
من الاسباب المعدة لسعة رزقه وبالعكس قد يحصل له القوة فيكون من اسباب الحرمان والله من ورائهم محيط وهو الرزاق
ذو القوة المتين ومن كتاب له عليه السلم الى معوية اما بعد فاني على التردد في جوابك والاستماع الى كتابك
لموهن رايي ومخطئ فراستي وانك اذ تحاولني الامور وتراجعني السطور كالمستثقل النائم تكذبه احلامه والمتحير القائم يبهظه مقامه
لا يدري اله ما ياتي ام عليه ولست به غير انه بك شبيه واقسم بالله لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك مني قوارع تقرع العظم وتهلس
اللحم واعلم ان الشيطان قد ثبطك عن ان تراجع احسن امورك وتاذن لمقال نصيحتك اقول موهن مضعف ويبهظه يثقله والقوارع
الشدائد وتهلس اللحم تذهب به وتنحته وتقرب منه النهس وثبطه عن كذا شغله ومدار الفصل على تنفيره وتوبيخه فقوله اما
الى قوله فراستي اي ضعف رايي وفراستي فيك اذ الطلب مخطئ انه ممن يتمثل بجوابك لا فائدة فيه ثم شبهه في محاولته امر الناس
وما يخدعه عنه من جعل امر الخلافة فيه بعده ومراجعته السطور اي الكتب في ذلك بالمستثقل في النوم الغريق في
السطور بحذف الجار اما في او الباء واشار الى وجه الشبه بقوله تكذبه احلامه واراد ان تخيلاته وامانيه في وصول هذا الامر
تخيلات كاذبة صادرة عن جهل غالب كالاحلام الكاذبة للمستغرق في نومه اذا استيقظ لم يجد لها شيئا وكذلك شبهه
القائم واشار الى وجه الشبه بقوله يبهظه الى قوله عليه وبيانه ان معوية مجد في هذا الامر متحير في تحصيله متهور في طلبه
جاهل بعاقبة سعيه هل هي خير او شر كالقائم المتحير في الامر يتعب بطول مقامه ولا يعرف غايته من قيامه ثم اردف ذلك
بقوله ولست به بل زاد مبالغة في غفلة نومه في مرتبة طبيعته وحيرته وقال ولست به بل انت شبيه
هو اصل لذلك في الشبه مقبل بك شبيه اي انك اصل له في ذلك الشبه ثم اقسم لولا بعض الاستبقاء اي لولا بعض المصلحة
لوصلت اليه منه قوارع واراد شدائد الحرب وكنى عن شدتها بكونها تقرع العظم وتهلس اللحم ثم اعلمه في معرض
ان الشيطان قد ثبطه عن مراجعة احسن اموره وهو الدخول في طاعته وترك الفتنة وان ياذن اي يصغي اذنه لمقال النصيحة
جاذبا له اليهما اجنبيه تركها الى تثبيط الشيطان وبالله التوفيق ومن حلف له عليه السلم بين اليمن وربيعة
من خط هشام بن الكلبي هذا ما اجتمع عليه اهل اليمن حاضرها وباديها وربيعة حاضرها وباديها انهم على كتاب الله يدعون اليه
ويامرون به ويجيبون من دعا اليه وامر به لا يشترون به ثمنا ولا يرضون به بدلا وانهم يد واحدة على من خالف ذلك وتركه انصار

لبعض دعوتهم واحدة لا ينقضون عهدهم لمعتبة عاتب ولا لغضب غاضب ولا لاستذلال قوم قوما ولا لمسبة قوم قوما على ذلك شاهدهم وغائبهم وحليمهم وجاهلهم ثم ان عليهم بذلك عهد الله وميثاقه ان عهد الله كان مسؤولا وكتب علي بن ابي طالب اقول الحلف العهد وفيه نكت الاولى قوله هذا ابتداء وما موصولة وهي صفة المبتدا وخبره انهم ويجوز ان يكون هذا مبتدا ما اجتمع عليه ويكون قوله انهم تفسير الهذا كانه قال ما الذي اجتمعوا عليه فقيل على انهم على كتاب الله اي اجتمعوا على انهم هو على كتاب الله ويدعون حال والعامل متعلق الجار وحاضرها وباديها بدل من اهل اليمن وكذلك من ربيعة الثانية كونهم لا يشترون به ثمنا كناية عن لزومهم له والعمل به الثالثة قوله وانهم يد واحدة اي يتعاونون على من خالف ذلك فاطلق اسم اليد على التعاون مجازا اطلاقا لاسم السبب على المسبب وانصار خبر ثان لان وبعضهم فاعله ويجوز ان يكون بعضهم مبتدا خبره انصار الرابعة قوله ولا لاستذلال قوم قوما اي لا ينقضون عهدهم لكون القبيلة الاخرى قد اذلتهم او سبتهم وروي لمسبة قوم قوما اي لاذيتهم لهم وفي رواية وكتب علي بن ابو طالب وهي المشهور عنه عليه السلم ووجهها انه جعل هذه الكنية علما بمنزلة لفظ واحد لا يتغير اعرابها **ومن كتاب له عليه السلم** الى معوية من المدينة في اول ما بويع له بالخلافة وذكره الواقدي في كتاب الجمل من عبد الله علي امير المؤمنين الى معوية بن ابي سفيان اما بعد فقد علمت اعذاري فيكم واعراضي عنكم حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له والحديث طويل والكلام كثير وقد ادبر من ادبر واقبل من اقبل فبايع من قبلك واقبل الي في وفد من اصحابك **اقول** الوفد الواردون على الملك واعلم انه اشار الى اعذاره فيهم الى الله اي اظهار عذره وذلك باجتهاده في نصيحة عثمان اولا ونصح بني امية بالذب عنه ثانيا واعراضه عنهم بعد ياسه من قبول عثمن لنصيحته وعجزه عن نصرته والدفع عنه حتى كان ما لا بد منه ولا دفع له من قتله ثم قال والحديث طويل والكلام كثير اي في امره ومن قتله وقوله وقد ادبر الى قوله اقبل يحتمل ان يكون اخبارا له بان بعض الناس ادبر عنه كطلحة والزبير ومن تابعهما وبعضهم اقبل عليه ويحتمل ان يكون اشارة الى قد دخل في الامر من ادبر عني ودخل في الاقبال من اقبل علي ثم امره ان يبايع له من قبله من الجماعة ويقبل اليه ويحتمل ان يكون الضمير في قوله فيكم وعنكم خطاب لمعوية مع سائر المسلمين على سبيل العتب والتشكي اي قد علمتم اني اعذرت فيكم حيث اعاجل مسيئكم بالعقوبة واعرضت عنكم حتى كان ما كان من خروج طلحة والزبير ومن تابعهم ما لا بد منه ولا دفع له والحديث في شانهم طويل والكلام في شبهتهم كثير وقد ادبر من ادبر اي هؤلاء الخارجون واقبل من اقبل الكلام بحاله والله اعلم **ومن وصية له عليه السلم** لعبد الله بن العباس عند استخلافه اياه على البصرة سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك واياك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم ان ما قربك من الله يباعدك من النار وما باعدك من الله يقربك من النار **اقول** الطيرة فعلة من الطيران ويستعمل في الخفة وعدم الثبات وروي طيرة من التطير التشاؤم وقد امره بفضائل من الاخلاق احدها ان يسع الناس بوجهه وكنى بذلك عن البشر والطلاقة وبمجلسه وهو كناية عن التواضع وبحكمه وكنى به عن العدل لان الحكم العدل يسع كل احد والجور يضيق لا يحمله الكل الثاني حذره من الغضب بفضيلة الثبات والحلم ونفره بقوله فانه طيرة من الشيطان لانه مهلك للناس بصاحبه ويكرهه ونسبه الى الشيطان

واراد الغضب المذموم وهو صغرى ضمير تقديرها كبراه وكل ما كان كذلك فواجب ان يحذر ثم رغبه فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مبعدا من النار وحذره مما يبعده عنه باستلزامه التقرب الى النار وهما صغريا ضميرين تقدير كبرى الاول منهما وكل ما باعد من النار فواجب اخذه وتقدير كبرى الثاني وكل ما قرب من النار فواجب ان يجتنب وبالله التوفيق **ومن وصية له عليه السلم** لعبد الله بن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج لا تخاصمهم بالقران فان القران حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا **اقول** المحيص المعدل وقد نهاه ان يحاجهم بالقران ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فان القران الى قوله ويقولون اي ان الايات التي يمكنه الاحتجاج بها ناصة في المطلوب بل لها ظاهر او دلالات محتملة يمكنهم ان يتعلقوا بها عند الجدال له وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا يحصل الغرض به في مخاصمتهم ثم امره ان يحاججهم بالسنة ونبه على ذلك بضمير صغراه قوله فانهم لا يجدون عنها معدلا لكونها نصا في المطلوب كقوله صلى الله عليه وآله حربك يا علي حربي ونحوه وتقدير الكبرى وكل ما لا يجدون عنه معدلا فالاولى محاجتهم به **ومن كتاب له عليه السلام** اجاب به ابا موسى الاشعري عن كتاب كتبه اليه من المكان الذي اتعدوا فيه للحكومة وذكر هذا الكتاب سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي فان الناس قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى واني نزلت من هذا الامر منزلا معجبا اجتمع به اقوام اعجبتهم انفسهم فانا اداوي منهم قرحا اخاف ان يعود علقا وليس رجل فاعلم احرص على جماعة محمد صلى الله عليه وآله والفتها مني ابتغي بذلك حسن الثواب وكرم الماب وساوفي بالذي وايت على نفسي وان تغيرت عن صالح ما فارقتني عليه فان الشقي من حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة فاني لاعبد ان يقول قائل بباطل وان افسد امرا قد اصلحه الله فدع ما لا تعرف فان شرار الناس طائرون اليك باقاويل السوء **اقول** العلق الدم الغليظ وروايت وعدت واعيد استنكف واغضب وقوله فان الناس الى قوله حظهم اي الحظ الذي ينبغي لهم من الدين والهدى وقوله فمالوا الى قوله الهوى بيان لانواع تغيرهم وقوله واني نزلت من هذا الامر اي امر الخلافة منزلا معجبا وهو الحال التي انتهى اليها امر الصحابة وصارت محل التعجب منها وكيف صار حكومة لهم في قبول الحكومة والرضى والصلح وغيره وقوله اجتمع به اقوام صفة منزلا اي ان هذا المنزل الذي انا فيه من هذا الامر قد اجتمع معي وشاركني في رايي فيه اقوام اعجبتهم انفسهم فافسدوا على الامر فانا اداوي منهم قرحا واستعار لفظ القرح لما افسد من حال اجتماعهم على التحكيم ولفظ المداواة لاجتهاده في اصلاحهم وروي اجاري وكذلك استعار لفظ العلق لما يخاف من تفاقم امرهم ثم اعلم من حال انه ليس رجل احرص منه على الفة جماعة محمد صلى الله عليه وآله للغرض المذكور وقوله فاعلم اعتراض حسن بين ليس وخبرها ورجل يفيد العموم وان كان منكرا لكونه نكرة في سياق النفي على ما بين في اصول الفقه ثم اخبر انه سيفي بما وعد على نفسه من الصلح على ما وقع عليه وتوعده بلزوم الشقاوة ان تغير عن صالح ما فارقه عليه من وجوب الحكم بكتاب الله وعدم اتباع الهوى والاغترار بمقارنة الاشرار وفسر الشقي بمن حرم نفع ما اوتي من العقل والتجربة مشيرا بذلك الى انه ان خدع او تغير بامر آخر فقد حرم نفع عقله وسابقة تجربته فلزمته الشقاوة ثم نبهه على انه ياتف من قول الباطل وان يفسد امرا اصلحه الله به وهو امر الدين تحرزا من غضبه بلزوم الحق والصدق وحفظ جانب الله في حكمه واكد ذلك بقوله فدع ما لا تعرف اي من الحكم في هذه القضية بالشبهة وقوله فان شرار الناس الى آخره اراد عمرو بن العاص ونحوه فيما كان

ساعد الى من الناس ولقوة مما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مرجو

كان يسرع بالقابل اليه من الوساوس والشبه الكاذبة التي هي اقاويل السوء **ومن كتاب له عليه السلم** لما استخلف الى الاجناد اما بعد فانما اهلك من كان قبلكم انهم منعوا الناس الحق فاشتروه واخذوهم بالباطل فاقتدوه **اقول** نفرهم عن الحق اهله ومعاملتهم الناس بالباطل بذكر ان ذلك هو سبب هلاك من كان قبلهم من امثالهم وقوله فاشتروه اي فباعوه عنه بالباطل لما منعوا منه كقوله تعالى وشروه بثمن بخس وكذلك قوله واخذوهم بالباطل اي حملوا الناس معهم بالباطل اي اقتدوا الباطل وسلكوا فيه مسلك من اخذهم به كقوله تعالى فبهديهم اقتده وبالله التوفيق تم باب الكتب والوصايا والحمد لله حق حمده **باب المختار من حكم امير المومنين عليه السلم ومواعظه ويدخل في ذلك المختار من اجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر اغراضه قال عليه السلم** كن في الفتنة كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب **اقول** ابن اللبون ولد الناقة اذا استكمل سنتين ودخل في الثالثة لان امه حملت الاخر ووضعت ولدا غيره فهي ذات لبن وقد امر اصحابه في زمن الفتنة ان يتشبه بابن اللبون واشار الى وجه الشبه بقوله لا ظهر الخ واراد انه يكون في زمانها خامل الذكر ضعيفا غير مستكثر من المال كيلا يصلح لمعاونة الظالمين بنفسه ولا بماله ولا ينتفع به في الفتنة كابن اللبون لا ينتفع بظهره ولا لبنه وظهر مبتدا خبره محذوف تقديره له ويركب عطف على ووري منصوبا باضمار ان في جواب النفي وكذا قوله فيحلب **وقال عليه السلم** احدى وعشرين كلمة من الاداب والحث على مكارم الاخلاق احدها قوله ازرى بنفسه من استشعر الطمع وهو تنفير عن الطمع المضاد لفضيلة القناعة بذكر ما يستلزمه من التهاون بالنفس والازراء بها وذلك ان الطمع بما ايدي الناس يستلزم الحاجة اليهم والخضوع لهم يستلزم الهون عليهم وسقوط المنزلة واستعار وصف الاستشعار لملازمة الطمع ومباشرته للقلب كالشعار للجسد الثانية قوله ورضي بالذل من كشف ضره وهو ايضا تنفير للانسان عن شكاية فقره وضره للناس بذكر ما يلزم ذلك من المذلة والرضى بها الثالثة وهانت عليه نفسه من امر عليها لسانه وهو تنفير الانسان عن الاكثار في القول من غير تدبر ومراجعة لعقله بما يلزم ذلك من هوان نفسه عليه اما في الدنيا فلان زيادة القول قد يكون سببا للهلاك واليه اشار القائل احفظ لسانك ايها الانسان لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الاقران واما في الاخرة فلقوله صلى الله عليه واله وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم ولا هون لنفس الانسان عليه اعظم من هلاكها واستعار وصف التامير لتسليط اللسان على ما يوذي النفس من غير مراجعة فكانها صارت محكومة له الرابعة قوله والبخل عار وذلك لانه رذيلة التفريط من فضيلة الكرم وحمد الانسان على الكرم يكون ذمه وتعييره برذيلة البخل الخامسة والجبن منقصة لانه رذيلة التفريط من فضيلة الشجاعة التي هي اصل من الكمالات النفسانية فكان الجبن رذيلة ومنقصة السادسة والفقر يخرس الفطن عن حجته لكونه مذلة تولد في النفس فعل عظيم بالقبض والفتور والانفعال عن الغير ومبدا كل ذلك تصور العجز وتوهم القصور عدم المال عن مقاومة الخصوم فيحصل التحرز من الكلام والعي عنه وان كان صاحبه فطنا واستعار لذلك وصف ملاحظة لشبهه بالسابعة والمقل غريب في بلدته اي الفقير واستعار له لفظ الغريب باعتبار عدم التفات الناس اليه

الاعوان

الاعوان والاخوان له لاقلاله فهو كالغريب الذي لا يعرفه الناس والعجز آفة العجز لفظ مهمل يحتمل العجز البدني وهو عدم القدرة على التصرفات البدنية عما من شانه ان يقدر ويحتمل العجز النفساني وهو عدم القدرة على مقاومة الهوى والاول آفة بدنية ونقصان فيه والثاني آفة في العقل وعاهة فيه التاسعة والصبر شجاعة الصبر فضيلة تحت العفة ترسم بانها مقاومة الهوى لئلا يقود النفس الى قبائح اللذات وهو جهاد مع النفس الامارة يستلزم فضيلة الشجاعة فلذلك حمل اللازم على ملزومه العاشرة والزهد ثروة وهو فضيلة تحت العفة ويرسم بانه اعراض النفس عن متاع الدنيا وطيباتها ولما كانت الثروة في العرف عبارة عن الغنى بالمال وكثرته استعار لفظها للزهد ايماء الى استلزامهما للغنى وعدم الحاجة الحادية عشر والورع جنة وحقيقة الورع لزوم الاعمال الجميلة فلذلك استعار له لفظ الجنة لمشابهتهما في الوقاية من عذاب الله في الاخرة ومن اكثر المصائب الدنيوية كما يجتن بالترس ونحوه من السلاح الثانية عشر ونعم القرين الرضا وقد علمت ان الرضا بقضاء الله ومانزل به القدر باب عظيم من ابواب الجنة وغاية من الملكات الفاضلة وظاهر انه نعم القرين في الدنيا والاخرة الثالثة عشر والعلم وراثة كريمة وهو كمال النفس العاقلة وهو اشرف الكمالات التي تقتني وبحسب ذلك كان وراثة كريمة من العلماء بل كان اكرم موروث واراد الوراثة اللغوية كقوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب اي العلم والحكمة الرابعة عشر والاداب حلل مجددة واراد الاداب الشرعية ومكارم الاخلاق واستعار لها لفظ الحلل المجددة باعتبار دوام زينة الانسان وتجدد بهايه وحسنه وتهذيب نفسه على استمرار الزمان بلزومها واستخراج محاسنها كالحلل التي تتجدد الخامسة عشر والفكر مراة صافية الفكر قد يراد به قوة المفكرة وقد يراد به حركة هذه القوة مطلقا وقد يراد به معنى اخص من هذا القوة نفسها واستعار لها لفظ المراة باعتبار انها اذا وجهت نحو تحصيل المطالب التصورية والتصديقية ادركتها وتمثلت بها كما يتمثل في المراة صور ما يحاذي بها السادسة عشر وصدر العاقل صندوق سره استعار للصدر لفظ صندوق السر باعتبار حفظه له كما يحفظ الصندوق ما فيه وهو في المعنى امر للانسان بكتمان سره ورغبه في ذلك بذكر العاقل وكانه قال العاقل من جعل صدره صندوق سره وحفظه السابعة عشر والبشاشة حبالة المودة واستعار لها لفظ الحبالة باعتبار اقتناص الانسان بها الناس واستمالتهم الى صداقته ومحبته كحبالة الصائد التي يقتنص بها الطير الثامنة عشر والاحتمال قبر العيوب اراد احتمال المكروه والاذى من الاخوان وسائر الناس وهو فضيلة عظيمة تحت الشجاعة واستعار له لفظ قبر العيوب باعتبار ستره لمعايب صاحبه عند الناس كما يستر القبر ما فيه من جيفة الميت قال السيد رحمه الله وروي انه عليه السلم قال في العبارة عن هذا المعنى ايضا المسالمة خباء العيوب قال الجوهري الخباء واحد الاخبية بيت من وبر او صوف ولا يكون من شعر ويكون على عمودين او ثلثة وما فوق ذلك فهو بيت والمسالمة فضيلة تحت العفة استعار لها لفظ الخباء باعتبار انها فضيلة تستجلب المحبة وتستلزم سكوت الناس عن المعايب وسترها كالخباء وتبين استلزامها الستر للعيوب باستلزام نقيضها وهو المخاصمة وعدم المسالمة للتطلع على ذكر المعايب وابرازها العرض للاهانة والتبكيت التاسعة عشر ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه وذلك لوجهين

ان الراضي عن نفسه معتقد لكمالها على غيرها وناظر الى غيره بعين النقصان غير موف للناس حقوقهم فيكثر لذلك
الساخط عليه منهم الثاني انه لاعتقاده كمال نفسه يرفعها فوق قدرها والناس يرونه بقدره فيكثر المتنقص له والساخط
عليه العشرون والصدقة دواء منجح استعار لفظ الدواء الناجع للصدقة لمشابهتها الدواء اما في الدنيا فلقوله صلى الله عليه
وآله داووا مرضاكم بالصدقة وسر ذلك انها تستجلب الهمم وتطابق القلوب على محبة المتصدق والرغبة الى الله سبحانه في دفع
المكاره عنه لبقائه فهي في ذلك سبب للشفاء كالدواء واما في الآخرة فلانها سبب لدفع المكاره الاخروية كما سبق مرارا
الحادية والعشرون واعمال العباد في عاجلهم نصب اعينهم في آجلهم اي ظاهرة قائمة في اعينهم وسر ذلك ما علمته من كون النفوس
ما دامت في الدنيا فهي تنتقش بملكات الخير والشر لكنها في اغشية من الهيئات البدنية وحجب عن ادراك الامور كما هي فاذا زالت
تلك الاغشية بالمفارقة انكشفت لها الامور فادركت ما عملت من خير وما استعدت له من شر كما قال تعالى فكشفنا عنك
غطاءك فبصرك اليوم حديد وكما قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال عليه السلام اعجبوا لهذا
الانسان ينظر بشحم ويتكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم نبه على لطف خلق الانسان ببعض اسرار حكمة الله تعالى
من ذلك للاستدلال على حكمة صانعه ومبدعه وذكر اربعة من محال النظر والاعتبار وهي آلة البصر والكلام والسمع والتنفس
بالذكر لكونها مع ضعفها ضرورية في وجود الانسان على شرفه وخطورته في المخلوقات ولا يقوم الا بها ليكون ذلك محل
التعجب واعتبار لطف الصانع الحكيم واراد بالشحم الذي ينظر به الرطوبة المسماة في عرف الاطباء بالبيضية او الجليدية
فان العين مركبة من سبع طبقات وثلث رطوبات كل منها يختص في عرفهم باسم وعنى باللحم اللسان فانه لحم ابيض رخو تتخلله
به عروق صغار كثيرة فيها دم ولذلك يرى احمر وتحته عروق وشريانات واعصاب كثيرة وتحته فوهتان يسيل منهما اللعاب
ينتهيان الى لحم غددي رخو موضوع في اصله يسمى مولد اللعاب وبهاتين الفوهتين يبقى اللسان وما حوله الندى والطبيعة
واراد بالعظم الذي يسمع به العظم المسمى بحجري وهو عظم صلب فيه مجرى الاذن كثير التعاريج والعطفات ليكون
الى ان يلقى العصبة النابتة من الدماغ التي هي مجرى الروح الحامل للقوة السامعة واراد بالخرم ثقب الانف وفي هذه
من بدن الانسان وسائر الحيوان عبرة لمن اعتبر وكمال شهادة بوجود الصانع الحكيم ولمن نظر في تشريح بدن الانسان
شواهد من الحكمة الالهية يحار فيها لبه ويدهش فيها عقله وقرأ الصادق عليه السلام قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا
قال وكيف لا يكون ضعيفا وهو ينظر بشحم ويسمع بعظم وينطق بلحم وقد راعى في القرائن الاربع السجع المتوازي وقال
عليه السلام اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم يريد ان الدنيا
اذا اقبلت بجاهها وما لها على قوم بحسب توافق اسباب السعادة الدنيوية لهم استلزم ذلك اقبال الناس عليهم ونظرهم
اليهم بكل ممكن لميلهم الى الدنيا ومحبتهم لها وحسنوا في اعينهم فاستعاروا لهم الاوصاف الجميلة التي كانت في غيرهم
وان لم يكونوا في نفس الامر كذلك حتى يصفوا بالحلم الجاهل وبالكرم المبذر وبالشجاعة المتهور وبالظرف ولطف الاخلاق
الماجن وربما كان اقبال الدنيا عليهم ايضا سببا لاستعدادهم لتحصيل الكمالات النفسانية والملكات الفاضلة
التي كانت محاسن لغيرهم قبلهم وان كانوا من قبل ذلك غير اهل لشيء منها ويحتمل ان يريد بالمحاسن محاسن الدنيا من مركوب

وملبوس

وملبوس وابهة وحسن آلة وتصرف وذلك ظاهر وكونه عارية باعتبار عدم دوامه وكذلك اذا ادبرت عنهم بحسب توافق
اسباب الشقاوة فيها قبحوا في اعين الناس حتى يكون احدهم ذا فضيلة في نفسه فيجحدها الناس ويصفونه بضدها فان زهد
في الدنيا نسبوه الى الرياء والسمعة وان حسنت اخلاقه نسبوه الى الخلاعة والمجون وان شجع نسبوه الى التهور والحمق وهو
معنى سلبها المحاسن انفسهم وربما استعد ذو الفضيلة منهم بذلك الى تركها واهمال التخلق بها وضدها حتى تسلب عنه الفضيلة
بالكلية وقال عليه السلام خالطوا الناس مخالطة ان متم بكوا عليكم وان عشتم حنوا اليكم نبه بذلك على حسن المعاشرة
للناس ومعاملتهم بمكارم الاخلاق وكنى عن ذلك بقوله ان متم الى آخره اذ من لوازم حسن المعاشرة للخلق المخالطة التي في
حيوة والانقياد والبكاء عليه بعد وفاته والجملة الشرطية في موضع نصب صفة لمخالطة وقال عليه السلام اذا قدرت على
عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه وهو تنبيه على فضيلة العفو وجذب اليه بكونه شكرا للقدرة اي ملازما
للشكر عليها وذلك ان القدرة على العدو نعمة من الله تعالى يجب شكرها والاعتراف لله والخضوع له ويلزمه الرقة وفتور الغضب
ويتبع ذلك العفو فاقامه مقام الشكر للملازمة بينهما ولما كان الشكر واجبا كان العفو لازما وقال عليه السلام اعجز الناس
من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم الاخوان جمع اخ كجرب وجربان واراد الاصدقاء الصادقين
وفي الكلمة حث على مكارم الاخلاق لان الاخوان لا يكتسبون الا بها وانما جعل العاجز عن تحصيلهم اعجز الناس لان ذلك
لا يحتاج الى اكتساب قوة بدنية ولا اعمال فكرة عقلية وانما يفتقر الى كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والملاقاة بالبشر والطلاقة
وهي امور طبيعية في اكثر الناس ومن اهون الاشياء عليهم فكان العاجز عنها اعجز الناس عما هو مقدور لهم وانما جعل من
ظفر بهم ثم ضيعهم اعجز لان المكتسب للاخوان لا بد له من كلفة ما في اكتسابهم واما الظافر فهو غير محتاج الى تلك الكلفة
من الكلفة وكان سبب حفظ الاخوان اسهل من سبب تحصيلهم فكان المضيع لحفظهم اعجز من العاجز عن اكتسابهم
لعجزه عن حفظ الامر الاسهل فان قلت فقد قال ان المضيع لهم اعجز من اعجز الناس فلا يكون اعجز الناس اعجز الناس هذا
خلف قلت لفظ الناس لفظ مطلق وانما يلزم الخلف ان لو كان للعموم وقال عليه السلام اذا وصلت اليكم اطراف النعم
فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر نبه على وجوب الشكر على النعمة لغرض دوامها وتحرز عن قلته بما يستلزمه من كونه منفرا
لما يستقبل منها واستعار لفظ التنفير ملاحظة لشبهها بالطير المتصل اذا سقط اولها اتصل به آخرها وان لم ينفر وفيه
ايماء الى ان دوام الشكر مستلزم لدوامها وكثرتها كقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال عليه السلام من ضيعه الاقرب
اتيح له الابعد وقد وراد ان الله سبحانه جعل لكل شيء سببا يجب وجوده معه ولما كانت منافع الانسان وضروراته في الاغلب
بها من كان اقرب اليه من اهله وعشيرته ولم يجب في الحكمة ان لا يكون له نفع الا من جهتهم لاحتمال انهم اذا ضيعوه واهملوه
لا بد ان يقيض الله له من يقوم بمصلحته ومعاونته ممن هو ابعد عنه وقال عليه السلام ما كل مفتون يعاتب الفتنة قد تكون في
الدين وقد تكون في الدنيا وقد تكون فيهما وعلى التقديرات فقد يلحق الانسان بسبب منه من جهل بسيط او مركب وقد يلحقه
بسبب خارجي معلوم وغير معلوم والذي يعاتب على فتنته من هؤلاء من كانت اسباب فتنته منه او بعضها كوقوع الفتنة
لمصاحبة الفساق ونحو هذا اذا حملنا اللفظ على ظاهره ويحتمل ان يريد ليس كل مفتون ينفع معه العتاب وقال عليه السلام

وجريانها على وفق القضاء ولما كان الانسان جاهلا باسرار القدر جاز ان يكون من غايات مطاوعة الامور للقدر

تذل الامور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير استعار ذل الامور لمطاوعتها للقدر وكون ما يعتقده الانسان الجاهل مصلحة في تدبير المنفعة سببا للحتف وهلاكه وفيه ايماء الى وجوب اسناد الامور الى الله وعدم التوكل على التدبير والانقطاع اليه
وسئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه وآله غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود فقال انما قال عليه السلام ذلك والدين
قل فاما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار النطاق شقة طويلة عريضة تجر على الارض اذا
وجران البعير صدره وكان رسول الله صلى الله عليه وآله في اول الاسلام يامر اهل الشيب من المسلمين بتغيير شيبهم
وينديهم اليه وكان ينفرهم عن تركه بكونه تشبها باليهود لان اليهود لم يكونوا يفعلون ذلك فكانوا يخضبون بالسواد
وقيل بالحنا والغرض ان ينظر اليهم الكفار بعين القوة والشبيبة فيفعلون عنهم ولا يطمعون فيهم فسئل عليه السلام
عن ذلك في زمن خلافته فجعله من المباح دون المندوب واشار الى ان علة السنة انما كانت حيث كان المسلمون
قليلين فاما الآن وقد كثروا وضعف الكفار فهو مباح وكنى عن ذلك بقوله فامرؤ وما اختار واستعار لفظ النطاق
لمحطه وما انتشر منه ولفظ الضرب بالجران لثباته واستقراره ملاحظة لشبهه بالبعير البارك وقوله فامرؤ
وما اختار عطف عليه وما مصدرية وخبر المبتدا محذوف تقديره مقرونان كقولهم كل امرئ وضيعته وبالله
التوفيق **وقال عليه السلام** في الذين اعتزلوا القتال معه خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل منهم عبد الله بن عمر وجماعة
القراء وغيرهم كابي موسى الاشعري والاحنف بن قيس في حرب صفين ويشبه ان يكون هذا اشارة الى توسطهم
في الضلال ويجري مجرى العذر لهم فكانه قال انهم وان خذلوا الحق معنا لم ينصروا الباطل مع خصومنا **وقال عليه السلام**
من جرى في عنان امله عثر باجله وهو تنفير عن تطويل الامل بذكر قطعه بالاجل واستعار لفظ العنان له ملاحظة لشبهه
بالفرس ولفظ الجري للانهماك في الامل والعمل بحسب تطويله ولفظ العثار للامتناع عن ذلك الجري بعارض الاجل
وقواطعه كعثار العادي بما يعرض له من حجر ونحوه **وقال عليه السلام** اقيلوا ذوي المروات عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا
ويد الله بيده يرفعه رغب في اقالة ذوي المروات عثراتهم التي يعثرون فيها ونادرا كيجهم لما يلحقهم الذم عليه
بذكر كون يد الله بايديهم يرفعهم واستعار لفظ العثرات لما يقع منهم خطاء من غير تثبت ولفظ اليد لعناية الله وقد
كنى عن تعلقاته وتداركه حالهم بكون يده بيده يرفعه وذلك ان المروة فضيلة عظيمة تستجلب بهم الخلق وقلوبهم
ساعداتهم بحيث ذلك يكون استعداد العاثر من ذوي المروات لعنايته وقيامه من عثرته **وقال عليه السلام** قرنت
الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير اراد بالهيبة الخوف من المقابل وظاهر ان ذلك يستلزم
عدم قضاء الحاجة منه والظفر بالمطلوب لعدم الانبساط في القول معه وهو معنى اقترانها بالخيبة وكذلك الحياء
بالحرمان لاستلزام الحياء ترك الطلب والتعرض له وهو تنفير عن الهيبة والحياء المذمومين ثم امر بانتهاز فرص الخير اي
المبادرة الى فعله عند حضور وقت امكانه ورغب في ذلك بتنفيره من اضاعته وقوله الفرصة تمر مر السحاب اي انها
سريعة الزوال وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فواجب ان يبادر اليه ويغتنم وقت امكانه **وقال عليه السلام** لنا حق فان
اعطيناه والا ركبنا اعجاز الابل وان طال السرى قال السيد وهذا من لطيف الكلام وفصيحه ومعناه انا ان لم نعط حقنا كنا

اذلاء وذلك ان الرديف يركب عجز البعير كالعبد والاسير ومن يجري مجراهما وقال الازهري في تهذيب اللغة قال القتيبي اعجاز
الابل مآخيرها جمع عجز وهو مركب شاق وقال ومعناه ان منعنا حقنا ركبنا واخرنا عن ذلك صبرنا على الاثرة فيها وان
ركبنا مركب المشقة وصبرنا عليه وان طال ولم نضجر منه مخلين بحقنا ثم قال الازهري لم يرد علي عليه السلام ركوب المشقة ولكنه
ضرب اعجاز الابل مثلا لتاخره عن حقه من الامامة وتقدم غيره عليه فاراد ان منعنا حقنا تاخرنا وصبرنا على الاثرة فيها وان طالت الايام والسرى سير الليل واقول الذي ذكره الثلثة احتمالات حسنة وهي متقاربة
ركوب الاعجاز مظنة الذلة والمشقة والتاخر في المنزلة ويحتمل ان يكون كلها مرادة له ولم يفرق الازهري بين المثل
فان ركوب الاعجاز كناية عن الامور المذكورة وكذلك طول السرى كناية عن طول المشقة لانه مظنتها وملزومها
ويحتمل ان يكون كناية بالمثل **وقال عليه السلام** من ابطا به عمله لم يسرع به حسبه اي من لم يكن له عمل صالح يحصل
بسبب ذلك من معالي الرتب الدنيوية والاخروية لم يسرع به حسبه وشرف بيته اليها ان كان ذا حسب وكنى
ببطوء عمله عن عدم وصوله الى الخير لعدم ما يوصله اليه من زكي العمل وجعل الاسراع في مقابلة البطوء **وقال عليه السلام** ان
من كفارات الذنوب العظام اغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب الملهوف المظلوم يستغيث والتنفيس التفريج
عنه من الغم الذي يا خذ بنفسه وجعلها من كفارات الذنوب العظام لكونها فضيلة عظيمة تستلزم فضائل
كالرحمة والعدل والسخاء والمروة وغيرها وظاهر ان حصول هذه الملكات في النفس مما يستلزم ستر الذنوب ومحوها
ومنافات ملكات السوء التي يعبر عنها بالسيئات والذنوب كما سبقت الاشارة اليه **وقال عليه السلام** يا ابن آدم اذا رايت
ربك سبحانه يتابع عليك نعمه وانت تعصيه فاحذره نفر الانسان عن معصية الله تعالى متابعة نعمه عليه بتحذيره
منه وذلك انه لما كان دوام شكرها معدا للمزيد منها كان كفرانها ومقابلتها بالمعصية المستلزم لعدم الشكر
مستلزما لعدم الاستعداد للمزيد ومعدا للنقصان ونزول النقمة كما قال تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وهو
محل الحذر منه والواو في قوله وانت للحال **وقال عليه السلام** ما اضمر احد شيئا الا ظهر في فلتات لسانه وصفحات
وجهه الفلتة الامر يقع من غير تروية وصفحة الوجه بشرته ولما كان الانسان انما يضمر في نفسه امرا يهمه من
عداوة او بغض او محبة او غير ذلك وكان الوجود اللساني حاكيا عن الوجود النفساني ومظهرا له لم يتمكن الا ان
يحفظ ما اضمره بالكلية لان مراعاة ذلك الحفظ انما يكون للعقل بحسب ما يراه من المصلحة والعقل قد يشتغل
بالتصرف في مهم آخر فيغفل عن ضبط ما اضمره فينفلت الخيال بمن اسر العقل وينفثه في فلتات القول عن غير تروية
وكذلك لما كانت التصورات والامور النفسانية مبادي للآثار الظاهرة كصفرة الوجل وحمرة الخجل لم يتمكن من ضبط الامور
المضمرة عن ظهورها بعرف به من الآثار في صفحات الوجه والعين وشاهد ذلك التجربة **وقال عليه السلام** امش بدائك
ما مشى بك وفي رواية امش بدائك ما دام المرض لا يهضمك ويعجزك فلا ينفعك عنده ويعاجلك في صورة الا
وقيل فيه ايماء الى ما امر به من كتمان المرض كما قال الرسول صلى الله عليه وآله من كنوز البر كتمان الصدقة والمرض والمصيبة
ومن مكانيات ذلك كونه نوع تجلد والتجلد معاونة للطبيعة وتقوية لها على المرض ومن المرض ما يحلل بالحركات البدنية

واستعار الفرش وصف الماشي باعتبار انه لا يلزمه الارض والفراش فهو كالحامل لها والماشي بها **وقال عليه السلم** افضل الزهد اخفاء الزهد الزهد منه ظاهر ومنه خفي وهو الزهد الحقيقي المستغنى بسر كما قال صلى الله عليه وآله ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فلذلك كان افضل والمراد الزهد الخفي فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها لانها اتم ولان الزهد الظاهر ربما لا ينفك عن رياء وسمعة وكان مفضولا **وقال عليه السلم** اذا كنت في ادبار والموت في اقبال فما اسرع الملتقى وهو جذب باقبال الموت ولقاء الى الاستعداد له ولما بعده بالاعمال الصالحة والادبار والاقبال المراد اعتبار ان لان الانسان باعتبار اجزاء مدته وقتا فوقتا في ادبار وبحسب ذلك يكون اعتبار قبلية في اقبال اليه وبحسبه ما يكون سرعة التقائهما والملتقى مصدر **وقال عليه السلم** الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كانه قد غفر حذر من سخط الله بسبب معصيته لطول امهاله وستره الى الغاية المذكورة وقوله فوالله الى آخره صغرى ضمير تقديره كأنه وكل من ستر على عبده الى الغاية المذكورة فواجب ان يحذر عقوبته ويجتنب معصيته ويرجع الى طاعته التي هي الغاية من عنايته به **وسئل عليه السلم** عن الايمان فقال الايمان على اربع دعائم على الصبر وعلى اليقين والعدل والجهاد فالصبر منها على اربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار اجتنب المحرمات ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات واليقين منها على اربع شعب على تبصرة الفطنة وتاول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة فكانما كان في الاولين والعدل منها على اربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم فمن فهم علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط في الامور وعاش في الناس حميدا والجهاد منها على اربع شعب على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين فمن امر بالمعروف شد ظهور المؤمنين ومن نهى عن المنكر ارغم انوف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيمة والكفر على اربع دعائم على التعمق والتنازع والزيغ والشقاق فمن تعمق لم ينب الى الحق ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة ومن شاق وعرت عليه طرقه واعضل عليه امره وضاق مخرجه والشك على اربع شعب على التماري والهول والتردد والاستسلام فمن جعل المراء ديدنا لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما قال السيد بعد هذا كلام طويل تركنا ذكره خوف الاطالة والخروج عن الغرض المقصود في هذا الكتاب **اقول** الدعائم اعمدة البيت والشعبة الغصن والتبصر التعرف والتاويل التفسير والزهرة النور والشنآن البغض والتعمق التعسف في معنى الكلام واعضل اشتد والتماري المماراة والهول الفزع والديدن العادة والسنابك جمع سنبك وهو طرف حافر الفرس واعلم ان هذا الفصل من لطائف الحكمة ويدل على شرح قواعد الايمان والاشارة الى فروع تلك القواعد ثم الى ثمرات تلك الفروع ولما كان الكفر مضادا للايمان والشك مقابلا له مقابلة العدم للملكة اشار الى دعائم الكفر وشعب الشك ليتبين بهما الايمان اذ بضدها تتبين الاشياء اما الايمان فاعلم انه عليه السلم اراد الايمان الكامل

لما اصل وله كمالات بها يتم اصله فاصله هو التصديق بوجود الصانع تعالى وما له من صفات الكمال ونعوت الجلال وبما نزل به رسله وبلغته وكمالاته المتممة هي الاقوال المطابقة ومكارم الاخلاق والعبادات ثم ان هذا الاصل ومتماته هو كمال النفس الانسانية لانها ذات قوتين علمية وعملية وكمالها بكمال هاتين القوتين فاصل الايمان هو كمال القوة العلمية منها ومتماته وهي مكارم الاخلاق والعبادات هي كمال للقوة العملية فاذا عرفت هذا فنقول الملكات اصول الفضائل الخلقية التي هي كمال الايمان اربع هي الحكمة والعفة والشجاعة والعدل المشار اليها واستعار لها لفظ الدعائم باعتبار ان الايمان الكامل لا يقوم في الوجود الا بها كدعائم البيت فعبر عن الحكمة باليقين والحكمة منها علمية وهي استكمال القوة النظرية بتصور الامور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية بقدر الطاقة البشرية ولا تسمى حكمة حتى يصير هذا الكمال حاصلا لها باليقين البرهاني ومنها عملية وهي استكمال النفس بملكة العلم بوجوه الفضائل النفسانية الخلقية وكيفية اكتسابها ووجوه الرذائل النفسانية وكيفية الاحتراز عنها واجتنابها وظاهر ان العلم الذي صار ملكة هو اليقين وعبر عن العفة بالصبر والعفة هي الامساك عن الشره في تناول الشهوات المحسوسة وعدم الانقياد للشهوة وقهرها وتصريفها بحسب الرأي الصحيح ومقتضى الحكمة المذكورة وانما عبر عنها بالصبر لانها من لوازمه لان يمنه انضباط النفس وقهرها عن الانقياد لقبائح اللذات وقيل هو ضبط النفس عن ان يقهرها الم مكروه ينزل بها ويلزم في العقل احتماله او يغلبها حب مشتهى يتوق الانسان اليه ويلزمه في حكم العقل اجتنابه حتى لا يتناوله على غير وجهه ظاهر ان ذلك يلازم العفة وكذلك عبر عن الشجاعة بالجهاد لاستلزامه اياها اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه والشجاعة هي ملكة الاقدام الواجب على الامور التي يحتاج الانسان ان يعرض نفسه لاحتمال المكروه والآلام الواصلة اليه منها واما العدل فهي ملكة فاضلة تنشأ عن الفضائل الثلث المشهورة لتلازمها وقد علمت فيما سلف ان كل واحدة من هذه الفضائل محفوفة برذيلتين هما طرفا الافراط والتفريط منها ومقابلة برذيلة هي ضدها واما شعب هذه الدعائم فاعلم انه جعل لكل دعامة منها اربع شعب من الفضائل تتشعب عنها وتتفرع عليها فهي كالفروع لها والاغصان اما شعب الصبر الذي هو عبارة عن ملكة العفة فاحدها الشوق الى الجنة ومحبة الخيرات الباقية الثاني الشفق وهو الخوف من النار وما يؤدي اليها الثالث الزهد في الدنيا وهو الاعراض بالقلب عن متاعها وطيباتها الرابع ترقب الموت وهذه الاربع فضائل منبعثة عن ملكة العفة لان كلا منها يستلزمها واما شعب اليقين فاحدها تبصرة الفطنة واعمالها والفطنة هي سرعة هجوم النفس على حقائق ما تورده الحواس عليها الثاني تاول الحكمة وهو تفسيرها واكتساب الحقائق ببراهينها واستخراج وجوه الفضائل ومكارم الاخلاق من مظانها كالكلام الماثور او عبرة عبر الثالث موعظة وهو ان يحصل من اعتبار العبر على العاقل وازدجار الرابع ان يلحظ سنة الاولين حتى كانه فيهم وهذه الاربع هي فضائل تحت الحكمة كالفرع للبعض واما شعب العدل فاحدها غوص الفهم اي الفهم الغائص فاضاف الصفة الى الموصوف وقدمها للاهتمام بها ورسم هذه الفضيلة انها قوة ادراك المعنى المشار اليه بلفظ او كناية او اشارة ونحوها الثاني غور العلم واقصاه وهو العلم بالشيء كما هو بحقيقته وكنهه الثالث نور الحكم اي يكون الاحكام الصادرة عنه نيرة واضحة لا لبس فيها ولا شبهة الرابع ملكة الحلم وعبر عنها بالرسوخ لان شان الملكة ذلك والحلم هو الامساك عن المبادرة الى قضاء وطر الغضب فيمن يجني عليه جناية يصل مكروهها اليه واعلم ان فضيلتي جودة الفهم وغور العلم وان كانتا داخلتين تحت الحكمة وكذلك فضيلة الحلم اذا

تحت ملكة الشجاعة الا ان العدل لما كان فضله موجودا في الاصول الثلثة كانت في الحقيقة هي وفروعها شعبا للعدل
بل ان الفضائل كلها ملكات متوسطة بين طرفي افراط وتفريط وتوسطها ذلك هو معنى كونها عدلا في باب من ابواب الحلم
وجزئيات تحته واما شعب الشجاعة المعبر عنها بالجهاد فاحدها الامر بالمعروف والثاني النهي عن المنكر والثالث الصدق
في المواطن المكروهة ووجود الشجاعة في هذه الشعب الثلث ظاهر والرابع شنان الفاسقين وظاهر ان بغضهم مستلزم لعداوتهم
في الله وثوران القوة الغضبية في سبيله لجهادهم وهو مستلزم للشجاعة واما ثمرات هذه الفضايل فلنشر اليها التي نبه عليها
فثمرات شعب العفة اربع احدها ثمرة الشوق الى الجنة وهو السلو عن الشهوات وظاهر كونه ثمرة لها اذ السالك الى الله لم
يشتق الى ما وعد المتقون لم يكن لينصرف عن الشهوات الحاضرة مع توفر الدواعي اليها فلم يسل عنها الثانية ثمرة الخوف من
النار وهو اجتناب المحرمات الثالثة ثمرة الزهد وهي الاستهانة بالمصيبات لان غالبها وعليها انما يلحق بسبب فقد محبوب
من الامور الدنيوية فمن اعرض عنها بجملته كانت المصيبة بها هينة عنده الرابعة ثمرة ترقب الموت وهي المسارعة
في الخيرات والعمل له ولما بعده واما ثمرات اليقين فان بعض شعبه ثمرة لبعض فان تبين الحكمة وتعلمها ثمرات لاعمال
الفطنة والفكر ومعرفة العبر ومواقع الاعتبار بالماضين والاستدلال بذلك على صانع حكيم ثمرة لتبين وجوه الحكمة
الاعتبار واما ثمرات العدل فبعضها كذلك ايضا وذلك ان جودة الفهم وغوصه مستلزم للوقوف على غور العلم
والوقوف على غامض العلم مستلزم للوقوف على غامض العلم شرايع الحكم العادل والصدور عنها بين الخلق من القضاء الحق
واما ثمرة الحلم فعدم وقوع الحليم في طرف التفريط والتقصير عن هذه الفضيلة وهو رذيلة الجبن وان يعيش في الناس
محمودا بفضيلته واما ثمرات الجهاد فاحدها ثمرة الامر بالمعروف وهو شد ظهور المؤمنين ومعاونتهم على اقامة الفضائل
الثانية ثمرة النهي عن المنكر وهي ارغام انوف المنافقين واذلالهم بالقهر عن ارتكاب المنكرات واظهار الرذيلة
ثمرة الصدق في المواطن المكروهة وهي قضاء الواجب من امر الله في دفع اعدائه والذب عن الحريم والرابعة ثمرة
الفاسقين والغضب لله وهي غضب الله لمن ابغضهم وارضاه يوم القيمة في دار كرامته واما الكفر فثمرته انكار
الصانع وانكار احد رسله عليهم السلم وما علم مجيئهم به بالضرورة والراسل هو ما ذكرناه وكمالات ومتممات
الرذائل الاربع التي جعلها دعايم وهي الرذائل من الاصول الاربعة للفضائل الخلقية فاحدها التعمق وهو الغلو في
الحق والتعسف فيه بالجهل والخروج الى حد الافراط وهو رذيلة الجور من فضيلة العدل ويعمد الجهل بمظان طلب الحق
عن هذه الرذيلة بذكر ثمرتها وهو عدم الانابة الى الحق والرجوع اليه لكون تلك الرذيلة صارت ملكة والثانية التنازع
وهو رذيلة الافراط من فضيلة العلم ويسمى جربزة ويعتمد الجهل المركب ولذلك نفر عنه بما يلزمه عند كثرته وهو
من دوام العمى عن الحق الثالثة الزيغ ويشبه ان يكون رذيلة الافراط من فضيلة العفة وهو الميل عن حاق الوسط منها الى
الفجور ويعتمد الجهل ولذلك نسبه الى قبح الحسنة وحسن السيئة وسكر الضلالة واستعار لفظ السكر لتغفله الجهل باعتبار
يلزمهما من سوء التصرف وعدم وضع الاشياء مواضعها ويحتمل ان يكون اشارة الى رذيلة التفريط من فضيلة الحكمة المسماة
الرابعة الشقاق وهو رذيلة الافراط من فضيلة الشجاعة المسماة تهورا وهو مستلزم لما يلزمها توعر المسالك على ما سبقها ويسمى

العدل

من الامور لان مبدأه سهولة المسالك وانسلاخ المداخل والمخارج في الامور وهو مسالمة الناس والتجاوز عما يقع منهم والحلم عنهم
مكروههم واما الشك فعبارة عن التردد في اعتقاد احد طرفي النقيض ويقابل اليقين كما سبق وذكر له اربع شعب احدها التماري
وظاهر ان مبدأ المراء الشك ونفرض انجذاب ملكة ومادة يكون بها لا يصبح لمور ذلك كناية عن عدم وضوح الحق له من ظلمة ليل الشك
والجهل الثاني الهول لان الشك في الامور يستلزم عدم العلم بما فيها من صلاح او فساد وذلك يستلزم الفزع منها والخوف
من الاقدام عليها وثمرتها النكوص والرجوع على الاعقاب الثالث التردد في الشك اي الانتقال من حال الى حال ومن شك
في امر الى شك في آخر من غير ثقة بشئ وذلك دأب من تعود التشكك في الامور ونفرض ذلك بما يلزمه مما كنى عنه
بوطء سنابك الشياطين وهو سلك الوهم والخيال لارض قلبه حتى يكون سلطان العقل معزولا عن الجزم فلمن شأنه
الجزم الرابعة الاستسلام لهلكة الدنيا والآخرة ولزومه عن الشك لان الشاك في الامور الدنيوية والاخروية المتوقف
لذلك غير عامل لشئ منها ولا مهتم باسبابها وبحسب ذلك يكون استسلامه لما يرد منها عليه ولزوم هلاكه فيهما لا
ظاهر وبالله التوفيق وقال عليه السلم فاعل الخير خير منه وفاعل الشر شر منه وانما كان كذلك لان العلة اقوى من معلولها
فكان اقوى في خيريته وشريته وتأثيرهما بما صدر عنه من خير او شر وقال عليه السلم كن سمحا ولا تكن مبذرا وكن مقدرا
ولا تكن مقترا وهو امر بفضيلة السماحة والكرم ونهي عن الكون على طرفي الافراط والتفريط منها فطرف الافراط هو التبذير
وطرف التفريط هو التقتير وقال عليه السلم اشرف الغنى ترك المنى جمع منية بمعنى التمني ولما كان ذلك رذيلة لازمة
عن رذائل كالشره والحرص ونحوهما واقلها انها اشتغال عما يعني بما لا فائدة فيه رغب في تركها بانه اشرف الغنى حتى
هو هو وظاهر ان ترك المنى يستلزم القناعة واستلزامها للغنى النفساني وعدم الحاجة ظاهر وقال عليه السلم من اسرع
الى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون لما كان من شأن الطبع النفرة عن الاذى وبغض المؤذي وعداوته كان من شأنه
في غالب الخلق تقبيح ذكره بما يمكن من قول صادق او كاذب او محمل لغرض ان يوافقهم الناس ويعاونون على دفعه واذاه وقال
عليه السلم من اطال الامل اساء العمل لما كان طول الامل في الدنيا مستلزما للاقبال عليها والانهماك في العمل لها والغفلة
عن الآخرة كان ذلك عملا سيئا بالنسبة الى الآخرة وقال عليه السلم وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الانبار
فترجلوا له واشتدوا بين يديه ما هذا الذي صنعتموه فقالوا خلق منا نعظم به امراءنا فقال عليه السلم والله ما ينتفع
بهذا امراؤكم وانكم لتشقون به على انفسكم وتشقون به في آخرتكم وما اخسر المشقة وراءها العقاب واربح الدعة معها
الامان من النار اشتدوا عدوا بين يديه وحاصله تنفيرهم عما اعتمدوه معه بتصغير ما عظموه وتحقيره والتنفير عنه
ونبه على الكبرى بقوله وما اخسر المشقة وراءها العقاب وتقديرها وكل ما كان مشقة على النفس ويتبعها العقاب
في الآخرة فهو اشد الخسارة وجذبهم الى ترك ذلك بما يلزم من الدعة والراحة في الدنيا مع الامان من النار فكأنه قال
ان تركوا ذلك التكلف فلكم دعة وراحة مع الامان من النار وكلما كان كذلك فهو اعظم الارباح وانما يلزم من الشقاء
بذلك في الآخرة لكونه تعظيما لغير الله بما لا ينبغي الا لله وقال عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم يا بني احفظ عني اربعا
لا يضرك معهن ما عملت معهن ان اغنى الغنى العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشة العجب واكرم الحسب حسن الخلق يا بني

اياك ومصادقة الاحمق فانه يريد ان ينفعك فيضرك واياك ومصادقة البخيل فانه يقعد عنك احوج ما تكون اليه
واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه واياك ومصادقة الكذاب فانه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد
عنك القريب انما قال اربعا واربعا لان الاربع الاولى من باب واحد وهو اكتساب الفضائل الخلقية النفسانية
والاربع الثانية من باب المعاملة مع الخلق وقيل لان الاولى من باب الاثبات والثانية من باب النفي اما الاربع الاولى
فالعقل واراد المرتبة الثانية من مراتب العقل النظري المسمى عقلا بالملكة وهو ان يحصل لنفسه من العلوم البديهية
والحسية والتجربية قوة ان يتوصل بها الى العلوم النظرية وغاية ذلك ان يحصل على ما بعد هذه المرتبة من مراتب
العقل ورغب فيه بكونه اغنى الغنى وذلك ان به تحصل الدنيا والآخرة فهو اعظم اسباب الغنى وقابل الغنى الثاني
الحمق وهو رذيلة الغباوة وطرف التفريط من العقل المذكور ونفر عنه بكونه اكبر الفقر لانه سبب للفقر من الكمالات
خصوصا النفسانية التي بها الغنى التام وكان اكبر منها الثالثة العجب وهو رذيلة الكبر وتضاد التواضع ونفر عنها
بكونها اوحش الوحشة وظاهر كونها اقوى اسباب الوحشة ونفرة الانيس لان تواضع المتواضع لما استلزم
انس الخلق به وشدة ميلهم اليه كان ضده مستلزما لنفرتهم وتوحشهم التام منه الرابعة حسن الخلق ورغب فيه
بكونه اكرم الحسب لكونه اشرف الكمالات الباقية وهذه المنفرات والمرغبات صغرى الضمائر واما الاربع الثانية
فالاولى الحذر من مصادقة الاحمق ونفر عنه بما يلزم حمقه من وضع المضرة موضع المنفعة عند ارادتها لعدم
الفرق بينهما الثانية الحذر من مصادقة البخيل ونفر عنه بما يستلزم بخله من قعوده عن صاحبه عند الحاجة
واحوج حال من الضمير في عنك الثالثة الحذر من مصادقة الفاجر والفجور رذيلة الافراط من فضيلة العفة ونفر عنه
بلزوم فجوره من قلة وفائه وبيعه بالتافه وهو القليل من المال الرابعة الحذر من مصادقة الكذاب ونفر عنه بتشبيهه بالسراب
واشار الى وجه الشبه بقوله يقرب الى آخره وبيانه ان الكذاب يوهم حقية ما يقول فيسهل الامور الصعبة البعيدة ويجعلها
قريبة المتناول ويبعد الامور السهلة القريبة ويجعلها بعيدة المتناول بحسب اغراضه وكذبه مع انه ليس كذلك في
نفس الامر كالسراب الذي يظن ماء وليس به والتنفيرات الاربع المقرونة بقوله فانه صغريات ضمائر تقدير كبرياتها وكل من
كان كذلك فيجب ان يحذر صحبته ويجتنب مصادقته وبالله التوفيق وقال عليه السلم لا قربة بالنوافل اذا اضرت بالفرائض
والاضرار بالفرائض تنقيص بعض اركانها او شرائطها وقد يفعل الانسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة او لميله الى ما يستكثر
منها ولا قربة فيما يستلزم ترك الواجب لاستلزامه المعصية والعقاب ومنافاتهما للقربة وقال عليه السلم لسان العاقل
وراء قلبه وقلب الاحمق وراء لسانه قال السيد رحمه الله وهذا من المعاني العجيبة الشريفة والمراد به ان العاقل لا يطلق
لسانه الا بعد مشاورة الروية ومؤامرة الفكرة والاحمق تسبق حذفات لسانه وفلتات كلامه مراجعة فكره ومماخضة
رايه فكان لسان العاقل تابع لقلبه وكان قلب الاحمق تابع للسانه وروي عنه عليه السلم هذا الكلام بلفظ آخر قال
وهو قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه واقول انه استعار لفظ الوراء في الموضعين لما يعقل من تاخر لفظ العاقل
عن رويته ومن تاخر روية الاحمق وفكره فيما يقول عن بوادر مقاله من غير مراجعة لعقله والمعنى ما اشار اليه السيد رحمه الله

وعلى الرواية الاخرى فاراد انما يصون الاحمق فهو في فيه اي يبرز على لسانه من غير فكر وتامل واما نطق العاقل فمخزون في عقله لا يخرج الا
عن روية وصادقة ولفظ القلب في الاول مجاز فيما يبرز من تصوراته في الفاظه ولفظ اللسان مجاز في الفاظه الذهنية
وقال عليه السلم لبعض اصحابه في علة اعتلها جعل الله ما كان من شكواك حطا لسيئاتك فان المرض لا اجر فيه ولكنه
يحط السيئات ويحتها حت الاوراق وانما الاجر في القول باللسان والعمل بالايدي والاقدام وان الله يدخل بصدق
النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة قال السيد رحمه الله واقول صدق صلى الله عليه وآله ان المرض لا اجر
فيه لانه من قبيل ما يستحق عليه العوض لان العوض يستحق على ما كان في مقابلة فعل الله تعالى بالعبد من الآلام والامراض وما يجري
مجرى ذلك والاجر والثواب يستحقان على ما كان في مقابلة فعل العبد فبينهما فرق قد بينه عليه السلم كما يقتضيه علمه الثاقب
الصائب واقول دعا عليه السلم لصاحبه بما هو ممكن وهو حط السيئات بسبب المرض ولم يدع له بالاجر عليه معللا ذلك بقوله
فان المرض لا اجر فيه والسر فيه ان الاجر والثواب انما يستحق بالافعال المعدة له كما اشار اليه بقوله وانما الاجر في القول الى قوله
الاقدام وكنى بالاقدام عن القيام بالعبادة وكذلك ما يكون كالفعل من عدمات الملكات كالصوم ونحوه على ما بيناه
قبل فاما المرض فليس هو فعلا للعبد ولا عدم فعل من شانه ان يفعله فاما حطه للسيئات فباعتبار امرين احدهما ان
المرض يكسر شهوته وغضبه اللذين هما مبدا للذنوب والمعاصي ومادتها والثاني ان من شان المرض ان يرجع الانسان
فيه الى ربه بالتوبة والندم على المعصية والعزم على ترك مثلها كما قال تعالى واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما الآية فما كان من السيئات حالات غير متمكنة من جوهر النفس فانه يسرع زوالها منها وما صار ملكة فربما
يزول على طول المرض ودوام الانابة الى الله تعالى فاستعار لزوالها لفظ الحت وشبهه في قوة الزوال والتفارق بحت
الاوراق ثم نبه عليه السلم بقوله وان الله الى آخره على ان العبد اذا احتسب المشقة في مرضه لله بصدق نيته مع صلاح
سريرته فقد يكون ذلك معدا لافاضة الاجر والثواب عليه ودخوله الجنة ويدخل ذلك في اعلام الملكات المقربة
نية القربة الى الله وكلام السيد رحمه الله مقتضى مذهب المعتزلة وقال عليه السلم في ذكر خباب بن الارت رحمه
الله عليه يرحم الله خبابا فلقد اسلم راغبا وهاجر طائعا وعاش مجاهدا طوبى لمن ذكر المعاد وعمل للحساب وقنع بالكفاف ورضي عن الله
خباب بالخاء المعجمة والباء المشددة كان من المهاجرين ومن اصحابه عليه السلم ومات بعد انصرافه من صفين
بالكوفة وهو اول من قبر عليه السلم بها وقد مدحه باوصاف ثلثة من اوصاف الصالحين احدها اسلامه عن رغبة
وهو الاسلام المنتفع به الثاني مهاجرته الى رسول الله صلى الله عليه وآله طائعا وهي الهجرة التامة عن رغبة في الله ورسوله
الثالث كونه عاش مجاهدا اما مع الرسول صلى الله عليه وآله فللكفار واما في وقته عليه السلم فللبغاة والخوارج والناكثين
وقوله طوبى الى آخره في معرض مدح خباب يشعر بان خبابا كان كذلك وطوبى فعلى من الطيب قيل في التفسير هي شجرة في
الجنة رغب بها في ذكر المعاد والحساب المستلزم للعمل لهما ولفضيلة القناعة والرضا عن الله في قضايه وقدره والقناعة
تحت العفة والرضا فضيلة تحت العدل وقال عليه السلم لو ضربت خيشوم المومن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني
ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على ان يحبني ما احبني وذلك انه قضي فانقضى على لسان النبي الامي عليه السلم انه قال

الامور تتى ولا يبغضك الا منافق شقي الخيشوم اصل الانف والجهات جمع جهة وهو مجمع المداس الارض ولما كان الايمان الحق يوجب الاتحاد وصدق المحبة في القلبين للمومنين لاجرم لم يجتمع معهما البغض ولما كان النفاق منافيا للايمان كان منافيا لما يلازمه من المحبة في الله فلا يجتمع معه ولو بذل له اجزل مال المنافق واستعار لفظ الجهات لجماع اموال الدنيا للمشابهة المعقولة ثم قد يحصل بسبب ذلك محبة عرضية فانية بفناء اسبابها من بذل المال ونحوه وليس الكلام في ذلك النوع من المحبة وذلك سر قوله صلى الله عليه وآله لا يبغضك الا كافر واحال عليه السلم ذلك على ما قضى فانقضى قد على لسان النبي صلى الله عليه وآله **وقال عليه السلم** سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك اراد بالسيئة التي تسوؤه كذنب يصدر عنه فيندم عليه ويحزن لفعله وبالحسنة التي تعجبه كصلاة او صدقة يحصل بها اعجاب فاما ان تلك السيئة خير عند الله من هذه الحسنة فلان الندم العاقب للسيئة ماح لها والحسنة المستعقبة للعجب مع احباطها بما يكون لها اثر هو سيئة ورذيلة تسود لوح النفس فكانت السيئة اهون فكانت خيرا عند الله **وقال عليه السلم** قدر الرجل على قدر همته وصدقه على قدر مروته وشجاعته على قدر انفته وعفته على قدر غيرته اشار الى امور اربعة وجعلها مبادي لامور اربعة احدها الهمة وجعلها مبدء لقدر الرجل وقدره هو مقداره في اعتبار الناس من رفعة رتبة وتبجيل او خسة واحتقار وهو من لوازم علو همته او دناءتها وعلو الهمة هو ان لا تقتصر على بلوغ غاية من الامور التي يزداد بها فضيلة وشرفا حتى يسمو الى ما وراءها مما هو اعظم قدرا واجل خطرا ويلزم ذلك نبله وتعظيمه ومدحه وصغرها ان تقتصر على محقرات الامور وخسائسها وتقصر عن عليائها وبحسب ذلك يكون صغر خطره وقلة قدره الثانية جعل مبدء الصدق المروة والمروة فضيلة يتعاطى معها الانسان الافعال الجميلة واجتناب ما يعود اليه بالنقص وان كان مباحا فلذلك يلزم الصدق في مقاله وبقدر قوة هذه الفضيلة وضعفها تكون قوة لازمها وضعفه الثالثة جعل الانفة حمية الانف وثوران الغضب لما يتخيل من مكروه يعرض استنكارا للمكروه واستنكافا منه وقوته وظاهر كونه مبدء للشجاعة والاقدام على الامور وبحسبها يكون قوة الاقدام وضعفه الرابعة جعل الغيرة مبدء للعفة والغيرة تغير طبيعة تكون من الانسان عن تخيل مشاركة الغير في امر محبوب له او معتقد لوجوب حفظه وبحسب شدة ذلك الاعتقاد والتصور وضعفهما وتصور وقوع مثل ذلك الفعل في نفسه او حرمه مثلا يكون امتناعه عن مشاركة الغير ووقوفه عن اتباع الشهوة في مشاركة الناس في الامور المحبوبة لهم كزوجة ونحوها وهو معنى العفة **وقال عليه السلم** الظفر بالحزم والحزم باجالة الراي والراي بتحصين الاسرار الحزم ان يقدم العمل في الحوادث الواقعة في باب الامكان قبل وقوعها بما هو اقرب الى السلامة وابعد من الغرور واجالة الراي اعماله وتحصين الاسرار كتمانها وحفظها واشار الى المبدء القريب للظفر وهو الحزم والى البعيد منها وهو كتمان السر والى الوسط منها وهو اجالة الراي فاما سببية كتمان السر للراي الصحيح فلان اظهار السر فيما يرى من الراي في الحرب وغيرها يستلزم ظهور العدو على ذلك والعمل فيما يعارضه ويفسده وذلك فاسد الراي واما سببية اجالة الراي في اختيار المصلحة للحزم فلانه لولاه لجاز ان يكون العمل المتقدم في الحوادث المستقبلة

غير موافق فلا يحصل الحزم واما ان الحزم سبب للظفر فظاهر **وقال عليه السلم** احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم اذا شبع اراد بالكريم شريف النفس ذا الهمة العلية وجوعه كناية عن شدة حاجته وذلك مستلزم لثوران حميته وغضبه عند عدم التفات الناس اليه وحمل نفسه على المبالغة في طلب امر كبير يصول عليهم به ويتسلط بواسطته على قهرهم ومكافاتهم كالولاية عليهم ونحوها فلذلك اوجب الحذر منه والاحتراز من صولته بالالتفات اليه في حاجته واوقات ضرورته بما يسد فيها وشبع اللئيم كناية عن غناه وعدم حاجته وذلك استمرار على مقتضى طباعه من اللوم وشبعه مؤكد لذلك لما جوعه فوقه مما كان سببا لتغير اخلاقه وتجويدها العوض واستمرار ذي الشبع من اللئام على مقتضى طباعه من اللوم مستلزم لاذى من كان تحت يده ومن يحتاج اليه من الناس فمن الواجب اذن ان يحذر صولته ويحسم اسباب شبعه عند التمكن من ذلك **وقال عليه السلم** قلوب الرجال وحشية فمن تالفها اقبلت عليه جعل عليه السلم الوحشة هنا اصلية وذلك باعتبار كون الالفة مكتسبة والوحشة عدم الالفة عما من شانه ان تالف والمعنى ظاهر **وقال عليه السلم** عيبك مستور ما اسعدك جدك سعادة الجد عبارة عن حسن البخت وتوافق اسباب المصلحة في حق الانسان ومن مصالحه ستر العيوب والرذايل وبحسب دوام ذلك يدوم سترها **وقال عليه السلم** اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة لما كانت فضيلة العفو انما تطلق في العرف على من قدر على العقوبة ولم يعاقب وكان العفو والقدرة مقولين بالاشد والاضعف لاجرم كانت اولوية العفو تابعة لاولوية القدرة واشديتها اي من كان اشد قدرة على العقوبة وعفا كان اولى بان يسمى عفوا **وقال عليه السلم** السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مسئلة فحيا وتذمم التذمم الاستنكاف والسخاء عبارة عن ملكة بذل المال لمن يستحقه بقدر ما ينبغي ابتداء عن طيب نفس وحسن المواساة لذوي الحاجة منه وبهذا الترسم تبين ان ما كان من البذل عن مسئلة فخارج عن رسم السخاء وذكر له سببين احدهما الحيا من السائل او من الناس فيتكلف البذل لذلك الثاني الاستنكاف مما يصدر من السائل من الحاح او نسبته بالبخل ونحوه **وقال عليه السلم** اربع كلمات احداها لا غنى كالعقل ولما سبق ان اعنى الغنى وان يكون لا غنى مثله الثانية ولا فقر كالجهل وذلك لما مر ان اكبر الفقر الحمق والمراد بالجهل هنا ما يقابل العقل بالملكة وهو الحمق او ما يلازمه الثالثة ولا ميراث كالادب الادب هو التحلي بمكارم الاخلاق وهو افضل من كل موروث من مال وقنية واراد الوراثة اللغوية ولا ظهير كالمشاورة لما كانت المشاورة تنتج في غالب الاحوال الراي الصحيح فيما يراد من الامور والراي الصحيح انفع في التدبير من القوة وكثرة العدد كما قال ابو الطيب الراي قبل شجاعة الشجعان البيت لاجرم لم يكن المشاورة التي هي مظنته ما يساويها في المعونة على المنفعة من الامور التي يستظهر بها ويستعان **وقال عليه السلم** الصبر صبران صبر على ما تكره وصبر عما تحب التعدد في الصبر هنا تعدد عرضي لان حقيقته في الموضعين واحدة على ما عرفت حقيقته وقال الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة استعار لفظ الوطن للغنى في الغربة باعتبار انه يسكن اليه فلا يرى اثر الغربة على الانسان معه واستعار لفظ الغربة للفقر في الوطن باعتبار ضيق الخلق معهما وتفرق الامور فيهما **وقال عليه السلم** القناعة مال لا ينفد القناعة هي ضبط قوة النفس عن الاشتغال بما يخرج عن مقدار الكفاية وبلوغ الحاجة من المعاش والاقوات وعدم ما يشاهد من ذلك عند الغير واستعار لفظ المال بوصف عدم النفاد باعتبار تعلم النفس

معها كالمال الموصوف وقال عليه السلم المال مادة الشهوات اي منه يكون استمدادها وزيادتها والمادة هي الزيادة في
الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزمه من امداد الشهوة وتقويتها على معصية العقل وقال عليه السلم من حذرك
كمن بشرك اراد من حذرك من الامر كمن بشرك بالنجاة منه ووجه الشبه ظاهر وهو ترغيب في الاقبال على المحذر واستماع
لغرض النجاة بتشبيهه بالمبشر وقال عليه السلم اللسان سبع ان خلي عنه عقر استعار لفظ السبع للسان باعتبار انه ان ترك
عن ضبط العقل لنطق بما فيه هلاك صاحبه كالسبع اذا لم يحفظ وقال عليه السلم المراة عقرب حلوة اللبسة للعقرب
لسعتها واستعار للمراة لفظ العقرب بالوصف المذكور باعتبار ان من شانها الاذى لكن اذاها مشوب بما فيها من
اللذة بها فلا تحس به وهو كالذي الجرب المشوب بلذته في زيادة حكه وقال عليه السلم الشفيع جناح الطالب استعار
لفظ الجناح باعتبار كونه وسيلة له الى مطلوبه كجناح الطاير وقال عليه السلم اهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام ووجه
الشبه قوله يسار بهم وهم نيام وذلك ان الدنيا لاهلها طريق هم فيها سايرون الى الاخرة حال ما هم في غفلة عن غايتهم والعمل
لها حتى يوافوها فاشبهوا الركب الذين يسيرون وهم نيام حتى يوافوا منزلهم وقال عليه السلم فقد الاحبة غربة استعار لفظ
الغربة لفقد الاحبة باعتبار ما يلزمهما من الوحشة وعدم الانس وقال عليه السلم فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها
هم اللئام ومحدثو النعمة وساقطو الاصول وانما كانت اهون لان فوتها يستلزم غما واحدا واما طلبها الى غير اهلها فانها
لا تحصل غالبا فتستلزم غم فوتها ثم ثقل الاستنكاف والندم من رفعها اليهم ثم غم ذل الحاجة الى اللئام وله المعظم كان
الموت احلى من سوال اللئام ثم غم ردهم لها وهي غموم اربعة وكذلك ان قضيت كان فيها غم ثقل الاستنكاف ثم ذل الحاجة اليهم
فكان فوتها اهون على كل حال وهذه الكلمة تجذب الى فضيلتي القناعة وعلو الهمة وقال عليه السلم لا تستحي من اعطاء القليل
فان الحرمان اقل منه اراد بقوله اقل منه اي احقر في الاعتبار وذلك ان الحرمان هو عدم العطاء عما من شانه ان يعطي وليس
ذلك العدم من باب الكم ليلحقه القلة والكثرة ونفر عن الحياء من اعطاء القليل بتحقير صغره قوله فان الحرمان اقل منه
وتقدير كبراه وكل ما كان الحرمان اقل فينبغي ان يستحيي منه بل من الحرمان الذي هو اقل منه وقال عليه السلم العفاف زينة
الفقر العفاف العفة وقد علمت انها فضيلة القوة الشهوية والفقير اذا ضبط شهوته بزمام عقله عن ميولها
الطبيعية كملت نفسه بفضيلة العفة وزان فقره بفضيلته في اعين المعتبرين واذا اهملها واسلس قيادها تقحمت
به في موارد القبح وقادته الى الهلع والحرص والحسد والمني والكدية وحصل بسببها في اقبح صورة وقال عليه السلم
اذا لم يكن ما تريد فلا تبل كيف كنت اي اذا فاتك مرادك من الامر فلا تبل باي حال كنت عليه في ذلك الامر ومفهوم
هذه الكلمة النهي عن الاهتمام والاسف على ما لم يقع من الامور المطلوبة وذلك ان الاسف على فوات المراد يستلزم
غما وألما وهو مضرة عاجلة لا ثمرة فائدة فان تكلف سفه وقال عليه السلم لا يرى الجاهل الا مفرطا او مفرطا الجهل اما بسيط وهو
طرف التفريط من فضيلة تعرف تسمى غباوة واما مركب وهو طرف الافراط منها وذلك ان الجاهل جهلا مركبا قد يبالغ في طلب الحق
وحصل من اجتهاده على شبهة غطت عين بصيرته عن ادراكه مع جزمه بانها برهان اصاب به الحق وقد يرى هذا
الطرف جزءا فكان ابدا على احد الوجهين وبحسب جهله يكون حاله في افعاله واقواله على احد طرفي الافراط والتفريط

وقال عليه السلم اذا تم العقل نقص الكلام تمام العقل يستلزم كمال قوته على ضبط القوى البدنية وتصريفها بمقتضى الاراء المحمودة
الصالحة ووزن ما يبرز الى الوجود الخارجي عنها من الاقوال والافعال بميزان الاعتبار وفي ذلك من الكلفة والشرايط ما
يستلزم نقصان الكلام بخلاف الافعال ولا يعتبر من الاقوال وقال عليه السلم الدهر يخلق الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية
ويباعد الامنية من ظفر به نصب ومن فاته تعب اخلاقه للابدان اعداده لضعفها وفسادها بمرور ما يلحق اجزاءها في
فصوله من الحر والبرد والمتاعب المنسوبة اليه وتجديده للامال بحسب الغرور الحاصل بالبقاء والصحة فيه واكثر ما يعرض
ذلك للمشايخ فان طول اعمارهم وتجاربهم لما يعرض فيه من الحاجة والفقر يغريهم بالحرص على الجمع ومد الامل فيه
لتحصيل الدنيا وتقريبه للمنية بحسب اخلاقه للابدان وتبعيده للامنية بحسب تقريبه المنية ومن ظفر به
اي بمواتاته واعداده لما يراد فيه من متاع الدنيا نصب بها وشقي بضبطها وحفظها ومن فاته ذلك منه تعب في
تحصيلها وشقي بعدمها وراعى عليه السلم في القرينتين الاوليين السجع المتوازن وفي المتوسطين السجع المطرف
وفي الاخيرتين السجع المتوازي وقال عليه السلم من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان يبدا بتعليم نفسه قبل تعليم
غيره وليكن تاديبه بسيرته قبل تاديبه بلسانه ومعلم نفسه ومودبها احق بالاجلال من مودب الناس ومعلمهم اشار
الى آداب ائمة العلم ومكارم الاخلاق فالاولى وجب على الامام البداءة بتعليم نفسه اي برياضتها بما يعلم من الآداب
لتكون افعاله واقواله موافقة لعلمه وذلك لان الناس اقرب الى الاقتداء بما يشاهدون من الافعال والاحوال منهم بالاقوال
فقط خصوصا مع مشاهدتهم لمخالفتها بالافعال فان ذلك يكون سببا لسوء الاعتقاد في الاقوال المخالفة للفعل والحكم
على مخالفة ما استهرت بها وان كان ظاهر الصدق والى مثل ذلك اشار القائل لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا
فعلت عظيم الثاني ارشد الى البداءة في التعليم بالسيرة وحسن الافعال لما جبلت الطباع على مشاهدة الافعال اطوع
انفعالا منها للاقوال ثم ربطها بعد ذلك بالاقوال ثم رغب في تاديب النفس بكون مودب نفسه احق بالتعظيم والاجلال
من مودب غيره وذلك لكمال مودب نفسه بالفضيلة وكون تاديب الغير فرعا على تاديب النفس والاصل اشرف
واحق بالتعظيم من الفرع وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان احق بالاجلال وجب عليه ان يبداه
بما اجله كان احق بالتعظيم من غيره وقال عليه السلم نفس المرء خطاه الى اجله استعار للنفس لفظ الخطا باعتبار
انه على التعاقب والتقضي فهو مقرب من الغاية التي هي الاجل كالخطا المتعاقبة الموصلة للانسان الى غايته من طريقه
وقال عليه السلم وكل معدود منقض وكل متوقع آت والكلمتان من المشهورات الخطابية في معرض الموعظة والاولى
اشارة الى كل انفاس العباد وحركاتهم والثانية تخويف بما يتوقع من الموت وتوابعه وقال عليه السلم ان الامور
اذا اشتبهت اعتبر آخرها باولها اي اذا التبست في مباديها معرفة وجه تحصيلها وتعسر الدخول فيها قيس على
آخرها واستدل على انه كذلك في العسر فيجب التوقف عنها وعدم التعسف فيها ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبائي عند
دخوله على معاوية ومسالته له عن امير المومنين عليه السلم قال فاشهد لقد رايته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله
وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا يا دنيا اليك عني ابي تعرضت ام الي

تشوقت لا حان حينك هيهات غري غيري لا حاجة لي فيك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك يسير
وأملك حقير آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد أقول كان هذا الرجل من أصحابه عليه السلام فدخل على معاوية
بعد موته فقال صف لي عليا فقال أو تعفيني عن ذلك فقال والله لتفعلن فتكلم بهذا الفصل فبكى معاوية حتى اخضلت
والضباب بطن من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة والسدول جمع سدل وهو ما أسبل على الهودج والتململ التقلقل من
الألم والهم والسليم الملسوع والوله أشد الحزن وقد نظر عليه السلام إلى الدنيا بصورة امرأة تزينت وتعرضت لوصوله إليها مع
كونها مكروهة إليه فخاطبها بهذا الخطاب وإليك من أسماء الأفعال أي تنحي وعني متعلق بما فيه من معنى الفعل واستفهاما
عن تعرضها له وتشوقها إليه استفهام استنكار لذلك منها واستحقار لها واستبعاد لموافقته إياها على ما تريد ولا
حان حينك أي لا قرب وقتك أي وقت انخداعي لك وغرورك لي وقوله هيهات أي بعد ما تطلبين مني ثم
أمرها بغرور غيره وهو كناية عن أنه لا طمع لها في ذلك منه لا أنه أراد منها غرور غيره وهذا كقول لمن يخدعه وقد
اطلع على ذلك منه اخدع غيري أي أن خداعك لا يدخل علي ثم خاطبها خطاب الزوجة المكروهة وهو سنا فراقها فأخبرها
بعدم حاجته إليها وأنشأ طلاقها ثلاثا لتحصل البينونة بها موكدا لذلك بقوله لا رجعة فيها وهو كناية عن غاية
كراهيتها وأكد طلاقها الميل منه عليه السلام إلى ضرتها التي هي مظنة الحسن والبهاء ثم أشار إلى المعايب التي لأجلها كرهها
وطلقها وهي قصر العيش أي مدة الحياة بها ويسير الخطر أي قلة قدرها ومحلها في نظره ثم حقارة ما يؤمل
ثم تأوه من أمور أحدها قلة الزاد في السفر إلى الله تعالى وقد علمت أنه التقوى والأعمال الصالحة وهكذا شأن الخائف
في استحقار أعماله الثاني طول الطريق إلى الله ولا شيء في الاعتبار أطول مما لا يتناهى الثالث بعد السفر وذلك لبعد
غايته وعدم تناهيها الرابع عظم المورد وأول منازله الموت ثم البرزخ ثم موقف القيامة الكبرى والله المستعان
وروي وخشونة المضجع وهو القبر **ومن كلام له عليه السلام** للشامي لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر
بعد كلام طويل هذا مختاره ويحك لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حاتما ولو كان ذلك كذلك لبطل الثواب
والعقاب وسقط الوعد والوعيد إن الله سبحانه أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا وأعطى
على القليل كثيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل الكتب للعباد عبثا ولا خلق السموات
والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار **أقول** روي أن السائل لما قال له عليه السلام هذا
أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره قال عليه السلام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا
واديا إلا بقضاء وقدر فقال السائل عند الله أحتسب عنائي ما أرى لي من الأجر شيئا فقال مه أيها الشيخ لقد عظم الله أجركم في مسيركم
وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين فقال الشيخ وكيف والقضاء
والقدر ساقانا فقال ويحك الفصل إلا أن بعد قوله والوعيد قوله والأمر والنهي ولم تأت لائمة من الله لمذنب ولا محمدة لمحسن تلك
مقالة عباد الأوثان وجنود الشيطان وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر
تخييرا إلى آخره فقال الشيخ فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلا بهما فقال هو الأمر من الله تعالى والحكم ثم قرأ قوله تعالى وقضى ربك

ألا تعبدوا إلا إياه فنهض الشيخ مسرورا وهو يقول أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا أوضحت من ديننا
ما كان ملتبسا جزاك ربك عنا فيه إحسانا وويح كلمة ترحم والحاتم الواجب وتقرير سؤال السائل إن كان مسيرنا بقضاء
من الله وقدره لم يكن لنا في تعبنا ثواب وذلك أن القضاء قد يراد به في اللغة الخلق وما خلقه الله تعالى في العبد فلا اختيار له فيه
وما لا اختيار له فلا ثواب له فيما فعله وقوله ويحك إلى قوله والوعيد بيان لملزوم هو ما لعله ظنه من تفسير القضاء والقدر
بمعنى العلم الملزوم والإيجاد الواجب على وفقه وقوله إن الله سبحانه أمر تخييرا إشارة إلى تفسير القضاء بالأمر كما صرح به في جواب السائل
عن معناه مستشهدا في تفسيره بالأمر والحكم بقوله تعالى وقضى ربك الآية ومعلوم أن أمر الله ونهيه لا ينافي اختيار العبد في فعله
وهذا الجواب إقناعي بحسب فهم السائل وربما فسر القضاء بأنه عبارة عن إبداع الأول تعالى لجميع صور الموجودات الكلية
والجزئية التي لا نهاية لها من حيث هي معقولة في العالم العقلي ثم لما كان إيجاد ما يتعلق منها بالمادة في مادته وإخراجها
من قبول تلك الصور من القوة إلى الفعل لا يمكن إلا على سبيل التعاقب لامتناع قبول المادة للصور الكثيرة دفعة قدر
بلطيف حكمته وجود الزمان المديد لتخرج فيه تلك الصورة من القوة إلى الفعل واحدا بعد واحد كان القدر عبارة عن
ذلك الإيجاد لتلك الأمور وتفصيلها واحدا بعد واحد كما قال تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر
معلوم واعلم أنه على هذا التفسير يمكن تقرير الجواب عن السؤال المذكور أيضا وذلك أن القضاء بالمعنى المذكور لا
ينافي اختيار العبد وحسن تكليفه وثوابه وعقابه لأن معنى الاختيار هو علم العبد بأنه قوة صالحة للفعل والترك المتمكن
مهيئة لهما إذا انضم إليها الميل إلى الفعل المسمى إرادة فعل أو النفرة المسماة كراهة ترك وذلك لا ينافي علم الله تعالى بما يقع
من الطرفين وإن حصل عنه وجوب فهو خارج عنهما ثم إن التكليف لم يرد على حسب ما في علم الله تعالى بل لسببين
أحدهما فاعلي وهو حكمته تعالى التي اقتضت إيجاد الموجودات على أحكم وجه وأتقنه وسوق ما هو ناقص منها لمبدأ إلى
كمالها شوقا إلى كمالها والثاني قابلي وهو كون العبد بالصفة المذكورة من الاختيار ولذلك ذكر من لوازم الاختيار
والتكليف المقصود من الحكمة الإلهية أمورا عشرة أحدها أمر عباده تخييرا وتخييرا مصدر سد مسد الحال الثاني
نهيهم تحذيرا وتحذيرا مفعول له الثالث تكليفهم اليسير ليسهل عليهم العمل فيرغبوا فيه الرابع عدم تكليفهم العسير
أن يكونوا بحال الاختيار فلا يخرجون بالعسر إلى تكليف ما لا يطاق كما أشار إليه تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
الخامس إعطاؤه على القليل كثيرا في العمل وذلك من لوازم اختيارهم أيضا السادس أنه تعالى لم يعص حال كونه مغلوبا
عنهم إذ هو القاهر فوق عباده بل لأنه خلى بينهم وبين أفعالهم وهيأهم لها وذلك من لوازم اختيارهم السابع أنه لم يطع
مكرها أي لم يكن طاعة مطيعيهم له عن إكراه منه تعالى لهم عليها وذلك من لوازم اختيارهم الثامن ولم يرسل الأنبياء لعبا
بل ليكونوا مبشرين ومنذرين لمن أطاع بالجنة ولمن عصى بالنار وذلك من لوازم الاختيار التاسع ولم ينزل الكتب
للعباد عبثا بل ليعرفوا منه وجوه تكليفهم وأحكام أفعالهم التي أمروا أن يكونوا عليها وبيان حدود الله التي أمروا
بالوقوف عندها العاشر ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا بل على وجوه من الحكمة منها أن يحصل لعباده بما
لهم من الفكر في آياتها اعتبار فيتنبهوا من ذلك للطيف حكمته ويستدلوا على كمال عظمته كما قال تعالى إن في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الآيات وتفوعن اعتقاد غير ذلك بانه ظن الذين كفروا الآية
اقتباس وقال عليه السلام خذ الحكمة انى كانت فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره حتى تخرج فتسكن الى
صواحبها فى صدر المؤمن امر بتعلم الحكمة اين وجدت ولو من المنافقين ورغب من شأنه ينفر من اخذها من بعض
المواضع ان ياخذها من كل موضع وجدها بضمير صغراه قوله فان الحكمة الى آخره وكنى بتلجلجها او اختلاجها عن الرواح
عن اضطرابها وعدم ثباتها فى صدر المنافق وكونه ليس مظنة لها فهى غير مستقرة فيه الى ان تخرج الى مظنتها
وهى صدر المؤمن فتسكن الى صواحبها من الحكم فيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب على المؤمن اخذه الى
ولخراجه من غير مظنته وقال عليه السلام فى مثل ذلك الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من اهل النفاق استعار لفظ
الضالة للحكمة بالنسبة الى المؤمن باعتبار انها مطلوبة الذى يبحث وينشده كما ينشد الضالة صاحبها وقال
عليه السلام قيمة كل امرئ ما يحسنه غرض هذه الكلمة الترغيب فى اعلى ما يكتسب من الكمالات النفسانية من الصنايع
ونحوها وقيمة المرء مقداره فى اعتبار المعتبرين ومحله فى نفوسهم من استحقاق تعظيم وتبجيل او احتقار واستقلال
وظاهر ان ذلك تابع لما يحسنه المرء ويكتسبه من الكمالات المذكورة فاعلاهم قيمة وارفعهم منزلة فى نفوس الناس اعلاهم
كمالا وانقصهم درجة اخسهم فيما هو عليه من حرفة او صناعة وذلك بحسب اعتبار عقول الناس للكمالات ولوازمها
وقال عليه السلام اوصيكم بخمس لو ضربتم اليها آباط الابل لكانت لذلك اهلا لا يرجون احد منكم الا ربه ولا يخافن الا ذنبه
ولا يستحيين احد اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يستحيين احد اذا لم يعلم الشئ ان يتعلمه وعليكم بالصبر فان
الصبر من الايمان كالرأس من الجسد لا خير فى جسد لا رأس معه ولا فى ايمان لا صبر معه كنى بضرب آباط الابل عن الرحلة
فى طلبها وذلك ان الراكب المجد يضرب ابطيه بكعبيه فاحد الخمس الرجاء فقد دون غيره ومن لوازم ذلك اشتغال
العمل له ودوام طاعته الثانية ان يخاف ذنبه دون غيره وذلك ان اعظم مخوف هو عقاب الله ولما كان انما يلحق
بواسطة ذنبه فالاولى ان يجعل الخوف من الذنب دون غيره وهو جاذب الى الهرب عنه بذكر الخوف منه الثالثة
عدم استحياء من لا يعلم الشئ من قول لا اعلم فان الاستحياء من ذلك القول يستلزم القول بغير علم وهو ضلال
يستلزم اضلال الغير وتجهيله وفيه هلاك الآخرة قال صلى الله عليه وآله من افتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض
وقد يكون سببا للهلاك الدنيوي ايضا الرابعة عدم استحياء من لا يعلم الشئ من تعلمه لما فى استحياء الجاهل عن التعلم
من بقائه على جهله ونقصانه وهلاك آخرته الخامسة فضيلة الصبر وامر بالتثبت لان كل الفضائل لا تخلو اعنى بها
ذلك الصبر على اكتسابها ثم على البقاء عليها وعن الخروج عنها ولذلك شبهها من الايمان بالرأس من الجسد ووجه الشبه
ان الصبر لما كان موجودا فى كل الفضائل التى مجموعها هو الايمان فلا يقوم الا به اشبه الرأس من الجسد فى عدم قيامه بدونه
ثم اكد التشبيه والمناسبة بينهما بقوله لا خير فى جسد الى آخره وقوله فان الصبر صغرى ضمير رغب به فيه وتقدير
كبراه وكل ما كان كذلك فواجب اقتناؤه واخذه وقال عليه السلام لرجل افرط فى الثناء عليه وكان له متهما انا دون ما تقول
وفوق ما فى نفسك فقوله انا فوق ما تقول جواب لغرائطه فى المدح وقوله وفوق ما فى نفسك جواب لما فى نفسه من اتهامه به

اعتقاد

اعتقاد افضلية وقال عليه السلام بقية السيف ابقى عددا واكثر ولدا لا ارى ذلك الا للعناية الالهية ببقاء النوع وحفظه
واقامته وما خلافه من قتل بمن بقى والله اعلم وقال عليه السلام من ترك قول لا ادرى اصيب مقاتله ترك هذا القول كناية عن
القول واصابة المقاتل كناية عن الهلاك الحاصل بسبب القول بالجهل لما فيه من الضلال والاضلال وربما يكون سببا لهلاك
الدنيا والآخرة وقال عليه السلام رأى الشيخ احب الى من جلد الغلام وروى من مشهد الغلام جلده قوته وقدم رأى الشيخ
مقدم على القوة والشجاعة لاصالة منفعته وانما خص الرأى بالشيخ والجلد بالغلام لان كلا منهما مظنة ما لخصه
فان الشيخوخة مظنة الرأى الصحيح لكثرة تجارب الشيخ وممارسته للامور والغلام مظنة القوة والجلد وعلى الرواية
الاخرى مشهده حضوره والمعنى ظاهر وقال عليه السلام عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار القنوط اليأس من الرحمة
ولما كان الاستغفار باخلاص مبداء للرحمة بشهادة القرآن الكريم كما سيأتى كان القنوط معه محل التعجب وحكى عنه ابو
جعفر محمد بن على الباقر عليهم السلام انه صلى الله عليه وآله قال كان فى الارض امانان من عذاب الله تعالى فرفع احدهما
فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الامان الذى رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله واما الامان الباقى فالاستغفار
قال جل ذكره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال السيد وهذا من
محاسن الاستخراج ولطائف الاستنباط كون وجود الرسول صلى الله عليه وآله بين الامة ورجوعه الى الله فى حق
امته وكون الاستغفار باخلاص معدين لمن وله مجمع دفع عذابه مما يشهد به البحث العقلى وقد اكد ذلك بصادق
الشاهد السمعى كما استخرجه عليه السلام وقال عليه السلام ثلث كلمات احديها من اصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما
بينه وبين الناس الثانية ومن اصلح امر آخرته اصلح الله له امر دنياه الثالثة ومن كان له فى نفسه واعظ كان عليه
من الله حافظ فاصلاح ما بينه وبين الله بتقواه المستلزم لرضاه ولما كان من تقواه اصلاح قوتى الشهوة والغضب
الذين هما مبدأ الفساد بين الناس ولزوم العدل فيهما كان من لوازمه اصلاح امر الآخرة عدم مجاذبة الناس دنياهم فى
على الشره فيما بايديهم منها وذلك مع مسالمتهم ومعاملتهم بمكارم الاخلاق التى هى من اصلاح امر الآخرة مستلزم
لانعطافهم وميلهم الى من كان كذلك واقبالهم عليه بالنفع والمعونة وكف الاذى وبحسب ذلك يكون صلاح دنياه
ولان الدنيا المطلوبة لمن اصلح امر آخرته سهلة وهى مقدار حاجته على الاقتصاد وذلك امر قد تكفلت العناية الالهية
بتهيئته واصلاحه مدة الحياة الدنيا واما الثالثة فلان واعظ النفس باعث على تقوى الله ولزوم العدل فى قوتى
الشهوة والغضب الذين هما مبدأ الشر المستلزم للهلاك فى الدارين وذلك مستلزم لحفظ الله فيهما وقال عليه السلام
الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله كنى بقوله كل الفقيه عن تمامه
اى الفقيه الكامل فى فقهه وذلك ان من فقه وضع الكتاب العزيز علم ان غرضه الاول جذب الناس الى الله فى سبيل مخصوص
بوجوه من الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والبشارة والنذارة وغيرها فمن ضرورة ذلك ان لا يقنط الناس من رحمة
الله بآيات وعيده ونذارته ولا يؤيسهم بذلك من روحه لما يلزم اليأس من اغراء العصاة بالمعصية واتباع الهوى لجزم العقل
الذى لا يرجى من نوال النفس عنه نفع فى الآخرة ولذلك قال تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله

ذكر الاصلاح اصلاح ما بينه وبين الناس وكذلك من لوازم معه

إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم وقال تعالى إنّه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون وان لا يؤمّنهم
من مكر الله الجزمُ بآيات وعده ووعيده بما يلزم السكون الى ذلك والاعتماد عليه من الانهماك في المعاصي واتباع الهوى
ولذلك قال تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلّا القوم الخاسرون بل يكون تابعاً في وعظه وخشيته الى الله
مقاصد سنّته ووضع شريعته قال عليه السلم اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر على الجوارح والاركان كنّى
بالاوّل عن العلم الذي لا عمل معه وظهور ووقف على اللسان فقط وهو انقص درجات العلم واراد بالثاني العلم المقرون
بالعمل فانّ الاعمال الصالحة لمّا كانت من ثمرات العلم بالله وما هو اهله كان العلم فيها ظاهراً على جوارح العبد واركانه وهو
العلّة في علوّه لما وذلك هو العلم المنتفع في الآخرة وقال عليه السلم انّ هذه القلوب تملّ كما تملّ الابدان فابتغوا لها طرائف
الحكمة النفوس قد يقع لها انصراف عن العلم الواحد وملال للنظر فيه بسبب مشابهة بعض اجزائه لبعض فاذا
النفس على بعضه قاست ما لم تعلم منه على ما علمت ولم يكن الباقي عندها من الغريب لتلتذ به وتقدم على النظر فيه ولمّا
كان ذلك الملال والانصراف غير محمود لها امر بطلب طرائف الحكمة لها واراد لطائفها وغرائبها المعجبة للنفس اللذيذة
لها ليكون ابداً في اكتساب الحكمة بنشاط والتذاذ في انتقالها من بعض غرائبها الى بعض واراد بالحكمة الحكمة العملية
او اعمّ منها وقال عليه السلم لا يقولنّ احدكم اللهم انّي اعوذ بك من الفتنة لانّه ليس احد الّا وهو مشتمل على فتنة ولكن من استعاذ
فليستعذ من مضلّات الفتن فانّ الله سبحانه يقول واعلموا انّما اموالكم واولادكم فتنة ومعنى ذلك انّه سبحانه يختبرهم
بالاموال والاولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم ولكن لتظهر الافعال
بها يستحقّ الثواب والعقاب لانّ بعضهم يحبّ الذكور ويكره الاناث وبعضهم يحبّ تثمير المال ويكره انثلام الحال
السيّد رحمه الله وهذا من غريب ما سمع منه عليه السلم من التفسير حاصل الكلام انّ الفتنة اعمّ من الفتنة المستعاذ
منها الصدق فيها على المال والبنين باعتبار ابتلاء الله تعالى عباده واختباره لهم بهما وهما غير مستعاذ منهما اذا راعى العبد
امر الله ولزم طاعته وامّا الفتنة المستعاذ منها فهي التي يستلزم الوقوع فيها الضلال عن سبيل الله كالخروج في المال عن
العدل وصرفه في امداد الشهوات واتباع الهوى وسئل عليه السلم عن الخير ما هو فقال ليس الخير ان يكثر مالك وولدك
الخير ان يكثر علمك وان يعظم حلمك وان تباهي الناس بعبادة ربّك فان احسنت حمدت الله وان اسأت استغفرت
ولا خير في الدنيا الّا لرجلين رجل اذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقلّ عمل مع التقوى وكيف
ما يتقبّل اقول الخير في العرف العامّي هو كثرة المال والقنيات الدنيوية وفي عرف السالكين الى الله هو السعادة الاخروية
يكون وسيلة اليها من الكمالات النفسانية فنزّه عليه السلم فهو مما هو اعمّ من ذلك وقد نفى عليه السلم ان يكون الاوّل خيراً
لتغايره ومفارقته ولما عساه ان يلحق بسببه من الشرّ في الآخرة وفسّره بالثاني وعدّ فيه كمال القوى الانسانية فكثرة العلم
القوّة النظرية للنفس العاقلة وعظم الحلم من كمال القوّة العملية وهو فضيلة القوّة الغضبية ومباهاة الناس
برأي المفاخرين بها الكثرة والاخلاص وحمد الله على توفيقه للحسنة واستغفاره للسيّئة وذلك من فضائل القوّة
الشهوية وكمال القوّة العملية ثمّ حصر خير الدنيا في امرين وذلك انّ الانسان امّا ان يشتغل بمحو السيّئات واعدامها ويتدارك

فارط

فارط ذنوبه فيعدّ نفسه بذلك لاكتساب الحسنات او يشتغل بايجاد الحسنات فيها ولا واسطة من الخير المكتسب بين هذين
الامرين ثمّ حكم بعدم قلّة العمل المقرون بتقوى الله منبّهاً بذلك على انّ تدارك الذنوب بمحوها والمسارعة في الخيرات مستلزم
للتقوى وانّما كان غير قليل لانّه مقبول عند الله والمقبول عنده مستلزم لثوابه العظيم وذلك ترغيب في الامرين
المذكورين وقال عليه السلم انّ اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به ثمّ تلا عليه السلم قوله تعالى انّ اولى الناس بابراهيم
للذين اتّبعوه وهذا النبيّ والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين ثمّ قال عليه السلم انّ وليّ محمّد من اطاع الله وان
بعدت لحمته وانّ عدوّ محمّد من عصى الله وان قربت قرابته ولمّا كان الغرض من الانبياء عليهم السلم جذب الخلق الى الله
بطاعته فكلّ من كان ابلغ في الطاعة كان اشدّ موافقة لهم واقرب الى قلوبهم واقوى نسبة اليهم ولمّا لم يمكن طاعتهم الّا
بالعلم بما جاؤا به كان اعلم الناس بذلك اقربهم اليهم واولاهم بهم وبرهان ذلك الآية المذكورة وذكر حال الانبياء ليعلم
مراده الاجمالي ثمّ خصّص الذكر بمحمّد عليه السلم كعادة الخطيب والمراد بالمولى هنا الاولى واشار الى انّ طاعة الله علّة
للاولوية بمحمّد صلى الله عليه وآله ومعصيته علّة لعداوته وان بعدت قرابة المطيع او قربت قرابة العاصي ليعلم انّ الطاعة والمعصية
علّتان مستقلّتان للاولوية بمحمّد والعداوة له فتحصل الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وقال عليه السلم وقد سمع
رجلاً من الحرورية يتهجّد ويقرأ فقال نوم على يقين خير من صلاة في شكّ والحرورية فرقة من الخوارج نسبوا الى حروراء وقصّتهم
بالنهروان كان اوّل اجتماعهم بها والتهجّد السهر في العبادة وانّما كان كذلك لانّ نوم العالم على يقين منه بما ينبغي يتقيه وعلمه
بما ينبغي تيقّنه من اصول العبادة ممّا لا ينبغي لما فيه من اتعاب البدن من غير فائدة وكان الاوّل اولى وخيراً من الثاني واراد ما هم
عليه من الشكّ في امامة امام الوقت الذي هو مبدأ تعليم العبادات وكيفيّتها والعلم به ركن من اركان الدين فانّ الشكّ فيه
يستلزم عدم الاستفادة منه والشكّ في كثير ممّا يحتاج اليه فيه كعلم التوحيد واسرار العبادات وكيفية السلوك الى الله
تعالى بطاعته وقال عليه السلم اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فانّ رواة العلم كثير ورعاته قليل
عقل الرعاية ضبطه بالفهم ورعاية العلم وعقل الرواية ضبط الفاظه وسماعها دون فهم للمعنى ورغب في ذلك
بضمير صغراه قوله فانّ رواة العلم الى آخره وتقدير كبراه وكلّ ما كان كذلك فينبغي ان يعقل عقل رعاية وسمع رجلاً يقول
انّا لله وانّا اليه راجعون فقال انّ قولنا انّا لله اقرار على انفسنا بالملك وقولنا وانّا اليه راجعون اقرار على انفسنا بالهلك
والكلمة بتفسيرها ظاهرة ومدحه قوم في وجهه فقال عليه السلم اللهمّ انّك اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم
اللهمّ اجعلنا خيراً ممّا يظنّون واغفر لنا ما لا يعلمون هذا كسر لنفسه عليه السلم في مقابلة المدح الموجب للعجب
سأل الله ان يجعل درجته في الخير فوق ما يظنّونه فيه وان يغفر له ما لا يعلمون من عيبه فان قلت انّه معصوم فكيف يتصوّر
عنه عيب يطلب مغفرته قلت قد بيّنا فيما سلف انّ عيب مثله عليه السلم وما يسمّى ذنباً في حقّه انّما هو من
ترك الاولى وليس هو من الذنوب المتعارفة التي عصم عنها وقال عليه السلم لا يستقيم قضاء الحوائج الّا بثلاث باستصغارها
لتعظم واستكتامها لتظهر وتعجيلها لتهنأ الشرط في استقامة قضاء الحوائج اي كونه قضاها على ما ينبغي من العدل
شرائط احدها استصغارها فانّ الحاجة لها يعرف بالسماحة وكبر النفس فيعظم عطاؤه ويسمّى الثانية ان يكتمها فانّ

الناس ادعى الى اظهار ما استكتم واكثر عثاره من غيره الثالث ان يحملها التهمة الى ان تكون هبة يقال هنىء الطعام يهنأ ويهنؤ ان الاعطاء بعضاء الحاجة يبغضها على طالبها فيكون اذ بهما شوبه بنكد يزيد طوها **وقال عليه السلم** يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف يعدون الصدقة فيه غرما وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان والماحل الساعي بالنميمة الى السلطان واصل المحل الكيد والمكر وروي الماجن وهو المتكلم بما يشتهى من الباطل والهزل والعرم الذين يريدان ذلك الزمان لسوء اهله وبعدهم عن الدين وقوانين الشريعة يحصل فيه الرذائل مكان الفضائل ويستعمل ما لا ينبغي مكان ما ينبغي فيقرب الملوك السعاة اليهم بالباطل مكان اصحاب الفضائل ومن ينبغي تقريبه ويعد الفاجر وهو صاحب رذيلة الافراط في قوة الشهوة صاحب فضيلة الظرف في حركاته ضعيفا عاجزا ان يريد بقوله يضعف اي يستصغر عقله لترك الظلم كانه تاركه حتى ينبغي له اخذه ويعد فيه الصدقة التي ينبغي اداؤها رغبة طلبا للثواب غرما كاداء الدين في الثقل وكذلك يعد صلة الرحم منا وفيه ابطال للفضيلة المذكورة كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ويستطال بالعبادة على الناس ويترفع بها كالمان عليهم بذلك ثم جعل من علامات ذلك الزمان كون السلطان والملك بمشورة الاماء وامارة الصبيان وتدبير الخصيان وهي علامات زماننا وقبله بمدد وروي عليه السلم وعليه ازار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال يخشع له القلب وتذل له النفس ويقتدي به المؤمنون ذكر في لبس ذلك الخلق ثلثة مقاصد وخشوع القلب وخضوع النفس العاقلة وانكسارها عن الفقر وذلة النفس لانكسار النفس الامارة بالسوء عن هواها واقتداء المؤمنين بذلك للقصد الاولين **وقال عليه السلم** ان الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها ابغض الآخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الآخر وهما بعد ضرتان استعار لفظ العدو لهما باعتبار ما بينهما من البعد لطالبيهما وظاهر كونهما سبيلين مختلفين ومن لوازم ما بينهما من العداوة كون المحب لاحدهما مبغضا للاخرى ثم شبههما بالمشرق والمغرب ووجه الشبه تباينهما واختلاف جهتيهما وشبه الطالب لهما بالماشي بينهما ووجه الشبه قوله كلما قرب الى الآخرة فان الطالب للدنيا بقدر توجهه في طلبها تكون غفلته عن الآخرة وانقطاعه عنها وكلما امعن في تحصيلها ازداد غفلة وبعدا عن الآخرة وبالعكس كالماشي الى احد جهتي المشرق والمغرب ثم شبههما بعد ذلك بالضرتين ووجه الشبه ايضا ان القرب من احديهما يستلزم البعد من الاخرى كالزوج ذي الضرتين وعن نوف البكالي قال رأيت امير المؤمنين عم ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر الى النجوم فقال يا نوف اراقد انت ام رامق فقلت بل رامق يا امير المؤمنين قال يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة اولئك قوم اتخذوا الارض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن شعارا والدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح يا نوف ان داود عليه السلم قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال انها ساعة لا يدعو فيها عبد الا استجيب له الا ان يكون عشارا او شرطيا او صاحب عرطبة وهو الطنبور او صاحب كوبة وهو الطبل وقد قيل ان العرطبة الطبل والكوبة الطنبور **اقول** الكال

بكسر ايضا منسوب الى كالة قرية من اليمن والرامق الناظر والعريف نقيب الشرطة وكان خروجه عليه السلم في ذلك الوقت لما نقله عن داود عليه السلم ولانه محل الفراغ للاعتبار والفكر في خلق السموات والارض وزينتها ثم عرف الزاهدين في الدنيا بستة اوصاف لغرض الاقتداء بهم احدها اتخاذهم الارض بساطا الثاني وترابها فراشا الثالث وماءها طيبا وذلك من لوازم زهدهم في متاعها وتركها عن طيب نفس بذلك الرابع اتخاذهم القرآن شعارا الخامس والدعاء دثارا واستعار لفظ الشعار للقرآن باعتبار ملازمتهم لدرسه وتفهم مقاصده كالشعار الملازم للجسد ولفظ الدثار للدعاء باعتبار استتارهم به من عذاب الله والشدائد النازلة بهم كالاحتراس بالدثار عن البرد ونحوه السادس قرضهم الدنيا اي قطعها عنهم بما يدفع ضرورتهم منها كما فعله المسيح من هذه الاوصاف وكان قيامه عليه السلم في النصف الاخير من الليل وانما كان مظنة الاجابة لخلو النفس فيه عن الاشتغال بشواغل النهار المحسوسة وتوفرها بعد النوم على الالتفات الى حضرة الاعلى واستعدادها لقبول السوانح الالهية وانما استثنى المذكورين لملازمتهم المعصية التي تحجب نفوسهم عن رحمة الله **وقال عليه السلم** ان الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها ونهاكم عن اشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن اشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها فرائض الله واجبات دينه وحدوده نهايات ما اباحه من نعمه ورخص فيه والاشياء المنهي عنها ما جاوز حدوده من المحرمات والرذائل وما سكت عنه هو تكليف دقائق علم لا نفع له في الآخرة فانه لم يسكت عنه نسيانا لتقدسه عن ذلك بل لعدم فائدة الاخروية واستلزام الاشتغال به ترك الاشتغال بعلم نافع فيلزمه المضرة **وقال عليه السلم** لا يترك الناس شيئا من امر دينهم لاستصلاح دنياهم الا فتح الله عليهم ما هو اضر منه لما كانت مطالب الناس في الدنيا اذا فتح باب الطلب لها غير متناهية لكون كل مطلوب يحصل بعد الطلب يدعو الى الاستكثار منه وتحصيل شرائطه ولوازمه وكان بعد الانسان عن الله بقدر قربه من الدنيا وبعد امله فيها كان كل ما استصلحه من الدنيا لاجل دنياه بعد الفتح باب من ابواب طلبها واصلاحها وهو اضر من الاول لكونه اشد ابعادا عن الله تعالى **وقال عليه السلم** رب عالم قد قتله جهله وعلمه معه لا ينفعه اراد العالم بما لا نفع فيه من العلوم كالسحر والنيرنجات بل كعلم النحو وغيره من العلوم العقلية مثلا عن جهل شرائع الاسلام فانه يعمل او يعتقد حقا او يرتكب منهيا فكان ذلك سبب هلاكه في الدنيا والآخرة او كعلم ما لا نفع فيه في الآخرة استلزم ترك علم مهم فيها فكان سبب هلاكه هناك مع عدم انتفاعه وخلاصه بما علم **وقال عليه السلم** لقد علق بنياط هذا الانسان بضعة هي اعجب ما فيه وهو القلب وله مواد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان سعد بالرضا نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامن استلبته الغرة وان اصابته مصيبة فضحه الجزع وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته الفاقة شغله البلاء وان جهده الجوع قعد به الضعف وان افرط به الشبع كظته البطنة فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد **اقول** النياط عرق علق به القلب وقال الاخذ به على غيره واراد بالمواد من الحكمة الفضائل الخلقية فانها باسرها من الحكمة وهي العلم بما ينبغي ان يفعل وهو الاصلح في كل باب وهي مواد كمال القلب واشار باضدادها الى الرذائل المضادة للفضائل

وان هاج به الطمع صح

وهي التي اطراف التفريط والافراط منها فالاول الطمع وهي رذيلة الافراط من الرجاء ونفرعها بما يلزمها من الذلة للمطموع
فيه ومما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك في الدارين الثانية الياس وهو رذيلة التفريط من الرجاء ونفرعها بما يلزم
من شدة الاسف القاتل الثالثة رذيلة الافراط من الغضب وهي اشتداد الغيظ المسمى طيشا والوسط من الغضب فضيلة
الشجاعة هو كظم الغيظ الرابعة ترك التحفظ ونسيانه وهو رذيلة الافراط من رضاء الانسان بما يحصل عليه من
دنياه الخامسة رذيلة الافراط من عروض الخوف وهي الاشتغال بالحذر عما ينبغي عند عروض ضده وهو الامن
وهي استلاب الغرة لعقل الآمن حتى لا يفكر في مصلحته وحفظ ما هو عليه من الامن السابعة رذيلة التفريط
من فضيلة الصبر على المصيبة وهي الجزع ونفرعه بما يلزمه من الافتضاح به الثامنة رذيلة الافراط من حب
المال وهو الطغيان بكثرته والغنى منه والطغيان تجاوز الحد التاسعة رذيلة التفريط من فضيلة الصبر على عض الفقر وهي
الاشتغال بالبلاء والمحنة وضيق الصدر العاشرة رذيلة التفريط من الصبر على الجوع وذكر لازمها وهو قعود الضعف
عما ينبغي ونفرعها الحادية عشر رذيلة افراط الشبع من فضيلة القصد فيه وما يلزم تلك الرذيلة من جهد البطنة
عنها بما يلازمها ثم ختم ذلك بالتعبير عن طرفي الافراط والتفريط فيها اجمالا بما يلزم التفريط من ضرع القلب بعدم الفضيلة
ويلزم الافراط منها من افساده بخروجه عنها وبالله العصمة **وقال عليه السلم** نحن النمرقة الوسطى بها يلحق التالي واليها
يرجع الغالي النمرقة الوسادة الصغيرة واستعار لفظها لاهل بيته بصفة الوسطى باعتبار كونهم ائمة الحق وسنادا
للخلق في تدبير معاشهم ومعادهم على وجه العدل المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط من حق الامام الحق الذي
في الامور ان يلحق به التالي اي المفرط المقصر وان يرجع اليه الغالي اي المفرط المتجاوز لحد العدل **وقال عليه السلم** لا يقيم
امر الله الا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع المصانعة المصالحة برشوة ونحوها والمضارعة مفاعلة من الضرع وهو
الذل كان كلا منهما يضرع للآخر وظاهر ان مصانعة تستلزم طلب رضاه وذلك يمنع من اقامة حدود الله
في حقه وكذلك المضارعة واتباع المطامع من الغير فانهما يستلزمان ترك مواجهته بما يشق عليه من اوامر الله
وقال عليه السلم وقد توفي سهل بن حنيف الانصاري بالكوفة عند مرجعه معه من صفين وكان من احب الناس
اليه لو احبني جبل لتهافت قال السيد ومعنى ذلك ان المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب اليه ولا يفعل ذلك الا
بالابرار والمصطفين الاخيار وهذا مثل قوله عليه السلم من احبنا اهل البيت فليستعد للفقر جلبابا وقد يؤول ذلك
على معنى آخر ليس هذا موضع ذكره واقول تهافت سقط قطعة قطعة وذلك مبالغة في كثرة ما يلحقه ومحبته من المصائب
والابتلاء وقوله من احبنا فليستعد للفقر جلبابا اي يهيئ له ذلك والجلباب مستعار لتوطين النفس على الفقر والصبر
عليه ووجه الاستعارة كونهما ساترين للمستعد بهما من عوارض الفقر وظهوره في سوء الخلق وضيق الصدر
والضجر الذي ربما يؤدي الى الكفر كما يستر الملحفة ولما كانت محبتهم عليهم السلم بصدق تستلزم متابعتهم والاقتداء
بهم والاستشعار بشعارهم ومن شعارهم الفقر ورفض الدنيا والصبر على ذلك وجب ان يكون كل محب لهم مستشعرا
للفقر ومستعدا له جلبابا من توطين النفس عليه والصبر وقد ذكر ابن قتيبة هذا المعنى بعبارة اخرى فقال من احبنا

[illegible]

العزمو

على

على التقلل من الدنيا والتقنع فيها قال وشبه الصبر على الفقر بالجلباب لانه يستر الفقر كما يستر الجلباب البدن قال ويشهد
بصحة هذا التاويل ما روي انه عليه السلم راى قوما على بابه فقال يا قنبر من هؤلاء فقال شيعتك يا امير المؤمنين فقال
ما لي لا ارى فيهم سيماء الشيعة قال وما سيماء الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس الشفاه من الظماء عمش العيون
من البكاء وقال ابو عبيد انه لم يرد الفقر في الدنيا الا ترى ان فيمن يحبهم مثل ما في سائر الناس من الغنى وانما اراد الفقر يوم القيمة
واخرج الكلام مخرج الوعظ والنصيحة والحث على الطاعات فكانه اراد من احبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من
الثواب والتقرب الى الله تعالى والزلفة عنده قال السيد المرتضى رحمه الله والوجهان جميعا حسنان وان كان قول
ابن قتيبة احسن فذلك معنى قول السيد الرضي رحمه الله وقد يؤول ذلك على معنى آخر وذكر القطب الراوندي احتمالا آخر
لا يصلح محملا لهذا الكلام فلم نطول بذكره **وقال عليه السلم** سبع عشرة كلمة احداها لا مال اعود من العقل اي اعود بالنفع على
صاحبه واستعار لفظ المال للعقل باعتبار انه غنى النفس وهو راس المال الذي به تكتسب الارباح الباقية والكمالات
المسعدة كالمال الذي به الكمال الظاهر ولما كان بين المالين من التفاوت في الشرف ما علمت لا جرم لم يكن مال اعود منه
بالنفع الثانية ولا وحدة اوحش من العجب وجعل الوحدة من جنس العجب باعتبار ما يستلزمه من الوحشة وقد
سبق بيان استلزام العجب لها الثالثة ولا عقل كالتدبير اراد بالعقل تصرف العقل العملي فاطلق عليه اسمه مجازا اطلاقا لاسم
السبب على المسبب وظاهر ان جملة تصرفات التدبير واستخراج الاراء المصلحية في الامور ولما كان المقصود منه التدبير لا جرم لم
يكن تصرف يشبهه فلا عقل مثله الرابعة ولا كرم كالتقوى والمفهوم من الكرم بذل ما ينبغي بذله ولما كان تقوى الله يحصل بخشيته
وكان من لوازمها الزهد في الدنيا والاعراض عن متاعها كان ذلك في الحقيقة بذلا لجميعها واذا كان بذل البعض فيما ينبغي كرما فبذلها
باسرها فيما ينبغي بذلها اولى ان يكون كرما لا يشبهه كرم كما قال عليه السلم فيما سبق في وصفها وراى بها محاجة توجب حليها
الخامسة ولا قرين كحسن الخلق قد عرفت الاخلاق الحسنة وظاهر انه ليس فيما يعد قرينا اشرف منها لان غاية سائر القرناء
ان يستفاد من صحبتهم ومحبتهم حسن الخلق فكون الخلق الحسن نفسه الذي هو الغاية قرينا اشرف من ذي الغاية الذي عساه لا
يحصل منه فلا قرين اذن يشبهه السادسة ولا ميراث كالادب وقد مر بيان سره عن قريب السابعة ولا قائد كالتوفيق اي الى المطالب
ولما كان التوفيق عبارة عن توافق الاسباب المعدة وشرائطه حتى تكون بمجموعها مستلزمة لحصول الامور لا جرم لم يكن الى المطالب قائد
مطالبه كالتوفيق في سرعته ووصوله اليه الثامنة ولا تجارة كالعمل الصالح استعار لفظ التجارة له باعتبار كونه مستلزما
للخير كالتجارة المستلزمة للربح ولما كان شرف التجارة بشرف ثمرتها وربحها فكلما كان الربح اشرف كانت التجارة اشرف ولما كان
ربح هذه التجارة الثواب الدائم الاخروي الذي لا ربح اعظم منه لم يكن لتجارة العمل الصالح ما يشبهها من التجارات التاسعة
ولا ربح كالثواب وهو ظاهر العاشرة ولا ورع كالوقوف عند الشبهة قد يفسر الورع بانه الوقوف عن المناهي والمحرمات ولما
كان الوقوف عما اشتبه من الامور في حله وحرمته ابلغ اصناف الورع واكثرها عزازة لم يكن فيها ما يشبهه الحادية عشر
ولا زهد كالزهد في الحرام لما كان الزهد في الحرام هو المامور به والواجب دون غيره من اصناف الزهد كان اصل الفضيلة
الواجب على المندوب الثانية عشر ولا علم كالتفكر اي كالعلم الحاصل عن التفكر وذلك بالقياس الى ما يدعي علما من حفظ

المنقولات كالاحاديث والسير ونحوها والى العلوم الحاصلة عن الحواس لان العلم الفكري كلي وهو اشرف وحكم الثاني
والخطيب الكثري واراد التفكر فيما ينبغي من خلق السموات والارض وما خلق الله من شيء وتحصيل العبرة منه
واطلق اسم التفكر على العلم الحاصل عنه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ويحتمل ان يريد العلم بكيفية التفكر و
التي يعصم مراعاتها الفكر من الضلال الثالث عشر ولا عبادة كاداء الفرايض لكونها واجبة والواجب اشرف من
الرابعة عشر ولا ايمان كالحياء والصبر اي لا ايمان كامل كالحياء والصبر وذلك لشرف هاتين الفضيلتين كما
واطلقهما على الايمان مجازا اطلاقا لاسم اللازم على ملزومه الخامسة عشر ولا حسب كالتواضع لما كان الحسب ما يعد
من المآثر والفضائل كان التواضع اشرف ما يعد من المآثر والفضائل بالقياس الى كثير منها لما يستلزم من الحوادث
كما سبق بيانه السادسة عشر ولا شرف كالعلم فاطلق اسم الملزوم على لازمه مجازا وظاهر ان العلم اشرف الكمالات و
شرف كشرفه السابعة عشر ولا مظاهرة اوثق من مشاورة اي اقوى وقد مر بيانه في قوله لا ظهير كالمشورة واعلم ان
في كثير من هذه الكلمات الكبرى وغرضه الترغيب في العقل والتدبير والتقوى وحسن الخلق والادب والتوفيق
الى التفقه والعمل الصالح والثواب والوقوف عند الشبهة والزهد في الحرام والفكر والمحافظة على الفرايض و
الحياء والصبر والتواضع والعلم والمشورة في الامور وقال عليه السلم اذا استولى الصلاح على الزمان واهله ثم اساء
الظن برجل لم يظهر منه خزية فقد ظلم واذا استولى الفساد على الزمان واهله ثم احسن رجل الظن برجل فقد غرر قد بان
الزمان من جملة الاسباب المعدة لتوافق اسباب صلاح الخلق في معاشهم ومعادهم فيسمى زمان الصلاح والخير وكذلك
هو من جملة الاسباب المعدة لعدم ذلك فيقال عنده الزمان وزمان فاسد والاول هو الزمان الذي استولى الصلاح على
اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الخير وان يحسن الظن باهله فمن اساء الظن حينئذ في احد منهم لم يظهر منه ما يخزي
عند الناس من فعل رذيلة فقد وضع اساءة ظنه في غير موضعها وهو خروج عن العدل وظلم وروي حوبة اي اثم والثاني
هو الزمان الذي استولى الفساد عليه وعلى اهله وبحسب ذلك يكون مظنة فعل الشر وسوء الظن باهله فمن احسن الظن
باهله فمن احسن الظن في احدهم حينئذ فقد غرر اي اوقع نفسه في الغرر والغفلة عن حاله وقيل له عليه السلم يا امير المؤمنين
كيف تجدك فقال كيف يكون حال من يفنى ببقائه ويسقم بصحته ويؤتى من مأمنه اجاب بصورة حاله على طريق الشكوى
والتشكي ولما كان البقاء عبارة عن استمرار زمان الوجود وكان استمرار الزمان وتعاقب اجزائه معدا للاجل كان البقاء سببا
في فنائه وكذلك لما كان من غايات صحة البدن السقم كانت صحته سببه في سقمه واما كونه يؤتى من مأمنه فيشبه ان يكون
المأمن هنا مصدرا والمراد ان الداخل على المرء ونزول ما يكره به من الموت واهوال الآخرة هو امنه في الدنيا وسكونه اليها
وغفلته عما وراءها مما لا بد منه ويحتمل ان يكون المأمن محل الامن وهو الدنيا ومعنى كونه يؤتى من مأمنه اي ان ما يدخل
عليه من الادواء التي فيها هلاكه والمصائب التي تلحقه هو من احوال الدنيا التي هي مأمنه وعوارضها التي تعرض من
مأمنه حال امنه فيبحث لا يمكنه الاحتراز منه وقال عليه السلم كم من مستدرج بالاحسان اليه ومغرور بالستر عليه
بحسن القول فيه وما ابتلى الله احدا بمثل الاملاء [illegible] المستدرج المأخوذ على غرة والاملاء الامهال وتأخير المدة وقد ذكر

من الامور التي ابتلى الله بها عباده اربعة احدها الاحسان الى العبد بضروب النعم الثاني ستر المعصية عليه الثالث حسن
القول فيه وثناء الخلق عليه الرابع تاخير مدته وامهاله ولما كانت غاية الابتلاء بهذه الامور التي كلها نعم في الحقيقة اما
شكرها او كفرها كما قال تعالى ليبلوني ءاشكر ام اكفر الآية وكان الشكر هو الغاية الخيرية المطلوبة بالذات نبه المبتلى
بالنعمة الاولى على وجوب شكرها بان كثيرا ما يستدرج بها فينبغي ان لا يغفل عنها ونبه المبتلى بالثانية على انها
كثيرا ما تكون سببا للغرة بالله والامن من مكره فينهمك في المعاصي ونبه الثالث بكون نعمته قد تكون سببا
لفتنته وصرفه عن شكر الله وارتكابه لرذيلة العجب بنفسه ونبه الرابع بكون نعمته اعظم ما يبتلى به من النعم
وقال عليه السلم هلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال لما كانت محبة اولياء الله فضيلة نفسانية كان طرفا
التفريط والتقصير فيها الى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الافراط الى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي منها رذيلتين
يستلزمان هلاك صاحبهما في الآخرة اما رذيلة التفريط فلان بغض اولياء الله مستلزم لعداوتهم ومن
عادى اولياء الله فقد عادى الله وكان من الهالكين واما رذيلة الغلو والافراط فلان الغلاة اخرجوهم عن حد
البشرية الى سماء الالهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك وقال عليه السلم اضاعة الفرصة غصة اي ان تضييع
الامر وقت امكانه من نفسه يستلزم الاسف والحزن على تفويته وهو تنفير عن تضييع الفرصة بما يلزمها وقال
عليه السلم مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها يهوي اليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل
مثّل الدنيا بالحية ووجه التمثيل قوله لين مسها الى آخره وذلك ان الدنيا اللذيذ المتناول سهلة في عين الناظر اليها
فيما تشتهيه منها ويتبعها الشقاوة الاخروية والعذاب الاليم فيهوي اليها الجاهل بما فيها من سوء العاقبة ويحذرها العاقل
العارف بها كما ان الحية لين مسها حسن منظرها يحسبها الجاهل سوارا من ذهب او فضة يهوي اليها الغر بما فيها من
سم ويحذرها من يعرفه وسئل عن قريش فقال عليه السلم اما بنو مخزوم فريحانة قريش يحب حديث رجالهم والنكاح
في نسائهم واما بنو عبد شمس فابعدها رأيا وامنعها لما وراء ظهورها واما نحن فابذل لما في ايدينا واسمح عند الموت بنفوسنا
وهم اكثر وامكر وانكر ونحن افصح وانصح واصبح بنو مخزوم بطن من قريش وهو مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب
ومنهم ابو جهل بن هشام بن المغيرة وآل المغيرة وكان لمخزوم ريح طيبة كالخزامى ولونا كلونه والوليد شبه الورد غالبا
ولذلك كانت هذه البطن تسمى ريحانة قريش وكان المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم يسمى بذلك وقيل لانه كان ذو جاه
كيس لذلك يحب الحديث اليهم وفي نسائهم لطف وتصنع وتحبب الى الرجال ولذلك يحب نكاحهم واما بنو عبد شمس بن
عبد مناف فمنهم ربيعة وابناه شيبة وعتبة والاعياص وحرب بن امية وابنه ابو سفيان واسيد بن عتاب ومن
الحكم ووصف هذا البطن ببعد الرأي وهو كناية عن جودته يقال فلان بعيد الرأي اذا كان يرى المصلحة من بعيد
لقوة رأيه ثم بكونها امنع لما وراء ظهورها وهو كناية عن الحمية ثم وصف بيته وهم بنو هاشم بكونهم ابذل لما
في ايديهم اي اسخى ثم بكونهم اسمح عند الموت بنفوسهم اي اشجع ثم وصفهم بفضيلة خارجية ورذيلتين ووصف
بني هاشم بثلث فضائل بدنيتين ونفسانية والفضيلة فيهم هي كثرة العدد والرذيلتان كونهم امكر اي اكثر حيلة

وخدًا عاوكونهم اكثر اى اكثر ذكرا او الذكر المنكر وامّا فضايل بني هاشم فكونهم افصح وكونهم اصبح اى احسن وجوها او اجمل
وبما فضيلتان يتعلق بالبدن ويحتمل ان يريد بالاصبح كونهم القى للناس بالطلاقة والبشر وجميل ذلك فضيلة
نفسانية وكونهم افصح والنصيحة لمن ينبغي نصيحته فضيلة نفسانية تحت العفة وقال عليه السلم شتان بين
عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤونته ويبقى اجره شتان اى فترق بينهما والاول العمل للدنيا
وتبعته هو ما يتبعه من الشقاوة الاخروية والثاني عمل الآخرة وظاهر ان بينهما افترقا عظيما وتبع جنازة
فسمع رجلا يضحك فقال عليه السلم كان الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذي
نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوّئهم اجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا
كل واعظة ورمينا بكل جائحة طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته وانفق
الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم ينسب الى بدعة قال السيد ومن الناس من ينسب هذا
الكلام الى النبي صلى الله عليه وآله الاجداث القبور والجائحة الداهية المستاصلة وعرض الفصل التنفير عن
الضحك في غير موضعه والتذكير بامر الآخرة وذكر تشبيهات ثلثة احدها تشبيه الموت بالمكتوب على غير
الانسان والثاني تشبيه الحق الواجب عليه بما وجب على غيره دونه والثالث تشبيه ما يشاهد من الاموات
بالمسافرين الذين يقدمون عن قريب ووجه الشبه في البلية قلة اهتمام الناس بالموت والتفاتهم الى اداء واجب
حق الله عليهم وعدم اعتبارهم بمن يموت وقوله نبوّئهم الى قوله جائحة من تمام وجه التشبيه فان الفاعل
مثل هذا الفعل بالاموات كانه لقساوة قلبه وعدم اتعاظه لم يكتب عليه ما كتب عليهم من الموت وقوله طوبى
الى آخره ترغيب في اقتناء الفضائل المذكورة بان له طوبى وهي في الحقيقة الحالة الشريفة التي لاولياء الله في الجنة
من طيب الحال واللذة الباقية وذكر ثمان فضائل احدها ذلة النفس لله عن ملاحظة حاجتها وفقرها الى
الى معادها الثانية طيب الكسب باخذه من وجوهه التي ينبغي الثالثة صلاح السريرة لله واخلاص الباطن
فساد النيات في المعاملة مع الخلق الرابعة حسن الخلق واقتناء فضائله الخامسة انفاق الفاضل عن الحاجة من المال
فيما ينبغي من وجوه القربات الى الله وهي فضيلة السخاء السادسة امساك الفضل من الكلام مما زاد منه مما لا ينبغي
وهو السكوت في موضعه السابعة عزل الشر عن الناس وهو العدل او لازمه الثامنة لزوم سنة الله ورسوله وعدم
الخروج عنها الى ما يبتدع في الدين ولا ينبغي وقال عليه السلم غيرة الرجل ايمان وغيرة المراة كفر اما الاول فلان غيرة الرجل
يستلزم سخطه لما سخط الله من اشتراك رجلين في امراة وسخط ما سخط الله موافق لرضاه وهو من ثمرة الايمان وذلك الايمان
واما الثاني فلان المراة تقوم بغيرتها في تحريم ما احل الله وهو اشتراك امراتين فما زاد في رجل واحد وتقابله بالرد والانكار
وتحريم ما احل الله وسخط ما رضيه ورده عليه وهو لا محالة كفر وقال عليه السلم لانسبن الاسلام نسبة لم ينسبها احد قبلي
الاسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الاقرار والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل
الصالح هذا قياس مفصول مركب من قياسات طويت نتائجها وينتج القياس الاول ان الاسلام هو اليقين والثاني انه

والثالث انه الاقرار والرابع انه الاداء والخامس انه العمل اما المقدمة الاولى فلان الاسلام هو الدخول في الطاعة ولزومه التسليم لله
وعدم النزاع في ذلك فصدق اللازم على ملزومه ظاهر واما الثانية فلان التسليم الحق انما يكون عن يقين استحقاق
المسلم له وكان اليقين بذلك من لوازم التسليم لله فصدق عليه صدق اللازم على ملزومه واما الثالثة فلان اليقين
باستحقاقه للطاعة والتسليم مستلزم للتصديق بما جاء به على لسان رسوله من وجوب طاعته فصدق على اليقين انه
تصديق له واما الرابعة فلان التصديق لله في وجوب طاعته اقرار بصدق الله واما الخامسة فلان الاقرار
بوجوب امر يستلزم اداء المقر المعترف لما اقر به فكان اقراره اداء لازما واما السادسة وهو ان الاداء هو العمل
اداء ما اعترف به من الطاعة الواجبة لا يكون الا عملا ويؤول حاصل هذا الترتيب الى نتاج ان الاسلام هو العمل لله
بمقتضى اوامره وهو تفسير بخاصة من خواصه كما سبق بيانه وقال عليه السلم عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه
هرب ويفوته الغنى الذي اياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء وعجبت
للمتكبر الذي كان بالامس نطفة ويكون غدا جيفة وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله وعجبت لمن نسي الموت
وهو يرى من يموت وعجبت لمن انكر النشاة الاخرى وهو يرى النشاة الاولى وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء
تعجب عليه السلم من اربعة هم محل التعجب والغرض التنفير عن رذائلهم الاول البخيل وجعل محل التعجب منه ثلثة امور احدها انه
يعجل خوف الفقر في العاقبة لو انفق المال وتغيره وعدم انتفاعه به في الحال صورة فقر حاضر فكان بذلك مستعجلا للفقر الذي
هرب منه الثاني انه طالب للغنى بجمعه وبخله ابدا سبب لفقره الحاضر المنافي لغناه والمفوت له فما يعتقده سبب للغنى
هو المفوت للغنى الثالث انه يعيش في الدنيا عيش الفقراء لعدم انتفاعه بماله ويحاسب في الآخرة حساب الاغنياء لمشاركته
اياهم في جمع المال ومحبته اللذين هما مبدا الحساب فكان منهم بهذا الاعتبار الثاني المتكبر ونبه على وجه العجب منه
بذكر مبدا كونه وهو كونه نطفة في غاية الحقارة والسخف المنافي للكبر وغايته وهو كونه في نهاية القذارة فجمعه بين هذين
الامرين وبين التكبر من العجب العجيب الثالث الشاك في الله وهو يرى خلقه وذلك لجمع بين الشك في وجوده وبين
رؤيته ظاهرا في وجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته وهو محل التعجب الرابع الناسي للموت مع رؤيته لمن يموت فان
ان نسيان الموت مع رؤيته دائما محل التعجب الخامس منكر النشاة الاخرى واعادة الابدان بعد عدمها وظاهر ان
انكاره لذلك مع اعترافه بالنشاة الاولى وهي الوجود الاول المخلوق من العدم الصرف محل العجب لان الاخرى اهون كما
قال تعالى وهو اهون عليه السادس عامر الدنيا مع كونها فانية زائلة مع تركه لعمارة الآخرة الباقية الباقي ما فيها محل العجب
وغرض التعجب من هؤلاء والاشارة الى وجوهه تنفير الخلق عن الامور المذكورة وقال عليه السلم من قصر في العمل ابتلي
بالهم ولا حاجة لله فيمن ليس لله في نفسه ومالا نصيب المقصر في العمل لله يكون غالب احواله متوفرا على الدنيا
مفرطا في طلبها وجمعها وبقدر التوفر عليها يكون شدة الهم في جمعها وتحصيلها اولا وفي ضبطها والخوف
فواتها ثانيا وفي المشهور خذ من الدنيا ما شئت وخذ من الهم ضعفه فعرض التقصير في الاعمال البدنية والمالية وقوله
ولا حاجة لله الى آخره وكنى بعدم حاجته به عن اعراضه عنه وعدم النظر اليه بعين الرحمة لعدم استعداده لذلك

وقال عليه السلم توقوا البرد في اوله وتلقوه في آخره فانه يفعل في الابدان كفعله في الاشجار اوله يحرق وآخره يورق اما
وجه اتقائه في اوله وهو اول الخريف لان الصيف والخريف يشتركان في اليبس فاذا ورد البرد حينئذ ورد على
استعدت بحرارة الصيف ويبسه للتحلل وتفتح المسام والجفاف فاشتد انفعال البدن عنه واسرع تاثيره
في قهر الحرارة الغريزية فيقوى بذلك في البدن قوتا البرد واليبس اللتان هما طبيعة الموت فيكون بذلك يجري الانجما
واحراق الاوراق وانحسارها وضمور الابدان وضعفها واما امره بالتلقي في آخره وهو اخر الشتاء واول زمان الربيع فلان
الشتاء والربيع يشتركان في الرطوبة ويفترقان بان الشتاء بارد والربيع حار فالبرد المتاخر اذا امتزج بحرارة الربيع واكثر
سورته بها لم يكن له بعد ذلك نكاية في الابدان نقويت لذلك الحرارة الغريزية فيها وانتعشت فكان من اعتدال
مع الرطوبة استعداد المزاج هو طبيعة الحياة وكان منه النموة وقوة الابدان وبروز الاوراق والثمار وقوله فانه
اخره صغرى ضمير نبه به على توقيه وتلقيه وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فانه يجب توقي اوله وتلقي آخره وقوله اوله
يحرق وآخره يورق هو وجه التشبيه وقال عليه السلم عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك هذا السر وجدانه العارف
بالله فان من عرف عظمة الله وجلاله ولحظ جميع المخلوقات بالقياس اليه حتى علم ما لها من ذواتها وهو الامكان
وعدم استحقاق الوجود الا منه تعالى علم انها في جنب عظمته عدم ولا احقر من العدم وشدة صغر المخلوق في اعتبار
بحسب درجته في عرفانه وقيل لبعض العارفين فلان زاهد فقال فيماذا فقيل في الدنيا فقال الدنيا لا تزن عند الله جناح
بعوضة فكيف يعتبر الزهد فيها والزهد انما يكون في شيء والدنيا عندي لا شيء وقال عليه السلم وقد رجع من صفين
فاشرف على القبور بظاهر الكوفة يا اهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة يا اهل التربة يا اهل الغربة يا
اهل الوحدة يا اهل الوحشة انتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق اما الدور فقد سكنت واما الازواج فقد نكحت واما الاموال
فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم ثم التفت عليه السلم الى اصحابه فقال اما لو اذن لهم في الكلام لاخبروكم ان
الزاد التقوى الفرط الذي يتقدم الواردة فيهيئ لهم الارشاء والدلاء وخاطبهم عليه السلم خطاب من يسمع اقامة لحالهم
مقام اشخاصهم الموجودة والديار الموحشة والمحال المقفرة القبور وغرض الفصل ترقيق القلوب القاسية وتنبيه
النفوس الغافلة عن غاية الدنيا وما عليها الغاية العمل فيها كما ينبغي ولما كان الحق هو ان خير الزاد التقوى كما نطق به القرآن الكريم
وكان ذلك امرا شاهده المتقون في حال ربهم بتقواهم والفجار في حرمانهم بعدمه لاجرم لو اذن لهم في الجواب واعطوا الآلة لكان
جوابهم ما عرفوا من الحق وقال عليه السلم وقد سمع رجلا يذم الدنيا ايها الذام للدنيا المغتر بغرورها المنخدع بباطلها
متى غرتك بمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم عللت بكفيك وكم مرضت بيديك تبغي لهم
الشفاء وتستوصف لهم الاطباء غداة لا يغني عنه دواؤك ولا ينفعه بكاؤك لم ينفع احدهم اشفاقك ولم تسعف
بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها
ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط
وحي الله ومتجر اولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها

واهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترهيبا وترغيبا وتخويفا
وتحذيرا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيمة ذكرتهم الدنيا فذكروا وصدقتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا
اقول المتجرم المدعي جرمها واستهوتك طلبت هويك اليها وهواك فيها ومثلت صورت وقوله ايها الذام الى قوله
توبيخ له على الاغترار بها وذمها مع ذلك وكذب دعواه انها هي ذات الجريمة عليه باستفهامه عن وقت استهوائها له استفهاما
منكرا لذلك وموبخا عليه واكد ذلك باستفهامه ان ذلك الغرور لزمها باي شيء كان امن مصارع الآباء ام من مضاجع الامهات
وذلك على وجه الاستهزاء منه والتنبيه له على ما يوجب النفرة منها وعدم الاغترار بها من سوء صنيعها باهلها حتى كانها
قاصدة لذلك التنبيه والتنفير عنها وقوله كم عللت الى قوله مصرعك صغرى ضمير دل به على بطلان ادعائه لها من كونها متنبهة
الغفلة وليس قصدها الغرور وتقديرها فقد صورت لك الدنيا نفسك بمن كثرت تعليله وتمريضه من اهلك وطلبك له
ومستوصفا له الاطباء فلم ينفعه ذلك منك ومثلت بمصرعه مصرعك وتقدير الكبرى وكل من مثل لك ذلك
وصوره لك فليس من اهل التلبيس عليك والغرور لك بل من نصحائك ومنبهيك من غفلتك ثم لما نفى عنها اللوم اخذ
مدحها وذكر لها اوصافا ثمانية احدها انها دار صدق لمن صدقها اي فيما اخبرت بلسان حالها من فنائها وزوالها
لها اعتراه بعد ذلك منها والعمل به الثاني ودار عافية لمن فهم عنها ما اخبرت به من عظاتها حتى احترز من آفاتها وعوقب من
عذاب الله بها الثالث ودار غنى لمن اتخذ فيها التقوى زاد السفر الى الله وظاهر ان التقوى وثمرتها في الآخرة اعظم
غنى للمتقين الرابع ودار موعظة لمن اعتبر بها فهم وضعها وغايتها الخامس كونها مسجد احباء الله من رسل الله
السادس كونها مصلى ملائكة الله الارضية الذين سجدوا لآدم عليه السلم السابع كونها مهبط وحي الله الثامن
كونها متجر اولياء الله الذين اكتسبوا بعبادتهم فيها رحمته وربحوا جنته ثم استفهم بعد هذه الممادح عمن يذمها منكرا
عليه ومبينا لاحوال اخرى لها تنافي ذمها اي فمن ذا يذمها ولها الصفات المذكورة وبنى على هذه الاحوال وذكر
منها ستة احدها كونها آذنت اهلها واعلمتهم بفراقها والواو في قوله وقد للحال الثاني ونادت بفراقها الثالث
ونعت نفسها كل ذلك بلسان حالها من التغير والانتقال المؤذن بالزوال الرابع كونها مثلت لهم ببلائها البلاء في
الآخرة الخامس وشوقتهم بسرورها الى السرور في الجنة وانما كان كذلك لان كل ما في هذا العالم فهو صورة ومثال
في عالم الغيب وشبحه منه يعتبر به ويقاس اليه ولولا ذلك لانسد طريق الترقي الى الحضرة الالهية وتعذر الوقوف على
شيء من اسرارها فالسالكون الى الله لما شاهدوا بلاء الآخرة من بلاء الدنيا عملوا للخلاص منه وشاهدوا سرورها من
سرور الدنيا وعلموا ان بينهما فرقا عظيما وان الاشرف لا يحصل الا برفض الاخس فاقتصروا فيهم الصالحة مع
سرور الفاني بالباقي السادس رواحها بعافية وابتكارها بفجيعة وهو كناية عن سرعة انتقال احوالها وتبدل احوالها
من رخاء الى شدة ومن صحة الى سقم ونسب هذه الافعال اليها لانها الحاملة لما في ذلك ولما نسب اليها الافعال
الاختيارية جعل لها منها غايات وهي ترغيب الناس الى الله وترهيبهم منها ثم اشار الى سبب ذمها ممن ذمها وهو
ندامة المفرطين في اتخاذ زاد التقوى الى الآخرة منها فنسبوا ذلك التفريط الى غرورها لهم وهو باطل كما بينه ثم

الى سبب سدّها فمن سدّها وهو ثلثة احدها تذكرها لهم بزوالها ان وراءها غاية باقية يجب العمل لها فذكروا ما ذكر لهم وعملوا لما
حدثتهم بذلك حتى صدقوا الثالث وعقلها لهم بغيرها حتى اتعظوا وقال عليه السلم ان لله ملكا ينادي في كل يوم لدوا
للموت وابنوا للخراب واجمعوا للفناء وذلك النداء على وفق ما علم من القضاء الالهي في طبيعة الدنيا وغايتها والامور الثلثة
وهو الموت والفناء والخراب غايات طبيعية واللام فيها هي المسماة بلام العاقبة وقال عليه السلم الدنيا دار ممر الى دار مقر
والناس فيها رجلان رجل باع نفسه فاوبقها ورجل ابتاع نفسه فاعتقها اوبقها اهلكها وكون الدنيا دار ممر باعتبار انها
طريق الى الآخرة التي هي دار المقر واستعار لفظ البيع لبايع نفسه باعتبار تسليمه لها الى الهلاك الاخروي واعتياضه عنها
ما اصابه من اللذة الدنيوية وكذلك لفظ الابتياع لمشتري نفسه باعتبار انقاذها من ذلك الهلاك ببذل ما لذ
عليه من حاضر اللذات والاعراض عنه وحصر المكلفين في الرجلين المذكورين ظاهر وقال عليه السلم لا يكون الصديق
صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته جعل الصديق الصدق خاصة يعرف بها وهو ان يحفظ
صديقه في الامور الثلثة وحفظه بالقيام مقامه فيما ينبغي فعله في صلاح حاله بقدر الامكان وقال عليه السلم
من اعطي اربعا لم يحرم اربعا من اعطي الدعاء لم يحرم الاجابة ومن اعطي التوبة لم يحرم القبول ومن اعطي الاستغفار
لم يحرم المغفرة ومن اعطي الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك في كتاب الله سبحانه وتعالى قال تعالى في الدعاء ادعوني
استجب لكم وفي الاستغفار ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما وقال في الشكر لئن
شكرتم لازيدنكم وقال في التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم وكان الله عليما حكيما اقول الامور الاربعة الاولى اذا كانت باخلاص كان كل منها سببا في اعداد النفس
لقبول صورة الرحمة الالهية من واهبها فالدعاء للاجابة والتوبة لقبولها واسقاط ثمرة المعصية والاستغفار للمغفرة
والشكر للزيادة والشواهد الالهية ناطقة بذلك على وفق مقتضى العمل وقال عليه السلم الصلاة قربان كل تقي
والحج جهاد كل ضعيف ولكل شيء زكوة وزكوة البدن الصيام وجهاد المرأة حسن التبعل التبعل معاشرة البعل
وصحبته والكلام اشارة الى بعض اسرار هذه العبادات فمن اسرار الصلاة كونها قربانا الى الله تعالى وقد علمت
انها اعظم ما يتقرب به المتقون من العبادات ومن اسرار الحج كونه جهادا في سبيل الله لما فيه من مشقة السفر
ومجاهدة الطبيعة ومقاومة النفس الامارة بالسوء مع قوتها بسبب عدم الاطلاع على اسرار الحج وغاياته مع ما في
كيفيته من الافعال التي يعجب منها الجاهلون وانما خص الضعيف بذلك جذبا له اليه ولان للقوي جهادا آخر
هو المشهور ومن اسرار الصوم كونه زكوة للبدن لما فيه من تنقيص قوته وكسر شهوته لغاية طاعة الله والثواب الاخروي
كما ان الزكوة تنقيص في المال يستلزم زيادة الثواب في الآخرة ومن اسرار التبعل حسن معاشرة البعل وطاعته في طاعة الله
وفي ذلك كسر النفس الامارة للمرأة وانقيادها في صراط الله وقال عليه السلم استنزلوا الرزق بالصدقة وفي الكلمة فايدتان احدها
الترغيب في الصدقة بذكر كونها سببا لاستنزال الرزق وقد مر ان الصدقة باب عظيم لذلك معد لحصوله ومن وجوه
اعدادها كونها نفعا متعديا يستلزم تألف قلوب اهل الله والصالحين من عباده واجتماع هممهم على دعاء الله لصلاح المتصدق

الثانية

٥١١

الثانية التنبيه على اقوى الاسباب الباعثة عليها وعلى البذل في اكثر الخلق ليعتمد فيسهل معه البذل وهو الثقة بالله و
بالخلف منه كما نطق به وعده تعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم الآية وقال عليه السلم تنزل المعونة على
قدر المؤنة المؤنة التعب والشدة وهي مفعلة من الاين والمراد ان الشدة والثقل بالعيال ونحوهم معد لاستنزال معونة
الله برزقه وقوته على القيام باحوالهم ودفع المؤنة من جهتهم وقال عليه السلم ما عال امرؤ اقتصد العيلة الفقر و
الانفاق بقدر الحاجة المتعارفة وذلك معد لعدم الحاجة لان قدر الحاجة من المال امر قد تكفل الله باداره مدة البقاء
وهو ما لا بد للمقتصد منه وقال عليه السلم قلة العيال احد اليسارين والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم اما الاول
فلان الغنى المتعارف يكون بحصول المال وللمال اعتباران احدهما حصوله والثاني عدم انفاقه فحصوله يسار وعدم
انفاقه على العيال لقلتهم يسار ثان واطلق اليسار على قلة العيال مجازا اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن جملة تصرفات العقل في التدبير
التودد الى الخلق ولما كان الانسان محتاجا في اصلاح معاشه الى غيره وكانت معاملته لهم في ذلك اما على وجه التودد
وما يلزمه من جميل المعاشرة وحسن الصحبة والمسامحة والترغيب واما على وجه القهر والغلبة والترهيب لا جرم كان التودد
وما يلزمه نصف العقل اي نصف تصرفه في تدبير امر معاشه واما الثالث فلان الهرم اما طبيعي واما بسبب من خارج
وهو الهم والحزن والخوف المستلزم لها فهو اذن قسيم للسبب الطبيعي وقسم من اسباب الهرم كالنصف له فاستعار له
لفظ النصف واراد ان الهم نصف سبب الهرم وقال عليه السلم ينزل الصبر على قدر المصيبة ومن ضرب يده على فخذه
عند مصيبته حبط اجره ان الله سبحانه قوة استعداد لان يصبر بمقدار مصيبته فمن تم استعداده افيض عليه ذلك
المقدار من الصبر ومن قصر في الاستعداد لحصول هذه الفضيلة وارتكب ضدها وهو الجزع حبط اجره وهو
ثوابه على الصبر وكنى عن الجزع بما يلزمه في العادة من ضرب اليدين على الفخذين وقيل بل يحبط ثواب الشاكرين لان شدة
الجزع يستلزم كراهية قضاء الله وسخطه وعدم الالتفات الى ما وعد به من ثواب الصابرين وهو معد لمحو الحسنات
من لوح النفس وسقوط ما يلزم بها من ثواب الآخرة وقال عليه السلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش
وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر والعناء حبذا نوم الاكياس وافطارهم اراد بذلك من اخل بشرط من شرائط
صيامه وقيامه ولم يأت على وجه الاجزاء واعظم شرائطهما توجيههما الى المعبود الحق عن سلطانه وكثير من خلل العبادة
وفسادها من كثير من الخلق انما يكون للجهل بهذا الشرط وكنى بالقيام عن الصلاة وانما مدح نوم الاكياس لان الكيس
هو الذي يستعمل ذكاءه وفطنته في طرف الخير وعلى الوجه المرضي للشارع ويضع كل شيء موضعه ومن كان
كذلك كان نومه وافطاره وجميع تصرفاته في عباداته موضوعة مواضعها من رضاء الله ومحبته وقال
عليه السلم سوسوا ايمانكم بالصدقة وحصنوا اموالكم بالزكوة وادفعوا امواج البلاء بالدعاء سوسوا املكوا
وذلك ان الصدقة من الايمان التام بملكه وحفظه فلا يكون بدونها واما تحصين المال بالزكوة فلان منعها انما
يكون عن البخل وشدة الحرص وذلك باعث لمستحقيها على ذمه وداع للخلق الى التسبب في اذاه فيكون
مانعها متعرضا بذلك لتلف ماله وبدا انها محصنة له واستعار لفظ الامواج للحوادث المتواترة وقدم ان الدعاء

المؤنة ح

السبب علیه

جعل للانسان ح

مما يعد النفس للاجابة المطلوب وغرضه الحث على الصدقة والزكوة والدعاء ومن كلامه عليه السلم لكميل بن زياد
النخعي رحمه الله قال كميل اخذ بيدي امير المومنين عليه السلم فاخرجني الى الجبان فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا
كميل ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها احفظ عني ما اقول لك الناس ثلثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج
رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال لان العلم
واسخرسك المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكوا على الانفاق وصنيع المال يزول بزواله يا كميل معرفة العلم دين
يدان به يكتسب الانسان الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته فالعلم حاكم والمال محكوم عليه يا كميل بن زياد هلك
خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة ها ان ههنا لعلما
جما واشار عليه السلم الى صدره لو اصبت له حملة بلى اصيب لقنا غير مامون عليه مستعملا آلة الدين للدنيا
مستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على اوليائه او منقادا لحملة الحق لا بصيرة له في احنائه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض
من شبهة الا لا ذا ولا ذاك او منهوما باللذة سلس القياد للشهوة او مغرما بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في
شيء اقرب شيء شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لا يخلو الارض من قائم لله
بحجة اما ظاهرا مشهورا او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته وكم ذا واين اولئك اولئك والله الاقلون
عددا والاعظمون قدرا بهم يحفظ الله حججه وبيناته حتى يودعوها نظرائهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم
بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون واستوحشوا بما استوحش
منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى
دينه آه آه شوقا الى رؤيتهم انصرف اذا شئت اقول الجبان الصحراء والصعداء نوع من التنفس يصعد المتلهف
والحزين والهمج ذباب صغير كالبعوض والرعاع الاحداث والعوام والقلق سريع الفهم والاحناء الجوانب والمنهوم
باللذة الشره فيها الحريص عليها والمغرم بالجمع شديد المحبة له وهجم دخل بغتة وفي الفصل نكت احدها انه عليه
السلم نبهه للفهم عنه بقوله ان هذه القلوب الى قوله لك الثانية قسم الناس الى ثلثة اصناف ووجه القسمة
الناس اما عالم او ليس والثاني اما طالب العلم او ليس ثم قيد كلا من الاقسام الثلثة بصفة او صفات فالاول
بالرباني نسبة الى الرب تعالى على غير قياس اي العالم علم ربوبيته وهو العارف بالله تعالى وزيدت الالف
للمبالغة في النسبة قال تعالى كونوا ربانيين وقيل سموا بذلك لانهم يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارها
وقيل لانهم يربون العلم اي يقومون باصلاحه الثاني المتعلم ووصفه بكونه على سبيل النجاة ولما كان العلم سببا للنجاة
في الاخرة وكان المتعلم في طريق تحصيله كان على سبيل النجاة ليصل اليها بالعلم الذي هو غايته المطلوبة والثالث العوام
ووصفهم باوصاف احدها استعار لهم لفظ الهمج باعتبار حقارتهم الثاني وصفهم بالعامية او الحداثة لكونهما
الجهل الثالث كونهم اتباع كل ناعق ملاحظة لشبههم بالغنم في الغفلة والغباوة الرابع كني بكونهم يميلون مع كل
ريح عن ضعفهم عن التمسك في مذهب واحد والثبات عليه الخامس كونهم لم يستضيئوا بنور العلم وهو كونهم على ظلمة الجهل السادس

ولم يلجئوا الى ركن وثيق واستعار الركن الوثيق للاعتقادات الحقة البرهانية التي يعتمد عليها في دفع مكاره الاخرة الثالثة في مدح
العلم وتفضيله على المال من وجوه احدها ان العلم يحرس صاحبه من مكاره الدنيا والاخرة والمال يحرسه صاحبه والفرق
بين ما يكون حارسا لصاحبه وبين ما يحتاج صاحبه الى حراسته في الفضيلة والنفع ظاهر الثاني ان العلم يزكوا ويزيد بانفاقه
وافادته لطالبيه كتذكر العالم بتعليمه ومذاكرته لما غفل عنه واستنباطه ما لم يكن عنده والمال تنقصه النفقة
والاخراج منه الثالث ان صنيع المال وهو الاحسان به يزول بزوال المال والاحسان بالعلم باق ببقائه وصنيع فضيلة
مفعول الرابع كونه معرفة العلم اي تحصيله دينا يدان به وقد علمت كونه الاصل في الدين الخامس كونه يكسب الانسان
طاعة الخلق له في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته وهما من فضائله الخارجية السادس كونه حاكما على المال
عليه اي تصريفه في جمعه وانفاقه انما يكون على وفق العلم بوجوه تحصيله ومصارفه السابع من افضلية
المال كون خزان المال هالكين في الاخرة محكوم عليهم بذلك في الدنيا وان صدق عليهم انهم احياء كما قال تعالى الذين
يكنزون الذهب والفضة الاية واما العلماء فباقون ابدا وان فقدت اعيانهم من الدنيا فصورهم في القلوب
موجودة الرابعة اشار بعد تقرير كمال هذه الفضيلة الى ان في صدره منها شيئا كثيرا وانما يمنعه عن اظهاره
وجدان من يحمله عنه وها للتنبيه وجواب لو محذوف تقديره لاظهرته الخامسة استثنى من يجده
على عدم صلاحيتهم لحمل ما عنده من العلم واشار الى اربعة اصناف منهم ووجه القسمة ان غير اهل العلم من
الناس اما طالبون له او غير طالبين والطالبون اما قادرون على القيام بالحجة او غير قادرين وغير الطالبين له
المشغولون بغيره عنه فاشتغالهم اما بالانهماك في لذاتهم وسهولة الانقياد لشهواتهم واما بمحبة جمع المال
فالاول هو الخبيث الموصوف برذيلة الجربزة واشار اليه بقوله بلى اصيب لقنا الى قوله على اوليائه واشار الى وجوه
صلاحيته لحمله احدها كونه غير مامون عليه اي هو مظنة ان يذيعه الى غير اهله ويضعه في غير مواضعه
في قوله عليه السلم الثاني كونه مستعملا لآلة الدين وهو العلم في الدنيا واستعماله فيها كالتكسب به ومستظهرا بنعم الله
وهي العلم على عباده كالفخر عليهم ومغالبتهم واستعمال حجة الله وما علمه في مقابلة اوليائه وتلبيس الحق بالباطل والثاني ممن لا
يصلح لحمله فهو المقلد واشار اليه بقوله ومنقادا الى قوله شبهة ومنقادا عطف على لقنا واراد بالانقياد للحق الايمان به وتسليمه
على سبيل الجملة واشار الى كونه غير صالح لحمله من وجهين احدهما كونه لا بصيرة له في جوانب العلم وتفاصيله الثاني
كونه ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة وذلك لعدم العلم وثباته في نفسه بالبرهان والحجة الواضحة
الا لا ذا ولا ذاك اي من حملة العلم والثالث هو المشار اليه بقوله او منهوما الى قوله للشهوة والرابع هو المشار اليه بقوله او
بالادخار واتبعهما في معرض الذم لهما بوصفين احدهما كونهما ليسا من رعاة الدين في شيء اي لا تعلق لهما بالدين
الثاني كونهما اقرب شبها بهما الانعام السائمة باعتبار غفلتهما عن الدين وثمرته في الاخرة وقوله كذلك اي
تلك الاحوال من عدم من يصلح لحمل العلم ووجدان من لا يصلح له موت العلم بموت حامليه لان التشبيه يفيد
الاحوال وعني بحامله نفسه ومن عساه يكون من اهله يومئذ ثم استدرك بقوله اللهم بلى عدم خلو الارض من قائم

بصيرة

منها

فقد يحجة اما ظاهر او مستترا مغمورا في الناس واراد بالظاهر من عساه يتمكن من اظهار العلم والعمل به من اولياء الله وخلفائه
اوليائه في موضع من الارض وبالخائف المغمور الذي لم يتمكن من ذلك قالت الشيعة هذا تصريح منه عليه السلم بوجوب
الامامة في كل زمان ما دام التكليف باقيا وان الامام القائم بحجة الله على خلقه ويجب وجوده بمقتضى حكمته وهو اما ان
يكون ظاهرا معروفا بين الناس كالذين سبقوا الى الاحسان ووصلوا الى المحل الاعلى من ولده الاحد عشر واما ان يكون خائفا
مستورا لكثرة اعدائه وقلة المخلص من اوليائه كالحجة المنتظر لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقوله وكم ذا
استبطاء لمدة غيبة صاحب الامر وتبرم من امتدادها ولذا اعدائه وقوله اين هم استقلال لعدد ائمة الدين ولذلك بينه
بقوله اولئك والله الاقلون عددا وذكر في معرض مدحهم اوصافا احدها الاقلون عددا الاعظمون قدرا عند
الله الثاني ان بهم يحفظ حججه وبيناته المشتمل عليها دينه حتى يودعوها اشباههم ويزرعوها في قلوب اشباههم
بعدهم الثالث كونهم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة اي فاجاهم ودخل على عقولهم دفعة لان علومهم لدنية حدسية
وقيل ذلك على القلوب اي هجمت بهم عقولهم على حقيقة العلم الرابع وباشروا روح اليقين اي وجدوا لذته الخامس
واستلانوا ما استوعره المترفون من الامور الشاقة كخشونة المطعم وخشونة المضجع والملبس ومصابرة الصيام
والسهر وذلك يوجب ما وجدوه من لذة اليقين وحلاوة العرفان حين لبق عندهم السادس وانسوا بما استوحش
منه الجاهلون وهو الاحوال التي الفوها كما ذكرنا فان الجاهل لجهله بثمرتها ينفر ويستوحش من اهلها السابع
وصحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى عاشقة لما شاهدته من جمال الحضرة الربوبية وصحبة الملا
الاعلى من الملئكة ولما بين بهم بالاوصاف المذكورة اشار في معرض مدحهم ايضا الى ان هؤلاء لما اشتملوا على كل من
هذه الاوصاف هم خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه ثم تاوه شوقا الى رؤيتهم واه كلمة توجع اصلها اوه
من افصح ما نقل عنه عليه السلم **وقال عليه السلم** المرء مخبوء تحت لسانه اي حاله مستورة في عدم نطقه فحذف
المضاف للعلم به وتحت لسانه كناية عن سكوته وذلك ان مقدار عقله ومقدار عقله يعرف من
مقدار كلامه لدلالته عليه فاذا تكلم بكلام الحكماء ظهر كونه حكيما او بكلام السفهاء عرف كونه منهم وما بين
المرتبتين بالنسبة **وقال عليه السلم** هلك امرء لم يعرف قدره قد علمت ان قدر هؤلاء مقداره في نفس الامر
ومنزلته من الفضيلة وعدمها ومن لم يعرف منزلته او شك ان يتجاوزها فيهلك من لم يعرف محله من العلم
او شك ان يرفع نفسه فوق محله او يفتي بما لا يعرف لاعتقاده كماله فيقع في الهلاك الاخروي وربما تبعه هلاك
دنياه ولزمه من تطاوله تلعب السنة الناس وايديهم به وهلاكه بذلك **وقال عليه السلم** لرجل سأله ان يعظه
لا تكن ممن يرجو الاخرة بغير عمل ويرجي التوبة بطول الامل يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين
ان اعطي منها لم يشبع وان منع منها لم يقنع يعجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بما لا ياتي
يحب الصالحين ولا يعمل عملهم ويبغض المذنبين وهو احدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت له ان سقم
ظل نادما وان صح امن لاهيا يعجب بنفسه اذا عوفي ويقنط اذا ابتلي ان اصابه بلاء دعا مضطرا وان ناله رخاء اعرض مغترا

منهاج

تغلبه

تغلبه نفسه على ما يظن ولا يغلبها على ما يستيقن يخاف على غيره بادنى من ذنبه ويرجو لنفسه باكثر من عمله ان استغنى بطر وفتن وان
افتقر قنط ووهن يقصر اذا عمل ويبالغ اذا سأل ان عرضت له شهوة اسلف المعصية وسوف التوبة وان عرته محنة
انفرج عن شرائط الملة يصف العبرة ولا يعتبر ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ فهو بالقول مدل ومن العمل مقل ينافس فيما
يفنى ويسامح فيما يبقى يرى الغنم مغرما والغرم مغنما يخشى الموت ولا يبادر الفوت يستعظم من معصية غيره ما يستقل
اكثر منه من نفسه ويستكثر من طاعته ما يحقره من طاعة غيره فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن اللهو مع الاغنياء
احب اليه من الذكر مع الفقراء يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره يرشد غيره ويغوي نفسه فهو يطاع ويعصي
ويستوفي ولا يوفي ويخشى الخلق في غير ربه ولا يخشى ربه في خلقه قال السيد رحمه الله لو لم يكن في هذا الكتاب
الا هذا الكلام لكفى به موعظة ناجعة وحكمة بالغة وبصيرة لمبصر وعبرة لناظر متفكر **اقول** يرجيها يؤخرها
ويروى ترجيها بالزاي المعجمة اي يدفعها والقنوط الياس وعرته عرضت له ومدل اي واثق وحاصل الفصل نهي الطالب
الموعظة عن اربع وثلثين رذيلة احدها رجاء الاخرة وثوابها بغير عمل فان ذلك امل على الله وقد علمت ان المنى
بضايع النوكى الثانية ترجية التوبة وارجاؤها بطول الامل فان ذلك يستلزم البقاء على المعصية والعذاب بها
في الاخرة الثالثة ان يجمع بين قول الزاهدين في الدنيا وعمل الراغبين فيها وهو خداع لله وعمله فيها عمل الراغبين
يستلزم ان يصيبه ما اصابهم من عذاب الاخرة بها الرابعة ان لا يشبع مما يعطى منها وذلك رذيلة الشره
والحرص الخامسة ان لا يقنع ان منع وذلك رذيلة التفريط من فضيلة القناعة السادسة ان يجمع بين العجز عن
شكر ما اوتي من نعم الله وبين طلب الزيادة من فاضلها وهو جمع بين رذيلة التفريط من فضيلة الشكر وبين
رذيلة الحرص السابعة ان يجمع بين نهيه عن المعاصي وعدم تناهيه عنها وهو نفاق وخداع لله الثامنة ان
يامر بما يقصر هو عن فعله وهو كالذي قبله التاسعة ان يحب الصالحين ويقصر عن عملهم وتقصيره كالنقض على
بغضه لهم الحادية عشر ان يكره الموت لكثرة ذنوبه ويقيم على ما يكره الموت من كثرة الذنوب فاقامته على
ذنوبه كالنقض على كراهته للموت لاجلها مع ما يلزمه من العذاب الاخروي الثانية عشر ان يجمع بين ندمه حال
سقمه على تفريطه في جنب الله وبين لهوه في لذته حال امنه وهو ايضا كالمتناقض الثالثة عشر ان يعجب بنفسه حين
عافيته فان العجب من المهلكات الرابعة عشر ان يقنط اذا ما ابتلاه ربه وييأس من رحمته وذلك كما قال الله تعالى انه
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون الخامسة عشر ان يجمع بين دعاء الله باضطرار البدء عند نزول البلاء به وبين
الاعراض عنه والاغترار بالدنيا عند اصابته للرخاء فان الاول رذيلة افراط والثاني رذيلة تفريط السادسة عشر ان
يجمع بين الانقهار لنفسه والانقياد لها الى ما يظنه فائدة من الامور الدنيوية وبين عدم قهرها وغلبها الى ما استيقنه من
ثواب الاخرة وعقابها فلا يلزمها العمل لذلك فان ذلك عند العقل سفه وجنون السابعة عشر ان يجمع بين الخوف على
غيره من ذنوب هي اقل من ذنوبه وبين الرجاء لنفسه ثوابا اكثر مما يستحق على عمله فان الحق من ذلك ان يخاف على نفسه اكثر
من الخوف على غيره لاكثرية ذنوبه ويجعل لذلك الخوف الثامنة عشر ان بطر ويفتن ان اصاب غنى فان ذلك فجور التاسعة عشر

محبته لهم العاشرة ان يبغض المذنبين وهو احدهم فيكون فعله كالنقض على
صح

ان يقنط ويضعف ان افتقر وهو رذيلة تقصير وتفريط العشرون ان يقصر في العمل الحادية والعشرون ان يبالغ اذا سال
رذيلة الالحاف في السؤال الثانية والعشرون ان يقدم المعصية ان عرضت شهوته ويوخر التوبة منها الثالثة والعشرون
ان يخرج عن شرايط الملة عند نزول المحنة به اي يخرج عن فضيلة الصبر على المصيبة الذي هو شرط الملة وركنها
الرابعة والعشرون ان يجمع بين وصف العبرة وبين عدم الاعتبار الخامسة والعشرون ويبالغ في الموعظة حال ما لا
يتعظ فان ذلك يدخله في مقت الله تعالى لقوله كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون السادسة والعشرون
ان يجمع بين المنافسة فيما يفنى وهو الدنيا والمسامحة فيما يبقى وهو ثواب الآخرة وهو جهل وسفه ظاهر السابعة
والعشرون ان يرى الغنم مغرما كالانفاق في سبيل الله والغرم مغنما كالانفاق في معصيته وهو عكس مقتضى العقل
الثامنة والعشرون ان يجمع بين خشية الموت وعدم مبادرته بالاعمال الصالحة المستلزمة للخلاص من اهواله
وما بعده التاسعة والعشرون ان يستعظم من معصية غيره ما يستقل اكثر منه من نفسه وكذلك يستكثر من طاعته
ما يحقر من طاعة غيره ويلزم من ذلك ان يكون طاعنا على الناس في افعالهم ومداهنا لنفسه في فعلها الثلثون ان
يكون اللهو مع الاغنياء احب اليه من ذكر الله مع الفقراء وذلك لفرط محبة الدنيا الحادية والثلثون ان يحكم لنفسه على غيره
فيما يشتهيه وان كان باطلا ولا يحكم عليها لغيره في حق وهو ظلم الثانية والثلثون ان يجمع بين ارشاد غيره بالهدى من
القول وبين اغواء نفسه بفعله اي بعمل عمل الغاوين ويلزم ذلك ان يطيعه غيره وهو يعصي الله الثالثة والثلثون ان
يستوفي ماله على غيره ولا يوفي ما عليه من حق الله او حق خلقه الرابعة والثلثون ان يجمع بين خشية الخلق في غير الله اي
امر ليس لله وبين عدم خشية الله في خلقه ويلزم الاول ان يرضيهم بما يسخط الله ويلزم الثاني ان يسخط خلقه في
هذه مشتملة من علم الفصاحة على التقابل والتضاد ورد العجز على الصدر وقال عليه السلم لكل امرئ عاقبة حلوة
او مرة واشار الى غايته من حركاته الخيرية والشرية فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة وغاية الشرية النار
وعذابها وهي العاقبة المرة واستعار لفظي الحلوة والمرة للذيذ والمكروه وقال عليه السلم لكل مقبل ادبار وما ادبر
كان لم يكن واراد المقبل من لذات الدنيا في معرض التزهيد والمقبل من شدائدها في معرض تهوينها وتسهيلها وكان
من اخوات ان مخففة واسمها محذوف وقال عليه السلم لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان فالصبور كثير
الصبر ورغب فيه بما يلزمه من الظفر وان تاخر وذلك عند كمال استعداد الصبور بالصبر وقوته وقال عليه السلم
الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم وعلى كل داخل في باطل اثمان اثم العمل به واثم الرضا به ووجه التشبيه اشتراكهما في
الرضا المستلزم للميل اليه ومناسبته لطبعه وتميز عن الداخل في الباطل بما يستلزمه من الاثمين اما اثم الرضا فلان الرضا
بالباطل يستلزم محبته وهي رذيلة واثم وقال عليه السلم اعتصموا بالذمم في اوتادها فالذمم العهود والعقود الايمان واستعار
لفظ الاوتاد لشرائط العهود واسباب احكامها كانها اوتادها الحافظة لها واراد امتنعوا من سخط الله وعذابه بحفظ الذمم في
فكان العصمة منه تكون في اسباب حفظها وفي متعلق باعتصموا وروي استعصموا وقال عليه السلم عليكم بطاعة من لا تعذرون
بجهالته يريد الله تعالى وقيل هو ايجاب لطاعة من يجب طاعته من ائمة الحق الذين يجب العلم بحقيقة امامتهم ولا تعذر الناس

في الحمل

بلغ

في الجهل بهم لتعلم قوانين الدين واحكامه منهم وقال عليه السلم قد بصرتم ان ابصرتم وقد هديتم ان اهتديتم واسمعتم ان
سمعتم اي قد بصرتم سبيل الرشاد وهديتم اليها واسمعتم الدلائل عليها ان كان لكم استعداد ان تبصروها وتسمعوا
وتهتدوا اليها وقد مر مثله وقال عليه السلم عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه اي اجعل مكان عتابك
بالقول والفعل الاحسان اليه والانعام في حقه فانهما انفع في عطف جانبه اليك ودفع شره عنك والعتاب مستعار
للاحسان لاستلزامهما رجوع المعاتب وقال عليه السلم من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن لانه
السبب في اساءة الظن بنفسه ولا لوم على من اساء به الظن لان ظنه ذلك مستند الى امارة من شانها توليد الظن وقال
عليه السلم ثلث كلمات احداها من ملك استاثر اي استبد وانفرد ان الملوك من شانهم الاستبداد بالامور المرغوب فيها
وذلك لتسلطهم وعدم المنازع لهم وانما الامارة بالسوء فيهم وهي كالمثل يضرب لمن غلب على امر فاختص به دون
غيره الثانية ومن استبد برايه هلك لان انفراد الانسان برايه وعدم قبوله للنصيحة والاستشارة في الحرب ونحوها
مظنة الخطا فيه المستلزم للهلاك فكانه قال من استبد برايه فهو في مظنة الهلاك فاقام الهلاك مقام مظنته مجازا
اطلاقا للملزوم على لازمه الثالثة ومن شاور الرجال شاركها في عقولها وذلك انه يستفيد منها الراي الاصلح الذي هو ثمرة
عقول الرجال باسرها حاصلة له لا شاعة بثمرتها وهو ترغيب في الاستشارة وقال عليه السلم من كتم سره كانت الخيرة بيده وهو
ترغيب في كتمان السر اي كان مختارا في اذاعته وكتمانه بخلاف من اذاع سره فانه لا يتمكن بعد ذلك من كتمانه وقال عليه السلم
الفقر الموت الاكبر استعار له لفظ الموت بوصف الاكبر لما كونه موتا فلانقطاع الفقير عن مشتهياته ومطلوباته التي هي
الحيوة ونالته لفقدها ولذة لانه اكبر فلتعاقب الاسر على الفقير مدة حيوته واما الم الموت ففي وقت واحد وهو بالقياس
وقال عليه السلم من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده اراد قضاء الحق بين الاخوان وانما كان كذلك لان قضاء الغني
لحق من لا يقضي حقه لا يكون لوصول نفع منه ولا دفع مضرة المرء بل يكون عملا له لا لامر هوا او خوفا منه او طمعا فيه
وذلك صورة عبادة وقال عليه السلم لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وذلك كالوضوء بالماء المغصوب والصلوة
في الدار المغصوبة ويحمل النفي هنا على نفي جواز الطاعة كما هو المنقول عنه وعن اهل بيته عليهم السلم وعند الشافعي
قد يصح الطاعة والنفي لفضيلتها وقال عليه السلم لا يعاب المرء بتاخير حقه انما يعاب من اخذ ما ليس له اخذ الحق قد يكون
واجبا لمن هو له وقد يكون مندوبا واقله ان يكون مباحا ولا حرج في امر المباح واما اخذ ما ليس له فظلم وهو من
الرذائل التي يعاب بها المرء وقال عليه السلم الاعجاب يمنع من الازدياد اعجاب المرء بفضيلة الداخلة كعلم او الخارجة
وقنيته انما يكون عن تصور كمالهما واعتقاده وانه قد بلغ منها الغاية والاعتقاد يمنعه عن طلب الزيادة منها وقال
عليه السلم الامر قريب والاصطحاب قليل اراد امر الله وهو الموت والاصطحاب في الدنيا وقال عليه السلم قد اضاء الصبح
لذي عينين هو تمثيل واستعار لفظ الصبح لسبيل الله ووصف الضياء لوضوحها وظهورها ووصف الشارع
دلائله عليها ويحتمل ان يكون ذلك تمام وصف سبق منه للحق كان سائلا ساله عن امر فشرحه له ومع ذلك اوبر او هو
يستزيد فقال له هذا القول اي قد اوضحت للسائل ان كنت تبصر وقال عليه السلم ترك الذنب اهون من طلب التوبة اذ

الترك لا كلفة فيه لكونه عدميا وطلب التوبة من الله يحتاج الى استعداد شديد يصلح معه العبد لقبول امانته واما
العفو عليه وقال عليه السلم كم من اكلة منعت اكلات وهو يجري مجرى المثل يضرب لمن يفعل فعلا يكون سببا
لحرمانه ما كان ينال من خير سابق واصله ان الرجل يمتلى من الطعام فيتخم ويمرض فيحتاج الى الحمية والامتناع من
الاكل وفي معناه من يباشر ملكا ويسعد بالانبساط معه فيفرط في انبساطه عليه فيكون ذلك سببا لبعده
وزوال سعادته منه وقال عليه السلم الناس اعداء ما جهلوا الجهل بالشي يستلزم لعدم تصور منفعة العلم به
فيحصل الجاهل من ذلك على اعتقاد انه لا فائدة في علمه فيستلزم ذلك مجانبته له فربما كان تلك المجانبة والبعد
العلم اشرف فضيلة يفخر بها اهله على الجهال ويكون لهم بها الحكم عليهم واستنقاصهم وحطهم عن درجة الاعتبار
مع اعتقاد الجهال الكمال لهم ايضا فتشتد لذلك مجانبتهم للعلم واهله وعداوتهم لهذه الفضيلة وقال عليه السلم من استقبل
وجوه الاراء عرف مواقع الخطاء لا شك ان التصفح لوجوه الاراء والفكر في ايها اصوب لا بد ان يعرف مواقع الخطاء
ومظانها وهو ترغيب في الاستشارة والفكر في استصلاح الاعمال قبل الوقوع فيها وقال عليه السلم من احد سنان الغضب لله
قوي على قتل اشداء الباطل لما كان تعالى هو العزيز المطلق كان استناد قوة الغضب لدينه والحمية له الى عزته وصولته
اعتزازا بها اشد تكثيرا من صولته بدون ذلك الاستناد وبحسب تاكد القوة بعزة الله يكون ضعفها بالاستناد الى الباطل
لدينه ولذلك ما قهر اولياء الله على قلتهم في مبدا الاسلام اعداءه على كثرتهم واطاق هو عليه السلم قلع باب خيبر
وقتل جبابرة العرب واستعار لفظ السنان لحدة الغضب باعتبار استلزامهما النكاية في العدو ورشح بذكر الحد وقال
عليه السلم اذا هبت امرا فقع فيه فان شدة توقيه اعظم مما تخاف منه ان للنفوس فيما تتوقع مكروهه تصورا لاكثر او فكرا
عظيما في كيفية دفعه والخلاص منه وذلك اصعب بكثير من الوقوع فيه لطول زمان الخوف هناك وتاكد توقع الامر
المخوف وربما في الوقوع فيه يصير صغره قوله فان الى اخره وتقدير كبراه وكل ما كان اعظم مما يخاف من الشي فينبغي ان
يعدل عنه الى الوقوع فيه ينتج ان شدة توقيه ينبغي ان يعدل عنها الى الوقوع فيه وقال عليه السلم الة الرياسة سعة
سعة الصدر فضيلة تحت الشجاعة وهي ان لا يدع الانسان قوة التجلد عند ورود الاحداث المهمة عليه وامثالها
ولا يحاد او يدهش فيها بل يتحملها ويستعمل الواجب في معناها وقد يسمى ذلك رحب الذراع وهي من اعظم الات
الرياسة الحقة التي ينبغي لها اذ الرياسة مظنة ورود الاحداث المهمة والخطوب العظيمة واحوال الخلق المختلفة
فمن لم يكن محتملا لهذه الامور وسيع الصدر بها فلا بد ان يحار فيها او يدهش فيما يرد عليه منها فيعجز عن تدبيرها
ويلزم ذلك فساد دولته وزوال رياسته وقال عليه السلم ازجر المسيء بثواب المحسن تصور المسيء جزاء المحسن احسانا
يدعوه الى الاحسان والرجوع عن الاساءة فكانت المجازات بالاحسان كالزجر للمسيء في استلزامهما الارتداع
الزجر فاستعير لفظ الزجر لها وقال عليه السلم احصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك اغلب ما ينشا الشر
في صدر العدو وبسبب ما يتخيله في عدوه من اضمار الشر له وظن ذلك فيه وذلك التخيل والظن لا بد ان يكون
عن امارة من حركات عدوه وفلتات لسانه والقول في حقه ما دام مستعدا بعداوته واضمار الشر له قائما في صدره فاذا

ما اضمر له من العداوة والشر زالت امارات ذلك من لسانه ووجهه وبحسب ذلك ينقص تخيل العداوة ويضعف
ظن عدوه به ولا يزال يتاكد بعدم تلك الامارات وبامارات خالية او مقالية تظهر منه الى ان ينمحي ذلك الظن في حقه
واستعار لفظ الحصد لازالته ملاحظة لشبهه بالزرع في زيادته بسقي تلك الامارات من عدوه وتواترها ونقصانا
وعدمه بعدمها وقال عليه السلم اللجاجة تسل الراي اي تاخذه وتذهب وذلك ان الانسان قد يطلب شيئا والراي الحق
هو التاني في طلبه والتثبت فيه فيحمله طبعه على اللجاجة فيه حتى يكون ذلك سببا لفوات رايه واستعار لفظ السل لرابه
الى اللجاجة مجازا باعتبار انها هي المعونة له فكانها اخذته وغيبته وقال عليه السلم الطمع رق مؤبد استعار لفظ الرق للطمع
باعتبار ما يستلزمه من التعبد للمطموع فيه والخضوع له كالرق ورشح بالمؤبد باعتبار دوام التعبد بسببه فان الطامع دائم
العبودية لمن يطمع فيه ما دام طامعا وهو في ذلك كالدائم من الرق وقال عليه السلم ثمرة الحزم السلامة وثمرة التفريط الندامة
التفريط اضاعة الحزم في الامور ولما عرفت ان الحزم عبارة عن تقديم العمل للحوادث الممكنة المستقبلة بما هو اولى بالسلامة
وابعد من الغرور لا جرم كان ذلك مظنة السلامة ومنها كانت اضاعته والتفريط في العمل لما يستقبل من الحوادث
مظنة الوقوع فيها وعدم السلامة من بلائها وهو يستلزم للندامة على التفريط فيها فكانت الندامة من ثمرته وقال عليه السلم
لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن النطق بالحكمة طرف تفريط من فضيلة القول والنطق عن
الجهل رذيلة مضادة لها والحق والعدل هو النطق بالحكمة وهو الفضيلة النطقية وقال عليه السلم ما اختلفت دعوتان
الا كانت احديهما ضلالة الاختلاف الحقيقي انما يكون بين النقيضين ولما كانت الدعوة اما الى الحق وهو سلوك سبيل الله
او الى غيره وكان كل ما عدا الحق مما يدعى اليه فهو ضلال عن الحق وعدول عن سبيل الله لا جرم لم تختلف دعوتان الا كانت احداهما
حقا والاخرى ضلالة وتستلزمه للضلال وهذا يستلزم بطلان كون كل مجتهد مصيبا ومذهبه المنقول عنه عليه السلم
ان الحق واحد في جهة والمصيب له واحد وقال عليه السلم ما شككت في الحق مذ اريته من كان له استعداد ادراك الحق على
السلم واستاذ كرسول الله صلى الله عليه واله في اعداده وتربيته وطول صحبته لمثل ذلك الاستاذ كيف يتصور فيه ان يعرض له
شك في امر يريه برهانه ويعرفه من الحق وقال عليه السلم ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي اما عدم كذبه وضلاله
فلتربيته من حين الطفولية بالصدق ومكارم الاخلاق حتى صار ذلك ملكة له تنافي الكذب والضلال وعصم منهما
واما كونه لم يكذب فيما اخبر من الحوادث المستقبلة والعلوم الغيبية ولم يضل به فلكونه مخبرا معصوما وهو الرسول
صلى الله عليه واله والعصمة منافية للامرين ويستلزم لهداية المداول وعدم زيغه وقال عليه السلم للظالم البادي غدا
بكفه عضة احترز بالبادي عن المجازي للظالم بمثله وكنى بذلك عن يوم القيمة وبعض كفه عن ندامته على تفريطه في
الله كقوله تعالى يوم يعض الظالم على يديه والغرض التنفير عن الظلم وقال عليه السلم الرحيل وشيك اي قريب واراد الرحيل الى
الاخرة في معرض الوعظ والتخويف بالموت وقال عليه السلم من ابدى صفحته للحق هلك اي من تجرد لنصرة الحق في
مقابلة كل احد هلك عند جهلة الناس لضعف الحق عند جهلة الناس لضعف الحق عندهم وغلبة حب الباطل على نفوسهم
وكنى بابداء صفحته عن اظهار نفسه ونصبها لذلك وقد مر بيانه وقال عليه السلم من لم ينجه الصبر اهلكه الجزع قد تكون

المصيبة عظيمة تستلزم الهلاك بسببها وحينئذ يجب ان يقابل الجزع فيها بصبر ينجي من الهلاك والتقدير من لم
يصبر على المصيبة لينجو الجزع هلك ويحتمل ان يريد الهلاك الاخروي اي من لم تنجه فضيلة الصبر هلك برذيلة
الجزع وهو تنفير عن الجزع وحث على الصبر **وقال عليه السلم** واعجباه تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة
ويروى عنه عليه السلم شعر في هذا المعنى فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب روى هذا القول عنه عند بيعة عثمن وهو صورة تعجب
ما كان يسمعه من تعليل استحقاق عثمن للخلافة تارة بالشورى وتارة بانه من اصحاب رسول الله وتقرير ان استحقاقه
للخلافة اما ان يكون معللا بالشورى او بصحبه رسول الله صلى الله عليه وآله او بقرابته فان كان الاول فكيف ملك
عثمن امور الناس بالشورى واكثر من يستحق الاستشارة منهم لم يكونوا حاضرين وذلك معنى اشارته بقوله فان
كنت بالشورى تمام البيت وان كان الثاني فكيف يملك امورهم بالصحبة مع وجود من له الصحبة والقرابة
معا بل يكون هذا اولى وان كان الثالث فغيره اولى منه بالنبي واقرب اليه وعنى نفسه في الوجهين وقوله فكيف بهذا
اي فكيف تملكها بهذا **وقال عليه السلم** انما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ونهب تبادره المصائب ومع كل
شرق وفي كل اكلة غصص ولا ينال العبد نعمة الا بفراق اخرى ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله
فنحن اعوان المنون وانفسنا نصب الحتوف فمن اين نرجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفا الا
اسرعا الكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا الانتضال الرمي وهذا فصل لطيف من الموعظة وقد اشتمل على ثمان
كلمات واعظة احدها استعار لفظ الغرض للانسان باعتبار رميه بمقدمات المنايا واسبابها من الامراض
الاعراض المهلكة ووصف الانتضال لذلك الرمي كان المنايا هي الرامية الثانية استعار لفظ النهب باعتبار سرعة بمعنى المنهوب به
المصائب اليه الثالثة كنى عن تنغيص لذات الدنيا بما يشوبها ويخالطها من الاعراض والامراض بقوله مع كل جرعة الى
قوله غصص الرابعة كون العبد لا ينال نعمة الا بفراق اخرى اذ النعمة هي اللذة وما يكون وسيلة اليها فاعتبر بواسطتها
ان النفس في الدنيا لا يمكن ان تحصل على لذتين دفعة بل ما لم ينتقل عن لذة اولى وتوجه نحو اللذة الحادثة لا يحصل لها
الالتذاذ بها الخامسة ولا يستقبل يوما من عمره الا بفراق آخر من اجله لان طبيعة الزمان التقضي والسيلان كوننا السادسة
اعوان المنون باعتبار ان كل نفس وحركة من الانسان فهي مقربة له الى اجله فكانه ساع نحو اجله ومساعد عليه السابعة
كون نفوسنا نصب الحتوف ونصب بمعنى منصوب كالغرض الثامنة الاستفهام عن جهة رجاء البقاء استفهام انكار
مع وجود الزمان الذي من شانه لم يرفع لشيء شرفا ويجمع لامر شملا الا اسرع العود في هدم ما رفع وتفريق ما جمع اي
اعد الثاني كما اعد للاول **وقال عليه السلم** يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فانت فيه خازن لغيرك اذ اكتساب الزيادة على
القوت والمؤنة بمقدار الحاجة وادخاره غير نافع للمدخر اذ من ضرورته مفارقته لما ادخره ووصوله الى الوارث وغيره فهو اذن
يشبه الخازن فاستعار لفظه له وهو تنفير عن البخل بالفضل من المال عن قدر الحاجة **وقال عليه السلم** ان للقلوب شهوة واقبالا
وادبارا فاتوها من قبل شهوتها واقبالها فان القلب اذا اكره عمي اراد بالاقبال الميل وبالادبار النفرة عن ملال ونحوه وامر

باعمال النفوس فيما ينبغي اعمالها فيه من فكر ونظر وحملها على ذلك حين ميلها اليه واقبالها عليه لان ذلك ينشط القوى
النفسانية ومعاونة ومواتاة للنفس ونفر عن حملها عليه مع النفرة عنه والكراهية لما يضمره صغراه قوله فان القلب اذا اكره
عمي ان اكراه النفس على الفكر في الشيء حين نفرتها عنه عن ملال او ضعف قوة ونحوه يورثها كراهية له ونفرة ويقوم لذلك
مانع من الوهم والخيال عن ادراك ما تفكر فيه فلا تدركه وان كان واضحا حتى يكون كالاعمى ولذلك استعار له وصف الاعمى
وتقدير كبراه وكل ما كان حاله في اكراهه على الشيء فلا يجوز اكراهه **وقال عليه السلم** متى اشفي غيظي اذا غضبت احين اعجز
عن الانتقام فيقال لي لو صبرت ام حين اقدر عليه فيقال لي لو غفرت استفهم عن وقت جواز شفاء الغيظ استفهام
انكار لوجوده في معرض التنفير عن هذه الرذيلة وتفرعها بقوله احين الى آخره وذلك انه اما حين العجز عن الانتقام او
القدرة عليه وشفاء الغيظ في الوقت الاول لا يجوز لانه يكون بالسب والشناعة وتقطيع العرض ونحوه وذلك مستلزم
للائمة الخلق وتعنيفهم وقولهم في الحث على فضيلة الصبر لو صبرت لكان اولى وفي الثاني ايضا لا يجوز لاستلزام التشرع
في العقوبة لائمة الخلق والعدول عن فضيلة العفو التي هي اولى وقول الناس عليها لو عفوت وان العفو لكان اولى **وقال عليه السلم**
وقد مر بقذر على مزبلة هذا ما بخل به الباخلون وفي خبر آخر انه قال هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالامس اشار اليه بذلك
لانه غاية مما بخل به الباخلون وتنافس الناس فيه من المال والطعام اقامه للغاية مقام ذي الغاية **وقال عليه السلم**
لم يذهب من مالك ما وعظك اي المال الذي يذهب من مالك على طريق امتحان الله وابتلائه لك باموره
فتحصل لك بذهابه موعظة لا يعد مالا ذاهبا بل كانه باق لبقاء منفعته وشرف ثمرته وهي الموعظة **وقال
عليه السلم** لما سمع قول الخوارج لا حكم الا لله كلمة حق يراد بها باطل وقد مر تفسيره **وقال عليه السلم** في صفة الغوغاء
وهم العوام هم الذين اذا اجتمعوا غلبوا واذا تفرقوا لم يعرفوا وقيل بل قال عليه السلم هم الذين اذا اجتمعوا ضروا
واذا تفرقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم فما منفعة افتراقهم فقال يرجع اصحاب المهن الى مهنتهم فينتفع
الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه المهنة الحرفة والصناعة والفصل ظاهر وقال وقد
اوتي بجان معه غوغاء فقال لا مرحبا بوجوه لا ترى الا عند كل سوءة اي لا ترى مجتمعة اذ العوام لا يجتمع غالبا الا في مثل ذلك
فكلام الخطيب على اغلب الاحوال والسوءة فعلة من السوء **وقال عليه السلم** ان مع كل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خليا
بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة اي اذا جاء القدر بموته على وفق القضاء الالهي وهو كقوله تعالى ويرسل عليكم
حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت الآية واستعار لفظ الجنة بوصف الحصينة للاجل وقد بينا ذلك في قوله وان علي
من الله جنة حصينة وقال له طلحة والزبير نبايعك على انا شركاؤك في هذا الامر فقال لا ولكنكما شريكان في القوة
والاستعانة وعونان على العجز والاود الاود الاعوجاج وقوله عونان على العجز والاود اي على دفع ما يعرض منهما او حال
وجودهما لا نكلهما على نفيه الحال **وقال عليه السلم** ايها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سمع وان اضمرتم علم وبادروا الموت
الذي ان هربتم ادرككم وان اقمتم اخذكم وان نسيتموه ذكركم رغب في تقوى الله والخشية منه باعتبار سمعه لما يقول
العبد وعلمه بضميره وخوف المقولين للسلم بهما اي سمع مقالكم وعلم ضميركم ورغب في مبادرة الموت ومسابقته بالاعمال

الصالحة الى حفظ النفوس بها من عذاب الآخرة وهول الموت وعن منه ليسارع الى مبادرته بكونه لا يجوز اتيانه احد استعار لورود على الانسان لفظ الذكر في مقابلة النسيان ملاحظة لشبهه بالقاصد له على علم به **وقال عليه السلم** لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر مما اضاع الكافر والله يحب المحسنين نهى عن الزهد في المعروف بسبب عدم شكر المحسن اليه ورغب فيه بضمائر ثلاثة صغرى الاول قوله فقد يشكرك عليه الى قوله منه وذلك لمحبة الناس للاحسان والمحسنين وتقدير كبراه وكل ما يشكرك عليه من لم يستمتع بشيء منه فواجب ان تفعله وصغرى الثاني قوله وقد تدرك الى قوله الكافر اي قد يحصل لك من شكر من احسن اليه اكثر مما اضاعه كافر نعمتك من شكر احسانك اليه وتقدير كبراه وكل ما ادركت من شكر الشاكر بسببه اكثر مما اضاع الكافر فواجب ان تفعله وصغرى الثالث قوله والله يحب المحسنين اي لاحسانهم وتقدير كبراه وكل من احبه الله لفعل فواجب ان يدخل العاقل في زمرته ويتقرب الى الله بمثل فعله **وقال عليه السلم** كل وعاء يضيق بما جعل فيه الا وعاء العلم فانه يتسع به الاوعية المحسوسة لما كانت متناهية الاتساع فمن شانها ان تضيق عما يجعل فيها واوعية العلم معقوله وهي النفوس وقوة ادراك العلوم فيها غير متناهية وكل مرتبة من ادراكها تعد لما بعدها الى غير النهاية فالواجب ان يتسع بالعلم ويزيد بزيادته **وقال عليه السلم** اول عوض الحليم من حلمه ان الناس انصاره على الجاهل ويحتمل ان يريد من عدم حلمه اذ العوض يكون عن شيء فاته كالطيش ونحوه فهو في المضاف وفيه ترغيب في هذه الفضيلة بما يلزمه من نصرة الناس لصاحبها على الجاهل عند سفهه عليه **وقال عليه السلم** ان لم تكن حليما فتحلم فانه قل من تشبه بقوم الا اوشك ان يكون منهم امر بتعلم هذه الفضيلة فان مبادي الملكات الخلقية حالات مكتسبة عن التعلم ورغب في تعلمها بضمير صغراه قوله فانه قل الى آخره والضمير في انه ضمير الشان وتقدير الكبرى وكل من اوشك ان يكون من اهل الحلم بتعلمه له فواجب ان يتعلمه **وقال عليه السلم** كلمات احداها من حاسب نفسه ربح لان المحاسب لنفسه على اعمالها يعلم خسرانها من ربحها فيعمل للربح ويحترز من الترك المستلزم للخسران الثانية ومن غفل عنها خسر وذلك ان قربها من اللذات الحاضرة يستلزم ميلها اليها ما لم يجذب عنها بالجواذب الالهية من الزواجر والمواعظ المذكورة فالغفلة عن جذبها وتنبيهها من مراقد الطبيعة بتذكير وعد الله ووعيده يستلزم اهمالها للاعمال الصالحة التي يلزم منها ربح السعادة الاخروية والحصول على تركها ذلك هو الخسران المبين الثالثة ومن خاف من عقاب عمل الخلاص منه ليامن لحوقه الرابعة ومن اعتبر ابصر اي من نظر مواقع العبرة بعين الفكر والاعتبار ابصر الطريق الى الحق ومن ابصرها فهم العبور منها اليه ومن فهم ذلك حصل له العلم النافع **وقال عليه السلم** لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين الضروس الناقة سيئة الخلق تعض ليبقى لها ولدها وذلك لفرط شفقتها عليه واستعار لفظ الشماس للدنيا باعتبار امتناعها عليه عليه السلم منها ملاحظة لشبهها بالفرس الذي يمنع ظهره ان يركب وشبه عطفها بعد ذلك عليهم واعدادها التمكين من الحكم

فيها بعطف الضروس على ولدها ووجه الشبه شدة العطف والاستشهاد بالآية ظاهر **وقال عليه السلم** اتقوا الله تقية من شمر تجريدا وجد تشميرا واكمش في مهل وبادر عن وجل ونظر في كرة الموئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع اكمش اسرع والمهل الامهال والرجعة والموئل الملجا والمغبة العاقبة واراد اتقوا الله كتقية من شمر عن ساق الجد في طاعة الله وجرد نفسه لمرضاته تشميرا او بالاعمال الصالحة مادام في مهلة الحياة الدنيا وبادر مغفرته في وجل من ثمرات سيئاته وفكر في عوده الى الملجا الاول الذي بدا وهو حضرة الربوبية وكذلك عاقبة المصدر الذي عنه صدر في ابتداء كونه واليه يعود ومغبة المرجع من خير يحصل عليه او شر لعمل الخلاص منه **وقال عليه السلم** ثلث عشر كلمة احداها الجود حارس الاعراض واستعار لفظ الحارس باعتبار ان الجود يقي عرض صاحبه من السب كالحارس الثانية والحلم فدام السفيه والفدام ما يشد به الجوهر فمه واستعار لفظه باعتبار ان الحليم اذا قابل السفيه بحلمه عن عقوبته سكت عنه واقلع عن سفهه في حقه فاشبه الفدام له الثالثة والعفو زكاة الظفر استعار لفظ الزكاة للعفو باعتبار انه فضيلة تستلزم زيادة الثواب في الآخرة ولحظ في ذلك شبه الظفر بالمال الواجبة زكاته وهو ترغيب في العفو الرابعة والسلو عوضك ممن غدر وهو امر للانسان بالسلو عن الهم بسبب غدر من يطلب وفاءه ورغب فيه بكونه عوضا منه ونعم العوض الخامسة والاستشارة عين الهداية الاستشارة طلب اصلح الآراء في الامر وهي مستلزمة للهداية اليه وجعلها عينها تاكيدا لقوة استلزامها لها السادسة وقد خاطر من استغنى برايه اي اشرف على الهلاك من استبد برايه لان ذلك مظنة الخطاء المستلزم للهلاك وقد مر مثله السابعة والصبر يناضل الحدثان استعار لفظ المناضلة للصبر باعتبار دفعه الهلاك عن الجزع في المصائب الثامنة والجزع من اعوان الزمان بعد الهم والفناء والجزع يعد لذلك فكان معينا له التاسعة واشرف الغنى ترك المنى لان اشرف الغنى غنى النفس بالكمالات النفسانية من الحكمة ومكارم الاخلاق وهو مستلزم لترك المنى ولا يجوز اجتماعه مع المنى المستلزم للحمق اذ هو اشتغال النفس بما لا ينبغي عن ما ينبغي وللانغماس في محبة الدنيا مع كثير من الرذائل كالحرص والحسد والشره ونحوها فيلزم من ذلك اجتماع الضدين الفضيلة والرذيلة العاشرة وكم من عقل اسير عند هوى امير العقل اما ان يكون على قهر النفس الامارة بالسوء وهو فيها حسب ما يراه او يقاومها كالمصارع لها فمرة له ومرة عليه او يكون مقهورا مغلوبا لها والاول هو العقل المطيع لله القوي بامره ويلحقه الثاني من وجه واما الثالث فهو العاصي بانقياده لهواه فهو كالاسير وهو القسم في عالم الانسان لجنوحه اللذات الحسية دون العقلية فلذلك اخبر عنه بكم الخبرية الحادية عشر ومن التوفيق حفظ التجربة اي لزومها والتدبر بها لغاية الانتفاع بها وظاهر ان ذلك من توفيق الله اي تسهيله لاسبابها التوافقها في حق العبد الثانية عشر والمودة قرابة مستفادة لان القرابة اسم من القرب وهو اما ان يكون اصليا كقرب النسب او مستفادا مكتسبا كقرب الصداقة والمودة الثالثة عشر ولا تامنن ملولا لان الملول يصرفه ملاله عن الثبات على الصداقة والعهد وكان الستر ونحوهما فمن الحزم اذن ان لا يؤمن على شيء من ذلك **وقال عليه السلم** عجب المرء بنفسه احد حساد عقله استعار له لفظ الحاسد باعتبار انه يرتفع في منع العقل من ازدياد الفضيلة والاستكمال بها كما يوثر الحاسد بحسده في حال المحسود وتنقيصه **وقال عليه السلم** اغض على القذى والالم ترض ابدا الاغضاء على

القذى كناية عن كظم الغيظ واحتمال المكروه وهو فضيلة تحت الشجاعة ولما كانت طبيعة الدنيا مجبولة بالمكاره لم تخل
الانسان في اكثر احوال الزمن وورودها عليه فما لم يقابلها بالاحتمال بل بالتسخط والغضب والتبرم بها لم يزل ساخطا دائما
بغضبه لدوام ورود المكاره عليه وقال عليه السلام من لان عوده كثفت اغصانه استعار لفظ العود لطبيعته وكنى
بلينه عن التواضع وكذلك استعار لفظ الاغصان للاعوان والاتباع وكنى بكثافتها عن اجتماعهم عليه وكثرتهم
بهم والمراد ان من كانت له فضيلة التواضع ولين الجانب كثرت اعوانه واتباعه وقوي باجتماعهم عليه وقال عليه السلام
الخلاف يهدم الراي واصله ان راي الجماعة يجتمع على امر يكون المصلحة فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجمعوا
عليه ورأوه من المصلحة كما رأى عليه السلام هو وجماعة من اصحابه عند رفع اهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير ان تمام
القتال هو المصلحة فهدم ذلك الراي من خالف فيه من اصحابه حتى وقع بذلك ما وقع وقال عليه السلام من نال استطال اي
نال ما يوجب الاستطالة من جاه وسلطان او مال استطال بسبب ذلك اي كان في مظنة ان يستطيل على غيره بما ناله فاقام
ما بالفعل مقام ما بالقوة ويصدق بالفعل ايضا لان كلام الخطيب مطلق يصدق ولو مرة والكلمة تجري مجرى المثل وقال عليه السلام
في تقلب الاحوال علم جواهر الرجال اي تقلب احوال الدنيا على المرء كرفعته بعد الضعة وبالعكس وكثرة الشدائد به يفيد العلم
باحواله الباطنة من خير وشر وجلادة وضعف وفضيلة ورذيلة ونحوه ما قيل الولايات مضامير الرجال وقال عليه السلام
حسد الصديق من سقم المودة المودة الخالصة تستلزم ان يريد الانسان لمن يوده ما يريد لنفسه ويكره له ما يكرهه لها
ينافي ذلك لاستلزامه ارادة زوال الخير عن المحسود فمودة الحاسد اذن مدخولة غير صحيحة وهو المراد بسقمها وقال عليه السلام
اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع العقل من شانه الذي ينبغي له ان يقاوم النفس الامارة ويكسرها ويصرفها عن
اراداتها الى الصالحة ومن شان النفس مخادعة العقل وغروره بزينة الحياة الدنيا وقنياتها واطماعه بها فالعقول الضعيفة
غير المؤيدة من الله اكثر ما تنخدع وتنصرع في حربها للنفوس الامارة اذا لاح لها مطمع ومتمنى من الدنيا فاستعار لفظ
المصارع للعقول ملاحظة لقهرها عن النفوس وانفعالها فاشبهت في الذلة والانقياد لها وترك مقاومتها لمن انخذل
مصرعه من الحرب وكذلك استعار لفظ البروق لما لاح من تصور المطموع فيه وكثيرا ما تشبه العلوم والخواطر
الذهنية بالبروق للطفه وضيائه وسرعة حركته وانما قال تحت لان المصارع من شانها ان تكون تحت وقال عليه السلام
ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن اي من كان عندك ثقة معروفا بالامانة فحكمك عليه بالخيانة عن ظن خروج عن
العدل وهو رذيلة الجور وقال عليه السلام بئس الزاد الى المعاد العدوان على العباد لان الظلم رذيلة عظيمة متعدية الاذى يستلزم
الشقاء الاشقى فهو بئس الزاد اذن ولفظ الزاد مستعار باعتبار حمل هذه الرذيلة في جوهر النفس الى الآخرة كالزاد وقال
عليه السلام من اشرف افعال الكريم غفلته عما يعلم اي تغافله واغضاؤه عما يعلم من معايب الناس ومن هفواتهم لاستلزام
ذلك فضائل كاحتمال المكروه والحلم والعفو والصفح وكلها فضائل تلزم الكريم لا خير يد له امساك الانسان عن المبادرة الى
وطر الغضب فيمن يغضبه وبالستر بهذه الفضائل فهو من اشرف الافعال وقال عليه السلام من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه
استعار لفظ الثوب لما يشمل الانسان من الحياء ورشح بذكر الكسوة والمراد ان فضيلة الحياء تستلزم ترك المعايب فلا يرى

صاحبه

صاحبها وان ارتكب ما يعاب به من الرذائل على غاية من التستر والاجتهاد في اخفائه وهو مظنة ان لا يراه الناس وقال عليه السلام
بكثرة الصمت تكون الهيبة وبالنصفة يكثر الواصلون وبالافضال تعظم الاقدار وبالتواضع تتم النعمة وباحتمال المؤن يجب
السؤدد وبالسيرة العادلة يقهر المناوي وبالحلم عن السفيه تكثر الانصار عليه اشار عليه السلام الى سبع فضائل ورغب في كل
منها بما يستلزمه من الخير احداها كثرة الصمت ويلزمها كون الصامت مهابا في اعين الناس لان الصمت من توابع العقل غالبا
ومهابة اهل العقل ظاهرة فان عرف ان كثرة صمت الصامت عن عقل كانت مهابته اوكد وان لم تعرف حاله كانت لتجويز
ان يكون عن كمال عقله وقدره فانه لنقصان في غريزته وعيه في الكلام ويحترم مع ذلك لعدم اختلاطه في القول الثانية النصفة
وهي فضيلة العدل ورغب فيها بما يلزمها من كثرة الواصلين لان قلة الانصاف مستلزمة للفرقة وقطع الالفة كما قال ابو
الطيب ولم تزل قلة الانصاف قاطعة بين الرجال وان كانوا ذوي رحم الثالثة الافضال على الخلق بما يحتاجون اليه ويلزمه
علو الاقدار وعظمها لتعيين الحاجة الى المتفضل ومحبته الرابعة التواضع ويلزمه تمام النعمة بكثرة الاخوان واهل المودة
لان فضيلة التواضع نعمة وما يلزمها كالتمام لها الخامسة احتمال المؤن ويلزمه السؤدد لان احتمال مؤن الخلق يستلزم
فضيلة سعة الصدر واحتمال المكروه وبحسب ذلك تحصل مطالب الخلق من المحتمل عن ... من كده للقاء
برد ومنة ونحوها فيكثر تعبدهم له ويقوي امره وسؤدده فيهم السادسة السيرة العادلة ويلزمها قهر المناوي والمنازع
المعاداة وذلك ان العدو لا يجد لصاحب السيرة العادلة عيبا يستظهر به عليه ويسعى به في فساد امره فيبقى مقهورا تحت
مامورا السابعة الحلم عن السفيه ويلزمه كثرة الانصار عليه وقد سبق بيانه وقال عليه السلام العجب لغفلة الحساد عن سلامة
الاجساد لان الغالب ان الحسد انما يكون بالغنى والجاه وسائر قنيات الدنيا فترك الحساد الحسد بصحة الجسد مع كونها اكبر
الدنيا محل التعجب والفرق ان تلك نعم مشاهدة تقل الغفلة عنها وينفرد المحسود بها واكثر الترفع على الحاسد يكون بها اما
نعمة الصحة فمعقولة يكثر الغفلة عنها ومشتركة وقال عليه السلام الطامع في وثاق الذل استعار لفظ الوثاق للذل المقيد له
في طاعة المطموع فيه وقد مر مثله في قوله الطمع رق مؤبد وقال عليه السلام الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان
وعمل بالاركان وهي المساجد الخمسة واراد الايمان الكامل وقال عليه السلام من اصبح على الدنيا حزينا فقد اصبح لقضاء
الله ساخطا ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما اصبح يشكو ربه ومن اتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه ومن
قرأ القرآن فمات ودخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط منها بثلاث هم لا يغبه وحرص
لا يتركه وامل لا يدركه اشار الى خمس خصال نفر عن كل منها بما يلزمه من الشر احدها الحزن على فوت الدنيا ويلزمه سخط
العبد لقضاء الله لان فوت ذلك كان بقضائه وسخط قضائه كفر الثانية شكوى المصيبة يلزمها الشكوى من الله
لانه تعالى هو المبتلي بها الثالثة التواضع للغني باعتبار غناه يلزمه ذهاب ثلثي دين المتواضع لوجوه احدها ان مدار الدين
على كمال النفس الانسانية بالحكمة وكمال القوة الشهوية بالعفة وقوة الغضب بالشجاعة ولما كان التواضع للغني من جهة
غناه يستلزم زيادة محبة الدنيا والخروج عن فضيلة الشهوة الى طرف الفجور حتى كانه عابد لغير الله ويستلزم الخروج
عن الحكمة التي مقتضاها وضع كل شيء موضعه وهي فضيلة النفس الناطقة كان خارجا عن فضيلتي هاتين القوتين

وبما ثلثا الدين الثاني ان مدار الدين على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان ومن شان المتواضع للغني
لغناه اشغال لسانه بمدحه وشكره واشغال جوارحه بخدمته عن طاعة الله والقيام بشكره فهو مهمل لثلثي دينه
قيل ان التواضع للغني لغناه يستلزم حب الدنيا وحبها راس كل خطيئة فاستعمل عليه السلم لفظ الثلثين هنا في الاكثر
مجازا اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه الرابعة كون قراءة القران مع دخول النار مستلزمة لكون القاري ممن كان يتخذ
آيات الله هزوا وذلك ان قراءة القران لشيئا الاخلاص والعمل بمقتضاه يستلزم دخول الجنة فعدم دخولها ودخول النار
يستلزم عدم الاخلاص في قراءة القران وعدم العمل به فيكون في قراءته كالمستهزئ بآيات الله اذ شان المستهزئ
ان يقول ما لا يعتقده ولا يعمل به فاستعار له لفظ المستهزئ الخامسة ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط اي لصق
منها بثلثة ووجه لزوم الثلثة للحرص والولوع بها ان حبها يستلزم الجد في طلبها وجمعها ولما كان حصولها شروطا
مقدورة للعباد واسباب غير مقدورة والمقدورة منها قد لا تكون مقدورة للطالب وان كانت لكنها تكون متعسرة منه
لتوقفها على اسباب كثيرة او عسرة لاجرم يلزمه الحزن غالبا في تحصيلها والهم الذي لا يغبه اي لا ياتيه غبا وهو
لا يوم نعم ثم في حفظها وخوف فوتها والحرص على استخراجها من وجوهها وطول الامل في وجوه مكاسبها وارباحها
وتجاراتها وعماراتها ونبه على طوله بقوله لا يدركه وتفرعت منه بذلك وقال عليه السلم كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق
نعيما استعار لفظ الملك للقناعة لان غاية الملك الغناء عن الخلق والترفع عليهم بذلك ولا التدابير والقناعة
لهذه الغايات وكذلك استعار لفظ النعيم لحسن الخلق باعتبار استلزامهما للالتذاذ بهما وسئل عن قوله تعالى فلنحيينه
حيوة طيبة قال هي القناعة فسرها بلازمها وهو الحيوة الطيبة وقال عليه السلم شاركوا الذي قد اقبل عليه الرزق فانه
اخلق للغنى واجدر باقبال الحظ اخلق واجدر اي اولى ولما كان اقبال الرزق بتوافق اسبابه في حق من اقبل عليه
مشاركته مظنة اقبال حظ الشريك واقبال الرزق عليه بمشاركته ورغب فيها بضمير صغراه قوله فانه الى آخره
والضمير في قوله فانه يعود الى ما دل عليه شاركوا من المصدر وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك ففعله مصلحة وقال
عليه السلم في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان العدل الانصاف والاحسان التفضل وهو تعريف لفظ بلفظ اوضح منه عند السائل وقال عليه السلم
من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة وذلك اشارة الى قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله تعالى ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم واستعار لفظ اليد في الموضعين للنعمة والعطاء وكنى بالطول والقصر عن الكثرة والقلة
وقال عليه السلم لابنه الحسن عليهما السلم لا تدعون احدا الى مبارزة وان دعيت فاجب فان الداعي باغ والباغي مصروع
ونهى عن الدعوة الى المبارزة بقياس كامل من الشكل الاول هو قوله فان الداعي الى مصروع وبيانه ان الدعاء الى المبارزة
عن فضيلة الشجاعة الى طرف الافراط منها وهو التهور وهو بغي وعدوان لانه خروج عن فضيلة العدل في القوة الغضبية
واما ان الباغي مصروع ففي غالب الاحوال لاستعداده ببغيه لذلك لان المجازاة واجبة في الطبيعة وقال عليه السلم خيار خصال
النساء شرار خصال الرجال الزهو والجبن والبخل فاذا كانت المراة مزهوة لم تمكن من نفسها واذا كانت المراة بخيلة حفظت مالها
ومال بعلها واذا كانت المراة جبانة فرقت من كل شيء يعرض لها الاخلاق الثلثة المذكورة رذائل الرجال وهي فضائل النساء وبيان

فضايل النساء هو ما ذكره عليه السلم والمزهوة المتكبرة ولا يبنى الفعل من الزهو الا للمفعول به يقال زهي الرجل وزهت المراة
فهي مزهوة والفرق الخوف وقيل له عليه السلم صف لنا العاقل فقال هو الذي يضع الشيء مواضعه فقيل فصف لنا الجاهل
قال قد فعلت يعني عليه السلم ان الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكان ترك صفته صفة له اذ كان بخلاف
وصف العاقل عرف العاقل بخاصة من خواصه ولما كان الجاهل عديم ملكة العاقل كان تعريفه بما يقابل خاصة العاقل
تعريفا بالمناسب وهو خاصة ايضا من خواص الجاهل وقال عليه السلم والله لدنياكم هذه اهون عندي من عراق
خنزير في يد مجذوم عراق وهو جمع غريب كتوام وتوم وهو العظم يسحى عنه اللحم وذلك مبالغة في هون الدنيا
وحقارتها في عينه وتنزهه عنها لان العرق لا خير فيه فاذا اكد بكونه من خنزير ثم بكونه في يد مجذوم بلغت المنفرة
الغاية وقال عليه السلم ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان
قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الاحرار قسم عليه السلم عبادة العابدين بحسب اغراضها الى ثلثة وهي عبادة الرغبة
وعبادة الرهبة وعبادة الشكر وجعل الاولى عبادة التجار باعتبار انهم يستعيضون عنها ثواب الاخرة ويطلبون
بها فهم في حكم التجار المكتسبين للارباح والثانية عبادة العبيد في الدنيا لان خدمتهم لساداتهم اكثر ما يكون رهبة
والثالثة عبادة الشاكرين وهم الذين يعبدون الله لا لرغبة ولا لرهبة بل لانه هو مستحق العبادة وهي عبادة
واشار اليه عليه السلم في موضع آخر فقال الهي ما عبدتك خوفا من عقابك ولا طمعا في ثوابك ولكن وجدتك اهلا
للعبادة فعبدتك وقال عليه السلم المراة شر كلها وشر ما فيها انه لا بد منها واراد ان احوالها كلها شر على الرجل اما من جهة
مؤونتها فظاهر واما من جهة لذتها والاستمتاع بها فلاستلزام ذلك البعد عن الله تعالى والاشتغال عن طاعته
الشرور وان كانت عرضية ولما كان كونها لا بد منها اعني وجوب الحاجة اليها في طبيعة الوجود الدنيوي هو السبب في
حمل الرجل المراة ووقوعه في شرورها وجب ان يكون ذلك الاعتبار اقوى الشرور المتعلقة بها لان السبب اقوى من المسبب
وقال عليه السلم من اطاع التواني ضيع الحقوق ومن اطاع الواشي ضيع الصديق الانقياد في سلك التواني عن الحقوق
المطلوبة يخرجها عن وقت الفرصة لحصولها وذلك يستلزم تضييعها وتفويتها وكذلك الواشي مظنة السعي بالفساد
بين المتصادقين فطاعته فيما يقول مظنة وقوع الوحشة بينهما وتضييع كل منهما لصاحبه وقال عليه السلم الحجر
الغصب في الدار رهن على خرابها استعار لفظ الرهن للحجر المغصوب في دار الظالم باعتبار كونه سببا لخرابها كما ان الرهن
لاداء ما عليه من المال وهو كناية عن مطلق استلزام الظلم لهلاك الظالم وخراب ما يبنيه بظلمه وان تاخر مدة وقد
كون الظلم معدا لذلك ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله اتقوا الحرام في البنيان فانه اساس الخراب وقال عليه السلم يوم
المظلوم على الظالم اشد من يوم الظالم على المظلوم واراد بيوم المظلوم يوم القيمة وخصصه به لانه يوم انصافه واخذ
حقه وكذلك تخصيص يوم الظالم بوقت ظلمه لانه في الدنيا وقال عليه السلم اتق الله بعض التقى وان قل واجعل بينك
وبينه سترا وان رق امر بالتقوى لانها الزاد الى الله ولما كان الاستكثار منها مستلزما للقرب من الله وسرعة الوصول اليه
كان الاولى تكثيرها والا فالبعض منها وان قل لانها قابلة للازدياد والاكثرية والاشدية والاضعفية ولا يجوز ترك الزاد

في الطريق الصعبة الطويلة واستعار لفظ الستر لحدود الله الساترة من عذابه وامر ان يجعلها بينه وبين الله اي يحفظ حدوده
ولا يهتكها فيقع في مهاوي الهلاك ولفظ الستر يشعر بالمحافظة على حدود الله وعدم استيفاء المباحات لجواز
الوقوع في الحرام ورقته باستيفاء الامور الجايزة من المباحات والمكروهات وقال عليه السلم اذا ازدحم الجواب خفي
الصواب اي اذا سايل عن مسالة فاجاب جماعة كل بما يخطر له في المسئلة او تخص بعدة من الاجوبة خفي
الصواب فيها لالتباس الحق من تلك الاجوبة ولكن ما يكون ذلك في المسائل الاجتهادية وازدحامه كثرته وقال
عليه السلم ان لله في كل نعمة حقا فمن اداه زاده منها ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته حق الله في النعم
الواجب واما الستلزام اداه للمزيد منها وكون التقصير مظنة زوالها فلقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم الاية
ورغب في الشكر ونفر عن الكفران بذكر كون ذلك حقا لله وقد مر بيانه مرارا وقال عليه السلم اذا كثرت المقدرة قلت
لان قليل القدرة على ما تشتهيه لا يزال مستشعرا الخوف من فوته عند حصوله فيكون ذلك الخوف معاقبا للذته فلا
في قلبه دغدغة نفسانية تحمله على مشتهاه وتبعث شهوته عليه لما اذا تمت قدرته عليه فامنا من فوته وبحسب ذلك
يضعف الباعث للشهوة فيقل الحاجة عليه وشهوته له وقال عليه السلم احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود استعار
لفظ النفار والشرود لزوال النعم ملاحظة لشبهها بالنعم وحذر منه حثا على تقييدها بالشكر ونبه على وجوب ذلك
الحذر بقوله فما كل الى آخره وهو صغرى ضمير تقديرها الشارد جاز ان لا يرد وتقدير كبراه وكل ما جاز ان لا يرد
وقال عليه السلم الكرم اعطف من الرحم اي اشد عطفا ويفهم منه احد معنيين الاول ان الكريم يكون اعطف على
المنعم عليه من ذي الرحم على ذي رحمه لان عاطفة الكريم طبع وعاطفة ذي الرحم قد يكون تكلفا وقد لا يكون
والثاني ان الكرم يستلزم عاطفة الخلق على الكريم ومحبتهم له اشد من عاطفة ذي الرحم على رحمه وقال عليه السلم من
ظن بك خيرا فصدق ظنه اي افعل ما ظنه فيك من خير وتصديق الظن مطابقة الواقع الذي ظن وفي ذلك
حث على فعل الخير وقال عليه السلم افضل الاعمال ما اكرهت نفسك عليه اراد من الاعمال الصالحة وافضلها انفعها
واكثرها استلزاما للثواب وانما كان كذلك لان فايدة الاعمال الصالحة تطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة ورياضتها
بحيث تصير مؤتمرة للعقل واكراه النفس على الامر يكون لشدة فكلما كان اشد كان اقوى في رياضتها وانفع في تطويعها
وكسرها وبحسب ذلك يكون اكثر منفعة فكان افضل وبنحو من الحديث قوله صلى الله عليه وآله افضل الاعمال احمزها اي
اشقها وقال عليه السلم عرفت الله بحل العزايم ونقض العقود اراد معرفته بوجوده تعالى ووجه الاستدلال ان الانسان قد يعزم
على امر ويعقد ضميره على فعله بحسب ما يتصوره من المنفعة الداعية اليه ثم عن قريب يحل ذلك العزم وينقض ذلك العقد
لزوال ذلك الداعي او لخاطر معارض له اذا عرفت ذلك فنقول تلك التغيرات والخواطر المتعاقبة المرجحة لفعل الامر
المعزوم عليه امور ممكنة محتاجة في طرفي وجودها وعدمها الى المرجح والموثر فمرجحها ان كان من العبد كان الكلام فيه
كالكلام في الاول ولزم الدور او التسلسل وهما محالان فلا بد من الانتهاء الى الله تعالى مقلب القلوب والابصار وهو
هو المطلوب وقال عليه السلم مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة اي مستلزمة لها واستعار

الحلاوة

الحلاوة والمرارة للذة والالم وظاهر ان الم الدنيا اللازم عن ترك لذاتها وعدم الالتفات بها طلبا للآخرة وشوقا الى نعيمها
مستلزم لحلاوة الآخرة ولذاتها وكذلك الابتهاج بلذات الدنيا مستلزم الغفلة عن الآخرة وترك العمل لها وذلك
مستلزم لعذابها ومستعقب لشقاوتها وقال عليه السلم فرض الله الايمان تطهيرا من الشرك والصلاة تنزيها عن
الكبر والزكاة تسبيبا للرزق والصيام ابتلاء لاخلاص الخلق والحج تقوية للدين والجهاد عزا للاسلام والامر بالمعروف
مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقنا للدماء واقامة الحدود اعظاما
للمحارم وترك شرب الخمر تحصينا للعقل ومجانبة السرقة ايجابا للعفة وترك الزنا تحصينا للنسب وترك اللواط
تكثيرا للنسل والشهادات استظهارا على المجاحدات وترك الكذب تشريفا للصدق والسلام امانا من المخاوف والامامة نظاما
للامة والطاعة تعظيما للامامة اقول اشار عليه السلم الى فرايض الله تعالى ونبه على عللها الغايية في الحكمة لتكون اوقع في
النفوس وذكر منها تسع عشرة فريضة الاولى بدا بالايمان لانه الاصل لجميع الفرايض والسنن وجعل من اغراضه التطهير من
الشرك ولما كان التطهير من الشرك غاية مطلوبة للشارع هي كمال النفس بمعرفة الله تعالى كان التطهير غاية عرضية من الايمان
الثانية الصلاة ولما كان وضعها لتطويع النفس الامارة التي هي مبدا الكبر للنفس المطمئنة ورياضتها وقهرها لاجرم كان
من غاياتها تنزيه الانسان عن الكبر الثالثة الزكوة وذكر من غاياتها كونها سببا للرزق اذ كان منها رفع الفقر
ومن عظمها الشريعة حث الرابعة الصيام ولما كان من الشدايد الشاقة على الابدان خصه بان غايته كونه ابتلاء من الله
خلقه وان كانت هذه غاية من كل العبادات الخامسة الحج وانما جعل غايته كونه تقوية للدين لانه عبادة تشتمل
اكثر اهل الملة في مجمع واحد على غاية من الذلة والخضوع والانقياد لله وشاهد كل من الخلق الحاضرين لذلك الجمع العظيم
من الملوك وغيرهم فيتاكد في قلبه قوة الدين في عظمته دون ساير العبادات السادسة الجهاد وكون غايته عزا للاسلام
وتقوية ظاهر السابعة الامر بالمعروف وغايته اصلاح احوال العوام في معاشهم ومعادهم وخص العوام لانهم اغلب
الخلق ولانه من عدا هم هم العلماء والولاة الآمرون بالمعروف الفاعلون له الثامنة النهي عن المنكر وكون غايته ردع السفهاء
ظاهر لان السفيه ما لم يكن له رادع من سلطان الدين تمكن مفسدته المضادة لمصلحة العالم التاسعة صلة الارحام
غايتها كونها منماة للعدد اي سببا اولى في الحصر لزيادة عددهم باستقامة امر معاشهم وصلة الرحم سبب لذلك العاشرة
القصاص وغايته حقن الدماء والكف عن سفكها الخوف المكافاة كقوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وقولهم القتل انفى
للقتل الحادية عشرة اقامة حدود الله وغايتها اعظام حرمات محارم الله كي لا تنتهك ويتجرى الخلق عليها عن قصد السبيل فيضيع
غرض الشارع من وضع الدين الثانية عشرة ترك شرب الخمر وغايته تحصين العقل من خامر بها الواشتغالها لعلها خلق له من
طلب الاستكمال بكمال الحكمة الثالثة عشرة مجانبة السرقة وغايتها ايجاب العفة اذ السرقة تنشا عن كمال طاعة الشهوة
والعبور بها الى حد الافراط والفجور فكان من غايات تحريمها وقوف من طباعه ذلك على حد العفة الرابعة عشرة ترك الزنا
ومن غاياته حفظ الانساب وما يتبعها من المواريث فان الزنا يوجب اختلاط الانساب وضياع الاموال التي هي قوام
الخلق في الدنيا وقد سبق الخامسة عشرة ترك اللواط وغايته تكثير النسل وتوفير مادته على ما لها الغاية كثرة النوع وبقائه

عشر الشهادات وغايتها استظهار المستشهد على مجاحد خصمه كيلا يضيع حقه ولو لم يكن بينهما شاهد الثاني
عشر ترك الكذب ومن غاياته تشريف الصدق وتعظيمه بحرمه ضد لبناء مصلحة العالم عليه ونظام امور الخلق
به وقد سبق بيان مفاسد الكذب الموجبة لتحريمه الثالث عشر الاسلام ومن غاياته الامن من مخاوف الدنيا
لصولة الاسلام على سائر الاديان ومن مخاوف الآخرة وهو ظاهر وروى السلم ولما كان سبيا التودد الى الخلق كان امنا
من مخاوفهم الثامنة عشر الامامة وغاية فرضها كونها نظاما للامة لارشاد الخلق متى كان لهم رئيس منبسط اليد
قوي الشوكة يردع الظالم عن ظلمه وياخذ المظلوم بحقه كان بذلك صلاح احوالهم ونظام امورهم في معاشهم
ولا كذلك اذا لم يكن مثل ذلك الرئيس التاسعة عشر طاعة الامام وغاية فرضها تعظيم امامة الامام لغاية امتثال الخلق
لقوله والاقتداء به وقد سبقت الاشارة الى اسرار كثير من هذه الفرائض مفصلة وقال عليه السلم احلفوا الظالم اذا
اردتم يمينه بانه بريء من حول الله وقوته فانه اذا حلف بها كاذبا عوجل واذا حلف بالله الذي لا اله الا هو لم يعاجل
لانه قد وحد الله سبحانه قوله يرى المجتهد تاكيد اليمين بمثل ما ذكر عليه السلم لغاية تكول الكاذب عنها واداء الحق
لان نفس الكاذب تنفعل عن مثل هذا اللفظ لعلمه ببطلانه وقوته تصديق الله تعالى ومطابقته لقوله فتعجل المهلة
بر بخلاف اليمين المعتادة فيستعد بذلك لمعاجلة العقوبة وروي ان واشيا سعى بالصادق عليه السلم الى
المنصور فاستحضره وقال ان فلانا ذكر عنك كذا وكذا فقال عليه السلم لم يكن ذلك منى وان الساعي اكذب به فسله
تحلفه الصادق عليه السلم بالبراءة من حول الله وقوته ان كان كاذبا فحلف فما انقطع كلامه حتى اصيب بالفالج
فصار كقطعة لحم فجر برجله ونجا الصادق منه وقال عليه السلم يا ابن آدم كن وصي نفسك واعمل في مالك ما تؤثر
ان يعمل فيه من بعدك اي كما توصي من بعدك ان يصنع بمالك من وضع القربات واصطناع اهل الخير فكن انت ذلك الوصي في
تلك المواضع في حياتك وهو حث على بذل المال في وجهه وقال عليه السلم الحدة ضرب من الجنون لما كان الجنون حالة
مخصوصة تعرض للانسان بسبب خروج القوى النفسانية عن قبول تصرف العقل الى طرفي الافراط والتفريط كانت
الحدة خروج قوة الغضب عن ضبط العقل لها على قانون العدل الى طرف الافراط كانت قسما من الجنون وتنفصل الحدة عنه
بالرجوع في الغضب الى طاعة العقل وقال عليه السلم صحة الجسد من قلة الحسد اي ان الحسد قد يكون ايضا سببا للصحة كما
يكون غيرها وينفعل فيها وذلك هو الحسد البالغ فكانت صحة الجسد دليلا على قلة الحسد اذ لم يتعلق بها وقال
عليه السلم لكميل بن زياد النخعي يا كميل مر اهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه
الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا وخلق الله له من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى
تطردها عنه كما تطرد غريبة الابل الادلاج السير بالليل والنائبة المصيبة واراد ان ادخال السرور على قلب ذي الحاجة نفسا
يجعله الله سببا لطف به لقاضي الحاجة ويقيه بها من مصيبة تعرض له ويشبه ان يكون ذلك اللطف هو اخلاص ذي
الحاجة وتعلقه في امداده ومعونته بدعاء الله له وشكره وثنائه واستجلاب قلوب الخلق بذلك له وكل ذلك لطف يحفظ الله
له وطرد المصائب عنه وشبه جري ذلك اللطف الى دفع المكروه عنه بجري الماء في انحداره ووجه الشبه سرعة الاجتماع الدفع

لانه من امر الله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وذلك دفع ذلك اللطف للنائبة بطرد غريبة الابل ووجه الشبه شدة اللحوق
والابعاد ويأتي الفصل ظاهر وقال عليه السلم اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة والاملاق الفقر وقد مر ان الصدقة تجلب
المزيد من فضل فامر الفقراء ان يتصدقوا بما عساه يقع في ايديهم ولو بشق تمرة ليستعدوا بذلك لافاضة فضل الله
في ذلك بذكر التجارة وهي استعارة لاستفاضة ما يحصل عما يبذله الفقراء اولى باستجلاب الرزق بالصدقة من الاغنياء
لانفعال القلوب لهم ورقتها عليهم ولما يسبق الى اذهان الخلق ان ذلك منهم عن اخلاص دون الاغنياء وقال عليه السلم الوفاء
لاهل الغدر غدر عند الله تعالى والغدر باهل الغدر وفاء عند الله تعالى وذلك ان من عهد الله في دينه الغدر باهل الغدر وعدم
الوفاء لهم اذا غدروا لقوله تعالى وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ قيل نزلت
في يهود بني قينقاع وكان بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وآله عهد فعزموا على نقضه فاخبر الله تعالى بذلك لئلا
يجزيهم ومجازاتهم بنقض عهدهم فكان الوفاء لهم غدرا بعهد الله والغدر بهم اذا غدروا وفاء بعهد الله قال السيد
رحمه الله فصل نذكر فيه شيئا من اختيار غريب كلامه عليه السلم المحتاج الى التفسير في حديثه عليه السلم فاذا كان
ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه فيجتمعون اليه كما يجتمع قزع الخريف قال السيد يعسوب الدين السيد العظيم المالك لامور
الناس يومئذ والقزع قطع الغيم التي لا ماء فيها واقول اوحى بقوله ذلك الى علامات ذكرها في آخر الزمان لظهور صاحب
الامر واستعار له لفظ اليعسوب وهو في الاصل امير النحل ملاحظة لشبهه به فاما ضربه بذنبه فقيل فيه اقوال احدها
ان الضرب هو السير في الارض وذنبه استعارة في اعوانه واتباعه والباء للاستصحاب الثاني لما كان ضرب النحل بذنبه
لسعه كنى بذلك عن نصب سيوفه وسهامه في اعدائه لقتلهم وادامه الثالث انه كناية عن ثورانه وغضبه لله
ملاحظة لتشبيه بالسبع حال صولته وغضبه وهذا الوجه اشبه الثلاثة وشبه اجتماع المؤمنين واهل طاعته
باجتماع لان قزع الخريف سريع التألف وفي حديثه عليه السلم هذا الخطيب الشحشح قال السيد يريد الماهر بالخطبة
الماضي فيها وكل ماض في كلام وسير فهو شحشح والشحشح في غير هذا الموضع البخيل الممسك يروى انه رأى خطيبا يخطب فقال
ما هذا الخطيب الشحشح اي الماهر في خطبته وفي حديثه عليه السلم ان للخصومة قحما قال السيد يريد بالقحم المهالك لانها تقحم
باصحابها في المهالك والمتالف في الاكثر ومن ذلك قحمة الاعراب وهو ان تصيبهم السنة فتتعرق اموالهم فذلك تقحمها فيهم وقد
قيل فيه وجه آخر وهو انها تقحمهم بلاد الريف اي تحوجهم الى دخول بلاد الحضر عند محول البدو واقول يروى انه عليه السلم وكل
اخاه في خصومة وقال ان لها قحما وان الشيطان يحضرها والقحم المهالك وذلك انها مظنة ثوران القوة الغضبية والخروج
عن حد العدل فيها الى رذيلة الافراط التي هي مظنة الهلاك وفي حديثه عليه السلم فاذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة
اولى ويروى نص الحقائق قال السيد النص منتهى الاشياء ومبلغ اقصاها كالنص في السير لانه اقصى ما تقدر عليه الدابة
ويقول نصصت الرجل عن الامر اذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فنص الحقاق يريد به الادراك لانه منتهى
الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير الى حد الكبير وهو من افصح الكنايات عن هذا الامر واغربها يقول فاذا بلغ النساء
ذلك فالعصبة اولى بالمرأة من امها اذا كانوا محرما مثل الاخوة والاعمام وبتزويجها ان ارادوا ذلك والحقاق محاقة الام

قطع الغيم المتفرقة ووجه الشبه سرعة الاجتماع

وقال ع

للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد للآخر انا احق منك بهذا ويقال منه حاققته حقاقا مثل
جادلته جدالا وقد قيل ان نص الحقاق بلوغ العقل وهو الادراك لانه عليه السلم انما اراد منتهى الامر الذي تجب به الحقوق
والاحكام ومن رواه نص الحقائق فانما اراد جمع حقيقة هذا معنى ما ذكره ابو عبيد القسم بن سلام والذي عندي
ان المراد بنص الحقاق ههنا بلوغ المرأة الى الحد الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها تشبيها بالحقاق من الابل
وهي جمع حقة وحق وهو الذي استكمل ثلث سنين ودخل في الرابعة وعند ذلك يبلغ الى الحد الذي يتمكن
فيه من ركوب ظهره ونصه في سيره والحقائق ايضا جمع حقة والروايتان جميعا ترجعان الى معنى واحد وهذا اشبه بطريقة
العرب من المعنى المذكور اولا. اقول الذي ذكره السيد انسب الى كلام العرب كما قال غير ان نص الحقاق استعارة
لا تشبيه وان كانت الاستعارة تعتمد التشبيه والعصبة بنو الرجل وقرابته لابيه سموا بذلك لانهم عصبوا به
عليه. وقيل يحتمل ان يراد بالنص الارتفاع يقال نصت الظبية رأسها اذا رفعته ومنه منصة العروس لارتفاعها
عليها ويكون قد استعار لفظ الحقاق لاثداء الصغيرة اذا نهدت وارتفعت لشبهها بالحقة صورة اي اذا بلغن حد
ارتفاع ثدييهن كانت العصبة اولى بهن من الام الا انه وقت ادراكهن وعلامة صلاحيتهن للتزويج. وفي حديثه
ان الايمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الايمان ازدادت اللمظة. قال السيد اللمظة مثل النكتة او نحوها
من البياض ومنه قيل فرس المظ اذا كان بجحفلته شيء من البياض. اقول اراد ان الايمان وهو التصديق بوجود الصانع
تعالى اول ما يكون في النفس يكون ضعيفا ثم لا يزال يتأكد بالبراهين والاعمال الصالحة الى ان يصير ملكة تامة ولفظ اللمظة استعارة
لما يبدو من نور الايمان في النفس اولا لكونه ملاحظة لشبهه باللمظة من البياض والنكتة من نور الشمس ونصب لمظة على الحال
والجحفلة. وقال وفي حديثه عليه السلم ان الرجل اذا كان له الدين الظنون يجب عليه ان يزكيه لما مضى اذا قبضه
قال السيد فالظنون هو الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه ام لا فكانه الذي يظن به فمرة يرجوه
وتارة لا يرجوه وهذا من افصح الكلام وكذلك كل امر تطلبه ولا تدري على اي شيء انت منه فهو ظنون وعلى
ذلك قول الاعشى ما يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر. مثل الفراتي اذا ما طما يقذف بالبوصي
والماهر. فالجد البئر والظنون التي لا يعلم أفيها ماء ام لا. قيل يقول عليه السلم اذا كان لك مثلا عشرة دنانير
على رجل وقد اخذها منك ووضعها كما هي من غير تصرف فيها وانت تظن ان استرددتها منه ردها اليك فاذا
مضى عليها احد عشر شهرا واستهل هلال الثاني عشر وجبت زكوتها عليك. واللجب في قول الاعشى هو السحاب
ذو الرعد واراد بالفراتي الفرات والياء للتاكيد كقولهم والدهر بالانسان دواري اي دوار ويحتمل ان يريد النهر الفراتي
والبوصي ضرب من صغار السفن والماهر السابح ومراده انه لا يقاس البئر الذي يشك هل فيه ماء ام لا بالنهر الفرات
اذا ما طما وهو كالمثل لعدم مساواة البخيل الكريم. وفي حديثه عليه السلم انه شيع جيشا يغزيه فقال اعزبوا عن النساء ما استطعتم
قال السيد ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن وامتنعوا من المقاربة لهن لان ذلك يفت في عضد
الحمية ويقدح في معاقد العزيمة ويكسر عن العدو ويلفت عن الابعاد في الغزو وكل من امتنع عن شيء فقد عزب عنه

والعروب الممتنع من الاكل والشرب قوله يفت في عضد الحمية كناية عن كسرها. وفي حديثه عليه السلم كالياسر الفالج
ينتظر اول فوزة من قداحه. قال السيد الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور والفالج القاهر
الغالب يقال قد فلج عليهم وفلجهم قال الراجز لما رأيت فالجا قد فلجا. اقول قد مر شرحه في قوله اما بعد فان الامر ينزل
من السماء الى الارض كقطر المطر. وفي حديثه عليه السلم كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله
فلم يكن احد منا اقرب الى العدو منه. قال السيد ومعنى ذلك انه اذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب
فزع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه فينزل الله تعالى النصر عليهم به ويأمنون مما كانوا يخافونه
بمكانه. وقوله عليه السلم اذا احمر البأس كناية عن اشتداد الامر وقد قيل في ذلك اقوال احسنها انه شبه حمي الحرب بالنار
التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها ومما يقوي ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين
وهو حرب هوازن الآن حمي الوطيس والوطيس مستوقد النار فشبه صلى الله عليه وآله ما استحر من جلاد القوم باحتدام
النار وشدة التهابها. اقول استعار لفظ احمرار البأس لشدته ملاحظة لشبهه بالنار الموقدة وقد مر مثل ذلك في
بعض كتبه عليه السلم. وقال عليه السلم لما بلغه اغارة اصحاب معوية على الانبار فخرج بنفسه ماشيا حتى اتى النخيلة فادركه
الناس وقالوا يا امير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال عليه السلم والله ما تكفونني انفسكم فكيف تكفونني غيركم ان كانت الرعايا
قبلي لتشكو حيف رعاتها فانني اليوم لاشكو حيف رعيتي كانني المقود وهم القادة او الموزوع وهم الوزعة فلما قال هذا القول
في كلام طويل قد ذكرنا مختاره في جملة الخطب تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا
بامرك يا امير المؤمنين ننفذ له فقال واين تقعان مما اريد. اقول هذا الفصل قد مر شرحه في الخطب. وقيل ان الحارث بن
حوط اتاه عليه السلم فقال اتراني اظن اصحاب الجمل كانوا على ضلالة فقال عليه السلم يا حارث انك نظرت تحتك ولم تنظر
فوقك فحرت انك لم تعرف الحق فتعرف اهله ولم تعرف الباطل فتعرف اهله فقال الحارث فاني اعتزل
مع سعد بن مالك وعبد الله بن عمر فقال عليه السلم ان سعدا وعبد الله لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل. قوله اتراني استفهام
انكار لرؤيته كذلك ودم حارث. وقيل في قوله انك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك اي نظرت في اعمال الناكثين من اهل
الجمل المتمسكين بظاهر الاسلام الذين هم دونك في المرتبة لبغيهم على امام الحق فاغتررت بشبهتهم واقتديت بهم ولم
تنظر الى من هو فوقك وهو امامك الواجب الطاعة ومن معه من المهاجرين والانصار ولا سمعت حكمهم بكون خصومهم
على الباطل وكان ذلك سبب حيرتك. ويحتمل ان يكون نظره تحته كناية عن نظره الى باطل هؤلاء وشبهتهم المكتسبة عن
محبة الدنيا التي هي الجهة السافلة ونظره فوقه كناية عن نظره الى الحق وتلقيه من الله. وقوله انك الى آخره تفصيل لسبب حيرته
وهو عدم معرفته الحق والباطل المستلزم لجهله باهلهما ولو عرفهما لجزم باتباع الحق واجتناب الباطل وهو في قوة صغرى ضمير
تقدير كبراه وكل من كان كذلك وقع في الحيرة والضلال. وسعد بن مالك هو سعد بن ابي وقاص فانه لما قتل عثمن اشترى
اغناما وانتقل الى البادية وكان يعيش بتلك الاغنام حتى مات ولم يشهد بيعة علي عليه السلم واما عبد الله بن عمر فانه
الى اخته حفصة زوجة النبي صلى الله عليه وآله بعد ما بايع لامير المؤمنين ولكنه لم يشهد معه حرب الجمل وقال قد لحق بي

من الفروسية والمحاربة فلست مع علي ولا مع اعدائه فاما قوله في جوابه ان سعدا الى آخره فهو صغرى ضمير نبه به على انه
لا يجوز له متابعتهما في الاعتزال وهي من المخيلات المنفرة التي في صورة الذم وان كانت صادقة وتقدير الكبرى وكل
من كان كذلك فلا يجوز متابعته وقال عليه السلم صاحب السلطان كراكب الاسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه اي
يتمنى موقعه وهو يعلم انه في غاية من المخاطرة بالنفس والتغرير بها وذلك هو وجه الشبه براكب الاسد وقال عليه السلم
احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم العقب من يخلفه الانسان من الولد وولد الولد وانما كان كذلك لان المجازاة جبلة
في الطبيعة ولان الذكر الجميل بذلك يعطف الناس على عقب المحسن من بعده وقال عليه السلم ان كلام الحكماء اذا كان صوابا
كان دواء واذا كان خطاء كان داء وذلك لقوة اعتقاد الخلق فيهم وشدة قبولهم لما يقولونه فان كان حقا كان دواء من الجهل
وان كان باطلا اوجب للخلق داء الجهل ولذلك قيل زلة العالم زلة العالم وسأله رجل ان يعرفه ما الايمان فقال اذا كان
غد فاتني حتى اخبرك على اسماع الناس فان نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك فان الكلام كالشاردة ينقفها هذا
ويخطيها هذا وقد ذكرنا ما اجابه عليه السلم فيما تقدم من هذا الباب وهو قوله عليه السلم الايمان على اربع شعب
تشبيه الكلام بالشاردة من الابل قوله ينقفها اي يجدها في ضلالها الى آخره والفصل ظاهر وقال عليه السلم يا ابن آدم
لا تحمل هم يومك الذي لم ياتك على الذي قد اتاك فانه ان يكن من عمرك يات الله فيه برزقك اي ينبغي ان يكون الاهتمام
بحاجة كل يوم مخصوصا بذلك اليوم والكلمة صغرى ضمير نبه بها على ترك الاهتمام بما لم يات من الايام وتقدير
الكبرى وكل ما كان كذلك فلا ينبغي الاهتمام له وقال عليه السلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما فلذة هذه الكلمة الامر بالاعتدال في المحبة والبغض وعدم
الافراط فيهما لما في الافراط من المفسدة والهون السكينة والوقار وهو صفة مصدر محذوف اي
حبا هينا معتدلا وما في الموضعين تفيد شياعا في الهون واليوم وان الغرض منه مقدار دون الافراط ووقت من
الاوقات وان لم يكن معينا ونبه على سر ذلك بقوله عسى في الموضعين وهما صغريا ضميرين اما مفسدة افراط المحبة
فلاستلزامه اطلاع المحب لمحبوبه على اسراره وتوقيفه على احواله فربما ينقلب بعد ذلك عدوا فيكون اقدر على اهلاكه
من غيره من الاعداء وكذلك مفسدة افراط البغض وهو عدم الابقاء على المبغوض وذلك يستلزم دوام العداوة فلا
في ذلك اولى لانه ربما عاد العدو الى الصداقة فكان المبغض قد ابقى للصداقة موضعا وتقدير كبرى الاول وكل حبيب جاز ان
يكون عدوا في وقت ما فينبغي ان لا يفرط في محبته وتقدير كبرى الثاني وكل عدو جاز ان يكون صديقا يوما ما فينبغي ان
لا يفرط في بغضه وقال عليه السلم الناس في الدنيا عاملان عامل في الدنيا للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى
على من يخلف الفقر ويامنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا
بغير عمل فاحرز الحظين معا وملك الدارين جميعا فاصبح وجيها عند الله لا يسأل الله شيئا فيمنعه لما كان العمل في
الحياة لابد منه فعمل العاقل اما لها او لغيرها وغيرها هو الآخرة فان الناس عاملان واشار الى الاول في معرض ذمه بقوله قد
شغلته دنياه الى قوله غيره ومعنى ذلك انه يشتغل بتحصيل الدنيا خوف الفقر على ولده من بعده فيفني عمره في منفعة

غيره

غيره ولا يخشى الفقر الاكبر في الآخرة من الخزانات الباقية على نفسه وذلك ضلال مبين واشار الى الثاني في معرض مدحه بقوله
وعامل الى قوله فجاءه الذي له من الدنيا اي المكتوب له في اللوح المحفوظ من رزق ونحوه وقوله بغير عمل اي للدنيا لان العمل
بقدر الضرورة من الدنيا ليس من العمل لها بل للآخرة وهو مقصود من الدنيا بالعرض وبذلك يحرز حظيه من الدنيا و
الآخرة ويكون في الدنيا ملكا بقناعته وفي الآخرة بثمرة اعماله وجاهه عند الله وعلو منزلته لاستعداده بطاعته المستلزم
لقبول دعوته واجابتها فيما سأل وروي انه ذكر عند عمر بن الخطاب في ايامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت
به جيوش المسلمين كان اعظم للاجر وما تصنع الكعبة بالحلي فهم عمر بذلك وسأل عنه امير المؤمنين عليه السلم فقال ان القرآن
انزل على النبي صلى الله عليه وآله والاموال اربعة اموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض والفيء فقسمه على مستحقيه
والخمس فوضعه الله حيث وضعه والصدقات فجعلها حيث جعلها وكان حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله
ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فاقره حيث اقره الله ورسوله فقال عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلي بحاله القصة مشهورة
وخلاصة حجته عليه السلم ضمير اشار الى صغراه وتقديرها ان حلي الكعبة قد اقره الله على حاله ورسوله من غير نسيان
له ولا جهل بمكانه مع تعرضه بجميع الاموال وتقدير الكبرى وكل ما اقره الله ورسوله على حاله وجب الاقتداء بهما في اقراره
ولذلك امر بصورة النتيجة وهو قوله فاقره حيث اقره الله ورسوله ونسيانا نصب على الحال ومكانا على التمييز
وروي انه عليه السلم دفع اليه رجلان سرقا من مال الله احدهما عبد من مال الله والآخر من عروض الناس فقال عليه
السلم اما هذا فهو من مال الله فلا حد عليه مال الله اكل بعضه بعضا واما الآخر فعليه الحد فقطع يده عرض الناس سائرهم وعامتهم
واحتج للعبد بضمير صغراه قوله فهو مال الله اكل بعضه بعضا وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا قطع عليه واما المقطوع
فانه قد كان سرق نصابا من مال الغنيمة من حرز ولم يكن له نصيب منها واما لانه كان له نصيب فان كان المسروق
فوق نصيبه نصابا قطع والا فلا وقال عليه السلم لو استوت قدماي في هذه المداحض لغيرت اشياء المداحض المزالق
واستواء قدميه كناية عن ثباته وتمكنه من اجراء الاحكام الشرعية على وجوهها في المسائل الاجتهادية المشكلة التي
يخفى حكم الشرع فيها على غيره وذلك انه في خلافته لم يتمكن من تغيير شيء من احكام الخلفاء قبله وكان له في بعضها رأي
غير ما راوه واستعار لتلك المسائل لفظ المداحض باعتبار انها مزال اقدام العقول ومزالقها واومى بقوله لغيرت
اشياء الى ما كان يرى فساده من احكام غيره في تلك المسائل وان اقدام عقولهم قد زلت فيها عن سواء الصراط
وقال عليه السلم اعلموا علما يقينا ان الله لم يجعل للعبد وان عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته اكثر مما سمي له
في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين ان يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم والعارف لهذا العامل
به اعظم الناس راحة في منفعة والتارك له الشاك فيه اعظم الناس شغلا في مضرة ورب منعم عليه مستدرج
بالنعمى ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى فزد ايها المستمع في شكرك وقصر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك
وفي هذا الفصل لطائف لما قام البرهان على ان ما علم الله تعالى وجوده فهو واجب الوقوع وما علم عدمه فهو ممتنع
الوقوع لا جرم لم يكن لكل من القوي والضعيف من الرزق ونحوه الا ما علم الله تعالى وصوله اليه بقلم القضاء الالهي في اللوح

الحكيم واللوح المحفوظ ولم يبلغ عظيم الحيلة قوي المكيدة بحيلته اكثر مما سمي له ولا اقصر الضعيف بضعفه عن بلوغ ما سمي
له ولاجل ثبوت ذلك بالبرهان امرهم بتيقنه ورغبهم في علمه والعمل به بضمير صغراه قوله والعارف الى قوله في منفعة
اثار احته فلعلمه انما كتب له لا بد ان يصل اليه فترك لذلك شدة الاهتمام به والكدح له وبذلك كانت راحته قليلة وبدنه
كانت اعظم الراحات ولما كانت مع منفعة بما يصل اليه تاكد شرفها وكذلك تعرض الشك في ذلك وترك العمل به
بقوله والتارك لهذا الشاك فيه الى آخره وهو ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي له الشك فيه وتركه انما
كان اعظم الناس شغلا لانه شغل قلبه وبدنه فيما لا فائدة فيه فتلزمه مضرة خالصة فان قلت فهذا ينافي الامر بالكد
وبالسعي في طلب الرزق كقوله تعالى فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ونحوه قلت قد بينا انه لا ينافي وذكرنا
الدعاء وفائدته وحاصله انه قد يكون الدعاء سببا لوجود الرزق فيعلم الله تعالى وجوده بواسطة سببه ولا ينافي حينئذ
الثانية نبه اهل النعمة والغنى واهل الابتلاء على وجوب شكر الله تعالى على حاليهما اما اهل النعمة فنبههم بان نعمتهم قد
استدراجا لهم ليشكروا الله عليها كيلا يستدرجهم بها واما اهل البلوى فنبههم بان بلواهم قد تكون صنعا من الله في
حقهم ليعدهم بها للثواب الجزيل فيجب عليهم شكر ذلك الصنع والمقدمتان صغريا ضميرين تقدير الاولى منهما انعم
عليه مستدرج بالنعمى وتقدير الكبرى وكل مستدرج بالنعمى يجب عليه ان يحترز بشكر نعمة الله عليه من الاستدراج
بها وكذلك تقدير الثانية وبعض المبتلى مصنوع له بالبلوى وتقدير الكبرى وكل مصنوع اليه فيجب عليه شكر
صنع الله في حقه ولذلك امر المستمعين مطلقا بزيادة الشكر مع ان فيهم المنعم عليه والمبتلى وامر بالتقصير عن العجلة
في طلب الرزق والوقوف دون حد الافراط فيه على حد العدل • وقال لا تجعلوا علمكم جهلا ويقينكم شكا اذا علمتم
فاعملوا واذا تيقنتم فاقدموا نهاهم ان يجعلوا علمهم بما امروا عليه من احوال الآخرة جهلا اي في قوة الجهل ويقينهم شكا
اي في قوة الشك ومن لتلزمهم العمل على وفق ما علموه وتيقنوه ولذلك امرهم بالعمل على وفق علمهم والاقدام على وفق
ويقينهم وقال عليه السلام ان الطمع مورد غير مصدر وضامن غير وفي وربما شرق شارب الماء قبل ريه وكلما عظم
قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده والاماني تعمي اعين البصائر والحظ ياتي من لا ياتيه نفر عن الطمع في الدنيا
والحرص في طلبها وتمنيها واقتنائها بوجوه الاول ضمير صغراه قوله ان الطمع الى قوله وفي اي مورد الطامع الموارد المهلكة ولا
عنها واستعار له لفظ الضامن غير الوفي باعتبار انه يرغب في الطلب ويدعو اليه مع انه قد يكون كاذبا لا يضمن شيئا وعلق
وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يتبع ويوثق به الثاني قوله وربما الى قوله ريه وهو تنبيه على انه لا يجوز الاسترسال
في طلب الدنيا بضمير كنى عن صغراه بذلك وتقديرها ان المسترسل في طلبها قد يخترم ويقتطع دون بلوغ امله فيها او
الكبرى وكل من كذلك فلا ينبغي له الاسترسال في طلبها الثالث نفر عن المنافسة فيما عظم قدره من متاعها بضمير صغراه
قوله وكلما الى قوله لفقده والرزية المصيبة وتقدير الكبرى وكل ما عظمت الرزية لفقده فلا ينبغي اقتناؤه اذ كان من
ضرورته فقده وقد سلف الرابع نفر عن الاماني بضمير صغراه قوله والاماني تعمي اعين البصائر وذلك انها تشغل الفكر بما لا
عن طلب ما يعني من الكمالات العقلية واستعار لفظ الاعين للافكار باعتبار ادراكهما وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك

اجتنابه الخامس نبه على ترك طلب الحظ من الدنيا بقوله والحظ ياتي من لا ياتيه اي الحظ لمن كان له حظ يصل اليه وان لم يسع في طلبه
وهو في قوة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فلا حاجة الى طلبه واتيانه وقال عليه السلام اللهم اني اعوذ بك ان تحسن
في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما ابطن لك سريرتي محافظا على رياء الناس من نفسي بجميع ما انت مطلع عليه مني فابدي
للناس حسن ظاهري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى عبادك وتباعدا من مرضاتك استعاذ بالله ان يجمع
له حسن الظاهر في عيون الناس مع قبح باطنه عند الله بالرياء والتصنع بالزهادة والعبادة الظاهرة لغاية طلب
ولامعة العيون اضافة للصفة الى الموصوف اي العيون اللامعة ومحافظا حال وتقربا وتباعدا مصدران سد كل مسد
ويحتمل نصبهما على المفعول له وقال عليه السلام لا والذي امسينا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم اغر ما كان كذا وكذا اقسم
ببقاياه والدهماء السوداء والتكشر التبسم بحيث تبدو الاسنان والاغر الواضح ولفظ التكشير مستعار لليلة عن اسفارها عن
ضوء يومها فهي كالضاحكة واليمين في غاية الفصاحة وعن مثلها ينفعل الحالف والسامع وقال عليه السلام قليل تدوم عليه
ارجى من كثير مملول وادمن الاعمال فان القليل الدائم اكثر من الكثير المملول المنقطع واقوى اعدادا للنفس وكان انفع في
الآخرة وقال عليه السلام اذا اضرت النوافل بالفرائض فارفضوها اي اذا اخلت ببعض شرائط الفرائض وجب تركها وقد مر
شروحها وقال عليه السلام من تذكر بعد السفر استعد واراد ان المتذكر لبعد طريق الآخرة يلزمه الاستعداد لها بالتقوى وقال
عليه السلام ليست الروية مع الابصار وقد تكذب العيون اهلها ولا يغش العقل من استنصحه نبه على وجوب اعمال الفكر فيما
وان العقل هو مستند الحواس وهو الناقد البصير والناصح الشفيق الذي لا يغش من استنصحه واستعار لفظ الاستنصاح
لاعماله بصدق وتوجيهه الى استخراج الآراء الصالحة ولفظ الغش لكذبه اي لا يكذب من استنصحه وجعله دليلا على ان الروية
فقد تكذب اهلها واعلم ان البصر وغيره من الحواس الظاهرة لا حكم له وانما الحكم ببعض المحسوسات على بعض يحكم العقل او
الخيال او الوهم وكما عرض في تلك الاحكام من الغلط فهو من اغلاط الوهم على ما بين في موضعه وحينئذ يكون قوله وقد تكذب
العيون اهلها اي قد تكذب الاحكام الوهمية على مدركات العيون كالحكم بكون القطرة النازلة خطا مستقيما والشعلة
مدار بسرعة كالدائرة ونحوه وقال عليه السلام بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة استعار لفظ الحجاب لما يعرض للنفوس
من الهيئات البدنية المغفلة عن النظر في العبر وقبول الموعظة والانتفاع بها وقال عليه السلام جاهلكم مزداد اي من الاثم
اي بالتوبة وقال عليه السلام قطع العلم عذر المتعللين اي العلم بالدين وما بلغه الرسول صلى الله عليه وآله من التكاليف و
فان ذلك قاطع لعذر من عساه يقول انا كنا عن هذا غافلين كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين الآية وقال عليه السلام
كل معاجل يسال الانظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف وهو توبيخ على ترك العمل الصالح للعاجل والمؤجل وقال عليه السلام
ما قال الناس لشيء طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سوء اي ما استحسن الناس شيئا من الدنيا الا وفي قوة الدهر اعداد
واهلاكه يوما ما ولا بد من خروج ما فيه بالقوة الى الفعل وقال عليه السلام وقد سئل عن القدر طريق مظلم فلا تسلكوه
وبحر عميق فلا تلجوه وسر الله فلا تتكلفوه وقال عليه السلام السؤال عن ماهية القدر وكيفية وقوع الافعال بحسبه
المسألة من مسائل العلم الالهي وفيها خبط عظيم من الحكماء والمتكلمين وقد نبهنا على ما هو الحق فيها فيما سبق

ولصعوبتها كان الخوض فيهما مظنة الضلال والتيه في بحر لا ساحل له فلذلك نهى عليه السلم عن الخوض فيهما باعتبار ما عنا احدها
انها طريق مظلم وتقدير الكبرى وكل طريق مظلم فلا يجوز سلوكه ونتيجة قوله لا تسلكوه واستعار لفظ المظلم لها باعتبار كونه
كثير الشبهات لا يهتدي فيه للحق الثاني انه بحر عميق واستعار لفظ البحر بصفة العمق له باعتبار غرق الافكار فيه وتقدير
كبراه وكل بحر فلا يجوز ولوجه ونتيجة قوله فلا تلجوه الثالث انه سر الله اي سر الله قد احتجبه ومنع من الخوض فيه وتقدير
كبراه وكل ما كان كذلك فلا يجوز تكلف الخوض فيه وهتكه وفي معناه كل غامض من غوامض العلم لا يجوز كشفه الا للاولياء
والافراد العلماء فهو من اسرار الله **وقال عليه السلم** اذا ارذل الله عبدا حظر عليه العلم باعداده لتيسير وتعويق اسبابه بحيث
ينصرف عنه فلا يكون له استعداده وظاهر ان الجهل من اشد الرذايل واصعبها داء وهو طرف التفريط من فضيلة العلم
والادب كما سبقت الاشارة اليه غير مرة **وقال عليه السلم** كان لي فيما مضى اخ في الله وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في
عينه وكان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد وكان اكثر دهره صامتا فان قال بذ
القائلين ونقع غليل السائلين وكان ضعيفا مستضعفا فان جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد لا يدلي بحجة حتى يأتي
قاضيا وكان لا يلوم احدا على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره وكان لا يشكو وجعا الا عند برئه وكان يفعل
ما يقول ولا يقول ما لا يفعل وكان ان غلب على الكلام لم يغلب على السكوت وكان على ان يسمع احرص منه على ان يتكلم
وكان اذا بدهه امران نظر الى ايهما اقرب الى الهوى فخالفه فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها فان لم تستطيعوها
فاعلموا ان اخذ القليل خير من ترك الكثير اقول هذا الفصل ابن المقفع في ادبه ونسبه الى الحسن بن علي عليهما السلم
وبذ غلب ونقع الغليل سكن العطش وادلى بحجته ارسلها واحتج بها وبدهه الامر اتاه من غير تأهب له والمشار اليه قيل هو
ابو ذر الغفاري وقيل هو عثمان بن مظعون وقد وصفه باثنتي عشرة فضيلة احدها انه كان يستصغر الدنيا وينظر اليها
بعين الاحتقار وظاهر ان ذلك يستلزم عظمه في عيون اهل الله الثانية انه كان خارجا عن سلطان بطنه وهو كناية
عن خروجه من اسر شهوته عما لا يجد يستلزم عدم رذيلة الحرص والحسد ونحوهما وعدم اكثاره مما يجد يستلزم براءته
عن رذيلة الشره والنهم ونحوهما الثالثة فضيلة العدل في الكلام والسكوت اي انه نطق بالحكمة في موضعها واما غلبة
السكوت عليه فلقوة عقله كما قال عليه السلم فيما قبل اذا تم العقل نقص الكلام الرابعة انه كان ضعيفا مستضعفا
اي فقيرا منظورا اليه بعين الذلة والفقر وذلك من لوازم فضيلة التواضع الخامسة فضيلة الشجاعة عند الحرب
فقد كنى عن ذلك بقوله فاذا جاء الجد الى قوله واد واستعار له لفظ الليث باعتبار سطوته وصولته ولفظ الصل
باعتبار بأسه ونكايته في العدو والمثل يضرب بحية الوادي في الشجاعة ونكاية السم السادسة انه لا يدلي بحجته
حتى يجد قاضيا وهو من فضيلة العدل في وضع الاشياء مواضعها السابعة كونه لا يلوم احدا على امر يحتمل
العذر الا بعد سماع الاعتذار فان كان هناك عذر قبله وذلك من لوازم العدل والانصاف وفضيلة الثبات
واحتمال المكروه الثامنة كونه لا يشكو ما ينزل به من الامراض لتسليمه احكام الله ورضاه بها بل لعله يحكيها بعد
برئه على سبيل الاخبار دون الشكاية او انه كان يكتم مرضه كيلا يتكلف الناس زيارته فيشق عليهم ذلك التاسعة

عين م

وخلاصه من رذيلة الفجور الى فضيلة العفة فكف شهوته م

للجد م

بطابق

يطابق بفعله قوله ويحترز عن الكذب والخلف العاشرة كان يترك المماراة والجدال والمغالبة في الاقوال ويعدل الى
السكوت اذا غولب في القول وذلك من فضيلة الحكمة لعلمه بمواضع السكوت والكلام ومن فضيلة الصبر وقهر قوته
الغضبية في المغالبة الحادية عشر وكان احرص على الاستماع منه على الكلام ترجيحا لجانب الاستفادة على الافادة و
اهم من الثاني وذلك من فضيلة الحكمة الثانية عشر وكان اذا خطر بباله امران دفعة من غير سابقه فكر في ايهما
اصلح مثلا كالترويج وعدمه فكر في ايهما اقرب الى الهوى وميل الشهوة كالترويج فخالفه الى تركه ولما كان غرض
الفصل ان يقتدي السامعون بالفضايل المذكورة امرهم عليه السلم بلزومها والتنافس فيها او في بعضها ان لم يكن الكل
ورغب في ذلك بقوله فاعلموا الى اخره وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان خيرا ينبغي لزومه والتنافس فيه **وقال عليه السلم**
لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه لما كان شكر النعمة بالاقوال والافعال المطابقة لها واجبا عقلا
وجب ترك المعصية الذي هو لازم للطاعة الواجبة لان لازم الواجب واجب ومقتضى الكلمة انه لو لم يتوعد الله على
معصيته لكان يجب تركها شكرا لذاته لا لاجل شكره فكيف وقد توعد مع ذلك عليها فالاولى ان يجب تركها **وقال عليه السلم**
وقد عزى الاشعث بن قيس عن ابن له يا اشعث ان تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم وان تصبر ففي
الله من كل مصيبة خلف يا اشعث ان صبرت جرى عليك القدر وانت ماجور وان جزعت جرى عليك القدر
وانت مازور سرك وهو بلاء وفتنة وحزنك وهو ثواب ورحمة استدرجه عليه السلم اولا بتحسين الحزن وانه في
موضعه باعتبار ان الرحم يستحق من ذي رحمه ذلك ثم عقبه بما يدل على قبح الجزع والحزن وان الصبر اولى وذلك
من وجوه احدها قوله وان تصبر الى قوله خلف وهي متصلة صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان في الله خلف عنه
فالصبر عنه اولى والنتيجة ان تصبر على مصيبتك فالصبر عليها اولى الثاني قوله ان صبرت الى قوله وانت ماجور
اي على صبرك وهي صغرى ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو ماجور على صبره فالصبر به اولى
الثالث نفر عن الجزع بقوله وان جزعت الى قوله مازور اي على جزعه واصله موزور وفهم لمناسبة القرينة
الاولى وهو ضمير ايضا تقدير كبراه وكل من جرى عليه القدر وهو مازور على جزعه دخل النار الرابع قوله سرك وهو
بلاء وفتنة وهو تنفير عن افراط السرور به ووجه كونه بلاء ان الافراط في محبته يستلزم رذائل خلقية كالجبن
عما ينبغي من الجهاد خوف مفارقته وكالبخل خوف فقره ونظره الى عاقبته وكالحزن في امراضه واعراضه كما قال صلى
الله عليه وآله الولد محزنة مجبنة مبخلة وكذلك بغضه يستلزم رذيلة العقوق وقطع الرحم وصرف المال
في غير وجهه فالحري ان يحب الله الوالد ولده ويطلب منه الوقوف على حد العدل في حقه فالواو في قوله وهو
للحال وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان لا يأسف على ما فات من السرور الخامسة قوله
وحزنك الى اخره تنفير عن الحزن عليه بما يلزم تركه من الصبر على المصيبة به من ثواب الله ورحمته وهو صغرى
ضمير تقدير كبراه وكل ما حزن وهو ثواب ورحمة فينبغي ان يصبر عن الحزن عليه **وقال عليه السلم** على قبر رسول الله صلى الله
عليه وآله ساعة دفن ان الصبر لجميل الا عنك وان الجزع لقبيح الا عليك وان المصاب بك لجليل وانه قبلك وبعدك

تذكره والمتكلم لدوام سم

لجلال الجليل الامر المبين والامر العظيم وهو من الاضداد واتما كان الصبر غير جميل في المصيبة به عليه السلم والجزع عليه غير قبيح
لانه صلى الله عليه وآله اصل الدين والفروع فيه فالجزع في المصيبة به يستلزم دوام ذكر اخلاقه وسيرته وسنته فكان غير قبيح
من هذا الوجه اولان المصيبة به مصيبة عظيمة وهو اعظم فايت فيحسن الجزع عليه واما الصبر فانه يؤدي
الى سلوانه والغفلة فكان غير جميل من هذا الوجه وقد عرض للفضيلة القبح من بعض الاعتبارات ولذي يلزم الحسن

عندي

وجه وظاهر ان المصاب به اعظم مصاب باحد من الناس وان كل مصاب باحد من قبله او بعده فهو سهل
بالنسبة وقيل اراد ان المصاب به قبله عظيم على المسلمين لحذرهم منه وبعده كذلك لاختلال امرهم وامر الدين
والاول اظهر وقال عليه السلم لا تصحب المائق فانه يزين لك فعله ويود ان تكون مثله المائق الاحمق ونفر عنه بضمير
صغراه قوله فانه الى آخره وذلك الامر الجمعة يعتقد كمال نفسه وحسن افعاله ووجوب الاقتداء بها فهو يزينها ويحب
ان تكون مثله فيها ويدعو الى ذلك وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فلا يجوز صحبته وقال عليه السلم وقد سئل عن
ما بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس وهو جواب واضح مقنع وغرض الخطابة الاقناع فاما التحقيق
بينهما باعتبار تعيين مساحة الارض او الفلك فامر يرجع الى علم الهيئة ولعله عليه السلم انما عدل عن الجواب
من ذلك لاستبعاد بعض العوام له ولا تقول انه عليه السلم ما كان يعلم ذلك وقال عليه السلم اصدقاؤك ثلثة واعداؤك
ثلثة فاصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك واعداؤك ثلثة عدوك وعدو صديقك وصديق
عدوك الحكم بان صديق الصديق وعدو العدو وصديق من القضايا المظنونة لاحتمال كون الصديق غير عالم
بعدو عدوه فضلا ان يعاديه او يصادقه وكذلك الحكم بان عدو الصديق وصديق العدو عدو للاحتمال الذكي

...كون العدو
غير عالم بانه عدو

وقال عليه السلم لرجل يسعى على عدوه بما فيه اضرار بنفسه انما انت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه ووجه الشبه قصد
لاذى غيره بما يستلزم اذى نفسه وقال عليه السلم ما اكثر العبر واقل الاعتبار اوله بالعبر محال الاعتبار وهو في معرض التوبيخ
للسامعين على ترك الاعتبار وقال عليه السلم من بالغ في الخصومة اثم ومن قصر فيها ظلم ولا يستطيع ان يتقي الله من
نفر عن طرفي الافراط والتفريط في الجهاد له والمخاصمة بما يلزم رذيلة الافراط فيها وهو الظلم من الاثم وطرف التفريط
من رذيلة الانظلام واشار الى صعوبة الوقوف فيها على حد العدل بقوله ولا يستطيع الى آخره وهو كالتنفير عن اصل
المخاصمة لما انها مظنة الرذائل وقال عليه السلم ما اهمني ذنب امهلت بعده حتى اصلي ركعتين اي لم احزن من ذنب امهلني
الله بعده الى ان اصلي ركعتين وذلك لان الصلوة تكفر الذنب فاذا امهل الى ان يصليها لم يحزن بسببه وسئل عليه السلم
كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم فقال كما يرزقهم على كثرتهم قيل كيف ولا يرونه قال كما يرزقهم ولا يرونه كيفية
محاسبته تعالى للخلق على كثرتهم بكيفية رزقه لهم على كثرتهم وجعل هذا اصلا في التشبيه لظهوره وعلم الناس
به وكذلك تشبيه كيفية محاسبته لهم مع عدم رؤيتهم له بكيفية رزقه لهم من غير رؤية ووجه الشبه في الحق
امكان ذلك منه تعالى لشمول قدرته وعدم حاجته في شي الى شي وقال عليه السلم رسولك ترجمان عقلك وكتابك
ابلغ من ينطق عنك استعار للرسول لفظ الترجمان للعقل باعتبار انه يعبر عنه ويعرف مقدار منه وفيه ايماء

لله

الى انه يجب ان يختار الرجل للرسالة ذوي العقول الراجحة كيلا يسفه عقله واما ان الكتاب ابلغ من ينطق عن صاحبه فلضبط
مراده فيه دون لسان الرسول لانه ربما لم يؤد الرسالة على وجهها سهوا او لغرض فيقع الخلل بسبب ذلك حتى ربما كان
هلاك المرسل وقال عليه السلم ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء باحوج الى الدعاء من المعافى الذي لا يامن البلاء اي انهما سواء
في الحاجة الى دعاء الله فان حاجة الى الخلاص من بلائه وهذا البقاء عافيته وامنه من لحوق البلاء وهو حث لاهل العافية
على دعاء الله لغرض الالتفات اليه ودوام قصده وقال عليه السلم الناس ابناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب امه وهو توبيخ
للناس على حب الدنيا ولفظ الابناء مستعار لهم باعتبار تولدهم منها وميلهم اليها بالطبع وقوله ولا يلام الى آخره
لوم لهم وهذا كما تقول لمن توبخه مثلا على اللوم ان طبيعتك اللوم ولا لوم عليك فيما جبلت عليه وقال عليه السلم ان
المسكين رسول الله فمن منعه فقد منع الله ومن اعطاه فقد اعطى الله رغب في اعطاء المسكين بتمثيل صغراه ما ذكر
واستعار له لفظ رسول الله باعتبار انه طالب لله وبامر الله وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فيجب اعطاؤه وارضاؤه
وقال عليه السلم ما زنى غيور قط اي الغيور وذلك ان الغيور الحق اذا هم بالزنا تخيل مثل ذلك في نفسه من الغير فيعارض
داعيه فيحجم عنه وقال عليه السلم كفى بالاجل حارسا استعار لفظ الحارس باعتبار ان الانسان لا يهلك ما دام اجله
كالحارس وقال عليه السلم ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب قال السيد ومعنى ذلك انه يصبر على قتل الاولاد
ولا يصبر على سلب الاموال واقول الحرب سلب المال واتما كان كذلك وان كان المال والولد محبوبين والطمع في
استخلاص المال بالنهوض لهم والحرب عنه دون الثكل وقال عليه السلم مودة الآباء قرابة بين الابناء والقرابة احوج
المودة من المودة الى القرابة استعار لفظ القرابة للمودة المتاكدة بين الابناء فهي كالقرابة واخبر بها عن مودة الآباء اخبارا
باللازم عن ملزومه اذ كانت صداقة الآباء والمودة بينهم يستلزم تاكدها بين الابناء وشدة اتصالهم واشار الى
تفضيل المودة على القرابة بكون القرابة اكثر حاجة الى المودة في الانتفاع بها بين الخلق والمودة اكثر استغناء عن القرابة في
الانتفاع بها وقال عليه السلم اتقوا ظنون المؤمنين فان الله جعل الحق على السنتهم ظن المؤمن لا يكاد يخطي لصفاء
وكمال استعدادها للفكر الصحيح القريب من الحدس والانتقاش بنور الحق كما قال صلى الله عليه وآله اتقوا فراسة المؤمن
فانه ينظر بنور الله فيفيض الله سبحانه صورة ذلك الحق على لسانه فينطق به وقوله فان الى آخره صغرى ضمير تقدير
كبراه وكل من كان كذلك فينبغي ان يتقي ظنه وهو تنبيه لمن عصاه يؤدي شرا للرجوع عنه خوف ظنون المؤمنين
وقال عليه السلم لا يصدق ايمان عبد حتى يكون بما في يد الله تعالى اوثق منه بما في يده صدق الايمان بالشي تحققه

اوثق سو

وكماله من كمال حسن الرجاء لله والتوكل عليه حتى يكون بما في يد الله منه بما في يده وذلك لتيقن وصول رزقه من
الله وجزمه بذلك الاقوى من جزمه ووثوقه بما في يده لجواز تلفه وعدم ثباته وهي مرتبة عالية من مراتب التوكل
وقال عليه السلم لانس بن مالك وقد كان بعثه الى طلحة والزبير لما جاءا الى البصرة يذكرهما شيئا سمعه من رسول الله صلى
الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع اليه عليه السلم فقال اني انسيت ذلك الامر فقال له ان كنت كاذبا فضربك
الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة يعني البرص فاصاب انسا هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى الا متبرقعا

اقول ما كان بينهما التذكير بما بر هو ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله قال لطلحة والزبير انكما ستقاتلان
عليا وانتما له ظالمان فلما ابتدا لقي من صفر ولوى راسه عن ذلك فرجع فدعا عليه واستجيبت دعوته وبيضا فى
محل الجر بدلا من الضمير فى بهما وقال عليه السلم ان للقلوب اقبالا وادبارا فاذا اقبلت فاحملوها على النوافل واذا ادبرت
فاقصروا بها على الفرايض وقدم معنى اقبالها وادبارها وخص اقبالها بالنوافل لاتساعها فيها والفرايض
دون الادبار وقال عليه السلم فى القران نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم فنبا ما قبلكم اخبار القرون
الماضية وخبر ما بعدهم ذكر احوال الموت والقيمة والوعد والوعيد وحكم ما بينهم بيان الاحكام الخمسة المتعلقة
بافعالهم وهو فى معرض مدح القران والحث على تدبر فهمه وقال عليه السلم ردوا الحجر من حيث جاء فان الشر
لا يدفعه الا الشر فالحجر كناية عن الشر ورده من حيث جاء كناية عن مقابلة الشر بمثله ورغب فى ذلك بضمير صغراه
قوله فان الشر الى آخره وتقدير الكبرى وكل ما لا يقطع الا بالشر فواجب ان يقطع به وليس هذا الرأي عاما لامره عليه
السلم بالحلم فى مواضع كثيرة وقال عليه السلم لكاتبه عبيد الله بن ابى رافع الق دواتك واطل جلفة قلمك وفرج
بين السطور وقرمط بين الحروف فان ذلك اجدر بصباحة الخط كان ابو رافع مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله
والقة الدواة وليقتها اصلحها بالمداد وجلفة القلم سنانه والقرمطة بين الحروف تقريب بعضها عن بعض والصباحة
الحسن وفايدة القيد الاول ظاهر وكذلك كونه داعية مقت الخلق لصاحبه ورغب فى الاستعاذة منه بضمير صغراه
قوله فان الفقراء الى آخره وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فيجب الاستعاذة بالله منه وقال عليه السلم لسايل سأله عن معضلة
سل تفقها ولا تسال تعنتا فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم وان العالم المتعسف شبيه بالجاهل المعضلة المسئلة المشكلة والتعنت
طلب الامر الشاق على من يطلب منه والتعسف الاخذ على غير الطريق وقد كان عليه السلم فهم من السايل ان غرضه الامتحان
فاعرض عن جوابه الى تاديبه وارشاده الى ما ينبغى من وضع السؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفايدة
بالسؤال وغرضه وهو التفقه دون التعنت لحصول الفايدة بالسؤال الاول وتفقها وتعنتا مفعولان له او مصدران سدا
مسد الحال ورغب فى السؤال على وجه التعلم بضمير صغراه قوله فان الجاهل المتعلم شبيه بالعالم ووجه الشبه اشتراكهما
فى طلب العلم وقصده وتقدير الكبرى وكل من كان شبيها بالعالم فينبغى ان يسلك مسلكه ثم نفر عن سلوك غير الطريق
الحق فى السؤال والعدول به الى غير المقصود الاصلى بضمير ثان صغراه قوله فان العالم الى قوله بالجاهل ووجه الشبه كون
ذلك العالم يضع سؤاله فى غير موضعه ويطلب ما لا ينبغى كالجاهل بوضع الاسولة مواضعها وتقدير الكبرى وكل من
كان شبيها بالجاهل فينبغى ان يجتنب طريقه ليخلص من هذا الشبه وقال عليه السلم لعبد الله بن العباس رحمه الله وقد
اشار عليه بشيء لم يوافق رايه لك ان تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعنى روى انه اشار عليه عند انصرافه من
مكة حاجا وقد بايعه الناس وقال يا امير المؤمنين ان هذا امر عظيم يخاف غوايل الناس فيه فاكتب لطلحة بولاية البصرة
وللزبير بولاية الكوفة واكتب الى معوية وذكره القرابة والصلة واقره على ولاية الشام حتى يبايعك وجرى على سنتك فان بايعكم
وطاعة الله فانكر عليه ذلك وان خالفك فادعه الى المدينة وابدله بغيره ولا تموج بحار الفتنة فقال عليه السلم معاذ الله ان افسد

دينى بدنيا غيرى ولك يا ابن عباس ان تشير وحذف مفعول ارى للعلم به اى انظر فى وجه المصلحة ثم اوجب طاعته له
لانه الامام ولانه افضل طبعا فاذا راى المصلحة فى شيء فرايه ارجح وروى انه عليه السلم لما ورد الكوفة قادما من صفين مر
بالشباميين فسمع بكاء النساء على قتلى صفين وخرج اليه حرب بن شرحبيل الشبامي وكان من وجوه قومه فقال له اتغلبكم
نساؤكم على ما اسمع الا تنهونهن عن هذا الرنين واقبل يمشى معه وهو عليه السلم راكب فقال له ارجع فان مشى مثلك
مع مثلى فتنة للوالى ومذلة للمؤمن شبام بكسر الشين حى من العرب وقادما حال والاستفهام للانكار دخل على النفى وقد
علمت ما فى الجزع من الرذيلة فلذلك نهى عنه ولانه يجبن الرجال ويثبطهم عن الحرب وهو فى محل الحاجة ونفر عن
المشى معه بضمير صغراه قوله فان مشى مثلك الى آخره وتقدير الكبرى وكلما كان فتنة ومذلة توجب تركه وقال عليه السلم
وقد مر بقتلى الخوارج يوم النهروان بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقيل له من غرهم يا امير المؤمنين فقال الشيطان المضل
والانفس الامارة بالسوء غرتهم بالامانى وفسحت لهم فى المعاصى ووعدتهم الاظهار فاقتحمت بهم النار البؤس الشدة ونصبه
لمن ضرهم وغرهم بالشيطان المضل والانفس الامارة بالسوء ان الشيطان قد يراد به النفس الامارة وان العطف انما
التغاير فى العبارة والامانى التى غرتهم بها هى امانى الظفر والقهر وفسحها لهم فى المعاصى ترخيصها لهم وتوسيعها
وكذلك ما وعدتهم به من اظهارها لهم على من غالبهم وظاهر ان ذلك مستلزم لدخول النار ولفظ الاقتحام مستعار
ادخالها لهم النار وقال عليه السلم اتقوا معاصى الله فى الخلوات فان الشاهد هو الحاكم امر بالخشية من معاصى الله
ونفر عنها بضمير صغراه قوله فان الشاهد هو الحاكم وتقدير كبراه وكل من كان الشاهد عليه هو حاكمه وجب عليه
ان يتقيه وقال عليه السلم لما بلغه قتل محمد بن ابى بكر رضى الله عنه ان حزننا عليه على قدر سرورهم به الا انهم نقصوا
بغيضا ونقصنا حبيبا وقد بينا فيما سلف مكانته منه عليه السلم وقوله فان حزننا عليه على قدر سرورهم به
اى بفقده اراد انه يناسبه فى الشدة واشار الى الفرق بين اعتبار نقصانه منهم ونقصانه منه وذلك فى معرض
التالم لفقده وقال عليه السلم العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة اعذر اليه اتاه بالعذر واعذار الله اليه ايتاؤه
اياه المدة المذكورة التى هى مظنة تحصيل الزاد ليوم المعاد فان ما بعد الستين تضعف فيه القوى النفسانية والبدنية
ويكل عن العمل فمن قصر الى تلك الغاية فقد توجه اللوم عليه وانقطعت حجته بالاعذار اليه وقال عليه السلم ما ظفر من ظفر
الاثم به والغالب بالشر مغلوب وهو تنفير عن الظلم والبغى وذلك ان الظافر بالحق هو من قهر خصمه على وجه العدل
فمن لا يكون كذلك يلزم الظلم ويقهر عند الله الاثم فيكون مغلوبا بظلمه وهو فى صورة غالب واستعار وصف
الظفر لاسره فى ربقة الاثم واحاطته به وقال عليه السلم ان الله سبحانه فرض فى اموال الاغنياء اقوات الفقراء فما جاع فقير
الا بما منع غنى والله تعالى جده سائلهم عن ذلك اراد بذلك الفرض الزكوة وظاهر ان جوع الفقير انما يكون بما يمنعه الغنى من
القوت او ما هو وسيلة اليه ورهب الاغنياء بقوله والله سائلهم عن ذلك وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من سأله
الله فينبغى ان يحذر سؤاله وقال عليه السلم الاستغناء عن العذر اعز من الصدق به اراد ان ترك ما يحتاج فيه الى العذر فيستغنى
به عن العذر اعز عليك وانفع لك من ان تاتيه ويكون لك فيه عذر صادق ويحتمل ان يريد بقوله اعز اى اكثر عزة لك

اذ الاتيان بالعذر يحتاج الى ذلة ومهانة وقال عليه السلام ان اقل ما يلزمكم لله ان لا تستعينوا بنعمه على معاصيه وذلك ان العقل
ان تستعينوا بنعمه على طاعته فان لم تفعل ذلك فلا اقل من ان تستعمل في الامور المباحة دون الاستعانة بها على معصيته
فان ذلك مما يعد لسخطه وقال عليه السلام ان الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط العجزة طاعته تعالى
غنيمة الاكياس باعتبار استلزامها للنعيم المقيم في الاخرة وسبب الغنيمة غنيمة والاكياس هم الذين استعملوا فطنتهم
وحركاتهم في تحصيل ما ينبغي من علم وعمل وخصهم الله سبحانه بهذه الغنيمة عند تفريط العجزة وهم المقصرون عما
ينبغي لهم وهو في معرض ذمهم على التقصير البالغ المشبه للعجز وقال عليه السلام السلطان وزعة الله في ارضه الوزعة
الوازع وهو الوادع المانع اي ان الله تعالى وضعه في ارضه ليمنع به ما يريد منعه واراد السلطان العادل وقال
عليه السلام في صفة المؤمن المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه اوسع شيء صدرا واذل شيء نفسا يكره الرفعة ويشنا
السمعة طويل غمه بعيد همه كثير صمته مشغول وقته صبور شكور مغمور بفكرته ضنين بخلته سهل الخليقة لين
العريكة نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد اقول يشتمل بعضه وذكره في معرض التعريف والمدح ستة عشر
وصفا احدها ان بشره في وجهه وذلك من ثمار فضيلة التواضع ولين الجانب الثاني وحزنه في قلبه وذلك من خشية
الله ونظره الى ما بعد الموت وفرطه في جنب الله الثالث اوسع شيء صدرا وقد علمت ان سعة الصدر فضيلة للقوة
الغضبية وقد يعبر عنها برحب الذراع واراد انه مستكمل لهذه الفضيلة الرابع واذل شيء نفسا اي لتواضعه لله
ونظره الى محلها ومقدارها من الحاجة الى الله وصدرا ونفسا تمييزان الخامس كراهيته للرفعة لانها مبدا
الرذائل كالعجب والكبر وكذلك بغضه للسمعة احترازا من تلك الرذائل السادس طول غمه لنظره دائما الى ما بين يديه
من الموت وما بعده السابع وبحسب ذلك كان بعد همته وعلوها عن دنايا الدنيا ونظره الى المطلوب الاكمل من
السعادة الاخروية الباقية الثامن كثرة صمته وذلك لكمال عقله فهو لا ينطق الا بما يحتاج اليه مما فيه حكمة وصلاح
التاسع قد شغل وقته بعبادة ربه العاشر كونه شكورا اي كثير الشكر فالحادي عشر صبورا اي على بلاء الله الثاني
عشر مغمور بفكرته في ملكوت السموات والارض واستنباط ايات الله وعبره منها الثالث عشر ضنين بخلته لمن يصلح
مواقع الخلة واهلها الذين هم اخوان الصدق في الله وهم قليلون فلا يضعها كيف اتفق ومع كل من طلب مودته
وخلته ويحتمل ان يريد انه اذا اخل الحد اضن بخلته ان يضيعها او يهمل خليله وروي بفتح الخاء والخلة الحاجة اي انه ضن
لحاجته ان … بها ان يسال احدا فيها الرابع عشر سهل الخليقة اي لا جفاوة في طباعه ولا خشونة الخامس عشر لين العريكة
وهو كناية عن سهولة تناول ما يراد منه واصله الجلد من الاديم يكون لينا عند العرك في الدباغ سهلا على دابغه السادس
عشر نفسه اصلب من الصلد لشجاعته وثباته في طاعة الله وهو اذل من العبد لتواضعه ومعرفته بقدره عند قدرة بارئه
والواو للحال وقال عليه السلام لو راى العبد الاجل ومسيره لابغض الامل وغروره استعار لفظ المسير للاجل وهو زمان الحياة
باعتبار تقضي اجزائه وانتهائه بفنائها كما يقطع السائر اجزاء المسافة وينتهي الى غايته بفنائها ويحتمل ان يريد بالاجل غاية
الحياة واستعار لفظ المسير لدنوها المعقول منه واراد انه لو كان الاجل بصورة سائر محسوس فشاهد العبد مسيره الى الموت

علته قطع اما الاماني فيه فلم يغتر بها وقال عليه السلام لكل امرئ في ماله شريكان الوارث والحوادث غرضه عن ادخار المال بذكر الشريكين
المكروهين وقال عليه السلام الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر شبه من يدعو الله ولا يعمل له بالرامي بغير وتر ووجه الشبه عدم
امكان الانتفاع ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله احمق الناس من ترك العمل وتمنى على الله وقال عليه السلام العلم علمان
مطبوع ومسموع ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع اراد بالمطبوع العقل بالملكة وهو الاستعداد بالعلوم الضرورية
للانتقال منها الى العلوم المكتسبة والمسموع من العلماء فان من لا يكون له ذلك الاستعداد لا ينتفع بما يسمعه من العلوم
ولا يتمكن من اكتسابه وقيل اراد بالمطبوع ما يعلم من الاصول بطبيعة العقل كالتوحيد والعدل وبالمسموع العلوم
الشرعية التي هي فرع العقلية اذ لا ينتفع بفرع من دون اصله وقال عليه السلام صواب الراي بالدول يقبل باقبالها ويذهب بذهابها
اي ان الدولة مستلزمة لصواب الراي اذ كان من تمام السعادة المقتضية للدولة ان يلزمها راي صواب يكون
تدبيرها وتلك السعادة والدولة معدة لاختيار اصلح الاراء وقابلة له فهو يقبل باقبالها لاعدادها له وعند ذهابها
يذهب الراي الصواب وان عد في الظاهر صوابا وقال عليه السلام العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى العفة ملكة
القوة الشهوية وظاهر كونها للانسان وهي مع الفقر اجمل فانها تفيد الفقير بهاء ومحبة في قلوب الخلق وتكسبه المدح والثناء
منهم ويظهر اثرها عليه بسرعة وان فقدها الفقير خسر الدنيا والاخرة وكذلك الشكر من فضائل قوة الشهوة ايضا
وقبيح بالغني مقابلة نعم الله بالكفران فزينة غناه وتمامه اذن شكره له وقال عليه السلام يوم العدل على الظالم اشد من يوم
الجور على المظلوم فيوم العدل يوم القيمة ويوم الجور وقت الظلم وقد مر بيانه وقال عليه السلام الاقاويل محفوظة والسرائر
مبلوة وكل نفس بما كسبت رهينة والناس منقوصون مدخولون الا من عصم الله سائلهم متعنت ومجيبهم متكلف يكاد
افضلهم رايا يرده عن فضل رايه الرضا والسخط ويكاد اصلبهم عودا تنكاه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة معاشر الناس
اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه وبان ما لا يسكنه وجامع ما سوف يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حق منعه اصابه حراما
واحتمل به آثاما فباء بوزره وقدم على ربه اسفا لاهفا قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين مبلوة مختبرة ودخل فلان
فهو مدخول ومدخل اي في عقله دخل وعلة وتنكاه اي تؤثر فيه وتستحيله تغيره وباء … به وحصل عليه واللاهف
المتحسر والفصل في معرض الوعظ … للسامعين ونبه على ان اقوالهم محفوظة وسرائرهم مختبرة بما كلفوا من طاعة الله فيعرف
ما انضمر في القلوب من العقايد والنيات وغيرها وعن معاذ بن جبل قال سالت النبي صلى الله عليه وآله عن قوله تعالى يوم تبلى
السرائر ما هذه السرائر التي تبلى بها العباد يوم القيمة فقال سرائركم هي اعمالكم من الصلوة والصيام والزكوة والوضوء والغسل من الجنابة
وكل مفروض لان الاعمال كلها سرائر خفية فان شاء قال صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضا واستعار
لفظ الرهينة للنفس باعتبار وثوقها في الاسر بما كسبت من الشر كما يوثق الرهن بما عليه من مال واللفظ من القرآن المجيد
وغرض ذلك التنبيه على العدل في القول واضمار الخير واكتساب الاعمال الصالحة ثم نبه على ما فيهم من النقصان الطبيعي المحتاج
الى التكميل المكتسب ووصف سائلهم بانه متعنت لخروج سؤاله عما ينبغي لان غرضه به الامتحان دون العلم ومجيبهم بالتكلف في
جوابه لقلة علمه وافضلهم رايا بانه يكاد ان يرده عن فضل رايه ما يعرض له من امر يرضى به او يسخط له ويرجع عنه وكان

يشاهد فيه المصلي تواصلهم عودا الى اشدهم في الله واقواهم في طاعته نورية اللحظة اي من نظر الى الحسنة وتحيله
الكلمة الواحدة منه فيغنيه عن الحق ويجوز ان يريد اللحظة والكلمة ممن يستهويه للدنيا ولذاتها فانهم يستغوي لقصر عن
تقبيح الامل جذبا الى التقوى بذكر كثرة من يؤمل ما لا يبلغه ويبني ما لا يسكنه ويجمع ما لا يدعه وكره مع احتمال ان يكون من حل
جمعه ومن حق منعه اهله فاصابه حراما وحمل ثقل وزره وقدم به على ربه حزينا متحسرا على ما فرط في جنبه قد خسر الدنيا وفي
تفريطه في اكتساب خيرها وذلك هو الخسران المبين **وقال عليه السلم** من العصمة تعذر المعاصي اي من اسباب العصمة وذلك لان
الانسان يتعود تركها حين لا يجدها حتى يصير ذلك ملكة له وهي الراتبة العصمة **وقال عليه السلم** ماء وجهك جامد يقطره السؤال
فانظر عند من تقطره استعار لفظ ماء الوجه للحياء ونور على الوجه الذي يذهب من وجه السائل بسؤاله ورشح بذكر
الجمود والتقطير ويحتمل ان يكون كناية عما يعرض من العرق عند خجل السائل بسؤاله واستحيائه وعرض الكلمة وضع السؤال
موضعه من اهل المروة والبيوتات وروي وجهك ماء جامد فيكون استعارة للماء في الوجه باعتبار بذله فكانه
ذائب وقطر كالماء الجامد **وقال عليه السلم** الثناء باكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عي او حسد الملق هو
اللطف الشديد بالقول والافراط في المدح وتفرع عن طرفي الافراط والتفريط في الثناء فالافراط بما يلزمه من رذيلة
الملق والتفريط بما يلزمه من العي عن المدح او الحسد بالفضيلة الممدوح عليها **وقال عليه السلم** اشد الذنوب ما استهان به
صاحبه وذلك ان استهانته يستلزم اتهماكه فيه واستكثاره منه وعدم اقلاعه عنه حتى يصير ملكة بخلاف ما
يستصعبه من الذنوب **وقال عليه السلم** اربع عشرة كلمة احدها من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره لان اشتغاله
عيب الغير غالبا في معرض الافتخار عليه بالبراءة من ذلك العيب فاذا نظر الى مثله من نفسه شغله اعتبار ذلك
فيها عن الاشتغال بنقصان غيره والنظر فيه الثانية ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته وذلك لان الحزن على ما فات
مستلزم لعدم القناعة والرضى بالحاصل من الرزق فعدم ذلك اللازم مستلزم لعدم ملزومه وهو الحزن على الفائت
الثالثة ومن سل سيف البغي قتل به وهو كناية عن الظلم وظاهر ان الظلم سبب لهلاك الظالم وقد سبق بيانه مرارا الرابعة
ومن كابد الامور عطب اي من قاساها بنفسه استعد بها للهلاك الخامسة ومن اقتحم اللجج غرق استعار لفظ اللجج
المعظم كالحروب وتدبير الدول ولفظ الغرق للهلاك السادسة ومن دخل مداخل السوء اتهم لانها مظنة التهمة
من الامارات الموجبة للظن كمعاشرة الفساق ونحوه السابعة ومن كثر كلامه كثر خطاؤه لاستقرار ان كمال العقل يستلزم قلة
الكلام مستلزما النقصان العقل المستلزم لكثرة الخطا والقول من غير روية الثامنة ومن كثر خطاؤه قل حياؤه
لانك علمت ان الحياء هو ان يحسن الانسان الارتداع عن الامور التي يقبح فعلها والاقدام عليها الملاحظة ما يتبع من ذلك
من قبح الاحدوثة والاقدام على الخطاء بكثرة الكلام ينافي الارتداع عن تلك الامور وهو من جملتها التاسعة ومن قل
حياؤه قل ورعه لان الورع هو لزوم الاعمال الجميلة والوقوف على حدودها من الرذائل والحياء منها فقلة الحياء مستلزم
الورع ومن ثمة فسر الورع بالوقوف عن المحارم وظاهر ان قلة الحياء ايضا مظنة للاقدام على المحارم فكانت مظنة
فاقام الشيء مقام مظنة الشيء وحكم به العاشرة ومن قل ورعه مات قلبه اي لما كانت الفضيلة هي حياة القلب استعداد

ان لا يستعملها ورضاه بها لنفسه مخالفة للراي الحق

فتكون كثرة الكلام

او قلتها فيه لفظ الموت باعتبار عدم انتفاعه بها كخروج الميت عن الانتفاع بالحياة الحادية عشر ومن مات قلبه دخل النار لان
المرجو لدفعها الى الجنة هو استكمال الفضيلة فاذا افقدها فالنار موعده والكلام في صورة قياس مفصول نتيجته ان من
كثر كلامه دخل النار وهو تنفير عن كثرة الكلام الثانية عشر ومن نظر في عيوب الناس فانكرها ثم رضيها لنفسه فذلك
الاحمق بعينه ووجه الحمق ان كونه منكرا لعيوب الناس غيره يستلزم كون الراي الحق له خروج عن المصلحة لنفسه وذلك حمق
ظاهر في العقل والالف واللام في الحمق يفيد حصره في المشار اليه ولذلك اكده بعينه الثالثة عشر ومن اكثر من ذكر الموت رضي
من الدنيا باليسير لان الغرض من طلب الكثير منها الاستمتاع والالتذاذ به وذكر الموت كاسر لذلك الالتذاذ ومبغض لها الرابعة عشر
ومن علم ان كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وذلك ان العالم بان الشيء بحسب قياسا هكذا الكلام عمل والاعمال مواخذ على الا
يعني منها فينتج ان الكلام مواخذ على ما لا يعني منه وذلك موجب للاقتصار على ما يعني منه **وقال عليه السلم** للظالم من الرجال
ثلث علامات يظلم من فوقه بالمعصية ومن دونه بالغلبة ويظاهر القوم الظلمة فظلمه لمن فوقه عصيان الحق فهذه رذيلة
العدالة والثانية مستلزمة للاولى والثالثة مستلزمة للاوليين **وقال عليه السلم** عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق
حلق البلاء يكون الرخاء تناهي الشدة مستلزم للخلاص منها وهو المراد بالفرج وكذلك تضايق الحلق هو وقت الفرج الخالص
الله والرجاء الحق له وذلك معد للفرج منه واستعار لفظ الحلق للامور الشديدة المحيطة بالانسان لا يجد عنها محيصا
ملاحظة لشبهها بالحلقة في البطان الحرج **وقال عليه السلم** لبعض اصحابه لا تجعلن اكثر شغلك باهلك وولدك فان يكن اهلك
وولدك اولياء الله فان الله لا يضيع اولياءه وان يكونوا اعداء الله فما همك وشغلك باعداء الله نهى عن كثرة الاشتغال
بالاهل والولد لصرف ذلك عن طاعة ونبه على عدم جوازه بما هو في قوة قياس شرطي منفصل تقديره ان اهلك لا يخلو
اما ان يكونوا من اولياء الله او اعدائه وعلى التقديرين لا يجوز الاشتغال بهم اما الاولياء فلان الله تعالى يكفيهم ولا
حاجة بهم الى اهتمام غيره واما اعداؤه فلا يجوز الاهتمام بحالهم وما في قوله فما همك استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ
وقال عليه السلم اكبر العيب ان تعيب ما فيك مثله قد مر ان ذلك حمق وهو اكبر العيوب وهنأ بحضرته رجل رجلا
بغلام ولد له فقال له ليهنئك الفارس فقال عليه السلم لا تقل ذلك ولكن قل شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ
اشده ورزقت بره وهذا ارشاد منه للتهنية بالولد وفيها اربع فوايد احدها تذكير الوالد بشكر الله والثانية استنزال
البركة منه بالدعاء فيما وهب له الثالثة الدعاء للموهوب بالبقاء وبلوغ الاشد وهو كمال القوة وغاية الانتفاع الرابعة الدعاء بثمرة
الانتفاع ببره وهي ان يبره ويرى نفعه وبنى رجل من عماله بناء فخما فقال اطلعت الورق رؤوسها ان البناء يصف لك الغنى
الفخم العظيم وكنى بطلوع الورق لرؤوسها عن ظهور اثرها في البناء ملاحظة لشبهها بالحيوان في ظهوره وكذلك استعار
الوصف ونسبه الى البناء باعتبار انه يخبر عن الغناء كما يخبر الوصف عن موصوفه وقيل له عليه السلم لو سد على رجل باب
بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه فقال من حيث يأتيه اجله قاس الرزق على الاجل لاشتراكهما في مبدا واحد وهو
قدرة الصانع تعالى واشار الى ذلك بقوله من حيث وعزى عليه السلم قوما عن ميت مات لهم فقال ان هذا الامر ليس بكم بدا
ولا اليكم انتهى وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض سفراته فان قدم عليكم والا قدمتم عليه فعدوه اي احسبوا انه كذلك

لا اشد من

والتعريض ضيعة العبارة جزيلة المعنى مفيدة للاقناع والسلو وقال عليه السلام ليراكم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين انه من وسع
عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجا فقد امن مخوفا ومن ضيق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختبارا فقد ضيع مأمولا الاستدراج
الاخذ على غرة وامر بالوجل من نعمة الله حال افاضتها خوف الاستدراج بها كما يخاف من النقمة وذلك ان النعمة بلاء يجب مقابلتها
بالشكر كما ان النقمة بلاء يجب مقابلتها بالصبر والغرض الحث على فضيلتي الشكر والصبر وحذر من الركون الى النعمة والغفلة
فيها عن الله بقوله انه الى قوله امن مخوفا وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من امن مخوفا فهو مغرور وكذلك حذر الفقير
ان يغفل عن كون فقره بلاء واختبارا او بعده كذلك بما يلزم ذلك من تضييع المال وذلك انه يستعد باعتقاد انه اختبار
من الله له للصبر عليه ويوصل منه تعالى الاجر الجزيل في الاخرة واذا لم يعتقد ذلك بطل الاستعداد به فضيع مأمولا منه
وقال عليه السلام يا اسرى الرغبة اقصروا فان المعرج على الدنيا لا يروعه منها الا صريف انياب الحدثان ايها الناس تولوا
من انفسكم تاديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها الضراوة الجراة على الصيد والولوع به والضراية بالفتح العقيدة والضارية
بالكسر مصدر ضري به والثلث نسخ وردت بها الرواية واستعار لفظ الاسرى لمن ملكته رغبته في الدنيا وجذبها
وامرهم بالاقتصار عن الافراط في طلبها ونفر عن التعريج والانعطاف عليها بقوله فان المعرج الى قوله الحدثان واستعار
لفظ الصريف والانياب ملاحظة لشبهه للموت عند قدومه بالبعير الهائج ثم اتبعه بالناس وامرهم ان يتولوا
من انفسهم تاديبها ورياضتها والوقوف بها على حد العدل من الحركات والافعال وان يعدلوا بها عن جراتها واقدامها
على الانهماك في المشتهيات وقد عرفت معنى الرياضة وقال عليه السلام لا تظنن بكلمة خرجت من احد سوءا وانت
تجد لها في الخير محملا اي ما دمت تجد لكلام الغير محملا وتاويلا فلا تظنن به سوءا فان النفوس السليمة اقرب الى الله
من غيرها والواو للحال وقال عليه السلام اذا كانت الى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله
ثم اسأل حاجتك فان الله اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احداهما ويمنع الاخرى امر بتقديم سؤال الصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله في طلب الحاجة للاستعداد به ورغب فيه بقوله فان الله سبحانه الى اخره اي ان السؤال الاول يجاب
البتة بالاتفاق فيجب من كرمه اجابة الثانية وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل من كان اكرم من ذلك فينبغي ان يسأل
المسألتين لقضاء الحاجة وقال عليه السلام من ضن بعرضه اي بخل به فليدع المراء وذلك انه داعية ثوران الغضب
من المتماريين ومبدأ المشاتمة والمسابة وقال عليه السلام من الخرق المعاجلة قبل الامكان والاناة بعد الفرصة الخرق
الحمق ومعاجلة طلب الحاجة والاسراع اليها قبل وقت امكانها افراط في طلبها والاناة فيها اذا امكنت تفريط فيه وهما
مذمومان وصاحبهما واضع للطلب في غير موضعه وهو حمق ظاهر ونقصان في عقل وجوه التدبير والحق العدل
وضع الطلب في وقت الامكان والفرصة وقال عليه السلام لا تسأل عما لا يكون ففي الذي قد كان لك شغل اي بالسؤال عما لا يكون
من زيادة رزق ونحوه من المطالب الدنيوية بما قد كان ووقع من المطالب التي اعطيها الانسان ورغب فيما امر به من الشغل
بقوله ففي الذي الى اخره اي ففي ذلك شغل لك عما يتوقع من غيره واراد الشغل بضبط ما في يده من النعم وما ينبغي من الاشتغال
بشكرها واستعمالها في طاعة الله وهو صغرى ضمير تقدير كبراه وكل ما كان كذلك فينبغي ان يشتغل به عما وراءه ولا يطلب الزيادة

وقال عليه السلام ثلث كلمات احداها الفكر مرآة صافية واستعار لفظ المرآة باعتبار انه يرى به المعقولات كما يرى الاشباح في المرآة بعد
ميسر بيانه الثانية استعار لفظ المنذر الناصح للاعتبار وذلك انه يذكر الآخرة ويفيد الانزجار والانقطاع عن المناهي كالمنذر
الناصح الثالث اشار الى ان تجنب المرء لما كرهه لغيره من الرذائل المهلكة ادب كاف له وتفرعنه بكونه مكروها للغير
ورغب في تجنبه بكونه ادبا كافيا للنفس وقال عليه السلام العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل والعلم يهتف بالعمل فان اجابه
والا ارتحل اراد انه مقرون به في الوضع الذي ينبغي بمقتضى الحكمة الالهية وذلك انه تعالى جعل للنفس العاقلة قوتين
علمية وعملية وجعل كمالها باستكمال هاتين القوتين بالعلم والعمل ولا كمال لها بالعلم دون اقترانه بالعمل وقوله فمن علم
عمل اي من علم ما ينبغي له مما في الحكمة ان يعمل بمقتضى وكان ذلك داعيا له الى العمل مستلزما لوجوده منه ويحتمل ان
يكون قوله عمل خبرا في معنى الامر اي فمن علم فليعمل وقوله والعلم يهتف بالعمل الى اخره فالهتف النداء وان لم ير المنادي
واستعار لفظه للمعقول من طلب العلم المقارنة العمل الذي ينبغي له وجذبه الطبيعي له فكانه يصيح به ويدعوه الى مقارنته
ليكون منهما كمال الانسان ومعنى قوله فان اجابه والا ارتحل ان العلم الذي ينبغي اذا قارنه العمل تاكد به حتى يصير العلم كانه
برز الى عالم الحس في صورة العمل مثلا اذا علم الانسان وجود الصانع وما ينبغي من طاعته ثم قرن ذلك بعبادته استلزمت
تلك العبادة مع دوام ملاحظته تعالى واخطار ذكره بالبال حتى لا يصير منسيا الرقي وقت فاما اذا ترك العمل فقد لا
ان يشتغل بغيره عن ذكره وتنقطع ملاحظته له حتى يكون ذلك سببا النسيان والغفلة عنه واستعار لفظ الارتحال لزوال
العلم باعتبار عدم استعداد تلك النفس وصلاحيتها كالراحل عن وطن ما يصلح للاستيطان وقيل اراد بالارتحال عدم
المنفعة مجازا اطلاقا لاسم ذي الغاية على غايته اذ كانت الغاية من الارتحال عدم المنفعة بالمرتحل وقال عليه السلام متاع
الدنيا حطام موبئ فتجنبوا مرعاه قلعتها احظى من طمأنينتها وبلغتها ازكى من ثروتها حكم على مكثر بها بالفاقة واعين
من غني عنها بالراحة من راقه زبرجها اعقبت ناظريه كمها ومن استشعر الشغف بها ملأت ضميره اشجانا لهن رقص
على سويداء قلبه هم يشغله وهم يحزنه حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالفضاء منقطعا ابهراه هينا على الله فناؤه وعلى الاخوان
القاؤه انما ينظر المؤمن الى الدنيا بعين الاعتبار ويقتات منها ببطن الاضطرار ويسمع فيها باذن المقت والابغاض ان قيل
اثرى قيل اكدى وان فرح له بالبقاء حزن له بالفناء هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون اقول القلعة الرحلة والحظوة المنفعة
والزبرج الزينة والكمه العمى خلقة والاشجان العوارض المهمة والرقص الغليان والاضطراب والابهران عرقان متعلقان بالقلب
واكدى قل خيره والابلاس اليأس من الرحمة وفي الفصل فائدتان احداهما تنفير عن الدنيا بامور احدها انه حطام موبئ اي مهلك
واستعار لفظ الحطام لمتاعها باعتبار سرعة زواله ووطئه الانتفاع به كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من
السماء الآية وكونه موبئا استلزام اقتنائه والاعتناء بجمعه للهلاك في الآخرة ولذلك امر بتجنب مرعاه اي موضعه
وهو الدنيا الثاني قلعتها وعدم القرار بها انفع من الطمأنينة اليها لما تستلزمه من الشقاوة في الآخرة بمحبتها
والسكون اليها في الآخرة الثالث ان الاقتصار على البلغة من العيش فيها ازكى من التروح بها لما تستلزمه التروح بها من الشقاء
الاخروي فالاقتصار على القدر الضروري منها اطهر واسلم من عواقبها الرابع حكم بالفاقة على مكثرها لما فيها فلان كل زيادة

منها موجبة للحاجة الى الغير فلذلك كان اكثر الناس حاجة فيها الملوك ثم من دونهم على اختلاف درجاتهم فيها وليس كذلك الآخرة فظفر المكثر بها
المشتغل بها من ملكات الخير والفضائل الخامس ان من غنى عنها بل هو فيها اغنى من القنية الواحد منها السادس ان من [illegible]
زينتها فانصب اليها عمى عما فيها من العبر وعما وراءها من احوال الآخرة واستعار لفظ الكمه المعقول من عمى البصيرة عن الاعتبار
لان ذلك اشد من العمى كما قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور السابع ان من اتخذ محبتها شعارا
ملأت قلبه هموما وغموما واحزانا على ما لم يحصل منها بطلبه وعلى ما فات منها بالاسف عليه واستعار لفظ الرقص لتعاقب
تلك الاحزان والهموم واضطرابها في قلبه الى غاية الاخذ بكظمه وكنى به عن الموت وبالالقاء بالفضاء عن دفنه او منقطعا
وهينا حالان • والفايدة الثانية ارشد الى صفات المومن في صحبة الدنيا احدها انه انما ينظر اليها بعين الاعتبار ليحصل منها
عبرة وذلك هو الذي خلق لاجله الثانية ويقتات منها ببطن الاضطرار وكنى به عن كونه لا يتناول منها الا البلغة ومقدار الضرورة
الثالث ويسمع فيها باذن المقت والابغاض وكنى به عن بغضه لها انه لا يسمع ما تمدح به بل معايبها او قوله ان قيل اثرى
الى قوله الفناء اراد ان الانسان فيها منغص اللذة مكدر العيشة بما هو مترادف عليه الاكدار والفقر او فرح بما يجب اذا فتح الحزن
عليه وهذا الكلام لاحق بالفايدة الاولى في وصف حال الانسان في الدنيا ومن عما به ووصف المومن هنا اعتراض وقوله
ولم ياتهم اي هذا البلاء ولم يات الناس يوم القيمة الذي لشدة هوله يياسون فيه من الرحمة وقال عليه السلام ان الله سبحانه
وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم الى جنته الذودة الدفع
واشار الى غاية الحكمة الالهية من وضع الثواب والعقاب وهما دفع عباد الله عن نقمته وجمعهم الى جنته وقال عليه السلام
ياتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن الا رسمه ومن الاسلام الا اسمه مساجدهم يومئذ عامرة من البنا خراب
من الهدى سكانها وعمارها شر اهل الارض منهم تخرج الفتنة واليهم تاوي الخطيئة يردون من شذ عنها فيها ويسوقون
من تاخر عنها اليها يقول الله عز وجل فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة اترك الحليم فيها حيران وقد فعل ونحن
نستقيل الله عثرة الغفلة • رسم القرآن اثره وهو تلاوته ولا يبقى الا اسم الاسلام دون العمل وسكان المساجد وعمارها
قراء السوء وايمة الضلال الذين وصفهم عليه السلام في صدر الكتاب بقوله ان ابغض الخلائق الى الله رجلان ويقول في
فصل آخر واما اختلاف الناس في الفتيا ترد على احدهم القضية الى آخره وظاهر ان اولئك وامثالهم شر اهل الارض
لكونهم مبدأ الفتنة في الدين واليهم ترجع خطايا الخلق اذ بهم يقتدون وعنهم ياخذون ومن كان كذلك فقد استحق
التي يحار فيها الحليم من العقل وروي الحكيم واذ سال عليه السلام من الله تعالى اقالة عثرة الغفلة فيجب الاقتداء به
في ذلك السؤال اللهم اقلنا من عثرة الغفلة وروي انه عليه السلام قل ما اعتدل به المنبر الا قال امام خطبته ايها الناس
اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا ترك سدى فيلغو وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها
النظر عنده وما المغرور الذي ظفر من الدنيا باعلى همته كالآخر الذي ظفر من الآخرة بادنى سهمته اقول السدى المهمل والسهمة النصيب
ولما كان تقوى الله والتزود بها اليه هو المطلوب من خلق الانسان لا جرم صدر بالامر بها خطبه عليه السلام ونبه على انها
المطلوب وان الغاية منه هو الآخرة وانه ليست الدنيا وان تحسنت له بخلف من غاية وان قبحها سوء تقلبها ومعرفتها

الذي ظفر من الآخرة

اشلا مناسبة بين من ظفر من الدنيا باعلى مطالبه منها وبين من ظفر من الآخرة بادنى نصيب لشرف متاع الآخرة فكيف بمن ظفر منها
باعلى قسط وتنفير لطالب الدنيا والداعي للظفر بها بكونه مغرورا والفضل ظاهر وقال عليه السلام عشر كلمات احدها لا شرف
اعلى من الاسلام لاستلزامه شرف الدنيا والآخرة الثانية ولا عز اعز من التقوى لان التقوى تستلزم جميع مكارم الاخلاق
الجامعة لعز الدنيا والآخرة فكان عزها اكبر عزا من غيرها الثالثة ولا معقل احصن من الورع واستعار له لفظ المعقل
باعتبار تحصن الانسان به من عذاب الله ولما كان عبارة عن لزوم الاعمال الجميلة فلا معقل احصن منه الرابعة ولا
شفيع انجح من التوبة وذلك لاستلزامها العفو عن جريمة التائب قطعا دون سائر الشفعاء بشفاعتهم ولفظ الشفيع مستعار
لها الخامسة ولا كنز اغنى من القناعة وذلك لكونها فضيلة تستلزم سكون نفس الانسان ورضاه بما قسم له وغناه
عما وراءه ولا شيء من سائر الكنوز لابناء الدنيا كذلك ولفظ الكنز مستعار لها السادسة ولا مال اذهب للفاقة من الرضى
بالقوت وهو قريب مما قبله السابعة ومن اقتصر على بلغة الكفاف اي البلغة التي تكف عن الناس فقد انتظم الراحة اي
في سلك الراحة من الهم بطلب الدنيا ومجاذبة اهلها وتبوأ خفض الدعة اي اتخذ لين السكون مباءة ومرجعا الثامنة
والرغبة مفتاح النصب ومطية التعب استعار للرغبة في الدنيا لفظ المفتاح باعتبار فتحها لباب التعب على الراغب
وكذلك لفظ المطية باعتبار استلزامها الركوب كالمطية للمتعب ركوبها التاسعة والحرص والكبر والحسد دواع الى التقحم
في الذنوب والتقحم الدخول بسرعة فالحرص على الدنيا داع الى الظلم والكذب والفجور والجبن والبخل ونحوها من الرذائل والكبر
داع الى عدم الانصاف وعدم التواضع والعجب والتهور وعدم الاحتمال ونحوها والحسد داع الى الظلم والكذب والفساد
في الارض وغيرها من الآثام العاشرة والشر جامع لمساوي العيوب الشر كلي كالجنس لمساوي العيوب ومقابحها اذ كل منها يصدق
عليه انه شر مخصوص وهو المعني بكون الشر جامعا لها وقال عليه السلام لجابر بن عبد الله الانصاري يا جابر قوام الدنيا باربعة
عالم مستعمل علمه وجاهل لا يستنكف ان يتعلم وجواد لا يبخل بمعروفه وفقير لا يبيع آخرته بدنياه يا جابر من كثرت نعم
الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فان قام لله فيها بما يجب فيها عرضها للدوام والبقاء وان ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته
لزوالها الدنيا انما تقوم بالمال فرما العلم لوضعه في مواضعه ومعرفة وجوه اكتسابه التي ينبغي والتي لا ينبغي من حلال او حرام
وهو علم الفقه واصوله وتفسير كتاب الله وسنة رسوله الذين منهما اقتبس الاحكام ثم ما يلزم ذلك من علم العربية ونحوها
ولما كان العلم لا بد له من حامل والمال لا بد له من قان وجب ان يكون من شرط الاول ان يعمل بعلمه ومن شرط الثاني ان يستعمل
ماله في مصارفه التي ينبغي والا لم يكن لهما فايدة ولا قامت بهما احوال الخلق التي هي الدنيا ولما كان الموت ضروريا للعلماء
وغيرهم وجب من فيه قيام وبقاطعها ان يدوم العلم في قرن من الناس بعد قرن وجب ان يكون هناك جهال
لا يستنكفون عن تعلمه ولما كانت حاجة البعض الى البعض في قوام الدنيا ضرورية ولم يجز في نظامها ان يستغني كل
عن كل الاسباب معلومة وغير معلومة وجب ان يكون هناك من لا مال له ليحصل الانتفاع به فيما هو بصدده ونحو
من الاعمال الضرورية ما يجود عليه فاذن قوام الدنيا لا يحصل بدون الاربعة وانما شرط في الفقير ان لا يبيع آخرته بدنياه
لان بايع آخرته بدنياه ظالم خارج عن العدل فلا تقوم به الدنيا ولا يصلح لها نظامها ثم الذين مايرقوا امر الدنيا اشار الى ما يلزم

من الفساد تنفير عنه بقوله فاذا ضيّع الى قوله بدنياه فان تضييع العالم يستلزم عدم الانتفاع به واستنكاف الجاهل عن تعلّمه لسوء اعتقاده في العلم واهله لما يراه من تضييعهم له وعدم عملهم على وفقه فيبقى على الجهل بمنفعته وبخل الغني بمعروفه مستلزم لعدم المنفعة بالمال وما يلزم ذلك من شدة حاجة الفقير وبيع آخرته بدنياه فيلزمه الفساد الثاني لمصلحتي المعاش والمعاد ثم اشار الى ما يلزم من كثرة نعم الله على العبد من كثرة حوائج الخلق اليه ليوضح له وجوب الشكر عليها والقيام بما يجب لله فيها من الاحسان الى المحتاجين اليه ورغّب في ذلك بما يلزمه من تعريض العبد بذلك نعمة الله عنده للدوام والمنع بتضييع ذلك بما يلزمه من تعريضها للزوال وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الفقيه وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الاشعث انه قال فيما كان يحضّ به الناس على الجهاد اني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يقول يوم لقينا اهل الشام ايها المؤمنون انه من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونوّر في قلبه اليقين لما كان انكار المنكر واجبا على كل مكلف بحسب تمكّنه وكان لتمكنه من ذلك طرف ادنى وهو الانكار بالقلب لامكانه من كل احد وطرفا اعلى وهو الانكار باليد وهو الغاية ووسط وهو الانكار باللسان كانت درجاته في استحقاق الاجر مرتبة على درجات انكاره وانما خصّ المنكر بقلبه بالسلامة والبراءة اي من عذاب الله لانه لم يحمل اثما وانما لم يذكر له اجرا وان كان كل واجب يثاب عليه لان غاية انكار المنكر دفعه والانكار بالقلب ليس له في الظاهر تأثير في دفع المنكر فكانه لم يفعل ما يستحق به اجرا وانما قال لتكون كلمة الله هي العليا لانه ان لم يكن ذلك مقصود المنكر بل كان مقصوده مثلا الرياء او الغلبة الدنيوية لا يكون قد اصاب سبيل الهدى واستعار لفظ التنوير لوضوح الحق في قلبه وجلائه من شبه الباطل وفي كلام له عليه السلام يجري هذا المجرى فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيّع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيّع اشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كنفثة في بحر لجّي وان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل ذلك كله كلمة عدل عند امام جائر اقول انه عليه السلام جرى في هذه القسمة على الوجه الطبيعي المعتاد وذلك ان العادة جارية بان ينكر الانسان المنكر اولا بقلبه ثم بلسانه ثم بيده اذا تمكن وقد ترد القسمة على غير هذا الوجه فيكون الناس على اقسام ستة المنكر بقلبه فقط او بلسانه فقط او بيده فقط او بقلبه ولسانه او بقلبه ويده او بلسانه ويده واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلازمان لان المعروف والمنكر قد يكونان نقيضين او في قوتهما فيكون النهي عن المنكر مستلزما للامر بالمعروف والامر بالمعروف مستلزما للنهي عن المنكر واستجماعهما لخصال الخير ظاهر لان كل خصلة منه معروف فالامر بالمعروف مطلقا امر بها وترك كل واحدة من خصال الخير منكر فانكاره يستلزم الامر بها ولما كانت هذه الانواع الثلاثة من

المنكر فضايل تحت فضيلة العدل وجب عدّها من خصال الخير ولما كانت مستلزمة لسائر الفضائل كما اشرنا اليه وجب ان يكون المنكر للمنكر مطلقا مستكملا لجميع خصال الخير وان يكون التارك له بيده لخصلة ومتمسكا بخصلتين والتارك بيده ولسانه مضيعا لاشرف الخصلتين من الثلث وانما كانتا اشرف لكونهما يستلزمان دفع المنكر او بعضه غالبا بخلاف الثالثة ووجب ان يستحق تارك الثلث اسم الميت في حيوته لخلوه عن جميع الفضائل ولفظ الميت استعارة وقوله وما اعمال البر الى قوله لجي تعظيم لهاتين الفضيلتين وتحقير شيئية اعمال البر كلها بالنسبة اليهما بالنفثة في البحر اللجي ووجه الشبه ان كل خصلة من اعمال البر جزئي بالنسبة اليهما كالنفثة بالنسبة الى البحر وعموم الخير فيهما وقوله فان الامر الى قوله رزق صغرى ضمير رغّب به فيهما وتقدير الكبرى وكل ما لا يقرّب من اجل ولا ينقص من رزق فلا ينبغي ان يحذر منه ثم اشار الى افضل اصنافهما وهو كلمة العدل عند الامام الجائر لغرض ردّه عن جوره ؛ وعن ابي جحيفة قال سمعت امير المؤمنين عليه السلام يقول ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفا ولم ينكر منكرا قلب فجعل اعلاه اسفله ؛ الجهاد باليد واللسان والقلب هو انكار المنكر بها وانما كان باليد اول مغلوب عليه لان الغرض الاول للعدو ازالة سلطان اليد وبعده فاذا تمكن من ذلك كان زوال سلطان اللسان سهلا فان قلت لم قال ثم بقلوبكم ومعلوم ان القلب لا يطلع عليه العدو ولا يتمكن من ازالة الجهاد به قلت المراد انهم اذا غلبوا على الجهاد باليد واللسان وطالت المدة عليهم الفوا المنكر وتكرر على سمعهم وابصارهم وقلوبهم فلم يبق لها انكاره وهو معنى غلبهم عليه وقوله فمن لم يعرف بقلبه الى آخره تنفير عن ترك الخصلتين بما يلزمه من قلب اعلى التارك اسفله واستعار لفظ القلب للانتكاس في مهاوي الرذائل ودركات الجحيم وانما خصّ انكار القلب بذلك لامكانه في كل وقت وخلوه عن الضرر المخوف الذي يخشى في الانكار باليد واللسان ؛ وقال عليه السلام ان الحق ثقيل مري وان الباطل خفيف وبي ؛ استعار للحق وصفي الثقل والمري باعتبار صعوبته على من يكون عليه فيؤخذ منه وللباطل وصف الخفة باعتبار سهولته على اهله ولفظ الوبي باعتبار استلزامه لاهلاكهم في الآخرة ؛ وقال عليه السلام لا تأمنن على خير هذه الامة عذاب الله لقول الله سبحانه فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا تيأسن لشر هذه الامة من روح الله لقوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ادّب السامع بهذين الادبين محتجا بهاتين الآيتين ولفظ المكر مستعار لامهال الله ثم اخذه فهو في صورة المكر والخداع والمراد ظاهر ؛ وقال عليه السلام البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء ؛ البخل رذيلة التفريط من فضيلة السخاء وهي مستلزمة للجهل لان البخيل غير عالم بوضع المال مواضعه وللفجور لصورة في منعه ومحبته للدنيا الى طرف الافراط فيها وللجبن لان من بخل بماله فهو بنفسه ابخل وللانظلام وللظلم لقصوره عن فضيلة العدل في ماله وللحرص والحسد والشره ودناءة الهمة والكذب والغدر والخيانة وقطع الرحم وعدم المروّة وكل طرف وتفريط لفضيلة من الفضائل فانه من توابع البخل ولواحقه وهي مساوي العيوب التي اخبر عن استجماعه لها وانه زمام الى كل منها واستعار له لفظ الزمام باعتبار انه يدعو الى هذه المساوي ويقود اليها كالزمام ؛ وقال عليه السلام الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته اتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جده سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك

الى رزقك طالب ولن تغلبك عليه غالب ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك قال السيد وقد مضى هذا الكلام فيما تقدم من هذا الباب الا انه هيهنا اوضح واشرح فلذلك كررناه على القاعدة المقررة في اول الكتاب اقول قد مضى تفسير اكثر الكلام وغرضه التنفير عن الاهتمام بالدنيا والاشتغال بما يرجى منها عن ذكر الله وطاعته ونهاه ان يحمل هم السنة على اليوم لئلا يجتمع عليه احزان متضاعفة يكفي واحد منها شغلا واحتج لذلك بضمير من صغرى الاول قوله فان تكن السنة وتقديرها ان سنتك التي تهتم لها اما ان تكون من عمرك او ليس وتقدير الكبرى وكل ما كان على هذين التقديرين فلا ينبغي الاهتمام به اما على التقدير الاول فان الله يوتيك في كل يوم منها ما قسم لك لما مر انه لا بد منه لا يجوز الاهتمام به واما على التقدير الثاني فلانه ليس من العقل ان يهتم المرء بما ليس له وصغرى الثاني قوله ولن يسبقك الى قوله قدر لك وتقديرها ان رزقك لن يسبقك اليه طالب وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فلا ينبغي ان يهتم به **وقال عليه السلم** رب مستقبل يوما ليس بمستدبره ومغبوط في اول ليلة قامت بواكيه في آخره وغرض الكلمة التنبيه من رقدة الغفلة على الموت لغاية العمل له ولما بعده والمعنى ظاهر **وقال عليه السلم** الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به فاذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة الوثاق الحبل وامر بخزن اللسان عما لا ينبغي من القول وفي غير موضعه وشبه خزنه بخزن الذهب في الشبه شدة الخزن ونفر عن قول ما لا ينبغي بضمير من صغرى احدهما قوله الكلام الى قوله وثاقه وتقدير الكبرى وكل كلام كان كذلك فلا ينبغي ان يتكلم منه الا بما ينبغي ولفظ الوثاق مستعار وصغرى الثاني قوله فرب كلمة سلبت نعمة وتقدير الكبرى وكل كلمة كذلك فيجب الاحتراز منها بقلة القول والتثبت فيه **وقال عليه السلم** لا تقل ما لا تعلم بل لا تقل كل ما تعلم فان الله سبحانه قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيمة نهى عن قول ما لا يعلم لانه كذب او محتمل للكذب ولانه قول بالجهل فيجب الاحتراز فيه واما النهي عن قول كل ما يعلم فلجواز ان يكون فيه مضرة لنفسه او لغيره كاذاعة سر يستلزم اذاه او اذى من اسر اليه ونفر عن ذلك بقوله فان الله الى آخره وهو صغرى ضمير والفرايض التي افترضها الله على كل جارحة هو ما اوجبه على اللسان من قول ما ينبغي في موضعه وكذلك ما يتعلق بالعين من النظر الذي ينبغي ونحو ذلك في ساير الجوارح وتقدير الكبرى وكل من فرض الله على جوارحه فرايض كذلك يحتج بها عليه يوم القيمة في تركها والعمل بها فيجب عليه المحافظة عليها **وقال عليه السلم** احذر ان يراك الله عند معصيته ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين حذر من الامرين بما يلزمهما من دخوله في زمرة الخاسرين لثواب الله يوم القيمة ثم امر بالقوة على طاعة الله لتتم الاستعداد بها لرحمته وبالضعف عن معصيته ليضعف الاستعداد بها عن قبول سخط الله **وقال عليه السلم** ثلث كلمات احداها الركون الى الدنيا مع ما يعاين منها جهل اي بما ينبغي ان يركن اليه مما لا ينبغي الثانية التقصير في حسن العمل اذا وثقت بالثواب عليه غبن اي مستلزم للغبن وهو ترك ما يوثق به من الثواب الكثير في مقابلة العمل اليسير له ونبه بذلك الى ان مبدا التقصير في حسن العمل عدم الوثوق بالثواب الموعود في الآخرة الثالثة والطمأنينة الى كل احد قبل الاختبار عجز اي عن البحث عمن ينبغي السكون اليه وعن وضعه موضعه ونفر عن الركون الى الدنيا بما يلزم من الجهل

وعن

وعن التقصير في حسن العمل بما يلزمه من الغبن وعن الطمأنينة الى كل احد بما يلزمها من العجز **وقال عليه السلم** من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها نفر عن الدنيا بذكر هوانها على الله من الوجهين المذكورين **وقال عليه السلم** من طلب شيئا ناله او بعضه هو كقولهم من طلب وجد وجد ومن قرع بابا ولج ولج وظاهر ان الطلب مع تحصيل المطلوب فان تم الاستعداد له نال الكل والا فبقدر نقصان الاستعداد يكون نقصان المطلوب **وقال عليه السلم** ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة محقور وكل بلاء دون النار عافية نفى عما يقود الى النار وان عد في الدنيا خيرا ولذة استحقاق اسم الخير تحقيرا له وتنفيرا عنه بما يلزمه من غايته التي هي النهاية في الشر وهي النار وكذلك نفى عما يقود الى الجنة من الطاعات الشاقة وان عد في الدنيا شرا وايلاما استحقاق اسم الشر ترغيبا فيه بما يلزمه من غايته التي هي دخول الجنة والتقدير ما خير بعده النار بخير وما شر بعده الجنة بشر وقوله وكل نعيم دون الجنة محقور تفسير للاول وقوله وكل بلاء دون النار عافية تفسير للثاني واراد عافية نسبية **وقال عليه السلم** الا وان من البلاء الفاقة واشد من الفاقة مرض البدن واشد من مرض البدن مرض القلب الا وان من النعم سعة المال وافضل من سعة المال صحة البدن وافضل من صحة البدن تقوى القلب اشار الى درجات البلاء وتفاوتها بالشدة والضعف والى ما يقابلها من درجات النعمة وتفاوتها كذلك وانما كان مرض القلب بالرذايل اشد من مرض البدن لاستلزامه في الآخرة فوات اكمل السعادات وهو الموت الذي لا حياة معه وبحسب ذلك كان تقوى القلب واستكماله بالفضايل افضل من صحة البدن لاستلزامه السعادة الباقية والحيوة الابدية **وقال عليه السلم** للمومن ثلث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل ان يكون شاخصا الا في ثلث مرمة لمعاش او خطوة في معاد او لذة في غير محرم اقول رم المعاش اصلاحه والشاخص الذاهب من بلد الى بلد قسم زمان المومن العاقل الى ثلثة اقسام بحسب ما ينبغي له بمقتضى الحكمة العملية والراي الحق قسم يتوفر فيه على عبادة الله ومناجاته وهذا القسم هو المطلوب الاول وقسم يصلح فيه ما لا بد منه في تحصيل القسم الاول من معاشه وقسم يخلي فيه بين نفسه ولذتها المباحة التي تجمل وتحسن دون المحرمة والمباحة المستهجنة وهذان القسمان مرادان للاول اذ لا يمكن بدونهما وقوله وليس للعاقل الى آخره اي ليس له بحسب مقتضى العقل العملي ان يستعمل نفسه الا في الامور الثلثة **وقال عليه السلم** ازهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها ولا تغفل فلست بمغفول عنك لما كانت محبة الدنيا مستلزمة لاستتار عيوبها عن ادراك محبها كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم كان بغضها والزهد فيها رافعا لذلك الستر كاشفا للملاحظة من عيوبها وعوراتها فامر بالزهد فيها لهذه الغاية المتفرعة عنها ثم نفر عن الغفلة فيها عما وراءها بضمير صغراه قوله فلست بمغفول عنك وتقدير الكبرى وكل من ليس بمغفول عنه فلا ينبغي ان يغفل عما يراد به **وقال عليه السلم** تكلموا تعرفوا فان المرء مخبوء تحت لسانه قد مر تفسير هذه الكلمة وكذلك صغرى ضمير رغب به في الكلام عند الحاجة لغاية ان يعرف المتكلم وتقدير الكبرى وكل من كان مخبوا تحت لسانه فينبغي ان يظهر نفسه في كلامه ليعرف **وقال عليه السلم** خذ من الدنيا ما اتاك وتول عما تولى عنك فان انت لم تفعل فاجمل في الطلب

بالقناعة او لايماتيسر من الدنيا لمن تمكن منها او قوي طمعها والاجمال في الطلب لمن لم يتمكن منها والاجمال في طلب الدنيا طلبها من الوجه الذي ينبغي وقال عليه السلم رب قول انفذ من صول قد يبلغ الانسان بالقول ما لا يبلغه بالشدة والصول ثم يكون القول انفذ في غرضه وصلح مثلا يضرب للرفق واللين الذي يبلغ به ما لا يبلغ بالعنف وروي عوض انفذ اشد والمعنى رب قول يقوله الانسان فيكون ضرره عليه اشد من صولة عدوه او رب قول يسمعه من غيره كقذف او هجو يكون اشد عليه من صولة العدو والعيان منقولان عن ابن آدم الهروي وقال عليه السلم كل مقتصر عليه كاف انه لا يقتصر الانسان الا على مقدار تمكنه دفع الضرورة او الحاجة به وذلك كاف وسعن للمقابح عما سواه وفيه ايماء الى الامر بالاقتصار على اليسير من الدنيا وقال عليه السلم كلما اشار هنا المحدلها المنية ولا الدنية فالمنية مبتدا دل على خبره بقوله ولا الدنية اي اسهل من الدنية ويحتمل ان يكون التقدير يحتمل المنية ولا يحتمل الدنية وهي الخسيسة من الامر يرتكب في طلب الدنيا وكثير من الكرام يختار الموت على ذلك والثانية التقلل ولا التوسل اي القناعة بالقليل من العيش والتبلغ به خير من التوسل الى اهل الدنيا في طلبها الثالثة ومن لم يعط قاعدا لم يعط قائما كنى بالقعود عن الطلب السهل وبالقيام عن الطلب المتعب بتعسف اي من لم يرزق بالطلب السهل لم ينفعه التشديد في الطلب وهذا الحكم اكثري كما هو حكم الخطيب حث به على الاجمال في الطلب الرابعة والدهر يومان يوم لك ويوم عليك فاذا كان لك فلا تبطر واذا كان عليك فاصبر فاليوم الذي عليه هو يوم الضيق والبلاء ويجب فيه الصبر للاستعداد به لقبول رحمة الله تعالى كما قال وبشر الصابرين الآية وقال عليه السلم مقاربة الناس في اخلاقهم امن من غوائلهم الغائلة الحقود ولك ان مساعدة الناس في اخلاقهم تستلزم مسالمتهم وعدم اذيتهم والعدول عنها الى المقارنة والمشاكلة لاخلاقهم تستلزم الامن من ذلك منهم وقال عليه السلم لبعض مخاطبيه وقد تكلم في حضرته بكلام يستصغر عن مثله لقد طرت شكيرا وهدرت سقبا فالشكير هو الفرخ قبل النهوض والاستعداد لفظ الشكير والسقب باعتبار صغره وقدرعه عما تكلم به في حضرته ووصف الطيران والهدير له باعتبار نهوضه الى الكلام الذي هو فوق محله وليس اهلا له كما ان الطيران ليس من شان الشكير ولا الهدير من شان السقب وقال عليه السلم من اومى الى متفاوت خذلته الحيل المتفاوت كالامور المتضادة او التي يتعذر الجمع بينها في العرف والعادة واستعار الخذلان للحيل باعتبار انها لا تواتيه ولا يمكنه في الجمع بين ما يرومه من تلك الامور وقال عليه السلم وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لا نملك مع الله شيا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه عنا برهان قوله انا لا نملك مع الله شيا قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا الاية وظاهر ان التكليف تابع لما ملكنا اياه من الجوارح والقوى والعقل وسائر متعلقات التكليف عند اخذه لشي منها يضع التكليف المتعلق به عنا وسئل الصادق عليه السلم عن هذه الكلمة فقال لا حول على ترك المعاصي ولا قوة على فعل الطاعات الا بالله وقال عليه السلم لعمار بن ياسر رحمه الله وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاما دعه يا عمار فانه لم ياخذ من الدين الا ما قاربته الدنيا وعلى عمد لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته انه لا يعمل من الدين الا بما يستلزم دنيا ويقرب به منها كالعدل والصدق يستلزم منفعة دنيويه دون ما ليس كذلك وهو صغري ضمير تقريره عن مخاطبته تقدير الكلام

من كان كذلك فينبغي ان يعرض عن مراجعته ومكالمته وقال عليه السلم ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء اتكالا على الله تيه الفقراء على الاغنياء اصعب عليهم واشق من تواضع الاغنياء لهم اذ كان تيههم يستدعي كمال التوكل على الله وهو درجة عالية في الطريق الى الله فلذلك كان افضل واحسن لقوله عليه السلم افضل الاعمال احمزها وقال عليه السلم ما استودع الله امرا عقلا الا ليستنقذه به يوما ما امامن بلاء الدنيا بالحيلة او من بلاء الآخرة بالطاعة وقال عليه السلم من صارع الحق صرعه استعار لفظ المصارعة للمقاومة وذلك ان الله سبحانه وملئكته وكتبه ورسله والصالحين من عباده اعوان الحق ولا مقاوم لهم وقال عليه السلم القلب مصحف البصر اراد بالقلب النفس او الذهن واستعار له لفظ المصحف باعتبار ان كل متصور في الذهن اريد التعبير عنه فلا بد ان يتصور حروف العبارة عنه في لوح الخيال والحس البصري يشاهدها من هناك ويقروها فالقلب اذن كالمصحف الذي تشاهد فيه الحروف والالفاظ وتقراسه بالبصر فلذلك اضافه الى البصر وقال عليه السلم التقى رئيس الاخلاق استعار لفظ الرئيس للتقوى باعتبار افضليته في استلزامه لرضوان الله وحصول السعادة الباقية ولا شي من الاخلاق بانفراده يستلزم ذلك وقال عليه السلم لا تجعلن ذرب لسانك على من انطقك وبلاغة قولك على من سددك ذرب اللسان حدته وهو ادب يجري مجرى المثل يضرب لمن يحصل من انسان علما او فائدة فيستعين بها عليه كمن يتفاصح على من علمه الفصاحة وقال عليه السلم كفاك ادبا لنفسك اجتنابك ما تكرهه من غيرك واراد بما يكرهه من غيره الرذائل فانها مكروهة الى كل احد من غيره ومن نفسه ايضا اذا عقل انها رذيلة ولذلك اذا غيربها انف منها الا ان بعض الرذائل قد يخفى على من هي فيه فلا يتصور قبحها من نفسه او انه قد يتصور ذلك لكن يحمله عليها حامل آخر من شهوة او غضب ولما كان اجتناب الرذائل يستلزم الوقوف على فضيلة العدل في كل شي لا جرم كان اجتنابها ادبا كافيا لمن يجتنبها وقال عليه السلم من صبر صبر الاحرار والا سلا سلو الاغمار وفي خبر آخر انه قال عليه السلم للاشعث بن قيس معزيا ان صبرت صبر الاكارم والا سلوت سلو البهائم والاغمار الجهال جمع غمر وجذب الى فضيلة الصبر في المصائب باضافته الى الاحرار والاكارم وبما يلزم عدمه من العار وهي السلو المشبه لسلو الغافلين او البهائم واصل الا ان لا اي وان لا تصبر وقال عليه السلم في صفة الدنيا تغر وتضر وتمر ان الله لم يرضها ثوابا لاوليائه ولا عقابا لاعدائه وان اهل الدنيا كركب بيناهم حلوا اذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا اشار عنها بثلثة ضمائر احدها الدنيا تضر اي بجمعها او تفرق اي بزينتها وتمر اي بعوائقها اذ من طبيعتها ذلك واستعار لها وصف الامرار باعتبار ما يستلزمه فراقها من الم الحزن كالمرارة وروي وتمر بفتح التاء اي تذهب الثاني قوله ان الله الى قوله لاعدائه اذ لو رضيها لذلك لاعطاها اولياءه وحرمها اعداءه الثالث قوله وان اهل الدنيا الى آخره فقوله حتى اهم الى آخره في تقدير صفة لركب اي كركب من شانه كذا ووجه الشبه بالركب الذي شانه ذلك سرعة ارتحالهم الى الآخرة كسرعة ارتحال الركب وتقدير الكبرى في الضمير الاولين وكل ما كان كذلك فينبغي ان يجتنب ولا يحرص على طلبه وتقديرها في الثالث وكل ما كان كذلك فينبغي ان يستعد فيه للرحيل والسفر وقال عليه السلم لابنه الحسن عليه السلم يا بني لا تخلفن وراءك شيا من الدنيا فانك تخلفه لاحد رجلين اما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به واما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عونا له على معصيته وليس احد هذين

حقيقا ان يوثر على نفسك* امره عليه السلم بالنهي عن ادخار المال ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله فانك الى آخره وقوله
بما شقيت به اي شقاء الدنيا بجمعه وشقاء الآخرة بادخاره لقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وتقدير
الكبرى وكل من يخلف مالا لاحد هذين وليس احدهما حقيقا بان يوثر على نفسه فلا يجوز له ان يخلفه* وقد روي هذا الكلام
على وجه آخر وهو اما بعد فان الذي في يديك من الدنيا قد كان له اهل قبلك وهو صائر الى اهل بعدك وانما انت جامع لاحد
رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به او رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له وليس احد هذين اهلا
ان توثر على نفسك ولا تحمل له على ظهرك فارج لمن قد مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله اقول في هذه الرواية تنفير عن الدنيا من وجهين
احدهما قوله فان الذي في يديك الى قوله بعدك وتقدير كبراه وكل ما كان كذلك فليس لك ان تحبه والثاني ما اعتمد عليه الثاني قوله
انت الى قوله ظهرك وكبراه ما مر في الرواية الاولى واستعار لفظ الحمل لاكتساب الاثم بجمع المال ورشح بذكر الظهر ثم ارشد
الى ما هو خير من المال لمن مضى وهو رجاء رحمة الله ولمن بقي وهو رجاء رزق الله الموعود لكل حي وقال عليه السلم لقائل قال
بحضرته استغفر الله ثكلتك امك اتدري ما الاستغفار ان الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان اولها
الندم على ما مضى والثاني العزم على ترك العود اليه ابدا والثالث ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل املس ليس
عليك تبعة والرابع ان تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها والخامس ان تعمد الى اللحم الذي نبت على السحت
فتذيبه بالاحزان حتى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد والسادس ان تذيق الجسم الم الطاعة كما اذقته حلاوة
المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله اقول ظاهر كلامه عليه السلم يقتضي ان اسم الاستغفار الحق الذي له درجة
العليين ويستحقها صاحبها واقع على مجموع المعاني الستة التي اشار اليها وذكرها التعريف حقيقته منها ويكون ارادة
هذا المعنى من لفظ الاستغفار بعرف جديد شرعي اذ مفهومه اللغوي انما طلب المغفرة الا انه لما كان طلبها مشروطا
بحصول المعاني المذكورة اطلق لفظ المشروط على الشرط واستعمله فيه ويحتمل ان لا يكون غرضه تفسير ماهية
الاستغفار بل الاشارة الى شرائطه التي لا ينبغي ايقاعه من دونها وهي المعاني الستة ويكون معنى قوله اتدري ما الاستغفار
اي الاستغفار التام بشرائطه واعرض عن ماهيته للعلم بها واشار الى تمامه من الشرائط وقصد بالاشارة الى صدق لفظه
لفظه على شرائطه تاكيدا انه لا يتم بدونها حتى كان مجموعها نفس حقيقة الاستغفار واستعار لفظ الاملس لنقائه
من الآثام وقال عليه السلم الحلم عشيرة استعار لفظ العشيرة للحلم باعتبار انه يحمي صاحبه ممن ينافره ويعاديه كما تحميه عشيرته
وقال عليه السلم مسكين ابن آدم مكتوم الاجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة ذكر
كونه مسكينا وبين ذلك بضمير عدد فيه وجوه المسكنة والضعف صغراه قوله مكتوم الاجل الى آخره وهي ظاهرة
وتقدير كبراه وكل من كان كذلك فهو مسكين ومسكين خبر المبتدأ قدمه عليه لانه ذكر ما اهتم وحذف تنوينه تخفيفا
وغرض الكلام كسر النفوس من سورة الكبر والعجب والفخر واشباهها من الرذائل وروي انه عليه السلم كان جالسا
في اصحابه اذ مرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بابصارهم فقال عليه السلم ان ابصار هذه الفحول طوامح وان ذلك
سبب هبابها فاذا نظر احدكم الى امراة تعجبه فليلامس اهله فانما هي امراة كامراته فقال رجل من الخوارج قاتله الله كافرا

ما افقهه فوثب اليه القوم ليقتلوه فقال عليه السلم رويدا انما هو سب بسب او عفو عن ذنب الرمق النظر وطموح البصر ارتفاعه
والهبيب والهباب صوت التيس عند هياجه وطلبه للشاة واستعار لفظ الفحول ولفظ الهباب لطلبهم للنكاح وارشدهم الى الخلاص
من فتنة النظر بملامسة الاهل ورغب في ذلك بضمير صغراه قوله فانما هي امراة كامراته اي فانما اهل الرجل امراة تشبه المراة
المرئية وتقدير الكبرى وكل من يشبهها فهي عوض منها وانما اطلق الخارجي لفظ الكافر عليه لان عليا عليه السلم عند الخوارج مخطئ
وكل خطيئة عندهم كفر وقوله انما هو سب الى آخره مقتضى فضيلة العدل وقال عليه السلم كفاك من عقلك ما اوضح لك
سبيل غيك من رشدك الغرض من العقل العملي هو ما ذكره عليه السلم وكفى به وقال عليه السلم افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئا فان
صغيره كبير وقليله كثير ولا يقولن احدكم ان احدا اولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك ان للخير والشر اهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه
اهله امر بفعل الخير ونهى عن احتقار شيء منه وان قل ورغب فيه بضمير صغراه قوله فان صغيره كبير وقليله كثير اي في الاعتبار
وبالنسبة الى من يحتاج اليه ثم نهى ان يقول احد ان غيره اولى بفعل الخير منه وهو كناية عن ترك الخير اعتمادا على ان غيره يفعله
اولى وقوله فيكون والله كذلك لان ذلك القول من القائل التارك للخير يكون بمعنى من توسم فيه فعل ذلك الخير ونسب اليه
فيصدق قوله وظنه فيه بفعله له فيكون اولى به منه وقوله ان للخير والشر اهلا الى آخره ترغيب في الخير وتنفير عن الشر بذكر ان
الكل منهما اهلا يكفي فيه ان تركه من ليس اهلا ليكون السامعون من اهل الخير بفعله وترك الشر لاهله وقال عليه السلم من اصلح سريرته
اصلح الله له علانيته ومن عمل لدينه كفاه الله امر دنياه ومن احسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس فصلاح
باطن الانسان وسره بالاخلاق الفاضلة معد لافاضة الله عليه صلاح اقواله وافعاله الظاهرة لانها كالثمرات للباطن وكذلك
عمل الانسان لدينه واقامته لحدود الله معد لصلاح حاله في معاشه وهو … لطف الخلق عليه لاشتغاله بالله عن مجاذبتهم
للدنيا وفي معناه الكلمة الثالثة فان اخلاص العبودية لله واصلاح معاملته قاطع عن محبة الدنيا والحرص عليها الذي
هو سبب التنافس بين الناس كان معدا لرفع التنافس ودفعه وقال عليه السلم الحلم غطاء ساتر والعقل حسام قاطع فاستر خلل
خلقك بحلمك وقاتل هواك بعقلك استعار لفظ الغطاء للحلم باعتبار انه يستر من سورة الغضب وقبيح ما يصدر عنه
الافعال … ورشح بذكر الساتر وكذلك استعار لفظ الحسام للعقل باعتبار قمعه لبوادر النفس الامارة وافراطها ورشح
بذكر القاطع ولذلك امر بمقاتلة هواه به وقال عليه السلم ان لله عبادا يختصهم بالنعم لمنافع العباد فيقرها في ايديهم ما بذلوها
فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها الى غيرهم اي من عباد الله من يكون مقصود العناية الالهية بافاضة النعم عليه واقرارها
في يده وصول النفع الى الغير ويكون ذلك شرطا فيها فاذا لم يوجد ذلك الشرط ارتفعت تلك النعم بارتفاع شرطها الى غيرهم وغرض
الكلمة الحث على النفع المتعدي ليحترز كل عاقل انعم الله عليه بنعمة كذلك وقال عليه السلم لا ينبغي للعبد ان يثق بخصلتين العافية
والغنى بينا تراه معافى اذ سقم وبينا تراه غنيا اذ افتقر نهى عن الوثوق بالخصلتين المذكورتين لكونهما مع ما يقابلهما من السقم
والفقر امورا غير مقدورة للعبد ولا معلومة الاسباب وهي في معرض التعاقب فالوثوق بما كان كذلك جهل ونفر عن ذلك بضمير صغراه
قوله بينا تراه الى آخره اي ان العبد من شانه كذا وتقدير الكبرى وكل من شانه ذلك فلا ينبغي ان يثق بالخصلتين المذكورتين وقال عليه السلم
من شكا الحاجة الى مؤمن فكانما شكاها الى الله ومن شكاها الى كافر فكانما شكا الله شكاية المؤمن الى المؤمن شكاية في موضعها …

الشكاية المعاونة على دفع الامر المشكو منه والمومن شانه ذلك بخلاف الشكاية الى الكافر ورغب في الاولى بتشبيهها بالشكاية الى الله ووجه الشبه ان المومن كالصديق لله فاذا شكا المومن اليه امرا من الله فكانه جعله وسيلة الى الله في شكواه فكانها الشكوى اليه ونفر عن الثانية بتشبيهها بشكوى الله ووجه الشبه ان الكافر عدو الله فمن شكا اليه امرا فكانما اشتكى من الله الى عدوه وقال عليه السلام في بعض الاعياد انما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد غرض الكلمة الجذب الى عبادة الله وطاعته وكسر النفوس عن الفرح بما ليس لله فيه نصيب سواء كان زمانا او مكانا او غيرهما ولما كان العيد عبارة عن يوم يسر فيه الناس ويفرح فيه فكل يوم لم يعص الله فيه فهو اولى بالفرح به والسرور فيه وان يسمى عيدا في عرف اولياء الله والطالبين لما عنده وقال عليه السلام ان اعظم الحسرات يوم القيمة حسرة رجل كسب مالا في غير طاعة الله فورثه رجل فانفقه في طاعة الله فدخل به الجنة ودخل الاول به النار غرض الكلمة الجذب عن الكسب الحرام وادخار المال والتنفير عنه بما ذكر وقوله اعظم الحسرات لا يقتضي ان يكون كل ما هو اعظمها وانما كان ذلك حسرة عظيمة لعدم منفعته بالمال في الدنيا وعذابه في الاخرة ومشاهدته لانتفاع الغير به هناك وقال عليه السلام ان اخسر الناس صفقة واخيبهم سعيا رجل اخلق بدنه في طلب آماله ولم تساعده المقادير على ارادته فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الاخرة بتبعته استعار وصف الاخسر صفقة لمن ذكر باعتبار استعاضته للدنيا عن الاخرة ومع عدم موافقة القدر له في حصول آماله الدنيوية وظاهر انه اخسر من التجار وتبعته ما يلحقه من عقوبات الآثام المكتسبة في سعيه وقال عليه السلام الرزق رزقان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها استعار للرزق وصف الطالب باعتبار انه لابد من وصوله فهو كالطالب لصاحبه ونفر عن طلب الدنيا بما يلزمها من الغاية المحذورة وهي الموت فكانه طالب لها لغاية اخراجه من الدنيا بسبب طلبه لها ورغب في طلب الاخرة بما يلزمه من طلب الدنيا واهلها له فانقطع عنها حتى يصل اليه رزقه منها وهو محمود وقد بينا فيما سلف وجه اقبال الناس على من ينقطع عنهم وقال عليه السلام ان اولياء الله هم الذين نظروا الى باطن الدنيا اذا نظر الناس الى ظاهرها واشتغلوا بآجلها اذا اشتغل الناس بعاجلها فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اعداء ما سالم الناس وسلم ما عادى الناس بهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا لا يرون مرجوا فوق ما يرجون ولا مخوفا فوق ما يخافون اقول ميز اولياء الله بصفات عشر احدها انهم نظروا الى باطن الدنيا اي حقيقتها وغرض الحكمة الالهية من وجودها فعملوا فيها على حسب علمهم اذ نظر الناس الى ظاهرها من زينتها وقنياتها الثانية واشتغلوا بآجلها وهو ما جعله الله نصب اعينهم غرضا مقصودا منها ثمرة للاستعداد بها وهو ثواب الله اذا اشتغل الناس بعاجلها وحاضر لذاتها الثالثة فاماتوا منها ما خشوا ان يميتهم وهو نفوسهم الامارة بالسوء التي من غلبتها واستيلائها على العقل موته وهلاكه في الاخرة ويحتمل ان يريد بما اماتوه منها قنياتها استعارة فكانهم لما رفضوها ولم يلتفتوا اليها فقد اماتوها ولم يبق لها حياة عندهم الرابعة وتركوا منها ما علموا انه سيتركهم وهو زينتها وقنياتها التاركة لهم بالموت منها ومن في الموضعين لبيان الجنس الخامسة ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالا ودركهم لها فوتا اي

استقلالا

استقلالا من الخير الباقي وفوتا للذي كان دركها والاستكثار بها سببا لذلك السادسة اعداء ما سالم الناس وهي الدنيا السابعة وسلم ما عادى الناس وهي الاخرة الثامنة بهم علم الكتاب بحفظهم اياه وفقههم لمراداته وبه علموا لاشتهارهم بعلمه عند الناس التاسعة وبهم قام الكتاب اي صارت احكامه قائمة في الخلق معمولا بها وبه قاموا اي باوامره ونواهيه وما ينبغي له ويحتمل ان يريد ان قيامهم في معاشهم ومعادهم ببركته العاشرة لا يرجون مرجوا فوق ما يرجون من ثواب الله ولا يخافون مخوفا فوق ما يخافون من عذاب الله والمجيء عنه وذلك لعلمهم بالمرجو والمخوف هناك وقال عليه السلام اذكروا انقطاع اللذات اي بالموت وبقاء التبعات الجرائر والغرض التنفير عن الدنيا وقال عليه السلام اخبر تقله ومن الناس من يروي هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله ومما يقوي انه من كلام امير المومنين عليه السلام ما حكاه ثعلب قال حدثنا ابن الاعرابي قال قال المامون لولا ان عليا عليه السلام قال اخبر تقله لقلت اقله تخبر قلاه يقليه قلا وقلاء بالفتح وقليه يقلاه ابغضه والهاء من تقله للسكت وهو امر في معنى الخبر يجري مجرى المثل والمعنى من خبرت باطنه قليته والحكم اكثري لكثرة ما عليه الناس من خبث السريرة ورذائل الاخلاق وما نقل عن المامون من العكس يريد به ان اظهار البغض للشخص يكشف عن باطنه لانه اما ان يقابل بمثل ذلك او بتركه فيعرف خيره من شره ونقل مثله عن ابي بكر الاصفهاني قال لولا ان الاعتراض على السلف من الجهالة والسرف لقلت القلى ثم الخبر حتى لا يكون الانسان مضيعا وقيد واضعا في غير موضعه ثقته وقال عليه السلام ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عليه باب الزيادة ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الاجابة ولا ليفتح على عبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة اشار الى استلزام امور ثلاثة لامور ثلاثة وهي الشكر للمزيد والدعاء للاجابة والتوبة للمغفرة فمن فتح الله له باب احد هذه الملزومات فاعده له والهمه اياه وجب في جوده ان يفتح له باب لازمه ويفيضه عليه اذ لا بخل في جوده ولا منع في عطاياه ووصف فتح الباب مستعار لتيسير الله تعالى العبد لذلك واعداده له وسئل عليه السلام ايهما افضل العدل او الجود فقال العدل يضع الامور مواضعها والجود يخرجها عن جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص فالعدل اشرفهما وافضلهما اشار الى افضلية العدل بضمير من صغرى الاول قوله العدل الى قوله جهتها يريد ان طبيعة الجود تقتضي من صاحبها اخراج كل ما يملكه عن مواضعه ومواضع حاجته التي هي اولى به ومقتضى العدل الثاني قوله والعدل الى قوله خاص واستعار لفظ السائس باعتبار انه به نظام العالم والجود عارض خاص من يصل اليه من بعض الناس وتقدير الكبرى فيهما وكل امرين كانا كذلك فالعدل اشرفهما وافضلهما وقوله فالعدل الى آخره هو النتيجة وقال عليه السلام الناس اعداء ما جهلوا وقد مر بيانه وقال عليه السلام الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم ومن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد اخذ الزهد بطرفيه الامران المذكوران في الآية غايتان من الزهد والاعراض عن الدنيا في نوع خاصة مركبة يلزم الزهد وينبه عليها التعريفية بها وكنى بقوله فقد اخذ الزهد بطرفيه عن استكمال حقيقة الزهد وكمالا بها لحينئذ وظاهر ان وجود الخاصة المذكورة مستلزم للاعراض عن الدنيا وطيبا نها بالقلب وهو الزهد الحقيقي وقال عليه السلام الولايات مضامير الرجال اراد بالمضامير مظان معرفة جودة الفرس وهي الامكنة التي تعرف فيها الخيل للسباق واستعار لفظها للولايات باعتبار انها مظان ظهور جودة الوالي من خسته

ورد آنه كما ان المضاسير لجليل كذلك وقال عليه السلم ما انقض النوم لعزائم اليوم اقول ما ههنا للتعجب وهذه الكلمة تجري مجرى المثل
يضرب لمن يعزم على امر فيغفل عنه او يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه واصله ان الانسان يعزم على
السفر ليلا او الحركة بقطعة من الليل ليتوفر في نهاره على شيء فيغلبه النوم الى الصباح فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان
عزم عليه في يومه وقال عليه السلم ليس بلد باحق بك من بلد خير البلاد ما حملك اقول ما حملك اي ما وجدت فيه قيام حالك
وصلاح معاشك فاملتك للاقامة به واستعار وصف الحمل له باعتبار حمل مؤونته ملاحظة لشبهه بالحامل ونحوه والى
او قريب منه اشار ابو الطيب وفي بلاد من اختها بدل وكذلك علي بن مقرب البحراني في قوله خل البلاد الاذى والهون متسع
ما بين جرو وبين الدار من نسب وقال عليه السلم وقد جاءه نعي الاشتر رحمه الله مالك وما مالك لو كان جبلا لكان فندا لا يرتقيه
الحافر ولا يوفي عليه الطائر قال السيد رحمه الله والفند المنفرد من الجبال وما لك مبتدأ او فاعل اي مات مالك وما
استفهامية في معرض التعجب من مالك رحمه ومعرفة في الذين وقال عليه السلم قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه وقد مر
من الامور التي ينبغي ان تفعل وانما كان كذلك لان الدوام على القليل منها يفيد النفس ملكة الطاعة والخير ويصيرها خلقا
بخلاف الكثير المملول منه ونحوه قول الرسول صلى الله عليه وآله ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا
قطع ولا ظهرا ابقى وقد مر هذا الكلام بعينه وقال عليه السلم اذا كان في رجل خلة رائعة فانتظروا اخواتها والرائعة المعجبة اي
اذا كان في الانسان خلق فاضل فان طبيعته مظنة ان يكون فيه جملة من الاخلاق الفاضلة المناسبة لذلك الخلق يتوقع
وينتظر منه كمن يكون من شانه الصدق فانه يتوقع منه الوفاء وحسن الصحبة وبالعكس ومن يكون من شانه العفة
فانه يتوقع منه الكرم والمسامحة والبذل والصداقة والمحبة ونحوها ومن يكون شجاعا فانه يتوقع منه عظم الهمة والحلم
والثبات وكذلك من كان فيه ضد ذلك من الرذائل وقال عليه السلم لغالب بن صعصعة ابي الفرزدق في كلام دار بينهما ما
فعلت ابلك الكثيرة فقال ذعذعتها الحقوق يا امير المؤمنين فقال صلى الله عليه ذلك احمد سبلها الكلام الذي دار بينهما
ان غالبا دخل على علي عليه السلم وهو شيخ كبير ومعه ابنه همام الفرزدق وهو غلام يومئذ فقال له عليه السلم من الشيخ فقال
انا غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال ما فعلت ابلك قال ذعذعتها الحقوق واذهبتها الحمالات و
النوائب فقال ذاك احمد سبلها من هذا الغلام فقال هذا ابني همام وقد رويته الشعر يا امير المؤمنين وكلام العرب
ويوشك ان يكون شاعرا مجيدا فقال اقرئه القرآن فهو خير فكان الفرزدق يروي هذا الحديث ويقول ما زالت
كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلى ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه وذعذعتها بالذال المعجمة
فرقتها وقال عليه السلم من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا ارتطم في الوحل ونحوه وقع فيه فلم يمكنه الخلاص وهو وصف
مستعار لغير الفقيه باعتبار انه لا يتمكن من الخلاص من الربا وذلك لكثرة اشتباه مسائل الربا بمسائل البيع حتى لا
يفرق بينهما الا اكابر الفقهاء مع وقوع الخلاف الشديد بينهم فيها كبيع لحم البقر بالغنم متفاضلا فجوزه ابو حنيفة قائلا
جنسان مختلفان ومنع منه الشافعي الى غيرها من المسائل وقال عليه السلم من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها وانما كان
ذلك لاستعداده بتضجره وتسخطه من قضاء الله لزيادة البلاء ولو تحمد لله على بلائه لاستعد بذلك لدفعه وقال عليه السلم

من كرمت

من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهوته وذلك لكونهما عدوين فاكرام احدهما يستلزم اهانة الاخرى فمن كرمت عليه نفسه
حفظها وحماها من عذاب الشهوة لذلك مستلزم لهوان شهوته عليه وعدم مراعاتها لانها تقتضي ضد ذلك قال عليه السلم
ما مزح امرؤ مزحة الا مج من عقله مجة وذلك لان العقل يقتضي صيانة العرض والبقاء على حد يوقر معه صاحبه ولا يستخف
به والمزاح الذي لا ينبغي يقتضي اضداد ذلك فهو مستلزم لمخالفة العقل وتركه فاستعار لفظ المج لما يطرحه الانسان من
عقله في مزحه او مزاحه فكانه قد مجه كما يمج الماء من فيه ويلقيه وقال عليه السلم زهدك في راغب فيك نقصان حظ
ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس اما الاول فلان من تمام الحظ كثرة الاخوان للاعانة على صلاح امر المعاش والمعاد فالزهد
فيهم يستلزم نقصان الحظ ولان مجازاة الرغبة بمثلها فضيلة من تمام الحظ النفساني فعدمها يستلزم نقصانه واما
الثاني فاستلزام الرغبة في الزاهد فيك للذل والخضوع له ظاهر والكلمتان صغريا ضميرين تقديرهما عن الزهد في الراغب
فيك والرغبة فيمن يزهد فيك وقال عليه السلم ما لابن آدم والفخر اوله نطفة وآخره جيفة استفهم متعجبا من وجه الجمع بين
الانسان والفخر ونبه على عدم المناسبة بينهما بضمير صغراه قوله اوله الى آخره وتقدير الكبرى وكل من كان كذلك فلا مناسبة
بينه وبين الفخر وروي الفخر منصوبا على المفعول معه وقال عليه السلم الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى واراد الغنى الحقيقي
بالثواب والفقر بعدمه في الآخرة وسئل عليه السلم من اشعر الشعراء فقال ان القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند
قصبتها فان كان ولا بد فالملك الضليل يريد امرأ القيس اراد انهم لم يقولوا الشعر على منهاج واحد حتى يفاضل بينهم
بل كان لكل منهم حالة خاصة يجيد فيها او ينبعث فيها قريحته فواحد يجيد في الرغبة وآخر في الرهبة وآخر في النشاط والطرب
ولذلك قيل اشعر العرب امرؤ القيس اذا ركب والاعشى اذا رغب والنابغة اذا رهب واستعار لفظ الحلبة وهي القطعة
من الخيل تقرن للسباق للطريقة الواحدة ورشح بذكر الاجراء والغاية والقصبة وذلك ان عادة العرب ان يضع في قصبة
آخر المدى فمن سبق اليها واخذها فاز بالسبق والغلب وقوله فان كان ولا بد اي من الحكم وانما حكم له بذلك باعتبار
جودة شعره في اكثر حالاته دون غيره كما روي عنه برواية اخرى ان ابا الاسود سال عن اشعر العرب فقال لو رفعت للقوم
غاية علمنا من السابق منهم ولكن ان يكن فالذي لم يقل عن رغبة ولا رهبة وهو الملك الضليل وسمي ضليلا لكثرة ضلاله
وقيل لانه تنصر في آخر عمره وقيل لانه كان كثير التهتك واعلان الفسق كما في شعره وروي عن النبي صلى الله عليه
وآله انه قال امرؤ القيس اشعر العرب وقائدهم الى النار وقال الفرزدق كان الشعر جزورا فنحر فاخذ سنامها امرؤ القيس واخذ
طرفة ما طاب من لحمها واخذ لبيد امعاءها واكبادها وبقيت عظامها واوراثها فاقتسمناها نحن وقيل للبيد بن ربيعة
من اشعر الناس فقال الملك الضليل قيل ثم من فقال الغلام القتيل يعني طرفة قيل ثم من فقال الشيخ ابو عقيل يعني نفسه
وقال عليه السلم الا حر يدع هذه اللماظة لاهلها انه ليس لانفسكم ثمن الا الجنة فلا تبيعوها الا بها اللماظة بضم اللام ما يبقى في الفم
من الطعام ولفظها مستعار للدنيا باعتبار قلتها وحقارتها ودعا الى تركها ثم حذر عنها بضمير صغراه قوله فانه الى قوله الجنة
وهو كقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وتقدير الكبرى وكل ما كان ليس لانفسكم ثمن الا
هو فينبغي ان لا تبيعوها الا به وقال عليه السلم علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك وان لا يكون

في حديثك فضل عن عملك وان تتقي الله في حديث غيرك اشار من علامات الايمان الى ثلث احدها ان يؤثر الصدق الضار على
الكذب النافع محبة للفضيلة وكراهة للرذيلة الثانية ان لا يكون في حديثه فضل وزيادة عن عمله وهو العدل في القول
من رذيلة الكذب الثالثة ان يتقي الله في حديث غيره فلا يخوض في عرضه بغيبة او سماعها وقيل اراد ان يحتاط في الرواية
فيروي عنه حديثه كما هو **وقال عليه السلام** يغلب المقدار على التقدير حتى تكون الآفة في التدبير المقدار القدر ولما كان
الانسان جاهلا باسرار القدر كان تقديره وتدبيره لنفسه على اوهام لا ثقة بها فجاز فيما دبر هو لنفسه واعتقده
للمصلحة ان يكون من اسباب مفسدته وهلاكه وقد سبق بيان ذلك **وقال عليه السلام** الحلم والاناة توامان نتيجتهما علو الهمة
استعار لهما لفظ التوامين باعتبار استلزام علو الهمة لهما وصدورهما بواسطتها وذلك ان علو الهمة يستحقر
كل ذنب ومذنب في حقه فيحلم عنه ويتانى عن المبادرة الى مقابلته **وقال عليه السلام** الغيبة جهد العاجز اكثر ما تصدر الغيبة
عن الاعداء والحساد الذين يعجزون عن بلوغ اغراضهم وشفاء صدورهم فيعدلون الى اظهار معايب اعدائهم لما يجدون
فيه من اللذة وتفرعها بنسبة فاعليها الى العجز وانها غاية جهده ليانف من ذلك النقصان ولا يرضى به **وقال عليه السلام** رب
مفتون بحسن القول فيه واصل الفتنة الانصراف اي رب مصروف عن تحصيل الفضيلة والطاعة والكمال بالمدح
والاطراء كمن يمدح بكثرة العبادة مثلا فيقوده ذلك الى الاقتصار على ذلك القدر منها قال السيد الرضي رحمه الله
وهذا حين انتهاء الغاية بنا الى قطع المختار من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه حامدين لله سبحانه
على ما من به من توفيقنا لضم ما انتشر من اطرافه وتقريب ما بعد من اقطاره ومقررين العزم كما شرطناه اولا على تفضيل
اوراق من البياض في آخر كل باب من الابواب ليكون لاقتناص الشارد واستلحاق الوارد وما عسى ان يظهر لنا بعد
الغموض ويقع الينا بعد الشذوذ وما توفيقنا الا بالله عليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل واقول انه رضي الله
عنه بلغ في اختيار كلامه عليه السلام الى هذه الغاية وقطعه عليها ثم كتبت على عهده زيادة من محاسن الكلمات اما
باختياره هو او بعض من كان بحضرته من اهل العلم وتلك الزيادة تارة توجد خارجة عن المتن وتارة موضوعة فيه ملحقة
بمنقطع اختياره وروي انها قرئت عليه وامر بالحاقها بالمتن واولها **وقال عليه السلام** الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها واراد
بما خلقت للاستعداد فيها وبها لدرك ثواب الله في الآخرة لا ليلتذ بها الجاهلون **وقال عليه السلام** ان لبني امية مرودا
يجرون فيه ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم والمرود هنا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار
وهذا من افصح الكلام واغربه فكانه عليه السلام شبه المهلة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه الى الغاية فاذا بلغوا منقطعها
انتقض نظامهم بعدها اقول استعار لفظ المرود لمدة دولتهم ووجه المشابهة هو ما ذكره السيد والكلام ظاهر الصدق
فان دولتهم لم تزل على الاستقامة الى حين اختلافهم وذلك حين ولي الوليد بن يزيد فخرج عليه ابن عمه يزيد بن الوليد فقتله
وقامت حينئذ دعاة بني العباس بخراسان واقبل مروان بن محمد من الجزيرة يطلب الخلافة فخلع ابراهيم بن الوليد وقتل
من بني امية واضطرب امر دولتهم وكان زوالها على يدي ابي مسلم وكان في بدو امره اضعف خلق الله واشدهم فقرا وفي ذلك
تصديق قوله عليه السلام ثم كادتهم الضباع ولفظ الضباع مستعار للاراذل والضعفاء وهذا من كراماته عليه السلام

وقال عليه السلام في مدح الانصار هم والله ربوا الاسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بايديهم السباط والسنتهم السلاط والفلو المهر
والسباط السماح ويقال للحاذق في الطعن انه لسبط اليدين يريد انه خفيف فيه والسلاط الحداد الفصيحة وشبه تربيتهم
للاسلام وحمايتهم له بتربية الفلو ووجه الشبه شدة عنايتهم به وحسن رعايتهم الى حين كماله **وقال عليه السلام** العين وكاء
السه قال السيد هذه من الاستعارات العجيبة كانه شبه السه بالوعاء والعين بالوكاء فاذا اطلق الوكاء لم ينضبط
الوعاء قال وهذا القول في الاشهر الاظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله وقد رواه قوم لامير المؤمنين عليه السلام
وذكر ذلك المبرد في كتاب المقتضب في باب اللفظ بالحروف وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات
الآثار النبوية واقول انه استعار لفظ الوكاء وهو رباط القربة للعين باعتبار حفظ الانسان في يقظته لنفسه ان
يخرج منه ريح ونحوها كما يحفظ الوكاء ما يوكى به وفي ذلك ملاحظة تشبيه السه بالوعاء كالقربة ومن تمام الخبر عن
رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا نامت العينان استطلق الوكاء **وقال عليه السلام** في كلام له ووليهم وال فاقام واستقام
حتى ضرب الدين بجرانه المنقول ان الوالي هو عمر بن الخطاب والكلام من خطبة طويلة له عليه السلام في ايام خلافته ذكر
فيها قربه من رسول الله صلى الله عليه وآله واختصاصه له وافضاءه باسراره اليه الى ان قال فيها فاختار المسلمون بعده
بارائهم رجلا منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وحد كانا فيه ثم وليهم بعده وال فاقام واستقام
حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجرفة كانا فيه ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك من امر نفسه شيئا غلب عليه اهله فقادوه
الى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم ولم يزل الامر بينه وبين الناس يبعد تارة ويقرب اخرى حتى نزوا
عليه فقتلوه ثم جاءوا الي مدب الدبا يريدون بيعتي في كلام طويل والجران مقدم عنق البعير وكنى بجرانه عن تمكنه
بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الارض **وقال عليه السلام** ياتي على الناس زمان عضوض يعض
الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ولا تنسوا الفضل بينكم تنهد فيه الاشرار وتستذل الاخيار
ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين ثم هذا اي شرع وفعلوا وذكر له اربع
لوازم احدها استعار له لفظ العضوض باعتبار شدته واذاه كالعضوض من الحيوان وهو للمبالغة الثانية انه يعض
الموسر فيه على ما في يديه وهو كناية عن بخله بما يملكه ونبه على صدق قوله ولم يؤمر بذلك بقوله تعالى ولا تنسوا الفضل
بينكم فانه يفيد الندب الى بذل الفضل من المال وذلك ينافي الامر بالبخل الثالثة انه تعلو فيه درجة الاشرار وتستذل
الاخيار الرابعة ويبايع فيه المضطرون اي كرها لائمة الجور ونبه على قبح ذلك بنهي الرسول صلى الله عليه وآله عنه
وقال عليه السلام يهلك في رجلان محب مطر وباهت مفتر وهذا مثل قوله يهلك في رجلان محب غال ومبغض قال
فالمحب المطري بكثرة المدح كالغلاة هم في طرف الافراط والذي يبهته ويفتري عليه بانه كافر ومخطئ كالخوارج
هم في طرف التفريط وكلا هذين الطرفين خارجان عن فضيلة العدل فيه وقد علمت ان الرذائل مهاوي الهلاك
الاخروي وقد سبق مثله وسئل عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه وهاتان
الكلمتان على وجازتهما في غاية الشرف وعليهما مدار العلم الالهي والكلمة الاولى تحل كلمة دلت بها على التوحيد والتنزيه

بيانا مفهومها في اول الخطبة الاولى من الكتاب وجملة القول فيها هاهنا انه لما كان الوهم انما يدرك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوس ولا بد ان يستعين في ادراكها وضبطها بالقوة المتخيلة حتى يصورها ويلحقها بالامور المحسوسة وكان الباري تعالى منزها بمقتضى العقل الصرف عن المحسوسات وما يتعلق بها لاجرم لم يجز ان يوجه الوهم في تصوره تعالى ويجري على ذاته المقدسة احكامه اذ لا يكون في حقه الا كاذبة لاقتضائها كونه محسوسا او متعلقا بالمحسوس الذي من شانه الكثرة والتركيب المنافيان للوحدة المطلقة فيكون قد عرف التوحيد بخاصة من خواصه وهي لازم سلبي واما الكلمة الثانية فالمراد من العدل اعتقاد وجوب العدل في جميع افعاله تعالى واقواله ومن لوازم ذلك الخاصة ان لا يتهمه العبد اذ يحمل على القبيح ثم يعاقب عليه او يكلفه ما لا يطيقه ونحو ذلك من مسائل اصول الدين التي اعتمد فيها المعتزلة على ظواهر كلامه عليه السلام وقال عليه السلام لا خير في الصمت عن الحكم كما انه لا خير في القول بالجهل الصمت عن الحكمة رذيلة تفريط من فضيلة القول والقول بالجهل رذيلة افراط ولا خير فيهما بل فيما يتوسطهما من القول بالحكمة وقال عليه السلام في دعاء استسقى به اللهم اسقنا ذلل السحاب دون صعابها قال السيد وهذا من كلام العجيب وذلك انه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق والرياح والصواعق بالابل الصعاب التي ترحلها وتوقص بركبانها وشبه السحاب الخالية من تلك الروائع بالابل الذلل التي تحتلب طيعة وتقتعد مسمحة واقول ان لفظي الذلل والصعاب مستعاران للسحاب لمكان المشابهة التي ذكرها السيد وتوقص بركبانها اي ترميهم فتدق اعناقهم والروائع الامور المخوفة وقيل له عليه السلام يا امير المؤمنين لو غيرت شيبك فقال الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة يعني برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ظاهر وقال عليه السلام منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا النهم بالفتح افراط الشهوة في الطعام ولفظه مستعار لشدة طلب المتعلم وحرصه على العلم وطلب صاحب الدنيا لها ولذلك وصف عدم الشبع لهما والكلمة مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهومان لا يشبعان منهوم بالمال ومنهوم بالعلم وقال عليه السلام القناعة مال لا ينفد وقد روى بعضهم هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وآله واستعار لفظ المال للقناعة بوصف عدم النفاد باعتبار انها الغنى الدائم كالمال الباقي ابدا وقال عليه السلام لزياد بن ابيه وقد استخلفه لعبد الله بن عباس على فارس واعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج استعمل العدل واحذر العسف فان العسف يعود بالجلاء والحيف يدعو الى السيف امره باستعمال العدل وحذره من حيف الناس وعسفهم وهو حملهم على المكاره ونفر عن ذلك بضمير صغراه قوله فان العسف الى آخره اي يعود بجلاء المعسوف بهم عن اوطانهم وظاهر ان الظلم معد لذلك او لقيام السيف على الظالم من ضرره وتقدير الكبرى وكل ما كان كذلك فيجب اجتنابه وقال عليه السلام اشد الذنوب ما استخف صاحبه وذلك انه يدوم عليه لاستهانته اياه حتى يصير ملكة وخلقا لا ينفك عنه بخلاف ما يستصعبه فانه يوشك ان يقلع عنه قبل استحكامه وقد مر تفسيره وقال عليه السلام ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لما كان التعلم على الجاهل فريضة ولا يمكن الا بمعلم عالم كان وجوب التعلم على الجاهل مستلزما لوجوب التعليم على العالم وفي الخبر المرفوع من تعلم علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وروى معاذ بن جبل عن الرسول صلى الله عليه وآله انه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه

صدقة وبذله لاهله قربة معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمونس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والدين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وقال عليه السلام شر الاخوان من يتكلف له اي من احوج الى التكلف له وذلك ان الاخوة الصادقة تستلزم الانبساط بين الاخوان وترك التكلف من بعضهم لبعض فكان عدم هذا اللازم ووجود التكلف مستلزما لعدم ملزومه وهو صدق الاخاء ومن لا يكون اخا صدق فهو شر الاخوان والكلمة في قوة صغرى ضمير نبه بها على اجتناب اخ كذلك وتقديرها من احوج الى التكلف له فهو شر الاخوان وتقدير الكبرى ومن كان شر الاخوان فيجب مجانبته وقال عليه السلام اذا احتشم المؤمن اخاه فقد فارقه حشمه واحشمه بمعنى اغضبه وقيل اخجله والكلام صغرى ضمير نفر عنه عن احتشام الاخ لاخيه وذلك ان احتشامه له على كلا المعنيين يوجب نفرته عنه وعدم انسه به وهو من دواعي مفارقته وحيائها وتقدير ما هو في قوة الكبرى ومفارقة الاخ لا يجوز فاحتشامه لا يجوز وبالله التوفيق والعصمة وقال الشارح رحمه الله عليه وهذا آخر ما وجدنا من اختيار السيد الرضي رضي الله عنه من كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام اذ وفقني الله تعالى لاتمام شرحه فله الحمد سبحانه على ما اعدلي له من سنيه الجزيلة وافاضه علي من نعمه الجميلة ومنه الطلب واليه الرغب ان يجعل ما كتبته حجة لي لا علي انه المنان ذو الفضل والاحسان وكتب عبد الله المحتاج الى رحمته المستعيذ من ذنوبه بعفوه وكرمه ميثم بن علي بن ميثم البحراني في منتصف ليلة السبت سادس شهر الله المبارك رمضان عمت بركته من سنة سبع وسبعين وستمائة والحمد لله كما هو اهله وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله الطاهرين واصحابه الاكرمين

وسلم تسليما

كبرا

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله كل يا الله محيط بعلمك شيء س ل ٥ ون وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا رحمة للعالمين. يا تراب يا تراب يا تراب